Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg/Br.
Inv.
Az 14/8



الجزء الاول من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ يناير سنة ١٩٤٧ ‏ ‏ ١٧ صفر سنة ١٣٦٦

النساطرة في أسيا

إشتهرت مدينة « أنطاكية » بأنهـا من أولى مدن المسيحية التي قام زعماء الدين فيها بأول حركة من تلك الحركات الفكرية التي كانت ذات أثر كبير في شيوع الفلسفة ، وفروع الفلسفة اليونانية خاصـة . ذلك بعد مناظرات لاهوتية طويلة ممضّـة . وقام بالحركة في « إنطاكية » معلمان يقال لأحدهما « ديودوروس » (١). والآخر « تيودوروس » (٢) المَـصِّـيصي ، وكانا شديدي الإعتقاد في اكتمال الناسوتية في المسيـح عليه السلام .

وكان أكبر المؤيدين لهذا المذهب راهب من رهبان إنطاكية يقال له « نسطوريوس » (٣) انتقل إلى القسطنطينية أسقفاً لها في سنة ٤٢٨ م ، وتبع تأييد « نسطوريوس » لهذه الفكرة

....

(١) Diodorus (٢) Theodorus of Mopsuesta (٣) Nestor and the Nestorians نسطور بطريرك القسطنطينية من ٤٢٨ الى ٤٣١ م . أسقطه مجمع أفسوس متهماً بالهرطقة ، وتوفي في سنة ٤٣٩ م . والنساطرة أتباعه ، وقد انكروا اتحاد طبيعتين في شخص المسيح ، وقالوا بأنه شخصيتين منفصلتين ، وان اتحاد تينك الشخصيتين معنوي محض . وبعد مجمع أفسوس أسس النساطرة مدارس الرها ونصيبين وسلوقية ، ثم طردوا بمقتضى ارادات امبراطورية الى بلاد فارس ، حيث استقروا ونشروا تعاليمهم ، ومن ثمت انحدروا الى الهند ثم الى الصين . وحوالي سنة ١٤٠٠ م اضطهدهم تيمورلنك المنولي ، فهدمت مدارسهم وزالت معالمها ، وفي القرن السادس عشر اندمجت بقيتهم في الكتلة الرومانية

https://t.me/megallat ‏ ‏ oldbookz@gmail.com

مناقشات حادّة حتى انتهى الأمر بعقد مجلس دينيّ في مدينة « أفسوس » سنة ٤٣١ م ، فانتصر حزب الاسكندرية ، وهو الحزب القائل بما يضاد المذهب النسطوريّ ، واعتبر « نسطوريوس » وأتباعه هراطقة [١] .

أمـا النساطرة فـكانوا على اعتقاد كامل في أن نظراءهم بعيدون عن حكم العقل والضرورات الطبيعية . لذلك سعوا ، بعد مضي عامين على حكم مجلس « أفسوس » الى جمع شملهم ، وعلى الرغم من مطاردتهم والإستبداد بهم ، نزلوا مصر واتخذوها مقرًّا لبث تعاليمهم .

* * *

قبيل ذلك العهد أغلقت مدرسة نصيبين [٢] ، أو بالأحرى انتقلت إلى الرُّها [٣] ، وفي سنة ٣٦٣ م ، سلمت مدينة نصيبين إلى الفرس تنفيذاً للمعاهدة التي عقدت إثر الحرب التي أشعل نارها الامبراطور « يوليانوس » [٤] ، وكان رجال مدرستها منتشرين في الممالك المسيحية إذ ذاك ، فعادوا الى التجمُّع في الرُّها ، وفتحوا مدرسة سنة ٣٧٣ م ، وبذلك أصبحت تلك المدينة ، ولو أنها في أرض تابعة للامبراطورية البوزنطية [٥] ، مركزاً للكنيسة التي ينطق زعماؤها باللسان السرياني .

أصبحت مدرسة « الرُّها » بعد ذلك موطناً لأفراد من زعماء النساطرة الذين تقبلوا

(١) Heretic : يونانية معربة ، وهم المارقون من الدين ، والهرطقة : المروق

(٢) نصيبين : Nisibis : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام (معجم البلدان ٢٩٢ : ٨) وكانت تدعى أيضاً « انطيوخية موغدونية » : Antiochia Mygdonia في العصر القديم . وهي عاصمة اقليم موغدونية : Mygdonia في ما بين النهرين ، وفي بقعة من أخصب بقاع العراق . وكان من أكبر البلدان التجارية ، فضلا عن موقعها الحربي العظيم (Classical Dictionary : 605 606) .

(٣) الرها (بضم الراء) : Edessa : وكانت تدعى في العصر القديم « انطيوخيا قاليرغوية » Antiochia Callirrhoe مدينة من أقدم المدن في شمال الجزيرة ، وكانت عاصمة اقليم أوسروينية Osroëne ، وبجوار الرها قتل الامبراطور قراقلا سنة ٢١٧ م . (Classical Dictionary p. 308) واسمها بالرومية أذاسا ، والنسبة اليها رهاوي . بنيت في السنة السادسة من موت الاسكندر بناها الملك سلوقس (معجم البلدان ٣٤٠ : ٤) ، (٤) Julian (٥) The Byzantine Empire .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حكم مجلس « أفسوس » . غير أن الامبراطور « زينون »[1] أغلق تلك المدرسة في سنة ٤٣٩ م ، بحجة أن صبغتها نسطورية متطرفة ، فلم يجد أهلهـا من موئل سوى الهجرة الى البلاد الفارسية ، فهاجروا ومعهم كبيرهم « بارصوما »[2] سنة ٤٥٧ م .

نجح « بارصوما » في أن يقنع فيروز[3] ملك الفرس بأن النساطرة يوالون أبناء فارس ويمضون خاضعين لقوانينهم ، وظلوا على عهدهم هذا عاكفين في كل الحروب التي وقعت من بعد ذلك . ثم أسس النساطرة مدرسة أخرى في نصيبين فأصبحت بورة تشع منها التعاليم النسطورية ، تلك التعاليم التي كوّنت وجهاً من أوجه المسيحية مصبوغاً بالصبغة الشرقية البحتة .

ومن ثمت انتشر النساطرة في جوف آسيا وبلاد العرب ، يذيعون تعاليم المسيحية ، ولم يكونوا عاملين على نشر المسيحية لاغير ، بل أرادوا أن ينشروا معها تعاليمهم الخاصة في طبيعة المسيح ، فأخذوا يستعينون على بث أفكارهم بأقوال ومذاهب متنوعة من الفلسفة اليونانية ، فأصبح كل مبشر نسطوري بحكم الضرورة معلماً في الفلسفة اليونانيـة ، كما أنه مبشر بالدين المسيحي[4] .

كان السبب الذي حفز النسطوريين إلى نشاطهم هـذا ، نشاط أبداه نظراؤهم القائلون بالطبيعة الواحدة ، وندعوهم الوَحدِيطَـبَـعِـيُّـون[5] (في المسيحية) والوحديطبعي[6] هو أحد القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة ، وبمعنى أشمل واحد من طائفة نصرانية يعتنق فكرة أنه ليس للمسيح غير طبيعة واحدة متحدة أو مندلجة ، جزء منها قدسي (إلهـي)

---

(١) Zeno : امبراطور بوزنطي (٤٧٤ — ٤٩١ م) وكان « ايزورياً » Isaurian بالولد وهو ابن زوجة الامبراطور ليون الاول.وقد اشتهر في التاريخ بأنه قمع عدة ثورات ؟ وهو الذي أغرى ثيودوريك Theodoric أحد ملوك القوط الشرقيين بأن يغزو ايطاليا ، وكذلك أعلن الانوطيقون Henoticon ، وهي معاهدة تفاهم عقدت بين زينون وثيودوريك ، على ان يترك هذا مناوأة الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وينقض على « أودوسر » فيملك منه ايطاليا (٢) بارسوما Barsuma : أسقف نصيبين في ما بين النهرين (٤٣٥ — ٤٨٩ م) وهو المؤسس الاكبر للكنيسة النسطورية في شرق أسيا (موسوعة سنشوري ص ١٢٤) . (٣) Piruz (٤) راجع كتابنا تاريخ الفكر العربي (١٩٢٨)
(٥) Monophysites (٦) Monophysite

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وجزء منهما بشري ، على العكس من المعتقد الارثوذكسي ، القائل بأنه بالتجسد نشأت طبيعتان كل منهما مستقلة عن الأخرى ، القدسية والبشرية ، اتحدتا من غير أن تختلطا أو تطغى إحداها على الأخرى في شخص المسيح .

* * *

واقد انقسم الوحديطبيعيون أقساماً وتفرقوا شيعاً . ومن أقدم هذه الشيع شيعة « الأوتوخيين » [1] أتباع أوتوخس »[2] الذي اتهمه المجمع الخلقيدوني[3] في سنة ٤٥١ م وتنحصر تعاليمهم في القول بأن المسيح ليس له غير طبيعة واحدة هي الطبيعة القدسية (الالهية) . أما الوحديطبيعيون الأصلاء ، فيقولون بأن الطبيعة القدسية والطبيعة البشرية، إندمجتا في المسيح فصارتا واحدة.

إن أوائل القائلين بهذا المذهب ، ومؤسسوا الكنيسة القبطية في مصر هم ديوسقورس[4] الذي اتهمه مجلس خلقيدونية (ومات سنة ٤٥٤ م) وطيموثي أو طموثيوس أيلوروس [5] (الملقب بالهر) الذي صار بطريركاً في سنة ٤٥٧ م. وكان سويروس (سويرس)[6] أعظم رجال هذا المذهب حوالى سنة ٥٢٠ م . في حين كانت طائفة أخرى منهم تدعى اليوليانية.[7] وانتشر الوحديطبيعيون في سوريا انتشاراً واسعاً في خلال القرن السادس وسموا اليعاقبة نسبة إلى يعقوب بارادايوس [8] (وهو يعقوب السروجي) أسقف الرها (٥٤١ — ٥٧٨ م) ، وقد انقسم الوحديطبعيون أكثر من ثلاثين فرقة :

ان كان « نسطوريوس » قد اتهم أمام الكنيسة ، وصدر حكم مجلس « أفسوس » عليه فإنه ترك الكنيسة أمام مشكلة من مشاكلها العظمى، التي ظلت تعمل في رؤوس الناس زماناً ،

---

(١) Eutychians (٢) Eutyches (٣) Chalcedonian Council (٤) Dioscorus (٥) Timothy Ælurus

(٦) Severus (٧) Julians (٨) يعقوب بارادايوس : Jacob Baradæus وهو يعقوب السروجي Jacob Sirege : مؤسس شيعة اليعاقبة النصرانية انتشرت في سوريا وما بين النهرين وغيرها ، وهي فرع من المذهب الوحديطبعي ، ونسبت هذه الشيعة اليه ، وهو سوري الاصل رسم اسقفاً للرها حوالي سنة ٥٤١ م ، ورأس هذه الكنيسة يدعى بطريرك انطاكية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حتى انتهت المناقشات الدينية بمجمع عقد في سنة ٤٤٨ م بمدينة «خلقيدونية»[١] وكانت نتيجته أن أخرجت فئة أخرى من الكنيسة الرئيسة، هم فئة المعتقدين بالطبيعة الواحدة في المسيح.

اضطهدت امبراطورية بوزنطية الشيعة اليعقوبية. ولكن أعضاءها لم يخرجوا عن حدود الامبراطورية، بل ظلّوا في داخلها قسماً مستقلاً بصورة خاصة من أصحاب الطبيعة الواحدة (الوَحْدِيطَبَعِيّون)، وأرسلوا طائفة منهم في خارج الامبراطورية تبث تعاليمهم. على أنّ هؤلاء قد اتبعوا نفس الطريقة التي اتبعها النساطرة في ترك لغة نظرائهم في الدين، وعمدوا الى استعمال اللغة القبطية واللغة السريانية. وفي الحق أن عصر اللغة السريانية الذهبي لا يبدأ إلاً برجوع اليعاقبة عن استعمال اللغة اللاتينية، الى اللغة السريانية.

إذا تأملنا من النتائج التي ترتبت على خروج النساطرة واليعاقبة، استطعنا أن نفهم لماذا ترجمت أعمال الفلاسفة اليونان إلى اللغة السريانية. بينما نجد أن الحركة النسطورية قد أصبحت بالتدريج الوسط الذي تركزت فيه ثمار التثقيف اليوناني، وانتشرت في آسيا عبر حدود الامبراطورية البوزنطية في خلال بضعة القرون التي تقدمت انتشار الاسلام.

إذن فالمذهب النسطوري قد انتشر في فجاج آسيا، ولكن إلى أي مدى كان انتشاره، وإلى أي حد بلغ أثره؟ مما يدل دلالة قاطعة على ذيوع المذهب النسطوري في أسيا وعظم انتشاره واستفاضة تعاليمه في هذه القارة، ما ننقله هنا عن كتاب «النصرانية في الصين[٢]» تأليف «هوك»، وكتاب «الديانات العشر العظام» تأليف «كلارك»[٣]، واليك هو:

(١) لم تذكر المدينة في معجم البلدان وانما ذكر ما يأتي:

«الخلقدونة ويروى الخذقدونة: هو الصقع الذي منه المصيصة وطرسوس وقد ذكر في موضع قبل هذا، وهو في الاقليم السادس حول خمسون درجة وعرضه سبع وأربعون درجة (٤٥٨ : ٣)

وفي معجم الاعلام القديمة: خلقيدونية: مدينة إغريقة في بيثونيا: Bithynia على شاطىء فروبنطس Propontis عند مدخل البوسفور، وتواجه تقريباً مدينة بوزنطية، أسستها جالية هبطت ذلك المكان من ميغارا Megara سنة ٦٨٥ ق. م. ولانها تقع في مكان أقل شأناً من المكان الذي تقوم فيه بوزنطية، سمتها الكهانة «مدينة العميان» انظر اسطرابون ص ٣٢٠، وحوليات طاقيطوس ج ١٢ ص ٦٣)، وبعد أن ظلت زماناً مدينة مستقلة، سقطت تحت سلطة ملوك بيثونيا الذين نقلوا معظم أهلها الى مدينة نيقوميديا: Nicomedia الجديدة (سنة ١٤٠ ق. م.) وأعاد الرومان تحصينها، وجعلوها المدينة الاولى في ولاية بيثونيا أي نونطيقا فريما: Pontica Prima كما سموا هذه الولاية، وقد محاها الاتراك محواً.

(٢) Christianity in China : Huc (٣) Ten Great Religions : James Freeman Charke

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« في سنة ١٦٢٥ كان جماعة من العمال الصينيين يعملون في حفر جدار لاقامة بيت في خارج أسوار مدينة « سي – نجاو – فو » Si - Ngau - Fou ، عاصمة مقاطعة « تشن – سي » Chen - Si ، فعثروا على حجر تذكاري يشبه تلك الأحجار التي اعتاد الصينيون أن يقيموها لتنقل الى الأخلاف تذكارات أحداث كبار أو ذكريات عن عظماء الرجال . والحجر عبارة عن لوح من الرخام الأسود ، تبلغ مساحته عشر أقدام طولاً في خمس عرضاً ، وعلى صفحة منه نقش بالصينيـَّة القديمة ، مع بعض حروف غير معروفة في الصين » .

« وعنى « اليسوعيون » الذين رأوا هذا الحجر بأخذ نُـقـُول منه أرسلوها الى أوربـَّا . وقد أودع واحد من هـذه النقول بمكتبة البيت اليسوعي في روما العظمى ، حيث كان محط الأنظار وسبباً في اجتلاب الزُّوَّار . وبعد ذلك بقليل أخذت نسخة بمقياس اللوح نفسه وأرسلت الى باريس وأودعت المـكتبة العامة بشارع ريشليو ، وربما رئيت الى الآن في متحف المخطوطات » .

« هذا الأثر الذي استكشف في أنقاض منسية في ضواحي عاصمة قديمة من عواصم الامبراطورية الصينية ، قد أثار عاصفة من العجب . فإنه عنـد ما بحث وعولجت نقوشه لمعرفة معانيها ، ظهر مع العجب أن الديانة النصرانية كان لها في الصين رسل كثيرون في بداية القرن السابع الميلادي ، وانها ظلت مزدهرة هنالك زماناً طويلاً . أما الحروف الغريبة غير المعروفة في الصين ، فقد اتضح أنها من تلك التي كان يستعملها سكان سوريا القدماء ، وتعرف باسم الخط الاستراتجيلي[1] estrangélhos : وقد يعثر بها في مخطوطات سريانية تتقدم القرن الثامن الميلادي » . وهذه ترجمة ما نقش في هذا اللوح : —

« تذكار الانتشار الأعظم للعقيدة النورانية في الامبراطورية الوسطى ، الـفه « كهنج

---

(١) وفي الموسوعة البريطانية ج ١ ص ٦٨٤ (8) ما يلي : استعمل نصارى سوريا الشمالية نوعاً من الالفبية العربية تعرف باسم استراتجيلي Estrangelos ، وهذه نقلها مبشرو النسطوريين الى آسيا الوسطى ، فاتخذت هنالك أصلا لعدد عظيم من الالفبيات التي انتشرت حتى اقليم منشوريا ، وجاء في الجزء ٢٢ من هذه الموسوعة :

Documents have also been found in Estrangelo (two foms), Brahmin, and even Tibetan. p. 618; 22 a.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ـ تسنج : Khing-Tsing ، زاهد معبد « تا ـ ثسن » : « Ta : Thsin »

١ — « يوجد على الدوام سبب واحد حقيقي، هو الأول ولا بداية له ، فائق العلم ، غير مادي ، وهو الآخر ، وفيه تنحصر كل الكمالات . هو الذي أقام قطبي السماء ، وخلق كل الموجودات قدسي كلي القداسة ، كما هو منبع الكمال هذا الموجود الباهر ، أليس هو الثالوث : Triune الملك الحق الأبدي : أو لُوهُو »[١] .

« قسم الدنيا بصليب أربعة أقسام . وبعد أن حلل الهواء الأوَّل (الأصلي) خلق العنصرين . نُظِّمَ العماء ، ومن ثمَّ ظهرت الشمس والقمر . وجعل الشمس والقمر يدوران ليكون الليل والنهار . هو جَبَلَ الأشياء التي عدَّتها عشرة آلاف وكمَّلها . ولكنه عند ما خلق الانسان الأول زوّده بألفةٍ نقية تامة ، وأوصاه بأن يرعى ذلك البحر اللجيّ الذي يغمره من الشهوات . وكانت طبيعته خلو من الرذيلة ومن الخطأ . أما قلبه ، وكان بسيطاً نقياً ، فقد كان في المبدإ خالصاً من النزوات المهوَّشة » .

٢ — « غير أن « سا ـ ثنج » : Sa-Thang روَّج الأكاذيب ، ولوَّث بخبثه ما كان نقيًّا قدسيًّا . أعلن وأكد أن ما يعلن هو الحق ، مبدإ التساوي في العظمة ، فاستطاع أن يقلب الأفكار جميعاً . ومن هذا نشأ خمس وستون وثلاثمائة شيعة ،[٢] عاونت كل منها الأخرى في سلسلة طويلة ، وحاكت ، على حد ما يقال ، شبكة من الشرائع ، وَضعَ بعضها المخلوق محل الباقي ، وأنكر بعضها وجود المخلوقات وهدمت المبدأين معاً[٣] وشرع بعضها الصلوات والقرابين ليحصلوا على الخير . وتظاهر البعض بالزهد ليخدعوا الناس ، وراحت عقول الناس تعمل في جهد جاهد وملأها الريب والقلق . وانقطع التطلع الى الخير الأسمى ، وظلوا هائمين من غير أن يحصلوا على شيء وانحدروا من سيء الى أسوأ منه . واشتدَّ الظلام وغلظ ، وعميت بصيرة الناس ، فمضوا يهيمون على وجوههم ، عاجزين عن استرداد ما فاتهم[٤] .

٣ — هنالك امتدَّ إلهنا الثالوثي بجوهرة الأقدس ، السيد « مي ـ شي ـ هو »

---

(١) الله (٢) هذا بعدد أيام السنة ولعل المقصود بالشيع هنا طقوس دينية تدور مع أيام السنة ، لكل يوم طقسه الخاص (٣) لعل المقصود مبدأ الخلق ومبدأ الخالق . (٤) لعل في ذلك وصفاً لحالة الخلق قبل خلاص الانسانية بصلب المسيح كالمعتقد النصراني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

Mi-Chi-Ho (المسيح)فَـمَـشى على عظمته الحقيقية ، وظهر في الدنيا على صورة إنسان ، . وفرح بذلك ملائكة السماء ، وولدت عذراء قديساً في « تا ـ ثسن » . ولقد هتفت لهذه المناسبة السعيدة كوكبات السماء العظمى . وشهد الفارسيون ذلك البهاء ، فسارعوا الى الطاعة والخضوع . ولقد تحقق بذلك ما بشَّرَ به الأربع والعشرون قديساً منذ أزمان بعيدة. ونظَّمَ بناموسه ووصاياه الأسر والممالك ، ووضع ديانته على أساس الفكرة الصحيحة ، فكرة التثليث في الوحدة . وجعل الايمان الحق حاكماً للضمير . وأعطى الناس الوصايا الثماني ، وطهَّر الانسانية من دنيَّاتها بأن فتح الباب للفضائل الثلاث [1] .

« لقد نَشر الحياة وقضى على الموت . وعلق الشمس المضيئة لتقضي على مقر الظلام ، فقضى بذلك على أكاذيب الشياطين . لقد وجَّه سفينةَ الرحمة نحو حرم الضوء ، فنجا بذلك كل المخلوقات ذوات الذكاء والعقل . وبعد أن فرغ من هذا العمل الدَّال على القدرة ، ارتفع عند منتصف النهار ومضى نحو « الحق » . وخَلَّف سبعاً وعشرين كتاباً » .

« لقد أوسع ينابيع الرحمة ، حتى يؤمن الناس ويدخلوا في دينه . والتعميد بالماء وبالروح شريعة تطهِّر النفس وتجمِّل المظْهر . وعلامة الصليب تجمع نواحي الدنيا الأربع ، وتعيد تلك الألفة التي ذهبت . فاذا قرعنا على قطعة من الخشب ، جعلنا صوت البرِّ والرحمة تتجاذب أصداؤه . أمّا إذا قرَّبنا قرباناً متجهين نحو الشرق ، فإنَّا بذلك نعرف طريق الحياة النظيمة » .

« يرسل رؤساؤنا لحاهم ، ليظهروا بذلك تفانيهم في سبيل جيرانهم [2]. أما اللاَّطئة [3] التي يلبسونها على رؤوسهم ، فالدلالة على أنهم انصرفوا عن الحياة الدنيوية . ولأن تمنح العبد حريته ، فانك تصبح حلقة الوصل بين القوي والضعيف . إنَّا لا نجمع المال والغنى ، ونقسم مع الفقير ما نملك . والصَّوْم يقوي القدرات العقلية ، والاباء عن الطعام والاعتدال ، يحفظان الصحة . نتعبَّد سبع مرات كل يوم ، وبصلواتنا نساعد الأحياء والأموات . ونقرِّب قرباناً في اليوم السابع ، بعد أن نُطهِّر قلوبنا ونتلقى الحَلَّ من معصياتنا . وهذه

(١) لعل المقصود بذلك روح التثليث (٢) يظهر ان ارسال اللحى كان رمزاً على ذلك

(٣) شبه قلنسوة صغيرة تلزم على جلدة الرأس : ويستنتج ان ارسال اللحى ولبس اللاطئة كانا مظهرين من مظاهر رهبان النصرانية هنالك ، ولها دلالة خاصة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الديانة على كمالها وحسنها، من الصعب تسميتها، ولكنها تنير وتُذهِبُ الظلام بوصاياها . إنها تدعى « الديانة اللاّمعة » .

٥ — [1] العلم بغير قداسة لا عظمة فيه ، والقداسة بغير علم لا تحدث ارتقاء . وعندما يأتلف العلم مع القداسة ويسيران معاً ، فان الكون يأخذ زخرفه ويأتلق » .

« لقد جمّلَ الامبراطور « تاي ــ تسونج » Tai - Tsoung ملكه الامبراطوري . لقد بدأ عهد الانقلاب ، وحكم الناس بقداسة . وكان في عهده رجل سامي الفضيلة يقال له أولوبن » : Olopen جاء من مملكة « تا ــ تسن » : Ta-Thsin ولقد هدَتهُ السحب الزرق لحمل إنجيل العقيدة الصحيحة ، واتبع أحكام الرّياح ، فاستطاع أن يخترق مفاوز عصيّة مُدنِيَة للحتوف » .

« في العام التاسع من حكم « تشنج ــ كوان » : Tching-Kouan (٦٣٦) وصل الى « تشانج ــ نجان » : Tchang-ngan فأمر الامبراطور وزير الامبراطورية الأول ، وكان يدعى « فانج ــ هي ــ ونْ ــ لنج » : Fang - hi - wen - ling أن يذهب مصحوباً بعدد كبير من الأتباع الى الضاحية الغربية ، ليقابل ذلك الغريب ويحضره الى القصر . وقد ترجمت الأناجيل المقدسة في المكتبة الامبراطورية ، وتلقت الحاشية تلك العقيدة ، وتأملت منها مليّاً ، وفهمت وحدة الحق العظمى ، وصدرت وثيقة خاصة تجيز إذاعتها ونشرها » .

« وفي السنة الثانية عشرة من حكم « تشنج ــ كوان » : Tching-Kouan وفي خلال القمر السابع منها ، حيث كان الخريف ، أذيعت الوثيقة مضمّنة ما يأتي :

« ليس لهذه العقيدة اسم خاص ، وليس للقدسية جوهر محدود ، إنها تنظّم ديانات توافق أمماً مختلفة ، وتحمل الناس على طريقتها زمراً وذرافات . إن « أولوبن » Olopen أحد « أهالي تا ــ تسن » : Ta-Thsin وهو رجل سامي الفضيلة ، ويحمل الأناجيل والصور ، قد حضر ليقدّمها إلينا في البلاط العالي . وبعد بحث لم يتجاوز مداه لحظة واحدة في روح هذه الديانة ، إتّضح أنها حسنة دقيقة ترمي الى السلام ، وأن التأمل من مبدئها الأصيل

---

(١) لم يذكر الاصل رقم « ٤ » بين ٣ و ٥ .

يُسري أنها تولّد الكمال وتركز الارادة . إنها مفيدة للناس ، فينبغي أن تنشر في كل مكان تظله السّماء . ولهذا أمر الحُكّام أن يقيموا معبد « تا ـ أمن » في الناحية المسمّاة "تا ـ ننج » : Ta-ning من المدينة الامبراطورية ، وأن يخصّص للخدمة فيه واحد وعشرون من رجال الدين » .

١٠ — [(١)] إن « سو ـ تسونج » : Sou-Tsoung الامبراطور المستنير الدائم الصيت ، قد أقام في « لنج ـ أو » : Ling-ou وغيرها من البلاد ، بلغت في المجموع خمس ، معابد لامعة . وبذلك قويت شكيمة الخير الأول ، وازدهرت الهناءة . وأقيمت في بعض الأحيان قدّاسات فيها المهابة والوقار ، وخطت الامبراطورية في طريق فسيح من السّعادة » .

١١ — « إنّ تاي ـ تسُونج : Tai-Tsoung (٧٦٤) وهو امبراطور محارب مثقف قد استمر في تأييد هذا الانقلاب ، وجعل همّه محصوراً في السلام والهدوء . وكان في كل سنة عند حلول ساعة الميلاد (عيد الميلاد) يحرق البخُور ، السّماوي ، إحياءً لذكرى الخير القدسي ، ويقيم الولائم الامبراطورية ليبارك الجمهور اللامع (النصارى) .

٢١ — [(٢)] نصب هذا التذكار في السنة الثانية من حكم « كين ـ تشونْج » : Kien-Tshoung أحد أفراد أسرة : « ثانْج » : Thang العظيمة (٧٨١ م) في اليوم السابع من ربع القمر الثاني . وكان « ننج ـ شو » : Ning-Chou راعي هذه العقيدة ، رئيساً لأبناء الدين اللامع في مملكة الشرق » .

هذه ترجمة الكتابة التي وجدت على الأثر الذي عثر به في « سي ـ نجاو ـ فُو » سنة ١٦٢٥ م . وقد أجمع النقاد على أن في العبارات ما يدل على نزعة نسطورية أكيدة . والراجح أن الذين نشروا هذا المذهب في تلك الأصقاع ، جماعة من النساطرة عبروا دجلة والفرات ، ثم دخلوا خراسان ، ووصلوا امبراطورية الصين من مقاطعة « شنسي » Chen-Si

ولقد أثار هذا الكشف كثيراً من النقود والبحوث ، اشترك فيها « فولتير » وغيره من النقاد والكاتبين ، وقد نأتي على طرف منها في بحث آخر .

اسماعيل مظهر

---

(١) ليس في الاصل ارقام ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ . (٢) هكذا في الاصل ولا توجد أرقام بين (١١) و (٢١)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفكر العربي
لا يزال في الأغلال
شيوخ نجد وشيوخ مصر
بمناسبة كتاب « هذي هي الاغلال »

أصدر العالم النجدى الأستاذ عبد الله علي القَصيمي كتابه «هذي هي الأغلال» يريد به أن يجرب المسلمون والعرب الحياة بعد أن جربوا الموت طويلاً ، فهبت عليه عواصف الرجعية والجمود من كل مكان ، في مصر وفي المملكة العربية السعودية ، وقاموا يرمونه بكل سهم وجدوه حتى لقد استعانوا بالكذب والوشاية وبما هو أقل منهما ندراً . وتاريخ النضال بين الرجعية وبين أنصار التقدم والوثوب تاريخ طويل ، زاخر بالبطولة والنبل من جهة ، والنذالة والصغار من جهة أخرى. والإنسانية أجمع مدينة بكل ما لديها من علوم وأفكار وآداب وحضارات وصناعات ، وأديان أيضاً ، لهؤلاء الرجال القلائل الذين يوهبون الجرأة على الباطل الموروث وعلى التقاليد الآخذة بالخانق وعلى الأصنام المرفوعة وعلى كل نقص وضعف قديمين. ولو أننا تصورنا البشرية محرومة من هؤلاء الرجال البسلاء لما كان هنالك بد من أن نتصورها تحبو في مطلع وجودها الفطري البدائي المهين ، عاجزة عن الوقوف على قدميها. وقد تقدم البشر في العصور الأخيرة تقدماً عظيماً من حيث الإستعداد لقبول الجديد من الأشياء ونبذ القديم الذي يثبت فساده أو نقصه أو عجزه عن تحقيق الأهداف العليا للحياة السعيدة الصالحة . وقد عدت أوروبا وأمريكا اليوم نموذجين واضحين في هذا الاستعداد . ومن أجل هذا استطاعتا أن تسيرا في خطوات سريعة دائبة إلى هذا التفوق الذي أوقع العالم كله تحت سيادتهما الظافرة . أما نحن — والشواهد على ذلك كثيرة متلاحقة — فلا نزال حيث كانت البداية الفكرية ، وحيث كان الجمود الصارم العنيد . وقد يكون من شواهد هذه القضية السيئة، هذه الضجات والصرخات التي تنطلق ملعلعة حول كل ومضة فكرية أو وثبة عقلية يقدم عليها — في ركام من الركود والهجود — أحد الذين رزقوا هذه الموهبة الإنسانية النادرة التي لا تستطيع بيئتها الخاملة الكسول أن تمنحها الإنفاق الموقوف في

سبلها المرسومة وإن أقرب الشواهد على هذا الخزل والكفران الذهني لدينا — معشر العرب أو معشر المسلمين — هذا الرجفان المزلزل من الاباطيل والأكاذيب ضد هذا الكتاب : كتاب « هذي هي الأغلال » والمهم هنا جدًّا أن نعرف من هؤلاء المتناصرون المتحالفون لحاربة هذا الكتاب ، وما هي الأغراض الحقيقية الخفيَّة التي تدفعهم أو تدفع أكثرهم إلى خوض هذه المعركة ، وما الذي يجب أن يصنعه أولو الفكر والرأي والأمر لرد هجومهم وللأخذ على أيديهم — إذا كنا حقًّا راغبين في أن نسلك الجادة التي سلكها الناجحون في الحياة الصانعون لها ، وإذا كنا أيضاً نريد أن نتقبل هذه الحياة تقبل الاحرار المشاركين في التبعات ، لا تقبل العبيد الذين تفرض عليهم حياتهم ووجودهم فرضاً ! !

إن الذين نهضوا لحجب هذا الضياء هم فريقان من حيث المكان : فريق هنا في مصر حيث تضج بالأضواء والأفكار والصناعات التي أبدع في إيجادها ذلك العقل الذي تفلت من أغلاله ، وفريق في الحجاز ونجد حيث يدأب ذلك العقل العربي العبقري — الملك عبد العزيز — على إحياء الموات وايجاد الحياة وجلب الخضرة الى تلك الآكام الجرداء والى رؤوس الحجارة الصماء ... ولكل من الفريقين المتحالفين في هذه الحرب أغراض ودوافع . أما الذين يقاومون الكتاب في الحجاز ونجد فهم فريقان أيضاً : أحدهما أولئك الغرباء الذين جمعتهم المطامع وشهوات الحياة الرخية حول عرش ذلك الجواد العظيم ، ثم ثانيهما أولئك الشيوخ النجديون أو الحجازيون الذين ينكرون أن يكون في الدنيا ما يطلب أو ما يتعلم سوى كتب الفقه والتوحيد . أما أولئك الغرباء الحافون بعرش طويل العمر من مستشارين وموظفين، فهم ينكرون هذا الكتاب لأنهم يعلمون أن سلطانهم ومجدهم موقوتان بوجود الليل في بلاد العرب ، وإنهم حينما يطلع النهار هناك يشدون رحالهم لا محالة الى حيث كانوا قبل أن يبدأوا هذه الرحلة السعيدة الموفقة . وحينئذٍ يفقدون كل ما وجدوا في عالمي الجاه والمال . إذ هم يعرفون من جهة أخرى أن هذا الكتاب كتاب « الأغلال » — هو بمثابة النهار الذي يشرق فيهزم الظلام ويلزم الذين يعملون في الظلام بأن يكفوا عن العمل ، وأن الشعب الذي يقرأ مثل هذا الكتاب لا بدَّ أن يحب المعرفة ولا بدَّ أن يتعلم ، ويومئذٍ يفقد هؤلاء الغرباء السعداء ميزتهم التي بها استغلوا تلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البلاد وأصبحوا جباة أموالها . ولو أن أهل هذه البلاد قرأوا أمثال هـذا السفر وأجابوا نداءه ونهلوا من ينابيع المعارف والعلوم ، لكان هؤلاء الضيوف خارج حدود البلاد من أزمان . . أنهم يعرفون كل هذه الأمور معرفة جيـدة وهم من أجل هذه المعرفة يناوئون كل نور قد يتسلل على غفلة منهم إلى موضع مجدهم وسلطانهم الطويل العريض ، وهم من أجل هذه الحقيقة أيضاً يحسّـنون — بلا اخلاص ولا تقوى — لأهل البـلاد حالتهم ويوحون إليهم بألاّ يغيروها لأن في تغييرها — على حسب زعمهم وقولهم — ضياع الدين والخلق والسعادة . وهم إذن على قول من يقول : « الغاية تبرر الوسيلة » غير مخطئين ولا ملومين . ولـكننا نحن المخطئون الملومون يوم نجهل أهدافهم ومساعيهم وما يحاولون ويريدون .

* * *

أما المحاربون لهذا الـكتاب من شيوخ نجد والحجاز فهم جماعة من الذين سجنت أفكارهم منذ وجدوا في كهوف مظلمة صنعتها أفـكار مظلمة في عهود مظلمة ، فلا أمل في أن يتقبلوا بسهولة وسرعة هـذا الضياء الذي يحمله هذا الـكتاب ولا عجب في أن يثوروا وينكروا . ولا ريب أيضاً في أن بعض هؤلاء الشيوخ الذين قاوموا الـكتاب إنما حملهم على مقاومتهم هذه علمهم بأن من الأفضـل والأبقى لمصالحهم الشخصية الخاصّة ولملـكهم الروحاني القاهر أن يبقوا وأن يبقى كل شيء كما هم وكما هو . وآخرون من الشيوخ هم من الغرباء أيضاً الذين ذهبوا هناك يطلبون الصيد . فلا مندوحة لهم عن أن يقاوموا ما قد يطير بعض صيدهم من أيديهم المغتصبة الرخوة .

وكم عانى جلالة الملك عبد العزيز — هبة الجزيرة العربيـة بدون نزاع — من هؤلاء الشيوخ حينما أحبّ أن يدخل الى بلاده ما لا بدّ منه من حسنات هذه الحضارة وضروريات هـذا العصر . . . وقد حرموا استعمال السيارة والتلغراف والتليفون والراديو والساعة في بعض الأوقات ! ! وزعموا أن ذلك كله، لايعدو أن يكون من أعمال الشياطين . وقد اضطرّ جلالة الملك منذ سنين تحت ضغطهم المتواصل القوي أن يأمر بوقف استعمال بعض هـذه الأمور مدة من الزمان وبتحطيم الأجهزة ، وهم لا يزالون حتى اليوم يحرمون العلوم — غير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

علوم الدين — ويمنعون افتتـاح المدارس !! وحسبك أن تعلم بأنه لا توجد حتى اليوم في العاصمة — الرياض — مدرسة حتى ولا ابتدائية . وهذا بسبب مقاومتهم ومنعهم مع حرص جلالة الملك وكثيرين من رجال الدولة الأصلاء أن تنتشر العلوم والمدارس في أرجاء المملكة. ومن أغرب ذلك وأشنعه أنهم إذا وجدوا كتاباً في الحجاز مكتوباً عليه مثلاً : « كتاب الطبيعـة » استنكروا ذلك وعدّوه ضرباً من ضروب المروق والاشراك بالله ، وهم يلزمون بأن تزال من الكتب كلمة « الطبيعة » ولا يقبلون في هذا الأمر جدالاً . ونحن نشهد أن الملك عبد العزيز عبقري عظيم حيث استطاع أن يسير بدولته وبشعبه في هـذه السبيل بين هؤلاء الخرافيين الجامدين .

وأننا لا نشك لحظة في أن مثل هذا الملك الفذ العبقري لا يمكن أن يحكم أمثال هؤلاء الشيوخ في مثل مؤلف كتـاب « الأغلال » أو في كتابه ولا أن يقضي عليـه بما يقولون ويزعمون ، بل لا نشك في أن القضية ستكون معكوسة أي أن الأستاذ القصيـمي هو الخليق بأن يكون رأيه وكتابه هو الحكم المقضي بما فيه مع مخالفيه .

ان الأمم كلها لتفاخر بالممتازين من رجالها المفكرين وتعمل على الانتفاع بهم وبمواهبهم العقلية ، وتعد هؤلاء الرجال القلائل هم أعظم فضائلها ومفاخرها . هذا في الأمم التي يكثر مفكروها ، فكيف بأمثـال أممنا التي عقمت عن أن تلد من هؤلاء إلاّ القليـل في الزمن القليل . ومن ثمة فليس لدينا ذرة من الشك في أن جلالة الملك عبـد العزيز وسائر الأمراء ورجال الدولة الأصلاء ، سيحاولون أن تنتفع البلاد والشعب بهذا الكتاب وبكاتبه . لا أن يسمعوا فيه أقوال الجاهلين والجامدين والوشاة المغرضين .

أما الذين يقاومون الكتاب من المصريين فهم عبارة عن شيـخ شهر بالتبلد والجهل في بلده مصر وفي الحجاز الذي هاجر إليـه مرتزقاً ، ثم رجع منه مطروداً يحمل أوزاره وفضائحه الخلقية والعلمية على كتفيه . هـذا أحد المقاومين ، ثم جمعية دينية يديرها جماعة من الشبان الذين يعدّون على أصابع اليد . ونحن لا نتهم هؤلاء الشبان في اخلاصهم ولكننا نتهمهم في عقولهم . ويكفي تدليلاً على هذا أن يكتبوا في الشيـخ محمد عبده والسيد الأفغاني وأن يقولوا أنهما كانا منافقـين وفاسقين وداعيتين للاستعمار ، وأنهما كانا يؤلفان الجمعيات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السرية لهدم الاسلام . وأن يكتبوا ويقولوا مثل هـذا القول في سعد باشا زغلول وفي كل رجل من رجال الدولة والوطن والدين كالشيخ المراغي والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ شلتوت ، وفي أمثال علوبة باشا وأمين الحسيني مفتي فلسطين وفي كل رجل له شأن في وطنيته أو في دينه . وعلى رغم أننا نعتقد أنهم مخاصون ، فاننا نرى أنهم من أجرإ خلق الله على الاختلاق وعلى الاتهام بالباطل : وهـذا طبعاً ليس من صفات المؤمنين الأتقياء ، ولـكنها الغرارة الدينية الطائشة والخصومة التي تقع من غير الرجال ... وثمة خصم ثالث لهذا الـكتاب وهو رجل يتعاطى صناعة الأدب الصناعي ولـكن مقاومتـه لهذا الـكتاب والأسلوب الذي اختار للمقارنة كانا برهانين على براءته من كل صلة بالأدب بكل معانيـه ومبانيه . هؤلاء هم خصوم هذا الـكتاب في مصر لا غير . أما أحرار الفـكر وقادة الرأي فقد أجمعوا بلا استثناء على امتداحه والدعوة إليه وعلى أنه العـلاج لأمراض الأربعمائة المليون المسلم الذين عجزوا لشدة أمراضهم عن أن يسايروا ركب الحياة .

* * *

والذي نحب أن نشير اليه اشارة قصيرة من هؤلاء الخصوم الثلاثة هو الخصم الأول، هو رئيس جماعـة من الجماعات الدينيـة الجامدة . والذي نريد أن نقوله هنا انه في معارضته ومقاومته لم يفعل فعل الأتقياء المتدينين الذين يزعم انه من أفضلهم أو على رأسهم — بل لم يصنع صنع الرجال المحـترمين الذين يعرفون أن لهم مكانة في الهيئـة الاجتماعية يجب أن يحافظوا عليها ، وحرمة لا بد أن يرعوها ، والا فهل يعرف البشر أن رجلاً محترماً يقيم لنفسه وزناً — أو يظن أن الناس يقيمون له وزناً — يعمد الى كتاب مطبوع يملأ الأيدي والمـكتبات يحاول الرد عليه أو هدمه على حسب ادعائه ، فينقل منه عبارات وفقرات ويحرّفها تحريفاً فاضحاً حتى يزعم أنها باطلة وأنها يجب الرد عليها وأن كاتبها كافر ؟ فيجيء مثلاً الى هذه العبارة في الـكتاب : « وقد عمل الاسلام اعمالاً باهرة لا تـكـفـر . . . » فينقلها هكذا يجب أن عمل لها مقدمة وشرحاً يوضح غرضه الحرف

المكذوب — : « وقد حمل الاسلام أعمالا ً لا تكفى...»(فأبدل بالراء ياءً) وهكذا يكثر من هذا التحريف في الردود التي كتبها ليرد بها على الكتاب. وقد أتى كل صنوف التحريف المعروف عند البشر — زاد ونقص واختزل وغير ... ونحن نحب أن يعرف كل من يقرأ لهذا الشيخ أن كل ما ينقله من عبارات الكتاب وألفاظه — دع ما فهمه منه فهماً — محرف بأحد وجوه التحريف المذكورة فلا حجة بما يقول ويكتب إلاّ لدى من لم يوهبوا الملكات الانسانية التي أحد معانيها التمييز والفهم لما يقرأ ويرى . وكفى أن نقول أنه طرد من الحجاز . ولماذا ؟ ذلك ما نترك القول فيه له هو، فليس من شأننا أن نقول في ذلك شيئاً الاّ اذا حملنا على ذلك .

***

كتاب « هذي هي الأغلال » في اعتقادي أنه هو كتاب العصر في موضوعه وفي القضية التي عالجها ، وأنه لا حياة للعرب أو المسلمين ما لم يأخذوا بالأفكار الصارمة التي ضمنها والتوجيهات الحية التي جاء بها . . . إنه الكتاب الذي يجب — في رأيي طبعاً — أن يفرض على المعاهد العالية أجمع ليستطيع القيام بعملية تطهير عامة قوية من ركاكات الماضي وسخافات التقاليد وبقايا الضعف الذهني والاعتقادي والديني — تلك البقايا التي تلازم من يتخرجون في الجامعات وفي المعاهد العالية فيأتون — على رغم تعليمهم العالي عاجزين عن النجاح في الحياة وعن الابداع فيها — بل عاجزين عن الانتفاع بكل ما اقتنوا من علوم ومعارف عالية . والسبب الأكبر في هذا العجز هو ما ذكرنا من سلطان الماضي السخيف العتيد الذي جاء هذا الكتاب ليجعله أحاديث ومزقاً

***

وكتاب كهذا لا شك عندنا في أنه لن يلقى لدى سيد الجزيرة وأمرائها ورجالها إلاّ التأييد والنصر الأكيد .

مسلم مصري

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المحاكم المختلطة

في تاريخ مصر القديم

بمناسبة قرب الغائها

قد لا يعرف إلا القلة أن هناك ما يسمى « بالمحاكم المختلطة » في مصر القديمة أنشئت لغرض خاص وزالت بزوال الظروف ، فمصر القديمة كما كانت مهداً للحضارات ، كانت كذلك وطناً للتشريع والتقنين . ولم تقل عناية الشعب والقائمين على شؤونه بهذه الناحية الاجتماعية عن عنايتهم بعباداتهم وتقديسهم لآلهتهم ، وذلك لأن العدل أساس الملك والعدالة شرط لا بد منه إذا أريد للدولة الحياة وللامة البقاء .

فلا عجب إذن أن نرى للعدل إلاهة تدعى «معات» تهيمن على ممثليها في الأرض كالملك والوزراء والقضاة وسائر الأفراد . فالمعبودة «معات» هي التي ينتسب إليها القاضي ويدعى كاهنها ، و«معات» هذه هي التي كانت تتحلى بتمثالها الصغير من القلادة التي يلبسها القاضي ، حول عنقه عند النظر في القضايا . ولعلها في ذلك الوقت كانت تشبه صورة مليك البلاد باعتباره حامياً للقضاء وكان هذا التمثال يوضع في كل قاعة من قاعات العدل ليطمئن المظلوم ويرهب الظالم

ولتعميم العدالة في البلاد أنشئت في مصر القديمة محاكم من نوعين ، مدنية وجنائية — وكان اختصاص المحاكم المدنية الفصل في المنازعات العقارية من انتقال ملكية أو بيع أو شراء أو هبة أو وصية أو ميراث أو إيجار وما إلى ذلك — وكانت المحاكم المدنية على ثلاث درجات : —

١ — محاكم كانت تعقد في القرى أو المدن الصغيرة وكان يطلق عليها عادةً في اللغة المصرية القديمة إسم « جاجات » بمعنى مجالس قضائية . وكان القضاة ينتخبون من الطبقة الخاصة من الموظفين المعروفين باسم « سرو » أي « الكبار » وكانت تعقد جلسات هذه المحاكم بإشراف حاكم القرية .

٢ — الثانية محاكم عواصم الأقاليم أو بالمصرية القديمة « حات ور » أي البيت الكبير وكانت تنظر في القضايا التي تشبه تلك التي تنظر أمام محاكم الدرجة الأولى وينتخب قضاتها من طبقة كبار الموظفين السابقة . وكانت تعقد جلساتها برياسة حاكم الأقاليم — ووزير العدل هو الذى كان يعين قضاة محاكم الدرجتين الأولى والثانية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ — الثالثة وهي محاكم استئنافيـة تنظر أمامها قضايا محاكم الدرجة الأولى والثانية وتسمّـى « سوني حات ور » ويختار قضاتها الستة من أعضـاء مجلس العشرة وكان الوزير بصفته وزيراً للعدل والملك هو الذي يعين قضاة هذه المحاكم الاستئنافية .

ومما هو جدير بالذكر أن القاضي كان يعرف في المصرية القديمة باسم « ساب » أي المصلح إشارة إلى مهمة القاضي والغرض من القضاء ، وهـذا النوع من المحاكم لم يلازم الشعب المصري القديم في جميع عصوره ، بل تحوّل مع مرور الزمن . ففي عصر الوحدة الثاني (الدولة الوسطى) ظهر نوع آخر يعرف باسم « قنبت » واستمرّ في عصر الوحدة الثالث (الدولة الحديثة) وامتاز بأن يجلس للحكم في القضايا الجنائية عدد من القضاة يتراوح بين ستة وثمانية. وكانت المحاكم الاستئنافية لهذا النوع من المحاكم تسمى « قنبت » ما واستمر الحال على هذا المنوال حتى عصر البطالمة فبقيت هذه المحاكم الوطنيـة لتطبيق القانون المصري في النزاع بين المصريين والفصل في قضاياهم وسميت باليونانية « محاكم الـ Laocritae »

أما الأغريق فـكانت تطبق عليهم القوانين الأغريقيـة في محاكم أفريقية تسمى محاكم الـ « Chrematistae » إذا كان فريقا النزاع منهم ، وهي تشبه المحاكم القنصلية. ولكثرة نزوح الأغريق إلى مصر بعـد غزو اسكندر الأكبر لمصر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ثم قيام أسرة ملـكية جديدة للبطالمة .

ولما زاد عدد الأجانب الذين وفدوا على مصر وكثرت المداولات التجارية مع وجود اختلاف بين القوانين المصرية المحلية والأغريقيـة ونشوء المنازعات بين الأجانب والمصريين واختلاف اللغة الأغريقية عن المصرية القديمة وضرورة الفصل في هذه المنازعات، أنشئت محاكم جديدة عرفت باسم « Koinodikion » أي « محاكم مختلطة » إبتدائية في الفيوم أو الإسكندرية وطيبة ومحكمة استئناف مختلطة في الإسكندرية (مقر الملك) تضم عدداً من القضاة اليونان أو المقدونيين والمصريين .

ولما انقضى الغرض الذى من أجله أنشئت هذه المحاكم زالت بزواله . وفي الوقت عينه تقلص حكم الدولة اليونانية المعروفة بدولة البطالمة وحلّـت الامبراطورية الرومانية محله .

ولعلنا نجد فسحة من الوقت لنوافي القارىء بتفاصيل هـذا النظام بين القضايا التي وصلت إلينا .

دكتور باهور لبيب
الامين في المتحف القبطي

عين شمس

ألعوبة الحرية

(هذه قصة كبيرة وضعها الكاتب الانجليزي المعروف فيلبس أوبنهايم ، تحوي كثيراً من طرائف مغامر أمريكي ، وكثيراً من فضائح الطبقات العليا في انجلترا. ولما كان فيها مشابهة لكثير مما عندنا ، رأينا تلخيصها هنا ، وخاصة ما يتعلق منها بحرب الانتخابات البرلمانية ، فكثيرون من الناس يظنون أن الاساليب التي يتبعها المتنافسون على النيابة قاصرة على مصر ، ولكن لها أشباهها في أرق البلاد المتمدنة)

كانت جلسة النبيل الانجليزي السيد وولزلي ، هذه الليلة في أحد مطاعم لندن الكبيرة على مائدة واحدة مع السيد يوسف باركر الاميركي . وابنته الحسناء الآنسة حواء .

ولم يكن بين النبيل الانجليزي وبين الامريكي ، وابنته معرفة سابقة ، ولكن المستر باركر قدم نفسه للشاب الانجليزي على أنه رجل أفاق . وابنته فتاة أفاقة !

واستنكف النبيل الانجليزي أن يقدم رجل اميركي نفسه الى رجل لا يعرفه بهذه الصفة وفي أول مرة يلقاه فيها . فكاد يتركه ويتخلص منه ، لولا أن جمال الفتاة الغالب أبقاه عندما جلست معه ، فرأى فيها جاذبية غريبة .

ولكن المستر باركر كان رجلاً مشتبهاً فيه لدى رجال البوليس ، ولعل المستر باركر أتى بنفسه على هذا النبيل الانجليزي — عندما تخيل فيه ملامح النبلاء ، حتى يستطيع أن يتخلص من رجال البوليس اذا داهموه ، بادعائه أنه صديق لهذا النبيل !

وكان مع الأميركيين رجل آخر ، ومعه حزمة صغيرة في جيبه . فطلب إليه باركر أن يخرجها ويضعها على المائدة ، ففعل . وما لبثت أن اختفت تلك الحزمة والمستر باركر يقول : كان في إمكاني أن أنشلها من جيبك دون أن تشعر ! .

وفي تلك اللحظة أقبل أحد ضباط البوليس السري الانجليزي ، واتجه إليهم ، ووضع يده على كتف المستر باركر وحياه ، وطلب إليهم في أدب أن يصحبوه الى حجرة داخلية

للتفتيش ، بحجة سرقة بعض الملاعق والشوك ! .

واحتجّ المستر پاركر على هذه الاهانة التي ستلحق بصديقه النبيل الانجليزي ، واحتج النبيل الانجليزي على هذا الادعاء ، فهو لم يعرف المستر پاركر من قبل حتى يسميه صديقه ! .

وذهب پاركر وزميله مع الضابط . ثم عادا ليتناولا عشاءهما الذى طلبه الأميركي وهو ذاهب مع الضابط ، الى أن يعود ، فقد كان واثقاً من عودته السريعة لأنه لم يسرق شيئاً ، والحزمة التي كانت مع الأفّـاق الآخر اختفت ! .

ورأى النبيل الانجليزي نفسه مسوقاً إلى أن يتصل بالرجل الأميركي وابنته الجميلة ، وهو لا يدري لذلك سبباً إلاّ دافعاً خفيّـا نحو الفتاة .

* * *

واتضح للنبيل الانجليزي أن هذا الأميركي يعرف الـكثير جدًّا عن معظم الأشخاص الذين يمرون بهم، وعن أبناء لندن نفسها . ولعله كان يعرف الـكثير عن (وولزلي) ولـكنه أخفى ذلك عنه .

وعجب وولزلي أن تنحدر فتاة بهذا الجمال الى تلك الأعمال الاجرامية ، فقالت له إنها وأباها يعيشان بهذه الوسيلة ! .

وتشاء المصادفات أن يرتكب الأميركي بعض أعمال النشـل أمام النبيل الانجليزي ، فيجد النبيل في ذلك تسلية بالرغم منه ، ويجد نفسه مسوقاً معهما ، ولـكنه في نفس الوقت كان لا ينفتأ يحاول إصلاح الفتاة ، وتهذيب الرجل ! .

واختلط الأميركي وابنته بكل أوساط المجرمين واللصوص في لندن الـكبيرة ، وفي أندية القمار ، وانغمر النبيل الانجليزي معهما ، ولم يفلح في حملهما على الإقلاع عن تلك الحياة ، ولم تشفع له مساعدتهما على السرقات ، وعلى الخروج من بعض الورطات التي وقعا فيها ! .

واتفق الأميركي مع لص انجليزي خطر على الذهاب الى دار (الأوپرا) ذات ليلة ، فلما سأل النبيل حواء لماذا تفضل الأوپرا على غيرها قالت له وقال والدها : لأن (الشغل) هنالك أربح وأضمن .

ولما ذهبوا إلى هنالك ، كانت شقيقـة النبيل مع زوجها ، وهو لورد ، وكانت جلسة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأميركي وابنته ، واللص الآخر بمقربة منهما . وكان في الصف الأمامي زوجة أحد أصحاب الملايين ، وهي تتحلى بعقد ثمنه عشرون ألف جنيه .

ومال اللصان وتهامسا ، وعرف النبيل أنهما يتآمران على سرقته ، وكان ! .

ولم تتبين النبيلة سرقة عقدها إلاّ عند الانصراف ، فأغلقوا الأبواب ، ولم يدعوا إلاّ النبلاء يخرجون . وبحث صديقهم فلم يقع لهم على أثر ، فأسرع الى المطعم الذي اعتادوا اللقاء فيه ، فوجدهم هناك ، ووجد العقد الثمين بين يدى المستر پاركر الأميركي يتفرَّج عليه هو وإبنته ! .

ولم يكد الانجليزى يراهم ويرى العقد مع صديقه اللص ، حتى طلب إليه أن يخفيه ولكن الأميركي لم يطعه ، وظلَّ يتأمله حتى دهمهم ضابط البوليس السري الذي يتتبع خطوات الأميركي وإبنته وقد رآهما منذ قليل في الأوپرا . فأخذ يراقبهما ، ولكن الأميركي اختفى عن ناظره كالمسحور . فلما اكتشفت السرقة عرف أن الأميركي هو السارق ، فأسرع خلفهم ، ودهمهم والعقد بين أيديهم ، فساقهم الى مركز البوليس ، ولشد ما أدهش النبيل الانجليزي أن جاء الخبير في الجواهر فقرر أن العقد زائف ، فأطلقهم البوليس واعتذر رئيسه ! .

وفي صباح اليوم التالي وجد النبيل الانجليزي العقد الحقيقي في جيبه ، فأرسله الى صاحبته ، من لص تائب ! .

* * *

وتكررت أمثال هذه الحوادث كثيراً ، ولكن الحادثة التي ساعدهم فيها النبيل الانجليزي مساعدة حقة ، هي عند ما كانوا في المطعم الكبير ، وقد اصطحب الامريكي لصًّا انجليزيًّا آخر كبيراً ، وقرر معه نشل رجل أخرج حافظة نقوده من جيبه وأخذ يتأملها ، ولعله كان من رجال البوليس . وقد نصبوا هذا الفخ ليوقعوا الأميركي الذي دوَّخهم بسرقاته وعبقريته في السرقة ! .

ونشلت الحافظة بمهارة عجيبة ، وأقبل ضابط البوليس السري يجري وأمسك بتلابيب الأميركي وزميله اللص الآخر .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وساقهما إلى مركز البوليس ، ولكن النبيل ترك الفتاة التي يحبها — بنت الأميركي — جالسة في المطعم وأسرع لعله يستطيع انقاذ والدها ، وأحاط بهم رجال البوليس ، ولكن الأميركي الماهر تمكن من اعطاء الحافظة للنبيل الانجليزي الذي كان أسرع من الأميركي في نشلها منه بمهارة عجيبة ، ووضعها في جيب صاحبها الأول !

وتركهم ضابط البوليس وهو يعض شفتيه ، وقد أدرك أن النبيل الانجليزي هو الذي فعل ذلك ، لأن الأميركي وزميله الآخر كانا محوطين برجال البوليس السري . وهزَّ الضابط رأسه ، ولعله كان يفكر في تدبير آخر !

وعادوا ثانية الى حواء قبل منتصف الطريق !

* * *

ونصح الضابط السري للنبيل الانجليزي أن يبتعد عن ذلك اللص وابنته لأنهما مشبوهان وهما ان أفلتا من قبضة القانون اليوم فلن يفلتا منه إلى الأبد ، فسيقعان في يده يوماً ما ...

وليس من الكرامة أن يكون أحد النبلاء محلاً للشبهات ؟

والقانون لا يرحم ...

فإذا ضبط النبيل معهما أثناء تلبسهما بارتكاب حادث سرقة ، اتهم بما يتهمان به ، ولكن النبيل لم يرتدع وكان كل غرضه أن يتزوج من الفتاة وينتشلها من تلك الحياة ، فيعرض عليها الزواج فتصده عنها أولاً في رفق ولين ، ثم تعود فتتغاظ له ثم تلين ، ولكنه لا ييأس ...

وعرض عليها ماله لتنفق منه هي وأبوها مرة وأخرى ، ولكنها قاطعته محتدة وطلبت إليه أن يكف عن هذا ...

ولما صحبهما إلى أحد أندية القمار القذرة ، ورأى أساليب المقامرين في السرقة ، ورأى كيف نشل أبوها الفين من الجنيهات كانت على مائدة القمار ، ورأى تألم الفتاة لهذه الحياة ، عاف لها ذلك ، فصمم على أن يصلحها بأية حال ... ولكنها كانت تقول أنها ليست من طبقته ، فيبدو عليه أنه ابن أحد النبلاء ، وأما هي فابنة رجل أفاق !

ويدعوهما الشاب إلى حفلة عشاء في أحد المطاعم الفخمة ليقدمهما فيها إلى أقاربه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيرفضان أولاً ، ولـكن النبيل الشاب يلحف عليهما فيقبلان ولـكن على شرط أن يغير الاميركي وابنته اسمهما ، وان يحضرا الحفلة باسم آخر هو — مستر بندركوم وابنته !

ويقدمهما النبيل لاخته وأقاربه فيرحبون بهما ويحيونهما .

وتأخذ عمة الشاب تتحدث إلى هذا الاميركي — بندركوم — وتخبره أن ابنها عند ما عاد اليهم من أميركا أخذ يمتدح لهـا أحد الاغنياء الـكبار بهذا الاسم — بندركوم — ويمتدح ابنته ، فقد أكرماه وقضى معهما وقتاً طيباً .

وتخبر قريبها الشاب أنها أرسلت في طلب ابنها ليسلم عليهما لانه يشتاق الى رؤيتهما واكرامهما كما أكرماه . . .

ويذهب النبيل ليخبر الاميركي بالورطة التي وقع فيها بانتحال هـذا الاسم . فيهرب الاميركي وابنته ، ويترك ورقة للمضيف يعتذر عن الانصراف المفاجىء . ثم يكتشف النبيل حينئذٍ ان قلادة أخته سرقت ، وحلية عمته نشلت ، وخاتماً ثميناً جداً لاحد أقاربه فقد ، فيفكر الشاب ويسرع اليهما فيجد المسروقات فيعود بها حالاً ويقول ان أحد الخدم في المطعم نشلها ، وقد طرد في الحال !

* * *

ويتقابل الشاب والفتاة فتعتذر عن سرقة أبيها حتى لاقاربه ويعرض عليها الزواج أيضاً هذه المرة فتثور فيه ، لأن أقاربه عرفوا حقيقتها هي وأبيها ، ولـكن الشاب يخبرها أنه لفق السرقة لأحد الخدم !

وهنا تشكره الفتاة ، وتبدأ تحبه حبًّـا خالصاً !

* * *

ويذهب الشاب الى حفلة أخرى فيأخذها معه .

وينشل الرجل عقداً آخر من زوجة الداعي . ولم يكن بين المدعوين من يثير الريبة غير المستر پاركر الاميركي — أو المستر بندركوم — كما أطلق على نفسه أخيراً . . !

ولـكن الشاب يدافع عنهما دفاعاً حارًّا . . .

ويذهب اليهما حيث يقيمان ، فيجدهما يتساران ، ولما انتهت جولته معهما عاد الى بيته ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وذهب في صباح اليوم التالي اليهما فلم يجدهما في مقرهما الأول .

لقد رحلا !

وسأل عنهما الخادم فلم يظفر بعنوانهما الجديد ، لأنهما لم يتركاه .

ويسقط في يد الشاب ، ويخرج آسفاً مغموماً ، ولـكن الخادم يسرع خلفه ويناوله برقية لاسلـكية آتية من أميركا تحمل لغزاً ، فقد كانت تقول — ان ه . . . أبحر إلى انكلترا —

وقال الخادم انهما عند ما قرآ هذه البرقية ارتعبا وأخذا في حزم متاعهما !

وعرف الشاب انهما يخشيان شخصاً يطاردهما من أميركا .

وبعد قليل يدق التليفون في بيت النبيل الانجليزي ، واذا بالمتكلمة هي حواء ، حبيبته وقد طلبته اليها ، وأنبأته انهما نزلا فندقاً من فنادق الدرجة الأولى . فلما ذهب اليها وسألها السبب قالت انهما أصبحا مشبوهين هنالك ، في الفندق القديم ، وليس هناك أحسن من الفنادق الـكبيرة لنفي الشبهات ! .

وجلس الثلاثة يتحدثون قليلاً .

وأقبل ابن عمة وولمزلي ، الشاب الذي كان في أميركا وعرف رجلاً وابنته يحملان إسم بندركوم ، وما كاد يرى حواء حتى أسرع نحوها وتناول يدها الجميلة بين يديه وهو يصيح — لقد رأيتك أخيراً ...

* * *

وكاد (وولمزلي) أن يصعق عند ما رأى هذا المنظر العجيب ! .

وكادت الغيرة تفترسه !

إذن هذا اللص الخطر ، وابنته الحسناء ، اللذان يتسميان في انجلترا باسم پاركر ، ليس إلاً بندركوم ، المليونير الأميركي وإبنته ، صاحب المصانع العظيمة التي تنتج الآلات الزراعية الشهيرة التي تحمل اسمه !

ويالها من حقيقة مفزعة

ويالها من أسرار محيرة عجيبة !

***

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما كاد وولزلي يفكر في هذا كله ، وهو أشبه بالتائه المخمور ، حتى تقف سيدة أميركية في باب الحجرة الكبيرة ، توجه الخطاب الى الموجودين في داخلها...

كانت هذه السيدة ترتدي ملابس بسيطة محتشمة ، هي الى ملابس الفقراء المحتشمين أقرب ، وتضع على عينيها نظارتين ، وتكلمت بصوت مرتفع :

«وأخيراً أعثر عليك ، يا سيد يوسف بندر كوم ، أنت وابنتك الجميلة حواء ، وأتحمل في سبيل اللحاق بكما كل مشاق السفر الطويل والتعب الذي أورثتنيه بشذوذك الغريب ! هل تعرف كيف أتيت من أميركا الى هنا ، سعياً وراءك ، وقد تركت مصالحي هناك ، واعتذرت عن حضور المؤتمر النسائي الكبير ، لألحق بك ، وأنت تهرب من بلد الى بلد ، حتى عثرت عليك أخيراً ...

« يا سيد بندركوم أيها الرجل الذي يمتلك ثمانية ملايين من الدولارات ، ويتركها وراءه . ويصحب ابنته الوحيدة حبًّا في المغامرات ، وسعياً وراءها ، ولم يكفه الفضائح التي تركها وراءه في أميركا .. انني تعبت ، تعبت !

« من هذا السيد ؟ هل أستطيع أن اتكلم في حضرته أكثر من ذلك ؟ انني أعرف السيد الآخر الذي كان معنا في أميركا »

وهنا يخبرنا وولزلي انه خطيب حواء ، فتثور العجوز وتقول — هذا خطيب حواء ! من يدري من يكون ؟ لعله أحد اللصوص الذين تعرّف اليهم السيد بندركوم في مقهى من مقاهي اللصوص . . . لعله مجرم وضيع من هؤلاء الذين يسعى السيد بندركوم وراءهم دائماً . . . لماذا لا تتزوج السيد الآخر ، هذا الشاب الصغير النبيل . الذى يحمل والده لقب إيرل ، إذا كان لا بد أن تتزوجي أحد الانجليز ؟ .

وهنا يقاطعها النبيل الصغير قائلاً — إن السيد وولزلي من أسرتنا ، إنه ابن خالي ! .

وتصمت العجوز الثرثارة !

ويأتي بعدذلك ضابط البوليس السري الذي اعتاد أن يطارد السيد پاركر — أي بندركوم — فتقول زوجته إن هذا السيد الضابط ، هو الذي أخبرها عن زوجها عند ما اعطته أوصافه وذكرت له هويته !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتعود العجوز إلى الثرثرة ، وإلى ذكر التعب الذي صادفته في سبيل سفرها ، فتقول الفتاة حواء :

— ولماذا جئت ؟ إننا لم نطلب إليك المجيء !

— ولكني يا إبنتي أسعى وراء صالحك ...

— لست إبنتك ، بل إبنة زوجك !

— نعم يا إبنة زوجي ، ولكنك في منزلة إبنتي !

وتعود الى الثرثرة واللغط ، ويهرب الأميركي من زوجته ويجلس للشراب مع الضابط ، ومع النبيل الانجليزي ، الذي أحبه حبًّا جمًّا !

* * *

واختلى وولمزلي وحواء .

وسألها عن السبب في سلوك والدها . وسلوكها معه . هذه الحياة العجيبة ، فقالت :

— لقد أغرم والدي بحب المخاطرات . ودراسة الحياة الوضيعة ، التي يحياها اللصوص والنشالون ، وقد قرأ كل الروايات البوليسية ، ومثلها ، وبزها في الكثير ، وكل أمله من ذلك لم يعدُ الدراسة ، فالاصلاح ، فالتهذيب !

— ماذا تقصدين الاصلاح والتهذيب ؟

— أقصد ما أقول ! ان والدي ينغمر بين اللصوص والمجرمين والنشالين ، ويتظاهر بأنه أحدهم ، وهو يتقن النشل والسرقة اتقاناً عجيباً ، ولكنه إذا وجد من أحد اللصوص ميلاً الى الحياة الشريفة ، ساعده عليها !

— هذا عجيب ومحيّر !

— هو الواقع ، فكم أصلح والدي من أمور الكثيرين ، وساعدهم على الحياة الشريفة من جديد ، وسترى بعض ذلك !

— وماذا صنع بعقد زوجة المضيف الذي دعاني فدعوتكما معي اليه ؟

— رددناه اليها من (لص شريف) !

— وماذا صنع بالألفين من الجنيهات التي نشلها من منتدى القمار ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— لم ير أن يردها الى صاحبيها ، لأنه مال مسروق كذلك ، ولكنه ضم اليهما ألفاً ثالثة وأرسلها الى أحد المستشفيات للمساعدة على علاج الفقراء !

وجلس النبيل مع خطيبته حواء ، وزوجة أبيها ، يتناولون العشاء في المطعم القديم .

وتطلعت حواء فرأت والدها جالساً مع فتاة جميلة على مائدة قريبة .

ورآها وولزلي ، وحاول هو وخطيبته أن يصرفا زوجة السيد بندركوم عن هذا المكان كيلا ترى زوجها ومعه تلك الحسناء ، ولكنها رأتهما !

وطلبت من السيد وولزلي أن يذهب إليه ويدعوه ، فاعتذر ، ولكنها هددته بالذهاب بنفسها وعمل فضيحة في هذا المطعم المحترم ، فقام الشاب متألماً . واتجه الى صهره ، وابتسم ، وحياه ، وانحنى للفتاة بصحبته ، وأسرّ إليه أن زوجته جالسة معه هي وحواء ، ولكن السيد بندركوم تجاهل وقال له :

— أنت مخطيء أيها السيد ! ليس إسمي بندركوم ! إن إسمي يوسف. ه. باركر ! ولكن ... !

فالتفت الأميركي الى الفتاة الجالسة معه وسألها :

— هل تعرفين هذا السيد ، يا آنسة بلانش ؟

— كلاً . . .

— أنت مخطيء إذن أيها السيد ! لست أنا المقصود !

وعاد الشاب فأخبر العجوز ، فثارت وذهبت بنفسها ، ولكن زوجها تجاهلها كما فعل مع صهره ونادى خادم المطعم ليطردها !

* * *

وخرج الشاب وخطيبته ، وجلست العجوز تنتظر زوجها على باب المطعم ، ولكنه خرج من الباب الآخر مع حبيبته الصغيرة !

(لها بقية) حسين المهدي غنام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشتاء

قالوا : الشِّتاءَ ، فقلت : أثقَلَ حمْلَنا ـ ثقلتْ حُمولُهْ

قد عاث في حُسن الطبيـ ـعة حسْبما اتجهت ميولُه

الشمس ، وهي الشّمس ، جا رَ على رِسالتها رَسُوله

أطفا توهّجها ، وأ ثّر في نَباهتها خُموله

وضبابُه — لا كان — وا راها ، وشجّعه فُضوله

يا للحبيب بدا ولكن صَدّهُ عنّا عَذوله

والجو مالَ ببرده والليل طال فَمَلَّ طوله

والشهب قد كسلت لديه ولم تنشّطها طبوله

فبدت سماء الله كالـميدان مشكولاً خُيوله

والطير طُيّر أنسهُ عنه ، وأُنسيَ ما يَقوله

والغصن بين يديه عا رٍ ، كاد يمحوه مُحوله

والروض قد ماتت نضا رته وأبّنها ذبوله

نزل الشتاء به فأصـبح لا يُرى إلاّ طلوله

وكذا المنازل لا يمثّـلها لنا إلاّ مثوله

شاعر البرازي

نتحدّى !

كنت أول من كتب مبيناً عن الأغراض الخفية التي تنطوي عليها شركة « الكاتب المصري » وهي شركة للطبع والنشر وبيع الورق المضغوط وغيره من أدوات الطباعة ، وراعني أن يكون الدكتور طه حسين عميل هؤلاء الذين إن تجردوا من كل شيء فلا يتجردون من أنهم هراري وسيكوريل ، ومن أسطورة أنهم من أبناء شعب الله المختار ، ومن خرافة أن فلسطين أرض الميعاد ، ومن عقيدة أن فلسطين وشرق الأردن وسوريا هي وطنهم الأول ، وأن العراق ومصر والسودان وبلاد العرب هي مجالهم الحيوي ، وأنهم أرقى الأمم وأحق الشعوب بملك الأرض ، وأنهم السلالة النقية ، يحيون بذلك الفكرة السلالية التي قامت عليها الفكرة الخاطئة في المانيا في عهد غليوم ، وتجلت بمظهرها الدّموي في عهد هتلر.

وان لي لعقيدة لن تخرج من روعي أو تخرج معها نفسي ، هي عقيدة أن كل صهيوني يهودي أولاً ، وأن كل يهودي صهيوني بعد يهوديته ، وأن الحرب التي يشنونها في فلسطين حرب اعتداء ، وأن أنظارهم تتطلع الى الشرق الأدنى برمته ، وأن يهود العالم أجمعين ، وفي أي ركن من أركان الدنيا ، يتطلعون الى اليوم الذي يسودون فيه الشرق ، ثم من بعد ذلك يسودون الدنيا ، لأن هذا الشرق هو ولا شك مفتاح العالم المتحضر .

وقد نشرنا مع هذه الكلمات كتاباً من الدكتور « طه حسين » نشرته جريدة الدفاع في « يافا » في شهر اكتوبر من سنة ١٩٤٥ ، واحتفظنا به طوال هذه المدة أي حوالي سنة وشهرين لعلّ الدكتور وشيعته يحققون نبوءته التي تنبأ بها فيه إذ قال :

« ومن يدري لعلّ خصوم هذه المجلة يبهتون في يوم من الأيام حين يرون فيها خصومة عنيفة للصهيونية وهجوماً عنيفاً على ظالمها ودفاعاً عن العرب في وطنهم فلسطين » .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإني أتحدّى طه حسين أن ينقل العبارة الآتية وينشرها في مجلة « الكاتب المصري » ممهورة بامضائه الكريم إن كان من الصادقين :

« أنا طه حسين المصري العربي المسلم ، أعلن على صفحات مجلة « الكاتب المصري » أن الصهيونية إفك وعدوان على العرب ، وأنها تحاول أن تخرج العرب من ديارهم أو تستعبدهم فيها ليكونوا لها خدماً وعبيداً وإني أبرأ الى الله من اليهود والصهيونية ، وأن عقيدتي العربية ، وديني الإسلامي ، يأبيان أن يكون وطن عربي مجالاً لمفاسد هؤلاء الآفاقين الذين هبطوا فلسطين بعد أن لفظتهم أوطانهم ، وإني أومن بما يؤمن به العرب أجمعين أن فلسطين إما أن تظل عربية ، وإما أن يدفن آخر عربي في ثراها » .

هيا سيدي الدكتور ، إن كنت من الصادقين فانقل هذه العبارة في « الكاتب المصري » وأمهرها « بإمضائك الكريم » ، نؤمن بأنك عربي مصري مسلم ، وإلاّ فقد لزمتك الحجة بما قيدت به عنقك من وعد صريح بأن تشن في « الكاتب المصري » خصومة عنيفة على الصهيونية ، وأن تدافع عن العرب في وطنهم فلسطين ، ولكنك سوف لا تفعل ، وغالب الظن أنك لن تفعل ، فانك لست من العروبة بحيث تفعل .

ولا نتحدّاك وحدك بل نتحدّى معك كل شيعتك من الذين أخرجت لهم كتباً بمال اليهود أو تعاقدت معهم على أن تخرج لهم كتاباً لا يزال تحت الطبع أو كاتب أجرته ليسوّد صفحات من « الكاتب المصري » ، نتحدّى هؤلاء جميعاً إن كانوا عرباً مسلمين أو نصارى أن ينقلوا أو ينقل واحد منهم هذه العبارة وينشرها ممهورة بامضائه الكريم . أما اذا فعلوا فقد آمنّا بعربيتهم وإسلامهم أو نصرانيتهم ، وإلاّ فان الحجة التي تلزمك تلزمهم أيضاً بالتبعية لك ، وأقل ما في ذلك أن يصح رأينا الذي قلناه وهو أن أهون ما في هذه الشركة من مفاسد ، أن تكم أفواه مئات الكتّاب اذا ما ارتبطوا معها بمصالح مادية ، ومن أطعم فمه ، استحت عينه .

هيا سيدي الدكتور : تشجع قليلاً ، وتذكر قولة عمر بن الخطاب « ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم » .

اسماعيل مظهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كتاب من :

الدكتور طه حسين عن القضية العربية

كان السيد الاديب خليل شطاره قرأ مقالا في مجلة «الصياد» البيروتية الغراء فيه اتهام للدكتور طه حسين بتشيعه للصهيونية. فبعث بكتاب الى الدكتور جاءه عليه الرد التالي :

تلقيت كتابك وانا اشكره لك اجمل الشكر واحب ان تطمئن الى اني وقد انفقت حياتي كلها في خدمة الادب العربي لا يمكن ان انحرف عن حب العرب وخدمتهم في حياتهم القديمة .

فاما الشائعات التي حدثتني عنها فان مصدرها المنافسة التجارية من جهة والضغينة السياسية من جهة اخرى والحسد البغيض من جهة ثالثة والشر لا يثمر الا شرا .

وخلاصة هذه القضية ان سبعة من اليهود المصريين قد اشتركوا في عمل تجاري صرف قوامه نشر الادب العربي قديمه وحديثه ونقل الجيد من الآداب الغربية الى لغة الضاد وطلبوا الي ان اكون مشيرهم في ذلك فقبلت بعد ان استقصيت واحسنت الاستقصاء وتبينت ان الامر لا يتصل ولا يمكن ان يتصل بالصهيونية من قريب او بعيد .

ونحن نصدر مجلة « الكاتب المصري » وهي مجلة مصرية عربية ظهر العدد الاول من اعدادها واني اتحدى من شاء ان يجد في هذا العدد وفي الاعداد التي ستليه اشارة للصهيونية أو تأييداً لها .

ومن يدري لعل خصوم هذه المجلة يبهتون في يوم من الايام حين يرون فيها خصومة عنيفة للصهيونية وهجوما عنيفا على ظلمها ودفاعا عن العرب في وطنهم فلسطين .

وما أكتب اليك هذا دفاعا عن نفسي ولا عن المجلة فما شعرت قط بالحاجة للدفاع في هذا الموضوع وانما أثر في نفسي كتابك الكريم فأحببت ان يطمئن قلبك وان تثق باني لن اخلف ظنك ولا ظن أحد من العرب انما مثلي ومثل الذين يشيعون عني وعن المجلة كلمة السوء ما قال الشاعر العربي القديم

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من إعراضنا ما استحلت

١٥ اكتوبر　　　　　طه حسين

https://t.me/megallat　　oldbookz@gmail.com

الكنوز النفيسة

في القمامات الخسيسة

كثيراً ما تكون المصادفات وحدها سبباً لتكشف كنز ثمين أو إظهار شيء دفين. وقد جاءت الأنباء حديثاً بأن المنقبين في مدينة رومية قد عثروا على تمثالين رومانيين أثريين في حالة جيدة، وذلك حينما كانوا يحفرون نفقاً تحت أرضها.

ومما يجدر ذكره في هذا الشأن أنه في سنة ١٩٤٠ اكتشفت في أراضي ليبيا خرائب معبد، زعم علماء الآثار التاريخية أنه هيكل كليوبطرة. وهو معبد قائم في فجوة عميقة أحدثتها قنابل الطائرات القاذفة للقنابل عند ما كانت تنهال على ذلك الميدان.

وبعد ذلك بعامين كان الجنود الاميركيون يحفرون الأرض في ضاحية مدينة بايستم Paestum بإيطالية، وذلك لاستخراج الحصى منها لحصب الطرق، فعثروا على ضريح من العصر الحجري، غاص بآثار من ذلك العهد، رجح العلماء أنها أقدم التحف التي كشفت من نوعها حتى الآن.

وفي شتاء سنة ١٨٩٩ كان الدكتور جورج ريزنر العالم الأثري المشهور، يدير مجموعة من أعمال التنقيب عن الآثار التاريخية في بلدة تبتونس (تطون) Tebtunis بمصر، وكانت أعماله تسير سيراً وئيداً. وكانت تسود خيامه التي ضربت في الصحراء مظاهر اليأس، حيث كان عمال التنقيب، كلما توغلوا في الحفر، نبشوا تماسيح محنطة لاغير. وكان قليل منها لا أهمية له، وسائرها لا نفع منه يرتجى. وكانت الشروط المعقودة بين الدكتور ريزنر وعماله العرب، تقضي بأن لا يدفع لهم أجراً إلاّ عن الشيء الثمين الذي يستخرجونه من جوف الأرض. ولذلك صدف أخيراً عن مكافأتهم على هاتيك التماسيح العقيمة الملفوفة بلفائف التحنيط. ومن حسن حظ أحد الأعراب أنه كان ذات يوم يحفر حفرة أثرية وهو محتدم غيظاً فأخرج لقيته وحطمها على سطح الأرض، فتناثرت أعضاؤها شذر مذر، كما كان العامل يتوقع. ولكنه لم يلبث أن انقلب امتعاضه، ابتهاجاً إذ تبين أن الشظايا التي تطايرت من جوف التمساح، كانت أوراقاً بردية قديمة مصورة صوراً رائعة، هي التي كان ينشدها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مخدومه ، على أن يكافىء نابشها أسخى مكافأة . وعند ذلك شرع الدكتور ريزنر في تحطيم جميع هاتيك التماسيح المحتقرة التي كان قد أمر بنبذها قصيًّا ، تحطيماً تامًّا ، إذ تذكر من فوره أن ورق البردي الذي كان القدماء يلقونه في زوايا النسيان كانوا يستعملونه للف الأشياء والطبقات الداخلية لتلك الحيوانات المحنطة جميعها ، فصارت المستندات التي أتيح استردادها بتلك الوسيلة ، ضمن المجموعة النفيسة التي تحتفظ بها حالياً جامعة كليفورنيا

ثم إن أغلب نماذج الاواني الزنكية الأولية البريطانيـة الموجودة الآن في المجموعة الأثرية المشهورة عثر عليهـا مكتشفوها إما في الآبار ، واما في مجاري القاذورات وإما في الخزائن القديمة المغلقة وإما في وسط طبقات المساكن العتيقة . وبيان ذلك أن الشركة القديمة لصناع الزنك كانت حظرت على أعضائها ترميم أي وعاء مكسور من هاتيك الأوعية الزنكيـة . وكان يحدوها على ذلك مراعاة مصلحتهـا ، إذ رأت أنه خير لصناعتهم انتاج الأواني الجـديدة وبيعها ، من ترميم السابق استعماله ، فعجز أرباب الصحون والكيزان والشمعدانات الزنكية عن إيجاد الصناع الماهرين الذين يستطيعون إصلاحها ، فألقوها في أماكن خفية وزوايا مهجورة ، وهي تلك المواضع والزوايا التي ما فتئت تستخرج منها بين حين وآخر . وكثيراً ما تكون العوامل الباعثة على فقد الكنز أو اخفائه ، خطيرة الشأن ، مثل الظروف التي تلازم الكشف عنه .

وقد تختفي مأساة قديمة من المآسي التي كاد الناس ينسون تاريخها . وذلك مثل مجموعة أورفيتو الخاصـة بالأواني الصينيـة الجميلة التي ألقيت في بئر بناءً على أمر قسيس محلي أراد بذلك تطبيق القواعد الصحية ، قصد منع انتشار وباء الطاعون ، وذلك بارغام الجمهور على نبذ أطباقهم الجميلة . فحدث بعد انقضاء قرون من الزمان ، أن حلَّ ساكن جـديد في ذلك البلد الواقع على التلّ الايطالي القديم ، فأخـذ ينظف بئر الدار السابقة الذكر ، فعثر على حطام الأواني الصينية البديعة المشار اليها ، فبذل قصارى جهده في اعادة تركيبها وترميمها حتى عادت كأصلها ، ولما نجح في عمله ، جعلت عائلته تقلد صناعتها فراجت بضاعتهـا رواجاً عظيماً ، إذ هي تحمل طابعاً غريباً هو رسوم العصور الوسطى التي تؤلف من أرضية بيضاء يغشاها لون أخضر زمردي أو أصفر برتقالي . وفي إثيوبيا كانت مجموعة كتب قبطية خطية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كاملة في دير من ديورتها ملقاة في جب وقايةً للكتب من نهب الاعراب إياها عندما غزوا بلاد الحبشة . ثم تمكن أحد الشيوخ فيما بعد ، من استعادتها فابتاعها منه المستر ج . ب . مورجن [1] وذلك بمبلغ ٤٠٠٠٠٠ دولار . وفي أواخر القرن التاسع عشر دمرت النار قصر تلينجين القديم في هولندة ثم بيع ما بقي من أثاثه الذي تسنى انقاذه من الحريق ، بالمزاد العلني . فتقدم اشرائه خمسة عشر تاجراً تواطأوا بعضهم مع بعض على ابتياع تلك التحف بأبخس الأثمان ثم بيعها فيما بعد بأبهظ الأسعار ليقتسموا الربح فيما بينهم . وحدث في أثناء انهماكهم في التصرف في هذه الغنيمة أن جاء صبي من أبناء أحدهم ، وجعل يعبث بعلبة رثة من علب الجواهر والحلي ، كانت مطروحة على الأرض نسياً منسياً فلمس بغتة نابضاً (زنبركاً) خفيّاً كان مثبتاً فيها . فسمع حينئذٍ طقطقة أعقبها بروز درج خفي فدسَّ الغلام يده في محتوياته الوضاءة الألوان وأخذ يلعب بالحشوة اللامعة التي تكشفت له ، غير انه لم يلبث أن اتجهت اليه أنظار أصحاب الشأن وذلك حينما ثار وأفشى سر ذلك الكنز . فأخذ يبادلهم التهانيء فأقصوه توّا عن موقفه حيث وجدوا في ذلك الدرج مجموعة من الماس والياقوت ، وكانت جميعها من الاحجار الكريمة المشهورة والحلى النفيسة التي كانت مفقودة منذ عهد طويل في قصر تلينجين الذي كانت جاكلين أف باتافيا كونتيسة هولندا وزيلند ، سجينة فيه حتى توفيت سنة ١٤٣٧ وكانت قد نجحت في اخفاء جواهرها تلك عن أبصار ظالميها منذ زمن طويل . ونجم عن تلك اللقية ثراء أولئك التجار وبلوغهم منزلة مالية لم تعلن للملأ قط ، فقيل إنها أربت على نصف مليون من الدولارات . وكان رجل من المكسيك الجديدة ينبث [2] بئراً فعثر على دلو ملأى بالنقد والحلى الاسبانية القديمة بلغت قيمتها وزناً تسعة آلاف دولار ، فقيل إنها من المجموعة الثمينة المشهورة التي جمعها ج . س . كاندلاريو التاجر الهندي الذي كان مستوطناً ذلك المكان . ولكنهم لم يكشفوا سبب اخفائها في تلك البئر . وكذلك عثر بعض فعلة باريس على كنز من عهد لويس الخامس عشر في غضون هدم مبنى قديم في شارع موفيتار .

عوض جندي

---

(١) هو جون بيربونت مورجن وُلد سنة ١٨٣٧ وتوفي سنة ١٩١٣ : مالي أميركي مشهور وجامع التحف المعروف (٢) نبث البئر — نبشها وأخرج ترابها

تخريج كتاب الملل والنحل

للشهرستاني [1]

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . باسمك اللهمَّ : أستلهم الصواب ، واستهدي الرشد ، وأتقي مواطن الزلل .

هل هناك فلسفة إسلامية ؟ وهل هناك ثقافة عربية ؟ وهل هنـاك تفكير شرقي ؟ وإن كان ، فما قيمة هاتيك الفلسفة ؟ وما طابع تلـكم الثقافة ؟ وما ينابيـع هذا التفكير ؟ وحتى إن لم يكن ، فَـلِمَ ؟ وكيف عاش الشرق — أو الشرق الإسلامي — طوال هذه المدة ؟ وكيف وصلت إلينا معارف السابقين — من يونان وغيرهم — وليس بيننا وبينهم إلاّ غرب سادر ، أو شرق قادر ؟؟

هذه أسئلة ضلَّ في الإجابة عنها كثير من المتفلسفين ، من مستهل القرن التاسع عشر إلى اليوم ، بل وهاتيك قضايا لم تجد بعدُ القاضيَ العدل المنصف ، على رغم كثرة القضـاة الذين تعرَّضوا لإصدار أحكامهم فيها بمختلف اللغات ، وفي شتى الجهات . . .

وعندي أن الجواب عن كل سؤال من هذه الأسئلة . أو الحـكم في كل قضية من هاتيك القضايا — يحتاج إلى : مستندات صريحة واضحة ، ودراسات مستفيضة مفصَّلة ، ومدافعين أقوياء وقضاة عدول ، أعني يحتاج إلى تخريج تراث السابقين الفكري تخريجاً علميّـاً .

وفي يقيني أن من الواجب لعدالة مثل هذا الحـكم أن تُـقدَّم مستندات القضية بأيدي أصحابهـا وألسنتهم ، أو بأيدي محاميهم والمدافعين عنهم ، أو — على الأقل — بأيدي أصدقائهم ، ليستطيعوا الدفاع عن وجهة نظرهم ، وإبراز مكنون ضمائرهم ونيـاتهم ، وشرح

(١) هذا هو عنوان الرسالة التي ناقشتها اللجنة الخاصة المؤلفة لذلك بدار كلية أصول الدين برئاسة سعادة الدكتور منصور باشا فهمي ، والتي حصلت بها على شهادة العالمية من درجة أستاذ بدرجة ممتاز في التوحيد والفلسفة من الجامعة الازهرية بتاريخ ٢٤ من جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٦ من مايو سنة ١٩٤٦ م

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ظروفهم ومقاصدهم ، فيجيء الحكم أقرب إلى العدالة ، وأجدر بالقبول . كما أن العدالة تقتضينا أن نرفض أي حكم في قضية مّا أغفلت مستنداتها ، أو قدِّمت هاتيك المستندات بيد الخصوم أو الثائرين ، أو الأعداء

وكم كان جميلاً من « ألفرد جيوم » — المستشرق الانجليزي المعاصر أن يقول : « ولم يحن — بعدُ — الوقت الذي نتمكن فيه من أن نكتب تاريخ الفلسفة الإسلامية ، وحتى إذا قُدّر لنا أن ننشر ما يتصل بها من بحوث مودعة في المخطوطات ، ومنبثّة في مختلف المكاتب في أوربا والعالم الإسلامي ، وقُدّر للعلماء أن يتداولوا هذه المطبوعات — فإن علينا أن ننتظر حتى تهيء الأبحاثُ الخاصّةُ والدراساتُ المسهبةُ السبيلَ إلى الاحاطة بالفلسفة الإسلامية ، احاطة تتناول مداها الواسع » (تراث الإسلام ص ٣٧٢ طبع لجنة التأليف)

أفلا يجب علينا أن نعمل بكل عزم وحزم وقوة وسرعة على تخريج كنوز السابقين تخريجاً علميّاً ، ثم نتدارسها دراسة مستفيضة مستقصية ، فنهيء بذلك أنفسنا للحكم ، ونجلو الأساس السابقَ — لنهضاتنا العلمية — لنقيم عليه البناء اللاحق ، ونكمل معلوماتنا ؟؟

وكم نحن مدينون بالشكر لجهابذة المستشرقين الذين أماطوا اللثام عن كنوز تراثنا الاسلامي ، وألقوا أضواءً مختلفة على كثير من ثقافات الشرق العربي وعلومه ، وأفنوا الكثير من وقتهم وشبابهم وحياتهم . . . باحثين منقبين ، باثّين الآراء ، مصدرين الأحكام ، بقدر ما تسمح لهم ثقافتهم العربية ، وإخلاصهم للشرق والشرقيين .

وبحسبنا — الآن — أن نستمع الى بعض أعلامهم يحدثنا عن موقفهم من العربية : يقول « نللينو » : « فاعتبروا أننا المستشرقين الباحثين في أوربا عن لغات أهل الشرق واعتقاداتهم وعوائدهم وآدابهم وتاريخهم وجغرافيا بلادهم ... وهلمَّ جرًّا ... ما تعلمنا تلك اللغات الا بمطالعة الكتب ... فبالجملة : صار مثلنا كمثل الصم والبكم ، وأصبحنا في كنوز العربية مترددين ، وفي بحورها متحيرين ، مع صرف همتنا اليها ، ومثابرتنا عليها » (علم الفلك ص ٣ طبع روما) .

ومع هذا فانا عاجزون حقّاً عن شكر هؤلاء المستشرقين الأعلام ، الذين أيقظونا من سباتنا ، ودفعونا الى المحافظة على تراث آبائنا وأجدادنا . نقبوا في ديارنا ، فنفضوا الكرى عن عيوننا . نعم نعلن عجزنا من شكر هؤلاء القوم ، حتى نرد اليهم جميلهم ، ولا أقصد أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نكون مستغربين كما أن فيهم مستشرقين ، بل أريد أن نكون شرقيين ، نعني أولاً بتصفية تراث الشرق وتقديمه : صافياً لمن أراد ، شهيّاً لمن استطعم ، عذباً لمن استشرق ، فنصحح بذلك أحكام الماضي الجائر ، ويصحح المستشرقون معنا ـ مشكورين — أحكامهم الماضية . ومن يدري ، فلعلّ قبساً من هذا التراث يهدي الانسانية ، ويردها الى مقررات الوحي ، والعقل والضمير .

ولكن ما السبيل الى ذلك ؟ السبيل إلى ذلك واضحة جلية ، ينحصر — الآن — في تخريج مؤلفات السابقين بنقدها داخليّاً وخارجيّاً . ونعني بالنقد الداخلي : تحرير الآراء ، وتجريدها مما علق بها من محار النساخ وأصداف المتعالمين ، ويدخل في ذلك دراسة أهواء المؤلف ، وميوله وشخصه . . . ويجب لهذا أن يجرد الباحث نفسه من شخصه وعصره ، ويلقي بنفسه في أعماق من يريد أن يخرج له أو يكتب عنه ، ويتغلغل معه في ثنيات عصره ومصره .. حتى ينطق بلسانه ، ويكتب بقلمه ، ويخطو بقدمه .

ونعني بالنقد الخارجي : الحكم على هذه الآراء من خارج المؤلف ـ بعد تحريرها ـ ويجب لهذا أن يجرد الباحث نفسه من ميوله وأهوائه ومعتقداته . . . حتى يكون عدلاً في حكمه ، موفقاً في تقديره ...

لكل ما سبق ـ ولأ كثر مما سبق ـ انصرفت همتي الى تخريج كنوز السابقين ، وتقديم المستندات العلمية بين يدي أحكامنا ، على رغم العقبات التي تعترض هاتيك السبيل ، والصعاب التي قد تستصعب إذا فترت الهمة ، تلك الصعاب والعقاب التي يجمع أعلام المستشرقين والشرقيين ـ من الذين تحملوا مشاق التخريج العلمي ـ على انه لا يمكن تقديرها الا ممن استهدفوا لها ، ووهبوا أنفسهم ونفيسهم لخدمة الانسانية جنود مجهولين .

فانتدبت نفسي لفتح باب هذا العمل ـ الجليل في قوته ، اللذيذ في صعوبته ـ أمام الشباب المصري ، الناهض الفتي ، ذي المضاء العازم ، والعزم الماضي ، والأمل الدافع . وكم أود أن يتقدم طالبو الاجازات العلمية من هذا الشباب بهذا العمل ، الذي انفرد به حيناً من الدهر كبار المستشرقين . حتى وفق الله كبار أساتذتنا الشرقيين لاقتحام ميدانه ، فأسدوا إلى الانسانية عامة ، والى المكتبة العلمية خاصة ـ خير ما يسدي عالم انتفع بعلمه ، ونفع الله به .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأخذت أفكر فيما عساه أن يكون باكورة إنتاجي ، لأتقدم به لنيل درجة الأستاذية من الجامعة الأزهرية في التوحيد والفلسفة ، وأكون بذلك أول من قدّم رسالة من هذا الطراز ، لنيل درجة علمية في مصر . . . فأشار عليّ — في توجيه الحكيم ولفتة الكريم — الدكتور محمد البهي ، بتخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني . والشهرستاني حبيب الى نفسي من ابتداء التعليم العالي — من ثلاثة عشر عاماً — أو يزيد ، إذ هو المنهل العذب لمقالات أهل العالم الى يومه ، بيد أنه واسع الآفاق ، رحب الجنبات . وكم ألحّ عليّ كبار الأساتذة . ألاّ أخاطر بتخريج الكتاب كله ، مكتفين بتخريج جزء منه ، والوعد بتخريج الباقي ، ولكن . . . ولكن طبيعة العمل ، وما استطعت الحصول عليه من المراجع والأصول ، وما وقر في نفسي من أن أفتح باب التخريج العلمي على مصاريعه . . . كل هذا ، وأكثر من هذا ألحّ عليّ أن أنجز الكتاب مرة ، فآثرت أن أخرّجه كله .

وأظن أنه يكفي لإيثار تخريج كتاب « الملل والنحل للشهرستاني » أن يشعر الإنسان أنه من صاحبه أمام عالَم في عالِم ، وأنه منه أمام كَوْن في كتاب ، وأن يعلم أن هذا الكتاب طَوَّف بالعالم أو كاد . وما ظنُّك بكتابٍ رحبت به معظم الجهات ، وتلقفته شتى اللغات ، فظهرت له كثير من الترجمات ، فضلاً عن مختلف الطبعات ؟ . ثم ما ظنك بكتاب أثنى عليه أقطاب علماء المشرق والمغرب ـ في القديم والمتوسط والحديث ـ بخير ما يُثْنى به على كتاب ؟ فيقول التاج السبكي عنه : « هو عندى خير كتاب صنّف في هذا الباب » ، ويقول « أَلْفَرِد جيُّوم » فيه : « لا يمكن الاستغناء عنه في أي زمان » .

فإن حقّ لسائل أن يقول : لقد نشر « كيورتن » الانجليزي هذا الكتاب ، وطبع في لندن سنة ١٨٤٢ وسنة ١٨٤٦ م ثم ليبزج سنة ١٩٢٣ باللغة العربية ، كما طبع مراراً في مصر مجرداً وعلى هامش الفصل لابن حزم ... ففيمَ إذاً جهدك ؟ ولم تتعب نفسك ؟ وعلام تخرّج كتاباً قد خُرّج ؟ ؟ . . . إن حقّ لسائل أن يقول هذا ، وجب عليّ أن أقول له : إن « كيورتن » ـ على رغم إجلالي وإكباري لجهوده الجبار ـ لم يتعمق فهم نصوص الكتاب ، بل ولم يختبره كله ، كما أنه لم يفقه كثيراً من فقه لغته ، ولم يروّض نفسه على اكتناه أسلوبه ، ولم يتبع حتى أصول التخريج العلمي التي رسمها لنفسه في نفس الكتاب ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفوق هذا، فقد فرض رأيه على كل قارئ - وقارئة طبعاً -، إذ لم يثبت قراآته المختلفة للنسخ التي اعتمد عليها، مع أنه مستشرق يسير في العربية بذوقه الخاص، وفي دائرته الخاصة، بل لقد احتفظ بملاحظاته، وتعليقاته، والقراءات المختلفة، والفروض الخاطئة، وثبت الأخطاء الكتابية والمطبعية . . . إلى مقدمة الترجمة الانجليزية - للكتاب كما يقول - تلك الترجمة لم يظهر شيء منها حتى الآن، وقد مضى عليه أكثر من قرن من الزمان . بل وهذا « كيورتن » نفسه، يسجل بيده قصوره وتقصيره، فيصرح بأنه لم يتأمل كل جملة بأقصى انتباه، ولم يختبر المؤلف كله، ولم يحقق مخطوطتي « اكسفورد » مع وجود المساعدين المستعدين لكل ما يطلب . وكأن شعوره بتقصيره وخطئه، وإحساسه بأن القراء قد أمسكوا بخناقه - جعلاه يرتبك في اعتذاره، ويعتذر في ارتباكه، فيرتعش القلم في يده ويضطرب . ويسطر كلمات مرتعشة مضطربة، حيث يَعِد بترجمة الكتاب إلى اللغة الانجليزية ويرى أن هذا عبء كبير، ثم يقول : « وهذا العبء سوف يلقي عليّ ضرورة التأمل في كل جملة بأقصى انتباه، والعودة إلى اختبار المؤلف كله، وعندي أمل في تحقيق المخطوطتين جميعاً الموجودتين في « اكسفورد »، اللتان - الى الآن - لم أبحث منهما إلا صفحات مليئة بالصعوبة والغموض، بمساعدة الأستاذ « ربى » الذي هو على أتم الاستعداد لإجراء كل التحقيقات التي أطلبها منه » . . . وعلى هذا فلا يصح الاعتماد على طبعة « كيورتن » ولا الوثوق بها .

وأما طبعات مصر للكتاب - سواء المجردة منها أو التي على هامش ابن حزم - فيؤسفنا أن نقرر أنها - ككل الطبعات القديمة - ليس فيها غَناء على الآن لأنها لم تُعن بالنصوص عناية كافية، وحتى ما عُني منها بالنص فمن مخطوطة واحدة وتصحيح عاجل عابر، ولأنها خالية من علامات الترقيم التي تعتبر إرشادات هادية في القراءة الحديثة، ولأنها خالية - أيضاً - من التقسيم والتبويب والتفصيل، مما يجعل القارئ تائهاً في بيدائها، ولأنها - مع كل هذا - خالية من الفهارس التي تصل القارئ بسرعة ويسر إلى غايته من الكتاب، فتوفر عليه وقته وجهده . . . ولأنها . . . ولأنها . . .

وفوق هذا، فإنا وجدنا كل طبعات الكتاب السابقة وترجماته، بل وحتى مخطوطاته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يعمها الاضطراب ، ويكثر فيها التشويه ، ويشيع فيها النقص . . .

وبحسبنا أن نعلم أن كل الطبعات ، وكل الترجمات ، وجل المخطوطات لهذا الكتاب ، قد سقط منها « نقل (الجيهاني) عن زرادشت في المبادىء » وهو موضوع خطير وجديد لم نعثر عليه بعدُ في مصدر آخر ، وقد شغل هذا السقط إحدى عشرة صفحة كاملة .

وأن نعلم كذلك أن كل الطبعات ، وكل الترجمات ، والغالبية الغالبة من المخطوطات ، لم تستطع الوصول إلى المقدمة التي قدّم بها الشهرستاني كتابه للوزير نصير الدين ، تلك المقدمة الجليلة التي تنفرد بمباحث قيّمة : منها التّـهدّي إلى تحديد زمن تأليف الكتاب وإثبات مذهب الشهرستاني الاعتقادي ، والنص على اسم الكتاب ، وسبب هذه التسمية . . .

وهذه حقائق قيمة وضرورية ، ما كان لباحث كائن من كان أن يقطع بها . بل وَلمَا استطعنا نحن ذلك لولا هاتيك المقدمة التي تفردنا بتخريجها ، بعد أن فتشنا ما وسعنا التفتيش ، وشققنا خضَامّ المظان العلمية ، وقلبنا صحائف المكتبات العامة والخاصّة . . . حتى خلصت لدينا أصول كثيرة للكتاب : ترجمات ، وطبعات ومخطوطات .

ولما كان الإنسان لا يمكن أن يتخصص في كل نواحي العلم ، ولا يستطيع أن يحيط بشتى اللغات . . .

ولما كان لا بدَّ من الالتجاء إلى المتخصصين والاستعانة بهم ، خصوصاً في النواحي العلمية المترامية ، ليجيء الإنتاج العلمي أقرب ما يكون إلى الكمال ، فيصح الاعتماد عليه .

ولما كانت الاستعانة بهؤلاء المتخصصين لا تقف عند حدّ ما كتبوا ، بل الأولى — حتى وإن دَوّنُوا — الاتصالُ بهم في آخر لحظة ـ كلما أمكن ـ ليكون الاعتماد على رأيهم الأخير . . .

لما كان كل هذا ، فقد حرصت ، جهد طاقتي ، على أن أتصل بالأعلام المتخصصين مباشرة وأتلقى عنهم شفاهاً ـ ألفاظاً أو تحريراً خاصًا ما وسعني ذلك ، فإن لم أستطع التجأت إلى ما دوّنوا سابقاً وعوّلت على ما كتبوا من قبل ، في القديم ، والمتوسط ، والحديث .

ولذا جاءت مصادرنا على قسمين : قسم سميناه بالمصادر الناطقة ، وقسم سميناه بالمصادر المكتوبة . ونعني بالمصادر الناطقة : العلماء العالميون ، الذين أمدّونا بأفكارهم ، وتوجيهاتهم

وإرشاداتهم ، وعاونونا : بمجهوداتهم ، وأقلامهم وأوقاتهم . . . كل في دائرة اختصاصه ، وقد بلغ عدّ هؤلاء الجهابذة عشرين علماً من مختلف الملل والنحل والأصقاع ، فهل يفيهم شكري ؟

وهكذا جُلْنا في الكتاب جولات وجولات ، مع كبار المتخصصين تارةً ، ومستعينين بالله تارات وتارات ، بعد أن ارتمينا في أحضان صاحبه وصاحبنا أربع سنوات كاملة ـ بل يزيد ـ ليلاً ونهاراً ، غير حاسبين للزمن والنصب حساباً ، وتغلغلنا معه في ثنيات عمره ومصره : نتسمَّع إلى خلجات نفسه ، ونتحسس مدركات حسه ، ونساير ونبات حدسه ، ونُطوف ما نُطوِّف معه ، ونتصل معه بالحكام والسلاطين ، ونعقد معه المجالس الوعظية والعلمية ، ونتصفح معه ماآت الكتب والمراجع . ثم نقف عند كل كلمة من كلمات كتابه ، نستشيره فيشير علينا ، ونستوضحه فيوضح لنا . والحق أنا كنا طوال هذه المدة صاحبين مخلصين : آمر لي وفهمت عنه

ثم أخذنا نتصفح كتابه وندرسه ، مبتكرين فهارسه ، منفردين بتقسيمه وتجزيئه وتبويبه وتفصيله مغربلين منظفين ، مطبقين كل ما رسمناه من قواعد « التخريج العلمي » . حتى خرجناه نقي الإهاب ، حسن الجلباب ، « يؤتي أكله كل حين باذن ربه » . بعد أن بينا أن أول ما يلفت النظر في أمر « التخريج العلمي » اضطراب أمره لدى القائمين به ، وارتعاش حبله في يد القابضين عليه : فبينا نرى المبالغ في الإفراط ، إذ نرى المبالغ في التفريط ، وبين هذا وذاك نرى أفواجاً سلكوا طرائق قدداً . وقد عرضنا عشرين نموذجاً من نماذج التخريج العلمي لكبار المستشرقين والشرقيين ، وتعرضنا لمن أمسكوا بعنان هذا الموضوع في العربية نظريًّا . ثم قررنا قواعد جديدة للتخريج العلمي نظريًّا وعمليًّا ، نرجو أن تكون دستوراً للمشتغلين به ، ونبراساً للمتصدين له ، خصوصاً وقد اجتازت تلكم القواعد ميادين الامتحان ، وفازت ـ من يد كبار المتخصصين ـ بالامتياز.

ونحن في كل هذا ندوّن مجمل ما سمعنا ، وما شاهدنا ، وما لمسنا ، وما لاحظنا ، وما درسنا وما استنتجنا ، حول كتاب الملل والنحل هذا ، قبل تخريجه ، وحال تخريجه ، وبعد تخريجه . فجاء عملنا على أربعة أنواع ، في أربعة مجلدات :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نوع اجتمع تحت عنوان « تمهيد لتخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني » ، ونوع ثانٍ اجتمع تحت عنوان « الشهرستاني وكتابه الملل والنحل » . وقد ضمَّ هذين النوعين مجلد واحد تحت عنوان « المدخل الى كتاب الملل والنحل » ، وقد اشتمل على ٢٤٥ صفحة من القطع الكبير .

والنوع الثالث نص الكتاب بمفارقاته وعناوينه ، مقسماً مفصلاً . . . وقد تفرق في المجلدين الثاني والثالث ، اللذين شغلا ٨٦٦ صفحة .

والنوع الرابع الفهارس الخمس التي ابتكرناها للكتاب ، مع فهرس مخطوط . وفهرس الترجمة الألمانية ، وقد احتوى ذلك كله المجلد الرابع في ١٨٤ صفحة .

وبذا يكون هذا العمل الجليل قد تمَّ بحمد الله في ١٢٩٥ صفحة من القطع الكبير .

* * *

وبحسبنا الآن أن نمرّ سريعاً على كل نوع من أنواع هذا العمل ، موجزين ما وسعنا الايجاز :

١ — المدخل الى كتاب الملل والنحل : ولعل تحديد الصفحات ، ووقت القارىء ، والحرص على تقديم عمل استغرق حوالي ١٣٠٠ صفحة تقديماً دقيقاً . . . يضطرنا إلى أن ننشر أمام القارىء الآن الفهرس لذلك المدخل ، فتنكشف بذلك الموضوعات التي عالجناها به ، وهاك نصه :

فهرس المدخل

القسم الأول : « التمهيد لتخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني » .

١ — واجباتنا

(١) الفلسفة الإسلامية : (ا) هل هناك فلسفة إسلامية ؟ (ب) وكيف نحكم عليها ؟ (جـ) ومتى يكون الحكم عليها صحيحاً ؟ (د) الواجب علينا .

(٢) المستشرقون والتراث العربي : (ا) شكر وتقرير . (ب) المستشرقون واللغة العربية (جـ) المستشرقون والفلسفة الإسلامية . (د) كيف نرد إليهم جميلهم . (هـ) الكنوز العربية وتأثيرها الخالد . (و) الواجب علينا .

(٣) السبيل إلى أداء هذه الواجبات : (ا) تخريج مؤلفات السابقين تخريجاً علميًّا . (ب) النقد الداخلي والواجب له . (جـ) النقد الخارجي والواجب له .

(٤) فتح باب التخريج العلمي على مصاريعه : (ا) صعاب التخريج العلمي ومشقاته (ب) واجب الشباب وطالبي الاجازات العلميـة . (جـ) التخريج العلمي وكبـار المستشرقين والشرقيين . (د) باكورة انتاجي .(هـ) توجيه وإلحاح . (و) الواجب لطبيعتي العمل والأمل.

(٥) كتاب الملل والنحل للشهرستاني : (ا) ترجمات الـكتاب إلى مختلف اللغـات . (ب) طبعاته في مختلف الممالك والبـلاد . (جـ) الثناء عليه من علمـاء المشرق والمغرب . (د) الواجب علينا .

(٦) ليس في طبعات الـكتاب السابقة غناء علمي : (ا) طبعات أوربا . (ب) طبعات مصر . (جـ) واجبنا .

محمد بن فتح الله بدران

حضرة الاستاذ رئيس تحرير مجلة المقتطف الغراء

تحياتي لكم وبعد : فلقد اطلعت في عددكم الاخير من المقتطف على مقال « الاستاذ نقولا الحداد » تحت « آخر كلمة » وهي تختص بالرد على بعض النقاد في موضوع الذرة . وكان مما لفت نظري ما جاء في آخر المقال اذ يرد الاستاذ نقولا على الاستاذ جيمان بأن الـكالوري هو كمية الحرارة اللازمة لرفع جرام من الماء درجة ١° م (وأحياناً لرفع كيلو جرام) وذلك حسب القاموس والاستاذ جيمان يعتقد أن الـكالوري هو كمية الحرارة اللازمة لرفع كيلو جرام ماء .

وإني أجد أن كلا الاستاذين المحترمين قد وقعا في لبس يقع فيه كثير وقد آثرت أن أرسل هذه الفقرة لتصحيح هذا اللبس العلمي . وأرجو نشرها حتى يطلع عليها كل من أراد وهي :

« الـكالوري الصغير Calorie ويكتب بحرف c صغير small : هو كمية الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة جرام واحد من الماء من ١٥° م الى ١٦° م وأما الـكالوري الـكبير ويكتب بحرف كبير Calorie - C capital letter يساوي ١٠٠٠ كالوري صغير أي ما يلزم لرفع درجة حرارة كيلو جرام واحد من الماء من ١٥° م الى ١٦° م» .

وختاماً تقبلوا احتراماتي لشخصكم المعظم .

عباس مهدي

نهائي طب — القصر العيني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الى النيل

حنانك يا قبلةَ الشاعرِ ويا رمز مجدٍ لنا غابرِ
إلى أين تبغي ؟ ومن أين جئت وحتامَ تنساب كالحائر !
أليس لسعيك من غايةٍ أما لمسيرك من آخر
رويدك ! ما الكدّ سرّ الوصول وما العيش وقفٌ على الساهر
فلو كان في السعي نيل الخلود لما مات ذو قدمٍ سائر
علوت الجبال ، قطعت القفار وجبت ربى العالم الدائر
فماذا جنيت سوى وحشةٍ تلوح على موجك الماكر !؟

* * *

تمر على بلقعٍ موحشٍ وقفار من الشجر الناضر
وتنساب بين رياضٍ حسان تَزَيَّنُ بالسندس الزاهر
وحيناً تفيض على الظامئين بخير كثير الغنى وافر
وحيناً تغيض فلا نهتدي الى النذر من مائك الغائر
فهل ضايقتك شئون الحياة فضقت بتدبيرها الخاسر !
حياة تذل الأبيَّ الكريم وتسعد كل فتى فاجر
تبيعك إن أنت ناصرتها ولكن إذا بعتها تشتري
وتضحك كالطير بين الرياض وتخدع كالثعلب الماكر !
وتبسم كالزهر عند الشروق وتلدغ كالعقرب الناشر
وتشرق حيناً كنور الضحى وحيناً .. كليل الدجى الماكر
وليس بها غير طيف سراب قليل الغنا للفنا صائر

* * *

أيضنيك هذا الرحيل الطويل وضربك في القفر والعامر
تعالَ فإني بلوت الحياة وقاسيت من حكمها الجائر
رماني الزمان ولكن خضعت لحكم من القدر القاهر
فما غلب الدهر كالمستكين ولا قهر الكون كالصابر .
وهيَّا نسيرْ في فيافي الحياة ونسبحُ في بحرها الزاخر
فيقذفنا الدهر حيث يشاء وما من معين ولا ناصر

عفيفي محمود عفيفي
كلية العلوم
بالعباسية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صحافتنا تنحدر

بالأمس خرج الاستاذ فؤاد صرّوف من ميدان العمل العلمي ، ميدان الحق والحقيقة ، وطلق ميدان الأدب والفلسفة، الى ميدان آخر ، هو ميدان صحيفة أمريكية تعمل للناحية التجارية ، وتبعه في ذلك محمود شاكر الأديب المعروف مؤلف كتاب المتنبي ، وهو بحث فذ أكبَّ عليه صديقنا الأديب فألبسه من أدبه وفكره حلة قشيبة زادت الى ثروة الأدب زيادة تذكر ، ترك هـذا الميدان الى الميدان الأمريكي ، ميدان الدببة التي تدخل الفنادق، وتربيـة الأسماك في البرك والمستنقعات ، وقصص البحر وما أدراك ما البحر ، والطائرات الساقطة والصواريخ المنقضة . فكان خروج ذاك العالم وهـذا الأديب من ميدان العمل الجدي إنتكاساً لحركة العلم وحركة الأدب في مصر والشرق .

ورأينـا كبار كتّـابنا مثل صديقي احمد أمين بك وصديقي الأستاذ عباس محمود العقاد وغيرهما من كبار الـكتّـاب والمؤلفين ينزلون عن عليائهم وعن السماوات التي تحلّـق فيهـا أفـكارهم ، وقد بلغوا سن النضج العقلي ودرجوا الى منازل الحـكمة العالية ، بعـد صبر طويل وتجربة مع الزمن واحداث الزمن ، ينفقون من وقتهم الثمين العزيز على العـلم وعلى الأدب ، ليسطروا ما يوافق مزاج الجمهور في صحف لا تمت الى العلم بـسبب ولا تتصل بالأدب ولا ترتبط بالفلسفة أو الدين بأوهى رباط . إذن فالصحافة التجارية تنحدر وتحاول أن تجذب إليها عظماء الـكتّـاب والمفـكرين ، تتخذ من أسمائهم التي بنوها بأعصابهم وعصارات قلوبهم ودمائهم الزكيـة وأعمارهم الطويلة بإذن الله ، سبيلاً الى كسب مادّي من طريق إرضاء الجماهير الجاهلة السابحة في ظلمات الشهوات الخسيسة والنزوات القذرة ، والانصراف عما هو خير الى ما هو شر ، وبئس للظالمين بدلاً .

ورأينا أستاذاً عالماً كبيراً هو صديقنا الاستاذ أحمد زكي بك الـكيميائي المعروف يتولى تحرير مجلة الهلال بعد أن انحدرت من عاياء المرحوم جورجي زيدان الى مستوى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصحافة الأمريكية الرخيصة ، صحافة الجماهير وما الى الجماهير ، وقد نرى الى جانب هذا أن صخور العلم والأدب ، تلك الصخور الصلدة التي مثلتها الصحافة الجدية في ما مضى من الزمن ، وقد دعمها أمثال صرّوف وجورجي زيدان وأحمد لطفي السيد والمنفلوطي وعلي يوسف ومصطفى كامل وفريد وفرح أنطون وسركيس وشميل وغيرهم ، وقد أخذت تتحات وتنفصل جزئياتها لتصير رمالاً تذروها الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدراً .

ظاهرة من الظاهرات التي تقضّ مضاجع الذين يؤملون في الأمم خيراً ، ويودون لو أن جماهير هذه الأمم تخرج من جهالاتها إلى رحاب العلم وميادين الأدب والفلسفة ، لا ان تخرج من جهلها الى ميادين الروح الأمريكيـة التي غزت أسواق الأدب في مصر . وغزت بقيـة الشرق من طريق مصر .

أستغفر الله . أقول الروح الأمريكية تخصيصاً لا اطلاقاً . وإذا قلت الروح الأمريكية فاني أعني بها الروح الهفافة المائعة التي تعمل في تلك البلاد إلى جانب الصناعة والفن والأدب العالي والفلسفة الثابتة وإلى جانب الذرة وقنبلة الذرة ، لا الى جانب الجهـل المطبق والأدب الرخيص ، فتزيدنا جهلاً ، وتروج لما رخص من الأدب على ما في أدبنا من رخص وتفاهة وتصرفنا إلى الهزل دون الجد ، وإلى الحكاية دون الأدب ، والى القشور دون العلم بل الى الهاوية التي تحفرها هذه الصحافة تحت أقدام الأمم العربية جميعاً .

يقول المتجرون بالأدب والعلم والفلسفة : إن الجماهير تطلب ذلك . آمنّـا معكم وصدّقنا أن الجماهير تطلب هذه الألوان الرخيصة . ولـكن أين نفوسكم وأين ثقافتكم وأين رسالتكم التي تؤدونها لهذا الجيل وللأجيال المقبلة ؟ آمنّـا وصدقنا أن الجماهير لا ترتفع لأكثر ممـا تعطونها من مادة ، آمنّـا وصدقنا أنّ الجماهير قد تطلب ما هو أرخص مما تعطون في صحفكم ، ولـكن هل بدا لـكم أن الجمهور كائن أصم أبكم أعمى مجنون لا ينفع فيـه التعليم ولا تفيد فيه اللقانة ، وأنه كسائمة الحيوان ان لم تجد حشيشاً تأكله ، أكلت الروث والجيف . آمنّـا وصدقنا أن الجمهور في حاجة الى التعليم والارشاد ، فهل نثقفه بمقال في جدال ملك حول طربوش أو قصص في صور ، وغير ذلك مما تغثي له النفس وتروج حسرات على الأدب والعلم وعلى الجمهور الذي لا يجد إلاّ ما تأكل السائمة من الحيوان إذا افتقدت غذاءها الطبيعي فلم تجده ؟

ولعلك تنظر في مجلة كالهلال في عهدها الجديد ، وهي المجلة الثقافية التي أنفق فيها

منشؤها الأول المرحوم أستاذنا جرجي زيدان ماأنفق من جهد وقوة وعنفوان وعلم وأدب وقصص ، فترى مقالا كتبه طبيب من أطبائنا المعروفين تحت عنوان يضحك الثكلى. أتدري ما هو ؟ أنظر صفحة ١٤٣ من العدد الأول « في الثوب الجديد » الذي شعاره الى الامام ، تجد رَوْشماً كبيراً وبالخط العريض « الجسم السليم في الأنف السليم » أليس هذا بمثابة قولك «الفيل الكبير في الخرطوم الصغير» أو قولك «الحية العظيمة في الناب البئيل» أو قولك « العقرب الكبير في الحمة القميئة » . أرأيت في عمرك الطويل أو القصير مثل هذا الإحتقار لعقول الناس، أو على حد قول تجار الادب «غش الجمهور». أرأيت جسماً في أنف أو فيلاً في خرطوم أو حيَّة في ناب أو عقرباً في حمة ؟ أرأيت كبيراً يتضمنه صغير ؟ أرأيت كُلاًّ يتضمنه جزء ؟ إن لم تكن قد رأيت فانظر في العدد الأخير من الهلال تَرَ المعجزة التي لم يدّعها نبي من الانبياء ولا دعيّ من الأدعياء.

كل هـذا ينشر للجمهور ، ومن هو هذا الجمهور ؟ هو جملة المتعلمين في جامعة فؤاد وجامعة فاروق والجامعة الأزهرية والمعاهد الثانوية والمدارس الاخرى مضافاً إليهم قلة لا يعتد بها من الذين لا يحسنون القراءة . هـذا هو الجمهور الزاط الأصم الذي يتجر هؤلاء بصحافته العلمية والأدبية ، ويملؤون من ماله جيوبهم ، ثم يرمونه بالغفلة ضاحكين . وكل هذا ينشر باسم عالم من علمائنا وفذ من أفذاذنا ، ولا حول للأدب ولا العلم ولا للفن الرفيع أمام سلطان المال في زمان طغت فيه المادية على كل شيء حتى على الروح .

لست أدري بأي ضمير يحاول هؤلاء المتجرون بالأدب أن يحملوا الجمهور مسئولية أوزارهم كاملة . يقولون إن الجمهور جاهل منصرف عن الجد إلى اللهو ، متطير من العلم كاره للأدب . كل هذا ليبرّروا أساليبهم الملتوية ويخفوا أغراضهم الكريهة .

تاجروا بالصَّحافة ، واتخذوا الاتجار بها مهنة . ولكن لا تتجروا بالأدب . ولا تتداولوا العلم تداول السلع الرخيصة ، ولا تموهوا على الفلسفة واقصروا عن إغراء الكتّاب بالمال ليكونوا لتجارتكم صبياً . بل اجعلوا من أموالكم حقًّا معلوماً لهؤلاء الأفذاذ ليعالجوا الى جانب تجارتكم مستغلق العلم وعميق الفلسفة ورفيع الأدب ، عسى أن تضفوا على ما تتعاطون من تجارة شيئاً من الاعتبار ، وتؤدوا لهذه الجماهير التي تتهمونها

بالغفلة والجهل ، وترمونها بكل نقيصة ، خفية أو ظاهرة ، بعض الواجب جزاء ما تصبر على الـكيد لها والنيل منها ، وافساد عقولها واثارة الشهوات الخسيسة في ميولها .

لقد انحدرت صحافتنا حتى كادت تكون حضيضاً . ولا مخرج لنا من هـذا إلاَّ بأن نحتقر هذه التجارة وننبذ ونترفع عن المساهمة فيها كبار كتابنا وعلمائنا ، إلاَّ أن يكون لهم من صفحاتها مجال تسبح فيه ملكاتهم الخصبة ، ويجد فيها أدبهم الرفيع وثقافتهم الممتازة مرتعاً رحيباً ومطمأناً إلى حين.

ا : م

واجعل خيالك واقعاً أو مت عنا ..

يا قلبُ فيمَ الحبُّ أو فيمَ المنى ؟ والحب كالعنقاء ، لا هي أو أنا

أما المنى من غير حبٍّ في الفتى هيَ باطلٌ لاخيرَ فيها أو غنا

عجباً أتتَّبعُ الخيال وتبتغي فيه دنىً لكَ إذ تصدّ عن الدُّنى ؟!

منوثبٌ ؟ والساق جدُّ ضعيفةٍ أم طائرٌ ؟ والجِنح مطويٌّ ثنىَ

فلأنت كالباني قصوراً في الهوا والغيرُ شيَّدَ في الثرى لما بنىَ

فدعِ الخيالَ اذا توقف عاجزاً متلفتاً ، فهْو الخرافةُ والضَّنىَ

أو إنْ تكنْ رجلاً لحققْ منيةً واجعلْ خيالكَ واقعاً أومتْ عَنا

بغداد أيوب

واجب الشاب العربي

يعيش الشاب العربي اليوم في عالم تتسابق أممه، وتتنافس شعوبه، وتتعارك دوله أشد العراك في أكثر الأحيان، وكل أمة من هذه الامم تبذل ما في وسعها، وتقدم كل ما تُطيقه في سبيل تكوين جيل جديد من بنيها وشبابها، يكون عدة الحاضر وأمل المستقبل والمعتصم عند النوازل، والملجأ لدى الكوارث، .. والأمة العربية الكريمة التي حملت أرفع الرسالات، وأدّت للإنسانية أكبر الأمانات، وأذاعت بين الناس أجمل المبادىء، ودعت بين العالمين بأحسن الدعوات، دعوات السماء والنور، والروح والأخلاق، وتلتفتُ وراءها فترى لها في ماضيها تاريخاً مجيداً تليداً، كله المفاخر والمآثر، وتتطلع الى الغد القريب أو البعيد فيدفعها الأمل ويحدوها الرجاء؟ هذه الأمة العظيمة الكريمة المجيدة تحتاج في نهضتها الحاضرة التي نشاهد بوادرها وبواكيرها، جيلاً جديداً، قويًّا في جسمه، ناضجاً في عقله، نبيلاً في خلقه، فما هو واجب الشاب العربي في هذا الميدان، حتى يكون شبلاً قويًّا فتيًّا من أشبال ذلك الجيل الجديد؟! ..

أمام الشاب العربي واجبات كثيرة وتبعات جمّة، لا بدّ له من أن يعني بها ويلتفت إليها ويحبس نفسه عليها، ولا نستطيع في مجال محدود كهذا المجال أن نفصل أو نحلل، أو نحصي ونستقصي، فحسبنا إذن أن نطوف بعناوين واجبات ورءوس مسائلَ ندع جزئياتها والحديث عن تفاصيلها لألمعية ذلك الشاب العربي الذي تكفيه الإشارة وتغنيه عن العبارة!!.

يحتاج الشاب العربي في هذا العصر الناهض المتنافس أهله وأبناؤه أن يدرس جغرافية وطنه الأصغر، وهو مسقط رأسه ودولته التي نشأ فيها وتحت حكمها يعيش، وجغرافية وطنه الأكبر، وهو سائر الأقطار العربية الشقيقة، وكذلك تاريخ وطنيه الصغير والكبير، فإنه من المؤسف المؤلم أن نرى الكثرة الغالبة من شباب العرب هنا وهناك لا يعرفون من تاريخ بلادهم أو جغرافيتها إلاّ النذر اليسير، ولعلّ شباب مصر في جهلهم بتاريخ الأقطار

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العربية وجغرافيتهـا أكثر من غيرهم وأسبق ، لأسباب كثيرة ليس هـذا موطن عرضها ، وسائلْ إن أردت التأكد من هـذا شابًّـا مصريًّـا عن عواصم الأقطار العربية أو مدنهـا الـكبرى أو تاريخ جغرافيتها أو ماضي تاريخها، فإنه لن يحير جواباً ، ولن يرد بما فيه غناء

ولقد تسائله عن أقطار أوربا وأمريكا فيحدثك عنها حديث العارف بدقائقها قبل جلائلها ويسرد لك أسماء الكتب التي قرأها عن تلك الأقطار وأما بلاده ووطنه فليس لها عنده حساب !

والشاب العربي لا بدَّ له من أن يعرف الآلام السياسية والاجتماعية والمادية التي يشكو منها كل عربي أو مسلم ، فان الشعور بالنقص أول درجات الكمال كما يقولون ، ولقد كان لك أيها الشاب العربي في الزمن الماضي وطن عزيز ، وتاريخ كريم ، وآباء وأجداد قادوا وسادوا ثم جرت الأحداث والنكبات على أخلافهم فذلوا وهانوا، وحسبك أن تسمع في ذلك أنة الشاعر العربي إذ يصوّر ذلة الوطن العربي بعد عزته، وضعفه بعد قوته ، ونزوله بعد ارتفاعه فيقول:

مالي وللنجم ? يرعاني وأرعاه ! أمسى كلانا يعاف الغمض جفناهُ !
لا تحسبنيِّ محبًّـا يشتكي وصباً أهونْ بمـا في سبيل الحب ألقاه
إني تذكرت ، والذكرى مؤرّقة مجداً تليـــداً بأيدينا أضعنـاه
أنّى اتجهت إلى الإسـلام في بلدٍ تجده كالطير مقصوصاً جنـاحاه
ويح العروبة ! كان الكون مسرحها فأصبحت تتوارى في زواياه !
كم صرّفتنا يدٌ كنّـا نصرّفها ! وبات يملكنا شعبٌ ملكناه ! !

وها هو ذا شاعر العرب والاسلام ، أمير الشعراء المغفور له أحمد شوقي بك ، يهنىء المغفور له الخديوي عباس حلمي الثانى بخروجه الى الحج في قصيد طويل رائع ، يختمه بأبيات هي أنات وزفرات وحسرات على حاضر الشرق العربي الاسلامي ، وفيها دعاء صارخٌ وأملٌ حارٌ ورجاء قوي في أن يدفع الله عن العروبة هذا البلاء ، وأن يحرض أهلها ويوفقهم لكي يعملوا كما عمل سواهم في ميادين العلم والصناعة والحضارة ، فيستردوا مجدهم وماضيهم الزاهر الناضر ، فيقول مخاطباً الخديوي عباس :

إذا زرت يامولاي قبر محمدٍ وقبّلتَ مثوى الأعظم العطرات
وفاضت من العين الدموع مهـابة لأحمد بين الستر والحجرات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأشرق نورٌ تحت كل ثنيـــةٍ وضاع أريجٌ تحت كل حصاة [١]
لمظهر دين الله فوق تنوفة وباني صروح المجد فوق فلاة [٢]
فقل لرسول الله ياخير مرسل أبثك ما تدري من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها كأصحاب كهفٍ في عميق سبات
بأيمانهم نوران : ذكرٌ وسنةٌ فما بالهم لا يعمـــلون لآت ؟
وهـذا زمان أرضه وسماؤه مجـال لمقـدام كبير حيـاة
مشى فيه قومٌ في السماء وأنشأوا بوارج كالأبراج ممتنعـــات
فقل : رب وفّـق للعظائم أمتي وزيّـن لها الأفعال والعزمات [٣]

هذه صرخات أوحى بها ما أصاب أقطار العروبة من آلام ونكبات ، ومن المؤلم أن تكون هـذه النكبات بعيدة عن قلوب الشاب العربي ، ولو أنهم أدركوها وأحاطوا بها لدفعتهم الى تغيير ما هم فيه من ذل وخسران ...

وكذلك يجب على الشاب العربي أن يعرف الآمال التي يأملها وطنه ويرجوها في حاضره ومستقبله ، فإن الإنسان الذي لا يحس بألمه لا يمكن أن يبرأ منه ، والشخص الذي لا يدري ما تحتاجه صحته وسلامتـه يكون عرضة للآفات والنوازل ، فاذا أهمل وفرّط ثم ابتلي وأصيب ، فلا يلومنّ إلاّ نفسه ، وما أصدق ذلك الذى قال :

لا تعجبوا للظلم يغشى أمة فتنوء منه بفادح الأثقال
ظلم الرعية كالعقاب لجهلها ألم المريض عقوبة الاهمال !

وهذا الخاطر السابق يسير بنا إلى خاطر آخر يتصل بهذا الموضوع ، هو أنه يجب على الشاب العربي أن يحصل في هذا العصر على أكبر قدر ممكن من العلم والمعرفة والثقافة ، لأننا في عصر لا تتنافس فيه الأمم بأجسامها أو سعة أراضيها أو كثرة عددها أو انفساح مداها ، بل نحن في عصر العلم والفـكر ، في عصر الـكتاب والمعهد ، في عصر المذياع والبرق والبارجة والمدرّعة وحاملة الطائرات والقنبلة الذرية وتحطيم الذرة ، في عصر الوصول الى أدق ما في الـكون من أسرار ، في عصر استخدام الهواء والماء والسماء وجوف الأرض ،

---

(١) الثنية : طريق الشعب ، وضاع : فاح . (٢) تنوفة صحراء واسعة . (٣) هذا أحسن ما يهدى الى الذين يهاجون كتاب « هذي هي الاغلال » — المحرر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مسافة قليلة من الزمن مرتبة كبريات الصحف والمجلات في الشرق العربي ، وبخاصة إذا توفر لدى القائمين بها عامل الصدق والاخلاص في هذا المجهود ، فهل من متقدم إلى الميدان ؟! ..

والشاب العربي في حاجة إلى أن يدرس ما كان لأسلافه العرب الأوائل من محامد ومفاخر ، دانوا بها الزمان وحلوا بجمالها جيد الأيام ، وما ضمنوه صفحات التاريخ الباقي من نواحٍ امتازوا بها عن سواهم وحرصوا عليها ، حتى تكون هذه المفاخر الرائعة من أقوى الحوافز للشاب العربي تحفزه إلى إن يتشبه بالذين سلفوا من آبائه ، ويسير على طريقتهم ، وينهج نهجهم ، وينسج على منوالهم ، وكذلك يجب عليه أن يدرس في الاسلام من تعاليم خلقية واجتماعية واقتصادية ، حتى ولو كان الشاب العربي غير مسلم ، فلسنا نحرضه على ترك عقيدته الدينية بطريق غير شريف ، وإنما نحب له أن يطلع على تلك الجوانب المشرقة في دين الاسلام من جهة الأخلاق والاجتماع ، والقرآن الكريم بعد هذا أو قبل هذا يقول : « لكم دينكم ولي دين » .

والاسلام إنما جاء بلغة العرب وللعرب أولاً ، وإن كان للناس كافة بعد ذلك وانتشر الاسلام بجهود العرب ، وكذلك كسب العرب كثيراً من المفاخر بانتسابهم إلى الاسلام ، واستظلالهم بلوائه ودخولهم في دولته ، سواء أكانوا من المسلمين أم من غير المسلمين ، فالصلة على هذا وثيقة جدًّا بين العروبة والاسلام ، وكما يجب على المسلم أن يعتز بالعرب والعربية ، يجب على العربي إن يعتز بالاسلام وتعاليم الاسلام ، حتى يكون لنا من هذا الترابط قوة ومنعة واتحاد !! .

ومن اللائق بالشاب العربي في هذا العصر المجاهد المكافح أن يجعل له ناحية في الحياة يبرز فيها ، ويبز أقرانه فيها ، فيعكف على أية هواية شريفة ، أو ناحية مفيدة ، في العلم أو الأدب أو الفن أو الصناعة ، ليقصر عليها جانباً كبيراً من نشاطه ، ويستنفد فيها أوقات فراغه ، حتى يتقنها ويجيدها ويمهرها ، ويصبح علماً من الأعلام فيها ، إذ لا يكفي اليوم أن يأخذ الانسان من كل فن بطرف كما كان يقول القدماء ، بل لا بد له فوق هذا من أن « يتخصص » في ناحية من النواحي ليسبق فيها غيره وسواه ، فنحن في نهضتنا الحاضرة نريد أن يكون فينا أدباء ممتازون ، وعلماء متخصصون ، ومخترعون مبتكرون ، وصناع ماهرون ، وأفذاذ في كل ناحية ، وأعلام في كل ميدان ، وهذا لا يتحقق إلاَّ إذا وجدت روح « التخصص » عند الشاب العربي ، فأدَّى واجبه المعتاد في جميع الجهات الموكولة إليه ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم اختص ناحية من هـذه النواحي بقسط من العناية والرعاية حتى يوفى فيها على النهاية ويشرف على الغاية ، لأننا نحن العرب لا نشكو انعدام المجتمع المتوسط في علمه ومادته ، وقد يكون الجمهور عندنا في الجملة أرقى من جماهير كثيرة في نواحٍ كثيرة ، وإنما نشكو قلة العباقرة والممتازين في العلوم والفنون بيننا . وهؤلاء العباقرة هم الذين يصنعون على قلتهم تاريخ الأمم ، ويبنون مجدها ، ويبلغون بها الذروة من الحضارة والمدنية ، فما هو نوع امتيازك أيها الشاب العربي ؟ بل ما هي جهة « اختصاصك » التي برعت فيها ؟ .. هل حاولت أن تكون رساماً بارعاً ، أو أديباً ممتازاً ، أو صانعاً حاذقاً ، أو موسيقياً فناناً ، أو خطاطاً مجيداً ، أو رياضياً قادراً ، أو شاعراً نابغاً ، أو أية ناحية من نواحي التفرد والنبوغ ؟! . . .

وكم أتمنى أن يعود الشاب العربي نفسه على أن يلزمها بتقديم خدمة يومية لبلاده دون أن يحتقر شيئاً في هذا السبيل ، فكم من أشياء يظنها تافهة ، وهي في الحقيقة والواقع تؤدي إلى خير عاجل أو آجل لبلده أو للعرب جميعاً ، فبحث عن تاريخ العرب خدمة ، ودفاع ضد متهجم عليهم خدمة ، وتصحيح خطأ في لغتهم خدمة ، وكتابة مقال عن مفاخرهم خدمة ، وظهورك بمظهر مشرف لهم في خلقك ومعاملاتك وعاداتك خدمة ، وصلوات الله وسلامه على رسول الاسلام الذي فسح ميدان الإحسان والبر ، فجعل الكلمة الطيبة تقولها لصديقك إحساناً ، والأذى تميطه عن الطريق إحساناً ، والابتسامة في وجه ملاقيك إحساناً ، ورد السائل رداً حسناً إحساناً ، وغير ذلك من وجوه الاحسان ، فلا تحتقر شيئاً أيها الشاب العربي في سبيل بلادك ، فان القليل إلى القليل كثير ، وكل ما نطمع فيه هو أن توجد فيك الرغبة الصادقة الأكيدة في السير إلى الأمام ! ! . .

يا شباب العرب . . أنتم عدة الوطن وعماده ، وركنه وسناده ، بكم يقوى ويعلو ، ويشتد ويسمو ، وأنتم الذين تكتبون تاريخه وتغيرون وجهته ، فإلى الأمام ! . .

إلى الأمام يا شبيبة العرب وكتيبة الغلب :.. إلى الأمام يا جند النصر وأعلى الصدر !..

إلى الأمام يا حزب الرحمن وقهرة الشيطان !.. إلى الأمام والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم . هو ولي الصابرين ، ومثيب العاملين ، وناصر المجاهدين ، وهو نعم المولى ونعم النصير ! .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قصة للتاريخ

— ١ —

تنفس الصبح وهي ساهرة تذكر الماضي فيطوف بها الأسى ، وترقب وجه النهار المقبل فيهتف بها الخوف . لقد كان زوجها حبيباً فشربت كأسه مُرَّةً وهو في ربيع دنياه ، وكان ولدها البكر زينةً ورجاء فثكلته بعد أبيه ، ثم كانت مشيئة الله في بصرها الغالي فكُفَّ من مدّ البكاء ، وكادت نفسها تفيض لولا رحمة من السماء شاءت لها أن تعيش . . .

وأنت لو شهدت هذه المكفوفة في ليلها ذاك ، لحسبتها ظلاًّ لامرأة جلست على حشية فقيرة ، وقُربَة من نائم شاب تتحسسه مترفقة ، فتمرّ بيدها الراجفة على رأسه ، وتمرّ بها على دثاره ، وتستاف نسيمه تارةً كالشحيح الخائف على نفيس عنده ، فهو يأخذ نفسه بالتماسه ، ويأخذها بمعاودة هذا الالتماس ، وفي الأحيان المتقاربة .

كان هذا الشاب ولدها الوحيد ، أو طفلها كما تدعوه ، وإن كان قد عدّ عشرين ربيعاً ، وغداً يستأثر بفضاء الباب حين يدخل عليها ، ولعلها أخذت ، في إرادة هذا الامتداد لطفولة إبنها ، بشعور مشفق حريص ، كأن الشباب يسلبها الملاك عليه ، أو كأنها تجد في الطفولة عوذةً تقي من العين .

ولكن أيّ وجه من الحياة مخوف توشك أن تستقبل إذا كان النهار ؟ ونطلب الجواب فنرتدّ إلى الحرب العالمية الأولى يوم كان السلطان للترك ، ونعرّج على مدينة من تلكم الجاثمات على شاطىء البحر الشامي ، ففي هذه المدينة القديمة الجميلة تقيم الأم وفتاها ، وفيها كما في غيرها من بلادنا الحبيبة كان الشبان وكان الكهول يساقون الى الجندية على عجل ، وفي شيء من العنف إن شئت نبأ الناس يومئذٍ .

وكان الفتى إبن المكفوفة هذه — وندعوه فؤاداً — من بين أولئك ، فاحتجَّ بأن ليس لأمه من عائل آخر ، ولكن عجل النفوس شهد أن له أخاً ، فقيل : ليس بُدٌّ من أن يسام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحدهما في الذود عن حياض الدولة ، ولا مفرّ من الواجب المقدس .

قال الفتى : (نعم لقد كان لي أخ ، فعجلت به المنون مهاجراً في ديار الغرب منذ أعوام خلت ، وعندي على موته طائفـة من البينات إن إردتموها) . ولـكن المجلس العسكري الموقر أبى أن يأخـذ بقول الشاب فالوفاة في عرف القانون إنما تثبت بنص السجل ، والسجل هنا ليس فيه شيء مما زعم ، ثم هـذه خزانة السلطان قد رفقت بأهل الخصاصـة من ذوي الجنود ، فجعلت للانسان منهم كفاء ما يحرر من العوز ، عشرين قرشاً في الشهر الواحد !

حمل فؤاد هذا الى أمه ، وحمل إليها إنه من الغد صائر الى الجندية ، يستقبل عهداً لا يعرف لنفسه فيه غاية ، ولا لذات غيبه مصيراً ، ثم أردف يقول : وليس من حيـلة يا أماه ! إلاّ أن أستجيب ، ولعلي أرتد إليك سالماً ، إن كُتب عليّ أن أعود .

قالت — وإلى أين هم آخذوك ؟

قال لا علم لي بهذا يا أماه ! وإنما رأيت الناس يتحدثون بأن الحرب قائمة في الشمال وفي الجنوب ، كما هي في الشرق وفي الغرب .

— ومتى تعود إليّ ؟ فاني ما زلت أذكر أخاك .

— لعلّ الله يحدث أمراً ، فلا تطول غيبتي .

— امض من غدك على بركة الله ، وسأدعو لك دائماً كما أفكر فيك ، وقد اضطر فأبيع بعض ما في البيت ، فلا يسوءنك هذا إن فعلته .

— كيف يا أماه ! ولعلي أجد ما أبعث به اليكَ ، فلست أعلم إلاّ أن الله رحيم كريم .

على هذا تنفس الصبح ، وهتف المؤذن : حيّ على الصلاة ، الصلاة خيرٌ من النوم ، فاذا الأم تنهض فتبرح مجلسها ذاك في شيء قليل من الحركة ، وشيء كثير من الهدوء ، حذر أن يحس طفلها النائم ، فهي إنما تحب له أن يتزوّد من الراحة ما وسعه أن يتزوّد لغده . ثم أخذت تتلمس طريقها قِبَلَ فتاة يتيمة في البيت لا تعرف إلاّ أنها تعيش على خدمته ، فهي فيه ثالثة اثنين ، تحب الأم وتعبدها ، وتحب الفتى وتعبده على صمت وهي تعلم أنها لا تشغل شيئاً من فراغ قلبه .

ولم تكد تبلغ مرقد الفتاة حتى أحسَّت يقظتها ، وسمعتها تقول : (فانتني نهضت قبلكَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يا أمّاه !) وكان هـذا النداء محبباً إليهما جميعاً ، يعذب على لسان الفتاة فتتعمده أحياناً ، ويعذب في أذن الأم فهي تجد فيه من الاخلاص الحنون حلاوة ، وتتخيل شيء من العزاء ، لو كان للقلب الثاكل المفجوع من سبيل إليه .

وتسعى الفتاة فتأخذ بيد السيدة ، فتحس هذه دمعاً يسّاقط ، فتنفرج لها ذراعاها وتروح تضمها ما وسعها أن تفعل ، كأنما هي تريد أن تطفىء بين الجوانح لهيباً ، أو أن تخمد ثائرة ، أو أن تترجم عن شيء يهجس به الخاطر فتقول : (أنتِ ما أبقى لي الزمان) ، وتسكن الصغيرة إلى صدر الأم هنيهةً ، ثم تتخلص مترفقة فتنطلق تهيء لها وضوءها ومصلاّها وللفتى ما أوصى للسفر من متاع .

وتأخذ السيدة في صلاتها ، ثم في الابتهال الى الله تلتمس لقلبها الصبر ، ولولدها العون فيما يستقبلان من همّ هذه الغربة الدانية . وتشهد الفتاة هذا الابتهال . فإذا هي تهتزّ على سحر الخشوع ، فيقوم في روعها أن تنهض فتصلي ، وتعجل فتأخذ في وضوئها ، ثم تستقبل السماء تدعو للفتى كما تفعل أمه .

وما كاد وجه النهار يشرق حتى كان فؤاد قد استفاق فنهض يتهيأ لما هو مقبل عليه ، وإذ تم له ما أراد سعى الى أمه ، فطال بينهما العناق وطال البكاء ، والفتاة آخذة بنصيبها من الحزن واللوعة جميعاً ، حتى ومن الشوق فهي لا تعرف من قلبها إلاّ هذا الحنين الى فؤاد .

وتشفق الأم على ولدها فتخلي عنه ، فيلتفت فاذا الفتاة تهمّ به ، فيتلقى الحنان البريء الخجول مودعاً ، ثم يمضي وينغلق باب البيت . . .

***

— ٢ —

لو كان الذي طاف بهؤلاء الناس حظّاً من الغنى ، أو كان جاهاً من المجد لأحسه الجيرة بل وأهل البلد ، ولساهموا فيه قليلاً أو كثيراً ، ولكنه كان شقاء فما فطن له واحد من الخيِّرين ، ثم مرّ الزمان ينفق من أيامه ولياليه ، فمضى عامان أو أكثر قليلاً ، وكنا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا نعرف من نبأ فؤاد شيئاً ، حتى أقبلت رسالة منه ذات يوم على صديق تقول :

عزيزي كمال :

كان من حقك عليّ أن أكتب إليك منذ حين لأصل عهد الشهود بعهد الغياب ، فنعود نحيا على أحلام المجد العربي ، ولكن هذه الجندية ظلت تطوّف بي حتى هذا البلد الذي أكتب منه ،

وبعد فما أريد أن أحدثك حديثي ، ولا أن أسألك ما فعل الزمان بأمي فهذان ما لست استأثر لهما بوقتك كلاّ ، ولا أريد أن أقص عليك متاعب الجندي العربي في هذه الحرب ، أو أن أصف لك عبث أعوان هذه الحكومة بالحرمات والحقوق والارواح جميعاً ، وهذا ما لا ينقصك علم طائفة منه . فقد كثر ما تحدثنا به أيام عهدنا القريب .

وإنما أريد أن أتحدث إليك بحديث تجربة عربية في هذا البلد العربي ، وقد كان يسعدني أن أجمّلها بالعطر والنور ، فلا أشقيك بها ، ولكننا — يا صديقي — في حاجة الى العبرة والعبرة الموجعة ، أكثر منا الى العيش على الأشواق السادرة .

إن حياة العبودية في كنف الإستعمار لشيء سيء حقّاً ، ولكن الاسوأ منه أن تفتح عينيك فاذا أنت عند قومك أمام انحطاط في الروح عن مرتقى الشعب السيد .

وأهدف الى غرض الحديث فأعلمك أني غشوت هذه المدينة تابعاً لضابط تركي ، ولم يطل الوقت كثيراً حتى كنت أخا ودّ لنفر من الشباب وجدتهم قد أخذوا بأخذنا من هذا الحلم بالسلطان العربي ، ورأيت الناس على طرب واستبشار بحاكم جديد، ليس لانه العربي الفرد بين حكام المقاطعات ، فالحكام من العرب — وأنت تعلم — غير قليلين ، وإنما كان الطرب والإستبشار هذان لأن الرجل من العربية في مُصاصها ، ومن الوعي القومي فوق قمة الجبل .

وراحت صلاة هذا الحاكم تذيع تقواه ، وإن كانت في مثل صلاة الخائف وحديثه يذيع صلاحه ، وإن كان فيه بقية من روح عبد الحميد ، وراح أهل البلد يرون فيه رمزاً للحُلم الضخم ، وينصتون إليه في إعجاب المفتون ، فهو عبقري في السياسة ، وعبقري في تعبئة الجيش وتحريكه ، وعبقري في الادارة حتى وفي الادب والتأريخ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعاش الناس يحلمون ، وعاش صاحبهم يحلم معهم ، وانقضى زمن ليست الموعظة فيه انه مرّ طويلاً أو قصيراً ، وإنما هي فيما استفاق عليه الجمهور ، حين استفاق فاذا الرجل يستخف بالتبعات والقانون والعفة جميعاً ، ويترخص في مهام الحاكم النزيه .

ثم أخذ يحرّك لسانه فيرتجل المتنافسين على بابه ، ويمدّ سلطانه فيدخل بين المرء وزوجه ، ويتصل حتى بالشرطي وبالجلواز ، وتتسع ذمته للقروض التي لا ترد، وللهدايا وإن بذلت في سبيل لا تذكر إلاّ همساً ، وللبِدَر من المال يقدمها أغنياء الحرب الأتقياء نفقةً لأسفاره في طلب المجد.

وكان من أثر هذه السيرة الصالحة ، أنْ استخفّ أعوان الحكومة بالتبعات ، فاجتازوا الحدود حتى لقد صارت الرشوة شيئاً لا يلتمس له الخفاء .

وترعرع على بساط هذه الاباحية الخضراء نفر من التجار الصالحين ، وراحوا يزقون القائمين على الأمر كما يفعل الحمام بفراخه ، فصار الحكم يستغل لا لصالح الشعب بل للمصالح الذاتية ، وأخذت السلع تختفي ، والأسعار تفحش ، والثروة تنحصر في أيدي طائفة قليلة من الناس ، ودأب هذا العبث ، وطال به شقاء الناس في البلد ، وأنت إن قلت أفسد هؤلاء التجار أخلاق الموظفين ، قالوا : (إنها لفاسدة منذ يومها) أو قلت : غاضت دماء المستهلكين ، أين الضمير ؟ قالوا : (إنْ هو إلاّ الاسم الاصطلاحي للجبن) ، وإن قلت : ألا صوت في طلب الصلاح يرتفع الى السماء ! سمعت الهمس من حولك ، وليس غير الهمس .

قد تعلم بموت الاصالة عند إنسان من الناس فلا يثيرك أو يشجيك هذا الأمر كثيراً ، ولكنك لا تملك إلاّ أن تعجب وتحزن كثيراً حين تعلم بأن هذا الانسان أفسد بلداً ، فصار التفوق فيه ؟ لا للمثل الفاضلة ولا للأخلاق ، أو للنزاهة ، بل للنفاق ولليد الطولى وللنوم على القذى .

حسبك اليوم — أيها الصديق — ما سمعت من نبأ القوم في هذا البلد ، وقد تتهيأ الفرصة فاتصل بك ، لعلك تجد فيما أكتب اليك قصة للتسلية ، أو للتاريخ إن شئت، وسلام عليك مني.

فؤاد

***

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ٣ —

قال الراوي : —

وانقطعت أنباء هذا الشاب حتى انتهت الحرب وكانت الهدنة ، ورجع الجنود من فتيان بلده الى أهلهم ، فقصَّ أحدهم بقية الحكاية فقال :

كان فؤاد موفور النصيب من هذه المعاني الآسرة تجدها عند بعض الناس فلتة فما تدعك إلاّ وقد أحدثت في نفسك حبّاً أو أحدثت لصاحبها عهداً . ورأته هند يتردد الى بيت رئيسه الضابط ، فوقفت عند نظرها اليه ، وراحت ترقبه في غدوه ورواحه ، وتتحين مرآه وتفكر فيه ، ولم تك بالعابثة تريد أن تلهو بأشواق الشباب زمناً يطول أو يقصر ، ولا بالجاهلة بعد ما بينها وبين الفتى ، بل لقد جاهدت جهاد المحصنات علَّ قلبها ينصرف فعصى ، وظلّ على الشوق يجرر به في عناد وإصرار .

***

ومرت الأيام فاذا هي تعتزم أن تبلو الفتى من قريب ، فتمضي فيما اعتزمت وتجري الصلة بينهما على اللقاء يتكرر ، والحب العذري يذكو ويتأصل ، والأحلام ترقى على مدها وتسبح ، والحديث يرق ويصفو ويعذب ، ثم ينساق الى حلم الزواج ، فما كانت تريده ، ولا هو كان يريدها الاّ على الطهر والسنة ، ولكنهما يجدان هذه العقبات يضعها الغنى والجاه والحسب دونهما ، فهي إبنة أولئك جميعاً ، وهو غريب غير معروف ، وأهلوها لا يسلمون بأمر ليس يجمل بهم .

ولا يقف بهما الرأي الاّ قليلاً ، فاذا هما يؤثران الصبر والريث الى أن تستوفي الحرب أجلها فيختفيان في بلد آخر زوجين حبيبين ، وأمتدّ حديث الاحلام بين هند وفؤاد ، فكان هجّاً حيناً ،وحلواً شهيّاً حيناً ، بل فوق هذا وذاك كان علويّاً جرى مع الطهر ، ومما بالروح ، ثم انتهى كما تنتهي الآجال في هذا الوجود .

ودّعته على أن يعودا الى نجواهما في لقاء مقبل ضربت له الفتاة الجريئة موعداً ، ثم خرجت قبله من المكان حذر العيون .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكن القضاء كان يبتسم ، فلقد كتب على شخص ثالث أن يقف دون ما قدرا للحياة السعيدة ، وكان هذا الشخص من ذوي لُحمتها ، تقدّم من قبل في طلب يدها ، فلم ترضه بعلاً لاختلاف ما بينهما في تناول الحياة ، ولم يكُ بالشيء الغريب أن يجعل من نفسه عليها عيناً . فلقد كان شاباً شريراً ، وصاحب حيلة واقدام أوصلاه إلى سرها ، ثم إلى مكان خلوتها بصاحبها ، ثم إلى أن يستمع حديثهما من حيث لا يشعران ، وما بعدت الفتاة إلاّ قليلاً ، حتى كان قد ولج المكان على فؤاد ، فعاجله بطعنة نجلاء ، ثم أجهز عليه ، ثم جعله قطعاً ، وجاء بحقيبتين ، فوضع فيهما أشلاءه وانتظر حتى أقبل الليل .

***

كان القاتل ومعه شخص آخر يحملان حملهما ذاك ، وكان الليل قد تقدم ، فباغتهما العسس يتلصصان في مشيتهما ، فأمرا بالوقوف ، ثم سئلا عما في الحقيبتين ، فما تلعثم القاتل الشرير وزعم أنهما هدية الى الحاكم ، وانما اختار لها سُدفة الليل حرصاً على سمعة الرجل ، ولم يكُ بالعسس من جرأة على المزيد في السؤال .

ويعمد الرجلان من ساعتهما إلى كهف في ضاحية المدينة ، فيلقيان فيه بأشلاء الذبيح ، ويرجعان كأن لم يكن من الأمر شيء .

وتفقد الجيش فؤاداً فما وجد له أثر ، وتفقدته الفتاة فما علمت شيئاً ، وتفقدته والدته منذ انقطعت أخباره ، فما استطاعت أن تعرف اليقين من أمره .

***

واختتم المحدث كلامه فقال —

لم يكن قد مضى من الزمان غير عهد قريب حين فتح الكهف لغرض التنقيب عن الآثار فعثر فيه على عظام هي عظام صاحبنا الفتى الذبيح ، ولكن الموظف الخبير زعم انها لانسان عاش في العصر الحجري المتأخر .

عمان — شرق الاردن — شكري شعشاعه باشا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيف نعيش مائة عام

تلك أمانيهم . الناس جميعاً لعمرك كلفون، بالحياة . تمنوا أن تطول ما وسعها أن تطول، ولو شابها النصب والوصب ، وعمهـا الأذى والـكدر ، حتى لقد تمنوا الخلود ، فلما أعجزهم نيله على الأرض ، راحوا يطلبونه في حياة أخرى .

وقد بحثت الجمعية الطبية البريطانية أمر المعمّرين . فخرجت من نتائج بحوثها بأن قصار القامة أطول أعماراً من متوسطيها وطوالها ، وان المتوسطين وزناً ، أو دونهم ، هم كذلك أحظى بطول العمر من الزائدين وزناً .

على أنه إذا كانت هـذه الحقائق العلمية لا مطعن فيهـا ، فما هي بالقانون المطلق ، ولا ألسنة العامة ، فان لطبيعة الاشخاص ، وفطرة أمزجتهم ، تأثيراً كبيراً في طول أعمارهم أو قصرها . ذلك انه من المقررات الفسيولوجيـة ، والتحقيقات العلميـة ، ان الذين يعيشون عيش الارهاق ، دأبهم العجلة ، والوثبة ، يحملون أنفسهم على الجهد ، والعنت ، والاسراف في كل عمل ومأتى وحركة ، لا يعمرون . ذلك لأن الحركة العنيفة ، والشعور المتوقد الثائر ، والعاطفة المسرفة ، كل أولئك باعث على افلات كماويات معلومة في البدن ، تلج الدم فتوقد جذوته ، فتتضاعف دقات القلب ، وتـؤذى جدر الشرايين ، فيشتد ضغط الدم ، فتسوء الحال . وكلما تكرر ذلك العنف والاسراف ، جلّ الخطب ، وضاق بساط العمر ، وقرض الافراط من أطراف الحياة .

كما ان للطعام وزناً كبيراً ، وشأناً خطيراً في جولة الحياة ودولة أطوارها ، وما تنعم به من العافية والسلامة ، أو تبلى به من علة وضمانة ، وغُنمها منَ امتـداد الاجل ، أو غرمها من قصره ، إذ أن حموضة الدم من جالبـات الامراض ، ومقصرات الاعمار . وما تستوطن الحموضة مراتع الدم إلاّ من تناولنا أطعمة غير صالحة ، أو يكون من طبيعتها توليد الحموضة والأطعمة القلوية مضادة لهـذه المضرة ، وفي رأسها الليمون . وقد قال طبيب انجليزي مشهور غاب عنا اسمه :

«اذا أكلت كل يوم ليمونة أو ثلاثاً ، عند ما تكون ظمآناً ، عشت طويلاً ، وحظيت بصحة جيدة » .

فليكن غذاؤك سهل الهضم ، قليل المقدار ، كثير الأملاح المعدنية والفيتامين ، وهذا ما يتوفر لك غاية التوفر في فج الخضر والفواكه . ولا تنسَ ان تجمع الى هذا نفساً راضية ، وألاَّ تفعمها بالهمّ والكدر .

وقد كنا قرأنا في تلغرافات الصحف عام ١٩٣٠ أن عالماً المانيًّا اكتشف طريقة لاطالة العمر إلى السبعين بعد المائة ، مدارها على أكل الأطعمة النباتية غير المطبوخة .

وذكروا أن أهل باريس في القرون الوسطى لهجوا بمنفعة اكسير كان قد صنعه رجل يدعى فيلار ، رغم أنه أخذ سرّ تركيبه عن عمه الذي مات عن أرذل العمر . فمن تعاطاه ، بلغ سنًّا ، وامتدَّ أجلاً . حتى يسأم الحياة .

وكان يبيع الزجاجة الواحدة بستة ريالات ، وتوافد عليه الناس من كل حدب ينسلون ، يلقفون الزجاجات في لهفة الواله المشتاق ، حتى أثرى الرجل وكان من المترفين . قيل وزين لأحد الكيماويين أن يكشف دفين هذا الشراب ، فما زاد ، إذ حلله ، أن علم أنه ماء صرف من نهر السين في فرنسا قد خولط بقليل خل وحبات من ملح البارود ، وكان الناس ، مع هذا ، إذا تناولوا اكسير السيد فيلار ، تطول أعمارهم حقًّا ، لا لأكسيره في ذاته ، ولكن لما نقل عنه ، إنه كان يوصي المتعاطين اكسيره ، بلزوم الاعتدال في المطعم والمشرب .

* * *

وبعد فقد اطلعنا على مقال نفيس في موضوعنا هذا ، طلبة النفوس وعُلالة الأذهان ، بقلم الكاتب الفرنسي المعروف ، أميل هينريو ، في جريدة (الطان) الفرنسية ، فاستملحنا نقله لقراء (المقتطف) الأفاضل ، فان فيه فائدة ، وان فيه تفكهه. قال :

« مما يبعث على السآمة . وكراهة بلوغ المائة ، في من أشرفوا على هذه السن ، هو تشابه السؤال ورغبة الاستطلاع ، من كل من يلقاهم من الناس . فما ترى السائلين إلاَّ يسألونهم سؤالاً واحداً لا تبديل فيه ولا تعديل : « كيف يا هذا ، صنعت ، حتى بلغت المائة ؟ » .

تشابه السؤال ، واختلف الجواب : فأخو مائة يجيب : « ما أقلعت يوماً عن التدخين ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والخمرة ، وأكل اللحوم الحمراء ، مبلغ الجهد . » وأخو مئة غيره يقول : « ما شربت قط غير الماء القراح ، ولا ذقت إلاّ الفاكهة خالصة » . ألا فليهنأ أولئك الذين استطاعوا أن يعزوا ما أصابوا من حظ وتوفيق الى ذات فطنتهم ، وما أوتوا من حكمة ! ولو أنه كان للمعمرين مدرسة ، فما أظنها تكون واحدة ، ما دامت الوسائل متعددة .

وبعد . فهل من المستحب بلوغ المائة ؟ انك لتجد كثيراً من الناس ، إذا خالجتهم هذه الفكرة ، أوجسوا منها خيفة ، ما أراهم ، لعمري ، إلاّ حرموا نعمة الخيال . فهم لا يفقهون إلاّ الحاضر ، ولا يقيمون وزناً إلاّ ليومهم الذي يعيشون فيه ، ولا مهنأ عندهم إلاّ فيما ملاكه الحياة الناشطة الجاهدة الفتية ، الناهضة الجناح ، ولا يستطيعون أن يجدوا أنفسهم قد استحالوا ، وأصارهم كرّ الليالي الى غير ما كانوا عليه . وبخلاف ذلك ترى الذين بلغوا المائة هانئين بما عمروا ، ولا أشهى عندهم من دوام العيش وطول البقاء ، ويستفرغ عجبك ما هم فيه من التفاؤل والاستبشار ، وإن كان هذا ، مع ذلك لا يستغرب ولا يستغلق على العقول ، إذ أنهم لفرط ما عاينوا وشاهدوا ، لا يكترثون إلاّ قليلاً بما يسوؤهم ، أو بما اعوجّ من أمور الدنيا ، وساء من سلوك الناس ، وبما يؤثر في من هم في غضاضة الشباب ، من الذين هم أقل منهم فتوراً وتبلداً .

ليت كان بيدي الآن إحصاء للمنتحرين ، فلتعلمنّ اذاً أن الزاهدين في الدنيا المستثقلين الحياة هم في الفتيان أكثر عدداً منهم في الشيوخ ، ولعلهم إنما تطاولت أعمارهم وتشبثوا بحبال الحياة ، لأنهم ولدتهم أمهاتهم متفائلين .

أما كون التفاؤل والاستبشار شرطاً لازماً لطول العمر ، فما ذلك ببدع . تلك حقيقة أكل الدهر عليها وشرب ، ولكنك ، على كل حال ، تقرّ عينك أن تعلم أن تلك الحقيقة قد تجلت مسندة ، مدعومة بالبراهين العلمية في كتاب صنفه الدكتور جورج لاكوفسكي ، يرد فيه طول العمر الى أربعة شعب : أولها وجوب إرادة ذلك واستشعار اليقين بامكانه ، وجوب عدم الخوف من الموت ، والايمان بالحياة الباقية ، وجوب ألاّ يكون الانسان غيوراً حسوداً ، ولا شريراً خبيثاً ، وذا ، ولا ريب ، أشق هذه الامور وأعضلها . ويجب ، مع هذا ، أن تكون النفس راضية قانعة ، وذا ما لم يؤت اليوم جميع الناس ، للذي منعوا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من سبل العيش ، وأخذوا بأسبابه ، وما ذاقوه من جديد الحياة وطريفها . والطبيب النطاسي لا كوفسكي يضرب لنا مثلاً بفونتينل [1] الكيس ذي الحلم ، والنفس الراضية الهادئة ، الذي استطاع أن يعيش قرناً كاملاً ، دون أن يعاني أية مشقة أو صعوبة ، والذي كان يفسر لك ذلك الفتح المبين في باب التعمير بقوله : « انما كبرت سني ، لأني لم أكن ، في يوم من أيام حياتي ، مهرولاً ولا غاضباً » .

ولئن كان ذلك ، فما أجدأحد منا يستطيع الى هذا بلوغاً . عزَّ ذلك وامتنع . انها لخطة لا يمكن العمل بها في يومنا هذا . عبثاً نحاول ألاَّ نجري ، فان هذا الزمن الذي نعيش فيه خليق بأن يدفعنا الى الاسراع والعدو دفعاً شديداً .

أما أن لا نغضب ، فليت شعري ، ما الوسيلة الى بلوغ هذا ؟ هيهات ! ذلك ما لا ينهض به الرجل الشريف ، والعرض الكريم . ان كل ما تقع عليه أبصارنا من أمور هذا العالم بعيدة كانت أم قريبة منافٍ للاخلاق ، مخزٍ للعدل ، مدبر عن الحق ، مستهجن ذميم ، سخيف دنيء لا يقوه العقل الرشيد . فكل شيء مما نسمع أو نرى من أنباء العالم ، وشؤون الناس يُسئم ويؤذي ، تثور له النفوس الكريمة ، ويستهجنه ذوو الالباب . فكيف لعمرك ، السبيل الى التزام السكينة . مع هذا ، وأنى لك التجلد وعدم الاكتراث ؟

أما إن استطاع امروء احتمال هذا الاضطراب الشامل ، ووسعه أن يكون رابط الجأش مجللاً بالوقار والسكينة ، فقد احتاج اذاً الى مقدار من الجهد العنيف يفت في عضده وينهك قواه . أليست حكمة فونتنل التي مكنته من بلوغ المائة قد صانته عن المضِّ والمَمْض ، بأن جعلته بمعزل عن أمور الناس ، وشرور الناس ، وآلام الناس ؟ فما يتأتى ذلك الاَّ لمن جنح الى العزلة ، وقرر نفسه على الابتعاد عن معارك الحياة ، والانقطاع عن ملاهي الحياة . فقد دلت الاحصاءات على ان من عمروا كانوا من البابوات والقسيسين ، ورجال العلم . فمن استطاع أن يكون منهم أو مثلهم ، وراض نفسه على ما نهجوا ، فله المهنأ بطول العمر ، ومبلغ المائة كاملة وافرة » .

احمد أبو الخضر منسي

---

(١) أديب فرنسي بارع وعالم متبحر في القرن الثامن عشر . وكان كاتب سر المجمع اللغوي الفرنسي الى يوم وفاته . مات في سنة ١٧٥٧ عن مائة عام وافية وافرة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دلائل الخيرات

— اسمعي يا حورية .

— نعم .

— أتذكرين قطعة أدبية قرأناها معاً سنة ١٩٣٤ ، اسمها « في النار ولا تحترق » للرافعي ؟

— ماذا ؟ .. في النار ولا تحترق ؟ ... أوه . . أجل أذكرها . . أذكرها بالضبط ، قصة الراقصة المتدينة التي أرغمتها الحياة على التبذل والرقص مثلنا في الليل أمام الناس لقاء أجر تقتات منه هي واخوتها الصغار ، ثم تذهب بعد ذلك فتمضي بقية ليلها — بعد أن تتطهر — في الصلاة والتعبد والاستغفار . .

— بالضبط يا حورية . . بالضبط .. إنك تذكرينها جيداً . .

— وهل ننسى أمثال هذه الروائع التي تتصل بحيواتنا الأسيفة الأليمة ؟ اننا يا زينات مهما نسقط ومهما نهوى ، فينا من ميزات الناس ! .

— لست أقصد الى هذا من تذكيري لك بهذه القطعة .

— اذن الى أي شيء تقصدين ؟

— فريد .. فريد قائد فرقة الجازباند الجديد .. هذا الفنان الذي يحيا بيننا . انه يمثل تماماً حياة هذه الراقصة التي عناها الرافعي وصورها لنا في مقطوعته : « في النار ولا تحترق » .

— فريد وراقصة الرافعي ؟ كيف هذا ! انني لا أفهم عنك . حقاً إن المايسترو فريد رجل مستقيم ، ولكن ما صلته براقصة الرافعي ؟

واعتدلت زينات في مجلسها وأشعلت سيجارة هافانا فاخرة وقالت لزميلتها حورية : إن نمرتك ونمرتي أنا أيضاً لن يأتي وقتهما الآن بعد الساعة العاشرة والنصف ، ونظرت الى الساعة في معصمها وأردفت تقول : والساعة الآن التاسعة والنصف ، فأمامنا ساعة كاملة احدثك فيها عن المايسترو فريد ، خذي هذه السيجارة . . قالت ذلك ومدت بيدها

لحضر الساقي فطلبت منه أن يحضر كأسين كبيرتين من شراب البيرة المثلوج . ثم عادت للحديث مع صاحبتها ووجهها للسماء ، قالت :

— إنني أعرف فريداً هذا من عام ١٩٣٢ حين كنت مبتدئة في حياتنا الصاخبة المعربدة هذه ، في ملهى بديعة بالجيزة الذي كان معروفاً باسم «السمرفوليز» وكان رئيس الأوركسترا يأتي في كل ليلة ومعه فريد هذا وسنه إذ ذاك حوالي السادسة عشر فيجلسه الى جواره يعزف على الكمان ، وكنا جميعاً نسأل رئيس الأوركسترا عن هذا الشاب العازف الصغير ذي الصورة الجميلة وعن سبب احتضانه له ، وكانت بعض زميلاتنا الخبيثات يتهمن الرجل بأنه يعشق ذلك الفتى . ولكن الحقيقة أن فريداً هذا كان ابن شقيقة الرجل فكان يحضره معه يدربه على العمل ويقدمه في الأوساط الفنية ، وكان لفريد من نبوغه وحبه لفنه ما جعله يتقدم تقدماً لفت إليه أنظار رواد الملهى . . ولكن حادثاً وقع بين مدير إدارة الملهى المتعجرف وبين الفتى جعل الفتى يثور ولا يحتمل غطرسة هذا المدير . ويرد إليه إهانته بأضخم منها أمامنا جميعاً ، ثم يدع الملهى ويخرج ولا يعود إليه بعدها أبداً . . وكنا نسأل عنه خاله رئيس الأوركسترا فآناً يقول إنه يعمل في الكيت كات . وآناً يقول إنه يعمل في البيروكيه أو غيرها . . إلى أن كنا في عام ١٩٣٨ وكنت مع صديق لي في ملهى الكارلتون باسكندرية ، وما كان أشد سروري حين رأيت الفريد هذا منتصباً بقامته المديدة وشعره الناعم يتهدل على جبهته العريضة الناصعة ، يقود فرقة الجاز . . . وصدقيني ياحورية ، لم أملك نفسي — حين رأيته — من الاندفاع إليه عقب انتهائه من عزف مقطوعته وتحيته بحرارة وشوق أثارتا حقد صديقي الذي كان معي . وبقيت على تقديره والإعجاب به طوال ذلك الصيف . وأشهد يا حورية ، لقد كان هذا الفتى الفنان طاهراً عفّاً نقيّاً ، ولطالما انتظرت كثيراً أن يغازلني أو يدعوني — كغيره من زملائه — الى سهرة خاصة بعد العمل . فأبداً أبداً يا صديقتي ، لقد كان ملاكاً وكان شاذّاً في وسطنا هذا الموبوء المليء بالرجس والآثام . . تماماً ياحورية ، لقد كان كما قال الرافعي ، في النار ولا يحترق . .

وقطع حديث زينات قدوم الساقي وطلبها لمقابلة أحد أصدقائها المؤثرين ، فقامت معه

بعد أن اعتذرت لزميلتها ، ولم تلتقيا إلا على خشبة المسرح وهما تؤديان نمرتيهما . . وبعد أن فرغتا من عملهما وذهبتا إلى حجرتيهما تخلعان ثياب الرقص وترتديان ثيابهما العادية ، أقبلت حورية على زينات في حجرتها تستحثها للإسراع والخروج لتتم لها حديث فريد . ولكن صديق زينات الثري كان بانتظارها في سيارته . وبالطبع اعتذرت زينات في رقة لزميلتها . .

* * *

ومضت الليلة وحورية تفكر في حديث هذا الفريد الذي تهتم به صديقتها ، وماذا عساها تكون حياته تلك المحفوفة بالنار ثم لا تحترق ولا تؤثر فيه النار ؟ . .

وفي الليلة التالية ، في نفس المكان والزمان ، أقبلت زينات على زميلتهاحورية تحدثها عن جولاتها بالنهار بمحلات الأزياء وغيرها مع صديقها الثري الأبله . ولكن حورية كانت في غنى تام عن سماع هذا الحديث المعتاد فقالت لصاحبتها : دعينا من هذا وحدثيني عن بقية حديث صاحبك فريد .

قالت زينات : آه . . إنك على حق . ثم أخرجت سيجارتين . أشعلت واحدة لنفسها والثانية لزميلتها وطلبت من الساقي قدحي قهوة . . وأحضرت القهوة واختلط دخان السجاير ببخار القهوة واعتمدت زينات رأسها بيمينها وراحت تحتسي القهوة وتجذب أنفاساً عميقة من سيجارتها ثم بدأت تقول : — حقاً . لقد عجبت لقفزات هذا الفنان السريعة من عازف صغير على الكمان إلى قائد أوركسترا فخمة في ملهى فخم كملهى كارلتون . . وعدت للقاهرة . . وما عدت أسمع عنه شيئاً قرابة سبعة أعوام إلى أن كان يوم أول مايو الماضي وكنت راكبة ترام الجيزة وكان الترام يسير مندفعاً نحو الجنوب على شاطىء النيل في جهة فم الخليج حيث النيل على يمين الطريق . وعلى يساره مباني تلك الآثار الضخمة الشاهقة التي بناها صلاح الدين الأيوبي لينقل عليها الماء من النيل الى القلعة ، وعلى حافة النيل في تلك الجهة أشجار التين الهندي الضخمة المتشعبة يستظلها الناس وقت الهجيرة ويتراكمون تحتها في كثرة واختلاط يشوهان جمال هذه البقعة الطبيعية ، فهناك الأطفال المشردون والمتسولون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وباعة الفاكهة والأغذية القذرة والحلاقون الذين يفترشون التراب والعمال العاطلون وغيرهم وغيرهم من المتسكعين . . أوه يا حورية . . في هذه الجهة ، والترام يسير سريعاً ، كانت عيني على كل ذلك وفجأة لمحت ، في غمار هؤلاء الناس ، فريداً . . أجل فريد بعينه قائد أوركسترا ملهى الكارلتون الذي لم أره من ثماني سنوات . . هو هو بعينه . . عرفته رغم أنه كان يرتدي ملابس متواضعة جداً — منامة منزلية من قماش شعبي رخيص فوقها سترة . . ولست أدري ما الذي حملني على النزول من الترام حين وقف ، والعودة الى هذا الفريد ؟ . إننا يا أختي على الرغم من ميلنا للرجل المرح الفاجر المتلاف وتفضيله على غيره من الرجال المتزنين المستقيمين ، نميل في أعماقنا الى الرجل المستقيم الفاضل حتى ولو لم يكن هناك أمل أو مطمح لنا فيه . ونزلت وعدت الى الوراء نحوه . حتى صرت قبالته . . إنه واقف أمام عربة صغيرة قذرة عليها وريقات صفراء هزيلة هي بقايا كتب قديمة يعرضها للبيع رجل أشيب ، ووقف حولها بضعة من الناس يقلبونها وينتقون منها ما يروقهم ثم يساومونه على ثمنها . . ولما صرت قبالة فريد ، وقفت مبهورة ولم أجرؤ على محادثته حتى رفع هو عيناه ووقعتا عليّ فما اهتمّ بي ، وعبرني بنظره إلى ما كان بيده من هذه الكتب القديمة ، ولم أطق صبراً فناديته . أستاذ فريد . فالتفت نحوي ثم جاء إليّ يحييني بفتور ، ولكنني ضغطت يده بحرارة وشوق وقلت له : أين أنت يا رجل كل هذه السنوات الطويلة ؟ وتمتم بقوله : في الحياة . قلت له ما هذا الذي في يدك ؟ قال ، انتظري حتى أعطي الرجل ثمن الكتاب . وبعد أن عاد سألته عن الكتاب الذي معه وجذبته — أعني الكتاب — من يده وقرأت عنوانه ، « دلائل الخيرات » فقلت له : ما معنى هذا ؟ فابتسم وقال : إسم كتاب . قلت : ماذا فيه قال : كلام يقرأه الناس المتدينون قبل الصلاة وبعدها فيه عبادة وتوسل الى الله واستغفار من الذنوب والآثام ، وعقب ففتح الكتاب وأخذ يقرأ منه كلاماً ضحكت منه كثيراً ومع ذلك لا أنكر يا حورية أنني كنت أحس له وقعاً في أعماق نفسي ! . .

وطال بنا الحديث ونحن وقوف الى حاجز الشاطىء الحديدي . . وقص عليّ فريد حديثاً عجيباً . قص عليّ كيف نجح في الاسكندرية نجاحاً باهراً وكيف أنشأ ملهى نجماً للموسيقى ملأت الاسكندرية سمعته ونجاحه الكبير . وقص عليّ كيف كان معارضاً

لنفسه في انشاء هذا الملهي الذي كان يريده للموسيقى فقط ، فانزلق حتى باع فيه الخمور وصار ملهى تقتل فيه الفضائل ويغشاه الجنود والراقصات . . وقال لي فريد : انه كان يعد نفسه بهذا العمل خارجاً على ناموس الفضائل وقواعد الاجتماع النظيفة ، وان أخلاقه واستقامته كانتا تنغصان عليه حياته وتجعلانها جحيماً لا يطاق .. هو الرجل المستقيم الطاهر يدير ملهىً للرقص والخمر والرذيلة ؟. ويدفع أيضاً الرشا لرجال الأمن وحماة الآداب ؟ . . أجل هو يفعل هذا ، وهو ثائر على نفسه غير راضٍ عنها من أجل هذا . ولكن شيئاً واحداً لم يرضَ أن يفعله ولو قد فعله لارتفع وارتفع . هذا الشيء الذي لم يفعله هو تقديم النساء ...النساء كلون من ألوان الرشوة .. أبداً .. أبداً لا يقدم النساء. وأبداً لا يكون قوّاداً . . واذن فليتعرض الملهى لمعاكسات رسمية واضطهادات سافرة وتحرير مخالفات له وعدم حمايته وحمايةً ملهاه من عبث الجنود المعربدين وإذن فليخسر وليخسر . . وليفشل المشروع الضخم بعد نجاح كبير . وليصفي الفنان حسابه وليحجز أصحاب الديون على أثاث الملهى وليخرج فريد هذا الفنان الكبير من الاسكندرية كما دخلها خاسراً أكبر الخسران في هذه الأيام التي أثرى فيها حتى الحيوان ! . . وليعد الى بيته القديم المتواضع في عطفة السكر والليمون يرعى اخوته وأهله بعد موت أبيه ويرعى مع ذلك عبادته وفنه .. ثم يدعى للعمل قائداً للموسيقى في ملهانا هذا الذي نعمل فيه . هكذا حدّثني وتأثرت يا حورية وسال دمعي وفريد يقص هذا الحديث . كان يومها يتحدث وصوته المتهدّج كأنه لحن سماوي منبعث من قيثارته فيهتز له كياني . وختم حديثه بقوله : وأيقنت أخيراً يا سيدتي ، وبعد كل هذا ، أن ليس للانسان إلاّ عمله الصالح . أما الربح الطائل المحرّم ، وأما العبث الفاجر : وأما الاستهتار بالفضائل . . أما كل هذا ، فيذهب جفاء ! . .

***

ولم تكد زينات تفرغ من حديثها حتى كان ملاء وجهها ، قد أتلفه ذلك الدمع الغزير المنهمل من عينيها السوداوين الجميلتين ! . وحلّ موعد عملهما فقامتا اليه . ولكن زينات ! مالها الليلة ؟ وماذا أصابها ؟ ما هذا الجمود والثقل في الحركة ؟ ثم ماذا أصاب جمهورها المعجب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بها ؟ إنه لا يصفق لهـا كثيراً على عادته ولا يطلب تكرار نمرتها مراراً كما يفعل كل ليلة قبل الليلة ؟ أوه . . وما لروحها لا تتصل بأرواح جمهورها ولا تؤثر فيهم ؟

***

في اليوم التالي وفي وقت الأصيل ، كانت حورية تجلس في شرفة الملهى تنتظر صديقتها زينات وكأنها تنتظر حدثاً ذا بال . . وأقبلت زينات . . فأي إقبال هذا ؟ . . زينات ، الفتاة المرحة اللعوب الطروب الراقصة الفاتنة ، تمشي على استحياء ! وعليها مسحة من جلال ومهابة !؟ . . وحورية ؟ حورية هي الأخرى ، ماذا دهاها فألجمها عن استقبال صاحبتها بمداعباتها الغزلة الماجنة كعادتها ؟ . . وفوجئت حورية بزينات تحييها تحية جافة جادة : السلام عليك . ولم تشهق حورية ضاحكة ولا ساخرة من صاحبتها وإنما ردت التحية في وقار وجفاف ، أرغمت عليهما إرغاماً . . وجلست زينات وطلبت قهوة وراحت تحتسيها مع صاحبتها في سكون وصمت . ثم قطعت زينات الصمت بقولها : وبعد ، فياحورية ، لقد أتيت الآن لأودعك أيتها الرفيقة الحبيبة وأتمنى لك ولحياتك ، هذه الصاخبة الماجنة ، نهاية قريبة سعيدة ، كنهايتي . قالت حورية على الفور : أية نهاية ؟ خبريني يا أختاه . أسيتزوجك صديقك الجديد الثري ؟ قالت زينات : صديقي الثري ؟ . . كلاً يا صديقتي ، إنه صديقي الفقير المستقيم . . لقد انتظرته أمس بعد انتهاء العمل وصحبته الى منزله وأمضيت معه وقتاً طويلاً نقرأ في كتابه « دلائل الخيرات » . . يا صديقتي لقد آمنت معه . . آمنت بقوة أن ليس للانسان غير عمله الطيب وصفاء نفسه .. وآمنت معه بشدة أن الموسيقى والدين ـ كلاهما ـ يسموان بالنفس وينقيانها من الشوائب والأدران ، وأنهما يطهران الروح ويعلوان بها إلى عليين . . سأتزوجه يا حورية . . وسأحيا معه للدين والموسيقى . . لقد اتفقنا على ذلك . . وسأبقى معه في منزله المتواضع ، لا أبرحه أبداً ! . .

ثم قامت سريعاً ، وقبلت صديقتها ، وتركت الملهى إلى منزل الزوجية .. الى منزل فريد الموسيقار حيث الطهر والاستقامة و . . كتاب دلائل الخيرات ..

محمد طاهر رزق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٠٠ ألف دولار

تبرع لبناني لمكتبة الجامعة الامريكية ببيروت



السيد ريكاردو يافت يقدم الى الدكتور فيليب حتي تحويلا بمبلغ ٢٠٠ ألف دولار لهذه المؤسسة

تردّد نبأ الهبة التي جاد بها ورثة المرحوم نعمة يافت اللبناني لبناء مكتبة في الجامعة الامريكية ببيروت وهي مائتا ألف دولار . وقد وصفها مكتب جمعية الكليات الامريكية في الشرق الادنى بأنها أكبر هبة في سبيل العلم جاد بها مهاجر من أصل عربي .

أما الواهبون فهم أرملة المورث وأولاده السبعة . وكان المرحوم نعمة يافت من أثرياء المهاجرين اللبنانيين الذين توطنوا البرازيل وتعد الشركة التي أسسها باسم شركة يافت وأولاده من أعظم الشركات الصناعية التجارية في البرازيل ولها عدة فروع ، ومن مؤسساتها وممتلكاتها مصرف ومنجم ومصنع للغزل والنسج لا نظير له في تلك البلاد . وستعرف المكتبة باسم مكتبة « نعمة يافت » وتكون أول منشأة تحمل إسماً عربيّاً

ومما يذكر عن المورث أنه ولد سنة ١٨٦٠ في بلدة الشوير بلبنان ، وتخرّج في الكلية السورية الانجيلية ببيروت ، وقد أصبحت فيما بعد الجامعة الامريكية . وكان من رجال العلم ، مولعاً بعلوم الرياضيات وله مؤلف في الحساب وقد أسس الاكاديمية الشرقية ببيروت سنة ١٨٨٠ وهاجر الى البرازيل سنة ١٨٩٣ وتوفي فيها سنة ١٩٢٤ .

ولأسرته شهرة في أعمال البر كشهرتها في أعمال التجارة . فلا يخلو مشروع وطني أو خيري في البرازيل من أثر كرمها . واعترفت بلدية سان باولو بفضلها فدعت شارعاً باسمها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

١ — صحائف مطوية

لمعالي احمد لطفي السيد باشا

لهذه الصحائف أكثر من جانب يمهد لها سبيل البقاء ، ويخلع عليها هذه الحلة التي تصل بينها وبين القلوب ، وتجعلها محط العنـاية من الأذهان المتعطشة إلى هـذا المنهل التاريخي للارتواء منه ، لأنهـا الاطار الذي يضم صورة رائعة من التـاريخ المصري . ونموذج من تلك الحوافز التي تستثير الأمم . فتهب صارخة في وجه من يأخذ عليها طريق الحيـاة الحرة الـكريمة ، والذي يعطي هـذه الصحائف كل هذه الاهمية . أنها سجلٌ دقيقٌ لهذه الحالة النفيسة ، والشعورية ، والعقلية ، التي تلبست هذه الأمة في فجر نهضتها ، ولا يرمى الـكاتب بالمغالاة عند ما يعلن . أنها سجلٌ صادقٌ لهذه الفترة ، لأنها قد كتبت تحت تأثير هذه العوامل والحوافز ، وصوّرت بهذه الألوان الشعورية النفـسية التي كانت تعمل الظروف على تلوينها من يأس ، ورجاء ، وتحفز ، وإستنهاض ، ومقـارعة لحجج طاغية ، ظالمة ، وتفنيـد لمزاعم ، والمصاولة في ميدان الرأي ، ولا شك أن هـذا الصراع المخيف ، المريب ، يأخـذ أكثر ما يأخذ دائماً من تلك النفوس التي تمتاز بالاحساس المرهف ، والقلوب التي تزخر بالعواطف الوطنية الانسانية ، والخواطر التي تجيش بمختلف النوازع الانسانيـة الرفيعة ، وهل تنال هذه الأحداث من شخصيـات ما تناله من تلك الشخصيات . ذوات المذاهب الملتهبـة ، وأصحاب المثل العليا في الحيـاة ، فوقف — لطفي باشا — من تلك الثورة التي أشعلت كل شيء . موقف لسانها الناطق ، وقلمها المسطر ، ومصوّرها الحاذق ، ولا ينهيأ الوجدان الحي ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبدع ، انقل هـذا الجو كله ، كما يتهيأ لمن يستوحيه ، وهو تحت تأثيره ، ويستمليه كل ما يمكن أن يمليه ، أو يوحيه ، مما يطبعه بطابع خاص ولون لا يحول ، لجاءت هذه الصحائف مرجعاً ، أميناً لمن تهفو روحه ، ويتطلع ناظره إلى مشاهدة تلك الفترة العصيبة الحافلة ، في تاريخ الأمة المصرية . فكم يعاني المؤرخ من المتاعب ، ويتحمل من الجهود عند ما يحاول التأريخ لفترة ، أو يرسم صورة لحقبة من الحقب . قد باعد بينه وبينها الأمد ، واستطاعت الحوادث المتدفقة ، المتغيرة ، المستمرة . في غير هدوء ، ولا هوادة ، ولا كلال ، أن تطمس كثيراً من الألوان التي كانت برّاقة في حينها ، ويعفي على معالم كان لها بروزها في ماضيها ، وشخصيتها في ميدانها ، وأن تبرز أخرى بفعل الزمن ، ومخلوقات الظروف والمصادفات ، وما تعمله البيئة التي هو ثمرتها في عقله وخياله ، وحكمه على الأشياء ، وتصوره للحوادث مع الاختلاف الذي يكثر حيناً ، ويقل أحياناً ، فمهما كانت استعانته بما بقي بين يديه من المواد التي يريد البناء منها ، واتخاذها وسيلته ، ومهما يجهد في تخلصه من بيئته ، ومحاولة إندماجه في العصر الذي يريد تصويره يشط منه كثير من الاوابد التي تستعصى على القيد ، ويعز عليه أيضاً كثير من الدوافع ، والبواعث التي كان لها سلطانها ، ثم دالت دولتها ، وعفى عليها النسيان ، أترى لو أن قلماً من هذه الأقلام التي لم تلابس هذه البيئة ، وتعيش مع هذه الأحداث في ميلادها ، وطفولتها وشبابها : يستطيع أن ينقل اليك هذه الصورة التي نقلها الينا قلم لطفي باشا — ليس هذا في مقدوره ، ولا طوع إرادته ، وما هو قلم لطفي ؟ وما ذهن لطفي ؟ وما منطق لطفي ؟ وما اتزان لطفي ؟ وما ثقافة لطفي ؟ إن هذه الخصائص ، والمواهب التي تحملها هذه الشخصية يعز مثلها كثير في كل أمة ، فكل شيء يزكي هذه الصحائف . فليس هو بالقلم الهزيل ، ولا بالذهن الكليل ، ولا بالمنطق المعتل ، ولا بالثقافة الضحلة . بل نجد استكمال كل هذه الجوانب على أكمل ، وأتم ما تكون هذه المواهب ، هذه بعض الجوانب العامة ، ولهذه الصحائف جوانبها الأخرى من حيث الكشف ، والابانة عن ناحية من نواحي عبقرية — لطفي باشا — هذه العبقرية التي هي خليقة بالدراسة ، والتحليل ، وفاء بحق التاريخ وأمانة نسلمها للأجيال المقبلة وضناً بهذه الشخصيات التي لها في التراث الانساني ثمرات ناضجة ، وفي توجيه أمتها أعظم الأثر ، بهذه الرسالات القيمة التي أدتها ، وتحملت عبئها ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهل يتهدى للباحث أن يقدم ترجمة صادقة دقيقة ، لشخصية لطفي باشا — إذا ظلت هذه الجوانب محجوبة ؟ أليس المترجم لشخصيات تاريخنا العلمي ، أو الأدبي يصطدم دائماً بهذه الصخرة التي توهي قرن كل من يحاول كتابة حياة . ما دامت تقف حياله هذه المعضلة . معضلة اختفاء جانب من جوانب شخصيته الفكرية وضياع أثر من آثاره ، أيستطع مثلاً مؤرخ أن يزعم بأن في مقدوره إعطاءنا ترجمة وافية بكل جوانب شخصية مثل — الجاحظ — ما دامت بعض آثاره لا تزال في طيّ الخفاء ، أليس هذا المذهب يحمل كثيراً من الصواب عند ما يعلن ضرورة اتخاذ آثار الرجل مفتاحاً لشخصيته ؟ لأنها هي السبيل الوحيد ، المأمون لمعرفة هذه الشخصيـة ، وللأستـاذ الـكبير — اسماعيل مظهر — جهوده الموفقـة ، المشكورة في سبيل تزويد الجيل بثمرات أستاذ الجيل ، أمدّ الله في بقائه ، وأعانه على تأدية رسالته — الارسطاطاليسية — التي يجاهد في تبليغها ، والتي يقف عليها أنضج أطوار عقله لتمكين جيله من معرفة — أرسطو — وتذليل الصعوبات للانتفاع به .

٢ — الرسالة الخالدة

لمعالي عبد الرحمن عزام باشا

قوبلت هذه الآراء القيمة في أصول الدعوة الاسلامية التي ضمنها — معالي عزام باشا — رسالته الخالدة وتناوله لمسائلها بهذا الاسلوب الدقيق الطلي ، واقامة الأدلة على صلاحيتها للأخذ بيد الانسانيـة المتعثرة الحائرة في مهب عواصف المذاهب المتسلطة ، وإعلانه ألاّ ملجأ لها بعـد أن نالت منها الشدائد ، وأهوت قواها الحروب ، واستنفدت مذخورها الأهوال ، إلاّ الاعتصام بهذا المرفأ الأمين المريح ، مرفأ الشريعة الاسلاميـة ، وقد قابلت الأمة هذا النداء بما تقابل به الدعوات الحبيبة . التي تبتعث الحين بعد الحين ، فكأنها تنفس عن كل قلب ، وتهدىء كل خاطر ، وترد عاذب كل أمل ، فالقول بأن الرسالة الاسلاميـة ، رسالة إنسانية عامة تتطلبها كأحوج ما تكون إليها ، أصبح من البداهة التي تنزل من القلوب منزل الايمان الراسخ ، وكل ما يهفو إليه العالم هو رفع هذه الغشاوة ، وإزالة هذا الصدأ عن تلك التعاليم التي طال ثواؤها تحت الأتربة التي كدّستها فوق بريقهـا ، وأثارت السحائب على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وضاعتها المحن ، والنكبات التي اصطلحت على المجتمع الاسلامي ، ووكلت به كل شر ، وأنزلت بروحه من الفوادح ما تركه مهيضاً ، واهي القوى ، ينوء تحت عبء الاعباء . وبات روحه ضاوياً هزيلاً ، من طول معاناته ، ومغالبته ، وصموده ، حتى إذا هتف الصوت الذي يبشرهم باقتراب فكاكهم من إسارهم ، وبالنور من ظلامهم ، تلقفته الآذان في شوق ، وتجاوبت بألحانه الأفئدة في ولع ، وأخذتهم نشوة من يستشعر دبيب القوة يسري في أقطار جسمه ، وإعياء كيانه ، فأثر أمثال هذه الدعوات لا تحده الدائرة الفكرية ، ولا نستطيع أن ننشر الجوانب العقلية كله ، بل هو يفيض ، وينال في أطواء الشعور ، ويتدفق لطيفاً ، هادئاً ، منعشاً في ثنايا الاحساس ، وتنبض به الآمال الذاوية ، الذابلة ، فاذا ما أخذت الأمة تنفعل من هذه النواحي ، وتجيش عواطفها من هذه الطرق ، وتدب الحياة قوية في نوازعها بهذه الأساليب ، فقد شاعت فيها روح الشباب ، وامتلأت بعنفوانه ، وتألقت بهجته فاذا ما استطاعت الدعوات أن تنقل الأمة هذه النقلة ، وتفيض على روحها من هذا الفيض فقد أدت خير ما يمكن أن تؤديه ، وما كان يعوز تلك الرسالة وقد أخذت تنقشع الغمة التي طالت ، وثقلت ، غير هذه العقليات التي زودت بألوان الثقافة ، وأكسبتها التفكير الطويل والتجارب المتعددة والقدرة على النقد والتمييز بين الصحيح ، والسقيم ، من الأفكار ، وان تمد بصرها لاستبطان هذه النظم التي تسيطر على العالم ، وتكيف موقفه ، وتتحكم في مصيره ، فاذا ما رزقت الدعوة المحمدية هذه القرائح والاقلام لتقدمها برئة من الشوائب التي تشوبها وتدفع عنها تجني الظلم ، وتقيها اجحاف الطغيان فقد استطاعت أن تسترد موقفها وتتابع رسالتها في مجرى التاريخ، وبناء الحضارة العالمية ، ومعالي عزام باشا شخصية قد أتاحت لها ظروفها أن تساهم في السياسة، والاجتماع ، وغيرها ، ويفهمها فهماً جيداً ، وإدراك تلك التيارات التي كانت تجري في الخفاء ، ولا تستطيع العين البعيدة أن تأخذها ، وقد فرغ من كل تلك الدراسة : والمشاركة في التوجيه ، والاشراف العقلي ، بنتائج لها خطرها وأثرها في الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والروحية وهي أنه لا أمل في نجاة العالم ، ولا مفر له من تلك الاهوال التي يكتوي بلهيبها ما دام يعتنق تلك المبادىء التي لا يمكن في نظره ونظر العقل السليم — أن نستأصل الداء ، ولا حيلة في تكرر المأساة بين حين وآخر ما ظل

العالم تسيطر على روحه تلك المذاهب المادّية الملغمة ، ولا ملجأ له إن أراد أن يحيا حياة هانئة متآخية إلاّ أن يمكن من قلبه تلك المبادىء الخالدة التي حملها الرسول العربي الى العالم ، ورياضة عقله على تمثلها ، واجتثاث بذور التعصب الأعمى ، والتحامل البغيض حيال تلك الدعوة المهذبة السامية ، وقد جاءت هذه الرسالة التي يقدمها — عزام باشا — دليلاً على مبلغ تمكن ذهن هذا الرجل ، وصفائه ، وإلمامه بدقائق تلك الدعوة ، وخفايا معضلات حياتنا الحاضرة ، ومنطقه البارع في مناقشة ما هو بسبيله ، وتقديم رسالته الجديدة في سبيل رد تلك الاتهام التي تلفقها الأغراض المدخولة ضد الدعوة الاسلامية ، فما أحوج الأمة الاسلامية ، وهي محط ألوان كثيرة من المذاهب ، والدعايات أن ينهض من يملكون هذا المنطق ، المزوّدين بتلك الثقافة أن يبعثوا لهذا الجيل بريئاً من كل شائبة ، كلٌ في ناحيته يتولى علاجها ، فنقيم الحجة للعالم أجمع على أن هذا الدين أكمل رسالة عرفتها البشرية ، وأن رسوله المثل الكامل للانسانية ، وأنّ أمته خيرُ أمّةٍ أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر .

٣ — يسألونك

للاستاذ عباس محمود العقاد

ملكات ثلاث . تتساند في سبيل إبراز الإنتاج الأدبي : ملكة التفكير : ومجالها التحليل ، والمنطق ، وملكة الخيال ، ورسالتها التصور والتصوير ، وملكة الأداء وتتجلى في الأسلوب ، وقبل أن تتآخى ، وتتعاون ، في نتاج كاتب كما نظر في نتاج الأستاذ — العقاد — فسلطان الفكر . الحر ، يطالعك في كل ما يقع عليه طرفك : والخيال المصور اللطيف ، تتراءى أطيافه في كل مجال ، وملكة الأداء ، تبرز جليّة ، ناصعة محكمة ، في هذا التسلسل ، المنسجم ، في إحكام ، فلا حشو ، ولا اضطراب ، ولا فضول ، بل هو أسلوب صريح . لا رغوة فيه . وأظهر ما نظهر هذه الملكات الثلاث في هذا الكتاب ، فهو مقالات متفرقة ، وليدة ظروف متباينة ، ولكن هناك فكرة تربط بينها ، وتجمع بين أطرافها ، هي . أسلوب الدفاع ، وقوة التحليل ، إذ هذه المقالات استجابة لأسئلة أثارها بعض القراء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فتصدّى للكتابة عنها ، وقضايا اختلط على كثير من العيون وجه الرأي فيها ، فتولى دراستها ، وفيها تبرز تلك الملكة على أتمها ، عند – العقاد – فهو لم يتصدّ لتناول في هذه القضايا بملكة الأديب فقط ، فما أقل غناءها . وحدها في هذا المجال ، بل بمواهب القاضي ، وقريحة الفيلسوف ، وبداهة الأديب ، فلا يسعك . إلاّ أن تحمد له تلك اليد التي أزالت ما كان يعتلج في نفسك ، ويبلبل خواطرك ، ويروض ذهنك على هذا الأسلوب الفكري ، المستقيم ، ومعاونته على أن ينفذ إلى الحقائق ، ولا يظل طافياً على السطوح ، وأن يلج الى البواطن فلا تحتجزه الأسوار ، وعندي أن شيوع هذا النوع من الكتابة تكون له آثاره العميقة في الأقلام الناشئة ، والملكات الوليدة ، فيحول بينها ، وبين لوثة الثرثرة الجوفاء ، ويباعدها عن الولع بالبريق الخلاّب ، تتبين كل هذه الخصائص في كل مقال في هذا الكتاب ، أنظر إلى نمط تناوله ، وعلاجه ، لهذه النكسة التي تحمل بعض الناس على الدعوة الى اتخاذ العامية مراعاةً لشعور الفقير لغة نستخدمها في شؤون الفكر ، والأدب . فيرد قائلاً في مقالته العامية والفقر – العامية قبل كل شيء هي لغة الجهل وليست بلغة الفاقة ، أو اليسار ، وبين الأغنياء كثيرون لا يحسنون الكلام بغير العامية . التي لا جمال لها ، ولا طلاوة ، وبين الفقراء من يحسنون التعبير بالفصحى ، أو يعبرون بالعامية تعبيراً يزينه جمالها ، وتبدو عليه طلاوتها ، فاذا عطفنا على العامية فإنما نعطف على الجهل ، ونستبقيه ، ونستزيده ، ولا نخفف وطأة الفقر ، ذرّة ، واحدة بتغليب عبارات الجهالة على العبارات التي تصاغ بها آراء المتعلمين ، والمهذبين .. وماذا يفيد الفقراء أن يسكن الأغنياء الأكواخ ، وماذا يفيد الفقراء أن يتكلم المتعلمون لغة الجهلاء ، وماذا يفيد الفقراء أن تساويهم في الحرمان من المال ، والعلم ، ومن الفصاحة ، وقدرة التعبير ، انما يفيد الفقراء أن تصبح أكواخهم قصوراً ، أو كالقصور في الاراحة ، وتصحيح الأبدان ، وإنما يفيدهم أن يكون نصيبهم من اللغة كأحسن نصيب يتعلمه المتعلمون . فان لم يبلغوا هذا المبلغ فالفائدة ألاّ يكون نصيبهم منها أحقر نصيب ، وألاّ نسجل عليهم هذه الحالة المزرية كأنهم لا يصلحون لغيرها ، ولا يطمحون الى ما فوقها .

على هذا المنوال ينسج مقالات ، وبحوث هذا الكتاب ، وقد صدّره بمقدمة قيمة في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أدب المقالة . أدارها حول نشأة هذا الفن في الأدب العربي ، وامتزاجها بأدب الفصول وأدب المقامة ، وفي الآداب الاوربية وعرج على تحليلها ، وكل مقالة من هذه المقالات تستقل بفكرتها ، وتمتاز بتركيزها ، حتى ليجد فيها من يتعهدها وينميها ، كتاباً مستقلاً ، ويكاد يكون هذا طابع — العقاد — في كل ما يحاوله من هذا الضرب من المقالات ، ولم يتعدَّ حدود الواقع في اعلانه أنه ينبغي أن تكون المقالة مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للاجمال ، ولا يتسع للتفصيل ، فكل مقالة في موضوع فهي كتاب صغير يشتمل على النواة التي نبتت منها الشجرة لمن شاء الانتظار ، وأوجز ما يقوله الناقد في أمثال هذه الأبحاث ، انها من قبيل الفلسفة الادبية ، أقرب منها الى أي شيء آخر .

محمد عبد الحليم ابو زيد

أعمدة التلغراف

نشر الأستاذ عبدالله المشنوق في مجلة « الأديب » البيروتية قصة بعنوان « البؤس المكتوم » سرق الفكرة الرئيسية فيها من قصة نشرها المقتطف في عدده الصادر في مارس سنة ١٩٢٨ نقلاً عن الروائي المعروف الكسندر غلواكي البولوني بعنوان التلغراف .
ونحن ننقل هنا ختام القصتين ليكون ذلك حكماً بين المقتطف وحضرة الأديب المشنوق

قال المشنوق — « لست أدري لماذا انتقل فكري — ساعتئذٍ — الى التلغراف .... لست أدري ، ولكني أعلم حق العلم اني ربطت في ذهني هذا الحادث بما يجري عادةً عند ما يرسل الى أحدنا برقية . فهناك محطة مرسلة ترسل النبأ . وهناك أسلاك مركزة على أعمدة تنقل النبأ ، وهناك محطة لاقطة تتلقى النبأ ، هذا هو التلغراف . المحطة المرسلة هنا هي هذا البائس المصدور وأطفاله الخمسة ، والمحطة اللاقطة هي البائس المعلم ، وأما أنا ، وأما صديقي التاجر المعتبر ، وصديقي الصناعي الكبير ، والطبيب المثري الكبير — أولئك المعتذرون جميعاً — فقد كنا أعمدة التلغراف » .

وقال غلواكي كما نشره المقتطف : « ان وقوع هذه الحادثة في أثناء وجودي معك — وأنت أستاذ لفلسفة الطبيعيات — أخطر ببالي فكر المخاطبة التلغرافية بطريقة جديدة .

فالمكتب الرئيسي لهذا التلغراف كان ملجأ اليتامى والمكتب الذي تسلمه كان العامل في مصنع القبعات . فلما أشار الأول مسترعياً الانتباه انتباه الثاني من فوره . وعندما صرّح ذلك بحاجته بادر هذا الى قضائها . أما نحن الباقين فكنا — كلنا — أعمدة التلغراف »

فليعتذر الأستاذ المشنوق ولكن الى غلواكي فالمقتطف متنازل عن حقه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مكتبة المقتطف

ننوه بهذه الآثار الفكرية في هذه المجالة وموعدنا بنقدها قريب

١ * اوديب — تيسيوس : ترجمة طه حسين عن اندريه جيد : ٣١٠ صفحة من القطع الأوسط : دار الكاتب المصري .

٢ * الناطقون بالضاد في امريكا : نشره بالانكليزية معهد الشئون العربية الأمريكية في نيويورك سنة ١٩٤٦ وترجمه وعلق عليه « البدوي الملثم » : ١٠٠ صفحة من القطع الكبير : المطبعة التجارية بالقدس .

٣ * الاقطاع والديوان في العراق : تأليف عبد الرزاق الظاهر : ١٦٨ صفحة من القطع الكبير : مطبعة السعادة بالقاهرة : ١٩٤٦.

٤ * ترجمة الامام احمد بن حنبل ١٦٤ ــ ٢٤١ هـ . نقل عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي (٧٧٣ ــ ٧٤٨ هـ) حققه الأستاذ الثبت احمد محمد شاكر : دار المعارف للطباعة والنشر : ٨٤ صفحة من القطع الكبير : ١٩٤٦ .

٥ * السلام الاجتماعي : تأليف الأستاذ الحر عبد الجيد نافع المحامي : ٢٦٦ صفحة من القطع الكبير ، نشرته دار الفكر العربي ، ١٩٤٦ : وسننشر عنه نقداً في العدد التالي من المقتطف .

٦ * تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : تأليف الأستاذ يوسف كرم المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول : ٢٦٦ صفحة من القطع الكبير : نشرته دار الكاتب المصري : ١٩٤٦

٧ * أؤمن بالانسان : تأليف الأستاذ عبد المنعم خلاف : ٢٥٦ صفحة من القطع الأوسط نشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة : ١٩٤٦ .

٨ * تاريخ مصر في عصر البطالمة : جزآن صفحاتهما ٩٣٠ من القطع الأكبر : تأليف الدكتور ابراهيم نصحى أستاذ مساعد التاريخ القديم بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول : نشرته مكتبة النهضة المصرية ، وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة ١٩٤٦

٩ * مدونة جوستنيان في الفقه الروماني : ترجمها عبد العزيز فهمي باشا : ٤١٠ صفحة من القطع الكبير ، دار الكاتب المصري : ١٩٤٦ ، ويلي متن المدونة نظام للمواريث وضعه جوستنيان ويليهما بعض قواعد وتقريرات فقهية رومانية وبعض تقديرات أخلاقية .

١٠ * نبي الاسلام : The Prophet of Islam تأليف السيد محمد علي ، وهي مكتوبة بالانجليزية واقعة في ٤٦ صحيفة من القطع الصغير ، وقد طبعت أربع طبعات متوالية بين ١٩٢٨ و ١٩٣٨ ، وحبذا لو أقدم أحد ابناء العروبة على ترجمتها الى العربية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الاول

من المجلد العاشر بعد المئة

الحق

القسم الثاني من الحق والقوة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف ٣

الجزء الثاني من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ فبراير سنة ١٩٤٧ ١٩ ربيع أول سنة ١٣٦٦

مدرسة الاسكندرية

برنامج تدريس الطب بها إلى أواسط القرن السابع الميلادي وانتقال حركة العلم إلى أنطاكية

إذا قلنا إنه كان لمدرسة الإسكندرية في العصر القديم برنامج للطب دُرِّس فيها واتخذ وسيلة إلى تخريج الأطباء ، فليس معنى ذلك أن نقول إنَّ هذا البرنامج قد وضع في أول العهد لتأسيس هذه المدرسة . ذلك بأن أساس هذه المدرسة قد تطوّر مع الزمن ، فكانت في أول أمرها مكتبة وضع نواتها بطلميوس الأول (بن لاغوس) ونمَّاها وأوسع من أرجائها وأمدّها بمؤلفات العالم الأغريقي إبنه بطلميوس فيلادلفوس ، ومن حول هذه النواة تخرَّج علماء وفلاسفة ورياضيون وغراماطيقيون وشعراء نابهون ، كانوا البزرة التي فرخت منها تلك المدرسة العظيمة . ومن أعظم الذين نموا هذه البزرة الطيبة رجال ونساء من أشهر من انحدرت إلينا أسماؤهم من العالم القديم . ولنذكر بعضاً منهم على سبيل المثل لا على سبيل الحصر .

(١) اقليدس Euclid الرياضي وهو الذي جمع الحقائق الهندسية التي كانت مشتتة في حلقات الدرس الأغريقية ورتبها على أسلوب نظيم ، فجاء كتابه في مقالات لا تزال الى الآن موضع الاعجاب الجم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن طرائف حياة هذا الرجل العظيم أن بطلميوس فيلادلفوس أراد أن يتعلم الرياضة ، فأخذ يحضر على إقليدس ، ولكنه أنس في هذا العلم من الغموض والإستغلاق ما جعله يسأل أستاذه يوماً : ألا يوجد طريق أسهل لتلقي هذا العلم ، فقال له إقليدس بلا تلعثم : الطريق المهود ليس طريق العلم .

(٢) ارسطارخوس : Aristarchus وهو الذي نقل التعاليم الفيثاغورية الى مدرسة الاسكندرية ، وبخاصة القول بدوران الأرض من حول الشمس ، واشتغل بتعيين بُعد الشمس عن الأرض ، فوقع كذلك على طريقة رياضية كانت موضع الدرس والبحث قرون عديدة .

(٣) إراطوسثانس Eratosthenes وهو رياضي وفلكي ، وهو أول واضع للطريقة المعروفة في كتب الحساب لإيجاد الأعداد الأولية ، وحل المسألة الرياضية المعروفة بتضعيف المكعب ، واخترع الكرة الصناعية التي تمثل دورة الأفلاك ، وعين ميل دائرة البروج على خط الاستواء ، وعين بالتقريب حجم الأرض بواسطة الشمس في بئر بأصوان بصعيد مصر .

(٤) أفولُونيوس Apollonius ولو لم يكتب هذا الرجل غير ما كتب في القطوع المخروطية لكفى بذلك شاهداً على نبوغه وعبقريته . وقد ترجم هذا الكتاب في عصر المأمون . ثم علقت عليه الشروح والحواشي الكثيرة . ومما يتضمنه هذا الكتاب بحوث في الخطوط الأهليلجية والهذلولية أي المخروطية الناقصة والزائدة ، وبعض مسائل في النهايات الكبرى والصغرى ، وكلامه فيما يسمى الآن المنتحيات المنتشرة حتى في مراكز الاتصاق .

(٥) ابَّرْخُوس : Hipparchus وكان من آثاره تقدم علم الهيئة ، إذ عين السنة الشمسية الحقيقية ، وحسب جداول لاختلاف الشمس ، واكتشف الاعتدالين : الربيعي والخريفي ، وطريقة تعيين مواقع البلدان والأماكن بخطوط الطول وخطوط العرض ، وقاس بعد القمر عن الأرض ، وعمل الزيج المشهور للثوابت ، ومنذ ظهور ابَّرْخُوس حتى ظهور المسيح ، لم يظهر في الشرق من عالم إلاَّ وكان من خريجي جامعة الاسكندرية .

(٦) جامينيوس : Gaminius وهو الذي أرَّخ لعلم الفلك .

(٧) سوسيغانس : Sosigenes الذي أصلح حساب الوقت اليوليوسيُّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٨) تيودوروس : Theodorus مؤسس علم الهيئة الكروية .

(٩) بطليموس الفلكي مؤلف كتاب « المجسطي » المعروف عند العرب ، وكان كثير من القدماء يعتقدون أنه إله . وكان كتابه هذا أساس علم الأمة العربية، والأمم الاوربية بعلم الهيئة أربعة عشر قرناً طوالاً . وهو الذي وضع النظام المعروف باسمه أي النظام البطليموسي ، وأول من صنع الخرائط الجغرافية بواسطة الاسقاطات ، وألف في الضوء وتكلم باسهاب عن انكساره ، كما ألف في الموسيقى والميخانيقا وغيرها من الفنون .

(١٠) ديوفانتوس : Diophantus : وهو واضع علم الجبر، وعنه أخذ العرب .

(١١) تاون : Theon ، وكان فلكياً حسب خسوفاً للقمر في سنة ٣٦٥ ق. م. ولكن لم تعرف الطريقة التي اتبعها في ذلك ، وكان من شرّاح مقالات اقليدس والمجسطي بطريقة بذّ بها غيره من الشرّاح والمعلقين .

(١٢) هيپاشيا : Hypatia وهي أشهر النساء اللواتي يذكرهن التاريخ القديم، نبغت في الرياضيات والفلسفة ، وقد درّست في مدرسة الاسكندرية ، تخلبت ببلاغتها السامعين . ولها مؤلفات كثيرة منها كتاب في علم الهيئة ، وشرح على كتاب ديوفانتوس، وآخر على كتاب ابولّونيوس في القطوع المخروطية .

هذا ولم نذكر سلسلة طويلة من الغراماطيقيين والفلاسفة أمثال كلّياخوس وسجسياس وطائفة من نوابغ مدينة « قورينة » هبطوا الاسكندرية وتعلموا وعلموا بها . ولا يفوتنا أن نقول في ختام هذا التمهيد إن جالينوس أبا الطب قد درس في أثينا أولاً ثم في الاسكندرية من بعد ذلك ، ثم ذهب الى فرغامون، ثم الى رومية ، ومات سنة ٢٠٠ بعد الميلاد .

إذن نعرف من هذا أن الاسكندرية قد شهدت في مدى قرون عديدة سلسلة من العظماء في مختلف الفنون والعلوم أسسوا بها عظمة مدرستها الخالدة .

وقد يتضح لنا من بحث كتب الطبقات ان مدرسة الاسكندرية قد بلغت من النظام مبلغ الجامعات الحديثة ، سواء أمن ناحية وضع برامج الدرس العلمي والفلسفي ، أم من ناحية أسلوب البحث والدرس الأكاديمي الصحيح . فقد قام نظام الدرس في تلك الجامعة الفذة على أساس التعاون الكامل في التقصي العلمي بين جماعة من الاساتذة المبرزين تدمُّرا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسلوب البحث العقلي ، وطلبة يعاونونهم على الاستمهاق فيه . ولا ريبة في أن هـذه الروح العلمية هي وراثة عن مدارس أثينا القديمة نقلها الأفارقة إلى عاصمة الدنيا الجديدة في العالم الإيليني Hellenic منذ بداءة عصر الاسكندر المقدوني .

قال أبو الحسن علي بن رضوان في كتاب « المنافع » في كيفية تعليم صناعة الطب :

« وانما اقتصر الاسكندرانيون على الكتب الستة عشر من سائر كتب جالينوس ، في التعليم ليكون المشتغل بها إن كانت له قريحة جيدة وهمة حسنة وحرص على التعليم ، فانه إذا نظر في هذه الكتب اشتاقت نفسه بما يرى فيها من عجيب حكمة جالينوس في الطب الى أن ينظر في باقي ما يجده منها . وكان ترتيبهم لهذه الكتب في سبع مراتب » [1] .

***

ولم أقف في خلال بحوثي على برنامج كامل درس في عصر بعينه من عصور مدرسة الاسكندرية . غير أن برنامج صناعة الطب في هـذه المدرسة يدلنا دلالة واضحة على ما بلغ نظام الدرس فيها من الرتابة والكمال وتنظيم المعلومات وتسلسل التلقي في درجات تسلم كل درجة منها الى الدرجة التي تليها . وقد نقول قياساً على هذا إن شأنهم في درس بقية العلوم لم تكن تنزل عن صناعة الطب نظاماً ورتابة ، فالفلسفة والرياضيات والآداب والميخانيقا ، من العلوم التي ازدهرت في مدرسة الاسكندرية ونشرت في جوانب العالم القديم نور المعرفة الصحيحة . بل اني لا أبالغ إذا قلت إن الفلسفة والرياضيات على الأخص علمان قد نشآ في أثينا، ونظما وازدهرا في الاسكندرية . وما بقية المدارس التي نشأت في حوض البحر المتوسط غير فروع وشعب نشأت من الدوحتين العظيمتين : أثينا أولاً ، والاسكندرية ثانياً .

ولا يسعني أن أدلك على صحة ما أذهب اليه الآن بشرح برنامج صناعة الطب في الاسكندرية ، لتعلم قياساً عليه ، انه كان لكل من العلوم الأخرى برامج مشابهة له ، وان حرية البحث كانت رائد الأساتذة وطلبة المتعلمين معاً ، وبرهاننا على ذلك حياة الفيلسوفة العظيمة هوباشيا ابنة ثاوُن الاسكندري ، وقد قتلت في الاسكندرية في ثورة من ثورات الدهماء في عهد انتشار النصرانية .

(١) طبقات الاطباء ص ١٠٥ ج ١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسس صناعة الطب في الاسكندرية الحكيم جالينوس، ولو لم يكن من أبنائها . هبط جالينوس الاسكندرية ، وظلّ بها زماناً لا ندري على التحقيق مداه . ولكن رجال المدرسة اتخذوا مؤلفاته أساساً لدرس صناعة الطب فهو أبو الطب في هذه المدرسة ، حيث كانت مؤلفاته أساس التعليم بها ، فقد أختيرت ستة عشر مقالة من مقالاته في هذه الصناعة قام عليها برنامج الدراسة، وقسم البرنامج سبع مراحل يدرس في كل مرتبة منها كتبٌ معلومة من كتب جالينوس المختارة [1] ولا شك عندي في أن العرب نهلوا صناعة الطب عن الاسكندرية ، فقد كانت في العصر القديم مستقر هذه الصناعة ومنبعها الأول ومستقاها الخصب .

المرتبة الاولى

هي المدخل الى صناعة الطب . ومن يدرسها يمكنه أن يتعاطى أعمال الطب الجزئية ، ومنها يتدرج من يريد التوسع الى المراتب التي تليها ، فاذا اقتصر عليها ، لم تخف عليه منافع علاج الأمراض . ويدرس في هذه المرتبة أربعة كتب :

(١) كتاب الفِرَق : وهو مقالة واحدة ، ويستفاد منه قوانين العلاج على رأي أصحاب التجربة ، وعلى رأي أصحاب القياس . « إذ كان بالتجربة والقياس ، يستخرج الناس جميع ما في الصنائع . وما اتفقا عليه هو الحق ، وما اختلفا فيه نُظِرَ ، فان كان طريقه القياس عمل على قوانين القياس فيه ، وان كان طريقه التجربة ، عمل على قوانين التجربة فيه »

(٢) كتاب الصناعة الصغيرة : يستفاد منها جملة صناعة الطب كلها نظريًّا وعمليًّا .

(٣) كتاب النبض الصغير : وهو مقالة واحدة ، يستفاد منه جميع ما يحتاج اليه المتعلم من الاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في الأمراض .

الكتاب المسمى باغلُوقَن : وهو مقالتان ، يستفاد منه كيفية التأني في شفاء الأمراض ، ولأن من يتعاطى الأعمال الجزئية من الطب ، يضطر إلى معرفة قوى ما يحتاج إليه من الأغذية والأدوية ، والى أن يباشر بنفسه أعمال اليد من صناعة الطب ، ولزمه أن

(١) اعتمدنا في شرح هذا البرنامج على كتاب طبقات الاطباء ج ١ ص١٠٦ الى ١٠٩ وربما استعملنا الفاظه وعباراته بنصها في بعض المواضع ، مع تحوير في الوضع يجعل المقصود أبين وأجلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ينظر فيما تدعو إليه الحاجة من الكتب التي سماها جالينوس في آخر الصناعة الصغيرة ، أو يتعلم ما يحتاج إليه من ذلك تلقيناً ومشاهدة .

ويستدل من هذا على أن هذه المرتبة تتناول قوانين العلاج والصناعة نظرياً وعملياً والاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في الامراض والتشخيص والتمريض والاقرباذين العملي إلى تركيب الأدوية والعقاقير . والكتب التي تدرس في هذه المرحلة « مقنعة للمتعلم في تعليم صناعة الطب . فأما الكامل ، فإنه يتذكر بها جميع ما فهمه من الصناعة » .

المرتبة الثانية

تدرس في أربع كتب :

(١) كتاب الأسطقسات : مقالة واحدة ، ويبحث في أن بدن الانسان وما يحتاج إليه سريع التغير قابل للاستحالة . وهذه الأسطقسات ضروب : منها أسطقسات البدن القريبة منه ، وهي الأعضاء المتشابهة الاجزاء ، كالعظام والأعصاب والشرايين والعروق والأغشية واللحم والشحم وغير ذلك . وهذه الأعضاء تتألف من أسطقسات هي الأخلاط الأربعة : الدم والصفراء والسوداء والبلغم . وهذه الأخلاط تتألف من أسطقسات هي النار والهواء والماء والأرض . ومبدأ التكوين من هذه الأربعة ، والانحلال يقع عليها ، أو يصير إليها . وهذه الأسطقسات قابلة للتغير والاستحالة .

« وهذا الكتاب هو أول كتاب يصلح أن يبدأ به من أراد استكمال تعليم صناعة الطب » .

(٢) كتاب المزاج : ثلاث مقالات ، يدرس أصناف الأمزجة ، وما يتقدم به كل واحد منها وبما قد يستدل عليه إذا حدث .

(٣) كتاب القوى الطبيعية : ثلاث مقالات ، يدرس أصناف القوى التي تدبر البدن وأسبابها ، والعلامات التي يستدل بها عليها .

(٤) كتاب التشريح الصغير : خمس مقالات . وكان جالينوس قد وضعها متفرقة ، ولكن أهل مدرسة الاسكندرية جمعوها وجعلوها كتاباً واحداً . ويستفاد منه معرفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أعضاء البدن المتشابهة وعددها وجميع ما يحتاج إليه فيها ، ويتضمن فيما يتضمنه درس منافع الأعضاء .

المرتبة الثالثة

تدرس في كتاب واحد ، يتضمن ست مقالات كتبها جالينوس متفرقة ، وجمعها الاسكندريون في كتاب واحد ، ويدرس فيها علم معرفة الأمراض وأسبابها والأعراض الحادثة عن الأمراض . « وهذا باب عظيم الغناء في صناعة الطب على رأي أصحاب القياس » .

المرتبة الرابعة

تدرس في كتابين :

(١) كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة : ست مقالات ، يدرس فيها تعريف كل علة من العلل التي تحدث في الأعضاء الباطنة . « فان هذه الأعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لأنها خفية عن الحس ، فيحتاج الى ان يستدل عليها بعلامات تقوّم كل واحد منها ، فاذا ظهرت العلامات المقومة تيقن أن في العضو الفلاني علة كذا » .

(٢) كتاب النبض الكبير : أربعة أجزاء كل جزء أربع مقالات .

الجزء الأول : يستفاد منه : أصناف النبض وجزئيات كل صنف منها .

الجزء الثاني : يستفاد منه : تعريف إدراك كل واحد من أصناف النبض .

الجزء الثالث : يستفاد منه : تعريف أسباب النبض .

الجزء الرابع : يستفاد منه : تعريف منافع أصناف النبض .

« وهذا باب عظيم النفع في الاستدلال على الأمراض ومعرفة قواها ونسبتها الى البدن »

المرتبة الخامسة

تدرس في ثلاث كتب :

(١) كتاب الحُمَّيات : مقالتان ، يدرس فيه طبائع أصناف الحميات

(٢) كتاب البُحران : ثلاث مقالات ، يدرس فيها معرفة أوقات المرض ، ليعطى في كل وقت منها ما يوافق فيه ، ومعرفة ما يؤول إليه الحال في كل واحد من الأمراض ، هل يؤول أمره إلى السلامة منه ، وكيف يكون ، وبماذا يكون ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٣) كتاب أيام البُحران : ثلاث مقالات ، يدرس فيها معرفة أوقات البُحران ومعرفة الأيام التي يكون فيها ، وأسباب ذلك وعلاماته .

المرتبة السادسة

كتاب واحد ، هو كتاب حيلة البُرْء : أربع عشرة مقالة ، يدرس فيه قوانين العلاج على رأي أصحاب القياس في كل واحد من الأمراض . وهذا الكتاب إذا نظر فيه الانسان اضطره الى النظر في كتاب الأدوية المفردة ، وفي كتب جالينوس في الأدوية المركبة ، أعني « قاطا جانس » و « الميامر » وكتاب « المعجونات » ، ونحو هذه الكتب .

المرتبة السابعة

كتاب واحد : في تدبير الأصحّاء : ست مقالات يدرس فيها صحة كل واحد من الأبدان .

* * *

مما يدلنا دلالة قاطعة على أن علماء الطب بالاسكندرية قد أدركوا أسلوب البحث الأكاديمي ادراكاً كاملاً ، وانهم تشرّبوا الروح الجامعية في البحوث العلمية ، أقوال ننقلها عن القدماء ، وكلها تدل على ان هؤلاء العلماء قد بلغوا من الأسلوب العلمي أرقى مبالغه في عصرهم :

قال ابن أبي أصيبعة في كتاب طبقات الاطباء .

« وهذا الكتاب (أي كتاب تدبير الاصحاء الذي يكون في المرتبة السابعة من مراتب دراسة الطب في الاسكندرية) إذا نظر فيه الانسان ، اضطره إلى أن ينظر في كتاب الأغذية في كتابه في جودة الكيموس ورداءته ، وفي كتابه في التدبير الملطِّف وفي شرائط الرياضة » . . . . .

وفي هذا برهان كامل على أن هؤلاء العلماء قد أقاموا برنامج الدراسة على أساس تركيبي نظيم بحيث يحرك درس كتاب الى الآخر ، فاذا تدرّجت من واحد الى ما بعده وما يترتب عليه ، انتهيت الى حيث انتهى جالينوس .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على أن الذين نقلوا الطب عن الاسكندرية من العرب ، قد وجهوا الى تدرج الدرس في هذه الصناعة على الصورة التي أسلفناها ، نقوداً قيمة رشيدة ، وعقبوا على الاسكندريين بآراء في درس الطب لا ينقصها المنطق ولا تعوزها رجاحة النظر .

قال أبو الفرج بن هندو : في « كتاب مفتاح الطب » ما يلي :

« هذه هي الكتب التي اتخذها الاسكندرانيون من كتب جالينوس ، وعملوا لها الجوامع ، وزعموا أنها تغني عن متون كتب جالينوس ، وتكفي كلفة ما فيها من التوابع والفصول » .

وقال أبو الخير الخمّار ، وهو أستاذ أبو الفرج بن هندو :

« أنا أظن أنهم قد قصّروا فيما جمعوه من ذلك لأنهم يعوزهم الكلام في الأغذية والأهوية والأدوية ، قال — « والترتيب أيضاً قصّروا فيه ، لأن جالينوس بدأ من التشريح ثم صار الى القوى والأفعال ، ثم إلى الاسطقسات » .

وقال أبو الفرج بن هندو معقباً على جميع ذلك بنقد هو غاية في الجودة وادراك الحقائق من علوم تلك الصناعة .

« أنا أرى أن الاسكندرانيين إنما اقتصروا على الكتب الستة عشر ، لا من حيث هي كافية في الطب ، وحاوية للغرض ، بل من حيث افتقرت الى المعلم ، واحتاجت الى المفسّر . ولا يمكن أن يقف المتعلم على أسرارها ، والمعاني الغامضة فيها ، من غير مذاكرة ومصارحة ، ومن دون مراجعة ومفاوضة . فأما الكتب الذى ذكرها الاستاذ أبو الخير بن الخمّار ، فالطبيب مضطر الى معرفتها وإضافتها الى الكتب التي عددناها . غير انه يمكنه من نفسه الوقوف على معانيها ، واستنباط الأغراض فيها ، بالقوة المستفادة من الستة عشر التي هي القوانين لما سواها ، والمراقي إلى ما عداها . فإن قُلْتَ : فما حجة الاسكندرانيين في ترتيبهم هذه الكتب ، قلنا إنهم رتبوا بعضها بحسب استحقاقه في نفسه بمنزلة كتاب « الفِرَق » فإنه وجب تقديمه لتنتفي به نفس المتعلم من شكوك أصحاب التجربة والمحتالين ومغالطاتهم ، ويتحقق رأي أصحاب القياس فيقتدي بهم وبمنزلة الصناعة الصغيرة . فانه لما كانت فيها شرارة من صناعة الطب ، كان الاولى أن يتبع بها كتاب « الفِرَق » ويجعل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مدخلاً الى الطب ، ورتبوا بعضها بحسب ما توجيه إضافته الى غيره بمنزلة الكتاب الصغير في النبض ، فانه جعل تابعاً للصناعة الصغيرة ، لأن جالينوس ذكر فيها النبض عند ذكره لمزاج القلب ، ووجب أيضاً تقديمه على كتاب جالينوس الى أغلوقن ، لانه تكلم في هذا الكتاب في الحميات . والنبض هو أول شيء يعرف منه أمر الحميات . على أن الترتيب الذي ذكر الأستاذ أبو الخير ، إن جالينوس أساء إليه ، هو لعمري الترتيب الصناعي . وذلك إنه يجب على كل ذي صناعة أن يتدرج في تعليمها من الأظهر الى الأخفى ، ومن الأخير إلى المبدأ . والتشريح هو علم البدن وأعضائه . وهذه هي أول ما يظهر لنا في الانسان ، وإن كانت آخر ما تفعله الطبيعة . فان الطبيعة تأخذ أولاً الاسطقسات [1]، ثم تمزجها فيحصل منها الأخلاط ، ثم تفعل القوى والأعضاء » .

« فيجب ان يكون طريقنا الى التعليم بالعكس من طريق الطبيعة في التكوين . ولكنا ندع هذا الاضطرار ، ونرضي ترتيب الاسكندرانيين ، لأن العلم حاصل على كل حال ، وخرق اجماع الحكماء معدود من الخرق » . اه .

ونحن نقول من ناحيتنا إن قدماءنا لو لم يخضعوا لهذه القاعدة ، قاعدة أن «خرق اجماع الحكماء معدودٌ من الخُرق» لبلغوا من العلم مبالغ عليا . ذلك بأن خرق اجماع الحكماء كان في جميع الأزمان وفي كل الملابسات ، السبيل الى العلم والى المعرفة .

قال ابن أبي أصيبعة ص ١٠٩ ج ١ :

« للاسكندرانيين جوامع كثيرة في العلوم الحكمية والطب ولا سيما لكتب جالينوس وشروحاتها لكتب أبقراط » . وذكر من أولئك الذين نبغوا في الاسكندرية : شمعون الراهب المعروف بطيبويه . أهرون صاحب الكناش ، ألف كناشة بالسريانية ، ونقله ماسرجيس الى العربي ، وهو ثلاثون مقالة ، وزاد عليها ماسرجيس مقالتين . يوحنا ابن سرابيون ، وجميع ما ألف سرياني ، وكان والده سرابيون طبيباً من أهل باجرمي ، وخرج ولداه طبيبين فاضلين ، وهما يوحنا وداود ؟ وليوحنا بن سرابيون من الكتب كناشه

(١) اذا قرنا ما عناه الاقدمون بالاسطقسات بالخلايا والاعضاء في الطب الحديث ، بان لنا طرف من حقائق الطب عند الاسلاف.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصغير ، اثنتا عشرة مقالة ، وكناشه الصغير ، وهو المشهور : سبع مقالات . ونقله الحديثي الكاتب لأبي الحسن بن نفيس المتطبب في سنة ثمانية عشرة وثلاثمائة ، وهو أحسن عبارة من نقل الحسن بن البهلول الأواني الطبرهاني، ونقله أيضاً أبوالبشر متّى ، ومنهم :

أنطيلس ، برطلاومس ، سندهشار، القهلمان ، أبو جريج الراهب ، أوراس ، بونيوس البيروتي ، سيورخنا ، فلاغوسوس .

ومن هذه الأسماء ما هو اغريقي ، وفيها ما هو سرياني .

ثم عيسى بن قسطنطين ، ويكنى أبا موسى ، « من جملة أفاضل الأطباء » . وله من الكتب كتاب الأدوية المفردة ، وكتاب البواسير وعللها وعلاجها .

ومنهم أرس ، وسرجيس الراس عيني ، وهو أول من نقل كتب اليونانيين على ما قيل الى السريانية ، « وكان فاضلاً وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة » .

ومنهم أطنوس الآمدي صاحب الكناش المعروف « بفقوقويا » . وغريغريوس صاحب الكناش ، قال ابن أبي أصيبعة — « وأكثر كتب هؤلاء موجودة ، وقد نقل الرازي كثيراً من كلامهم من كناشه الكبير الجامع المعروف بالحاوي » .

جاء في كتاب طبقات الأطباء : مترجماً لطبيب عربي من كنانة :

« عبد الملك بن أبجر الكناني : كان طبيباً عالماً ماهراً وكان في أول أمره من الاسكندرية . لأنه كان المتولي التدريس فيها من بعد الاسكندرانيين[1] الذين تقدم ذكرهم . ذلك عند ما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى . ثم أن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الاسكندرية أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز ، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة وصحبه ، فلما أفضت الخلافة إلى عمر في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، نقل التدريس الى إنطاكية وحران وتفرق في البلاد » .

وغالب الظن أنه منذ ذلك الوقت أخذ نجم مدرسة الاسكندرية يأفل ، وذلك في أواخر القرن السابع الميلادي كما أفل نجم مدارس أثينا عند ما أغلقها في القرن السادس الميلادي الامبراطور يوستنيانوس البوزنطي .

اسمعيل مظهر

---

١) يعني الاغارقة والسريان .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عانس

وقفت تطالع في كتا ب الكون أسرار الوجود
وتدير مقلة وامق في صفحة الأفق البعيد
وعلى محيّاها الذهول ولوعة الأسف الشديد
يا ليت شعري ما يجنُّ الصدر من وجد جديد ؟
بحرٌ من اللذات يعصف عاتياً ملء الكبود
والشهوة الحمراء في الشفتين تبرق عن وعيد
في كل ربع وقفة الـ ـثكلى لها عند اللحود
والذكريات بصدرها نار تلظت بالوقود
... فلقد شجاها أن شمس العمر تجنح للركود
وطلائع الشيب الذميم تنم عن خطب أكيد
يا خيبة الحلم السعيد وضلة الرأي الرشيد
ولّى الشباب ونفسها لم ترو من كأس الوعود

* * *

قامت تجمجم من أسى أحشاء ذي شجن عميد
وخلال أضلعها سجين ناء من عبء القيود
يهتز من مضض الجوى أسفاً لهاتيك العهود
وتثيره ذكرى الشباب وضاحك العمر الرغيد
فتخاله ناقوس ديرٍ راح يقصف يوم عيد
يا خيبة الحلم السعيد وضلة الرأي الرشيد
ولّى الشباب ونفسها لم ترو من كأس الوعود

دمشق
عدنان مردم بك

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاطفال

عشراء الوحوش [1]

قرأت نبأ ذلك الغزال الآدمي فعادت بي الذاكرة إلى أكثر من نصف قرن حين كنت طالباً صغيراً بمدرسة الامريكان بحي الأزبكية بالقاهرة حيث منحت وقتئذٍ جائزة هي كتاب (قلادة النحر في غرائب البر والبحر) وذلك لفوزي على الأقران في الدراسة في ذلك الزمان.

ومما أذكره حتى الآن وقد فقدت هذا السفر النفيس وأصفاه منذ جيل أنه من مطبوعات بيروت. وما برحت أذكر كذلك البحث الذي تضمنه بشأن عشراء الوحوش في القرن الماضي. ودار الزمن دورته فوقع نظري ذات يوم على كتاب مدرسي كان يدرسه نجلي الأصغر إذ كان طالباً بمدرسة حكومية — بالقسم الثانوي، وأعني به (الجزء الأول من كتاب المطالعة للمدارس الثانوية، المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٣٠ فتصفحته فعثرت فيه على النبذة التالية في الموضوع نفسه: —



صورة الغزال الآدمي

على أن لبعض الذئاب ببلاد الهند فضيلة لا يحسن أن نسكت عنها، فقد ثبت أن بعض صيادي الهند عثروا في أثناء صيدهم على ذئاب تتبعها أطفال من بني الانسان كما يتبع الأليف أليفه، والولد أمه وأباه، ولكنهم يمشون على أربع ويلجئون معهم الى الكهوف والمغارات وإذا حزبهم الامر وأحاط

(١) بمناسبة ما روته الصحف بشأن الغزال الآدمي، رأيت أن أشرح هذا الموضوع فيما يلي: —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بهم الصائدون عووا كما تعوى الذئاب ، ينفرون من الانسان متى وجدوه ، ويستأنسون الذئب إذا سمعوه . وفي ذلك المعنى قال الشاعر : —

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت إنسان فكدت أطير

فقد هؤلاء الاطفال أهلهم بنكبة من نكبات الهند فحنّت عليهم الذئاب وعطفت عليهم عطفها على أجرائها حتى صاروا لا يعرفون سواها ، واعتادوا المعيشة معها وفقدوا كثيراً من مميزات الانسانية والمدنية . تمّ بحروفه .

وإليك ما جاء في المراجع الانكليزية : —

إن أحدث الحوادث التي من هذا القبيل حكاية الولدين الهنديين المتوحشين وهما آمالا وكملا اللذان وجدهما الروّاد سنة ١٩٢١ عائشين مع الذئاب في كهف من كهوف تلك البلاد . ثم قصة « لوكاس » وهو صبي من أهالي جنوب أفريقية ، ربّته القرود وعاش معها حتى أتيح إنقاذه من وسطها ، ذلك أنه وجد حوالي سنة ١٩٠٣ وهو يناهز الرابعة عشرة من عمره ، فصارت حادثته أولى الحوادث الحقيقية للاطفال الذين تبنتهم الحيوانات الثديية وربتهم .

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أن صحف جنوب أفريقية وأوروبا وأمريكا ، ظلت أكثر من عشر سنوات تروي لقرائها من حين الى آخر . روايات رائعة على ذلك الغلام العجيب . وكان أول حديث بشأنه ، الخبر الذي أرسل من مدينة يوهانسبرج إلى أمريكا ، عن طريق شركة التيمز النيويوركية ، فأذاعته على قرائها في عددها الذي صدر يوم الأحد ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧ . وإليك ما جاء فيه برمته : —

« كان جنديان من الفرسان القدماء في بوليس مدينة الكاب ، يرتادان أحد مجاهل الأصقاع النائية في الجنوب الشرقي من مدينة الكاب ، فصادفتهما شرذمة من القرود ، يلعب بعضها مع بعض ، في حوض كانت أرضه قد مهدت وأعدّت للزراعة ، وكانت القرود تعبث فيها فساداً كأنها أطفال تلهو وتمرح ، فلم يرق عبثها أحد ذينك الفارسين . فما لبث أن طاردها وأطلق عليها عياراً نارياً من غدّارته . فولت الأدبار على الفور ، بيد أن مطاردها لحا قرداً منها ، وقد تخلف عن قافلته من فرط إعيائه ، على حين كان زملاؤه يجدون في الهرب تخيل للفارسين أول وهلة أن ذلك القرد قد أصابه الطلق الناري فجرح فسارعا إليه ليقبضا عليه ، فدهشا دهشاً عظيماً إذ تبينا أنه صبي وطني لا قرد وحشي لا ينقصه شيء إلاّ موهبة الكلام كما يفهمها بنو البشر ، إذ كان يُهمْهم [1] كالنسناس ، كلما دنا منه الفارسان ليأسراه ،

---

(١) الهمهمة ترديد الصوت في الصدر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم يقفز حولها على الأربع ، حتى تغلبا عليه . وما إن وقع في أسرهما ، حتى سُقِط في أيديهما ، إذ لم يدركا ما ينبغي عمله نحوه .

فعمدا إلى الكفور القريبة منهما قصد الاستعلام عن أهله فأخفقا إذ عرضاه على أبناء وطنه جميعاً فلم يعرفه أحد منهم ، ومن ثمة نقلاه الى معهد من معاهد الأمراض العقلية حيث أقام زهاء سنة ، لم تبدر منه في خلالها أية بادرة تنم على ميله إلى الرذيلة ، مع إنه كان عربيداً مشغوفاً بالمراوغة ، وهما من الصفات التي اكتسبها من معاشرته للقرود . ولم يكن في وسعه أن ينبس ببنت شفة . وكان يقدم له ألذ أغذية المستشفى فلم يستطيبها ، بل كان يؤثر عليها الذرة الخضراء والتين الشوكي ، فيتناول منهما ثلاث وجبات يومياً . وما برح حتى كتابة هذه السطور في أواخر سنة ١٩٢٧ ملازماً عادته القديمة في غذائه ولا سيما شراهته في أكل التين الشوكي ، فقد شوهد في جلسة واحدة يلتهم ٨٩ تينة منه .

ومع حقيقة أنه كان يبدو عليه شدة الميل إلى السير على الاربع ، بدلاً من الوقوف على ساقيه والاعتماد عليهما وحدهما في المشي ، فقد استبدل المشرفون على ادارة المستشفى العقلي ، إنه لا يصلح للاقامة فيه ، لأن كل ما كان يفتقر إليه هو التدريب فحسب . وحينئذ سمع أحد أرباب الأطيان ، من أخيه الموظف بذلك المستشفى قصة الغلام العجيب . فعرض على ولاة الامور ، أن يتسلمه ويجعله في كنفه ، فلبوا طلبه وسلموه إياه . وكان جسم لوكاس حينئذ مشوهاً بآثار جروح يخيل لناظرها أنها نتيجة عضات أليمة ، لم يعرف لها سبب . غير أنه لما تعلم الكلام فيما بعد ، أخبر سيده صاحب الضيعة أن الندبة [1] الكبرى الباقية في قمة رأسه كانت نتيجة رفسة نعامة .

وظلت نزعاته القردية مبعثاً لاستياء المحيطين به ردحاً من الدهر ، وكان أحب شيء اليه مناوأة القطاط التي تعيش في الضيعة . بيد أنه كان من بدء أمره يلزم الأدب والطاعة مع الناس ، والحب للاطفال ، فأصبحوا يعولون عليه كحاضن لهم . وناهيك به حاضناً

أما في الآونة الحالية فقد أصبح لوكاس بلا شك أنفع خادم في المزرعة المشار اليها ، ولا غرو فهو لا يكترث للوقت ، ولا يعوقه الفجر أو المساء عن الاضطلاع بأعباء أعماله . ولذلك يعهد اليه دائماً في أداء أي عمل في أي وقت ، فيلبي الأمر ، ويثابر على المطلوب منه القيام به مثابرة خليقة بالاعجاب ، جديرة بالثقة المعهودة فيه ، فيفوق أي عامل من العمال

(١) الندبة ـ أثر الجرح الباقي على الجلد والجمع ندب وأنداب وندوب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوطنيين الذين في دائرة اقليمه . وأضحى في وسعه التكلم باللغة الانكليزية كلاماً جيداً إلى حدٍّ ما . ولكنه لا يفهم شيئاً من لغات بني جلدته ، مع أن أعماله تجعله مرتبطاً ببني وطنه ارتباطاً دائماً . وفي هذا الصدد كتب المستر ميكبيس المحرر بجريدة ستار ، التي تصدر في مدينة يوهانسبرج التقرير الآتي نصه بشأن هذا الصبي الغريب ، ثم بعث بما كتبه الى الدكتور دارث عميد جامعة Witwatersrand (وصحة نطق هذا الاسم هي ڤيتڤاترزرانت ، في جنوب أفريقية. واليك فحواه فيما يلي : —

إن القصة التي قصها عليَّ المستر جورج هـ . سميث ، صاحب مزرعة (ثورنهيل) ، وهي مقر لوكاس منذ ٢٨ سنة كانت آخرها سنة ١٩٣١ مطابقة كل المطابقة لما روته عليه الصحف الأمريكية .

وتحرير الخبر أنه في سنة ١٩٣١ صار لوكاس يناهز الأربعين من عمره وأن سيده يعترف بحسن سلوكه ، وجده في عمله وأنه خير معوان له . وهذا الى جانب طاعته التامة ، وذكائه المفرط ، مع العلم بأن ذلك الذكاء لم يظهر عليه إلاّ من بلوغه الثانية عشرة من العمر ، ثم سرد المستر سميث تاريخ حياة لوكاس فقال : —

قضى لوكاس طفولته بين القرود ، وهذا امر نحن على يقين منه ، ليس بالأدلة التي تحويها هذه القصة وحدها ، بل بالمشاهدات التي شاهدتها بنفسي فيه ، والتي عرفها غيري في خلال الحقبة المديدة التي قضاها لوكاس في ضيعتي . ودليلنا على صدق أقوالنا ، الصورة الجانبية لوجهه ومراوغته، وطول ذراعيه، ونمو ردفيه نمواً شاذاً ، وتنكيس رأسه ، واهتزازه دائماً ، والخدوش التي في أعضاء جسمه وسبابته ، ثم الذعر الغريب الذي يعتريه ، وتكشيره عن أنيابه ، وهذه صفات كلها براهين دامغة تثبت يقيناً أنه كان في حداثته معاشراً للقرود . ثم أن وجهه لا يشبهه في القرود لأنه ولد ميلاداً طبيعياً لا غبار عليه . وإنما عاداته التي اقتبسها من معاشرته للقرود هي التي جعلته يختلف اختلافاً بيناً عن بني جنسه . وتكلم المستر سميث في مسألة أصل لوكاس ، فنقل القصة الشائعة الخاصة به موقناً بصدقها فذكر مضمونها وهو أن لوكاس حينما كان طفلاً صغيراً تركته أمه نائماً ذات يوم وقصدت الى أحد الحقول لتعزق أرض الذرة . ولما أتمت عملها هناك ، عادت إلى كوخها فلم تجد طفلها ، فاعتقدت حينئذٍ أن القرود قد سرقته ، وشرح المستر سميث كيف تمكن من ترويض لوكاس قائلاً : —

لقد قضيت أشهراً دون استطاعتي إصلاح حاله ، إذ كان همجياً ميالاً للأذى فوجدت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نفسي مضطراً إلى ضربه بالسوط ولا سيما عند تحذيره من العادات الحيوانية القذرة ومنعه من ارتكابه إياها في الدار وحولها . وكانت هاتيك العادات تشبهها في القطة ، ومنها بغضه للماء وإحجامه عن الاغتسال به ، وما كان في وسعي التفاهم معه لأنه لم يكن يعرف أية لغة بشرية، فجعلت ألقنه بضع كلمات إنكليزية فلم تلبث ذاكرته وذكاؤه أن تنبها فطرأ عليهما انقلاب عظيم . وبلغ من حسن استعداده للتعلم أن أخذ بعد مضي سنوات ، يسرد لي كيف كان يشترك مع القرود وهو عشيرها ، في سرقة بيض النعام من أداحيه [1] فرفسته نعامة هندية منها فجرحته جرحاً دامياً في رأسه وهو الجرح الذي ما زال أثره باقياً فيه الى اليوم .

***

ولم يكن ذلك الفتى يعرف أي لسان من لغات بلاده ، وانما كانت معلوماته جميعها محصورة فيما تلقاه عني من الكلمات الانكليزية القليلة طيلة إقامته في كنفي » .

أما لوكاس فقد بسط تاريخ حياته كما هو مثبت في السطور الآتية : —

« أصرّح أنا لوكاس الصبي القردي المستخدم لدى المستر ج . سميث صاحب ضيعة نورنهيل بدائرة باذرست (بمركز الكاب) بأني غدوت أستطيع ذكر بعض حوادث مما وقعت لي طوال معاشرتي للقرود ، حيث كان غذائي يؤلف غالباً من الصراصير وبيض النعام ، والتين الشوكي والذرة الخضراء وعسل النحل البري . وقد رفستني في رأسي نعامة بينما كنت أهجم على أدحيها وكثيراً ما لسعني النحل عندما كنت أسطو على خلاياه . وقد تسلقت مرة صخرة شاهقة وعرة منقباً عن اي شيء أتغذى به ، فزلت ساقي اليسرى فهويت الى الحضيض ، فكسرت تلك الساق . ولبثت طيلة معاشرتي للقرود أسير على الأربع وأنام في الأدغال عاري الجسم كل العري . وكنت ذات يوم أبحث عن القوت مع زملائي القرود فأطلق علينا فارسان ، عيارات نارية من مسدساتهم ، فحاولت الهرب بكل ما في طاقتي ، ففشلت ، فقبضا عليّ ، ثم حملني أحدهما على جواده . ويؤسفني الآن أني أجهل المكان أو المركز الذي وجدني فيه ذلك الفارس » . X التوقيع هكذا وهو يقوم مقام لوكاس .

عوض جندي

برلمان الطبيعة

لقد رشّحت يا أفقُ السحابا ... وقد أجْرَتْ رياحك الانتخابا
فأحجم فاقدُ العبرات عنه ... وأقدمَ مَن له دمعٌ فنابا
فأصبحنا نشاهد « برلماناً » ... يردّ الشمس لابسةً نقابا
وينظر للبسيطة وهي ظمأى ... فيسقيها مدامعه العذابا
ولولا أن أدمعه عِذابٌ ... لكانت عيشة الدنيا عَذابا
فألق بنظرتيك عليه تعجبْ ... له ، وكفى به عجباً عجابا
أرائكُ من رياح الله تحنو ... على النواب ، حاسبةً حسابا
ودارٌ قد بناها الله سقفاً ... ولم يجعل لها جدُراً وبابا
ونوابٌ شحاحٌ في رضاهم ... كرامٌ إن همُ انقلبوا غضابا
تحاماهم مشيبهمو فشبنا ... وظلوا في معاليهم شبابا
ويا عجباً أراهم ، مع صباهم ... ورفعة قدرهم ، لبسوا اكتئابا
هل اقتربوا فملوا القرب منا ... أم اغتربوا فملوا الاغترابا ؟
تعالى الله ، هذا برلمانٌ ... أطاب لنا معيشتنا ، وطابا
رسالةُ غيره كلمٌ ، ولكن ... رسالته يؤديها « انتحاباً »

شاعر البادية

الصراع
في العالم العربي

يقولون : إنّ العالم العربي قد جنى عليه موقعه الجغرافي شرّ جناية . فلو لم تكن بقاعه مفترق طرق ، لما وطئته قدم أجنبية، وعاش بمنجاة من الحرب والفتح . لكن هذه البقعة من المعمور — العالم العربي — لم تكن ميداناً للصراع العسكري فقط ، بل كانت ولما تزل ميداناً تتصارع فيه الحضارات . والقوى العسكرية التي تتصادم وتتطاحن قد تدول وتتوارى ، لكن أثر الحضارات يترسب في أعماق النفوس وتتوارثه الأجيال وان يمحى . ويستطيع الجيل الجديد الواعي المثقف في العالم العربي أن يماجد غيره من شعوب الأرض قاطبةً ، لأن بلدانه كانت بمثابة سراج صبت فيه الحضارات القديمة ، التي رأت النور على شاطئ المتوسط ، زيوت اختباراتها وتجاربها ، وثمرة تفكيرها ، وحتى خيالها وآلامها . ولئن اشتهر الشرق بالجمود ، والمحافظة على قدسية الأرث الذي خلفته الأجيال الغابرة ، فالعالم العربي ، وهو جزء من هذا الشرق ، يتميز بالقلق والتلوّن وقابلية التكيف والقدرة على التمثل . ولئن احتدم الصراع بين فئاته ، وتباينت آراؤها . واختلفت مذاهبها الفكرية ، فذلك دليل على الحيوية ، وغنى التراث المتراكم — من قديم وحديث — والإرادة المتحفزة المتوثبة التي تبغي الاحاطة بكل شيء . ولا بدّ في السياق الطويل من أن يعقب هذا الصراع سلامٌ تنصرف فيه النفوس للإستمتاع بثمرة الحضارات.

إن الحضارة الغربية الراهنة ليست إلاّ درجة في السلم المؤدي إلى الحضارة الانسانية الشاملة . ويستحيل على أي كان أن ينسبها لشعب من الشعوب ، أو أمة من الأمم . ذلك لأن هذه الحضارة قد نمت وعمقت وتفرعت حتى تعذرت علينا الاحاطة بها وفهمها وتمثلها ، فهي قد امتصت مادية جميع الحضارات التي غبرت ونشأت عن مساهمة أمم شتى ، وغمرت أمواجها بدون نزاع مشارق الأرض ومغاربها . وتأتى للحضارة العصرية من الظروف الملائمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لسعة الانتشار ، ما لم يتأتَّ لحضارة سالفة . ولا يعود الفضل في انتشارها إلى سرعة المواصلات فقط ، وأساليب الإذاعة الحديثة التي انبثقت عنها ، كالطباعة على أنواعها والسينما والراديو ، بل إلى الطابع البشري الذي اتسمت به ، أما الحضارات القديمة فيمكننا ، إذا ما استعرضناها أن نردها الى الشعوب التي تمخضت بها ، ونتبين طابع الأمة التي ربتها ، ولم تكن تلك الحضارات الشهيرة ، سواء منها التي ظهرت في سوريا ، أو في مصر ، أو في العراق ، خاصة بهاتيك الأمم فقط ، بل كانت ثمارها وقفاً على فئة خاصة من الأمة ، ولذلك بات النصيب الانساني فيها ضئيلاً هزيلاً لا يؤبه له . والى هذا ، لا إلى غيره ، نعزي سبب أقليمية تلك الحضارات ، وركود نشاطها عند تخوم البلاد التي ظهرت ونشأت فيها ، ولا بدّ من أن يكون قد رشح منها شيء الى الأقاليم المتاخمة ، المستعدة لتقبل ألوان تلك الحضارة ، المتشابهة الى حدّ ما في الصفات العرقية المستمرة ، وطبيعة الأقاليم ، وتكوين الأرض ، ونظم الحياة الاجتماعية والعقائد الدينية . أما الأصقاع البعيدة فقد استحال عليها أن تتأثر بها وتغمرها أمواجها . وللسبب عينه نرى شعوباً قديمة بلغت درجة عظيمة من الحضارة البشرية ، بينما ظلّ غيرها يتسكع في ظلام الجهل والغباوة . ومن السخرية المؤلمة أن يتخذ البعض هذا السبق سبباً للتمجد والمباهاة . ولو عقلوا لفقهوا أن الأمم كالأفراد لا تولد جميعها في عام واحد أو في قرن واحد ، بل لا بدّ لها من أن تمر في أطوار الحياة الرئيسية الثلاثة من ولادة فشباب فهرم . وأن هناك أمماً قد شبّت باكراً وأخرى قد شبت متأخرة . وإننا لا نستطيع أن نتبين العلل التي أدّت الى النهوض الباكر ، أو التي أخرت الظهور وعاقت النمو . وأكثر الحضارات القديمة لم تبرح موطنها الأصلي وتنتشر إلاّ عند ما كانت تكفلها قوة عسكرية يكتب لها الفوز في الحرب . فالاسكندر حمل إلى سوريا ومصر الحضارة الاغريقية ، وطلع العرب على العالم من جزيرتهم بدين جديد تدعمه قوة عسكرية لا يستهان بها .

أما الحضارة الغربية الحديثة فانها استطاعت أن تنتشر في الأمصار القريبة والبعيدة ، وتغزو العقول والقلوب ، وتطور المجتمعات التي تتسرب إليها ، معتمدة في ذلك على أساليب الاذاعة التي ابتكرتها الصناعة الحديثة من صحافة ومؤلفات ومواصلات لاسلكية وسينما .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن أبرز خصائص السينما أنها عملت على نشر ألوان المعيشة ومظاهر الحياة وتنوّع الأزياء واختلاف الألسنة وفنون الأعمال والعمران . وعمدت الى الماضي فبعثت أهليه بسحنتهم وأساليب حياتهم وطرق معيشتهم وشكل منازلهم وغربت وشرقت بهم .

ولقد قدِّر للشرق العربي أن يتصل بالغرب منذ أوائل القرن التاسع عشر . لكن هذا الإتصال كان قصير الأجل ، محدود الأثر ، وسبب ذلك يعود الى البيئة المتأخرة التي كانت تحيا فيها أمم العالم العربي إبان حملة نابوليون الى الشرق ، والى الذهنية التي كانت تسيِّر تلك الأمم في مضمار الحياة ، والعين التي كانت تنظر بها الى الحياة والكون ، والقيم التي كانت تعتبرها وتجلها . ولم يثمر هذا الإتصال في إبانه في مصر ، ولم يكن له صدًى بعيداً في أرجاء العالم العربي ، لندرة الرءوس المفكرة التي تدرك ما تريد ، وتعرف ما لا تريد ، وعدم وجود زعماء حقيقيين يرون الزعامة وسيلة لإجراء الاصلاح الشامل لا واسطة للاستبداد والتعسف وابتزاز الاموال . فهؤلاء لا غيرهم ، يمكنهم أن يسوقوا الشعب سوقاً إلى مناهل العلم وحياض المعرفة ويطلقوا في الوطن تيارات جديدة . وهل هذا القول أكثر ما ينطبق على محمد علي ، ذلك الرجل الواعي المصلح .

ومن شأن الحضارات عندما تتلاقى أنها تتفاعل وتتناحر وتتصارع وتختلف حدة الصراع باختلاف الأمم ومقدار تفتحها وقابليتها للتكيف والاقتباس ، أو انكماشها وانطوائها على ذاتها ، والشبه بين الحضارات . ومما يزيد في الصراع أن الأكثرية الساحقة في كل أمة تعيش بمعزل عن نور العصر الذي تحيا فيه ، محافظة على نظرات فاسدة إلى الكون والحياة لا تتخلى عنها ، ولا تفقه معنى التطور وضرورته بغية الاستمرار في الوجود وكرامة الوجود . وإن هذا الصراع ما زال ناشباً على أشده في العالم العربي منذ مطلع هذا القرن . ومرد هذا الصراع إلى صفة العالمية والشمول التي تتصف بها الحضارة الغربية العصرية . فبتنا لا مفر لنا من الانصياع للواقع والاقبال على خير ما في هذه الحضارة من خير يرتجى . إذ يستحيل علينا أن نضع أنفسنا في قماقم ، ونغمض العين ، ونصم الآذان ، كل ذلك كي نتجاهل عمداً التيارات الحضارية التي انطلقت فعمت الأرض بأسرها . ولا بدَّ لنا من أن نمضي جادين في الاقتباس عن الغرب الاوربي والغرب الاميركي ، ومن الخطل القول أن الاقتباس يفقدنا

مميزاتنا الذاتية وخصائصنا القومية ويذيبنا في بوتقة الحضارة الغربية . إذ ما من قوة ، مطلقاً ، تستطيع أن تجعل من الانسان كائناً جديداً غريباً عن خصائصه الأصلية العريقة ، الذاتية منها والعِرْقيَّة ، لأن المرء لا يقوى أن ينجو من مؤثرات المجتمع الذي هو في أحضانه ، والبيئة التي يقطنها .

ومن مميزات الشعوب المتأخرة ، المتخلفة في مضمار الحضارة ، أن لا تكترث بالحضارة ولا تعيرها اهتماماً ، ولا تعلّق آمالاً كباراً على الغد ، بل تسمر أنظارها في الماضي ، مؤمنة بصلاحه وفساد الحاضر . وتعتقد أن ما من فكر حديث إلاّ راود أذهان الأجداد ، وما من مخترع في العصر الحاضر إلاّ علقت به جذور تمتد الى الماضي السحيق الذي نجهله . فما لهجت الألسن مرة بالغرب وحضارته والخصائص الانسانية التي تتميز بها ، والفوائد الجمة التي نجمت عنها واستفادت البشرية منها في شؤون عيشها وحياتها ، إلاّ سمعنا من يتصدى قائلاً : إن الغرب مدين للشرق ، ولولا الشرق لما كان الغرب ، ونراه في العصر الحاضر يسدُّ الديون التي اقترضها عند ما كان لا يزال في أول الشوط . وان هذه المدنية الغربية ، التي لا تنسب الى شعب معين أو الى سلالة معينة ، لم تنبت في أوربا وأميركا على نحو ما تنبت الكمأة والفطر ، بل ان بذورها جيء بها من الشرق ، سواء كانت روحانية أو مادية . ولئن يكن الشرق مهداً لحضارات قديمة متعددة ، فليس من المقرر الثابت أن الحضارة الغربية ابنة صحيحة لهاتيك الحضارات أو امتداد لها . فكما أننا نجهل جهلاً تاماً جميع الطبقات الأرضية التي تجتازها قطرة الماء حتى تخرج من النبع ، فكذلك يستحيل علينا أن نعين كافة العوامل ، التي ساهمت وساعدت على نمو الحضارة الغربية وازدهارها .

وها هي ذي الحضارة الاسلامية — العربية بين يدينا ، فهل نقدر أن نعين كميًّا مبلغ ما أخذت وما أعطت ؟ وهل حدث لأمة أن نهضت دون أن تتوكأ على تراث غيرها من الأمم ، وتستغله أعظم استغلال ، وتتخذه أساساً تشيد عليه صرح حضارتها ؟ ومن الغريب أن يعمد الغرب إلى جميع الحضارات القديمة ، ويقتبسها وينميها ويتمثلها وينشرها ، خالعاً عنها رداءها الأصلي ، ساكباً فيها من روحه وتقاليده وعاداته ، بينما أظهر الشرق عجزه عن الاستفادة مما يوجد بين يديه . ولعلَّ مرد ذلك إلى طبيعة الشعوب الشرقية القديمة التي اعتادت أن تحيط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلم بهالة من الاجلال والقداسة و لاعتبار، وطبيعة الغربيين الذين يعتبرون العلم مجرد وسيلة وأنه وجد لخدمة الانسان واسعاده ولذته. إنهم أنزلوه من برجه العاجي الذي سجنه فيه الشرقيون

ولغيري أن يصوب سهام النقد العنيف إلى الغرب لامعانه في المادية . هذه المادية التي تتجلى في الحروب والنزعات الاستعمارية ، والكدح في سبيل المال ، والايمان المطلق للعلم وقدرته على تفهم أسرار الحياة والكون . مع العلم أن ينابيع الحضارة الغربية ترَّة صافية عذبة . ويستحيل على المياه أن تظل صالحة نقية من منبعها حتى مصبها . فإنها لا تقوى على دفع الاجسام الغريبة التي تلقى فيها وتعكر صفاءها وتفسدها وتجعلها غير صالحة . أما أنا فانني أومن إيماناً لا يعتوره شك في ان العالم العربي ما اتصل مرة بالغرب إلا ونشأ عن هذا الاتصال والاحتكاك والاقتباس عصر ذهبي ونهضة جبارة في جميع نواحي الحياة وأبواب المعارف . وشاهدي على ذلك المساهمة الحقيقية من قبل سوريا ومصر في الثقافتين العظيمتين الخالدتين الاغريقية والرومانية . فقد عرفت كل من سوريا ومصر تينك الثقافتين وأثرت فيهما وتأثرت بهما ، وأخذت منهما وأعطتهما . ولا يزال العصر العباسي قريب العهد منا، وان كان الاتصال تمَّ يومئذٍ عن طريق غير مباشرة . فلا يجوز أن نقول عن العصر العباسي إنه امتداد طبيعي للعصر الاموي . وليس مرد ذلك الى النظم السياسية وألوان الترف التي سادت المجتمع يومئذٍ ، بل الى غزارة المعارف ولونها ونوعها التي صبت في المجتمع العباسي . لقد كان العصر الأموي يتسم بالعنصرية الشديدة المغالية . ولم تكن العنصرية في يوم من الايام إلاّ ضيقة منكمشة ، تؤثر العزلة ، بدافع من الأنفة ، على الاتصال وما ينشأ عنه من أخذ وعطاء . لقد كان للعصر العباسي نوافذ تطل على الجهات الاربع ، فيتنشق النسمات التي تهب من الفرس والهند وبلاد الاغريق . ولعلّ أقوى النسمات وأكثرها شذًى تلك التي هبت عليه من الديار الغربية، تلك التي تفاعلت مع الحضارة الاغريقية . ولهذا جاء نتاجه غزيراً منوعاً ملوناً . ويقيني أن الشعوب الاسلامية والعربية لو لم تستنكف بدافع ديني وعنصري في آن واحد عن اقتباس اللغة اليونانية ، لكان لتراثنا القديم شأن يختلف كل الاختلاف عن شأنه الراهن . وانهم أخطأوا وأظهروا كسلاً منبثقاً عن العقيدة الدينية عند ما اقتنعوا بالترجمات — ويغلب عليها السقم والايجاز والهوى — التي كانت تقوم بها الأقليات الدينية التي

ظلت تعيش في البيئة الاسلامية . ومن المؤكد والمعقول أن أولئك المصريين لم يسبروا غور الثقافة الاغريقيـة ، وأن تلك الترجمات لم تتناول إلاّ الأمور التي كانت تشتد إليها رغبة الجمهرة من علماء الـكلام ، للذب عن عقيدتهم في بيئة صاخبـة زاخرة بالمذاهب والعقائد والآراءالتي اعتمدت البحث والجدل .

ولقـد تنوّعت الأسباب التي حدت بأبناء العالم العربي كي يقفوا من الحضارة الغربية موقف الحذر المتردد المتجفجف . فطفق الـكثيرون يندّدون بهذه الحضارة ، ويلصقون بها التهمة تلو التهمة ، ويعتبرونها مفسدة للأخلاق ، هدّامة للتقاليد المتوارثة ، نزّاعة إلى الالحاد والاباحيـة ، عاملة على الانحلال الإجتماعي . ويجمل بنا ، حسب رأيهم ، أن نبني حول أقطارنا أسواراً نتقي بها الشرور التي تحاول أن تتدفق علينا من الغرب . ففي تراثنا القديم عنها غنى ، وفيه زاد وكفاية . وكما صلح هذا التراث في الماضي ، فَـلِمَ لا يعود يصلح في العصر الحاضر ؟

وسبب هـذه الحملة التي يشنها الجامدون الذين آلوا على أنفسهم أن لا يتقدموا قيد شعرة منذ نصف قرن في مضمار الفـكر والرأي ، والذين لا يرون ضرورة في التطور ، ولا يفقهون ناموسه الفاعل فينا رغماً عنا ، هي الفروق العقيدية الـكائنة بين أبنائه والغربيين أولاً ، وإلى الظروف والملابسات التي أدت الى الاتصال بالغرب .

إن تعرفنا إلى الحضارة الغربية لم يحصل بواسطة التطور البطيء في العلاقات والاحتـكاك والتفاعل ، بل إن هـذه الحضارة بكامل جهازها وتقادم عهدها ، وعظيم أسرارها . وغنى تراثها ، قد جاءتنا في إثر الحملات العسكرية الاستعمارية التي كانت تستهدف الشرق العربي . وهـذه المفاجأة أحدثت في أممه بلبلة وتشويشاً ، لان هذه الامم لم تكن على استعداد تام لتحتضن وتتمثل حضارة ساهمت فيها أمم شتى طيلة عصور . ولم يدعنا الغربيون وشأننا ، ولم يعترفوا أن لنـا خياراً في الأمر ، بل أطلقوا في مجتمعاتنا تيارات حضاراتهم وأذاعوا مبادىء مدنياتهم،ونسفوا ما لدينا من نظم وتقاليد ، وأحلّـوا مكانها نظماً حديثة لم نستنبط حرفاً واحداً منها ، ولم نفصل تماماً للبيئة التي نقطنها ، وللروحية التي نعتنقها . ومن مميزات الشعوب المغلوبة على أمرها ، أن تنقلب أداة طيّعة في يد الغالب ، لينة كالعجينة . ينشىء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منها الصورة التي يشاء . وهـذا السلوك لا ينافي حقيقة الجماعات البشرية لدن اختلاطها بعد حروب . فالغالب يسعى لبوطد ويتمتع بالسيطرة التي ينبثق عنها الانماء أو الجارف ، التقدم أو الانحطاط ، تبعاً للرسالة التي ينوي أن يؤديها ، وتبعاً لاخلاص الأفراد الذين نوكل إليهم تأدية هـذه الرسالة ، ونصيبهم من المثل العليا والانسانيـة . ومما أثار حفيظة المحافظين هو انتشار الحضارة في أرجاء العـالم العربي وتغلغلها في جميع نواحي حياتنا . فظهرت آثارها بارزة في العمران، وأساليب المعيشة ، والأزياء والمشارب ، ومرافق الحياة ، وفنون التفـكير والاجتماع والاقتصاد والسياسة . وما معركة الأدب الجديد والأدب القديم إلاّ نتيجة متوقعة طبيعية نشأت عن تصادم الثقافتين . وإن اندحار تراثنا أمام الحضارة الغربية ولّـد في القلوب شكوكاً وسوء ظن في صلاح هـذا التراث لمقتضيات الحياة العظيمة . وسوف لا أعني فيما يأتي إلاّ ببحث التطور الذي انتاب حياتنا الفـكرية ، والتبديل الذي طرأ على مفاهيمنا في تقدير القيم والمثل ، وأحدث تغييراً كبيراً في نظرتنا الى الحياة والـكون .

ما هي الأسباب التي أدّت إلى انقلاب في مفاهيمنا للقيم والمثل ، ونظرتنا للـكون والحياة ؟ إن السبب الوحيد الذي أحدث هذا الإنقلاب هو الثقافة الغربية . فقد انصبت علينا هذه الثقافة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ولما تزل تتدفق . فأتيح لنا أن نتصل بهذه الثقافة مباشرةً ، ونـردُها من مناهلها ، ونتعرّف إلى أسرار تلك الحضارة ، والينابيع التي استقت منها ، وفقهنا علة النهضات في الغرب على اختلافها ، والانقلابات التي حدثت في سائر ميادين الحياة . لقد علمنا أن الغربي بدأ أولاً يتحرر من القوى الخارجية التي كانت تهيمن على شؤون حياته ، كالـكنيسة ، والدولة الأوتوقراطية ، ومن النظريات الاعتباطية التي يكون الجهل سداها والخوف لحمتها . والفضل في هذه اليقظة التي راودت أجفانه ، يعود إلى احياء الثقافة الاغريقية واقتباسها وتمثلها . وتمكننا من الاطلاع على مرامي المبادىء الديموقراطية ونشوئها في أوروبا الغربية خلال القرنين السابع عشر ، والثامن عشر ، التي أحدثت الثورة الانجليزية عام ١٦٦٨ ، وتمت الغلبة فيها للنظم الدستورية على الإمتيازات المـلكية ، وتكشفت لنا الثورة الأميركانية التي نشبت عام ١٧٧٦ . ولم تكن تستهدف الاستقلال السياسي فقط ، بل كانت تتوخى اقرار المساواة في الحقوق والواجبات . وفي عام ١٧٨٩ أضرمت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نيران الثورة الفرنسية ، ولعلها أعظم الأحداث طراً ، التي تمخضت عن حقوق الانسان والأقانيم الثلاثة « المساواة، والحرية، والإخاء » . وما من انقلاب سياسي أو اجتماعي أو علمي حدث عفواً ، بل مهد له أشخاص وقرنا بأسمائهم . فلا تذكر الثورات السياسية حتى يتبادر إلى الذهن إسم كرومويل، وواشنطن، وفولتير، وروسو ... والأحداث الاجتماعية والاقتصادية مدينة لسان سيمون ، وبرودون ، وماركس . . . والثورة على الكنيسة تذكرنا بلوثيروس وكالفن . . . والانقلاب في النظرية العلمية تمّ بفضل غاليلو وكوبرنكوس ونيوتن وداروين وباستور . . .

فظللنا قروناً تلو قرون ، ونحن نردد مع يسوع « لتكن مشيئتك » ونؤمن مع محمد أن « لا غالب إلاّ الله » . إن هذا الاسراف في الإيمان بالقضاء والقدر ، انتزع من نفوسنا مبدأ المسؤولية وحرية المصير ، وقادنا إلى الاعتقاد إن الانسان لاتترتب عليه مسئولية ماضي هذه الدنيا . بل انه مجرد أداة تتلاعب بها يد جبارة تدعى القدر ، هذا الحصن الحصين من العقيدة التي تمخضت عنها الكتب المنزلة ، وقدست أجيالاً ، انهارت انهياراً يكاد يكون تامّاً لدى أول اصطدام بالثقافة الغربية . وأخذ العالم العربي يعيد النظر في كل ما توارثه مجتمعه من أنظمة زمنية وعقائد روحانية . لقد آمن أن الله علة كل شيء في الكون . وبما أن الله علة كل أمر، فباتت جميع قضايا الحياة موسومة بمشيئته ، ولا حول للانسان في تبديلها أو تعديلها . أما اليوم فقد بدأ يعتقد أن الجمعية البشرية ، لا الله ، وما سنته من نظم جائرة ، وأورثت من تقاليد وعادات ومساوىء ومفاسد ، مسؤولة عن نتائج هذا الميراث . فليس الفقر الذي يجعل الحياة جحيماً لا يطاق آفة ربانية، بل هو خلل أخلاقي واجتماعي واقتصادي وسياسي . وليست الطبقات نظاماً أزليّاً ، ثابتاً كالطود ، مقدساً كالناموس ، وليست الأوثان الاجتماعية أرباباً . فالطبقات غير مستقرة ، وهي كالموج لا تنفك تعلو وتهبط تبعاً للعوامل والأحداث والانقلابات التي تنتاب الأمم والشعوب . فنشأ من هذا الاعتقاد ان من حق الانسان أن لا يقف مكتوف اليدين أزاء المساوىء العالقة بالمجتمع البشري . فكما أنه استطاع أن يحرر الطب من الكهانة ، وينزع غشاء الخرافة عن الامراض ، كذلك طفق يفضل ويميز بين المشيئة الربانية والمساوىء الاجتماعية التي سببها الانسان . إن هذا المبدأ الذي تسرب الى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العالم العربي وغزا عقول أبنائه ، وبات عقيدة راسخة ، هو أعظم حادث في تاريخ هذه البلدان منذ أن أقلعت عن عبادة الأصنام ، وخصت الله وحده بالايمان والعبادة . ولهذا لا نعدم من يقول إن الغرب زعزع معتقدنا الديني وزرع الكفر في قلوب شبابنا ، ونسق التقاليد الجميلة التي سار عليها آباؤنا وأجدادنا . والحقيقة أن هذه الحرية الفكرية التي يمتاز بها الجيل الناهض ليست ثمرة الالحاد والكفر بالله والمثل العليا ، بل هي وليدة الثقافة الحرة الشاملة العميقة التي تنمي في الفرد شخصيته الانسانية ، وتجعله يتحلل ويتحرر من العقلية الرجعية المسيطرة على مجتمعه ، ويخضع الكثير من حوادث الكون ومظاهر الحياة إلى العقل والمنطق .

خضعنا طويلاً وبكل طيبة خاطر للنظام الاوتوقراطي الأجنبي الذي اعتمد الأساليب الأوليغاركية كي تضمن له البقاء والقوة . ولم نثر يوماً لنقلب نظام الحكم ونصلحه ونزيل مساوئه ومفاسده ، بل ثرنا مراراً عديدة على الأشخاص في سبيل أشخاص لا ينشدون سوى المنصب والجاه . وظللنا نؤمن ، إلى أن اتصلنا بالغرب ، ان السلطة تهبط من السماء ولا ترقى من الأرض . ولهذا لما تبرح ألسنتنا تلوك تعابير الذل والهوان والجهل التي خلقها العهد العثماني : الطريق للسلطان والماء للسلطان والأرض للسلطان لهذا الضرب من الحكم خضع الشرق العربي أجيالاً ، لا جهلاً منه بمبدأ الدولة ، بل لأن قروناً طويلة من الجهل والظلم والفوضى ، ثلاثة أقانيم تذكر ما ذكرت السلطنة العثمانية تلك الدولة « العلية » ، قد أرهقته وأماتت مواهبه وخنقت نشاطه

وكما استطاعت الثقافة الغربية أن تنمي الشخصية الانسانية في الفرد ، وتنبهه وترشده الى الحقوق التي خصته بها الحياة وتدفعه دفعاً لنيلها ، فانها قد أيقظت في النفوس الروح القومية ونشرت النزعة الوطنية . فهل أتيح لشعوب العالم العربي ، فيما خلا من العصور ، أن تشعر هذا الشعور وتفكر هذا التفكير ؟ . لقد خاض ألوف من السوريين غمار الحرب العالمية الأولى الى جانب الترك العثمانيين ، وهم يعتقدون انهم لا يحاربون إلاّ في سبيل قضية مشتركة وهدف واحد : مصلحة السلطنة العثمانية وتثبيت دعائمها . ولم تمض إلاّ سنوات قلائل على انتهاء الحرب حتى اجتاحت سوريا الشمالية ثورة ترمي الى طرد الأجنبي واجلائه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن البلاد ، ولئن كان نصيب تلك الثورة الفشل من الناحية العسكرية الصرفة ، لكنها عملت على إذكاء الشعور القومي .

إننا بلغنا المرحلة التي بلغها الشعب الفرنسي قبيل عام ١٧٨٩ . ويساورنا الآن ما كان يساوره يومئذٍ من رغبة في الاصلاح يشمل شؤون الاجتماع والاقتصاد والسياسة ، ونقمة على النظام الأوليغاركي المستفحل في أقطارنا على أراخين السياسة الذين جعلوها عملاً متوازناً خاصًّا بهم محتكراً في أسرهم . إن الطبقة الشعبية في العالم العربي بدأت تستيقظ من سبات طال أمده وتتعرَّف الى حقوقها في الحياة . ويتساءل أولئك الذين يرومون انهاض الشعب ويرغبون في الاصلاح الاجتماعي كما تساءل « سييس » : «ما هو الشعب ؟ — إنه كل شيء — وأي شأن كان له في النظام السياسي ؟ — لا شيء ؟ — ماذا يبتغي ؟ — أن يصبح شيئاً ذا قيمة » هذه الفكرة التي نشرت شراعها في العالم العربي هي بادرة التحرر من جميع الكوابيس وألوان الطغيان والظلم التي اتصفت بها القرون المنصرمة .

وربَّ قائل يقول : وهل النظم الاجتماعية الحديثة التي انبثقت عن الحزبية خيرٌ من الأوتوقراطية التي ودعناها منذ أمد قصير ؟ لقد كان الملك يعد نفسه مسؤولاً أمام الله عن أعماله ، وليس للشعب أن يتطاول لمحاسبته ، أما الزعيم الحديث الذي تمخض عنه الحزب الذي يمثل إرادة الجماعة ، فمن ذا الذي تحدثه نفسه في محاسبته أو خلعه ؟

مما لا مشاحة فيه ان الاحزاب السياسية ظاهرة جديدة في مجتمعنا الحديث . وهي من جملة الأساليب التي تسربت إلينا من الغرب . فهي تقوم على تكتلات من سائر طبقات الأمة وتستند على مبادىء تستهدف خير المجموع وترمي الى اصلاح حياة الأمة من جميع نواحيها وهي ما أنشئت إلاَّ لتقضي على تلك التكتلات التي يزخر بها العالم العربي ، والتي تتغذى وتستمرىء من اعتبارات طبقية اقطاعية بالية ، ونظرات طائفية متحدرة من الحذر والذعر والمقت والتكتلات الطائفية هي بمثابة دائرة مغلقة لا يتفاعل فيها تفاعلاً مطلقاً حرًّا إلاَّ أفراد تلك الطائفة . وسوف تكون هذه الظاهرة حادثة فذَّة في تاريخنا الحديث وسبباً من أعظم الأسباب التي تساعد على تطور الحياة في أرجاء العالم العربي . لقد يتم ذلك إذا أطلقنا في أقطارنا تيارات المبادىء الصالحة السامية التي تتيح للإنسانية الكامنة في كل بشري أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تنفتح وتتآلف وتنمو وفق ميولها ونزعاتها ، لا التي تحارب النزعات الانسانية الصميمة كحرية العبادة ، وحرية العمل ، وحرية الوجود ، وتضحي بهذه المثل ، التي لا يسمو الانسان إلاّ بها ، لقاء هدف اقتصادي أو سياسي . والحرب بمعناه البعيد العميق مناوأة لأحكام القدر . هو سلم ليرقى عليه من لم يقدر له أن يولد في مهد النعيم ويرث الأمجاد والإمتيازات . وإننا لا نزال ننظر بامتعاض الى التكتلات الحزبية الحديثة ، ذلك لأنها أكثر مما تتآلف ممن ينشدون العدل الاجتماعي وإزالة المساوىء والغبن ، ولا نزال متأثرين بإرث الأجيال الغابرة التي حفلت بالتكتلات التي لم تستهدف سوى اغتيال القائم على شؤون الحكم واستلام المقاليد من يده وممارسة الأعمال التي يمارسها دون إحداث أي تغيير في الجوهر .

وليست الغرابة أن تتأثر المرأة بموجة التطور ، بل الغرابة أن تبقى بمنجاة من هذا التأثر والاتصال والاحتكاك . فلقد أتاح لها الاطلاع على الحركات النسائية في العالم ، ولكنها العلم الذي انتشر على درجاته ، ونشوء الصناعة الحديثة وازدهار التجارة وتنوعها ، أن تعمل وتكسب وتستقل اقتصادياً . كل هذه العوامل حدت بالمرأة أن تطالب بالإنعتاق من ربقة التقاليد لتعيش في مساواة تامة مع الرجل . ولكي تبلغ هذه الأهداف لم تجد بداً من التكتل والتعاون وإنشاء المنظمات النسائية بغية نقل حقوق طبيعية قد سلبها إياها المجتمع البشري ، وبلوغ إمتيازات خص بها الرجل من دونها وما فتىء يتمتع بها منذ أزمنة طويلة متغلغلة في القدم . فهل تستطيع المرأة أن تتغلب على سلطان التقاليد التي اعتبرت الرجل متفوقاً عليها في كل شيء ؟ وهل تستطيع أن تتملص من وطأة النصوص الدينية التي حرمتها المساواة الحقوقية ، والإقتصادية ، والإجتماعية ، التي قضت عليها باعتزال المجتمعات والتحجب ؟ إنّ العامل الاجتماعي المتوارث والوازع الديني ، قد ولدا في قلب المرأة التي تعيش في بيئتنا شعوراً دفيناً إنها دون الرجل ، وثبطا همتها كي لا تطمح الى ما يطمح ، وإنها لن تبلغ من الكمال ما يبلغ لأنها لم تؤت من المواهب ما أوتي . فوقر في ذهنها أنها خلقت لتسير في ركابه ، لا لتكون له نداً . وأن تقوم على خدمته لا ليتعاونا في مضمار الحياة . فقنعت بهذا الحظ ولم تحاول الثورة يوماً بيالها . وإذا التاريخ الماضي وغير الماضي لم يسجل

ثورة للنساء على الاطلاق . وليست العبرة في الحوادث الفردية المتقطعة الفورية التي تحمل طابع التمرد والغضب أكثر مما تتسم بميسم الثورة على أوضاع لا ترضي ونشدان أهداف تخلق الحياة خلقاً جديداً .

لا يزال الكثيرون يعتقدون أن المرأة الصالحة الفاضلة هي التي تلوذ ببيتها ولا تبرحه مطلقاً ، وتتحجب عن الرجل كي لا تثلم عفتها ونقاوتها ، وتجهل كل شيء . وقديماً وجد على قبر امرأة رومانية : « غزلت الصوف ولزمت بيتها » . لئن كان هذا الضرب من الحياة هدف المجتمعات القديمة أو المتأخرة ، فلم تعد هذه المبادىء السلوكية تصلح أن تكون أساساً نقيم عليه صرح حياتنا العائلية . فالمرأة المثلى في الوقت الحاضر ليست تلك التي تطغى فيها عناصر الأنوثة على عناصر المرأة ، وليس الفخر أن تجهل ما جلّ ودقّ من شؤون الحياة وأسرار الكون ، وليست تلك التي تعش عبئاً على ذويها وزوجها ، بل تلك التي لا تفيدها الأنوثة إلاّ لتؤكد خصائصها وتبقيها متميزة عن الرجل في كثير من الأمور ، والتي تسعى لكسب المعرفة وتحصيل العلوم وتذوق الفنون على اختلاف أنواعها . وسوف تشتد الحاجة الى المرأة بمقدار ما تتطور امكانياتنا الاقتصادية وأحوالنا السياسية والاجتماعية . ثم ان الآلة قد عدت على المرأة وزاحمتها وبزتها فيما اختص بها من الأعمال من كساء ومأكل ومشرب . فأصبح لا مفر للمرأة من أن تخرج الى الحياة لتقضي على السأم الذي ينتابها ، وتتعرّف العالم الذي عرفته في الكتب .

هذا هو الصراع العنيف الذي شرعت به المرأة في العالم العربي منذ مطلع هذا القرن . ويقيني ان المصلحين في بلادنا سوف يتساءلون عما اذا كانت المحافظة على وضع متوارث وعقائد متوارثة ، قضت بالتفاوت الاجتماعي بين الجنسين ، لا تؤخر نشوء المجتمع الأمثل . فهل يكتب النصر للرجل تعضده تقاليد وشرائع مقدسة وتفوّق جثماني ، أم يكتب الفوز للمرأة ولا سلاح لديها سوى فتنة خالدة ، وإيمان مطلق بالحق ، وكفاءة مغمورة لو انطلقت من عقالها لقلبت أسس الحياة كلها وغيرت وجه التاريخ ؟ ! ! .

صافيتا (سوريا) الياس يعقوب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الى روح المعري المتمردة

تلمس في الظلام

روعة في الظلام تقري فؤادي ... ذكريات تسمو لأعصر عاد
خاطرات فاض الجلال بجنبيها ... وصوت مجلجل الأرعاد
أشأم الركب واثقاً بهداه ... ما لقلبي يجد في أنجاد ؟
أيها الكوكب البعيد أفض لي ... بسناً خاض شاسع الأبعاد
كم ملايين عالم قد تلاشى ... وهو في سيره لهذي العباد
يا ترى هل درى بأني ساتي ... حين شق الأثير شطر بلادي ؟
أم درى انني أضيع أهدافي ... فقد جاء آخذاً بقيادي
تهت واضيعتي فذي السحب ... قد وافت لتغتاله على ميعاد
أشرقي يا نجوم فالقلب حيران ... وقد غشه غناء الحادي
خلص الحي تحت موج غطيط ... وغزتني الأحلام دون رقاد
أأنا النائم المجد بأحلامي ... أم الحي...؟ قد أضعت رشادي
أنزفت خمرةَ الحمى ثورة الحق ... فهل نافعي الغداة حيادي ؟
أنا في باطلي استرحت فلا لاح ... ليوم الرشاد فجر هادي
واذا كنت في نعيم من الأحلام ... فليذك محرقي ايقادي
أنا في جنة بوحي خمار ... الروح فليمس في الجحيم مهادي
شيدتها خواطر باسمات ... ورست من تفاؤلي بعماد
ركبت سفرتي مهامه يهماء ... وأضنى المطي طول السهاد
ويل قلبي تبددت بسمات ... الروح إذ ريع صبرها بنفاد
أتعب القلب باجتراء المآسي ... وزماني يأبى نفاد الزاد
رب موج قد خضته بادي الأهوال إذ هاج مرعب الأزباد
فتعاليت عاصفاً يملأ البحر ... اضطراباً ولا يضام بعادي
ثم إذ عدت صارخاً بالشواطي ... ردّد الصخر رهبة ارعادي
ألفت روحي الظلام أنيساً ... إذ أتى النور بالمساوئ بادي
واحتست بالسكون سلوى ... بأرواح تغنت سحرية الانشاد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإذا الوحش قد أخاف فلم يعس كبغي الانسان للفتك صادي
وألفت القبور إذ ميتة الأرواح شر من ميتة الاجساد
أيها الراحلون خلفكم العمران ما انفك منتناً بالفساد
ولقد طفت والظلام بأكوام تراب زانت قرار الوادي
ته جلالاً فما أجلك وادي فيه دكت حواضر وبوادي..!
كم قبيل زاحمته بقبيل وبلاد طحنتها ببلاد...!
(رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحكاً من تزاحم الاضداد)
أيها الراقدون هبوا لعصر النور ما يومنا بيوم رقاد
أوما آن للقبور انبعاث في عصور أنطقن صلد الجماد
غير ان الحياة عالم نقص ووجود مصيره لفساد
أترعت كأسها زعافاً وشهداً أرأيت الأشواك في الأوراد ؟
لا تخالوا ابتسامها غير هزء ما حنى العطف منجل الحصّاد
عبراً للوعاة يتلو فم الدهر سطور الابراق والأرعاد
غير أن الحجيج من ضجة العيس أضاع المرمى وضلّ الحادي
هو ذا الله في الوجود تجلى ببديع الآثار للرواد
في حياة النبات، في عش الطير وفي نغمة الهزار الشادي
قال قوم أنى تعود جسوم أعقبت نارها خمود رماد ؟
وهبوط النفوس للعالم السفلي فيض فلم ترد الأيادي ؟
غير ان الزهور تفنى ولكن مودعات البذور سر من السر (المعاد)
وكذاك الأرواح تهبط للأرض ليكسى الكمال (ذو استعداد)[1]
انما الصعب أن تسيرك الروح بعيداً عن قائل (الاتحاد)
ربما راعه الوجود فهلاً رحموا منه صرخة الميلاد
والذي حير العقول (وجود جوهري مجرد) غير بادي

(بغداد) ضياء الرخيلي

(١) كما يرى فلاسفة الاسلام وابن سينا في عينيته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قصة مترجمة

أم من الجحيم

مرسيليا ، ذلك الميناء العظيم الذي يؤمه آلاف السياح والبحارة كل يوم ، ذلك الميناء الذي يجمع بين الفضيلة والرذيلة ، فبجانب كنائسه الأثرية ، ورجال الكهنوت الأتقياء ، تقع الأزقة المظلمة حيث تمرح الرذيلة في واد خصيب مفعم بالغانيات اللواتي يبعن ذلوبهن واجسادهن ، حيث يشرى الهوى الرخيص ، وتباع الأفئدة والأجسام . ومن هذه الأزقة المظلمة ، زقاق النساء ، مقبض كئيب فيه زمرة الساقطات ، وقد جذب اليه رواد اللذة البهيمية ، فتراه بحاناته الصاخبة ، ودور اللهو المتناثرة على جانبيه ، كأنه مربع الشيطان ، أو قطعة من الجحيم . وفي منتصف ذلك الشارع يقوم منزل سكنته أسقط النساء أخلاقاً ، وأرذلهن طباعاً ، وأبعدهن عن الانسانية صفات ، كما أنه أردأ المنازل بناء ، وأوحشها مكاناً فكأنهما صنوان ، هي من ناحية الأخلاق ، وهو من ناحية البناء . إسمها « چورچيت » ذت على الأربعين ، ممتلئة الجسم متوسطة القامة ، تحمل في وجهها طابع جمال قديم أفسدته الخمور وحياة اللهو والمجون . ولتلك المرأة عشيق يدعى « چون » وهو بحار قديم ضخم الجثة ، فاسد النزعات ، ذري الهيئة ، ذا وجه متغضن قبيح ، طبعت فيه ندبة طويلة هي بقية معركة أصيب فيها بطعنة سكين ، وهو فوق ذلك من الرجال الذين اتخذوا من قوتهم وشراستهم سبيلاً للتسلط على النساء الساقطات وابتزاز المال منهن .

وفي الغرفة الوحيدة بذلك المنزل التي يمكن أن تكون مسكناً لآدمي ، أو مأوى لحي يرزق أو لا يرزق ، جلست چورچيت الى جانب عشيقها چون يتناجيان الغرام مع كؤوس من خمر النبيذ ، وتجول في ذهني كل منهما أفكار عتيقة ، طالما منى كل منهما نفسه بتحقيقها ، يحدوها اليأس لحظة ويدفع بهما الأمل أخرى . أمّا تلك الأحلام والخيالات فكانت لكل منهما خاصّة بنفسه .

— لمَ هذا السكوت ياچورچيت .

— أفكر . . . لا . . . لا ياچون . . . ليس ببالي شيء .

— إذن ، فاذا؟ أجئت لأراك كتمثال صامت ، أم هناك رجل آخر ! ! !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— كلاً ياجون ـ أقسم لك إني لم أفكر في رجل سواكِ ولم يخطر بفكري إنسان غيرك
وهنا يميل جون الى الوراء في مقعده بارتياح ويتناول كأسه فيشرب به حتى الثمالة ، ويمسح شاربه الـكث بطرف كمه القذر .
— اليكِ مفاجأة سارة ، سوف نتزوج ياجورجيت .
— نتزوج ! أتهزل أم لعبت برأسك الخمر ؟ .
— فضحك جون وانطلق يقول بصوته الأجش ، كلا لا تلعب برأسي الخمر ، ولـكن جمالك الذي لعب بقلبي . قلبي الذي لم تتمكن مخلوقة سواكِ من الدنو منه ، فحسنك قد ملك عليّ مشاعري وطار بلبي ، لست هازلاً ياجورجيت — أتقبلينني زوجاً .
— بالطبع ياجون . فان نفسي لا تتوق إلى أكثر من هذا . . . ولـكن . . .
— ولـكن ماذا .
— لا بدّ لي من الذهاب إلى أمريكا .
— أمريكا ، وما علاقتك بأمريكا ، وقد ولدتِ وعشتِ في مرسيليا فلم تغادريها قط ؟
— إنك لا تعلم ياجون ، فهناك دافع قوي يرغمني على الرحيل في أقرب فرصة .
وعلى بعد خمسة آلاف ميل من مرسيليا ، جلست فتاة في هايد پارك بأمريكا تردد تلك الـكلمات « لابدّ لي من الذهاب إلى مرسيليا » . وهي فتاة طويلة القامة ، ممشوقة القد هيفاء ، ذات عينين زرقاوين فيهما سحرٌ ودلال ، ولها شعرٌ أصفر جميل مسترسل فوق كتفيها كأنه خيوط من الذهب ، وفم كالياقوت إذا أفتر فمن أسنان كأنها اللؤلؤ ، ووجه باسم ضحوك مليء بحرارة الشباب ، وبجانبهـا جلس « ديك موريس » وهو فتى وسيم الطلعـة ، مهذب الأخلاق ، مثقف راقي التعليم ، بسم له الحظ فجمع الى الشباب والمـال سعادة الحب وراحة البال فهو « وتيريز » متحابان .
— أريد أن أرى مرسيليا يا ديك.
— لا مانع عندي يا عزيزتي تيريز ، فلنمض شهر العسل هناك .
— لا ياديك ، لقد أسأت الفهم ، إني أريد أن أذهب الى مرسيليا بمفردي قبل الزواج، لأن هناك أمراً هامـًا يدعوني إلى ذلك .
— ولـكني ما سمعتك يوماً تذكرين مرسيليا ، ولم أعهدك أبداً تتوقين للذهاب إليها .
— لقد علمت أشياء كثيرة بعد وفاة المرحوم والدي ، فإن والدتي يا ديك ما زالت حيـة ترزق .
— ما زالت حية ، وتقيم بمرسيليا ا كلنا يعلم أنك يتيمة الأم منذ فجر حياتك .

— هكذا كنت أعتقد ، ولـكن ظهر لي من خطابات لوالدي إطلعت عليها بعد وفاته أن لي أمًّا ! أمًّا لا تزال على قيد الحيـاة ، وتعيش في مرسيليا ، فصممت على أن أرى تلك المخلوقة التي أوجدتني في الحياة . أراها يا ديك فأنعم بعطفها وحنانها وقد حرمت منهما منذ طفولتي .

— ولـكن ما السبب الذي دفع والدك إلى إخفاء تلك الحقيقة عنك .

— لست أدري ، وظني أن كان هنـاك خلاف شديد بين أبي وأمي دفعه إلى إخفاء أمرها عني وإبعادي عنها، وقد ظهر لي ذلك من خطاباتها وتوسلاتها إلى والدي ، واسترحامها إياه ورجائها الحار الشديد أن تراني . أليس من واجبي بعد كل هذا يا ديك أن أراها ؟

— أتعلمين أين تسكن .

— نعم ، إنها تسكن المنزل رقم ١٦ بزقاق النساء بمرسيليا .

* * *

وفي المنزل رقم ١٦ جلست جورجيت بجانب عشيقها يتبادلان الحديث .

— أما زلت مصرّة على السفر لأمريكا .

— بكل تأكيد يا جون.

— إذن فلنتزوج أولاً ونرحل سويًّا لتمضية شهر في ربوعها .

إرتسمت على وجه جورجيت أمارات الفرح والانشراح ، وارتمت بين يديه تقبله في حرارة وحنان.

— أحقـًا ياجون سنصبح زوجين شرعيين ، ونقف أمام القسيس ، أنت بثوبك الأسود ، وانا بثياب الزواج البيض ؟ . . . ثم تنحدر على خديها دمعة كبيرة .

— كفى هذراً ، إذهبي فأتنا بالخمر والنبيذ لنشرب نخب زواجنا .

تقبله جورجيت وتهرع الى الخارج لتشتري خمراً ونبيـذاً بينما ، ينتظرها جون مشعلاً سيجارته لاعقاً شفتيه انتظاراً للخمر في لهفة ظاهرة .

— إنك تضحكينني . ما بالك تطرقي الباب ، أذلك من عادتك . . . ادخلي

تدخل تيريز فيهولها منظر المنزل القذر وبشاعة الرجل الذي فزع من مكانه حال رؤيتها كأنه ذئب جائع أنقضّ على فريسته . فتراجعت تيريز الى الوراء بخطى مرتبكة ، وقاب ملؤه الشجون ، وأخذ صدرها يعلو ويهبط كأنه كير الحداد ينفخ بشدة ، وقالت لي في انزعاج :

— أهذا منزل مدام جورجيت .

— «هاها ، وماذا تريدين من جورجيت، تَـعَـالَـيْ يافاتنتي» . واندفع نحوها مسرعاً قبل أن تولي منه وضمهـا بين ساعديه القويتين ، فمضت تصرخ وتستنجد ، ولـكن حملها ذلك الوحش الآدمي وألقى بها على السرير وارتمى الى جانبها محاولاً اسكاتها .

— « اتركها يا وغد » ـ فالتفت جون فرأى جورجيت على عتبة الباب وبيدها زجاجة الخمر تهدد بها وتتوعد وعيناها تشتعلان غضباً وغيرة وقلبها يخفق بالندم والحسرة .

***

ترك جون تيريز وتحرك نحوها في هدوء وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة .

— أتحدثينني بهذه اللهجة يا عاهرة . ويرفع يده ويهم بلطمها فتهوي على رأسه بالزجاجة فتتحطم ويسيل منها الخمر مختلطاً بدمه . فيفقد الوعي وتجره جورجيت الى الخارج وتوصد الباب ، ثم تعود الى الفتاة تريد افتراسها وتتمنى لو تمزقها إرباً إرباً ، فقد خيل اليهـا أنها عشيقة أخرى لجون ، وهالها أن تجرأ على زيارته في منزلها .

— وأنت أيتها الفاسقة . . ماذا تريدين ؟

— لا أريد شيئاً يا سيدتي ، لا تسيئي ظنـاً ، فقد أخطأت منزل مدام جورجيت .

— لم تخطئي ، فأنا مدام جورجيت وماذا تريدين من مدام جورجيت ؟

وتنطلق في قهقهة عالية فتدوي تلك الـكلمات في أذني تيريز فنظرت الى المرأة بعينين يخال إليك أنهما تصلبتا ، وظلت كذلك برهة كأنهـا الدهر ، وارتمت على السرير ودفنت وجهها في الوسادة . وجسدها البض يرتجف من الانفعال ، وتمتمت بكلمات كالمخبول . . . أ أمي هذه المـا . . . يالتعاستي ويا لشقائي . . .

— سمعتك تقولين أمي . . فما بال والدتك .

— ويلاه . . . أنت أمي .

— « أنا أمك ! أأنت تيريز ، حبيبتي تيريز ، تعالي يا بنيتي لأضمك وأقبلك ألف قبلة فأروي ظمئي ولوعتي من وجهك الفتان وعينيك الجميلتين . يا لها من حلاوة اللقاء بعـد طول الحرمان » وتندفع نحوها فاتحة يديها لترتمي في حضنها فتدفعها تيريز باشمئزاز واحتقار فتدرك جورجيت الحقيقة المرّة المؤلمة ، وتتذكر أنها عاهر من بنات الشيطان وان تلك الفتاة البريئة الجالسة اليها تأنف من الانتساب اليها وتحمر خجلاً حتى من التفكير في أمومتها .

— يطرق الباب، ويدخل ديك موريس ، ويتقدم الى تيريز، مدهوشاً صائحاً . « تيريز ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ل أصابك مكروه ، يا إلهي : ما هذه الغرفة ، ومن تكون المرأة » .

— هي أمي يا ديك . ويلاه لقد تحطم مستقبلي واسودت أيامي ، فلن أستطيع بعد أن علمت تلك الحقيقة أن أقرن اسمي باسمك .

— دعينا من كل هذا يا تيريز ، ولا تكوني عنيدة ، فحبي لك لا يقوم في سبيله شيء

— كلا يا ديك فلن أرضى لك بهذا ، لقد كان المرحوم والدي محقًّا في ابعادي عنها ليتني ما رأيتها وما علمت بمكانها .

— « أمات أبوكِ يا تيريز ؟ وتنظر الى ابنتها نظرة تنطوي عن أمر خطير .

— نعم ، رحمه الله .

— أما وقد مات فلا داعي لاستمراري في تمثيل هذا الدور ، وتحطيم حياتك، فاطمئني يا صغيرتي ، فاني لم أكن لكِ أمًّا ولم يكن غرضي الا ابتزاز المال من والدكِ .

— أحقًّا ما تقولين ؟

— نعم ، أيتها الصغيرة ، كنت أعمل خادمة عند والدتك وألممت بالشقاق الذي كان بينها وبين أبوكِ ، وبعد موتها اعتزمت الاستفادة من هذا الموقف ماليًّا . أما الآن فقد انتهى دوري فاذهبي يا صغيرتي ، فان والدتكِ كانت امرأة من أشرف العائلات وأرفع من أن تحيا هذه الحياة التي أحياها .

انحدرت على خدي تيريز دموع الفرح وصاحت مهللة : أسمعت يا ديك ؟ انها لقصة .

ابتسم ديك وقبلها ولكن لم يخدعه هذا التمثيل من جورجيت ، فان الشبه بين الأم والابنة كان أقوى من أن يحتمل الشك . تقدم الخطيبان الى جورجيت لمصافحتها وفي عين تيريز نظرات الفرح والانشراح ، وأما ديك فقد حدجها بنظرة كلها إعجاب وتقدير لتلك التضحية النبيلة .

* * *

وفي الصباح ذهب ديك الى منزل جورجيت ليشكرها ويقدم لها مساعدة أو ليبحث لها عن عمل ، فوجد بالباب جمعاً يتصايحون ، فتقدم من أحدهم سائلاً ، فيعلم أن جورجيت الفاتنة قد انتحرت لأسباب لا يعلمها أحد . فيعود ديك متثاقلاً مطرقاً برأسه ويذكر أن هذه المرأة الساقطة ، إنما كانت تحمل بين جنبيها قلباً من ذهب .

محمد هلال مظهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عالم العين

شعر علمي

هي العين أعجوبة الخالقِ تفنّـد سفسطة المارقِ
تجمَّع شمل العوالم في مركز بؤرتها الدانق[1]
تلاقت بكوّة انسانها رؤوس الأشعة من شارق
بها تتصيّـد أقصى النجوم وتختطف اللمح من بارق
فلا تتصاعد الى شاهقٍ لك السر ينقضّ من شاهق
فتتلوه في صفحات الضيا يذبذب مع موجه الصافق

* * *

هي العين باب الخيال الذي يرحّـب بالشبح الطارق
فزاحم فيه الخيالُ الخيال ولاحقه انقـاد للسابق[2]
خلايا الدماغ تمثلـنها تماثيل للخاطر الرائق
فعانقها الفكر يشتاقها عناق المشوّق للشائق
وشاد بهـا العقل عرشاً يُنصّ لدولة منطقه الناطق
أذلّ الشعور لسلطانه وأعلى الضمير على العاتق
ولم يتمرّد سوى شهوة تعيثُ بطائعها الفاسق

* * *

ألا كم فُتنتِ بسحر الجمال وكم كنت مفتتنَ العاشق
وليس الجمال سوى ما رسمت، رسومُ تخيلك السارق
سرقتِ الطبيعة شكلاً ولوناً ولفقتِ رسمك كاللافق
وزورت حق الحقيقة حتى تماديت في فنك الماذق[3]
حسبت المجاز أتم وأسمى وفنك أفوق من فائق
يقوم الحقيقي لدى ناقدٍ ويهوي مجازك من حالق
خلقت من الوهم حسناً خلبتِ به الظن كالخلّب البارق
وما الحسن في قسمات الحبيب بل الحسن في مقلة الوامق[4]
ويختلف الذوق بين الأنام فما في الذوق بل الذائق

(١) الدانق الفائر يقال دنقت العين اذا غارت (٢) اشارة الى تسلسل الافكار وائتلافها . فكل فكر أو خيال ينبه الى غيره (٣) الماذق الكاذب (٤) الوامق المحب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مليحك مج لغيرك والحب يملي البديع على النامق[1]

* * *

وما الشعر الا الذي كنته من السحر للشاعر الحاذق
ففيك المباني ومنك المعاني ولست بيان الحجى الصادق
وكم كنت للقلب أدواءه وحملت وزرك للخافق
وبرئت في الروض عيافة وجرّم في سجنه الساحق[2]
أفي العدل أن تنعمي بالجمال ويلتاع في وجده الماحق[3]

* * *

عجيب : تراشقنا بالسهام وتبقى السهام مع الرانق
ويحرق قلب الشجي لحظها وينجذب القلب للحارق
كأنّ القلوب فراش ترامت على وهج ناظرها الحادق
وما الكهرباء كهاروتها به رعدة الوامض الصاعق
اذا فاض شعشعُ ألحاظها يفيض غرام الفتى الرامق
أتعرض تبغي مداراته ؟ فحسبك ذكراه من راهق

* * *

قبلت الغرام وأعطيته كذوبٌ يمنّ على صادق
وكسر الجفون وسكر العيون هما شيمة الفاتن المالق
خفوق الفؤاد وطول السهاد هما لذة الهائم الغارق
لكم خاب فيك شهيّ المنى وغررت بالآمل الواثق
إذا عشقوا كحلاً فيك تهت وأسرفت في كحلك الماذق

* * *

وما أنت الا خليفة ضوء يريك سنى مجدك السامق[4]
فلولا الضياء لما كنت الا سجينة سجن الدجى الفاسق
إذا غاب عنك يغيب الوجودُ وتذقين في وهمك الزاهق
فلا تتجني على القلب وهو المعذبك من دمه الدافق
ولا تطمعي النفس بالشاهيات فتهفو اليها بلا فارق
وعطفاً عليها ورفقاً بها كعطف الرفيق على الرافق
فيا كوكب الله في أرضه جلوت لنا عظم الخالق

نقولا الحداد

(١) النامق الكاتب (٢) الساحق العميق ، البعيد (٣) الماحق المحرق (٤) السامق العالي

تخريج كتاب الملل والنحل

للشهرستاني (١)

— ٢ —

ا — التخريج العلمي

(١) قيمة التخريج العلمي : (ا) من أقوى الأسس لبناء نهضتنا العلمية . (ب) يجب علينا أن نقرر قواعده نظريًّا وعمليًّا . (جـ) كما يجب ـ أولاً ـ أن نعرض نماذج مختلفة منه . (د) أول ما يلفت النظر في أمر التخريج العلمي .

(٢) نماذج مختلفة للتخريج العلمي : (ا) مثال للإفراط : (١) تخريج عزيز سوريال كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي . (ب) مثال للتفريط : (٢) تخريج فيليب حتي كتاب مختصر الفرق بين الفرق للرسعني . (جـ) مثال للجمع بين الإفراط والتفريط : (٣) تخريج انستاس الكرملي كتاب النقود العربية وعلم النُّمِّيات . (د) أمثلة للتخريج المضطرب الحائر بين طرفي الغلو والتقصير : (٤) تخريج أرثر أربري كتاب التوهم في التصوف للمحاسبي (٥) تخريج يوشع فنكل كتاب ثلاث رسائل للجاحظ (٦) تخريج ألفرد جيوم كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني . (٧) تخريج باول كراوس كتاب مختار رسائل جابر ابن حيان . (٨) تخريج كراوس والحاجري مجموع رسائل الجاحظ . (٩) تخريج نيبرج كتاب الانتصار للخياط . (١٠) تخريج أحمد زكي باشا كتاب الأصنام للكلبي . (١١)

---

(١) هذا هو عنوان الرسالة التي ناقشتها اللجنة الخماسية المؤلفة لذلك بدار كلية أصول الدين برئاسة سعادة الدكتور منصور باشا فهمي ، والتي حصلت بها على شهادة العالمية من درجة أستاذ بدرجة ممتاز في التوجيه والفلسفة من الجامعة الازهرية بتاريخ ٢٤ من جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٦ من مايو سنة ١٩٤٦ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تخريج احمد نسيم (دار الكتب) ديوان مهيار . (١٢) تخريج زيادة والشيال كتاب اغاثة الأمة للمقريزي . (١٣) تخريج زيادة كتاب السلوك المقريزي . (١٤) تخريج احمد أمين والزين والإبياري كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه . (١٥) تخريج احمد أمين والزين كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان . (١٦) تخريج احمد شاكر كتاب المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي . (١٧) تخريج الميمني كتاب سمط اللآلي للأونبي — (١٨) تخريج ريتر كتاب مقالات الاسلاميين للأشعري — (١٩) تخريج ريتر كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ـ (٢٠) تخريج ماضي كتاب ابناء الزمن في أخبار اليمن ليحيى بن حسين .

هـ — ما تدل عليه هاتيك النماذج جملة

و — وجوب تقريرنا لقواعد التخريج العلمي وتثبيت مصطلحاته .

(٣) تقريرنا لقواعد التخريج العلمي نظريًّا : (١) رغبات وحرص (ب) صبر وحذر (ج) ما يجب أن يكون عليه المخرج (د) الواجب على المخرج (هـ) ما لا بد منه للمخرج (و) متى نطمئن الى التخريج العلمي ونعتمد عليه .

(٤) تمهيدنا لقواعد التخريج العلمي عمليًّا : (١) اجمال المراحل العملية (ب) جمع المصادر وترتيبها .

(جـ) نقد النصوص داخليًّا (١) حال وصولها عن طريق المؤلف ـ (٢) حال وصولها عن طريق النساخ (٣) حال وصولها عن طريق الناقلين عن المؤلف . (د) نقد النصوص خارجيًّا : (١) الواجب على المخرّج (٢) التعليقات المقدمات . هـ ـ ثم لا بدّ من : (١) تقسيم الكتاب . (٢) وعمل فهارس له .

٣ — تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني

(١) تخرّج وليم كيورتن للكتاب : (١) هل خرّج كيورتن الكتاب تخريجاً علميًّا ؟ (ب) الأصول التي اعتمد عليها كيورتن (جـ) منهج كيورتن في تخريج الكتاب نظريًّا (د) تلخيص نظرية كيورتن (هـ) مخالفة كيورتن عمليًّا لكل ما رسمه لنفسه نظريًّا من : (١) فحص الأصول جميعاً (٢) تخريج نص خاص يوافق عليه المؤلف (٣) نقل القراآت المختلفة بكل أمانة (٤) التصحيحات والملاحظات الخاصة . (و) إحساس كيورتن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بضعفه ومحاولته الإعتذار . (ز) كيورتن يفضح نفسه بنفسه (ح) رفضنا لطبعة كيورتن مشكوراً .

(٢) منهاجي العملي في تخريج الكتاب : (ا) وصل القارىء بقواعد التخريج السابقة (ب) سبيلي العملية : (١) نسخ الكتاب بخطي مراراً (٢) البحث والتنقيب في المكتبات العامة والخاصة (٣) جمع الأصول (٤) اصطفاء المتن وتصفيته (٥) إعراض عن لغو النساخ بعد عميق البحث (٦) أمثلة لهذا اللغو الذي أعرضت عنه (ج) ثم تقسيم الكتاب (د) ثم التاريخ لعصر المؤلف (ه) ثم التاريخ للمؤلف .

(٣) الاستعانة بذوي الخبرة والمتخصصين (ا) مراجعة فضيلة الشيخ عيسى منون (ب) مراجعة الدكتور أحمد زكي بك (ج) مراجعة الأب يوسف العضم اليسوعي (د) مراجعة الأستاذ عبد العزيز إسحاق (ه) مراجعة الأستاذ عبد العزيز عبد الحق (و) جولاتي في الكتاب ، (ز) تقديم الكتاب إلى الناس جميعاً .

(٤) الأصول التي اعتمدنا عليها في تخريج الكتاب : (ا) الترجمات (ب) المجموعات التي بلغت إثنتى عشرة مجموعة وهي : (١) ص : مطبوعات مصر على الهامش (٢) ع : مطبوعات مصر مجردة ـ (٣) ل : مطبوعات أوروبا (لندن وليبزج) ـ (٤) س مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٩٧٧ (٥) ني مخطوطة بدار الكتب أيضاً رقم ٦٩٤ (٦) لث : مخطوطة ثالثة بدار الكتب رقم ١٣٩٠ (٧) مر : مخطوطة محمود بك السبع (٨) مث : مخطوطة ثانية له وأخرى بالمكتبة الأزهرية رقم ١٤٧٣ توحيد (٩) مع : مخطوطة ثالثة ملكه أيضاً (١٠) بـ : مخطوطتنا (بدران) ١١(ا) : مخطوطة بالمكتبة الأزهرية رقم ٤٣١ توحيد (١٢) وثالثة بها رقم ٤٧٤ أباظة .

٤ — تقسيم كتاب الملل والنحل للشهرستاني

(١) هل قسم الشهرستاني كتابه : ا — يصمم الشهرستاني على كونه رياضيًّا أيضاً . ب — قوله إنه قسم كتابه على مناهج الحساب (المقدمة الخامسة) . ج — الحق إنه لم يقسمه ، أو لم يصل إلينا تقسيمه د — مراتب الحساب والاختلاف في الواحد والعدد .

(٢) المقدمة الخامسة وكبار المتخصصين : ا — عجزي عن فهم تقسيم الكتاب من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه المقدمة . ب ـ عجز هاربركر الألماني عن فهمها وإسقاطه إياها . ج — عجز كيورتن أيضاً عن فهمها . د — رأي الدكتور أحمد زكي بك فيها . ه — رأيي بإزاء هذه المقدمة . و — هل هناك صلة بينها وبين الرياضيات الفيثاغورية .

(٣) هل قسم أحد الكتاب تقسيماً صحيحاً : ا ـ ما ذكر في صدر المخطوطة « س » ب — تقسيم هاربركر .

(٤) تقسيمنا للكتاب : ا — التردد الى أبي الفتح والرجوع إليه دائماً . ب — إسراره لي بالتقسيم (ج) تقسيمنا يوافق روح المؤلف ومراميه . د — تقسيمنا للكتاب جملة . (ه) تفصيل موجز لهذا التقسيم و — إجمال ما فصّلنا .

(٥) شكر وعرفان (وبعد) : « ا » شكر الدكتور ماضي . (ب) شكر الأستاذ كونس (ج) شكر الأستاذ ماسينيون

***

القسم الثاني — الشهرستاني وكتابه الملل والنحل

١ — عصر الشهرستاني

(١) وجوب دراسة العصر .

(٢) التحديد الزمني لعصر الشهرستاني .

(٣) مصادرنا عن عصر الشهرستاني : — ا ـ المجموعة الأولى : المصادر المعاصرة له . ب — المجموعة الثانية : المصادر المتوسطة . ج — المجموعة الثالثة : المصادر الحديثة .

(٤) الرقعة الاسلامية في عصره .

(٥) الحال السياسية في عصر صاحبنا ا — في العراق : ب — وفي خراسان أيضاً ج — وفي مصر د — وفي المغرب . ه — ثم الفرنج ، و — والباطنية .

(٦) الحال الاجتماعية وتشمل فيما تشمل : ا — الحياة العقلية . ب — الحياة العلمية . ج — الحياة الدينية . و — الحياة الأخلاقية ه — الحياة الاقتصادية .

(٧) وبعد : إجمال حال العصر وما يتطلبه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢ — الشهرستاني

(١) مصادرنا عن الشهرستاني : ا — المجموعة الأولى : المصادر المعاصرة له . ب — المجموعة الثانية : المصادر المتوسطة جـ — المجموعة الثالثة : المصادر الحديثة . د — دراسته من شيوخه هـ — دراسته في كتابه الملل والنحل .

(٢) نسبة الشهرستاني .

(٣) مولده ووفاته : ا — الاختلاف في مولده . ب — الاختلاف في وفاته . جـ — تحقيقنا تاريخ مولده . د — تحقيقنا تاريخ موته .

(٤) اسمه وكنيته .

(٥) مذهبه وشيوخه : ا — احمد الخوافي . ب — أبو القاسم الانصاري . جـ — أبو الحسن المدائني . د — أبو نصر القشيري . هـ — أشعرية صاحبنا وشافعيته .

(٦) ألقابه العلمية .

(٧) اشتهاره بالفلسفة في زمنه .

(٨) اتهامه بالميل إلى الباطنية والغلو في التشيع . ا — تحقيق ابن السبكي . ب — تحقيقنا .

(٩) رأي أعلام العصر الحديث فيه : ا — رأي هاربركر الألماني ب — رأي كرادي فو الفرنسي . جـ — رأي ألفرد جيوم الانجليزي . د — رأي مصطفى عبد الرازق المصري .

(١٠) آفاقه العلمية : ا — وهو رياضي أيضاً . ب — وهو محدث : جـ — وهو مفسر . د — جملة آفاقه العلمية .

(١١) رحلاته : ا — بين خوارزم وخراسان . ب — بين مكة وبغداد . جـ — رجوعه إلى خوارزم وخراسان . د ـ مجالسه . هـ ـ تقريرنا .

(١٢) لغاته : ا ـ اللغة العربية . ب ـ اللغة الفارسية . جـ ـ اللغة اليونانية : رأي هاربركر ، رأينا . د ـ خلاصة رأينا في لغاته .

(١٣) وعظه وتصوفه : ا ـ وعظه . ب ـ وتصوفه . جـ ـ حكمنا .

(١٤) اتصاله بالحكام : ا ب اتصاله بالوزير نصير الدين . ب ـ اتصاله بالسلطان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأعظم سنجر . ج ـ هل أثر ذلك عليه ؟ .

(١٥) كتبه : (ا) كتبه التي وصلت الينا : (ا) الملل والنحل (٢) نهاية الاقدام في علم الكلام .

(ب) كتبه التي لم تصل الينا بعد: (١) الارشاد الى عقائد العباد (٢) الاقطار في الأصول . (٣) تاريخ الحكماء (٤) تلخيص الأقسام لمذاهب الانام (٥) دقائق الاوهام (٦) شرح سورة يوسف . (٧) العيون والأنهار (٨) غاية المرام في علم الكلام (٩) قصة موسى والخضر (١٠) المبدأ والمعاد (١١) مجالس مكتوبة (١٢) مصارعة الفلاسفة (١٣) مفاتيح الاسرار ومصابيح الابرار (١٤) المناهج والآيات (١٥) شبهات أرسطالس وبرقلي وابن سينا ونقضها (١٦) نهاية الأوهام

(١٦) نهاية الأوهام (١٦) وبعد : رأينا في أبي الفتح

٣ ـ كتاب الملل والنحل للشهرستاني

(١) تقديم الكتاب : (ا) تقديم هاربركر (ب) ذيوع صيته والثناء عليه . (ج) تقديم الشهرستاني نفسه .

(٢) زمن تأليف الكتاب : (ا) تحديده بوزارة نصير الدين . (ب) تحديده من نفس الكتاب . (ج) تقريرنا .

(٣) إجمال محتوياته : (ا) مشتملات الكتاب جملة . (ب) مقدمات الكتاب الخمس : الأولى . الثانية . الثالثة . الرابعة . الخامسة (ج) تمهيد عام للقسم الأول . (د) المسلمون . (ﻫ) أهل الكتاب (و) من له شبهة كتاب . (ز) تمهيد عام للقسم الثاني . (ح) الصابئة (ط) الفلاسفة . (ي) . آراء العرب في الجاهلية . (يا) . آراء الهند . يب . الختام .

(٤) اهتمام المؤلف بالمقدمات والخواتيم . (ا) المقدمات (ب) والخواتيم أيضاً .

(٥) عنايته بالمصطلحات : (ا) مصطلاحات القسم الأول . (ب) مصطلحات القسم الثاني .

(٦) أسلوبه : (ا) طعن كيورتن عليه . (ب) متابعة جيوم لكيورتن . (ج) تحقيقنا من نفس الكتاب (د) رأي هاربركر (ﻫ) خلاصة تحقيقنا .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٧) منهاجه : (ا) ضابط الاختلافات عنده . (ب) طريقته في ترتيب الفرق . (ج) شرطه على نفسه (طريقته في النقل) (د) تصريحه بالمخالفة : (أين خالف) (ه) تأكيده أخيراً بأنه سار على منهاجه . (و) مناقشتنا لأبي الفتح في سيره على منهاجه . (ز). طرفه على حسب تحقيقنا . (ح) سعة اطلاعه تفتق شرطه (ط) مقارناته تخرجه عن منهاجه . (ي) سيره على منهاجه .

(٨) مصادره وكيف استخدمها : (ا) ما هي مصادره (ب) مصادره المباشرة (ج) مصادره غير المباشرة (د) وثوقه بمصادره وتحقيقه لها . (ه) فهمه لها وتفهمه إياها .

(٩) حكمنا له أو عليه : (ا) حكمنا عليه : (١) إغفاله بعض المقالات (٢) اعتماده على خبر الافتراق (٣) اضطرابه في عد كبار الفرق (٤) فرضه أن الفروع ثلاث وسبعون بجهد (٥) بعض الألفاظ النابيــة في الـكتاب (٦) مجمل هناته . (ب) حكمنا له : (١) موقفه من الشافعي والشافعية مذهبه في الفروع (٢) موقفه من الأشعري والأشعرية مذهبه في الأصول (٣) موقفه من النصارى (٤) موقفــه من ابن سينا (الفلاسفة) (٥) استعانتنا بحكم المتخصصين (٦) خلاصة الحـكم .

(١٠) تقدير ودعاء .

* * *

ثم : المصادر جملة : (ا) المصادر الناطقة (ب) المصادر المكتوبة . (ج) أهم الكتب . وقد بسطنا الـكلام على هـذا كله في ٢٤٥ صفحة من القطع الـكبير ضمها جميعاً مجلد واحد .

كتاب الملل والنحل : ولما كانت ترجمات الـكتاب عن أصول عربية ، لم نرجع اليها الا للـكشف والهداية ، ثم قسمنا أصول الكتاب المطبوعة والمخطوطة — التي استطعنا الوصول اليها — الى مجموعات بلغت اثنتا عشرة مجموعة كاملة ، ورمزنا لكل مجموعة برمز خاص يدل عليها ، فجاءت كما يلي :

١ ـ ص. مطبوعات مصر على هامش الفصل لابن حزم (اشارة الى طبع مصر)

٢ ـ ع : مطبوعات مصر مجردة (اشارة الى المطبعة العثمانية)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ ـ ل. مطبوعات : أوربا (اشارة الى لندن وليبزج)
٤ ـ س : مخطوطة بدار الكتب المصرية (اشارة الى زمن نسخها وهو القرن السابع الهجري)
٥ ـ ني : مخطوطة ثانية بدار الكتب أيضاً (اشارة الى منتصف القرن الثاني عشر الهجري) .
٦ ـ لث : مخطوطة ثالثة بدار الكتب كذلك (إشارة الى منتصف القرن الثالث عشر الهجري) .
٧ ـ سر : مخطوطة ملك محمود بك السبع المستشار بمصر (السين إشارة الى إسمه والراء الى القرن العاشر الهجري) .
٨ ـ سث : مخطوطتان : إحداها بمكتبة الأزهر ، والثانية للسبع بك (السين إشارة له والثاء للقرن الثالث عشر الهجري) .
٩ ـ سع : مخطوطة ثالثة ملكه كذلك (السين لاسمه والعين للقرن السابع)
١٠ ـ (ب) مخطوطة ملك مخرّج الكتاب محمد بن فتح الله بدران إشارة إلى إسمه بدران.
١١ ـ (ا) مخطوطة ثانية بمكتبة الأزهر إشارة الى أنها نقلت عن أقدم نص الكتاب .
١٢ ـ (ه) مخطوطة ثالثة بمكتبة الأزهر أيضاً (إشارة الى المكتبة الأزهرية) .

ولقد وصل إلينا هذا الكتاب — في مختلف طبعاته ومخطوطاته وترجماته — مخلخل البناء مهلهل الرداء . ويعلم من بيده مفاتيح السر وما يخفى . كم واصلت الليل بالنهار ، والنهار بالليل ، باحثاً مفتشاً ، منقباً . . . حول نص أرجّح ، أو علم أضبط ، أو اصطلاح أتكنّه ، أو معنى أتفهّم ، أو كلمة أتعقب . وكم واجهت نصوص الكتاب جميعاً بعضها ببعض . جملة جملة ، وكلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً . مستلهماً المؤلف نفسه ، متسمّعاً جرسه وهمسه ، مثبتاً في المتن ما يدعو إليه أو يطمئن له ، ذاكراً في الحواشي كل القراآت المختلفة ، المخالفة لما اخترت مما يؤدي الى معنى آخر ، أو مما قد يُفهم معه فهم ثانٍ . أو مما قد يمكن أن يُقرأ قراءة أخرى . ليختار القارىء ما يشاء . . . إن شاء معرضاً عن غير ذلك ، من اختلافات تُثْقِل الكتاب ، وتَثْقُل على القارىء ، ماراً بلغو النساخ والمتعالمين من الكرام ، بعد أن أقف على هذا اللغو طويلاً ، وبعد أن أقلب فيه أوجه النظر ، وأدير عليه وجوه البحث ، فلا أجد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيه غناء ، ولا أعرف له وجهاً ، فلم أذكر في الحواشي : ما لا معنى له لغة أو اصطلاحاً ، وما لا يستقيم المعنى معه ، وما يقطع البحث التاريخي بخطئه ، مما ظن النساخ والمتعالمون أنهم يصلحون به متن المؤلف ، كما أبعدت منها ما لا فائدة ترجى منه . ومع كل هذا ، فقد بلغت المفارقات التي دونتها في حواشي الكتاب ٦٢٧٥ مفارقة ، وقد تصل المفارقة الواحدة الى ٢٤ سطراً .

وبهذا استطعنا أن نخرّج هذا الكتاب ـ لا نسخة منه ـ للناس جميعاً : نعم نستطيع أن نقدمه ـ دون أن ندّخر وسعاً في التحقيق العلمي والأمانة العلمية ـ لخواص المتخصصين ، إذ نقدم لهم كل نسخة نسخة ـ عثرنا عليها ـ من نسخ الكتاب مخطوطة أو مطبوعة ، وما على الباحث إلا أن يعرف رمز النسخة التي يريد الاطلاع عليها ، ويتابع ذلك الرمز في الحواشي مع قراءة المتن ، فيحصل بذلك على النسخة التي يريد ، وحسبنا أن نشبع رغبة هؤلاء الباحثين المنقبين ، ونقدم إليهم عشرات النسخ في كتاب ، ونستطيع أن نقدم ذلك الكتاب نفسه — دون أن نفرض رأينا فرضاً — لجمهور المثقفين من القراء ، بعد أن بذلنا فيه طويل وقتنا لنحفظ عليهم وقتهم ، هؤلاء إنما نقدم لهم المتن نقيًّا خالصاً . . . وحسبنا أن نتعب ونتعب ونتعب ، لنريح هؤلاء وهؤلاء ،

* * *

وفوق هذا ، فإنا انفردنا بابتكار عناوين مفصلة للكتاب كله بلغت ٢٨٣٠ عنواناً ، نثرناها على الهامش الأيمن للكتاب ، وجمعناها في الفهرس الثاني من فهارسه .

كما أثبتنا على الهامش الأيسر أرقاماً تدل على عدد السطور لتكون همزة الوصل بين القارىء والفهارس والكتاب .

بعد أن بذلنا غاية الجهد حتى تفرّدنا بتقسيم الكتاب وتجزيئه وتبويبه وتفصيله ، بما يوافق روح المؤلف ، ويوفّق بينه وبين العصر الحديث ، وقد نثرنا كل هذا في كل الكتاب وجمعناه في الفهرس الأول من فهارسه .

وقد استغرق متن الكتاب مجلدين : مجلد خاص بأرباب الديانات والملل ، وآخر خاص بأهل الأهواء والنحل ، واشتمل هذان المجلدان على ٨٦٦ صفحة من القطع الكبير .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهارس كتاب الملل والنحل : ولما كانت فائدة الفهارس أن تقود القارىء في سهولة ودقة ويسر وسرعة إلى حيث يريد من الكتاب ، وهي بهذا تعتبر روح الكتاب ومفتاحه كان هدفنا الأول والأخير أن تكون فهارسنا هذي هي القائد الحكيم للقارىء الكريم ، مهما كلفنا ذلك من جهد ومشقة ، فجاءت بحمد الله وفق ما نرجو . وهل يستطيع باحث الآن أن ينتفع انتفاعاً كاملاً ودقيقاً بكتاب مّا إلاّ إذا قادته إلى حيث يريد منه فهارسه خصوصاً إذا كان الكتاب مترامي الأطراف متسع الآفاق ككتاب الملل والنحل ، لهذا وقفت عنايتي حيناً من الدهر لابتكار هاتيك الفهارس المتنوعة لذلك الكتاب ، وكلي أمل أن يستفيد منها الباحث فتفيده ، وأن تجذب القارىء إلى الكتاب فينجذب إليه .

* * *

ولقد ابتدأت بالفهرس الاجمالي لمحتويات الكتاب وانتزعته من التقسيم الذي تفردت به ، وعانيت فيه ما عانيت ... حتى جاء الكتاب في قسمين في سبعة أجزاء في خمسة وعشرين باباً في ١٣٣ فصلاً ،

القسم الأول يشمل ثلاثة أجزاء : المسلمون — أهل الكتاب — من له شبه كتاب ، وهم أرباب الديانات والملل .

والقسم الثاني يشمل أربعة أجزاء : الصابئة ـ الفلاسفة ـ العرب ـ الهند ، وهم أهل الأهواء والنحل .

وثنيت بالفهرس التفصيلي لمحتويات الكتاب ، وانتزعته من العناوين الجانبية التي ابتكرتها ، ونثرتها على الهامش الأيمن للكتاب والتي بلغت ٢٨٣٠ عنواناً .

وثلثت بفهرس الترجمة الألمانية لهاربركر — وقد ناقشته في كتابنا المدخل — وجعلته كملحق للفهرس الأول المنتزع من تقسيمنا للكتاب ، للمقارنة بينهما من ناحية ، ولاستكمال المنهج العلمي من ناحية أخرى .

وربّعت بفهرس المخطوطة « س » كملحق للفهرس الثاني ابتكارنا ، للمقارنة بينهما من ناحية ، ولاستكمال المنهج العلمي من ناحية ثانية ، وللمحافظة على الأمانة العلمية من ناحية ثالثة ثم خمّست بفهرس البلاد والأماكن التي انتزعتها من نجاد الكتاب ووهاده ، بعد أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رتبتها ترتيباً هجائيّـا على حسب النطق بها وكتابتها ، مثبتاً أمام البلد أو المكان رقم الصفحة فالسطر الوارد فيه .

ثم صدّرت بفهرس الفرق والقبائل المنثورة في مطاوي الكتاب وثنياته ، ذاكراً أمام كل فرقة أو قبيلة أرقام الصفحات التي خصصت لها بعد علامة = من . . . إلى . . . ثم مثبتاً رقم الصفحة فالسطر الواردة فيهما الفرقة أو القبيلة في غيرها خصص ما .. وقد رتبتها على حروف الهجاء .

* * *

وأخيراً — وليس آخراً ان شاء الله — ختمت هاتيك الفهارس — الآن — بفهرس الأعلام للأفراد ، مرتباً كسابقيه على حسب النطق والكتابة وأحرف الهجاء ، ذاكراً الصفحة فالسطر الوارد فيهما ذلك العلم أولاً ثم مثبتاً أمام ذلك ما انفرد به هذا العلم من رأي أو ما سيق هذا العلم من أجله إن كان في ذلك غناء أو نفع علمي . وقد شملت هذه الفهارس جميعاً ١٨٤ صفحة من القطع الكبير .

وبعد : فانه لمن حسن حظ هـذا النوع الجديد من البحث — الذي نهيب بالمخلصين والمتصوفين من العلماء والباحثين وبخاصة طالبي الإجازات العلمية أن يسلكوا سبيله — أن يخرج من الأزهر ، وفي الأزهر ، وللأزهر ، ليشعّـه على العالم كله ، وقد استوى على الأزهر الآني عالم عالميّ ، نرجو أن يدفع بسرعةٍ وقوةٍ الأزهر ورجاله وأبناءه بكلتا يديه — كما يقول — ذلـكم هو فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق قواه الله وأعانه .

* * *

والله نسأل : أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ، وأن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يوفقنا لخدمة العلم والدين

محمد بن فتح الله بدران

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرياضيات
في العلوم الطبيعية

الكون عالم طبيعي (فيزيقي) فلماذا نرى عنصر الرياضة قد أصبح حقيقة لاغنى عنها في علم الطبيعة ؟

هذا سؤال ألقاه السير جيمز جينز ، ولكنه أجاب على سؤاله بقوله : « لأن خالق الكون رياضي بحت » . لكن السير ارثر ادنجتن أراد أن يخفف من وطأة الجواب فقال : « إننا نحن الذين وضعنا عنصر الرياضة في الطبيعة » . ولست أدري هل جرّد الخالق من صفة الرياضة ، أم جرد الكون من تكوينه الهندسي ، عند هذا قامت الأستاذة سوزانا ستبنغ [1] وهاجمت العالمين بشدة وأنكرت قولها وأرادت أن يكون الجواب على هذا السؤال ما يلي : « لقد خلق الله الكون في صورة رياضية » .

وعلى كل حال فقد اتفق العالم والفيلسوف على أن الرياضيات أساس في طبيعة الكون وخلقه ، وإنه يتعذر علينا تحليل ظواهر الطبيعة وتفسيرها دون الالتجاء الى الرياضيات .

ولقد اتفق العالم والفيلسوف — كما قلت — في فهم هذا الكون وتركيبه ولكنهما اختلفا في صيغة التعريف ، فالعالم يعتمد على التجربة وعلى الحساب الدقيق عند القياسات أثناء التجربة ، فعنده ، أن الظواهر الطبيعية لا تفسر إلاّ بالتجربة والقياس . أما الفيلسوف فيعتمد على العقل المجرد فيعلل ظواهر الطبيعة على أساس المنطق ،وكثيراً ما يخطىء المنطق في هذه التعليلات، ولعله يخطىء دائماً في هذه الناحية لأن القوانين المنطقية لا تساعدنا في فهم العالم التجريبي ، فجميع معارفنا عن الحقيقة تأتينا عن طريق التجربة ، فالمنطق لا سبيل له في تعليل الظواهر الطبيعية دون التجربة . وفي هذا الصدد يقول إنشتين « إن أقوال المنطقيين البحت كلها فارغة بالنسبة للحقيقة » .

ولما كانت التجربة تعتمد على القياس إذن فعنصر الرياضة حقيقة لازمة في تفهم أسرار الكون وتعليل ظواهره . لنأخذ مثلاً بسيطاً : نلاحظ عند مرور تيار كهربي في أنبوب يحتوي على غاز مخفف منظراً جميلاً . فالظاهرة تبين ما يحدث عند مرور التيار الكهربي في

---

(١) أستاذة المنطق في جامعة لندن ، توفيت عام ١٩٤٣ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأنبوب وتنقطع بقطعه ، هـذه ظاهرة فزيقية . أما التجربة فتعلمنا مقدار كثافة الغاز ونوعه وان اللون المرئي هو خاص لذلك النوع من الغاز ، وتعلمنا أيضاً مقـدار قوة التيار وجريانه . . . الخ . هذه الايضاحات تكفينا من التجربة . ولعلّ هذا كل ما يقال في تعليل هذه الظاهرة قبل خمسين سنة. ولكننا اليوم لا نكتفي بهذه الايضاحات بل نسأل عن أسباب أخرى فندخل حدود العلم النظري فنتطرق الى التركيب الذري والشحنات الكهربيـة التي تحملها الجسيمات عنـد خروجها في السلك الكهربائي ، وتصادمها مع ذرات الغاز، وتفاعلها معها تفاعلاً آليّـا ، عندئذٍ نصل بعد جهد الى تعليل الظاهرة وهكذا فالتجربة التي كانت قبلاً بسيطة قد أصبحت معقدة تجبرنا على أن نتطرق حقولاً جديدة في العلوم نحتاج في تفسيرها الى معرفة العلوم الذرية والرياضيات العالية .

على هذه الطريقة تقدم العلم الفوزيقي وبواسطة الرياضيات حقق سيادته على غيره من العلوم فنشأ من تقدم الرياضة وملازمتها له نوعان من العلوم الفوزيقية ، العلم التجريبي الذي يعتمد على التجربة والحسابات ، والعلم النظري الذي يعتمد على الحلول الرياضية في الوصول الى النتائج الفوزيقية بغير التجربة اليدوية . فنيوتن الذي يعـد أبو الفوزيقا النظرية كان يعتقد أنه من الممكن استخلاص جميع الأسس والقوانين التي وضعهـا عن طريق التجربة وهذا ما كان يعني بقوله المأثور hypotheses non fingo

علمنا أن التجربة تحتاج الى القياسات أو قل هي القياسات بعينها ، إذن يطابق هذا القول تعريف هايزنبرغ للعلوم الفوزيقية حيث يقول « الفوزيقا هي علم القياسات » .

وعند ما كان يعتقد نيوتن إنه من الممكن الحصول على جميع أسس وقوانين الطبيعة عن طريق التجربة،هكذا كان يعتقد مكسول عند ما أراد أن يحصل على جميع نتائج (فراداي) في علمي المغنطيس والكهرباء عن طريق الحلول الرياضية وهكذا كان، فقد نجح في الوصول الى تلك النتائج بواسطة الرياضيات وقد زاد عليها قوانينه المشهورة وبحوثه التي من جرائها سهلت اكتشافات عديدة كاللاسلكي والراديو والردار وغيرها .

برز في حقول الرياضيات الطبيعية علماء أفذاذ قدموا العلم خطىً واسعة ورقوا به الى أسمى الدرجات فأصبح سلم السعادة ، وآلة الفتك والدمار . كان لبلانك ودي برولي وهايزنبرغ وشرودنجر وديراك وبور وغيرهم أثر بعيد في تقدم علم الطبيعيات الحديثة أخصها الفوزيقا الذرية. وكان لفتزجرالد ولورنتز ومنكوفسكي وانشتين في تقدم النسبية.

فالفئة الأولى كان جل إهتمامها بالناحية الرياضية في الحقول الذرية فتقدم هذا الفرع شوطاً بعيداً ووصلوا الى الشاطىء المجهول قبل أن يصل اليه علماء التجربة . فبهم تقدم علم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الميكانيكا المقدارية quantum mechanics وعندما توصل علماء التجربة الى وجود دقائق جديدة في عالم الذرّة كالنيوترون والميزون والبوزترون التي مهدت الطريق الى استخراج الطاقة الذرية الكامنة، تقدم هؤلاء النظريون بواسطة علومهم الرياضية في علوم الميكانيكا الجبرية Matrix Mechanics وتبعتها الميكانيكا الموجية Wave Mechancis. فلهذه الأخيرة كانت اليد الطولى في تعيين خصائص الذرة وتركيبها وتفاعلها والتي مهدت السبيل الى اكتشاف القنبلة الذرية، تلك القنبلة التي أهلكت ودمرت وفرضت السلام على العالم فرضاً [١]

فالخطى التي أحرزها العلم الفوزيقي بواسطة الرياضيات يعد من عجائب هذا العصر فقوانين نيوتن في الميكانيكا لم تعد تصح على دقائق الضوء فاقتصر فعلها على الكتل الكبيرة والقذائف المرئية. وأما الفئة الثانية فقد جاءتنا بأبحاث في تنظيم الكون وتفسير مسالك الاجرام والظواهر الكونية. فبحثوا في الزمان والمكان وصحتهما المطلقة، وارتقوا بنا الى أعالي الأجواء لنعرف مدى الكون، أهو امتداد لا نهائي، أم هو كون مكور محدود، فقدموا لنا تقريراً وافياً عن هندسة الكون وشكله أرجعتنا إلى بداية هذا الحديث، وأعلمتنا أن خالق الكون رياضي مبدع، أو قل إنّ هذا الكون قد خلق على نظام هندسي مدهش. فكانت النسبية الخاصة تقول: ان القوانين الطبيعية العامة ليست متباينة بالنسبة لمعادلات لورنتز.

وكانت النسبة العامة تقول: ان تساوي جميع نظم الاحداثيات الجوسية [٢] أساس في تكوين القوانين الطبيعية العامة [٣]. بهذه اللغة نفسر الكون، هذه اللغة الرياضية التي جعلت الإنسان يؤمن بالعقل ومبتكراته، وحيث يقف أمام هيكل هذه الآلة قائلاً:

أيتها الرياضيات يامن لك الفضل الأكبر في تنمية العلوم وتوسيع مدارك الإنسان لك تدين المكتشفات، وبك عرف الشاطيء المجهول، أنت القابضة على أحداث الموسيقى واهتزازاتها، بك تقدمت الفوزيقا وإليك ترجع الكيمياء، بقدرتك حمل الإنسان الكون على كفه، يقلبه ليستقصي مسالكه ويعرف مادته.

لا مجال للاستغراب في هذا الحديث، فالرياضة إحدى الطرق التي بها ننظر الى الأشياء والذي لا يعرفها فهو خاسر، وخسرانه كبير في فهم العلوم وأسرار الكون، ولو أنه لا يشعر بهذه الخسارة مثلة كمثل المصاب بعمى اللون الذي لا يقوى على رؤيته [٤]

فؤاد جمعان

(١) مجلة اندفر سبتمبر سنة ١٩٤٦ (٢) نسبة الى الرياضي الشهير جاوس Gauss (٣) تلخيص اينشتين.
(٤) Mc Kay, The World of Number

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأثر الدنيوي

في الفن القبطي

من الأمور المتفق عليها حتى العصر الحاضر بين علماء الآثار والمؤرخين أن الفن القبطي إنما هو فن ديني مسيحي محض يعبر عن فن الأديرة والكنائس،مؤثراته دينية كما أن أغراضه دينية أيضاً ، بمعنى أنه لم يتأثر بمؤثرات دنيوية وإنه لم يرم الى أغراض دنيوية (مدنية).

ويبدأ هذا الفن القبطي أو الفن البيزنطي في نظر هؤلاء العلماء منذ سنة ٣٩٥ ميلادية وقت أن أصبحت الديانة المسيحية ديناً رسميًّا لمصر ، ويستمر حتى سنة ٦٤٠ ميلادية ، وهو وقت دخول العرب مصر .

ولكن إذا رجعنا إلى أصل كلمة قبطي وجدنا أنها في معناها ترادف كلمة مصري سواء بسواء ، بمعنى أن جميع سكان وادي النيل كان يطلق عليهم قبل غزو الاسكندر الأكبر لمصر بمدة طويلة اللفظ اليوناني « ايجبتيوس » الذي حُرِّف بعد ذلك الى لفظ قبطي .

وهذا يقطع بأن كلمة قبطي لا علاقة لها إطلاقاً بالنزعة الدينية ؛ بل كان لفظها يستعمل قبل دخول المسيحية مصر وفي عهد المسيحية وبعدها .

نخرج من هذا بنتيجة هامة وهي أن الفن القبطي كان فنًّا مصريًّا قبل أن يكون فنًّا دينيًّا كما هو الرأي الشائع حتى الآن .

ومجرد إعادة النظر في الآثار القبطية الموجودة بالمتحف القبطي،وفي باقي المتاحف المصرية ، وكذلك في مختلف متاحف أوروبا وأمريكا ، وفي الأسباب التي استند عليها العلماء في رأيهم السابق ، وفي ما قام به العلماء من حفريات — يدلنا على إنهم مخطئون فيما يذهبون إليه ، فقد خضع الفن القبطي كغيره من سائر الفنون لمؤثرات البيئة التي نشأ فيها وهذه المؤثرات منها ما هو ديني ومنها ما هو دنيوي،وهو ترجمان صادق للحياة المصرية في تلك الفترة من الزمن وما قبلها وما بعدها .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فمثلاً وجد في كثير من المقابر والمباني المدنية آثار بغيضة الى الدين المسيحي والمتدينين به ، فالمتحف القبطي زاخر بصور العراة وبأدوات الزينة من مكاحل وأمشاط وحلى السيدات ، من ذلك الخلاخيل والأساور المحلاة برأس الثعبان (وهي العادة الفرعونية القديمة والمنتشرة حتى الآن) وما الى الخلاخيل من العقود والخواتم التي على شكل زهرة اللوتس أو المحلاة بعلامة إيب الفرعونية (أي القلب) والحلقان الذهبية التي على شكل عنقود العنب ، والثياب المدنية المزركشة والمزخرفة بزخرفة فرعونية كالجعل المجنح أو علامة عنخ الفرعونية (أي الحياة) وهي بلا شك من آثار الحضارة المصرية الفرعونية .

كذلك ترك لنا الفن القبطي آثاراً منزلية كثيرة عليها بعض مناظر لأشخاص عراة أو لراقصين أو راقصات ، كما أن بعضها يشبه ما وجد في مقابر الفراعنة كالأواني الفخارية ، أو بعض الأواني المعدنية ، كالإناء الذي يشابه العلامة الفرعونية (حسى) أي ممدوح ، أو الملعقة الصدفية التي لها يد من حديد وتنتهي بشوكة وتشبه في شكلها تلك التي وجدت أخيراً في حفائر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم بجهة حلوان وهي مصنوعة من العاج ويرجع تاريخها إلى أوائل عصر وحدة مصر الأولى تحت عرش ملك واحد .

كما أن البعض الآخر من الآثار القبطية عليه مناظر نيل مصر ، من طيور ، وأسماك أو نبات البردي ، أو التمساح أو المراكب والنيل بلا شك قوام حياة مصر في كل عصورها ، ولا علاقة لكل هذا بالدين المسيحي لا من قريب أو بعيد .

كما أن هناك آثاراً عديدة من العصر القبطي لمصريين لم تكن المسيحية ديانتهم . وقد استوحى هذا الفريق من المصريين الذين لم يكونوا قد اعتنقوا المسيحية بعد في فنهم مؤثرات غير مسيحية ، وهذا يدل على ان الفن القبطي كان فنـًا مشتركاً بين المسيحيين وغير المسيحيين من المصريين .

زد على ذلك أن على كثير من المباني رسوماً حيوانية كصيد الأسد أو الغزال أو الطيور أو مناظر لبعض نباتات مصر كالنخيل واللوتس والبردي والرمان . وان أصل الكثير من هذه الرسوم يرجع إلى مصر الفرعونية ، ويبين استمرار وحدة الفن المصري في عصوره المختلفة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفوق هـذا عثر المنقبون على آثار قبطية هي عبارة عن أدوات زراعيـة كالفأس والشرشرة — ومصر بلاد زراعية — أو أدوات طبية ، كالمرود والسكين والمقبض ، أو أدوات الكيل ، والوزن، أو أدوات الـكتابة ، أو أدوات الطهي ، أو أدوات النسيج، والـكثير منها يرجع في أصله إلى مصر الفرعونية .

ولا داعي للقول بأن كل هـذه الاشياء لا تمت الى الدين المسيحي بأي صلة ممـا يؤيد الرأي الذي نقول به ، وهو أن الفن القبطي تأثر بمؤثرات دنيوية (مدنيـة) فوق تأثره بالمؤثرات الدينيـة المعروفة ، فالفن في كل عصر وفي كل بلد إنما هو ترجمان للحياة في شتى نواحيها .

ويرجع كثير من الرسوم الجصية التي كانت تزين بها بعض المباني القبطية في أصلها الى نقوش فرعونية ، أو زينة فرعونية، بل انها كانت تصنع بنفس الطريقة الفرعونية . وكذلك كان التصوير بالألوان على لوحات المومياء يرجع الى تطور العادات المصرية الفرعونية .

وهناك كثير من الرسوم التي وجدها العلماء مرسومة على قطع من القماش تعبر في مرماها عن أشياء لا تمت للدين بصلة ما رغم أنها رسمت بعد أن أصبحت المسيحية ديناً رسميـاً للدولة الامبراطورية الرومانية التي كانت مصر في القرن الرابع الميـلادي إحدى أجزائها .

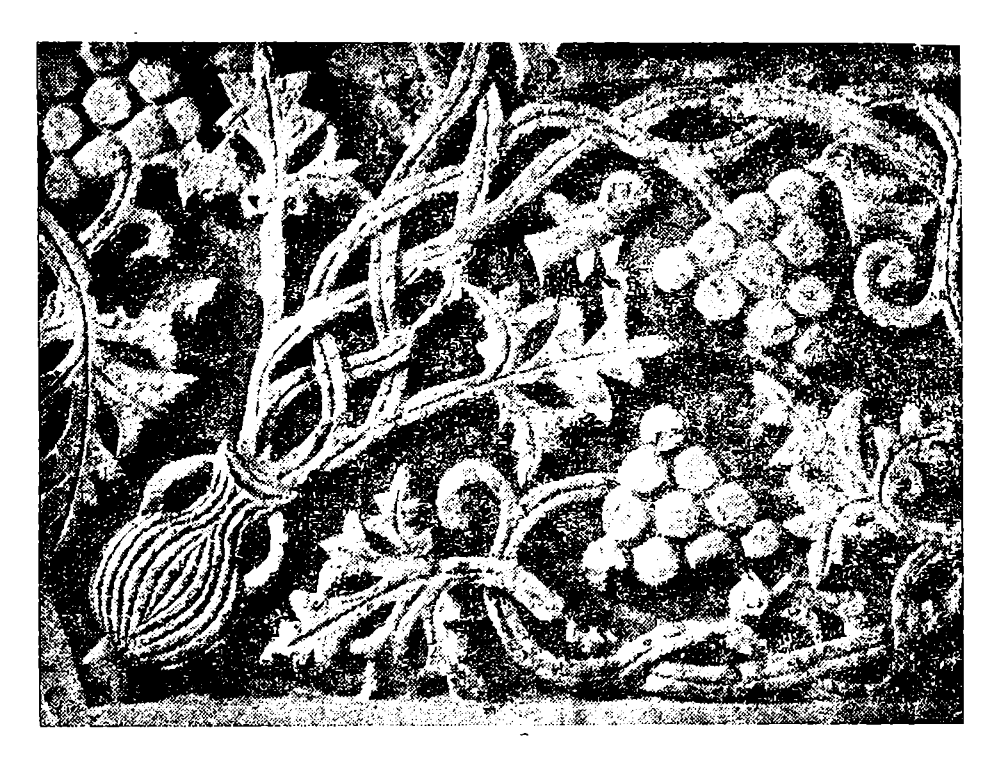
ومما يقطع بصحة رأينا تلك الرسوم الـكثيرة التي وجدها العلماء على جدران بعض الـكنائس والأديرة التي لا علاقة لها بالدين اطلاقاً، وإنما هي ترمز إلى صور من الحياة المادية، فمثلاً: ما علاقة عصفور يأكل عنباً (صورة رقم ٦) أو صور أشجار وفواكه وأزهار أو صور هندسية بالدين ؟

بل من الطريف أن القبطي لم تفته روح الدعابة والمرح التي ورثها عن أجـداده قدماء المصريين، إذ ضمن رسومه حكماً وأمثالاً كانت متداولة في مصر الفرعونية ولا زال بعضها مضرب الأمثال حتى وقتنا الحاضر. مثال ذلك لعبـة القط والفار المرسومة على جدران أحد مباني باويط

واذا ذهبنا مع هؤلاء العلماء مذهباً بعيداً لوجب القول بأن الفن القبطي (الفن البيزنطي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في نظرهم) وجد معاصراً للعصر المسيحي بمعنى انه لم يوجد قبل هذا العصر ما يسمى فناً قبطياً .



صورة رقم ٦ (تصوير المتحف القبطي)

ولكن اذا عرفنا أن الفنون التي نمت وازدهرت في أنحاء مصر أثناء الحكم اليوناني الروماني ، أثرت في الفن اليوناني الروماني نفسه ، وقد قلد اليونان والرومان في عمائرهم الكثير من أساليب العمارة الفرعونية وزخرفتها ، وجب أن نخرج بنتيجة وهي أن الفن القبطي وجد قبل ظهور المسيحية بزمن طويل نستطيع تحديده نوعاً بدخول الاسكندر الأكبر مصر حوالي سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، حتى لا نخلط بين الفن القبطي المصري ، والفن القبطي الفرعوني كما يجب أن نسميهما .

فقد ثبت انه كان للمصريين في العصر السابق المسيحية فن مجيد ونهضة فنية رائعة رن صداها في كافة الارجاء ، وتأثرت بها سائر البلدان المجاورة .

ولا يمكننا بحال من الاحوال أن نوافق على رأي العلماء من أن الفن الذي ظهر في مصر في هذا العصر كان فناً يونانياً رومانياً فحسب ، أو نوافق على رأي الفريق الآخر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من أن الفن الهيلينستي وهو المزيج من اليوناني المتأخر ، وفن بعض الشعوب الشرقية كفارس وسوريا وبابل هو الذي ساد في هذا العصر في مصر

والآن وقد سقنا هذه الأمثلة العديدة والأدلة التي بيناها نستطيع أن نؤكد بأن الفن القبطي ليس كما يقول العلماء فنًّا دينيًّا مسيحيًّا محضاً ، وانما هو فنٌ مصريٌ له مؤثراته وأغراضه الدنيوية ، كما أن له أغراضاً ومؤثرات دينية .



صيد الأسد (تصوير المتحف القبطي)

ومما يعزز قولنا هو تفرع اللغة القبطية الى لهجات منها : اللهجة البحيرية ، والصعيدية ، والأخميمية ، والفيومية ، التي تدل دلالة واضحة على التطور الاقليمي للغة المصرية القديمة .

ولم تؤثر اللغة اليونانيـة على القبطية الا من حيث بعض حروف الهجـاء وبعض المفردات الدخيلة .

دكتور باهور لبيب
الامين بالمتحف القبطي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاستحمام

وفوائده الصحية والطبية

يراد بالاستحمام تعريض كل الجسد للماء والرياضة العضلية وليس دخول الحمام للإغتسال بالماء الحار فقط بقصد النظافة ، والغرض منهُ كما لا يخفى إزالة الافرازات الجلدية كالعرق والمواد الدهنية التي تمتزج بالغبار وتلتصق بالجلد . فاذا لم تُزَل تلك الافرازات رسخت حينئذٍ بالجلد وكوَّنت قشوراً تمنع تنفس الجلد وإفراز العرق ، وهذا ما يؤدي الى أمراض خطيرة. وقد يموت الانسان إذا حُجز عنه التنفس الجلدي مثلما يموت إذا حُجز عنه الهواء .

فلا بدّ للانسان إذاً من غسل جسمه دائماً مهما كان سنهُ ومنزلتهُ ، غنيّاً كان أم فقيراً ، عالماً أم عاملاً ، طفلاً أم شيخاً . كيف لا وهو واسطة النظافة والصحة الجيدة ، وعامل حيوي لدرء كثير من العلل والأمراض التي تأتي عن طريق الجلد بما يلصق على سطحه كما قلنا من الأوساخ والأدران والأملاح والقشور التي يفرزها العرق والغدد الدهنية . وبالرغم من وجود المنشآت الكثيرة المخصصة للاستحمام في أيامنا هذه لا نزال بعيدين جدّاً عن اهتمام الشعوب القديمة من حيث النظافة ومضاهاتنا لها من هذه الناحية .

فالحمامات عند اليونان والرومان كما يؤكد بعض المؤرخين كانت لا تماثل حسناً وكبراً ، وقد بلغت درجة من الأهمية بحيث أفسحوا للناس مجالاً واسعاً لارتيادها سواء أكانوا من العامة أم الخاصة . فكانوا يقدّرون إذ ذاك قوة الجسم وجماله ورشاقته ويعملون على المحافظة عليه ، ولا تزال ماثلة الى اليوم في أوروبا بقايا تلك الأماكن الجميلة المخصصة للاستحمام . ففي روما مثلاً كان يوجد لدى جميع الأشراف والأغنياء ، حتى الطبقة المتوسطة من الشعب ، حمّامات خاصة في بيوتهم — هذا عدا الحمامات العمومية لطبقات الشعب . أما في أيامنا هذه فلا نرى ما يذكرنا بتلك التماثيل الكبيرة الرائعة التي لا تزال آثارها باقية في أراضي المملكة القديمة كتماثيل الحمامات العامة لاوغسطس ، ونيرون ، وكراكلا في رومة ، وتماثيل قيصر في باريس . وقد كان الاستحمام للأهلين مجاناً تقريباً أي بسنتيمين فقط ، ولا يخفى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما لوجود مثل هذه المنشئات وأماكن الاستحمام من المنافع الجزيلة للصحة العامة .

ويمكن القول أن النظافة لم تبتدىء بالتقدم جديًا بعد ذلك إلاّ في أيام الصليبيين خصوصاً عند الطبقة الميسورة ، وقد امتدّ ذوق استعمال الحمامات من الشرق الى فرنسا . ويكفي أن تطوف الآن شوارع باريس القديمة وتشاهد معالمها ورسومها وتقرأ أسماء شوارعها كي تتأكد من وجود أماكن عديدة عامة للاستحمام في ذلك الزمن .

وقد كتب أحد المؤرخين الغربيين فصلاً ممتعاً عن عادات أهل البلاد وأخلاقهم في ذلك الزمن أي من القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر جاء فيه ما يلي : — « لكي يكون الاستقبال حارًّا ويبدو وديًّا نخماً إذا دُعي أحدهم إلى تناول الطعام عند أسرة ما ، فعلى أصحاب الدعوة أن يهيئوا للمدعو أولاً حمّاماً حارًّا فور وصوله الى بيت هذه الاسرة ، وبعد الانتهاء من الحمام يأتي الضيف توًّا الى غرفة الأكل لتناول الطعام » .

ولعمري ليست النظافة وحدها ما يكسبه الجسم بالاستحمام، بل هنالك أيضاً إنعاش الجسد وتسكين أعصاب الجلد ، والبهجة والنشاط والرشاقة وخفة الحركة والصحة وبالتالي طول الحياة . وإذا أمعنا الفكر قليلاً ألفينا أيضاً أنّ النظافة هي أساس الوقاية من الامراض المعدية ، ولنأخذ مثلاً على ذلك الحمّى التيفية التي تنتقل من المريض الى السليم بوساطة المواد البرازية . فاذا روعيت النظافة في هذه الحالة أمكننا التخلص من هذا المرض بدون أن نتعرض للتلوث به ونبقى سالمين منهُ . وهكذا قل عن الزحار والهيضة (الكوليرا) وغيرها .

زد على ذلك أنّ النظافة هي أساس الجمال . فالزينة والتبرج مهما بلغا حد الكمال والاتقان يبعثان في النفس النفور والاشمئزاز أكثر من الإعجاب والاطراء — إذا لم يكونا مقرونين أولاً بالنظافة ومراعاة الطهارة الجسدية ، ومهما تكن المرأة جميلة مليحة فإن قذارة ملابسها أو اتساخ جسمها يسلبها الملاحة والفتنة والجاذبية التي تنشدها . وهذا كله لا يتم إلاّ بالاستحمام .

وفي أيامنا هذه نرى أن أفخم الحمامات هي عند الاميركيين ويشبهون من هذه الناحية اليونان القدماء . أما اليابانيون الذين يُعدّون أنظف أمم الارض كما يؤكد الكثير من الباحثين ، وأعظمهم إقبالاً على الاستحمام ، فانهم يستعملون المرشّ (دوش) وليس الاحواض

(بانيو) كما يفعل الغربيون ، وهم يسخرون من هؤلاء لأنهم يستحمون في ماء قد تلوّث بأقذار الجسم وذاب به الصابون ، فالنظافة لا تُعدّ تامة في هذه الحالة ما لم يُنظف الجسم بعدئذٍ بالماء الساخن النظيف أو بالمرشّ .

ومما يذكر في هذا الصدد أن النرويجيين قد اتخذوا عادة الاستحمام في العراء في فصل الشتاء ، وغالباً ما يستعملون الجليد بدل الماء فيحك المستحم جسمه بقطع منه . صحيح أن هذا ينشط الدورة الدموية ويفيد الجلد فائدة كبرى ، غير أن هذه الطريقة لا تأتي بالفائدة المبتغاة من جهة تنظيف الجسم وإزالة ما يكون قد علق به من الأدران والأوساخ والأملاح وغيرها .

(فائدة الاستحمام للجسم) : وتأثير الحمَّام على جسمنا له فوائد من نواحٍ ثلاث : طبيعية ، وأدبية ، وعقلية .

١ — الحمّام الساخن : (٣٤ — ٣٨ درجة مئوية) : يفتح مسام الجلد فيجري منها العرق حاملاً معه السموم الكثيرة والأقذار المتروكة ، كما أنه يرفع حرارة الجسم ويزيد النبض بحيث يبلغ ١٢٠ الى ١٣٠ درجة في الدقيقة الواحدة ، ويستدعي الدم في الوقت نفسه الى نواحي الجسم السطحية فينعشها ويريح من عبثه الأعضاء الداخلية ، وعلى الخصوص المعدة والكليتين . وهذه الراحة التي تنالها الأعضاء الداخلية ضرورة لتجديد حياتها وتقويتها على متابعة أعمالها .

طبيًّا يمكننا استعمال الحمامات الساخنة في حالات الرثية ، وفي أمراض المسالك التنفسية الحادَّة . ولا سيما عند الأولاد في الالتهاب الشعبي الرئوي (٣٨ درجة مئوية) ، فيُترك الولد في الماء مدة عشر الى عشرين دقيقة ، وتوضع كمَّادات ماء بارد على رأسه طيلة مدة الاستحمام منعاً لاحتقان الدماغ ، وذات الحمامات الساخنة تستعمل أيضاً في حالات التهاب الكلى الحادة وفي تهدئة الأعصاب أيضاً .

غير أنه يجب الاحتراس بعد أخذ الحمام الساخن من التعرض لأضرار البرد والمجاري الهوائية لأن الجلد المتمدد الحار يصاب أحياناً بالنسمات الباردة فتعتري الإنسان القشعريرة وهي تمهد السبيل الى بعض الأمراض بل قد تفضي أحياناً إلى الموت اذا لم يحسب لها حساباً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولاجتناب هـذا الأذى يقتضي بعد الانتهاء من الاستحمام ، التمدُّد في فراش مدة نصف ساعة تحت غطاء خفيف في غرفة محفوظة من مجاري الهواء ، وأنسب وقت لذلك هو في المساء قبل النوم . وينبغي على كل حال عدم الاستحمام بتاتاً قبل مرور ساعتين على تناول آخر وجبة من الطعام . ويجب على الذين بلغوا السن ٤٥ فما فوق اجتناب أخذ الحمامات الساخنة جداً (٣٨ — ٤١ درجة مئوية) لانهم غالباً ما يكونون مشتبهين بأمراض غير ظاهرة ولا يُشعر بها من ناحية القلب والأوعية الدموية .

٢ — الحمام الفاتر : (٢٨ الى ٣٤ درجة مئوية) : هو من أفضل أنواع الحمامات ، لا سيما في الصباح ، لأنه ينظف جيداً ، وينعش ويحمي من البرد ومن التهـاب الشعب وذات الرئة التي تفتك بالـكثيرين سنويـاً . وهو يفيد على الخصوص ذوي الأمزجة العصبية والأشغال العقلية والمصابين بأمراض القلب ، والمسلولين ، ونحاف الأجسام ، والناقهين من الأمراض وخصوصاً في الصيف حيث يلطف حرارة البدن ويزيل التعب والـكسل الناجمين من الحر . كما أنه يفيد أيضاً في حالات الأرق العصبي والنوراستنيا (ضعف الأعصاب) والهستريا ، وفي الأوجاع الداخلية لالتهـاب الأعصاب المتعدد المنتشر (Polynévrite) ، والسُّهام Tabes . زد إلى ذلك أنَّ استعمال الحمامات الفاترة أو الساخنة تساعد على تفريغ المثانة وتسهل ادخال القثطرة في الاحليل Cathétérisme في حالة تضييق القناة البولية ، هذا فضلاً عن فائدتها أيضاً في بعض الأمراض الجلدية كالحكاك وغيره .

وبوجهٍ عام يكون الحمام الفاتر مفيداً لمَّـا تـكون قوى الجسد منحطة أو عندما يكون الشخص امرأة نحيفة أو ولداً ضعيف البنية أو حينما يكون الطقس بارداً جداً .

٣ — الحمام البـارد (١٠ الى ٢٨ درجة مئوية) : تختلف درجة برودة المـاء الذي يستحم به الانسان كما ترى بحسب حرارة الفصل أو برودته . وأما تأثيره الأول في الجسد فانه يعكس الدم والقوة الحيوية من الظاهر الى الباطن . ثم يردها الى الجلد والمجموع العضلي . وهـذا ما يسمى بردّ العمل . وباندفاع الدم من الظاهر الى الباطن يتهيج القلب ويشتد عمله وتقوى انقباضاته فيندفع الدم منه بسرعة الى جميع أعضاء الجسم فتزداد تغذيتها من توارد الدم اليها ويزول منها الاحتقان المزمن وتغدو أحسن حالاً للقيام بعملها . غير انه يجب

الانتباه جيداً عند استعمال الحمام البارد الى بعض النقاط : أولاً — ان الغطس الفجائي هو أفضل الطرق لأقوياء البنيـة خلافاً للضعفاء الذين يجب عليهم أولاً أن يمسحوا أجسادهم بنشفة أو أسفنجة مبلولة ثم يغطسون في الماء . ثانياً — لا يجوز أن يقف الانسان في الماء وجسمه غير مغمور به لئلا يتسبب عن ذلك احتقان القلب والأعضاء الداخليـة ولا يحصل من ذلك حينئذٍ رد فعل تام . ثالثاً — لما كانت المرشة المعروفة بالدوش لا يحتملها إلاّ بعض الناس ، وبخاصة الضعفاء والنساء والأولاد ، فيُستحسن إذ ذاك سكب الماء سكباً على جسدهم. أما أقوياء البنية فالمرشة تكون بالعكس مفيدة جـداً لهم ولا يخشى عليهم من صدمة الماء الشديدة الباردة . رابعاً — من الناس مَن يتعوّد الاستحمام بالماء البارد صيفاً شتاءً ، فهذا لا ضرر منه البتة للشبان وأشداء البنية . أما الضعفاء فعليهم أن ينقطعوا عنه في فصل الشتاء وأيام البرد الشديد ، ويستعيضوا عنـه بالغسل البسيط أو بمسح الجسم بأسفنجة مبتلة بالماء خوفاً من صدمة الماء البارد في بدء الاستحمام . خامساً-إذا أريد من الاستحمام تنشيط القوى وانعاشها فقط مع تجنب صدمة الماء فيستحسن إذ ذاك أن تكون درجـة حرارة الماء أقل من درجة الهواء الجوي في الصيف بعشرة درجات ، ومساوية لها أو أعلى منها بعشر درجات في الشتاء ، فيغطس المستحم بها فجأة مدة ٥ — ١٠ دقائق ، ثم يفرك جسمه حالاً . وأخيراً لا يرتدي ملابسه إلاّ بعد أن يدفأ جسمه تماماً . وهـذا الاستحمام في فصل الصيف لذيذ ومفيد جداً للجسم ويكسب المرء صحة ونشاطاً وارتياحاً .

* * *

ويمكن القول بوجهٍ عام ان الاستحمام بالماء البارد يقوي العضلات وينبه القوى المنحطة ويلطف أو يخفف حرارة البدن ، كما انه يخفف من سرعة الدم فيفرج القلب والرئتين ويجعل سطح الجسم منيعاً ضد البرد ، خصوصاً بعد فركه وتجفيفه جيـداً فيتجدد نشاطه ، ولذا يكتسب الجسم بالحمام البارد القوة والمناعة ضد النزلات والرشوحات والالتهابات المختلفة .أما من حيث مساوئه واضراره فالشخص الضعيف الجسم قد يرتعش من جراء ملامسة جسمه للماء البارد . واذا كانت الأعصاب ضعيفة خيف من الاستحمام بالماء البارد أن يشل المخ وان يبلد قوة التفكير خصوصاً في فصل الشتاء. كذلك قد يكون له أثر سيء في القلب اذا بلغ الانسان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أواسط العمر (فوق الاربعين) ، وخصوصاً الذين عندهم استعداد للغشي Syncope ، أو عند المصابين بالنزوف المعوية والتهاب البريطون .

أما فائدة الحمامات الباردة في الامراض المعدية والحموية ، والتي منها في الدرجة الاولى الحمى التيفية ، فغير منكورة . وطريقة براند Brandt في مكافحة هذه الحمى كما يلي : يعطى حماماً للمصاب درجته ٢٠ مئوية لمدة ١٥ دقيقة وذلك كل ثلاث ساعات مرة واحدة عندما تبلغ أو تتعدى درجة الحرارة في الشرج ٣٩ مئوية . ويستحسن ، قبل أخذ الحمام ، رش وجه المريض وصدره بماء أبرد من ماء الحمام المراد استعماله له تخفيفاً لتأثير صدمة الماء البارد . وينبَّه جيداً في الوقت نفسه لحالة المريض فيما اذا تحدث لهُ قشعريرة عند دخوله الحمام البارد ، أو اذا تتلون وجنتاه أو شفتاه بلون أزرق بنفسجي . ففي هذه الحالة يجب اخراجه حالاً من الماء البارد وتدليكه بالكحول او الكولونية الى أن تعود للجسم حرارته الطبيعية ثم ينشف جيداً بفوطة نظيفة ويلبس ملابسه ، أو يلف في ملاية السرير أو البطانية ، ويعطى فنجاناً من أي منقوع دافىء مثل الزيزفون أو الشاي أو القهوة أو ليمونادة أوقدح من الخمر .

غير أن استعمال الحمامات الباردة حسب طريقة براند غير مقبولة من أغلب المرضى بالنظر لبرودة الماء التي تفاجىء الجسم . ولذلك يستحسن اللجوء الى حمام مبرد تدريجاً ، فيحضَّر أولاً حمام درجة ٢٨ مئوية ، وبعد دقيقتين أو أربع دقائق يبرد ماؤه تدريجيًّا الى أن يصير بدرجة ٢٣ ، ثم ٢٢ ثم ٢٠ مئوية .

٤ — الاستحمام بماء البحر والبحيرات : هو أفضل أنواع الحمامات للأقوياء وأشداء البنية لأنه يجري في الهواء الطلق المشبع أوزوناً منشطاً من البحر ، ثم ان المستحم يكون مطلق الحرية في السباحة بمياه البحر ويستفيد جداً من هذه الرياضة البدنية . عدا ذلك فالأملاح التي في ماء البحر تكسب البدن قوة ونشاطاً وانتعاشاً بامتصاص الجلد لها ، هذا فضلاً عن لمس الأمواج التي تعمل على تنبيه الحواس والأعصاب . وهو من صنف الاستحمام بالماء البارد من حيث أن درجة حرارة الماء فيه بفصل الصيف تتراوح بين ١٧ و ٢٥ مئوية ، وكلما ازدادت برودة الماء يكون مفعول الاستحمام مقويًّا .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زد على ذلك لحمام ماء البحر من شأنه أن يساعد على الهضم ، ويفتح شهية الطعام ويقوي أعضاء الهضم والامتصاص فيساعد الجسم بذلك على التخلص من المواد غير الصالحة التي هي أولى أسباب الضعف والمرض ، وهكذا قل عن فائدته في تحسين الدورة الدموية . فالجلد يحتوي على شبكة مهمة جداً من الأوعية الدموية التي تحتوي بدورها أحياناً على ٣/٢ من مجموع الدم ، وهذا المقدار يطرأ عليه زيادة أو نقصان بحسب درجة حرارة الماء . فاذا كان هـذا الماء بارداً فأوعية الجلد تفرغ قسماً من الدم الموجود فيها . واذا كان حاراً فالأوعية نفسها تمتلىء بالدم — ومن هذا نستدل ما لتأثير درجة حرارة الماء في الدورة الدموية العامة وفي التبادلات العضوية أيضاً بسبب هـذا الانقباض والارتخاء ، ولذلك سمي الجلد بحق « القلب المساعد » .

وهنالك أيضاً فائدة من الاستحمام بماء البحر بصفته مهيج لافراز الغدد الجلدية ، فهذه الغدد تفرز ، عدا الحوامض الدهنية والماء ، كثير من المواد السامة المتولدة من وظائف الجسم فبقدر ما يتقوى الجلد بصفته عضواً للافراز يكون تنظيف الجسم أحسن ، ومتى عرفنا أن تأثير الماء في الجسم يهيج الافراز ويطرد نفايات البدن ، أدركنا حينئذٍ ما للاستحمام في هذه الحالة من الأهمية والفائدة الـكبرى .

أما مدة السبح بماء البحر فتختلف من دقيقتين أو ثلاث دقائق عند الضعفاء الى عشر دقائق أو أكثر عند الأقوياء وأشدّاء البنية ، وهذا منوط بحالة المستحم الصحية فيما اذا كان ضعيف البنيـة أو قويها ، معتاداً قبلاً على الاستحمام أو بالعكس . وبقدر ما يكون المستحم قويّـاً نشيطاً ومعتاداً على الاستحمام بماء البحر يمكنه البقاء مدة أطول في الماء والعكس بالعكس . ومهما يكن من الأمر فلا يجوز للضعفاء السبح في ماء البحر للمرة الأولى تجنباً للرعشة أو الصدمة التي تحدث أحياناً عند الغطس ، بل الأنسب أن يُبدأ بالاغتسال بماء البحر في البيت فاتراً أو بارداً . فاذا زادت قوة المستحم صار الى البحر واغتسل واستحم فيه . هذا من جهة . ومن جهة أخرى لا يُسمح للاطفال السبح بماء البحر إلاّ إذا بلغوا السابعة من عمرهم ، كما أنه لا يسمح أيضاً للذين بلغوا الخامسة والخمسين من العمر فما فوق السبح بماء البحر الاّ اذا كانوا معتادين عليه وبنيتهم قوية . وأحسن الفصول للاستحمام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بماء البحر هو من آخر الربيع إلى أواسط الخريف أو آخره . أما الزمان الموافق لهذا الاستحمام فهو الصباح قبل الفطور (للأقوياء) ، وبعده للضعفاء ، ويكون ذلك قبل الطعام وليس بعده مباشرةً ، أي أن يكون قد مضى على تناول الطعام ساعتين ونصف حتى يبدأ بالاستحمام ، ثم ينشف الجسم جيداً بعد ذلك بنشفة خشنة الى أن يحمر الجلد ويدفأ كل الجسد .

ومن القواعد الصحية الأخرى للاستحمام بماء البحر (أو البحيرات) هو تأثيره الفعال عند ذوي الأمزجة اللمفاوية ، والمصابين بفقر الدم وسوء الهضم والاضطرابات المعدية على أنواعها ، فيكون لهم والحالة هذه مقوياً منشطاً ومصلحاً بشرط ألاّ يكون مكثهم طويلاً في الماء ، وأن يعملوا كثيراً من الحركة والرياضة العضلية .

أما الحالات الصحية التي يحظر فيها الاستحمام بماء البحر فهي :

١ — عند المصابين بالسل الرئوي مع وجود حمى أو عدمها مهما كانت درجة المرض عند المصاب .

٢ — عند المصابين بضعف القلب أو أمراضه أي كان نوعها .

٣ — في أمراض الكلى والرثية (الروماتزم) والنقرس .

٤ — عند ضعيفي البنية والمصابين بتصلب الشرايين وأمراض الجهاز التنفسي .

٥ — عند الشيوخ والأطفال الصغار قبل السن الثالثة .

٦ — في الأمراض الجلدية الحادة والمزمنة ، وفي أمراض العيون والآذان .

٧ — خلال مدة الطمث عند النساء ، كذا في أوقات الحمل اذا كنّ غير معتادات عليه سابقاً .

٨ — عند بعض المصابين بأمراض الاعصاب أو بضعفها كالنوراستنيا مثلاً ، أما عند البعض الآخر فيكون بالعكس مفيداً لهم ، ولذا تجب مشورة الطبيب في هذا الأمر والاسترشاد برأيه .

بيروت الدكتور عبده رزق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاب أنستاس ماري الكرملي

لقد غمر الأسى تلك القلوب التي تحنو على اللغة العربية بانطفاء مصباح ذلك الروح الذي ظل يرسل عليها من ضيائه ما ينير زواياها ، ويكشف عن معالمها ، وأشعل في الجوانح ذلك اللهيب من الحزن لانطواء هذه الحياة التي جادت بمذخور قواها وأنفقت ممحة زهرة حياتها في القيام على خدمتهـا ، والذود عنها ، والعمل على حفظهـا ، ودراسة كثير من أصولهـا وبحث مشتقاتها ، حتى غدت مرجعاً موثوقاً باطلاعه ، وإلمامه في أصول اللغة ، ومشتقاتها ، وبيان تلك الوشائج التي تربط بعض الكلمات العربية بنظائرها في اللغات القديمة ، وبعث كثير من دفائنها ، ونشر ما استتر من جواهرها ، ثم أخذ يمدها بأقوى الأسباب فوق ما يخرجه من كتب بتلك الأبحاث المتنوعة ، الناضجة ، التي كانت تتجاوب بها المجلات الأدبية في أنحاء العالم العربي حاملة اليه ثمرات جهد متواصل ، وعبقرية فذة ، ثم أخذ يصدر مجلته كأنما ضاقت بجهوده وناءت بمحصوله الصحافة والكتب ، فأراد أن يخفف من عبئهما بهذه المجلة .

* * *

والواقع أن هذا الرجل قد قدم للعربية من المنن ما تعجز عنه الجماعات ، فقد احتل حبه لهذه اللغة ، وشغفه بها ، كل مشاعر نفسه ، وعواطف قلبه ، فهي مجال نشاطه ، ونجوى ضميره ، وموضع عنايته .

وحسب هـذه اللغة أن تظفر بهذه الجهود التي تتجلى مظاهرها في هـذا الولع في البحث ، والتنقيب ، كما تتجلى في الدأب ، والكد ، وراء المخطوطات النادرة ، فإذا ما أسعده الحظ ببعض هـذه التحف ، إنثنى بها وهو لا يكاد يقف سروره عنـد حدّ ، فيسعى به حفيـّاً ، ليطالعه في شوق ، ويستوعبـه في لذة ، وقد كان له عناية خاصـّة بوضع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفهارس المنظمة لكتبه ، وبراعة فيها ، وهذه إحدى حسنات الغرب التي عادت على اللغة باليمن ، ولعله كان الوحيد فيما أعلم في العالم العربي في تفرده ونبوغه في هذه الناحية ، وقد سمعت منه أنه وضع معجماً كبيراً ! ولا يزال عنده مخطوطاً ، فهل ينشط المجمع اللغوي بالإستيلاء على هذه البحوث ، ونشرها تعميماً للفائدة بها . وضنًّا بهذا الجهد ، وتلك الأعوام التي بذلت في سبيلها ، وتنظيمها من الضياع ، والنسيان . ومن أولى وأحق من المجمع وكان — الآب — أحد أركانه الأقوياء ، ودعائمه المتينة ، ولست أريد بهذه الكلمة دراسة هذا النابغة ، وتحليل آثاره القيمة ، فلكل هذا وقته ، وأقلامه ، وإنما أريد أن أهدف من وراء هذه الحياة إلى عبرة نستخلصها منها ! وهي الإخلاص فيما يعالجه المرء من شؤون علمية كانت ، أو أدبية ، أو لغوية أو غيرها والتخصص في الناحية التي تبرز مزاياه فيها .

وقد توافرت هاتان الخصلتان في ـ الآب أنستاس ـ فقد أرادت بيئته أن تتخذ منه قسيساً مبشراً ، فلم يستجب لهذا إلاّ بمقدار حتى لا يتجنى على مواهبه ، ولا يتحيف عبقريته . ثم عرف موطن قوته ، ومبعث خلوده ، فأخذ يمده بكل ما يقويه ، وينشطه ، ويمده بالحياة . وحسبه هذا الترهب في محرابه العلمي ، وإنقطاعه في ديره للبحث ، ولتأدية ما يمكن أن يؤديه الانسان المخلص من ضروب التعبد العلمي ، وإخلاصه هذا الإخلاص الذي لم يدع فرصة يمكن الاستفادة منها ، واستغلالها لمواهبه وتركها ، فلم يلهو عن مواهبه حتى يلحقها الصدأ ، ويجني عليها الاهمال ، أو يجعل رسالته تحت مشيئة الظروف إن أتاحت لها العمل عمل وإلاّ جارت عليها الحوادث ، بل قد فرغ من كل شيء ، وإتخذها شغله ، وراحته ، ويقظته ، ونومه ، وهذا اخلاص يعز كثيراً في هذه الأوقات ، وكأنما المقادير شاءت بهذه اللغة ألاّ تحرم من أمثال تلك الجهود ، فوكلت بها هؤلاء الرهبان ، ما رأيت الآب أنستاس مرة إلاّ طافت بذهني هذه الخواطر ، وبرزت لعيني هذه الحقيقة التي لا بدّ منها لكل جهد علمي مثمر ، جزاه الله عن خدمته للغة — القرآن — خير ما يجزى العاملون المخلصون على عملهم وإخلاصهم .

محمد عبد الحليم ابو زيد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذي هي الاغلال

هل الاغلال في أعناقنا ؟

ثورة جامحة ، تلك التي عصفت من حول كتاب « هـذي هي الأغلال » الذي نشره الأستاذ القصيمي ، فاتهم الرجل في دينـه واتهم في نواياه واتهم في أخـلاقه . جماعات وأفراد ، هبوا جميعاً يقاومون الفـكرة التي بشَّر بهـا ذلك الـكتاب القيم ، فكرة أن العقلية الدينيـة الجامدة هى المصنع الذي تُـصَـدُّ فيه أصفاد العقل ، وتفتل فيه أغلال النفس . نزع الـكتاب نزعة دينية رشيدة ، نزعة المسلمين الذين قال لهم نبيُّـهم « وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة » ، لم يقل القوة المادية ولا القوة المعنوية ، ولا عين نوعاً بنفسه من أنواع القوى ، بل ترك معنى القوة يتحيز في فهم كل جيل من أجيال المسلمين بمقتضى الملابسات التي تقوم من حوله . ومؤلف هذا الـكتاب رجل حر الرأي واسع الفهم نيّـر البصيرة ، إذ قضى بأن القوَّة التي يجب أن يعدها المسلمون في هذا الزمن هي « العلم » بالصورة التي فهمها الغرب ، صاحب المدنية السائدة في زماننا هذا . ولا أظنُّ أن مسلماً من المسلمين يجادل في هذا مهما قعدت به الهمة عن تـفَـهم روح العصر الذي يعيش فيه .

إلى جانب هؤلاء الذين أصابهم جمود العقلية الدينية ، رجال استطاعوا أن يتحرروا مما أصيب به غيرهم من مرض الرُّجعَى إلى أساطير الأوَّلين ، ونزعة الخوف من كل ما ألبسـه الزمن ثوبا القداسة ، ولقد اطلعنا على كلمة لفضيلة الأستاذ الشيـخ حسن القاياتي أبدى فيهـا رأيه في كتاب « هذي هي الأغلال » تدمغ بعبارات منها ، باطل أولئك الذين حملوا فؤوس الهدم وراحوا يضربون بها الهواء ظانين أنهم يضربون بها في أصول الحق : قال فضيلته :

« معسكر الاصلاح في الشرق ، طليعته ابن خلدون ، باكورة الاجتماعيين ، وجناحاه « السيد الأفغـاني » ، وتلميذاه « محمد عبده » و « السيد الـكواكبي » ، أما قلبه فهو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« السيد القصيمي » نزيل القاهرة اليوم ، نجدي في جبته وقبائه ، وصمادته وعقاله ، ذلك هو السيد القصيمي ، إذا اكتحلت به عيناك لأول التماحته ، قلتَ : زعيم من زعماء العشائر النجدية ، تخلف عن عشيرته ، لبعض طيته ، حتى اذا جلست اليه فأصغيت الى حديثه الطيب أصغيت الى عالم بحر يفهق بعلم ديني واجتماعي .

« تعرَّفت الى العالم النجدي القصيمي ، فجلست اليه مرة ومرة ، ثم شهدته كرة ، فناهيك منه داعية اصلاح ، أكثر ما يلهج به الشرق وأدواؤه ، وجهله ودواؤه .

« لم أقض العجب حين شهدت السيد القصيمي من عربي في شمائله ، ملتف في شملته ، يروعك منه عالم في مدرسته، كاد يحيلني شرقيًّا بغيرته الشرقية ، وقد بُـنيت مصريًّـا . أتحفني هذا السيد لعهد متطاول بكتابه « هذي هي الأغلال » ، وأنا ملول مكسال ، فثقلت عليّ الاحاطة به ، ثقل الهداية على القلوب ، والجد على لعوب ، ثم عدت فألقيت عليه نظرة جعلتني أمنحه إقبـالة المحب المجمل ، على الحبيب المقبل ، فاذا الـكتـاب منهج اصلاح وخطة إفلاح .

« لقد احتوى كتاب السيد القصيمي برنامجاً للتكوين القومي ، قوامه الانحاء على أكثر من هذا الذي أصفه ، فأعدده من عيوب شائنة للشرق ، هي تلك الشاجية الآتية : فَـتْـرَةُ الشرق عن العلم ، تنويهه بالجهـالة ، الزهد المتصنع ، تكرهه للحياة النبيلة ، صور التوكل المـكذوب ، سوء التفهم لأسباب العمل ، الى مشابه لهذه النقائص الشرقيات ، بل المخزيات

« حيَّـا الله السيد القصيمي ، ما أصدق نظرته الى الحياة ، وأبعد مرماه في الهداية . لقد أذكرني حديثه — وما أكثر ما أذكره — عن فترة الشرق ، بل عن كيده للعلم ، أن إحدى دول الأندلس أو المغرب لعهد قصي ، حظرت تعليم الفلسفة ، وان دولة أخرى هناك حرَّقت كتب مالك بن أنس ، رحمه الله .

أما بغداد حاضرة العلم الاسلامي والمدنية الاسلامية فقد سقيت أرضها الري ، من دم أهل الفقه يقتتلون ، عصبية على العلم ، هذا من شيعة المذهب الفلاني ، وهذا من عدوه !!!

« أجل : لقد أذكرني السيد القصيمي أن مصلح العصر ، مجدد الأزهر ، أستاذنا « محمد عبده » لم يملك إدخال العلوم الاجتماعية الحيوية الى الأزهر ، الاَّ عن رشوة نخمة من الجوائز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المالية ، دفعها الى اهليه ، فاذا تلك العلوم تدرس فيه وإذا الأزهر يخطر في الحياة العلمية بخطى ضيقة مرة، فسيحة كرة ، إلى نهضته المؤذنة اليوم بالنجح «ومايوم حليمة بسر»

« بي الآن أن أصل القراء الكرماء بفقرة اقتطفها من أية ناحية لهذا الكتاب لا أعتمدها ولا أتخيرها بل أفتح الكتاب عنها ، كما يفتح المصحف للتفاؤل ، ليشهد القراء : أي لسان مبين ، وفكر رزين ؟؟؟ ، قال الأستاذ القصيمي :

« شعبان هبطا هذا الكوكب الأرضي الواسع الأرجاء ، فسار شعب تحت ضمان معرفته في قوة لا تكبو ولا تضل ، فاستغل واستقل . . . . ، وشعب آخر هبط غريباً في هذا الكوكب ، جاهلاً نواميسه وقوانينه ، فلم يدر كيف يأخذ ولا كيف يدع . . . ، هذان شعبان ، فاذا عسى أن تكون النتيجة لاجتماعهما ، ليس هناك أدنى ريب في أن الغلبة ستكون للعلم والعرفان » .

هذا طراز موجز مما يفيض به الكتاب ، وتلك روح ملائكية السداد والتهدي ، وطراز أعلى من مذاهب العصمة الشعبية والجلال ، بيد أن لي لحتين رفيقتين ، إلى بعض ما احتواه الكتاب في روحه الصالحة ودعاوته الرابحة ، أولى اللحتين : أن الأستاذ القصيمي حين استشهد على بعض قضاياه الاجتماعية ، ذهب ينشد أبياتاً من الشعر مضوغة ، لشعراء العلماء ، أو العلماء الشعراء ، فيقيمها بينات على قضاياه تلك ، وإنما الشعر قضايا خطابية شعرية لقائل فرد ، لا تصف شأناً اجتماعيـًا ، ولا خلقيـًا ، أنشد الكتاب قول الزمخشري ، وهو عالم في تهوين العلم ، وتزين الجهالة ، على مذهب صوفي .

العلم للرحمن جلَّ جلاله　　وسواه في غمراته يتقمم
ما للتراب وللعلوم وإنما　　يسعى ليعلم أنه لا يعلم

وقول ابن أبي الحديد المفسر :

فيك يا أغلوطة الفكر　　حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما　　ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الأولى زعموا　　أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا　　خارجٌ عن طاقة البشر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أجل يا مولاي ، أليس الله كما وصف الشاعر « أغلوطة الفكر » ، « خارج عن طاقة البشر » فما يستنكر من هذا ؟؟؟

على أن هذه المقالة ، وأشباهاً لها ، مقالات شاعر متخيل ، وقائل متأول ، لا تقيم المذاهب الاجتماعية ، ولا تنهض قضية

أما ثانية اللمحتين ، فتلك أن السيد القصيمي حين شهد تخلف الشرقيين ، بل المسلمين ، عن ركب الحياة ، وموكب السراة ، تملكه إياس من انتهاضهم الاجتماعي ثانية ، ومن دبيب دم الأحياء في الأشلاء ، وحق له ذلك فإن حلية الفاتر المهين ، كحلية الدفين !!!

وقعدة الواهن في بيته كرقدة الميت في لحده

لست من رأي الأستاذ في طول إياسه من أن تدب الحياة في تجانيد الشرق ، ويعتق من الرق ، ولا من رجعى الإباء والثبات ، إلى الأباة ، فان الرقي إذا نبت ، ثبت ، وإذا قام ، استدام .

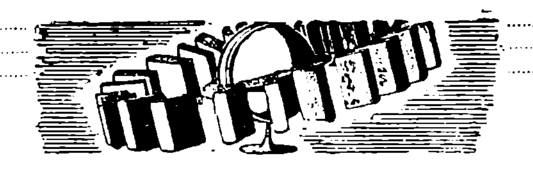
إن النهضة الاجتماعية إذا بدت ، سرت ، وإن نمت ، تأصلت . كنهضة الفجر في الليل يبدو خيطه بدو الشعرة البيضاء في اللمة السوداء ، حتى إذا استمرت حيناً ، طغى الصبح ، على الجنح !!!

حسن القاياتي

***

وان المقتطف لعلى استعداد ، اتباعاً لما توحي به حرية الرأي ، أن ينشر كل ما يصله من بحوث الأدباء والفقهاء في هذا الكتاب على شرط واحد هو : أن يدور البحث من حول مسائل محددة المبادىء ونظريات علمية او فقهية توجه فيها المناقشة توجيهاً سديداً ابتغاء الوصول الى الحق . أما الأقوال المائعة والعبارات التي تتناول وجهات غير محددة من البحث كالقول بأن الكتاب مريب أو انه صنيعة المبشرين او انه دخيلة من دخائل المستعمرين بلا أية بينة من واقع او منطق ، فهذا ولا شك سلاح واهن يزيد الضعفاء ضعفاً ، وينم عن سخيمة يكرهها العلم وينبذها الدين وتأباها الحرية ويمقتها الخلق السوي الذي هو من خلائق الرجال .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين

للاستاذ سلامه موسى — المطبعة العصرية بمصر

الأستاذ الكبير سلامه موسى — إذا جاز لي أن أصفه بتعبير من تعبيراته — « هجومي » التفكير استفزازيّه . فهو يتبنّى كل رأي يحسبه صواباً ولو أجمع العالم على أنه خطأ وهو يجهر بمعتقداته دون أن يحبسها عن الناس كما يعمد سواه .

وكتابه الأخير « كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين » دعوة جريئة إلى التأنق في الحياة وإلى زيادتها عرضاً لا طولاً . فهو يقول : لا تفرط في المآكل والمشرب ، بل تأنّق فيهما واجعل طعامك لذيذاً مزيزاً . ويقول كذلك : تأنّق في ملبسك أيها الشيخ وعاشر الشبان واداْب في ممارساتك الجنسية ودخّن إن كنت قد قضيت شبابك مدخناً ، واحتس الخمر باعتدال إن كنت قد ألفتها في ريّق شبابك ، وسلّ نفسك بالمطالعة واشغل وقتك بالهوايات والاهتمامات ، وروّض جسمك دون أن تحمّله شططاً ، وتجنب النوم وقت القيلولة لأن النوم مظهر من مظاهر الموت ، واتخذ لنفسك ديناً [١] ، وحاذر البدانة والاستكراش ، واعرض نفسك على الطبيب لماماً ، وعوّد ذاكرتك على اليقظة الدائمة ، وتابع الأنباء والأحداث .

ثم يذكر لك الكاتب الكبير طرفاً من حياة شيوخ تقدم بهم العمر ولكنهم احتفظوا بفتوتهم الذهنية ، ونشاطهم البدني وزاد نتاجهم في وقت كان المألوف أن ينضب . فأصبحنا نري سعد زغلول الشائخ يقود مصر كفتى مشتعل الشباب ، وأصبحنا نقرأ مدونة

(١) الواقع أن تفسير كلة دين الذي أورده الاستاذ سلامة موسى لا ينطبق على « الدين » قدر انطباقه على « الفلسفة » .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جستينيان لعبد العزيز فهمي باشا يترجمها دون أن يقعده تقدم السن ، بل رأيناه — على حد قول الأستاذ سلامه — يلقي قنبلة يكون لها دوي في ربوع الشرق بدعوته الى هجرة الحروف العربية وإحلال حروف لاتينية محلها . وأضحينا نقرأ عن جورج برنارد شو وله وهو في التسعين من عمره يسوّد ويؤلف ويسرف في الكتابة كالبحر الزاخر الفياض . وأمامنا ويلز الذي ختم حياته قبل مطلع العام الجديد وكان ثوري التفكير سابقاً لعصره في آرائه ومعتنقاته . وهناك لطفي السيد باشا يتسع وقته وتحتمل صحته لتصريف شؤون السياسة العليا وللعكوف على درس فلسفة أرسطو وبحثها . وماذا نقول في غاندي ذلك الزعيم الهندي الضامر الجسم المترهب في معيشته القانع بالكفاف من الملبس والمطعم ومع ذلك استطاع بسياسة اللاين السلبية ، وبصومه الأيام والليالي أن يقلق امبراطورية ماردة ويقض مضجعها .

هذه أمثلة لبعض المعمرين الذين تحدّث عنهم الأستاذ سلامة موسى في كتابه حديثاً طليّاً يجمع بين الايجاز واصابة الهدف المقصود . وليته أضاف الى القائمة اسم الدكتور فارس نمر باشا الذي خلّف وراءه سن التسعين ولا يزال حاد الذاكرة ، حاضر الذهن ، يعي التحولات الفكرية الحديثة في ربوع العالم ويتابع نهضة التفكير في المجتمع الدولي . وليته لم يغفل اسم الأستاذ الكبير خليل ثابت بك وهو وإن كان قد تجاوز السبعين لا يزال فتي البدن والذهن نشيطاً لا يقعده العمل ولا تضنيه الكتابة ، يخط بقلمه كل يوم أكثر من صحيفة كاملة من صحف مصر يعالج فيها شؤون السياسة الدولية كخبير اكتسب من تجربة الحياة ودروسها قدراً وفيراً . بل ليته حدّثنا عن نفسه وكيف استطاع وهو مشرف على الستين أن يحتمل مرارة السجن من بضعة أشهر ويجالد عوامل « التعرية » التي يتعرض لها نزلاء سجون مصر .

وأعتقد أن هذا الكتاب جديرٌ بالقراءة والاستيعاب لا من جانب الشيوخ والمكتهلين ، بل منهم ومن جانب الشباب الفائر المتسربل بالحيوية المتشح بالنضارة لأن شبان اليوم هم شيوخ الغد ، ولأن المصريين بصفة خاصة ما فتئوا يعدون الشيخوخة فترة همود وقعود وتنح عن العمل وما برحوا يغفلون عن وسائل استغلال الحياة الاستغلال النافع المجدي الذي يزيد سنينا حياة ولا يزيد حياتنا سنين .

وديع فلسطين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — تراجم إسلامية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

يتمتع هؤلاء الذين يخطون بالإنسانية في سبيل التقدم، ويتركون في حياتها آثاراً باقية، بحظ وافر، من عنايتها، فهي تقف حيالهم موقف الدهش، والإكبار، لما استطاعوا أن يقدموه في مجال الحياة، فيسوقهم ذلك الى التشوف إلى استبطان دخائلهم، ومحاولة اكتشاف ما استسرَّ من حياتهم، وعرض العوامل التي يعتقدون أن لهـا أثراً في حياتهم، عساهم ينتفعون باحتـذاء سلوكهم، والنسج على منوالهم، وارضاء ذلك الهيام المشبوب في الجوانح للوقوف على كل ما احتجب، وإظهار ما خفي، كل هـذه الدوافع قد مكنت لهؤلاء أن يحتلوا مكانهم في صدر التاريخ العام ويفوزوا بالحفاوة، والاقبال في التراجم الخاصـة، والتاريخ الاسلامي حافل، فاص بهذه الألوان من الشخصيات التي تجد فيهـا الدراسات التاريخية، والأدبية، والنقدية، والنفسية أوسع ميدان، فلو ظفرت هذه الشخصيات بمن يجلوها ويعرضها عرضاً علميًّـا، قويًّـا، وفنيًّـا موفقاً، لكانت من أمتع، وأنفع الدراسات في مجال التاريخ، والأدب، وقد قام الأستاذ — عبدالله عنان — بتقديم هذه الشخصيات التي تعد من ألمع الشخصيات في التاريخ الإسلامي، وأروع الشخصيات في التاريخ العام، كأجل ما يوفق المؤرخ المحقق، والأديب الموهوب، إلى إبراز هذه السمات، وتلوين هذه الملامح.

ولا غرو فالأستاذ — عنان — يعد في الطليعة في هذا الضرب في الشرق، فهو واسع الإطلاع، عميق النظر، قوي الحجـة، رصين الأسلوب، جذّاب العرض، وهو يترجم في هـذا السفر لثماني عشرة من أعلام التاريخ الإسلامي، دون تقيد بالعصور أو الدول، وقد حرص على أن تكون نماذج متباينـة لشخصيات لها مميزاتها الخاصـة، ولا ريب أن شخصيات مثل. هرون الرشيدي، وست الملك الفاطمية. وشجرة الدر، والحسن الصباح، وتيمورلنك، وموسى بن نصير، وعبـد الرحمن الناصر، وتبدو بمميزاتها الخاصة نموذج فريدة في التاريخ الاسـلامي، تستحق قبل غيرها أن تعرض في أثواب حية، محدثة، وقد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خصّ البعض بالافاضة كتراجم — هرون الرشيد ، وشجرة الدر ، وعبد الرحمن الناصر ، واقتصر بالنسبة للبعض الآخر على تقديم صور موجزة ، ولكن شاملة ، مركزة ، وقد اتبع فيها جميعاً منهج التحقيق التاريخي المدعم بأسانيده ، وقد قصد منها جميعاً الى تبيان الخصائص البارزة للشخصيات التي تناولها ، وقد قسمها المؤلف الى كتابين : الأول يضم شخصيات الشرق الأسلامي ، والثاني يضم تراجم المغرب والاندلس . وقد اتبع الترتيب التاريخي في تبويب الكتابين . فجاء مثال الدراسة القوية ، الدقيقة ، فهل يفتح لنا هذا الكتاب السبيل الى الاكثار من معالجة هذا النوع القيم من الكتابة ؟ وان يمهد الطريق لنتولى بالعناية والدرس ما في تاريخنا من روائع ، فيكون فاتحة خير في هذا المجال .

* * *

٢ — دفاع عن العلم

ترجمة الدكتور عثمان أمين

لقد بات العلم وهو في أمس الحاجة إلى مثل هذا الدفاع الذي يرد عنه عادية المغرضين ، ويجلو عن شخصيته ذلك الغبار الذي أثاره التعصب الذميم ، وروّجه الجهل ، حتى غدا وهو محط النقمة ، ومبعث البغض ، والعلم براء من هذه الصورة البغيضة والمنظر الشائن .

وقد استطاع هذا الدفاع أن يمزق ذلك القناع عن حقيقته ويزيل من الأنفس ذلك الشنآن الذي لا يهدأ ، وأن يرينا صورته غير مشوبة ، فاذا هي رائعة ، حبيبة ، وهل هناك من هو جدير بالتبجيل من العلم الذي لا يثير حفيظته شيء مهما كان شأنه ، بل هو يتجرد من كل داعية من الدواعي ، ويتخلص من كل هوى من الأهواء غير إقباله على تأدية رسالته في إخلاص ، وعناية ، يستقرىء ، ويراقب ، ويسجل ، ثم يعلن ما هداه اليه مجهوده ، ثم لا يحاول أن يفرض نتائجه على أحد ، وهو داعية أخوة وعطف بين بني الانسان ، بل هو يحاول أن يجمع الكل على مائدة واحدة ، متآخية . وقد وفق في تقديم خير ما يمكن أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقدم للانسانية في كل ناحية من نواحيها ، ولا يعد هو مسؤول عن هؤلاء الذين استغلوا نشاطه ، وسطوا على مجهوده ، وصيروه مصـدر دمار ، ومنبع خراب ، بل المأخوذ بهـذه الجريرة ليس هو العلم ذلك الراهب في صومعته بعيداً عن كل مأرب غير مأرب الخدمة الانسانية بل هم الذين أخذوه هذا المأخذ ، فاذا ما تسلل إلى محرابه أناس مدخولي الضمائر ، فلا يجب أن ينوء بذنبهم ، ولا يرجع بأوزارهم ، وهو يستقل بطابعه الخاص عن الفلسفة والدين ، إذ كل منها يعطي الصورة الأخيرة للعالم ، ويحجز العقل داخل دائرتها ، ولكن العلم لا يتصدّى لذلك ، بل هو يترك الباب مفتوحاً لمن يحاول أن يجول جولته في ميدانه وإن كان هناك من الآفاق ما لم يصل فيها الى رأي فلا يطامن ذلك من عزته ، ما دام يقر بأن باب البحث لم يقفل بعد ، فلعلّ المستقبل يحقق ما لم يحققه الماضي ولا الحاضر ، هذا هو المحور الذي يدور حوله هذا الدفاع . ولـكن الابداع كل الابداع في بناء هذا الدفاع ، وتسلسله ، وعمقه ، ونضجه ، فهو محكم المقدمات جيد النتائج ، عميق النظرة ينفذ الى الالباب يغريك بالتمهل لتأخذ أقصى ما يتهيأ لك أخذه بل بالبطء والوقوف في كثير من المواضع ، لأنك لا تكاد تمسك نفسك من الاعجاب ، ولا عقلك من الروعة ، كل شيء في هذا الدفاع يفتح أمام ذهنك عوالم من التفكير ، ويمحو من نفسك تلك الغشاوة التي ألقاها أعداؤه فيها ، ويقرّبه الى قلبك ، بل يعليه في نفسك . وليس هذا الدفاع يخلب نفسك من طريق التأثير العاطفي ، بل هو ينزل من نفسك هذه المنزلة بالحقائق التي يعرضها عليك في هدوء ، وإتزان ، ولا تجد فيَ نفسك ما يرفضها ، ولا في عقلك ما يزيفها ، وأنا لم أقرأ هذا الدفاع في لغته الأصلية ، بل قرأت الترجمة فشعرت بأني مغمور بجوّ المؤلف ، وشخصيته ، حية ، قوية ، مؤثرة ، ومعانيه واضحة ، وآراؤه جليـة ، ممـا لا يدع ريباً في أن الدكتور — عثمان أمين — قد وفق توفيقاً حسناً في هذه الترجمة

والدكتور عثمان أمين — من شباب النهضـة الفكرية المعـاصرة المثاليين الذين تأمل النهضة على أيديهم الخير الـكثير في هذا الجانب الخصب من الحياة العقلية .

محمد عبد الحليم أبو زيد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

روضة الطفل

سلسلة من القصص المشوقة للاطفال — دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

في مصر هيئتان تشرفان على الثقافة إشرافاً فعليّاً في كل مرحلة من مراحل التثقيف. الاولى منهما رسمية تقوم على دعائم من السلطة الحكومية ومن خزانة الدولة والمجندين لها من رجالها وهي وزارة المعارف. أما الثانية فهي شعبية تقوم على دعائم من عزيمة القائمين بها ومن تضحياتهم العظيمة في سبيل النهوض بالحركة الثقافية، ليس في مصر وحدها، وإنما قد تخطت جهودها وأهدافها حدود مكانها إلى ربوع الشرق العربي، وأعني بها «دار المعارف للطباعة والنشر».

فلقد نهضت هذه الدار بالطباعة العربية نهضة مباركة، فأخرجت خلال مدة زادت عن نصف قرن مؤلفات نفيسة أغنت المكتبة العربية بثروة طائلة. ثم اتجهت منذ عدة أعوام إلى تثقيف النشء، فأصدرت كتباً في هذه الناحية سدّت نقصاً كان محسوساً، وفراغاً كان ملموساً. وقد أفاد من هذه الكتب جيل من الاطفال.

وإلى جانب هذا وذاك عنيت بالثقافة العامة فأخرجت السلسلة الثقافية التي قدمت لقرائها في جميع الأقطار العربية، في سهولة ويسر، ألواناً شتى من العلوم والفنون بأقلام خيرة الكتّاب ونعني بها سلسلة «إقرأ» فان كل منصف يقدر لها جميل صنعها في إبراز هذه المجموعة، ويحس مدى أثرها الكبير من ذلك الاقبال العظيم عليها إقبالاً طغى على ما كان يملأ السوق من فارغ القول.

وقد عادت هذه الدار أخيراً الى الاضطلاع بالمهمة التي كانت قد أخذت نفسها بها، وهي تقديم ألوان من القصص المشوّقة للاطفال موضوعة على احدث الأساليب الفنية في التربية وهي تهدف في ذلك الى تقوية ملكة التخيل في الطفل وترغيبه في الاطلاع، وقد عاونها في ذلك طائفة من الأساتذة الاخصائيين. وهي مهمة جليلة ليس هناك من هو أجدر بالقيام بها من تلك الدار التي عرفت بجودة اختيارها واتقان مطبوعاتها.

وقد أخرجت من هذه المجموعة الجديدة كتيّبين مطبوعين بالالوان طبعاً متقناً، أولها باسم «الكتكت المدهش» والثاني باسم «أرنبو والكنز».

وهي آخذة بسبيل اصدار مجموعة أخرى في هذا المضمار بعنوان «أولادنا» تتفق في الغاية التي تهدف اليها هذه الدار مما يسجل لها بالاعجاب والتقدير.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الناطقون بالضاد في أمريكا

١٠١ صفحة من القطع الكبير — المطبعة التجارية بالقدس — الثمن ثلاثون قرشاً

الأستاذ يعقوب العودات المعروف في عالم القلم بالبدوي الملثم من الأدباء الذين غمست ريشتهم بألوان شاعرية ، فهو رقراق اللفظ موسيقي العبارة ، مرهف الحسّ ، دقيق الملاحظة.

وهو إلى جانب ذلك مخلص لعروبته كل الإخلاص ، يحفل بالأدب العربي في كل صقع من أصقاع العربية — ويعني بدراسته عناية فائقة ، وآية إخلاصه أن أضاف الى المكتبة العربية إلى ما أضاف إليها من مؤلفاته السابقة كالقافلة المنسية ، وإسلام نابوليون ، وأطلال جرش ، وما هو آخذ في إخراجه من مؤلفات ككتابه عن فوزي المعلوف ، والشاعر الثائر ولي الدين يكن ، وديك الجن الحمصي . . . أضاف الى كل ذلك كتاباً ممتعاً توفر على نقله من الإنجليزية الى العربية هو كتاب « الناطقون بالضاد في أمريكا » .

ونقله لهذا الكتاب خدمة جليلة قام بها البدوي الملثم إلى أبناء العربية الضاربين في المهجر الأمريكي الشمالي ، والذين بهروا العالم بقوة عزيمتهم ، فقد نقلوا معهم الى هناك نهضة حيوية عجيبة في بابها في كل ناحية من نواحي الحياة : إجتماعية واقتصادية ، وأدبية ، وفنية ،

وكان معهد الشؤون العربية الاميركية في نيويورك قد قام بنشر هذا الكتاب بالانجليزية عام ١٩٤٦ ، فاستهوى المترجم فكرة وأسلوباً ، فعكف على ترجمته رغبةً منه في أن يقف أبناء العربية في بقاعها على أنباء إخوان لهم هجروا أوطانهم — لا عن قلى — ولكن لينشروا أمجادها فكانوا رسل خير وبركة لم تقف بهم الغربة عن بلوغ مطمح ما .

وقد علق البدوي الملثم تعليقات ممتعة على هذا الكتاب فجاءت هذه التعليقات متممة للفائدة من هذا الكتاب .

وإنا إذ نعجب بمجهوده في إخراج هذا الأثر نرجو منه أن تتاح له الفرصة فيكمل هذا الكتاب ببحث عن الناطقين بالضاد في المهجر الاميركي الجنوبي فانهم لا يقلون قوة أثر وعظم مجهود عن إخوانهم في الشمال .

حسن كامل الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الثاني

من المجلد العاشر بعد المئة

لحق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف ٧٠١

الجزء الثالث من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ مارس سنة ١٩٤٧ ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٦٦

التعليم والتربية

منزلة الامم من الحضارة هي في الاكثر التي تحدد معاني الالفاظ في اللغة التي تتكلمها. وانه مما لا ريبة فيه أن معنى بعض الألفاظ، وبخاصة الألفاظ التي تدل على أشياء أو معانٍ أو مفهومات تتطوَّر بتطور العقلية والفكر، يتكيف دائماً بمقتضى المثاليات التي تقوم في رؤوس الطبقة المنتقاة من الجمعية.

لا ننكر مثلاً أن الانسان البدائي كان يتخير «للتعليم» معنى يتكيف في ذهنه. وتحدّده دائماً قواسر القدرة الطبيعية على الفهم، كما تحدده نوازع الوسط الاجتماعي والعادة والعرف اللذين تجري عليهما الجمعية التي يعيش فيها، ومنها تستمد مواد القانون القبلي. ولا ننكر أيضاً أن هذا المعنى قد تحوَّر وتكيَّف مرات كثيرة في خلال التاريخ منذ العصور القديمة الى الآن. فالمعنى المدرك من التعليم في مصر القديمة مثلاً غيره في بلاد الكلدان أو أشور أو الهند. ذلك بأن هذا المعنى يلابس دائماً صورة تتفق وحاجات كل جمعية، ويخضع كل الخضوع لاغراض الحياة المكيفة بالبيئة والوسط وشكل الحكم. وقس على ذلك ما أدرك اليونان من التعليم وما أدرك الرومان، ثم قارن بين ما أدرك منه في العصور الوسطى، وما يدرك منه في العصر الحديث، فانك ولا ريب تستبين الفارق البعيد بين جملة التصورات التي قامت في كل عصر لهذا المعنى، مقدرة بمقتضى حاجات كل عصر تقديراً.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما معنى التربية ، وان كان من المعاني التي تشرف عندي معنى التعليم ، فقد ظل في جميع العصور تابعاً للمعنى المدرك من التعليم . واذا صحَّ ما أذهب اليه من أن التربية هي في جوهرها « ترويض النفس على تطبيق العلم » ، استطعنا أن ندرك كيف يتبع المعنى المدرك من التربية المعنى المدرك من التعليم ، وكيف أن التعليم يفقد جماع الفائدة منه، اذا هو لم يطبق على قواعد مثالية من التربية .

ولم يمر عصر من العصور كانت الجمعيات البشرية فيه أحوج منها الى إدراك الرابطة بين التعليم والتربية من زماننا هذا . فقد تعقدت أوجه الحياة بنشوء هذه الحضارة المادية الاقتصادية ، تعقداً لمسنا معه ضرورة أن يكون لكل جمعية من الجمعيات مرامي مثالية توجه حياتها وتقود خطواتها في الحياة ، بحيث تصبح في طريق الجمعية بمثابة المصابيح المنيرة في ليل أليل ، وعندي أننا لم نقصِّر في التعليم ، بل أقول أننا تطرَّفنا في شحن براعجه بالموادِّ حتى أصبحنا نشكو مرّ الشكوى من ضخامة المعلومات ، ومن عدم القدرة على خلق نفسيَّات مروَّضة على تطبيق العلم . وإذا فقدت النفوس القدرة على تطبيق العلم ، تطبيقاً مثاليًّا من ناحية الأخلاق ، أصبح أداة : إمَّا متعطلة ، وإمَّا فاسدة .

لا ينبغي لنا أن نغفل مع هذا عن أننا نجتاز عصر انتقال . غير أني لا أميل إلى القول بأن « عصور الانتقال » من الظواهر التي تتخذ سبيلاً الى الاعتذار عن سوء حالة التربية ، كما يجمع على ذلك كل المفكرين في هذه الناحية . حقيقةً إن عصور الانتقال تختلف في جميع مظاهرها عن عصور الاستقرار ، ولكن الى جانب هذا هي عصور تقدم وارتقاء ، تدور فيها عجلة التطوُّر بأسرع مما كانت تدور ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنها قد تدور خلال عصور الانتقال بأسرع مما تدور في بعض عصور الاستقرار . ومن هذه الناحية تكون أهميتها ، بما يكون لها من سلطان ثابت قد يدمغ بطابعه عصوراً برمتها من المستقبل . وإني لأقول ، وأستطيع أن أثبت قولي ببراهين منطقية وتاريخية عديدة ، أنك إذا أردت أن تدرس حالات أمة ضربت في المدنية ، ونشأت نظامات حكومية ثابتة ، وكوَّنت حياة مؤتلفة ومعاهد مستقرة ، وأن تدرك شيئاً من سر ذلك كله ، فَعُد إلى عصر انتقالها ، تجد أن جذور ذلك كله إنما تعود الى ذلك العصر ، ففيه تغرس البزرة وفيه تفرخ ، وترى أن كل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الثمار التي تحملها تلك الدوحة فيها طعوم مختلفة من أثر التربة التي نبتت فيها وطبيعة الماء والهواء، وبالجملة من طبيعة « الوراثة الاجتماعية » التي تحملها تلك البزرة الأولى، وتسلم بها الى مستقبل الأجيال .

هذا كله يحملني على القول بأن الذين يعتذرون عما نأنس في مجتمعنا من مظاهر القلق والحيرة ، بأننا نجتاز « عصر انتقال » غير آبهين لما تحمل عصور الانتقال في تضاعيفها من بزور المستقبل، إنما يرتكبون أخش الخطأ في أسلوب تفكيرهم تلقاء العصر الذي نعيش فيه، ذلك بأن عصر الانتقال هذا ، هو أجدر العصور بأن تعالج فيه مشكلاتنا الاجتماعية التي سيتمخض عنها المستقبل . هو العجينة التي منها سوف يتكون المجتمع المقبل ، ومنها سوف يأخذ صورته ، وبكل عناصرها سوف يتأثر ويعمل ، وبما فيها من جراثيم السوء سوف يمرض ، وبما تحوي من جواهر القوة سوف يتسلح .

ولكن هل من قوة نستطيع بها أن نحتكم في عصر الانتقال ؟ وهو عصر تثور فيه النزعات،وتكثر المخاوف، وتقل المحامد،وتزيد المتاعب،وتنقص فيه الثمرة عن مقدار الجهد المبذول ، وتطير فيه الآمال كأنها الأشعة الخاطفة ، وتظهر فيه قوى الانبعاث هياجة متطرفة ، وثابة لا تؤدة فيها ولا هوادة ، وتنطوي فيه القوة المثالية على نفسها ، وتقبع قبوع السلحفاة في صدفتها ، بينما تحلق في سماء المجتمع المطامع والمكروهات والمادية الجامحة؟

***

غالب ظني انهذه الظواهر يتعذر الاحتكام فيها بحيث يمكن محوها محواً تاماً ، أو حتى الاقلال من قوتها بما يذهب ببعض مفاسدها . هي أشياء من خلق عصر الانتقال ومن طبعه. هي سر من أسراره ، وخلة من خلاله . على أن غاية ما في مستطاع مصلح أن يطلب من المفكرين في مجتمع يجتاز عصر انتقال ، هو أن يلجأ الى الممكن ويترك المستحيل . والممكن هو أن يوجه القوى المنبعثة ، لا الى الحاضر لأن الحاضر مفروغ منه ، ولكن الى المستقبل . فان مثل الأمة في عصر الانتقال كمثل حامل أخذها المخاض . إنها ستلد قطعاً أما جنينها فهو الثمرة التي سوف يتلقاها المستقبل . وبحسب تربيته قبل تعليمه، ميتكون ذلك المستقبل . لهذا أعتقد أن عصر الانتقال هو العصر الذي تكمن فيه كل عناصر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المستقبل . ومن هنا تكون أهميته وشأنه ، وبهذا ينبغي أن يوزن وأن يقيَّم تقييماً فلسفيًّا مثاليًّا . وعلى مقتضى هذا التقييم يمكننا أن نزن مستقبل الامة .

كل هذا يؤيد تعريفنا الذي وضعناه « لمعنى التربية » ، إذ قلنا أنها « ترويض النفس على تطبيق العلم » . ولست أقصد « بتطبيق » العلم عمليًّا ، فالطبيب يطبق علمه على المريض ، وكذلك المهندس والمحامي وغيرهما ، فان كل متعلم إنما يطبق العلم على موضوع علمه ، وذلك كله من مقتضيات التعليم . ولكني أقصد تطبيق المثاليات الخلقية على مقتضيات العلم ، أقصد أن يكون لكل علم بشيء حالة نفسية تلابسه ، بحيث تكون من عناصر التطبيق العمليّ . أقصد أن تكون مكارم الاخلاق ، ومعاني السلوك الامثل ، هي رائد العالم عند تطبيق علمه ، والصانع في صناعته ، والزارع في حقله ? وعلى الجملة أن يكون التصوُّر الذي يقود الفرد في الحياة خلقاً فيه مزيج من ثابت العلم ومثاليات الخلق .

* * *

إن الطريق الذى نتبعه في التعليم الآن طريق معوج . نعني بشحن الأذهان ، ونقلع عن ترويض النفوس . نعمل على نقل المعلومات الى الذهن حتى نفعمه ، ونترك الروح في فوضى وفي عماء . نخرج أطباء ومحامين وزراعاً ومهندسين تكاد تكتمل معلوماتهم التي تؤهل بهم أن يعالجوا ما اختصَّ بكل منهم من مشاكل الحياة ، ولا نغرس فيهم المعاني النفسية السامية التي ينبغي أن تطبق هذه المعلومات على مقتضاها . فنحن نعلِّم ولا نهذِّب . مثلنا في ذلك كمثل منْ أخذ بالعرض وترك الجوهر . فكأنما نحن نخرج من أبنائنا متعلمين أشبه بعمي يقودهم مقعدون .

وهل أدلُّ على ذلك من العنوان الذي نصرفه على الوزارة التي تعني بالتعليم فنسميها « وزارة المعارف » وأجدر بها أن تسمى « وزارة التربية » لعل الأذهان تنصرف بوحي العنوان الى تربية النفوس باعتبارها الجوهر ، وجعل « المعارف » هي العرض .

اسماعيل مظهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النظائر وكيمياء النواة

إن بحث النظائر Isotopes ، يرتد الى العقد الثاني من هـذا القرن . وقد كانت تلك الأبحاث الرائعة السبب المباشر في انقاذ العلماء من حيرة عظيمة ظلت تساورهم وقتاً طويلاً في أوزان العناصر الذرية . كان الـكيميائيون لا يدرون كيف يعللون وجود الـكسور في تلك الأوزان ، وكانوا يعلمون بأن وحدة الوزن الذري هي وحدة صحيحة الرقم . وعلى هذا الأساس كانوا ينتظرون أن تكون أوزان العناصر صحيحة الأرقام أيضاً ما دامت هي مكررات لوحدة صحيحة الرقم . ولـكن المقاييس الدقيقة كانت تكذب فرضهم ، وتخيب آمالهم عندما تطالعهم بنتائج مشفوعة بالـكسور . وظلّ هذا الأمر مستعصياً على أفهام العلماء إلى أن عرفوا النظائر . فوجدوا وعلى رأسهم صُدي وأستن بأن لمعظم العناصر مثيلاً Isotope ، أو أكثر يشابهه في خواصه وإشعاعه ، ويختلف عنه في وزنه فقط ، وبعبارة أخرى أن النظائر تتفق في فعلها الـكيميائي وعدد الـكتروناتها — الرقم الذري — وتختلف في وحدات أوزانها الذرية . فالـكلور مثلاً له نظيران لهما ذات الفعل الـكيميائي ، لذرة النظير الأول (١٧) الكترون في المحيط — الرقم الذري — ووزنها (٣٥) ولذرة الثاني (١٧) الكترون أيضاً ولـكن وزنها (٣٧) أي بزيادة وحدتين من وحدات الوزن الذري (ذرة الهيدروجين) . وقد أدرك العلماء أيضاً بسبب ذلك أن أوزان العناصر وما فيها من كسور ليست هي وزنها الحقيقي ، وإنما هي متوسط أوزان نظائره . فاذا نظرنا الى جدول الأوزان الذرية ووجدنا بأن وزن الكلور الذري (٣٥٫٤٥٧) أدركنا أنه متوسط مزيج ذرات نوعية ووزنهما (٣٥) و (٣٧) بنسبة ثلاثة الى واحد أو (٧٧) بالمئة للأول و (٢٣) للثاني . وهكذا القول في كل العناصر التي ظهر لها نظائر وهي أكثر من نصف العناصر المعروفة . والخلاصة أن النظائر مهما تعددت لها رقم واحد في جدول الأرقام الذرية يدل على خواص العنصر التي يتميز بها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فاذا كان وزن القصدير مثلاً ١١٨و٧ عنينا أنه متوسط وزن عشرة نظائر مزجت ذراتها بنسب معينة لكل نظير منها وزن خاص صحيح العدد بينما لتلك النظائر كلها رقم ذري واحد وهو (٥٠).

قلنا ان العلماء قالوا أن النظائر تتشابه في فعلها الكيميائي وإشعاعها — أشعة إكس — ولا تختلف إلاّ في وزنها الذري فقط . فاذا أخذنا ذرتين من الهيدروجين ووزنه (١) ومزجناها مع ذرة أكسجين حصلنا على ماء ، واذا أخذنا ذرتين من الهيدروجين الذي وزنه (٢) — ديتوريوم — ومزجناها مع ذرة أوكسجين حصلنا على ماء أيضاً ، وهكذا القول في الهيدروجين الذي وزنه (٣) — تريتوريوم — . وهذا ما نقصده عند ما نقول بأن النظائر مهما تعددت تتفق في فعلها الكيميائي . وهي أيضاً تتفق في إشعاعها وطيوفها ونشاطها الاشعاعي، بل لها اشعاع واحد يدل على رقم العنصر الذري ـ عدد الالكترونات ـ فذرة الهيدروجين لها الكترون واحد ، والهيدروجين الثقيل ووزنه (٢) لذرته الكترون واحد أيضاً ، وكذلك الهيدروجين الأثقل وزنه (٣) لذرته الكترون واحد . أي ان لهذه الأنواع الثلاثة من الهيدروجين إشعاع واحد، أو بمعنى آخر ان الأشعة السينية المنطلقة من كلٍ من هذه النظائر واحدة . وقال العلماء أيضاً بأن تفاعل النوى يعدُّ ضرباً من التفاعل الكيميائي وهذا صحيح لأن ذلك التفاعل يصحبه طاقة ـ حرارة ـ وتغيير في طبيعة الأجسام المتفاعلة . فالتفاعل الذي نعرفه في مختبراتنا هو اتحاد ذرة أو أكثر من عنصر واحد بذرة أو أكثر من عنصر آخر ، بل بحسب العلم الحديث هو تفاعل بين الكترونات الذرات الخارجية البعيدة عن مركز النواة . وهذا التفاعل لا يؤثر في نوى الذرات لقوة تماسكها وشدة ارتباطها العظيم . ولكن بالرغم من قوة ذلك التماسك فقد توصل العلماء الى طرق رائعة تمكنوا بها من إحداث التفاعل في النوى ، فكما أن الالكترونات تحدث تفاعلاً مع غيرها من الالكترونات ، كذلك سلط العلماء وفي طليعتهم راذرفورد العظيم ، النوى على بعضها علهم يعرفون بذلك كيفية تفاعلها . فاستعملوا نوى العناصر الخفيفة كنواة الهيدورجين . بروتون ، ونواة الهيدروجين الثقيل ، دوتون ، ونواة الهليوم « ألفا » والجسيمات المتعادلة الكهربائية . النيوترونات ، الموجودة في كل نوى العناصر ـ ما عدا الهيدروجين العادي ـ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وسددوها الى مختلف النوى ليصلوا الى ما هناك من سرٍّ وتفاعل في قلب الذرّة . فكان لهم ما أرادوا وعرفوا بالتجارب الكثيرة قرابة عشرين نوعاً من تلك الأفعال الكيميائية . وإذا عرفنا أن قنبلة هيروشيما كانت أول ثمرة عملية من ثمار ذلك البحث الخطير ، أدركنا خطورة تلك البحوث والاهتمام الزائد بها . فمن هذا يظهر لنا نوعان من الكيمياء أو الأفعال الكيميائية ، يستأثر كل نوع بأحد قسمي الذرّة ، كيمياء الالكترونات وكيمياء النوى إذا صح هذا التعبير . ولا أدري هل النظريات الكيميائية الحديثة كالنظائر مثلاً يشمل منطوقها كيمياء النواة أم لا . فاذا كان الجواب نفياً وجب أن نعيد النظر في معظم النظريات التي ظهرت وتظهر بعد معرفتنا كيمياء النواة . لأنها لم تخصص نوعاً معيناً فيما ترمي إليه ونقصده . وإذا كان الجواب بالإيجاب ، لزم أن يكون ناموس النظائر عامّاً شاملاً ، أي أنه عندما نسدد قذيفة ما الى نوى مختلف نظائر العنصر الواحد ، وجب أن تكون النتيجة واحدة ، وهذا غير واقع . ولنأخذ مثلاً على ذلك نظائر الأورانيوم الذي تصنع منه بل من أحد نظائره القنبلة الذرية .

من المعروف أن للأورانيوم ثلاثة نظائر وزن أحدها (٢٣٤) ، ووزن النظير الثاني (٢٣٥) والثالث (٢٣٨) وعندما جرّب علماء أمريكا تجاربهم الواسعة لشطر نواة الأورانيوم أثناء محاولاتهم صنع تلك القنبلة وقبلها ، ظهر لهم أن النتيجة الحاصلة من تفاعل نواة الأورانيوم رقم (٢٣٥) لا تتفق مع النتائج الحاصلة في النوعين الآخرين ، وهذا هو السبب في صنع القنابل الذرية من الأورانيوم رقم (٢٣٥) دون سواه .

هنا ثلاثة نظائر لها إجماع واحد يدل عليه رقم العنصر الذرّي — ٩٢ — ولكن الفعل الكيميائي فيها غير متشابه وهو مخالف لناموس النظائر الصريح ، وهذا مما يستدعي الانتباه . فما تقدم يتضح لنا أمران لا ثالث لهما .

(الأول) أن يشمل ناموس النظائر الفعل الكيميائي في النوى فيهوي ، لأنّ النواميس العلمية يجب أن تكون أحكامها كلية شاملة لا تقتصر في معناها ومدلولها على نوع دون آخر .

(والأمر الثاني) أن لا يشمل ناموس النظائر كيمياء النواة وتفاعلاتها فيثبت ، وحينئذٍ منضطر الى التخصيص في قوانين الكيمياء الحديثة ما دام لدينا نوعان من الفعل الكيميائي لأنها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مطلقة وإبدالها بأخرى تخصص فيما ترمي اليه نوعاً معيناً من الفعل، وهذا كما رأينا غير واقع

وربَّ معترض يقول بأن الأفعال الكيميائية في النوى هي من اختصاص علم الطبيعة وليس من اختصاص الكيمياء ، لأن الكيمياء قد خصصت قوانينها بالانطباق على الذرات كوحدات مستقلة ولا علاقة لها بالنوى ، ولأن النظريات الحديثة التي تتعلق بالإشعاع وتركيب النواة وشحنتها وتفككها هي نظريات طبيعية تختص ببحث القوى في النواة ولا علاقة لها بالكيمياء . فنقول له ان هذا لا يمنع بأن تكون التفاعلات في النوى أفعالاً كيميائية ما دام تعريف الفعل الكيميائي ينطبق عليها . ولو اختصَّ علم الطبيعة بمعالجتها . فكما ان بعض البحوث الطبيعية لا تخرج عن دائرة الطبيعيات ولو احتضنتها الرياضة العالية ،كذلك الأفعال الكيميائية وكل ما يتصل بهذا البحث من قريبٍ أو بعيد هو ضمن دائرة الكيمياء وتحت كنفها ولا عبرة للآلات الطبيعية التي تكشف لنا كل يوم عن أسرار جديدة وتذلل ما استعصى علينا فهمه في كثير من الحالات الكيميائية المستغلقة . فهذه الأدوات الطبيعية اياها هي التي يستعملها العلماء الآن في كافة القضايا العلمية تقريباً . وعلى الأخص البحوث الفلكية والبيولوجية . ومع ذلك يظل كل بحث إحدى حلقات علمه الخاص ولو أضيف اليه كلمة طبيعية ، في كثير من الحالات .

أنا أدري بأن التجرء على الشك في إحدى النظريات العلمية ليس بالأمر الهين اليسير ، بل محفوف بالمزالق، شائك المسالك . وأنا أدري أيضاً بأن القضايا العلمية الصرفة وخاصة الطبيعة والكيميائية لا تقبل الجدل السفسطي، ولا يؤثر في جوهرها سحر البيان، ومعسول الكلام . وقد تقلص سلطان الفلسفة على العلم ، حتى أصبح عاجزاً عن أن يضيف أو ينقض مبدأ في إحدى المسائل العلمية . ولكنني برغم كل ما أدريه من ذلك ، أرى نفسي مرغماً بناءً على ما أسلفت من الأدلة والبراهين على الشك اما في صحة ناموس النظائر ، أو في سلامة علم الكيمياء من البلبلة ، وإنه في حاجة ماسة الى تنظيم جديد شامل على ضوء البحوث التجريبية الحديثة في نوى الذرات .

السلط جريس الشمرايخ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرادار

كيف يشتغل

قلما سمع القرّاء قبل نهاية الحرب الأخيرة باسم الرادار ، في حين أنه كان موجوداً قبلها ولكنه تطوّر في أثنائها تطورات كثيرة . كان مستعملاً عند الألمان كما كان مستعملاً عند الحلفاء . ولعب أدواراً عظيمة في الحرب . وله نصيب غير قليل في انتصار الحلفاء ، ولا سيما في الدور الأخير حين كان الحلفاء ينزلون جنودهم وعتادهم في نورمندي (فرنسا) . وكانوا يشوّشون بمهارة فائقة على رادار الألمان لكي يضللوهم عن الشاطىء الذي كانوا ينزلون فيه . فكانوا يرسلون أشعة تعمي رادار الألمان وينزلون بالهابطات جنوداً من الذي في الشمال لكي يوهموا الألمان أنهم هناك سينزلون فيحولون معظم قواتهم الى تلك الناحية فخلا الجو للحلفاء عند نورمندي . وما شعر الألمان بحيل الحلفاء إلاّ بعد أن سبق السيف العزل .

كلمة رادار مؤلفة من الأحرف الأولى من هذه الجملة Radio Detection and Ranging ولكن الكُتَيِّب الذي نقتطف منه هذا المقال ، وقد طبعته الحكومة الاميركية ثم الحكومة الانكليزية كان يفضِّل أن تكون من هذه الجملة Radio Direction and Ranging في كلتا الحالتين يبقى الاسم « رادار » Radar

ولا يخفى أن أسلحة الطيران في الحرب الأخيرة لعبت أهم الأدوار كما نعلم . وإذا كانت الحرب خدعة بحسب القول السائر فلاستتار الطائرات بالغيوم والضباب وحلك الليل وثورات الجو مزية عظمى في المخادعة لأنه يقيّض للطائرات خير فرصة المباغتة ، فلا يدري العدو بمفاجآتها إلاّ وهي تمطر قنابلها . ولكن الرادار قد قضى على هذه المزية للطائرات المفاجئة لأنه كان يخترق هذه المعميّات وهذه الحجُب مهما كانت كثيفة . فهو خير وسيلة للدفاع ضد الطائرات المعادية .

وقد بلغ الطيران من السرعة نحو نصف سرعة الصوت أو ثلثها . ولذلك لم يعد هزيم الطائرات نذيراً بهجومها لأنها تصل الى هدفها قبل أن يخرج الخصم لملاقاتها . ولكن الرادار ينذر بقدومها وهي على بعد عدة عشرات الأميال .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم إنه يتعذر جدًّا على الباصرة أن تكتشف ارتفاع الطائرات المحلقة في طبقات الجو العليا واتجاهها لكي تقصد إليها الطائرات المدافعة أو تسدّد إليها المدافع الأرضية المقاومة ولكن الرادار كفيل بذلك . ليس هذا فقط بل ان الأهداف التي لا ترى لمختلف الأسباب يكتشفها الرادار ويعين مواضعها تعييناً دقيقاً مُحكَماً فتناله بأفضل مما لو أرهد النظر بالمنظار .

منذ أكثر من سنتين كانت طائرة ذات راكبين : السائق ومساعده قادمة من ناحية فلسطين . فلما دخلت في جوّ الصحراء اصطدمت بعاصفة رملية هوجاء تعمي الأبصار . ولما أوغلت لم يعد سائقاها يريان شيئاً حتى ولا عن بعد متر واحد . ولم يعودا يدريان طريقاً للخروج من ذلك الجو المخيف ولا للرجوع منه . وحاولا أن ينزلا الى الأرض فلم يستطيعا خوفاً من كارثة الاصطدام والتحطيم وقررا الرجوع ، فكان أشد خطراً ، الى أن نفد الوقيد فحاولا الهبوط . فوقعت الكارثة التي كانا يجاهدان في اتقائها وهبطا على غير هدى فتحطمت الطائرة وتحطما معها . فلو كان الرادار في خدمتها فيها واليها لسلما .

لم تقتصر فائدة الرادار على اكتشاف ما في البر والجو من أهداف بل تناولت أهداف البحر أيضاً . ففي وسع السفن ان تستجلي ما دونها من أخطار البحر مهما كان ضباب الجو كثيفاً وكانت الأسلحة البحرية تضرب سفن العدو من غير أن تراها رؤية العين لأن الرادار كان يرشدها اليها على الرغم من كثافة الضباب حتى ولو كانت وراء الأفق . والآن تستطيع السفن والبوارج المجهزة بالرادار ان ترى البر وجباله والحضيض وبحيراته وأغواره مهما اعترضت الحُجُب .

انه لجهاز عجيب ذو عدَد وعدَد من الموظفين تحت نظام أعجب . فكيف يشتغل الرادار ؟

كيف يشتغل الرادار

اختُرع الرادار عن طريق الراديو أو هو تطوّر منه ، بيد انه يختلف عنه بأن جهاز الارسال وجهاز الاستقبال كليهما في بلدة واحدة ، ويندر أن يكون لهما سلك Antenna واحد للارسال والاستقبال . بل لكل من الفرضين سلك واحد خاص به . ولكنهما كليهما في عدة واحدة .

الجهاز المرسل الأشعة الموجبة يرسل الطاقة القوة في ضوء صغير جدًّا من الوقت ينفث هذه الطاقة نفثة واحدة في لحظة لا يُشعر بها تسمى نبضة . يمكن أن تصدر هذه النبضة في جزء واحد من المليون من الثانية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا تستغرب هـذا ! إن معظم حركات الطبيعة سريعة هكذا . تُـقضى في حنيهات من الزمن متتابعة لا تقاس بالثواني بل بأجزاء من المليون من الثانية . الثانيـة هي وحدة الزمان في نظرنا . وبها نحسب الدقائق والساعات والأيام والسنين والقرون . ولـكن تأتينا في نظر الطبيعة قرون بل أدهار . ووحدة الزمن عند الطبيعة هي هذه النبضة الخاطفة . وحسبنا أننا فهمنا هـذا . وأمكننا أن نحسب وحدات الحركة ، أي هذه النبضات ، التي سماها بلانك العلاّمة Quantum ونحن نسميها« المقدار » : وسنرى في الطبيعة العجب وأغرب من هذا .

بعد كل نبضة يتوقف الجهـاز المرسل عن الإرسال هنيهة من الزمان أطول من هنيهة النبضة — يتوقف بعض أجزاء الألف من الثانيـة الى أن ينفث النبضة التالية . وفي أثناء الفترة بين كل نبضة وأخرى يكون الجهـاز المستقبل عاملاً عمله . فالاشارات التي يستقبلها هي شـبه صدى للنبضات القوية التي أرسلت فانعكست عن الأشباح والأجسام القريبـة أو البعيدة . أقرب الأجسام ترد صدى النبضات عاجلاً . والأجسام البعيـدة ترد الصدى متأخراً . وهكذا الأقرب أعجل والأبعد أبطأ كما هو مفهوم بالبديهة . إذن فالفترة بين إرسال النبضة واستقبال الصدى تقرر مقدار بُـعدِ الجسم عن الجهاز — من سفينة أو طائرة أو جبل أو بناية الخ .

هذا ممكن لانه طبيعي أي لأن الفترة هي المدة اللازمة بعودة النبضةالتي ترحل بسرعة النور وتعود بهـا . والنور كما هو معلوم سريع جداً . ولذلك فالفترات المشار إليها قصيرة جداً . وقياسها هو من الخصائص الفنية المختصة بعلم موظفي الرادار . وهو ما لا يستطاع شرحه هنا بل له دراسة خاصـة . وهو أحد وسائل نجاح الرادار الحديث في معرفة أبعاد الأجسام والاجرام ، بدقة عجيبة . وقد قرأنا في أخبار الصحف في الصيف الماضي أن أحد العلماء أرسل أشـعة رادار الى القمر فعاد إليه صداها وعرف منه المسافة بينه وبين القمر بأدق وأهم مما كان معروفاً عنها .

ولما كان النور يسير بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل أو ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية أو بعبارة أخرى ٣٠٠ متر في جزء من مليون من الثانية ، وكان عليه أن يرحل رحلتين : ذهاباً وإياباً ، فالمسافة من الرادار الى الهدف — قل انها ١٠٠٠ متر مثلاً — ترد الصدى في ستة أجزاء من الثانية بعد صدورها من الجهاز المرسل . هذا مدى قصير بالنسبة الى الرادارقبل الحرب . وأما الآن فصار في الامكان قياس مسافة ٥ أو ٦ أمتار بالرادار بكل تدقيق ، أي في مدة جزء من ٣٠ من المليون من الثانيـة — أفلا نعجب ونستغرب ونتحير في مقدرة هذا الانسان الذي استطاع أن يحصي هذه المدة التي هي كأنها لاشيء من الثانية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن استعمال النبضات المشار إليها يؤدي وظيفة بسيطة في قياس المدى كما رأيت . بقي أن نعلم كيف يرشد الرادار إلى الجهة التي يكون فيها الهدف .

يرشد الرادار الى الهدف بتجهيزه اسلاك التوجيه التي ترسل النبضات في حبال شعاعية كأشعة الأنوار الكشافة التي كنا نراها منطلقة من أجهزة على الأرض الى الجو في مدة الحرب لاستكشاف طائرات العدو .

يمكن ادارة هذا السلك الناتىء Antenna (كسلك الراديو الذي نراه على السطوح) الى جهات مختلفة في أثناء ارسال النبضات الى أن يعود صدى (شعاعي) عن جسم ما فيلفت النظر اليه كطائرة أو سفينة أو بحر أو بحيرة أو جبل الخ. فيكتشف الهدف المراد . وحينئذٍ يمكن الحصول على ومضة أو نبضة راجعة قوية كصدى للنبضة التي صدرت اذا وجهنا طرف السلك المستقبل الى الهدف الذي وقعت عليه الشبهة .

فاتجاه السلك الذي هو نفس اتجاه الهدف يمكن ان يقرأ أو يعيه في لوحة الرادار (التي ذكرت سابقاً) ويدل على السفينة أو الموقع أو اتجاه الطائرة المقبلة أو المدبرة الخ. ثم يوجه بموجبه اطلاق القنبلة على العدو أو قطع الطريق عليه أو قضاء أي غرض من الأغراض المبتغاة

وهناك وسيلة أخرى للاستدلال البصري على موقع الهدف واتجاهه وبعده . وهي استعمال الآلة المسماة « المرشد الى الموقع » Plan Position Indicator بوساطة هذه الأشعة ترسم أصداء الرادار خريطة على صفحة طرف انبوب تمرّ فيه شعاعة الكاثود الواردة عن يد السلك المستقبل المشار اليه آنفاً .

وهنا لا بد من افهام القارىء ماذا يراد بالكاثود هذا . الكاثود هو القطب السلبي من أي مجرى كهربائي (وضده الآنود أي الطرف الايجابي) . والكاثود ينفث فئات الكترونات تعبر من هذه النبضات المذكورة آنفاً بشكل شعاعات ينفثها بقدر حدة التيار الذي يرد اليه . فاذا كان السلك الناتىء من الرادار يلتقط هذه الاصداء (أو هي تصدمه) فهي بطبيعة الحال تنتهي عند الكاثود المتصل بالسلك الملتقط . ولذلك ترسم هذه الأصداء على اللوحة التي في فم أنبوب الكاثود . ولما كانت الأصداء مختلفة القوة و المدة فتظهر على لوحة الكاثود مختلفة الاشكال أيضاً (كما أن الاصوات في الراديو تصدر مختلفة النبرات بسبب اختلاف قوة الصوت وحدته) .

والموظف العامل في الرادار يمكنه أن يتصور نفسه كأنه مقيم فوق الجهاز سواء كان في سفينة او في طائرة او على الارض وناظراً الى المنظر الذي تحته .

ومهما كثرت او قلت الاهداف التي يتجه اليها الرادار او يوجه اليها سلك الارسال،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فكل هدف يلقي على صفحة أنبوب الكاثود المذكور نقطة ضوء خاصة به . وشكل هذه النقطة الضوئية واتجاهها وبعدها عن المركز تدل على مدى الهدف أو بعده وحقيقته . فاختلاف النقط الضوئية ومواقعها حول المركز يعطيك خريطة الاهداف جميعاً على اختلاف أبعادها وأشكالها .

ليست هذه الخريطة كما ترى في صفحة التلفجن Television اي صورة السفينة او صورة الطائرة الخ . وانما هي علامات متباينة يفهمها الذين درسوها ومارسوها والذين اختبروها قبلهم واستقروها من موظفي الرادار كأنها لغة قائمة بذاتها يفهمونها فهماً أكيداً .

أعجب من كل ذلك أن اصداء الرادار تريك وتفسر لك الأشباح عن بُعد أمتار . ففي البارجة حيث يقتضي الأمر معرفة المدى الذي يطلق إليه مدفع ذي ١٦ بوصة مثلاً يمكن اصداء الرادار أن تعلن لموظف الرادار المدى على بُعدٍ قريب حتى على بعد بضعة عشر متراً .

في حالة الدفاع ضد الطائرات تتوجه أطراف أسلاك الارسال والاستقبال من تلقاء نفسها بحيث أنها تظل متجهة الى الهدف الطائر من غير تدخل العامل سوى التوجيه الأول والمدافع تتجه من تلقاء نفسها أيضاً الى الهدف . وذلك بحركة أولية تؤتى في الجهاز . ومتى تحركت الأجهزة فيه اشتغلت من تلقاء نفسها . وأغرب من ذلك أن توجه الطائرة المقاتلة من مكان بعيد من غير راكب فيها يديرها وإنها تدار باللاسلكي من مكان الادارة على الأرض .

وهنالك أنواع من الرادار حديثة ذات خصائص عجيبة . فمنها رادار يميز بين صدى وصدى أو بين هدف وهدف . وأصداء كل هدف دون آخر . ومدى كل منها ، وهو أمر يتوقف على حدة أشعة الرادار الصادرة منه . وهذه تتوقف على ثخانة سلك الارسال أو الاستقبال وحجمه ، لأن الشعاعة تكون أحدّ وأهد كلما قصرت موجة الارسال . ولأن اتساع الشعاعة يناسب طول الموجة . .

الرادارات القديمة كانت تشتغل على الموجات الطويلة عدة أمتار فكانت تتسع الأشعة بنسبتها . أما رادار اليوم فكالراديو الحديث يتقدم رويداً في استعمال أقصر ما يمكن من الموجات القصيرة وكلما تقدم هذا أمكنه أن يسجّل الاهداف على بُعد بضعة أمتار إذا لزم الامر حتى على بُعد متر ونصف . وكلما نجح في هذا السبيل نجح في تسجيل التفاصيل أو توريتها .

حتى مَ يشطح هذا الانسان في العلم والاختراع ويتراجع في الآداب ومقتضيات الاجتماع ؟

نقولا الحداد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النار

قال إبليس حين أمره الله بالسجود لآدم . « أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ، قال فاخرج منها فانك رجيم .. »

وقال موسى لاهله حين آنس من جانب الطور ناراً . « امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك .. »

لفتتكَ بعدُ ، وإنها بين الورى شيء لفوتْ

تحيا على الظمأ الشديد ، وحينما تسقى تموت

ولسانها يمتد لكن لا يفارقه السكوت

تركَ الكلامَ ، وليس يترك فرصة أبداً تفوت

ولطالما خاب القؤول ، ونال بغيته الصَّموت

يا نار أضللتِ « الرجيمَ » فحاد عن نهج القنوت

وهديت يا نارُ « الكليمَ » فنال قوتاً أيّ قوت

يا نار فيك بَنَتْ « أنا » لكن بناءَ العنكبوت

وبنتْ « لعلّي » بيتها فعلا على كل البيوت

يا نار قد أثّرتِ لكن حسبما اقتضت (البخوت)

هذا أعدَّ للاعدا ء ، وذاك هيِّيء للثبوت

شاعر البراري

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الادب الرخيص

حضرة رئيس تحرير المقتطف :

أرجو أن تأذنوا لي بكلمة تلحقونها بمقال الأستاذ ا : م بعنوان « صحافتنا تنحدر » . وهو مقال يشفي الغليل فيما بلغت إليه أكثر المجلات العربية من إفراز الزبد الطافي على وجه العلم والأدب .

لقد أنحى هذا الكاتب المتألم باللائمة على الكتّاب لأنهم طلّقوا العلم والأدب الحقيقي وارتموا في أحضان الصحافة التي تتاجر بلهو بسطاء القراء . لعلّ هؤلاء الكتّاب معذورون إذا كان القلم سبب عيشهم ، ولا يرزقون إلا من عنق القصبة . لأن أصحاب المجلات يرفضون منهم البحوث العلمية والأدبية الراقية . ولا يقبلون منهم إلا الغث الفكه بحجة أن سواد القراء لا يفهمون البحوث العلمية .

***

قدّم أحد المثقفين ثقافة « عالية » مقالاً نفيساً في موضوع علمي يمتّ الى إحدى النظريات العلمية الحديثة التي يود العالم والبسيط أن يعلمها أو يعلم شيئاً عنها . فرفضه عبقري الصحافة بدعوى أنّ القراء لا يفهمون هذه البحوث ولا يستلذونها . وإنه لا ينشر في مجلته إلا ما يروق لعامة القراء وهم السواد الأعظم .

عجباً من هم القراء غير خريجي الكليات والجامعات والأزهر ، ثم طلبة هذه الجامعات والكليات ، أليسوا هم السواد الأعظم من القراء ؟ بل هم القراء كلهم ، وما هم بالقليلين . بل هم الذين يموّلون هذه الصحف والمجلات .

فقال صاحب المقال لصاحب المجلة : ألا تظن أن بين قرائك عشرة في كل مئة يفهمون هذا المقال ويستمرئون هذا الموضوع ؟ . نخصّص في مجلتك عشر صفحاتها لهؤلاء .

فقال : إن هؤلاء الذين تعنيهم لا يقرأون مجلات عربية ، بل يقتصرون على قراءة المجلات الأجنبية فأمرهم لا يهمني .

— طبعاً لا يقرأون مجلات عربية لأنهم لا يجدون إلا في النادر منها الغذاء العلمي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لعقولهم . قدّموا لهم كل ما يستجدّ من البحوث العلمية الحديثة تجدوهم يقبلون على مجلاتكم ويجنحون عن المجلات الأجنبية .

أقول بكل أسف أن تجار الصحافة لا يرمون بصحافتهم إلى بنيان الثقافة في الأمم العربية بتاتاً، ولا يبتغون إلاَّ تفكهة بسطاء القراء لكي يبتزّوا أقصى ما يستطيعون من المال . ولكنهم مخطئون بهذا الظن ، لأنهم إذا أضافوا الى جانب الفكاهة الصحفية جانب الفائدة العلمية والأدب الراقي ، أضافوا الى قرائهم قراءً آخرين يزيدون مكاسبهم .

ولا بدع فان معظم تجار الصحافة لا يعرفون إلاَّ أن الأدب العائم المزخرف هو الثقافة العلمية الراقية عندهم . وقد جهلوا أن مدنية الأمم ليست نتيجة هذا الأدب الطائش ، بل هي ثمرة العلوم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى الفلسفية . فالقنبلة الذرية لم تكن ثمرة شعر شكسبير ، أو ه لنغ فلو ، ولا أدب مارك توين ، وأناطول فرنس وغيرهم . هي ثمرة علم روذرفورد ، واينشطين ، وبلانك ، ومكسويل ، وشادويك ، ولورانس ، وبوانكاره (العالم) وأمثالهم

فكيف نتوقع أن تكون لنا مدنية عربية جديدة اذا استرسلنا في الفكاهات والقصص والأدب العربي القديم ، الذي نلوكه ظانين اننا نمحصه ونهذبه، فلا نلبث أن نرانا قد تقيأناه فاسداً نتناً .

نحن الآن في عصر العلم الناضج ولا نستطيع أن نجاري الأمم المعاصرة الاَّ اذا شاركناها في الثقافة العلمية . والاّ فاذا اقتصرنا على الأدب السخيف الفكه الذي لا غذاء منه للعقل العلمي فكأننا نتقهقر الى عصور الجهالة والخرافات .

ويا ليتنا نعود بهذه القهقرى الى عصر العرب العلمي القديم ، فكأننا نعود الى أسس العلم الحديث . فقد عرف العرب أن أساس المدنية هو العلم، فطرقوا كل باب علمي على قدر ما بلغ اليه العلم في زمانهم ، فأخذ الأفرنج عنهم علمهم كأساس وبنوا عليه .

ولكن بكل أسف لم نعد الى الأدب العربي القديم الاّ للتفكه في أمثال الف ليلة وليلة والسندباد .

ان هذا التقصير في خدمة الثقافة العامة التي نبني عليها مدنيتنا هو تقصير صحافتنا أولاً وجهالة تجارها ، ولا ذنب فيه لعلمائنا وأدبائنا وبحاثنا . فهؤلاء منبوذون من الميدان . والميدان لم يُبَح الاَّ لسقط المتاع . فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله .

(. . . .)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

احمل قلمك واتبعني !

سيداتي وسادتي !

الذي أقوله الآن لستُ أوّل مَن نادى به ، ولـكنني واحد ممَّن يؤمنون به أشدّ الإيمان ، وممَّن يتحمّسون له بكل قوة ، وبكلّ إخلاص ، لأنهم يرون في الدعوة إليه رسالةً لا بدّ من تأديتها . ولقد سبقني إلى هذه الدعوة ، وإلى حمل هذه الرسالة الأدبية كثيرون ، وعلى رأسهم جبران خليل جبران ، ونعيمة — في « غرباله » بنوع خاص — ونعمة قازان في « معلقة الأرز » ، ومحمود شريف في « ثورة قازان » وسبقني إليه جماعة التجديد في مصر ، غير أنّ دعوة المصريين إلى التجديد لم تنتج كثيراً ، وليس من السهل أن تنتج كثيراً ، لأسباب من البيئة ، ومن الظروف التي تخنق تلك الدعوة . لذلك ظلت — في الغالب — في حدود المهاترات الكلامية — والقليل منها يعمل صامتاً — ، وظلّ صوت الرجعية المحافظة أقوى وأعلى من صوت التجديد والانطلاق والإبداع . وتبعاً لذلك قلَّ العمل الحقيقي من جانب دعاة التجديد ، ذلك العمل الذي هو وحده يستطيع أن يثبّت أصول دعوتهم ويقيم صروحها شامخة زاهرة ، بينما انصرف أدباء المهجر الى العمل الجدي ، الذي سرعان ما قلبَ الأوضاع الأدبية ، وفتح العيون على كل جديد حيّ ، فيه متعة للروح وغذاء للقلب ، وسموّ بالنفس الى ما فوق مستوى الطين . وهكذا قدر للثورة الأدبية المهجرية أن تكون أوسعَ الخطوات أثراً في تقدُّم الأدب العربي الحديث ، وفي سعة آفاقه . ولولاها لظلّ أقصى ما يمكننا إنتاجه في حقل الأدب ، لا يخرج عن أمثال « مجمع البحرين » و « لمحة الرائد » و « حديث عيسى بن هشام » ، وما إلى هذه السفاسف المتهرّئة التي ضاعت فيها جهود ، وفنيت أعمار ، وهُدرت مواهب ما كان أخصبها وأغناها ، وما كان أقدرها على ان تنتج انتاجاً كثيراً قيّماً لو عرفت الطريق . ويا لخيبتنا لو كان هذا كلّ ما يمكننا أن ننتجه في الأدب !

أقول « الأدب » وأنا أرى هناك اختلافاً كبيراً في تحديد معنى « الأدب » وفي فهم

(١) محاضرة أدبية علمية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أهدافه وغاياته . فالأدب ، كما لا يزال السواد الأعظم — للأسف الشديد — يفهمه ويجري عليه ، هو وصف الألفاظ والجُمَل : هو اللغة ، أو اللغة هي أهم ما فيه ، وهي ألفه وياؤه وهي جوهره وغايته .

ألا ترون اننا لا نزال حتى اليوم ، حينما نريد أن ندرس الخصائص الأدبية لعصر من العصور ، أو لجيل من الأجيال الأدبية ، أو لأديب معيّن من الأدباء ، إنما نقف قسماً كبيراً من الدرس على بيان المزايا « اللغوية » لذلك العصر ، أو لذلك الجيل من الأدباء ، أو لذلك الأديب الذي ندرسه ؟

أوَ ما ترون أننا حين نريد أن نتحدّث عن الفرزدق مثلاً لا نجد أبلغ في الدلالة على علوّ كعبه في الأدب من أن نقول : « لولا شعر الفرزدق ، لذهبَ ثلث اللغة العربية » ؟ وحين ندرس أدب المتنبي أو المعرّي أو غيرهما نقول إنهما كانا بصيرين بدقائق اللغة ، عارفين بأحوالها وأوضاعها ؟ . وحين ندرس عصراً من العصور الأدبية ، نذكر مدى ما أصاب « اللغة » فيه من رقيّ وانحطاط ، وما دخلَ عليها من ألفاظ أعجمية ، وما تعرَّب ، وما اشتُقّ ، وما نُحِتَ من ألفاظ ، وما دخلَ من تزاويق لغوية ندعوها بياناً ، أو بديعاً ، أو بلاغة : جناساً ، أو استعاراً ، أو كناية ، أو تورية ، أو ما إليها من سماجات لا نزال نحشو بها عقول القرّاء ، كأنها العلم كله ، والأدب كله ؟

وفي المدارس أيها السيدات والسادة ! في المدارس ، أما ترون أننا لا نزال الى اليوم ، برغم ما نزعم لأنفسنا من انفساح آفاقنا ، وسعة اطلاعنا ، وغزارة علومنا ومداركنا ، لا نزال نفرض على الطلاّب فرضاً أن يكون أوّل ما يدرسونه في « تاريخ الأدب » امرؤ القيس وإخوانه ، ممّن حضنتهم الصحراء قبل نحو خمسة عشر قرناً ، بألفاظهم الخشنة ، وتعابيرهم الصحراوية ، وخشونتهم البدوية ، وبكل ما لديهم من ميزات تباعد بين عصرهم وعصرنا ، بين أذواقهم وأذواقنا ، بين فهمهم للأدب وفهمنا ، وبين حياتهم وحياتنا . ثم نفرض عليهم أن يسيروا في هذه الدراسة العقيمة المملّة قُدُماً ، وعلى هذا النسق العقيم المملّ ، الذي لم يخرج عليه واحد ممن أرّخوا الأدب العربي للمدارس في العصر الحديث ، حتى إذا وصلنا الى عصر جبران ، ونعيمة ، وأبي ماضي ، والريحاني وفوزي المعلوف ، وشوقي ، وحافظ ، ومطران ، وطه حسين ، وبشاره الخوري ، وأبي القاسم الشابي ، وأبي ريشه ، قلنا لهم — لهؤلاء الطلاب المساكين ، الذين يريدون أن يعرفوا شيئاً يناسب عصرهم ، فيُعطون أشياء تبعدهم عن عصرهم خمسة عشر قرناً ، أو تزيد أو تنقص — قلنا لهم : قفوا أيها الطلاب ، ولا توغلوا بعيداً ! فالأدب كله عند امرىء القيس وطرفة وابن حلزة ، وعند

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحطيئة وجرير والفرزدق ، وعند بشّار وأبي نواس وصريع الغواني ، وأضراب هـذا الطراز القديم . وإذا خطر لنا أن نقدّم لهم شيئاً من أدب العصر الحاضر ، قلنا لهم : دونـكم البارودي وحفني ناصف ، والرافعي ، ودونـكم المنفلوطي والشدياق واليازجيين والبستانيين ، ودونـكم ودونـكم من إخوان هذا الطراز العتيق الذين عاشوا في عصرنا الحديث بأجسامهم ، وفي أقدم عصور التـاريخ بعقولهم ، وليست ثمة ميزة تميز آدابهم عن آداب من سبقوهم في عمر التاريخ ، فهم وإيّاهم كتّـاب ألفاظ . . . ألفاظ جافة تسرّبت منها الحياة قبل أن تصل الى رؤوس اقلامهم . . . ألفاظ وتزويقات ألفاظ ، غايتـُها أن تحفظ للعربية قواميسها الى الابد فكأن القواميس — أو على الأصحّ ، النواويس العفنة ، نواويس العقول ، ومقابر العلوم والآداب — كأنّ هذه هي العـلم كلـه . وهي الأدب كله ، ثم يزعم بعد ذلك ، ولا نستحي أن نفاخر في القرن العشرين ، بأننا نلقـن أبناءنا علماً وأدباً . وصدّقوني ، سيداتي وسادتي إنّ الطالب لا يكاد يصل من دراسته للأدب العربي الى عصر النهضة ، حتى يكون قد ملّ الأدب ، وعاف درس الأدب ، واشمأزّ كل الإشمئزاز من هذه السماجات التي اردنا أن نجعل منها « مشهيـّات » تحبّب إليه الأدب ، فإذا بهـا « منفـّرات » منه ، ومرغّبات عنـه . وهكذا ننشىء من الطالب عدوّاً للغته ، ولآداب لغته ، من حيث أردنا أن نحبّبهما إليه . والسبب في ذلك سوء إدراكنا لما يجب أن نقدّمه اليـه أولاً . ولو نحن مررنا في كتابة تاريخ الأدب العربي ابتداءً من عصرنا الحاضر ، راجعين الى الخلف ، وأحسنّـا اختيار ما نقدّمه من أدب العصر الحاضر ، لعرفنا كيف ننمي في الطالب حبّاً لغته ، وحبّ آدابها وغرسنا في نفسه شوقاً الى الاستزادة من ينابيعها القديمة والحديثـة على السواء . ومتى وصلنا الى هذه النتيجة ، نكون قد نجحنا أعظم نجاح في تأدية رسالة الأدب والتربية معاً .

إنّ العلم والأدب غايتهما خدمة الحياة ، وخدمة المجتمع . فهل في ما تدرّسه مدارسنا مما نسميه « تاريخ الأدب العربي » و « علوم العربية » شيء من هذا ؟ هل فيه شيء ؟ ! . . . هل فيه شيء ؟ ! . . .

لو كان إليّ أمر الدروس العربيـة في كافة المدارس ، لما تردّدت لحظة في حرق القسم الأكبر من الـكتب التي ندرسها فيها ، ولما أبقيت على شيء مما نسمّيه « علوم العربية » : العروض — جريمة الفراهيدي على الشعر — ، البيـان ، البلاغة ، القواعد ، وأخيراً تاريخ الأدب العربي في حالتـه الحاضرة ، لأنه ليس في كل هـذه ما يصلح للحياة ، ونحن بعدُ نفرضها على طلابنا المساكين فرضاً ، ولا نكتفي بذلك ، بل نمنح المتفوقين فيها الشهادات : الشهادات التي معناها أنهم تعلموا شيئاً ينفعهم للحياة ، ويفتح عيونهم على حقائق الحياة ،

ويوسّع نفوسهم وقلوبهم لممارسة الحيـاة ، ولإصلاح المعوجّ من أمورها ، ويفسح مداركهم ومعارفهم وآفاقهم . ثم نحن نمنع هذه الشهادات نفسها ممّـن يعجزون عن التفوّق في هذه الحماقات التي ندعوها علوماً وآداباً ، وكأننا بهذا نسجل على هؤلاء المساكين أنهم غير مزوّدين بسـلاح لجهاد الحياة ، وبمعنى آخر نسجّـل عليهم أنهم قصّـروا في فهم البيـان والبديع ، وفي حفظ شعر امرىء القيس والأعشى ، ومعرفة حياتهما ومميزاتهما ، وقصّـروا في حفظ العروض ، بزخارفهـا وعللها ، ولم يحفظوا وصايا الخليل ، وسيبويه ، والدؤلي والأخفش التي تعلمهم أن « دعا » أصلهـا « دعو » ، وانَّ « ميزان » أصلها « ميوزان » ثم درجت عليهما قواعد الإعلال . . . القواعد التي نريدها أن تظل علة سرمدية خالدة في جسم اللغة العربية وآدابها .

أرأيتم أي سلاح خسر أولئك الطلاَّب المساكين الذين لم يعرفوا ذلك كلّـه ؟ !

إن سادتنا القوّامين على شئون اللغـة والأدب ، يقولون إنّ هذا هو سلاح الحياة ومفتاحها ، وإنه عمادها وقوامُـها . أما نحن ... أما نحن ، أيها السيدات والسادة ! فنقول : إن هذا عبث وسخف ، ! . . فعلّـموا طلاّبنا علوم الحيـاة ، لا علوم اللغـة القديمة ، واتركوا هذا الذي هم الآن مجبرون على درسه للذين يهمهم التخصص ، والبحث عن القديم ؟ وبكلمة أخرى لمن يريدون أن تكون عقولهم « متاحف » ودور آثار . . . على أن لا يكون ذلك قبل انتهاء الدراسة الثانوية كاملة . . .

اطرحوا من الـكتب المدرسية ، من القواعد : ما كان مملاً متشعباً ، متناقضاً ، كثير الوجوه والجوازات ، واطرحوا سائر السفسطات اللفظيـة التي تتألف منها علوم البلاغـة والعروض . اطرحوا هـذه كلها جانباً ، وعلموا الطلاّب بدلاً منها أشياء تفيدهم في الحياة . وأما الأدب العربي — ولا محيص لنـا عن تدريس الأدب ، لأنه غذاء القلب والروح — فلنعلّـمهم منه آداب العصر الحاضر ، أو الحيَّ وحده من أدب العصر الحاضر . ولنترك القديم البالي ، لأصحاب القـديم البالي ، وإذ ذاك فامنحوا الطلاب المتفوقين الشهادات ، وامنعوها عن المقصرين ، لأن المنح والمنع حينئذٍ يكونان عن فهم ، وعن حق ، وعن ضمير مخلص أمين .

* * *

هذا شيء — أيها السيدات والسادة ! — ، وشيء آخر لا يقلّ عن هذا تأخراً وعقماً وزراية ، وهو في غير المدرسـة . . . فحينما نريد أن نعمل على نهضة « الأدب » أتدرون ماذا نعمل ؟ . . اتدرون ماذا ؟ !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إننا ننشىء المجامع اللغوية ! . . . ، نعم المجامع اللغوية ، ونكدس فيها المعاجم ، وكتب اللغة الصفر من عهد سيبويه ، حتى عهد ابراهيم اليازجي ، ونحبس معها الرجال — ذوي العقول الصفر ، أسوة بالكتب الصفر — ليعيشوا في أزمانها ، ويغذوا عقولهم ، وعقول الناس — ويالها من تغذية قاتلة ! — بما يطاردونه في بطونها من لغوٍ وهراء ، ثم . . . ثم يطلعون علينا بعد سهر الليالي ، وطول الكد والعناء . . . أتدرون بماذا يطلعون علينا ؟ . . إن أقصى ما تصل اليه آداب هؤلاء « الجمعيين المعجميين » هو أن يربطونا — والعياذ بالله — بأذناب الكسائي ، والأخفش ، والدؤلي ، وسيبويه والفيروزابادي ، والجوهري ، وابن منظور ، والأصمعي ، والزمخشري ، يربطوننا بأذنابهم الى أبد الآبدين ويكفي ان يقولوا لنا : « قال فلان » من هذه الشرذمة البائدة ، ليحسبوا انهم قد طلعوا على الدنيا بجديد . جديد يلخص كل أغراض الحياة في كلمة ! . .

أجيبوني ، أيها الناس ! : أإذا قال الأصمعي أو الجوهري ، قالت الحياة ؟ !

أقاس النحاة حدود الزمان ومرمى خيالي وعقليتي ؟

كما يقول نعمة قازان . وهل ماتت حقائق الحياة ، وعبرها ، وحاجاتها كلها معهم ، حتى نعيش أعمارنا على نبش قبورهم لنأخذها عنهم ! ؟

لقد قال أولئك القوم لأزمنتهم ولأجيالهم ، فلماذا لا نقول نحن لأزمنتنا ولأجيالنا ؟ لقد أدوا في زمانهم ما كانت عقولهم ، التي هي بالنسبة الى زمننا الحاضر قاحلة كالصحراء عقيمة ككتبهم الصفر ، تحسبه رسالة الأدب — وما أبعدهم عن فهم رسالة الأدب — فلماذا لا نؤدي نحن بدورنا في زماننا ما نعرف أنه رسالة الأدب في الحياة ؟ ولكن لا كما كانوا هم يفهمونها ، بل كما يفهمها عصرنا . وشتان ما بين فهمهم وفهم عصرنا !

هم في أزمانهم كانوا يحسبون أنفسهم مبتدعين في أساليبهم الأدبية — استغفر الله ! بل أسلوبهم الواحد الأحد السرمدي ، الذي لم يتغير ولم يتطور ! — فلماذا لا نكون نحن مبتدعين في أساليبنا الأدبية . ننهج لأنفسنا في الأدب والحياة أساليب نؤدي بها رسالة الأدب في الحياة ؟

أما السادة « الجمعيون المعجميون » ، فما أجدرهم بأن نفرض عليهم نظام « الغيتو » يعيشون في نطاقه مدى الحياة ، لئلا يتصلوا بالناس ، فيفسدوا عليهم الحياة بما ينبشون من رمم الموتى : الرمم العفنة البوالي ، ولتبقَ لهم وحدهم لذة هذا النبش المتواصل المضني ، الذي لا يفيدهم ، ولا يفيد الأدب ، ولا يفيد الناس ، ولا يفيد الحياة في شيء مطلقاً . فهم قوم يمسكون بأيديهم حبالاً من حديد ، يحاولون بكل قواهم أن يشدوا بها كل من يحاول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن يطلق جناحيه مع الهواء الحر : هواء الحضارة العصرية ، والحياة العصرية ، التي لا تتسع أبداً لتقليب المعاجم الكبار الضخام ، في سبيل البحث عن أصل كلمة واحدة ، ومشتقاتها ومرادفاتها ، وسخافاتها ، يشدونه بها الى أعرق عصور التاريخ في القدم ، ويقولون له : من هنا استمد وحيك وإلهامك ! لا تقل أدباً ، ولا تحاول أن تأتي بفكر جديد ، أو معنىً جديد ، بل خذ ألفاظاً قديمة ، مما اعترف بصحته الزمخشري والأصمعي والكسائي ، ومما ورد في شعر الجاهليين ، والمخضرمين ، والأمويين ، والعباسيين . . . وهكذا نعيش معهم جامدين متأخرين ، الى أبد الآبدين !

ولِمَ ذلك ؟ ! انها قصة الكأس والشراب . . فكما انه لا يصح أن تتناول الشراب في كأس وسخة أو مهشَّمة ، كذلك لا يصح أن تكتب الأدب بلغة غير جميلة ! .

آمنَّا وصدَّقنا أيها السادة ! ولكن هل حقّاً أن الكأس لا تكون جميلة ، إلاَّ إذا أخرجت من قبر امرىء القيس ، أو من قبر الأصمعيّ ؟ ! ألا تصلح كأسٌ مصنوعة من « النايلون » مثلاً للشراب ، أكثر مما تصلح له كأس من الفخّار ؟ وهل يضير الشراب أن يوضع في قدح من « النايلون » لأن الكسائي والفرّاء وسيبويه لم يعرفوا « النايلون » ؟ سيداتي وسادتي !

إن طول اعتمادنا على الكتب الصفر ، وطول عبادتنا للموتى ، قد صبغا عقولنا بمثل صفرة تلك الكتب : الصفرة المتهرّئة ؟ وختما على آدابنا بمثل موت أصحاب تلك الكتب الصفر . وهكذا لا نزال مرضى في عقولنا ، موتى – أو على الأقل جامدين جمود الموتى – في آدابنا . فاذا عاد سيد منّا من عاصمة بلاد الانكليز على متن « طيارة » ، استقبلناه بشعر أقدم من عصر امرىء القيس ، نستهلّه بقولنا :

« أَنِخ الركاب فقد أطلت غيابا ! . . »

أي والله ! « أنخ الركاب » لرجل يمتطي الطيارة في الجوّ . . .

وإذا تغزلنا ، لم نجد ألطف « من المهاة » نتغزّل بعينيها ، فنقول :

« المها أهدت إليها المقلتين . . . »

وذلك لأن البدويّ الذي عاش في الصحراء ، رفيقاً المها ، قد سبقنا الى هذا الوصف فهو إذن تعبير جميل . أما أن نعرف نحن ما هي المها . أو لا نعرفها ، فليس بأمرٍ ذي قيمة !

واذا أردنا أن نرثي ، لم نجد الاّ أساليب القدماء الشديدة المغالاة في كذبها ، وبُعدها عن الإصالة ، وعن تصوير اللوعة الصادقة ، فنقول :

« لو كان في الذكر الحكيم بقيّة لم تأت بعدُ رُثيت في القرآن ! »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكذلك إذا أردنا أن نمدح ، أو نهجو ، أو نبكي ، أو نصف ، لم نجد الا المعاني القديمة ، والأساليب القديمة ، نمدح ، ونهجو ، ونبكي ، ونصف بها . . .

جمود . . . جمود قاتل . . . ونحن مع ذلك نسير عليه ، ولا نشعر ، أو لا نريد أن نشعر به . . . ولِمَ ذلك ؟ . . . أليست لغتنا هي أمّ اللغات ؟

أو على الأصح هكذا دعوناها ؟ . « أمُّ اللغات غداة الفخر أمهما . . . »

كما يقول حافظ ابراهيم . . ألم يُكتب بها القرآن ؟ .. إنها إذاً لغة الله ، ولغة الملائكة . . . ولغة آدم وحواء في الفردوس ، فكيف لا نرضى بها اليوم ؟ !

قولوا ما شئتم ، أيها الناس ! وليتمحل من شاء لتأخره وجموده الأعذار والعلل ، فقد اعتدنا دائماً - حينما نشعر بفشلنا وجمودنا — أن نحاول جذب الله — أو أقرب الأشياء الى الله في رأينا — الى صفوفنا ، لنسجل عليه الجمود ، تبريراً لجمودنا ! ومن ذا الذي يجرؤ على التمرد على الله ، أو على أقرب الأشياء الى الله ؟ ! إنه اذن لكافر ! كافر ! فارجموه ! . . . وهكذا نكسب تأييد الدهماء لنا ، وذاك حسبنا من النصر !

أما نحن فإننا نهتف بملء أصواتنا مع الشاعر المهجري نعمة قازان ، في « معلّقة الارز » :

إذا كان أمسي ويومي ، غدي فيارب إضرب على مقلتي !

نعم ، ليضرب الله على مُقلنا إن كان أمسنا سيكون هو نفسه يومنا ، وغدنا أيضاً ، بغير تبديل أو تجديد ، فلن نرضى أن تبقى الالفاظ والأساليب اللغوية اللفظية القديمة — التي كانت زاد أمسنا ، ولا تزال عتاد يومنا — هي نفسها زاد غدنا ، وعتاده ، لأننا لا نرضى أن نسجل على أنفسنا مثل هذا الجمود العقيم . فالادب عندنا ليس بالألفاظ ، وإنما هو بما خلف الالفاظ من معانٍ وفِكَر :

فما الشعر بالكأس برّاقة ولكنه الشعر في الخمرة
كذا فتنة العين بالمرأة هي الشعر بالعين لا المرأة
إذا ما الحبيب تكلم غمزاً فأين الكلام من الغمزة ؟ !

كما يقول قازان ! . . وأين كذلك الالفاظ والأساليب القديمة من الأدب الحيّ ، الذي يجب ان ننصرف الى إنتاجه : أدب العقل والقلب والروح ، الأدب الذي هو إنجيل الحياة وقرآنها ، وتوراتها ، والذي يمكنه أن يخلق العالم من جديد ، حين يخلق في العالم نفوساً تحب الخير والجمال ، وتهدف الى سعادة الحياة ، ولا تعوقه عن حب الخير والجمال والسعادة لفظة جامدة :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لئن عاق دربي الى الله لفظٌ همزت جوادي يسيرُ الخبب [1]
وجوّزت في الصرف ما لا يجوز وأوجبتُ في النحو ما لا يجب
إذا قام شعرٌ بألفاظه تكون القواميس خير الكتب !

واللغة التي تقف جامدة دون كل تطوّر ، إنما هي ميتة ، لا تصلح للحياة ، ما دامت لا تستطيع مجاراة الحياة السائرة دائماً الى الأمام في تطوّرها المستمرّ الذي لا يكلُّ ولا يتوقف مادام دولاب الزمان في دوران ، والليل والنهار في تعاقب ، وما دامت الشمس تغيب كل يوم في المساء ، لتطلع على الناس في الصباح :

فلا طلع الفجر يوماً عليَّ إذا لم يلدني مع الطلعة [2]

أما القرآن فيا لفداحة خطإنا ، ويا لغباوتنا يوم نحسب أنه يقف عقبةً كؤوداً في سبيل التطوُّر الأدبي ! فلقد كُتِبَ القرآن باللغة التي كان يتكلّمها الناس ويفهمونها حين نزوله . وما كان يمكن مطلقاً أن ينزل في غيرها . ولو أنه نزل في أيامنا هذه ، لما رأينا فيه لغة قريش القديمة ، بل لكُتِبَ بلغة العصر الحاضر ، التي نستطيع أن نفهمها بيسر وسهولة. فلقد كان القرآن أحرص مما نتصوّره نحن ، على مراعاة خصائص العصر ، وعلى تأدية رسالة الحياة بأحسن الأساليب الممكنة في أيامه . ونزول القرآن بألفاظه المعروفة لا يعني أن تجمد اللغة عند تلك الألفاظ الى الأبد ، فلم تكن هذه غايته ، ولن تكون ، فليس للقرآن لغةٌ ، ولكنه جوهر ، ولو كان لغة وألفاظاً فحسب ، لما استطاع أن يكون دستوراً للحياة ، صالحاً لكل جيل، فاللغة تتطوّر وتتبدّل مع الزمن — ككلّ شيء آخر — وأما الجوهر فهو الذي يكمن فيه سرّ الخلود .

ترى ماذا كنّا نكون اليوم ، وأي تاريخ كان يمكن لنا أن يكون لنا ، لو لم يقم الإسلام والقرآن بالثورة الساحقة الماحقة على جمود الصحراء وخمولها ، على عصبيتها القبلية ومنازعاتها على أديانها وأصنامها ، وعلى تقاليدها وعاداتها ؟

ماذا كنّا نكون اليوم ، وأيّ تاريخ كان يمكن أن يكون لنا ، لو لم يقُم الاسلام والقرآن بفتح أعين القبائل العربية ، الغارقة في جفاف الصحراء بتقاليد الهمجية العمياء ، على حاجات العصر ، وعلى طريق الله والمجد ، وعلى طريق التاريخ الداوي ؟

لقد كان الاسلام والقرآن نفسهما ثورة على الجمود والرجعية ، وتجديداً في الدين ، وفي التشريع ، وفي الحياة . فما بال الكثيرين من الجامدين الرجعيين يحاولون أن يسجلوا عليهما الجمود والرجعية وهما من الجمود والرجعية أبرأ وأنقى من ضمير يوسف من تهمة امرأة العزيز؟!

(١و٢) لنعمة قازان

صدقوني ، سيداتي وسادتي ! إننا لو استطعنا أن نثور على الأدب اللفظي القديم البالي كما ثار القرآن على الحياة الجاهلية ، وأن نُبدع في الجديد الحيّ منه ما أبدع القرآن في حياة الصحراء ، حين خلق من شتيت سكانها أمة أخضعت الدنيا لسلطانها ، لاستطعنا أن ننتج في الأدب الحيّ أروعَ ما تنتجه الأمم .

إذن فثورتنا اليوم على الأساليب القديمة والأدب القديم واللغة القديمة ، لا تعني الثورة على القرآن ، ولا يمكن أن تعنيها ، فليس من المعقول مطلقاً أن يطالبَ إنسان بتغيير لغة كتابٍ ما — بله القرآن نفسه — بحجة أن الزمان قد تطوّر ، وتطوّرت معه اللغة لذلك سيبقى القرآن هو القرآن : له قدسيته ومكانته ورسالته ، وله لغته التي لن تستطيع أن تمتدّ اليها يدٌ بحذف أو تبديل . أما اللغة نفسها — اللغة التي نتفاهم بها — فقد آن الأوان لان نخرج فيها عن سنن الصحراء ، وقواعدها ، وتعابيرها ، وألفاظها ، وأساليبها ، واذا كنا نريد أن نؤدي رسالة الأدب الى الحياة والأحياء . فالذي يجب أن نفهمه الآن هو أنّ الادب رسالة ، وقيادة ونور .

هو رسالة : لأن الأديب هو نبيّ الحياة ورسولها ، والروح الذي يفهمها حق فهمها — أو هو يجب أن يفهمها حقّ فهمها — ويعرف كيف يمهدها ويفرش طرقها بالورود أمام أبنائها الأحياء ، ليعرفوا فيها الجمال والخير وسعادة القلب والروح .

وهو قيادة : لأن الأديب — ابن الحياة البارّ ، ورسولها الأكبر — هو الذي يعرف كيف يسير بأبنائها في طرقها العديدة الملتوية الوعرة ، ليصل بهم الى الجمال والخير ، وسعادة القلب والروح .

وهو نور : لأن الأديب هو المشعل الذي يستطيع أن ينير سُبُل الحياة أمام السالكين لكي يهتدوا فيها الى الجمال والخير ، وسعادة القلب والروح .

فالجمال والخير والسعادة ، إذاً هي غاية الحياة ، ولكنها جميعاً كامنة في مكان واحد ... مكان صغير جدًّا ! أتعرفون ما هو ؟!

إنه قلم الأديب ! ففيه وحده — في رأسه الصغير الدقيق — يكمن الجمال ، ويكمن الخير وتكمن سعادة الحياة . ومنه يفيض النور الذي يقشع الظلام عن وجه الحياة ، ومنه يتسلسل الخير ، ويتسلسل الجمال ، وتتسلسل السعادة ، إذا عرف كيف ينفث نور رسالته المقدسة على وجهٍ صحيح .

هكذا نفهم الادب ، أو هكذا يجب أن نفهمه اليوم . أمّا اللغة التي لا يزال الاكثرون يحسبونها الشرط الاساسي للجودة والقوة في الادب ، فإننا نرى أن بينها وبين الادب فرقاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعيداً جداً ، فالأدب هو رسالة الحياة : الحياة الشاملة المتطورة ، أما اللغة : الألفاظ الجوامد ، فإنما هي مجرد وسيلة تنقل هذه الرسالة . وكل رسالة هي في حاجة الى « ناقلة » مناسبة للوصول الى كل فهم ، والى كل ذوق ، يغلب عليها البساطة واللطف والجمال ، لا الثقل والبلادة والتعقيد ، ولو كانت « الاشارة »— نعم الاشارة — كافية لتأدية هذه الرسالة ، لكانت هذه الاشارة أدباً في الصميم . ولو كان يمكن تسجيل الفكرة الأدبية ، أو المعنى الأدبي ، أو لو كان يمكن تسجيل العواصف والآمال والآلام على الورق بالاشارة ، لكان من الواجب تسجيلها بهذه الاشارة ، إن كان لا يمكن إخضاع اللغة للادب ، وإعطاؤها خصائص العصر الذي نعيش فيه ، لتتمكن من التعبير عن حاجاته ، ومن تصويره بصدق !

إن اللغة ، التي هي « ناقلة » رسالة الحياة يجب أن تكون من البساطة والسهولة والجمال بحيث تصلح لهذه الرسالة المقدسة . ألسنا نرى أن الاواني القديمة التي كان يستخدمها الاقدمون في حاجات عصورهم ، لم تعد تصلح لان نستعملها نحن اليوم ، حتى لنفس الأغراض التي كانت تستخدم فيها ؟ وإنما كل ما تصلح له اليوم هو أن توضع على رفوف المتاحف ليتفرج عليها من يشاء من عشاق القديم والتحف الأثرية — ليتفرج عليها فقط ، لا ليستعملها مع أن بعضها كان يمكن استعماله لو أردنا . فاذا كنا نفعل ذلك بالآنية التي تستخدم لقضاء حاجات الجسد الفاني ، فكم يجدر بنا إذاً أن نفعل مثل ذلك تماماً بالآنية التي نستخدمها لقضاء حاجات العقل والروح الخالدين ؟

أما كان الأجدر بنا ان تبقى ألفاظنا القديمة ، وأساليبنا القديمة ، ولغتنا القديمة وكثير من أدبنا القديم ، كأشياء أثرية ، لها جلال القدم وروعته ، ولكنها لا تصلح للاستعمال في العصر الحديث ؟ لأن لكل عصر خصائص يتميز بها ، والعصر الذي لا يظهر أثره في آداب أهله ، هل نتوسم فيه شيئاً من دلائل الحياة ، أو نتوسم في أهله ؟

لقد تخلينا عن ملابس أجدادنا الثقيلة القديمة الخشنة : ملابس الصحراء الجافة الصارمة وارتدينا ملابس العصر الحديث ، ولم نعد نرضى عنها بديلا . وكذلك لا بد لآدابنا من أن تخلع ما لا يلائمها من اللباس الصحراوي القديم ، الذي حشرتها فيه الصحراء الجافة الصارمة قروناً طوالاً ، لينطلق في موكب الحياة حرّاً طليقاً يؤدي رسالة الحياة على أكمل وجه فلا نظل — برغم ما يبهر أعيننا من أضواء الحياة الساطعة ، ويرن في آذاننا من أصواتها الصادحة — أقصى عدتنا أن نلتفت ، في انتاجنا الأدبي ، الى الخلف : الى الأدب اللفظي الذي تهرأ وعفن لكثرة ما تراكم عليه من أنقاض القرون وغبارها ، لكي نغترف منه « أوبئة » جديدة نغرسها في جسم أدبنا الحاضر ، ولا نخجل من أن ندعو هذه الأوبئة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أدباً » ، أو علاجات لجسم الأدب ، أما الحياة التي نعيش فيها ، فلا نعرف كيف نغترف منها ، واما حاجات العصر ، فلا نعرف كيف نعبر عنها ، وأما عواطفنا وأفكارنا وخلجات نفوسنا ، فلا نعرف كيف نشرحها ونغنيها ، وأما ان الادب هو رسالة وقيادة ونور ، فلا نفهمه ، ولا نريد أن نفهمه .

ولئن كنت أقول هذا ، فلست أريد أن تفهموا من قولي أنني أطالب بحرق كل ما لدينا من القديم، وأن يكن أكثره أدب لغة وألفاظ ، لا أدب معانٍ وأفكار ، فمعاذ الله أن أفعل ذلك ، ولو علمتُ أن إنساناً يطالب بمثل هذا ، لرأيت في عمله كثيراً من التهوّر مغالاةً صارخة لامبرّر لها . انما أنا أدعو الى الاحتفاظ بهذا القديم كله — من ألفه إلى يائه ، بغثّه وسمينه ، عفيفه وداعره ، ضعيفه وقويه ، جيده ورديئه — في متاحف ، أو دور كتب خاصة تقوم مقام المتاحف الأثرية ، ليتمكن من الرجوع إليه بسهولة كلّ من يريد التخصص ، أو زيادة الاطلاع ، على أن يُنتَخب شيء من الصالح منه ، ليوضع بين أيدي طلاب الجامعات — طلاّب الجامعات فقط — كنماذجَ من آداب القرون الخوالي ، لمجرد الاطلاع فقط ، أو للترف الدراسي على الأصح ، لا لاحتذائه وحسبانه المثل الأعلى في الانتاج الأدبي . فالذي أعتقده إعتقاداً يقيناً مخلصاً ، أنه كما أن الخيل والجمال والحمير — التي كانت كل وسائل المواصلات البرية في عصور ذلك الأدب القديم — قد تخلفت كل التخلف عن قافلة العصر الحديث ومواصلاته ، بحيث لم يعد لها مكان الى جانب القطار والسيارة والطيارة — وربما أصبح الصاروخ أيضاً من وسائل المواصلات بعد حين — ، كذلك تخلّف أدب الصحراء القديم العقيم ، وأساليبُه التي لا تزال حية الى اليوم على أقلام أدبائنا وشعرائنا — أو مَن اصطلحنا على تسميتهم أدباء وشعراء — بحيث لم يعد يصلح لعصر الحضارة الذي نعيش فيه : عصر الرادار ، والتلفزيون ، والقنبلة الذرية ، وعصر الكثير المدهش من الاختراعات التي تحير الذهن ، وتشده العقل .

* * *

لست أريد أن أقطع الصلة بين ماضي أدبنا وحاضره ، فالذي لا ماضي له ، لا حاضر يُرجى له . غير أنني لا أريد أن نظلّ عائشين في حدود الماضي البائد ، والقديم الذميم : نشرب من مياه الترع الآسنة ، والناس من حولنا لا يشربون إلاّ الماء المقطر ، ونأكل بأيدينا من قصاع خزفية أو خشبية ، والناس لا يأكلون بغير الشوكة والسكين ، وفي غير آنية من الصيني المزخرف الجميل ، أو من الفضة المجلوّة الزاهية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نريد أن نجعل من الماضي جسراً نعبر عليه الى الحاضر والى المستقبل ، وأن نستخلص منه العبرة التي تفيدنا ، ونبني عليها أشياء جديدة : أدباً جديداً ، وعلماً جديداً ، وحياةً جديدة .

***

أيها الأدباء والشعراء !

من كان منكم يستهويه بريق الالفاظ ، وتأسره تزاويق الجناس والتورية والاستعارة ، ويهمّه إن يقول عنه الناس : إن في رأسه قاموساً ، أو أن تصفّق له أكف الجماهير في الحفلات العامّة حتى لتكاد تدمى من التصفيق ، ويقنع من الأدب والشعر بهذا وحده ، فليبقَ حيث هو ، وله ما يريد ، وهنيئاً له ما يريد ! فكم من صخرة ناشزة تقوم على ذراع الطريق السالكة ، أو على خدّ الحقل الجميل ! وكم من شجرة عقيم ، تتربع في حضن الرياض ، وترشف فروعها من رضاب الغدير ، فلا هي تستفيد ريًّا ، ولا هي تستطيع أن تزهر في الروض ، أو تقدّم لطيور السماء مقيلاً ولا ثمراً .

وأما من كان منكم ، أيها الشعراء والأدباء ! يُهمّه أن يؤدي رسالة الأدب الى الحياة والأحياء ، معبراً في أدبه عن حاجات عصره ، وخلجات نفسه ، باسطاً جناحيه كالنسر للانطلاق من قيود اللفظ وعبودية القديم ؟

مَن كان يُهمّه أن يقول كلمته ويمشي ، بأسلوبه الخاصّ ، لا بأساليب سواه ، وبغير التفات الى الوراء !

من شاء أن يصدح مع الشحارير ، ويعبق مع الأزاهير ، ويصفق مع الجداول ، ويترنم مع هينمات النسيم !

مَن كان همّه أن يؤدي رسالة الأدب إلى الحياة : الأدب الذي هو صوت السماء في أذن الأرض ، وترنيمة الفردوس في مسمع الزمن الحائر ، وهدهدة الأزل لضمير الحياة !

مَن كان هذا همّه ، فإليه أوجه النداء الذي جعلته عنوان هذه الكلمة .

« إحمل قلمك واتبعني ! »

عيسى ابراهيم الناعوري

كلية تراسانتا — القدس القدس الشريف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحضارة

واختلاف الطبائع

ما هي الحضارة؟ لقد اختلف الكتّاب في تعريفها. فإذا قيل العمران وجدنا أن العمران قد يكون موجوداً من غير ذوق وتمييز، والحضارة لا تكون إلا بهما. وإذا قيل العلم وجدنا أن العلم قد يكون تحصيلاً من غير تفكير ومن غير فهم كثير. وإذا قيل حسن الأخلاق وجدنا أن حسن الأخلاق قد يكون موجوداً في الأمم التي على الفطرة والتي لا تعرف الحضارة. وإذا قيل الذكاء والفهم والحكمة وجدنا هذه الصفات عند بعض قبائل البدو الذين لا يمتون إلى الحضارة بسبب. وإذا قيل إن الحضارة في الثراء والبذخ وجدنا الثراء مدخراً ومكنوزاً عند من لا يعرف الحضارة. وإذا قيل إن الحضارة في انتهاز فرص اللذات والمسرات وجدنا أن الهمج من الناس قد ينهمكون في اللذات كما تفعل أصناف كثيرة من الناس. ومن أجل ذلك كان تعريف الحضارة من أصعب الأمور. ولو أن اسمها يجري في أفواه الناس كل يوم. فالترف وحده لا يتمم الحضارة ويكوّنها، ولا العلم وحده ولا الذكاء والفهم وحدهما ولا طيب الخلق وحده، ولا انتهاز فرص المسرات ولا الابتكار في الفنون فالشعر والنحت والتصوير فنون كانت راقية قبل الحضارة.

***

لقد خلف لنا ثيوكيديدس المؤرخ الأثيني في كتابه المسمى حرب البلوبونيز خطبة بركليز السياسي الأثيني وهو يؤبن قتلى حرب البلوبونيز. وفي هذه الخطبة يصف بركليز صفات العظمة في الحضارة الأثينية، أو الصفات التي يرى أنها جديرة أن تكون مقياساً للحضارة وانها أحق بالرعاية والتنمية. وقد اقتبس كثير من المؤرخين جملاً من تلك الخطبة التي يعدها المؤرخون من أعظم الخطب سواء أكان بركليز واضعها بالنص، أم صاغ ثيوكيديدس في كلامه ما علق بذهنه منها. ففيها نرى التسامح بين أبناء الأمة الواحدة والعدل في صيانة الحقوق، والثقافة المؤسسة على الفهم والعمران المبني على الذوق والتمييز. والاستعداد للدفاع عن الدولة من غير خشونة أو مغالاة تقضي على الجوانب الأخرى من الحياة، ونرى الحرية

اللازمة لاختلاف الطبـائع والأمزجة ، تلك الحرية التي تمنع من صب الناس في قالب واحد وقسرهم على رأي واحـد ومسلك واحد ونظرية واحدة ونظر واحد الى الحيـاة . وقد نظر الكتّاب في الحضارات المختلفة فوجدوا ان الحضارة تكون أعظم ازدهاراً وابتكاراً وأطول عمراً وأكثر تجدداً إذا كان فيها نصيب موفور من تلك الحرية اللازمة لاختلاف الطبـائع والأمزجة ، وتكون أقصر عمراً وأقل ثمرة وازدهاراً اذا فقدت تلك الحرية ، وحاولت الدولة صب الناس في قالب واحد وقهرهم على أن تكون طبائعهم وأمزجتهم متشابهة .

وقد غالى بعض الكتّـاب فذكر ان حرية الطبائع والأمزجه خصيصاً اختصت بها الحضارة الأوروبيـة دون غيرها من الحضارات ولا سيما الحضارات الشرقية . ومن أجل ذلك بادت الحضارات الشرقية ولم تبد الحضـارة الأوروبية . وقد نسوا ان بعض الحضارات الشرقيـة كانت أطول عمراً . وان الحضارة الأوروبية القديمة التي وصفها بركلين في خطبته التي أشرنا اليها بادت كما باد غيرها ، وان الحضارة الأوروبية الحديثة قريبة العهد لا يصح الحكم فيها وفي أجلها .

* * *

قال فرنسوا جيزو المؤرخ والسياسي الفرنسي ووزير الملك فيليب لويس جيزو هو واضع كتاب تاريخ الحضارة الأوروبية . أن الحضارات الشرقيـة كانت مؤسسة على مبدأ واحد أو نظرية واحدة أي كل حضارة على نظرية ،وان اختلفت مبادىء الحضارات

والقارىء يرى في كلامه بعض ما يشعر إنها كلها على نظام واحد ونظرية واحدة ويقول ان الحضارة الأوروبية مؤسسة على اختلاف المبادىء وتباين الأسس ، وتفاوت ، النزعات مما يؤدي الى يقظة العقول والنفوس ، والى الإبتكار والتوليد والابتداع . وقال جون ستوارت ميل المفكر والفيلسوف الانجليزي في كتابه المسمى كتاب الحرية . إن الحرية التي تسمح باختلاف الأفكار وحدها لا تكفي لتقويم الحضارة بل لا بدّ من الحرية التي تسمح باختلاف الطبائع والأمزجة والنزعات النفسـية وذكر أن تعاظم الحضارة الأوروبية إنما كان بسبب تلك الحرية التي تشجع الطبائع المختلفة . وان ركود الحضـارات الشرقية كان بسبب فقدان تلك الحرية ومحاولة قهر الناس على طبع ومزاج واحد . فركدت النفوس والعقول وانقطع عهد الابتكار والابتداع وركدت الحياة عامة .

وعندي أن هذه الآراء قراءة للحقائق عكساً لا طرداً كمن يقرأ الكتاب من آخره كي يصل الى أوله وذلك للأسباب الآتية : —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(أولاً) إن الحرية اللازمة لاختلاف الطبائع والأمزجة ليست دائماً سبباً للقوى الحيوية في الحضارة، بل قد تكون نتيجتها . فالقوى الحيوية في الطبائع والأمزجة قد تسبب الحرية وتضمنها وتجعلها قضاءً محتوماً بالرغم من قهر وكبت، وبالرغم من محاولة صب الناس في قالب واحد . وأن استبداد العادة الذي يحكي عنه جون ستوارت ميل في كتاب الحرية قد يكون نتيجة لضعف الطبائع والأمزجة مهما اختلفت . وأن الحكومات الاستبدادية وجدت في أوروبا كما وجدت في الشرق . وقد اعترف جون ستوارت ميل في كتابه إن الحرية اللازمة لاختلاف الطبائع والأمزجة ظهرت في أوروبا بسبب القوى الحيوية في النفوس حتى في عصور الرغم والقهر .

(ثانياً) إن شرط الحرية اللازمة لاختلاف الطبائع والأمزجة ليس خاصاً بالحضارة الأوروبية، فلو درس هؤلاء الكتّاب الأفاضل الحضارات الشرقية أو العالمية في أبانها وجدوا أن حرية الطبائع والأمزجة موفورة حتى في عصور الاستبداد والقهر . فقد كانت موفورة في حضارة الأندلس العربيـة كما كانت موفورة في الحضارة العباسية في أشد عصور خلفاء العباسيين بأساً وقوة . ويكفي أن نقرأ كتب الأدب والعلوم العربية لنعرف الى أي حدٍ بلغت حرية الطبائع والأمزجة . نقرأ عن باحث خصص حياته لدراسة النمل وعاداته، وانه كان اذا تكلم في النمل قضى ساعات طوال لا يَمِلّ ولا يُمَلّ سامعه . ونقرأ بجانب ذلك وصف الولائم التي كانت تبلغ غاية المجون فأي اختلاف في الطبائع والأمزجة أكثر من هذا الاختلاف .

(ثالثاً) إن عصر حرية الطبائع والأمزجة اللازمة لازدهار الحضارة . لابد من أن يسبقه عصر توحيد للقوى وهذا العصر السابق هو عصر قيام الدول ونشأتها ، وتأسيس بأسها وسطوتها ولولا هـذا العصر الذي هو عصر الجماعة ويسود فيه مذهب الجماعة لا مذهب الفردية ما أمكن أن يكون بعده عصر الحرية الفردية،لأن العصر السابق عصر توحيد الجهود النفسية والفكرية،وعصر الغلبة الذي يجلب للأمة الاطمئنان إلى عصر الحرية الفردية اللاحق به . والحرية الفردية هي حرية اختلاف الطبائع والأمزجة .

(رابعاً) إن تلك الحرية الفردية كثيراً ما يعقبها عصر اضمحلال إذا بلغت الحرية الفردية غايتها وضعفت الطبائع والأمزجة وعندئذٍ لا يغني اختلاف الطبائع والأمزجة عن ضعفها،ولا يثمر ولا تزدهر الحضارة معه. وقد ينجي من ذلك الاضمحلال خطر خارجي داهم يضطر الشعب الى توحيد الجهود النفسية والفكرية اذا استطاع ولم تكن الطبائع والأمزجة قد ضعفت ضعفاً لا أمل معه . أما إذا كانت الطبائع قد ضعفت واضمحلت وصارت نزعاتها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سطحية فلا أمل في توحيد الجهود النفسية والفكرية بالرغم من كل محاولة وبالرغم من كل خطر خارجي داهم .

(خامساً) إن تعاقب عهود اندماج الفرد في الجماعة، وإطلاق الحرية للفرد الى أقصى حد مستطاع وغير مضر تعاقب يصلح الشعوب الانسانية ، وهو أمرٌ مشاهد في التاريخ لأن اندماج الفرد في الجماعة كما أنه يوحد الجهود النفسية والفكرية،ويمنع زيغ طبع الفرد ومزاجه كذلك قد يضعف طبع الفرد،وإذا ضعفت طباع الأفراد ضعف طبع الجماعة . وإطلاق الحرية لطبع الفرد ومزاجه كما إنه يؤدي الى تقوية طبع الفرد ، والى استيعاب جميع مظاهر الحياة وإلى تشعب مسالك الفكر والمطلب الذي يؤدي الى ازدهار الحضارة، فإنه كذلك قد يؤدي إلى زيغ وضلال وشطط في الطبائع الفردية ، وقد يستهلك قواها . ومن أجل ذلك يتعاقب العهدان لما فيه خير الشعوب ، وقد يتعاقبان لما فيه ضرها ، إذا أتى مثلاً بعد عهد فوضى الطبائع الفردية عهد قهر مرهق من عهود اندماج الفرد في الجماعة فيقضي على البقية الباقية من قواها،فيكون الفساد حيث يراد الاصلاح بالقوة .

(سادساً) ينسى الكتّاب الأفاضل عند تعليل ركود الحضارات الشرقية في عهد ازدهار الحضارة الأوربية أمور هامة منها : ان الحضارات الشرقية تسلمتها قبائل وشعوب لها طباع فاضلة ولكنها أقل استعداداً لتنمية الحضارة واعلائها من القبائل والشعوب التي تسلمت الحضارات الأوربية القديمة . وليس المراد الحكم على شعب أو قبيلة حكماً أبديًّا ، وإنما هو حكم الماضي من التاريخ . فالقبائل التيوتونية التي تسلمت الحضارة الأوربية القديمة كان عندها استعداد في ماضي تاريخها لتنمية الحضارة أكثر من استعداد قبائل التتر والمغول والأتراك التي تسلمت الحضارة الشرقية . ولا سيما أن الطبائع الفردية في الشرق انتابها عهد بعد عهد أضعف قوتها على اختلاف مصادر هذا الضعف وأسبابه .

ولا ننكر ان نظم الحياة والحكم التي نمت في أوربا قديماً وحديثاً والتي ورثها الشرق الآن بوراثته نظم الحكومات النيابية المنظمة، ربما كانت أدعى الى صيانة حرية الطبائع والأمزجة . التي يقول المفكرون إنها من أهم مقوّمات الحضارة.. بل هي الصفة اللاصقة بالحضارة،والتي لا تكون إلاّ بها في نظرهم . وهذه النظم النيابية هي أيضاً نتيجة أكثر منها سبباً، أي إنها نتيجة القوى الحيوية في الطبائع والأمزجة والنفوس. على أن هذه النظم في غير البيئة الصالحة لها ، قد تؤدي الى استبداد فئة قليلة من الأسر البيوروقراطية وأعوانها .

ع . ش

العلامة اللغوي

الاب أنستاس ماري الكرملي

بعث الي بهذه المقالة صديقي الكاتب الاستاذ محمد فاتح توفيق المدرس بتطبيقات دار المعلمين ببغداد ، ومعها صورة للغوي الكبير الاب أنستاس بعد موته بساعات ، وطلب الي أن أقدمها الى احدى مجلاتنا المصرية ، فآثرت بها مجلة « المقتطف » لانها شيخة المجلات العربية ، ولانها كانت مسرحاً لابحاث فقيد اللغة الكرملي ...

ولقد كان بيني وبين الاب البحاثة صداقة ومراسلات منذ سنوات ، وسأعود الى الحديث عنه فيما يأتي من أعداد المقتطف ، وفيما يلي نص المقالة : أحمد الشرباصي



الآب أنستاس ماري الكرملي مسجّى

وعلى حين غفلة طوت يد الأقدار ابن العربية البار ، والعلامة اللغوي الآب أنستاس ماري الكرملي . وما هي الا عشية أو ضحاها حتى أصبح أثراً بعد عين ، وميتاً يرثى بعد أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان حيًّا يرجى ، لجف ذلك البحر الزاخر ونضبت تلك العين الدفاقة بفيض العلم والعرفان واندك ذلك الطود الأشم وسكت هزيم رعده وصوته الجهوري وانطوت تلك الصحراء الواسعة من الحلم والكمال وسقطت تلك الثمار الدانية من التواضع والجلال وسكنت الريح الصرصر العاتية في الخصومات والنقد ، ولم يهب ذاك النسيم العليل من اللين والحنان . لخسرت العربية أيما خسران .

حقًّا إن القول ليقصر عن ادراك مدى هذا الرجل العظيم بعلمه وعمله . وان المرء ليقف عاجزاً عن اداء حق علاّمتنا المفضال الذي خدم العربية والعلم أكثر من ستين عاماً كان خلالها مثالاً للرجل الكامل العامل المخلص المثابر الذي تزوّد بالعلم الصحيح والخلق الرضي والأدب الجم، فكان سبّاقاً لا يبلغ شأوه أحد ولا يصل الى مقامه مُجِدٌّ .

***

ولد رحمه الله في بغداد سنة ١٨٦٦ في اليوم الخامس من آب (أغسطس) . وتوفي في بغداد أيضاً في المستشفى الملكي صباح يوم الثلاثاء في اليوم السابع من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٧ فيكون عمره ثمانين سنة وخمسة أشهر ويومين .

وتعلم من اللغات أكثر من عشر ، فقد أتقن الفرنسية واللاتينية واليونانية والعبرية ، والصابئية ، والكلدانية ، والتركية ، والفارسية ، والانكليزية ، والسريانية ، وقليل من الايطالية وكان يفهم البرتغالية . وقد تعلم الحبشية والاسبانية ثم نسيهما ولم تسنح له الفرصة لتعلم الألمانية وغيرها ، ذلك لأنه استدعته الكنيسة في بغداد حيث كان يدرس في فرنسة .

وقد حوت خزانة كتبه ستة عشر ألف كتاب منها ألف وخمسمائة كتاب مخطوط . وكان كثير العناية بكتبه يغلفها بقماش متين أبيض ، وإن أكبر نكبة أصابته سرقة خزانته هذه في الحرب العظمى الأولى أيام كان أسيراً في الأناضول — وهناك تعلم اللغة التركية — وعند عودته اضطر الى شراء كثير منها بأغلى الأثمان واشترى أكثرها من سارقيها بوساطة آخرين ، وان لكل كتاب لديه قصة طريفة ، فهو يحدثك عن شرائه وعن تعرفه ببائعه ومساومته له حتى يصل الكتاب الى خزانته :

وقد جاب الآفاق والاقطار لجمع هذه الكتب وللبحث والتنقيب والدرس ، وزار معظم الممالك في القارات الثلاث : آسية وأوربة وأفريقية، ولم يتسنَّ له زيارة أميركة ، وأسترالية ، وعند ما يحدثك عن كتاب مفقود فكأنه يحدثك عن أعز ولد له قد فقد . وفي الحقيقة،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا أحسب أنه كان يحزن لفقد ولد — لو كان ذا ولد — مثل حزنه على كتاب مفقود من كتبه النادرة .

وأعظم مؤلفاته معجمه الكبير « المساعد » الذي اشتغل به زهاء ست وستين عاماً ، أي منذ الخامسة عشرة من سنه ، وعند ما سئل : وهل انتهى هذا القاموس ؟ أجاب : « وهل تنتهي اللغة العربية ؟ أنا الذي انتهيت » .

ولقد قضى سنواته الأخيرة يعاني الأوصاب والأوجاع ، ويحتمل الآلام في ظروف قاسية بين أناس لا يرحمون، ولم يجد من يخدمه أو يُعنى به ، إلاَّ أهل بيت له صلة قرابة بهم أسكنوه معهم — بعد أن هدم الدير الذي يسكن فيه — فأحسنوا خدمته ورعايته ، وذلك قبل سفره الأخير الى فلسطين .

ولقد أقيمت له حفلات الترحيب في فلسطين في زيارته الأخيرة لها ، وكان يذكرها بالشكر والتقدير للقائمين بها . ولقد عولج هناك وشفي. ولما عاد إلى بغداد أحاطت به نفس الظروف القاسية واحتواه أناس يحقدون عليه ويكرهونه ، إذ هم غرباء عن هذا البلد ، وما له معزّ منهم، فجرى بينه وبينهم ما أثار أعصابه فنكس وعاوده المرض أشد من قبل . فقررت الحكومة العراقية نقله إلى المستشفى الملكي ومعالجته على حسابها . وبقي هناك حتى وافاه الأجل المحتوم بانفجار في الدماغ .

زرته في المستشفى أسأله عن صحته وحاله مع بعض الاخوان . فقال « إنك تراني كيف أصبحت وبأني أشكو من شلل في كفي اليمنى ورجلي اليمنى وإني لأحسبهما كخرقة لا أحس بهما ولا أستطيع تحريكهما ولا أقوى على السير على رجلي اليمنى أو الكتابة والمسك باليد اليمنى . ومع ذلك فاني لا زلت أردد مخاطباً إلهي العظيم ، كلما زدتني ألماً زدتك حبًّا . فقلت له خيراً ودعوت له بالشفاء .

وكان يسير في طريق الشفاء فقد زرناه مساء الاثنين السادس من كانون الثاني (يناير) أي قبل موته بساعات فكان صحيحاً معافىً ، قوي النبرات لطيف الكلام — كعادته — مرحاً يلقي النكتة إثر الأخرى ويقول الدعابة ويتبعها بغيرها . وهكذا قضينا الوقت ونحن نحسب أنه سيغادر المستشفى بعد أيام قلائل . فكان لنعيه وقع شديد في نفوسنا . وكان موته مفاجأة لنا أذهلتنا وأطارت رشدنا .

وإذا ذكر الاب أنستاس الكرملي فلا بد وأن يذكر معه « مجلس الجمعة » وما مجلس الجمعة هذا ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان من عادة الأب الراحل ان يعقد اجتماعاً صباح كل جمعة من الساعة التاسعة حتى الثانية عشرة يقبل فيه زائريه ، واتخذ إحدى غرف الدير لهذا المجلس وفيما عدا هذا يتفرغ للبحث والعمل ولا يقبل زائراً إلا إذا كان معه على وعدٍ سابق وفي وقت معين .

* * *

وكان يختلف الى مجلسه جماعة من المشتغلين بالعلم والأدب ومن مريديه ومحبيه وعارفي فضله فيدور البحث في مواضع شتى من لغة وأدب وعلم وتاريخ وفن — ما عدا السياسة والدين — وفي كل ذلك للأب رأي فيه ونصيب وافر منه . وكثيراً ما كان يحتدم الجدال بين حضرة الأب والأستاذ عباس العزاوي فيثور العزاوي ويقابل الأب هذه الثورة برحابة صدر وطول بال . فما هي إلاّ لحظات حتى يعود الصفاء وتحل الابتسامة محل التجهم وكأن لم يكن شيء ، وما كان الأستاذ العزاوي يثور هذه الثورات العصبية وتبلغ الحدّة به أحياناً مبلغاً كبيراً في حضرة الأب ومجلسه ، لولا الصداقة المتينة التي تربطه به والتقارب النسبي في السن ، أمّا غيره فيلجأ الى الهدوء والأدب والاحترام في مناقشاته مع الأب ويجادل بلطف ، فإما أن ينتصر أو أن ينزل عن رأيه . وفي معظم الأحيان يكون للأب القول الفصل والحكم القاطع .

ومن أظرف ما كان يحدث في هذا المجلس ، المنافسة التي كانت تحدث بين المرحوم الأب والأستاذ العزاوي في الكتب ، فللأخير أيضاً خزانة كتب عامرة ، فهذا يقول عندي الكتاب الفلاني وهو ينقصك وذاك يجيب بأنه خير لديَّ منه مما لا أملكه ، وهكذا . ولقد يسأل بعضهم بعضاً عن الجديد في خزانة كتبه أو ما جدّ في عالم التأليف .

ويتلو على مسامع الاب كل ما سطر من مقال أو دبج من موضوع أو نظم من شعر في مختلف المواضيع ، ولا يفوته خطأ إلاّ نبه عليه . وتعرض عليه أسئلة مختلفة فيجيب عنها جواباً شافياً صريحاً لا لبس فيه ولا ابهام مع الدليل والبرهان والحجة .

ولقد كان الجميع موضع اهتمام الاب وعنايته فيسأل عن كل واحد منهم سؤال الأب الحنون والأخ الكبير ، ويعتب على من يغيب عن مجلسه وربما أغلظ في العتاب إن لم يكن الغياب عن عذر مشروع أو مانع معقول .

ولا يقدم في مجلسه شيئاً مما يقدم في المجالس الاخرى كالقهوة أو الشاي والسيكارة أو ما شاكلها . ولقد قال مرة لمعالي الدكتور ابراهيم شاكر الآلوسي — في إحدى زياراته له —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان إذ ذاك وزيراً للمعارف: « يا صاحب المعالي ، الرَّبع[1] هنا يعرفون أنه ليس في مجلسي شاي ولا قهوة حتى ولا سيكارة لخالك حالهم » . فضحك معاليه وقال هذا مجلس علم وأدب ويكفينا ذلك .

وقال لمعاليه أيضاً : إن أكثر الحاضرين في هذا المجلس من رجال المعارف من معلمين وطلاب فهم أتباعك . فسرَّ معاليه وقال : أنا أيضاً طالب علم في مجلسك .

ولقد تخون الذاكرة ، فيطول البحث في موضوع أو عن كلمة فلا يهتدي الى موضعها أو مظنتها ، ثم يقبل الدكتور مصطفى جواد ، وهو من أصفيائه وملازميه فيحل المشكلة بأن يذكر لهم المصدر أو التاريخ حسب المطلوب والحاجة ، وذلك بما وهب من ذاكرة قوية وحافظة عجيبة .

ولئن تماديت في ذكر أفراد مجلسه يطول بي الكلام ويطول . ولكن إن أنسَ فلا أنسى ذلك الفتى الألمعي الذي كان زينة المجلس الأستاذ علي غالب العزاوي المحامي شقيق الأستاذ عباس العزاوي . وقد كُفَّ بصره عند الكبر . فقد كان حلو الحديث والشمائل ، حاضر البديهة ، سريع النكتة ، مرحاً لطيف المعشر ، ذا أخبار وأحاديث طلية ومسرّة . وقد اغتالته يد أثيمة فمات شهيداً .

وكانت طريقته في البحث والدرس علمية صحيحة لا يلقي الكلام على عواهنه ولا يقول القول جزافاً ولا يؤمن إلاّ بما يثبت بالدليل والنص والتجربة .

وكان يحب من يحافظ على مواعيده ويتمسك بها في الوقت المحدد فإن اتفقت وإياه على موعد وجب عليك أن لا تخالفه وإلاّ تعرضت لنقمته ونقده .

ومن عاداته أنه لا يهمل أي رسالة ترد إليه فيرد عليها في الحال بنفسه أو يكلف غيره إن أقعده عن ذلك مرض .

وكانت الروائح القوية تزعجه وتثيره وخاصّة رائحة الخمرة فلا يقوى على شمها .

واحتفظ الى حين وفاته بقواه العقلية كاملة وبحدة بصره وقوة سمعه وبنبرات صوته القوي الجهُوريّ ، وببدانته وقوة بنيته ، على الرغم من اصطلاح العلل عليه وخاصّة في السنوات الأخيرة من حياته ، وعلى الرغم من قضائه الوقت بالدراسة والمطالعة والبحث .

ولقد كان دائب المطالعة والمراجعة حتى إنه ليقرأ الكتاب الواحد من المراجع المهمة

---

(١) الربع : بمعنى الاصحاب .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عدة مرات ، فترى مثـلاً وقد كتب في نهاية كل جزء من أجزاء « تاج العروس » انتهيت من قراءته للمرة الثالثة أو الرابعة (أو أكثر) بتاريخ كذا . وهكذا الشأن في معظم كتبه وهل تحسب أنه يقرأ هذه الـكتب قراءة عابرة ؟ — لا . إنه ليدقق ويحقق ويعلق ويضع الخطوط الزرق تحت ما هو مغلوط فيه والخطوط الحمر تحت ما هو صحيح أو موافق رأيه .

وكان شديداً على خصومه عنيداً معهم — وما خصومه — إلاّ أعداء العربية والذين ليس لهم منها نصيب وهم مع ذلك أدعياء فيها ، فيهزأ بهم ويتهكم وينعتهم بمختلف النعوت التي لا ترضيهم ، فإن كثرت أخطاء أحدهم مثلاً ، نسب كتابته أو قوله الى اللغة الشنقنافية لغة — فريق من الجن — أو لغة واق الواق وهكذا مما لا تعيه الذاكرة .

ومع ذلك كنت تراه يشجع الناشئين ويأخذ بأيديهم ويبث فيهم روح الأمل ويبعث في نفوسهم الهمة ويثني عليهم ويرفع من قيمتهم وشأنهم وإن لم يكونوا أهلاً لذلك .

* * *

وبعد فالحديث عن الآب أنستاس الـكرملي كالحديث عن البحر أو الغيث الذي ينهمر ، طويل لا ينتهي ، وواسع لا يُحَـد ، فقـد كان أمة وحده وشخصية عجيبة غريبة يجب أن تؤلف عنه الـكتب وتدرس سيرته . وكم كنت أود أن يزوره في حياته كل متكبر مغرور جبار ، ليأخذ منه دروساً في التواضع وكمال الخلق واللطف والأدب الجم وكرم الأخلاق .

وإن فقده لا يعوّض ، فقـد ترك حبيبته اللغة العربية تلطم خدّها وتشق جيبها على من رعاها عشرات السنين وأنزلها من نفسه أسمى منزلة وأكرم مقام . وهي اليوم مفجوعة لا تجد له بديلاً ولا ترضى عنه عوضاً .

وإن بموته تفرّق ذلك الجمع النظيم من طلاّب العلم والأدب ، ومن روّاد مجلسه ومرتادي فيض علمه ومعرفته ، وفقد ملجأه الروحي الذي إليه يسكن .

أيها الآب الراحل الـكريم ، إن فضلك علينـا عظيم ، ونفعك عميم ، وهيهات أن نستطيع رد هذا الفضل وما لا يدرك كله لا يترك جله . ويكفينا أننا سكبنا الدمع السخين على جثمانك وما زلنا نسكبه كلما خطرت على بالنا ، وأنت ممثل في الخاطر دائماً . وإننا سنظل محتفظين بذكراك ، وناهجين على منهجك القويم ، وسائرين على خطتك . فنم هانئاً آمناً مطمئن البال . وعوض الله اللغة العربية خيراً . وعليك رحمة الله .

بغداد محمد فائح توفيق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عيناك . !

ولئن كان البصر خير حواسنا الخمس ، فاننا لا نعطي أداته حقها من العناية اليومية . . فكم أجزاء من الجسم يعني المرء بها كل يوم ، قبل أن يفكر في العناية بعينيه .

وقد يكون العذر أنك لا تعرف طرق العناية بالعين .. فاليك البعض منها .. اتبعه تحفظ بصرك سليماً قوياً :

١ — اذا أحسست تعباً في عضلات عينيك فاغسلهما بماء بارد . ودلكهما بمنشفة نظيفة تدليكاً دائرياً .. ثم أغلقهما واضعاً راحتيك على أجفانك لمدة خمس دقائق .

٢ — عرض عينيك للشمس وأنت مغمض الاجفان في الصباح الباكر . . وكذلك في وقت المغيب لبضع دقائق .

٣ — لا تقرأ وأنت مستلق في السرير على ظهرك .. واياك أن تقرأ في ضوء خافت .

٤ — يجب أن تكون الاضاءة للقراءة جيدة . وأن تكون من خلف القارىء بحيث لا تصدم عينيه .. كما لا يجب أن يكون هناك أي ظلال على الصفحة التي تقرأها أو تكتب عليها

٥ — يراعى أن يكون الكتاب بعيداً عن عينيك بثلاثين سنتمتراً . واقرأ أو اكتب وأنت معتدلا في جلستك دائماً . وقرب الصفحة اليك ولا تنحني عليها .

٦ — تمارين الرقبة تفيد البصر وتقويه . فحرك رقبتك ذات اليمين وذات اليسار . . عشر مرات .. وكذلك الى الامام والى الخلف .. وتحريكاً دائرياً أيضاً .

٧ — قبل أن تنام اغسل عينيك كل ليلة بمحلول حامض البوريك ٤ ٪ لازالة ما علق بهما من أتربة طوال اليوم .. وفي الصباح ضع فيهما بضع نقط من القطرة الزرقاء التي تصرفها وزارة الصحة لطالبيها

٨ — زر أنت وأفراد عائلتك طبيب العيون مرة في السنة على الاقل . وان لم يك بأحد منكم مرض بعينيه يدعو لضرورة هذه الزيارة .

٩ — عينا طفلك جوهرتان .. رسالة الذباب ان يسلبهما . . فاطرده دائماً عن عيني طفلك . . لانه يسبب له الرمد الصديدي . رسول العمى في مصر .

١٠ — ضع « نظارة » شمس على عينيك كلما سرت في وهج الطريق .

فهمى عطا الله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أنغام باكية

سلوا الأيام هل رقت لحالي — وهل أصغت لشكواي الليالي !
وهل رنت بأنغامي كؤوس — وهل نطقت بأسرار الجمال !
وهز الراح أعطاف الندامى — وداعبت النهى بنت الدوالي !
وهل بكت الطيور بشدو روحي — على الأغصان أو فوق التلال
وهل غنى حداة العيس ليلاً — بنجوى مهجتي بين الرمال
وأن الريح من شكوى غرامي — أنيناً هز أركان الجبال
عرفت الحب فذاً عبقرياً — فعلمني الهوى نبل الخصال
وقد يسلو محب عن هواه — ولست عن الهوى يوماً بسالي ..
وغاية هذه الدنيا فناء — وحبي لن يصير الى زوال
سيصحبني غرامي في حياتي — ويبقى ذكره بعد ارتحالي ! !
ولم أر كالهوى داء نبيلاً — ولا نقصاً يقود الى الكمال
عجبت له يسوم الجسم حيفاً — ويسمو بالنفوس الى المعالي
وقد ناءت به الدنيا وكلت — ولم يكن الهوى فوق احتمالي
شقيت به شقاء عبقرياً — وجافاني له صحبي وآلي . !
فما بكت العيون بمثل دمعي — ولا سمع الزمان بمثل حالي
ولا خط اليراع على جبين — ولا جرت السطور بما جرى لي
وكم بالغت في شكوى زماني — فما رحم الزمان ولا رثى لي
وان كان الهوى حراً نبيلاً — فأذن للسعادة بالزوال !
أقضي الليل أسأل عن حبيبي — فلا أجد الجواب على سؤالي
ولو أني رحمت لمت وجداً — ولكني أعيش على الخيال !
فيا أهل الهوى إن ناح طير — سلوا الأيام هل رقت لحالي !

عفيفي محمود عفيفي

كلية العلوم بالعباسية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مع تولستوي في كتابه

الحرب والسلم

كلمة تمهيدية

كنت أستمع ذات عشية إلى برنامج (الأمنـاء على العقل [1]) الذي تذيعه محطة الإذاعة البريطانيـة فأصغيت إلى محاورة طريفة تجرى بين نخبة من أساطين الفكر في بريطانيـا. ويلوح لي أن هؤلاء السادة المفكرين قد أدركوا ما تعرّض له العقل البشري الحرّ المنتج من حـرج وعنت وخطر بسبب ما فرضته أحوال الحرب من قيود شديدة ومن خضوع للدعاية واستكانة للعاطفة المغرضة، فرأوا أن يصرفوه إلى معالجة المواضيع العلمية والأدبية البحتة، لعـلّ الذهن بهذا الغذاء المفيد الصالح يخرجَ من غمرة الحرب، وقد نما وازدهر وجلى عن نفســه صدأ الخمول وفزع الأيام القاتمة، فيعود كما كان قبل الحرب بل أروع وأنشط.

أجل، لقـد شُغفت بالاستماع إلى هؤلاء العلماء والأدباء الذين نصبوا أنفسهم أمناء على العقل بل حمـاة له، فجعلوا يعقدون جلسات دورية يتناولون في أثنائها البحث والإجابة على أسئلة مختلفة ترد عليهم من أطراف المسكونة، فيجيب كلٌّ منهم بدوره مرتجلاً، مبيّـناً رأيه في كل نقطة، فيحدث بينهم تارة جدل عنيف صاخب، وأخرى يسود الهدوء الشامل المنهي بالاتفاق. وأعجب ما فيه حقّـاً وأكثره لفتاً لنظر المستمع الشرقي ومجلبة لاهتمامه واحترامه اختفاء المنافسة الشخصية الحادة حين مداولة البحث، إذ تحفزهم روح العلم وروعة التهذيب على احترام آراء بعضهم بعضاً والسعي معاً الى بلوغ الحقيقـة المطلقة. فيتناول عريف الجلسة ما يبديه الأعضاء من آراء، وببراعة نادرة يحاول تلخيصها والتوفيق بينها. ولايكاد يشذّ عن هؤلاء إلاّ الفيلسوف الانجليزي المشهور البروفسور (س. م. جود) [2] ذو النبرة الموسيقية الحلوة والعـقل المهيمن والمعرفة الدقيقة الشاملة المؤذية أحياناً بسبب ذلك، والبديهة الحاضرة والمقالة اللطيفة تجري على لسانه فتطرب عقل السامع وقلبه معاً.

C. M. Joad (٢) Brain's Trust (١)

والفيلسوف (جود) قلّما يذعن لرأي أحد في أثناء النقاش . وكم من رؤوس صلبة تحطمت على صخرة رأسه !

في تلك العشية سمعتهم يجيبون على هـذا السؤال — : « لو قيل أنك بعد ستة أشهر سوف تبرح هذه الدنيا إلى عالم البقاء ، فما عساك تصنع في خلال هذه المدّة ؟ » .

سمعت الفيلسوف (جود) يصرّح بأنه لن يبدّل طراز عيشه ، بل يمضي في الحياة كأنما هو يجهل ساعة الموت . ويعلل ذلك ويدعمه بقوله إنه لو بدّل شيئاً ـ في البقية القليلة الباقية له من عمره ، لدلّ هـذا على أنه قضى حياة فاشلة ، وأنه يجهل جهلاً تامّـاً كيف يعيش عيشة مثالية مرضية » .

وقال العلاّمة جوليان هكسلي [٣] « يخيّـل إليّ أنني سأقضي معظم الوقت في الاجتماع إلى روائع بيتهوفن وهوبرت ومندليف الموسيقية الخالدة ولسوف أظلّ أكرع من ينبوع هذا الفن الرفيع حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً ».

بيد أنه لفت نظري جواب أحدهم إذ قال : « أما أنا فلسوف أطالع قصة (الحرب والسلم) لتولستوي ، وأعيد قراءتها المرّة تلو الأخرى . حتى أستشبع من هذا الأدب الرائع وأتزوّد منه الزاد الكافي قبل تلك الرحلة الطويلة الشاقة » .

وفي جلسة ثانية سمعت غيرهم يجيبون على هذا السؤال : « لو قدّر لك أن تكون مؤلفاً قصصيّـاً خطير الشأن ، فما القصة التي تختارها من بين قصص العالم وتتمنى لو كنت ألفتها ؟ :

ومع أن بعضهم ذكر (البؤساء) لهوجو وديفد كبرفيلد لدكنز وغيرهما إلاّ أنني كدتُ ألمس إجماعاً على كتاب (الحرب والسلم) لتولستوي ،

وقال الناقد الأديب المشهور فورستر في إذاعـة لهم « أنه لا نزاع ولا إشكال في أنّ قصة (الحرب والسلم) لأعظم ما أنتجه عقل أوروبي في هذا الباب » .

ولا أخال القارىء بعد ما سمع ذلك الاطراء عن هذا الكتاب إلاّ تائقاً لمطالعته . وهذا ماخملته مدّة شهر ، حملت في أثنائه على أجنحة الخيال الى أوائل القرن التاسع عشر ، وألفيت نفسي هائماً في أجواء روسية تارة ، وأخرى أوروبية طيلة الأيام التي قضيتهـا في صحبة هـذا الفيلسوف العظيم ، حتى كدت أنسى أنني أعيش في منتصف القرن العشرين معاصراً لأعظم أحداث شاهدها التاريخ .

ولقـد خطر لي أن أعرض للقارىء الكريم بعضَ الفصول التي وقفت عندها في إثناء

(٣) Julian Huxley

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مطالعتي لهذه القصة ، عسى أن نجد في عرضها ومراجعتها غذاءً كاملاً لنفوسنا ومتعة وزاداً نتبلّغ به في حياتنا الفكرية والروحية . فما أحوجنا إلى هذا الزاد في هذه الدنيا المقفرة الخالية من أطايب الفكر والروح ! بل ما أحوجنا إلى مطالعة تولستوي والحديث عنه . فإن إسمه بلسم يشفي جراح هذه الإنسانية الشاردة المعذبة ، ويلمس قلوب أهل الفكر الكسيرة ليلطف عليهم الحياة القاسية . ويبعث في نفوسهم القوّة على مواجهة أحداث الزمان بإيمان وثقة وصلابة .

إن إسم تولستوي رمزٌ لقوّة الروح التي لا يطمسها صخب الأيام ومثالٌ للعقيدة الراسخة وعنوان للاصلاح الاجتماعي والمحبة الإنسانية الشاملة .

نظرة شاملة

تعتبر قصة (الحرب والسلم) أعظم ما أنتجه تولستوي لأنها تتناول موضوعاً تاريخيّاً خطيراً هو كفاح روسيا المرير ونضالها الجبّار وعلى رأسها القيصر الكسندر والقائد كوتوزوف ضد جحافل نابليون الغازية الغاشمة . وتبدأ حوادث القصة قبيل واقعة أوسترلتز . وفيها يعالج الكاتب الحرب كرمز للقوى الاجتماعية الكامنة الساعية للظهور بشتى السبل، وليس كحركة «دراماتية» يمثل أدوارها أفراد معدودون . ولهذا فإنها تؤلف وتجمع بين الواقعية والصوفية ، إذ تصوّر بمهارة وابداع هول المعارك وما يعتلج في نفوس المتحاربين من عواطف وأفكار . والكتاب يترك في نفس القارىء أثراً عميقاً بليغاً لا يخلو من التشويش فيشعر كأنه قد خرج من معمعة القتال بنفس مفعمة بدخان الحرب ودويّ المدافع ، ممتلئة بالذكريات الرهيبة والأشباح المرعبة . إنما أثر واحدٌ يظلّ بالغ الانطباع في النفس كالأثر الذي يتبقى في نفس الجندي حين يخرج من حرب ضروس وقد عزا نجاته منها إلى عامل الحظّ أو الصدفة أو القضاء الذي يلعب أدواراً كبيرة في حياة المقاتلين بل في مجرى جميع الحوادث التاريخية أيضاً .

تقع قصة (الحرب والسلم) في مفترق السبل التي سلكتها القصة منذ القدم ، وكانت في مقدمة الكتب التي مهّدت السبيل لظهور هذا اللون من الادب القصصي الذي يتجلى فيه الأسلوب الحديث ولو لم يسبقه إلى القصص الانجليزي المشهور ريتشاردسن Richardson لصحّ القول بأن (الحرب والسلم) تعيّن الحدّ الفاصل بين أسلوبي القصة القديم والحديث ، ففيها انتقال من القصة التي تتميّز بالتمثيل في الكلام وعدم تدخل المؤلف بصورة مباشرة فيما يقوله أشخاص القصّة أو يفعلون كما هو ظاهر في بعض قصص دوستويفسكي إلى تلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي يعبّر فيها الكاتب عن رأي خاصّ ووجهة نظر معينة في كل ما يعرض له من مواضيع وأحداث ، فيقف بين الفينة والفينة وقفات قصيرة أو طويلة حسب مقتضى الحال ليعلل ويحلل ويبسط ويعلق .

ولقد تسرّب العامل السيكولوجي إلى سرد الحوادث وبحث الأوضاع الاجتماعية والسياسية والروحية ووصف الأشخاص . وبرع تولستوي في الغوص على مكنونات النفس البشرية واستخراج دفائن العقل الباطني إلى حدّ يُخيّل معه إنك أمام عقل وعى أصول السيكولوجيا الحديثة . لقد كانت القصة تمتاز من قبل بوصف الكاتب أفعال الأشخاص وسرد أقوالهم دون تعليق عليها ، أما تولستوي. فقد تطرّق الى بسط الأسباب وايضاح العلل وشرح الدوافع الخفيّة التي تحرّك أشخاص القصة وتحفزهم للعمل ، كما يتجلّى على الخصوص في (الحرب والسلم) و(أنّا كارانينا) ولهذا باستطاعتنا تقسيم مؤلفات تولستوي في باب القصة ومن حيث مراعاة التحليل السيكولوجي إلى قسمين الأول وهو دور مران وتحضير ، والثاني وفيه ألّف (الحرب والسلم) و(أنّا كارانينا) على نسق جديد ، بيد أنه في (الحرب والسلم) أكمل فنّه وحسّنه وجمّله ، وجعله غاية في نفسه .

ولقد اتخذ تولستوي لقصة (الحرب والسلم) جوًّا تاريخيًّا زادها قيمة وروعةً وبهاءً وقرّبها من الحياة الواقعية، وقدّمها للناس أدباً ممتازاً ، فتكاد لاتدري وأنت ماضٍ في مطالعتها أفي الماضي تعيش مع أولئك الناس الذين امتلأت نفوسهم وأذهانهم باسم نابليون، أم في الحاضر بمشاكله وشؤونه المختلفة كل الاختلاف ، بل إنك في الواقع تحار في ما تقرأه ، أحقيقة تسميه أم خيالاً ؟ لأن تولستوي كان بارعاً في اكساء الحقيقة ثوباً موشًّى زاهياً من الخيال الوثّاب ، وبريشة فنّان ماهر عالج تيار الحوادث التاريخية التي يطرب لها الأدباء ولا يأبه لها صغار المؤرخين، فيندر أن تعثرعليها في كتب التاريخ . تلك الحوادث الفردية والاجتماعية التي تجمّعت وتكوّنت وصارت فيما بعد تاريخاً قويًّا تدفّق وفاض على المجتمع الروسي ، وغمر العائلة الروسية والاوربية كذلك . ومهما قيل ضدّه من عدم اتقانه إبراز صورة لنابليون برهن عنها التاريخ ، ومهما أثير من جدل واعتراض حول تعليله أسباب الحوادث التاريخية ، فانني أراه سيّداً لا يُدافع وفناناً ذا عين نافذة دقيقة التصور ، وذهنية جبارة تبصر أكثر وأبعد مما يستطيع المؤرخ أن يفعله . بل إن قصة (الحرب والسلم) تصحّ أن تسمى الحلقة المفقودة بين الحقيقة والخيال ، وبين الأدب والتاريخ ، ذلك أنها مزيج رائع من الحقيقة والخيال وصورة فاتنة خلاّبة يتعانق فيها الأدب والتاريخ .

وفي (الحرب والسلم) ابتدع تولستوي فنًّا جديداً خالداً هو فن القصة المطلقة المكدونة

التي تعرفك في بدء الأمر على مجتمع غريب عندك ، ثم تدنيك من أفراده وتوثق عرى الالفة والصداقة بينك وبينهم لمدة طويلة . وحين يفرض عليك القدر القاسي مفارقته ، تجد أنه قد ظلّ ماضياً في سبيله دون أن تعرف له نهاية . على الضدّ من ذلك ما تعوّدنا مطالعته من القصص التي ترى لها بداية واضحة وتصل فيها إلى نهاية محدودة تسكن عندها كل حركة ، وتكاد تقف كل نبضة من نبضات الحياة ، كأن لها باباً تلجه في أول الأمر ، ثم ما تلبث ان توصده خلفك حين تفرغ من مطالعتها . من هـذا النوع مثلاً (سوق الغرور) لثاكري ، و (الطاحونة على نهر فلوس) للكاتبة الانجليزية المعروفة بجورج أليوت وغيرهما .

أما (الحرب والسلم) فتكاد تجيء في صعيد واحد مع الالياذة والأوديسا ، ذلك أن تيار الحوادث وسيل الحوادث ونهر الزمان لا يقف في أيّ منها إلى حدّ أو يبلغ نهاية رغم انتهاء الكتاب ، بل يظل جارياً جارفاً أبداً ، متدفقاً أبداً . وفي كل مرة يبدو لك فيه أن القصة أوشكت أن تنتهي ، لمحت حوادث جديدة قد تولدت وانبعثت وراحت تسعى الى ما لا نهاية له ... وهذه ميزة تنفرد بها قصة (الحرب والسلم) وحدها ، ولا توجد في كتب تولستوي السابقة أو في قصص غيره من الأدباء . لهذا فان قصة ما لم تحز ما حازته (الحرب والسلم) من شهرة واسعة في أوربا ولا سيما في بريطانيا . فقد سماها الكاتب القصصي المشهور (غالزورذي : أعظم قصة ألفت) . وقال عنها الناقد الأدبي (لبوك) (أنها صورة للحياة لا يعلو عليها شيء ! إن أول واجبات الكاتب القصصي خلق الحياة ، وهنا نرى كيف تخلق الحياة بحق إذ أن قصة غيرها لم تتناول عامة الناس على مثل هذا النطاق الواسع الذي تلمحه في الحرب والسلم) . فبيير وأندرو وناتاشا وغيرهم من شخوص القصة جميعهم من أبناء الأمس واليوم والغد ، ولا ينفرد أحدٌ بشيء من كل الناس في كل الأزمان !

ويقول الناقد الانجليزي فورستر في كتابه (جوانب من القصة) « لم يتسنّ لكاتب غير تولستوي وضع صورة كاملة لحياة الانسان في المظهرين البيتي والطولي ، المتمثلين في البيت وفي ميدان القتال . والقارىء لن يضيق ذرعاً بهذا الكتاب أو يعتريه ملل وسأم من قراءته لأن حوادث القصـة ترفعـه على أجنحتهـا رفعاً وتجري به فوق الفضـاء وفوق الزمان معقبة في نفسه أثراً كأثر الموسيقى الخالدة . فيشعر حين يقطع شوطاً في قراءتها كأنما أوتاراً عظيمة قد تحركت خلفه باعثة أنغاماً شجية ساحرة . أوتاراً آتية بالنغم العذب من مساحات روسيا الممتدة الشاسعة ، قد انتثرت فوقها بحور وغابات وحقول وأنهار وجسور وجرت عليها أحداث وخطوب وتحركت فوقها أمم وشعوب . فتمتلىء نفسك حين تمر بها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أو تستعرضها معاني عالية ومشاعر سامية وألحاناً مدوية رائعة . كثيرون هم الذين يتحسسون الزمان بالزمان حين يكتبون ، بيد أن الذين يتحسسون بالفضاء قلائل . ومنهم تولستوي فانك تشعر أن كل حادث في القصة بل كل عنصر منها حتى حالة علاقته بالفن العسكري يكاد يجذب وراءه حياة زاخرة بالناس من كل جنس ولون ووجوداً هائلاً تحس به وتدركه فتنطبع في نفسك كل الحياة » اه

ولقد أجاد الأديب الفرنسي دي فوج الثقة في الأدب الروسي حين قال « من اليسير ادراك ما يخامر القارىء من شعور وهو يطالع (الحرب والسلم) أو (أنا كارانينا) . فانه يرى نفسه بادىء ذي بدء حائر العقل ، مبلبل الذهن لا ينساق مع حوادث القصة بسهولة ثم يعتريه سأم وكلل عقلي ما يلبثان أن يزولا بعد أمد قصير ، إذ تحمله حوادث القصة حملاً وتدفعه مع حركتها الدائمة دفعاً وتأسره بما فيها من مشاعر متنوعة وألوان من الحياة مختلفة ، وتجعل له من بين أشخاصها أصدقاء يحب أن يدنو منهم ويعاشرهم ، وأن يسبر أغوارهم ويبحث عن مصائرهم في الحياة . بل أن يشعر حين ينجز قراءتها بما يشعر به كل فرد من لوعة البين وأذى الفراق حين يودع أسرة نشأ في ظلها وتربى مع أبنائها ، وعاشهم أعواماً طويلة . ان قصة (الحرب والسلم) صورة صادقة لحياة مسافر رماه الدهر بصحبة فئة من الناس الغريبين عنه ، فالعيش معهم يبعث في نفسه القلق والضجر والكدر في بدء الأمر ، ثم سرعان ما ينكشف له ما غمض عليه من أمرهم ، ويبدو مألوفاً محبباً لديه ما غرب من طبعهم ، فيجذب إليهم ، ويتعود طريقتهم في الحياة ، ويمتزج بهم حتى يرى نفسه واحداً منهم ، فلا يعود يطيق الافتراق عنهم . وهذا شأن القارىء مع هذه القصة العظيمة » .

ولا بد أخيراً من الاشارة الى أن تولستوي كان حاذقاً في تقسيمه أشخاص القصة إلى فريقين عائلي وتاريخي دون الخلط بينهما بما قد يزيد في تعقيد عناصر القصة أو تشويش حوادثها . وقد يفيدك ان تذكر وأنت تطالع (الحرب والسلم) أن تولستوي كشأنه في معظم قصصه قد صور بعض جوانب خلقه ومظاهر شخصيته وطرفاً من حياته في البرنس أندرو ، هذا البطل الانساني الطامع الذي لست أشك بأنك سوف ترى فيه هماً عالية وصفات نبيلة سامية تحفزك لاحترامه ، بل تحبب اليك مصادقته ، وتدفعك لأن تذرف الدمع مثل ما فعلت يوم رأيته يفارق الحياة . كما أن جانباً من نفس تولستوي يبرز بوضوح في شخصية پيير الفذة الذي يعتبره أكثر الناس ، واعتبره كذلك بحق ، بطل هذه القصة العالمية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تولستوي وتعليل الحوادث التاريخية

لا ريب في أن جانباً من عبقرية تولستوي كما تتمثل في قصة (الحرب والسلم) يتجلى في هذه الوقفات التحليلية العميقة التي يقفها على هامش القصة ليعالج فيها ما يعرض له من مسائل التاريخ ومشاكله الكبرى ، ولست بحاجة لتفصيل حوادث هذه الحقبة من التاريخ التي يعيش فيها أشخاص (الحرب والسلم) لأنها أشهر من أن توضح وتعرّف الأديب المثقف . ولست أشك في أنه لم يمرَّ على أوروبا في جميع أدوار تاريخها السياسي برهةٌ لفتت إليها الأنظار ، وأعقبت في أذهان الأوروبيين تأثيرات وانطباعات أبلغ وأعمق مما فعلته تلك الحقبة من التاريخ التي عُرف فيها نابليون قائداً عظيماً إسمه على كل لسان ، وقنصلاً ثم امبراطوراً خطير الشأن ، ولست أدري من أبعد تأثيراً في نفوس الناس وأشدّ وأعمق ، ذلك العهد من التاريخ ، أم هذه السنوات الست التي ودّعناها بالأمس وعانى العالم في خلالها ويلات أشرس حرب في تاريخ الوجود البشري .

في هذا الفصل من كتاب (الحرب والسلم) يعالج تولستوي الأسباب التي تفضي الى الحوادث التاريخية عامة ، والتي بعثت الحرب بين روسيا وفرنسا خاصة . وفيه يحاول دَحض عقيدة رسّخها علم التاريخ وطبعها في الأذهان ، ودَعمَ حقيقة خطيرة تبدو لأول وهلة غريبة ، وهي أن الرجال الذين ، في أيديهم مقاليد السياسة والادارة والحكم إنما هو في الواقع عبيد التاريخ ، يستخدمهم ويستثمرهم كالأدوات الصمّ لبلوغ أهدافه المقرّرة من قبل فلا يستطيع هؤلاء الحكام والقواد مقاومته في ذلك ، لأنها أهدافٌ مقضيٌّ بها منذ الأزل فلا مَعدًى لهم عن الاندفاع والجري مع تيّاره الجارف والرضوخ لحركته واتجاهه .

يقف فيلسوفنا من الحملة الفرنسية مندهشاً حائراً مفقود اللسان ، لا يدري كيف يعلّل أسباب هذه الظاهرة العظيمة . ألوف بل ملايين من الناس في غربي أوروبا يشرعون في التجمع والاحتشاد منذ سنة ١٨١١ ويأخذون في الزحف صوب الشرق ويمعنون في ذلك فيتخطون الحدود الروسية ويكادون لا يقفون إلاّ في موسكو . لكنهم ما يلبثون أن يعودوا القهقري ويرجعوا من حيث جاءوا حاملين في إيابهم بذور الخيبة والهزيمة المنكرة . يقابل ذلك ملايين أخرى تتأهب في الشرق لمجابهة أولئك ، فتندفع من أواسط روسيا ميمِّمَة شطر الغرب ، وفي ١٢ حزيران ١٨١٢ تلتقي هاتان الموجتان الصاخبتان من بني الإنسان، فيكون ذلك نذير وقوع حرب لم يعرف لها التاريخ من قبل نظيراً . هذا الاضطراب بين الملايين يراه تولستوي في ظاهره منافياً للعقل ومخالفاً لقوانين الطبيعة البشرية . فلا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رجرَم إن وقف حائراً يبحث عن العلل الحقيقية التي أدَّت إليه .

فيستعرض الآراء التي يبديها النـاس في بواعث تلك الحرب ، فيرى أن المؤرخ يعزو وقوعها إلى الإهانة التي ألحقها .نابليون بالدوق أولدنبرج [١] ، وإلى عدم مؤازرة قيصر روسيا في انجاح الحصار الذي فرضه نابليون على بريطانيا ، وإلى طموح نابليون الشخصي أو ثبات قيصر وصلابة عوده ومتانة .ركزه ، وإلى أغلاط الرجال الذين يديرون دفة السياسة في أوروبا . ويقول تولستوي إذا كان أحد هـذه الاسباب التي يسردها المؤرخ أم كلها مجتمعة، هو ما أثار تلك الحرب ، فقـد كان بالإمكان الحيلولة دونها بشكل ما ، كأن يحسن مثلاً كل من أولئك الساسة النية والتصرُّف ويخلص في جهوده لتوطيـد السلم ، فيسعون جميعاً إلى الإتفاق على نصوص المعاهدات مما قد يؤول إلى حسم أسباب النزاع واجتثاث الشرّ من أصوله . أو أن يخط نابليون الى الـكسندر رسالة تنمُّ عن روح المودَّة الصادقة والصفاء الخالص ، مُصرحاً فيهـا عن رضاه بإعادة دوقية أولدنبرج إلى صاحبها في الأصل ، إلى غير ذلك من السبل التي تـطرق والجهود التي تبذل للحيلولة دون وقوع الشر أو تفاقه .

ذلك ما يذهب إليه المؤرخ . أما نابليون فيرى أنه لم يكن ثمة بد من الصدام مع روسيا بسبب نشاط الدبلوماسية البريطانية ودسائسها الشيطانيـة (كما صرَّح في جزيرة القديسة هيلانة) . ثم من البديهي أن يرى أعضـاء البرلمان الانجليزي طموح نابليون ونزعته الجشعة للسيطرة وحبـه للسلطان ، سبباً آخر وجيهاً . وأن يعدّ صاحبنا الدوق أولدنبرج في دوره مالحقه من إهانة ، الباعث الحقيقي والمباشر لهـا . وأن يرى رجال الاعمال في أوروبا سببها في النظام القارّي الصـارم الذي فرضه نابليون على أوروبا وذلك بحظر المتاجرة مع بريطانيـا ، ممـا سبب ضجراً وكدراً وتدهوراً إقتصاديًّا خطيراً في أوروبا وكذلك في روسيا . أما القوّاد العسكريون وغيرهم من رجال الجيش فيؤكدون أنه لم يكن مناص من حرب تقع لتشغل ألوف العاطلين منهم ، بينما يرى الساسة في ذلك العصر أنها نجمت عن اخفاقهم في إخفائهم عن نابليون إخفاءً تامًّا بنود تلك المعاهدة السرية المعقودة بين روسيا والنمسا سنة ١٨٠٩ . زدْ إلى ذلك الصيغة الحادَّة والاسلوب الجاف الذي به خُـطّ الإنذار رقم ١٧٨. ومن البديهي أن تبدو هذه الاسباب وعشرات مثلها وجيهة معقولة لدى أهل ذلك العصر حسبما يتراءى لـكل منهم ، ومن الزاوية التي ينظر منهـا إلى حوادث التاريخ المعاصر، أما

(١) هي دوقية أولدنبرج في المانيا انتزعها نابليون سنة ١٨١٠ من صاحبها بطرس فردريك أسقف لوباك . وقد أبى أن يبادلها نابليون بمقاطعة ارفرت (Erfurt) فأرغم على الفرار والالتحاق بالحلفاء ضد نابليون بيد أنها عادت إليـه في مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ مع مقاطعة بكنفيلد Bukenfild بمؤازرة قيصر روسيا (الموسوعة البريطانية)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نحن أهل هذا الزمان ، فما موقفنا منها ؟ أحرَ بنا أن نراها عقيمة تافهة لا وزن لها ولا خطر ، فلا تقنع الباحث المفكر منا أو تنقع غلته . ذلك لأن المعاصرين لتلك الاحداث التاريخية العظيمة لم يكونوا في الواقع يبصرون من الحرش غير الأشجار على حدّ التعبير الانجليزي في حين أننا ، بسبب البعد الزمني نكاد نبصر الحرش بكامله .

ويعالج تولستوي جميع هذه الأسباب مبيناً صعوبة بل استحالة الأخذ بها رغم زعمه بأنه ليس بالمؤرخ المحقق . ويعتقد أن كل سبب ظاهر للحملة الفرنسية قد يبدو بحدّ ذاته معقولاً مقبولاً ، بيد انه ليس كذلك حين يقاس بخطورة الحوادث المنبثقة عنه . إذ لا يُعقل أن يبلغ سببٌ واحدٌ حدّاً كبيراً من القوّة والتأثير بحيث يجابه على العالم الأوربي أحداثاً خطيرة كتلك. لهذا يؤكد تولستوي أن تكون هناك أسباب أخرى عديدة عملت جميعها يداً واحدة وتساندت وتآزرت . وربما سلكت في بدء الأمر سبلاً شتى ، إلاَّ أنها لم يكن لها مناص من الالتقاء أخيراً في طريق واحد ، والتضافر والسعي نحو تحقيق هدف واحد هو ذلك النزاع والاصطراع الذي أمسى وقوعه محتماً . ويخيّل لتولستوي أن رغبة جندي واحد في القتال أو عنه لسبب يبلغ من الوجاهة والخطورة والتأثير حدّاً لا يقلّ عمّا بلغه رفض نابليون سحب قواته عبر نهر الفستولا ، نزولاً على طلب الكسندر كشرط أساسي لوقف القتال . بل انه لا يقلّ قيمة وخطراً عن رفض نابليون اعادة دوقية أولدنبرج لصاحبها إذ لو أبى جندي واحد الانخراط في سلك الخدمة العسكرية أو عدم المضي في العمل في أحد أدوارها وفعل ذلك ثانٍ وثالثٌ وغيرهم لأدّى ذلك إلى نقص في عدد رجال الجيش وبالتالي إلى عدم اقدام أحد المعسكرين على المجازفة بقبول الحرب ، أو استئنافها في أحد مراحلها بأية حال .

فقد كان من اليسير تجنّب هذه الحرب على هذا الأساس من التعليل الخاطىء لو لم يرَ نابليون تحدّياً واساءة في طلب القيصر سحب قواته وراء الفستولا . فيأمر جنوده بالهجوم لمحو تلك الاساءة . وكان هيّناً أن يُحال دون وقوعها لو رفض الضباط والجنود العمل في إحدى مراحل الخدمة العسكرية . والحرب ما كانت لتقع قطّ لو أحبط نشاط الدبلوماسية البريطانية كما زعم نابليون ، أو لو انه لم يكن في الوجود رجلٌ اسمه الدوق أولدنبرج ، أو لو ان الكسندر لم يغضب لكرامته بسبب امتهان نابليون له كما يدّعي ، أو لولا انه لم يقمْ في روسيا آنئذٍ حكمٌ فرديّ مطلق ، أو لولا اندلاع لهيب الثورة الفرنسية من قبل ، وما تلا ذلك من قيام دكتاتور وامبراطورية ، أو لولا جميع الظروف والأحوال التي أدّت إلى تأزّم الوضع السياسي بسبب الحالة الاقتصادية والاجتماعية مما أفضى الى الثورة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفرنسية . والواضح ان ليس ثمة سببٌ واحدٌ من هذه الأسباب التي يذكرها . الناس إلاَّ أمكن معالجته بمفرده والحيلولة بواسطته دون وقوع الحرب . ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها انه لم يكن له سببٌ واحد أو عشرةٌ ،وإنما هذه الأسباب كلها وألوفٌ غيرها من المنظورة وغير المنظورة الظاهرة والباطنة، جميعها عملت معاً وسلكت سبيلاً واحدة ، فأنتجت تلك الحرب وتلك الحملة الهائلة التي ما يزال يتردد صداها في نفوس الناس وعقولهم في أوربا وفي آسيا كذلك .

وقد يتوهم المرء أن وقوع الحرب الروسية — الفرنسية كان متوقفاً على ارادة القيصر أو الامبراطور وحدهما لاغير . والحقيقة أنه كان يتوقف على ارادة ملايين البشر الذين في يدهم منفردين ومجتمعين السلطة الحقيقية والتأثير البعيد كالجنود الذين رضوا لأنفسهم ان تقدّم على مذبح المريخ ، والرجال الذين رافقوا الجيش وأمدّوه بالمؤن والمعدّات الكافية ، والعمال الذين صنعوا له كلّ لوازمه وهيأوا حاجاته ، والمدنيين الذين دعموه وعضدوه بمؤازرتهم الأدبية والمادّية ، ومئات الألوف غيرهم بما لكل منهم من تأثير مباشر أو غير مباشر في سير تلك الحرب في روسيا وفي فرنسا بل في جميع أوربا .

وما دام الأمر على هذه الشاكلة ، فلا محيص من الرجوع إلى القدرية كعقيدة أساسية يستند اليها في تعليل أسباب تلك الحرب بل كل حرب في التاريخ لا يستطيع العقل احصاء أسبابها . إذ كلما حاولنا ردّ تلك الحرب إلى بواعثها الحقيقية وقصدنا تحليلها إلى عواملها بشكل منطقي كلما لاحت لنا بعيدة عن العقل خارجة على قواعد المنطق ، أو تبدّت كأن ليس من سبب ظاهر لها نفهمه ونقبله ونبرره .

ويقول تولستوي شارحاً القدرية إن لكل امرىء في الحياة مطلق الارادة وملء الحرية في تعيين أهدافه الشخصية والسعي كيفما أراد إلى بلوغ تلك الأهداف فيأتي من الأفعال ما قد يقرّبه من تحقيقها ، ويعرض عمّا يقصيه عنها . والواقع انه حالما يصدر عنه عملٌ ما خطير أو قولٌ له قيمة ، فانه في تلك اللحظة ذاتها يفلت من يده ويخرج من نطاق سلطته وسيطرته ، بحيث لا يستطيع استرجاعه ، فيدخل في نطاق الماضي أو بعبارة أخرى في نطاق التاريخ ويصبح لذلك القول بعد الافضاء به أو للعمل بعد أتيانه تلك الخطورة الاجتماعية والأهمية المقدّرة المحتومة والمقيّدة المحدودة . من هذا نستنتج ان لحياة الانسان مظهرين مختلفين ، مظهر الفرد وهو ما يتعلق بحياته الفردية المستقلة ، التي كلما انطلقت وتجردت في مهامّها وأمورها وأعمالها تحرّرت وأبت التقييد بقاعدة أو الارتباط بقيد . ثم مظهر العضو ، وهذا يتعلق بالحياة الاجتماعية العنصرية . وفيه يرى المرء نفسه مكرهاً عليها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رضوخاً لقوانين شرعت وقواعد وتقاليد فُرضت ووُضعت ، وليس من سبيل الى التحرّر منها . فالانسان في المظهر الأول يكاد يعيش حياته لنفسه ، وفي سبيل تحقيق أهدافه الفردية واعياً مستقلاً إذا أحب . ولكنه يبدو في المظهر الثاني كأنه ألعوبة في يد غيره ، أو كأنه آلة تعمل دون فهم أو وعي في سبيل تحقيق أهداف تاريخية كونية تتعلق بمجتمعه الخاصّ أو بالانسانية جمعاء .

***

وهنا نرى كيف يدخل عامل الصدفة في المظهر الاجتماعي من حياة الانسان ، فقد تقع حوادث وتجيء أعمال ملايين من النـاس في حين واحد ، فتدخل جميعها في نطاق المـاضي الذي هو التاريخ ، وتسبب كلها بمجموعها قوة هائلة لها تلك الأهمية والفعّـالية التاريخية وكلما سما المرء منصباً وارتقى في سلّـم الحياة السياسية أو الاجتماعية ، كثر الناس الذين يحيطون به ويلتفون حوله ، وكلما ارتفعت مكانته وتضاعفت سلطته اتضح لنا بجلاء انه خاضع لسلطة القضاء في جميع ما يصدر عنـه من أقوال أو أعمال لها علاقة بالمجتمع أو بغيره من الناس ، ليس له أدنى نصيب من القوة والارادة الحرة المستقلة في ذلك .

إن قلب الملك في يد الله ، والملك هو عبد التاريخ ، والتاريخ الذي هو الحياة الاجتماعية العامة غير المدركة أو الواعية انما يستغل كل لحظة من حياة الملك ويستخدمها في سبيل تحقيق أغراضه التي لا تدرك ولا ترى ، فمع أن نابليون يعتقد اعتقاداً جازماً بأن عليه وحده كان يتوقف مصير كل ما يجري حوله من أحداث سياسية وأعمال عسكرية ، وانه وحده مسؤول عن سفك دماء الملايين من الأبرياء (كما عبر ذلك قيصر روسيا في رسالة بعث بها الى نابليون) إلاّ أن تولستوي يعتقد جازماً بأن نابليون لم يكن في حين ما أكثر من ذاك مستعبداً لمشيئة القضاء ، مكرهاً على طاعته ، يسيره القدر ويوجهه أنى شاء ، وكيفما شاء ، ويسوقه رغم أنفه ، مع ظن نابليون بأنه يعمل وفق ارادته الشخصية ، الى السير في سبيل واحد مع مجموعة المظاهر الاجتماعية لحياة الأفراد الذين يمثلون شتى الأدوار على مسرح الحياة .

لقد زحف أهل الغرب نحو الشرق في حركة خطيرة الشأن مستهدفين تقتيل اخوان لهم من بني الانسان . فنقف من هذه الظاهرة مندهشين باهتين ، نبحث عن الاسباب التي أدت الى مثل هذا الشر الاجتماعي . فيجيب تولستوي بأن ألوفاً من الحوادث الدقيقة جاءت صدفة في حين واحد ، ووقعت في الوقت الملائم ، وانتظمت كما في عقد لاحداث تلك الحركة الشريرة الزاخرة . فسخط نابليون على روسيا لخروجها على قواعد النظام القاري ، وما حل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالدوق اولدنبرج من اهانة وسوء ، وكذلك زحف نابليون على روسيا للحصول على سلم مسلح كما خيل له ، ثم نزعة نابليون الحربية كلها تجيء في وقت يعتلج فيه . في صدور أبناء فرنسا ميل للحرب ورغبة في القتال . وانبهار المدنيين منهم بعظمة الاستعداد الحربي ، وطمع الكثيرين منهم في غنائم وأسلاب تعوض عليهم ما انفقوه في سبيل ذلك الاستعداد. هذا مع ما لاقاه نابليون من تكريم حلفائه ملكي بروسيا وسكسونيا وأمبراطور النمسا له في درسدن واحتفائهم به طيلة شهر ، مما زاد في عجرفته وزهوه وخيلائه وغذى نزعته العسكرية وقواها . وكذلك المفاوضات الدبلوماسية التي عقدها الساسة للوصول الى سلم شامل دائم ، فأعقب وعد كل منهم بالتضحية في سبيل ذلك مسًّا لكرامة الدولة التي يمثلها وجرحاً لكبريائها . هذه وملايين من الأسباب تهيأت واجتمعت حسب قانون المصادفة وتكيفت على غرار أدى الى تلك الحرب الكاسحة .

حين تنضج التفاحة على الشجرة وتسقط ، نسأل عما سبب ذلك السقوط . هل هو جاذبية الأرض ، أم ما أصاب ساقهـا من يبس وجفاف ، أم الشمس التي ساعدت في انضاجها ، أم الريح ، أم لأنها أضحت ثقيلة لا قبل للغصن بها ولا طاقة له على حملها ، أم لأن هنالك صبيًّا واقفاً ، يرنو اليها عن بعد ، وكل جارحة في نفسه تدعو لها بالسقوط . الواقع أن لا واحد من هذه هو السبب الوحيد بمفرده بل ان تصادف مجيء الظروف ووقوع الحوادث والتفاعلات العضوية والعنصرية في حين واحد هو ما أدى الى ذلك السقوط فكما أن العالم النباتي يعزو سقوط التفاحة إلى تعليله العلمي ، فكذلك يزعم صبينا بأنه انما ناشىء عن دعواته الحارة .

* * *

ليس الملوك والقواد والساسة العظام الا عناوين لعصورهم وأزمانهم وأسماء لحوادث التاريخ التي تقع في عهودهم . ولا تزيد الصلة بينهم وبين تلك الأحداث والعصور عن تلك التي بين العلاج في القارورة وبين الايضاح الملصق عليها من الخارج . بل لا تتعدى قوتهم وسيطرتهم على الحوادث ، وتوجيه سير التاريخ قوة طفل يعدو به الحصان مسرعاً فلا يملك من القوة ما يمكنه من كبح جماح ذلك الحصان وضبطه واخضاعه .

فالتاريخ جارٍ على الدوام بقوة دافقة نحو الامام . والفرد بل الملك أو القائد أو السياسي لا يستطيع صد هذه الحركة أو توجيهها . بل انه في كل ما يصدر عنه من أفعال أو أقوال انما يفعل ذلك خاضعاً مندفعاً مع تيار التاريخ الغلاب في سبيل معين نحو هدف مقدر محتوم كما أسلفنا ، ومقضي به منذ الأزل .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سير التاريخ

بسطنا فيما مرَّ رأي تولستوي في تعليل الحوادث التاريخية ، وملخصه أن من نحسبهم رجال التاريخ هم في الواقع عبيد التاريخ الأرقاء ، لا يملكون القوة التي بها يضبطون حوادث التاريخ ويخضعونها لارادتهم ويوجهونها وفق مشيئتهم . وفي ما يلي سوف أراجع فصلاً عقده فيلسوفنا في سير التاريخ الدائم وحركته المستمرة .

فتولستوي يرثي للعقل البشري لعجزه عن ادراك هذا الاستمرار الدائم المطلق لحركة التاريخ ، أو معرفة القوانين التي يخضع لها كل عنصر من عناصر الحركة منفصلاً عن الآخر غير حاسب انه من جراء هذه التجزئة المصطنعة سوف يقع في هوّة سحيقة من الحيرة والارتباك والخطأ الكبير . ويستعين تولستوي على توضيح رأيه بالأسطورة اليونانية المعروفة التي شغلت أذهان الأقدمين وبلبلت عقولهم مدة من الزمن أعني بها أسطورة (أخيلا والسلحفاة) . وأخالك تذكر أن أخيلا لم يستطع ادراك السلحفاة رغم محاولته اللحاق بها ، ذلك لأنه كان يسير بمعدل من السرعة يعدل عشرة أمثال تلك . فكلما قطع أخيل المسافة بينه وبين السلحفاة ، وجدها قطعت عشر المسافة أمامه . وحين تقطع ذلك العشر تصبح على بعد واحد من مئة عنه . وهكذا دواليك مما يدل ظاهراً على استحالة ادراكه لها ، وقد غرب عن بال الأقدمين وهم يتدارسون هذه المسألة ويبحثون عن حل لها ، انهم قد ضلوا سبيل الهدى مذ جزأوا المسافة كلها الى أجزاء منفصلة بينما حركة أخيل والسلحفاة معاً استمرار واحد منطلق لا سبيل الى تجزئته . وقد نقرب من حل لهذه المشكلة التي تبدو مضللة بتقسيم الحركة الى عناصر متناهية الدقة والصغر . بيد أننا لن نصل إلى حلّ تام بغير جمع حدود المتواليـة الهندسية اللانهائية الناجمة عن تجزئة الحركة إلى فترات ترتبط بعضها ببعض بنسبة واحد على عشرة ، التي هي نسبة سرعة السلحفاة الى سرعة أخيل .

وتولستوي لا يقسو في حكمه على الأقدمين لعجزهم عن فهم ما تنطوي عليـه هذه الأسطورة من مغالطة وسفسطة ، ذلك أنهم لم يكونوا يُلمّون بهذا الفرع من الرياضيات العالية الذي يسهل عليهم الوصول إلى حلّ يروي الغليل ويرضي العقل . وإننا حين نبحث عن القوانين التي تسير التاريخ وتوجه حركته ، إنما نقترف مثل ذلك الخطأ الذي فيه وقع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاقدمون بسبب معالجتهم عناصر عديدة مختلفة للحركة بدلاً من وحدة تامة مستمرة . فحركة التاريخ الناشيء المتكوّن من مجموعة من الإرادات والرغائب البشرية العديدة ليست إلاّ حركة دائمة السير لا انقطاع لها ولا انفصال بين الأجزاء والعناصر التي تتألف منها .

وعلم التاريخ يسعى جاهداً إلى معرفة هذه القوانين التي تضبط حوادث التاريخ وتوجّه سيره . وهي كذلك الهدف الأسمى لعلماء التاريخ في جميع دراساتهم وجهودهم الفكرية المنيفة . بيد أنهم يستسهلون تجزئة الحركة ، حتى يعالجونها ، إلى وحدات منفصلة فيقعون بسبب ذلك في حيرة ويضلّون سبيل الرشاد .

وأول نهج يختاره علم التاريخ ويسلكه لتحقيق هذا الهدف يكون باختيار سلسلة من الحوادث المستمرّة يفحصها علماؤه ويدرسونها ، إحداها منفصلة عن الأخرى . مع العلم أن ليس هنالك نقطة ابتداء واضحة معينة لأيّ حادث تاريخي . ذلك لأنّ كل حادث يتسبّب عن آخر سابق له ، وينبعث منه ، ويتولد عنه . وعملية الانبثاق والتوليد هذه في استمرار دائم مع الزمان في سيره .

وأما النهج الثاني لعلم التاريخ في سعيه لمعرفة القوانين التي تضبط سير التاريخ فذلك بأن يقع اختيار علمائه على أقوال فرد واحد وأعماله لتتخذ موضوعاً للدرس والبحث والتنقيب ، مفترضين أنّ الأفعال والأقوال الصادرة عن فرد واحد تساوي مجموعة إرادات أفراد عديدين أو مشيئة أمة بكاملها . بينما من الواضح أنه لا يمكن لشخصية تاريخية واحدة بالغة ما بلغت من العظمة أن تجمع في ذاتها رغائب ومشيئات كثيرة . وكلا السبيلين لا يفضيان بعلم التاريخ إلى بلوغ هدفه الأسمى ، لأنه في كلا الحالين يختار وحدات صغيرة للفحص والتدقيق . ومهما كانت درجة أهمية الحوادث التاريخية ، فإنّ دراسة كل واحدة منها منفصلة عن الأخرى ، أو الظنّ بوجود نقطة ابتداء معيّنة لكل حادث تاريخي ، أو الزعم بأن إرادة أمة بكاملها يستطيع فردٌ واحد أن يعبر عنها تعبيراً صادقاً هو خطأ فاضح وخطل في الرأي وضلال ، بل أنه مضيعة للجهد والوقت الذين ينفقهما الباحث في هذا السبيل . فالخمس عشرة سنة الأولى من القرن التاسع عشر شهدت في أوروبا ملايين من الناس يهرعون مُبدِّلين عيشهم ويهربون من طرف أوربا الغربي الى الآخر الشرقي ، فيتقاتلون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويتناهبون ، فيفوز أحد الفريقين تارة وينخذل أخرى ، ويمسون جميعاً فرائس الضجر والكدر واليأس والجزع . ولعدة سنين تخال وجه الحياة ونظامها قد تغير بسبب هذه الحركة التي تنشط في بدء الأمر ، ثم تتباطأ وتخمد وتتلاشى كأنها لم تكن . فيسأل العقل عن الباعث لذلك وعن القوانين الضابطة لهذه الحركة العنيفة الهائلة ، فيذكر التاريخ جواباً على ذلك أفعال وأقوال نفر من الناس اجتمعوا في أحد بيوت باريس مسمياً تلك الأقوال والأفعال (الثورة الفرنسية) . ثم يتجاوز ذلك الى سرد ترجمة ضافية لحياة نابليون ولكل من خصومه وأعوانه ، شارحاً مدى تأثير الواحد منهم في الآخر، وفي الأحداث المعاصرة لهم جميعاً ، مؤملاً إنك في ذلك سوف تجد الحافز الأكيد لتلك الحركة الزاخرة ، وان تكتشف القوانين التي تضبطها وتسيرها والعقل لا يرد هذا التعليل رداً أو يرفضه بكامله رفضاً لحسب ، وإنما يتعداه إلى التنديد بهذه الطريقة العقيمة من البحث والتعليل الذي ينطوي على كذب وتمحك وخداع ، ذلك لأنها تبرهن على وقوع حادث قوي عنيف من جراء حافز ضئيل ضعيف . فالواقع ان قيام الثورة الفرنسية ، وظهور نابليون قد نجما عن مجموعة من الإرادات الفردية التي أذنت للثورة ولنابليون بالظهور في عالم الوجود التاريخي ، والجري مع الأحداث المندفعة في حركة دائمة ، وتساهلت في قبولها في أول الأمر ، بيد إنها عادت ونبذتهما ، وقضت على الثاني منهما قضاء مبرماً ، لانهما لم يعودا يصلحان لخدمة التاريخ وتحقيق أهدافه في ظروفه المتبدلة وللتاريخ في ذلك هدف لا نعرفه ، وهدف يسمى لتحقيقه نجهله كل الجهل . وله فوق ذلك ارادة حديدية لا تخضع لسلطان الفرد مهما بدا في حين ما عظيماً في أعين الناس . ويزعم التاريخ أنه مع كل فتح لا بد من فاتح ، وفي كل ثورة لا بد من رجال يضرمون أوارها . فيجيب العقل هازئاً ساخراً : ولكن ليس ثمة ما يدل على أن الفاتح أو الثائر هما سبب الفتح والثورة ، ذلك لأن قواعد الحرب أو الثورة لا يمكن أن تتركز في مجهود فرد واحد ونشاطه. ومثل علم التاريخ في تحليله هذا وأسلوب بحثه كمثل من ينظر إلى الساعة فيرى عقاربها تشير إلى العاشرة ، فيسمع عندها أجراس الكنيسة تقرع ، فيظن بل يجزم أن قرع الأجراس سببه وصول العقارب الى العاشرة . كأن هنالك آصرة أو علاقة وثيقة بين حركة العقارب والوضع الذي تتخذه ، وبين قرع الأجراس . أو كمثل القطار تراه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يهم بالسير فتسمع آنئذٍ صفارة الايذان بالسفر تدوي ، والصمّامات تفتح والدواليب تتحرّك ، فتظن أن هذا الصفير وانفتاح الصمامات وتحرّك الدواليب هو علة حركة القاطرة وسببها الحقيقي . ومثلُ هذا أيضاً اعتقاد الفلاّحين في روسيا بأن هبوب الرياح الباردة في أواخر فصل الربيع قد نتج عن ظهور براعم الزهر على شجر البلوط . ومع أننا نجهل السبب الذي حدا إلى مجيء الرياح وظهور البراعم في حين واحد فليس ثمة ما يدل على أن هبوب الرياح ناشئ عن هذه البراعم . إذ كيف يصح ذلك ما دامت الريح على حظ وافر من القوة والشدة بحيث لا يؤثر فيها ظهور البراعم الصغيرة اللطيفة .

اننا في جميع هذه الأحوال إنما نرى حظ المصادفة في وقوع الحوادث، كالذي يجري في جميع نواحي الحياة ليس أكثر . ومهما أنعمت النظر في عقارب الساعة وتفحصت صمامات القطار ودواليبه وشجر البلوط وبراعم زهره ، وبالغت في الملاحظة والدرس ، فانك لن تعرف السبب الحقيقي لقرع الأجراس وتحرك القطار وهبوب الرياح في أواخر فصل الربيع عن هذا الطريق . وما عليك لكي تتوصل الى معرفة ذلك الاّ أن تبدل وجهة نظرك بالكلية ، وان تنهج نهجاً آخر في الدرس والتمحيص ، فتحاول معالجة القوانين التي تضبط حركة البخار وقرع الأجراس وهبوب الرياح وتقيدها وتسيرها .

ولكي تنكشف لك القوانين التي تضبط التاريخ وتسيطر على حوادثه وتوجه حركته لا بدَّ لك أيضاً من تبديل موضوع الملاحظة وحقل الدرس واتجاهه تبديلاً تامًّا ، وانتهاج سبيل آخر للوصول الى الحقيقة . وذلك بأن تدع الملوك والوزراء والقواد جانباً ، وان تلتفت الى العناصر الدقيقة العامة والعوامل المؤثرة التي تحفز الشعوب وتحرك الجماهير فانها هي التي تصنع التاريخ ان لم تكن التاريخ نفسه .

ومع أن مدى التقدم في الوصول الى فهم قوانين التاريخ عن هذا السبيل لا يزال غامضاً محدوداً لا يبعث على الرضى والارتياح ، الاّ أن اثنين لا يختلفان في أنه السبيل الأوحد المفضي الى هذه الغاية النبيلة وان جهود المؤرخين في هذا المضمار لمن القلة والضآلة والضعف ، بحيث لا تقاس بجهودهم الجبارة في وصف وتفصيل وتحليل أعمال القواد والوزراء والملوك ، والانتهاء من ذلك كله الى نتائج وهمية خيالية لا يرضى بها العقل .

(السلط — شرق الاردن) جريس القسوس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ظمآن

أنا ظمآنٌ فهاتِ من كؤوسٍ مُترَعاتِ

خمرها للروح بعثٌ من حياةٍ كالممات

لا تلُمني في هواها أنا عبدٌ للسقاة

والمدام الصِّرف دِيني لا أُبالي بالنُّهـاة

جفَّ كأسي أيها الساقي فأسرع بالحياة...!

أنا روحٌ مستطارٌ عذّبتني لهفـاتي

مثلما شبَّ ضرام النار شبَّت حُرُقاتي

أضرمتْ مِنّي كياني وسَرتْ في خطراتي..

ما أرى؟ هذا شهابٌ هائمٌ في الظلمات

يذرع الأكوان وثباً حائراً في الفلوَات

أتُراه يطلب المسكين سرّاً لا يواتي؟

أم تُراه عاشقاً تلك النجوم الحالمات؟

أم تُراه جُنَّ شوقاً بالبدور السافرات؟

إنه روحيَ لا يهدأ أو يرثي لشكاتي . . .

***

أنا ظمآن فهاتِ من كؤوسٍ مُترعاتِ

يانديمي..وَيْك رفقاً بقتيل اللفتاتِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وصريع الحدقات والجفون الساجيات
والكؤوس الصافيات قاتلاتي محيياتي
ملهماتي صلواتي!

أنا ظمآن فهات من كؤوس مترعات
كلما دار يميناً أو شمالاً قلت: هات
اسقنيها من سلاف أطلقتني من حياتي
فإذا بي كلهيف البرق ضجت ومضاتي
وإذا بي كخفيّ السحر لاحت معجزاتي
وإذا بي كأنين الهجو بحت عبراتي
أو كلحن موثق الأنات دامي النبرات ... !
أيها الساقي أما تسمع ما فاضت هتافاتي؟
ها أراك الآن عنيّ صادراً في غفوات
كلهم باتوا سكارى ما لكأسي لم تواتِ؟
ويح نفسي ..! ضنّ ساقيّ فجنّت أمنياتي
وجفاني في فضاء الكون تدوي صرخاتي
تنهش الأشواق روحي تأكل الآلام ذاتي
فاتركوني في لظى الحرمان أهدو أغنياتي
هي كنزي وحياتي هي خمري وسقاتي...

القاهرة محمد فهمي

القدر

تأليف ج . شلر

كان ألويسيوس ابن رجل من عامة الشعب استطاع بجده أن يرقى الى وظيفة مرموقة في خدمة إحدى الشركات واستطاع أن يعلم ابنه تعليماً طيباً . وأبدى الابن قدرة رشحته لأن يصبح أحد رجال الأمير العسكريين . وكان شاباً موفور الشباب قوي العاطفة جامحها جريئاً ، وكذلك كان الأمير الذي وجه نظره الى الشاب مشاركته اياه في ظروفه وطبائعه ، وسره منه سرعة بديهته وجاذبيته وخفة روحه وسعة معارفه التي جعلت منه كعبة الأبصار ، وموضع التقدير في كل اجتماع ، وشاء أن يستفيد من خدماته ، وقربه اليه وأضفى عليه من رعايته وثقته ، فأوصله إلى درجة لم يكن يحلم بها المحنكون من الساسة والاداريين الذين قضوا حياتهم الا قليلاً في الرقي البطيء خطوة خطوة ، حتى أصبح هؤلاء يحقدون عليه وينفسون عليه مكانته . إذ وكل اليه الأمير أمر تصريف شؤون أمارته متفرغاً هو لملاذه وملاهيه ، وأنعم عليه بلقب الوزارة ، رغم أنه كان شاباً لم يجاوز الثانية والعشرين من عمره .

ولم يكن الشاب ذا تجارب في الحياة ، وكان رقيه سريعاً ، فما رأى الأمراء وهم أعلا منه منبتاً ، وأشرف منشأ ، يتسابقون الى ارضائه ما وسعهم التسابق ، حتى استيقظت كبرياؤه ، واشتد صلفه ، وتعددت مظالمه ، فكثر أعداؤه ، وكانوا أقوياء دهاة محنكين ، يرقبون كل صغيرة وكبيرة يأتيها يحصونها عليه لتكون سلاحاً في أيديهم اذا دعا الأمر يشهرونه في وجهه ويقضون به عليه ، لا سيما وأنه كان يختار معاونيه وأحباءه وأصدقاءه دون تحرٍ عما اذا كانوا أهلاً لذلك ، بل كان يختار لساعته حيثما اتفق . فمثلاً اختار الكونت جوزيف مارتنزو الايطالي ليكون في حاشية الأمير ليؤدي عنه واجبه في ارضاء سمو الأمير وتوفير ملاذه وتحقيق ملاهيه . لأن الويسيوس كان قد شغلته مهام الامارة عن أن يقوم بذلك الواجب .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولم يكن الوزير ليخشى هذا الكونت وهو يعلم انه هو الذي رفعه الى تلك المكانة، وانه هو الذي أحسن اليه . وأخذ الكونت يتقرب الى الأمير تقرباً أدناه من قلبه ومن نفسه ، وجعله يرى فيه ضرورة لحياته ليس له عنها غنى فزادت أهميته . ولكنه كان دائماً يظهر الخضوع للوزير ، عاملاً على ألا يثير شبهته أو شكوكه في مقدار اخلاصه له ، وتفانيه في تقدير جميله عنده . ولم يترك فرصة تمر دون أن يغتنمها في الفوز بتقدير الامير ولو كان ذلك على حساب كرامته ورجولته ودينه ، إذ كان في سبيل ارضاء مموه يشاركه آثامه وفجوره في سهولة ويسر ، كأنما قد نشأ وهو كونت في مباءة فسق . وكان موفقاً في اخفاء مغامرات سيده وطمس معالمها . وكان هو الرجل الوحيد المطلع على أسرار الأمير . وعندئذ بدأ يعمل لنفسه على حساب هذا الأمير الذي أصبح في يده ليصرفه كيف يشاء . كل هذا والوزير لا يدري شيئاً عن مبلغ ما وصل اليه الكونت من مكانة وسلطان .

وقد يبدو عجيباً أن يصل الكونت الى ما وصل اليه دون أن يعلم الوزير ، ولكن هذا كان يستبعد أن يصبح من رفعه بيديه مزاحماً له شديد الخطر عليه . وكان الكونت حريصاً كل الحرص على إخفاء خطواته عنه حتى يظل في أمان من انقلابه عليه . وأخيراً علم الوزير الأمر ، وعلم أن مثل ما حدث هو الذي كان يهوي بمن سبقوه في كرسي الوزارة ، فقلق كل القلق ، لا سيما وأنه كان قد اكتفى بما بلغه من نجاح ، فلم يعمل على ابقاء آصرة الود قوية تشده الى ركاب الأمير ، بل انشغل بالعمل الجدي عن الامارة ، ولم يعبأ بالابقاء على ما قربه في أول أمره الى الأمير .

ولم يكن الكونت ممن يقنعون بأن يكونوا تابعين أو مقودين . ولقد زادت مطامعه بازدياد نفوذه على الأمير ، فثبت من دعائم سلطانه وإثارة كبريائه ، لا سيما عند ما كان الوزير يعمد الى امتهانه ليذكره بماضيه وبمن أسدى اليه هذه اليد ، حتى لم يعد يحتمل ما كان يلقاه من الوزير ، فصمم على أن يضرب ضربته ويدبر الأمر سراً ، إذ كانت الشجاعة تنقصه لمجابهة الوزير بالعداء رغم أنه أصبح في مثل قوته ونفوذه .

* * *

ورأى الكونت الايطالي أن تكون ضربته قوية حاسمة ، وإلا راح هو ضحيتها . وساعدته الأقدار على الوقوف على سر مؤامرة كان الوزير يدبرها مع بعض الأمراء المجاورين ضد الأمير الذي أحس أن الوزير أصبح خائناً لا يؤمن جانبه ، وأصبح واجباً عقابه والضرب على يده . واتفق مع الكونت على إجادة تدبير الأمر وجمع القرائن ضد الوزير .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان الويسيوس جاهلاً كل الجهل بما كان يدبر له حتى اللحظة المؤلمة التي هوى فيها من حالق مجده الى الحضيض .

* * *

وفي اليوم المعلوم ، وكان يوم عرض عام للقوات العسكرية ، وكان الوزير يشغل مركزاً ممتازاً فيها، ويعتمد على هذا المركز في تمكين مركزه السياسي ودعم نفوذه الاداري. وكان ذلك المظهر الفخم الذي تبدو فيه كبرياؤه حين يتملقه المتملقون من ذوي الأغراض والحاجات ، وحين يطل من سماء عظمته على أتباعه وأعوانه ممن رفعهم الى المراكز العاليـة وهم ملتفون حوله كالهالة حول القمر . ورآه الأمير على النحو الذي ذكرنا فعلم خطورة هذا الوزير عليه بعد إذ صار كوكباً تدور حوله الكواكب . وبينما كان الوزير الأول ينعم بمظهره ومجده، جاءه الكونت وقد تغير حاله ، فلم يعد ذلك الوديع الخجول المؤدب مطأطىء الرأس حياء ، بل وقف أمام الوزير وقبعته على رأسه ، وخاطبه في جرأة ، وناداه باسمه المجرد من الالقاب ، وطلب منه أن يسلمه سيفه باسم الأمير ففعل ، وأخذ الكونت السيف وحطمه وألقى حطامه بين قدميه ، وعندئذٍ تقدم بعض الضباط الذين جاءوا مع الكونت من الوزير ونزعوا عنه شاراته وأوسمته . والريشة التي كانت تزين قبعته . ولم يستغرق كل هذا أكثر من لحظة ولم يرتفع صوت معارض واحد ، بل خيم سكون رهيب ، فوقف الأمراء والنبلاء صامتين ، وقد اصفرت وجوههم ، وزادت ضربات قلوبهم سرعة ، وكانت الدهشة تبدو واضحة على كل وجه . واحتمل الوزير ما حدث له في شجاعة وجلد .

واقتيد الويسيوس خلال صفوف النظارة حتى آخر الميدان حيث كانت تنتظره عربة مغطاة يحرسها فريق من الفرسان ، وانتشر النبأ في المدينة انتشار النار في الهشيم ، ففتحت النوافذ ، وأطلت الوجوه على العربة التي كانت تحمل رجلاً هوى من سمت مجده .

وسارت به العربة حتى دار المحاكمة مدى سبع ساعات . وكان وحيداً لا مؤنس له ولا مواسي حتى انحطت قواه المعنوية ، وخارت قواه البدنية ، وغاب عن وعيه . ولما أفاق وجد نفسه في غرفة سجن مظلمة لاينيرها إلا بضعة أسلاك من نور القمر ، سمحت بمرورها القضبان المتشابكة في النافذة الوحيدة بالغرفة . ووجد الى جواره خبزاً جافاً ، وأبريق ماء ، وبعض القش لينام عليه إذا ما دعاه داعي النعاس . وقبل الامر على علاته حتى ظهر اليوم التالي عند ما فتحت طاقة في سقف غرفته ، ورأى فيها يدين تدليان له سلطاً به خبز كالذي وجده الى جواره في أمسه ، فأحس برغبة في نفسه للتساؤل عما جاء به الى هذا المركز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأي مصير ينتظره . وسأل ولكنه لم يجَب، بل انسحبت اليدان، وأغلقت الطاقة، فعاد الى وحدته المريرة القاتلة التي قضى فيها قرابة خمسمائة يوم . واستطاع أن يعلم أن هذا السجن الذي يضمه بين جدرانه إنما هو من صنعه أمر بإنشائه منذ عهد قريب ليتنزل فيه أحد الضباط لا لذنب إلاّ أنه كان قد أساءَ إليه، وأن هذا الضابط قد أفرج عنه، بل وصار حاكم السجن .

ولحسن حظه لم يشأ حاكم السجن أن ينتقم منه ، وقد ألقى به القدر بين يديه ، مهيض الجناح مسلوب القوة، بل وساءه أن يناط به تعذيب الامير، ولكنه لم يشأ أن يتنحى عن أداء ما كلف به نحوه، لأن النظام العسكري كان يقضي عليه بذلك . إلا أن قلبه كان رحيماً بالرجل فوكل أمره الى أحد مساعديه وهو واعظ السجن . ورأى هذا الواعظ الصالح أن من واجبه أن يخفف آلام السجين ويواسيه ، وقد قدر عليه أن يحرم كل رحمة . ولكن ادارة السجن لم توافقه على ما ذهب إليه من تفكير ، فقصد العاصمة وقابل الامير وسجد بين يديه . وناشده الرحمة والسماح له بأداء رسالته مع السجين على النحو الذي رآه إذ أنه أصبح مسئولاً عن نفسه وروحه، فمن واجبه أن يطهرها حتى اذا غادر الرجل الدنيا غادرها وقد عرف سبيل الله . وبعد جهد عنيف سمح له الأمير بذلك .

* * *

وكان وجه الواعظ أول وجه إنسان رآه الويسيوس منذ ستة عشر شهراً وكان بليغاً في التعبير عن مبلغ فرحه وتقديره لجميل ذلك الواعظ صديقه الوحيد بين العالمين . والذي لم تستطع الايام أن تمن عليه بمثله ، وقد كانت الدنيا تحت قدميه . أما الواعظ فقد ارتاع لمرآه لأنه لم ير بشراً كما كان يظن بل رأى هيكلاً لا يكاد يتماسك زاحفاً اليه على قدميه ويديه، ولولا بريق عينيه لظنه الواعظ بقايا ميت متحركة . لقد ذهب بكل ما كان فيه اليأس والأسى . وطال شعره كما طالت أظافره فأصبح يحكي الاشخاص الخرافيين التي يخيفون بها الاطفال .

وكان جو ذلك الجحر الذي كان يعيش فيه فاسداً يقتل الاصحاء . وأسرع الواعظ الى الحاكم والتمس منه يداً أخرى لذلك السجين تخفف آلامه حتى يكون لوعظه وارشاده أثر . ولما كان هذا يتعارض مع التعليمات التي يتلقاها الحاكم في شأن هذا الاسير، فقد رأى الواعظ ألاّ مندوحة له من الذهاب الى العاصمة ليلتمس من الأمير أن يخفف عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السجين بعض آلامه ، بعد أن بلغ ما بلغه من انحطاط واضمحلال ، فسمح الامير بذلك ، وهكذا تحسنت ظروف الويسيوس وتحسنت حاله .

وفي الأعوام التالية لم يجد العذاب الذي كان يلقاه في أعوامه الاولى ، لاسيما وقد طرحت الايام بالوزير الذي خلفه وأعقبه في ذلك المركز آخرون كانوا أكثر انسانية ، واقل رغبة في الانتقام منه . ومرت عشرة اعوام على الرجل في سجنه دون ان يقدم الى المحاكمة وانتهى به الأمر الى أن أنعم عليه الأمير باطلاق سراحه ، على ان يغادر ارض الامارة ، فغادرها الى أمارة أخرى ، وانخرط في سلك الجندية وبرزته مواهبه العسكرية فارتقى في سرعة حتى ارتفع نجمه وتألق سعده . أما الأمير فقد كانت نفسه قد تغيرت فأصبح إنساناً لكل الناس ، له قلب ، وله عاطفة ، وودعته كبرياؤه وصلفه ، واتصف بالتواضع والتقى ، وابيض شعره ، وأنزعته رهبة القبر ، وذكر صديق شبابه وتنكيله به ، فبعث إليه أن عد إلينا فنعيد عليك ما كنت فيه ، ونداوي جراحك ، ونعوض عليك ما نالك منا . وكانت بالويسيوس رغبة ملحة في العودة الى وطنه فعاد وأحسن الأمير استقباله ، ولكن هذا الاستقبال على روعته كان مؤلماً ، فان الأمير أخذ يمعن النظر فيه كأنما ينكره ، أو يفتش عن ظاهرة في وجهه تذكره به ، وأخذ يعدّ تجاعيد وجهه التي كان له الفضل الاول في وجودها .

كان الاستقبال حارًّا ولكنه كان ظاهريًّا لا اخلاص فيه فان الثقة كانت قد فقدت وإذا ما فقدت الثقة ، فليس الى استعادتها من سبيل . كان كلاهما يخجل من الآخر ويخافه . وشاء الامير أن يرضي ضميره ، فأعاد الى الوزير مكانته ومجده ، ولكنه لم ينجح في اكتساب حبه ، وصدق ولائه ، وقد كانتا أهم صدمتين ربطت بينهما في الماضي . واحس هذا وتمكن منه هذا الاحساس ، فظل حزيناً آسفاً الى ان مات .

* * *

أما الوزير فلم تكن التجارب التي مرت به قد غيرت من صفاته أو أخلاقه ، بل ظل كما كان في أبان قوته ، وعنفوان سطوته ، ووافته منيته ، دون أن يندم على قسوة أبداها او ظلم أتاه ، بل كان كلما ذكر ما حلّ به زاد غلظة وقسوة وظلماً كأنما كانت الذكرى وقوداً لعاطفته المتأججة ، وزاد لانتقامه ممن رماهم تحت رحمته القدر .

[مترجمة] عبد المنعم صادق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سكرة الموت

يا من ستساعدونني في نزعيَ الأخير . لا تقولوا لي شيئاً
بل اجعلوني أنصت الى قليل من الايقاع حتى أموت بسلام !
إن الموسيقى تسكّن ، تبهج . وتفكّ الأشياء من عقالها
إني أتوسل اليكم ! أن تحنوا على ألمي فلا تكلموه
فاني تعِبٌ من الكلام . ومن سماع ما يجوز عليه الكذب
فاني أفضل عليه الألحان التي أحسها دون ما حاجة الى فهمها . .
أنشودة تسبح فيها الروح — وبدون مجهود تنقلني
من الهذيان الى الحلم . ومنه الى الموت ...
يا من ستساعدونني في نزعي الأخير .. لا تقولوا لي شيئاً
فلإنعاشي بقليل من النغم يهوّن عليّ
ستذهبون لاحضار مربيتي المسكينة التي ترعى قطيعاً
وستخبرونها إذ ذاك اني أتوق وأنا على حافة القبر
أن أسمعها تغني في خفوت أغنية قديمة
دارجة مكررة تلمس الشغاف بدون كلفة ! . .
انكم لا بدّ واجدوها فأهل الأكواخ يعيشون طويلاً .
وستتركوننا معاً وحيدين
وسيلتحم قلبانا
وستغنّي لي بلكنة مرتعشة ويدها على جبيني
وربما كانت عندئذٍ هي الوحيدة التي تحبني ...
على ألحان هذه الأغنية سوف أتجه الى أيامي الأولى
حتى لا أشعر في ساعتي الأخيرة أن قلبي يذوب
حتى لا أفكّر
وحتى يموت الرجل
كما وُلد الطفل ...

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



باب الأخبار العلمية

من معجزات العلوم والفنون [1]

(١) تسخير الهواء ومنافعه

إذا ضغط الهواء ضغطاً يفوق كثافته الطبيعية ، فلا مندوحة له عن التمدد عند انطلاقه . وهذا بلا شك سرّ القوة التي تتولد من الهواء المضغوط ، والهواء المضغوط يدير المثاقب التي هي من الضروريات لاستخراج الفحم الحجري والحديد . كما يجدّد الهواء في آبار المناجم والانفاق ، ويحول دون تدفق المياه على العمال في خلال حفر المناجم ، ويساعد أيضاً على ادارة دفات السفن التي تنقل الفلزات الى أفران صهرها ، ذات المراوح حيث يحتاج كل فرن منها الى زهاء ثلاثة أطنان من الهواء المضغوط ، وذلك لانتاج طنّ واحد من الفولاذ ، ثم إنّ عوّاقات القطرات (فراملها) التي تنقل ذلك الفولاذ الى مصانع الذخائر الحربية ، يسيطر عليها الهواء المضغوط . وهذا الهواء عينه يقوم في هاتيك المصانع بتحريك الآلات المتذبذبة التي تساعد على سبك أجزاء الآلات « قطع التغيير » والمفاتيح الانكليزية والشواكيش. وفي البواخر ، والمدرّعات ، والدبابات ، والطائرات التي تنتهي مراحلها في ميادين القتال، يؤدي الهواء المضغوط أعمالاً كثيرة ومنها تنشيط آلات الهبوط وادارة الونشات والأدوات الرافعة للذخائر الحربية في السفن ثم اطلاق الطوربيد . ولا تتاح وقاية الانفاق الكبرى التي تجتازها القطرات مارّةً تحت الأنهار وفي بطون الجبال ، إلاّ بمجرى ثابت من الهواء النقي الذي يُزَوَّد به عمالها حيث تتناول الشفاطات الكبيرة ذات الأغطية ، الهواءَ المضغوط ، ثم تبثه في الشقوق القاصية لتلك الكهوف التي صنعها الناس، كما يستعمل في نفخ اطارات السيارات وفي ترطيب التبغ في مصانع السجاير .

وربما كانت أشهر منافع الهواء المضغوط

---

(١) العلم ينبوع القوة ومبعثها . وهو وحده الذي أفاضها على من نعرف من الاقوياء في العالم والعلم الصحيح هو كشف أسرار الطبيعة وتسخيرها لمصلحة الانسان ، وما عداه فعلم لفظي لا يقدم الآن كثيراً ولا يؤخر — عبد العزيز فهمي باشا — من خطاب معاليه الذي ألقي في دار حزب الاحرار الدستوريين لمناسبة حفلة عيد الجهاد في ١٣/ ١١/ ٤٦

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

استخدامه في آلات الثقب التي تستعملها فرق ترميم أراضي الشوارع أو في المباني التي تقام على الأسس الصخرية . وتستعمل المصانع الهواء المضغوط لأغراض مختلفة فتستخدم مجاري الهواء الساخن في تجفيف الأغذية ، وبذلك تستطيع اعداد ٢٥ مليون رطل منها ونقلها بالسفن الى مواضع استهلاكها مجردة من ٥٠ مليون رطل من المياه ، كانت تحويها قبل تجفيفها ، ويستعمل رشاش الهواء المضغوط ، في صقل الطائرات والسفن والعربات صقلاً متقناً بطبقات الدهان الذي تدهن به بغية تضليل الأعداء الذين يطمحون الى ضربها من الجوّ .

ويقوم الهواء المضغوط بادارة مجرى من الرمل صوب الأجزاء المعدنية ليزيل ما يعتورها من الخشونة وما يغشاها من الصدأ . وفي شركة الكهرباء العامة الامريكية تربينة هوائية يزعم المطلعون عليها أنها لا مثيل لها في العالم ، اذ تقلد العمل الصحيح الذي تؤديه تربينة بخارية ، وذلك فيما عدا اعتمادها على الهواء المضغوط بدلاً من البخار المألوف ، لتوليد القوة الدافعة لها .

وتوجد تحت كثير من شوارع المدن الأمريكية وغيرها أنابيب هوائية تحرك المراسلات والرسائل البريدية والطرود من مكان إلى آخر (كما هي الحال عندنا في كثير من مكاتب التلغراف المصرية) وفي مدائن لندن وباريس وبرلين ونيويورك وبوسطن ، شبكات أنابيب كهذه ممتدة تحت شوارعها لنقل البريد . ويوجد تحت شوارع نيويورك وحدها ٢٥ ميلاً من هذا النوع . وكذلك تحت شوارع بوسطن ستة أميال منها ، وتبلغ الرسائل البريدية التي تنقلها كل يوم شبكة أنابيب الهواء المضغوط في نيويورك أكثر من سبعة ملايين رسالة . وفي بعض المصانع الكيميائية الأمريكية حيث تحدث التفاعلات الكيميائية في درجات حرارية منخفضة جدًّا ، يضغط الهواء المضغوط المجرد من الرطوبة كل التجريد ، بتحريك الصمامات وغيرها من المفاتيح التي تستهدف للتجمد من الرطوبة ، ويستعمل الهواء المضغوط لتحريك الخضراوات المخللة في محال تعبئتها وفي إبادة الحشرات بالتعفير وفي ادارة أجهزة حلب البقر والجاموس ، وفي إطفاء الحرائق في أمهات الغاز ، وفي تهوية مجاري القاذورات وفيما عدا ذلك من الأغراض

(٢) قثطرة تستخرج الدم
من الأعضاء البدنية الداخلية

نشر حديثاً في أمريكا نبأ طبي طريف هو تمكن بعض أطباء الولايات المتحدة الامريكية من ادخال قثاطر دقيقة جدًّا في العروق البشرية الممتدة من المرفق الى القلب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مباشرةً . ومن ثمة الى الكبد والكليتين أيضاً بغية سبر أغوارها جميعاً . ومنفعة هذه الطريقة ، تسهيل تناول النماذج ، كالدم مثلاً من أي عضو أو منطقة بدنية معينة ، يتوخى الباحث استكشاف حالتها . فيتبين له عند فحصها كيميائيًّا ، مبلغ قيام العضو المقصود بوظيفته الحيوية واختبار أطواره الصحية مادام ذلك الدم المستخرج بتلك الوسيلة لا يمتزج بدم آخر مما يجري في غيره من الأعضاء البدنية .

ومما ينبغي اثباته في هذا الصدد أن هذا الابتداع العجيب ، ألماني الأصل ، إذ مارسه في جسمه ، منذ بضع سنين ، طبيب ألماني لحذا حذوه أخيراً ، فريق من أطباء مدينة أطلنطة ، عاصمة اقليم جورجية ، فوصفوا هذا الاختراع ولكنهم لم ينتحلوه لأنفسهم قط . ثم عكف الدكتور أندريه كورنند الطبيب المشهور في مستشفى بلفيو بمدينة نيويورك ، هو وطائفة من مرؤوسيه ، على احياء هذه الطريقة الباهرة وابلاغها مرتبة الكمال . ويعتقد أطباء أطلنطة أنها وسيلة يسيرة ، وإن خيل للناس أنها عسيرة وقد باشرها جميعهم أكثر من ٣٠٠٠ مرة في السنتين الماضيتين ، دون الاستهداف لأية عاقبة وخيمة .

والقنطرة أنبوب دقيق طويل مرن ، يدخله الطبيب في شق يشقه في وريد من أوردة المريض الممتدة في باطن مرفقه ، على أن يراقب ذلك العمل ويشرف عليه ، مشرح حاذق ، حيث يلاحظه بفلوروسكوب مما تظهر عليه أشعة رنتجن ، حتى تصل القنطرة الى البطين الأيمن للمرء المزمع اختبار حالته الصحية . ومن القلب يتيسر مد القنطرة الى الأوردة المتصلة بالكبد والكليتين . بيد أنه لم يتيسر الى الآن بلوغ غيرها من الأعضاء .

(٣) التخاطب بأشعة ما دون الاحمر

إذا انتشر الضوء الأبيض انتشاراً تامًّا بمنشور زجاجي ، تمكّن المرء من رؤية طيف النور ، وهو خطّه المؤلف من ألوانه السبعة وهي البنفسجي والنيلي والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالي والأحمر . وهذه الألوان مجتمعة تمثل النور ، وإن اختلفت أطوال أمواجها . وهي تشاهد على تفاوت في قوس قزح . ولكن العين البشرية تعجز عن رؤية الأشعة الخفية التي في طرفي ذلك الطيف ، كما تعجز عن مشاهدتها في طرفي قوس قزح .

وتتولد الأشعة التي تحت الحمراء أو أشعة مادون الأحمر من مداخن البوارج ومحركات الطائرات والفلزات الساخنة مثل مكاوي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الثياب، ومن الغازات التي تنتشر من أنابيب عادم المحركات، على شكل سحب. وتستعمل هذه الأشعة لاعطاء الاشارات الخفية على أن يكون مبعثها مصباح من المصابيح الكشافة ومستقبلها مرقب من المراقب الخاصة بها. وعلى ذلك لا يستطيع الرقيب (الذي لا يُزوَّد بذلك المرقب) الشعور بتلك الأشعة وإن مرَّت بجانبه. وتتولد هذه الأشعة الخفية، ليلاً ونهاراً وتخترق البخار الخفيف والضوء والضباب والدخان بسهولة.

* * *

ومن الأسرار الحربية التي تكشفت للحلفاء المنتصرين، ولم تذع إلاَّ عقب انتهاء الحرب الأخيرة، أن الألمانيين واليابانيين كانوا يستخدمونها في محادثة جنودهم، عبر الأنهار والأودية والمواضع التي لا يزيد بعد بعضها عن بعض على عشرة أميال وذلك في المراحل الأخيرة من تلك الحرب الضروس، إذ اخترع علماء تينك الدولتين أجهزة تليفونية لاسلكية قوامها أشعة ما دون الأحمر، لمخاطبة بعضهم بعضاً، فكان الضابط يعمد الى ميكروفون فيتحدث فيه كيف شاء فتتحول كلماته توًّا، نبضات كهربية، تحرك مرآة، فتعكس هذه المرآة ما يقع عليها من هاتيك الأشعة الضوئية المتموجة في الأثير، فتلتقطها آلة مستقبلة حساسة بالضوء حيث توجد مرشحات تجعلها خفية وتصيرها كلمات كأصلها. وكانت الآلات المستعملة لذلك الغرض تشبه مصابيح كهربية كشافة مثبتة على ركائز ثلاثية القوائم تتفاوت أثقالها بين ٣٠ رطلاً و٢١٠ أرطال انكليزية.

***

وقد تيسر لجنود الحلفاء في سنتي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ الاستيلاء على أجهزة عدة من هذا الطراز فأرسلوها الى جامعة نورثومترن حيث تولى فحصها وتحليلها الاستاذان و. س. هكسفورد، و أ. هـ. ويندركوت الصغير، المدرسان في شعبة الطبيعيات. فأسفر بحثهما عن تقريرهما بأن الأجهزة الألمانية كانت نموذجاً لدقة الصناعة إذ تحتوي على وحدات بصرية من صنع مصنع كارل زايس المشهور في مدينة «يينا» Jena. وهذا على حين كانت مثيلاتها اليابانية أمتن منها صنعاً ولكن كان ينقصها كثير من التعديلات البسيطة. إذ كانت صماماتها المضخمة للصوت، تقليداً لأمثالها الأمريكية التي تمَّ صنعها منذ عشرة أعوام. ثم قال الاستاذ هكسفورد إن هذه الوسيلة من وسائل التخاطب اللاسلكي، يتسنى الانتفاع بها في أزمان السلم وذلك في المسافات القريبة التي تكون في اتجاه النظر وهذا بصفة كونها ملحقة بالراديو. واذا أتيح تحسينها، أمكن استعمالها في المرافىء البحرية والموانىء الجوية حيث يزخر الجو بموجات الراديو فتحول دون حدوث الالتباس هناك في الوسائل اللاسلكية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٤) جهاز رائد لاسلكي يصلح للارشاد في جميع الأجواء

قلت في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ وذلك في وصف الرادار أي الرائد اللاسلكي « إن استخدام الصمامات الكهربية جميعها يتمّ طبقاً لقاعدة واحدة أو أكثر ، من القواعد الآتية : —

« وهي توجيه الموجات القصيرة جداً لاظهار المواقع النائية للطائرات المعادية ، كما يصوَّب اليها الضوء لكشفها . وسوف تستعمل هذه الموجات في زمن السلم لأداء أعمال مدهشة في البيوت وفي الطرق العامّة وفي البحار الهائجة وفي المصانع وذلك كتصريح أحد خبراء شركة وستنهوس الكهربية الصناعية »

* * *

وسرعان ما تحققت هذه الامنية العلمية إذ وافتنا المجلات الامريكية بالنبأ الآتي : —

لقد أوتي جمهور المتحمسين للطيران بالطائرات الخفيفة ، حافزاً جديداً يقوي تفاؤلهم في مستقبل الطيران الشخصي . وأعني به جهازاً اخترع حديثاً يتيح لهم الطيران بطائراتهم الخاصة أثناء الليل وأطراف النهار رغم ما يطرأ على الجو من التقلبات . وهذا الجهاز هو رائد لاسلكي خفيف الوزن ، يحبو الطيارين الذين يطيرون طائراتهم الخاصة بعيون كهربية تخترق الأمطار وتتغلغل في الثلوج والظلام والضباب . وهو من مخترعات هيئة رياسة اللوازم العسكرية في الجيش الأمريكي . ويزن ١٢٥ رطلاً انكليزياً . ومن ميزاته أنه يفوق قليلاً جهاز الراديو المنزلي من جهة تعقيد تركيبه إذ أنه يدار بخمسة مفاتيح . ومن غريب أمره أنه قد بزّ الكبير البالغ ثقله ٥٠٠ رطل . وذلك بما أدخل عليه من التحسين العظيم ، الذي صيره أنفع من الصنف الثقيل السالف الذكر ذي المفاتيح الأربعة والثلاثين ، الذي كان مستعملاً في الجيش الأمريكي في زمن الحرب السابقة . ولا تتطلب ادارته إلاّ تحريك مفتاح كهربي حركة خفيفة ، فيشغل منظاراً لاسلكياً من الأشعة الكهربية . فيقوم هذا المنظار بالتفرس في أي بعد من خمسة أبعاد . ويبلغ طول كشفها أربعة أميال حيث تظهر صور متألقة ضخمة للأنهار والمدن والأرياف وبه يتسنى أيضاً رؤية الأشباح على بُعد أقصاه ٩٠ ميلاً . أما المسافات المتوسطة التي تتفاوت أطوالها بين عشرة وعشرين وثلاثين ميلاً فانها تظهر للشاهد مناظر مصغرة مختلفة المقاييس تزيد معلومات الطيار في أثناء اضطراب الأحوال الجوية . ويمكن استعمال الشعاعة التي تنير الأصقاع التي يهدف اليها الطيار كمقياس صحيح يدل على مبلغ حقيقة ارتفاع طائرته أيضاً . وهذا من شأنه تسهيل التقدير في الاقاليم الجبلية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تسهيلاً عظيماً حيث يضؤل نفع المقياس المألوف لذلك الغرض . وبما أن قوام ادارة هذا الرادر الصغير الكشاف ، هي الذبذبات المتناهية في الشدة التي تستخدمها المنائر الجوية القانونية ، وهي كفيلة بالاستدلال على الموانىء المقصورة واتجاهها وبعدها وذلك بعبارات ترسمها موجات صوتية تتجلى على ذلك المنظار ، فعلى هذا النمط يكون جهاز الرادر الذي وصفناه معواناً على الملاحة الجوية ، حيث يمد قائد الطائرة بعيون كهربية ثاقبة ومعلومات ثابتة خاصة بموقعه المضبوط من الجو الذي يكون سابحاً فيه . ويقول مخترعوه إن هذا الجهاز الذي أطلقوا عليه اسم ا. ب. س. A. P. S. رقم ١٠ هو الحلقة الأولى من سلسلة الرادارات الخفيفة الوزن السهلة الاستعمال التي شرعوا في انتاجها وأولها جهاز يزن ٧٥ رطلاً سيكون أبعد مدى من سوابقه .

(٥) سائل سحري يعجل النمو البدني

تيسر للعلماء حديثاً تنقية هرمون لانماء الجسم البشري ، يتاح به إنتاج جيل من الجبابرة . ومن المحتمل أنه سيلقي ضياء على مشكلة داء السرطان . وقد أسفرت التجارب التي جربت في جامعة كاليفورنيا ، عن دليل قاطع ، هو إن مادة واحدة هي مصدر النمو البشري . ونعني بها هرمون النمو الذي تولده الغدة النخمية . وهي غدة صغيرة جداً في قاعدة المخ . وبلغ من عظم مفعولها ، أنها أينما كانت ضؤولة إفرازها ، الذي لا يُرى إلا بالمجهر ، فانه يعجل نمو الجسم ، كما ثبت ذلك في الحيوانات التي استعملت للتجربة . ولا عجب فان $\frac{1}{.....}$ من المليجرام منه يحدث نمواً محسوساً في الجرذان، على حين أن ثلاثة أضعاف هذا المقدار ، تزيد جراماً واحداً يومياً إلى ثقل الجرذ . وكان الدكتور هربرت م . إيفانز الطبيب بجامعة كليفورنيا ، أول من استفرد هذه المادة الكيميائية الجديدة ثم استعملت بخاصة لاختبار الحيوانات ، إذ أعدت للتجربة جرذان استؤصلت غددها النخمية فتوقف نموها توقفاً تاماً . ولما بلغت (سن الشيخوخة)حقنت بذلك الهرمون فاستأنفت نموها بأقصى قوة الشباب . واطرد نموها حتى بلغت جرماً ضخماً جداً .

وقد دلت التجارب التي جربت في العظام الكسيرة ، أن ذلك الهرمون يساعد الجسم على الاحتفاظ بالنيتروجين ، بغية تركيب البروتينات تركيباً كيميائياً . والبروتينات هي اللبنات الأساسية للنسيج الحي كله . أجل إن تأثير هذا الاكتشاف في علاج الكسور ، طفيف ، ولكنه خطير الشأن لأنه يلقي ضوءاً عظيماً على الوسائل الأساسية لنمو الخلايا البدنية . ومن ثمة على معضلة داء السرطان .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قلت في مقال نشرته في إحدى المجلات في شهر مارس سنة ١٩٤١ بعنوان اللعنة الفرعونية الجهنمية على لصوص المقابر المصرية ما يأتي : —

قال الدكتور G. O. Kinnaman كيناماان العالم الاميركي الأثري المشهور وهو أحد الاحياء القلائل الذين كانوا أول من ولج مدفن توت عنخ آمون ، وذلك في خطبة ألقاها في مدينة هوستون بولاية تكساس إن المذهب القائل ان أولئك الرجال ماتوا من لعنة الفراعنة ، لهو من الخرافات المحضة . ومع ذلك فاللعنة وقعت ولكنها ليست روحية كما يتوهمون . واعتقادي أن قبر توت عنخ آمون قد عولج عند اتمام تشييده ، بغبار مسحوق سام . وان كل ركن من أركانه ، وكل شيء من الأشياء التي وجدت فيه ، قد ذُرَّ عليه ذلك المسحوق الزعاف ، فلما دخل أعضاء الجمعية التي اكتشفت القبر ، ولجه الهواء النقي أيضاً في الوقت عينه فأثار نقمه السام ، فتنشقه فانحوه .

ولما انتابهم المرض فيما بعد ظهرت عليهم أعراض تشبهها في الالتهاب الرئوي فعولجوا بعلاجه فلم ينجع فيهم الدواء فاستفحل الداء حتى قضى عليهم . فالاعتقاد بأن مقابر ملوك مصر القدماء ، كانت تحميها من النهب والسلب وسائل خفية وأن نصيب كل من كان يعتدي عليها الاستهداف للكوارث أو الموت العاجل لا محالة — هذا الاعتقاد هو من المذاهب العتيقة الخاطئة الواسعة الانتشار . اهـ .

* * *

هذا ما آثرت الاستشهاد به على اعتقادي بأن قاتل سوس القمح هو ذلك المسحوق عينه كما سيثبت فيما يلي : —

روت جريدة الاجبشن مايل في ١٥ مايو ١٩٤٣ ما يأتي : —

« سر مدفن أحد الفراعنة يساعد على إطعام الجيش » .

أذاعت شركة الصناعات الكيميائية الامبراطورية في أحدث تقرير أصدرته أن الاسرار التي كشفت في أحد مقابر الفراعنة ، تكفل صون اهراء الحنطة من السوس فتضمن تغذية الجيوش البريطانية المرابطة في أرجاء الشرق الأوسط .

* * *

وقد تبين العلماء عند فتح أحد المقابر الفرعونية منذ أعوام ، أن القمح الذي وجد مدخراً فيه كان صالحاً للتغذية الصحية . وحينئذٍ عمدوا الى تحليل تربة ذلك القبر تحليلاً كيميائياً فتحققوا أنها تحتوي على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مسحوق ناعم جداً يقتل سوس القمح .

وأهم عناصر ذلك المسحوق هما فسفات الجير وكبريت العمود المصريان والطن منهما يساوي الآن عشرة جنيهات انكليزية . وبهذا الطن تتاح وقاية مائة طن من البُر .

* * *

ويُعزى حل اكتشاف سر هذا التركيب الكيميائي الجديد ، القديم، لعالم مصري من علماء الحشرات في القاهرة هو الأستاذ الدكتور رزق عطية » .

وقالت جريدة المصري في اليوم نفسه ما يلي : —

وجد العلماء بعد تحليل التراب الذي في مقابر الفراعنة أنه يحفظ القمح من التعفن (كذا) و (الأصوب أن نقول التسوس) وبذلك أمكن حفظ مقادير هائلة (كذا)والصواب عظيمة منه في مستودعات لتموين الجيوش البريطانية في الشرق الأوسط . ومنذ سنوات ذهب العلماء الى هذه المقابر للبحث عن السبب في أن القمح الذي دفنه ملوك قدماء المصريين بقي سالماً ولم يتلف الى اليوم . وقد أسفرت أبحاثهم عن اكتشاف مسحوق لقتل السوس . وحضّره الدكتور رزق عطية الأستاذ في علم الحشرات المصرية وقد بدأ تجاربه بمواد أخذها من الأرض المصرية

* * *

وقد أثنت الصحف البريطانية اليوم على الدكتور رزق عطية أجل الثناء لأنه كان واسطة لإطعام الجيوش البريطانية » وأيدت سائر الصحف المصرية هذا النبأ في حينه

* * *

وعقدت جريدة « الديلي ميل » فصلاً لفتت فيه الأنظار الى البحوث التي يقوم بها الدكتور رزق عطية من كبار المتخصصين في علم الحشرات بوزارة الزراعة في القاهرة قائلة أنه هو الذي اخترع (قاتل السوس) لحماية القمح من آفاته المهلكة . ثم أشارت الى ما ذكره أحد رجال (شركة الصناعات الكيميائية الامبراطورية ، من أن (قاتل السوس) مصنوع من مواد موطنها مصر وأن التجارب دلت على أنه ذو أثر فعّال في الأجواء الجافة .

* * *

وتلقت وكالة الأنباء العربية من لندن ، إنه ينتظر أن يصل إلى مصر قريباً الدكتور كوين الخبير العالمي بالحشرات الزراعية للبحث مع وزارة الزراعة والسلطات المتحالفة بشأن خزن القمح في الشرق الأوسط .

ومما جاء في هذا النبأ ، أن اكتشاف الدكتور رزق عطية ، الذي تقدم ذكره يرجع إلى تجارب أجراها في قبور الفراعنة وعثر فيها على قمح يرجع إلى قرون متعددة . فتبين له أن التراب الذي يحيط بالقمح يحتوي على خواص معينة لحمايته .

(٧) الجهاز المسجل للحديث التليفوني

قلت في مقال نشرته في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ تحت عنوان « من معجزات العلوم والفنون » ومن المخترعات التي أسفرت عنها الحرب الماضية ، استعمال الصمامات الكهربية ، لتدوين المحادثات التليفونية في أثناء غياب صاحب التليفون ، عن مسكنه ، ريثما يعود إليه في أية ساعة ، فيتلوها ذلك الجهاز عليه بصوت جهوري » .

وقد جاءتنا المجلات العلمية الأمريكية حديثاً ، بوصف الجهاز المشار إليه ، فنزفه إلى قرائنا نقلاً عنها فيما يلي : —

وافقت اللجنة الحكومية الأميركية المتحدة التي استشارتها وزارة المواصلات هناك بشأن ضم الجهاز المسجل للأحاديث التليفونية إلى التليفونات مشترطة لذلك شرطاً واحداً إذ نصحت للمتكلم ، بملازمة الحرص في أقواله وذلك إنه عند شروع المخاطب « بكسر الطاء » في حديثه ، تصدر من الجهاز إشارة أوتوماتيكية ، تحذر المستمع بأن هناك أسطوانة تسجل عليه كلماته التي يفوه بها وقتئذٍ . وقدرت الشركات الأمريكية الثلاث التي تصنع هاتيك الأجهزة عدد ما تم صنعه منها حتى أواخر سنة ١٩٤٦ بنحو ١٩٠٠٠ جهاز بما فيها المستعملة لدى القوات الحربية .

ومما ينبغي ذكره أن شركة أمريكا للتلغراف والتليفون لم تدخر وسعاً في مقاومة هذا الاختراع عند بدء ظهوره ، محتجة بأنه سيعبث بالسرية الواجبة في المحادثات التليفونية . ومع ذلك فإن هذه الشركة عادت فأعلنت أنه ما دامت سرية الحديث ، ستكون مصونة كما يجب ، فلا اعتراض لها على القيام بخدمة ممتازة لمشتركيها الذين يبغون سجلا دائماً لتدوين ما يفضون به لمخاطبيهم . وكذلك لقيد ما يقال لهم تليفونيًّا في حينه . وهي تكفل إتمام هذا المشروع بثلاث وسائل . وهي أولاً — جهاز أوتوماتيكي ينبه على الصوت إذ يولد إشارة واضحة تتكرر في فترات وجيزة في أثناء المحادثة في حالة قيام المسجل بعمله .

ثانياً — وجوب وضع علامة نجمة أو أية سمة مميزة ، تجاه اسم المشترك التليفوني الذي يستعمل الجهاز المسجل للكلام

ثالثاً — قيام الشركات التليفونية وصناع الأجهزة المتقدم وصفها ، بالتضافر بعضها مع بعض ، في سبيل نشر هذه الأجهزة وتعليم الجمهور معنى الإشارات التحذيرية .

ثم أعلنت أيضاً اللجنة التي نحن بصددها ، أنها إنما تؤيد استعمال الأجهزة السالفة الذكر التي توصل بخطوط التليفون ، لا الأجهزة التي تلتقط الأحاديث عن طريق ميكروفون يوضع بقرب سماعة التليفون .

عوض جندى



مكتبة المقتطف

رباعيات عمر الخيام

بقلم توفيق مفرج — ١٢٨ صفحة بالالوان

منذ أكثر من خمس عشرة سنة أخرج الاستاذ توفيق مفرّج كتابه « آلام وأحلام » الذي ضم مجموعة من خواطر المؤلف أرسلها شعراً منثوراً في نغم متساوق وعاطفة جياشة ، وكان لي نصيب الاشادة بذلك الكتاب في هذه المجلة وقتذاك ، ثم مضت الأعوام والأستاذ توفيق مفرّج في عزلة عن قرّائه حتى طلع عليهم أخيراً بكتاب جديد عن رباعيات عمر الخيّام . طبعه على ورق جميل بالألوان وزينه بواحد وثلاثين رسماً عن حياة عمر الخيام.

وليس الكتاب ترجمة لرباعيات الخيّام ، وإنما اتبع المؤلف فيه غير ما اتبع كثير ممن نقلوا إلى العربية هذه الرباعيات سواء عن الانجليزية أو الفارسية ... فقد درس المؤلف فلسفة الخيام دراسة تعمق واستوعب في نفسه هذه الفلسفة والاتجاهات الخيّامية ثم خرج من الجو الخيّامي بروح ونغم جميل .

فهو قد وضع رباعيات الخيّام من خلال فلسفة الخيّام ، شرب كأسه فاستطاع أن يؤلف من النشوة التي أخذ بها أناشيد جديدة فيها خمر معتقة قديمة ، لها جمال الجديد في تصويره وجلال القديم في تعبيره . ولقد قال في المقدمة النفيسة التي صدّر بها تلك الرباعيات :

« لقد درست الفارسية خصيصاً لأستعين بالأصل الفارسيّ ، ثم استعنت بالوضع الانكليزي ، الذي وجدته بعيداً كل البعد عن الأصل الفارسي . . . إني لم أترجم عمر الخيّام ترجمة حرفية ، ولم أتحرَّ الكلمات والجمل ، ولم أحرص على مراعاة الأصل ، بل أخذت المعنى ووضعته وضعاً جديداً ، حتى إذا شئت أن تعود به للأصل الفارسيّ فقد لا تجد تشابهاً أو تقارباً أو تعاشقاً بين الأصل والفرع »

« لقد نزعت عنها الثوب الفارسيّ ، وألبستها بالعربية روح الخيّام الشاعر الفيلسوف . لقد سكبت روح عمر الخيّام في روحي ، ومزجت نفسه في نفسي ، وأطلّت روحي إلى الحياة من ذات النافذة التي أطلّت روحه منها » .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه هي الطريقة التي انتهجها الأستاذ توفيق مفرّج فأحسن النهج ووفّق في الوصول إلى أفق الخيّام ، وشرب من كأسه فانتشى ، ولم تأخذه النشوة الساحرة دون أن يستطيع التعبير الصادق عن تلك الروح التي فتنت الكثيرين وخلدت في آداب الأمم بفلسفة وشعر خالدين على مرّ الزمان . واننا لنعتقد صدور هذا الكتاب فتح جديد في اللغة العربية .

ويكفي تقريظاً للكتاب الرسالة التي أرسلها رفعة النحاس باشا إلى مؤلفه بعد اطلاعه عليه وهي منشورة على غلافه الخارجي . حسن كامل الصيرفي

صور من التاريخ العربي

الاستاذ نقولا زياده : ٣٠٤ صفحات « دار المعارف في القاهرة »

تحضرني وأنا ماض في الحديث عن كتاب (صور من التاريخ العربي) كلمة ذكرها فيلسوف الفريكة المرحوم أمين الريحاني يوم جاس ديار نجد باحثاً منقباً ، وعندما حملته الركائب إلى (القاع) في قصيم نجد قال رفيقه (بداح) .

« والله يا هذال ان بلاد نجد عجيبة » فأجابه (هذال) بقوله : وأعجب منها يا بداح نحن الذين نعرف ما فيها ! »

والواقع أننا كأمة ناهضة تتشوف الى الاستقلال ، وتصبو الى تحطيم الأغلال ، وتتطلع إلى فجر يوم جديد مقصرون جدًّا في معرفة أحوال بلادنا والوقوف على الأحداث التاريخية التي مرت بها ، وعلى النقيض منا الغربيون فهم قوم يختلفون عنا بعنايتهم التامّة ببيوتهم ومدارسهم،إذ يوجهون النشء إلى مدارسة البيئة وما يلابسها ويصدر عنها ، ولهذا الغرض عينه تعنى المدرسة والأسرة الغربيتان بتنظيم الرحلات العلمية فيطوف الطلاب الناهئون في البلاد عرضاً وطولاً ، يتنسمون أخبارها ويستروحون آثارها ، ويتدارسون معالمها وعادات سكانها في مختلف نظم الحياة ، بينا نحن معاشر العرب ندعو إلى امبراطورية شاملة ونهتف باسم مصر والسودان ، ولحج وعمان ، ونسعى الى تحرير طرابلس ومراكش من ربقة الاجنبي دون أن يعرف أكثرنا أين تقع طرابلس ! وفي أي الأقاليم تقع تونس !

ولكن الأستاذ نقولا زياده هذا الشاب الفلسطيني الواعي راد بقاع سوريا الطبيعية ساحلاً وداخلاً ،وعقد الفصول الضافية عما شاهده في رحلاته الممتعة من آثار بعلبك وتدمر وجرش والبتراء وأماكن تاريخية لها قيمتها الاستراتيجية في تاريخ العرب وفتوحهم كالسهول التي جرت فيها معارك (مؤته) و (اليرموك) و (حطين) و (عين جالوت) وضمها في كتاب أخرجه للناس تحت عنوان « صور من التاريخ العربي قال في مقدمته :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« أيها القارىء الكريم ! في التاريخ العربي قاعات قلّ داخلوها ، وسبل قلّ طارقوها ، وزوايا قلّ والجوها ، وفي هذه القاعات والسبل والزوايا خير كثير ، لو أنصفها الناس ! وهذه الصور التي أقدّمها لك هي ثمرة جهد بذل في سبيل التعرّف إلى تلك النواحي المهجورة من تاريخنا !

ولقد لقيت في جمعها متعة ولذة ، رأيت ان لا أحرمك منهما ، وآمل إن أوفق إلى إثارة رغبتك في الكشف عن صور مماثلة لها وما أكثرها . . . ! » .

وفصول الكتاب رحلة هذية الفوح ، معطرة الجنبات ، نظم عقدها الأستاذ زياده وراح يتنقل بالقارىء من فن إلى فن،ومن أيكة إلى أخرى ، فهو يقف بك في مدينة انطاكية ، ويسير بك إلى كنائسها الجميلة المزخرفة بالجص المذهب والزجاج الملوّن والبلاط المجزّع ثم يصطحبك إلى أسواقها المستطيلة ومبانيها الجميلة ويتابع سيره إلى حلب الشهباء عاصمة بني حمدان فيصفها وصفاً مغريًا مستحبًا ! . ويسير إلى دمشق المدينة الخالدة خفيفاً طائراً، ويحط عصا تسياره في ندوة طبيبها الشهير اليبرودي فيجد الحديث قد دار حول الخصال المفروض توفرها في الشخص الذي يود ان يكون طبيباً ، وبعد أخذ ورد في أصول الموضوع وفروعه يبارح الرحالة الفلسطيني ندوة اليبرودي الى مؤتمر مدرسين عقد في أحد أبهاء دمشق ، وفيه دار حديث هادىء ونقاش مستمر حول الغايات التي يجب أن يضعها المعلم والمتعلم نصب أعينهما ، وما هي الا لمحة عابرة حتى نرى المؤلف قد هبط القاهرة وحضر جلسة عقدت في مسجد السلطان حسن اقتصر فيها البحث حول (كاتب الديوان) والشرائط التي يتحتم توفرها فيه .

وكانت إحدى الصور النفيسة التي طالعنا المؤلف بها عزلة الامام الغزالي في بيت المقدس وحلقات الوعظ التي كان يعقدها في المسجد الأقصى المبارك ، وكان من همة الاستاذ زياده أن هد الرحال الى أبرز الأماكن الأثرية في بلاد العرب ، وراح يحدثنا بلباقة المؤرخ الخبير وأسلوب المحقق المعتدل،عن صلة كل موضع زاره بالفتح الاسلامي الاول ورجاله الغر الميامين الذين كونوا من شتات البدو دولة، وبعثوا من جوف الصحراء حضارة ، ونفخوا في قلوب العرب من روح الله ، فطمحوا الى ملك كسرى وهم جياع، وسموا الى عرش قيصر وهم عراة، وصمدوا لحكم العالم وهم سذج !

وفي آخر فصول الكتاب يطالعك المؤلف بصفحات مطوية من تاريخ العرب تناول فيها عفو معاوية ودهاءه في استقبال نسوة من العرب ناصبنه العداء في سبيل نصرة الامام علي،وحلم المأمون الى آخر هذه اللوحات الزاهية من صور السلف الصالح !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه إلمامة عابرة عن كتاب زيد في شموخ العربي واعتزازه بأمته ومفاخرها عندما يقلب صوره، ويتلو فصوله، ويستعرض لوحاته، وتوصلاً للهدف القومي الذي يرمي إليه الأستاذ زياده في مؤلفه النفيس أقول لإخواني من الشباب العربي المثقف: تعالوا سيحوا مع المؤلف تبدُ لكم حقائق نقلها الغربي عنا ملتوية مشوّهة! وسيروا مع هذا الشاب العربي المؤمن إلى بلاد انبثق منها نور النبوءات والمكرمات تروا أنكم أحفاد شعب طيب سار في ركب الحضارة قدماً فكان المجلي الموهوب.

(بيت المقدس — فلسطين) البروي الملثم

ثلاثة دواوين

١ — ليالي الشاطىء: للاستاذ مصطفى عبد الرحمن — القاهرة
٢ — المرائس: للاستاذ ابراهيم العريض — البحرين
٣ — وابل وطل: للاستاذ يعقوب ابراهيم عبوديا — بغداد

قبل أن نتكلم عن هذه الدواوين الثلاثة نلم في سطور قليلة بمدارس الشعر ومذاهبه منذ فجر نهضته الحديثة مستخلصين من تلاحم هذه المدارس واختلاطها بعضها ببعض خيوطاً تحدد لنا المعالم بوجه التقريب. وقد نكتفي بخيط واحد عن خيوط كثيرة.

كان سامي باشا البارودي هو الفجر الرائع لإحياء الشعر العربي القديم بروعته وجزالته، ثم تلاه شوقي وحافظ والزهاوي ومطران....

وقد كان شوقي أعلا قمة تمخضت عنها المدرسة القديمة وكأنما وضعت تلك المدرسة كل عبقريتها في شوقي لتتحدى به الأجيال، بل لقد تحدى شوقي المدرسة الحديثة بتمثيلياته الشعرية وكما اختتمت العصور الوسطى أروع ختام بشكسبير ومؤلف (دون كيشوت) كذلك انتهت المدرسة القديمة بموت شوقي انتهاء رائعاً كما تغرب الشمس وسط أبدع مشاهد الغروب.

أما المدرسة الحديثة فنجد بذورها عند مطران وعبد الرحمن شكري متأثرة أحياناً برواد الشعر في الشام والمهجر. فعلى شعر مطران نشأ ناجي وعلي طه وأبو شادي وللأخير فضل التوجيه أكثر من فضل الانتاج على المدرسة الحديثة، إذ أنشأ مجلة الشعر المعروفة باسم « أبوللو » التي كانت معرض نتاج هذه المدرسة من الشعراء المحدثين أمثال الهمشري وصالح جودت والصيرفي والشابي (أبو القاسم الشابي).

اما شكري فقد أنشأ مدرسة قوامها العقاد والمازني — اللذان وضعا بنقدهما الأساس الصحيح لتذوق الشعر الحديث، وكما كان مطران عماد مدرسة بأكملها تقريباً فقد جاء العقاد

عماد مدرسة على حدة تمتاز بتعمق الفكرة وتتبعها واستقصائها دون العناية الواجبة بالحافز الشعري (Emotion) ما دام المعنى جديراً بالقول موسوماً بالابتكار وتعتبر ملحمة العقاد (ترجمة شيطان) أبدع مبتكرات تلك المدرسة وقد انتظمت هذه المدرسة تقريباً جميع شعراء دار العلوم .

والدواوين الثلاثة التي بين أيدينا هي صدى من قريب أو بعيد لهذه المدارس المتفاعلة في مصر والبلاد العربية، وهي برهان على أن الاقطار العربية تعيش في جوّ ثقافي واحد رغم تقسيمها السياسي .

أما أولها وهو ديوان (ليالي الشاطىء) فهو امتداد لمدرسة الهمشري وناجي ولكنه مطبوع بطابع خاص هو الطابع الغنائي . وإذا قلنا أن كتاب الاغاني يحوي طائفة من الاشعار تتميز بطابع خاص عن بقية الشعر العربي فان ديوان ليالي الشاطىء لأقرب إلى الرقة الغنائية من أي ديوان آخر، إسمعه يقول :

آه لو تسمعني أشكو الجوى يا حبيبي آه لو تسمعني
وترى القلب ونيران الهوى ولظاها بات يرعى بدني

ثم يقول : —

أيها الشاطىء قد طال بنا أمدُ البعد ولما نلتقِ
أين أيامٌ قضيناها هنا مشرقاتٍ من سناك المشرق !
أتعودين مع الصفو لنا راقصات يا ليالي الزورق !؟

* * *

أما ديوان العرائس للأستاذ ابراهيم العريض فيذكرنا بشاعرين من نبغاء الشباب هما أبو القاسم الشابي والتيجاني يوسف بشير ، وشعر هذا الديوان مع ما تركه هذان الشاعران ثروة ومعين لا ينضب لمدرسة الشعر الحديث . وفي ديوان العرائس نجد الصور الجميلة الفاتنة والمعاني المشرقة النابضة تختال أحياناً وتتراقص أحياناً في أنغام غاية في العذوبة ، وجمال الإيقاع . ولا يمكن أن تسمع أو تقرأ قصيدة من هذا الديوان دون أن تحس بإحساس يرفعك عن مستوى الأرض إلى دنيا الجمال السامي، بينما تستروح روحك شجناً دفيناً في الأعماق. اسمعه يناجي إبنته :

طبتِ يا ليلاي نفساً فافهمي ليس كالشاعر في الناس مُعنّى
هو من أحلامه في جنّةٍ فإذا حدَّث عنها قيل جُنّا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كلنا طائره في قفصٍ إنما يُطلقه المجدود منَّا
لو درى الضاحك في سكرته أنه يشرب دمعاً لتأنى ! !

ومن غزله الرقيق :

أريني ناظريكِ فما صحا قلبي بإدمانه
لأسبرُ فيهما غور المحيط وراء شطآنه
وخلّي خدك الوردي يفتنني بألوانه
لأنثر فوقه قبلاً وأطفىء بعض نيرانه ! !

* * *

أما ديوان «وابل وطل» فرغم أنه وصلني من بغداد وان شاعره يعيش في العراق فانك لو جهلت شاعره ومنبته لنسبته الى شاعر في مصر أو الشام ، فرغم أن بغداد كان يجلجل فيها الى عهد قريب شعر الزهاوي والرصافي عليهما رحمة الله . ورغم أن المذاهب الشعرية هناك لا تتصارع بالعنف التي تتصارع به في مصر والشام . الاَّ أن ديوان «وابل وطل» قدم لنا برهاناً قاطعاً على أن التطور الشعري ينتظم الاقطار العربية كلها ، وان البراعم المنثورة في هذا الديوان هنا وهناك ، والحنان والانفعال المشبوبين بين الابيات والمقاطع ، تجعلنا نأمل خيراً في هذا الشاعر ، ولسوف يطلع علينا بديوانه التالي وقد تفتحت أزهاره وورود عن أريج يعطر أرجاء الأقطار العربية فضلاً عن العراق .

ومن صوره الشعرية :

ملأت يدي اليمنى بلؤلؤ أدمعي وقلبيَ في يُسرى يديَّ ذبيحُ

ومن شعره المفعم بالحنان :

يا زهرات البنفسج العطِرِ بالله لا تسأمنَّ من سَمري
قد ضقت ذرعاً بليلتي وبذي الـكواكب الزاهرات والقمر
قد ثقُلت وحدتي عليَّ وقد جدَّدت الذكريات لي حزني
ما أروع الذكريات حافلةً تشغلني في اصطخابها الحسن
تدبُّ فيها الحياة في صور تفرحني تارةً وتُحزنني ...

واننا نلاحظ على هذه الدواوين ندرة أشعار المديح والمناسبات وهذا مما يفعم نفوسنا بالأمل والغبطة إذ نرى ما نادينا به منذ سنوات في ديواننا [أفاريد] قد استجابت له أنفس الكثيرين من الشعراء في الأقطار العربية ، واننا لسعداء اذ نجد اخواناً يشاركوننا نفس الآمال والمشاعر في كل قطر عربي .

محمد فهمي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الثالث

من المجلد العاشر بعد المئة

ملحق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ ابريل سنة ١٩٤٧ — ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٦٦

المدْرَسُ الدَّولي

أو منَظَّمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (١)

في أثناء الحرب العالمية الثانية أسست وزارة المعارف الانجليزية ، بمساعدة المجلس البريطاني ، منظَّمة أطلق عليها إسم « مؤتمر الامم المتحدة لوزراء التربية » . ولقد نالت هذه المنظَّمة من النجاح ما فتح أمامها أبواباً من العمل والجهد ، حتى لقد فكر كثير من المهتمين بشئون الحضارة والسلام ، في تأسيس منظَّمة دولية دائمة تتابع العمل فيما بدأ به ذلك المؤتمر الصغير . وبان عمَّا قليل أن المؤتمر لا يستطيع ، إذا ما أراد الخير الشامل للبشر ، أن يحصر عمله في نطاق التربية وحدها ، وفي دائرة المتفق عليه من تعريفها . فلما أسست المنظمة الدولية ، أضيف إلى التربية أمران آخران : هما العلم والثقافة ، وصرف عليها إسم « منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة » .

وشهدت مدينة لندن مولد هذه المنظَّمة العالمية ، حيث اجتمع نفر من العلماء المبرزين ، قضوا الصيف والخريف ما كفين على وضع القواعد الأساسية التي سوف تقوم عليها وتصدير لوائحها ونُظُمها ، ومن ثمة انتقلت برجالها وبرامجها الواسعة إلى باريس مقرِّها الثابت ،

---

(١) صرف الانجليز على هذه المنظمة اسماً دولياً هو : Unesco وجاراهم على ذلك الفرنسيون وبقية الامم المشتركة فيها والكلمة مؤلفة من الاحرف الاولى للعبارة الآتية

United Nations Educational, Scientific and Culturar Organisation.

وسميناها في العربية « المدرس الدولي »

واجتمع في أثناء شهر نوفبر سنة ١٩٤٦ مؤتمر افتتح المنظمة ، فغدا الجنين الذي وُلد في لندن طفلاً يحبو في عاصمة الفرنسيين .

ولا شك عندي في أنَّ هذا الطفل سوف يشب وينمو ويرجل فرعه وتستبان عضلاته عمَّا قريب . ذلك بأن غذاءه الحرية والتسمح والسلام ، فقد أقر المؤتمر العام هذه المبادىء السامية منذ البداءة ، بعد أن أيدها كثير من رجال الأمم المختلفة الذين شهدوا مولد ذلك المدرس الدولي ، فقام نظامه الاساسي على مبدإ حرية الاديان جميعاً ، وحرية المذاهب جميعاً ، وحرية العقائد جميعاً ، بحيث ينفسح المجال للنصراني والمسلم والبوذي ، والماركسي ، والشيوعي ، والاشتراكي ، والديمقراطي ، ونصير الاستبدادية ، ونصير الحرية الانسانية أن يعملوا معاً لخير الإنسانية المحض من غير أن يضحي واحد منهم بمبدئه أو يطرح انتسابه إلى هذا المدرس بعقيدة من عقائده .

على أنَّ الأمر لم يقف عند هذا وحده ، بل وضع المؤتمرون تعريفاً جديداً للسلام . فلم يعرفوه بأنه مجرد الامتناع عن العدوان ، بل سلام ينشأ عن عقيدة ينطوي عليها قلب الإنسان وحبه الخير لغيره كما يحبه لنفسه . وقد قبل هذا التعريف باجماع شامل ، فكان لقبوله أثر واضح في جميع المناقشات التي دارت في ذلك المؤتمر التاريخي .

والجديد في ذلك الأمر كله . ان المعارف الانسانية وجعلها أساساً للروابط التي تجمع بين الأمم ، أصبحت قوة معترفاً بها في العالم الدولي ، ولم يصبح أمر العالم قاصراً على رجال السياسة والانتهازيين من رجال الحرب والدولة . ولا مرية إطلاقاً في أنَّ التجاوب العقلي والروحي بين الأمم ، هو أكبر مانع للعدوان وأكبر مقاوم للعداوات التي تسبب تلك الحروب المهلكة المفنية .

ولقد لاحظ القائمون بأمر هذه المنظمة ذلك الأمر ، فرسموا الخطة التي تلزمها الأمم الممثلة فيها على خمس قواعد ، بل أنهم حصروها في خمسة رؤوس :

الأول : التنوير الذهني . فان حاجة العالم الآن تنحصر في القيام بحملة كبيرة للقضاء على الأمية والجهل ، ذلك بأنَّ السلام الحقيقي بمعناه الذي قرره مؤتمر باريس ، لا يمكن أن يقوم على أساس مكين ونصف أمم العالم في ظلام دامس من الخرافات والأساطير والجهالات وبالرغم من أن هذا العمل من اختصاص كل أمة قائمة بذاتها ، غير أن « المدرس الدولي » يستطيع أن يبعث الروح العاملة في سبيله وينفث فيه القوة بأن يجمع الحقائق والمعلومات الصحيحة ويعمل على نشرها بين الشعوب التي تأخذ في سبيل التنوير الذهني والقضاء على غيابت الجهل ، فقررت لجنة التربية رسم الخطة الآتية :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« القيام بحملة كبيرة على الجهل بالعمل على نشر التعليم من بداياته الأولية في القراءة والكتابة إلى غاياته العالية في تنوير الذهن وتقوية الحس الرعوي عند الأفراد ، وتصحيح العقول والأبدان ، وترتيب القيم الروحية » .

الثاني : ايقاظ النائمين ، فان في أمم العالم قاطبة فئات من المتعلمين ، غير أنهم يهملون عقولهم فتذبل وتتضاءل قواها بالاغفال . وأمثال هؤلاء قوة من أخطر القوى التي تناوىء السلام في العالم . ذلك بأنهم يقعون فريسة أولئك الذين ينتهزون فرصة ضعف تفكيرهم ، فيبثون فيهم فكرات منقولة ليست من نتاج قواهم الذاتية . وهذه الظاهرة ولا شك معضلة قومية تهم جميع الأمم . ومن أجل أن يقاوم المدرّس الدولي هذه الآفة النكراء ، قرر المؤتمرون أن يكون من أوالي واجباته نشر نظام المكتبات المتنقلة ، وكتب المراجع والمتاحف ، على أن يهتم قسم العلم الطبيعي بأن يمهد السبيل بنشر الآداب العلمية بين الناس ، وفي اذاعة الحقائق العلمية بإخراج الأفلام التي تتناول مختلف موضوعات العلم . في حين أن قسماً آخر سمي قسم « بيئات الجماهير » سيعكف على درس برامج الاذاعة ، وخصيات الصحف الرئيسية وأهوائها وميولها ، ومقدار تأثير بعض الأفلام على اتجاه الناس .

الثالث : تهيئة الأداة ، فان كثيراً من الفنانين والعلماء والفلاسفة ، وعلى الجملة كثيراً من رجال الأدب والفضل العاملين الذين تأكل صدورهم الغيرة على خير البشر ، كثيراً ما تقعد بهم الحاجة عن الحصول على الأداة التي بها يتهيأ لهم المضي في عملهم الناجح المفيد أو تصدمهم الظروف عن الاتصال بغيرهم من العاملين . وقد يكون عجزهم المادي سبباً في عجزهم عن الانتاج والمضي في الابتكار . فقرر المؤتمرون أن يوجه « المدرّس الدولي » أقصى همه الى القضاء على الأسباب التي تقف بهؤلاء عن متابعة بحوثهم المبرورة ، بأن يهيء لهم الوسائل المادية اللازمة ، وان يشجع عقد المؤتمرات العلمية والفنية ، وأن يعمل على نشر المناقشة القيمة التي تسهل سبيل ذيوع المعرفة الحقة .

الرابع : تحطيم الموانع ، إن أمة بعينها ، وبمساعدة « المدرّس الدولي » ، قد تستطيع أن تعالج مشكلاتها الداخلية التي أشير اليها في الأقسام الثلاثة السابقة . وقد تتفق أكثر من أمة على توليف اتحاد يعمل في سبيل فض مشكل دولي من مشاكل الحياة الانسانية . ولهذا ينبغي أن توجه حملة شعواء على الموانع التي تحد من اتصال بعض الشعوب ببعض ، ومثلها التأثير على جوازات السفر ، وفداحة الرسوم الجمركية وقيود النقد ، وعلى الجملة كل القيود والموانع التي أقامتها الأمم علاجاً لحالات طارئة . وسوف يوجه « المدرس الدولي أوالي جهده إلى هذه الحال . ومن أعظم الأسلحة التي يريد أن يتذرع بها وضع قاعدة بنشر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المؤلفات بأن تحملَ حق نقلها وترجمتها حقًّا دوليًّا عامًّا .

الخامس : قوة التعاجل ، ان العمل بمقتضى المبادىء التي شرحت في الأقسام السابقة ، ولو أنه عمل فادح الجهد والمشقة ، إلاَّ أن « المدْرَس الدولي » لم يجده وافياً بغرضه الأصيل فان « المدْرَس » لا ينبغي أن يقصر همه على تطهير الحقل الدولي من العقبات والموانع ، بل يجب أن يثير الهمة إلى الأخذ بمبدأ التعاون الدوليّ والتقارب بين الامم والتواصل بين أفرادها وجماعاتها ، على اعتبار ان ذلك هو السبيل الأمثل لقيام سلام حقيقي دائم . إما الخطوة الأولى في سبيل هذا الغرض فاتجهت نحو المسرح واتخاذه سبيلاً إلى تفهيم بعض الامم آداب بعض بعرض المسرحيات الثقافية لجميع الامم من غير تمييز . وقد اتفق على أن يكون هذا المعهد التمثيلي هيأة قائمة إلى جوار هيأة المدْرَس ويباح الاشتراك فيها لجميع الأمم ، سواء أكُنَّ مشتركات في المدرس أم غير مشتركاتٍ فيه ، غير أن نجاح الرسالة المنشودة من هذا المعهد إنما تتوقف على النجاح في إزالة العوائق والعقبات التي تقف حائلاً بين اتصال بعض الامم ببعض . هذه هي الرسالة الثقافية والعلمية التي يرمي إلى تحقيقها « المدْرَس الدُّولي » . ولا شك في أنها أسمى رسالات هذا العصر .

يرأس هذا المدْرَس عالم انجليزي هو العلاَّمة « جوليان هكسلي » . ابن العالم الفيلسوف « توماس هنري هكسلي » زميل داروين المعروف ، والزائد عن حياض مذهب التطوّر بكل ما أوتي من قوة البيان وقوة العلم .

نشأ « جوليان هكسلي » في بيئة التطور واستسقى من أفكارها ونهل من منابعها . فلا عجب إذا نظر في تأسيس هذا المدْرَس نظرة من يعتقد إنه مدرج من مدارج الارتقاء الانساني تجري عليه سنن التطور جريانها على كل ما في هـذا الوجود . فهو يرى ان مبدأ التطور قد أصبح الآن القوة المحرّكة والغرض الأسمى الذي يحرك أفكار الناس ويوجهم وجهة أسمى من وجهتهم الأولى . ومن الظاهر بصورة قاطعة ان العالم يسير الآن صوب العمل على تأسيس حكومة عالمية . وهذا الغرض النهائي ظاهر الأثر في جميع المؤسسات والمنظمات التي يقوم الانسان بابتكارها في هذا العصر . « والمدْرَس الدولي » مظهر من أجلى مظاهر التطور في الجمعية الحديثة لأنه يعمل إلى جمع الناس جميعاً في بوتقة واحدة ، من طريق تواصل الثقافات وتآلف الاستجابات النفسية والروحية . وفي ذلك جوهر ما يرمي إليه محبو السلام إذ يؤمنون بأن التفاهم بين الامم وتكافلها من طريق الثقافة والعلم ، أعظم مُرغّب لها في السّلام ، وأجدى عامل على إزالة الريبة وسوء الظن بين الامم .

اسماعيل مظهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خليل مطران الشاعر

كان خليل مطران منذ خمسين عاماً وتراً جديداً في قيثارة الشعر العربي استطاع أن يبتدع فيه ألواناً جديدة لم يكن له به سابق عهد .

وقد استطاع الخليل — رغم البيئة والعصر — أن يوجه النظر إلى طريقته ، وأن يجتذب الى هذه الطريقة الأسماع ، ويسترعي الأنظار لفنه ، وأن يتبعه في نهجه فريق خطوا خطوات واسعات على ضوء المشعل الذي حمله .

ولئن اقترن اسم الخليل زمناً طويلاً باسمي زعيمين من زعماء الشعر العربي وقتئذ ، هما شوقي وحافظ ، لقد كان الخليل متفرداً عنهما بطريقته ، كما كان لكل منهما نهجه ... فلقد أخذ حافظ يضرب على وتر الوطنية المصرية زمناً ، وأخذ شوقي يدون أحداث الشرق ويسجلها ، ويعرب عن آلام الشرق وأفراحه ، بينما كان الخليل يبني للشعر الحديث أسسه ، ويضع للسائرين على دربه الصوى .

لقد كان ينقل الشعر من دائرة الى دائرة ، ومن محيط الى محيط . من دائرة التقليد الى دائرة استخدام الألفاظ والتراكيب على غير المألوف والمطروق منها . ومن محيط النظم الى محيط الشعور الحق بالجمال الحق ، والأخذ من الواقع للخيال ومن الخيال للواقع .

ولقد جعل الخليل أسس نهضته الشعرية على العناية بالمعنى قدر العناية باللفظ المنسجم معه ، وتحري الجديد من الموضوع ، والنادر من التصور ، وجعل وحدة القصيدة مبدأ ليتم للخيال استكمال صورته دون أن تقف أمامه وحدة البيت عائقاً

وأدخل على الشعر العربي اللون القصصي ففنن منه بالمبدع ، وأتى فيه بالروائع البكر ، فاتسع بذلك المجال على الخيال الشعري الخلاق ، ومزج بين الطبيعة والتفكير ، أو بين المرئي وغير المرئي ، وبين المدرك بالعين والمدرك بالبصيرة النفاذة ، فقدم للشعر العربي أفتن صورة ، ولعل قصيدته في هذا الباب « المساء » هي المثال الخالد لهذا اللون كما أنها المثال الرائع في الشعر العالمي .

هذا هو خليل مطران الذي يحتفي بالنهضة الشعرية عند ما يحتفى به

الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أبناء العروبة
يكرمون شاعرهم

مهرجان أدبي بدت فيه مظاهر الوفاء والتقدير للشعر والأدب والفن

تجلت روعة الشعر وتقدير الأدب والبيان في المهرجان الأدبي التاريخي الذي أقيم في دار الأوبرا الملكية مساء السبت ٢٩ مارس سنة ١٩٤٧ تكريماً لشاعر الأقطار العربية الأستاذ خليل بك مطران فاجتذبت شاعريته وعبقريته أدباء العروبة وخطباءها وشعراءها من لبنان موطنه الأول وسوريا والعراق ومصر موطنه الثاني اجتمعوا في هذه الحلبة الأدبية التاريخية ليوفوه بعض حقه من التقدير والإكبار لما أجدى وأسدى وأنتج ونفع وأفاد شاعراً وكاتباً وصحافيًّا واقتصاديًّا

وتوّج هذا الحفل جلالة الملك المعظم في عطفه السامي وتقديره الكريم للأدباء والفنانين بأن شمل الحفل برعايته السامية فأوفد من لدنه حضرة صاحب العزة كريم ثابت بك المستشار الصحفي لديوان جلالته لحضوره .

واكتمل الحفل في الساعة الخامسة فاذا به مهرجان أدبي رائع ضمَّ إلى كبار الأدباء والصحافيين وأبناء العروبة كبار رجال الدولة ، رأينا منهم دولة محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزراء وجميع رجال السلك السياسي العربي ومعالي ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكي وصاحبي المعالي وزيري المعارف والمواصلات وسماحة السيد أمين الحسيني المفتي الأكبر، وسعادة علي زكي العرابي باشا ، وتوفيق دوس باشا ، وفؤاد أباظه باشا ، ومحمد العشماوي باشا ، والسيد صادق المجدّدي والدكتور طه حسين بك ، وغيرهم من الكبراء وأعلام الأدب والصحافة . وفي الساعة الخامسة وقف حضرة الشيخ المحترم خليل ثابت بك رئيس لجنة الاحتفال وألقى كلمة الافتتاح التالية :

حضرة صاحب العزة مندوب جلالة مليكنا المعظم ملك وادي النيل .

حضرات أصحاب السعادة الممثلين الرسميين لدول الشرق العربي .

حضرات أصحاب المقام الرفيع والدولة والفضيلة والنيافة والمعالي والسعادة والعزة .

حضرات السادة والسيدات

في سهل من سهول هذا الشرق طاب هواؤه ورقَّ ماؤه وصفت سماؤه وسقيت أرضه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بناء التاريخ شاء جيل من الناس في سالف العصر والأوان أن يعربوا عن تقواهم وشدة تعبدهم فشادوا طائفة من المعابد والهيا كل جمعت بين العظمة والجلال والبهاء والجمال وصبرت على عاديات الدهر وصروف الأيام فكانت أعجوبة من أعاجيب الزمان .

في ظلّ هذه الهيا كل وفي الحدائق الغناء المحيطة بها وإلى جنب ينبوع رأس العين يتدفق ماؤه من جوف الأرض كذوب البلور نشأ في أواخر القرن الماضي في بيت اشتهر أهله بالمروءة والنجدة والجود ومكارم الأخلاق فتىً نحيل البنية واسع الخيال .

وانفتحت عينا ذلك الفتى على هذا المنظر الرائع الحسن في إطاره البديع من خضرة الأرض وزرقة السماء فنفذ جماله إلى شغاف قلبه ورسم في مخيلته صوراً من الحسن أخذ يصفها بشعر رقيق أطرب سامعيه وقارئيه فتوسموا فيه خيراً وأدركوا أن العناية حبتهم شاعراً. غير أن جوّ الحياة في بلاد الشام في ذلك العهد كان خانقاً لحرية الفكر والرأي والقول فضاق الشاعر الشاب ذرعاً بتلك الحال وهجر وطنه وأهله إلى مصر — مصر العزيزة ملجأ الأحرار وملاذ الباحثين في الشرق في ذلك الحين عن الحرية حرية الفكر والرأي والقول .

جاء إلى مصر الوطن الثاني لكل عربي في أقطار العرب ومهاجرهم فلقي أهلا بأهل ووطناً بوطن وأشرف الشاعر على النيل العظيم فوقف على ضفافه خاشعاً وزار الاهرام فأكبر عظمتها وأصاب من رعاية أهل هذا البلد الكريم ما أطلق لسانه فأخذ يغرّد على ضفاف النيل بمثل مالم يغرّد به على ضفاف القاسمية ويطرب العرب في اوطانهم ومهاجرهم .

هذا أيها السادة والسيدات هو خليل مطران شاعر الأقطار العربية وهو الذي اجتمعنا اليوم لتكريمه وتقدير خدمتــه للشعر والأدب كرجل كريم وشاعر عظيم وأديب كبير قضى العمر في خدمة الأدب والشعر واتصف بنبل الأخلاق والفضل وستسمعون أقوال الخطباء والشعراء في وصفه ووصف أدبه وشعره .

أيها الشاعر العظيم ، أيها الأديب الحكيم ، أيها الصديق الحميم ، هؤلاء نخبة من صفوة أقطاب العرب وعظمائهم في وادي النيل وسائر الأقطار العربيــة اجتمعوا اليوم للاعراب لك عن تقديرهم وتكريمهم فأهنأ بما لقيت وأنعم بما أوتيت زادك الله من فضله ونعمته .

ياحضرة صاحب العزة مندوب جلالة مولانا الملك المعظم . أرجو باسم لجنة الاحتفال وسائر حاضري هــذا الاجتماع أن ترفع إلى مقام جلالة حبيب العروبة وناصر العلم والأدب أسمى آيات الولاء وأبلغ عبارات الحمد والثناء على تفضله برعاية هذه الحفلة وشمولها بعطفه السامي أطال الله عمره وأعزّ به مصر والعروبة .

واليكم يا حضرات السادة الكرام والسيدات الفاضلات ولاسيما حضرة صاحب المعالي وزير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المعارف ورئيس الحفلة وحضرات أصحاب المعالي والسعادة والعزة الخطباء والشعراء تسدي لجنة الاحتفال جزيل شكرها الخالص على تفضلكم بتلبية دعوتها . والسلام عليكم ورحمة الله.

وأنشد حضرة صاحب العزة الدكتور محمد صلاح الدين بك قصيدة خليل مطران بك التي توجه بها الى المحتفلين بتكريمه وهي :

طوّقتموني بأطواقٍ من المننِ ... فكيف أقضي حقوقاً جاوزت مني
وما سبيلي إلى أدنى الوفاء بما ... لكلِّ مبتدرٍ وافى ليكرمني
قد أعجزتني عن التخصيص كثرتكم ... فمن أقول له شكراً ومنْ ومنِ
أخاف من سوء تأويلٍ لرأيكمُ ... في الفضل لو قلتُ إني لستَ بالقَمِنِ
قومي وفي هامة العلياء منزلهمُ ... هم صفوة الخلق بالأخلاق والفِطنِ
إن عزّ من منحوا نصراً فأحرِ به ... أو هان من منعوه النصر فليهنِ
مواطنُ الضاد شتّى في مظاهرها ... وفي حقيقتها ليست سوى وطنِ
ممثلوها بهذا المنتدى لهمُ ... مفاخرٌ ملء عين الدهر والأذنِ
من كل ذي نسبٍ أو كل ذي حسبٍ ... ما في مصادره من مصدرٍ أسنِ
وكل ذي منصبٍ تعتزّ أمته ... بسيفه العضبِ أو بالرأي واللسنِ
وكل مقتبل الأيام مجتهدٍ ... وكل طالب علمٍ نابهٍ ذهنِ
ومن مؤثّل جاهٍ في تجارته ... أو في صناعته أغنى الحمى وغني
وزارعٍ صائنٍ بالبرّ نعمتهُ ... للوجد مبتذلٍ للحمد مختزنِ
وشاعرٍ يطربُ الدنيا ترنمهُ ... فما أفانينُ غرّيدٍ على فننِ
وناثرٍ مسرفٍ في الدرّ ينفقه ... كأنه يتلقاهُ بلا ثمنِ
يا للوزير رئيس الحفل هل وسعتْ ... شأني جلائلُ ما تهدي إلى الزَّمنِ
ليحفظ اللهُ « فاروقاً » لأمته ... وللعروبة ولينصرهُ وليصنِ
هو الذي خبرَت معروفهُ أممٌ ... فما تنكّرَ في سرٍّ ولا علنِ
لولاه لم تكُ مصرُ اليومَ بالغةً ... مكانها واتحادُ العربِ لم يكنِ
وليحفظِ الله أبناء الكنانة في ... يمنٍ وأمنٍ من الأحداث والمحنِ
وليحيَ من صان مجد الضاد من ملكٍ ... ومن رئيسٍ عليه اليومَ مؤتمنِ
فكلهم جاء في ميقاته وله ... تاريخُ فضلٍ بهذا المجدِ مقترنِ
دوموا وأيامكم بالآلاف زاهرةٌ ... ولا عدتهُ عوادي الخلف والاحنِ
أبالغ بي وفائي بعض واجبهِ ... لو أن عمريَ في هذا الوفاء فني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أصل الأديان

اختلفت آراء العلماء في أصل الأديان ومصدرها ففريق اعتبر الدين كحادث طبيعي توصل إليه البشر بذات الطرق التي توصلوا بها إلى العلم والفلسفة .

وفريقٌ آخر اعتبر الدين غريزة في النفس: واليك خلاصة الآراء .

الرأي الطبيعي : زعم قوم من المعطلين أن الفواعل الطبيعية وما حلَّ بالانسان من كوارث الحدثان أثرت في الماضي على عقله البسيط وأرعبت تصوراته الجامدة وجعلته يصدق الخيالات ويعتقد بالأرواح، فما العقل البشري حسب ظنهم إلاَّ آلة مادية للشعور وهذا الشعور قاد الانسان إلى الاعتقاد بما يجهله مما غاب عنه إدراكه فعندهم أن الديانة صورة الخوف والهواجس .

وارتأى غيرهم أن مصدر الديانة جهل الانسان شرائع الكون وذهوله من تتابع الحوادث الطبيعية وسيرها على منهاج واحد لذلك ألَّه كل حادث من الحوادث الطبيعية وعبدها.

وقال أوغيست كونت : عبد الانسان الطبيعة إما لاعتقاده بأن بها روحاً له سلطة عليه . وإما لخوفه من قواها الظاهرة، وعنده إن أصل الأديان ميل الانسان الأدبي، لهذا قامت الأديان وهو حقيقتها وبه حفظت ولولاه لزالت . قال لاستري وتابعه غيره من الماديين ان الديانات بقية باقية من خرافات العصور الماضية أوجدتها الصدفة وتمسك بها الانسان لخوفه من مجهول وذلك لعدم معرفته نواميس الطبيعة .

وزعم قوم إنها حيلة من حيل الكهنة تسلطوا بها على البشر بواسطة التخرصات والخزعبلات

وقال هيجل وتابعه ميل إن الديانة كبقية المعارف التي توصل إليها الانسان بالملاحظة والاختيار أوجدها جهله لأسرار الطبيعة وسيتركها لدى إطلاعه عليها .

وقال مينزس Meinzise : أكرم الانسان الطبيعة وعبدها لخوفه من الظواهر الجوية وتعلق بها لاحترامه للفائدة والتجربة التي حصل منهما على غذائه وتدرّج من هذا إلى الاعتقاد أن بها روحاً نظير روحه فصدق الخيالات وعبد الأرواح وعن هذه الأسباب نشأت الأديان فالديانة بنظره عبادة قوة غير منظورة نتجت عن شعور عدم الارتضاء .

اما شلير ماخير chleirmacheir فقال: انها حاصة ناتجة عن اعتقاد الانسان بكونه متعلقاً بكائن لا يعلمه . ترجع هذه التعاليم والآراء إلى هذه المبادىء الثلاث .

اولاً — ان مصدر الديانة الانفعال من الظواهر الجوية والخوف من الفواعل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطبيعية لعدم معرفة الانسان لنواميس الكون وارجاع الاسباب لمسبباتها »

ثانياً — « ان الديانة صدفة حدثت عن مجرد الخوف والوهم لوقوف الانسان امام المجهول ».

ثالثاً — إنها حيلة من حيل الكهنة موّهوا بها على العقول البسيطة حبّاً بالسلطة ورغبة بالمنفعة فصدّق الانسان التخيلات واعتقد بالخرافات لتهويلهم على مخيلته .

فلنبحث في كل حالة من هذه الأحوال الثلاث .

أولاً — نعم أنّ الفواعل الطبيعية والظواهر الجوّية أثرت في مخيلة الانسان وفي معتقداته فصوت الرُّعود ووميض البروق ودمدمة الزوابع شغلت أفكار الانسان المتوحش وأرعبت قلبه وأثرت في تصوراته فاندهش من عظمتها وخاف من قوّتها وحذر من مظاهرها وهاله أمرها فاعتقد أن قواها المنظورة وغير المنظورة عاملة به متسلطة عليه فارتبط بوجوده معها وتعلقت حياته بها فكان إذا أخصبت أرضه عاش رضيّاً واذا أمحلت مات ونتج عن ذلك أنه اعتقد بأرواحها وعبدها وقسمها إلى صالحة وشريرة تبعاً لمنافعها وأضرارها فأرواح الأمطار الشمس والحرارة مثلاً كانت في عينيه من القوى المحسنة إليه وأن ارواح الجفاف والبرد والمجاعات والأمراض من الأرواح المضرة له فقال إنها شريرة . ومن ثمّ نتج عن ذلك الاعتقاد الميل إلى استرضائها لدفع أضرارها أملاً بالحصول على رضاها فقدم لها الضحايا وحباها بالعطايا وتقرّب إليها بالصلوات والرقص إلى غير ذلك من العبادات والطقوس إن هذا الرأي يفسر لنا بعض معتقدات القبائل المتوحشة لكنه وهمٌ فاضح وخطأ ينقده الواقع ويتضح فساده لدى درس النفس البشرية والاطلاع على الحقائق العلمية . لأنه لو لم تكن الديانة غريزة في النفس لما تأثرت من الفواعل الطبيعية فعاش الإنسان بغير ديانة . فالدّيانة إذاً غريزة في النفس ولو لم تكن كذلك لزالت وطوتها الأجيال الطوال ولم تبق مع العصور المتناهية في القدم، يؤيد هذا القول الاختبار الفسيولوجي ومنه نعلم أن علاقة النفس مع علة العلل هو ميلها إلى معرفة مصدرها فاستغاثة الإنسان بالله هو يقين بوجوده وإيمانه بمقدرته وثقته براحمه .

فالإنسان في حالتي الحزن والمرض والضيق والخوف والضعف والخطيئة يستغيث بخالقه بتلك الذات السماوية الفائقة الإدراك . فلو لم يعتقد الانسان بالله لما طلب منه المعونة ولما كان له اتصال معه وعلاقة به . وتاريخ الأديان يثبت لنا ذلك . وصلاة هذا البابلي وقد مضى عليها أربعة آلاف سنة توضح لنا حالة النفس الدينية بأجلى بيان . ومنها نطلع على أسرارها الخفية ونقف على ضعفها وقوّتها فنرى أنها قد تغلبت على الفناء ونهضت من ظلال الموت لتخبرنا بفعل الرحمة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلهي ان آثامي عظيمة وخطاياي كثيرة قد صنعت شروراً كباراً وصغاراً لاعداد لها ولا علم لي بها . فيا إلهي أيها السيد إن ساعة غضبك أدهشتني لكن مراحمك أحاطت بي وخلقتني فيا ربي وإلهي لا تبتعد عن عبدك إذا انحدر إلى الهاوية التي لا قاع لها مد يدك إليّ أغثني وامحو آثامي وبدد خطاياي ذرها كالرماد مع الرياح فأحيا .

يرى المرء بهذه الصلاة صورة نفس الانسان التي شعرت بأصلها السماوي فطلبت المعونة من الله والغفران . فالديانة كما قلنا هي شعور النفس بالخالق وميلها إلى معرفته بالاشتراك معه بالحق والمحبة لذلك أحب الانسان قريبه وعمل بما ينيله عفو الله ورضاه بهما وظهرت فكرة العدالة والرحمة وبهذا صار الانسان إنساناً له صفة امتاز بها عن بقية الحيوان ووجوده كانسان هو بقوة نفسه الادبية أي بسلامة النفس واشتراكها مع الله بالحق وحياتها معه بالمحبة . إن كل إنسان يميل بالطبع إلى التعبد لمعبود منظوراً أو غير منظور وهذا ما يسمونه بالحاسة الدينية وهي غريزية غير عرضية لوجودها في جميع البشر في حالتي الرقي والانحطاط

إذا قلبنا صفحات التاريخ واطلعنا على أخبار الأمم القديمة والحديثة لا نجد شعباً بدون ديانة حتى إن وجود قوم بدون نطق ليس بأبعد من وجود قوم بعيدين عن الفكرة الدينية والمعتقدات الروحية . وما قال به بعض السياح من الذين جابوا الأماكن المجهولة وساحوا بين البرابرة من أن بعض القبائل المتوحشة بلا ديانة وليس عندهم عبادة ظهر لدى الفحص والتحقيق إنه كان خطأ . ومن يبحث أحوال الشعوب قديمها وحديثها يحكم حكماً قاطعاً إنه لا يوجد شعب واحد خال من الاعتقاد بروح من الارواح أو بإله من الآلهة وهذا الأمر كان معروفاً من فلاسفة اليونان وقد بنوا عليه نتائج جوهرية . فالديانة مغروسة في النفس وهي من مطاليبها ولا يمكن صرفها إلى غير ذلك من الأغراض مهما حاول المدعون فهذا الأمر قضية أولية لا يمكن نقضها

ثانياً — إننا لو دخلنا إلى اعماق النفس البشرية وتعمقنا في البحث بمطاليبها واطلعنا على أسرارها ولاحظنا ميولها لعلمنا إن الديانة حاسة غريزية في النفس لم تنتج عن الخوف من المجهول كما يزعمون ولا عن الوهم بما خفي من الأمور كما يتوهمون .

فلو إنها حدثت عن صدفة كحادث من الامور العرضية . ولو كانت نتيجة الخوف والوهم لنبذتها النفس كما نبذت أشياء كثيرة من الأمور المجهولة . إننا نرى بالواقع أناساً من أصحاب العقول السامية والنوابغ الذين اشتهروا بين البشر وقادوا الانسانية إلى العمران والرقي كانوا متدينين وغيرهم من الجهلة كانت حاستهم الدينية ضعيفة فلو صح ما زعموا من أن أصل الديانة الخوف وعدم المعرفة لنبذها عقلاء القوم وتمسك بها الجهلاء . وبالواقع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نرى عكس ذلك، نرى ان عدد المتدينين بين العقلاء أكثر من عددهم بين الجهلاء. أخيراً لو كان الخوف علة وجود الآلهة لما رأى فيها الانسان صورة الخير العـام. فجميع الأديان الفطرية والراقية علمت أن الآلهة أوجدت الواجبات على البشر وانها هي التي أمرت الانسان بعمل الخير وبالابتعاد عن الشر وعلمت أيضاً أنها هي التي تدفع عنه المضرات وتهبه الخيرات من شبع وري وإنها هي التي خلقت العـالم وأوجدت الحياة. ولو اعتقدنا أن هذه الفـكرة ظهرت حينما ارتقى الانسان وصارت له حياة معنوية لو صحّ ذلك لما رأينا الشعوب الهمجية تعتقد ذات الاعتقاد وتنسب إلى آلهتهـا الخلق والفضل والبركات. ولو لم يكن كذلك لظلّ الانسان مقتصراً في عباداته على طريق المبـادلة بينه وبين الآلهة ولم يهتد إلى الواجب المفروض عليه من قبل الرحمان، إن فـكرة الخوف لم تكن لتتمكن من نفس الانسان لو لم تكن طبيعة نفسه دينية. فالسبب الذي عمل بها في المـاضي يعمل به الآن بعد أن زال الخوف من فكر الإنسان. وإننا إذا وجدنا في بعض الأديان قضايا شاذة وخرافات كثيرة متنوعة متشعبة ناشئة عن خوف الإنسان في الماضي من الفواعل الطبيعية والظواهر الجوية فإن أصل تلك المعتقدات خارج عن أصل الديانة الطبيعي.

ولو كانت الديانة صدفة عرضية لتركتها النفس البشرية حينما زال المسبب لها ولما شملت جميع الخلائق والأمم وتاريخ جميع الشعوب شهادة لا يمكن إنكارها.

ولو لم تكن الديانة في النفس لتركتها النفس فزالت كبقية الصدف العرضية لأن العرض لا يدوم ولا دوام إلاّ للجوهر، وهل يقدر الإنسان أن يحافظ على خلق بعيد عنه وصفة ليست منه إن هذا من المسلمات البديهية.

ثالثاً — لو اهتمّ الـكهّان والحكماء وموّهوا على الأذهان وضللوا العامة بالأديان ليتسلطوا عليها. لو أنهم اخترعوا الأرواح والآلهة ووضعوا أصول الأحكام الدينية ورسوم العبادات ليؤثروا بذلك في المخيلة لما وجدت ديانة على وجه الارض لأن التاريخ يدلنا على أن الأديان وجدت قبـل الحكماء والملوك والـكهنة. قبل حيـاة الانسان الاجتماعية، أي حينما كان متوحشاً طريداً شريداً يأوي الى المغاور ويسكن في شقوق الصخور. فلو كانت الديانة حيلة من حيل الـكهنة لما وجدت ديانة لأن مجرد وجود الكهنة يلتزم وجود ديانة قبلها. ولو لم توجد في النفوس البشرية تلك الحاسة الغريزية لما وجدت الفـكرة الدينية في عقول الـكهنة ولولا ذلك الميل السابق الى الديانة لخابت آمالهم من تسلط أوهام بعيدة عن الطبيعة البشرية، ولما دام هذا الخداع مدة أجيال طويلة متناهية في القدم، ولما انتشرت الأديان في جميع القبائل والأمم.

أسكاة — طرابلس الشام أمين نعوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكتاب اللبناني

بمناسبة المعرض الذي أقيم بالقاهرة

لا شك في أن إخواننا اللبنانيين كانوا من أسبق أدباء العربية عنايةً بالطباعة ، وإذا كانت المطبعة الأهلية التي أنشأها في القاهرة مؤسس مصر الحديثة قد أسدت للكتاب العربي أيادي لا تجحد من العناية بالطبع والإخراج الصحيح ، فإن للآباء اليسوعيين مثل هذا الفضل ، فقد بذلوا من الجهد في التنقيح ، والعناية بمظهر الكتاب ، وإبرازه في أحسن حلة لم يسبق لها مثيلٌ في الشرق ما جعل لمطبوعاتهم من المكانة والتقدير ما هي جديرةٌ به .

وكان لنشاطهم أثرٌ ملحوظ في النهضة الأدبية امتدَّ إلى هذا العصر . . . ولقد نقل اللبنانيون معهم في كل مكان هاجروا إليه بذور هذه النهضة ، وما زالوا بها حتى أثمرت وخلدت على رغم الزمن ، وثبتت جذورها وامتدّت أغصانها فأظلّت كلَّ ضروب الثقافة

وتاريخ النهضة الفكرية مدينٌ في كثير من نواحيه إلى أعلام نبتوا في ظلّ الأرز الخالد . . هذه حقيقةٌ لا تجد إنكاراً ولا تصادف جحوداً .

ولقد كنّا — نحن المصريين — من أكثر الناس إعجاباً بكل أثر فكري ينتجه عقلٌ لبناني . ولكن إخواننا اللبنانيين كانوا أكثر الناس عتباً علينا ، ناعين إلينا التقصير عن الإشادة بما ينتجون . . . ولكنني كنت أمرُّ بهذا العتاب مطمئنَّ الضمير ، لأنني كنت من السبّاقين في الكتابة عن معظم آثار الفكر اللبناني التي ظهرت خلال الخمسة عشر عاماً الماضية ، وكانت هذه المجلة في مقدمة المرحبين بهذه الآثار والكتابة عنها .

نعم . قد يكون هناك تقصيرٌ من بعض الصحف والمجلات في تناول كثير مما تخرج المطبعة العربية ، وقد تكون هناك شكوى من هذا التقصير في حق النهضة الأدبية ، ولكن هذا التقصير وتلك الشكوى منه ، ليس بالواقع أثره على أدبٍ بعينه ، ولكنه تقصيرٌ لحق حتى بما تنتج المطبعة في مصر ، والشكوى التي يردّدها إخواننا في لبنان يشكو منها أدباؤنا من تقصير الصحافة المصرية في تناول آثارهم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد يجرُّنا القول هنا إلى إثارة شكوى كثير من أدباء مصر من عدم العناية بدراسة آثارهم في صحف لبنان ، وأنا أميل إلى الاعتقاد بأنه إذا كان هناك تقصير ، فإن هذا التقصير ليس بالمتعمد ، أو ليس مقابل الصنيع بالصنيع . وقد يكون مردُّه إلى طغيان المسائل السياسية وضيق الصفحات بسبب ظروف الحرب الطارئة .

هذه كلمة أردنا أن نقدم بها كلمتنا عن معرض الكتاب اللبناني الذي أقيم بالقنصلية اللبنانية في القاهرة ، وافتتح في اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس الماضي بحضور كثير من الشخصيات البارزة في البلاد العربية وكثير من أعلام الأدب والمعنيين بالثقافة العربية ، لأن من العوامل الأولية في إقامة هذا المعرض بمدينة القاهرة للكتاب اللبناني ، تلك الشكوى التي أشرنا إليها .

فلقد أشير في مقدمة الدليل الذي صنّف بمناسبة هذا المعرض إلى هذا السبب حيث جاء فيها : « تلاحظ جمهرة الكتّاب في لبنان أن الكتاب اللبناني في مصر مغمور ومحاط بالغموض ، ولعلَّ الخطأ في ذلك يرجع إلى نقص في تنظيم النشر أكثر مما يعود الى عدم إقبال القرّاء المصريين» وإن كان قد أشير كذلك إلى أن إقامة هذا المعرض غرض من الأغراض التي عمل القائمون به على العمل في سبيل تحقيق الغاية التي تدعو إليها اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية من تقوية الوشائج الثقافية بين الدول الناطقة بالضاد .

ولقد كانت الفكرة التي خطرت للأستاذ مصطفى عبد الباسط فتح الله صاحب مكتبة الكشاف ومطبعتها في بيروت فكرةً جميلةً أحسن الى الثقافة العربية حين عمل على تنفيذها بإقامة هذا المعرض ، كما أنه كان أجمل من هذه الفكرة وتنفيذها وأروع منهما ، هذه الروح الطيبة التي دفعته إلى العناية بإبراز معظم المطبوعات اللبنانية التي أصدرتها دور نشر أخرى . غير داره هو ، ناظراً في ذلك الى تحقيق الغاية النبيلة التي تقام من أجلها مثل هذه المعارض ، ولم يقصر ذلك على ما ظهر من الكتب في لبنان وحده ، بل تعدّى ذلك الى عرض جميع ما ظهر للكتّاب اللبنانيين أو الذين من أصل لبناني في بلاد أخرى .

وكان الدليل الذي قام بنشره مما تدعو الحاجة إلى إخراجه — ولو أنه في حاجة الى مراجعة كثيرة وإلى إضافات كثيرة ، لعلَّ الظروف تساعده على إعادة نشره على ضوء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما يهتدي إليه وفي مظهر أكثر فائدة للمشتغلين بالثقافة العربية وتأريخها حتى يكون مرجعاً دقيقاً لهم .

على أنه قد بدت لنا بعض أشياء لاحظناها خلال طوافنا بهذا المعرض ، لعلّ في مقدمتها عدم عرض المنشورات الدورية التي تصدر في لبنان من صحافة يومية أو أسبوعية أو شهرية ليتعرّف إليها القارىء المصري الذي لم يستطع الإحاطة بها أو الحصول عليها . كما انه كان من الجدير أن تعرض بعض أعداد مما صدر من صحافة لبنانيـة في مصر او في الأقطار التي هاجر إليها اللبنانيون أو ما ظهر في لبنان في الجيل الماضي أو القريب من عهدنا الحاضر .

وقد يُرَدُّ على ذلك بأن المعرض خاصٌّ بالكتاب اللبناني ، ولكن ليست كلمة الكتاب قاصرة على ذلك ، فكل ما انطوى على ثقافة فهو كتاب .

كما أنه قد بدا شيءٌ من التقصير في عرض كثير من الآثار التي أخرجتها المطابع اللبنانية في أمريكا ، وكان واجباً — وقد استعير بعض هذه المؤلفات من دار الكتب المصرية — أن يكون العرض شاملاً لتلك المؤلفات ولو عن طريق الاستعارة أيضاً .

ولا ينهض عذراً للاستاذ مصطفى فتح الله ما أشار اليه في مقدمة الدليل من أنه لا يدعي أنه حصر « بهذا المعرض وبهذا الدليل جميع الكتب التي ألفها لبنانيون أو التي صدرت عن المطابع اللبنانية ، إذ أن هذا واسع جدًّا ومتنوّع في لغات متعددة ، وغير محصور في الوطن الأم ، بل هو منتشر في أنحاء الدنيا حيث المغتربون اللبنانيون » بدعوى أن هذه محاولة أولى في هذا المضمار . لأنه كان في استطاعته وقد لقيَ من حكومته كل تقدير ومساعدة مادية ومعنوية أن يسعى إلى إتمام هذه المحاولة وإبرازها كاملة .

كما لوحظ أن هناك كتباً عرضت ليس مؤلفوها لبنانيين أو عرف عنهم أنهم من أصل لبناني ، ومن الأمثلة على ذلك كتاب « في الحياة والأدب » للأستاذ سلامه موسى .

على انها بالرغم من هذا كانت فكرة طيبة ، وكانت غاية نبيلة ، وكانت فرصة سعيدة للقارىء المصري ظفر بها في التعرف الى تلك النهضة الفكرية الحديثة التي ظفر بها لبنان الشقيق ، وهي امتداد للنهضة العريقة التي حققها أدباء ذلك الوطن في الجيل الماضي .

حسن كامل الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الربيع

يا جمالَ الربيع، صبحٌ طروبُ وضُحىً ضاحكٌ، وليلٌ لعوبُ

وغصونٌ حنتْ فقلنا ضلوع وطيورٌ حنت فقلنا قلوب

ونسيمٌ مرنَّحُ العِطف، نشوا نُ، ولكن موقَّرٌ محبوب

رقَّ حتى لو صُغتَ منه اعتذاراً لارتضاه منك الحبيب الغضوب

وندًى مترَفٌ ثغور العذارى تدَّعيه لو كان فيه ثقوب

هو دُرٌّ طافٍ على صفحة الرو ض، عطوفٌ على الزهور، وثوب

وورودٌ لم أدرِ هل هي أورا ق وهوك، أم راحة ولغوب؟

حملت شوكها سلاحاً، فهل تنـ ـشب في عالم الزهور حروب؟

وهزار لم أدر هل هو طير يتغنى، أم شاعرٌ مشبوب؟

أم ملاكٌ يستغفر الله للنا س؟. على الناس أجمعين ذنوب

وزهور هي الثغور التي للنحـ ـل في رشفها غرامٌ دءوب

قلتُ للقلب حين هفّت ورفّتْ أنت حرٌّ، تتوب، او لا تتوب

ما لقلبي وما لها؟.. فار حتى كاد من غيرة عليها يذوب

هو، إن قال قد صبوتُ، صدوقٌ وهو، إن قال قد سلوتُ، كذوبُ

شاعر البرارى

هذا الانسان

أحبَّ نفسه حبًّا لو تقصّيت لعثرت عليه حتى وهو في نسكه ، وتعالى فاشتطّ يدعي لها الكرامة على الكون ، ويصطنع العزة تنافس السماء . ولكنك لا تقف منه عند هذا الفصل فهو في فصل آخر يبذل على الشهي من نفسه بذلاً جمًّا ، فيه الكثير من السرف والسدر ، كأنما هي ليست بالكريمة ولا بالعزيزة عليه . وما يعوزك إلاّ القليل من البصر لتشهد الانسان في موقفه الثنائي هذا ، فأنت تراه يعصي حتى المعاني الخلقية وهو يلتمس لنفسه المال والجاه والسلطان جميعاً ، وتراه يجري مع الأهواق أشواطاً إلى ما يذهب منها بالعافية ، ويستنفد الطاقة ، وقد يأتي على الثروة من هذا اللهو المترف النهم أو الخشن الجائع ، وهذه الملذات وتلك يقبل عليها في الخفاء أو في الجلاء ، سامراً عابثاً أو داعراً ضالاً ، وقد يقبل شقيًّا بائساً ، أو يقبل قانطاً منتحراً يصارع الحياة ، فهو في حاليه هاتين مفتون بنفسه شديد الفتون بها ، عدوٌّ لها كثير الجناية عليها ، ولست تجده — على المصباح إلاّ مخلوقاً يجاهد قلبه حيناً ، وحيناً يناقض بعضه ، ولا يغرّنك وجهه ولباسه وكله .

رأيته أمة تنعي على أمة شهوة اتخاذ الغازات والجراثيم اداة عدوان وقهر ، وتقول : «ما هذه الشهوة إلاّ الجناية على الانسانية » ثم لم تلبث هي ان أخذت بالقنبلة الذرية ، تبيد بها المدينة الكبيرة من بعد المدينة الكبيرة ، وتبرّر فعلتها الجانية هذه بما شاءت لها الوقاحة .

ورأيته حكومة وعدت قوماً ديار الآخرين على سعة أرضها وعريض ملكها ، واصطنعت من الكذب على الانسانية ، ومن فتات القوم مبرراً للعدوان .

ورأيته ملكاً لا يعرف إلاّ أن يمد من سلطانه ، وإلاّ أن ينتقص من حرية شعبه ، ومن حقوقه ما وسعه أن يفعل ، وإلاّ أن يمن من بعد على الناس بأنه من أهل الهدى !

ورأيته جماعات وأحزاباً وطبقات وشعوباً وقبائل ، بل ومبادىء تمارس أرق المعاني المثالية ، ومن بين يدي هذه المعاني ومن خلفها وفي ثناياها تروح الأنانة وتجيء ، وقد تضحك فتتقهقه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لك أن تتخيل الانسان فيلسوفاً في ثقافته ، أو تاجراً أو صانعاً أو عاملاً أو اكاراً ، ومن أي وسط وطبقة ولون .

ولك أن تتخيله سلافيًّا أو سكسونيا أو لاتينيًّا أو عربيًّا ، ومن العرق الأصفر أو من الزنج ، فهو في هؤلاء جميعاً مخلوق معقد أشد التعقيد ، ولعله أعظم المخلوقات تعقيداً فيما يبطن ويتلوّن ويتقلب بين الشيء وضده ، فما تراه عنده أو تراه منه ليس - في الغالب - هو ما انطوى عليه أو تحرّك إليه .

فهل طبيعة الانسان المتناقضة الثنائية هذه — في حبه لنفسه وجوره عليها ، وفي تقلبه بين الخير والشر ، وتذبذبه بين الفضيلة والرذيلة — تحمل معنى طفولته العقلية على رغم مئات الألوف من السنين : هذه التي عاشها مذ كان على وجه الأرض ؟ أو هي الشاهد على أن ليس له يد — على الأغلب — فيما يقبل ويدبر ، وفيما ينهج ويصنع ، وإنه إنما يسمى مختاحاً أو مؤتمراً بما يعتمل فيه من رأسه إلى صدره إلى معدته وغدده وأعصابه ، ومستجيباً ان قليلاً وإن كثيراً لضغط ما يلابسه من العوامل والقوى الخارجية على امتداد البيئة والجو والهواء ؟ .

ليس الانسان بدعاً بين المخلوقات في طبيعته الثنائية ، فتلك سنة الخليقة في الوجود ، تقوم على الدفع والجذب ، على الضدين يتفاعلان فيمضيان إلى التشاد والتماسك في كل كائن ، وكل خلية من كائن . ولولا قيام الكون على سنة تعارك الاضداد هذه لفسد النظام وانفرط العقد الجامع بين الكائنات .

وأنت تجد هذه السنة شائعة حتى في دنياك لو فطنت إليها ، فهي محتشدة بالاضداد كالتحليل والتركيب والعرض والطلب والخير والشر والحب والبغض والمساواة والتفاضل والوحدة والتنوع والديمقراطية والارستقراطية وما إلى هذه وتلك من ثنائيات الحياة .

وقد تنظر من نافذة ثانية فتجد أمامك الانسان بما استنبط من القواعد واكتشف من النواميس ، وراد من المجاهل ، وصعد في السماء قد بلغ ذروة تنفي الطفولة عن العقل البشري ، ولكننا نعنت هذا العقل كثيراً ونحن نتوقع له السلطان الكامل على أشواق الانسان ، وربما كان من الخير أن نفرق بين مجاله ومجالات الغرائز الأخرى .

وأحب وأنا أنتقل إلى النقطة الثانية من الموضوع — أن أنطلق من أغلال الرأي القائل بقدرة الانسان على ان يصنع أو ينذر نفسه للخير الخالص وأن أتحرر من أوهام هذه المعاني التي حفلت بها كتب الأخلاق ومعاجم اللغة ، فأنت واجد فيها أسماء لفضائل خلقية ليس لها — ان صدق الرأي — في الدنيا من وجود ، أو ليس لتحقيقها مكان في الطبيعة البشرية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وان كانت جذابة مدوية كالعدالة والعفة والمساواة، وكالقناعة وأشباهها من المعاني المثالية وأنت ان أخذت منها احداها: القناعة مثلاً، وتقصيت كبد الواقع، رأيت الانسان لا ينفك يطلب المزيد من دنياه وان ليس في وسعه -- بحكم تركيبه الفطري — ان لا يفعل، واذ يظهر القناعة أو تظهر هي عليه، فإنما ذلك يكون إما لعجز في القدرة، أو لتقصير في التطاول، وأكبر الظن في الإنسان الذي يرى قانعاً أن يكون مأخوذاً بسلطان هوى اشد امتلاكاً له، وأكثر تحكماً في مراده من غريزة الطمع. وقد يتبدّل الإنسان بالقناعة، وهو يتخذ منها قناعاً.

وبعد فما الذي يصنع الإنسان، أو ما الذي له يد فيما يصنع الانسان؟ وأنا إنما أتساءل عن المكونات الأصلية لخلقه ومشاعره فيما ينطلق ويتجه ويتكيف، وأحب أن أتخطى دواعي الحركة كالهم والألم والجوع وطلب اللذة وارضاء الكبرياء فما هذه إلا الآثار لأشياء هي التي نريدها بالبحث، وتلك مقوّمات الهيكل البشري، أو عماد تكوينه وأدوات اضطرابه وتقلبه في الحياة.

وانت تعلم أن الإنسان في بنيته مؤلف من عناصر المادة، فهي ملاكه على اليقين العلمي وتعلم أنه يتساوى في هذا الخلق ويشترك هو والحيوان والنبات والجماد جميعاً، وليس يمتاز إلا من حيث ارتقاء التركيب والتأليف، وإبداع الخالق تعالى في خلقه. فنحن إذن من الإنسان أمام مزيج من عناصر المادّة المتفاعلة، كما نحن من سائر الكائنات على السواء. ودع أمر الإنسان فيما يمت إلى الروح أو إلى أثرها فيما يسعى، فالعلم ما زال منها أمام باب مغلق وسر مبهم، ولست أريد فيما أبحث أن أستسلم إلى الأحاسيس الغامضة فأرجم بالظنون.

هذه مضارعة، أو هي على الأصح مقارنة نريد منها أن نخلص إلى القول بأن الإنسان إنما يصنعه حظه من الخلق فهو كائن على قدر الابداع في تركيبه من عناصر المادّة، واعتمال هذه العناصر في بدنه، وقدرتها على الإمتصاص من الخارج، وأنّ طبيعة الخلق هذه في الإنسان لا تيسره للخير الخالص، ولا للشر الخالص، فهو يتذبذب بين هذين وإنما الطبيعة على قدر غلبة الجوانب الخيرة فيه على جوانب الشر، وأن ما يفعل في سائر الكائنات يفعل في الكائن البشري لا محالة.

ولعلّ الخير في أن تأخذ من الجمادات مثالاً، فأنت في تحريكك لحجر من مكان إلى آخر، إنما تعتمد، بالإضافة إلى قدرتك الشخصية، على أشياء بعضها يتصل بالحجر ذاته، وبعضها بالخارج، مثل حجمه وشكله الهندسي وثقله، أو تماسك ذرات بنائه وتراصها، ومثل مكانه من مركز الجاذبية، ومدى تعرضه إلى الانحدار أو الارتفاع أو الانبساط، ثم الهواء الذي يـ ف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المترقرق ، أو الشديد العاصف ، كل أولئك عوامل ذاتية وخارجية تشترك معك في تحريك الجماد .

كذلك الشجرة فهي إنما تمتد في الفضاء فروعاً ، وتخترق الأرض جذوراً على قدر ما في طبيعتها من سعة للامتداد والاختراق . وقدر ما تمتصه في جوّها من الضوء والحرارة ، وفي تربتها من الرطوبة والمواد الصالحة لها ، وهي تختلج متأثرة بالهواء يختلف رفقاً وعتوّا ، ويتحوّل إلى الشمال أو الجنوب ، الى الشرق أو الغرب . ولعلك واجد في اختلاف الشجر والنبات علوّا وضخامة ، ثمراً ولوناً ، واختلاف استجابتها للعوامل الخارجية تعليلاً يمدك بالفطنة الى أن أسباب الحركة والنمو والتطوّر لا تنحصر في الكائن ذاته ، بل لا بدّ من يد تمتد إليه من الخارج . فهل هذا شيء يمت الى وحدة الوجود ؟ .

والإنسان لا يشذ عن هذه السنة فهو عبدٌ لنفسه لفطرته ، لهذه الأجهزة في إهابه ، وعبدٌ كذلك لعوامل البيئة والجو ، وبتعبير آخر : إنّ الانسان ينفعل بهذا التعامل المعقد بين الخلايا في جثمانه كما ينفعل بطبيعة الجو فيما يلابسه من الأشعة والحرارة والبرودة ، وكما ينفعل بطبيعة البيئة فيما يرى ويسمع ويقرأ ويمارس ، حتى وفيما ينال من حبٍّ وعطف وحنان ، أو يجد من خشونة وقسوة وظلم . ودع نوع الغذاء ولون الحياة ، فأمر هذين في خلق العافية وتكوين الشخصية بيّن معروف .

هاك التنفس مثالاً ، فأنت به تحيا على شيء يبلغك من الخارج ، فيقبل جهازك منه ما يقبل ويلفظ ما يلفظ ، يقبل ما خلق واتسع لقبوله ، ويلفظ ما عداه ويمجه . وإذن فان انفعال الإنسان بما في الجو والمحيط إنما هو على قدر ما تسمح به طبيعته الذاتية ، ولعلّ هذا يعلل اختلاف الناس في مدى الإنفعال بالمؤثرات الخارجية ، ومدى قربهم من الخير أو الشر ، وقد يعلل كذلك تفاوت الفطرة البشرية ، فهي على أنماط منها ما يغلب الشر عليه فيمج ممّا حذو طائفة من النبات والحيوان ، ومنها ما يقطر شهداً حذو أخرى من هذا وذاك .

وإذ كان هذا مكان الإنسان من نفسه ومن الطبيعة كان منفعلاً على الغالب وليس بفاعل فيما يأتي ، أو في معظم ما يأتي على الأقل ، وهو من أجل هذا المكان جديرٌ بالمعالجة الرحيمة أكثر مما هو جدير بالتثريب والزجر والقصاص ، بل هو بهذا الحظ تعسٌ حتى يأتي دنياه على ألم ، ويفارقها على آلام ، ويعيش بين البداية والنهاية يجاهد من نفسه مراداً يطلب في الحياة كل شيء ، ولا يرضيه شيء .

أنظر إليه فيما يعاني من طبيعته ، فقد يغضب ولا يملك أن يخمد ثائرته ، ويأرق ولا يملك أن ينام ، ويريد أن يعف ولا يملك أن يفعل ، ويحسد ولا يملك لقلبه نصحاً ، ويطمع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا يملك لطمعه ردعاً . وقد يدمن الخمر أو يدمن الميسر ولا يملك أن يكف على ما يعلم من ضرر ما هو ماض عليه ، وقد يكرثه أمر فيأخذ يفكر فيه ثم يمل ، أو يتغشاه الاجهاد ، فيريد أن ينقطع ولا يملك لتفكيره وقفاً ، ويظل عقله يعمل ، وأعصابه تختلج على رغمه ، وهو يعلم أن شر ما في الدنيا هو القتل ويقتل حتى نفسه . وشر ما في العيش هذه المحرّمات ويأتيها ، وإن اتخذ من الظلمات أستاراً ، أو من التلفيق أعذاراً لما يأثم . وهذا من عجاب أمر الانسان ، تركبه نفسه فيقترف الإثم ، فتنقلب عليه ، وتتنكر له ، فيروح يلتمس لها الرضا بالمنطق يصطنعه اصطناعاً . أو بالمبررات الواهيـة يختلقها اختلاقاً ، فهل هذه الذبذبة وهذا العجز يفسران مكان الانسان من طبيعته البشرية ؟

« غضب هشام على رجل من الأشراف فشتمه ، فوبخه الرجل فقال : « أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في أرضه ؟ » فأطرق هشام واستحيا وقال : « اقتص » فقال : « إذن سفيه مثلكَ » فقال : « خذ من ذلك عوضاً المال » قال : « ما كنت لأفعل » قال : « فهبها لله » قال : « هي لله ، ثم لك » فنكس هشام رأسه وقال : « والله لا أعود لمثلها أبداً » .

ثارت نفس هشام على الرجل من فعل أتاه أو من مظهر تبدّى به ، فدفعته الى شتم صاحبه ، ولما ذكر بما لا يجمل بالخليفة أن يفعل ، راحت نفسه تلح عليه بالتأنيب وتدفعه الى استرضاء الرجل . ويلوح لي أن الشارع كان بصيراً حقـًا حين نفذ الى معنى ثورة النفس فقال بعدم صحة الطلاق في حال الغضب .

* * *

لست في سبيل ان أصوّر الانسان مجرداً من الأداة ، عاطلا من الادراك ، فأجعله براء مما ينحرف ويأثم وأن أسقط عنه التبعات جميعاً ، فما لهذا أقصد ، فهو يمتاز ولا ريب بقدرته الاختزان العقلي ، وعلى ربط ما بين المعاني والصور ، وعلى التوليد والاستنباط وله من غرائزه الخيرة بعض العون على المناضلة ، أمام نزعات الشر وعوامل الفساد ، وما أريد الاّ الجهر في القول بأن الاصلاح الحق إن أريد للناس لا يغني فتيلاً حين لا يبنى على تقدير ما للطبيعة البشرية من سلطان قاهر على الانسان ، وبتعبير آخر : حين لا يرتكز على مدى طاقة الانسان على النضال أمام غرائزه الفطرية ، ومدى ما في تحسين العوامل الخارجية من عون على الصلاح الانساني ، فماذا عسى أن يردع الجائع المحروم حين تطول يده ، وان حرمت عليه السرقة ، ووضعت لها العقوبات ولو شددت ، وكيف يمكن أن يتيسر الصلاح في عالمنا الأرضي هذا وأمة من الناس تبيد ماليون من البطاطا لمجرد الابقاء على الأسعار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الراهنة ، وأمم كثيرة في أماكن شتى من الأرض تنام على الطوى ، وتعيش على الشظف والعري وتعاني ضغينة التفاضل وآلام الحرمان مما هو عسير الآخرين ؟

مذ كان الانسان وهو ينشد الصلاح لنفسه ولقد حسبه في التكتل والتجمع ، فتكتل وتجمع ، وفي الدين فتدين ، وفي العلم فنقب وبحث وتفلسف ، وفي الأخلاق فصنف الكتب وأكثر من النصح والارشاد ، وفي القوانين والأنظمة فوضع منها الأفانين الكثيرة ، ولكنه لم يبلغ ما أراد ولم يصنع الآ هذه البراعة فيما يخادع الناس بعضهم .

ومنذ عهد قريب شاعت فكرة الضمان الاجتماعي فأخذت بها بعض الأمم القادرة ، ولكنها لا تعدو العلاج الموضعي ، وهي ليست بمغنية شيئاً في حل مشكلة الانسان العالمية ، فما ارتفاع منزلة الفرد أو الجماعة في شعب دون آخر الا السبب يزيد من شقة التفاضل بين الشعوب ويثير حس الكبرياء ، ويقوي العصبيات القومية وان وجدت أمة لها القدرة على الأخذ بهذا العلاج ، فانك لا تجد تلك القدرة في أمم أخرى ، وفي وسعك ان تحكم بأن وسائله غير متيسرة عند أكثر الشعوب .

وها هو ذا الانسان اليوم في مرحلة الأمم المتحدة ، ولكن صوت الأنانية القومية لا يزال مدوياً بالأسماء والأسباب الباطلة ، فالنزاع على السبق في الارتفاق ، وعلى مد السلطان وعلى القنبلة الذرية ، ما انفك قائماً على أشده ، وسيظل قائماً إلى أن تقوم حرب عالمية ثالثة تأتي على الأخضر واليابس ، ولعلها تقسر الانسان على التماس دولة واحدة تنهض بالضمان البشري ، وتعالج الناس معالجة نفسانية صحية أكثر منها زجراً بالعقوبات ، أو تشويقاً بخيال المدينة الفاضلة ، وتكفل الحاجات البشرية بنظام واحد للاقتصاد وللنقد ، كما هو واحد للصناعة والزراعة والصحة ونحوها وتساوي بين البشر في ظروف الأخذ بالوسائل الثقافية ، وتقضي على الجوع والعري والجهل ، وتنفي العصبيات القومية مكان الادواء جميعاً إلى حيث يعلم الناس في أقطار الأرض إنهم بشر وليسوا شعوباً وقبائل تمايز وتتفاضل بالعرق والأرومة ، وحيث لا تباد المواد الغذائية في مكان وفي الآخر من الدنيا شعب محروم ، ثم إلى حيث تنسجم الاعمال البشرية في وحدة تتحرك وتتجه لخير أهل الأرض .

* * *

فهل تبلغ الانسانية هذه الذروة فيفلح الانسان ؟ إني لكثير الشك ، وإن كنت أرجو لهذا الحلم أن يتحقق .

عمان — شرق الاردن

شكري شعشاعة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقفة على قبر أخي

بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة المرحوم هيثم

يهيب بأضلعي للشو ... ق حادٍ يورث الأرقا
فأعدو عدو مذعورٍ ... رأى ما أوجب القلقا
وصدر الأفق ملتهبٌ ... يمج النار والعلقا
إذا ماج الهجير ضحى ... تلوّى الغصن واصطفقا
ورفّتْ مقلة الأزها ... ر مما أبصرت فرقا
كمين مدلهٍ دنفٍ ... يعاني الوجد والحرقا
أو السكران حين هوى ... وأسلم للكرى الحدقا
فأسرعُ مطبقاً جفني ... على مضض إلى قبركْ

* * *

أتيت وللضحى شعلٌ ... على الغبراء تلتهبُ
أجر على وجيً قدمي ... كشيخٍ شفه الوصب
اذا الإعياء أقعدني ... وفتْ بساعدي النصب
دعاني في الفؤاد اليـ ... ـك شوقٌ حلوه العطب
فأغدو والهجير يمو ... ج جيّاشاً ويصطخب
وللأغصان إطراق الـ ... ـحزين أمضه النّكبُ
ووجه الأرض مربدٌّ ... على قسماته الغضب
كأن الكون شاركني ... بما قاسيت من هجركْ

* * *

بسطت وأدمعي تهمي ... اليك ذراع ملتاعِ
كما بسط الغريق يداً ... وقد أهوى الى القاعِ
إذا لمعت له خلف الدُّ ... جى ومضات أطماع

وأشرق للدنى فجرٌ جـــديد غير خدّاع
أطلَّ الموت في صور مروعة وأوضـــاع
أحال اليأس آمال الـ فتى همهقات أوجاع
ولم يدع الأسى صبراً بأكباد وأضـــلاع
كأني ذلك الملتـا ع إذ فكرت في أمرك

* * *

بثثتك نار ما أخفي ولم أكتمك أشجاني
فهـل عن فائتٍ خبر يهدهد غرب أحزاني
دعوتك والظلال عليـ ـك أرخت فضل أردان
والأزهار من عبث الصـــبا تهويم سكران
تقلب مقـلة يقظى وتنكس جيد وسنان
دعوتك والأسى ملء الـــضلوع شواظ نيران
فما لبّيتني لـمّـا أبحتك سرّ أجفـاني
أتبخل بالجواب وما عهدت البخل في نجرك

* * *

أخي أسمعت من نادا ك خلف صفائح الحجر
وعظتَ وما فغرت فـماً وجئت بمعجز السور
وحركت القلوب أسىً وراء غياهب الحفرِ
فـكم في صمتك المرهو ب للملهوف من عبرِ
أثرت الداء في كبدي جحيماً ماج بالشرر
وأجريت الأسى دمعاً بعينيَ غير منحسر
وهذا كل ما أبقت ليَ الأيام من خطر
إذا عصفتْ بيَ البلوى وجدت الأمن في ذكرك

دمشق عدنان مردم بك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النظارات

(المدسات) اللاصقة

أو النظارات (المدسات) غير المرئية

نظراً لشيوع استعمال النظارات (المدسات) غير المرئيـة في أمريكا وأوربا ، ولعـدم شيوع استعمالها في بلادنا ، أستميحكم عذراً أن أحدثكم اليوم عنها .

العين جهاز كاسر ، قدرته الإنكسارية (٦٢) كسيرة Dioptrie ومعظم هـذه القدرة الـكاسرة ، يعود الى القرنية التي قدرتها الـكاسرة (٤٥) كسيرة ، وما يتبقـى يعود الى البلورة (Cristallin) والتي قدرتها الـكاسرة (١٧) كسيرة (وحقيقة الأمر أن قدرة العين الـكاسرة أقل بقليل مما ذكر لوجود مسافة بين القرنيـة والبلورة ، وتسهيلاً للبحث اعتبرناها إثنين وستين كسيرة) .

نرى أن معظم قدرة العين الـكاسرة يعود الى القرنية الموجودة بين وسطين قرنيـة انكسارها متباينـة : أولها الهواء ، وقرنية انكساره (واحـد) وثانيهما الخلط المائي Humeur aqueuse وقرنية انكساره تتراوح بين (١ر٣٣ و١ر٣٤) ودون ارتكاب خطأ فادح يمكن اعتبار قرنية انكسار الخلط المائي معادلة الى قرنية انكسار القرنية الذي هو (١ر٣٢) وهذا يساعدنا على اعتبار وجه القرنية الأمامي وسطاً كاسراً لهذه المجموعة ، وبما أنه محدب فإن قدرته الـكاسرة متناسبة عكساً مع نصف قطر انحنائه، أي كلما صغر نصف قطر انحنائه، زادت قدرته الـكاسرة .

ومن المعلوم أن الأشعة الضيائيـة المتوازية الصادرة عن الأجسام الخارجية والواردة الى العين تنكسر بأوساط العين الـكاسرة ، ويتشكل خيال الأجسام الخارجية على الشبكية إن كانت العين سديدة البصر Emmétrope وإذا كانت القرنية كثيرة الإنحناء أو قليلته ، أو كان انحناؤها غير منتظم ، كانت العين محسورة البصر Miope أو مديدة البصر Hypérmetrope أو مصابة بحرج البصر . Astigmatisme ، ولجعلها سديدة البصر، يكفي إذن تبـديل قرنيتها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بقرنيـة ذات انحناء طبيعي (أي نصف قطر انحنائها سبعة وأربعة وثمانون عشر المليمتر ٧٫٨٤ مليمترات)

هذا إذا كان قوة البصر (Amétropie) ناجماً عن القرنية، أما إذا نجم عن البلورة، فيصحح بتبديل القرنيـة الطبيعية بقرنية أخرى ذات انحناء قليل أو كثير حسب المقتضي، وهكذا تصبح هذه العين حديدة البصر .

وإذا نجمت هذه القوة في البصر عن زيادة أو نقص في طول محور العين الأمامي الخلفي، صحح أيضاً بإبدال القرنية الطبيعية بقرنية أخرى موافقة الانحناء .

فتبديل قرنيـة بأخرى هو الدستور الذي بنيت عليه صناعة النظارات (العدسات) غير المرئية . ولما كان من المسلم به عدم إمكان إبدال قرنية بأخرى أستعيض عن ذلك بإبطال عمل القرنيـة البصري وجعلها كأن لم تكن ، والاستعاضة عن قدرتها الـكاسرة (بنظارة عدسة) تكون القسم الأمامي لوعاء يحوي مائعاً . وأول من فـكر في ذلك هو العالم (توماس يونغ Thomas Young) وذلك سنة واحد وثمانمائة بعد الألف .

ولا أرى مناسباً ذكر المراحل التاريخية التي مرت بها النظارات (العدسات) اللاصقة، بل منّا تنقل بكم الى النتائج العملية التي توصل إليها العلماء من ألمان وفرنسيين وإنجلو ساكسون إذ اشترطوا للوصول الى هذه الغاية تحقيق ما يلي :

١ — وضع مادّة عجينية شفافة أمام قرنية العين على أن تكون قرنية انكسارها معادلة لقرنيـة انكسار القرنيـة والخلط المائع، وأن يكون هنالك تماس تام بينها وبين القرنية ، وهكذا تبطل قدرة القرنية البصرية الـكاسرة ، ويصبح انكسار الأشعة الضيائية الواردة حذاء الوجه الأمامي لتلك الصفيحة المشكلة من المادة العجينية .

٢ — جعل الوجه الأمامي لهذه الصفيحة بشكل كروي ذي انحناء مناسب ، اذ سيكون هذا الوجه قرنية جديدة تقوم مقام قرنية العين ، ولما كان متعذراً تحقيق ذلك الأمر بمادة عجينية ، أستعيض عنهـا بمائع يوضع أمام العين ويضبط بقشرة زجاجية أطلق عليهـا اسم النظارة (العدسية) غير المرئية . وينطبق المائع تماماً على القرنية ويزاوج أقل عدم انتظام منها وهكذا يبطل عمل القرنية البصري بأن تقوم مقامها القشرة الزجاجية الـكروية الشكل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على أن يعطى لها الانحناء المناسب بغية تصحيح قوة بصر العين .

فالنظارة (العدسة) اللاصقة إذن عبارة عن كؤيس يضبط المائع الموضوع أمام العين ، وهي مصنوعة من زجاج شفاف بشكل نظارة (عدسة) وجهها الأمامي محدب والخلفي مقعر مكونة من قسمين : مركزي ومحيطي . ويسمى المركزي : القسم القرني ويسميه الألمان Optik ويسمى المحيطي القسم الصلبي ويسميه الألمان Happtik ووظيفة هـذا القسم المحيطي ضبط واطباق القسم المركزي بصورة محكمة وصحيحة على العين .

توضع هـذه النظارات (العدسات) بين العين والأجفان ، قسمها القرني يقابل القرنية ومفروق عنها بمسافة ضيقة جـدًّا مملوءة بالمائع (وهو المصل الفريزي أو محلول ثاني فحمات الصودا بنسبة ٢ ٪) وقسمها المحيطي يقابل الصلبة وينطبق عليها تماماً ، وقديماً كان يعمل هذا القسم بلون يحاكي لون الصلبـة وعليه ارتسامات أوعيتها ولـكن في يومنا هـذا تصنع النظارة (العدسة) بقسميها من زجاج شفاف وأحياناً يكون قسمها القرني بلون أزرق فاتح اتقاء أشعة الشمس شأنها شأن النظارات (العدسات) الملونة .

تنطبق هذه النظارة (العدسة) على العين بالخاصَّـة الشعرية (Force capillaire) وبالضغط النسيمي ويجب أن تـكون محكمة الاطباق والسد وإلاَّ سال المائع وقامت مقامه فقاقيع هوائية تخل الرؤية وتزيد في قوة البصر .

فاذا كان وجها هـذه النظارة (العدسة) متوازيين يصحح حرج البصر سواء كان منتظماً أو غير منتظم بواسطة المائع المحصور بينها وبين القرنية . أما اذا كان هناك قوة بصر كروي عدا حرج البصر ، صحح باعطاء انحناء مناسب لوجه النظارة (العدسة) الأمامي وهكذا يمكن تصحيح سوء انكسار العين بتمامه .

الأساليب العملية

في تطبيق النظارات (العدسات) اللاصقة

لانطباق النظارات (العدسات) اللاصقة على العين لا بدَّ من قيـاس قسميها الصلبي وقسميها القرني كل على حدة :

١ — قياس قسم النظارة (العدسة) الصلبي : يوجد مادة مجموعة نظارات (عدسات)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مرتبة بحسب سمة قسمها الصلبي بالأرقام ١١ ، ٢٥ر ١١ ، ٥ ر ١١ ، ٧٥ر ١١ ، ١٢ حتى ١٤ ونصف قطر انحناء القسم القرني لكل منهـا ٧ ملم ، ولتطبيق إحدى هـذه النظارات (العدسات) على العين ، يقطر في العين قطرتان من محلول الكوكائين بنسبة ٢ ٪ لتخديرها وبعد تطهير النظارة (العدسة) تمسك بيد الطبيب من وجهها المحدب بواسطة قطعة من المطاط على هيئة المحجم ووجهها المقعر ناظر إلى الأعلى ويملأ هذا الوجه بالمصل الفريزي ثم يطلب إلى الشخص أن يحني رأسه قليلاً إلى الأمام وأن يوجه نظره إلى الأعلا وبعـد أن يرفع الطبيب الجفن العلوي يطبق النظارة (العدسة) بخفة على العين مع المحافظة على المائع ثم يرخي الجفن العلوي فوق النظارة (العدسة) ويطلب إلى الشخص أن ينظر إلى الأسفل ، وبعد أن يتم تطبيق النظارة (العدسة) كما ذكر يرفع محجم المطاط ، فتتثبت النظارة (العدسة) بواسطة الأجفان . ويجب كما قلنا أن لا تكون هناك فقاقيع هوائية بين النظارة (العدسة) والقرنية ، وإذا وجدت تخرج باجراء ضغط خفيف بواسطة مرود زجاجي على الصلبة حذاء محيط النظارة (العدسة) مع تقطير قطرات متوالية من المائع وهكذا تخرج الفقاقيع الهوائية ويحل محلها المائع . ويجب أن تكون النظارة (العدسة) منطبقة على العين بسطحهـا المقعر الصلبي لا بحافاتها وان لا يمس وجهها المركزي القرنية ولا الام limbe تترك هـذه النظارة (العدسة) مدة ٥ — ١٠ — ٣٠ دقيقة لمعرفة درجة تطابقهـا على العين مع ملاحظة الأمور التالية .

ا — أن لا تكون النظارة (العدسة) صغيرة ويعرف ذلك بضغطها على أوعية الملتحمة البصلية واحداثهـا فقر دم ولو جزئي ، وان لا تكون كبيرة ويعرف ذلك بتحركهـا بحركة الأجفان وتبديل مكانها بحركة المقلة .

ب — أن يتحملها الشخص بسهولة ولا ينزعج من وجودها فعدم تحمله لها إما أن يكون آنياً ويتظاهر باختلالات مروية (Subjéctif) وأخرى مرئية (objéctif.) فالمروية هي خلل في الرؤية كرؤية قوس قزح كما لو كان المريض مصاباً بالزرق (Glaucome) . أما الاختلالات المرئية فهي ضيق وعاء أو عدة أوعية سطحية أو احتقان حول الام (Limbe) أو أن يكون عدم التحمل متأخراً بعـد عدة شهور مثلاً ، إذ ينزعج الشخص من وجودها ولا يمكن معرفة

سبب ذلك ولكن يكتفي بابدال النظارة (العدسة) بأخرى ؟ وهكذا تعرف موافقة القسم المحيطي من النظارة (العدسة) لصلبة العين ويدوّن رقم تلك النظارة (العدسة) ليرجع إليه عند تحرير الوصفة .

٢ — قياس قسم النظارة (العدسة) القرني : هنا يوجد أسلوبان :

الأسلوب الأول . بعد إتمام قياس القسم الصلبي ، تبقى هذه النظارة (العدسة) أمام العين وبذلك نكون قد أبطلنا عمل القرنية البصري وحذف كل حرج في بصرها ، وأصبحت العين ترى بتلك النظارة (العدسة) اللاصقة ، وبعد ذلك تعين قدرة العين البصرية على لوح الحروف ويصحح سوء انكسارها الكروي (حسور البصر أو مده) بإمرار نظارات (عدسات) كروية (محدبة أو مقعرة) بالتتابع والتسلسل حتى تصبح الرؤية طبيعية بإحدى هذه النظارات (العدسات) ثم تقاس المسافة الواقعة بين ذروة النظارة (العدسة) اللاصقة والنظارة (العدسة) المصححة بآلة خاصّة .

مثال ذلك : عين طبقت لها النظارة (العدسة) اللاصقة التي قيمتها بالنسبة الى القسم المحيطي (١١٫٥) ثم صحح سوء انكسارها بنظارة (عدسة) مقعرة (— ٦) وكانت المسافة بين ذروة النظارة (العدسة) اللاصقة ومركز النظارة (العدسة) المصححة (١٢) ملم تحرر الوصفة على الشكل الآتي :

O. D. 11,5 / 7 , Meitez — 6
D. P = 12 Mm

وترسل هذه الوصفة الى المعمل المختص لصنع نظارة (عدسة) لاصقة حسب هذه المعلومات والمقاييس .

الأسلوب الثاني : يعين أولاً سوء انكسار العين بالطريقة المعروفة والمبنية على سير ظل الحدقة والمعروفة تحت اسم (Skiascopie أو Pupiloscopie) ثم تفحص العين بمقياس العين Javal ويعين بواسطته نصف قطر انحناء القرنية مع معرفة ما يقابله من درجة القدرة الكاسرة لتلك القرنية ، ثم يطرح منها كسيرات حسور بصر تلك العين أو يزاد عدد كسيرات مد بصرها .

مثال ذلك : عين مصابة بحسور بصر قدره (١٠) كسيرات ونصف قطر انحناء قرنيتها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٧) ملم يقابله (٤٢ر٤٧) كسيرة لقدرة الإنكسار ، فلتصحيح حسور بصر تلك العين ، يجب تنقيص انحناء قرنيتها لنصف قطر انحناء يقابل (٤٢ر٣٧) كسيرة. وبعبارة أخرى إذا طرحنا (١٠) كسيرات من (٤٢ر٤٧) يبقى لدينا (٤٢ر٣٧) فاذا نظرنا الى هذا الرقم على قوس جهاز (Javal) وجدنا أنه يقابل رقم ٩ر٨ أي يجب أن يوضع لهذه العين قرنية نظارة (عدسة) نصف قطر انحنائهـا (٩ر٨) وهكذا يصحح سوء انكسار تلك العين وتحرر الوصفة كما يلي :

O. D. = 11, 5 / 8 , 9

أما اذا كانت العين مديدة البصر بقدر (٥) كسيرات فيضاف هذا العدد الى (٤٢ر٤٧) وينظر الى ما يقابل (٤٢ر٥٢) على جهاز Javal فيكون (٣ر٦) ثم تحرر الوصفة بحسبه . وهنالك أسلوب آخر لأخذ قياس صلبة العين بواسطة القالب ، وذلك بعد تعيين سوء انكسار هذه العين ثم يرسل هذا القالب مع رقم سوء الإنكسار الى المعمل الذي يصنع بدوره هذه النظارة (العدسة) اللاصقة حسب القالب ورقم سوء الإنكسار

وختاماً لابدّ لي من ذكر الاستطبابات الهامة للنظارات (العدسات) اللامرئية ، وذكر أفضلياتها .

توصف النظارات (العدسات) اللاصقة للمصابين بحرج البصر غير المنتظم Astigmatisme irrégulier وغير قابل التصحيح، وهـذا ما نصادفه كثيراً مع الأسف في بلادنا من جراء كثرة حدوث قروح القرنية، كما توصف للمصابين بمخروط القرنية Kératocône الذي لا يصحح بالنظارات (العدسات) العادية .

أما أفضلية استعمال تلك النظارات (العدسات) فهي حلولهـا محل النظـارات التي تشوه منظر الوجه لذلك شاع استعمالها عند الممثلات والممثلين وعند المتأنقات كما استعملها الطيارون بغية التخلص من إزعاج النظارات .

ومن حسنات هـذه النظارات (العدسات) غير المرئية ، المحافظة على ساحة بصرية طبيعية التي يشوشها إطار النظارات ، وعدم تشكل بخار الماء عليها لأن حرارتها تعادل حرارة الجسم ، ذلك البخار الذي يتراكم على زجاج النظارات في الأيام الباردة .

دمشق دكتور ممدوح الصباغ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الماضي الخالد

بالله ياليلُ هل واسيت أشجاني !! وهل رثيت لآلامي وأحزاني !
أثرتَ في القلب ذكرى كاد يدفنها وهجتَ جُرحاً بليغاً كاد ينساني
قد كان لي في الهوى إلفٌ يؤانسني وكنت بالروح أرعاه ويرعاني
وكان ملء حياتي بهجةً وسناً وكان سلوة قلبي المرهق العاني
كم ضمنا في الليالي مجلسٌ عطرٌ يزهو بكل بديع الحسن فتان
في جنة الحب ترعانا خمائلها وأين من سحرها فردوس رضوان !
تنساب أرواحنا في الجو هائمةً في قدسها فوق هذا العالم الفاني
دنيا من الطهر لم تُنقل بها قدم وعالم لم يُتح قبلاً لانسان
لا تسمع الأذن في مسراه لاغيةً ولا تحسُّ سوى هدو وألحان
ترفُّ من حولنا للحب أجنحةً بيضٌ ويسمو بنا منها جناحان

* * *

عصر الهوى قد مضى في عز بهجته وكأسه نزعت من كفِّ ظمآن
أيامه الغيد ولّت في نضارتها ولم تخلِّف سوى وجدي وحرماني
أحيا غريباً وأبياتي تجاورني مشرّد الروح في أهلي وأوطاني
كم ليلة بتُّ لا تنجاب ظلمتها أطوي فؤادي على همي وكتماني
أساهر النجم لا خلٌّ يؤانسني سوى دموعي وأشواقي وتحناني
يلوح لي طيفه يسعى بلا قدم كالحلم يسبح في أجفان وسنان
هيهات أن تمّحي ذكراه من خلدي أو من فؤاديَ أو حسّي ووجداني
يفنى فؤادي وتفنى كل جارحةٍ مني ولكن حبي ليس بالفاني
وكلما جنَّ ليلي رحت أسأله بالله يا ليل هل واسيت أشجاني !!

كلية العلوم
عفيفي محمود عفيفي

قصة تاريخية

الشيطان – الملاك !!

حدَّث محمد بن جعفر الزيدي عن عروة بن الزبير قال :

كان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، فاتكاً لا تؤمن بوائقه ، غضوباً لاتوافه ، لم يعرف بحلم ساعة ، يطلب ما يشتهي ، لا يحول بينه وبين شهواته أي حائل من نبل أو كرم أو شفقة أو إنسانية ، فان استعصى عليه مطلب اقتنصه بحد السيف مجابهاً أو غادراً أو خائناً . فلما أكرم الله الانسانية فأرسل إليها محمد بن عبد الله هادياً ومبشراً ونذيراً اندفع عمير بن وهب يؤذي الرسول ، وينكل بالمؤمنين ، وتفنن في ضروب الأذى وأساليب التنكيل ، ولقي المسلمون منه كل عناء ، ولحقهم من شروره مختلف أنواع الإيذاء ، وكان له ابن لا يقل عنه شرًّا هو وهب بن عمير . وقد اشترك هو وأبوه في حرب المسلمين يوم بدر ، أما عمير فأفلت من القتل والأسر ، وأما وهب فقد وقع أسيراً في يد رفاعة بن رافع !

* * *

قال عروة : مضت أيام وأيام على يوم بدر ، وأعلام قريش في مكة أو من بقي من أعلامها بعد بدر ، مطأطأة رؤوسهم ، مقوّسة ظهورهم من ثقل ما حملوا يوم بدر من عار ، وهول ما فقدوا من أبطالهم ورجالاتهم ، فلما استبدَّ بقلوبهم الغيظ حتى كادت تتمزق ، وألحّ الحقد عليهم حتى أكل نفوسهم ، كانوا يخرجون زرافات ووحداناً إلى بطحاء مكة يلتمسون السلوة من الآلام ، أو يتذكرون تلك الآلام ، ويبحثون عما يغسل عنهم عار بدر .

وفي صبيحة يوم خرج عمير بن وهب شارد الفكر ، مسلوب الفؤاد فاذا به يجد صفوان ابن أمية جالساً في (الحجر) مطرق الرأس ساهماً ، يفكر في أبيه الذي صرعه المسلمون يوم بدر ، وما عساه يفعل لإدراك ثأر أبيه ، وبينما هو كذلك إذا به يسمع صوتاً يناديه : عِم صباحاً يا ابن أمية ، ما جاء بك إلى الحجر في البكور يا صفوان ؟ قال صفوان : بالله لا تناديني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منذ الساعة بابن أميّة ، فلست جديراً باسم أبي حتى أدرك ثأره ، إنما ياعمير قد أمسينا وأصبحنا فاذا بنا كالبهم السائبة لا راعي لها ولا مرشد، فهذا مشرّق وذاك مغرّب ، ولقد ترى الصديقين يتلاقيان في طريق واحد فما يرى أحدهما صاحبه من هول ما يحتمل في نفسه من خزي بدر ، وما جرّه علينا مطلعه المشئوم من فقدان الأحبة البهاليل ! !

قال عمير مبتسماً : ممن تأخذ ثأرك ياصفوان ، أمن محمد أم من أصحابه ؟! فيتململ صفوان ويضطرب ويقول : والله ياعمير لقد رأيت يوم بدر أناساً كالناس ، يضربون ويقتلون فإذا أهويت على أحدهم بسيفي زاغ في الناس فما أبصر غير سيفي في عنق أخي أو عمي أو ابن عمي. ولقد كان يستدبرني أحدهم يقاتل قومنا حتى إذا أمكنت منه وعلاه السيف رأيت الرجل من ورائي والسيف في ظهر أحد أبناء العشيرة ، فإن كان يا عمير هذا شأن واترِيَّ فما عساي أفعل بهم ، وكيف أدرك ثأري ؟

قال عمير وقد بدت على وجهه علائم الاستهزاء بصفوان : أجل يا صفوان بن أمية ، لا يزال الرعب يأكل كبدك مذ لاقيت محمداً وأصحابه يوم بدر ! أي خير ترجوه في العيش بعد أن نحر صابئة محمد غطاريف قومك نحر الجزور ، وبعد أن خلفت عندهم من بقي لنا من الأعلام الصناديد ؟ قال صفوان : والله مَا في العيش بعدهم خير ، ولست أرى بعدهم إلاّ همّا ملفوفاً بهم ، وحياة مجللة بعار ، وقروماً يرسفون في الذُّل عند أعدائنا الأشرار ! ياعمير هل من مخلص ينجيني من همٍّ أعانيه ، وعار يلاحقني ؟ : قال عمير : وقد لمعت بالشر عيناه ، وانقلبت سحنته : صدقت يا صفوان ! لا خير يرجى بعد قتل من قتل وأسر من أسر ووالله لولا دينٌ عليّ ، وليس عندي له قضاء ، ولولا عيال أخشى عليهم الضياع بعدي . لركبت إلى محمد حتى أقتله وأهريق في أصحابه فإنّ لي قبلهم علة . إبني وهب أسير في أيديهم فإمّا أبرأت علتي منهم، وفككت أسيري ، وأما قتلت محمداً وقتلت فيه ! ! قال صفوان : وقد اغتنم الفرصة : يا أبا وهب ليس فينا من هو مثلك شجاعةً وفتكاً ، وأنك تغسل عن قومك عار الأبد . وترفع رؤوساً قد نكّسها الذل ، وتقيم أعواداً قد أحناها الهوان ، وترغم الدنيا على التحدث باسمك في كل مكان وكل جيل ، وتخلف من بعدك ذكراً حسناً ليس لقصي بن كلاب ولا لابنه عبد المطلب ! سيقول الناس : لقد أنقذ عمير ابن وهب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شرف قريش ، وكتب لها العزة والخلود ! قال عمير وقد أربدّ وجهه : ديني وعيالي يا صفوان؟ قال صفوان : عليّ دينك أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا . لا يسعني شيء ويعجز عنهم !. قال عمير : حقّـا ما تقول ؟ ! قال صفوان نعم . نعم. قال عمير : لا اقالة ولا استقالة ! يا صفوان اكتم شأني وشأنك ! ثم انطلق صفوان إلى مهمتـه ومضى عمير فشحذ سيفه وسمّـه وانطلق إلى المدينة ! !

* * *

في مسجد الرسول (ص) بالمدينة يجلس عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويتذاكرون ما أكرمهم الله به من نعمة النصر ، وعزّة الدين قال عمر : لقد كان يوماً من أيام الله ، وإن أصدق فلهذا اليوم ما بعده « لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلـكم تشكرون . . . (الآيات) »

قال فتىً من شباب المسلمين كان له يوم بدر بالمشركين أفاعيل هو مُـعَـاذ بن عمر بن الجموح: والله يا أبا حفص لقـد كنت أعمد إلى الرجل بسيفي أضربه فإذا برأسه تطير قبل أن يمسها السيف ، ولقد كنت أكون وما بيني وبين المشرك أحد فأسرع إليه بضربة . فإذا قد نبع بيننا رجل فضربه قبل ان أضربه . ثم لا أدري بعـد أصعد السماء أم ابتلعتـه الأرض ، فأيقنت إن الله هو الصانع ، وإن الله لا بدّ ناصر جنده ، وبالغ أمره ، وبينما القوم كذلك وإذا برجل ينيـخ بعيره على باب المسجد فينظرون إليه . قال معاذ أنه متوشح سيفه ، تقدح عينـاه بالشرر ، وتنم سحنتـه على الغدر وسوء الطوية ، قال عمـر — وقد انتفض انتفاضة عرفها القوم — : هذا الـكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلاّ لشر ، وهو الذي حرّش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ! ثم هبّ وهبّ من حوله وقوفاً ، وأيديهم على مقابض السيوف . قال عمر : احذروا الرجل وخذوا عليه الطريق حتى أدخل إلى رسول الله (ص) فإن أذن له النبي بالدخول فادخلوا قبله على رسول الله فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هـذا الخبيث فانه غير مأمون . وأنتم أنصار الله وجند رسوله فكونوا عيوناً على هـذا الـكلب وخذوا حذركم . ثم دخل عمر إلى رسول (ص) . فقال يانبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ! قال ص : فأدخله عليّ ! فخرج عمر إليه . فأخذ بحمالة سيفه في عنقه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلبيه بها . وقال للانصار أدخلوا على رسول الله فدخلوا ودخل عمر وهو ممسك بتلابيب عمير فقال ص : حين رآه كذلك : « أرسله يا عمر » « ادن يا عمير » . فدنا ثم قال عمير : عموا صباحاً ! فقـال ص : « قد أكرمنا الله بتحية خيرٍ من تحيتك يا عمير . فالسلام تحيـة أهل الجنة ! ! » . فقال عمير : أما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد . قال ص : فما جاء بك يا عمير ؟ قال عمير : جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه ! . قال ص : فما بال السيف في عنقك ؟ قال عمير : قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا يوم بدر شيئاً ؟ . قال ص : أصدقني ما الذي جئت له ؟ . قال عمير : ما جئت إلاّ لذلك ! . قال ص : « بل قصدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش . ثم قلت لولا دينٌ عليّ وعيالٌ عندي لخرجت حتى أقتل محمداً . فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على ان تقتلني له » والله حائل بينك وبين ذلك . قال عمير بعد صمت طويل : أشهد أنك رسول الله ! قد كنا يا رسول الله ! نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلاّ أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أنبأك به إلاّ الله ! فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ، أشهد ألاّ إلـه إلاّ الله . وأن محمداً رسول الله ، ثم وقع مغشيًّا عليه ، فلما أفاق قال (ص) لأصحابه : فقهوا أخاكم في دينه وأقرءوه القرآن . وأطلقوا له أسيره » ! ! قال عمير : يا رسول الله اني كنت جاهداً على اطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عزّ وجل . وأنا أحب أن تأذن لي في المشركين وفي دينهم ! فأذن له عليـه السلام ، وهكذا تحوّل شيطان قريش وفاتكها الجبار الى ملاك رحيم ، وقطعة من الايمان الحي ، وهكذا أصبح عمير بن وهب الذي جاء لاغتيـال محمد — من أصدق المؤمنين به الجاحدين عنه أصبح أشد الناس أذى للمسلمين ، أشد الناس حفاظاً على الرسول ومحاماة عن الاسلام .

قال عروة : وقد حدّث عمير عن نفسه فقال : والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً لقد بارحت مكة وما أحد من خلق الله أبغض الى قلبي من محمد ، واني لعازم على قتله ولو حال بيني وبينه أهل الارض قاطبةً ، فما أن وصلت الى المدينة حتى أتى في روعي أن السماء توشك أن تنقض على الارض ، وما أن وصلت إلى باب مسجد الرسول حتى خيل اليّ أن بعيري يسخر مني . وان الارض قد كرهت أن تحملني ، وتبدى لي المسجد أسيافاً متلاصقة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وخلت كل ذرة من الهواء قد غدت سيفاً مهدوداً لمحاربتي ، وما أن ابتني عمر حتى خلتني بين صخرتين عظيمتين تضغطان عظامي ، حاولت أن أصرع عمر . وحدثتني نفسي بذلك ولـكنني ثبت الى نفسي وقلت لقد جئت لمن هو أعظم من عمر ، فان هاجرته حيل بيني وبين طلبتي فأمسكت . فلما دخلت على الرسول ، ولا أحد أبغض إلى قلبي منه ، وجدت من حوله رجالاً قد شدّت أبصارهم اليّ وان لها لبريقاً يصرع الشجعان غيري ، ولـكنني لم أحفل بهم ، وحادثت الرسول وأطلت علّي أصيب من القوم غرّة ، فاختلس أنفاسهم ، ولقد واتتني الفرصة غير مرة . فقد كان القوم كلما نطق الرسول خشعت أبصارهم فأريد اغتنام الفرصة فاذا بيني وبين الرسول حائل . وأقسم لقد كنت كلما تحسست مقبض سيفي وجدت حولها عشرات من الأيدي كالحديد أحسها ولـكن لا أرى أصحابها ، وكلما هممت بذلك رأيت أسيافاً وحراباً تسد الفضاء بيني وبين الرسول ، وتبدّى لي الرسول بعيداً ، فأيقنت أن الرجل مصنوع له ، وان الله حائل بيني وبينه كما قال محمد (ص) . فلما كذبت على الرسول . وما أراني كذبت غيرها والحرب خدعة — فواجهني بما كان بيني وبين صفوان أيقنت أن الأمر جد لاهزل فيـه ، فارتج عليّ وعرضت على عقلي ما أنا فيه ، واختبرت نفسي ، وخبرت ما لديّ من شواهد على صدق محمد فلم أتمالك أن قلت أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله . وأضحى قلبي معلقاً بمحمد وما من أحد من خلق الله أحبُّ الى قلبي منه ، وغادرت المدينـة وكل قطرة من دمي قد وهبتها لرب محمد، ولفداء محمد ، ودين محمد . وهكذا الايمان يا بنيّ إذا خالطت بشاشـته القلوب ، يحوّل النار نوراً والشياطين ملائكة . والقساة رحماء . وكان الله ورسوله أحبُّ إلى المؤمن من نفسه وولده والدنيا وما فيها ! !

* * *

صفوان بن أمية في مكة بعـد أن أدّى عن عمير دينه وضمّ إليـه عياله . أخذ يطوف بأرجائها — لا يقر له قرار — يعلوه البشر ويشرق وجهه إشراقاً عجيباً . وها هو ذا كلما لقي قوماً أو مرّ على محفل ، وقف بينهم قائلاً : أبشروا بوقعة تأتيكم في أيام تنسيكم وقعة بدر ! والناس يتساءلون عما عسى أن تكون تلك الوقعة ! فراقبوا صفوان حتى علموا أنه يكثر من سؤال الركبان عن أبي وهب عمير بن وهب ، فأيقنوا أنّ صفوان لا بدّ أن يكون قد أرسله لاغتيال محمد ، وما هي إلاّ أيام حتى قدم عمير بن وهب فتلقاه صفوان قائلاً : مرحباً بالحبيب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ابن الحبيب مرحباً بأبي الأبطال ! وبفخر الرجال ! مرحباً بعز قريش وغاسل عارها . ومدّ صفوان ذراعيه ليحتضن عميراً ، وعمير يبتسم في سخرية واضحة ثم يقول ويده تجرد السيف من غمده : يا صفوان بن أميـة . لقـد علمت قريش أن محمد بن عبد الله من أشرفها بيتاً ، وأصدقها حديثاً ، وأعرقهـا بالأمانة ، ألم تستبشر قريش بمولده يوم ولد . ألم تحكّـمه في أمورها شابّـا ورجلاً ، ألم تلقبـه بالأمين وهو أعز ألقابها . هل جرّبتم عليـه كذباً ؟ هل عرفتموه بخيانة ؟ يا قوم لقد آمنت بالله ورسوله ، وشهدت وأشـهد أن لا إلـه الا الله وأن محمـداً رسول الله ، والذي شرّف محمداً بالرسـالة العظمى لأدعونّ إلى الله في أجوافـكم ولأملأنّهـا عليكم حرباً أو تؤمنوا بالله ورسوله وهـذا سيفي . فمن شاء أن تثكله أمه فليلقني بهـا أكره ! ومضى الى بيته . . أما صفوان بن أمية فقـد خارت قواه وزاغت عيناه . وانكبّ على وجهه يسمع لعمير فاغراً فاه ، ومن حواليه رجال معزفون في صمت رهيب يعجبون لعمير وكيف انقلب من عداوة محمد الى الايمان بما جاء به ؟ هذا الذي خرج للغدر والاغتيال كيف يعود داعياً الى ما يدعو اليه محمد . ثم انتبهوا وأفاق صفوان وساروا الى البيت الحرام فاذا بعمير واقف كالأسد الهائج بيده سيفه وهو يقرأ آيات من القرآن: « ق . والقرآن المجيد ، بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم ، فقال الـكافرون هذا شيءٌ عجيب . ءَإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجعٌ بعيد، قد علمنا ما تنقص الأرضُ منهم، وعندنا كتابٌ حفيظ . بل كذّبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج . أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّـناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسيَ وأنبتنا فيها من كل زوجٍ بهيج . تبصرةً وذكرى لـكل عبدٍ منيب » .

هذا هو عمير يقرأ القرآن ، وقد أعرض عنه من أعرض من رجالات قريش واستمع إليه من استمع فأخذ القرآن قلوباً مستعدة للايمان . فدخل كثير من العرب الاسلام على يدي عمير الذي أقام بمكة داعياً إلى الله بإذن رسوله ، يؤذي من يتعرض له أو لرسوله أو للاسلام بسوء وهكذا أصبح عمير قوة للاسلام في قلب مكة. وهكذا « يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

وبعد فهذه يا شباب الاسلام قصة البطولة المؤمنة ، والشجاعة البصيرة ، والقوة العاقلة ، فاسألوا المكابرين من خصومكم هل أسلم عمير بن وهب مكرهاً أم أخذته قوة الحق بوسائل الاقناع بعـد أن عرض كل أمره على عقله وقارن ماضي محمد بحاضره فدخل في دينـه طائعاً مختاراً ؟ يا شباب الاسلام هيا إلى الله ، جدّدوا الايمان به وجاهدوا في سبيله حق الجهـاد ، هو اجتباكم لرسالته ، هيا إلى الله ، وخذوا من عمير مثلاً ، واجعلوا منـه قدوة لمن كان يؤمن منكم بالله واليوم الآخر.

الدكتور محمود فياض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غروب شمس

(مهداة إلى روح شقيقتي الوحيدة
التي رجعت إلى ربها راضية مرضية)

تركتِ الدار موحشة الجنابِ ... ورُحت وأنتِ في شرخ الشبابِ
دفنتك في التراب وكنت عندي ... أعزَّ الخاطرين على التراب
وأودعتُ الثرى كنزاً ثميناً ... من الأخلاق والشيم العِذاب
وغاب مع السكون الجهم صوتٌ ... على نبراته يغفو اضطرابي
وغيِّب في ظلام القبر نور ... وخلَّف لي لهيباً من عذاب
يؤرّقني غيابك من حياتي ... وما أقسى مرارات الغياب !
تلمستِ النجاة فرُحت جسماً ... طريَّ العود خفّاق الاهاب
وعُدتِ إليّ لا نفَس خفوق ... ولا روحٍ يلطف من مصابي
ولو أني استطعت بذوب قلبي ... فديتك من أعاصير التباب
أنادي باسمك الغالي ، ولكن ... أراك عييت عن رد الجواب
وكنتِ إذا سكتُّ ملأتِ نفسي ... بألوان الحديث المستطاب
أنادي ... والأنين رجيع صوتي ... وأهتف والجواب صدى انتحابي
وتغلبني الدموع . . . وأي صبر ... يقرُّ أمام دمع في انسكاب !
وأي مصيبة نزلت بساحي ! ... وأي رزيئة وقفت ببابي !
وما بالهين الخطب افتقادي ... أعزَّ الأقربين إلى التصابي
فقدتك وافتقدت عزاء نفسي ... وكنت لي العزاءَ وقد خلا بي !

***

أراكِ ـ وقد أراكِ الموتُ حلماً ـ ... بسمتِ فقد خلصت من العذاب

رؤى الدنيا كواذب خادعات وقد صُبغت بألوانٍ كذاب
نساق إلى مفاتنها ، ونمضي مُضيَّ المصحرين الى السراب
ونعدو كالفراش على شعاع جحيميّ الحـرارة واللهاب
نؤمّل ما نؤمّل ثم تُطوى مع الأنفاس آمالٌ خوابي
تعللنا بمعسول الأماني وتمزج بالتعلة كلَّ صاب
ونأخذ من يد الأيام كأساً تداولُ بالقديم من الشراب
نجرّعه وليس لنا سبيل إلى الشكوى من الألم المذاب
وتسلبنا الأعزّ ، وليس حرصٌ بمانع كفها عن الاغتصاب
مضت بالأولين ، وسوف تمضي بنا وبغيرنا من كل باب
نعيش وحولنا أهلٌ وصحبٌ ونحن من الحياة على اغتراب
وما حمل المرارة غيرُ حي زواه الموت عن هذا الركاب
يشيّع نفسه في كل حين وراء الراحلين من الصحاب ..!

***

شقيقتيَ العزيزة ! لست أدري أكنتِ خيال وهمٍ في عبابي ؟!
أسائل موج أيامي أكانت ليالينا بها خفق الشهاب ؟!
وكنا ناعمين على صبوح رخيّ الريح يمرح في انسياب
يوحدنا الحنان الجمُّ حتى كأن رغاب نفسك من رغابي
فلم يعصف برحلتنا خلافٌ ولم نعرف لجاجات الشغاب
ولم يلمم بنفسينا خصام ولا خطرت بنا نسم العتاب
فما لك قد قطعت سُراك منها وعوجل نجم عمرك باحتجاب ؟!
وروّع ليلنا الزاهي بفجر دميم الوجه مهتوك النقاب
وهبت في الصباح الطلق ريح تسوق إليه داكنة السحاب
وزُلزلت السفينة وهي تمضي تشق عباب أمواج غضاب
منكسة الشراع كأن نعشاً سرى في اليمّ ما بين اصطخاب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تمرُّ بها العواصف معولات كأن سبيلها أحشاء غاب
وقهقهت المقادر وهي تبدو مسلحة بأظفار وناب
فألقى بي الأسى في غير وعي شريد الفكر مهدوه الصواب
أجوب الشاطئين غريب دار مطلسمة المعالم والشعاب
كأن نسيمها أنفاس جنٍّ وأن حفيفه صمت اليباب!
محا منها البشاشة هول يوم أساء إلى مغانيها الرطاب

* * *

شقيقتيَ العزيزة! أي خطب بليتُ به ولم يك في حسابي!
كتاب حياتك اختتمته بلوى فكان الرزء خاتمة الكتاب
طويل فصوله سِنةٌ وحلمٌ سريع الخطو ومضيُ الوثاب
طواه الموت مخترماً عجولاً كما يطوى الحديث بالاقتضاب
وكانت قصة القدر المعمَّى وكانت قصة الزمن المحابي
صبرت على متاعبها، وكانت شجونك في فؤادي كالحراب..

* * *

شقيقتيَ العزيزة أي ذكرى معطرة نمَتْ عن كل عاب!
حديثك في فم الأهلين شهدٌ وبُعدك عن ديارك كأس صاب
وما عوّدتني في العيش نأياً فكيف وقد رحلت بلا إياب!
ذهبتِ شهيدةً للقاء ربٍّ كريم الأجر، مرجوِّ الثواب
حملتِ على يديك كتاب طهرٍ وعفّة خاطرٍ، وتُقى شبابِ
رحلتِ وأنتِ باسمةٌ رضاءً وما خلّفت لي إلاّ اكتئابي
سأمضي بعد موتكِ في حياتي كما يمضي المغامر في الضبابِ
خلَتْ من كل سلوان وشاهت وقد ضاقت بأحزاني رحابي...

حسن كامل الصيرفي

السلم الدائم

والحلف العام

« الناس كلهم إخوة والدنيا وطن كل إنسان » ! !

زينون : الفيلسوف الاغريقي

بدأ الإنسان مغيراً بطبعه غاصباً فكانت تغير القبائل الأقل حضارة على البقاع الغنية الأكثر حضارة فاذا جمعت هذه بين الحضارة والقوة صدّتها وإلاّ غمرتها الأولى وبدأت الحضارة تنمو من جديد كما حدث في مصر في عهد الهكسوس وفي بابل في عهد البابليين والآشوريين ، والكلدانيين ، وفي كنعان عند دخول اليهود ، وفي البلقان عند إغارة الأغريق على الايجيين الذين أسسوا الحضارة الإيجية، وفي آسيا الصغرى عند هجوم القبائل الآرية المختلفة. ولكنا مع ذلك نجد العقل البشري في نظره الى الإنسانية يتغير ويقابل ذلك تغير في الكتب السماوية القديمة كما هو ظاهر من مقارنة أسفار التوراة الأولى التي كانت تحث على سفك الدماء بالأسفار الأخيرة التي ذكر فيها السلم الدائم، واخوة الناس في الإنسانية، والمساواة بين القوي والضعيف ، ولو أنّ كل ذلك ممزوج بفكرة سيطرة اليهود ، وكذلك نرى الأغريق كانوا في أول أمرهم يقسمون العالم إلى أغريق وبرباريين ، وكانت كلمة باربارين تشعر بشيء من الغربة والاحتقار مثل كلمة جنتيل عن اليهود . ولكن في النهاية صارت الفلسفة الأغريقية تنظر نظرة أعم إلى الإنسانية ولاسيما مذهب زينون. ومن المأثور عنه قوله « إن الناس كلهم اخوة والدنيا وطن كل إنسان » إلاّ أننا مع ذلك لا نجد محاولة لتأسيس حلف عام ، لقد تحالفت بعض المدن الاغريقية لأغراض دينية كرعاية المعابد أو لتقرير ما يجوز عمله في الحرب وما لا يجوز وهو عمل إنساني وهو ما قام به الحلف الامفكتيوني ، أو لأغراض سياسية كصد الفرس وهو غرض حلف ديلوس الذي تحوّل إلى امبراطورية أثنية ونشوة القوّة والظفر ، ولدت الصلف والكبرياء الحربي وحب الاعتداء فأغارت أثينا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على سرقوزة في صقلية . وإذا قرأنا ما كتبه ثيوكيديدس وجدنا أنه يعزو الى الإثينيين الآراء والأقوال التي كنا نسمع بها عن النازيين والفاشست أي قولهم أن الحرب واجبة ، وأن من حق القوي أن يستعمل قوته ، وأن يسيطر على الضعيف . ولكن هذا الاعتداء كان من أسباب سقوط أثينا ، وصار ملك الفرس حكماً بين الدويلات الاغريقية إلى أن ظهرت مقدونية وسطا الإسكندر المقدوني على الشرق . ومن الاساطير المأثورة أنه وجد في بلدة بها عقدة قيل أن من يستطيع فكها يسود العالم ، فأخرج الاسكندر سيفه وقطعها به بدل أن يحاول حلها وهذه هي العقدة المعروفة بالعقدة الجوردية فصارت مثلاً يتمثل به في السياسة عند ما يحاول أن يحل إنسان مشكلة دولية بالسيف بدل حلها بالتفاهم والمفاوضة والتراضي وتجزأت دولة الاسكندر بعد موته وغزت روما أكثر العالم المتحضر حول البحر الابيض وما يلي ذلك واستغلت الدول وفاخرت بالسلم الروماني ولكنها لم تستطع منع الحرب حتى بين جيوشها ، ثم سقطت . وكان يظن أن المسيحية ستمنع الحروب وتحقق السلم العام فاذا كل ذلك حلم جميل وكانت الفكرة السائدة أن العالم المسيحي عالم واحد وأمة واحدة ، ولكنها فكرة لم تحقق كما أن الاوروبيين كانوا يعدون باقي العالم من غير المسيحيين خارجاً عما تقتضيه العهود المرعية . وما لبث أن ظهر فشل البابوات في تكوين امبراطورية دينية عالمية ونشأت فكرة التوازن الدولي . وكان أول من جاهر بضرورة حلف دولي عام سولي وزير هنري الرابع، ولكننا لو فحصنا هذا المشروع وجدنا تحته أغراضاً سياسية خاصة بفرنسا وتأمينها وصيانة سلامتها من دول أسرة الهابسبرج التي كانت تخشاها كما تخشى الدول الجرمانية في العصر الحديث ، والحقيقة أن كل مشروع من هذه المشاريع إنما يلجأ إليه الساسة عند الضرورة . ثمّ أننا نجد الدول الاوروبية في عهد لويس الرابع عشر صارت تنادي بضرورة التحالف ضده لمنع اعتدائه على جيرانه الضعفاء ، وكثر الكلام في ضرورة تأمين الضعيف من سطوة القوي ولكن الدّول مالبثت أن اقتسمت مع حفيده شعوب الامبراطورية الاسبانية الضعيفة .

ثم جاءت الثورة الفرنسية فخطب الثوار الفرنسيون زاعمين أنهم يريدون خير الإنسانية، وكان منهم من يسمي نفسه خطيب الانسانية أو محب الانسانية، وكانت أكبر سبة عندهم أن سموا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بت الوزير الانجليزي عدو الجنس البشري ، وأعلنت الحكومة الفرنسية إنها حليفة لجميع شعوب العالم ضد الطغاة ووعدت الشعوب المغلوبة على أمرها بتحريرها . ومن العجيب أن بعض الأدباء بيننا ممن تثقف بالثقافة الأدبية الفرنسية ولم يعي عظات التاريخ كان إلى عهد قريب لا يزال يغتر بهذه الأقوال التي ظهر بطلانها من عهد بعيد، فقد صارت جيوش الجمهورية الفرنسية جيوشاً غازية مستعمرة مستغلة، واستفحل ذلك في عهد نابليون بونابرت فاتحدت ضده الدول وزعمت انها تحاربه كي تحرر العالم من طغيانه، وصارت تعد كل أمة بالحرية، ولكن ما لبث ان سقط نابليون حتى اقتسمت الدول المتحالفة شعوب العالم ونسيت وعودها . وصار نابليون في منفاه يلقي على تابعه منثولون أحاديث السلم العام والحلف الانساني الذي عهد لابنه ان يحققه عند ما يستطيع أن ينال الملك . وفي هذه الأحاديث يقول نابليون إن الحلف الانساني لا يحقق بقطع العقدة الجوردية بالسيف كما فعل الاسكندر وكما فعل هو وإنما يكون بالتفاهم . هذه بعض أحاديث نابليون في جزيرة سنت هيلانة التي نُفِيَ إليها وهي أحاديث تخالف تاريخ حياته بعض المخالفة على الأقل. ومن الغريب ان خصمه اسكندر الأول قيصر الروسيا طلع هو أيضاً على الدول بفكرة حلف عام أسماه الحلف المقدس يتعهد فيه المتحالفون أن يعاملوا رعاياهم حسب مبادىء المسيحية . وقد رأت بعض الدول في هذا رغبة من الروسيا في إخراج تركيا المسلمة ونيل مآربها الاستعمارية منها . وعلى أي حال فإن دول هذا الحلف كانت مشغولة بمكافحة نزعات الحرية والوطنية التي ظهرت بين الشعوب الأوربية التي كانت خاضعة لها . وتمَّ توحيد المانيا وايطاليا وظهرت دول كانت شعوبها مغمورة، ولاح ان العالم مسوقٌ إلى حرب عالمية كبيرة لاختلاف مطامع الدول ومصالحها، ففكر الساسة في التحكيم الدولي ، وتأسست محكمة لاهاي ، كما فكروا في الحد من التسليح. ولكن كل هذا لم يفد لمنع الحرب وهكذا انقاد العالم إلى الحرب العالمية الأولى التي ظن إنها خاتمة الحروب، وتأسست عصبة الأمم بعد ان طلع الرئيس ولسن بشروطه، وتلقاه العالم كأنه رسول السلام، ولكنه أطمع الشعوب أكثر مما أشبعها ، فخاب أكثر مما نجح، وتخلى عنه نواب الشعب في أمريكا فتخلت أمريكا عن عصبة الأمم ولم تفلح تلك العصبة في منع الحروب . وقيل إن سبب ذلك إنها لم يكن لها جيش دولي ويخيل لي أن الساسة يغالطون أنفسهم في هذا

الجيش الدولي إذ كيف يكون جيشاً دولياً يخلص آحاده لغير دولهم إذا كانت هي المعتدية أليس يكون منقسماً على نفسه .

* * *

ولقد دهمت الحرب العالمية الثانية العالم وهي تنذر بحروب أخرى . ولم نسمع ان الدول استطاعت تكوين جيش دولي حقيقي وانما هي أجزاء من جيوش الدول كل جزء مطيع لحكومته ودولته . ولا تزال الدول مختلفة في المبادىء والاطماع والنفس الانسانية كانت ولا تزال يقودها الطمع . وقد زعموا ان الخوف سيمنعها من حرب أخرى . ولكننا لا نرى الخوف من القنبلة الذرية قد قلل أطماع النفوس ، ولا صرف الناس عن التسلح والاستعداد الحربي، ولا حل مشكلة اختلاف المبادىء ، فاذا ذلك الخوف لن يعصمهم من حرب او حروب أخرى . بل ربما كان الخوف من أسباب تلك الحرب كما يزعمون ، واذا لم يكن الخوف فالطمع والجشع واختلاف المبادىء . والنفس الانسانية تعرف انها تستطيع أن تعوض خسائرها مهما عظمت . فلو هلك نصف سكان العالم لاستطاع النصف الباقي أن يعود الى ما كان عليه العالم من الازدحام بالناس . وقد كانت بعض بقاع العالم عامرة فخربتها الحروب الماضية ولا تزال خراباً، ولم يمنع ذلك الناس من معاودة الحروب، ولم تكن هذه الحروب العالمية الحديثة أول صنف من الحروب التي يهلك بسببها الملايين من الناس . على أنه لو حاول العالم أن يتعظ ويمنع الحرب لكان ذلك بحرب أخرى لارغام من لم يتعظ ، وكل حرب توطئة لحرب أخرى في المستقبل .

* * *

ولقد قال جان جاك روسو « منع الحرب لا يكون الا بحرب أشد من كل حرب » وعندي أن هذا هين اذا استطاعت تلك الحرب الشديدة ان تمنع كل حرب، فان الظاهر من عظات التاريخ ان كل حرب تبذر بذور حرب جديدة في المستقبل وتهيء أسبابها ولكن ليس من المستطاع أن يتجنب العالم الحرب ان لم يكن ذلك للرغبة في اعتداء جديد فبسبب اعتداء أو ظلم قديم . وهذه الحرب العالمية الثانية لم تغير طباع النفس الانسانية وما دامت المنافسة أساس الحياة والعمران بين الافراد والجماعات صعب التعاون الذي يمنع الحرب . ومن الصعب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وضع حد للمنافسة حتى لاتتعداه فتؤدي الى الحرب، وما عدا ذلك مغالطة في القول . ومما يدل على قلة ثقة أهل السياسة بمجلس الأمن العام وهيئة الدول المتحدة أنهم بدأوا يفكرون ويدعون الى وسائل أخرى لمنع الحرب، فبعضهم يدعو الى انشاء ولايات متحدة أوربية بين ممالكها ، والظاهر ان المستر تشرشل صاحب هذه الفكرة لا يعرف ان النجاح في انشائها ليس بأقرب الى التحقق مع اختلاف الأطماع والمبادىء . أو انه يعرف ولكنه يخفي ما يعرف لسبب ما . وبعض أهل السياسة يدرك الصعوبة فيدعو الى تحالف الدول الأربع الكبرى وتفاهمها ، وهذا لا يكون الا على حساب دول كثيرة صغيرة . مما يؤدي الى الحرب التي يراد تجنبها في المستقبل . ومما يزيد المعضلة الدولية تعقداً بدأ النزاع بين الشيوعية والرأسمالية. وفي الدول التي نظامها رأسمالي يراد إقناع الطبقات الفقيرة بترفيه اجتماعي نسبي سيكون حمله على الطبقات الدنيا الفقيرة من الطبقات الوسطى ، لأن أفرادها هم أكثر أفراد الأمة ولأنهم أقل نفوذاً من الطبقات العليا ، ولأن المتحصل من الضرائب عليهم وان كانت تصاعدية أكثر من المتحصل من غيرهم لكثرة عددهم ، وسيكون حمله أيضاً على الأمم الضعيفة ، ولاسيما الزراعية لأنها تستثمرها الأمم الصناعية القوية حتى في التجارة المشروعة وهذه الوسائل وهذا النزاع مما ينذر أيضاً بحرب في المستقبل .

* * *

لقد رأينا ان الانسان من قديم الزمن فكر في أن الناس كلهم أخوة وان الدنيا وطن العالم . ولقد رأينا أن الدول في كل عصر تحاول اكتساب الانصار بالدعوة الى السلم والاخاء الانساني اذ خافت أن يمسها الضر، فاذا تحكمت نسيت دعوتها . وقد رأينا أن الامل في هذا السلم الانساني الدائم كان مخدراً تهيئه الحياة للناس كي يستطيعوا أن يعيشوا حتى يصابوا بحرب مهلكة . فهو من سنن الحياة . وقد رأينا أن الساسة غير واثقين من وسائلهم الحديثة لمنع الحرب . وان أطماع النفس لم تتغير. وان خير ما في النفس قد يؤدي إلى الحرب كما يؤدي شر ما فيها . وان الانسانية تعودت أن تستعيض عما خسرته ، في كل حرب ، فألفت ذلك واطمأنت .

ع . ش

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البصل

علاج للسرطان

البصل من أفضل النعم التي زخرت بها هذه الأرض التي سخرها الإنسان لمنافعه ومآربه وفيوض الطبيعة التي جادت عليه بما شاء من خيراتها، وما بطنت من أسرارها. لقد عظمت منافع البصل وتعددت، حتى لا تدري ما تحصي منها وما تدع. فإنه على كونه غذاء الأبدان وافر التغذية، مصلحاً للدم، منشطاً للدورة الدموية، فانه علاج متشعب المنافع، يتطبب به من كثير من العلل والأدواء، فمن ذلك إنه مسكن للأعصاب الهائجة، والمعتلة الواهنة، مبرىء من السعال والزكام، مذهب للأرق، مدر للبن المرضع، نافع لمرض البواسير إذا دُقّ وغلي في زيت الزيتون. وإذا قطر منه في العين الرمدة المزمنة، أفادها فائدة عظيمة؟ كما أنه إذا أذيب فيه الملح وقطر منه في الأذن السائلة، قطع ما يسيل منها. ويفيد في القراع بعد تنظيف الرأس بالماء الساخن والصابون. ودقه وغليه في زيت الزيتون يفيد في تشقق الثدي والخراجات.

وفي القصع والوثي والالتهابات عن رضوض ومصادمات. ما قرأته في بعض المجلات الطبية، عن تجربة طبيب بنفسه، إن عمل لبخة من البصل هي ذات فائدة عجيبة، وذلك بدعكه جيداً وإضافة الملح إليه، ثم يوضع على قطعة قماش أو قطن، فيضمد بها الجزء المصاب وتغطى بخرقة من صوف، وتربط، وتترك هكذا بضع ساعات على العضو المصاب. وتعاد هذه اللبخة وتجدد عدة مرات حتى يتم الشفاء.

وجاء في تذكرة داود الطبية عن البصل ما يأتي: « والبصل الأبيض هو أجوده خصوصاً المستطيل، وأردأه الأحمر، لا سيما إذا استدار، ولا يختص وجوده بزمن، لكنه ربيعي في الأغلب، وهو حار يابس، يقطع الأخلاط اللزجة، ويفتح السدد، ويقوّي الشهوتين، خصوصاً المطبوخ مع اللحم، ويُذهب اليرقان، ويدر البول والحيض، ويفتت الحصى

وماؤه ينقي الدماغ سعوطاً ، ويقطع الدمعة ، والحكة ، والجرب والبرص ، والكلف . والثآليل مع الملح والبارود ، والعسل والسذاب ، وعضة الكلب مع شعر الآدمي ، والسموم مع التين ، والوباء والطاعون وفساد الهواء والماء ، ويعيد الشهوة إذا انقطعت مع الخل ، ويحمل فينزف الدم ويفتح البواسير ، وإذا شُوي ودرس بشحم الخنزير أو السمن ، أو سنام الجمل ، ليَّن أورام المقعدة ، وأذهب الشقاق والباسور والزحير مجرَّب ، واذا دُلك به البدن حسن اللون جداً وحمَّره وأذهب أوساخه ، وعصارته تنقي الأذن والسمع ، وأكله في الصيف يصدع ويضر المحرورين مطلقاً ، والاكثار منه مسبت ، مهيج للقيء ، يورث الرياح الغليظة ، ويصلحه غسله بالماء والملح ونقعه في الخل ، ويقطع رائحته الباقلاء ، والجوز المشوي والخبز المحرّق ، وكلما عتق كان أجود »

هذا ما ورد عن البصل في الطب القديم ، وأما الطب الحديث فأعجب ، إذ أمسى يعالج به السرطان ،ذلك الداء العياء الخبيث ، عدوّ ألد الخصام للانسان ، الذي ألب نطس الأطباء وقادة العلم جميع ذرائعهم ، وقصارى جهودهم مقاهرةً له واستئصالاً لشأفته ، وهم ما برحوا من أمره في حيرة ولا يزالون مختلفين : فبعض يقول أصله مكروبي، ومتى عرف الميكروب ، عرف الدواء ، وبعض ينفي ذلك ، وعلى رأسهم الدكتور وولف الألماني ، ولا ندري إذا كانت هذه الحرب القاصمة قد أبقت عليه ، أم هو أمسى في الهالكين ، فانه يذهب إلى أن السرطان مرض لا يصيب إلاّ من جاوز الاربعين ، فلو كان مرضاً ميكروبيًّا لأصاب الناس في شتى أعمارهم .

قلنا حال الطب الحديث مع البصل أعجب . فقد اطلعنا على بحث طريف ذائع في مجلة « كل شيء » العلمية الفرنسية ، للطبيب العلامة جورج لاكوفسكي في منافع مصل البصل والحقن به ضد كثير من الأمراض ، ولا سيما مرض السرطان ، وقد وردت عليه عدة كتب يطلب فيها أصحابها منه مقادير من هذا المصل ، فكتب رسالة أخرى في هذه المجلة يعتذر بعجزه عن تلبية هذه الطلبات ، لأنه لا يملك من هذا المصل إلاّ مقدار ما يحتاج إليه في معمله لتجاربه الطبية ، واختباراته العلمية الخاصَّة . وقد ذكر أن أكل البصل نفسه يغني عن الحقن بمصله ، ويفيد ذات الفائدة . وإليك ما حققه في مقالته تلك ، ننقله بنصه لقراء المقتطف الأفاضل :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« إن مصل البصل أو اقاحه المستخدم في الحقن الجلدي ، ليس من السهل استحضاره ، ولكني أنصح قراء مجلتكم استبدال الحقن تحت الجلد ، في أكثر الحالات ، بحقن شرجية تعمل من عصير البصل المستخرج بالضغط ، أو بالسحق أو البَشر ، أو بأية وسيلة مما يكون في المطابخ والذين يستطيعون هضم البصل النيء دون عسر ، فليأكلوه مع الخبز والزبد ، أو مع السلاطة أو مع فواتح الطعام ، مثل الجرجير والزيتون ، وما إليهما .

ولقد ذكرت أن طوال الاعمار يكثرون في البلدان التي يكثر فيها أكل البصل ، وإن مرض السرطان كاد أن يكون فيها معدوماً ، ولا سيما بلاد بلغاريا التي عدد الذين عمروا فيها ، فبلغوا أرذل العمر ، المائة والثلاثين ، أو جاوزوا ، جسيم بليغ . وقد كانوا يعزون ذلك إلى أكلهم اللبن الرائب (الزبادي) اقـد وهموا وما أصابوا ، فان أهالي قفقاسيا ، وبعض جهات روسيا ، يأكلون هـذا اللبن ، ولا تراهم مع هذا ، تد بلغوا هـذه الاسنان . وإنما امتداد السن بأهالي بلغاريا مبعثه في رأيي ، ما يتغذون به من فج الأغذية (غير المطبوخة) خصوصاً ، كالخضر والفاكهة ، ولا سيما البصل النيء ، ما عدا اللحوم ، التي لا يتناولونها إلاّ يوم الأحد . وإني لمؤيد رأيي بهذا الكتاب الوارد عليّ من الاستاذ ستامانوف من جامعة صوفيا ، غب إذاعتي نتائج بحوثي الذي يقول لي فيه :

« دونك هذا الاحصاء الذي استخرجته من ادارة الصحة العمومية عندنا ، ويقر عيني علمي أنك على حق ، فان الفلاحين هنا ، وهم السواد الأعظم ، قد سلموا من هذه السرطان ، ووقوا غائلته ، إلاّ قليلاً . وما كان ذلك إلاّ لأننا نكثر من أكل البصل ، ما عدا أهالي رومانيا ، وربما أيضاً أهالي يوغوسلافيا . وما أعلم ان بلداً في الدنيا يفوقنا في أكل البصل ونحن نأكل البصل فجّا مع الملح والفلفل والخبز . وطعامنا أيضاً الكثير من البهارات والثوم » .

هذا ، وإني منذ أن أذعت تجاربي ، جاءتني عدة خطابات ، يذكر فيها مرسلوها فعل البصل العجيب ، مؤيدين القول بالتجربة ، وقد كتب إليّ أحد أساتذة الهبيلية ، أن مشاهداته وتجاربه قد دلته على أن البصل يبرىء المصابين بالزهري متى تناولوا منه مقداراً كبيراً . وكتب إليّ أيضاً بمثل هذا مهندس مشهور .

لقد تكاثرت عليّ الكتب في ذلك ، على أن ما تضمنته من أقوال يحتاج الى تحقيق واثبات ، ولكنه كله جائز ومحتمل ، ذلك أن الكاتبين إليّ من كل فج ، هم من الجلة الفضلاء ، ولا مقصد سوء لهم ، ولا خبث دخيله » .

هذا ما حققه هذا الطبيب البحاثة في أعاجيب أفاعيل البصل . فما رأي أطبائنا الاجلاء في هذا ؟

احمد ابو الخضر منسي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جزيرة الرجال

وجزيرة النساء

في يوم اشتدَّ حرُّه من أيام شهر آب (أغسطس) سنة ١٩٣٢ غصَّت قاعة المحاضرات في كلية "ترّا سانطه" بالقدس، بما لا يقل عن ثلاثمئة مستمع من سيدات ورجال، جاءوا لاستماع محاضرة عنوانها «جزيرة الرجال وجزيرة النساء» يلقيها فقيد العربية المرحوم العلاّمة الآب انستاس ماري الكرملي. ولما أزفت الساعة المعينة بدأ المحاضرة بقوله :

« قرأت منذ ثلاثين سنة في كتاب نخبة الدهر لشيخ الربوة الدمشقي أن هناك جزيرتين لا يقطن إحداها إلاّ الرجال ولا يسكن الأخرى إلاّ النساء . . . وأنا أعتبر شيخ الربوة من أدق الجغرافيين الإسلاميين . ولم يؤثر عنه أنه مزج الحقيقة بالخيال، أو خلط الوهم بالصحيح. ولا بدَّ وأن يكون لهذا النبأ أساس كبير من الصحة . وقد شغلت هذه القضية أفكاري . واتصلت بأهل العلم من شرقيين ومستشرقين . في خلال هذه الثلاثين من السنين فبعضهم جعلها في بحر الظلمات ، وآخرون ذهبوا بهما الى بلاد الدنمارك ، وغيرهم وضعوها في الأوقيانوس الهندي ... إلى غير ذلك من الأمكنة والبقاع . ولكني لم أرتح لرأي أي واحد منهم . لأنّ الشروط التي يجب أن تتوفر في تعيين هاتين الجزيرتين لم تتوفر في رأي أي واحد من هؤلاء العلماء الأجلاء . وأهمها :

١ — أن تكون الجزيرتان متقابلتين :

٢ — وبجوار بحر الأرخبيل :

٣ — قريبتين من بلاد الصقالبة :

٤ — وتقابلهما كبدوكية التي سكنها أمازونس . . . » ثم أخذ رحمه الله يذكر وصف المعيشة في تينك الجزيرتين، وكيف أنه كان يسمح في فصل الربيع بالتقاء الرجال والنساء في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خروجهم للصيد في عرض البحر ، وهناك يتلاقحون . وشرح كيف كان يتم التلاقح ، بحيث أن بعض السيدات الحاضرات أخذنَ يتبادلنَ الابتسامات التي تدل على الخجل . وبعد ساعة من بدء المحاضرة أخذ العرَق يتصبب من أجسام المستمعين ، فنام بعضهم وخرج معظم السيدات الى فناء الكلية . وبعد مرور الساعة الثانية لم يبق في القاعة أكثر من ربع المستمعين ، فشعر المحاضر الكريم بالموقف وأنهى المحاضرة بلباقة . وطلب أن يكون البحث في المحاضرة في المقصورة ، حيث يتناول الشاي . ولما نهض تبعه كل من كان يهمه الموضوع . وغصت المقصورة بهم . ولم يبق لي مكان أجلس فيه . ولئن لم يساعدني ظرف المكان على الاشتراك في البحث ، فقد ساعدني القلم . فكتبت إليه هذا الكتاب[1]

سيدي العلاَّمة قدس الأب الكرملي الأجل :

السلام عليكم .

وبعد فقد أسعدني الحظ بأن أكون من مستمعي محاضرتكم الممتعة التي تفضلتم بإلقائها في نادي ترَّا سانطه الزاهر بالقدس ، عن جزيرة الرجال وجزيرة النساء . ويعلم الله أنني توَّاقاً إلى مشاهدتكم والاستماع إليكم بعد أن قرأت لكم كثيراً فكنت ألتهم كل ما تقولون إلتهام الجياع كل ما في القصاع . ولقد أكبرت فيكم هذه الاناة والصبر على البحث والجلد المتواصل على معاناة الدرس الجاف ، حتى يخرج البحث من قلمك سائغاً للقارئين ، وسهلاً على السامعين . ولكن هذا لا يمنعني من إبداء رأي بسيط في الموضوع ، بعد تأكدي من أن صدرك الرحب سيتسع لما أقول . وأن آذانكم ستسمع ما أعرض عليها ، وقد سمعت ووعيت الشيء الكثير من الآراء التي تعرض عليها ، ولو كانت جالة وجُنَّة . .

إرتحت إلى جعل جبل آثوس — الذي في بلاد اليونان ، ويقرب من شبه الجزيرة في شكله ووضعه — إرتحت إلى جعله جزيرة الرجال . . ولكن يا سيدي الفاضل أستبعد كل محاولة لإيجاد جزيرة النساء ، سواء في بحر الظلمات أو في بلاد الدنمارك أو في الأوقيانوس الهندي . كل هذه المحاولات كانت مستهجنة عندي . وعلى الأخص ما دار منها حول جعل

(١) المدرسة الاميرية : بيت لحم في ١٥ — ٨ — ١٩٣٢

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجزيرتين «كوريا» و«موريا» جزيرتي الرجال والنساء ، وقلب أو ابدال أو مسخ السقاطرة سكان جزيرة سقطرا المجاورة للجزيرتين — إلى صقاطرة ، ثم الى صقالبة . هذا شيء بعيد الاحتمال . وعندي رأي أتجاسر لأن أعرضه عليكم وهو :

في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد اشتبك المهاجرون الاخائيون والروريون — أجداد اليونان — في أثناء رحيلهم من الشمال الى الجنوب ، بأمم تسكن بلاد كبدوكية . وكان كل المحاربين من النساء . وقد أطلقوا على هذه النسوة المحاربات اسم «الأمازونات» . وبعد ازدهار الفن الاغريقي خلد اليونان أمجاد أسلافهم القدماء ، فرسموا صور هذه المعارك مع الأمازونات على آنيتهم الفخارية الجميلة ، وحفروا هذه المشاهد على نواويسهم الرخامية والحجرية بغاية من الدقة والمهارة . وفي متحف القدس صورة هذا المشهد محفورة على ناووس رخامي وجد في سواحل هذه البلاد .

ولكن ما عسى أن تكون هذه النساء المحاربات ، وإلى أي قوم ينتسبن ؟

يجيبنا على ذلك الأستاذ «ميرز» المؤرخ الانكليزي ، فيقول : إن نتيجة أبحاثه الأثرية تثبت لديه أن الخيتاس (الحثيين) هم سكان كبدوكية القدماء وقد كان من عادتهم حلق اللحى والشوارب . فرآهم اليونان القدماء في حروبهم معهم كأنهم نساء . ثم زالت هذه العادة بعد احتكاك الخيتاس بالمهاجرين . ولما بعد العهد بين المظهرين — الحلق والاطلاق — ونسي الاحفاد ما شاهد الاجداد ، من أربعة قرون ، خلد هوميروس مفاخر اليونان القدماء في إلياذته . ومن جملة ما ذكر حروبهم مع النساء الأمازونات . ونقل الخبر عنه هيرودتس . وعن هيرودتس أخذ بطلميوس . وما أكثر ما أخذ العرب في الجغرافية عن بطلميوس .

أستنتج من كل ما سبق أن جزيرة النساء التي وردت في كتاب شيخ الربوة ، وغيره من كتب الجغرافيين الاسلاميين ، هي شبه جزيرة آسيا الصغرى — أو قسم منها — التي كانت تعرف بكبدوكية — وهي قريبة من بلاد الصقالبة — السلاف — وكان يسكنها الخيتاس ، أو الأمازونات التي حرفت الى إمارينوس . وهي قريبة من بحر الأرخبيل ، ومقابلة لجزيرة الرجال — جبل آثوس — ولا يضير نا أن يكون المكانان شبهي جزيرة ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فان العرب قالوا : جزيرة العرب ، وجزيرة الاندلس ، في حين أن كلاً منهما شبه جزيرة .

ومن هذا يتضح أن هـذا الافتراض يزيل من الطريق كثيراً من العقبات التي اعترضت السبيل في البحث .

هـذا ما خطر لي أن أكتبه إليكم الآن على عجل ، آملاً أن يصلكم وأنتم في فلسطين ، عسى أن يكون فيه شيء يرتاح اليـه الضمير ويقبله البحث . أيدكم الله بعزم من عنده لتبقوا ذخراً للعرب والعربية والسلام عليكم .

ثم تلقيت منه هذا الجواب الذي أحتفظ به الى الآن :

حيفا في ١٧ / ٨/ ٣٢

كنت على جناح ركوب السيارة . وإذا راهب من كلية الفرنسيين سلمني كتابكم فلم أستطع الاجابة عنه ، لذهابي الى الناصرة ومنها الى هنا .

لا يخلو تأويلكم من بعض الصحة . ولا جرم أننا اذا استطعنا أن نؤول الجزيرتين بما هو أقرب الى مألوف ما نفهمه من معنى الجزيرة ، ومن معنى الرجال والنساء ، من غير أن نتطلب التخريجات والتأويلات نكون أقرب الى الصحة . وعلى كل حال اني إذا عدت الى هذا البحث أذكر رأيكم وأنسبه اليكم . ولكن يبقى ذلك تأويلاً للأمازونات ، لا تأويل جزيرة الرجال وجزيرة النساء . وتأويل الامازونات راجع الى عالم واحد — لا الى جماعة من العلماء . وأنا أقر بفضلكم العميم . وأشكركم على ما أفضتم به من رأي وحفظكم الله

الأب انستاس ماري الكرملي

ومن ذلك التاريخ أخذت اهتم بهذا الموضوع لأسباب كثيرة منها محاولة اثبات اجتهادي ، وتلبية لطلب المحاضر الكريم الذي رجا فيه من كل مستمع أن يواصله بما يجد له في هذا البحث ، ومن أهمها أن شمس الدين شيخ حطين أو شيخ الربوة الدمشقي قضى شطراً كبيراً من عمره في صفد وفيها كتب كثيراً من كتبه ، وفيها توفي ودفن في بيمارستانها سنة ٧٢٥ هـ كما يذكر معاصره صلاح الدين الصفدي في مخطوطته الثمينة «الشعور في العور» وكنت أهم بارسال هذه المعلومات لقدس الأب الكريم ، حتى فوجئت بنعيه . فأحببت نشر البحث بكامله ، لعلّ فيه بعض الفائدة .

في الحرب الكونية الثانية جاست الجيوش ، يرافقها الصحفيون والعلماء ، خلال ديار مهجورة ، وكتبوا عنها الشيء الكثير . فقد كتب صحافي أميركي ما يأتي عن جبل آثوس :

يقع جبل آثوس في الشمال الشرقي من بلاد اليونان وقد مدّ رأسه في بحر الأرخبيل ، وعلا عنه ثلاثة آلاف قدم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان الاغريق يقولون أنه مسكن آلهتهم القديمة . ومنذ القرن التاسع الميلادي بدأت الأديرة النصرانية تحتل محل الهيا كل اليونانية الوثنية . وقد وصل عددها في القرن الثالث عشر مئتي دير . أما الآن فعددها لا يتجاوز العشرين ديراً . وكل دير منها قائم على بعد غير قليل من الآخر . ومن هذه الأديرة ما بني على حافة هاوية رهيبة ، يرى الواقف من فوقها البحر هادئاً تحته . وهذه الأديرة زاخرة بأقدم الكتب المزينة بأجمل النقوش والحافلة بأثمن التحف وكلها من تراث البوزنطيين ويمتاز دير « سيمو پيترا » الروسي بتحفه الرائعة من العهد القيصري .

يسكن هذه الأديرة ستة آلاف راهب . ولهم امتيازات من العهد العثماني . ولما انفصل اليونان عن العثمانيين في أوائل القرن التاسع عشر حاولت حكومتهم الجديدة العبث بهذه الامتيازات . فلم تستطع .

أقمت في سلانيك ثلاثة أيام حتى حصلت على الاذن بدخول منطقة جبل آثوس سافرت في باخرة — اعتادت السفر إلى تلك المنطقة مرة في الأسبوع . وأول ما قابلني حرس الرهبان الذين مهمتهم أن يراقبوا الحدود خوفاً من دخول الذئاب أو النساء . ومنذ اتخذت هذه المنطقة مقراً للرهبان لم تطأها قدم امرأة ، سوى اليزابث ملكة رومانيا ، التي سمح لها أن تزورها وتقيم فيها خمس عشرة دقيقة . ولا يمكن بصورة من الصور أن تستطيع امرأة ، مهما تخفت الدخول إلى ذلك المكان — فالرقابة شديدة والتفتيش دقيق . وقد حاولت صحفيات كثيرات ذلك . فأخفقن . ولا يمنع النساء وحدهن دخول هذا الجبل ، بل حظر ذلك على أناث الحيوان والطير كذلك ، فلا تقبل فيه الناقة ولا الفرس ولا البقرة وحتى أن بعض الأديرة تمانع في دخول الدجاجة . ويقدم للضيف « الواكير » والقهوة التركية وعصير البرتقال . وعند غروب الشمس تقفل أبواب الأديرة ، ويتفرغ الرهبان لقيام الليل . وهم يصلون قبيل عيد الفصح صلاة تستغرق اثنتي عشرة ساعة .

وكتبت مجلة لسنر Listner عن جزيرة النساء :

في سنة ١٩٤٤ . نزلت القوات البريطانية في جزيرة لامينوس ، من جزر الدوديكانيز الواقعة عند مدخل الدردنيل ، وهذه الجزيرة غريبة في تاريخها ، وقد عرفت في التاريخ باسم جزيرة النساء . وتقول إحدى خرافات اليونان أن نساء هذه الجزيرة تآمرن على أزواجهن وقررن التخلص منهم . فذبحن جميع الرجال في الجزيرة ، بحيث لم يبق غير النساء

محمود العابدي

باب المراسلة والمناظرة

تنبيهان

اطلعت في مقتطف فبراير سنة ١٩٤٧ على قصيدتين رائعتين إحداهما بعنوان (برلمان الطبيعة) والأخرى بعنوان (تلمس في الظلام) وهي مهداة الى روح أبي العلاء المعري .

اما القصيدة الأولى فكلها ابتكار ولكن جاء فيها البيت الأول أو مستهلها عسر القراءة الصحيحة المستقيمة الجرس ، إذ أن الشاعر على ما يظهر اراد ان يعدم همزة الوصل من النطق فلم يفلح وإن افلح فإنه استعاض عنها بحرف ساكن كسره ،وكان الأحرى ان يبقيها وهي مكسورة بطبيعة الحال في مصادر الأفعال الخماسية والسداسية . فيكون بيته الأول باثبات همزة الوصل على هذا الوضع .

لقد رشحت يا أفق السحابا   وقد أجرت رياحكِ إنتخابا

والقصيدة — لا شك في انها — من الوافر وإذا اراد الشاعر انلا يثبت همزة الوصل يمكن ان ينظم البيت على الصورة التالية :

لقد رشحت يا افق السحابا   وقد أجرت لها الريحُ انتخابا

ولكن ليس من الضروري ان يضعها في القالب الثاني لأن إثبات الهمزة اي همزة الوصل جائز ضرورة ووارد في اشعار الأقدمين وهذه امثلة على ذلك . قال ابو العتاهية .

ايها الباني لهدم الليالي   إبن ما شئت ستلقى خرابا

وقال قيس ابن الخطيم

إذا جاوز الإثنين سرٌ فانه   بنشرٍ وإفشاء الحديث قمينُ

اما القصيدة الثانية فجاء فيها البيت الآتي مضطرباً وغير موزون وعلى الأغلب ان هذا الخطأ الذي فيه ناتج عن الطبع لأنه توجد بعض الآثار للتصحيف تنم عن ذلك وها أنا نورده بنصه :

« غير أن الزهور تفنى ولكن   مودعات البذور سرٌ من السرّ المعاد »

البيت كقصيدته من البحر الخفيف ولكي يستقيم وزنه يجب أن تحذف منه هاتان الكلمتان (من السر) فيكون بصورته الصحيحة .

غير أن الزهور تفنى ولكن   مودعات البذور سرٌ المعادِ

هذه بعض الآراء التي عنت لي وأنا أقرأ القصيدتين العصماوين اللتين لا يضيرهما ان وقعت فيهما بعض الهنات الخفيفة إذ أن الكمال خصٌ بالباري وحده .

البصرة — العراق   بشير الصمر

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

باب الأخبار العلمية

الديكتافون

جاسوس علمي مأمون ، تنفيض الغبار بالكهرباء ، الجهاز الحلاق

جاء في إحدى الصحف الاسبوعية بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

« هذا نبأ لاشك أنه يدعو الى اهتمام العدد العظيم في مصر ، من الموظفين والكتبة وعلى الأخص كبار رجال الأعمال . وقد أذاعته أمس إحدى الشركات الأمريكية لعمل الأثاث وذلك تحت عنوان (مكتب الغد) وصفت فيه « مكتب المستقبل » الذي أتمت وضع تصميمه وشرعت في إخراجه . وهو مكتب عصري بأقصى معنى الكلمة . ففيه ثلاجة و« بار » وخزانة غير قابلة للحريق ، وراديو وتليفون داخلي بين المكاتب وتليفون خارجي ، وولاعة تخرج من جانب المكتب ، وفي قمتها شعلة من النار ، تشتعل متى ضغطت على زر صغير ثم تعود ثانياً وتختفي من حيث أتت . وقد استعاضت الشركة في تصميمها ، من الرفوف العالية التي كانت تستخدم في المكاتب القديمة ، لجمع الاوراق ، بأجهزة أنيقة جميلة أقل ارتفاعاً من الرفوف ، تشع ضوءاً على المكتب بحيث لا يؤذي نظر الجالس إليه . وقد وضع في أحد جوانبه ، جهاز التليفون الخارجي وفي جانب آخر ، جهاز (الديكتافون) وهو جهاز خاص يسجل فيه صاحب العمل تعليماته أو خطاباته على قرص كأسطوانة الفونوغراف فيأتي السكرتير فيما بعد ويصغي الى الاسطوانة وينفذ ما فيها . وفي هذا المكتب ساعتان إحداهما في مواجهة صاحب العمل والاخرى في مواجهة الزائر .

ويستطيع الأول أن يقدم ساعة الزائر على قدر ما يرى ليتخلص من زائره . ولم يفت الشركة تزويد هذا المكتب بجهاز للحلاقة يستخدمه صاحب العمل في آخر النهار ، إذا كان يعتزم قضاء السهرة في حفلة عامة . أما دهان المكتب فمن النوع الذي لا يتأثر من أعقاب السجائر ، على أنه ينقص هذا المكتب جهاز أوتوماتيكي لتنفيضه من الغبار » تم بحروفه .

قرأت هذا الخبر فاسترعى نظري فيه ثلاثة أجهزة هي (أولاً) الديكتافون (ثانياً) جهاز تنظيف الغبار (ثالثاً) جهاز الحلاقة ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فتوخيت وصفها فيما يلي ليقف قراءنا على زاياها الطريفة : —

ظهر الديكتافون أو الديكتوغراف أو الديتكتافون في إنكلترا في أوائل سنة ١٩١٢ ومن بواعث غبطتي أني كنت حينئذٍ أول من وصفه وذلك في مجلة المحيط

وهو جهاز تصح تسميته بالجاسوس الآلي، إذ هو يقاوم المجرمين ، أفظع مقاومة أيًّا كانت صفاتهم . ولا غرو فانه خير جسَّاس لتسقط أخبار السجناء في حجرهم الانفرادية وفضّاح للمؤامرات التي تحاك هيا كهـا في غرف الفنادق ، وحجر دوائر الاعمال . إذ يجأر تجاه أربابه ومستعمليه ، بما يدور همساً على ألسنة الخبثاء في غياهب معتقلاتهم . وحسبك أنك إذا أخفيته تحت أريكة أو كرسي أو خلف مكتبك أو وراء نافذة من نوافذ مسكنك أو متجرك ، استطاعت تلك الأذن الميكانيكية الدقيقة الانصات لما يفوه به المجرمون والأشرار في خلواتهم ، واظهار ما تجيش به أفئدتهم ثم ايقاع الذعر في نفوسهم عند افتضاح أسرارهم . فلا فائدة إذن في اغلاق الأبواب ، وخفت الاصوات ما دام الديكتافون مخفيًّا . إما في أثاث الحجرة وإما في أحد حيطانها ، حيث يمكنه التقاط أضعف الاصوات واعادتها عند الحاجة على من يطمحون إلى سماعها بعيداً عن مصادرها

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أنه كان في بلاد الأمريكان ، مخبر سري يشار إليه بالبنان هو و . ج . برنز W. G. Burns بلغ من عبقريته في اقتفاء آثار الاشرار والتنكيل بهم أن حسبه بنو وطنه « سحّار الفجّار » وذلك قبل أن يعرفوا أنه يستخدم الديكتوغراف ، ثم إن براعته بصفة كونه مخبراً سريًّا لم تَهِنْ عند ما تبيَّن أنه هو نفسه كان من أوائل الناس الذين شاهدوا خطر شأن الأعمال التي يضطلع بها هذا الجهاز في المباحث السرية ، فضلاً عن كونه قد استخدمه استخداماً ناجحاً حتى بعد تكشف سرّ هذه الآلة للمجرمين ، ثم عقب معرفتهم إياها . وبلغ من شغف برنز بالديكتوغراف أنه يحمله دائماً في جيوب ثيابه . وقد يغفل حمل غدارته أو يهمل حمل الأغلال ، خلافاً لأترابه ، من أقطاب المخبرين السريين ، ولكنه لا ينسى أبداً صديقه الديكتوغراف لأنه يعدُّه أقوى آلة عصرية ترغم الآثم على الاعتراف بإثمه . وإذا وُصّل الديكتوغراف بآلة التليفون المنزلي ، استطاع به رب البيت أو ربته أن تسمع خلسة كل كلمة يفوه بها أي إنسان يلوذ بها ، خادماً كان أو زائراً أو قريباً لها ، وإن كان بعيداً عنهـا . وبلغ من صغر حجم الديكتوغراف أنه يسهل تركيبه في جوف جهاز التليفون المألوف بحيث لا يفطن له امرؤ . فهو جهاز يشبه ناقلاً صوتيًّا ، أو بوقاً كهربيًّا حساساً جدًّا مؤلفاً من قطب كهربي ذي عشر بطاريات تحتوي على كريات من الفحم بدلاً من رقعة

الصفيح التي توضع تجاه قطب كهربي صلب من الفحم ، كما هي الحال في بوق التليفون . ومن طبيعة هاتيك الكريات الفحمية عدم الاستقرار في مكانها ، بل التجوال تجوالاً من شأنه صيرورة البوق الديكتوغرافي نشيطاً على الدوام ، حساساً الى أقصى حد .

فاذا ما وقعت محادثة أو أي صوت في حجرة يوجد فيها تليفون ركب فيه بوق ديكتوغراف أتيح لطالبها سماعها جلياً في الطرف الآخر من الخط . وبلغ من حساسة هاتيك الأبواق أن المستمع لها في نهاية الخط لا يجب أن يكون قريباً من السماعة لكي يسمع كل ما يدور في مصدر الحديث.

وبما أن الديكتافون يحل محل البوق التليفوني ، فلا يدري به أحد على الاطلاق فيقوم التليفون مقام بوقه حينما توضع السماعة في موضعها . ومن ثمة يتاح تضليل كل من يُقصد كشف سره به .

فان كنت مثلاً صاحب دائرة أشغال تجارية مؤلفة من مكاتب شتى ، أمكنك عن طريق هذا الجهاز ، الوقوف على كل ما يدور من المحادثات في كل مكتب منها على حدته بينما تكون جالساً عند مكتبك . وما عليك لتحصل على أمنيتك إلاّ أن تضغط زرّاً صغيراً فيتصل تليفونك بتليفون المكتب المراد استقصاء أخباره ، فتنصت لكل ما يحدث فيه من المحادثات العقيمة . فاذا كان المستخدمون مثلاً يتسامرون بعضهم مع بعض ، مهملين واجباتهم ، أدركت تقصيرهم على الفور . وهذا من حقك الشرعي ما دمت مخولاً قانوناً أن تجوس خلال مكاتب أشغالك من حين الى آخر لتتفقد أحوال عمالك ومرؤوسيك .

وهذا بلا جدال من أنفع منافع الديكتافون . ولقد ما يدهش كثيرون من المستخدمين ، عند ما يدركون أن صاحب العمل أو مديره يلم بما يتفوهون به في غيبته ، وأنه متيقظ لكل ما يبدر منهم من التلكؤ في نوبات أعمالهم فيسجلها ضدهم . ولذلك عنيت شركات كثيرة للمصانع الانكليزية والامريكية وغيرها من دوائر الأعمال الاوروبية والامريكية وغيرها بتجهيز مكاتبها به بغية تجسس أحوال صناعها ومستخدميها في حينها (ولكنها لا تعترف بهذه الحقيقة لأن إعلانها ليس في مصلحتها طبعاً) .

أما التذرّع بهذا الجهاز لإثبات الجرائم على مقترفيها أو للتجسس على المستخدمين ، فعلى الرغم من خطر شأنه ، فهو أمر محدود جدّاً بلا ريب . غير أن نفعه في الأعمال التجارية أعظم مما تقدم وصفه وبالديكتوغراف أصبح في وسع صاحب الأعمال ، الاتصال بكل دائرة من دوائره التجارية دون مغادرة مكتبه . فاذا شاء مثلاً محادثة مستخدم في الطبقة الرابعة من المتجر مثلاً ، أتيح له ذلك الأمر دون إنزال سماعة التليفون عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مكانها ، ولا نداء عاملة التليفون لـكي توصله بمن يريد مخاطبته ، وقد يكون هذا الشخص متغيباً عن مكتبه أو يكون في الجانب الآخر من غرفته . بل كل ما يجب عليه وقتئذٍ أن يضغط زراً فيدق جرس التليفون في الغرفة المفروض وجود المرء المطلوب محادثته فيها . ثم يواصل المزمع المحادثة أعماله المألوفة أيّاً كانت ريثما يرد عليه الشخص المقصود ، فيتمكن صاحب الأعمال (وهو جالس على مقعده الوثير ، وقد يكون المخدوم مشغولاً بالكتابة) من إصدار تعليماته الى ذلك المستخدم . وحينئذٍ لا يضطر المتكلم الى وضع شفتيه على بوق التليفون لأن المستخدم يستطيع من الجهة الأخرى الرد على التليفون ، ولو كان بعيداً عن مكتبه (مائدة الكتابة) وذلك لأن المستخدم إذا تكلم بصوته العادي صار صوته مسموعاً ، وإن صدر من أي جزء من أجزاء الحجرة فلا يضيع عبثاً أي وقت من كليهما . وباستخدام الديكتافون موضوعاً على المكتب ، يمكن الاستغناء به عن خزانة التليفون وهي التي يلجأ إليها المتكلم لـكيلا يسمع الآخرون حديثه التليفوني ، وذلك لأن بوق الديكتافون حسّاس جداً فيجعل أخفت الأصوات مسموعاً ولو كان همساً . هذا اذا كان المتكلم يبغي ألاّ ينكشف سره لغير مخاطبه ، وحسبه أن يقرّب شفتيه من البوق ثم يتكلم بصوت منخفض جداً فلا يسمعه الجالسون بجوار مكتبه .

كيف تسجل الأحاديث الخاصة بالأشغال التجارية

ومما لا شك فيه أنه يكاد يستحيل على أي واحد من أرباب الأعمال التجارية ، املاء كاتب من كتبتهم ، أي خطاب يتعلق بأشغالهم في حضرة زائريهم ، دون وقوفهم على فحواه ، في أثناء الاملاء ، بيد أن هذا ميسور بمعاونة الديكتافون إذ يستطيع المرء أن يملي مُسامَحةً كاتب الاختزال ، ما يريده ولو كان هذا المختزل في حجرة مجاورة له . ويتسنى أيضاً الحاق الديكتافون بجهاز الفونوغراف ، بغية تسجيل حديث المتكلم ، إذا شاء ذلك . ويكفي حينئذٍ أن يضغط المتحدث زراً كهربيّاً فيقوم الجهاز بما ينشده الطالب . وإذا كنت تناقش تاجراً من أصدقائك في أمر ذي بال ، ويهمك تدوين ما يدور بينكما من المفاوضات ، قام الديكتافون بذلك العمل على خير ما يرام . وفي مثل هذه الحالة يمكن الاستغناء عن المختزل الذي يكلف العمل في آخر الخط . وحينئذٍ تسجل المحادثات جميعها على اسطوانة الفونوغراف . وعنها يستطاع نقل الحديث برمته فيكتب بالآلة الكاتبة . وبلغ من دقة جرم الديكتافون أنه حيثما يوضع لا يتجلى أمره لمخلوق ، فيمكن تركيبه في مستشفيات الأمراض العقلية فيلتقط كل ما يصدر من أقوال المجانين آناء الليل وأطراف النهار ،

فتعرض على أطبائهم ليقفوا على تفصيلاتها لأن للمخبولين حالات شتى يتعذر على الأطباء دراستها بالرقابة الشخصية فيتسنى لهم الوقوف على كنهها بمساعدة الديكتافون . لأن أولئك المرضى يسلكون في عزلتهم سلوكاً مخالفاً لما يبدو منهم في حضرة مراقبيهم . وقد رُكِّبتْ أجهزة الديكتافون في طائفة من الفنادق الكبرى في انكلترا وأمريكا وغيرهما فاستدل بها مديروها على الأشرار الذين يلجؤون إليها ، فأرغموا على اخراجهم منها غير آسفين . بل إنها أصبحت واسطة لاثبات التهم على المجرمين الذين يكمنون فيها ، وتسهيل ارشاد حفظة الأمن العام اليهم ، ليقبضوا عليهم . وقصارى القول إن للديكتافون محاسن ومساوىء لا تحصى .

والديكتوغراف الذي يستعمله المخبرون السريون ، هو تليفون داخلي مكيَّف ، لتلك الغاية ، الغرض منه التجسس . ويبلغ ثقله نصف رطل ويمكن حمله في جيب المعطف . وعندما يوضع في علبة من الجلد الاسود يخيل لناظره أنه آلة تصوير صغيرة مما يحمل في الجيب ، وفيه جامع للصوت أو بوق ، وقرص يتلقى الصوت ، وبطاريتان جافتان صغيرتان ، وسلكان مغطيان بالحرير الاسود. وذلك البوق قرص من الكاوتشوك الصلب الاسود ، يزن بضع أواقٍ . ويبلغ عرضه زهاء ثلاث عقد أصبع « بوصات » وثخنه عقدة واحدة . وله عين معدنية يمكن تعليقه بها على مسمار خلف أحد المكاتب أو وراء إحدى الصور . ثم إن الاسلاك تدخل في الطرف الأسفل للقرص حيث يوصل آخرها بقرص الاستقبال الذي يثبته المتصنت بأذنه. ويستمد الجهاز ، التيار الكهربي اللازم له ، من البطاريتين الجافتين . ولا يصلح الديكتوغراف لمسامرة شخصين بعضهما مع بعض ، خلافاً للتليفون الداخلي . وذلك لأن المخبر السري أو المختزل الذي في آخر الخط لا يهمه الرد على محادثه . فنهيب إذن بولاة أمورنا أن يتصلوا بسفيرنا في واشنطون ليبتاع لحكومتنا طائفة من أجهزة الديكتوغراف بغية الانتفاع بها في المعتقلات المصرية المعاونة على خدمة العدالة واحقاق الحق وازهاق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

تنفيض الغبار بالكهرباء

اخترع الدكتور سويني العالم الامريكي أستاذ الهندسة الكيميائية في كلية آيوى الحكومية ، ورئيس ذلك القسم من أقسامها العلمية اختراعاً سوف يكون من بواعث ارتياح ربات البيوت جميعهنَّ ، إذ يكفيهنَّ مؤونة نفض الغبار عن أثاثاتهنَّ المنزلية . وذلك عن طريق قيام الطاقة الكهربية بهذه الخدمة . ومذهبه في هذا الاختراع أن الغبار ونُسُج العناكب ، تتراكم على المفروشات . ولا مندوحة عن إزالتها . ولما كان الغبار فاصلاً بشحنات كهربية سالبية، تقابلها شحنات

كهربية إيجابية في الأثاثات ، فقد دلت المباحث العلمية على امكان صنع كراسي من العجائن الكيميائية ذات شحنات كهربية سلبية ضئيلة أيضاً ، فلا يستطيع الغبار الاستقرار عليها لأنها تطارده فلا يبقى إذن موجب لتنفيضها . وهذا يطابق القاعدة العلمية المعروفة وهي إن الشحنات الكهربية التي تكون من نوع واحد ، يتنافر بعضها مع بعض . ومن الغريب أن هذه الكراسي كان اختراعها نتيجة لظاهرة طبيعية تجلت لمخترعها في سطوحها على غير قصد ، أي إنها لم تكن متولدة من إدخال شحنة كهربية فيها عمداً . وهكذا الحال إذا أردنا ترسيب الغبار في المصانع المعدنية ، فيجب شحنه بنوع واحد من الكهرباء ثم نشحن سطحاً معدنيًّا أيًّا كان بهذا النوع نفسه من الكهرباء فينهال الغبار بعيداً عنه حيث يتاح جمعه في الدلاء فياله من اختراع رائع .

جهاز الحلاقة

اخترع في شيكاغو جهاز حلاق يركب في الأماكن العامة ، ذو ثغر ، فيلقي فيه السائح أو مرتاد السينما ، الأجر فيدفع إليه توًّا ، موسى كهربائية ، فيحلق بها الطالب لحيته وذقنه ، وذلك تجاه مرآة مثبتة في الجهاز ، تضاء يمنةً ويسرةً . وعندما يتمم العميل حلاقته ، يلقي الموسى في وعاء التطهير المركب في الجهاز نفسه . حيث يقوم مصباح مبيد للجراثيم بتطهيرها بأشعته القتالة لها . وهذه الموسى متصلة بحبل كهربائي فاذا ما سوّلت لامرىء نفسه سرقتها ، فعمد إلى قطعها من حبلها قُرِعَ جرس كهربائي ، في الجهاز فيفتضح أمر السارق فيقبض عليه الشرطة توًّا . وقد شاهدنا جهازاً كهربيًّا حلاقاً بسيطاً وذلك في صالون حلاقة ابتاعه صاحبه من جندي ، منذ سنتين . ثم علمنا حديثاً أن هذه الآلات تباع بالقاهرة بسعر الواحدة خمسة جنيهات .

أقراص البنيسيلين ومنافعها

قالت الجريدة الطبية البريطانية إن البنيسيلين أصبح مستعملاً أقراصاً كالأقراص الدوائية الصغيرة المحلاة بالسكر التي يمتصها الناس ، ابتغاء شفاء السعال . وذلك لعلاج أمراض الحلق والفم . وقد نجحت هذه الأقراص في بعض الاصابات كازالة الألم والحمى وابادة الجراثيم في ٢٤ ساعة . أما في حالات الالتهابات الحادة للوزتين ، التي تكون مصحوبة بالجراثيم السبحية الشكل « التي على شكل المسبحة » فقد أفضت الى تخفيف المرض تخفيفاً عظيماً في ٢٤ ساعة . وبعد مضي ٤٨ ساعة على تناولها نجا المرضى جميعهم من الحمى . وتركب هذه الأقراص من الهلام « جيلاتين » والبنيسيلين ممزوجين بمادة واقية لها من التلف

عوض جندي



مكتبة المقتطف

عصر الاشتراكية

للأستاذ اسماعيل مظهر

— ١ —

أصدر رسالة بهذا العنوان الأستاذ اسماعيل مظهر رئيس تحرير « المقتطف » والكاتب المفكر الذي رفع مشعل حرية الفكر بأعمق معانيها في مصر منذ ثلاثين عاماً والذي قبس من نور هديه وغزير علمه ونقاء وطنيته الكثيرون من رجال مصر وقادة الجيل . . . وان هذا المفكر الجريء الذي يأبى إلاَّ أن يكون كما كان دائماً في طليعة المفكرين والذي لم يضعضعه تطاول السن، ولم توهن من عزيمته فداحة التضحيات ، هذا المفكر الجريء يضع اليوم أمام شباب هذا الجيل بهذه الرسالة نبراساً مضيئاً يبصّرهم بحقيقة المذهب المسيطر على العصر الذي يعيشون فيه بأسلوب قوامه الاخلاص والتعمق وعرض يهدف الى اجتناء الفائدة وتجنب الزلل. فانه من الغباء حقاً أن لا نستفيد من تجارب غيرنا كالابتداء في تحقيق المذاهب الجديدة من غير أن نتعمق في درسها واكتناه احتمالاتها .

وقد تناول الأستاذ اسماعيل مظهر في الفصل الأول شرح ما هي الشيوعية وما هي الاشتراكية مما يجهله الكثيرون من قادة هذه الحركة أنفسهم في مصر وغيرها وما يجب أن يعرفه كل مثقف حتى لا يسهل انحرافه وفي هذا القول ردّ على أستاذ في معرض المناقشة بشأن الصلة بين الشيوعية والاشتراكية (نعم أن في الشيوعية بعض معاني الاشتراكية ولكن الشيوعية مع ذلك مذهب أو متجه إجتماعي ليس فيه من الاشتراكية إلاَّ ناحية منظمة للحياة الاقتصادية ولكن الشيوعية فوق ذلك نظام حكم ودولة دكتاتورية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وليس في الاشتراكية شيء من ذلك أصلاً وقد يكون النظام الاقتصادي إشتراكيًا وتكون الدولة ديمقراطية مقيدة بأنها ملكية أو جمهورية ملاكها دستور حر تحترم فيه الحريات وتنمو فيه الكفايات ... وليس في ذلك كله شيء من الشيوعية إذ أن النظام الشيوعي نظام هرمي تطابقي تعلو فيه طبقة على طبقة، وتتدرج الطبقات، فإذا كل الهرم تربع من فوقه مجلس أعلا ومن فوق هذا المجلس تربع شخص واحد هو ستالين في روسيا) .

بهذا التحديد الواضح الدقيق تكشفت حقيقة خطرة بعيدة الأثر . فلو عرف دعاة الحركات التقدمية في مصر والشرق كيف يوضحون مذاهبهم هذا التوضيح الجلي، لما كانت قائمة الحكومات عليهم ووقفت بذلك سير شعوبها نحو التقدم . وللحكومات عذرها إذا خلطت بين دعاة الاشتراكية ورسل الشيوعية من الجاهدين في سبيل أممهم ومذاهبهم الاصلاحية إن النظام الشيوعي كما أمكن تطبيقه رجوع الى أشنع أنواع التحكم التي عرفها التاريخ . إن أعلا القمم في سلسلة تاريخ البشرية هي النضال من أجل الحرية حرية الفكر والوجدان لا حرية الرغيف . فالثانية تبع للأولى . وإننا نكون جد مجانين وخائنين لرسالة الانسانية لو أسلمنا هذه الحرية لأي نظام من الأنظمة مهما تحقق في ظله من مطالب المادة . إن فضل الأنظمة عندي هو النظام الذي يستطيع فيه من ليس في الحكم أن يقول للحاكم إذا تجاوز حده : قف مكانك وإلا أزلتك بقوة القانون فهو الحكم بيني وبينك . وهذا أبعد ما يكون عن التحقيق في ظل نظام دكتاتوري . ولكن هذا يتحقق فعلاً في ظل نظام اشتراكي لدولة ديموقراطية سواء أكانت ملكية أم جمهورية قوامها دستور حر — وهذا ما يجب أن يعرفه الناس في هذا الشرق حكاماً ومحكومين حتى لا تفزع الحكومات وتأخذ المصلح بجريرة الهدام نتيجة تخليط في الفهم وجهل بالمبادىء، وهذا ما يقع فيه مع الأسف الكثيرون من المفكرين والمثقفين فضلاً عمن دونهم .

وفي الكتاب بحث رقم بعنوان « حددوا الحدود » نشر بمناسبة إصدار الحكومة المصرية لقانون مكافحة الشيوعية وكان من أثره تعديل القانون وقصر تهمة الشيوعية على محاولة التنفيذ العملي لا لمجرد إبداء الرأي

ولعل حكومات الشرق المستقلة لا ترى حرجاً بعد ذلك في قيام الاحزاب الاشتراكية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما دام الأمر قد وضح هذا الوضوح الذي لا لبس فيه ولا خلاف منه على الأنظمة القائمة .

وجاء في الفصل الثاني من الرسالة ملخص بتاريخ الحركة الاشتراكية والعمالية في بريطانيا ولعلَّ هذا الفصل أحسن قدوة يستطيع أن يستفيد بها الشباب المتنور وان هذه الرسالة على صغرها لأجدى على القارىء من قراءة كثير من الكتب المطولة في هذا الموضوع بل لعلها ألزم له إذا ما أراد الا ّ أن يطالع المطولات فانه لأفضل له أن يدخل عليها من هذا الباب (رسالة عصر الاشتراكية) إذ بذلك يكون قد حمل بيده مصباح الأمان .

محمد فهمي

— ٢ —

ما أشبه المجتمع البشري بسفينة تشق طريقها في بطء ، وتتحرك على مهل ، وسط ثورة العواصف ، واصطخاب الأمواج ، وما أشبه أحرار الفكر عن يقبضون على دفتها ويحاولون النجاة بها ، فهم يدرسون حالة الطقس ومداخل الطريق ، ويحرصون على سلامة الركب ، وما هذه الألوان المثيرة ، المحزنة من الثورات ، والحروب التي تلطخ التاريخ البشري ، إلاَّ أدلة قوية ، على أن الوضع الاجتماعي لم يأخذ مكانه الطبيعي بعد ، وان أطباءه الاجتماعيين لا يزال الداء يستتر على أنظارهم ، ويدق على أفهامهم ، ولا تزال هذه الأعراض التي تبدو على جسمه تؤكد كمون الداء ، واستشرائه ، وما هذه الدعوات إلى هذا المذهب أو ذاك ، إلاَّ تجارب للوصول إلى معرفة الدواء الذي يسكن إليه المريض ، وتذهب معه العلة ، ومن أخص واجبات هؤلاء الذين يتولون الدعاية الاجتماعية ، ويتصدون للقيادة الفكرية ، أن يكونوا على أهبة لتلقي أمثال هذه المذاهب ، وفحصها أولاً ، ومناقشة ما تنطوي عليه من عناصر ، والأستاذ — اسماعيل مظهر — من أولئك الذين قاموا بأعظم الجهود في تأدية رسالة الفكر الحر ، ولا تتأتى النهضة الاجتماعية ، والفكرية إلاَّ على أمثال هذه الأيدي الحرة ، التي لا تقيدها الرجعية ، ولا تحجب عن أنظارها سحائب الجمود الجوانب التي هي خليقة بالعناية والدراسة وهو في هذه الرسالة يجنح إلى أن طبيعة المجتمع الحاضر ، لا يصلح لها ولا تستمرىء غير الاشتراكية . وهو لا يرمي بهذا رمياً . بل هو يبنيه ، ويستخلصه من دراسات ونظرات طويلة نافذة ، فهو يعرض لك المقدمات ، ويضع بين يديك الشواهد ، التي تسلمك إلى النتائج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي يحاول الوصول اليها ، ولا يعنيه أن يرى غيره غير هـذا الرأي ، أو ينظر في المجتمع من غير هذه النافذة ما دام جيد البحث ، قوي الاستقراء ، عبقري النظرات . فنحن نستفيد من أسلوب هذا العرض قبل كل شيء . فهو أسلوب جديد في الدراسات الاجتماعية والفكرية في الشرق. وقد قسم البحث على بابين : الأول وقفه على تفنيد المزاعم التي يروّجها الشيوعيون ثم يعقب في الباب الثاني على ذلك ببحث تأملي ، تاريخي ، ناضج عن طبيعة الاشتراكيـة ، والأستاذ يعتمد في دراساته على أعظم رجال الدراسات الاجتماعية في العالم ، ثم على نظرته الخاصَّـة ورأيه المستقل ، فجاءت هذه الدراسات عن ذلك النمط الذي لا يظفر به القارىء إلاّ من الأقلام الفذة ، وإنه لبحث خليق أن يكون الطالع الجديد « لرسالة الفكر الحر » والتي نأمل أن تؤتي ثمارها في تحرير الفـكر الذي طال استعباده ، وعمق نومه ، وتنقه في الحياة القيمة أثره .

محمد عبد الحليم أبو زيد

١ — أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء

للسيدة وداد سكاكيني — ١٧٢ صفحة من الحجم المتوسط — دار الفكر العربي

كتاب موجزٌ مُسلمٌ جمع في عدد قليل من الصحائف سير طائفة من العربيات اللاتي كنَّ فجر النهضة النسوية في الجزيرة العربية . أنيق الأسلوب ، أنيق العرض ، أنيق الاختيار، ولا غرو فهو كتاب عن سيدات كتبته أديبة بارعة هي السيدة الجليلة وداد سكاكيني ، أديبة سوريا ونزيلة القاهرة الآن .

تحدَّثت في الـكتاب عن خديجة أم الزهراء التي كان لها من الجرأة والإقدام ما دفعها إلى أن تتقدّم إلى محمد الرسول تخطبه لنفسها وتعيش في كنفه خمسة وعشرين عاماً حتى يُؤذَن لها بالفكاك من قيود الدنيا المادية وتنطلق روحها إلى بارئها .

وتحدَّثت عن فاطمة الزهراء بنت محمد وأم الحسنين ذات القلب الرفيق الحنـان ، التي آثرت أن تتصدق بذهبها وسترتها لبعض الفقراء ، على أن تتزين بهما وتختال على صويحباتها وبنات جلدتها .

وساقت حديثاً طليًّـا عن عائشة المفترى عليها وكيف تجلدَت أمام حديث الإفك الذي تناقلته ألسنة الوشاة المرجفين حتى ظهرت براءتها على الملأ ولقـبت بأم المؤمنين .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واسترسلت السيدة وداد سكاكيني بإطارها البيانيّ الجميل تتحدث عن وفاء بنت الرسول وأخت الحسين وذات النطاقين وأم سلمة وزينب الأسدية ومارية المصرية وخناس الصبور وريحانة الحجاز وأم معاوية وأخت ضرار وأم الأمين ، وهي لا تكاد تستكمل صورة زاهية الألوان حتى تنتقل إلى أخرى أخاذة البريق ، إلى أن أتمت الكتاب والقارئ مبهور مشغوف .

بيد أني أعتقد أن كتاب « أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء » لا يصحّ أن يعدّ كتاباً كاملاً وافياً ، وإنما هو مقدمة لكتب ينفرد كل واحد منها لإمرأة من هاتيك النسوة اللائي استطعن في عصر بادي الرجعية ، أن يتصدرن حركات السفور ويأخذن مكانهن الطبيعي في حلبات السياسة ومجالس الشورى .

٢ — النار الخالدة

للاستاذ فؤاد صروف — سلسلة إقرأ — دار المعارف بمصر

استيقظت الشعوب ذات صباح لتقرأ في صدر صحفها وبأبرز حروفها ذلك النبأ المروع نبأ توصل العلماء إلى إبتداع قنبلة ذرية تدكّ مدناً وتفني عشرات الآلاف ساعة انفجارها .

واستيقظت اليابان ذات يوم على مصرع سكان مدينة هيروشيما ، ولم تمض ساعات حتى لحق بهم سكان مدينة نجازاكي فأمست المدينتان قفراً بلقعاً ليس فيهما سوى أشلاء متناثرة وبقايا دور سوّيت بالأرض ، وحفنة من المرضى والعُتْه أمهلتهم الطبيعة بضعة أيام ليقصّوا على العالم قصة أكبر مأساة عرفها التاريخ ، وأكبر كشف استطاع بنو البشر أن يحققوه على مدى الحقب والقرون .

وإذا كانت هذه الأنباء انقضت على العامّة انقضاض الصاعقة لأنهم صدموا بجدّتها ، غير أن العلماء كانوا يتوقعونها بين يوم وآخر لأنهم كانوا قد تحققوا من قدرة العلم على تحطيم نواة الذرّة وإطلاق الطاقة المكنونة فيها من عقالها ، وهي طاقة لم يكن للبشر بها عهد وإن استطاعوا أن يرصدوا مداها على الورق بتطبيق قاعدة اينشتين .

والأستاذ الكبير فؤاد صرّوف من أولئك العلماء الذين أولوا مسألة هطر نواة الذرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واستغلال الطاقة الناتجة عن هـذا الشطر في مرافق الحياة ، عنـاية كبيرة ، وكان من أسبق المصريين — إن لم يكن أسبقهم — إلى نشر بحوثه العلمية — في هذه المجلة وفي كتابه النفيس « الفتح مستمر » وقد أصـدره من بضع سنين . وكان من حسن الاتفاق أن حقق العلماء الأميركيون انتاج أول قنبلة ذرية وتجربتها في بيداء نيومكسيكو والاستاذ صرّوف يزور القارة الأميركيـة فاستطاع أن يشهد مولد القنبلة في مهدها ويظفر بنسخة من التقرير الرسمي الذي وضعه العلماء عن القنبلة .

ولم يشأ أستاذنا صرّوف ان يستأثر لنفسه بهـذه المعلومات ، بل عمد إلى تدوينهـا في كتابه الجديد « النار الخالدة » الذي قصّ فيه رواية القنبلة فصلاً فصلاً في غـير تهويل ولا إسراف متحرياً أدق الحقائق ومستنداً إلى أجدر المراجع بالثقة . وكما أن النـار التي اخترعها الإنسان في فجر حيـاته تنفع البشرية نفعاً غير محدود إذا أحسن استخدامهـا ، وتضرها ضرراً غير محدود إذا أسيء استعمالها ، فكذلك « نار القرن العشرين » — وهي كناية عن الطاقة الذرية — تستطيع أن تهب العالم رخاء لا حدّ لمداه ، وتستطيع كذلك أن تفني الخلائق في غمضة عين .

إن كتاب « النار الخالدة » وعاء مليء علماً . . وهو علاوة على قيمته العلمية الممتازة قطعة أدبية رائعة ممتعة .

٣ — وطنيتي

للاستاذ علي الغاياتي — ١٣٥ صفحة متوسطة — مطبعة منبر الشرق بمصر

ليس من يجهل قصة ذلك الديوان الشعري الذي حوكم بسببه اثنان وحكم عليهما . فهو ديوان صدرت طبعته الأولى من سبع وثلاثين سنة ، فـكانت ضجة ، وكانت هبّـة ، وقامت السلطات تبحث عن مؤلفه الأستاذ علي الغاياتي وكاتب مقدمته الأستاذ محمد فريد بك لتقدمهما الى القضاء جزاء وطنيتهما !

لقد آمن الأستاذ علي الغاياتي في ريّـق عمره بحاجة الوطن إلى أعمال كل ابن من أبنائه فوقف قلمه على الاشادة بمجد بلاده ، وسخر ملكته الشعرية على التنديد بالظالم أيّاً كان مصدره ، وتمجيد الحق أيّـا كان رافع مشعله . كان مفعم القلب بحب وطنه مصر ، وحب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحرية ، فكان شديداً في الحملة على أعداء الوطن والمتقوّلين عليه ، عنيفاً في هجاء ذوي السلطان ممن يعملون على تقييد حرية الفكر وحرية الوطن .

وإذا كان الأدباء اليوم يتجادلون وتدور بينهم المساجلة بشأن الأدب وهل يقتصر على ذاته أم يسخر لخدمة المجتمع ، فقد برهن الأستاذ علي الغاياتي على أن الأدب يمكن الاستعانة به في ترقية القوميّة والحميّة الوطنية، ويتيسّر التوسل به في إلهاب حماسة الأفراد والشعوب دون أن ينتقص من قدره كأثر فني جميل .

وأريد أن أنبّه الأستاذ الغاياتي إلى أنه قال في مقدمته إن مدينة « التير » مدينة قديمة عظيمة من مدن فينيقيا شهيرة بالتجارة والصناعة . وإن كان الانجليز والفرنسيون يطلقون على هذه المدينة اسم Tyre غير انه يطلق عليها بالعربية اسم « صور » وهي مدينة شهيرة تقع على ساحل لبنان جنوبي صيدا . ومن الأفضل دائماً ان نطلق عليها إسمها العربي منعاً للبس ودفعاً للغموض .

وديوان الغاياتي يشتمل على دعوة وجهها الشاعر إلى الأدباء يناشدهم فيها أن لا يضيعوا جهودهم في ما لا منفعة منه للوطن بل ينبغي لهم أن يشركوا بلادهم ومشكلاتها في أعمالهم ويخدموها إن لم يكن بكل نتاجهم ، فببعضه .

وهي دعوة — وإن ردّدها صاحبها من سبعة وثلاثين عاماً لا تزال أسبابها ودواعيها باقية ماثلة .

وديع فلسطين

١ - سادهانا أو تحقيق الحياة

لشاعر الهند رابندرانات تاجور — ١٧٦ صفحة من القطع الوسط — نشرته مكتبة الانجلو المصرية

كان « المقتطف » في السنوات الأخيرة في مقدمة المجلات العربية التي عنيت بأدب شاعر الهند العظيم رابندرانات تاجور ، فنشرت ترجمات كثير من آثاره الشعرية نقلها إلى العربية الأستاذ محمود كامل حبيب .

ثم نشرت دراسة ممتعة عنه بقلم الأستاذ محمود المنجوري ظلّ يتابع نشرها زمناً في المقتطف حتى أتمها .

ولقد كان رئيس تحرير المقتطف — وقتئذ — الأستاذ فؤاد صروف من المعنيين

بإبراز أدب تاجور في العربية فهيأ تلك الفرص . كما أن رئيس تحرير المقتطف الحالي الأستاذ اسماعيل مظهر كان من أوائل العاملين على تغذية الأدب العربي بثروة طائلة من أدب هذا الشاعر العظيم فنقل الى العربية — حين كان يصدر مجلة « العصور » منذ عشرين عاماً — كثيراً من روائع تاجور .

فإذا كانت هذه المجلة هي أولى المجلات العربية تقدم إلى قرائها خبراً عن أثر جديد من تاجور — فليس غريباً عليها ذلك — وهذا الأثر هو كتابه « سادهانا » الذي قام بترجمته إلى العربية الأستاذ محمد طاهر الجبلاوي وهو أديب متعمق شاعري اللفظ ، دقيق في المحافظة على تعبير تاجور . وقد استطاع — على حدّ تعبير الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد — أن يلج إلى قدس أقداس هذا المحراب، فينقل الى لغته هذا الأثر الخالد من آثار حكيم الهند .

ومن يرجع إلى الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب يجد الدقة التي أخذ الأستاذ الجبلاوي نفسه بها حين أراد أن يؤدي إلينا في أمانة هذه الرسالة .

٢ — أعلام الجيش والبحرية في مصر

أثناء القرن التاسع عشر

الجزء الاول — ١٩٢ صفحة من القطع الكبير — مطبعة الرسالة بمصر

وهذه خطوة أخرى من الأستاذ البكباشي عبد الرحمن زكي حقق بها أملاً للمكتبة العربية ، وسدّ بها نقصاً كانت تشكوه

فالمكتبة العربية غنية بالتراجم لأعلام الأدب والفكر في كل عصر ، ولكن أبطال الجيش والبحرية لم يقدر لهم ذلك ، وكاد النسيان يعفي عليهم لولا أن فكر الأستاذ عبد الرحمن في وضع اللبنات الأولى لهذا العمل المجيد حتى تتكوّن منه على مرّ الزمن معلمة يرجع إليها في تاريخ هؤلاء الابطال ، وليكون من وراء عرض سيرهم حافز للشباب على التطلع إلى القدوة المثلى

وليس الغرض من تأليف هذا الكتاب — كما يقول مؤلفه الفاضل — هو ترجمة حياة القادة ، من رجال البر والبحر ، فحسب ، وإن كان هذا وحده غرضاً كافياً بل إننا نهدف إلى تبيان فعال هؤلاء الاعلام ، في ميادين الجهاد والعلم والبحث والبناء حيث عملوا أفراداً أو متضامنين .

وقد ضم الجزء الاول ترجمة أكثر من مائة وعشرين شخصية من أبرز رجال الجيش والبحرية في أيام محمد علي وفي أيام الخديوي اسماعيل وما يلي عهده . وفي مقدمة من تناولهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البحث مؤسس النهضة العسكرية في مصر محمد علي الكبير ثم ابنه ابراهيم باشا فاسماعيل باشا وأشباله .

وإنه في الحقيقة لمجهود ضخم يحتاج إلى قوى كثيرة تضطلع به ، ولكن همة المؤلف فوق كل جهد ، فقد اضطلع وحده بهذه المهمة الشاقة فاستطاع أن يبرزها قوية واضحة السمات .

حسن كامل الصيرفي

أولادنا

تدأب « دار المعارف بمصر » منذ انشائها على اداء رسالة الفكر ومسايرة روح العصر والتمشي مع نهضته ، فنراها تهل علينا بين الحين والحين بمشروعات تتفق ومختلف الأذواق ، فأصدرت منذ أعوام سلسلة « اقرأ » ثم مجلة « الكتاب » ثم « روضة الطفل » . وها هي ذي اليوم تصدر سلسلة جديدة للنشء هي « أولادنا » .

فأولادنا هم « أكبادنا تمشي على الأرض » والواجب يقتضينا أن نوفر لهم كل أسباب الحياة النافعة ، فان العناية بهم وتنشئتهم النشأة الصالحة هما أساس تقدم الأمم ونهضتها . وأول مظاهر هذه العناية يتجلى في الحياة العقلية فهي دعامة السعادة والرقي ، ومن ثمّ وجب أن يحبب اليهم الكتاب الصالح ليقبلوا عليه صغاراً ويتعلقوا به كباراً ، فيرهف حسهم وتنمو ملكاتهم ويصيروا رجالاً تزهى بهم الفضيلة ويعتز الوطن .

ولقد احتلت القصة في هذا العصر المحل الأول من عناية المربين والمعلمين لأنها الدرجة الأولى من سلم المعرفة ، ولكن المكتبة العربية ، على ما فيها من نفائس القصص الصالحة للنشء — لا تزال مفتقرة الى المزيد . « فدار المعارف » باصدارها هذه السلسلة الجديدة تسد هذا الفراغ ، وتقدم « لأولادنا » خير ما يوسع آفاق خيالهم ويجلو لهم أنوار المعرفة في متعة وتسلية .

و « أولادنا » عنوان يذكر الآباء بمطالب أبنائهم ويبصر الأبناء بفضل آبائهم عليهم ولا شك أن إشراف حضرة المربي الكبير الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك عميد معهد التربية العالي على هذه السلسلة كفيل بأن يقدم لأولادنا كل ما يسر وينفع .

تصحيح خطأ

وقع في مقال الأستاذ الصير في المنشور في الصفحة رقم ٢٣٧ من العدد السابق عن كتاب « رباعيات عمر الخيام » خطأ حيث جاء فيه « ... فتح جديد وصحته « فتح باب جديد »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الرابع

من المجلد العاشر بعد المئة

٢ — لحق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ مايو سنة ١٩٤٧ — ١٩ جمادى الثاني سنة ١٣٦٦

وطننا الشرق

الساكت على الحق شيطان أخرس . صدق رسول الله .

وأشد ما يكون السكوت على الحق خطراً على مستقبل الأمم ، أن يروح زعماؤها يغرونها بأنها في سبيل النجاح وهي في الواقع في سبيل الانحلال والضعف .

خطأ أن تقاس عظمة الأمم بعدد الأفراد أو بالثروة أو بالأبنية والعمائر ، إذا كانت نفوس الأفراد خراباً ، إلا من أوهام العظمة ، وخيالات القوة والفتوة ، وفتنة المظاهر المرئية ، ومن وراء جمّاع هذه المظاهر انحلال يشمل جميع المرافق ، وبخاصة انحلال في العقلية وانحلال في الفكر ، وانحلال في الأخلاق .

حفنة من المقدونيين فتحوا العالم ، ودوّخوا الشرق برمّته في زمان الإسكندر المقدوني . ودوّخ هانيبال رومية العظمى بجيش خليط من القراطجة والغال والنوميديين وأهل إسبانيا ، وكاد يقضي على مجد الدولة الرومانية . وبضعة آلاف من العرب فتحوا الدنيا من نهر السند الى بحر الظلمات . وفي العصر الحديث حكمت بريطانيا خمس العالم ، والإنجليز لا يتجاوزون الأربعين مليوناً من الأنفس .

آية ذلك كله أن نفوساً عامرة تستعبد نفوساً خربة ، وأن أخلاقاً متماسكة تستقوى على أخلاق منحلة ، وعقولاً تفكر تخضع عقولاً جامدة ، وأفكاراً مثالية تستعلي على الأرضيات .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونحن الشرقيين في هذا الطور الذي هو في الواقع طور انقلاب حقيقي ، إنما نتوهم أننا نتطوّر الى الأصلح ، وإننا نقتدي بالمثل و ننتفع بالمثلات ، في حين أن العالم يجرنا وراءه جرًّا ويشدّنا الى عجلته شدًّا ، كأننا الصخور لا تتحرك إلاّ بالدفع القوي الشديد ، وكأننا الموتى ينقلهم الأحياء ، أو الدمى تتلاعب بها الأيدي ، أو الكرات تتدافعها صوالجة الفرسان ، أو علامات صُمّ تحركها أيدي اللاعبين على رقعة الشطرنج .

ما أردت بهذا تسفيهاً ، ولا أردت به تثبيطاً للهمم ولا قتلاً للحوافز . وإنما أريد به أن أرفع عن الحقائق خِمار الباطل ، وأن أفتح العيون على الوقائع كما هي كائنة ، لا كما تصورها لنا الأوهام . وفي هذا وحده محك الحياة الأممية وقوة الشعوب : إن أرادت الحياة واجهت الحق ومضت الى الحقيقة ، فحفزت من قواها وحشدت من كامن عنفوانها ما تستقوى به على أسباب الضعف .

هذه فلسطين تأكلها الصهيونية ، وتسهر على قتلها قوى اليهودية في أنحاء العالم ، ونحن نسبح في أحلام . يقول المسلمون منّا أن أمة محمد بخير . ويقول النصارى إنّ الأمر لله . نعم أن أمة محمد بخير ما دامت تأكل وتشرب ، وإن أكلت التراب وشربت الكدر . ونعم مرة أخرى أن الأمر لله ، ولكن أمر الله في هذه الدنيا مع الأقوياء ، لا مع المستذلّين الخوارين ، الذين تتفجر في حجورهم قنابل الصهيونية ، وهم على صلواتهم عاكفون ، كأنما هذه الدنيا صلاة وصوم وزكاة ولا شيء غير هذا . وما كان الدين إلاّ سبيلاً للقوة ، وما كانت العقيدة إلاّ أداة الحرية والاستقلال والتنعم بمثاليات الحياة .

وهذا شمال أفريقية تدس بريطانيا في شرقيه أصبعها المسمومة ، وتضحك فرنسا على ذقون أهل الجزائر وتونس ومراكش ، وتعمل على تفرقة هؤلاء العرب ، والعالم العربي كله واقف ينظر كأن هذه الدنيا لا تحف به ، وكأن أهل هذه البلاد من المريخ أو من زحل .

قطعت فرنسا بين أهل شمال أفريقية وبين العالم العربي كل صلة . فلا تدخل هنالك مجلة أو كتاب أو صحيفة إلاّ مهرَّبة ، كأن العقل العربي في غير تلك البلاد لا يُنتج الا سموماً تخشى فرنسا أن تسمم أهل المغرب الأقصى حنوًّا منها وعطفاً وإشفاقاً . ويدخل مصر، قلب العالم العربي، ثمانين صحيفة فرنسية كلها سمّ زعاف ، وكل دعايات سياسية وغير سياسية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكلها فجور وإثم ، وإثارة للشهوات الخسيسة ، ونحن وقوف ننظر كأن الأمر لا يعنينا في شيء .

* * *

وفي مصر ، ومنها يتطرّق الأثر إلى العالم العربي ، صحافة تمثل مناطق النفوذ الدولي في هذه البلاد ، وثمت في غيرها من أرجاء الشرق ، فهذه صحافة للدعاية الأمريكية ترمينا بكل جائحة نكراء ، وداهية ليلاء ، من غثاثات ما يلقي به الغرب في سلة المهملات ، فيصيب من أخلاقنا انحلالاً ، ومن جيوبنا ثروات ، وتلك صحف أخرى تروّج لفرنسا الغاشمة الآثمة المعتدية على شرف العرب وحرية العرب ، تلك الدولة التي تحاول فرنسة شمال أفريقية وقتل العربية والاسلام في نفوس ناشئتها وجعلها ولايات فرنسية تمثل في برلمان فرانسا ، وتدين بأدب فرنسا ، وما تمدّ فرنسا من هذه البلاد إلاّ رجالاً تقودهم الى القتل في ميادين الحرب دفاعاً عن أرضها فيذهبون فدية لأبنائها ، فيراق الدم السامي الذميم ، فداء للدم اللاتيني الكريم . وهذه انجلترا تتغلغل بدعايتها السّامة في جسم الشرق فتنصر حزباً على حزب ، وطائفة على طائفة ، وتلعب بعقول أولاء وهؤلاء ، ومن وراء ذلك كله مصالح انجلترا لا تعرف في سبيلها ذمة ولا شرفاً ولا وفاء ، وتجد منا من يقولون إنهم شرفاء ، وإنهم معقولون ، وزاد الطين بلة أن هؤلاء الشرفاء المعقولين قد رموا الشرق بكل أفاق مجرم من أهل شرق أوربا الدائنين بالصهيونية وأسكنوهم فلسطين التي هي كبد الشرق ونور عينه المبصرة ، زاعمين أن هؤلاء القتلة السفاحين مظلومين مشرّدين ، فباسم الانسانية ينصفون ، ولكن بقطعة من أرض العرب وعلى حساب العرب . على أن هؤلاء إنما ينظرون إلى شرق الأردن باعتباره فلسطين الشرقية وإلى الحجاز والشام باعتبارها فلسطين الشمالية ، والى بلاد العرب والعراق ومصر باعتبارها مناطق النفوذ الصهيوني . ومع قيام كل هذه الحقائق التي تدمغ جبين أعق الناس للحق ، تحاول بريطانيا أن تثبت من أقدامهم ، وأن توثق لهم في فلسطين ولو جلد ضباطها وخلعت نضاتها جهرةً من منصّة العدل في رائعة النهار ، ولو عجزت عن تنفيذ حكم الاعدام في مجرم قضت العدالة بأنه عضو فاسد في جسم الجماعة الانسانية ، وتقف مترددة بين أن تقدم وبين أن تحجم ، كأنما هذه الصهيونية هوّة سحيقة تكاد تبتلع مَنْ ؟ . . . . تبتلع بريطانيا . كلاّ ، وإنما هي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السياسة التقليدية ، سياسة الجور والعدوان والظلم الصارخ والافك الموروث . سياسة شرق يؤكل وغرب يأكل .

***

ليس كلامنا هذا بمحتاج الى دليل منطقي وقد قامت عليه الأدلة المادية تؤيده وتدفع عنه الشبهات . هو الحق الصارخ المدوّي : والساكت على الحق شيطان أخرس .

أنظر ماذا يقول الصهيونيون [١] .

« لا نقاتل في سبيل تحقيق حصة معينة من الهجرة اليهودية ، بل نرمي الى تحقيق الهدف التاريخي الذي تتوخاه أمتنا : وهو تحرير أرضنا من الحكم الأجنبي » .

١ — أصبح لهؤلاء وطن يريدون تحريره من نير الحكم الاجنبي : بالطبع حكم العرب وحكم الانجليز . هل سمعتم أيها العرب بسفاهة تعلو هذه السفاهة . أو وقاحة تبذ هذه الوقاحة ؟ أو رأيتم وحوشاً كواسر تود أن تلغ في دماء العرب ، أشد من هؤلاء افتراساً أو لصوصاً أنهم لصوصية ؟

يقولون :

« إن صداقة الشعب البريطاني لأمتنا أسطورة تمزقت إربا في هذا الجيل ولا سيما في أثناء إبادة ستة ملايين يهودي في أوربا .

٢ — الانجليز الذين عادوا العرب وقمعوا ثورتهم الحقة بكل سلاح دفاعاً عن اليهود والصهيونيين قبيل الحرب العظمى ، الانجليز الذين لموا شملكم على حساب العرب ، وأسكنوكم أرض العرب عدواناً وظلماً ، الانجليز الذين وضعوا السلاح في أيديكم لتقتلوا العرب وتنتزعوا عنوة أرض العرب ، تمزقت صداقتهم بالنسبة اليكم في هذا الجيل . لماذا ؟ لانهم لم يحولوا بين هتلر وقتل ستة ملايين يهودي . ولكن اسقوا أيها الصهيونيون أحلافكم القدماء وأعداءكم اليوم هذه الكأس المرة ، فانهم ولا شك يستحقون ما هو أمر منها مذاقاً .

يقولون :

« سنعمل على مواصلة النضال فيما وراء حدود فلسطين . طبيعي أن نستمر على الهجرة غير المشروعة .

....

(١) نقلت الصحف أن مراسل وكالة « اليونايتدبرس » وجه الى الارهابيين في فلسطين أسئلة تلقى عنها ردوداً نقتطف منها هنا ما نعلق عليه . الاهرام ١ / ١ / ١٩٤٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ — معنى هذا أيها العرب أن البحر وراءكم والعدو أمامكم ، الصهيونيون يتطلعون الى ما وراء فلسطين . ألم يشتر يهودي في شرق الاردن بقدمه ؟ ألم يخرج موسى بشعب اسرائيل من مصر ؟ أليس لليهود متجر في العراق ؟ أليس لهم صيرفي في الشام ؟ أليس لهم أفاك أو قصاب في لبنان ؟ أليس لهم جالية حقيرة في اليمن ؟ أليس لهم بقية في بلاد العرب ؟ فكيف إذن لا يتطلعون الى ما وراء فلسطين .

يا أبناء العرب ذوقوا فتنتكم .

يقولون :

إذا هاجمنا العرب الذين لا نسعى الى قتالهم فسنحمي أنفسنا . وإذا شنوا هجوماً على المستعمرات اليهودية فسنرد عليهم بالحرب .

٤ — المعنى المفهوم من هذه العبارة ، على حد أسلوب الشراح ، ان العرب الدخلاء إذا هاجمونا نحن الاصلاء ، فسوف نثخن فيهم ونقتلهم شر قتل ، أما الهجوم على المستعمرات اليهودية فمعناه الحرب. الحرب تملنها دولة الافاقين على أمجاد العرب . أما القول بأنهم لا يسعون الى قتال العرب ، فسره خدعة عجيبة ، هي أن هنالك عدواً ثالثاً هو الانجليز ، فاذا تخلص الصهيونيون من الانجليز ، فالطبيعي أن يتحولوا الى العرب ليخرجوهم من أرضهم .

يا أبناء العرب ذوقوا فتنتكم .

***

ذوقوا فتنتكم . ذوقوا مرارة الانقسام والغفلة والتهاون . ذوقوا مرارة التواكل والبغضاء والتقاطع . ذوقوا ما تنتج سخائم الأنفس وحفيظات الصدور .

من العرب الآن من يعامل يهوداً ، ومنهم من يمد يده لليهود ، ومنهم من يشارك اليهود ، ومنهم من يُشجّع اليهود على السيطرة على الصحافة العربية ، قلب هذه البلاد النابض ، ولسانها القائل ، وعينها المبصرة ، ووعيها الحي .

نعم . صادقوا اليهود ليخرجوكم من أرضكم ، صادقوهم ليقتلوكم ، عاملوهم ليسرقوكم ، صاحبوهم ليضلوكم ، ثقوا بهم ليفسدوكم ، قدّموا اليهم أيديكم ليلقوا بكم في جهنم .

يا أبناء العرب ذوقوا فتنتكم .

***

ولنعد بعد ذلك الى فرنسا الغاشمة ، عدوة الاسلام وعدوة المسلمين ، فننقل شهادة واحد من أهلها . قال الاستاذ جوستاف لوبون [1]

(١) حضارة العرب ص ٩٣ الترجمة العربية للاستاذ زعيتر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« ويجمع أولئك الحضريون والأعراب على مقت الأوربيين القاهرين لهم وحقدهم الشديد عليهم . ويضحي الجزائري ، الذي نصفه بالخلي المتردد المكسال القانع الوضيع المتزيد ، بماله ونفسه . ويشترك في كل عصيان وتمرد للخلاص من حكم الأجنبي الذي فتح بلاده ، وقد تم إبادة عرب الجزائر بوسائل منظمة كالتي اتخذها الامريكيون لابادة اصحاب الجلود الحمر . ولكن الذي اعتقده هو أن الفرنسي لن يستطيع حمل الجزائري على التفرنس ، وان من المتعذر أن يسود السلام في قطر واحد بين العرب والفرنسيين الذين ينتسبون الى عرقين مختلفين . وقد سمعت هذا الرأي الذي يجتنب تدوينه في الكتب عادة من جميع أولي البصائر في الجزائر ، واني أوافق عليه موافقة تامة » .

تمت أقوال جوستاف لوبون ووقع فيها بامضائه ، كما يقال في محاضر الشرطة .

وإذن ففي شمال أفريقية العربي المسلم معركة بين العرب وفرنسا ، معركة تحاول فيها فرنسا القضاء على أهل هذه البلاد بوسائل أمريكية استخدمت في القضاء على أصحاب الجلود الحمر . أما وأن فرنسا لا تستطيع اليوم ، وقد فتح العالم عينيه على مفاسدها الاستعمارية ، أن تمحو العرب من شمال أفريقية ، فهي تعمل على فرنستهم . وأول خطوة يخطوها مستبد أعمى في هذا السبيل هي القضاء على شيئين : اللغة والدين ، وبمعنى أفصح وأظهر : العربية والاسلام .

يأبناء العرب : ذوقوا فتنتكم . ذوقوا مرارة الغفلة . ذوقوا علقم ما أمدتكم به الباطنية والتصوف والزهد وخلع رداء القوة التي هي روح الاسلام ، وارتداء أثواب الضعف والمسكنة والذلة ، التي هي روح الوثنية .

يأبناء العرب : لقد أقمتم لكل معنى من معاني الضعف وثناً عكفتم عليه ، فحطموا اليوم هذه الأوثان ومزقوا أغلالها وارموا في وجه كل فرنسي بحجر من أحجارها ، وفي وجه كل مستعمر يحاول أن يأكلكم بقذيفة من بقاياها . فان لم تفعلوا فأنتم المأكولون ، وأنتم المفرنسون وأنتم المكلنزون ، وأنتم المؤمركون ، وأنتم الخاسرون في الدنيا وفي الآخرة .

وإنما أخراكم هي ثمرة دنياكم ، والأمر بيدكم ، فاذا أردتم فان ارادة الله معكم ، واذا لم تريدوا فقد أتتكم آياته فنسيتموها ، وكذلك اليوم تنسون ويحل عليكم عذاب مقيم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يا أبناء العرب : اذكروا دائماً قولة عبد الحميد طاغية الترك : إن أوربا تحاربنا حرباً دينية في قالب سياسي .

* * *

على أن فرنسا حتى بعد أن فتح العالم عينيه على مقاصدها الاستعمارية لا تزال تجري على سياسة الفرنسة في شمال أفريقية ، فأخذت تلوّح لاخواننا الشماليين باصلاحات لجة غثة ، لتصرفهم عن طلب الاستقلال وعن نواياها في « الفرنسة » ، وقد علمت من ثقة أن هنالك مشروعاً للتعليم كفيلاً بأن يفرنس شمال أفريقية في ربع قرن من الزمان ، يوضع الآن موضع التنفيذ الى جانب محاولات ترمي الى كف العيون عن النية الخبيثة المبيتة لأهل هذه الأقطار العربية الصميمة .

ولقد ننقل هنا شيئاً من تلك الدعاية الواسعة التي تنشرها فرنسا مظهرةً حدبها الكاذب على أهل تلك البلاد بعد أن أمعنت فيهم قتلاً وخمعاً وتجريحاً ، وبعد أن أنزلتهم أحط دركات الجهل والفقر والجوع ، وبعد أن نشرت في بلادهم شمور الخوف ، وأذاقتهم مرارة النقص في الأنفس والأولاد والثمرات [1] .

فقد نقلت الصحف دعاية فرنسية طويلة عريضة عن شمال أفريقية تحت عنوان « سياسة التقرب من المسلمين » ، وهي في الحقيقة الواقعة « سياسة فَرْنَسة المسلمين في شمال أفريقية » ، وهي في مجموعها ضحك على ذقون أهل الاسلام واهل الشرق ، دعاية ظاهرها التقرب وباطنها الاستعمار ، وغرس كل سيئة من سيئات الخلق الفرنسي في نفوس هؤلاء العرب ، واقتلاع كل فضيلة شرقيـة ورثوها مع الأجيال الطوال . ولقـد حدثني نابه من أهل تلك البلاد فقال : ان أصحاب المسؤولية من الفرنسيين ، وهم بالطبيعة أولئك الذين يعملون على فرنسة شمال أفريقية ، يعتقدون أن أكبر عقبة في سبيل سياستهم الاستعمارية هو « القرآن » . فانظر بربك ماذا نكون اذا صحت هـذه الرواية ، وهي ولا شك صحيحـة ، ان لم تكن صحتها آتية عن طريق النقل ، فإنها صحيحة من طريق الواقع .

---

(١) أنظر الاهرام في ٢٠ من يناير سنة ١٩٤٧ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جاء في تلك الدعاية أن فرنسا عفت عن متهمين جزائريين ، وانها عينت وزيراً مفوضاً مسلماً ، وعينت مستشارين مسلمين ورئيساً مسلماً لمحكمة الجزائر ، وشرعت تدرّس الحضارة الاسلامية في السوربون ، وأخذت تنظم الضمان الاجتماعي وتنظر في مشكلة الايدي العاملة ، الى غير ذلك من الافك الذي يخجل أن يدعيه قاطع طريق لا حكومة متمدنة في القرن العشرين .

تمن فرنسا على أهل شمال أفريقية بذلك كأنما هي تقول لهم « أيها الافارقة » : أنظروا كيف أنزل عن كبريائي وأتدنى اليكم ، فأعين منكم وزيراً مفوضاً ، ومستشاراً مسلماً ، ورئيساً مسلماً لمحكمة !!!

اما اذا كان للخجل حمرة ، فانها ولا شك لم تعرف وجه فرنسا .

●●●

ان مشكلة فلسطين ومشكلة شمال أفريقية هما أعضل مسائل الشرق والغرب . على أن ما في تينك المشكلتين من تعقد وجمود إنما هو راجع قطعاً الى أن أوربا تحاربنا حرباً دينية في قالب سياسيّ . وإلاّ فأين الحق الذي ينادي به مُهرّجو السياسة الاوربية والأمريكية ، وأين حق الامم ، وأين تقرير المصير ، وأين حرية الشعوب الصغيرة ، وأين ضمان حقوقها ؟ أين كل هذا اذا كانت أبسط الحقوق الجلية الظاهرة تصبح بين أيدي هؤلاء مشكلات أعقد من ذنب الضب .

لقد خرج العالم من الحرب الأخيرة وقد طبقت آفاقه الدعايات صارخة بأن العدل قد محق القوة . ولكن لم يكد السلم ينشر رواقه حتى أنسنا من أصحاب العدل وأصحاب الحرية الذين صدخوا آذاننا طوال سنين بأنهم حفظة العدل والقوامين على الحرية ، إنهم انما يتبعون موحيات القوة ويتكلمون بلسان القوة ، وها هي ذي جيوشهم يعج بها الشرق وأسلحة فرنسا تروح وتغدو عبر أسيا لتقتل رجال الشعوب الصغيرة في أندونسيا والهند الصينية ومدغشقر باسم الحضارة التي تعمل على فرنسة كل شبر من أرض تطأه قدم فرنسية

إذا كان المبدأ الاساسي في العدل الدولي هو ذلك المبدأ الذي قرره ميثاق الاطلنطي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إذن يكون لكل دولة من الدول الحق في أن تناضل حرة طليقة في سبيل تقرير امورها الخاصة من غير ان تتعرض لعدوان دولة او دول اخرى . وهذا المبدأ إن كان من المبادئ المقررة في القانون الدولي ، إلا انه قد حاز قوة أكبر بأن أصبح الفكرة الاساسية التي قامت عليها هيئة الامم المتحدة .

وبربك ما هو العدوان ؟ هو ان تتذرع دولة بالقوة لارغام دولة اخرى على الخضوع لامر لا تريده ، أو اتخاذ موقف تأباه أو يتعارض مع مصالحها . هو على الجملة تدخل بصورة من الصور في أمور دولة أخرى أو شعب يريد أن يكون ذا دولة تدخلاً تعززه القوة .

نضرب بذلك مثلاً دعوى الصهيونية في فلسطين . فان من الأشياء المسلمة في العرف الدولي أن طول العهد بامتلاك بقعة من الأرض ، يوثق حق أية أمة في امتلاك البقعة التي تسكنها . وإذا كانت هذه الحجة هي حجة كل قانون دولي او غير دولي يستند اليها شعب من الشعوب في امتلاك الأرض التي يسكنها ، كان حق العرب في فلسطين واضح لا يحتاج إلى تلك المؤتمرات التي لا ترمي إلا إلى انتزاع فلسطين من العرب بوثيقة يوقع فيها العرب لصالح الصهيونيين ، صنائع بريطانيا .

***

إذا كان ما يدعي الصهيونيون من حق في فلسطين راجع إلى وثائق تاريخية ، فان حق العرب يرجع إلى أكثر من ألف سنة ، وحق اليهود يرجع الى ذكريات كادت تعفي عليها أحداث الزمن . واذا كان حقهم راجع إلى وعد بلفور ، فان هذا الوعد أشنع عدوان يذكره تاريخ البشرية جميعاً .

إن واجب كل عربي واضح لا يحتاج الى بيان . واجب يحفز كل عربي الى الجهاد بكل ما أوتي من قوة ومال ، وجاه حتى يستقر حق العرب في فلسطين ، ويعترف الغرب أن الشرق يأبى الآن أن يؤكل كما أوكل في الأيام السوالف .

اسماعيل مظهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العائدون

رأيتهم كما كنت أراهم قديماً ، يجلسون منفردين في شمس الشتاء أمام مقهى المعلم شيحة ، يترشفون القهوة ويدخنون الطباق في القصبات الطويلة ويسعلون ويبصقون على الأرض . وقد اطمأنت نفوسهم وخفّت حدّة الكبرياء التي كانت تملؤهم وقلّ التحدّي الذي كانت ترسله نظراتهم للنـاس في ازدراء واحتقار . واتجهت أبصارهم إلى تراب الأرض وكانت لا ترتضي السماء متجهاً لها .. تماماً تماماً ، كما كنت أراهم قديماً . ورأيته فيهم، قد عاد مثلهم ، إلى شمس الشتاء أمام المقهى يترشف القهوة ، وقد سكنت نفسه وخفّت حدّة الكبرياء التي كانت تملؤه وقلّ التحدّي الذي كانت ترسله نظراته للنـاس في ازدراء واحتقار واتجه بصره الى تراب الأرض . يا للأقدار ! . . إن عجلة الزمن لتـدور دورانها السريع الترتيب ، وإنها لتقلب الأوضاع ثم . . ثم لا تلبث أن تعيدها . . ثم تقلبها لتعيدها ثانيـة ! . . لقد رأيته فيهم وعرفته سريعاً ، وكنت أنوي أن أحييه ، ولـكنه زاغ مني ، أعني من نظراتي، واتجه ببصره إلى .. إلى تراب الأرض . . ولـكن ؟ . . أكان اتجاهه للأرض وهروبه من مواجهتي ينسيني إياه ؟ . . مطلقاً ، لقد عرفته سريعاً ، ومرّت بخاطري كل أحداث قصته ، من بدئها حتى هـذه اللحظة التي رأيته فيها . . إنها ليست قديمة إلى حدّ النسيان . . إنها قريبة لم يتعد عمرها السنة الرابعـة . . أجل أربعة أعوام هي كل عمر قصته على التحقيق ، فقـد كان ميلادها على بصري وسمعي وفي رعايتي . . إنني أذكر ذلك جيداً جيداً . أذكر هذه الأمسية التي أتى فيها ذلك الفتى إلى منزلي يطلب مقابلتي ليخطب زكية خادمتنا الشابة ومعه أمها . وسمعت أم زكية وهي تقول لي : يا سيدي لقد جاءني هذا الشاب يخطب زكية ، وأنا كما تعرف يا سـيدي أرملة جاهلة مسكينة لا عائل لي أو لبناتي اليتيمات ، وقد قمتَ أنت يا سيدي برعاية زكية حتى نضجت في رعايتك ، وأريد منك اليوم أن تتم جميلك معها فتتولى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أمر هذا الزواج وتبحثه برأيك السديد ، فان رأيته صالحاً مناسباً ووافق رضى من نفسك فافعل . . . . والله لا يضيع أجر إحسانك ورعايتك لهذه اليتيمة » . وحين انتهت الأم من حديثها هذا ، بدأت أسأل الفتى عن اسمه وعمله وأسرته وحالته الاجتماعية . . إنه شاب في السادسة والعشرين من عمره تقريباً ، أسمر البشرة معروق الجسد له شارب صغير وشعر طويل لا تغطيه قلنسوة أو نحوها ، ويرتدي ثياب أفرنجية ينبيء شكلها وحركاته هو فيها عن أنه حديث عهد بلبسها . . وحين سألته عن عمله أجاب بأنه عامل ، واستوضحته أي عمل يعمله فقال خرّاط ميكانيكي . قلت فهذا عمل حسن في صناعة ناجحة موفقة ، ولكن أين تعمل أفي مصانع الحكومة أم في مصانع الجيوش المحاربة ؟ قال باستعلاء : وتحدٍّ في مصانع الجيش البريطاني . . وعرفت منه أنّ أجره في الشهر يتعدى السّتة من الجنيهات ، وهذا مبلغ لا بأس به يكفي حاجة منزل معتدل لأسرة صغيرة تتكون من زوجين كسيد هذا وزكية . . ثم أتممت استيضاحاتي كلها منه ، وكانت كل إجاباته مما يطمئن تقريباً . وكانت أم الفتاة تجيب معه في معظم إجاباته . وكانت زكية تحوم حولنا متعللة بقضاء بعض الحاجات لتسترق السمع ولتطمئن على نفسها ، فكنت ألمح في عينيها لمعة الفرح والرضى ... لكنني مع كل هذا ، كنت أرى في عيني سيد هذا ، شيئاً غريباً يكاد يكون مناقضاً لما يبديه أمامي من تأدب وخشية .. أقول كنت أرى هذا الشيء الغريب في عينيه حتى بعد أن استعلمت عن عمله وبعد أن سألت عنه في موطنه القريب منا . . كنت في حالة تشبه عدم الرضى عن هذا الخاطب رغم تأكدي من صدقه في معظم ما أجابني عنه . لست أدري لماذا ؟ ولقد كاشفت زوجتي بشعوري هذا ، فأبدت موافقتها لي في هذا التشكك . ثم .. ثم عادت هذه الزوجة الطيبة فترددت وخالفتني وأخذت تلح عليّ في قبول هذا الزواج وإنهائه وترك هذا التشاؤم والتشكك ، بعد الذي رأته من إقبال الفتاة وسرورها وبعد الذي نمي إليها من أن الفتاة تميل إلى الشاب الخاطب وأنها تبادله عاطفة وحبًّا قديمين . . والذي ألان من تشبثي ، ولم يبدد من شكي شيئاً مع ذلك ، هو ميل أم الفتاة إلى إنهاء هذا الزواج ، ورضاؤها عنه . وكانت زوجتي الطيبة تقول لي : مالك متردداً متشككاً ؟ فأجيبها بما في نفسي من قلق وحيرة وشك ، سببها هذا الشيء الغريب الذي كانت تنبئني به عينا الفتى ، ومن أن فتاة مسكينة

كركية خدمتنا هـذه الحقبة الطويلة من الزمن بنزاهة وإخلاص حتى صارت منا كالابنـة وصرنا منهـا كالأهل ، لا يجب أن نتساهل في أمر تزويجها هكذا سريعاً ولأول قادم ، بل يجب أن نتروّى وننتظر حتى يأتيهـا زوج مناسب معروف لنا أو لأمها من قديم، ونعرف أهله ونعرف نشأته وسـيرته ونعرف له عملاً ثابتاً دائماً بدل العمل الموقوت في مصانع موقوتة كمصانع الجيوش المحـاربة . . . وكنت أقول لهـا ، لزوجتي ، إن مجرّد مجيء أي شـاب يشتغل في صناعة معروفة ناجحة بمصانع الجيش البريطاني ومرتبـه يزيد عن ستة جنيهات وإنه يسكن في عطفة رُبَيِّـهْ بدرب الملحفية لا يكفي مطلقاً ضماناً لقبوله زوجاً . ايخيل إليّ يا زوجتي العزيزة الطيبة أنه فتى من هؤلاء الفتيان المتعطلين الذين يعمرون المقاهي البلدية ويسيرون في الطرقات يتسكعون في شمس الشتاء الدافئـة أو ظل الصيف يتبـادلون بذيء السباب والشتائم ويتجاوبون الضحكات الغليظة النابية ، وأنه إنما يكون رزق هـذا العمل بسبب ذلك الرواج الذي سببته الحرب والذي لا يلبث أن يزول بزوال الحرب وبعدها يعود الفتى إلى رفقته وإلى تسكعه وإلى مقهاه البلدي وإلى تبادل السباب البذيء مع رفاقه . .

ولـكن زوجتي هذه الطيبة القلب ظلت بي تجادلني وتحاورني وتقنعني بأنه مهما يكن من أمر ، فمن سيتزوّج هـذا الفتى ؟ أليست فتاة كركية يجعلهـا سيدة بيت وأم أولاد ؟ أفليسا هو وهي من بيئة متحدة في الفقر والجوع والشبع بل والطباع والعادات في الأغلب الأعم ؟

وكان آخر ما صنعته معي زوجتي في شأن هذه الزيجة ، أن دخلت عليّ حجرتي الخاصّـة ذات مساء ، وأخذتني من يدي بقوة وقادتني نحو غرفة الخدم ، وكانت زكية بداخلها وحدها ثم أوقفتني بعيداً بحيث لا ترانا زكية بينما نراها نحن ونسمعها بسهولة ، فماذا سمعت وماذا رأيت ؟ يا لعجبي ويا لدهشتي ! . . هذه زكية تبكي بحرقة ومرارة وتندب حظها السيء الذي جعلني أقف حائلاً بينها وبين أمنيتها العزيزة في الحياة والتي هي الزواج من صيد بالذات . . رأيتها بعينيّ وسمعتها بأذنيّ تنتحب وتردد في ولولة حزينة مؤثرة : يا مصيبتي السوداء . . يا حظي التعس المنكود . . يا ربي ماذا صنعت من شرٍ لسيدي حتى يحول بيني وبين راحتي وسعادتي . أجزاء إخلاصي له ولأولاده كل هذا الزمن يكون تعذيبي وتضييع حظي يا ربّ . . يا رب خذني إليك وأنه حياتي بدل هذا التعذيب والشقاء . . » وكلاماً آخر كثيراً غير ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم تزيد فتلطم وجهها وتشد شعرها . . فعدت متخاذلاً كئيباً وصوت زوجتي الطيبة يرن في أذني : أسمعت أرأيت ؟ أفبعد كل هذا لا تزال مصرّاً على انتقاء زوج آخر لها أصلح من هذا الزوج ؟

* * *

وتمّ الزواج .. أعني زواج زكيـة من سيد بعينه . . ومرّ عام للزواج وعام . . وتبع العامين عام ثالث ثم – ثم ماذا ؟ أكان زواجاً سعيداً موفقاً كما أمّلت زكية ، وكما تمنّت أمهـا ، وكما كانت ترجوه زوجتي ؟! . . الواقع أن الزواج ظلّ سعيداً عدة أسابيع بعـد الزفاف أو لعلها بضعة شهور ، ثم أدركه شيء من الملل . . أعني ملل الزوج وضيقه بحيـاة الاستقرار والأمن والدعة والركون إلى منزل محدود تدبره فتاة عاقلة قانعة مثل زكيـة ، وراوده ميل وحنين إلى حياته القديمة والسهر مع رفقته القدامى الذين انتزعته منهم حيـاة الزوجيـة ، والذين أنعشهم رواج الحرب وتيسير العمل المستمر والـكسب المتصل وزوال البطالة والتعطل والـكساد . . فعاد إليهم ولقوه فرحين بعودته . . وسرّه أن رآهم ورأى المقهى في نشاط عجيب وانتعاش غريب وسمر لذيذ ونور غامر ودفء لطيف .. إنه تغيير شامل للحال القديمة ، فهذه الزحمة وهذه الحركة وهذا السرور ، ثم هؤلاء الرفقاء قد تغيرت جلستهم وتغيرت هيئاتهم وتبدلت مشروباتهم التي لم تكن قديماً تتعدى تكة القهوة أو قصبة الطباقَ الطويلة فاستبدلت تكة القهوة بأكواب الشاي والسحلب والبندق بل وبالخمر أيضاً ، واختفت قصبة الطباق الطويلة وحلت محلها النارجيلة الأنيقة . وراعته هذه التغييرات وتلك الانقـلابات ، واستهوته ، وصادفت من نفسه غراماً وهوى فأقبل على السهر واندمج مع الرفاق وجاراهم في الانفاق والشراب والسهر وتردد معهم على دور السينما . . وهـذه السينما هي الأخرى قد جدّت في حيـاتهم ولم تكن هوية قديمة فيهم وإنما شجعهم على ارتيادها وأغراهم بها هذا الرواج الجديد الذي سببه العمل المستمر والـكسب المنظم . . وزادوا على السينما، لوناً آخر من ألوان المتاع هو بالضرورة لازم وهامّ لمن يسهر في المقهى ويشرب الخمر ويرى في دور السينما الرقص الخليع والأجساد الرخيصة العارية ، ويستمع إلى الأغاني الرقيعة ويشاهد المغامرات المبتذلة الدنيئة . . هـذا اللون هو النساء وعشق النساء ومواعدتهنّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وصحبتهن إلى دور السينما والسير معهن في الطرقات والأزقة المظلمة المحيطة بالمقاهي . اندمج الزوج تماماً في هذه الحياة وأحبها وكلف بها وصار ينظر إلى البيت ، أعني زوجته وأولاده نظرة ضيق وكره . . وصار مرتبه لا يكفي لحياة هذا البيت ، ولهذه الحياة الساهرة اللاهية المعربدة ، وكثرت النفقات وزادت عن المرتب ، واضطر الزوج إلى الاستدانة والقرض ، والاستدانة لا تتم إلا برهن ، ومن أين له ما يرهنه ليحصل على المال ان لم يكن هذا الذي يرهنه قرط زكية أو خاتمها أو عقدها أو بعضاً من نحاسها أو أثاثها أو حتى ثيابها وثيابه . . وظل على ذلك وما يُرهَن لا يُرد . . وليثق الراهن معذور في عدم رد الرهنية فهو يعطيه المال برهينته على عِدّة فتمضي العدة وسيد لا يرد المال ليأخذ الرهينة وليبقى ينتظر وينتظر ثم يتصرف في هذه بالبيع أو نحوه . .

وتغيرت أخلاق الفتى ومعاملاته وأحاديثه تبعاً لكل هذا الذي جد في حياته فقسا على زوجته وعلى أولاده وضاق بها وبهم ، فالحديث الحاد المرتفع ، والسباب القاسي ، والضرب الموجع ، كل هذه صارت لازمات مكملة لشخصيته .

وكانت زكية تزورنا كثيراً وتشكو إلينا وتحدثنا بكل هذا وهي تتفطر حزناً وحسرة وكنت أستمع لشكواها وأتألم لها وأعيرها اهتماماً كبيراً . وأنظر إلى زوجتي نظرة تعرف معناها جيداً . إنها نظرة لوم وعتب قاسية . فقد كنت أرجو لزكية زوجاً يكافئها إخلاصاً وحبـاً وعطفاً واهتماماً بشؤون البيت والأسرة ، وكنت بسبيلي لرد هذا الزوج المستهتر لولا . . لولا القضاء المقدور والقدر المسطور ، كما كانت زوجتي تقول .

تلك كانت أعوام هذا الزواج الثـلاثة ، وذلك هو وصفهـا الدقيق الصادق لا تزيد فيه ولا مبالغة ، بل قد يكون الوصف مقتضباً ناقصاً كثيراً جداً عن نفس الصورة الحقيقية . وما أدري ما الذي يشغلني ويهمني جداً ويرغمني ارغاماً على متابعة أخبار هذا الزواج وأحداثه ، مع اعتقادي الجازم بأنه واحد من عشرات ألوف الزيجات التي تمت بسبب هذا الرواج وذلك الانتعاش اللذين أوجدتهما الحرب ، لا أكثر ولا أقل . لست أدري ما سبب ذلك الاهتمام مني ، وما أدري ، بالضبط إن كان السبب هو قلقي على مستقبل فتاة كزكية خدمتنا باخلاص وأمانة توجبان الوفاء لها ؟ أم هو القلق على مستقبل أطفالها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من جراء سلوك هذا الزوج المستهتر الأحمق ؟ أم هو القلق على مستقبل عشرات الألوف من هاتيك الزوجات أمثال زكية اللاتي كان رواج الحرب الموقوت سبب تزويجهن من عشرات الألوف من الأزواج المستهترين الحمقى أمثال سيد؟ أم هو القلق على مستقبل مئات الألوف من أبناء هاتيك الزوجات وأولئك الأزواج ، الذين سيكونون جيلاً آخر حديثاً والذين سيصيرون ، حتماً كآبائهم عاطلين لا يجدون عملاً يقتاتون منه ولا يهتم بهم أحد ولا مجتمع ولا حكومات . والذين سيظلون في عطلتهم ينتظرون حرباً جديدة ليعيدوا سيرة آبائهم فيتزوجون وينسلون ألوف الألوف و.. و.. ؟ ؟ ربما كان كل ذلك جميعه هو مبعث قلقي وتفكيري وشغلي وتتبعي لأخبار هذا الزواج وأحداثه وأنبائه ! . .

وذات مساء ، بعد مرور هذه الأعوام الثلاثة ، وجدت زكية تدخل على حجرتي دامعة العين حزينة القلب . . وسألتها عن خطبها فما استطاعت أن تغالب البكاء إلا بعد فترة غير قصيرة . قالت لي : لقد طلقني الليلة يا سيدي . طلقني الآن وطردني بأولاده الثلاثة بعد ان أتى على كل ما أملك وأضاعه ماذا . . ماذا أصنع يا سيدي ؟ . لو كنت وحيدة لهان أمري ، لكننا أربعة أنفس نحتاج الطعام والكساء والمأوى الأمين ، وأمي مسكينة لا تكاد تقوى على كفاية نفسها ويتيماتها ؟ .

ولم يكن الظرف مما يحلو فيه اللوم ، فعمدت الى مواساتها بكلمات طيبة ، ووعدتها بأن أكلف أحد المحامين بشكوى هذا الزوج الغادر المتمرد وإلزامه بنفقاتها هي وأولادها ، واطمأنّ بالها بعض الشيء وخرجت من عندي وقد خفت حدة الألم في نفسها . ولم أكذبها الوعد ، فقد كلفت أحد المحامين المعروفين برفع دعوى النفقة وسارت الدعوى في طريقها الطبيعي وحكم لها بنفقة شهرية قيمتها ثلاثمائة قرش . وسرّني وسرّها هذا الحكم السريع المعتدل ، ورحنا نتأهب ونعد العدة للتنفيذ وحجز قيمة النفقة من راتبه الشهري . لكن . .

لم يكن تمرّد سيد على زكية ، وإيذاؤها ، والاستيلاء على متاعها وإضاعته ، ثم طردها وتطليقها ، هو كل ما كنت أتوقعه وأخشاه من هذه الزيجة قبل إبرامها ، كما أخبرت به زوجتي الطيبة في حينه . . فقد تمّ ووقع بالفعل أقصى ما كنت أتوقعه ! . . فقد جاءتني زكية بعد شهرين من تاريخ صدور حكم النفقة ، ممتقعة الوجه واجفة القلب ! . . ماذا يا زكية ؟ هل من جديد ؟ وأجابت بذلة وحسرة بالغتين : لقد رُفت . . رُفت الفاجر وطرد من عمله في المستغنى عنهم جراء تمرده وإساءته إليّ . . لقد استغنوا عنه ووفروه مع عديدين من أمثاله المتمردين . لكني يا سيدي أرى أن هذا الرفت والطرد ليسا عقاباً له أو مصيبة أصابته . . لكنها مصيبة لي أنا ولأولادي بالذات . . من أين سآخذ النفقة التي قدرتها

المحكمة ؟ من أين لي غذاء هؤلاء الصغار ؟ ! . . وبلغ بي الألم حداً كبيراً فضغطت أسناني بعضها ببعض ولم أستطع الكلام ، ولكن زوجتي اللبقة قالت على الفور وفي حماسة واندفاع ، هذا لا يهم .. معنا حكم ننفذه فإن عجز عن الدفع حبسناه وأدخلناه السجن ، وفي السجن مذلة له وانتقام كبير . وابتسمت أنا ابتسامة باهتة حزينة لهذه الزوجة الطيبة البلهاء ، ثم قلت موجهاً الحديث لصاحبة الأمر : إسمعي يا زكية ، لا أمل يا ابنتي في مثل هذا الرجل ولا فائدة وراء الحكم الذي تحتفظين به ، ولا في السجن الذي سيذله ويهينه . إذ ماذا ستأخذين أو تفيدين من سجنه وإذلاله ؟ اعتمدي يا إبنتي على الله وثقي بقدرة الله ورحمته. قالت : والله يا سيدي ما أملت في خير مطلقاً يصيبني منه وإني لعالمة بنهايته هذه من يوم أن حدثتني ونصحتني قبل الزواج فلم أستمع ولم أنتصح . . أذكر تماماً قولك لي إنها فورة الحرب ، وكثرة الأعمال التي تسببها الحرب ، وما تلبث الحرب أن تزول فيزول بزوالها كل ما سببته من فورة ومن نشاط ومن عمل ويسرّح ألوف هؤلاء العاملين ويعودون الى حياة التبطل وقد خلفوا وراءهم جيوشاً من الزوجات والأطفال يبحثون عن القوت والكساء . أجل أذكر كل ذلك .. ولكنه عمى القلب وضلال العاطفة أقصياني عن الطريق السويّ . لكن الآن يا سيدي ! قلت : ماذا ؟ قالت : أن أطرد ذكره من رأسي وأفكر جدياً في أمري . قلت : فذلك هو الواجب . قالت : أريدك أن تأخذ بيدي . قلت : فأنا لن أتقاعس عنك . قالت : يمكنك يا سيدي بحكم مركزك أن تلحقني باحدى المستشفيات (تمرجية) في مستشفى قصر العيني أو مستشفى الملك أو مستشفى الأطفال . أي مستشفى » . .

وأعجبتني شجاعة الفتاة ، ووجدت من نفسي قدرة على مساعدتها على تيسير عمل لها ، ففعلت . والتحقت الفتاة بمستشفى قصر العيني وصارت تسعى لرعاية أولادها الصغار ليكبروا ، وليصيروا كأبيهم عمالاً في مصانع الجيوش المحاربة في الحرب المقبلة ، ثم في فترة عملهم وزواجهم . يتزوجون ويتناسلون ، ثم يعودون بعد انتهاء الحرب الى حياة التبطل والتسكع لا يهتم بأمرهم أحد ولا مجتمع ولا حكومة .

ذكرت هذه القصة الأليمة حين رأيتهم ، ورأيته فيهم ، يجلسون في شمس الشتاء الدافئة أمام مقهى المعلم شيحه ، يترشفون القهوة ، ويدخنون التباق في القصبة الطويلة ويسعلون ويبصقون على الأرض ، وقد اطمأنت نفوسهم ، وخفت حدة الكبرياء التي كانت تملأهم وقلّ التحدي الذي كانت ترسله نظراتهم للناس في ازدراء واحتقار ، واتجهت أبصارهم الى تراب الأرض وكانت لا ترضى السماء متجهاً لها . . تماماً . . تماماً كما كنت أراهم قديماً . . قبل الحرب .

محمد طلبه رزق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جريمة أم قصاص

هذه قصة للكاتب القصصي الشهير جوزيف كونراد وهو بولوني الاصل انجليزي الثقافة ويعد من كبار القصصيين الانجليز . ويريد أن يظهر في هذه القصة كيف أن سوء الظن اذا استشرى واستفحل قد يتملك ضمير المرء حتى يحكم بالظن من غير دليل ثم يعاقب بالظن .

كان (س) ربان سفينة حربية وكان طويل القامة وقوراً جاداً صريحاً يكره النفاق والغش، وقد انتهز فرصة إجازة قصيرة فزار حبيبته وجعل يبثها حبه . وكانت مستلقية على مقعد وهو راكع بجانبها وقد أسلمت إليه يدها فجعل يقبلها وكأنما منعها التعب من تحريكها. ولأمر ما اضطربت أحاسيسها واختلطت في صدرها حتى اهتز من تنفسها أنفاساً عميقة . ولكنها قالت بصوت يكاد لا يختلف عن صوتها المألوف — قص عليّ قصة — وقد أخذ الكلام دهشة جليسها وابتسامته إذا ذكرته بقصة إنه حدثها قبل قولها هذا حديث حبه وهو أغلا ما يحدث به رجل امرأة ولم يحدثها به لأول مرة فقال — قصة ؟ — « نعم لمَ لا ؟ » قالت ذلك بلهجة دلال امتعاض المرأة التي ترى أن رغبتها نافذة كشريعة القانون ومن الصعب تجنبها أو اغفالها . فردد قولها لمَ لا ؟ بلهجة الساخر ، وكان متغاضباً من خروجها من حديث الحب بسهولة كما تخلع المرأة ثوباً أنيقاً . قالت وكان صوتها يهتز في نبراته اهتزاز جناح الفراشة في الضوء « إنك قبل هذه الحرب كنت تقص قصصك وأحاديثك الشائقة . فأين هي ولمَ تَغَيَّرْتَ ؟ » قال — ولكن العالم الآن يقاسي ويلات الحرب والحرب تغير أحوال النفوس — قالت قص إذاً قصة عالم آخر — قال إذا كنت تعنين عالم الآخرة فلا يستطيع أن يقص عليك قصته إلا من رحل إلى ذلك العالم ثم عاد منه — قالت — لا أعني الآخرة وإنما أعني عالماً آخر في هذا الوجود — قال سأعود بعد قليل من اجازتي إلى عملي وواجبي — كأنه بهذا القول يعاتبها لقطع حديث الحب . قالت دعنا من ذكر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الواجب فإنه قد يكون في هذه الايام أمراً شنيعاً مادامت الحرب قائمة — قال إنكِ تقولين ذلك إذ تظنين أن الواجب أمرٌ محدود . كلا . إنَّ في الواجب ما لا حدّ له من الغفران ... ألا ترين ذلك ؟؟ قال هذا القول وهو ينظر إليها بحدَّة مدققاً النظر — ثم صمت قليلاً وعاد فقال سأحدثك بقصة ربان سفينة حربية فهي قصة من قصص عالم البحار وهي قصة حياة وموت — قالت كما في هذا العالم ؟ قال ماذا تتوقعين عند ما يرسل إنسان من طينة هذا الخلق المعذب كي يبحث ؟ وماذا كان يجد غير ذلك عند ما يبحث ؟ وكيف تستطيعين أن تفهمي ؟ قال ذلك وكان يعالج مرارة الألم . ولكنها قالت — هل هي قصة فكاهة ؟ قال ستكون قصة نفسي وربما كانت قصة فكاهة ولكنها فكاهة قاسية مؤلمة بالرغم من أن مدافع السفينة الحربية لم تطلق بل ظلت صامتة كالمنظار المكبر . ولا يغيبنَّ عنك إنها قصة عالَم مضحك في هزله وجدّه وفي سلمه وحربه . وكانت الحرب قائمة فوق الأرض وتحتها وعلى البحار وتحت البحار وفي الهواء . فهو عالَم غير حكيم . إلاَّ أن بعض الكياسة لم يَخلُ منها جماعة من التجار في الأمم المحايدة . وكان لا بدّ من مراقبتهم مراقبة دقيقة فأرسلت الحكومة ربان السفينة الحربية لمراقبتهم حين شاع ان بعضهم يأتي بخزانات طافية ملؤها الوقود السائل في بقاع معينة كي تلتقطها غواصات الأعداء وتتمكن بهذه الوسيلة من البقاء بعيدة عن قواعدها ومن اغراق سفننا الحربية والتجارية بمن فيها من محاربين أو مدنيين من رجال ونساء وأطفال . ومما كان يدهش له ربان السفينة الحربية ان سطح البحر قلما كان يتغير عن حالاته في وقت السلم . فكان من الصعب أن يعتقد الرائي أن في قاع البحر كميناً مخبأً معدّاً لهلاكه حتى يرى سفينة تصاب أمامه وتغرق قبل أن تعرف ما حدث لها . ثم ينطوي عليها سطح البحر كأنْ لم يحدث شيء . عندئذٍ يوقن انه سيهلك يوماً ما كما هلك أهل تلك السفينة وسيغرق كما غرقوا وربما كان ذلك مباغتة وهو آمن . وعندما يوقن بذلك ربما يحسد جنود البر إذ يمسحون العرق والدم من وجوههم عند نهاية المعركة ويرون أشلاء الذين هلكوا ويرون الأرض الممزقة كأنها تتألم وتدمى — نعم إنها وحشية ولكنها وحشية صريحة . أما البحر فانه يدعي أن الدنيا بخير وهي ليست بخير — إذ أنه يطوي في أعماقه آثار الجرائم التي تجترم على سطحه . قالت « آه . . . اني أعرف انك موهوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالصراحة وصدق السريرة والغضب للحق ... ان الغضب للحق عقيدتك » فنظر إليها بقلق وقال « أليست هي عقيدتك أنت أيضاً ؟ ألسنا شريكين ؟ » ثم عاد الى قصته فقال ان الليل صريح في اخفائه للاشياء في عرض البحار وكأن الليل نفاق صديق قديم قد عرفت نفاقه وألفته واسترحت إليه، أما الضباب فانه يخفي ولا يريح ويغش وكأنه لا يغش . ففي يوم من أيام الضباب كانت السفينة الحربية تسير قرب شاطىء صخري كثير الاخطار بسبب الصخور التي تغمرها المياه واذا خفَّ الضباب لاح الساحل كأنما رسم بالحبر الأسود على ورق رمادي اللون — قال مساعد الربان الحربي اني أرى شيئاً طافياً على سطح الماء . وعندما اقتربت السفينة منه رأوا أنه برميل أو خزان وربما كان من تلك الخزانات الطافية التي يلقيها بعض التجار الجشعين المحايدين كي تلتقطها غواصات الأعداء فتأخذ ما بها من الوقود السائل . هكذا شاع الخبر وان لم يقم على صحته دليل إلاّ اذا كان ما رآه ربان السفينة الحربية ومساعده دليلاً . قال يحدث نفسه ولكن لماذا لم تلتقط السفينة التجارية الخزان بعد تفريغه . فأجابته نفسه قائلة لعلّ ربانها رأى ضرورة في الاختفاء قبل التمكن من التقاطه . فبدأ الظن يتحول يقيناً في نفسه وشعر باشمئزاز من خيانة بعض المحايدين وغدرهم . فقالت حبيبته الذي يحدثها اني أستطيع أن أفهم اشمئزازك . قال نعم فان الغش والخيانة لا يجوزان في الحب والحرب لأن الحب والحرب داعيان يدعوان النفس الى المُثُل العليا ، ومن الجائز أن يغفلا عنها بدعوى ضرورة النصر فيهما — قال واستمرت السفينة في مسيرها فازدادت كثافة الضباب وانقطعت الأصوات أو خفتت لأن الضباب يجعل الأصوات تتضاءل أو تنقطع ولم يستطع إنسان في السفينة الحربية رؤية إنسان آخر . وكان صوت وقع أقدام الملاحين كأنه وقع أقدام أرواح وأشباح . وكان الربان الحربي قد درس هذا الشاطىء وعرف أنّ أمامه خليجاً فرأى أن يرسو بسفينته في ذلك الخليج حتى ينجلي الضباب وعندما استقرت السفينة في الخليج كان الضباب كثيفاً حتى أنه منع الأعين من رؤية الشاطىء إلاّ أن صوت الأمواج وهي تصدم ذلك الشاطىء كان يصل إلى السفينة الحربية كأنه من عالم آخر غريب على قربه منها . وبعد قليل خف الضباب من ناحية مدخل الخليج فهمس مساعده في أذنه قائلاً إني أرى سفينة قرب مدخل الخليج ، فدقق الربان النظر فرآها وقال من غرائب حسن الحظ أن سفينتنا لم تصطدم بها أثناء دخولنا . وكان يظنها في بدء الأمر من السفن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي تتاجر بنقل البضائع من ثغر إلى ثغر على ذلك الساحل، إلا أن شكاً بدأ يتردد في ذهنه وفي ذهن الضابط المساعد الذي قال اننا دخلنا الخليج من غير ضجة ولكن ربانها لا بدَّ أن يكون قد أحسَّ بدخولنا ومع ذلك فانه لم ينذرنا بوجوده كي نتخذ الحذر لمنع الاصطدام. وكأنه هو ورجاله كانوا صامتين من الخوف ، قال الربان الحربي نعم يخيل لي أنَّ الأمر كما تقول وزاد شكه في أمر السفينة التجارية فأرسل اليها ضابطاً ينظر في أمرها ويمنعها من الخروج فذهب الضابط ثم عاد وسأله رئيسه قائلاً هل هي من سفن هذا الساحل ؟ . قال لا يا سيدي إنها سفينة غريبة ضلَّ صاحبها الطريق بسبب الضباب واختلال آلاتها فلجأت الى هذا الخليج خشية أن تهشم على الصخور في أثناء سيرها . وقد أصلح رجالها آلاتها وهي مهيأة مستعدة للسير ، لكن ربانها لا يجرأ على الرحيل إذ أنه يجهل الاتجاه الذي ينبغي أن يتجه إليه في سير السفينة فالتفت رئيسه الى مساعده وقال لقد كنت مصيباً إذ قلت أن رجالها كانوا صامتين من الخوف كي لا نعرف وجودهم . لكن مساعده بدأ يشك في شكه فقال إنَّ الضباب يا سيدي يحجب الأصوات ويطمسها حتى الأصوات التي في سفينتنا نكاد لا نسمعها . ولعلَّ الضباب الذي منعنا من رؤية السفينة التجارية في أثناء دخولنا منع ربانها من رؤية سفينتنا. ثم ما ذا كان مراده من إخفاء وجوده ؟ قال رئيسه كي يهرب فلا ننظر في أمره . قال المساعد ولماذا لم يفعل ؟. لماذا لم يهرب إنه لو حرَّك سفينته ربما سمعنا صوتاً خافتاً في الضباب ولكن الضباب كان يحجب السفينة في طرفة عين فلا نعرف أين ذهبت.
وعاد الضابط الذي نظر في أمرها لإتمام حديثه . فقال إنَّ أوراقها مستوفاة لا عيب فيها وبضائعها ليست من البضائع المحرَّمة في الحرب وهي ذاهبة إلى ثغر إنجليزي ولم أجد فيها مدعاة لسوء الظن ورجالها ليس عليهم مظهر ريبة وربانها من أهل شمال أوربا . والظاهر إنه كان قد احتسى خمراً وبدأ يفيق من خمارها وقد أخبرته أني لا آذن له بالرحيل . فقال إنه لا يجرأ على أن يحرك سفينته من مكانها في هذا الضباب سواء أذنت له بالرحيل أم لم آذن — ولكن رئيسه لم يستطع قهر شكه وقال أليس من الجائز أن تكون هذه السفينة هي السفينة التي تموّن غواصات الأعداء بالوقود السائل في خزانات طافية كالخزان الذي رأيناه . قال مساعده إنك لا تستطيع إثبات ذلك يا سيدي ، والظاهر من تقرير الضابط الذي نظر في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أمرها إنه لا توجد مدعاة للريبة . قال الربان الحربي سأذهب اليها وأستطلع أمرها بنفسي. وحب الاستطلاع هو مدعاة الكره أو الحب، فما الذي كان يأمل أن يجد فيها ؟ انه كان يتلمس الشبهات ويأمل أن يجد فيها ما يسوغ شكه حتى يصير دليلاً . ولعله كان يأمل أن يرى أو يشم أو يذوق دلائل الغدر والخيانة أو ان يوحى اليه فيها إيحاء يحوّل شكه الى يقين فيستطيع أن يعمل عملاً حاسماً وأن يوقع قصاصاً صارماً عادلاً . ذهب الربان الحربي الى السفينة التجارية فقابله صاحبها . وكان رجلاً ضخم الجسم كثّ اللحية وكان واضعاً يديه في ثيابه كأنما كان يخشى أن يقبض عليهما أحد، أو هكذا خيّل للقائد الحربي فان الشك إذا ساور النفس اتخذت له من كل أمر دليلاً وإن كان ليس بدليل . وكان صاحب السفينة التجارية يتمايل في مشيته فهل كان تمايله من الخوف إذ أن خيانة المحايد بتموينه غواصات الأعداء عقابها الموت ؟ .أم كان تمايله من بقايا أثر الخمر التي ظهرت رائحتها لمن قاربه ؟!. وفتح باب حجرته وأسند ظهره إلى جدار الحجرة قليلاً كأن به دواراً من الخوف أو هكذا خيّل للقائد الحربي ولكنه ما لبث أن تبعه الى داخل الحجرة وأنار المصباح الكهربائي ثم أعاد يديه بسرعة إلى ثيابه كأنما خشي أن يقبض عليهما عدو وألقى بنفسه على مقعد قائلاً « ها أنا ذا » ولاح عليه كأنما أدهشه صوته أو هكذا خيل للربان الحربي الذي كان ينظر اليه كأنما يريد بنظراته أن يصل الى أعماق نفسه فيعرف أسرارها . ثم قال صاحب السفينة أريد أن أقول لك يا سيدي أني لا أعرف أين أنا فقد لزمنا الضباب أسبوعاً وكسر جهاز السفينة وكان يتكلم بسرعة كأنما يريد أن يقنع الربان الحربي بالرغم منه أو هكذا خُيّل للربان الحربي، ومع ذلك فقد كان في حديثه فترات سكوت قصيرة كل فترة هي بضع ثوان. وقد خُيّل للربان الحربي أن تلك الفترات من فترات السكوت كانت من خشية الزلل في قص قصة ملفقة ولو أنه لم يلح على وجه صاحب السفينة شيء من هذا الشعور وخُيّل الربان الحربي أن القصة مرتبة ترتيباً قلما يبلغه صدق الحديث: ولكن ربما كان هذا الظن من شكه الذي لم يستطع مغالبته، بل كان في أثناء حديث صاحب السفينة يحدث نفسه حديثاً آخر عن جشع بعض المحايدين وتموينهم غواصات الأعداء فكأنهم هم الذين أغرقوا ضحاياها . حدّث نفسه هذا الحديث كي لا يقتنع وكي لا يخدعه حديث صاحب السفينة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكي يشعل نار البغض في قلبه . قال صاحب السفينة إن هذا الضباب يملأ النفس قلقاً فاني لا أكسب إلاّ الكفاف من رزق أسرتي وأشار الى صورهم المعلقة على الجدار .

قال القائد الحربي : ولكن هذه الحرب ستغنيك وتغني أسرتك . قال صاحب السفينة إذا لم تتهشم السفينة وأخسرها . ولكن لماذا تغضب ياسيدي إذا درَّت الحرب على التجار أرباحاً . إننا لم نشعل نار الحرب ولو قعدنا وامتنعنا عن العمل للكسب ما انتفع العالم . قال الربان الحربي لقد أوضحت لي كيف صرت الى هذا المكان ووصلت الى هذا الساحل ودفتر سجل سير السفينة يؤيد ما تقول . ولكن من المستطاع تلفيق هذا السجلّ . فأطرق صاحب السفينة ثم رفع رأسه بعد قليل ونظر الى الربان الحربي قائلاً ولكن هل تسيء بي الظن ? لأي أمر يا سيدي ? وعاذا تتهمني ? ان بضائع سفينتي للثغر الانجليزي . قال ذلك بصوت خيل للربان الحربي أنه متذمر من الخوف كأن به بحة من القلق ولكن الربان الحربي كان يسائل نفسه لماذا لم ينذرنا بوجوده عندما دخلت سفينتنا الخليج . ولماذا كان جهاز سفينته مهيئاً للسير ? أليس ذلك دليلاً على أنه هو الذي يموّن غواصات الأعداء ? ثم خرج الربان الحربي واستعرض الملاحين وسألهم أسئلة فلم يستطع من اجابتهم أن يثبت كذب صاحب السفينة . فقال لا شك إنه وعدهم أجراً كبيراً ومكافأة خاصَّة ثم هم لا يخشون منا شيئاً ما داموا لا يبوحون بشيء . لم يظفر الربان الحربي بأي دليل يثبت سوء ظنه ويسوغ شكه ، ولكنه رأى أنه يحدث نفسه كأن أمر غدر هذا التاجر المحايد وخيانته لقانون الحياد أمرٌ ثابت لا شك فيه . وعاد الى الحجرة فتلقاه صاحب السفينة وعلى وجهه دهشة فنظر اليه الربان الحربي وقال : يخيل لي ان دهشته مصطنعة مبالغ فيها فهي ليست دهشة طبيعية بل هو يتكلف الدهشة كي يقيم الدليل على براءته . فشعر باشمئزاز من غدر الناس وتفاقهم وقال في نفسه : لا شك ان كل الناس من آكلي اللحوم البشرية . أليس المال الذي يكسبه التاجر من تموين الغواصات ويشتري به قوته وهو من لحم الضحايا الذين تغرقهم تلك الغواصات ? . فكأنه يأكل من لحم الضحايا . ثم نظر إلى التاجر صاحب السفينة التجارية وقال له ممتحناً ومختبراً ألم ترَ شيئاً طافياً على وجه الماء ? . قال التاجر : قلت لك يا سيدي ان الضباب كان يلازمنا فلم نستطع أن نرى شيئاً . قال الربان الحربي ولكنا استطعنا ان نرى خزاناً من وقود سائل طافياً على وجه

الماء وكان الضباب يخف في بعض الأحايين ، ثم أخبره بما استنتجه من تموين بعض التجار الحايدين لغواصات الأعداء. فوقف صاحب السفينة كأنه قد صعق وألفى صعوبة في التنفس ثم تكلف ابتسامة حائرة مرتبكة لا معنى لها . فاتخذها الربان الحربي دليلاً آخر على انه مجرم . وقال ان المحايدين الذين يرتكبون هذا الجرم خليقون بعقوبة أشد من عقوبة الشنق .

فقال صاحب السفينة وهو متعجل في قوله نعم. نعم . نعم . ثم فكر قليلاً وقال ربما . ربما .

قال الربان الحربي وهو محنق مغيظ ربما انهم خليقون بعقوبة أشد من الشنق .

قال صاحب السفينة بهدوء نعم ولكن المغري لهم أولى بالعقاب يا سيدي . المغري الذي يأتي بصرة ملؤها الذهب الى رجل فقير لا يجد قوت عياله إلا بشق النفس فيفكر في تعاسة ذويه وفي الذهب الذي أمامه وأنا لا أذكر هذا عن نفسي فانك قد لا تدرك ياسيدي اني على ضخامة جسمي ليست لي الأعصاب السليمة القوية التي تدفع بي الى المغامرة فأكتفي بالرزق القليل المكفول اذ لا أستطيع المخاطرة ؟ ولكن الرجل الفقير الذي يستطيع المخاطرة لا يتخيل ما يحل بركاب السفن التي تغرقها الغواصات لأنها مناظر لا يشهدها ، فهو لا يرى الا الذهب وشقاء أسرته التي يسعى لكسب قوتها فيرضى أن يموّن الغواصات بالوقود السائل خلسة ويوهم نفسه انه لم يشترك في اغراق أناس . ولا أعني نفسي يا سيدي. فأنا رجل لا قدرة له على المغامرة ولو غامرت مثل هذه المغامرة لأصابني الجنون من القلق وخوف العاقبة أو لحاولت إغراق ذاتي باحتساء الخمر ليلاً ونهاراً . فمن أية ناحية نظرت الى هذه المغامرة أرى الوبال والخراب

قال الربان الحربي وقد اقترب وجهه من وجهه بل الموت لا الخراب وحده !

قال صاحب السفينة هذه مسألة لا تهمني يا سيدي

قال الربان الحربي ومع ذلك فلا بد أن ترحل من هنا الآن — قال صاحب السفينة : في هذا الضباب ؟ قال نعم . لا بد أن ترحل في هذا الضباب الآن ، قال صاحب السفينة : ولكني لا أعرف أين أنا ولا أدري كيف أقود السفينة في اتجاه ينجيها من الصخور

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المغمورة . قال الربان الحربي ساخراً : آه انك لا تدري ؟ إذاً سأدلك على الاتجاه الذي تسلكه بسفينتك — ثم ذكر له إتجاهاً باصطلاح السفن في البحار فتردد صاحب السفينة وقال أمن الحتم أن أرحل في هذا الضباب ؟ . قال الربان الحربي نعم من الحتم وإلاَّ ... وإلاَّ فقال صاحب السفينة لا داعي للتهديد يا سيدي سأرحل كما تريد... ثم رحل بسفينته .

والتفت الربان الحربي الى حبيبته التي كان يحدثها حديث القصة واقترب منها قائلاً : أتعرفين إلى أي شيء كان يؤدي ذلك الاتجاه الذي دله عليه الربان الحربي ؟ انه كان يؤدي الى صخور مغمورة لا تنجو منها سفينة ترتطم بها وقد اصطدمت بها السفينة وغرقت وغرق كل من كان بها . وهذا دليل على أن ربانها لم يكن كاذباً في قوله انه يجهل أين هو فانه لو كان يعرف ، ما سار في الاتجاه الذي دله عليه الربان الحربي . نعم لقد كان صادقاً ولكن صدقه لا يدل على براءته — قال الربان الحربي ذلك بقلق وهو يحاول أن يقنع نفسه أن لا داعي للقلق

* * *

ثم ترك الربان الحربي دعوى نسبة حادث القصة الى رجل آخر وقال نعم أنا الذي وجهته الى تلك الصخور المغمورة وكنت أظن أن ذلك امتحاناً له واختباراً اختبر به صدق نفسه وبراءته . ولكني الآن لا أدري أكان ذلك اختباراً صحيحاً أم أني دفعته هو ومن معه الى الهلاك بالتهديد . وعندما أفكر في احتمال براءتهم يخيل لي أني أرى جثثهم في قاع البحر تأكل منها الأسماك . نعم لا أدري أكنت قاضياً وقع جزاءً عادلاً صارماً، أم كنت أثيماً ارتكب جرماً كبيراً ؟ .

فمدَّت حبيبته يدها الى ذراعه وقالت . . . مسكين . . . مسكين بالتماستك أيها المسكين !

فسحب الربان الحربي ذراعه وقبَّل يد حبيبته منصرفاً — وقال لا أدري أكنت قاضياً أم مجرماً ؟ . لا أدري ولن أدري . وسأعيش ما عشت في هذه الحيرة .

— منقولة عن الانجليزية بتصرف قليل — ع . ش

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوضع الاجتماعي

والعوامل المؤثرة فيه

« كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر ليس بملآن . إلى المكان الذي جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة » .

الشرق ، اليوم ، هو ذلك البحر الذي تصب فيه أنهار الثقافات من جميع أنحاء الدنيا . هو كالبحر في سعته وعمقه ، لكنه الآن ، ليس كالبحر في طبيعته . من البحر تتصاعد الأبخرة ، فتنعقد غماماً ، فتتساقط قطرات تكر جميعها راجعة إلى البحر ، ما جرى منها على سطح الثرى ، وما تغلغل في باطنه . الشرق صابر يرمق هذه المياه المتدفقة ، وينصت بلذة إلى هديرها ، ويستوعب برضى وغبطة ما تأتي به من خير وشر . هو اليوم في دور الاستعطاء والاقتباس . ولا بدّ من أن يأتي يوم يعيد فيه سيرته الأولى . فمنذ البدء ، ومن هذا الشاطىء ، سارت مع الموج أول فكرة عن الله ، وشعّ نورها في أرجاء المسكونة ، وأرشدت الناس إلى السماء وإلى الملكوت وما فتئت الانسانية منذ ذلك اليوم تتغذى بالزاد الذي انبثق عن هذا الشرق وتتأثر به في جميع ألوان نشاطها . ويقيني ان طور النبوءات التي ترسو قواعدها على الخيال الجامح والايمان المطلق الكفيف قد مضى ، وأن الانسانية في سيرها الطويل تدنو من العقل المقتنع بالخيال ، المضمخ بالايمان ، وتبتعد رويداً رويداً عن الخيال المطلق الصرف . وإن هذا البعد سيزداد وذلك الدنو سيتعاظم . وإنها سوف لا تسير إلاّ في أثر نبي تمثل الحضارات والفلسفات والديانات وسبر أغوار الانسانية ، واهتم بتنظيم أحوالها وعلاقاتها الدنيوية التي تمهد لها السبيل الآخرة ، وأقام الدليل على تفهمه لازدواج الانسان . إن الديانات القديمة قد بالغت في الدعوة إلى الآخرة وأمعنت في اغفال المشكلات الرئيسية المعقدة التي تواجهها البشرية في مراحل وجودها . لسنا بحاجة الى من يهذب غرائز العيش فينا التي تكيفها الاختبارات وتنقيها الآلام ، بل إننا ننشد في أعماقنا نوراً يتعدى عتمة الجسد وينفذ إلى أقداس الانسان ، إلى الأسلاك الخفية التي تربطه بالألوهية الشاملة .

إن فكرة الإلاه ، المنبثقة عن الشرق ، قد فرضت أولاً على العالم فرضاً . ثم ما لبثت أن أصبحت هذه العقيدة أقدس ما في الوجود وأخلده على الاطلاق . وقد ظلت عبقرية

الغرب ، طيلة الأجيال التي تصرّمت على البشرية ، عاجزة عن ولادة فكرة جامعة انسانية تضاهي في سموها وقداستها وشمولها الرسالات الروحية التي جاءت على ألسنة أنبياء الشرق . ولأول مرة ، بعد هذا العقم الطويل ، تمخض العقل الغربي عن أول « رسالة » . إنها لا تتمم ما فات من الرسالات الأولى ، بل إنها تنسف وتنقض كل ما جاءت به تلك الرسالات . إن الغاية التي توخاها الأنبياء والرسل ، ودأبوا على تحقيقها ، هي أن يرفعوا الإنسان من الأرض الى السماء ، من الشر الى الخير ، من الخطيئة إلى الطهارة ، من مخالب الشيطان إلى حضرة الرحمن . أما « رسالة » كارل ماركس ، في تصوره المادّي للتاريخ ، فانها تهبط بالإنسان من السماء الى الأرض ، وتنتزعه من أحضان الألوهية لتلقي به في أتون الطبائع البشرية المطلقة من كل قيد ، واتجعله رهن مشيئة الأساليب الاقتصادية السائدة .

وكما أنّ الفكرة الدينية قد تعهدتها مؤسسات ، تولت التبشير بها ، حيناً بالقلم واللسان ، وأحياناً باليد ، واعتبرت أمراً واقعاً مقدّساً في عرف الجماعة ، وهكذا ، فإن المادية التاريخية تولت التبشير بها أحزاب منظمة تنظيماً آلياً ، واقتلعت العقيدة الدينية الأصيلة في أصقاع كثيرة وحلّت محلها ، وكما أنّ مبدأ الألوهية قد تجسّد في اليهودية والمسيحية والإسلام ، كذلك المادّية التاريخية التي قال بها ماركس قد تركزت في الدول والأحزاب الشيوعية . فنشأ عن ذلك أن الانسان في هذا العصر أصبح واقفاً على مفترق الطرق ، وهذه الطرق مشتبهة غير متشابهة . وقد ارتطمت المفهومات الدينية التي اقتبسها عن أنبيائه ورسله بمفهومات وتفسيرات مادّية جديدة للكون والحياة والانسان ، تفرضها بعض الدول على الشعب فرضاً ، وتتحرّى العقائد والنظريات .

وقبل كل شيء تصطدم المادّية التاريخية بالمعتقد الديني وتنافي جوهر الدين وما يتفرّع عنه منافاة تامّة . فالعقيدة الدينية تقول : في البدء كانت الكلمة : وأن الشعور الديني عامل ، متأصل في أعماق الانسان ، غريزي ، وما انفكّ منذ الأزل وهو يعزو الوجود وما فيه الى قدرة تسمو على الشمول والإحاطة والإدراك الإنساني . ولم يتورّع البعض عن القول إن الإنسان حيوان متدين . أما الشيوعية الماركسية فتؤمن بالعقيدة القائلة : في البدء كانت المادّة . وبينما نرى الكتب المقدسة تقرر أن الله قد خلق الإنسان ، يجعل التصوّر المادّي للتاريخ الانسان خالقاً لله ولفكرة الألوهية . ويتوقع الشيوعيون في السياق الطويل نضوب النزعة الدينية ونموّ الفكرة الإلحادية . ولا تأملن أن يكون هذا النضوب ثمرة للنزاع الطبقي تلقاء المؤسسات الدينية والفكرة الدينية ، أو انتشار الثقافة وتبلورها في الذهن ، بل نتيجة للتحرر من العوز . لأن النزعة الدينية حسب التعليل الذي أوجدته المادّية التاريخية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للدين، ما استقرت في النفوس وتمكنت أصولها في القلوب ، والتفت كالأفعى حول البشرية، إلا في زمن موغل في القدم ، كان الانسان فيه خاضعاً لقوى لا طاقة له على كفاحها ومصارعتها . وفي تلك الحالات التي تخور فيها عزيمة الانسان من جراء الجوع والجهل ، يأخذ يتعلل ويلهو بالدين ويمارس الصلاة ويتخيل آخرة تعوّض عليه ما فاته من الحظ في الدنيا، بغية أن ينسى آلامه الحاضرة فتمكنت الخرافة من استعباده والسيطرة عليه وتسييره وفق هواها ، بدلاً من أن ينبذها ويتحرر منها . وينبغي على الدولة ، في مثل هذه الحال، وهي أقوى وأكبر مؤسسة سياسية ، أن تقود الحملة التحريرية من ربقة الكوابيس الوهمية. وقد جاء في المادة ١٢٤ من الدستور السوفياتي الصادر في ٥ دسمبر ١٩٣٦ ما يأتي :

« ولكي نضمن للمواطنين حرية الضمير ، أصبحت الكنيسة في الاتحاد «السوفياتي» والمدرسة منفصلة عن الدولة، وللمواطنين حرية ممارسة العقائد الدينية وحرية الدعوة ضد الدين » .

وبتنا في هذه الأيام نسمع من يقول أن الشيوعية تشبه المسيحية من وجوه كثيرة وإنها لا تناقض مطلقاً الصورة التي أرادها يسوع للمجتمع البشري . ومن يتدبر هذا القول الذي أريد به باطل ، بروية ودرس وتمحيص ، يدرك أن الجمع بين المذهبين مستحيل . فإن الشيوعية تؤمن أن الإنسان لم يتطوّر من حال إلى حال إلا بتأثير المادة فقط . فهي التي تنشىء وتنمي وتعين وجدانه وخياله واتجاهاته الفكرية . أما المسيحية ككل الرسالات السماوية شقيقاتها ، ترسو اصولها على الإيمان بالله والآخرة والدينونة والاعتراف بالملكية والخير والمحبة . وما من قوة تستطيع أن تؤثر بالانسان وتخلقه خلقاً جديداً إلا ملكوت السموات ، « يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة « أكيال دقيق حتى اختمر الجميع . » وان يسوع لم يناد بثورة تقلب نظم الاجتماع والاقتصاد والسياسة . إنه حث الفرد أن يثور على نفسه لا على غيره ، وان يكافح ما يكمن فيه من مفاسد وشرور ، لا أن يخاصم جاره أو أيّاً كان من الناس . ذلك يقيناً منه ان الاصلاح لا يأتي من الخارج بل ينبع من الداخل ، من أعماق الشخصية ، من ذلك الكنز الذاتي «وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه . اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً ، أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين . أيها الفريسي الأعمى نقّ أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضاً نقياً » . إنه لم يحرض الفقراء على الأغنياء ولم ينغمس بالنزاع الناشب بين هاتين الطبقتين دائماً وأبداً ، لا ممالأة أو رهبة منه للطبقة الغنية ، ولا استهتاراً أو مقتاً للطبقة الفقيرة ، بل لأن هذا النزاع العنيف لا ينبثق عنه صلاح وخير بل فساد وشر .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إنه لم يتورّع عن التنديد الشديد بالأغنياء فيقول : « ويلٌ لكم أيها الأغنياء . ويلٌ لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون » ، ويلتفت إلى الفقراء قائلاً « طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون . طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله » . إن التلويح بالآخرة لا بدَّ من أن يحدث صدًى بعيداً في تلك النفوس القانعة المظلمة التي انكمشت على الضلال إذ انكمشت على الفلس ، وضمت جوانحها على الحقد والبغضاء إذ أبت أن تنفتح على المحبة والعطاء ، وغلّت يدها إلى العنف فلم تستمرىء اللذة المنبثقة عن البذل والسخاء . ان الكلمات الوديعة التي تفوّه بها يسوع ، الصادرة عن نفس مطمئنة مؤمنة لن تنسجم مع تلك الحشرجة الشيوعية الصادرة من صدور مفعمة بالأحقاد والضغائن والبغض . « ان الشيوعيين يصرحون علانية أن نواياهم لا يمكن أن تتحقق إلاّ إذا مني النظام الاجتماعي التقليدي بانقلاب عنيف » . وبينما نرى يسوع يقول لأحد الذين معه : « رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون » . نسمع الجماعات الشيوعية تصرخ بلسان جورج ساند : « الكفاح أو الموت . الصراع الدامي أو العدم » . وتنشر إحدى الجرائد الماركسية الثورية هذا النداء الذي يدعو إلى ثورة لاتبقي ولا تذر ، ولا تقع فيه على أثر للرحمة أو الانسانية. «هيا اذبحوا ! ليكن الانتقام فظيعاً» هكذا يجب أن تكون لازمة الأناشيد الثورية، وهكذا سيكون الصوت الذي سوف تطلقه اللجنة التنفيذية بعد انتصار طبقة العمال . « ففي الأوقات العصيبة يتحتم على كل ثوروي مؤمن أن يضع دائماً نصب عينيه هذا المصير : اما أن يتوصل للقضاء على أكبر عدد ممكن من أعدائه ، أو يتأهب للقضاء على نفسه » . وجاء في جريدة أخرى : « ان هذا الجمهور . . . يفهم جيداً أن من مصلحته أن يذبح المالك ويحرق الأكواخ الموبوءة ، ويستولي على القصور الجميلة التي شادها بنفسه ، ويحطم الصناديق الحديدية ، ويقلب كل سلطة : فيشنق الملك والوزراء والشيوخ والنواب والمحامين وضباط البوليس وكل أذنابهم . ان هذا الجمهور الحقير سوف لا يصبح أكثرية إلاّ في يوم الثورة بالذات » .

ما هي القوى التي تكيف المجتمعات البشرية وما هي المؤثرات التي تحدد وتعين الوضع الاجتماعي ؟ على هذا السؤال يجيب كارل ماركس ، ومن خلال جوابه تتبدى نظريته القائمة على التفسير المادي للتاريخ : « ان الناس في انتاجهم الاجتماعي خلال وجودهم ، تنشب بينهم علاقات محدودة ضرورية خارجة عن ارادتهم . وان العلاقات الناجمة عن الانتاج تتناسب مع درجة التطور الذي بلغته قوى الانتاج المادية . ومجموع هذه العلاقات الناشئة عن الانتاج تكون بنية المجتمع الاقتصادية ، وهي الأساس الذي يقوم عليه بناء حقوقي وسياسي ويتصل بأشكال معينة من الوجدانات الاجتماعية . إن أسلوب الانتاج في الحياة المادية يطبع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مظاهر الحياة الاجتماعية والحقوقية والفكرية على وجه العموم . وليس وجدان الناس هو الذي يحدد كيانهم ، بل على العكس ، فان كيانهم الاجتماعي هو الذي يحدد وجدانهم » .

وجاء في « البيان الشيوعي » على لسان ماركس وانجلز : « أنحتاج إلى ذكاء حاد وعميق لنفهم ان أفكار الناس ونظراتهم الواقعية ، وكذلك مبادئهم التي تتعلق بالماهيات ، وبكلمة وجدانهم ، تتحور جميعها تبعاً لظروف وجودهم وعلاقاتهم الاجتماعية ويتكلمون عن الافكار التي تثير المجتمع بكامله . وهم في ذلك لا يقررون إلاّ واقعاً وهو ان العناصر التي يتكوّن منها كل مجتمع جديد ، قد تكونت في المجتمع القديم ، وان انحلال الافكار القديمة يسير جنباً إلى جنب مع انحلال ظروف المعيشة القديمة » .

ولكي تتحقق آمال ماركس وانجلز وتصدق نظريتهما ينبغي أن تنشب ثورة عنيفة يتم فيها النصر للطبقة العاملة التي تأخذ على عاتقها نسف المجتمع البشري التقليدي وازالة رأس المال وكل أساليب الانتاج القديمة التي اعتمدتها البشرية في الزمن القديم .

هذه هي زبدة النظرية التي قال عنها انجلز نفسه : « ان ناموس المادية التاريخية الذي اهتدى إليه كارل ماركس ، يضاهي ناموس الجاذبية الذي توصل نيوتن للكشف عنه » . ويقول لابريولا : « ان الشيوعية تستطيع أن تتنبأ عن المستقبل » .

يبدو لنا من فحوى هذه الأقوال ان الشطط الذي تنطوي عليه يطغي على الصواب ، وان المغالاة تفوق حد الاعتدال وذلك راجع لسببين : أما الاول فهو ان المتشيعين المغالين قد عدوا نظرية المادية التاريخية في عداد النظريات العلمية الثابتة التي لا تقبل النقض مطلقاً وتصدق في كل زمان ومكان ، والثاني لأنهما تناولت بالتفسير والتعليل حالات اجتماعية تاريخية نفسية . وفي التاريخ والاجتماع لا يمكننا أن نرتجل نواميس اعتباطاً ونقرر أن الجماعات ستسير حتماً بموجبها . فاعتبرنا النظرية القائمة على الظن ، أو التي ثبتت صحتها في ازمنة وأمكنة وحالات معينة ولم تختبر في أزمنة وأمكنة وحالات مختلفة ، قانوناً علمياً لا يتزعزع .

ان كتاب « رأس المال » الذي ألفه ماركس نحا فيه نحواً جديداً وأثار اهتمام المفكرين عامة والمؤرخين خاصة ، إذ أنه أشار مشدداً إلى الدور الذي يلعبه العامل الاقتصادي في حياة الأمم وكيان الشعوب . كان الأساس الذي يرسو عليه علم التاريخ والدراسات الاجتماعية واهياً جداً . كان المؤرخون لا يعنون إلاّ بالناحية السياسية والعسكرية . ويعد الملك وحده قوة وحيدة فعالة في جميع نواحي حياة الأمة . ولما نزل نؤرخ العصور الادبية ونحددها تبعاً للعصور السياسية .

ومما لا مشاحة فيه أن التطوّرات التي طرأت على أساليب الانتاج قد أحدثت تطوراً في العلاقات الكائنة بين العامل وصاحب العمل ، وقضت على الجفاء ، واللامبالاة التي اتسمت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بها العصور التي تقدمت الثورة الصناعية ، وأثرت في حياة العمال ومستوى معيشتهم ومدة عملهم ومقتنياتهم من أثاث وأوانٍ وثياب وغذاء . ذلك لأنَّ الإنتاج السريع الوفير سبَّب أرباحاً هائلة تدفقت على صناديق أرباب العمل وجيوب العمال . وعن ارتفاع الأجور تفتق الذهن عن رغبات جديدة أو كامنة . وبفضل الامكانيات المادّية التي أصبح ينعم بها العامل وشيوع الحرية ، وانتفاء الإمتيازات ، وتعدُّد نواحي الخير في الحضارة الحديثة ، استطاع أن يلج جميع الأبواب ويتمتع بصنوف اللذات وبفضل تقنين مدّة العمل أصبح ينعم ببحبوحة من الوقت ينفقها في اللهو والعبث ، أو الانصراف للاستزادة من الثقافة ، أو الاستمتاع بالجوّ العائلي . وفي ظلّ النظام الاقتصادي السائد تصدعت أركان العائلة وطغت الروح الفردية في أعضائها فتبدَّد شمل الأسرة . وقد توقع ماركس هذا المصير الكئيب الذي تنتهي إليه العائلة . فيقول : « إنَّ الكلام الفارغ عن العائلة والتربية والحنوّ القائم بين الآباء والأبناء يصبح مدعاة للاشمئزاز ما دامت الصناعة العظيمة ماضية في القضاء قضاء مبرماً في صفوف العمال على الروابط العائلية . فيعامل الأولاد وكأنهم سلع تجارية بسيطة وأدوات للعمل . فالأسرة بدلاً من أن تكون ملاذاً لأعضائها يفزعون إليها كلما أحدقت بهم الهموم قد تفرق أبناؤها وتشتتوا . وهكذا فقدت العائلة العنصر الهام الذي يبرّر وجودها ويدعو لإجلالها ، وهي الوحدة التي ينميها الاجتماع وما يتخلل الاجتماع من تعاطف ومحبة وعناية . وتحوّل البيت الى مجرد مخدع يفد إليه أفراد من مختلف الانحاء وفي أوقات مختلفة ، قد أنهكهم التعب ، وامتصَّ المجتمع ما في قلوبهم من حبٍّ وعطف ، وقضى المعمل والشارع على ما في نفوسهم من عفةٍ وطهارةٍ ، واستنزف الطيش ما في جيوبهم من مال . وبما أن المرأة في المجتمع الماركسي تعدعاملاً اقتصادياً أولاً وأمّاً ثانياً ، فقد انتزع صغارها من حضنها وأرسلوا إلى رياض الأطفال . ولئن قدّر لهم أن يحظوا بالعناية والغذاء فإنهم يظلون مفتقرين الى العطف والحنان اللذين لا ينضجان إلاَّ في صدر الأم . وبدأ العامل يحاكي من هو فوقه مرتبة وغنى ويجاريه في معاشه وأطوار حياته . ولكي يبلغ الدرجة التي يصبو إليها ، ويتذوّق ألوان الترف والرفاهة ، عمد إلى تحديد النسل وأذن لزوجه وبنيه بالعمل كي يخففوا العبء عن كاهله . ثمَّ أنّ التطوُّر الاقتصادي حدا بالحكومات أن تسنَّ قوانين تتعلق بالعمل وشؤون العمال فمنحتهم حق تأليف النقابات ، وضمنت لهم المساعدة في حالة المرض ، والتعويض في زمن الشيخوخة ، وفرضت شروطاً على أرباب العمل فيما يتعلق بالنساء والأولاد وحالة البناء وساعات العمل ... وأصبح للعمال بفضل تكتلهم وزن يذكر في الشؤون السياسية عامة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه هي مجمل النواحي التي تأثرت ولا تزال تتأثر بالعامل الاقتصادي وبتطور أساليب الإنتاج. أما ماركس فانه يعزو الى العامل الاقتصادي، كما ظهر من أقواله، قوة تفوق حد التصور: فهو الذي يكيف شؤون معيشتنا والسياسة والحقوق والدين والأخلاق، وبالجملة جميع نواحي النشاط الإنساني. إن هذا التفسير المادي للتاريخ ينسف نسفاً تامّاً جميع الآراء والنظريات التي تقول، وثبتت حقيقتها، إن الانسان يتأثر بالدين والأرض والعرق والخصائص الجسدية والنفسانية. وبمعزل عن المؤثر المادي، فانه يمر بهذا الكون كما تمر سحابة صيف. فالدين الذي ينكر أثره ماركس من أعظم المؤثرات في المجتمع البشري. وقد ساهمت الديانات مساهمة عظمى في جميع التطورات والمراحل التي مرت بها البشرية. وكثيرون يعزون تقدم بعض الشعوب الى رقي الديانة وسمو مبادئها التي يعتنقها أبناؤها. ثم أن الدين في لبابه مبادىء أخلاقية تهذب سلوك الانسان وتصلح نفسه وتطهرها من أدران كثيرة. والدين يتوخى السلام الدائم للانسان في هذا العالم والحياة في جوٍّ من المحبة. وكل رسالة دينية تتضمن نواهي ومواعظ تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتحض على البر والرأفة والوفاء. وأن الانسان تأثر الى مدى بعيد جداً بالطبيعة وما يتعاقب عليها من فصول وبكر من ليل ونهار. نعم أنه تأثر بالنهار الذي يبعثر الأفراد ويبدد الشمل، وبالليل « ليل الأشباح والأرواح والأخيلة » كما يقول جبران ليل الظلام والمخاوف التي تفرض الاجتماع فالائتلاف. وبهذا الصدد يقول: ألان : « إنّ مؤسساتنا وليدة الليل قبل أن تكون وليدة الجوع أو العطش أو الحب » . ومن نظام الحراسة الذي يفرضه الليل يمكننا أن نفهم « لماذا تفضل الأمانة على الشجاعة » . ولن يقوى الانسان أن ينجو من أثر المرأة وما ينشب بينه وبينها من علاقة، وما يتخلل هذه العلاقة من حبٍّ وبغض، ووصلٍ وهجر، وما تتصف به من قبح وجمال، وما يؤثر عنها من فضيلة ورذيلة ... ويتأثر كذلك بالرجال والأولاد، والصحة والمرض، والحرب والسلم، والكفر والايمان. من هذه الأمور وغيرها يتكوّن نسيج حياتنا. ولاختلاف التضاريس، وتنوُّع المناخ، وحدوث الغزوات والحروب والمجاعات، والحدود المنيعة التي تحدّ من فعاليات الشعوب ومن مدى اختلاطها واحتكاكها، نصيب عظيم في نشوء المدنيات ونموها وتقهقرها.

إن مبدأ المادّية التاريخية ينافي تماماً مبدأ المسؤولية في الانسان ويئد حرية الاختيار، ويسقط عنه مسؤولية الخير والشر ولا يحق للمجتمع أن يناقشه الحساب لأن لا قدرة له ولا حيلة في صوغ طباعه وتهذيب مناقبه وعواطفه بل هي رهن مشيئة قوة جامدة آلية.

والايمان بالمادية التاريخية يولد عقيدة الجبرية الاقتصادية التي تحدد مصير الانسان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحديداً رياضيّاً . فما دامت أساليب الانتاج هي التي تعين وجدان الأفراد والجماعات فينبغي أن تتماثل الجماعات البشرية في أخلاقها وعواطفها ودياناتها وفنونها وآدابها ، إذا تماثلت أساليب الانتاج فيها وبلغت درجة واحدة من التطور الاقتصادي . وفي الواقع ان التمايز في هذا العصر الصناعي قد عظم وازداد وضوحاً وانتشاراً . ولا تتوفر المماثلة إلاّ في البيئات المتبدية المنكمشة . ومرد ذلك الى أن الجماعات البشرية لا تخضع للمؤثرات الاقتصادية فقط ، بل أنها تتأثر بجميع التيارات ، من أدبية وعلمية وفنية ونفسية وبدنية ، التي تتفاعل طليقة ضمن تخوم القطر الواحد ، وتتأثر بالتيارات المنبثقة عن مختلف البلدان . وقد أصبح من الميسور في هذا العصر انتشار الحضارات . ويزداد التنوع ويعمق ويعظم بمقدار ما يتمتع الانسان بحرية العمل والقول والفكر والوجود . فالعمال الذين يعملون مجتمعين ساعات معدودات في المصانع ، يتفاعلون فقط ضمن الجو العملي وما يتفرع عنه من اهتمام بمصالحهم وأجورهم . لكنهم لا ينسلخون عن المجتمع الذي يعيشون بين ظهرانيه ، ولا ينقطعون عن التأثر والتأثير به من شتى النواحي . ان المجتمع زاخر بالمؤسسات الثقافية من علمية وأدبية وفنية ، والصحافة والمسارح والنوادي والكتب وغيرها من ألوان النشاط الفكري والاجتماعي .

وإذا كانت الشيوعية الماركسية مؤمنة بمناعة وصحة التفسير المادي للتاريخ ، وان الانسان لا فكاك له من سلطان أساليب الانتاج ، ولا يستطيع فرد مهما سما أن يكون دولاباً يدور يمنةً بين دواليب تدور يسرةً ، فعلامَ نراها تتوسل لاقرار هذا المبدأ بشتى الوسائل والسبل : انها تشجع كل حركة ترمي الى الاضراب والانتقاض والشغب ، وتوجه الصحافة والتأليف والتفكير والوجود توجيهاً صارماً عنيفاً لا رحمة فيه ولا هوادة ، وفق هذه الأهداف . ونراها تماكس وتمقت كل اصلاح ، اجتماعياً كان أم اقتصادياً ، ذلك لأن كل محاولة ترمي الى اصلاح الفاسد تؤخر الثورة التي تقلب المجتمع انقلاباً يمتد الى الأعماق .

ويقيني أن الآلة التي ابتكرها الانسان والأساليب الاقتصادية التي طرأت على الانتاج لم تنفرد وحدها بالتأثير في حياة العمال أنفسهم ، بل أن الفضل العظيم يعود الى زعماء انبثقوا من صميم الشعب يحملون بين جوانحهم قسطاً كبيراً من العطف والرحمة وقسطاً أكبر من الفهم والوعي لشؤون العمال ومشاكلهم . ومن الامتهان لعبقرية الانسان وفكره وخياله ان نهبط به الى مستوى الآلة الجامدة ونقارن بينه وبينها . وان في شخص ماركس نفسه ما ينقض قوله ويدحض زعمه . فعندما وضع تآليفه لم يكن سوى مثالي idéologue من طراز كبير . فمثله ومثل غيره مثل مشكاة استضاء بها العمال للاهتداء الى الحقوق المهضومة . ولعل حالة العمال لم تكن ما هي عليه الآن لو لم يوجد ماركس .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذكرت قبلاً أن لابريولا يقول « إن الهيوعية تستطيع أن تتنبأ عن المستقبل» والآن أتساءل : هل تحققت النبوءات التي توقع ماركس حدوثها ؟ لقد تنبأ أن الملكية الصغيرة سائرة في طريق الزوال وستحل محلها الملكية الجماعية . ويرد السبب إلى انتشار وسائل الإنتاج والقوى البشرية التي تتبدد فيما لا طائل تحته والفقر الذى أصاب التربة من جراء الاستغلال المتتالي ، إن هذه النبوءة — ازالة الملكية الفردية — لم تتحقق طبيعيًّا ، بل تمت في الأقطار التي استعمل فيها العنف والمصادرة بغية تنفيذ هذه النظرية . أما في البلدان الأخرى فقد عمدت الحكومات الى تحديد الملكية الفردية تأميناً للمصالح العامة ولإيجاد الانسجام بين مختلف الطبقات لا القضاء عليها . وفي عام ١٨٥٠ كان عدد الأسر في انجلترا التي تملك من ١٥٠ — ١٠٠٠ جنيه ، ٣٠٠٫٠٠٠ عائلة . وفي عام ١٨٨١ بلغ هذا العدد ٩٩٠٠٠٠ أسرة . فما دام عدد الذين يملكون يزداد ، وعدد الذين لا يملكون يتضاءل ، فإننا نبتعد شيئاً فشيئاً عن المحجة التي تنبأ عنها ماركس . وفي ذلك يقول كوتسكي : إذا كانت المساوىء الكبرى الناتجة عن أسلوب الإنتاج الرأسمالي لاصقة بأوائله فقط ، وينبغي أن تتناقص فيما بعد ، واذا كان عدد أولئك الذين يملكون يزداد ، وإذا كانت المتناقضات الاجتماعية تتضاءل شيئاً فشيئاً ، وإذا كانت الطبقات العاملة تأمل أن تتحرر أو على الأقل أن تحرز مكانة مرضية ، فأية فائدة تنجم عن الاشتراكية ؟ أقر بصراحة إنني أعتبر الاشتراكية خطأ فادحاً » .

وليست الحروب التي ملأ ذكرها بطون التواريخ . إلا نزاعاً بين الطبقات التي تعود في منشئها إلى التفاوت في المراحل الاقتصادية . ويقول انجلس : « إن ماركس أول من اكتشف الناموس العظيم الذى يسم الحركة التاريخية . وطبقاً لهذا الناموس ، فان كل ماحدث من المعارك التاريخية في الحقل السياسي والديني والفلسفي وفي أي حقل آخر مثالي ، ليست إلا تعبيراً صادقاً تقريباً عن المعارك التي تنشب بين الطبقات الاجتماعية . وينجم عن هذا الناموس أن وجود هذه الطبقات ونزاعها يرتبطان بالمرحلة التي بلغتها حالتهما الاقتصادية وأساليب الانتاج ، وأخيراً بأسلوب المبادلة الذي يتفرع عن الانتاج » .

ويستخلص من رسالتين كتبهما انجلس إحداهما في ٢٧ اكتوبر ١٨٩٠ والأخرى في ٢٥ يناير ١٨٩٤ أن الظواهر الاقتصادية هي الباعث الأول على حدوث المظاهر السياسية والحقوقية وحتى التصورات الدينية التي لا تعد إلا ظلالاً اقتصادية . ولو لم يوجد نابوليون لاحتل آخر مكانه . فان كل شيء رهن الواقع والضرورة » .

هل الحروب التي جرت في العصور القديمة أم الحديثة كانت حروباً طبقية أم حروباً بين الأمم ؟ ان جميع الحروب التي نشبت في الشرق والغرب لم تكن حروباً بين الطبقات ، بل انها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الصميم نزاع بين القوميات التي تقطن أوطاناً معينة وتتكلم لغة واحـدة وتنتسب إلى أقوام تخضع في كينونتها لدورة حياة واحدة . وان العامل لما يحقق حلم ماركس الجميل : « العمال لا وطن لهم » لجميع الأحداث ، وأقواها الحرب الأخيرة برهنت أن العامل مواطن قبل وبعد كل شيء وإنه ينظر إلى الأمور ويزنها من خـلال مصلحة أمته . وما من ثورة أو حرب أو عصيان إلاّ ساهمت فيها جميع الطبقات وكانت نتيجة لعوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية وعرقية وغير ذلك من الأسباب الخفية . من ذا الذي قام بأعباء الثورة الفرنسية ؟ يقول سان سيمون : « ان الثورة الفرنسية كانت من صنع العلماء والفنانين الذين آذتهم النظم الاقطاعيــة في الصميم ، فقذفوا بالمعدمين الجهلة ضد المالـكين المحافظين » . وليست أساليب الانتاج التي حدت بالشعب إلى الثورة ، بل كتـابات ڤولتير التي ما انفكت تحض على التحرر الذهني حتى تمثال الحرية ، وكتابات روسو التي كانت تدعو إلى الفوضى الاجتماعية إلى أن تحصل المساواة والعدل . ولم يقم العبيـد وحدهم في الثورة التي نشبت في روما ، بل كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الأغنياء الذين كانت تحدو بهم الرغبة إلى تسلم زمام الشؤون السياسية التي لا تتطلع إليها الطبقة الفقيرة المعدمة . فتضافرت مطامع الطبقة الفقيرة التي تتوخى العدل الاجتماعي ومطامع الطبقة الغنيــة التي تنشد المنصب والجاه . وان الحروب الصليبية لم يكن سببها الباعث الاقتصادي ولم يكن رائدها الاقتصاد ولم يلح فيها ظل للطبقات والفوارق العنصرية واللغوية والاقليمية ، بل إنها صهرت قوميات حتى كانت متباعدة متباغضة . وتعود في أبعد أسبابها إلى نعرات دينية تمثلت في الفريقين المتحاربين . وان الذي دفع إليها ونمى الحركة وجعلها تشمل معظم شعوب أوربا البابا ذاته . ولا يتطرق الشك إلى مدى السلطة التي كان يتمتع بها يومئـذٍ . فقـد جمع في قبضته السلطتين الزمنيـة والروحية . ولم يكن يسعى لتيسير سبل التجـارة ، بل كان يسعى لانتزاع القبر المقدس من قبضة الدولة المسلمة المسيطرة . وقد ترتب على هذه الحرب الدينية نتائج اقتصادية خطيرة : فتوطدت العلاقات بين الشرق والغرب ولاحت للفريقين امكانيات تجارية لم تكن في الحسبان فان القبر المقدس أصبح يجذب سنويًّـا ألوفاً من نصارى الغرب الذين يؤمون الديار المقدسة. وقد نشأ عن تدفق الحجاج الى سوريا شركات للملاحة في البندقية ومرسيليا . ولست أعدو الغرض المعقول إذا قلت أن اكتشاف أميركا فكرة نبتت من صميم العـلاقات التي تلت تلك الحروب . إذ من المعلوم أن مدن الشرق : القسطنطينية وحلب ودمشق وبغداد ، كانت أسواقاً لحاصلات الشرق الرئيسة . وان ابان غزوتهم سوريا قد تعرفوا الى هذه المراكز . وتذوقوا الأفاويه وشاهدوا العاج والأقمشة الحريرية والسجاد . وعلامَ كان يبحث كولمبوس ؟ ألم

تكن الهند ، منبع الغرائب ، هدفه ؟ وان البرم الذي أصاب التجار من طول الطريق الشرقية وأثرها في ارتفاع الاسعار حملت أولي الهأن على التفكير جدياً في الاتصال مباشرةً بالهند . وعلى أثر الحروب الصليبية تغيرت معظم خطوط الملاحة وطرق التجارة البرية . ولا يتسع المجال لذكر الفوائد الزراعية والصناعية والعلمية التي حصل اقتباسها من قبل الطرفين لدن احتكاكهما .

وتستولي علينا الحيرة إذا ما رمنا تعليلاً صحيحاً لاختراع المطبعة . هل هي التطورات الاقتصادية أم الثقافية التي وجهت ذهن جوتنبرج ودفعته للبحث والتفكير بطريقة تريح الناس من عناء النسخ ؟ لا نجد لذلك تعليلاً معقولاً إلاّ في التقدم الثقافي وتفتح الأذهان وما ينشأ عن ذلك من رغبة ملحة للمطالعة والبحث والتنقيب واقتناء الكتب . وعلى أثر اختراع المطبعة ، وطبع الكتاب المقدس ونشره بين الناس بلغة سهلة سلسة ، بعد أن كان وقفاً على الكهنة ولا يتجاوز نطاق الصوامع والأديرة ، حصلت حركة الاصلاح الديني التي نادى بها لوثيروس . زد إلى ذلك الكراهية التي كانت تضمرها الشعوب الشمالية للشعب الايطالي الذي يتحكم في شؤون الكنيسة . وقد أزكى لوثيروس هذا الاستياء بعد عودته من روما إذ قال : « ان الجرائم في روما لا توصف . فن الألمان شريرون . أمّا الطليان فانهم كفرة ويهزؤون بالدين الحقيقي . إنهم يسخرون منّا نحن المسيحيين ، لاننا نؤمن بكل ما جاء في الكتاب . . . ويخشون القديس أنطونيوس أكثر مما يرهبون المسيح . . . » وكانت النهضة الأدبية في القرن السادس عشر نتيجة لازمة لبعث الثقافتين الاغريقية واللاتينية ونشر المؤلفات القديمة . إن المطبعة أحدثت حركة للنهضة في القرن السادس عشر ، أما في القرن التاسع عشر فانها نشرت المجلة والجريدة . ولا يمكننا بحال من الاحوال أن نحدد الأثر العظيم والدّور الكبير الذي لعبته الصحافة في العصر الحديث . إنها أكبر أداة للتوجيه والاذاعة في هذا الجيل . وإنّ ماركس نفسه مدين للصحافة التي عملت على تبسيط ونشر نظرياته ومبادئه في صفوف الشعب . ولا يعد تحقيق الماركسية الشيوعية في روسيا انتصاراً لمبدأ المادّية التاريخية بل تكذيباً قاطعاً وتأييداً صارماً لضعف النظرية وفشل النبوءة . ذلك لأن الثورة الشيوعية نشبت في البلاد التي لم تترعرع فيها الرأسمالية وتظهر مفاسدها ومساوئها ، وإن أساليب إنتاجها كانت متأخرة إذا ما قورنت بالدول الغربية ، لكن استتباب الأمر للشيوعية عام ١٩١٧ يعود إلى ضعف الجهاز الحكومي القيصري الذي انهار عند أول صدمة ، وبانهياره آلت البلاد إلى يد حازمة حديدية هي الحزب الشيوعي . وقد تكون روسيا مدينة في ثورتها الاجتماعية ــ الاقتصادية ــ السياسية لا الى ماركس وتلاميذه فحسب ، بل الى الذين عاصروا مراحل الثورة الفرنسية ، ومهدوا بيقظة الروح القومية في البلاد التي غزاها نابليون ، ورأوا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن كثب الفرق الهائل بين مستوى حالة الفلاح الفرنسي والفلاح الروسي. ويقول «پليكانوف» في كتابه القيم «المدخل الى تاريخ روسيا الاجتماعي» الذي ألفه وهو متشبع بمبدأ التصور المادي للتاريخ، ان الانتصار الذي أحرزته القبائل المتبدية على الروسيا في اقطاع كييف، اضطر الجماعات الروسية أن تنسحب صوب الشمال والشمال الغربي من روسيا، مما أدى إلى تأخر ظهور المدنية الروسية وسبب انحطاط الطبقات القروية. ويذكر أيضاً ان للوسط الجغرافي الروسي اثراً بارزاً في التاريخ السياسي من جميع الوجوه.

ولا يمكننا ان نسلم بصحة قول أنجلس: «إن كل شيء رهن الواقع والضرورة». فالظروف تكوّن الجو الملائم لظهور الشخصيات، لكنها لا تخلق الأشخاص وما ينطوون عليه من خلق وفكر وخيال. ولو كان الأمر للظروف التي يسري تأثيرها على الجماعات بمعدل واحد لجملتهم نسقاً، وعلى درجة واحدة من الوعي والفهم، فلو لم يظهر محمد في الحجاز يومئذٍ لما ظهر غيره. والبرهان على ذلك أن تلك البلاد عجزت عن انجاب شخصية كمحمد قبل أن يولد وقبل أن يبلغ سناً معلومة رغم أن ظروف المعيشة وملابسات الحياة وأحوال الجزيرة لم تصب بتغيير أو تبديل. وما من عظيم كان وليد ضرورة ساعة ظهوره، أو استجابة لنداء الجماعات المتضورة. ولو كان وليد الضرورة القاهرة لما حورب مصلح ولا نبي ولا اضطر هو أن يحارب الجماعات التي ظهر في وسطها أو يكافحها تارةً باليد وطوراً باللسان. فيسوع صلب، ومحمد هاجر وحارب بغية اقرار فكرة التوحيد في القلوب. وان يسوع يعبر عن الحقيقة التي اكتنفت رسالاته إذ يقول: «ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها». ولو كان المجتمع العربي يشعر آنئذٍ بتعطش حقيقي إلى رسالة سماوية لما عامل محمداً معاملة تجلت فيها الغلظة والقسوة والكفر. وكيف نستطيع أن نعلل تغلغل الرسالات السماوية رغم منافاتها للمبادىء السائدة والعقائد المستقرة ورغم العراقيل التي تعترضها، والشر الذي يلاه المبشرون بها.

جميلٌ أن نجمع في العقيدة بين الولاء للأرض والتطلع الى السماء، ونصل في الحياة بين القلب والبطن، ونوفق بين رغبات الروح ومتطلبات الجسد. وليس بجميل أن تحول الارض بيننا وبين السماء وتطغى المادة على الروح. انني أؤمن بالانسان وما فيه من قوى فاعلة في سبيل الخير والجمال والحق، وأؤمن ان الحياة سوف لا تنفك تغربله في غربال اللذة والألم كي تدنيه شيئاً فشيئاً من الحجة القصوى التي تتجلى في المحبة الشاملة. وركب الانسانية ما انفكَّ سائراً صوب هذا الهدف رغم وعورة الطريق وطولها وكثرة الأشواك وخور العزائم.

صافيتا — سوريا الياس يعقوب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرأة في البرلمان

لم تذهب صيحات الاتحاد النسوي عبثاً . ولا انطلقت صرخات السيدات أدراج الرياح بل قرعت آذان كثيرين من ذوي الهوارب، واستجابت لها نبضات قلوب الطبقات الراقية . وجاوبتها نغمات عواطفهم ونبرات رشادهم . وكان من هذه النبضات ان صحت عزيمة الأستاذين الكبيرين سعادة علوبة باشا وسعادة علي زكي العرابي باشا ان يتقدما إلى البرلمان كل منهما على حدة بمشروع قانون يخوّل المرأة المصرية حق الانتخاب . وقد كان لي الحظ أن اطلع على قسط من مشروع علوبة باشا فرأيته مُدعماً بالمنطق القاهر والحجج الدامغة فضلاً عن السندات القرآنية الناصعة الحق .

ولا ندري الآن ماذا يلاقي هذا المشروع من مناقشات أعضاء البرلمان ، وبكم يهاجم من الحجج الواهية والبراهين المتصدعة . ولكننا نعلم منذ الآن إنه سيلاقي من خشونة الجنس واعتصاب النفوس المتعصبة وقذائف التقاليد المتحجرة ما يستميل عنه إلى نقيضه من أكثرية المجلس . وقد تكون أكثرية ساحقة . ومهما كانت قليلة أو كثيرة فالأرجح ان المشروع يحبط في المرة الأولى ويصفق لحبوطه الأنانيون المستبدون المستلذون الاستعباد . على أن حبوطه لا يكون هلاكاً إلى الأبد . بل لا بدّ أن يبقى فيه رمق ، أو أنه يولد ثانية عن يد ذينك الفاضلين اللذين في مقدمة من يدفعون بالمجتمع المصري إلى الامام في سبيل رقيه ويشترك معهما آخرون ممن يتفقون معهما في هذه النزعة الاجتماعية المباركة .

على أننا نعرف منذ الآن ماذا تكون حجج المعارضين والمقاومين والمناكدين الذين من خليقتهم صحبة الاستبداد ، والمختمرين بعقيدة أن المرأة مهما ارتقت فبحكم خُلقتها يجب أن تكون أمة أو شبه أمة، على الرغم من منح الكتب المقدسة لها حقوقاً اجتماعية واقتصادية كحقوق الرجل .

أول حجة عند خصوم المشروع أن المرأة خُلقت بطبعها ثانوية للرجل ، ولها وظيفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الأسرة، تختلف عن وظيفة الرجل كل الاختلاف بل هي دونها قيمة وشأواً . وبالتالي يمتد هذا الاختلاف إلى جميع الأحوال الاجتماعية .

يقولون إن وظيفة الرجل خارج المنزل مختصة بالسعي إلى الرزق للقيام بمعيشة الأسرة . وإن وظيفة المرأة حضانة الأولاد وتربيتهم والقيام بجميع الواجبات المنزلية .

حسنٌ . ولكن هل وظيفة المرأة هذه دون وظيفة الرجل قيمة ؟ وهل تقتضي مجهوداً أقل مما تقتضيه وظيفة الرجل ؟ لا لعمري . إن وظيفتها أهم جداً وأغلى قيمةً وعملها أشق جداً من عمله . فلكي تقدم المرأة للمجتمع رجلاً وطنياً نشيطاً ونافعاً ومخلصاً لوطنه يجب أن تحمله جنيناً في أحشائها تسعة أشهر أولاً . ثم تضمُّه إلى صدرها وفي حجرها شهوراً أخرى ، ثم ترعاه بضع سنين إلى أن تقدمه الى المدرسة فالكلية . ولا تنتهي مهمتها بشأنه حتى بعد أن يصير يافعاً ، بل بعد هذه السن تبقى مشغولة به عاطفة عليه مهتمة بحياته إلى أن يستقل . أضف إلى مهمة تربيته سائر الواجبات المنزلية المعروفة . هذه وظيفة المرأة إذا كان عندها ولد واحدٌ ، فما بالك اذا كان عندها بضعة أولاد ؟ لا أظن أباً من الآباء من يجهل أو يتجاهل أن عمله الذي يستعظمه تجاه عمل المرأة إنما هو عمل يومي يجري على وتيرةٍ واحدةٍ منذ يضع نظامه إلى أن يتقاعد عنه . فمتى جرى الرجل في سياق العمل أصبح النظام يعمل من تلقاء نفسه من غير أن يعنت هو فيه نفسه كثير الاعنات . لذلك يجد الرجل عنده متسعاً من الوقت للتسكع في طريق الحياة والاختلاف الى المقاهي والملاهي والمعشر الفكه وأحياناً إلى المعشر الفاسد .

فاذا كانت تلك وظيفة المرأة التي هي مهمة إعداد رجال المستقبل وبنيان المجتمع المتين أفلا يجب أن يكون لها ضلع في إدارة هذا المجتمع ولو من قبيل الرأي أو اختيار ذوي الرأي والادارة ؟

* * *

وأقوى حجة يحتج بها خصوم المشروع هي أن السواد الأعظم من النساء عندنا لا يزلنَ أميّات جاهلات ، فلا يصلحنَ للتمثيل في البرلمان ولا للانتخاب . يمكن إعطاؤهنَّ هذا الحق متى تعلمنَ ولو بعض العلم أو تعلمنَ القراءة والكتابة على الأقل ، إذ تصبح معلوماتهنَّ بشؤون الحياة أوسع نطاقاً منها الآن ولا سيما إذا صرنَ يطالعنَ الجرائد والمطبوعات الأولية كأخواتهنَّ الاوربيات والاميركيات .

حسن . هذا صواب . فإذن يجب أن نُلغي برلماننا بتاتاً ونعود الى الحكم

المطلق لأن السواد الأعظم من الرجال كالسواد الأعظم من النساء أميّون جهلة لا يفهمون شيئاً من مشاكل الحياة الاجتماعية ، ومن السياسة الوطنية . وإذا كانت الأمية سبباً حتمياً لحرمان الفرد من حق الانتخاب ، فالانصاف يقضي أن يحرم جميع الأميين رجالاً ونساءً من هذا الحق على السواء ، وأن يقتصر على المتعلمين فقط من الفريقين . وحينئذٍ نرى أن عدد المنتخبين لا يفوق على عدد المنتخبات (بكسر الخاءين وفتحهما) لأنه ما من أبٍ مثقف ولو بعض الثقافة في هذا الأوان يحرم بناته حق التعلم الى حدٍّ ما . ولا نرى فتىً متعلماً إلاّ نرى تجاهه فتاة متعلمة . ولا مزية للرجال على النساء في المعرفة . كلا الفريقين في الثقافة والأميّة سواء .

واما أن تمنح حق الانتخاب لكل ذكرٍ بالغ وتمنع هذا الحق عن كل أنثى على الاطلاق حتى المثقفة ، فهو من أغرب سخريات الزمان وأضحك المضحكات . أليس مستهجناً أن تقبع السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي رئيسة الاتحاد النسوي في العالم العربي في بيتها يوم الانتخاب وان يذهب بواب دارها الى دار الانتخاب لكي يعطي صوته ؟ أو أن يذهب خادم السيدة أمينة السعيد لكي يعطي صوته وهي تحرم هذا الحق .

وإذا كان لا بد من عدم الانصاف هذا بين الفريقين فيجب على الأقل أن تعطى السيدة المتعلمة حق الانتخاب أسوةً بالأمي الجاهل وتحرم منه المرأة الأمية ريثما تتعلم . والاّ فهذا الاجحاف سبة في دستور البلاد .

أفظع مما تقدم أن يكون بين نواب الأمة أميون لا يحسنون كتابة كلمة غير كتابة امضائهم التي مارسوها لهذا الغرض على الرغم من أن الدستور يحرم على الأمي أن يرشح نفسه للنيابة .

* * *

أما حرمان المرأة المثقفة من حق النيابة في البرلمان فيبرره خصوم المشروع بأن المرأة مقيدة بواجباتها المنزلية ، فلا يجوز أن تترك هذه الواجبات لكي تخوض غمار السياسة وتحضر الجلسات وتناقش، وأخيراً توافق أو لا توافق . وإذا كانت الواجبات المنزلية تمنع نيابة المرأة فواجباتُ الرجل المعاشية تمنعها أيضاً . على كلا الفريقين واجبات فما يمنعها هذا الحق يمنعه ؟

والعادة أن يكون النواب من الأشخاص الموسرين القليلي الواجبات الشخصية ولهم متسع من الوقت لحضور الجلسات البارلمانية . والمجلس لا ينعقد إلاّ مساءً بعد انصراف الناس من أعمالهم . والسيدة التي يساعدها خدمها في ادارة المنزل لها أيضاً متسع من الوقت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في ذلك المساء كما أن لها وقتاً للزيارات والملاهي . وبالطبع لا ترشح نفسها الاّ المرأة الموسرة التي عندها خدمٌ وبرهات كثيرة من الوقت لحضور الجلسات فضلاً عن المطالعة وتدوين المذكرات ونحو ذلك .

وحاصل القول أننا لا نرى أن انشغال المرأة في واجباتها النيابية في البرلمان يحول دون قيامها بواجباتها المنزلية ، كما أن انشغال الرجل في البرلمان لا يعرقل أعماله . فهذا الاعتراض واهٍ سخيف كغيره من الاعتراضات المتقدمة .

وقد انتخبت السيدات في بارلمانات أوروبا وأميركا وكانت لهنَّ آراء صائبة ونفوذاً فما قصرنَ في واجباتهنَّ المنزلية بسبب انشغالهنَّ في مجالسهنَّ النيابية .

ولجانب من الرجال عقيدة فاسدة يستنكرون بها اشتغال المرأة في السياسة ويستهجنون وجودها في المجالس النيابية ونحوها ، وهي أن المرأة أضعف عقلاً من الرجل إلى غير هذا من مزاعم انحطاط عقلية النساء . وهي عقيدة سخيفة لا يخجل مغرورو الرجال وأغبياؤهم أن يجاهروا بها وإلى جانبهم زوجات راقيات لائقات بهم وهم يحرصون على كرامتهنَّ .

يجعلون هذه الحجة في مقدمة الحجج عند نقاشهم في هذا الموضوع على الرغم من أن وقائع الحال تخرس أفواههم إذا كانوا يعقلون . فقد نزلت المرأة في جميع البلاد المتمدنة إلى مضمار العمل ونافست الرجل فيه كما نافسته في ميدان تحصيل العلم ، حتى عندنا نافست الطالبات في جميع الكليات الطلبة ، وفي كثير من الامتحانات تفوقنَ عليهم . فما ظهر في هذا الجنس اللطيف قصور عقلي بتاتاً . والتحقيقات الفسيولوجية والدماغية خاصةً برهنت على أن المرأة والرجل متساويان في القوى العقلية . وليس لفريق مزية أو فخر على الفريق الآخر . ونرى في ميدان الأدب الآن أقلام كاتبات في كثير من المجلات تبزُّ أحياناً أقلام الكتّاب المنعوتين بالقديرين .

ولعلَّ بعض الأنانيين من الرجال يقولون إننا إذا منحنا هذا الحق للسيدات فلا نعود نستطيع أن « نكيفهنَّ » . وهذا قول سخيف لا يصدق إلاَّ على بعض النساء المتدللات المغرورات ، وهؤلاء لا يمكن أن يرتقينَ إلى منصة النيابة البرلمانية . ولا تستطيعون أيها الأنانيون أن « تكيفوا » هؤلاء « المدللات » سواء أكنَّ في مجلس النواب أو في مجالس الأصحاب . فهنَّ نائبات لكم على كل حال رضيتم أم لم ترضوا .

نقولا الحداد

أمس واليوم

حالة مصر الزراعية

يجود علينا الغرب أحياناً برجال يخلصون للشرق ويقدرون مشكلاته ويتقصّون أسبابها ويشيرون بما يرونه من علاج . ومن أولئك المستشرقين الجليزي اسمه الأستاذ كراوتشلي A. E. Crouchley كان يعمل أستاذاً في كلية التجارة بجامعة فؤاد الأول ووضع من تسعة أعوام كتاباً نفيساً باللغة الانجليزية عن « التقدم الاقتصادي لمصر الحديثة » [1] في نحو ثلاث مئة صفحة .

وقد رأينا أن ننقل بضعة فصول من هذا الكتاب ونعلّق على ما أورده المؤلف حسبما نرتئيه ، ونضيف إليه ما عرض لنا في بحوث حديثة العهد ، لأن هذا المبحث من خير ما كتب عن اقتصاد مصر الحديثة .

* * *

التاريخ موصول الحلقات ، مسلسل الوقائع والأحداث ، لا يقف ولا يبطىء . اليوم هو ابن الأمس وهو أبو الغد . ورغم أن مهمة المؤرخ — إذا تحرّينا الدقة — تتعلق بالماضي فقد يغتفر القارىء لنا إذا نحن استشففنا من أحداث الماضي الخطوط الرئيسة للمستقبل ، وهي المسائل التي ستعرض لنا لا محالة في القريب الداني أو البعيد النائي . ولعله يعذرنا إذا بحثنا هذه المسائل على ضوء تقدم مصر الاقتصادي الحديث .

وأول ما يواجهنا مشكلة السكان . فقد نما عدد السكان من مليونين إلى نحو ستة عشر مليوناً (المترجم — يبلغ تعداد مصر الآن نحو ١٩ مليوناً) في قرن وثلث قرن ، وهم آخذون في الزيادة بسرعة فائقة . وكثيراً ما يعربون عن الخوف من اكتظاظ البلاد بالسكان ، سواء في الوقت الحالي أو في الغد القريب مما قد يفضي إلى زيادة ضغط السكان على الموارد الحالية للبلاد ، وما يتبع ذلك من خفض مستوى المعيشة .

غير أننا ينبغي أن نذكر أن مصر كانت تعاني نقص السكان لمـّا كان عدد قطانها يبلغ مليونين ، وإننا لم نستطع الزعم بأن هذا النقص قد عولج إلا في القرن الحالي . ولا يمكن

(١) The Economic Development of Modern Egypt.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القول إن مصر مزدحمة اليوم بالسكان ، فهنـاك مساحات كبيرة من الأراضي حديثـة العهد بالاستصلاح في شمال الدلتا وقف تقدمها فعلاً بسبب نقص الأيدي الزراعية العاملة . ففي منطقة شربين تبلغ كثافة السكان ٩٥ نسمة في كل كيلومتر مربع ، وفي كفر الشيخ تبلغ ١١٣ نسمة ، وفي كفر الدوار تبلغ ١٣٠ نسمة . وتبلغ كثافتهم من ناحية أخرى في شبين الكوم ٨١١ ، وفي منوف ٧٦٨ ، وفي ميت غمر ٧٠٦ . ويبدو أن في هذه المناطق عدداً زائداً على الحاجة من السكان . والمشكلة الرئيسية هي مشكلة سوء توزيعهم . غير أن الفلاح محافظ بطبعه ومن أعسر الأمور إقناعه بتغيير مكان سكناه ولا سيما أهل الصعيد الذين يعيشون في مصر العليا .

وليس ثمة بوادر تدل على احتمال ازدحام البلاد بالسكان في الغد القريب لأن الأراضي الصالحة للزراعة في مصر يمكن زيادتها بمقدار ٥٠ في المئة إذا أنفقت بضعة ملايين من الجنيهات على الري والصرف .

وبديهي إننا سنصل في النهاية الى المرحلة التي تصبح فيها زيادة مساحة الأراضي الزراعية صعبة أو مستحيلة . وكلما زدنا الضغط عليها أدى ذلك إلى نقص الغلّة في مناطق واسعة . وإذا ظلّ عدد السكان ينمو طوال هذه المدة ، فقد ينشب أمام أعيننا خطر زيادة ضغط السكان على موارد البلاد . بيد أننا نستطيع أن نأمل ، قبل بلوغ تلك المرحلة أن يفضي التعليم العام وتوفير الوسائل الصحية ، والتأثير النفسيّ للقرى النموذجية ، والعوامل ذات التأثير التي تستخدم الآن (كالسيارات واللاسلكي والجمعيات التعاونية ... الخ) أن تفضي جميع هذه العوامل إلى غرس الرغبة في الفلاح في تحسين حالته الصحية والاجتماعية ورفع المستوى العام للمعيشة في القرى ، فينمو الجيل الجديد مشبعاً بآراء أوسع أفقاً من آرائنا ، وأقوى عزيمة من أسلافه ، فيرى الفرد — كما يحدث الآن في عدد كبير من البلدان الأخرى — أن يخفّض عدد أفراد أسرته رغبةً في تحسين حالة معيشة أطفاله .

ولتقدم الصناعة -- في هذه الحالة — شأن كبير . ولا يزعم أحد أن تصبح مصر دولة صناعية تتخلى عن الزراعة كليّة . ومن المبالغة أن نحسب أن الصناعة تستطيع توفير عمل لقدرٍ لا حدّ له من السكان المتزايدي العدد . وتستطيع الصناعة في الآونة الحاضرة أن تستوعب بضعة آلاف آخرين من العمال من السكان الذين قد يصل تعدادهم قريباً إلى عشرين مليوناً . غير أن الأجور المرتفعة التي يتقاضاها العمال في الصناعة من شأنها أن ترفع مستوى المعيشة في الريف إمّا مباشرة : بأن ترفع المستوى ارتفاعاً جليّاً بالنسبة لما كان عليه قبلاً ، أو غير مباشرة : بأن تزداد هجرة الريفيين إلى المدن وسيطّرد ازدهار الصناعة بدوره

لأن تحسين مستوى المعيشة في المناطق الريفية سيؤدي حتماً إلى زيادة حاجات الريفيين. وكلما تحضّر الشعب كثرت مطالبه وزادت حاجاته.

غير أننا لا نستطيع أن نرجو حدوث تقدم فعلي ما لم يحقق الرخاء الزراعي. ويجمع جميع المطلعين، وتجمع الإحصاءات كذلك، على أن الاراضي التي تروى ريًّا دائماً رغم أنها تنتج أكثر من محصول واحدٍ في العام، تميل سريعاً إلى فقدان خصوبتها. وتحتاج تبعاً لذلك إلى مقادير مطردة الزيادة من الأسمدة والمخصّبات الكيميائية. وحتى بعد التوصل بهذا العلاج، يصبح معدل المحصول أقلّ بكثير من محصول الأراضي التي تروى بنظام ريّ الحياض. ويحتمل أن تكتشف في المستقبل وسيلة تجمع بين الخصوبة التي تتأتى من تلقاء ذاتها وفقاً لنظام الحياض، وبين زيادة عدد المحاصيل التي تنتج عن نظام الري بالترع (أي وسيلة تجمع بين خير ما في نظامي الري الدائم والحوضي). ومن الضرورات الأولى لتحقيق هذا، اتباع نظام الصرف الملائم. أما الضرورة الثانية فهي إتاحة فرصة كافية للتربة تستريح فيها.

وقد يأتي زمن يوضع فيه تشريع ينص على الفترات التي تستريح فيها التربة في شتى المناطق. وقد يكون من الصالح إلى جانب ذلك أن تغطى الأراضي التي « تستجمّ » من عناء الزراعة بماء الفيضان مرة في كل سنتين أو ثلاث سنين لكي تجدّد التربة شبابها بانتظام وتستعيد خصوبتها ومقدرتها الإنتاجية.

ويبدو أن أيسر سبل الإصلاح اتباع ما يلي:

أولاً — يجري العمل سريعاً لتحويل الأراضي الخاضعة لنظام الحياض في مصر العليا إلى أراضٍ تروى ريًّا دائماً. وسيؤدي ذلك إلى إضافة نحو مليون فدان أخرى إلى الأراضي التي تروى ريًّا صيفيًّا وإلى زيادة مماثلة في مساحة الأراضي التي يمكن زرعها قطناً.

ثانياً — ينبغي درس مسألة إنشاء خزانات كبيرة أخرى في أعالي النيل. ويمكن القول إنّ ضبط النيل، لأنه لم يتمّ حتى الآن، لم يبدأ بعد. وما دامت مقادير كبيرة من الماء تضيع هباءً في كل خريف مع الفيضان، وجب أن نقول إن ضبط النيل غير كامل. وقد وضعت فعلاً بعض المشروعات لإنشاء سلسلة كاملة من الخزانات عند منابع النيل، ويرجى أن تفضي هذه المشروعات عقب تحقيقها الى التحكم في هذا النهر الجبار المارد، ووضعه تحت إشراف مهندس الري وإمرته.

وسيعوزنا مورد مطرد الزيادة من الماء لريّ وإصلاح ما يربى على مليون فدان من الأراضي في الوجه القبلي ريًّا سنويًّا، وإصلاح نيفٍ ومليوني فدان من الأراضي البائرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الوجه البحري ، ولزيادة مساحة الأراضي المزروعة أرزاً وتحسين وسائل الري في الوجه البحري وتوفير الماء اللازم للتبكير بزراعة محصول الذرة النيلية الكبير . ويقدرون أنّ مقدار الماء الذي يخزنه خزّانا أسوان وجبل الأولياء في الوقت الحالي لا يتجاوز نصف الكمية التي سنحتاج إليها عند تنفيذ مشروعات الإصلاح .

وتتقدم الآن أعمال تحويل الأراضي الى الري الدائم واصلاحها في الوجه القبلي تقدماً حثيثاً . أما في الدلتا فان نشر وسائل الصرف من جهة ، وزيادة موارد الماء الصيفي من جهة أخرى ، هما من الضرورات الأولية لمباشرة أعمال اصلاح الأراضي المزمع تنفيذها . غير أن كل تقدم آخر يعرقله قلة الأيدي العاملة — وهو أمر يبدو عجيباً في بلد مكتظ هكذا بالسكان . ومن الصعب ، ولا سيما في الوجه القبلي ، إقناع الفلاح بالمهاجرة علاوة على أن مما يعرقل الهجرة رأس المال الكبير الذي يمس الحاجة اليه في كثير من الأحوال . ولذلك ، قد يبطىء التقدم في الوقت الحالي إلى أن يزداد عدد السكان في تلك المناطق ويتوفر رأس المال اللازم .

وينبغي أن نلاحظ أن تحويل الأراضي التي تروى بالحياض الى الري الدائم لا يصادف تأييداً إجماعيًا ، لأن الخبراء الزراعيين يقولون إن خصوبة التربة تميل الى الهبوط ، وإن معدّل الإنتاج يميل إلى النقص إذا عولجت الأراضي الزراعية بهذه الكيفية . وهنا تبدو مشكلات الصرف ، وتعوزنا مقادير متزايدة من الأسمدة الصناعية الغالية الثمن . والواقع أن النظام الحالي يؤدي إلى ضياع قدر كبير من الانتاج ، فبدلاً من أن يستخدم طمي النيل الخصيب في تجديد التربة سنويًا ، يضيع هباء ويلقي به النهر إلى البحر مما يضطرنا إلى تعويض هذا النقص باستخدام الأسمدة الكيمائية . والنظام المنطقي الصحيح هو أن نعمل على الجمع بين الري الصيفي والفيضان السنوي ويمكن تحقيق هذا في مساحات كبيرة من الأراضي التي لا تزال تروى حياضيًا باستخدام مضخات ارتوازية بدلاً من تحويل الأراضي من الري بالحياض إلى الري الدائم. وقد يتبيّن لنا مستقبلاً أن من الخير استخدام نظام الفيضان الموسمي في المناطق التي حولت فعلاً .

وعلى كل حال ، فإن النظام الحالي ، وضياع ماء الفيضان المحمّل بالطمي في البحر المتوسط هو تبذير وإسراف جليان لا مدعاة لهما وإفراط في مواد ثمينة . فإن ثلثي ما يجري في مجرى النيل من الماء ، يصبّ في البحر المتوسط سنويًا ويحدث هذا في أشهر الفيضان أي من شهر أغسطس إلى شهر ديسمبر عندما يستمدّ النهر تسعين في المئة من مائة من نهري عطبرة والنيل الأزرق ، ويكون الماء محملاً بحمل مخصّب من الغرين من جبال اثيوبيا . وكان جزء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كبير من هـذا الماء يحوّل إلى الاحواض (وفقاً لنظام الري بالحياض) فيرسب الطمي فيها قبل أن يواصل الماء سيره إلى البحر . أما اليوم ، فإن عيون جميع القناطر والسدود تفتح على مصراعيها إبّان فترة الفيضان خشية أن يعوق الطمي عملها او أن يرسب في الخزانات ، فيندفع الماء كله بسرعة دفّاقة رأساً إلى البحر حاملاً معه شحنة غنية من التربة البكر ، تعكر صفاء البحر المتوسط وتحيل زرقته إلى لون ترابي قاتم لمسافة بضعة أميال ، ثم يضيع هذا الغرين إلى غير رجعة . ويقدرون أن الطمي الذي يفقد في كل عام لو وزع توزيعاً عادلاً على ثمانية آلاف فدان ، لبلغ ارتفاعه متراً .

ولو أنّ هـذا الراسب الثمين اختزن في البحيرات المنخفضة على طول الساحل الشمالي للدلتا بدلاً من قذفه الى البحر المتوسط لأمكن سريعاً — وبدون كبير نفقة — تحويل هذه المساحات الشاسعة إلى أراضٍ خصبة صالحة للزراعة .

(المترجم : تبلغ مساحة البحيرات الشمالية التي يشير إليها الكاتب حسبما جاء في تقويم الحكومة المصرية لعام ١٩٣٨ ، ٠٠٠ر٦٤١ فدان تفصيلها كما يلي :

بحيرة مريوط ٠٠٠ر٥٩ فدان
« ادكو ٠٠٠ر٣٥ «
« البراس ٠٠٠ر١٤٠ «
« المنزلة ٠٠٠ر٤٠٧ «

جملة ٠٠٠ر٦٤١ فدان

وكل ما يعوزنا لاصلاح هـذه البحيرات هو تحويل ماء الفيضان بوساطة سلسلة من القنوات ، إلى البحيرات ، ثم ترك الماء يشق طريقـه الى البحر بنفسه عن طريق الفجوات الشمالية . وسيفضي إبطاء مجرى النهر إلى ترسيب الطمي في قعر البحيرات وسرعان ما يؤلف طبقات سميكة . وكلما ارتفع مستوى الأرض بما يرسب عليها من الغرين ، أمكن تحويل مجرى الفيضان الى مناطق أخرى . ولا يزال في الوجه البحري أراضٍ واسعة منخفضة بطول ساحل البحر المتوسط يمكن إصلاحها . غير أنه من الضروري الاسراع في تنفيذ هـذه المشروعات في أقرب وقت ممكن . ويقدرون أن قيمة الغرين الذي يضيع الآن تبلغ مليون جنيـه سنويًا . وقد بلغت الخسارة الآن حدًا أعلى بسبب تحويل أراضي الحياض إلى الري المستديم .

وبتنفيذ مشروعات الري الجديدة مستقبلاً في السودان وأثيوبيا وأواسط أفريقيا ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يمكن التدرج في ضبط النيل . والهدف الاسمى الذي يهدف اليه مهندس الري هو الوثوق من عدم ضياع قطرة واحدة من ماء النيل . وسيأتي الوقت الذي فيه لا يقذف الى البحر سوى ماء الصرف المحمل بالأملاح . ولكن قبل أن يجيء هذا الزمن ، ينبغي أن تلتفت مصر إلى تدبر هذا المورد المؤكد من الثروة التي تضيع اليوم هدراً .

* * *

ولعلَّ مشكلة الصرف أدعى الى الاسراع في علاجها من سواها ، فقد أدركت الحكومة أن من الواجب عليها في هذا الصدد توفير مصارف عميقة رئيسة مجهزة بمضخات قوية لتجعل مستوى ماء التربة منخفضاً . غير أن هذه المصارف الرئيسة ، لكي تصبح ذات تأثير فعال ، تحتاج إلى أن تكون متصلة بعدد لا حصر له من المصارف الثانوية تغطي المنطقة التي يراد صرف الماء منها بأسرها . وإن توفير هذه المصارف مهمة كبيرة تلقى على عاتق الحكومة لأنها لا تملك الهيئة التي تشرف عليها أو الوسائل التي تعالجها بها ، وليس من وسيلة لارغام أصحاب الأملاك أنفسهم على توفير المصارف في أراضيهم . ولن يكون من المتيسر تنفيذ هذا . فنظام الصرف ، ليكون فعالاً ، ينبغي أن ينظم في رقعة واحدة واسعة بمقتضى نظام تعاوني يكون لكل فلاح نصيب فيه . غير أن عدداً كبيراً منهم لا يملك المال اللازم لتحقيق هذا المشروع الكبير النفقة . فضلاً عن أن توفير المصارف المكشوفة (كالترع) مضيعة للأرض التي تشغلها لأن عشرة في المئة من الاراضي المزروعة تستغل في المصارف المكشوفة. أما صغار الملاك ، فان حفر مصارف مكشوفة، مهما تكن صغيرة ، كاف لأن يشغل أرضهم بأسرها وحل هذه المشكلة قد يكون بتوفير مصارف مغطاة ، وهي أنابيب تمدُّ تحت الأرض على عمق مناسب بنظام منحدر قليلاً لتستدرج ماء التربة إلى قنوات الصرف . ولهذا النظام مزايا جمة ، فمتى تمّ تحقيق هذا المشروع ، لن تحتاج الأنابيب إلى نفقات أخرى لصونها ، ويصبح الصرف مؤكداً ، ولا يضيع شيء من الأرض كما هي الحال في المصارف المكشوفة .

* * *

ويبدو أن الحكومة ليست على استعداد الآن لتشرع في تنفيذ هذا المشروع الوثاب. غير انه من الواضح أن المشروع لا يمكن تحقيقه تحقيقاً مرضياً إلاّ إذا أمكن تنظيمه تنظيماً مركزياً . وعلى هذا ، فالحل النهائي هو أن تؤلف الحكومة الهيئة اللازمة للإشراف عليه ، على أن تقتسم الحكومة والزراع نفقاته عن طريق زيادة الضرائب الزراعية مثلاً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القطن المصري

ويبدو أنّ هناك شيئاً من الريب في أن يظل القطن اسنوات قادمة محور الاقتصاد المصري . فليس في مصر محصول سواه يمكن زراعته في مساحات واسعة وبيعه بمقادير كبيرة تدرّ على الفلاح المصري ريعاً يوازي ريعه من بيع محصول القطن . وإذا كانت الزراعة القطنية قد تقدمت في مصر ، فسبب ذلك راجع إلى انها برهنت على نجاح شهده محمد علي ، وهو الذي أدخل هذه الزراعة في مصر ، ثم أحسّ به الفلاح نفسه . وإن أيّ نزول كبير في سعر القطن قد يفضي — وكثيراً ما أفضى — إلى عدول بعض الفلاحين عن زراعته وقتيّـا واستبداله بمحصولات أخرى . غير أن الأسعار ما تكاد ترتفع حتى يقبل الفلاح من جديد على استنبات القطن .

ويحتمل كذلك ان تواصل مصر إصدار نسبة كبيرة من محصولها إلى الخارج وقد أفضى تقدم صناعة الغزل والنسج في مصر إلى حجز مقادير مطردة الزيادة في هذه البلاد للاستهلاك المحلي . ومصر تستهلك في الآونة الحالية خمسة في المئة من المحصول لاستخدامه في صناعة النسج المحليـة . ويوازي انتاج المنسوجات القطنية المحلية نحو ثلث ما تحتاج البلاد إليـه منها . فاذا أتى وقت استطاعت فيه مصر أن تنسج كل ما تحتاج إليه من المنسوجات محليًّـا ، فلن تستهلك سوى خمسة عشر في المئة من الانتاج القطني الحالي . وإذا زادت غلّـة القطن مستقبلاً ، كما هو متوقع ، فإن النسبة ستنخفض عن هذا التقدير .

والواقع أن شطراً كبيراً من الحاجة المحلية ينصبّ على السلع القطنية الرخيصة وكان يمكن مواجهة هذه الحاجة باستخدام القطن ذى التيلة الضعيفة كالقطن الهندي مثلاً . ولـكن الحـكومة تحظر الآن اسـتيراد القطن من الخارج ، والنتيجة المباشرة لهذه الحالة هي أن تعمد المصانع المحليـة إلى غزل القطن المصري الجيّـد لاستخدامه في أغراض ليست كبيرة الشأن . ويبدو أن من مصلحة الاقتصاد المصري عامةً الترخيص باستيراد قطن ذى تيلة رخيصة لينسج في المصانع المصرية مما يؤدي إلى خفض أسعار السلع القطنية للطبقات الفقيرة وإلى بيع القطن المصري ذى الرتبة العالية بأسعار مرتفعة في الخارج .

ومن الضروري لمصر كذلك أن تعرف بالتحديد أي اتجاه في التقـدّم القطني يحقق لها خير مصالحها مسـتقبلاً . فمنذ نشوب الحرب (المترجم — حرب ١٩١٤ — ١٩١٨) وضعت سياسة لإجراء التجارب تعدّل كلما تحوّل اتجاه السوق . فحدث بعـد الحرب مباشرةً أن زاد الطلب زيادة غير عادية على القطن طويل التيلة كالسكلاريدس وزاد سعره

على سعر القطن الاميركي كثيراً . وكان الفلاح يتبين أن من الخير له أن يزرع مساحات شاسعة من أرضه بالسكلاريدس رغم إن معدّل إنتاج الفدان لم يكن كبيراً جداً . وعلى كل حال ، اتجه الرأي منذ ذلك الحين إلى زراعة أنواع رخيصة من القطن للاغراض التي كان السكلاريدس يستخدم فيها قبلاً ، وانخفض سعر هذا القطن لأن الأسواق محدودة نوعاً . وإذا دعت الحاجة مستقبلاً إلى زراعة هذا الصنف الممتاز من القطن ، فلا يُظنّ أن تستطيع مصر مواجهتها سريعاً .

والسوق الآن محدودة في وجه هذه الأصناف ، غير ان هناك سوقاً غير محدودة للقطن المعروف باسم Uppers . والواقع ان القطن المصريّ من هذا النوع أجود من القطن الاميركي حتى ان الغزالين يؤثرون القطن المصري على الاميركي . ولكن نظراً لأن سوق القطن الاميركي توازي أضعاف ما تستطيع مصر أن تنتجه من القطن فهناك احتمال بأن يباع أكبر قدر من القطن المصري . والعقبة الوحيدة هي مسألة السعر . فإذا بيع القطن المصري بسعر القطن الاميركي كان معنى هذا أن تباع سلعة جيدة بثمن سلعة أقلّ جودة . ومن الناحية الأخرى لن يكون من المحتمل بيع محصول مطرد الوفرة بثمن مرتفع ما لم يكن هناك طلب عليه . فينبغي أن تهدف سياسة مصر القطنية مستقبلاً إلى العمل على زيادة الطلب على القطن المصري وعلى جعل البلاد الأخرى تفضله عن الأنواع الأخرى .

أما في ما يختص بالأسعار التي ينبغي أن يباع القطن المصريّ بها ، فإنها تتوقف على السعر العالمي الذي يتحكم فيه الاميركيون إلى حدٍّ كبير . وكل ارتفاعٍ أو نزول في الأسعار في أميركا يصحبه تأثير مماثل في مصر . وقد يتفاوت السعران قليلاً ، بيد أن المعروف عادة أن مصر عاجزة عن أن تؤثر تأثيراً حاسماً في سعر القطن في العالم . والأمر الوحيد الذي تتحكم فيه مصر إلى حدٍّ ما ، هو أفضلية القطن المصري على القطن الاميركي . وتستطيع مصر إذ تعمل جاهدة على تعريف الغزّالين والعملاء التجاريين بجودة القطن المصريّ مما يؤدي بدوره إلى زيادة الطلب عليه ، أن تزيد الدخل الاجمالي الذي تظفر به من بيع المحصول . وليس في الطاقة تحقيق هذا إلاّ بالدعاوة المنظمة وإنفاق بدر المال على الاعلان عن القطن المصري . ولسوف تُغطّى نفقات الإعلان عدة مرات بما تربحه مصر من بيع قطنها .

ولهذا الأمر شأن كبير لأن الموقف الحالي في ما يختص بإنتاج العالم من القطن غير مستقرّ فمنذ عام ١٩٣٢ احتفظ سعر القطن بمستوى مرتفع بسبب النقص الكبير في انتاج القطن الاميركي . وعكفت الدول الأخرى على تحيّن هذه الفرصة فزادت إنتاج القطن بنسبة كبيرة حتى تضاعف الانتاج فيها منذ عام ١٩٣٢ . ولا يتوقع أن تستمر هذه الحالة بدون تغيير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والإجراء البديهي هو عقدمؤتمر عالمي للدول منتجة القطن . غير ان زيادة المساحة المزروعة قطناً والمصالح المتباينة للدول التي تزرعه تجعلان من العسير جداً إدراك اتفاق عام . وان تركيز السيطرة على الأسواق في يد أميركا ستتبعه فترة يمكن أن يزيد الانتاج فيها على الاستهلاك ويفضي هذا الى نزول عام في الأسعار . وإذا تركت السوق حرة فان السعر سيحدد نفسه بنفسه ، غير أن هذا سيكون له ضحايا . أما المناطق التي تنتج القطن على الهامش (أي أنه ليس المحصول الرئيسي لها) فستضطر إلى العدول عن انتاجه بسبب نزول أسعاره . ولا ريب في أن بعض البلدان يستطيع أن يتحول إلى زراعة محصولات أخرى . أما مصر ، فانها ستتأثر بلا ريب بنزول أسعار محصولها الرئيسي ، بل يحتمل أن تتجه النية الى زراعة محصولات أخرى بدلاً منه . غير أن المزايا الطبيعية العظيمة التي تساعد مصر على انتاج القطن قد تحفزها على العودة الى زرع القطن حالما يعود السعر العالمي الى مستوى اقتصادي مستقر لأن القطن هو المحصول الذي يدر على زراعه أكبر دخل فضلاً عن أن انتاج مقادير كبيرة منه وقلة نفقات الانتاج (باستثناء ايجارات الأراضي ويحتمل أن تنزل قيم الايجارات بسبب هذه الأحوال الجديدة) سيجعلان لمصر مقاماً ملحوظاً كبلد منتج للقطن .

ويعود إقبال مصر على زراعة القطن الى سببين رئيسيين أولهما ، كما أسلفنا ، جودته وثانيهما : انتاجه الوفير .

وعلى الرغم من التدهور الذي حدث في مستهل هذا القرن ما فتئ متوسط انتاج الفدان من القطن في مصر يبلغ نحو ثلاثة أضعاف متوسط انتاج الفدان في أميركا .

وينبغي أن يهدف الفلاح والحكومة الى زيادة المزايا التي تتمتع بها مصر ، وذلك بزيادة انتاج الفدان وتحسين أنواع القطن . وإذا تسنى إتمام ذلك فليس ثمة ما يحول دون ارتفاع انتاج القطن إلى ١٥ مليون قنطار أو أكثر .

وليس معنى هذا أن تزرع مصر القطن دون سواه من المحصولات الأخرى ، بل إن الحاجة الشديدة لتدعو — على النقيض من ذلك — إلى أن تسعى مصر سعياً حثيثاً إلى تعزيز أساس الرخاء الاقتصادي بادخال محصولات جديدة ، والتوسع بقدر الطاقة في زراعة ما يتضح أنه وفير الربح . ولن تقتصر جدوى ذلك على توفير موارد ثروة إضافية كبيرة القدر وحسب ، بل ستساعد على الاقلال بقدر المستطاع من التقلب الاقتصادي الذي سيحدث لامناص ما دامت ثروة مصر تتوقف على سعر محصول واحد .

وديع فلسطين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المجهر الكهربي

وصفت المجهر الكهربي ، وصفاً مقتضباً وذلك في نبذة بعنوان « ثمرات الحرب (الأخيرة) في العلوم والفنون » نشرت في باب الأخبار العلمية بمقتطف يناير سنة ١٩٤٥ ، ثم ضمن مقال آخر تحت عنوان (أحدث المكتشفات التي أسفرت عنها الحرب الماضية ، نشر في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ ، ثم في غير ذينك الجزءين — فجاءتني عقب ذلك عدة رسائل من فئة من القراء والمشتركين الجدد ، تطلب إليّ كتابة مقال مسهب ، على ذلك الجهاز العجيب ، مع توخي تبسيط الموضوع ما أمكن ، فوعدتهم باجابة رغبتهم عندما تسنح الفرصة ، وهأنذا موفٍ بوعدي لهم فيما يلي : —

هو جهاز تمّ اختراعه سنة ١٩٤٠ واشتهر في ذلك الحين بأنه أعظم مستنبطات القرن العشرين . بيد أن روائع منافعه العامة والخاصة ، وكذا ثماره العلمية اليانعة المدهشة التي سوف يجنيها العالم في مستقبل أيامه ، وهي التي لم تذع على الجمهور الآن حديثاً ، تحدونا على موافاة قرائنا بما أسفر عنه هذا الاختراع من المنافع الباهرة واليك البيان : —

لا مراء في القول ان هذا الميكروسكوب قد شقّ طريقه في عشرات الميادين ، لخير البشرية ، فخليقٌ بنا أن نعترف مع التحفظ بأنه لم يَفُقْهُ في خطر شأنه في التاريخ الاّ القليل من المخترعات . ولنضرب لك الأمثلة الآتية وهي تشمل أشياء شتى مما تقع عليه أبصارنا في جميع أحوالنا . ولنبدأ بملابسنا أولاً وهي من ألزم لوازمنا ،

فكل منا يكره مثلاً انتفاخ بنطلونه عند موقع ركبتيه منه وذلك في جلوسه وعند سيره ، وكانت هذه المعضلة مما حلّها الجهاز الكهربي . ذلك لأنه أقوى من سائر الجاهر البصرية بدرجة تتفاوت بين خمسين مرة ومائة مرة . وهذا من شأنه تسهيل الاضطلاع بمهمة فحص الغزل الذي تنسج منه المنسوجات ، ثم تحليله تحليلاً مدققاً ودراسته دراسة محكمة بغية الوقوف على مبلغ تأثره بالمياه والدهن والحوامض ، بل سائر المواد التي تستهدف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لها المنسوجات . ومن ثمة نجم اختراع أنواع فائقة من الصموغ النباتية إبتغاء التوصل بها الى علاج الغزل لتكسب المنسوجات التي تحاك منه، الدرجة القصوى لمقاومة انكماشها وتشويه شكلها . ومن هذا القبيل أنَّ عالماً من أهل متشيغان تذرّع بهذا الميكروسكوب الفاخر الى استكشاف حقائق كثيرة خاصة بالأسنان البشرية ، اذ جاء بأجزاء دقيقة من سِنّ طاحنةٍ ووضعها تحت الجهار الكهربي الضخم النفيس الذي يبلغ ارتفاعه سبع اقدام وثقله ١٣٠٠ رطل انجليزي وثمنه ١٣٠٠٠ دولار فأبصر العجب العجاب . إذ أيقن أنه يكبّر حجم المرئيات مائة ألف مرّة . فاستطاع العالم بذلك الجهار البديع التقاط صور فوتوغرافية للقنوات الخيطية الدقيقة التي تتخلل أضراس كل امرئ .

ومن أغرب الامور أنه قد تبيّن له أن طول هاتيك القنوات يقرب من خمسين ميلاً في الضرس الواحد ، وأن متوسط مايحويه من القنوات المشار اليها هو ٨٠٠٠٠٠ قناة .

ونعني بالعالم الأمريكي المومأ اليه ، الدكتور ث . ه . جرولد Dr. C. H. Gerould المعروف في مدينة ميدلند بولاية متشيغان ، وهو مهندس المباحث العلمية في شركة داو الكيميائية ، وفي اعتقاده إمكان الحصول على نتائج مدهشة في منع نقد الأسنان ووقايتها من التلف ، عندما يدخل الجهار الكهربي في ميدان طب الأسنان .

وقد أصبح ميسوراً للأطباء معرفة المصدر الرهيب للانفلونزا . وذلك لأول مرة في التاريخ ، بله التمكن من قياسه ومشاهدة شكله . وهو المصدر الذي بلغ من دقته أن قدراً طفيفاً جداً منه يكفي لحقن خمسمائة فأر وقتلها بحقنة منه لا يزيد حجمها على النقطة التي ستختم بها هذه الجملة . وما برحنا نذكر وباء الانفلونزا المروع الذي اجتاح كثيراً من آفاق العالم منذ أكثر قليلاً من ربع قرن ، حيث قضى على ملايين من الناس ، وكيف كان العلماء حينئذٍ يعزون ذلك الوباء الى جرثومة صغيرة عصوية الشكل تكمن في أنوف المصابين وحلوقهم . ثم اخترع العلماء لقاحاً لعلاج ذلك الداء . ولم يكونوا مخطئين في كشف مصدر المرض ، ولكنهم لم يدركوا صغر حجمه، ذلك لأن الميكروسكوب البصري المعروف يكبر قطر الشيء المرئي ٢٠٠٠ مرة . ومن ثمّ تعذّرت عليهم معرفة المصدر الحقيقي للعدوى لتناهي دقته تناهياً جعل الخلايا التي تكبّره وتدق

به، تطغى عليه وتخفيه عن وسائلهم الكشافة . فأفضى الأمر إلى تضليل الأطباء عند قيامهم بصنع اللقاح الذي أعدوه لذلك القصد . إذ كانت المادة التي استعملوها في تحضيره يظنونها كلها من الفيروس [1] على حين أنها لم تكن كذلك . بل كان عُشرها فحسب منه نفسه وسائرها من الخلايا الكبرى . أما الآن فإن إدراكهم لحجم الفيروس وشكله وتأثيره في المصاب ، (كما تتبين بالجهاز الكهربي) سيمهّد الطريق للقضاء الأخير على أوبئة الانفلونزا المستعصية المنتشرة في العالم .

ويكاد يستحيل على العقل البشري أن يتصور الآن مبلغ مفعول الجهاز الكهربي في مجال تكبير المنظورات . وحسبنا أن نقول إنه يضخم الابرة المعتادة فيجعلها مثل حجم نصب واشنطن [2] ويكبر الجرثومة حتى تبلغ حجم الوسادة . ويضخم كُريّة الدم فتصير كحجم مائدة الكتابة .

وبينما يستطيع الجهاز البصري المألوف تخين الطرف الرفيع لفرخ الورق مثلاً حتى تبلغ ثخانته ثلاث عقد أصابع ، يتاح لهذا الجهاز الجديد تخينها إلى تسع أقدام . وكذلك يمكنه تضخيم الشعرة البشرية إلى حجم جذع شجرة قطره ست أقدام . ثم إن حقيقة إمكان تكبير الذرات الصغيرة من المواد، فوق أصلها ١٠٠٠٠٠ مرة على الأقل مع الاحتفاظ بجميع تفصيلاتها في صورتها الفوتوغرافية، وكذا تيسير تضخيم الصورة الفوتوغرافية في بعض الأحوال حتى تفوق أصلها ٢٠٠٠٠٠ مرة أو أكثر ، هما من العوامل الجوهرية التي تبعث على تحقيق أحلام العلماء، التي لخواها إن جزيئات المادة وذراتها ستصير يوماً ما من المرئيات المألوفة . ولا عجب فان دراسة الجزيئات غدت من الموضوعات التي يعنى بها العلماء . ومن ثمة يزعمون أن الزمن

---

(١) الفيروس Virus لفظ انكليزي يقصد به عامل من نواقل العدوى وهو أقل جرماً مما تستطاع رؤيته بالجاهر .

(٢) هو نصب مقام في متنزه الكابيتول حيث شيدت دواوين الحكومة ومجلس نواب الولايات المتحدة الامريكية . وهو عمود أبيض ضخم مقام تذكاراً لجورج واشنطن أول رئيس لتلك الجمهورية الامريكية الكبرى ويبلغ ارتفاعه ٥٥٥ قدماً وله مصعد وسلم حديدي مؤلف من ٩٠٠ درجة يرتقيها الصاعد الى قنته التي يزينها رأس من الالومينيم . ويمتد ذلك المتنزه على شاطئ نهر بوتوماك حيث توجد سلسلة من المباني الحكومية الفخمة ومنها المتحف الوطني والمعهد السميثوني .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي سيتمكنون فيه من رؤية الذرة قد أزف ، ما دام في وسع الميكروسكوب الكهربي إظهار ذرات الأشياء الصغيرة جداً التي لا يزيد قطرها على جزء واحد من عشرة ملايين من عقدة الأصبع . أو بعبارة أخرى الذرات التي تقل ٤٠٠٠٠ مرة مما تستطيع العيون البشرية إبصارها .

وقد بُدئ في أوربا بالأعمال التمهيدية لهذا الجهاز منذ سنة ١٩٢٠ . اما التجربة الأولى التي جربت في القارة الأمريكية فحدثت في كندا في سنة ١٩٣٦ إذ قام بها الدكتور إ . ف . برتون ، وذلك في جامعة تورنتو حيث أنشأ أول جهاز من هذا النوع في أمريكا . وكان الدكتور ف . ك . زوورِيكين الموظف بشركة الراديو الأمريكية أول عالم اخترع الجهاز الكهربي التجاري الأول وركبه في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في سنة ١٩٤٠ . ويربى عدد المجاهر الكهربية المستعملة الآن في العالم على ١٥٠ جهازاً . وذلك في ميادين العلوم والصناعات . وكانت صلاحيته للمنافع التجارية احدى النتائج التي أسفرت عنها المباحث التي دارت في الراديو المصور « التلفزة » .

أما قاعدة ادارة هذا الجهاز فهي من المبادئ الإنقلابية من كل الوجوه ، في عالم الميكروسكوبات إذ لا تدخل في تركيبه عدسات زجاجية ولا تسلط عليه أشعة ضوئية . وإنما قوام (الرؤية) فيه ، موجات موجهة من الكهربات تطلق بسرعة لا يصدقها العقل بوساطة طاقة كهربية تبلغ ٥٠٠٠٠ فولط ، ثم تضاعفها المجالات المغنطيسية .

والمعروف أن أقصى قوة التكبير للجهاز البصري هي ٢٠٠٠ مرة وذلك بحسب نوع الضوء نفسه أي وفق ما يسمح به طول الموجة الضوئية بأسرها ، ويمكن تكبيرها (المرئيات) أيضاً ولكن دون تكبير دقائقها .

أما طول موجة الكهربات عند ما تطلق بسرعة عظيمة فتعادلها في الضوء ١٠٠٠٠٠ مرة . ومن ثمة تصير احتمالات التضخيم بها أكبر نسبياً . وهذا الجهاز هو في الواقع صمام كهربي ضخم ، ويعد صنواً أكبر لصمامات الراديو الذي في دارك .

وفي ميدان علم الجراثيم يستعمل هذا الجهاز لمشاهدة البكتيريا وتصويرها ولكشف مصادر عدوى الأمراض التي تستحيل رؤيتها بالجهاز الضوئي المألوف . ذلك لأنها أدق جداً

مما يكشف بوساطته . كما يستعمل لدراسة تكوين البكتيريا والخلايا البشرية وغيرها من دقائق الاجسام ، التي لم تبصرها عين قط .

ومما يجدر ذكره بشأن استعمال الجهار الكهيربي في الميدان التجاري ، أن صاحب مزرعة كبيرة لتربية المواشي في إقليم وآيو منج الواقع في غرب الولايات المتحدة الاميركية اقتنى حديثاً جهاراً كهيربيًّا ليتخذه وسيلة لاستكشاف خصب الثيران . ثم استخدم طبيباً بيطريًّا ليباشر هذه الدراسة قصد الوقوف على العوامل المختلفة التي تجعل بعض الثيران الخصابة المنتقاة ، التي يخيل لناظرها أنها أصلح ما تكون للغرض المطلوب منها فيخيب الظن فيها إذ يقلُّ نتاجها عن الثيران التي هي أحطُّ منها .

وقد حذت حذوه شركة الاليومينيم الاميركية فاستخدمت جهاراً كهيربيًّا لمراقبة منتجاتها ، ولمراجعة نماذج المواد وفحصها . وأتيح لشركة كبيرة للزيت المعدني أن تكشف بهذا الجهار أسباب انسداد مرشحاتها الضخمة وتوقفها عن عملها ، إذ تبيَّن بوساطته أن مصدر تعطيل هاتيك المرشحات هو افتقارها الى مفتاح محكم يتحكم في الحرارة .

وربَّ قائل يقول ، عقب اطلاعه على الصور الفوتوغرافية العجيبة التي تصوّر بالجهار الكهيربي ، وتعني بها صور دقائق عوامل نقل الامراض ، وأحجامها وأشكالها وتكوينها ، « ماذا عسى أن نستفيد من هذه جميعها ؟ ! » فنجيبه إن تلك الصور ، حيال الناظر إليها غير الفنيّ تشبه في غرابتها وغموضها ، مثيلاتها التي تُصوّر بأشعة رنتجن . ولكنها عند العالم المتمرّن على « قراءة » الصور الفوتوغرافية العلمية ، نبراساً قويًّا ينير له غوامض مباحثه .

ومما لا ريب فيه أنَّ اختراع الميكروسكوب البصري المعروف قد عبَّد الطريق لاكتشاف الجراثيم ودراستها ، ومنها الخاصة بأمراض التيفود والحمى الصفراء والملاريا والدفتيريا والسلّ التدرني . وهو الأمر الذي أفضى إلى علاجها واختراع اللقاحات التي تشفيها أو تمنعها . وهذا كلهُ يوضح لنا ماذا يرجى من الجهار الكهيربي . ومثال ذلك البعوض ، وهو آفة عامة فإن هذا الجهار الجديد ، يبين لنا دقائق جسم البعوضة إذ يكبرها حتى تبلغ حجم قبة الكابيتول [1] فيتيح للباحث عن كثب فرصة رؤية التركيب الآلي

(١) مجلس نواب الولايات المتحدة الامريكية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المعقد لكل عضو من أعضاء البعوضة ووظائفه وتكوينه، فيسهل عليهم معرفة طريقة نقلها للأمراض وعدواها .

ولا غرو فالجهاز الكهربي يضخم صورة القصبة الهوائية ليرقة البعوضة تضخيماً عظيماً جداً حتى تظهر دقائقها جلية كل الجلاء، وإن يكن حجمها الأصلي يقل كثيراً عن نصف جزء من مليون من عقدة الأصبع . فمن المعقول إذن ، من كل الوجوه ، أن نتوقع كون دراسة تلك التفصيلات ستميط لنا اللثام عن معلومات جديدة تؤول الى وقاية الأنام من غوائل البعوض القتال . وقد مكن الجهاز الكهربي العلماء من اثبات إحدى نظرياتهم المحبوبة التي جالت في خواطرهم أحقاباً مديدة ونعني بها احتواء الجسم البشري على قوات دفاعية تدرأ عنه الجراثيم التي تهاجمه . وتسمى أعداء البكتيريا والفيروسات Virus (عوامل نقل العدوى) باكتيروفاج. ولم يكن في وسع العلماء دراسة هذه العوامل الدفاعية أو رؤيتها ، وان كانوا قد استطاعوا تخيل أشكالها ووظائفها . أما الآن فقد أصبح في مقدورهم الحصول على سلاسل رائعة من صورها الفوتوغرافية تمثلها سابحة في مجاري الدم ، ثم محتشدة فيه بغية مهاجمة القصيات « الباشلس » حيث يشاهدون الحرب الشعواء التي تنشب بين بعضها وبعض فلا تستغرق أكثر من عشر دقائق ثم تنتهي بهزيمة الجراثيم .

وفي خلال عشرين دقيقة يتمزق شملها وتتفكك أجزاؤها ثم تتحطم تحطيماً تاماً . وذلك بعد انقضاء نصف ساعة . وحينئذٍ تتجلى صورتها الختامية كأنها انفجرت انفجاراً كاملاً إذ تتبدد ذراتها المحطمة منتشرة فوق ساحة الوغى . ويتيسر اتمام احدى هذه الصور في زمن يقل عن يوم فتقوم مقام جواب شافٍ ، هو الذي ظل رجال المباحث ، الطبية ينشدونه بلا فتور عشر سنوات .

ومن المكتشفات التي تكشفت بالجهاز الكهربي فأحدثت انقلاباً في ميدان الزراعة تبيان فيروس مرض البرقشة « التبقيع » الذي ينتاب التبغ (الدخان) والذرة وقصب السكر ، إذ يظهر على أوراقها فيفسد محصولاتها فيخسر أربابها سنوياً ملايين الجنيهات ، وقد غدا في امكان العلماء دراسة ذلك العدو الأزرق الذي يفسد الدخان ، دراسة محكمة إذ يتسنى لهم تحليل تركيبه ومعرفة تكوينه . وستكون الخطوة التالية التي سيخطونها هي

اختراع الوسيلة التي تقضي عليه قضاء مبرماً . (وقد علمت من المطلعين أن وزارة الزراعة المصرية ستقتني مجهراً كهربيًا عما قريب لتستخدمه في مباحثها)

والجهاز الكهربي يكبر تيلة القطن الصغيرة جدًّا فيجعلها تظهر لنا طويلة كعمود المصباح. وهذا عدا إظهاره لتكوينها الداخلي . فيتبين الخبراء وجوهاً كثيرة بشأن سر صلاحية القطن وتفوّقه . وهي الصلاحية التي جعلته لاغنى عنه في شتى المرافق وأهمّها .

وبالجهاز الكهربي تيسر لأول مرة رسم ذرّات الزبد التي توجد في اللبن الحليب ، لتسهيل فحصها ، وكذلك صار بحث أدق ذرّات الصلب بحثاً صحيحاً أمراً ميسوراً ، بغية تقديم معلومات صحيحة إلى المهندسين ، وارشادهم الى تحسين أنواع المخاليط التي توجد لديهم منه . وهذا الى جانب تمكينهم من اختراع غيرها .

وفي ميدان العجائن الكيميائية ، يبين الجهاز الكهربي للعلماء طريقة اتحاد جزيئين أو أكثر متشابهين من جزيئات المادّة لتكوين جسم مركب ذي جزيئات أثقل وخواص طبيعية مختلفة ، وان يكن مؤلفاً من العناصر نفسها بالنسب عينها . وهذه هي الوسيلة التي أتاحت تركيب أغلب العجائن الكيميائية المعروفة في هذا العهد .

ثم إنّ سناج الكربون ، وهو المادة العجيبة التي تمكن إطارات السيارات من قطع مسافات شاسعة تختلف بين ٣٥٠٠٠ ميل و ٥٠٠٠٠ ميل ، قد تمّت دراستها دراسة منتجة ، وذلك بالجهاز الكهربي . وقد تكشف للمهندسين الذين يدرسون الذرات الصغيرة ، الألفة العجيبة الكائنة بين المطاط وسناج الكربون . ثم أسفرت مباحثهم في هذا الموضوع عن استيقان ما يحتاج اليه لتركيب المطاط الصناعي ، فنجم عن هاتيك المعلومات ، جعل الكاوتشوك الصناعي يكاد يقوم مقام الطبيعي منه في أداء ما يستخدم فيه من الأغراض .

وبهذا الجهاز الحديث عينه صوّرت صور فتّانة للقتال الذي تدور رحاه بين الجراثيم والبنيسلين ، ومنها صورة تبين الجراثيم التي توجد في الصديد . وذلك في وضعها الطبيعي المضطرب ، وصورة أخرى التقطت عقب حقن الجسم بالبنيسلين وهي تمثل الجراثيم ممزقة شر ممزق .

× وما برح العلماء يهدفون إلى اتمام جهاز مساعد لهذا الجهاز العصري ليكشف لهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن العناصر التي يؤلف منها كل نموذج يعرض لفحصه به . وقوام ذلك التحليل الكيميائي ، هو اختلاف سرعة الكهيربات في الذرات المختلفة الأنواع . ويتنبأ مهندسو الجهار الكهيربي بتوسيع نطاق استعماله توسيعاً يشمل ميدان الزراعة فيصبح وسيلة لتحسين المزروعات وذلك بمعاونته للباحثين على كشف وسائل جديدة لمكافحة آفاتها وزيادة أحجام المنتجات وتكثير غلاتها .

ويؤكد كثير من العلماء وجود هرمونات (رسل كيميائية) ذات تأثير ثابت في نضج شخصية المرء أو قمعها . وأن المورثات « عوامل الوراثة » التي توجد في الخلايا الجنسية هي أيضاً عوامل نقل الميزات الوراثية . ثم يقولون : —

أما وقد أصبحت الجزيئات وربما الذرات أيضاً قريبة من حيز الرؤية البشرية ، فماذا عسى أن يحول دون مشاهدة هاتيك الهرمونات المورثات ثم دراستها . وهي التي تربط كل جيل بغيره ؟ !

فاذا حلّ ذلك العصر المرتقب الذي سوف نتمكن فيه من السيطرة على الوراثة والشخصية ، صار في وسعنا تجديد الجنس البشري تجديداً رائعاً . والمعروف من تاريخ اختراع هذا الجهار وتحسينه أنه منذ سنة ١٩٣٠ حدث تقدم عظيم في تحسين الجاهر الكهيربية في الدول المختلفة ولا سيما في المانيا إذ تبين للعلماء أن الكهيربات تسير في الصمامات المفرغة من الهواء في خطوط مستقيمة إلاّ اذا اعترضتها مجالات كهيربية أو مغنطيسية . وانه من الميسور جعل هاتيك المجالات تقوم مقام العدسات الزجاجية وتعمل عملها . وأن في نوع من الجاهر الكهيربية تنبعث تلك الكهيربات من فتيلة ساخنة ، كما هي الحال في صمام الراديو ، ثم تنتقل عاجلاً وتُركّز بمغنطيس على الشيء المراد فحصه (١) .

وبعد كتابة ما تقدم اطلعنا على نبذة في احدى المجلات العلمية الامريكية بعنوان (اختراع جديد يمكن الجهار الكهيربي من رؤية الدقائق التي لا يزيد حجم كل منها على جزء من

(١) وهذا ما قلته حرفياً في مقال على معجزات العلوم والفنون نشرته في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ تستطيع المجالات المغنطيسية والكهربية توجيه موجات الكهيربات الى أي صوب كما يتيسر لك توجيه المياه بخرطوم ري الحدائق الى أية ناحية تقصدها .

٥٠ بليوناً من عقدة الاصبع فرأينا أن نلحقها بهذا البحث مسرورين لأنها تحقق ما تكهن به العلماء وورد ذكره في هذا المقال وذلك في الفقرة المميزة بهذه العلامة × بصفحة ٣٥٩

قد تمت حديثاً زيادة قدرة الجهار الكهربي في تضخيم حجم المرئيات من مائة الف مرة الى أكثر من مائتي الف مرة وذلك بعدسة مغنطيسية محسنة اخترعها الدكتور جيمس هيليار Dr. James Hillier وبمعاونة زميله بري سميث ، وهما يعملان في معاهد المباحث العلمية الخاصة بشركة الراديو الأمريكية في برنستون باقليم نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية

وقد أعلنت هذه الخطوة العظيمة في سبيل فتح العالم الذي هو أحط من المرئيات الصغيرة جداً التي لا ترى بالعين المجردة . وقد تم هذا الاعلان برسالة علمية قدمها الى المعهد الامريكي لعلم الطبيعيات الدكتور هيليار ، ذكر فيها أنه قد نجح في تحسين العدسات المغنطيسية التي تركز الموجات الكهربية تركيزاً بالغاً من شأنه تسهيل تمييز الدقائق التي تنفصل عن الأجسام انفصالا لا يزيد بعد كل منها عن الاخرى على جزء من خمسين بليون من عقدة الأصبع.

ورغم هذا الظفر العلمي العظيم فقد أوضح الدكتور هيليار أنه لا يزال تجاهه معضلات فنية جمة تستوجب الحل قبل تعميم هذه الدرجة السامية من القدرة على التحليل لتصوير صورة جلية جامعة لدقائق المرئيات ونشرها بين العلماء أجمعين .

والمظنون أن للدقائق المؤلفة للجزيئات الكبيرة ، وكذلك تأثير العقاقير في البكتيريا ستكون من ضمن الأشياء التي سيكشف عنها اللثام فتنجلي للانام في مستقبل الايام

ولا يخفى أن الصور الصحيحة التي تستطاع رؤيتها ونعني بها الصور الخاصة بتكوين الجزيئات ، ستفتح ميادين رحبة جديدة في الكيميا العضوية ، وهو العلم الذي حبانا بمواد النيلون والحرير الصناعي وغيرها من العجائب الكيميائية . كما أمدّنا بالمطاط الصناعي والعقاقير المنقذة للحياة . أما في ميدان الطب ، فن المحقق أن معلوماتنا الجديدة الخاصّة بالتكوين الدقيق للفيروسات (عوامل نقل عدوى الأمراض) والخلايا الحية ستساعدنا مساعدة جليلة على استئصال ذينك الداءين اللذين لم نتغلب عليهما حتى الآن ، وهما شلل الاطفال والسرطان . ولا محيص قبل ختم هذا البحث من وصف أجزاء هذا المجهر الجبار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وطريقة استعماله فنقول إن مصدر الاضاءة في المجهر الكهربي ، قطب كهربي سلبي ساخن تنبعث منه كهيربات فتمرّ هذه الكهيربات بقطب ايجابي في وسطه ثقب صغير . ويشحن هذا القطب بكهربا ايجابية تعجل مسير هاتيك الكهيربات . وفي الجهاز لفة سلك على شكل دائرة جوفاء تولد مجالاً مغنطيسيًّا يقوم بحني مجاري هاتيك الكهيربات حنياً يصيرها كشعاعة موازية للجسم المراد فحصه فتسلط عليه فتخترق الاشعة الكهربية ذلك الجسم اختراقاً يتفاوت بحسب تكوينه ، حيث يقوم مجال مغنطيسي آخر بجمعها في بؤرة واحدة فتتكوّن صورة مكبّرة ، ثمّ إن الاشعة الكهربية ، التي تؤلف جزءاً من تلك الصورة يتم تكبيرها أيضاً بالمجال المغنطيسي الثالث فتتكوّن منها صورة مكبرة أيضاً. فيتبين من هذا أنّ المغنطيسات الكهربية الثلاثة تقوم مقام العدسات في الجهاز البصري . ولذا تسمى بالعدسات المغنطيسية. ولكن هذه العدسات المغنطيسية لا يمكن تحريكها كما تحرك العدسات الزجاجية ، بل يتاح إحداث التأثير المقصود منها بتغيير التيار . والصورة المكبرة في الجهاز الكهربي تؤلف بشعاعة كهربية خفية، يتسنى إظهارها بحجاب متألق يتلقاها . أما الصور الفوتوغرافية فتصنع بجعل الشعاعة الكهربية تسقط سقوطاً مباشراً على لوح فوتوغرافي . ولما كانت الشعاعة الكهربية لا تؤدي عملها إلاَّ في أنبوب مفرغ من الهواء فلا بدّ من وضع الجسم المراد فحصه بالجهاز الكهربي في فجوة ملائمة له في الجهاز ثم إغلاقه عليه مع تفريغ الفجوة من الهواء . ومن الميسور إنجاز هذه الأعمال جميعها في ١٠٠ ثانية وذلك باستعمال الجهاز الكهربي العام الذي تصنعه شركة الراديو الأمريكية .R. C. A من طراز EMU - إ-ام-يو فينجم عن ذلك أن الدقائق التي تقل أحجامها عن جزء من مليون من عقدة الأصبع تسهل رؤيتها .

عوض جندي

استدراك

وقع في المقال الخاص بالدكتافون المنشور في الجزء السابق من المقتطف خطأ مطبعي لم يتح لنا التنبيه عليه في حينه وهو ، وجوب حذف الجملة الآتية وذلك في سياق الكلام في العمود الاول من ص ٢٩٩ وها هي ذي : —

« فيقوم التليفونَ مقام بوقه حينما توضع السماعة في موضعها » فيستقيم المعنى ويزول الغموض .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

الطب العربي

مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به تأليف الدكتور أمين أسعد خير الله أستاذ الجراحة في الجامعة الامريكية في بيروت — ٢٧٤ صفحة من القطع الكبير : بيروت ١٩٤٦

كتابٌ من الكتب الجامعة في هذا الباب ، وضع مقدمته المرحوم علي ابراهيم باشا جرّاح مصر الأول عليه رحمة الله فقال إن هذا الكتاب قد وعى تاريخ الطب في مصر والشرق كله وتضمَّن المعرفة الطبية منذ كان العرب في الجاهلية الأولى ثم في صدر الإسلام من عهد الخلفاء الراشدين ، وتوسع في الطب العربي ومؤرخيه ، وكشف عمّا خطه العربُ وما ترجموه .

ولقد ألّف هذا الكتاب باللغة الانجليزية ونشر بها ، فترجمه دكتور من الفضلاء هو الدكتور مصطفى أبو عز الدين ووضع للترجمة مقدمة هي على إيجازها للتعريف بمثل هذا العمل الكبير تدل أقوى دلالة على تعرف ما كان للعرب من أثر في العلوم عامة وعلم الطب خاصة . فمن ذلك مثلاً أن ابن الهيثم كان أول من قال بأن شبكية العين هي مركز المرئيات التي تنقل منها الى الدماغ بواسطة عصب البصر ، وإن وحدة الصورة من الباصرتين تعود إلى تماثلها في الشبكيتين . واكتشف ابن النفيس الدّورة الدّموية الرئوية قبل سرفيتوس بمئتين وخمسين سنة ، ووصف مجيء الدّم فاسداً الى القلب ومنه الى الرئة حيث يختلط بالهواء ثم يعود الى القلب نقيًّا ليوزعه على الجسم . وعلي بن عباس المجوسي سبق هارفي بمئات السنين إلى كتابة أقرب وصف للدورة الدموية في الأوعية الشعرية . وأبو القاسم الجرّاح العربي المشهور والمعروف بالزهراوي استعمل ربط الشرايين قبل إمبرواز بياري بأجيال وهو نفسه وصف داء الهيموفيليا وقال إنه « عائلي » . وكان أطباء العرب أول من قال بانتقال الأمراض السارية بواسطة المخالطة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على أننا أحوج ما نكون في هذا العصر الى معرفة تاريخنا . ولقد تغير فهم التاريخ في العصر الحديث فانتقل معنا من مجرَّد رواية الأحداث الى تحليل الحياة العقلية والاجتماعية وتفهُّم أسبابها ونتائجها وعلاقتها بالحاضر والمستقبل . ولا شك عندي أنَّ هذا الكتاب من دعامات التاريخ المثلى في تاريخ العربية .

قصة النزاع بين الدين والفلسفة

تأليف الدكتور توفيق الطويل مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الاول :
٢٦٩ صفحة من القطع الكبير : ١٩٤٧ القاهرة

انقسم المؤرخون قسمين : أحدهما يرى أن لا نزاع بين الدين والفلسفة وعمدتهم في ذلك أن اللاَّهوت هو الذي ينازع الفلسفة ، أما جوهر الدين فلا . وثانيهما يقول بأن الدين واللاهوت كليهما ينازع الفلسفة . ولعلّ السبب في ذلك عدم تحديد المقصود بكلمة « فلسفة » وكذلك عدم تحديد المقصود بكلمة « دين » . ولا شك أنه من أصعب الأمور تحديد المفهومين تحديداً جامعاً يقيم البحث في تنازعهما على قاعدة ذات حدود وروابط يأتم بها المؤرخ أوالناقد . ومن حيث بدأت البحث في ذلك الأمر انتهيت الى فكرة غامضة في دلالة المفهومين : مفهوم الفلسفة ومفهوم الدين . وإذن تكون مهمة المؤرخ الذي يتصدَّى للكلام في تاريخ ذلك الصِّراع إنه لا يجعل همه في التعريف بل في الاثبات والتقرير ، واستخلاص الفكرة العامة في ذلك من مقتضى الواقع ، لا من مقتضى الدلالة التي تتحيز في ذهنه من معنى الفلسفة ومن معنى الدين .

ما من شك في أن هنالك صراعاً وقع بين الفلسفة والدين. وما من شك في أن ذلك الصراع قد توالت عليه ألوان من العقيدة والفكرة والتقييد والتحرر ، والحقيقة والخيال ، والاثبات والنقض ، وتوالته قوًى كثيرة هذه جاذبة وتلك دافعة ، وهي حيناً حارة مضرمة ، وحيناً هادئة باردة الانفاس . ولعلي لا أكون مخطئاً خطأً كبيراً إذا قلت أن السبب في ذلك هو ذلك التنوح الفكري الذي ظل يمايل العقل الانساني حيناً الى ناحية الفلسفة ، وحيناً إلى ناحية الدين . فكثيراً ما خرجت من بحوث الفلسفة نزعات دينية ، وكثيراً ما خرجت بحوث الدين عن مذاهب فلسفية . ومرجع ذلك ومآله هو لدى الحقيقة العقل البشري ونزعات النفس وتأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية خاصة في رسم الطريق الذي ينتحيه الفكر .
وأني لعلى يقين من أن المذهب الذي أذهب اليه في هذه الناحية صحيح في مجموعه ، وهو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عندي أن درس مثل هذه الأشياء وبخاصة ظواهر الصراع بين ناحيتين من نواحي الحياة الانسانية كالدين والفلسفة ، ينبغي أن يخضع أول شيء لتحليل العوامل المحيطة بالانسان في عصر من العصور وبخاصة عوامل الاجتماع والاقتصاد وما يعتورها من مظاهر عقلية ومادية . فقد نرى مثلاً أن نبلاء فرنسا قبيل ثورتها الكبرى كانوا ملاحدة نزاعين الى التحرر الفكري ، فحمي وطيس النزاع بين الدين والفلسفة ، فلما دهمتهم الثورة بويلاتها وأخرجتهم من ملكوتهم ونزعت عنهم امتيازاتهم ، ارتدوا مؤمنين بالله واليوم الآخر ، وأموا الكنائس يلتمسون من جدرانها السلوى والمغفرة .

قد يكون هذا المذهب في واقع الأمر هو المذهب الايجابي في تحليل حقيقة الصرع بين الدين والفلسفة ، ولن نستطيع ان نصل الى الأسباب الحقيقة في اضطرام هذا الصراع حيناً ، وهدوئه حيناً آخر ، من غير أن نرجع الى الملابسات الاجتماعية والاقتصادية .

الكتاب الذي نحن بصدده من الكتب التي نحتاج اليهـا كل الاحتياج ، وقد رتبه مؤلفه الفاضل بحسب العصور ، وحصر كل همه في رواية الوقائع وقصها ، ولعله يوافقنا على مذهبنا الذي نذهب اليه في كتابة هذا التاريخ ، ولعلنا نفوز منه برأي فيه

الآداب السامية

مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جمالها ، تأليف الاستاذ محمد عطيه الابراشي المفتش العام بوزارة المعارف : ٢٥٨ صفحة من القطع الكبير : ١٩٤٦ : القاهرة

تقصّى الأستاذ الفاضل مؤلف هذا الكتاب نشوء اللغات السامية فبدأ بتعريف شامل لما يعني الكتاب من اللغات الساميَّة ، وعقب على ذلك بالكلام في فروع الأصل اللغوي السامي فعقد فصلاً في اللغة العبرية وعقب عليه بفصول في الفنيقية والارامية والسريانية ، ثم تخلص من ذلك إلى الكلام في العرب واللغة العربية . ولعلَّ أعظم ناحية من نواحي الكتاب هو اتباع الطريقة المثلى في هذه البحوث وهي الطريقة التاريخية التي تظهرك على تسلسل الأسباب وتتالي الصور في انسجام كامل ، يخلق في الذهن فكرة عامة عن موضوع البحث . ولقد قرأت ذلك الكتاب على بعد موضوعه عن دراستي الخاصة ، فاذا بي في صميم آداب العربية ، أربط بين أجزائها وأوفق بين ما تنافر منها ، فأخرج من جُمّاع ذلك بتصور صحيح في أصل لغتنا العربية الجيدة والكثير من خصائصها التي أضفت عليها من الجمال والقوة ما يجعلها في طليعة لغات العالم كله .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تاريخ العصر الحاضر

تأليف رفيق التميمي — يافا — فلسطين

مؤلف مدرسي لطلاب الثانويّة ، جرى فيه مؤلفه على الطريقة الحديثة في وضع كتب التاريخ وأقصد بالطريقة الحديثة طريقة القصص التاريخي الملائم لتكوين فكرة عن الحالات السياسية التي تقوم في الأزمنة والأمكنة المختلفة ، قاصرة على تاريخ العرب والانعطاف نحو تاريخ الشرق إذا جدّت حاجة الى ذلك . ولكن المؤلف قد أدرك ذلك النقص الذي يبدو جليًّا في كل المؤلفات المدرسية الحديثة ، فعقد فصلاً ممتعاً في « نهضة العرب في القرن العشرين » « وآخر في الحركة الفكرية في العصر الحاضر » فأكمل بذلك نقصاً نأنسه في كثير من الكتب التي يدرس عليها الطلبة في معاهدنا . ولعلنا نستطيع بعد قليل ان ندخل في مادة التاريخ عما قريب تاريخ التفاير الاجتماعي والاقتصادي ، وتفسير الاحداث الجارية بمقتضى ذلك فنخلص الى جوهر التاريخ ولُبابه ونترك قشوره وظواهره .

أحلام الربيع

من شعراء الحجاز المحدثين المجيدين الأستاذ طاهر زمخشري وقد أخرج أخيراً ديوان « أحلام الربيع » طاقة من الورد جمعت من كل لون زهرة .

ففي الديوان تحية الملكين فاروق وعبد العزيز عند اجتماعهما في رضوى وفي القاهرة ، وتحية لعاهل الجزيرة بعنوان « عودة الصقر » عند اجتماعه بالقطبين السياسيين روزفلت وتشرشل ، وقصائد شتى فاضت بها قريحة الشاعر في مناسبات متباينة .

وأبرز صفة في الشاعر الزمخشري حبه للسهولة غير المتكلفة واجتنابه للجفو من الكلام وايثاره المعاني السافرة عن المعاني المستترة .

وديوان « أحلام الربيع » من أول دواوين العصر الحديث في الحجاز التي عرفت طريقها الى المطبعة ولم يسبقه من قبل سوى بضعة دواوين تكاد لقلتها تعد على الأصابع .

وأهدى الشاعر الزمخشري ديوانه لسعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا « من بناة النهضة الفكرية في مصر والشرق العربي » كثمرة من ثمار تشجيعه وزهرة من الزهرات التي تعهدها بالرعاية اعترافاً له بالجميل .

وقد صدّر هذا الديوان بمقدمة نفيسة للشاعر المصري الأستاذ حسن كامل الصير في أوضح فيها سمات صاحب الديوان .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — الله

للاستاذ عباس محمود العقاد — صفحاته ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير طبع بمطبعة دار المعارف بمصر

آية جديدة على ما بلغه من الذهن العبقري من النضج ، والتفوق ، تتجلى في هذا المجهود الجبار ، الخصب ، الذي يقدمه — المؤلف — في حلبة الآثار العقلية ، الخالدة ، عن بارىء الكون ، ومدبر العالم ، ومبدع الكائنات ، فقد تناول فيه هذا الجانب المذكور في الطبيعة البشرية . والذي يمكن أن يطلق عليه الوعي الالهي . بالدراسة المستوفاة ، والبحث العميق ، فالانسان مزود بهذه الحاسة الوجدانية التي تنهض على الإيمان الفطري بخالق الانسانية ، فليس عمل الأديان إزاء هذا الوعي بالعمل الخالق له ، بل هو بمثابة الغذاء الذي يتطلبه الكائن الحي ، وتطوره ، وإكماله ، فالتدين غريزة في كيان الشخصية الانسانية ، ولكن هذه الغريزة قد لبثت الدهور . وهي تتخذ مظاهر ساذجة ، بدائية ، مسايرة للحياة العامة في مختلف ألوانها حتى بلغت أوج حيويتها عندما تهيأت لاستقبال آخر رسالة من قبل السماء : فعصور الوثنية ، وفترات التوجس من بداوات الطبيعة لم تخل من التدين ، بل كل هذه أثواب كانت ترتديها تلك الغريزة ، والذي يجرد ، أو يحاول تجريد الانسان في ثنايا تلك الحقب من التدين يتجنى على الحقيقة ، ويخطئه توخي الانصاف ، والأستاذ — العقاد — قد إتكأ على أمتن دعامة عندما رجع بهذه الظاهرة إلى أصولها ، وتتبعها في منابتها الأولى ، ثم أخذ يسايرها في شتى صورها عند البدائيين ، والفلاسفة وفي الشرائع السماوية ، وأخذ يعرض تلك الصور التي إستطاع العقل في طفولته ، وشبابه أن يتمثلها عن — الله — ويناقشها في دقة وفهم ، ومقدرة ، ويفصل في لباقة بين الجواهر ، والأعراض واللباب والقشور ، وما أكثر ما استنفدت هذه المشكلة من قوى المفكرين الذين استخدموا العقل ، وتدرعوا بالمنطق ، أو من هؤلاء الذين احتكموا إلى الوجدان ، واستجابوا للعاطفة والكل يجهد في تدعيم الصورة التي هدته إليها تجاربه الفكرية ، أو ألهمته إياها عاطفته الدينية المشبوبة ، ولكن ستظل وراء هذه المجادلات الشكلية ، وبعد هذه الخلافات العرضية حقيقة لا يمكن جحدها ، ولا سبيل إلى نسيانها ، أو تجاهلها ، وهي شعور الانسان الفطري بأن هناك قوىً فوق طاقة العقل تمثلها ، ومعرفة كنهها ، تسيطر على الكائنات ، وتديرها ، وفق قانون ثابت ، مطرد حكيم ، هذا بعض ما انتهى تقريره بالمنطق الحكيم ، الأستاذ — العقاد — والإيمان مرده إلى الوجدان ، والشعور ، وما عمل العقل إلا التفرقة بين الباطل والصحيح ، والزائف ، والسليم ، فليس العقل هو الذي يوجد الإيمان بل هو يقويه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويدحمه عن طريق العقل ، ويبعد عنه الشوائب فلا ضير ، إزاء هذه الحقيقة، على كينونة الدين من تقدم الفكر ونشاطه ، هذا التقدم الرائع ، ما دام لكل ميدانه ، ومجاله ، ورسالته ، وأن هذه الدعايات المأفونة التي تذهب إلى أن المذاهب الاجتماعية يمكن أن تحل محل الأديان ، وتؤدي عملها ، وأن التقدم كفيل بمحو الأديان . فرية باطلة ، لا سند لها ، ولا بقاء ، ومهما كان من تفوق العقل وإزدهار العلم ، فهو يقوي العقيدة ، ويفلسف الإيمان ، لا أن ينال منه ، كل هذه الشبه ، وأمثالها ، قد تعرض لها الاستاذ – العقاد – وفندها ، وردها إلى ما يجب أن تنتهي اليه ، فكم من فلاسفة ، ومفكرين ، نازلهم الاستاذ ، واستطاع أن يأخذ منهم قصب السبق وأن يديل من أيديهم الحجة فكانت آية على جبروت هذا العقل الجبار ، الذي اقتحم هذا السبيل الذي تكثر أهواله ، ومزالقه ، بقدم ثابتة ، وجنان يقظ ، وقلب ثابت ، وهو طريق يثير الصفاق الكثيرين ويملأ قلوبهم رعباً ، وأفئدتهم هولاً ، فيتقونه ، وينأون عنه ، ولكن هذا المفكر الجسور ، قد ضرب في أنحائه ، وجاب معالمه ، وقدم ما يجمل أن يقدم من ثماره ، ولعلّ في عمل هذا الرائد ما يمهد السبيل الى اكتشاف ما يستتر في باطنه من كنوز ينتفع بها في حياتنا الدينية ، والعقلية ، وفي تاريخنا لفكرة التدين ، وإبراز الألوان التي استطاع العقل أن يخلعها على – الإله – وعلى أي الصور تسنى له أن يتمثله ؟ فهي مراحل مغرية ، مشوّقة ، تستهوي اللب وتستلفت الخاطر ، والكتاب يجب أن يقرأه كل مثقف ، ليرى خلاصة مركزة لتلك المجهودات التي أنفقت العصور ، والأعمار في سبيلها ، وينال ما يستحقه من عناية العلماء ، والباحثين من دراسة ، وتعليق ، وأن يستقبل بما هو أهل له ، فهو عصارة ما بذلته البشرية حيال هذا السر العظيم ، ودراسات لنظريات الفلاسفة ، وآراء المفكرين ، واستعراض لكل ما يدور في هذا المجال ، وهو من حيث الدراسة . فهو يحمل طابع الاستاذ – العقاد – وخصائص ذهنه ، من حيث دقة بحثه ، واستيفاء أطراف موضوعه ، وقوة شخصيته ، وعنفوانها ، وأنها تروعك بجبروتها . مهما كانت الشخصية التي بجوارها ، هذه كلمة عابرة في هذا الكتاب الذي آمل أن يقابل بما هو خليق به من الدراسة ، والعناية .

٢ – الموازنة بين الطائيين للآمدي

شرح وضبط وتعليق للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

الاستاذ محيي الدين من الشخصيات العلمية ، القلائل التي وهبت كل حياتها ، سخية ، جوادة ، للعلم ، والبحث ، والدراسة ، والتأليف ، في هدوء ، وصمت بعيدة عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ضجة الاعلان ، غير آبهة بألوان الدعاية ، تاركة لوجودها ، وأعمالها ، أن تنطق بأروع بيان وتجلجل في مسامع العصر ، مفوضة إلى التاريخ — وهو أحكم الحاكمين — تقدير انتاجها ، وانصافها ، فلو أننا نعيش في بيئة تزن الأعمال بالقسطاس المستقيم ، لكان لهذا العالم الثبت ما له في هذا الجو الذي تطفو على سطحه كثير من الفقاقيع ، فلقد زود هذا الجيل بأزواد تنوء بها الجامع الضخمة ، وهو متعدد النواحي العلمية ، من أدبية ، وتاريخية ، ولغوية ، واسلامية ، عميقها ، يجول في ميادينها بقدم ثابتة ، وذهن قوي ، وحسبه أنه قد تولى هذا التراث النحوي الذي تركته العصور ، وهو أشد ما يكون اضطراباً ، مما جعل مهمة الدارس له غاية في المشقة ، والعسر ، حتى كاد اليأس من الانتفاع بهذه الذخائر يقضي على كل شيء ، فأولاها عنايته ، وأوقف عليها نشاطه حتى استطاع أن ينقي وقد أخرجها جميعا في أبهى حلة من الإخراج العلمي والتنظيم والتبويب ، والفهارس مما كان له أجل الأثر في المعاهد والجامعات التي تتولى تلك الدراسات العربية ، وقد عزَّ عليه أن يرى كتب الفقه الاسلامي تعاني تلك العلل التي يعرفها كل من تصدى للدراسات الفقهية فأخذ في إصلاحها ، وتهذيبها ، وتقريبها إلى الأفهام ، ولو ذهبت أعدِّد ما قام به ، ويقوم من تلك المجهودات لطال بي القول. وحسبه أنه أصبح يتفرد بمكتبة من انتاجه ، واخراجه وهو عالم ضليع ، واسع الاطلاع عميقه ، وأديب ممتاز له ذوقه ، وفهمه ، وبصره في النقد الأدبي ، وهو جزل الاسلوب ، متين العبارة ، غير أنه يرى أن هذه الكتب وهي كل تراثنا أولى بالجهود لإصلاح ما يعتورها من اضطراب ، ويشيع فيها من خطأ جرّه عليها اجحاف عصور الظلم والركود ، وتزيده تمسكاً بهذه العقيدة عدم توافر الجهود اللازمة في هذا الميدان ، فهو يؤثر دائماً هذا الميدان على غيره ، لأن في إحياء هذه الآثار ، ورد عادية البلى عن حماها ، نوع من التجديد والمساهمة ، والكتاب الذي نحن بصدده من أهم الكتب التي عنيت بالنقد الأدبي، فهو يدور حول شاعرية شاعرين من فحول شعراء الأدب العربي، وهما : أبو تمام ، والبحتري ، فيتناول مواضع الجودة وينبه على مواطن الضعف في آثارهما ، ويحاول أن يبين كل ذلك فالكتاب له قيمته من حيث هو يؤرخ مرحلة من مراحل تطور النقد عند العرب ، ويبصر الناشيء مواطن الجودة ، ومآخذ الضعف ، ويعين على تذوق الأدب ، وهذا — الكتاب يعد من أمهات الكتب في هذا النوع غير أنه كان يعاني ذلك الداء الخامر الذي يطغى على أمثال هذه الآثار من التحريف والتشويه ، والاضطراب ، مما يحول بينها وبين الانتفاع بها في سهولة ، ويسر ، فاستطاع الاستاذ الفاضل — أن ينقي ما فيه من الشوائب ، ويخلصه من الأغلاط ، ويصلح ما فيه من فساد ، ويبوّبه ، وينسقه ، ويضع له الفهارس ، ويخرجه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إخراجاً علميًّا ، دقيقاً ، فهذ السبيل للانتفاع بهذا المورد العذب في النقد الأدبي وهي رسالة لا يضطلع بهـا إلاّ هؤلاء الذين أتيحت لهم ثقافة ، شاملة ، مركزة ، ورزقوا من الصبر ما يعينهم على هـذه المجهودات ، ومن الاخلاص للعلم ، ما يحبب إليهم كل صعب في سبيل تأدية رسالتهم وكل هذه الخلال يتحلى بها هذا الأستاذ المخلص ، وفقه الله لخدمة العلم ، والنهوض برسالة العلماء .

محمد عبد الحليم البوزيد

١ — مصر الظافرة

١٣٠ صفحة من قطع المقتطف — المطبعة الاميرية ببولاق

البكباشي عبد الرحمن زكي مدير المتحف الحربي أديب أغنى المكتبة العربية في ناحية كانت هي فقيرة فيها فأنشأ ثقافة عسكرية مزج فيها بين الأدب والتاريخ والفنون العسكرية ولم يقف به نشاطه عند العمل في حدود عمله العسكري من تكوين مكتبة عسكرية وإدارة مجلة للجيش وتنظيم المتحف الحربي وتقوية روح التأليف والكتابة بين رجال الجيش وتحبيب المطالعة للجنود . فهو ما ينفك بين حين وآخر ينفح المكتبة العربية بأثر جديد له .

وقد أصدر أخيراً الطبعة الثانية من كتابه « مصر الظافرة » وهو صفحة من تاريخ مصر القومي ، استعرض فيها حقب التاريخ كما يستعرض موكباً من المواكب اجتمعت فيه ألوان شتى من تاريخ مصر الفرعونية حتى العصر الحديث وذلك في عرض شائق وأسلوب جميل .

والكتاب بالرغم من صغر حجمه وضخامة الموضوع الذي تناوله مؤلفه الفاضل ، قد استوفى الموضوع حقه من الأداء فلم يخل ايجازه بشيء من صور التاريخ المصري عصراً فعصراً . وهذا الموضوع يتصدى له خبير به فيحسن تصويره ويلم بشتاته ويعرض للقارىء صفحة هي بحق جديرة بما توج به الكتاب بالكلمة الذهبية للمغفور له الملك فؤاد الأول وهي « ستكون مفاخر ماضينا وتراثنا الخالد خير عون لنا في بعث وطننا من جديد ، وفي التقدم به نحو الكمال الانساني ، ذلك الكمال الذي ظلّ — على تناحر الشعوب واختلاف الفلاسفة في جميع الأقطار والأزمان — منذ كان أرسطو حتى تولستوي — حلم العصور الكثيرة المتعاقبة ، والمنارة اللامعة المغرية في آفاق البشرية السامية »

٢ — صحيفة البلاد السعودية

كان لليقظة التي بعثها العاهل العظيم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في الجزيرة العربية أثرها في كل منحى من المناحي عمرانية أو ثقافية ... وآية ذلك تلك النهضة القوية التي تبدو آثارها فيما ينتج أدباء الجزيرة في هذه الآونة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولقد نهضت الصحافة هناك في عصره نهضة تبشر برقي ، وإسراع في هذا الرقي . فهناك من الصحف الآن ما تضارع صحف البلاد العربية الأخرى ، ولها من الرسالة التثقيفية ما يدعو الى الاعجاب . وفي مقدمة هذه الصحف صحيفتان إحداهما شهرية وهي «المنهل» التي يصدرها الأستاذ عبد القدوس الانصاري — وقد سبق أن نوهت بها في هذه المجلة — والأخرى «صحيفة البلاد السعودية » وتصدر يوم الاثنين من كل أسبوع في حجم الجرائد اليومية . ويتولى إصدارها الشركة العربية للطبع والنشر ويرؤس تحريرها أديب ممتاز الذهنية رقيق الأسلوب قوي التعبير هو الأستاذ عبد الله عريف يعاونه في ذلك فريق كبير من أدباء الجزيرة العربية البارزين من أمثال الأساتذة احمد عبد الغفور عطا ومحمد حسن عواد وطاهر زمخشري وحسين عرب وحسين سرحان ومحمد حسن فقي والأنصاري وحسن عبد الله القرشي وعزيز ضيا وغير هؤلاء ممن يحملون علم النهضة الأدبية في الحجاز .

وقد أصدرت هذه الصحيفة بمناسبة دخولهـا في سنتها الثانية عشرة عـدداً ممتازاً في طباعتـه الملونة وفي إخراجه وفي موضوعاته وقصائده ضمّ الـكثير من نتاج من ذكرنا من هؤلاء الأدباء الأفاضل ومن كثيرين غيرهم ، وقد توّج بكلمة لحضرة صاحب السمو الملـكي الأمير عبد الله الفضيل ، وازدان بكلمات لحضرات أصحاب السعـادة الأساتذة محمد سرور الصبان وعبد الرؤوف الصبان والشيـخ ابراهيم السليمان وفضيلتي الشيـخ محمد بن نافع والسيد صالح شطا والأمير الاي علي بك جميـل .... وانها لنهضة مباركة يرجع الفضل فيها الى الجهود التي بذلها عاهل الجزيرة العظيم وآل البيت السعودي الـكريم الذين يحتضنون النهضة الفكرية ويعملون على رفع منارها وإعادة الحياة الأدبية إلى الجزيرة كما كانت في أزهى عصورها .

الصيرفي

اختزال واكد

وضع حضرة الأستاذ فؤاد واكد رئيس قسم الاختزال بمجلس النواب المصري كتاباً يتضمن شرحاً وافياً للطريقة التي ابتدعها للاختزال باللغة العربية بعد ما درس طرق الاختزال باللغة الانجليزية وألم الماماً تامـًّا بكيفية تبسيط هذا العلم واستعماله في سهولة ويسر.

ويقول الأستاذ واكد أن ما حفزه إلى إخراج هذا الـكتاب هو ما تبينه من افتقار اللغة العربية إلى مثيل له يسهل تداوله والاعتماد عليه في درس هذا الفن .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — أشواك

للاستاذ سيد قطب

دار سعد مصر — ١٤٨ صفحة من الحجم المتوسط

لم أكد أفرغ من تلاوة قصة أشواك التي صدرت أخيراً للأستاذ سيد قطب حتى تناولت قصة « سارة » للاستاذ عباس محمود العقاد ، لأن مشابهة ملحوظة بين القصتين استوقفت نظري . فالقصتان على ما يتضح من سياقهما مستمدتان من حياة كاتبيهما . وموضوع كل منهما يكاد يكون واحداً ، فمحوره أن شاباً يحب فتاة فتبدي له الفتاة من التدله والصدّ ما يقطع الصلة بين العاشقين .

ولم يسترع انتباهي تشابه موضوع القصتين وحده ، بل راعني فضلاً عن ذلك تقارب جليّ في تخيّر عنوانات الفصول في كل من الروايتين . فبينما يعنون العقاد فصلاً « بشكوك » يعنون قطب فصلاً « بأشواك » وبينما يتخذ الأول العنوانات التالية « وكان صباح » و« مضحكات الرقابة » و« من هي » و « القطيعة » يتخذ الثاني العنوانات التالية « موعد » « سخريات » و« أنثى » و « القطيعة » وجليّ أن المعاني تتقارب وإن تباعدت الألفاظ شيئاً ما .

ولا أريد أن يؤخذ كلامي على أن الأستاذ قطب نقل من الأستاذ العقاد ، فلكل منهما طريقته الخاصة في الكتابة وفي معالجة « تجربة الحياة » التي عرضت له ، لكل منهما أسلوب خاص في معاملة المرأة سواء كان ذلك في حياة الواقع ، أو دنيا الخيال والتصور ، ولكن هذا التشابه فرض نفسه عليّ فرضاً رغم الشقة المسيحة بين زمن قراءة كل من هاتين الروايتين .

واستوقف نظري في قصة الأستاذ قطب شيء من التحرر من التقاليد التي تواضعت عليها العائلة المصرية . ومن ذلك مثلاً أن بطل روايته خطب لنفسه فتاة ، فكانت هذه المزية تؤهله لأن يقتحم عليها حجرة نومها ويفجأها وهي أدنى إلى العري منها الى الستر ، وكانت تخوّل له أن يبيت في دارها دون أن يعترض والداها على ذلك ، وكانت تبيح له أن ينفرد بها في ممر الدار ويعتصرها اعتصاراً ويرشف منها ما شاء من رحيقها المذخور . بل إنه ، حتى بعد أن قطع كل صلة بها ذهب إلى دارها فدهش جميع الذين كانوا فيها ولم تحل دهشتهم هذه دون أن يختلي الخطيب السابق بخطيبته السابقة بعد إستئذان أهلها ، ليفاتحها في موضوع حلم حلمة يتعلق بأخص خصائص المرأة .

وفي رأيي أن القاصّ اندفع بعض اندفاع في إعداد هذه المواقف لأنه لو تحرّى مطابقة قصته للواقع المألوف لتجنب هذه الأخطاء .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبعد فالقصة لا تفتقر إلى عنصر التشويق، وإلى الظلال، فهي حافلة بهما، ولعل خاتمتها « الحالمة » أجمل ما فيها لأنها تعرض لنا فكرة جديدة هي « الأبوّة التصورية » أي أن يخال رجل نفسه أباً لطفل ليس من صلبه.

٢ — جرائم واغتيالات القرن العشرين

للأستاذ عبد الحليم الجندي

الجزء الثاني — دار سعد مصر — ١٦٠ صفحة متوسطة

أصدر الأستاذ عبد الحليم الجندي المحامي بأقلام قضايا الحكومة كتاباً من جزأين عنوانه « جرائم واغتيالات القرن العشرين » تحدث في الجزء الأول عن ابراهيم الهلباوي بك أول نقيب للمحاماة في مصر وتناول في السفر الثاني حياة محاميين بريطاني وفرنسي تضلّعا من فنّهما وتميّزا على أقرانهما بما وهبا من استعدادٍ فطريّ لمراس المحاماة، كأن مهنة المرافعة لم تخلق إلاّ لهما.

والسكسوني هو مارشال هول، وهو معروف للمصريين بدفاعه الجبار في قضية مقتل الوجيه علي فهمي بيد زوجته الفرنسية مرجريت فهمي، وقد استطاع بقوة حجته وتحايله على الحقائق واختلاقه أموراً لا نصيب لها من الصحة أن ينقذ موكلته مرجريت من المقصلة مع ثبوت جرمها ومغالاة القانون في عقاب مقترف جريمة القتل.

كان رجلاً يناضل المقادير بل ويوجهها حسبما يشاء، فقد كان في طاقته أن ينتزع من بين براثن الموت متهمين ثبت جرمهم واعترفوا بإثمهم على الملأ، أو كما قال الأستاذ الجندي « كان يستخرج القاتل من القفص ليستجوبه كشاهد لا كمتهم! »

بعثت إليه معجبة به رسالة تثني فيها عليه وترجوه أن يوافيها بصورة « أكبر المحامين رشاقة وعبقرية » فما كان منه إلاّ ان بعث إليها مزجياً شكره وأرفق كتابه بصورة محامي خصمه!

ولكن هذا المحامي الذي جلجل صوته في ساحات القضاء في بريطانيا كان سيء الحظ في حياته الخاصة إذ حدثت جفوة بينه وبين زوجته وكانت حلبة القضاء ميداناً شُهِّر فيه بمحامي بريطانيا الأكبر وأصبحت أخصّ علاقاته بزوجته موضوعاً تلوكه الألسنة وتجترّه الأفواه.

والمحامي الفرنسي هو هنري روبير، وهو متفرّد في صفاته، عبقريّ في فنّ الكلام وفن الكتابة، يلعب بالألفاظ لعباً، ويحاور ويداور ما شاء له المقام حتى يواتيه الظفر بثماره الناضجة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لو أراد لأصبح وزيراً في فرنسا ، ولو شاء لتصدّر الساسة في بلاده في مستهل هـذا القرن ولـكنه انقطع للمحاماة مفسحاً وقته بعض الشيء للتأليف والتسويد . وليس في الوسع أن أصور هنري روبير كما صوره الأستاذ الجندي . فقـد نشره الـكاتب من قبره وبث فيه روح الحياة ليراه القارىء نابضاً بالحيوية متجسماً أمام مخيلته .

فاسمعه يقول :

« نحن الآن في المحـكمة ، وها هو ذا النائب العمومي يترافع ، وذلك محام هادىء يكاد ينام . ولـكنه نهض الآن بادي الرشاقة ، رفيع القامة ، قوي الصوت ، واضح الـكلام ، ينطلق في سرعة غريبة كأنه يخشى فوات الميعاد ! إنه يتكلم كأنه يتحدّث ، وها قد مضت بضع دقائق دون أن يظهر إنه محام عظيم ، ولـكنه قد أوغل في الصميم ، وحميت الوقدة ، واندلع لهيب النار ، وانساقت الحجة متدافعـة معجلة ، فهو يضرب يميناً ، ويضرب شمالا ، كلاعب السيف ، ضربات منظمة ،وأحياناً كثيرة ضربات غير منظمة ، تسحر العيون ... أو كما شبهوه بالحاوي ، إذ يبهر المحلفين بصيحاته وحركاته المتقطعة ، بينما هو يلتقط على أعينهم أعظم شيء في أيديهم ، وهو هنا روح المتهم ! » .

إنه كتاب ممتع ، لأنه كتاب حيّ . لا نقرأ فيـه عن أناس ، وإنما نرى فيه أناساً . كتاب كالمعرض أو كشريط السينما يجسم لك الحوادث ويبين لك من ظلالها أمجاد المحاماة وفضائلها . وكاتبه الأستاذ الجندي يمسك بقلمه بإحكام فلا يدع خلجة إلاّ يحسن تصويرها ، ولا يدع زفرة إلاّ يجلوها للعيان .

وديع فلسطين

ظواهر الطرح الروحي

نشرت مكتبة الهلال في الفجالة هذا الـكتاب لمؤلفه حضرة الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير ويعرف كثيرون من القراء أن حضرة المؤلف توفر على دراسة العلم الروحي وألف فيه كتباً كثيرة وترجم كتباً أخرى عن اللغات الأجنبية ولهذا العلم أنصار في أوربا وغيرها وله في مصر قراء متعددون . والـكتاب الذي بين أيدينا يبحث في الأحلام والتواصل الروحي خلالها وطرح الروح خلال النوم والعقل الباطن والوحي والرؤيا الصالحة والموت الظاهري وعلامات الموت الحقيقي والغيبوبة والتخشب وظاهرة التلبثي والتجريب العلمي فيهـا والسيكومتري (تقصي الأثر في لوحة الفضاء والزمن) وكيف تتجسد الأرواح المطروحة وتتكلم . وفي الـكتاب كثير من الصور . ولا شك في أن موضوعات الـكتاب وما فيها من طرافة ولذة كفيلة بالاقبال عليه من المهتمين بالشؤون الروحية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الخامس

من المجلد العاشر بعد المئة

٣ — لحق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg/Br.
Inv.
Az ١٩/8

المقتطف

الجزء الأول من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١٥ يونيو سنة ١٩٤٧ | ٢٦ رجب سنة ١٣٦٦

مآثر العرب
على الحضارة الحديثة

١ — غلق مدارس أثينا

على كثرة ما وقع في عصر يوستنيانوس من الاحداث فان أعظم هذه الاحداث جميعاً من وجهة النظر العلميّة والاجتماعية ، حدثان : الاول غلق مدارس الفلسفة في أثينا ، والغاء نظام القنصلية الروماني . فان ما خلفت هذه المدارس من الأثر في عالم الفكر وما خلق ذلك النظام من أثر في عالمي السياسة والتشريع ، وما ينطوي وراءهما من تقاليد القرون العديدة ، يجعل لهما تلك القيمة الكبيرة التي نعزوها إليه . وليس لنا أن نتكلم هنا في شأن نظام القنصلية الروماني . ونقتصر على الكلام في غلق مدارس أثينا .

ظلت مدارس أثينا موضع عناية العقلاء والفضلاء من أمراء الرومان ، ومضت مستظلة بحمايتهم أزماناً طويلة . ولقد أسس الامبراطور « هَدْريانوس » في أثينا مكتبة جامعة شيد لها مكاناً خاصًّا وزينه بالصور والتماثيل ، وسقفها برخام الالباستر الجميل ، واقد أقام ذلك البناء في صورة شرفة واسعة الجنبات يحملها مئة عمود من الرخام الفرُوغي . وخصص الامبراطوران من آل أنطونين مرتبات ضخمة للقائمين على هذه المدرسة ؛ فكان مرتب كل أستاذ في السياسة أو الخطابة أو المذهب الافلاطوني أو المذهب المشائي أو الرواقية أو الابيقورية حوالي عشرة آلاف دراخمة (حوالي ٣٠٠ جنيه مصري) . فلمّا دنا عصر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أوريليوس أنطونينوس ألغيت هذه المخصصات ثم أعيدت ، ثم أنقصت ثم زيدت ، بحسب أهواء الامبراطور القائم وبحسب الحالة الاجتماعيـة والفكرية التي تناوبت الامبراطورية الرومانية . ولقد بلغ حال تلك المدارس من الاضطراب مبلغاً كبيراً في حكم خلفاء قسطنطين

ولقد نعلم أن أسلحة القوط وجيوشهم قد دمرت الجزء الأكبر من عمارية أوربا . ولكن هذه الأسلحة المدمرة كانت أقل أثراً في هدم مدارس أثينا من انتشار دين جديد في جوف الامبراطورية الرومانية . فان رجال النصرانيـة قد ألغوا العقل وأحلوا محله حكم النقل والايمان المطلق ، وألقوا بأولئك الذين اعتبروهم كفرة أو من أهل الشك الى النيران تأكلهم وتذهب بريحهم . وعمدوا فضلاً عن ذلك الى مجلدات ضخام حملوا فيها على كل ما خلق عقل القدماء من آثار الحكمة والعلم يرمونه بالمروق والارتداد والكفر . ذلك بأنهم اعتبروا تلك الآثار من المسممات التي تسمّم عقول المؤمنين .

على ان البقية الباقية من الفلاسفة الأفلاطونيين حتى عهد يوستنيانوس ، كانوا قد انحدروا عقليًّا الى درجة كبيرة ، حتى انهم مزجوا ذلك المذهب الالـهي الروحاني بكثير من الخرافات وغلّفوه بالأساطير والسِّحر . وفضلاً عن ذلك فان بقاءهم على وثنيتهم في قلب دنيا نصرانية ، قد ولّد الشك تلقاءهم في قلوب الحكام والأمراء ، حتى لقد ظنّ انهم قد يعملون سرًّا على الاضرار بمصالح الدولة .

بعد موت الامبراطور يوليان بقرن كامل دعي « إفروقلوس » ليلقي دروس الفلسفة في الاقاديميا . ولقد بذل في هذه المهمة أقصى الجهد ، وأثمر أعظم الثمرات ، فتناول في دروسه فلسفة الأخلاق والالاهيات وما بعد الطبيعة ، وكان مما تناوله من البحوث انه وضع ثمانية عشرة قضية منطقية ينقض بها قصة الخلق النصرانية . ولكنه الى جانب هذا كان يدعي القدرة على الاتصال بآلهـة وثنيـة ، ويقول علناً انه محيط بالكثير من أسرارهم . وحدث خسوف في أواخر عمره ، فكان ذلك عنده نذير باقتراب ساعته ، فلما مات جمع بعض تلاميذه كل ما خلفه من أوراق ، وكذلك كل ما كتب حوارتّه « إزيدور » ، واحتفظوا بجميع ذلك ليكون للاخلاف من بعدهم دليلاً على ما وصل إليـه العقل اليوناني إبان ذلك الزمان من انحطاط وتطوح مع الوهم والأساطير .

غير ان « السلسلة الذهبيـة » ، سلسلة الفلاسفة الافلاطونيين كما كان يدعوهم القدماء ، ظلت متصلة أربعين سنة بعد موت « إفروقلوس » حتى أصدر يواستنيانوس أمره الامبراطوري بأن يصمت آخر لسان تحرك بقضية فلسفيـة في جنبات المدارس في أثينا ، والاقاديميـا على الأخص .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان آخر هذه السلسلة سبعة من الفلاسفة جمع بينهم العلم وألفتهم الصداقة هم : ديوجينيس (١) وهرمياس (٢) وأولاليوس (٣) وإفرسقيان (٤) ودمسقيوس (٥) وإزيدور (٦) وسنبليقيوس (٧) ، لم يرضوا الارتداد عن دينهم الى دين أميرهم فراحوا يهاجرون الى بلاد أجنبية لعلهم يجدون فيها من الحرية ما أنكره عليهم بنو جلدتهم.

كانوا قد سمعوا ، أو ترامى إليهم زوراً ، إن جمهورية أفلاطون قد طبقت عمليًّا في بلاد فارس ، وأنّ ملكها الحر العالم قد أقام العدل وعضد الفضيلة في تلك البلاد الحرة السعيدة . فلما وفدوا إلى بلاط كسرى الذي أشيع عنه أنه فيلسوف وعالم ، ألفوا أن مفاسد الدنيا التي خلفوها من ورائهم قد سبقتهم إلى بلاد فارس ، وإن دولة كسرى ، لم تكنْ أشرف ولا أفضل ولا أعلم ولا أحكم من عالم الهمج الذي تركوه فراراً من الشرور .

لقد صدمتهم حقائق الحياة الانسانية ، فقضوا أعمارهم في سلام ، وخلفوا الدنيا بغير جلبة ، وانحدروا الى جوف الزمن ومعهم آخر ماخلفت الأقاديميا من الآثار الدنيوية .

وكان ذلك أول اتصالٍ للشرق بعلم الاغارقة الذي نهل منه العرب.

٢ — الحضارة العربية

تفرّد العرب في العصور الوسطى بأن كانوا حفَظَة المدنية والقوّامين عليها . كذلك استطاعوا أن يقاوموا تلك الهمجية التي اجتاحت أوربا وهزتها من الأعماق وزلزل قواعدها الثابتة توالي الهجمات الحربية والمغازي التي شنتها عليها شعوب الشمال . وفي ذلك الوقت ، وفي خلال هذه الفوضى الغامرة ، عكف العرب على ثمرات العقل الاغريقي يحبوز منه ما أماتت الهمجية . ذلك بأن العرب لم يقنعوا بما اجتمع لديهم من ثروات العالم الذي دَانَ لسلطانهم ، بل عمدوا الى سبل العلم والمعرفة يفتحون بها ما استغلق من قضايا العقل ، وما استكنّ من أسرار الطبيعة .

إن حروب الغزو التي شنها العرب عقيب انتشار الدعوة ، وهي حروب فاتحة تخللها شيء من الانشعابات المدنية ، قد ظلت قائمة خلال القرن الأول من التاريخ الاسلامي متوجة بأعظم الانتصارات . وحتى سنة ٧٦٠ م ، وهي تاريخ سقوط الدولة الأموية ، لم تظهر في حياة العرب بادرة تدل على أن تلك الفترة الحربية ، بما يقع في أمثالها من فوضى وارتجاج ، سوف يعقبها عهد تكون أجلى مظاهره الحضارية ، نهضة عقلية ارتقائية النزعات .

في ظل الدولة العباسية بدأ عهد من الترفّه المدني أخرج العرب من خشونتهم التي

---

(١) Diogenes (٢) Hermias (٣) Eulalius (٤) Priscian (٥) Damascius (٦) Isidor
(٧) Simplicius

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عرفوا بها في العصرين الجاهلي والاسلامي الأول ذلك بأن خلفاء العباسيين قد ظللوا حركة التثقيف بعنايتهم وأمدوها بسلطانهم فأثمرت سراعاً وآتت أشهى أكلها ، فشحنت الأذهان بمختلف المعلومات ، ونقل إلى العربية مؤلفات وكتابات ، كانت أساساً لأخرى قامت عليها واستمدت منها ، حتى أصبحت العربية مصدر الدرس والبحث في الشرق وفي كل مكان استظلّ بسلطة العرب.

وللخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يرجع الفضل الأول في حفز الهمم وتنبيه الأذهان الى دراسة العلوم الصحيحة . ولقد ورث العرب نزعة قوية الى علم الفلك ، شأن كل الأمم البدوية التي تعيش تحت سماء صافيـة لامعة النجوم . حفزهم الى ذلك البيئة والضرورة . ولـكنهم رغم ذلك لم يكن لهم تقويم زماني يرجعون إليـه حوادث أيامهم وحيـاة رجالهم ودولهم ، وإنما اتخذوا السنة القمرية وسيلة الى معرفة الأشهر ، لما للأشهر عندهم من علاقة ببعض التقاليد والعقائد . ولم يصبح للعرب تقويم يحدد أحداثهم إلا من بدء الهجرة . غير أن ذلك الميراث كان سبباً فيما أبدوا في عصور حضارتهم من حب لعلم الهيئة وعكوف عليه . قال اسكندر فون همبولد :

« كان العرب بطبعهم ذوي كفاءة لأن يؤدّوا دور الوسيط الأمين في تكييف عصر من عصور الحضارة تأثر به كل الأمم التي عاشت في تلك المنطقة الشاسعة الواقعة بين الفرات والوادي الـكبير (في الأندلس) والجزء الجنوبي من وسط افريقية . لقد كان للعرب نشاط لا يبارى دمغ عصراً من عصور التاريخ بطابع ثابت لا يمكن محوه . كذلك كان لهم نزعة تسمحية عريقة في الحرية ، مناقضة تمام المناقضة لنزعة اليهود التعصبية ، فاختلطوا بالشعوب التي غزوها من غير أن تعود بهم الذكرى يوماً الى أنهم الفاتحين أو الى تفوقهم القومي أو الى تقاليدهم التي خلفوها من ورائهم في صحاراهم ، بالرغم من تأثرهم بمختلف البلاد التي غزوها والأراضي التي نشروا عليها سلطانهم . وبينما نرى أن السلالات الجرمانية لم تستطع أن تستوعب اللغة البولندية الا بعـد زمان طويل من هجرتهم ، فان العرب قد نشروا ، مع دينهم ، لغتهم المثقلة بتراث خالد من الشعر لم تبل جدّته ولم تتخاذل أصوله ولم تضعف روحه ، حتى بعد أن تجاوبت به أنحاء « بروفانس » في بلاد الاندلس .

٣ — التجارة وأثرها في الثقافة العربية

قلما فطن مؤرخو الفكر العربي الى ما كان للتجارة وانتشار المستعمرات العربية من أثر في الثقافة الاسلامية . فان الامبراطورية التي شادها الخلفاء ، باتساع أرجائها وما حوت من ضروب الفن وصنوف الثروة ، وما أظلت من مختلف الاقاليم والأجيال والأمم ، وما

احتاجت اليه من مختلف النظامات والتشريعات القضائية والادارية ، قد وجهت الفكر العربي نحو صورة من الحضارة لم يعرفها العرب في حدود جزيرتهم الاولى . فان خيرات اسبانيا وشمال أفريقية ومصر والحبشة وشمالي بلاد العرب وفارس والبلاد الحافة ببحر قزوين في جوف أسيا ، وكذلك الهند والصين ، كل ذلك قد تدفق من طريق الاتجار على البلدان والحواضر العربية مثل مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق وبغداد والموصل والمدائن ، فأنشأ جميع ذلك من الاتصالات الثقافية ماكان له أكبر الأثر في تنشئة صورة من الحضارة جديدة كل الجدة معقدة كل التعقيد.

لقد نشأت اتصالات تجارية ثقافية بين اسبانيا وحدود آسيا الشرقية . ولم يقتصر الأمر على ذلك فان أسطولاً عربيًّا خرج من بوغاز جبل طارق الى عرض بحر الظلمات فتقاذفته الرياح حتى الجزر الخالدات ، وربما كانت قد تقاذفتهم الى أمريكا ، ولو لم يثبت ذلك ثبوتاً قاطعاً . ولكن الطريق الذي سلكوه الى الجزر الخالدات ، يكاد يكون نفس الطريق الذي سلكه كولمبوس الى أمريكا .

وبالرغم من أن نشاط العرب التجاري قد اقتصر على أنحاء العالم القديم ، فانهم لم يتركوا ناحية من نواحي العمل لم يقتحموها بقوة وبسالة نادرة ، فقد نقلوا خيرات الشرق وبلاد العرب الى اسبانيا وزوّدوها بكل ما احتاجت اليه من ضرورات مصدرها العالم الشرقي، صناعية كانت أم زراعية . وهامة ذا يدل دلالة قاطعة على ما بلغ العرب من ثقافة هي من ضرورات ذلك النشاط الكبير .

بلغ عدد الانفس في طليطلة ٢٠٠،٠٠٠ نسمة وأشبيلية ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة في العصر العربي . وكان محيط قرطبة ثماني فراسخ طولاً ، وفيها ٦٠ر٠٠٠ قصر و ٢٣٨ر٠٠٠ منزل. أما طليطلة الآن فلا يتجاوز عدد الأنفس فيها ٢١،٠٠٠ وأشبيلية ١٤٣ر٠٠٠ وقرطبة ٥٦ر٠٠٠ ، فأية حضارة ازدهرت هنالك في ظل العرب ، وأية ثقافة أقامت ذلك الصرح الشامخ

يقول الادريسي وهو الجغرافي المعروف الذي عاش في القرن الحادي عشر وزار اسبانيا، ان واحدة من مقاطعاتها كان بها أكثر من ٦٠٠ محلة تشتغل بصناعة الحرير .

على أن كل محدثي المؤرخين ليعتقدون الآن أن خروج العرب من اسبانيا أصاب تجارتها بداهية لم تخلص من نتائجها حتى الآن . ولا يبعد أيضاً أن يكون لذلك الحادث أثر آخر في الثقافة العالمية لا يقل عن أثره في الرفاهية المادية . فان الكردينال « إكزيمانس » Ximenes في ساعة من ساعات النحس التي قد تصيب الانسانية ، أصدر أمراً هو الى الهمجية أقرب شيء ، فأحرق في ميادين غرناطة في يوم واحد ٨٤،٠٠٠

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مخطوطة عربية في مختلف العلوم والفنون والآداب . هذا في مدينة واحدة ، فما بالك بما حدث في بقية أطراف ذلك العالم الاسباني الفسيح .

٤ — من آثار الحضارة العربية

لقد أثبت منصفو المؤرخين للعرب من الآثار الحضارية بضعة نواحٍ كان لها القدح المعلّى في رفع مستوى الانسان إلى آفاق بعيدة المدى قصية الغايات . وإذا كان من الحق ان العرب لم يكونوا أول من ابتكر بعض هذه الآثار الماديّة ، فلا ينبغي أن ينكر عليهم فضل إنهم كانوا أول من أخرجها من مخابئها وانتزعها من بيئتها ، ونشرها في أنحاء العالم المتحضّر . فان هذه الأمة العربية التي نشأت في محيط صحراوي ، لم تكد تخرج من محيطها وتختلط بآثار الحضارة الرومانية ، وهي وريثة الحضارات القديمة ، حتى أكبت على الزراعة والاستقرار في المدن وفي الأودية الخصيبة ، فرفعت من مستوى تلك الصناعة وأضافت اليها من ابتكاراتها ما جعل من العالم العربي جنة متصلة النواحي ، وجعلت من القفار التي خربها الهمج في خلال أربعة قرون ، من القرن الثالث الى السابع الميلادي ، مراعي نضرة ، ومزارع مثمرة وغابات ملتفة وحدائق دانية الثمرات .

على أنهم الى جانب ذلك قد استكشفوا في العالم الموات الذي حفّ بنهضتهم تلك ، ثمرات حضارية ظلت مقصورة النفع على بيئاتها التي نشأت فيها ، فتناولوها بالتهذيب ، ورفعوا من شأنها ، وراحوا ينشرونها أينما حلوا وحيثما كانوا ، وفي جميع الآفاق التي استظلت بحضارتهم المجيدة . من هذه الثمرات الانسانية على كثرتها ، ثلاثة أشياء كان لها أكبر الأثر في رفع مستوى الحضارة في جميع العصور : هي الورق والبوصلة والبارود .

استند بعض المؤرخين على كتابات يغلب إنها مزيفة مدخولة بالتدليس ، تنسب شرف استكشاف هذه الأشياء إلى أهل الصين ، محاولين بذلك أن يسلبوا العرب حقهم التاريخيّ فيها . يقول المنصفون إن الصينيين عرفوا صناعة الطباعة منذ القرن الثامن . غير ان أسماء جوتنبرج وفوست وشوفّر قد انتزعت منهم ذلك الشرف . فاذا كان العرب قد نقلوا عنهم مادّة الورق ، وهي من أخص ما يتصل بالطباعة ، ألا يكون من المعقول أيضاً ان يكونوا قد نقلوا عنهم الطباعة أيضاً ؟ وماذا نقول في الذين يدعون بأنهم أخذوا عنهم البوصلة أيضاً وقد ظل أهل الصين إلى سنة ١٨٥٠ يعتقدون إن في القطب الجنوبيّ اتون ملتهب تتلظى ناره ؟ اما البارود ، فإن كان قد ثبت لأهل الصين حقهم التاريخي فيه فانهم لم يستخدموه بنفس الاسلوب الذي استخدمه به العرب .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا يفوتنا ان نذكر أنه في حصار مكة سنة ٦٩٠ م . استخدم المحاصرون نوعاً من القنابر ، وان البارود استعمل في مصر في خلال القرن الثالث عشر لرمي قذائف مسافات بعيدة فتحدث صوتاً كأنه الرعد . ولقد ذكر ذلك أيضاً في وصف وقعة بحريّة بين ملك تونس وأمير أشبيليّة في القرن الحادي عشر ، وذكر في القرن الثالث عشر (سنة ١٣٠٨) في حصار جبل طارق ، وسنة ١٣٢٤ في حصار بازه . كذلك استخدمه الملك اسماعيل ملك غرناطة سنة ١٣٤٠ ، والجزائريون سنة ١٣٤٢ ، ويؤخذ من وصف أهل فزّارة ان القنابر كانت تقذف بالبارود.

ولقد نقل أهل أوربا هذا الاستكشاف عند احتكاكهم بالعرب ، وأخذت جيوشهم تستخدم المدافع . ولو ان أهل أوربا هم الذين وصلوا الى هذا الكشف ، اذن لعثرنا في آثارهم على أقوال أو اشارات تدل على الخطوات التي تدرج فيها عندهم وتاريخ هذه الخطوات . ولكن الأمر على العكس من ذلك . فانك مهما استعمقت في بحث تاريخ العصر الذي استخدم فيه أهل أوربا هذه المادة ، فانك لا تعثر على أثر من تاريخ نشوئها عندهم . ومع هذا يحاول بعض المؤرخين نسبتها إلى أهل أوربا ، بالرغم من أن العرب استخدموها منذ نهاية القرن السابع الميلادي .

امّا البوصلة فليس هناك أي دليل تاريخيّ على أن أهل الصين قد استخدموها في الملاحة . في حين يتصل بنا أنّ العرب أخذوا يستعملونها منذ القرن الحادي عشر الميلادي لا في الملاحة البحرية فحسب ، بل في سياحات القوافل عبر الصحراوات ، وفي تعيين سمت القبلة لتعيين اتجاه مكة تعييناً دقيقاً .

وكذلك كان الأمر في الورق . فعند منتصف القرن السابع الميلادي (٦٥٠ م) كان ورق الحرير من منسوجات سمرقند وبخارى . وفي سنة ٧٠٦ م فكر يوسف المكّي في أن يستبدل الحرير بالقطن في صناعة الورق ، فأخرج بذلك الورق الدمشقي الذي وصفه مؤرخو الافارقة . وفي إسبانيا شاعت صناعة الورق من الكتان والقنّب وشيدت لصناعته المعامل الواسعة ، وتنافست في اخراج مختلف أنواعه وضروبه كثير من المدن الاسبانية وفي مقدمتهم بلنسية . وفي القرن الثالث عشر استخدم الورق العربي في قشطالة ، ومن ثمّ انتقل الى فرنسا وإيطاليا وانجلترا والمانيا ، وما يشهد للعرب بمهارتهم في هذه الصناعة ، كشهادة مخطوطاتهم القديمة وقد خلفوها في ورق صقيل متين مُزيّنة بضروب من الزخرفة هي موضع إعجاب العالم الى الآن .

فلا عجب إذن إذا نزع منصفو المؤرخين في العصر الحديث الى الاعتراف بفضل العرب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفضل ثقافتهم على جميع المرافق الحضارية التي هي أعظم مظاهر المدنيـة الغربية . فانه في خلال الفترة الواقعـة بين القرنين التاسع والخامس عشر ، لم تخط الحضارة الغربية خطوة واحدة نحو الأمام إلاّ بفضل ميراثهم عن العرب ، سواء أفي الناحيـة المادّية ، أم الناحية الثقافية، كالفنون والعمارة والهندسة والآداب والعلوم .

٥ — تأثير الحضارة العربية في مدنية الغرب

كتب العـالم بايلي إلى فولتير الفيلسوف الفرنسي عبارة لا تزال تروى ويتناقلها المؤرخون فقال :

« إن الأمم الاوربية بعـد أن هاجت في أحضان الهمَجيَّـة ، قد عادت فاستنارت بغزوات العرب والاتصال بالأفارقة » .

أما المتفق عليه بين ثقاتِ المؤرخين فهو أن أثر العرب في تنوير أوروبـا ،كان أمكن وأثبت من أثر الأفارقة . ومن الدلائل القاطعة على ذلك أن العرب هم الذين أحيوا في أوربا فلسفة الأفارقة وآدابهم وفنونهم ، وأعادوا الى العالم الحديث ذكر رجال من عظماء اليونان نسيت أسماؤهم وعفّـى الزمن على آثارهم .

ولا خلاف مطلقاً بين المؤرخين في أن العرب هم الذين تبنّـوا الحضارة الاغريقيـة فترجموا عنها الى العربية جلة الآثار الثقافية التي وصلت يدهم إليها في مختلف فروع المعرفة الانسانية . ولم يقفوا عند ذلك بل شرحوها وأضافوا إليها وعلّقوا وحشّـوا من عندياتهم عليها ، فأورثوا الحضارة الحديثة أشهى ثمراتها العقلية والفنيّـة ، وكانوا بحق آباءً كراماً ، لورثة عاملين ، حفزهم ما رأوا في الآثارالتي نقلت إليهم، الى البحث عن الأصول التي ترجم عنها العرب ، وما أن عثروا عليها حتى أكبّ عليهـا دارسون استعانوا بالصبر على تفهم آداب هوميروس وفلسفة أفلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من عظماء العالم الاغريقي القديم . ولقد قال المؤرخ « هايد » قولة حق إذ قضى : « بأنّ أكثر ما خلف الفكر اليوناني من الآثار العقلية التي عثرنا عليها في مخلفاتهم ، قد وصلت إلينا أول شيء عن الأمة العربية » .

لقد نقل العرب الى أنحاء أوربا ثمرات العقل الاغريقي ، قبل أن يبدأ الدارسون في أوربا التفقه في درس اللغة اليونانية في أواسط القرن الرابع عشر (١٣٦٠ م) وكان ذلك بمدينة فلورنسا أول شيء ، ثم بعد أن تفرق فقهاء اليونانية في أنحاء أوربا الشرقية بعد سقوط القسطنطينية في يد محمد الفاتح (١٤٥٣م) . ولا شك مطلقاً في أن كثيراً من الكتب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاغريقية ، وبخاصة في العلوم ، قد نقلت أول ما نقلت الى اللاطينية عن المؤلفات والترجمات العربية .

أضف إلى ذلك أن كثيراً من المؤلفات الاغريقية الثمينة ، لم يعرف لها أصل إلاّ مما كتب العرب . ولنضرب لذلك مثلاً . ففي العلوم الرياضية نقل العرب كتاب العالم الهندسي منلاوس الاسكندري في « المستديرات » ، وترجموه بعنوان « كتاب الأكر » ، ومن ثمت نقل الى اللاطينية ، ولولاهم لما عرف له أصل، ولا ثبت خبر. كذلك هم نقلوا الى العربية كتباً ثمانية وضعها العالم افولونيوس الفرغاوي في « القطوع المخروطية » ، نقل منها ابراهام الماروني (١٦٦١ م) الكتاب الخامس والسادس من مخطوطة عربية في مكتبة آل مديتشي في فلورنسا. ولولاهم لما استطاع الأطباء إكمال تعليق جالينوس على مقالة ابقراط في الأوبئة ، إذ عثر على الترجمة العربية في الأسكوريال ، ولما استطاع العلماء أن يعرفوا شيئاً عن مقالة ارسطوطاليس في الأحجار ، لولا الترجمة العربية المحفوظة في المكتبة الأهلية بباريس .

إذا تتبّعنا تاريخ المعرفة الانسانية ، وعرفنا أن أثر الثقافة الأغريقية قد امتد في الاسكندرية إلى ما بعد الطور الروماني ، لما استطعنا أن ننكر أن العرب هم الذين ظلوا قوّامين على كنز الثقافة فتعهدوه وحموه منذ العصر الأغريقي الى عصر النهضة .

يقول المؤرخ الفرنسي مسيو « ليبري » : إنّ العرب اذا استحقوا التمجيد ، فانما يستحقونه لأنهم ظلوا حفظة الثقافة الأغريقية والهندية طوال عصور كفّت خلالها بقية الشعوب عن أن تنتج شيئاً ، وكانت أوربا ما تزال في جهالتها ، عاجزة عن أن تحمل الامانة الثمينة . على أنك اذا أوذيت بالعرب من صفحة التاريخ ، إذن لتأخرت النهضة في أوربا بضعة قرون » . — ولا شك في أن مسيو ليبري كان يصبح أقرب الى الحق اذا قال أن تلك النهضة ربما كانت قد اتجهت اتجاهاً آخر غير اتجاهها المعروف ، بل ربما كانت قد ضلّت السبيل القويم .

***

وفي مجال العلم خاصة برّ العرب سابقيهم الرومان ، فكانوا بحق ورثة العالم الأغريقي . أضف إلى ذلك أن العرب لم يقفوا عند عظماء الاغارقة مثل أفلاطون وارسطو وأبقراط وديوسقوريدس واقليدس وبطليموس ، بل إنهم أكبوا على جماع الثقافة الأغريقية فنقلوا عن شعراء وخطباء وسفسطائيين ، لا ينبغي أن يقوم لهم ذكر الى جانب هؤلاء ، وفي ذلك دليل على أن نهمتهم للعلم والمعرفة لم تكن تعرف حدوداً ، ولا تقف عند غرض جلّ أو ذلّ .

٦ – الفلسفة الكلامية

عرفت هذه الفلسفة في أوربا « بالفلسفة المدرسية » : « Scholasticism » ، وهي في الواقع صورة محوّرة من فلسفة الكلام عند العرب .

نعرف أن العرب عكفوا على درس فلسفة المشائين ، أرسطو وأصحابه ، أكثر شيء ، ومن عكوفهم على درس هذه الفلسفة قد والّدوا فلسفة الكلام في اللاّهوت الاسلامي . ولقد يرجع تصوير هذه الفلسفة وتحديد قسماتها الى الجدل الخلافي الذي قام بين الواقعيين والاسميين من فلاسفة العرب ، وكان الأولون يجرون على مذهب ابن سينا ، والآخيرون يجرون على مذهب ابن رشد .

ولقد حقّق المؤرخ الفرنسي « هورو » أن الكندي فيلسوف العرب ، كان المرجع الذي اعتمد عليه الاسكندر الهاليسّي وهنري الغنتي والقديس بونا فنتورا ، بينما اعتمد وليم الاوفرني من تعريفات الفارابي وحدوده ، كما استمد منها فنسنت بوفيه والبرت ماغنوس (الكبير) . ومما يدل على أن فلسفة الكلام العربية قد أثرت في اللاهوت النصراني حقيقة ، أنّ وليم الاوفرني كان يفضّل العرب على الأفارقة . لأن الأفارقة فلاسفة أكثر منهم لاهوتيين ، والعرب لاهوتيون أكثر منهم فلاسفة . ذلك بالضرورة على قدر ميوله وبمقتضى نزعته .

على أننا اذا كنا نعتقد اليوم أن فلسفة الكلام ، سواء أعند العرب أم عند الاوربيين ، قد كانت من المباحث العقيمة ، فإنها قد أخرجت للبشرية بضعة مفكرين أحرار ، منهم المعتزلة عند العرب ، وقد ضاعت آثارهم أو تبددت ، ومنهم يوحنا اسقوطس أرغينا ، وبرنجاريوس وإبيلارد ، ووليم أوكام ، وتبعهم وليم هس وسافونارولا ولوثر وبرونو وكامبّانلاّ .

بعد أن وضع العرب يدهم المجدّدة على كل ما خلف الأفارقة من ثمار المعرفة والحكمة ، فنمّوها وأوسعوا من آفاقها في جميع النواحي ، أسلموا بجماع ذلك إلى أوربا . وكانت إسبانيا أول بقعة أوربية تلقت عنهم . ففي القرن العاشر ، ذلك العصر الذي يمثل أقتم دورات الظلام في أوربا ، تراكمت في إسبانيا ، على ما يقول المؤرخ « هلّر » كل الثمرات الانسانية ، فنمت فيها الدراسات العليا التي رفضها جميع العالم الانساني وأهاح عنها ، حتى في القسطنطينية منذ عصر ليون الايزوريّ (٧١٧ م) .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الحق أنه منذ القرن العاشر الميلادي أخذ الفكر الأوربي في إسبانيا يتجه نحو سمت آخر . فاذ ذاك ترجم يوحنا الأشبيلي الكتاب المقدس الى العربية ، وقام الفارو Alfaro القرطبي يلوم بني جلدته على إنهم تركوا لغتهم وشريعتهم الى لغة العرب وشريعتهم، فأخذ الفكر الأوربي في إسبانيا ينمو ويكبر ويشب عن الطوق فظهر هنالك أيطون أسقف ثيش ولوبيت البرشلوني ، ورجل يقال له يوسف علّم أدلبيرو رئيس أساقفة ريمس ، وكلهم برّز في الرياضيات والفلك أخذاً عن العرب وآثار العرب .

٧ — العلوم الرياضية

أمّ اسبانيا في عصر ازدهارها بالثقافة العربيـة ، أولئك الذين تعطشوا للعلم وأمضّهم حب المعرفة . كان من أولئك دارس كبير النفس كبير العقل يدعى غربرط (ولد في أوفرني حوالي سنة ٩٣٠ ، وانتخب بابا سنة ٩٩٩ باسم سلفستر الثاني وتوفى سنة ١٠٠٣ م .) ولقد عرف بمخاطراته وعلمه وأدبه وما تحمل من المشاق في سبيل العلم وتحصيل المعرفة ، فدرس في مدارس فرنسا وايطاليا والمانيا من غير أن يقع على مبتغاه من العلم ومن غير أن يجد فيها ما يشبع نهمته الشديدة للمعرفة ، فهبط اسبانيـا حيث وجد ضالته من العلوم الطبيعيـة والرياضيّـة ، فنقل منها الى فرنسا وايطاليا والمانيا قدراً كان موضع اعجاب العلماء والمتعلمين ونشره في الأوساط العلميّـة فكان منهلها العذب وموردها الدافق . على أن روح ذلك العصر لم يكن ليترك رجـلاً مثل غربرط من غير أن يدمغه بأسطورة أو يحوطه بخرافة ، فقال بعضهم ان هذا الرجل قد حالف الشيطان .

* * *

ينسب إلى غربرط إنه أول من أدخل الأرقام العربية الى تلك البـلاد وانه أضاف الى الجبر والحسـاب بضعة مبادىء من وضعـه . ويقول المؤرخون انه أول من ركب ساعة تقيس الزمن .

على ان بعض المؤرخين يحاولون أن ينتقصوا الأثر العربي في ثقـافة غربرط ، فيقول بعضهم إنه لم يذهب الى قرطبة أو اشبيلية ، وهما من مراكز الثقافة العربية الـكبرى ، بل اقتصر على زيارة لمقاطعة قطالونيا طوّف فيها بانحاء ذلك الصقع طويلاً ، فان ذلك كله لم يحل بين المؤرخين ان يثبتوا انه مدين بكل معرفته للعرب ، وان معرفته الفذة التي كانت موضع اعجاب معـاصريه ، لا يمكن بل لا يتسنى أن يكون لهـا مصدر ، على ما يقول الثقة الثبت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« وليم أوف ملمسبوري » غير العرب وانها برمتها منقولة عنهم نقلاً لا تحوير فيه .

ان المثل الذي ضربه غربرط لأهل أوربا كان فذاً فائق الأثر ، فراحت جماعات من المتعلمين يؤمون المنهل الذي استسق منه . وكان منهم هرمنوس كونترا كتوس الالماني (المتوفي سنة ١٠٥٤ م) مؤلف كتاب « تأليف البوصلة » ، والانجليزي أدلارد (حوالي ١١٣٠ م) الذي ترجم اقليدس عن العربية ، والايطالي كومپانا نوفارا الذي نشر « نظرية السيارات » ومنهم دانيل مورلي ، واوتو الفريزنجي ، وهرمن الألماني وافلاطون التيڤولي . أما جرارد الكريموني فقد ترجم في طليطلة نفسها كتاب الخازن وترجم عن ابن سينا والرازي وأبي القاسم والمجسطي لبطلميوس ، لاعن الاغريقية ، ولكن عن العربية . ولقد جمع جيرارد من علوم العرب في طليطلة كل ما وصل الى يده في الرياضيات والطبيعة والفلك ، وحملها الى أهل أوربا . وفيه يقول مؤرخ ان جيرارد عاش في طليطلة وفيها لمع نجمه .

* * *

يقول المؤرخ مونتوكلا : كان العرب حفظة المعرفة والى نشاطهم التجاري ندين بأول أشعة من النور لمعت في سماء القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر . ثم يقول :

في خلال ذلك العصر استمد كل الذين برزوا في الرياضيات من العرب وعلوم العرب ونشئوا في احضانهم .

ومن الثابت ان كل الذين كتبوا من الأوربيين في العلوم المحضة قبل القرن الخامس عشر لم يأتوا بجديد لم يكن يعرفه العرب ، بل انهم نقلوا عن العرب نقلاً ، وقليلاً ما أضافوا إلى ما نقلوا . على ذلك كان ليوناردو داپيزا الايطالي ، وڤيتلّيُو البولندي ، وريموند لالي الاسباني ، وروجر باكون الانجليزي ، ثم أرنو ده ڤيلانيڤ الفرنسي ، الذي ينسب إليه انه استكشف كحول الخمر وزيت التربنتين وغيرهما من المركبات الكيميائية .

وكان كل ما في أوربا في ذلك العهد من علم الجغرافية قاصراً على ما قال به الادريسي من تقسيم الكرة سبعة أقاليم ، وفي القرن السابع عشر عند ما حقق أبو اسحاق ابراهيم بن يحيي بعض الأخطاء الجغرافية ونشرها ، اضطر ابراهام هنكلمان الى أن يقول : « إن أكثر ما نحن مدينون به من الفضل والتنور ، وما يدين به أخلافنا ، إنما يرجع الى العربية » .

على أن الزيج المعروف الذي ينسب الى الفونسو العاشر وكذلك ما ينسب اليه من كلام في الأفلاك والكرات ، إنما هو عبارة عن مجمل مما خلف العرب في علم الهيئة . لقد استمد هذا الملك الذي نعته أهل زمانه « بالعاقل » كل معرفته عن العرب ، ولقد تقدمت على يده

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلوم بما اشتق عن أولئك الأعراب فكان من حلقات الوصل بين نظام بطلميوس الفلكي وكوبرنيكوس . على ان الثابت أن الزيج الالفونسي إنما هو استمداد من مختلف الأزياج الفلكية التي خلفها العرب بلا أقل شبهة .

عند ما أراد لويس الرابع عشر أن يقيس الدرجة الأرضية على خط الزوال ليعرف بذلك حجم الأرض ، لم يكن يعرف أن الخليفة المأمون قد قام بنفس ذلك العمل قبل خمسة قرون في بغداد .

***

يقول بايلي : ان أول خطوة اتخذت في القرون الوسطى نحو احياء العلوم كانت ترجمة كتاب الفرغاني في « مبادىء الهيئة » أما الربي الاسباني « ابن عزرا » وقد نعت حيناً بالكبير ثم بالعاقل ثم بالباهر تقديراً لعلمه واعترافاً بما لكتابه « الكرة » من القيمة العلمية فقد ولد في طليطلة سنة ١١١٩م . وكان من الآخذين عن العرب في علم الهيئة ولقد نشر علم أساتذته الذين تلقى عنهم في أنحاء أوربا . وعن البتاني ، أكثر مما كان عن بطلميوس ، استمد العالم ساكروبوسكو (المعروف باسم يوحنا الهلوودي) مواد كتابه في « الكرات » . وعنه نقل المعلق يوهان مولر ، الذي علق على كتابات روجيو مونتانوس الفلكي العظيم ، أول ما عرف في العلم الأوربي عن مماسات محيط الدائرة . وعن الخازن أخذ كبلر فكرة الانكسار الجوي . وربما رجع الى العرب الفضل الذي استحقه نيوتن بكشفه عن نظام تجاذب الأجرام ، أكثر من رجوعه الى سقوط التفاحة في بستان . فلا ينبغي للمؤرخ أن ينسى أن فيما كتب محمد ابن موسى[1] شيئاً عن حركة الأجرام السماوية وشيئاً عن قوة الجذب . وفي ذلك ما يكفي .

***

٨ — علم الطب

إن تأثير العرب في كل فروع العلوم الطبيعية ومنها العلوم الكيميائية والطبية ، لا يقل ثباتاً في التاريخ الانساني ، منه في العلوم الرياضية . ولقد كان روجر باكون وريموند لالي

(١) ترجمت كتب محمد بن موسى ونشرت في مجموعة لاطينية معروفة باسم : Bibliot. arab. Philosophorum

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من تلاميذهم في علم الكيمياء ، وكانوا يسمونه « الصناعة الكبرى » ، كما كانا من تلاميذهم في علم العدد والحساب .

ولقد أخذ عنهم ألبرت ماغنوس فلسفة ارسطوطاليس وكان يدعى البرتوس ، وهو البرخت جروتوس أو جروس ، وقد ولد في سوابيا سنة ١١٩٣ ، وهو من الانسيكلوبيذيين المعروفين ، ومعلم القديس توماس اكوينوس أو توما الاكويني الذي سماه أهل زمانه ، كما سموا غربرط من قبل « بالساحر » .

وبعد سنة ١٦٠٠ ميلادية استطاع عالم نابه اسمه « فابريقيوس أكوابندنته » أن يقول في مؤلف له : « يرجع كل علمي إلى ثلاثة رجال سلوس من اللاتين ، وبولص الاجانيطي من الاغارقة ، وأبو القاسم من العرب » .

في عالم السماء برز البتاني . وفي عالم الأرض برز الادريسي . أما في عالم الطب فقد برز ابن سينا وابن رشد . وظل أثر هؤلاء قائماً في عالم المعرفة ستة قرون حتى انتهاء القرن السادس عشر الميلادي . على أن أثر ابن سينا في عالم المعرفة لم ينته بحلول القرن السابع عشر . فانه في القرن التاسع عشر نفسه ، ظهرت تعليقات على مؤلفاته في لوفان ومونبلييه في فرنسا .

ولقد اعترف بأثر العرب في هذا العلم كل كبار المؤرخين مثل بورهاف وهالـر ، ويقول بروكر : « حتى حلول عصر النهضة العلمية ، ظل ابن سينا ، لا في دوائر العرب فحسب بل في دوائر أوربا المسيحية ، الحاكم بأمره في عالم العقل » . وفي أوائل القرن الثالث عشر نقل الدكتور البرتغالي بدروجوان الذي كان رئيس أساقفة « براغا » ثم بابا باسم يوحنا الحادي والعشرين ، عن العرب كتابه المسمى « كنز المساكين » أو « دواء جميع الأمراض » ، ومقالته في « الصحة » ، ومقالته في « تكوين الانسان » ، حيث احتذاهم ولم ينحرف عنهم قيد شعرة .

ومن اسبانيا خرج جميع أطباء أوربا اطلاقاً ، وعنهم انتشر حب العلم الصرف وذاعت فوائده .

يقول هالر : ان الأطباء الاسبانيين في أثناء ذلك العصر الذين كان بنو جلدتهم يستردون من العرب أرض اسبانيا شيئاً بعد شيء ، استطاعوا أن ينقلوا الى أهل ايطاليا حب الآداب والعلوم » . وفي اسبانيا درس الأطباء اليهود الذين عرفوا في أنحاء أوربا بتبريزهم في صناعة شفاء الأمراض ، ومن ثمة نقلوا ثمرات العلم الى جوف أوربا . ولقد اتخذ الملوك والبابوات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أطباءهم من اليهود . ومن الأمثلة على ذلك أن طبيب الفونسو المقاتل ملك أراجون وإسمه بدرو الفونسو ، كان يهوديًّا فاستنصر . وكذلك بولس ريفيوس طبيب الامبراطور مكسمليان الأول ، كان يهوديًّا وظل كذلك ، وقد درس في اسبانيا حيث ترجم كتاب أبو القاسم وهو كتاب قال فيه « هالر » انه « النبع العام » في صناعة الطب

وقد انحدر الينا ان العرب أجروا كثيراً من العمليات الجراحية لم يكن يعرفها القدماء كما أضافوا الى الصيدلة بضعة مركبات كيماوية ذات أثر كبير في تقدم ذلك العلم .

* * *

إذا أغضينا عن ذلك كله ، قام عندنا دليل آخر على ما كان للعرب في علم الطب من أثر ورثته أوربا ، في أن جامعة « سالرنو » التي انتشرت براعجها في جميع انحاء أوربا ، إنما يرجع انشاؤها الى العرب .

يقول مؤرخ : عند ما استرد روبرت جسكارد النورماني (سنة ١٠٠٠ م) مدينة سالرنو من القوم الذين يقال لهم العرب الذين احتلوا جنوبي إيطاليا أكثر من قرنين من الزمان ، وجد هنالك مدرسة تعلم الطب أسسها أولئك الكفار . ولقد دلته حكمته على أن يحتفظ بها وأن يؤيدها بالمال والنفوذ وجعل رئاستها لرجل يدعى قسطنطين أفريقانوس (أي الافريقي) ، وكان من بربر قرطاجة أوقمته أسفاره ومخاطراته ، كالادريسي ، في يد النورمانيين بصقلية . وقد ألبسه قلنسوة الرهبان في دير جبل كسينو الراهب المشهور دسيدريوس الذي صار فيما بعد البابا فيكتور الثالث .وعند أوبته ترجم الى اللاطينية كل ما وقع اليه من كتب بني جلدته في صناعة التطبيب ، ثم ختم أعماله بتأسيس مدرسة سالرنو الطبية واليه يرجع الفضل في وضع كل المبادىء السالرنية في الطب وعنه أخذت.

وكذلك جامعة مونبلييه الفرنسية . فانها تعود في أصلها الى أهل أراجون (سنة ١٢٠٠ أو حوالي ذلك) الذين أخذوا عن العرب . ففضل ما نقل اليها من العلم يعود الى العرب بطريق غير مباشر . ولقد كان العرب معلمو ذلك الزمان غير منازعين .

اسماعيل مظهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوردة

قد حفَّها الشوك محتدّاً ومحتدماً   تخالها أملاً مستشعراً ألما

وما اقتنت شوكها يوماً لتجعله   جنداً ، كما زعمته الناس ، أو خدما

ولا لتجعل من أوراقها صحفاً   تخط فيها ، ومن أشواكها قلما

وإنما هي أرحام قد اتصلت   ووردة الروض ليست تقطع الرحما

لبّت ولم يدعُها داع ، وكم رجل   أرحامه قد دعته فادّعى الصمما

رقيقة ، لو أجاب الله لي طلباً   منها لقلت استحيلي في فمي كلِما

لم أدر هل سال في أوراقها شفقٌ   أم أودع الله في أوراقها ضرما ؟

أم الندى وغدير النيل ما بلغا   مدى صداها فاسقاها الربيع دَما ؟

أم نوديتْ هي والشوك الملم بها   أن مَثّلا الشهوة الحمراء والندما ؟

أميرةُ الروض ، لكن لا تصانُ ولا   يحمى لها في إمارات الرياض حمى

يا غصنها فيم تدنيها لقاطفها ؟   لا شك في أن كلاً منكما ظَلما

قل لي بربك : هل أدنيتها عبثاً ؟   أم خيفةً ، أم وفاءً منك ، أم كرما ؟

لو أنني غصنها ما كنت أسلمها   إلى « ابن آدم » مهما اعتزّ واعتزما

بل كنت أنأى بها في الجوّ متهماً   هذا الذي قد مشى في الأرض ملتهما

شاعر البرارى

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

المدرسة المثلى

والتعليم الذاتي

المدرسة المثلى هي المدرسة التي لا يمكث فيها الزائر بضع دقائق حتى يشعر بأن محيطها مختلف جد الاختلاف عن باقي المدارس في الغاية والنتيجة : فغايتها أسمى من غايات باقي المدارس ، ونتائجها أرق ، فهي لا تعمل للامتحان أو الاعتزاز بالظواهر . وفي هذه المدرسة عدد كبير من الطلاب وعدد كاف من المعلمين وبها ملعب وحديقة ، ومسرح ومكتبة .

أول خصائص هـذه المدرسة منظر الطلاب ونشاطهم ، وعلى وجوههم نضرة النعيم ، بعيدين عن الكسل والخمول . فإن مقتبل العمر هو سن الحركة والنشاط ، كما تجده حواليك في الطبيعة . إذن فمصـدر الخمول هو المعلم الممل : ويقاس الفرق بين طالبين في ذلك ، بنسبة مقدرتهما على تحمل الملل الذي يعرض لهما في المدرسة بسبب عقم طرق التعليم ، فالطالب الذي يتحمل أكثر من غيره يكون نشيطاً ، والطالب الذي لا يتحمل يكون خاملاً .

الخصـيصة الثانية : هي حركة الطلاب الدائمة خلافاً للسكون المعتاد في المدارس الأخرى التي نرى فيها الطـلاب ينهكون قواهم في مزاولة أشياء متعبة ، كالإصغاء المتقطع بالتثاؤب لسماع درس التاريخ أو الجغرافيا أو العلوم أو غيرها من الدروس ؛ أو ينجزون عملاً لا قيمة له كحل مسائل رياضية ميكانيكية أو الرسم عن نماذج أو نسخ قطع الإنشـاء عن اللوح الاسود . أما في هذه المدرسة فكل طالب مشغول بشيء يهتم به ، ويجهد نفسه لفهمه أو حلـه ، وفي هذا حفظ لنشاطه وتجديد لسروره ، — ألم يقل أرسطو إن النشاط الحر المطلق عامل ضروري في السعادة والسرور ؟

والخصيصة الثالثة : أن ما يجري في هذه المدرسة جميعه يعبر عن النفس — فالطفل ماثل وراء ما يعمله ، وتلمح دائماً شخصيته في مداركها وتعابيرها من مخارج عدة ، وهي متنوعة وكثيرة وميسرة كل التيسير في هذه المدرسة المثلى فمنها : —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أولاً — المحادثة : وتكون بالتعبير الحر عن النفس وإبداء الرأي وطرح الأسئلة والمناظرة

ثانياً — الانشاء الخطي بأنواعه ، ويكون باختصار الدروس بلغة الطالب وانتقاء الملاحظات، ووصف الطبيعة ، وكتابة قصص قصيرة ، وتحويل الشعر الى النثر ، والنثر إلى الشعر

ثالثاً — القراءة الجهرية ، وهي التلاوة على الجمهور بصوت عال ، فيقرأ الطالب بفهم وروية على باقي الطلاب كأنه المعلم ، وترى الطلاب يصغون له بشوق ولذة .

رابعاً — الالقاء — ويشمل إلقاء القصائد المختارة والقطع النثرية والأمثال السائرة والنوادر والملح والفكاهات .

خامساً — الغناء ويكون بإنشاد القطع الشعرية القديمة والحديثة .

سادساً — الرقص التمثيلي ويكون بتمثيل روايات قصيرة بحركات فنية منسجمة .

سابعاً — الرقص البدوي وهو عبارة عن الدبكة وغيرها .

ثامناً — التمثيل ويكون بتمثيل بعض الروايات الشعرية أو النثرية ، ويكون بتمثيل بعض الدروس كالتاريخ والجغرافيا وحتى الحساب .

تاسعاً — الرسم بقلم الرصاص أو الطباشير الملوّن أو الزيت .

عاشراً — العمل اليدوي .

الحادي عشر — البستنة: وهي درس الحياة النباتية والدّواجن وهي درس حياة الحيوان .

الثاني عشر — النجارة ومجالها واسع في صنع الأشياء النافعة الضرورية كالرفوف والمكاتب والخزائن والكراسي والمناضد والمقاعد .

الثالث عشر — الطهي وهو خاص بمدارس البنات .

الرابع عشر — الخياطة والتطريز وشغل الإبرة والصوف وهذه أيضاً خاصة بمدارس الإناث.

ففي هذه الأعمال وما شابهها كلها يقف الطفل غير هياب ولا وجل ، ويظهر نفسه وينطق مداركه الكامنة ، فينبذ أثر التدليس من أعماله ويخلص في انجازها ، وأما المعلمون فعليهم أن يساعدوا الطلاب على تهذيب أنفسهم بأنفسهم فيقدمون لهم أشياء ثلاثة لارابع لها :— الرغبة والارشاد والمادة ، وعلى الطلاب البقية من الجد والعمل والاعتماد على النفس — فهذا طريق غير ذي عوج ، وهذا هو الطريق المستقيم فمن سلكه اهتدى وكان النجاح حليفه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أساس هذه المدرسة التعليم الذاتي أو تعليم النفس بالنفس : وهو أساس متين لا تنهار دعائمه ، وهو ما يعوز مدارسنا في المدن والقرى . وأعمال هـذه المدرسة تدل على أن النمو يأتي من الداخل ولا يمكن أن يوضع من الخارج ، وان النفس تنمو داخليـًا وبواسطة نموها تتسع قوى المدارك وتتجلى قوة التعبير ، وعلى هـذا يكون واجب المعلم أولاً وآخراً : أن يشجع النمو — أي التعبير الذاتي .

لنفصل القول الآن في كيفية أو طريقة تدريس بعض المواضيع في هذه المدرسة المثلى : يُـدرس التـاريخ بواسطة التمثيل ، فاذا ما مرَّ الطلاب بحادث مهم يمكن تمثيله يشرعون في ذلك بلا تردد فيراجعون الـكتب والحـكايات التاريخية والمراجع الاخرى حتى إذا ما ملكوا ناصية الموضـوع بدأوا في نسج الرواية واعداد الثيـاب وغير ذلك . ثم يمثلون المشهد والمعلمون يشجعونهم ويشوّقونهم ويرشدونهم ويساعدونهم واخوانهم الباقون ممن لم يشتركوا في التمثيل ينظرون إلى المشهد وكتبهم أمامهم ، ومن وقت لآخر يصفقون استحساناً لما يبديه زملاؤهم ، وعلى هذا يفهم جميع الطلاب الدرس بشوق ونشاط زائدين ، وإذا طلب المعلم من فرقة أخرى أن تمثل درساً ما فلا تتأخر ، فالـكل مستعد للقيـام بما يطلب منه : ففي مثل هذه الحال نجد لدرس التاريخ تأثيراً كبيراً على الطلاب ، كما انه يعود عليهم بالنفع العظيم إذ تمكث الحقائق التاريخية ماثلة أمامهم . وأما في مدارسنا الحاضرة فالحقائق التي ينقلها الطالب مملة لانه يصرف ساعاته الطوال في سماع المعلم يتلو أخبار الاولين والآخرين ، فتدخل هـذه الأخبار من أذن وتخرج من الأخرى : وما أشد تلذذ الطالب بالدرس الذي يمثل أمامه ! وما أروع ما يفهم من روحه ، وما يدرك من حقائقه ! على أن التمثيل يدرّب قوتين كامنتين في الطلاب : وهما التخيل والحنان .

درس العلوم درس بارز في هـذه المدرسة ، فاذا ما أعطي الطلاب درساً عن موضوع كورق الشجر ، يأتي كل طالب بأوراق تساعده على دراسته ، وما على المعلم إلاَّ أن يطلب من كل طالب ان يلاحظ الورقة ، ثم يخبر المعلم عن ملاحظاته ، فنجد الطلاب يظهرون قواهم الكامنة من حيث الطبيعـة ، ويتدرّج معهم المعلم في الدرس بالسـؤال والجواب حتى يصل الطلاب إلى نتيجة مرضية ، فيحيطون علماً بمعرفتها وتقوى قوة الملاحظة فيهم . وهنـالك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جولات للطلاب والمعلمين في الحقول والحدائق والبساتين يقيد فيها كل طالب ما يلاحظه في دفتر خاص ، ويرسم الرسوم للايضاح ، وفوق كل ذلك يطلب المعلمون من الطلاب أن يفتشوا عن أشعار تصف الاشياء الجميلة التي يدرسونها في درس العلوم ، وهكذا يصبح درس العلوم أميل الى إنماء العاطفة بحياة الغير ودرس الطبيعة أكثر منه إلى حشو الدماغ. وبالجملة إلى الاعجاب بكل ما هو حسن وجميل ، وسأتحدث لكم على ذكر الاعجاب عن درس الرسم وأهميته في هذه المدرسة فأقول : —

إن ابراز النتائج الظاهرة أمر لا يُهتم به في هذه المدرسة ، وقد يوجد ذلك ضرورة في الرسم لأن الفنان ينظر إلى النتائج المرسومة ، ومنها يقرأ أفكار الطفل الروحية الداخلية : وقد فحص أحد الفنانين عمل الطلاب في هذه المدرسة فوجده جيداً جداً ، مع ان المعلمين لا يعرفون الرسم كما يجب، وقد تعلمه الطلاب من أنفسهم فمهروا فيه . واليكم تقرير الفنان الذي زار هذه المدرسة : « لقد وصل الرسم في هذه المدرسة إلى أرقى درجة ممكنة لأن النتائج تعبر عن آراء الطلاب أنفسهم ولم تستعمل النماذج للرسم في هذه المدرسة ، فالطلاب يختارون نماذجهم بأنفسهم ويعتمدون على مداركهم ولا يبالون بالخطأ كما يُرى في غيرها من المدارس فكل طالب ينتقد نفسه بنفسه» ، وقد قال لي مدير المدرسة ما يأتي : « أعطيت كل طالب ورقة من شجر ما وقلت لهم : انعموا النظر فيها . ثم تحدثنا عن خصائصها حيناً ، وبعد ذلك طلبت منهم رسمها ، ولما فحصت النتائج وجدت فيها خطأ كثيراً ، فلم أقل للطلاب أخطأتم ولم أذهب الى اللوح الأسود لأبين الخطأ ، بل قلت : هل رسمكم في هذا القسم مثل الورق ؟ فقالوا : لا . فقلت : إذن ما هو الفرق ؟ فوجدنا الفرق ثم قلت : وكيف يمكنكم أن تغيروه ليصبح مثل الورقة نفسها ؟ وهكذا الى أن وصلنا الى النتيجة المطلوبة ، وبذا جعلت الطلاب يلاحظون خطأهم بأنفسهم ولم أبينه لهم . وأشار الفنان بعد فحص رسوم الطلاب الى انه وجدهم يعرفون كيف يستعملون الالوان ، وانهم تدربوا على ذلك من أنفسهم ، وان المعلمين أخبروه أن بعضهم يذهبون الى ضفة النهر ليشاهدوا المناظر الجميلة فتثير فيهم الشعور بالجمال ، فلا يجدون طريقاً أقرب للتعبير عن ذلك الآ برسمها : فهل من برهان أوضح على على أن تعليم النفس بالنفس هو الطريق الى النجاح» .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذا شيء عن التدريب العقلي في هذه المدرسة ، ولكن نفس الطفل لا يمكن أن تقسم الى أقسام : فتدريب عقل الطفل يؤثر على نموه الخلقي .

ولقد مضى وقت كان يعطي فيه المدرسة منحة خاصة على حسن النظام فيها ، وكان المفتشون يكتبون التقارير المفصلة عن ذلك ، فهذا أمرٌ غريب عجيب في تفسير غاية التربية والتعليم ، وإذا أردنا أن نكتب تقريراً عن نظام هذه المدرسة فيكون باختصار ، اذ لا نظام للمدرسة ، ولا حاجة اليها به لأن حب الطالب لمعلميه ولمدرسته يوثق عرى النظام والمحبة ولا يترك له مجالاً للتفكير في الخبائث ومخالفة النظام ، وحيثما توجد المحبة والاخلاص ، فلا مجال للخبث والغش ، ولا المراآة والخديعة لأن القوى المضغوط عليها هي التي تنفجر الى أعمال خبيثة حتى إذا لم تسير في طريق الخير والمحبة ، المحبة في هذه المدرسة نور ساطع والسرور انعكاسه : حدث يوماً أن كان معلم في المستشفى ، ومرض معلمان ، وتأخر بقية المعلمين والمدير لسبب ما نصف ساعة ، فأصبحت المدرسة خالية من المعلمين وعند ما وصل المدير الى المدرسة وجد الطلاب جالسين في صفوفهم يؤدون فروضهم حسب جدول الدروس كما لو كان معلمهم الى جانبهم ، وناب بعض الطلاب الكبار في الصفوف الصغيرة عن معلميهم ، واهتموا بها فكانت المدرسة سائرة بهدوء ونظام : من هذا الحادث تبين أن التعليم الذاتي يحمل معه الآداب والنظام المدرسي ، وإذا كان لا لزوم للقصاص في هذه المدرسة ، فانه لا حاجة للمكافأة أيضاً لأن كل طالب يجد سروره في عمله ، ونخره في مدرسته ، واحترامه في معلميه . ولا يسعى ليبرّز على رفيقه .

إن التعليم عدوُّ الانانية ، وغايته كما قلنا مساعدة النمو ، فهدفنا إذن أن نساعد الفرد على أن يتعدّى محيط فرديته ويهرب من نفسه الصغيرة : تدخل الأشياء التي تحيط بنا إلى أنفسنا وتصبح ملكاً لنا عن طريق المدارك الشعورية ، وبوساطة المدارك التعبيرية نخرج من أنفسنا إلى الأشياء التي تحيط بنا ، وهذان العاملان هما المظهران البارزان في التعليم الذاتي — فالتعليم الذاتي يوسع النفس ، ثم يسعى في نسيانها ، ويظهر حس الشعور الأخوي ، وأخيراً يوصلنا إلى السعادة الأبدية — الى مقت الانانية : هذا ما يقوم به التعليم في هذه المدرسة المثلى ، وكل طالب فيها سعيد بنفسه ، لا يهتم أن يتفوّق على غيره ، أو ينال جائزة ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لأنهم لا يحبون أن يجعلوا من غيرهم مطايا لهم : ومن برز منهم في درس أو أمر ساعد إخوانه المقصرين ليرتقي عمل مجموع الصف في كل درس أو شيء .

المتأخرون في دروسهم لا تثبط عزائمهم بتقصيرهم ، والمتقدمون في دروسهم لا يفاخرون بتقدمهم ! فمن المقصر الى المتقدم نجد كلاً جاداً في عمله مسروراً به . وحبذا نفحة من هذه المدرسة تهب على مدارسنا فتنسي الطلاب حب النفس والغرور ، لأن حسن الأدب في المعاملة هو الغاية القصوى من تعلم الفضائل . فاذا أصبح محيط المدرسة بروح الوداد والإيثار ، والأخلاق الجيدة ، والخصال الحميدة بين الطلاب من نفسهم ، ساد اللطف بينهم ، وهو في حدّ ذاته إنكار الذات والاهتمام بالآخرين في جميع أعمالنا الاجتماعية .

يرى الزائر لهذه المدرسة التأهيل والترحيب به من كل فرد فيها كأنه صديق حميم ، أو رفيق كريم ، فهم يظهرون له كل لطف واعتناء ، وليس في ذلك تكلف لأنهم تدربوا عليه فأصبح مغروساً في طباعهم — أي أصبح طبيعة ثانية ، وإذا جاء هذه المدرسة مفتش تجتمع الطلاّب حوله يداعبونه بكل احترام وإعزاز ، ولا يني أو يتأخر الطلاّب الكبار عن مصافحته والسير معه أو تشييعه الى باب المدرسة

ومن مظاهر هذه المدرسة التي انفردت بها حب الجمال ، فيتجوّل الطلاب في البراري والحقول ، في الحدائق والبساتين ، مصطحبين دفاتر الرسم ، يرسمون فيها ما يناسب ذوقهم ، وما هو جميل في أعينهم . ومن أخبار هذه المدرسة أن طالباً في يوم من أيام الشتاء كان جالساً في غرفته فأطلّت الشمس عليه من وراء السحب ، فهبّ من فراشه وأخذ قلمه ودفتر رسمه ، ورسم هذا المنظر الجميل ، فكان حس الطفل في التعبير عن المنظر السماوي عجيباً ، وكانت اللوحة آية في الابداع .

وأما الرّقص البدوي أو الريفي والغناء في هذه المدرسة فحدّث عنها ولا حرج ، لأنهما الظاهرة الخارجية لما تكنه بواطن الطلاب ، وهما دليلا السرور والفرح ، وابتهاج النفس والمرح : وترى الطلاّب في غدوهم ورواحهم في الأرياف والجبال ينظمون الحلقات ويشرعون بالرقص والغناء ، وإذا وجدوا أولاداً صغاراً في طريقهم أخذوهم من أيديهم ودرّبوهم على ذلك وأدخلوا السرور الى نفوسهم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإذا مثّل طلاب هذه المدرسة رواية فلا يتدربون على تمثيلها كثيراً ، وذلك لأنهم أخرجوها بأنفسهم فتكون نتيجة التمثيل جيدة يعجب لها الحاضرون : وصفوة القول أن هذه المدرسة فريدة في بابها عزيزة على طلابها يتعلمون فيها من أنفسهم تحت ارشاد معلميهم ويجيدون ما يتعلمونه لأن الدافع إليه من الداخل .

ما هي المبادىء التي نتعلمها من هذه المدرسة ؟ إن تلك المبادىء كثيرة منها : —

أولاً — إن التعليم الحقيقي هو تعليم النفس بنفسها — أي التعليم الذاتي — وهو يحتاج لإظهار مكنونات النفس بانتظام . فمنذ ٢٥٠٠ عام علّم ارسطو — أكبر معلم رآه العالم — مريديه إن طريق الخلاص يكون في سلوك سبيل نمو النفس . يقدر علماء التربية والتعليم أن يضعوا المبادىء الكثيرة ، ولكنهم لا يمكنهم أن يتقدموا خطوة واحدة مما في هذه الحقيقة . فالنمو حيث الحياة ، وجوهر النمو هو الاتساع الداخلي ، فجميع ما يوصل الى الكمال أصيل في كل إنسان وما عليه إلا أن يتحقق ذلك في نفسه ويسعى اليه .

إن فلسفة التربية والتعليم العملية موجودة فيما تقدم من هذه النظريات ، فما دمنا نتردد في الاعتقاد بصدقها والإيمان بحقائقها ، نكون قد أسأنا الى أنفسنا برعاية النتائج والظواهر الخارجية ، وجهلنا ما هو سر الحياة والنمو . إنه لمن السهل أن نعتقد بمبدإ التعليم الذاتي ونؤمن به ، غير انه من الصعب أن نتمثل معناه الداخلي والخفي .

إن الحلقات التي يقدر بها نمو كل شجرة من سنة لأخرى هي ذلك الاتساع الداخلي لتلك الشجرة ، وهو موجود في داخلها . نحن نفكر دائماً بشأن التعليم ، ونحن نسن نظاماً له وقوانين ونقيد غيرنا بقواعد كلية وارشادات عامة ، ظانين ان حلقات نمو النفس تأتي من الخارج — إن هذا إلا وهم وتضليل ، وغش للنفس ليس بالقليل .

إذا فرضنا ان المبادىء التي تسير عليها هذه المدرسة المثلى صحيحة فكيف يمكننا أن نعمل بها ؟ السر في السكان لا في المكان ، السر في المعلمين لا في المتعلمين . فهل معلمو هذه المدرسة قد نزلوا من السماء ، وقد انطبعت شخصيتهم على المدرسة فجعلتها مدرسة مثلى : وأمثال هؤلاء المعلمين كثير بين المعلمين في جميع المدارس ، إذن كيف نكوّن مثل هذه المدرسة المثلى ؟ هذا سؤال عويص أقدر ان أجيب عليه بما يأتي : —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — إنني لا أظن ان معلمي هذه المدرسة قد نزلوا من السماء حقاً ، أما ان لهم شخصية ممتازة ومغناطيسية، فذلك مما لا ريب فيه ، إذ ان هذه القوى المغناطيسية كامنة في كل واحد منا ، وأما ان لهؤلاء المعلمين مواهب طبيعية فذلك مما لا مرية فيه أيضاً — فالشخصية البارزة والموهبة الطبيعية قد كوّنتا هؤلاء المعلمين فأصبحوا مُثلاً عليا للارشاد والتعليم الذاتي . ولقد أسعد الحظ هؤلاء المعلمين فأوجدهم في مكان لائق لاخراج الكوامن ، واتباع الطريق التي اختطوها فأوجدوا مدرسة مثلى — مدرسة نموذجية — سينقل عنها العالم بأسره ، وسيكون لها شأن عظيم في كل اقليم ، وستنتشر مبادؤها في القريب العاجل ، وقد شرعت المدارس الابتدائية في بلاد الانكليز باتباع تعاليمها والسير بموجبها . وقد سرت العدوى منها إلى أكثر المدارس — وطرق التعليم كالمرض تسري بالعدوى ، فاذا أصبح التعليم الذاتي وحده متبعاً في جميع مدارسنا تمت الفائدة المنشودة ، وحصل المطلوب ، ولكن ما الذي يقف حجر عثرة في تغيير النظام الحالي في التعليم ؟ إنه ليس الامتحانات والنتائج الخارجية فقط ، بل الاصول المتبعة نفسها — إن الاتجاه نحو التغيير المطلوب هو ما تسعى وراءه البلاد المتمدنة بعد هذه الحرب التي لم تبق ولم تذر ، والتي دكت معالم وحصوناً ، ودرست تعاليماً وأصولاً ولكن مهما أتقنّا أو أكملنا أحوالنا جاءت معقدة عقيمة لأن هنالك نزاعاً قديماً في نفس كل انسان — نزاعاً بين الجمود والحياة . قد نظن أن ايجاد أنظمة وقواعد للتربية والتعليم ممكن نظرياً ولكن الحقيقة غير ذلك ، فيغلب أن يقوم الواحد منا بعمل غيره عن طريق التدخل : وأضرب مثالاً لذلك بأن نجد المفتشين يتدخلون أحياناً في شؤون المديرين ، والمديرين يتدخلون في شؤون المعلمين ، فيرتب المفتشون المناهج ، ويقررون ساعات العمل حتى انهم ينظمون جداول ترتيب الدروس ، وكذلك يعينون العمل والمادة التي يجب أن تدرس في كل فصل . واما المعلمون فيتحددون حتى لا يدعون للطلاب مجالاً يعملون فيه شيئاً من أنفسهم ، بل هم رقباء عليهم ، وعلى هذا يصبح المرء مساعداً ومسيراً في جميع أعماله ، فيتعطل الاعتماد على النفس وتقضى على آثار الاستقلال الذاتي كما وجدنا فيما تقدم وهو ان المدارس تسعى وراء الظواهر واتمام المناهج والامتحانات والعلامات وتحضير الدروس : قلنا ان الاعمال الآلية قد أخذت تخلف الاعمال النفسية ، وقلنا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن مظاهر التعليم الخارجية التي استولت على المدارس حتى أصبحت الغاية المقصودة التي يجري وراءها المفتش والمدير والمعلم والتلميذ هي اجتياز في الامتحان والحصول على العلامات الجيدة ، بينما نجد النمو الداخلي في الطلاب وهو الضالة المنشودة -- مهملاً كل الاهمال ولا يعتد به ، بل يقيد بالحركات والاعمال الآلية أي الميكانيكية . والذي هو أدهى من هذا وأمرّ أن المعلمين الذين تخرّجوا كالآلة المسيرة سيخرجون طلاباً مثلهم مضطرين مسيرين في حياتهم . فالأمل ضئيل والطريق مظلم والخلاص صعب ومستمر إلا إذا مشينا مشية الليث ،وسعينا المسعى الحثيث،سعي الجاد المشمر، ونظرنا إلى المستقبل نظرة المتفائل وقلنا : إن غداً لناظره قريب ، ولولا الأمل لبطل العمل .

نأمل أن تتلاشى موجة الفحوص الجارفة في الصفوف الابتدائية وتنجلي عن الطلاب أوضارها لأن ليس أضر على نفوس الطلاب الصغار من تعرضهم للامتحانات وهولها — هذه الآفة التي لا بد منها والتي هي شر في حد ذاتها .

لقد تقرر أخيراً في البلاد المتمدنة اعفاء الطلاب الصغار من الامتحانات ومن شبحها المخيف الذي يلازم الطالب الصغير وعما قريب سوف يتقرر اعفاء طلاب المدارس الابتدائية منها الا في السنة السابعة وهي الأخيرة من سني دراستهم في المدارس الابتدائية — فهذا يبشر بالنجاح الباهر وبالأمل الزاهر . إننا نرغب أن يفسح المجال للمعلم الغيور النشيط في عمله ليخطو الى الامام بقدم ثابتة وعزيمة قوية وراء غايته المنشودة . ولن يأتي التقدم في التربيـة والتعليم بعد اليوم من المراقبـة الشديدة ، وما مصدره الا المدارس التي يتلألأ فيهـا نور الحقيقـة — نور التعليم الحقيقي أو الذاتي — وإن بعد الفجر صبحاً ، وان بعد العسر يسراً .

اذا أردنا أن تكون مدارسنا مبعث النور الهادي في ظلمات هذه الحياة المطبقة، وجب علينا أن نترك المعلمين وشأنهم — أن ندعهم يخطون خطواتهم الواسعـة ، ويسيرون في طريقهم المعبد الذي سيؤدي الى النجاح ان شاء الله . ستقولون إن رحلاتي لأوربا لا سيما لانكلترا وزياراتي لمدارسها في المدن والقرى وشهودي التدريب والدرس وتخصصي في التربية والتعليم وفي الـكشافة والرياضة البدنية واللغة الانكليزية ، قد جعلتني متشائماً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أنمي على بلادي ما أجده فيها من الأساليب السقيمة والطرق القديمة . كلاّ . فقد صيرتني هذه الرحلات والاختبارات متفائلاً أكثر من ذي قبل . فلقد تعلمت من المدارس الكثيرة التي زرتها أن في كل معلم وطفل قوى كامنة ، وانه من السهل ابراز هذه القوى فيهما واستخدامها . فالتفاؤل لا التشاؤم هو ما يحدو المرء لرفع مستوى المقدرة أو المعرفة البشرية ، وان موجة واحدة من الفكر والسرور قد ترتفع بنا إلى أوج العلياء ، على أنه يجب ألاّ نقنط إذا تأخر مجيؤها أو إن لم تعم على طول الساحل ، وهذه الموجة وإن تأخرت آتية لا ريب في مجيئها ، وستتدرّج بالتدفق الينا حتى تشمل الساحل وتطم على الداخل ، واني متفائل جد التفاؤل ، والتفاؤل يفعم قلبي والأمل يزيدني وثوقاً في أن نفوس المعلمين والمطبوعين المخلوقين ستدأب وتتعب ، وتسعى وترغب :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد الى قليل تقنع

لا شك في أن النفوس المستبشرة ستسير بالطلاب الى حيث النشاط والسرور ، الى حيث السعادة والحبور ، ما دمنا نعلم أن التعليم اليوم هو غيره بالأمس ، وأن ما يتعلمه الطالب من نفسه هو الذي يثبت وينفع ، وهو الذي يفيد ويمتع ، وهو الذي يجلب الخير ويمهد الطريق ويجعل الحياة لذيذة والعيش رغداً والتعليم سهلاً .

إذا اقتنع كل معلم بأنه صاحب رسالة أخلص في عمله مهما ضؤلت عمالته ، ومهما ساءت حالته ، لأنه قبل أن يكون نبراساً وأن يكون الشمعة التي تحرق نفسها لتضيء على غيرها ، وأخذ دائماً وأبداً يردد : فأما الزبدُ فيذهبُ جفاءً ، وأمّا ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض .

مسكين المعلم المخلص فانّ مثله كمثل النبي صاحب الرسالة يلاقي ما لاقى من العذاب ، ولكن يجب أن يصبر ويتحمل كل أذى ، فلقد أجاد المرحوم شوقي طيب الله ثراه حيث قال :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشيء أنفساً وعقولا
يا أرض مذ فقد المعلم نفسه بين الشموس وبين شرقك حيلا

فيأيها المعلمون المخلصون ! يأيها المعلمون الحقيقيون ! أصبروا وصابروا ، ولا تقنطوا من رحمة الله ، فالله بكل شيء عليم ، وسيأتي اليوم الذي يقدر فيه عملكم ، وترفع درجتكم الى المقام اللائق بكم ، وليس ذلك اليوم ببعيد ، وليس ذلك بعزيز على الجامعة العربية التي ستعمل على توحيد الثقافة في جميع الأقطار العربية ، والله من وراء القصد ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

يافا — فلسطين شريف النشاشيبي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحمامة الطائشة

ضربت بقادمة الجناح ضحىً صدر الفضاء وحلّقت صعدا
فكأنها في الجو حين علت نتف الغمام تناثرت بددا
ويخالها من راح يرصدها إذ حوّمت في الأفق سهم ردى
والريح تدفعهـا وتقذفهـا قذف السفين تلاطم الزبدا
إن أسرعت أبصرت عاصفة في جنح ليل جاش مطردا
وإذا ونت خطرت كغانية راحت تجر مطارفاً جُدُدا
نشرت جناحيها كمروحـةٍ والذيل لم ينفك منعقدا
وترف حيناً بالجناح كما رفّ الشراع مصفقاً غردا
أو كالخزامى حين باكرها من ريّـق الاصباح صوب ندى

***

درجت تباري الريح غافلة عما أعدّ لها القضاء غدا
والريح كالثكلى اذا ادركت ولداً فراحت تندب الولدا
والسحب في الآفاق حائرة كفراشة درجت بدون هدى
أو كالسقيمْ اذا تملكه من يأسه ما استنفذ الجلدا
والليل — جياشاً ومضطرباً — بحرٌ طغا أو خافقٌ وجدا

وحمامة الأيك المهتوف على غرب الرياح كتائهٍ شردا
القت لداعي الجهل طائعة لما دعا بزمامها فندا
ومضت وراء الغي عاكفة لا تستبين النصح والرشدا

***

هل أنت غير حمامة نزحت عن دوحة تطوي الفضاء سدى
قدمت للأحلام طائعة قلباً وأعطيت الهوى جسدا
ووهبت ثغرك غير آثمة للحب حين بك الغرام حدا
فتفتح الصدر الاجوج ضحى عن برعم النهدين مرتعدا
لم تمسكي عن لذةٍ عرضت كف البخيل وما قبضت يدا
تجرين خلف هواك تائهة عجلى كمأموم اذا وخدا
عيناك متعبتان من صور لهواجس لا تنتهي أبدا
أمل يكاد يشع بارقه في طرفك الوسنان متقدا
ومطامع في الصدر من ظمإٍ كالنار كادت تحرق الكبدا

***

بدمي وروحي طيش من درجت كفراشة تطوي الفضاء سدى
إني لأهوى كل طائفة ضلت وقد نزحت عن أيكها الجددا

دمشق عدنان مردم بك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحرب تؤدي
الى الحرب

كل حرب ناتجة من حرب أو حروب سابقة ومؤدية الى حرب مستقبلة ما دامت المنافسة سنة العمران وما دامت الأمم تختلف في مقدار قوتها وبأسها ونظامها ، وأوضح ما تكون هذه الحقيقة في الحروب العالمية الكبيرة التي تخلف مشكلات واسعة النطاق ولكنها تصدق أيضاً في الحروب الصغيرة . وإن خفيت وغمضت أحياناً . وقد تكون تأدية الحرب الى الحرب بطريقة غير مقصودة وبعيدة عن أغراضها . أو قد تكون بطريقة متصلة بأسبابها . فاذا نظرنا في تاريخ مصر الحديث وجدنا أن واقعة التل الكبير كانت منذرة بواقعة أم درمان وبأطماع إيطاليا في الصومال والحبشة وحروبها فيها .

وإذا رجعنا الى عهد الخديوي اسماعيل باشا وجدنا أن الحرب الداخلية في الولايات المتحدة في أمريكا الشمالية كان لها أثر في مصر فان انقطاع ورود القطن الخام من الولايات الجنوبية إلى مصانع انجلترة بسبب محاصرة أسطول الشمال لها أدى إلى الإكثار من زراعته في مصر والى ارتفاع ثمنه ارتفاعاً كبيراً أغرى الحكومة والشعب بالانفاق عن سعة . فلما انتهت تلك الحرب هبطت الأثمان وكان كثير من الناس يظنون أن هبوط الثمن هبوطاً كبيراً إنما هو أمر مؤقت وإنه سيعود الى الارتفاع وهذا مثل ما زعم الناس في أعقاب الحرب العالمية الاولى التي أدت إلى إفلاس كثيرين لاعتمادهم على عودة ارتفاع ثمن القطن بعد هبوطه ولم يصدقوا أنه هبوط دائم . وهذا الانفاق عن سعة كانت له أسباب أخرى منها توقع إزدياد ثروة مصر زيادة كبيرة بسبب فتح قناة السويس لمرور تجارة العالم بين الشرق والغرب بها وربما كان سبب هذه الفكرة ما كان يذيعه المروجون لفتحها ، وأيضاً القياس على ثروة سلاطين المماليك وهو قياس لا يصح ،أولاً -لأن تلك الثروة كانت من الضرائب الكبيرة التي كانت تفرض على تجارة المرور وليس للدولة مثلها في قناة السويس .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وثانياً ـ انه لما كانت الصناعات يدوية في ذلك العصر كانت تقع على طريق مرور التجارة والمتنفع بها وتنفع الدولة والامة . ومن أسباب الانفاق عن سعة أيضاً تعجل ثمرات الإصلاح والاعتماد عليها قبل أوان حلولها ، وارتفاع ثمن القطن بسبب تلك الحرب الداخلية كان من الأسباب . وهذا الإنفاق عن سعة أدّى إلى تداخل الدُّول ثم بحلقات متصلة إلى الثورة العرابيَّة . وإذا نظرنا الى حروب محمد علي باشا وجدنا أيضاً حرباً منها تؤدي الى حرب .

وإذا بحثنا تاريخ الولايات المتحدة وجدناه يسير على هذه القاعدة فحرب السنوات السبع التي نشبت بين انجلترة وفرنسا وأدَّت الى انتقال كندا من فرنسا إلى انجلترة أشعرت سكان المستعمرات الانجليزية في الولايات المتحدة الأمان بسبب زوال الخطر عليهم من ناحية مستعمرات فرنسا . واستشعارهم الأمان أدَّى الى نقد خطة انجلترة الاستعمارية نحوهم وإلى السخط من أوجه الأثرة فيها ولا سيما احتكارها الصناعة والتجارة فكان ذلك هو السبب الحقيقي لحرب استقلال الولايات المتحدة وإن كان السبب الظاهر تشبث الحكومة الانجليزية بضريبة دخلها قليل ولكن النزاع كان على المبدأ . فحرب السنوات السبع مهَّدت لحرب استقلال الولايات المتحدة وهذه الحرب الأخيرة مهدت للحرب الداخلية لأنَّ هذا الاستقلال أدَّى الى اعتماد الولايات الشمالية منها على صناعاتها وتجارتها بدل الاعتماد على الصناعات الإنجليزية وكان لتلك الولايات ميزات صناعية . ولكن الصناعة الناشئة فيها كانت تحتاج الى حماية، فكان همّ تلك الولايات فرض الضرائب على الصناعات الأجنبية لحماية مصنوعاتها من منافستها وأن لا تفرض على المزروعات كي تقل نفقات الصناعة ولم يكن يهمها أمر الرقيق ولم تكن في حاجة إليه لأن الجو يناسب العمال البيض . أما الولايات الجنوبية فكانت على عكس ذلك يهمها رخص المصنوعات الاجنبية وحماية مزروعاتها بالضرائب على المزروعات الآتية من الخارج. وكان يهمها بقاء تجارة الرقيق وزيادة الولايات المعتنقة لمبدأ تجارة الرقيق بين الولايات الجديدة . ولما كانت الولايات الشمالية صارت أكثر ازدحاماً بالسكان البيض فقد كثر عدد نوابها وخشيت الولايات الجنوبية سيطرة الولايات الشمالية فقرَّرت حقها في الانفصال عن الوحدة ولو فازت هذه النظرية التي تعطي الولاية حق الانفصال لتجزأت الولايات المتحدة ولم يكن لها أثر في سياسة العالم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن أجل ذلك قاتل أهل الشمال لحماية الاتحاد وصيانة الاتحاد أدّى إلى تعاظم الولايات المتحدة والى اهترا كها في حروب آخرها الحرب العالمية الثانية . وإذا رجعنا الفكر الى العالم القديم رأينا أن حرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ وحرب تركيا والروسيا سنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨ هيئتا أسباب الحرب العالمية الأولى . ففي الحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧٠ انتزعت بروسيا الالزاس واللورين من فرنسا وأخذت منها غرامة كبيرة ساعدتها في نمو شأنها . وأدّت الحرب الى تأسيس الامبراطورية الألمانية الحديثة وصارت هذه الامبراطورية تدفع بالدول الى ميدان الاستعمار لأسباب كثيرة منها تصريف الزائد من مصنوعاتها التي زادت زيادة كبيرة لم يكن لها مثيل في ماضي تاريخها ومنها الرغبة في إيجاد مأوى لمن يهاجر من سكانها. ومنها أن تشغل فرنسا بالاستعمار عن التفكير في استعادة الالزاس واللورين ، ومنها محاولة إيقاع الدول المستعمرة في نزاع كي تكون المانيا حكماً بينها . وكل هذه الأمور هيأت الحالة النفسية والمادّية التي أدّت إلى الحرب العالمية الأولى وإن كانت شعلتها اشتعلت في البلقان بسبب جريمة سيراجيفو عند ما قتل بعض الشبان من صقالبة الجنوب المؤتمرين في الصرب الغراندوق فردناند ولي عهد النمسا وزوجه . ثم أن نيل صقالبة الجنوب مآربهم من تركيا بحربي ١٨٧٧ و ١٩١٢ كان منذراً بحرب أخرى بينهم وبين النمسا لتحرير المقاطعات النمسوية والمجرية التي يسكنها الصقالبة . فالحرب العالمية الأولى ناتجة من حروب سابقة حسب القاعدة العامة .

وإذا نظرنا الى الحرب العالمية الأولى والى عواقبها رأينا أنها لم تمح مشكلات العالم بل زادتها وهيأت أسباب الحرب العالمية الثانية لأن الحرب العالمية الأولى زادت مشكلة الشعوب الألمانية وخلقت مشكلات في بحر البلطيق وأواسط أوربا والبلقان وأدت بحلقات متصلة إلى البلشفية والفاشستية والنازية وخلقت بين ما خلقت مشكلة الممر البولوني الذي أشعل نار الحرب العالمية الثانية وان كانت أسبابها متعددة ناشئة من كل ما خلفت الحرب الأولى من مشكلات .

وإذا ما رجعنا إلى ما قبل حرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ رأينا ان هذه القاعدة تصدق أيضاً أي ان كل حرب تؤدي إلى الحرب فإن حرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ كان ظاهر

سببها ترشيح أحد أمراء أسرة الهوهنزلرن التي كانت تحكم بروسيا كي يكون ملكاً لاسبانيا فرأت فرنسا في ذلك تهديداً لها ولسلامتها من ناحيتين فرفض هذا الأمير العرش الاسباني وكان هذا يكفي لتهدئة فرنسا ولكنها أبت إلاّ أن تذل بروسيا بأن تتعهد لها هذه إن مثل ذلك لا يحدث في المستقبل فإن مثل هذا التعهد لا قيمة له إلاّ ارادة اثارة نزاع جديد. وكان بسمارك السياسي البروسي يرى ان المانيا لا يتم اتحادها إلاّ إذا قهرت فرنسا وأبعدت عن نهر الرين لان فرنسا كانت لها أطماع في الدول الرينية. وقد نشر بسمارك الوثائق الكتابية التي تثبت ذلك فكان هذا مما أدى إلى امتعاض الدول من فرنسا ووقوفها موقف الحياد عندما هزمها الألمان وأطماع فرنسا في الأراضي الرينية ظهرت أيضاً في عهد نابليون وفي عهد الدركتوار وفي الثورة الفرنسية . وقبل ذلك في عهد لويس الرابع عشر الملك البوربوني. وقد فقدت فرنسا كل ما غزته أيام الثورة الفرنسية وأيام نابليون ولكنها لم تفقد الاراضي الرينية التي استولت عليها أيام البوربون. ومن أجل ذلك قال بسمارك لبعض الساسة الفرنسيين « نحن إنما نحارب لويس الرابع عشر » وهذا دليل قاطع ان حروب لويس الرابع عشر بذرت بذور حرب ١٨٧٠ .

ويطول المقال إذا تتبعنا الحروب واحدة بعد واحدة ورأينا كيف تصدق هذه القاعدة فيها فنرى أن كل حرب تؤدي الى حرب في المستقبل .

ولكن بعض المفكرين يقولون ان الحرب العالمية الثانية تختلف عن الحروب السابقة (أولاً) بسبب كشف سر القنبلة الذرية. و (ثانياً) لوجود هيئة الامم ومجلس الأمن العام. أما هيئة الامم فلا أراها تختلف اختلافاً كبيراً عن عصبة الامم في الجوهر . وأما القنبلة الذرية فانها قد لا تمنع الحروب لاسباب (أولاً) ان الابحاث الذرية تقوم بها الآن دول كثيرة وليس من المستطاع الإشراف على كل بقعة في العالم لمنع صناعة القنابل الذرية . (ثانياً) إذا عرفت دول متعددة سر هذه القنبلة فمن الجائز ان تحدث حرب لا تستخدم فيها كما لم يستخدم غاز الخردل في الحرب الثانية في أوربا (ثالثاً) على فرض إنها استخدمت فمن الجائز أن يكون أثرها في قصر مدة الحرب أكثر من أثرها في القتل والتدمير وإن كان عظيماً ففي الحروب الماضية كان الملايين من الناس يموتون في حرب أو عدة حروب بينهما فترات استجمام ولكن أصابها

لا تتغير ، فكانت مدة الحرب أو الحروب المتصلة الأسباب أطول ولكن الهلاك فيها أو بعدها بسبب المجاعات أو الأوبئة أو بسبب قتل الأسرى أو تعذيبهم أو اهمالهم أو استعبادهم لا يقل كثيراً عن الهلاك في الحروب الحديثة السريعة . والتخريب قديماً وان ضعفت أدواته كان تخريباً شاملاً حتى ان بعض الغزاة كان يقال عنهم ان النبات لا ينبت في أرض دمرتها جنودهم فكانوا يدمرون المدن ويقتلعون النبات والأشجار ويبذرون الملح في الأرض أو يسقونها بماء مالح كي لا تنبت شيئاً. ومن المعروف ان بقاعاً كانت عامرة هي الآن قليلة السكان والعمران بسبب تلك الحروب أو كانت الحروب من بعض أسباب خرابها أو تأخرها. ويبالغ أهل العصور الحديثة في زعمهم إنهم أرق إحساساً من أهل العصور السابقة وإنهم بسبب ذلك سينتهون عن الحروب وعن القتل والتدمير . فاذا قسنا رقة الشعور بالنزعات الانسانية ففي كل عصر كانت نزعات خير وأحلام بالسلام وإذا قسناها بآلات القتال فالعصور الحديثة لم تحجم عن استخدام آلات أشد هولاً من آلات القتال القديمة . ثم ان الظاهر ان الأمم قد تساق إلى الحروب سوقاً لأن الناس لا يسيطرون على نزعاتهم تمام السيطرة ولا يحكمونها حكماً تاماً . والحرب الثانية لم تحل مشكلات العالم حتى يظن إنها خاتمة الحروب بل زادتها تضخماً واستعصاء بالرغم من هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن العام. والنزاع بين الشيوعية والرأسمالية يزداد استفحالاً ومشكلة الشعب الألماني من العسير حلها حلاً نهائياً ولا تزال شعوب كثيرة تتطلع إلى التخلص من النفوذ الأوربي وبعضها به نزاع بين طوائفها. وكل هذه المشكلات بذور لحرب مقبلة لا تقل عن بذور الحروب الماضية ولا يستطاع القطع بأن الحرب لن تكون ونحن الآن في فترة الاستجمام ولكنه استجمام كله متاعب إلا أنه قد يبعد عن الأذهان خطر الحرب المقبلة حتى تنسى ذكرى المستر تشمبرلين قبل الحرب الأخيرة عندما عاد بالطائرة من المانيا إلى انجلترة وصار يلوّح للجماهير بورقة اتفاق ميونيخ ويقول لقد كسبنا السلم !! ثم كانت الحرب بعد قليل . والحقيقة هي انه ما دامت الأمم مختلفة في مقدار قوتها ونظامها وما دامت المنافسة أساس العمران فمن الصعب تحقيق السلم الدائم . بل من المحال منطقياً ان يكون إذا لم نغالط أنفسنا في معنى تلك المنافسة ولوازمها .

ع . ش

نظرة شاملة

تشرف على أنظمة الحكم في العالم

يا عائب القدما بسوء نظامهم | يهنيك عصرك للشرور منظما
تلك الشرور لها التمدن معدن | والعلم والفن المدقق منتمى
لا تسفك الوحش الضواري دهرها | ما يسفك الانسان في يوم دما
هذا ابن آدم فطرةً وحقيقةً | لا يخدعنك إن أراد تكتما

١

توطئة

نعم هكذا حقيقة ابن آدم . لم يتقدم منذ ألوف السنين حتى اليوم ذراعاً أو ذراعين في شرف انسانيته وقضاء واجباتها ـ مع انه تقدم مسافات شاسعة واسعة تدهش قوة العقل وقوة التصور في الاختراعات والاكتشافات والعلم والفن والصناعة وتأنق المعيشة وترفهها والطب وسرعة المواصلات وتسهيلها . ان تقدم البشر في جميع هذه الامور لا يجعلهم بنظر مفكرهم العاقل أرق نفساً وطبعاً من أجدادهم الاولين سكان الغابات والكهوف وعشراء البهائم والوحوش . بل نرى آفات البشر بين أفرادهم وجماعاتهم لا تزال هي هي . وإذا أردنا شيئاً من التفصيل قلنا : لا ننكر ان هذه الآفات قد خفت وطأتها في بعض حالات المجتمع ولكن بعضها الآخر اشتدت وطأته في حالات أخرى من حالات المجتمع بحيث بقي مستوى المجموع على ما كان عليه في الأزمنة القديمة . ومن ثمَّ يصح لنا ان نحكم حكماً جازماً بغير تردد إن أنظمة البشر في دولهم وأممهم قديماً وحديثاً قد أفلست تماماً وخابت كل الخيبة في اكساب المجتمع البشري رقيّاً روحيّاً صحيحاً .

وقد حان لنا ان نلتفت لفتةً عامةً إلى أنواع هذه الانظمة التي اختارها الناس في ما مضى ولا يزالون يعوّلون على كثير منها في عصرنا الحاضر .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أنواع الأنظمة الحكومية ونتائجها

وموازنة بين نوعيها الأعظمين

إن استقصاء أنواع الأنظمة التي عرفتها حكومات العالم أمر شديد لا يستطيعه قلمنا في الوقت الحاضر وان استطاعه بعد بذل الجهد فليس من الحكمة أن يتناوله في مقال واحد كمقالنا الحاضر لأنه يدعو الى السآمة وتشويش الذهن وإعناته على غير فائدة تستحق الذكر ولهذا نكتفي في ما يلي بأهم أنواع الأنظمة الحكومية وهي هذه :

النظام الديني — النظام المطلق — النظام الاقطاعي — نظام تقديس القوة والمهارة — النظام النازي — النظام الدستوري — النظام الشيوعي .

أما النظام الديني فهو على سمو مقامه وقداسة مصدره لا يصلح إلاّ للامة التي تدين بدين واحد وان وجد بينها جماعات تخالف دينها العام فليس لها حق المساواة بالسواد الأعظم الذي تخالفه ديناً . وبديهي ان شرط هذا النظام غير متوفر للامم في زماننا الحاضر ولا فيما جاوزه من الأزمنة وأبرز الأمثلة على نظامه الديني حكومات بني اسرائيل وحكومة الخلفاء الراشدين في فجر الاسلام . وفي وقتنا حكومة ابن السعود في الحجاز ونجد . وحكومة الامام يحيى في اليمن فان أحوال هاتين المملكتين تساعدهما على استعادة الاحكام الدينية الشرعية في شبه الجزيرة العربية .

وأما النظام المطلق فقد كان عليه المعوّل في الأمم القديمة من بابل وأشور ومصر والخزر والفرس والترك والبربر والشعوب الأوربية القديمة . ولم يخرج عن هذا الحكم قديماً إلاّ قدماء اليونان والرومان . وهو لا يزال معمولاً به في كثير من القبائل الافريقية والأقاليم الهندية وفي جزر اليابان . وهذا الحكم ترجح بطبيعته سيئاته على حسناته كما تدلنا حوادث التاريخ وشواهد الحوادث الحالية . وانما تسعد البلاد وسكان البلاد في ظل الحكم المطلق حين يكون الحاكم عاقلاً عادلاً خبيراً . وهذه الخلال الثلاثة قلما اجتمعت في ولي الحكم . ومن الملوك المطلقي السلطة الذين نعمت بلادهم ورعاياهم في ظلهم معاوية الأموي وعبد الملك الأموي وأبو جعفر منصور العباسي وحفيده هرون الرشيد وابن حفيده عبد الله المأمون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والسلطان محمود الثالث العثماني وصلاح الدين الايوبي ومحمد علي باشا الكبير ومن سلالته الخديوي سعيد باشا . والامبراطور شارلمان والامبراطور الألماني فريدريك الثاني والقيصر الروسي اسكندر الثاني وأمير جبل لبنان بشير الشهابي . ويمكننا ان نعدّ من هذه الطبقة مئة رجل من فضلاء أصحاب السلطة المطلقة . ولكن اذا شئنا أن نحصي أردياء أهل العقد والحل من زملائهم اجتمع لدينا الوف من الملوك والأمراء . فكيف يثق أهل العقل بخيرات وبركات حكم مطلق والشاذ لا يبنى عليه حكم .

وأما النظام الاقطاعي فهو أفظع من النظام المطلق لأنه عند التحقيق هو هو مع زيادة دواعي الجور والقساوة فيه بتقسيم أملاك الدولة الى عدة قطع يقطع ملكها أو أميرها العام كل قسم منها رجلاً يجعله أميراً مطلقاً على ذلك القسم يضرب عليه الضرائب والمكوس كيفما شاء، وكل ما يهم الملك من أعماله هو أن يؤدي ذلك الأمير التابع له ما فرض عليه سنويًّا من أموال وأرزاق وجنود واستلام الاقطاع يكون بالمزايدة فالذي يعاهد الملك على تقديم أكبر جعالة له هو الذي يفوز برضاه ذلك الاقليم من المملكة ولو كان الرجل المزايد كما هو الغالب شر المتزايدين خلقاً وأقدرهم وأجرأهم في الجور وارهاق الناس على الف صورة وصورة .

وقد فشى الحكم الاقطاعي بين الدول الاوربية في القرون الوسطى التي انتهت باصطلاح علماء التاريخ في أواسط القرن الخامس عشر للمسيح. وكانت مدته أطول في أجزاء السلطنة العثمانية حيث بقي الى أواسط القرن التاسع عشر . ولا يزال الحكم الاقطاعي معمولاً به في بعض البلاد الهمجية .

وأما نظام تقديس القوة والمهارة وتقديمها على الحق والفضل والرحمة فأوضح صورة له في التاريخ طريقة الحكم التي اختارها يونانيو سبارطة قديماً لجمهوريتهم والذي وضع لهم هذا النظام الممزوج وسجل مواده وشروطه رجل منهم اسمه ليكورغوس . وقد سرى نظام تقديس القوة والبطش من يونانيي اسبرطة الى غيرهم من الأمم فدسّوا شيئاً من روحه بين أحكامهم وعاداتهم ، وفي جملة هؤلاء عرب الجاهلية فان تحليلهم السلب والنهب والاعتداء بحجة الغزو وافتخارهم في هذا السبيل يحسب ناحية من نواحي ذلك النظام الجهنمي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حتى ظهر الاسلام فأبطله كما أبطل غيره من المفاسد . ولكن عرب الجاهلية في ما عدا هذه الناحية أي ناحية الغزو كانت أحكامهم ومعاملاتهم شوروية نبيلة فيما بينهم لما طبعوا عليه من الصدق والصراحة والجرأة وعزة النفس .

وأما النظام النازي الألماني ويسميه كثيرون النظام الهتلري — وقد انقضى بانقضاء هتلر — فروحه الخبيثة هي روح النظام الاسبرطي بتقديم القوة على الحق مع غرضين خبيثين هائلين لم يكن النظام الاسبرطي يشتمل عليهما – الغرض الاول إذابة حق الفرد بحذذاته ومحو كرامته الشخصية تجاه مصلحة الدولة ومبادئها ومطامعها، فليس الرعايا كلهم إلا بمثابة آلات مختلفة التأثير والقوة وهي خرساء صماء عادمة الشعور تتصرف بها الدولة حيثما تشاء وحسبما تشاء . والغرض الثاني التسلط رويداً رويداً على ممالك العالم وشعوبه واستعبادهم وتسخيرهم جميعاً تحت النير الألماني بحيث يصبح البشر كلهم خدماً أذلاء للشعب الألماني. والألمان أنفسهم خدماً أذلاء لدولتهم . وهذا المبدأ بالغ منتهى الجور والتوحش حتى أن الفرائص ترتعد لهوله بمجرد تصوره والتأمل هنيهة فيه . والذي وصل إلينا من مدونات التاريخ أن حب التسلط على العالم خامر قلوب دول وملوك قبل هتلر والألمان ولكن على غير تلك النية الخبيثة نية التسخير والتذليل والاستعباد ، بل على شكل أخف وطأة وأقل مقتاً وجوراً على شكل تبادل المنفعة والكرامة بين الغالبين والمغلوبين مع السعي جهد الطاقة في تمازج وتآلف الفريقين في معايشهم وعاداتهم وتقاليدهم بأمل أن تعمهم جميعاً وحدة قومية أو روابط قوية تشبه الوحدة القومية . هكذا كانت الاماني القصية بعد المساعي الجبارة في نفوس اسكندر المكدوني وقياصرة الرومان وملوك العرب ونابليون الاول .

بقي علينا الالتفات بوقفة أطول الى النظامين الباقيين النظام الدستوري والنظام الشيوعي وهما أشهر تلك الانظمة وأقربها الى نيل ثقة أهل العقول ولكنهما مع ذلك لا يستحقان هذه الثقة لما فيهما من دواعي الخوف والخلل كما سيرى القارىء قريباً .

هذان النظامان نرى الخصومة اللدودة قائمة بين أتباعهما على قدم وساق إلى حد ينذر البشر بحرب عالمية ثالثة لا تبقي ولا تذر . والعياذ بالله من تحقيق هذه المخاوف بعد اتساع الخرق على الراقع .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حزب النظام الدستوري أو الشوري أو الديموقراطي سواء كان بصورة جمهورية أو بصورة حكم ملكي مقيد تمشي في طليعته دول الولايات المتحدة الاميركية . وبريطانيا العظمى وفرنسا .

وخصمه العنيد النظام الشيوعي أو السوفيتي أو البولشفيكي ورافع لوائه النافخ ببوقه دولة روسيا المعروفة اليوم باسم الاتحاد السوفياتي وينصر مبادئها ومساعيها سراً وجهراً جماعات قوية في كل قطر من أقطار العالم وبينها شرقنا العربي والصين والهند وكثير من ممالك أوربا وأميركا .

إن النظامين يتخاصمان خصاماً لم تشهد العيون مثله ولا سمعت الآذان بمثله . وقد ينقلب هذا التخاصم بعد سنوات يسيرة إلى تطاحن استئصال وفناء . والذي نراه إن الذين يبقون سالمين من الشر بعد هذا التطاحن لن يتمتعوا بمعيشة دعة وسعادة ورغد سواء كان النصر للدستوريين أو للشيوعيين فكل من النظامين عاجز عن أن يضمن أماناً واطمئناناً للبشر وعن أن يكافح الشقاء الذي يهددهم كفاحاً موفقاً محموداً .

لا ننكر أن النظام الديموقراطي أو الدستوري يرتكز على قواعد نظرية هي في منتهى الجلال والجمال لأن المراد منها تأييد الحرية والإخاء والمساواة . ولكنه كلما أصاب هذا الهدف الشريف مرة أخطأه مراراً ما دامت الثروة المالية في هذا النظام هي العامل الأعظم على التصرف بأحواله وتعيين مصيره . ومن ثمّ أصبحت شروط النظرية الثلاثة الحرية والإخاء والمساواة أقرب الى الوهم منها الى حقيقة راهنة تشاهدها العيون وتلمسها الأيدي . فالمال هناك هو الذي يوجه الانتخابات النيابية وغيرها من الانتخابات كما يشاء ، إذ يشتري من أصوات الناخبين ما يشاء . فأين يكون إذن نصيب الصواب والاستحقاق الصحيح ومكارم الأخلاق والفضائل السامية إزاء تلك القوة الغاشمة من المال . ان نصيب هذه المحاسن لا يكون حينئذٍ إلاّ صفراً الى الشمال . ومما يزيد الطين بلة والطنبور نغمة في هذا الخلل الاجتماعي نهوض شركات الاحتكار لكثير من الأصناف مما هو عند التحقيق سلب مقدّم لجانب كبير من أموال الناس وثمرات أتعابهم . وكل ذلك منشأه انحصار معظم أموال الأمة بأيدي فئة معينة من الرجال لا يزيد عددهم على واحد في المليون من مجموع الأمة . وكم نرى في البلاد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الديموقراطية بيت غني عظيم يتمتع بأعظم ملاذ الحياة وأطيب مطايبها وأبهج مباهج الدنيا وهو مع ذلك لايستغرق إلا عشر دخله المالي ، ثم يدخر تسعة أعشاره الباقيـة في خزائنه الحديدية أو في المصارف الكبيرة . وحوالي ذلك البيت الغني ألف بيت يكاد أصحابها يقتلهم فقرهم جوعاً وعرياً وسوء معيشة . فما الذي يستفيده أصحاب هـذه البيوت المسـاكين من ادعاء المـدعين أن نظامهم الديموقراطي الشريف . . . قائم على ثلاثة أعمدة راسخة متينة البنيان هي الحرية والاخاء والمساواة . . . ألا يرى أولئك المساكين ان هذه الدعوى زور وبهتان أو نفاق في نفاق . وانما يستخدمهـا أولياء الأمر مخدراً قويـاً لأعصـاب خمسة وتسعين في المئة من أبناء الأمة لـكي تتحمل أجسادهم الطعنات الدامية التي يجود بها عليهم الباقون من شركائهم في الوطن وهم خمسة في المئة .

هذا هو الوجه الحقيقي العملي للنظام الديمقراطي في عصرنا الحاضر مما يؤدي بين الفترة والفترة . والفترات كلها قصيرة الأمد الى ثورات دامية واضرابات واعتصابات وقلاقل آخذ بعضها برقاب بعض لها أول وليس لهـا آخر . فأي منصف يدّعي الكمال أو مجاورة الكمال للنظام الديمقراطي .

وأما النظام الشيوعي فان تباعه ينعون على خصومهم الديموقراطيين ما تقدمت الاشارة من أنواع الخلل وضروب الجور الاجتماعي مع بطء سير المعاملات الرسمية عندهم تبعاً لشروط نظامهم الديموقراطي المذكور . ولاشك ان الشيوعيين يجسمون مساوىء خصومهم ويبالغون فيها ثم يعطفون على نظامهم الشيوعي فيذكرون في البراهين على فضله عدم وجود اعتصـابات واضرابات ومجاعات في بلادهم ثم يذكرون تقارب رعاياهم في الثروة والتمتع بعيشة حسنة مع سرعة سير المعاملات الرسمية عندهم .

فيرد عليهم الديموقراطيون قائلين . ان المعيشة في المجتمع الشيوعي متقاربة الدرجات كما يدّعي أصحابها،ولـكنها على كل حال عيشة ذات مستوى منخفض ليس فيها من أطايب الحياة مقدار يستحق الذكر طعاماً وشراباً وكسوةً ومأوى . وأهم مما ذكر ينتقدون على الشيوعيين سلب حرية الفرد وكرامته في سبيل طاعته العمياء لدولته ونظام دولته . فهم في هذا المبدأ الجائر يجرون مجرى الحزب النازي الألماني كما انهم يستنكرون منهم أشد الاستنكار عدم مبالاتهم بالدين وأوامر الدين ونواهيه . متخذين الـكفر والالحاد ديناً لهم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونقول نحن ان أغفال الدين خطأ بل عناد بارد لا معنى له لا سيما بعد ما أبنت بالتنويم المغناطيسي واستحضار الارواح وانتقال الافكار وازدواج الاشباح وصدق كثير من الاحلام وغير ذلك من متعلقات علم الغيب أن النفس البشرية لا تفنى بفناء جسدها وان بعد الموت غير عالم أرواح وان جهلنا كيفيته . وان لهذا العالم صلة بعالمنا الحالي وان جهلنا مقدار هذه الصلة وشروطها ان هذه الامور كلها قد ثبتت الآن علميًّا حتى ان كثيرين من العلماء اعترفوا بها وقد كانوا يجحدونها ولا يزال الى الآن فريق ينكرها وهو فريق غير كبير . وفريق آخر عظيم يتردد بشأنها بين النفي والاثبات . وعلى هذه يقوم أساس الأديان الراقية من يهودية ونصرانية ومحمدية .

ما الذي نستنتجه ؟

ان ما تقدم معنا بيانه لا يكلفنا عناء في استخراج النتيجة المبنية عليه . بل دعانا سياق الحديث في صدر هـذا البحث إلى ذكر النتيجة المذكورة. ولا بدَّ هنا من العود الى ذكرها وهي ان نظم الحكم في العالم ليس بينها نظام واحد كان كافلاً برفاهية البشر وأمنهم وراحتهم وان تفاوتت تلك النظم في حسنها أو قبحهـا في السبيل السوي الواجب اتخاذه لأجل تأمين البشر واسعادهم ؟ والذي يلوح لنا أن هنـاك سبيلين ، فالسبيل الاول منهما عديد البعد والصعوبة وان لم يدخل في حيز المستحيل . والسبيل الثاني أقل بعداً وصعوبة وإن اعترضته عقبات جمة لا يستهان بها .

أما السبيل الابعد الذي لا يعد مستحيلاً فهو أن تجعل ممالك المعمور كلها بمثابة مملكة واحدة لها مركز عام تتولاه أقطاب هذه المملكة العالمية وقد يجعل هذا المركز دائماً وقد يستصوب ضرب مهلة له من السنين فاذا انقضت المهلة اتخذ لهذا المركز مكان آخر. ثم مكان ثالث الى ما شاء الله . وأما ممالك المعمور الحاضرة فتكون شبه ولايات تابعة ذلك المركز ولا بدّ أن تتمتع كل منها باستقلال داخلي اداري واسع النطاق مع تبعيتها للمركز في التدابير العامة وفي كثير من التدابير وفي كل القوانين والاحكام أو في جلها .

هذه الفكرة الجريئة يتبناها اليوم بعض دهاة الرجال ولكن الصوت بشأنها لا يزال ضعيفاً فاذا امتد واشتد حامت الآمال حواليها .

هذه الفكرة الجريئة متوغلة في قدمها فقد عرج عليها منذ أربعة وعشرين قرناً الفيلسوف اليوناني أفلاطون وبسط مجملاتها ومفصلاتها في كتابه المعروف . بجمهورية أفلاطون . ثم هبّ لنصرتها الفيلسوف المستعرب التركي الاصل أبو اسحق الفارابي منذ احد عشر قرناً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهو الرجل الذي يلقبه العرب بالمعلم الثاني لأنهم يلقبون أرسطو اليوناني أو كما يسمونه إرسطاطاليس المعلم الأول اذ اقتبسوا من مؤلفاته اليونانية كثيراً من ألوان العلم . وقد بسط الفارابي آراءه وتصوراته بشأن توحيد دول بني آدم في كتابه « المدينة الفاضلة » ثم تناول هذا الموضوع وعالجه حسب آرائه منذ ثلاثة قرون الكاتب الفرنسوي جان جاك روسو .

واليوم عاد أناس من كبار المفكرين الى هذه العقلية التي كان أسلافنا معذورين في أن يضربوا عنها صفحاً لأول وهلة لصعوبة ما كان عليه المعمور من صعوبة مواصلات وتبادل معاملات وفضاء الوقت الطويل ولو بين مصر وسوريا مثلاً في القول بين مصر وسبيريا أو بين سوريا وأستراليا الى ما عدا كل ذلك من الاقطار المتباعدة . هذا فضلاً عن اليأس من استخدام وسيلة لتفاهم الناس بألسنتهم وأقلامهم . ومن ثمّ كانت فكرة توحيد المعمور تحت رايات دولة واحدة أمراً مدهشاً أقرب الى الحكايات الخرافية والتصورات المستملحة المراد منها أنس التفكهة أو لذّة التعلل . وكثيرون من أصحاب المزاج العصبي الحاد كانوا لا يحسبون هذا المشروع إلاّ مهزلة ودليل حماقة وسخافة عقل .

وأما اليوم فلا نقول أنه أصبح تحقيقه على قاب قوسين منا، بل نعترف أنه لا يزال على جانب عظيم من الصعوبة . ولكن كثيراً من مصاعبه قد زالت بفضل تقارب المسافات وسهولة المفاوضات بفضل القطر الحديدية والطيارات والبرق والبريد والهاتف . وأما تفاهم البشر مكاتبة ومخاطبة فلسنا ننظر إليه نظرة يأس متحسر كما كان أسلافنا ينظرون . بل أصبح من الجائز لنا أن نضمر أملاً وطيداً بنيل هذه الأمنية العظيمة عن طريق تعميم لغة السبيرانتو السهلة البسيطة التي وضعها واضعوها لأجل هذه الغاية غاية التفاهم البشري عموماً فاذا تضافرت الهمم والمساعي بين الأمم على جعل درس هذه اللغة اجبارياً في المدارس ولو سنة أو نصف سنة يحشر درسها في أثناء هذه المدة القصيرة بين بقية الدروس فيحكمها دارسوها ولا تمضي عشر سنوات حتى نرى كل زاوية بل كل قرية من هذا المعمور فيها من يحسنون لغة السبيرانتو تكلماً وكتابة بحيث يصبح العارفون بها وقد لا يقلون بالتدريج عن نصف مجموع البشر وسطاء فعالين للتفاهم العمومي . هذا مع احتفاظ كل فرد وكل شعب بلغته الخصوصية في كل الأحوال التي لا يحتاج فيها الى وسيلة تفاهم بينه وبين الغريب عن لغته ذلك عند ما لا تقع معاملة أو مفاوضة بينه وبين هذا الغريب أو عند ما يقع بينهما ذلك ولكي يكون واحد منهما عارفاً لغة الآخر .

الى هنا انتهينا من تقديمنا وتقديرنا بشأن اتخاذ السبيل الأصعب لانشاء رابطة بشرية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عامة تتكفل بالسلام العام والأمن التام وتقضي على مخاوف الحروب بين الأمم والتي به المصائب والويلات الشاملة لمشارق الأرض ومغاربها بجمع هذا الكوكب السيار المسمى أرضاً تحت ادارة وتدبير دولة واحدة فاذا نجم حيناً بعد حين في هذا الاقليم من هذه الدولة أو في ذاك الاقليم ثورة أو فتنة فلا يكون الخطب الا خفيفاً محولاً « يمكن حينئذٍ اخماد الثورة والفتنة في أقصر وقت على أبسط صورة » .

ولنلتفت الآن الى السبيل الثاني الذي هو أقل صعوبة وبعداً وآمال البشر بتحقيق أعظم هذا السبيل القريب ولو قرباً نسبيًا يقوم باختيار المحاسن التي ثبت ظهورها من النظامين الديموقراطي والشيوعي واجتناب عيوبهما التي ثبت أيضاً ظهورها فيجعل من هذه النخبة وهذا المزيج الحكيم لقيام حكم جديد لا يلبث أن تعم بركاته الخافقين وتتخذه طوعاً واختياراً جميع العناصر البشرية . هذا مع السعي الى توحيد ما يمكن توحيده بين أجزاء المعمور في الثقافة والتعليم والنقد والموازين والمكاييل والمقاييس وازالة المكوس والعوائق السفرية ومواقع التوطن والارتزاق هنا أو هناك فتزول ثلاثة أرباع مخاوف الناس المستحوذة اليوم على قلوبهم ومشاعرهم وهو تدبير عالمي يتطلب عقولاً جبارة . وجبابرة العقول لم تحرمنا الطبيعة وجودهم ، بل يمكننا العثور على أفراد منهم في كل بقعة من بقاع الأرض ولكن الذي يجوز أن يعوزنا ونخشى أن تكون الطبيعة قد حرمتنا فهو وجود جبابرة الفضل والفضيلة والاخلاص والنزاهة والاخلاق الكريمة فاذا وجد ولو عشرة رجال ذوي مناصب عالية على هذا الطراز بين دول الأرض وشعوبها استبشرنا بالنجاح والفلاح وانقشاع هذا الكابوس الثقيل عن صدورنا والا فعلى الدنيا وساكنيها السلام .

وتأييداً لكلمتي الختامية هذا أنقل للقارىء أبياتاً من قصيدة لي حديثة تناولت فيها ناحية من مشكلات العالم وحوادثه على أثر انتهاء الحرب المسكونية الأخيرة :

وقامت وفود ومؤتمرات لتحقيق آمالنا الغاليه
بروقٌ رعودٌ غيومٌ ولكن من الغيث خالية خاويه
ألا إنما طي جذع الاراكة لا فرعها العلة العاتيه
أينفعها رش أوراقها وأسباب علتها باقيه
إذن ما عهود الانسان تقي بل عهود الضمير هي الباقيه

اللاذقية — سورية

ادوار مرقص
عضو المجمع العلمي السوري

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسباب القلق الدولي

الاستعمار : الحائل دون سلام العالم

لسعادة عبد الرحمن عزام باشا

إذا استطعنا أن نرجع بذاكرتنا إلى الماضي القريب ونتأمل حالة العالم عند ما كانت الحرب العالمية الثانية — بجميع أهوالها — تنزل الفناء بالشعوب وتنشر الدمار والخراب ، لرأينا أن العالم كان إذ ذاك مقسماً إلى ثلاث طوائف : اثنتان محاربتان وطائفة محايدة . غير أن الطائفة الأخيرة لم تفلت من خداع الفريقين الأولين وحيلهما .

وكانت كل من الدول المحاربة تكيل التهم على رأس الأخرى وتوجه اليها الاتهامات التي يصعب إثباتها ولا تجدي مناقشتها . وأكد كل من الفريقين انه كان مظلوماً وانه ضحية لعدوان الفريق الآخر ، وزعم انه كان يحارب الحرب الشريفة تأييداً للحضارة ونصرة للحق .

ولسنا نُعنى الآن بشرعية هذه المزاعم أو عدم شرعيتها ، بل علينا أن نبحثها على ضوء قيمتها ونرى هل تستند الى أساس صحيح أم لا .

وتتألف الطائفة الثالثة من الأمم التي انتهكت سلامة أراضيها وحقوقها عن عمد ، ومن الأمم التي هددت بمصير مماثل . بيد أن الأمم الأخيرة كانت متيقظة تسلح أنفسها تسليحاً كاملاً ابتغاء تحاشي مثل هذه النكبات .

الأسباب الرئيسية

والواقع اننا اذا ألقينا نظرة عامة على اسباب الاضطراب بين الأمم في أثناء القرنين الأخيرين لرأينا أنها كانت تزداد خطراً وربما بلغت ذروتها في الحرب الأخيرة عند ما اشتركت فيها القارات الخمس بأسرها .

وقد يُسأل : ما هي أسباب هذا الشرّ المفزع الدائم النموّ ، وما هي تلك الأهداف المفتلة التي ظلت بغير تحقيق في خلال العصور والتي لم تحقق بعد ، والتي يحتمل أن يكون من المتعذر تحقيقها ؟

أهي الجشع بعد التوسع ، والمزاحمة الدنيئة للسيطرة على الشعوب الضعيفة إبتغاء تجريدها من ثروتها ومواردها ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أهي حرب الطبقات أي الصراع بين الذين يملكون والذين لا يملكون ؟

أهي المباهاة بالقومية أو ببغض الأجناس أو التخلق بالأنانية المفرطة والطمع والتلهف على احتكار السلطة مع تجاهل حقوق الطبقات الأخرى والأمم الأخرى والأجناس الأخرى ؟

أم هي الموجة الطاغية المادية واشتهاء الترف مع ما يصحبها من عواقب لا انفصام لها عنها ؟ أم هي تكديس الثروة والاغراق المفرط في اللذات كهدف رئيسي للحياة وبهذا تزيد هقة الخلافات بين الطبقات والأمم فتلجأ الواحدة إلى مخادعة الأخرى مع ما يترتب على هذا من صراع داخلي وصراع خارجي ؟

أم هي انكسار المعنويات تحت ثقل قوات المادية المتدافعة وبهذا تتقوض أسس الخلق ، وتتزعزع المعتقدات وتنجاب التقاليد النبيلة وتخبو النخوة وتتداعى عرى الإخاء وتنتهك العهود والاتفاقات ؟ .

قد تكون سبباً من تلك ، أو مجموعة من هاته العوامل ، غير أن النتيجة النهائية التي تتمخض عنها هي أن يكتب للخيانة والخداع الهيمنة ، وتحل الخشية وعدم الثقة محل الثقة ، ويصبح التأهب للحرب وإعلانها الفجائي سُنّة العصر .

التأثيرات المروعة

بيد أننا إذ نرجع ثانية إلى سبب — أو أسباب — هذه الحالة الخطيرة ، سنقتصر — حرصاً على تحقيق الهدف المقصود بهذا السرد الموجز — على أول أسباب الاضطراب الدولي وأهمها ويمكن حصره في كلمة واحدة هي « الاستعمار » ، أي الاستعمار الحديث ، وهو المبدأ الذي يبشر بامتلاك ما يسمونه مستعمرات ودولاً غير مستقلة ، واستغلالها بأوسع ما تحتمل هذه الكلمة من معانٍ على حساب السكان المعوزين ابتغاء زيادة ارتباكهم وإفشاء سخطهم .

والحق أنه لا يمكن أن نجد دليلاً على النتائج المقوتة المروعة للاستعمار أجلى وأوضح من الحقيقة الماثلة وهي أن الحروب أصبحت أمراً عالمياً عقب انتشار مبدأ الاستعمار الجديد والدعوة له في جميع ربوع العالم .

فالاستعمار الحديث كان يتطلع إليه بشوق أفرادٌ وأمم ، وعُدَّ الطريق السامي الذي يفضي الى الشهرة والثراء والسلطة . وتبارت الشعوب للظفر به وتزاحم بعضها مع البعض الآخر لتحقيقه ، وأشربت نفوسها بالحقد بسببه دون نظرٍ إلى حقيقة ماثلة هي أن بعض روّاد الاستعمار سقطوا ضحايا شكوكه ، ولنذكر على سبيل المثال ما حلَّ بالاسبانيين

والبرتغاليين والفرنسيين . والحق أنه تستمد دروس غير قليلة من المصير المروع الذي آل إليه دعاة الاستعمار وأبطاله المحدثون .

وقد قال رئيس الوزارة الإيطالية الأسبق « نيتي » في كتابه « أوربا بلا سلام » وقد نشره عقب الحرب العالمية الثانية إنَّ الحروب الإيطالية في ليبيا كان معناها انفاق أربعة عشر ألف مليون ليرة لشراء حقيبة ملؤها رمل . فإلى أي ارتفاع شاهق بلغ هذا الثمن بعدما أنفقته إيطاليا الفاشية في ليبيا وإثيوبيا وسواهما من المناطق . والواقع أن إيطاليا أدمت نفسها في المال وفي الرجال ، وعرّضت كيانها نفسه إلى الانهيار بسعيها لتحقيق مشروعاتها الاستعمارية ، ولم تجنِ سوى الدمار والخراب .

سراب

وستدرك جميع الأمم، آجلاً أو عاجلاً ، بعد هذه الحروب الطاحنة التي سدّدت ضربات قاصمة إلى حضارة اليوم المادّية ، إن الاستعمار سراب . فهي تسعى إليه بجنون ، وتتحارب فيما بينها ولكنها عند ما تظفر بهدف معين تجد أن الاستعمار ليس سوى بديل سيء للعمل الشريف والجهد المقترن بالإخلاص ، وحياة الثقة والأمل والمحبّة . إنه في الواقع كـكرة تقذف في اتجاه صخرة . قد تصدم الصخرة ، وقد تترك بها أثراً ، بيد أن هناك احتمالات بأن ترتدّ القذيفة وتقتل راميها !

ومن الحقائق المسلّم بها أنّ الاستعمار — بوصفه استغلالاً للضعيف من جانب القوي — كان السبب الرئيسي لمعظم الحروب في السنوات المئتين الأخيرة . ويمكن تقصي آثار الاستعمار في جميع تلك الحروب . ومن شأن البحث الدقيق أن يبيّن أن آثار الاستعمار الشريرة تكمن في مكان ما من التراث الأدبي للدولة المقهورة متخذة شكل صنم من الأصنام الحديثة وهي : الزيت والذهب والفحم والقطن أو أي إنتاج آخر من غلاّت الأرض الكثيرة .

والواقع أن الاستعمار في شكله الحديث شرٌّ وبيل للظافر وللمقهور ، للمستعمِر وللمستعمَر على السواء . فهو يسوق الدول الظافرة بالتدريج إلى حياة عدم المبالاة والإهمال والتهاون مع ما يصحب ذلك من شرّ مستطير لا مهرب منه وهو الانغماس الذاتي المهلك . ويلي ذلك حروب قاتلة مع مزاحمي الدولة المستعمرة ويصبح بقاؤها بأسره معرضاً للتدهور والانحلال .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما فتئنا حتى اليوم نستطيع أن نرصد في الذرية آثار الشرور التي حلّت بأمم الماضي الاستعمارية المتصفة بالصلف

وإن استبقاء المستعمرات والدول غير المستقلة واستخدامها كمجال للإستغلال الاقتصادي والسيطرة السياسية لا يسعه إلا أن يخفض مستوى المعيشة في تلك المناطق . وبهذا تحدد مقدرتها كدول مستهلكة ودع عنك آثار الاستغلال العكسية في الهمة والنشاط وقوى الإنتاج . ومثل هذه الأحوال المقبضة لا يسعها إلا أن تفضي إلى النزول بجانب كبير من سكان الكون إلى مستوى مقبض من المعيشة يجعل من هؤلاء عبئاً على الإنسانية . واذا أضفنا الى هذا المكائد والدسائس والحروب وسواها من الشرور التي ينفثها الطموح الوحشي ، رأينا أنّ صداها هو التعجيل بقيادة المدنية إلى وهدة الدمار والبلى .

حقائق جلية جلاءً ذاتيًّا

ألم يكن الغلّ والغيرة والسباق للاستيلاء على ممتلكات الشعوب المقهورة سبب الحروب النبوليونية بجميع نكباتها وما آسيها التي جلبتها على أم رأس فرنسا نفسها، فضلاً عن العالم بأسره ؟ أولا ينطبق عين هذا على الغزوات التركية والروسية والنمسوية ؟ ألم يكن هذا شأن الحرب الروسية اليابانية التي اندلع ضرامها في مستهل القرن الحالي ؟ لا ريب في أن الحرب الأخيرة ما كان يمكن أن تقع بسبب الشقة الفسيحة التي تفصل بين الدولتين ، لو لم يفض توسعهما الاستعماري إلى تصادمهما في سبيل استغلال موارد الدول الصغيرة .

وهل يسع فرداً أن ينكر الحقيقة الجلية جلاءً ذاتيًّا وهي ان الغلّ والغيرة المضمرتين في صدور تلك الدول التي لم تظفر بنصيب من الأسلاب ، وان الشَرَه والشهوة النَهِمَة للتوسع علاوة على الظفر بالمواد الخام وأراضي الامم المغلوبة على أمرها ، كانت الأسباب الرئيسية لكل من الحربين العالميتين الأولى والثانية ؟

أوَلم يكن إدراك الدول العظمى لشرور الاستعمار هو الذي دفعها بعد الحرب العظمى الأولى إلى البحث عن مخرج بمشروعات الانتدابات والتجريد من السلاح وحرية اقتناء الخامة ؟

لا ريب في أن هذا الطابع الحديث من الاستعمار والاستغلال — الذي يختلف عن الطوابع القديمة التي كانت الشعوب المقهورة بمقتضاها تشترك في الحقوق المدنية على قدم المساواة مع قاهريها في دولة واحدة ذات ادارة واحدة للجميع — هو أسّ قلاقل العالم واضطراباته .

وسيظل هذا الإثم الحديث حائلاً دون سلام العالم إلى أن ينكشف لجميع الأمم . قويها وضعيفها على السواء ، من اختبارا تها وتضحياتها ، حل شرض للجميع وتعاوز عالمي في هيئة دولية لادارة شؤون العالم العامة لمصلحة الانسانية جمعاء على قاعدة تساوي حقوق الأفراد والأمم .

التضحية هي العلاج الوحيد

كانت الحروب التقليدية مقتصرةً عادةً على الجيران المتاخين أو على دولتين متجاورتين . ولكن لما أضحى شرّ الاستعمار كونيًا ، جارته الحروب في ذلك . لذلك تحتم وضع مبادىء كونية لتسوية مشكلات العالم ومنازعاته .

والحل الوحيد لإنقاذ المدنية من أسقامها الحالية هو التضحية بالاستعمار

وإن مساعي بعض الدول العظيمة في هذا الاتجاه سواء في أعقاب الحرب العالمية الأولى لما وضع الرئيس ولسن مبادئه ، أو في أثناء الحرب العالمية الثانية كما تجلى في ميثاق الاطلنطي أو ميثاق هيئة الأمم المتحدة — لتُعَدُّ دليلاً على الادراك العام للإثم الذي جلبه الاستعمار على العالم ولنتائجه العكسية على الظافرين والمغلوبين على حدّ سواء .

وفي ما خلا الأسباب التي تجعل من الاستعمار كارثة على الدول المدحورة — لأنها تكره على النزول عن مستواها وتحرم من الهمّة والقدرة على الانتاج — فهو يلزم مئات من ملايين الجنس البشري بأن يفقدوا نصيبهم في تهيئة مدنية عامة .

فكيف يتسنّى للعالم إذن أن يستقر ما دام أولئك المئات من الملايين قد أصبحوا — من حيث طريقة تفكيرهم وعملهم — عبئًا على سائر البشر ؟ لا ريب في أن الاستعمار شر عامل وإذا كان مصير الامم بعد هاتين الحربين العظيمتين سيظل خاضعًا لقانون القوة ، فستتكرر المأساة مرة تلو مرة حتى تفنى المدنية — حسبما ندركها — في النهاية .

التعاليم الاسلامية الدولية

والتقاليد العربية المستمدّة من تعاليم الأسلام تستنكر الاستعمار . فالقرآن يحرم تحريمًا تامًّا استغلال الآخرين باستخدام القوة للظفر بمغانم أرضية . وبمقتضى هـذه التعاليم تعد جميع الحروب المدفوعة بمشروعات استعمارية ابتغاء التوسّع ، ويعد الاستئثار بالخامة واحتكار الاسواق ، والزعم بتحضير السائمة أو احتلال مواقع استراتيجيـة ، أموراً غير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شرعية . ولا تسمح تلك التعاليم بدعوى تعالي دولة على دولة أخرى أو تعاظم جنس على جنس آخر ما دام المقصود بذلك إيجاد جنس سائد والتمييز بين بني البشر .

وتؤكد تلك التعاليم تساوي بني الانسانية وتحظر التفضيل والتمييز بينهم الاّ بالتقوى والطهر والمحبة والمسالمة . وهي تنكر الحرب والصراع الا في حالة الدفاع عن النفس أو لتحقيق حرية الاعتقاد لجميع الأديان . وهي تحكم على كل دافع آخر للحرب بأنه غير جائز

* * *

وقد يحاج البعض بأن التاريخ العربي سجل حوادث تناقض هذه المبادىء . وهذا صحيح لأن بعض زعماء العرب وملوكهم لم يوقر مبادىء دينه . غير أن هؤلاء القادة دفعوا ثمن انتهاكهم لهذه المبادىء إما بأشخاصهم أو بشعوبهم في ما بعد .

وجلي من جميع سور القرآن وحديث النبي أن الاسلام يتبرأ من الاستعمار بجميع صوره وأهدافه . والواقع أنه ليس هناك حجة على صدق تلك التعاليم وبعد نظرها أقوى مما تجلى من دمار انشأته مبادىء الاستعمار الحديثة في حياة جيل واحد ، وما تلاه من جعل الاجرام أمراً قانونيًّا مشروعاً .

وإني لأضرع من كل قلبي وآمل بإيمان وثيق أن يدرك الساسة الذين يقررون مصير الأمم أن الأوان آن لاستخدام تلك التعاليم الاسلامية النبيلة والتقاليد العربية السامية في انشاء علاقات دولية متينة في اتجاهات تختلف عن تلك التي تمليها سياسة القوة وقانون الغابة مع التثبت من أن تلك العلاقات تنهض على روح المسالمة والمودة والاخاء التي يوحي بها الاسلام ، ذلك الدين الذي لا يعرف تفرقة بين لون أو معتنق ولا تمييزاً بين المعارف والجهالة ، والتقدم والتأخر ، وإنما يعترف بشيء واحد وحقيقة واحدة هي أن جميع الناس إخوة منحدرون من أب واحد هو آدم .

وإن من الواجب الديني على جميع المسلمين أن يستنكروا الاستعمار ، وهذه تبعة عظيمة شريفة وعلى كل عربي مؤمن ومتصف بالرجولة أن يعارض الاستعمار

ولن يشرق فجر يوم جديد يكتنفه السلم والأمل على هذه الدنيا المعذبة إلاّ عندما يدرك كل واحد منا — ظافراً ومدحوراً على السواء — ان الاستعمار حائل دون استقرار العالم وسلامه .

ترجمها عن الانجليزية وديع فلسطين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطعام والهضم

١ فائدة القناعة في الطعام : لا فائدة من الطعام ما لم يكن جيداً ، ولا فائدة من الطعام الجيد مالم يُهضم جيداً ، وما دام الجهاز الهضمي يعمل بانتظام فالهضم يتم بدون صعوبة . أما اذا حدث فيه أقل تشويش أو اضطراب فيشعر المصاب بالألم والانزعاج . ولسوء الحظ لا يمكننا أن نتأكد دائماً من سلامة أجهزة الهضم لعدم وجود أعراض ذاتية، وقد يحدث في كثير من الأحيان أن يصاب المرء بأمراض خطيرة من ناحية المعدة والمعى دون أن تكون هنالك أيضاً أعراض مرئية .

ومما يؤسف له أن الجسم لا يجاوب حالاً على ما ينتابه من الاضطرابات الهضمية بإحساسات مؤلمة . والواقع أنه يكفي أن يعيش الإنسان عيشة صحية معقولة ليبقى جهازه الهضمي سليماً ، وكثيرون من المرضى كانت معيشتهم دائماً منظمة جداً ، وآخرون بالعكس كان من الواجب أيضاً اعتبارهم مرضى بسبب حياتهم المضطربة وغير المنظمة لم يشعروا فعلاً بأي مرض أو انزعاج ، وما ذلك إلا لأن كثيرين منهم قد حافظوا على صحتهم بقدر الامكان ولم يعيشوا عيشة صحية إلا بسبب ضعف جهازهم الهضمي . وعلى نقيض هؤلاء وأولئك توجد فئة أخرى يستطيع أفرادها أن يتحملوا مدَّة طويلة أي نوع من الافراط لقوة مقاومة هذه الأعضاء ، وكلنا نعرف أن كثيرين منهم يجهدون معدهم ويحشونها حشواً بالطعام فوق طاقتها ، وقد قال أحد الأطباء المشهورين قديماً : « كل واحد له المعدة التي يستحقها » لكن هذا لسوء الحظ غير صحيح .

والمهم في الأمر أن يكون رائدنا الاعتدال في كل شيء ، وخصوصاً فيما يتعلق بالأعضاء الهضمية ، وهذا واجب مهما بلغت هذه الأعضاء من القوة . لأن القناعة في الطعام ، وتناول الجسم حاجته فقط ، من الأسباب التي تطيل الحياة — بعكس النهم والشراهة فإنهما من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أقوى الأسباب التي تزعزع قوى الجسم وتصرم حبل الحياة قبل الأوان لأنهما يقضيان على أجهزة الهضم بعمل شاق غير مستعدة له . ولا حاجة بنا إلى القول أيضاً أن معظم أمراض القلب والمعدة والكبد والكليتين والشرايين وغيرها لم تنتج إلا بسبب الافراط في التغذية كما أثبتته المشاهدات الكثيرة . فجدير بنا والحالة هذه مراعاة حالة الأعضاء الهضمية ونعرف خصوصاً ما يلائم معدنا وما لا يلائمها من الأطعمة ، فلا نعمل من ناحية على إضعافها ، ولا نعمل من ناحية ثانية على اجهادها دفعاً لسوء الهضم والتخمة وما يتسبب عن هذه الحالة من العواقب السيئة .

والقاعدة التي يمكن السير عليها هي في نظرنا كما يلي : يُترك الحدث في دور النمو يأكل ما يشاء وبقدر ما يشاء دون أن يتجاوز طبعاً الحد اللازم . ويكتفي البالغ من الطعام بقدر ما تسمح له شهيته وليس أكثر . أما كبير السن فيفضل أن لا يتناول من الطعام إلا أقل ما تسمح له به شهيته .

هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى أشخاصاً لا همّ لهم دائماً ولا شاغل سوى العناية بصحتهم ، ومع ذلك تراهم دائماً سقيمين مريضين . وآخرون بالعكس فإنهم لا يشعرون بأي ألم أو اضطراب من ناحية المعدة والأمعاء بالرغم من ذلك تجدهم يهتمون بأعضائهم هذه كل الاهتمام ويساعدونها في وظائفها الهضمية تارةً بتناول الملينات أو المسهلات ، وطوراً بعمل الحقن الشرجية دون أن تكون هنالك فعلاً أية حاجة لذلك ، لأن أمعاءهم تتنظف جيداً وتقوم بعملها من تلقاء نفسها على أحسن حال أفضل بكثير من الوسائل المار ذكرها .

ولذلك كان من الضروري عدم التشبث بمثل هذه العناية الفائقة والاهتمام بها الى هذا الحد ولا سيما في دور الطفولة . ولا ينكر أن العادات تلعب غالباً دوراً هاماً في حياة الانسان وكثيراً ما يصعب التخلص منها ، وعلى الخصوص العادات السيئة التي يكتسبها المرء في شبابه . ثم أن الوالدين أنفسهم يلعبون أحياناً دوراً خطيراً بإعطاء الأمثلة لأولادهم. فاذا كانوا لا يقدرون مثلاً أن يأكلوا هذا الصنف من الطعام أو هذا النوع من البقول فليس بغريب أن لا يكون أولادهم مثلهم ، والغالب أنهم يحذون حذوهم في عاداتهم ومشاربهم إذ لا يخفى أن من غرائز الأطفال حبهم للتقليد وميلهم للتعود بمختلف العادات . وإنه لا يكفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن نقوم بتربية أولادنا وتهذيبهم في المدارس ، بل علينا أيضاً أن نلقنهم القواعد الصحية من قيام وقعود وجلوس وأكل وشرب ورياضة ولعب ولبس وعمل الخ التي تكفل لهم الصحة الجيدة . وإذا كنا نهتم خصوصاً بتغذيتهم تغذية حسنة موافقة لصحتهم ونموهم فكثير من العلل والأمراض التي يعود أصلها إلى عهد الطفولة والحداثة يمكن إذ ذاك اتقاؤها ولا تظهر في دور الكهولة أو بعده .

ننتقل هنا الى بحث آخر ، مهم جداً ، ونعني به :

٢ — أضرار سرعة الأكل والشرب : لا ريب في أن السواد الأعظم من الناس في عصرنا هذا يسرعون في الأكل ولا يمضغون الطعام جيداً بحيث أصبحت هذه العادة عندهم طبيعة ثانية . ولعل السبب في ذلك كثرة المشاغل ، والعجلة الناشئة من معيشة المدن . وقلة استعمال الأطعمة الناشفة (كالخبز والخضار والفواكه) التي تستدعي اللوك الجيد ، فيندفع الطعام والحالة هذه الى المعدة كتلاً كتلاً وهذا ما يتعبها في عملها ويحملها على أن تترك أكثر هذا الطعام كما هو فيندفع الى الخارج دون استفادة الجسم منه . وعلى قدر عملية المضغ تتوقف الفائدة التي يحصل عليها الانسان من غذائه .

فضلاً عن ذلك فالآكل لا يشعر بتلك اللذة التي يجب أن ترافق الأكل عادةً ، والثابت اليوم أن اللذة التي ترافق الطعام من أهم الأسباب المهيئة للهضم والمساعدة على زيادة افراز العصارات الهضمية .

وسرعة ازدراد الطعام وعدم تنعيمه باللوك الكافي على نحو ما ذكرنا لها أضرارها من نواحٍ عديدة وينبغي محاربتها بأنجع الطرق دفعاً لما يترتب عليها من النتائج الوبيلة . وهذه النتائج تظهر عند الشخص ان عاجلاً أو آجلاً . وبقدر ما يكون الجهاز الهضمي عند أحدهم ضعيفاً أو قليل المقاومة يكون ظهور الأعراض باكراً . ومن ناحية أخرى فالذي يسرع في أكله وشربه دون أن يمضغ الطعام جيداً تمتلىء معدته سريعاً فلا يحصل لها عندئذٍ متسع كافٍ من الوقت لتتمدد باعتدال نسبة إلى كمية الطعام أو الشراب التي دخلت فيها . فوصول الأطعمة هكذا إلى المعدة بصورة فجائية له نفس التأثير الذي يحصل من الاصابة بضربة عنيفة على جدارها العضلي فلا تتقلص إذ ذاك أليافها بالكفاية ولا تأخذ الأوضاع اللازمة وتنخفض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

محتوياتها كما في الحالة الطبيعية . فينشأ من هذه الحالة إحساس مؤلم وشعور بالثقل والامتلاء ، كما لو ان جسماً غريباً قد دخل فيها ، فيضطر المصاب حينئذٍ الى حلّ ملابسه تخفيفاً للضغط الحاصل فيشعر بشيء من الراحة والانفراج ولا سيما اذا تجشأ ما ابتلعهُ من الهواء مع الاطعمة وليس هذا فحسب ، فالمصاب نفسه يشعر باحساسات مؤلمة ناشئة عن اضطرابات الهضم ، لأن المعدة المتمددة بسبب كثرة الأطعمة تحتاج طبعاً إلى وقت أطول للقيام بعملها فتتأخر عملية الهضم مع انخفاض الأغذية وتحولاتها الكيمياوية .

٣ — تأثير اللعاب في وظائف الهضم : نعود هنا الى نقطة هامة أخرى وهي ان الذين لا يلوكون الطعام جيداً لا يختلط هذا باللعاب الذي يحلل بعض أنواع من الأغذية ، فينشأ من هـذه الحالة نقص الهضم ومن ثمّ عسره ، وخصوصاً في المواد النشوية . وقد أشار الى ذلك العالم الفرنسي كلود برنار (١٨١٣ — ١٨٧٨) فأبان الدور الهام للعاب في عمل الهضم. ولا يخفى ان هـذا الهضم لا يبتدىء فعـلاً بالمعدة كما يتصور بعضهم ، بل يكون ابتداؤهُ بالأحرى في تجويف الفم . فمن حركة المضغ ينفرز اللعاب ، وهذا اللعاب سائل تكوّنه الغدد اللعابيـة وتفرزه في الفم ، وفيـه أيضاً افراز الغـدد البسيطة المنتشرة على سطح الغشاء المخاطي للفم كما انه يحتوي على مادة مؤثرة تسمى (البتياليز) أو (اللعابين) ، وهذه المادة تؤثر في المواد السكرية والنشوية الموجودة في الأغذية وتجعلها مبدئيًّا قابلة للهضم . وكلما كان المضغ كثيراً كان الهضم أسرع ، والمضغ يزيد افراز اللعاب فيختلط هذا بالطعام ، وبهذا تأخذ المواد السكرية والنشوية في التحول الى غليكوز . ويتم هذا التحول في المعدة ثم في المعى بواسطة العصارات الهضمية .

وعند ما لا يحصل للخميرة اللعابية (مادة اللعابين المذكورة أعلاه) الوقت الكافي لتمتزج بالطعام الذي نتناوله ، فيصل هذا الى المعدة فالمعى غير جاهز بالكفاية . فاذا لم تأت العصارات الهضمية الأخرى لاصـلاح النقص الحاصل يؤول الامر الى حدوث اختـلال في عمل تلك الأعضاء مع اختمارات وتسممات فيها ، بل إلى الاصابة أحياناً بالالتهاب المعوي .

فالشرط اللازم للهضم الجيد هو اذاً اجادة المضغ ، وامتزاج الطعام امتزاجاً كافياً باللعاب ويمكن للانسان أن يأكل وجبة كبيرة ولا يتضرر منها اذا أحسن لوكها وتمهل في مضغها ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قدر ما يتضرر من هذه الوجبة اذا أكلها بسرعة وبلا لوك .

٤ — الافراط في الشرب : الملاحظ ان الانسان يفرط بشرب الماء أكثر من افراطه بالطعام . والواقع ان شرب الماء يفيد بكثرة متى كانت المعدة فارغة ولا سيما في الصباح قبل الفطور ، وبعكس ذلك تكون الحالة اذا أخذ والمعدة مملوءة بالأطعمة . أمّا ما يختص بالمشروبات الروحية فالضرر يكون مضاعفاً والبلية مزدوجة . واذا قابلنا المواد الجامدة بالمواد السائلة التي نتناولها فهذه الأخيرة تشغل حجماً أكبر في المعدة وتكون هذه منقلة مكظوظة ، وقد تتأثر بسبب ذلك الاعضاء الاخرى والرجل البالغ يستطيع أن يتناول لترين وأكثر من السوائل ، ويدخل في هذه الكمية الحساء والقهوة والشاي والقسم السائل من الأطعمة الاخرى . ويمكن القول ان أغلب الرجال يشربون أكثر من حاجتهم الضرورية مبررين عذرهم بشعورهم الشديد للظمأ واذا كان الشخص ذا صحة جيدة فالافراط في شرب الماء يُعتبر عادةً سيئة .

وفي كثير من الاحيان يلقى على الطبيب السؤال التالي وهو : هل ان شرب الماء مفيد أم مضر في أثناء الأكل ؟

فتنويراً للاذهان رأينا أن نذكر هنا ما تمَّ معرفته عنهُ .

١ — اذا كان الشخص ذا صحة جيدة ومعدة سليمة : فشرب الماء باعتدال على المائدة (قدر قدح واحد من الماء) لا ضرر منه البتة بشرط ألاَّ يؤخذ والطعام في الفم لدفعه الى المعدة لأن اللعاب لا يسيل اذا كان في الفم ماء . واذا أخذ السائل بارداً فور تناول طعام ساخن جدًّا فالأسنان ولا ريب تتأثر وتتألم ولا سيما « الميناء » وهي الطبقة الظاهرية الصفيقة جدًّا التي تغطي تاج السن وقد تتشقق وتتصدع هذه الطبقة بسبب ذلك وتغدو الأسنان عرضة للتلف . واذا تجرَّع الانسان مقاديراً كبيرة من الماء فغالباً ما يصاب باضطرابات هضمية مزعجة بل مؤلمة بعد مدة من الزمن .

٢ — اذا كان الشخص مصاباً بضعف أو مرض في المعدة : إن تجرُّع الماء بكثرة في مثل هذه الحالة يسبب حتماً اضطرابات هضمية مع تمدد في المعدة نتيجة توسع زائد فارتخاء في الألياف العضلية لهذا العضو . وقد تصاب هذه الألياف بالدمار فيزداد الشعور بالثقل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والامتلاء ازدياداً عظيماً ويكون الالم شديداً جداً .

وجملة القول أن على من كان مصاباً بمرض أو اضطراب في المعدة أن لا يشرب الماء في أثناء الاكل بل بالأحرى بعد تناوله ويكون ذلك بجرعات صغيرة بحيث يكون امتلاء المعدة بتمهل وبطء ، ومثله تمدد هذا العضو ، وبذلك يحصل للطبقة العضلية في المعدة متسع كاف من الوقت لتعتاد على حالتها الجديدة . ويجب أن نقول هنا أيضاً أن الشعور بشرب الماء بعد الطعام أقل بكثير من الشعور بشربه بعده أو في أثنائه : وهي نقطة مهمة جداً ولا سيما في أمراض المعدة .

وقد يجد الكثيرون منهم — أولئك الذين اتخذوا عادة شرب الماء بكثرة في أثناء تناول الطعام — صعوبة كلية في ترك هذه العادة ، غير انه يمكن التغلب عليها بشيء من العزم وقوة الارادة . وعند ما تبطل هذه العادة يجد الانسان نفسه فيما بعد مسروراً ومرتاحاً جداً ويكون قد خطا خطوات واسعة في سبيل تحسين حالة جهازه الهضمي وازالة الاضرار التي تكون قد حدثت له .

٥ — تأثير الكحول في الهضم : يمنع الاحداث والشبان عن تعاطي المشروبات الروحية على أنواعها ، ويمكن السماح بها للاشخاص البالغين بمقادير معتدلة . ويجب أن نعرف أن الانسان الصحيح البنية ليس بحاجة قطعاً الى شرب المشروبات لأنها غالباً ما تكون مضرة حتى ولو أخذت بكمية معتدلة .

أما ادعاء البعض من أن المشروبات الكحولية تزيد قابلية الأكل وتقوي المعدة وتسهل الهضم . فتكذبه التجارب والمشاهدات الكثيرة . فان المشروبات المذكورة لا تجلب القابلية البتة ولا تساعد على الهضم بل تؤخره ا ويتضاعف ضررها خصوصاً حينما تكون المعدة فارغة حيث يسري السم في الجسم بسرعة .

وقد تقضي الضرورة في بعض الحالات بمنع المشروبات الروحية منعاً باتاً ، وفي حالات أخرى السماح مثلاً بالجعة دون الخمر أو بالعكس .

وهناك حالة وهي زيادة افراز العصارة المعدية Hyperchlorydrie يكون فيها استعمال الخمر مضراً ، أما إذا كان حامض العصارة المعدية غير كاف Hypochlorie فالأمر بالعكس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إذ يستحسن أخذ مقداراً قليلاً من الخمر لمساعدة الهضم . وانه لا يمكن أن نعدد هنا جميع الحالات الخاصة التي يسمح بها استعمال المواد الكحولية أو عدم استعمالها ، فالطبيب وحده يقرر ما يكون ضرورياً استعماله أو غير ضروري وفقاً للظروف والأحوال الشخصية .

٦ — تأثير الشاي والقهوة في الهضم : الآراء في هذا الصدد متناقضة . فالبعض يفتكر أن الافراط في شرب الشاي والقهوة مضرّ جداً بالمعدة ويكون سبباً لكثير من أمراض الجهاز الهضمي ، والبعض الآخر يرتإي بالعكس . والواقع أن الانسان العاقل الذي يريد أن يعيش بحكمة واعتدال يكتفي فقط بتناول فنجان شاي أو قهوة كل بضع ساعات ، وهذا لا يضر شاربه بل يساعده على السير في عمله اليومي بغير تلكؤ ، كما انه يقوي المعد الضعيفة وينعش الجسم والعقل ويحثهما على القيام بوظائفهما من جديد كلما انهكهما التعب أو استحوذ عليهما الخمول . أما الذين يشربون ٦ الى ٨ أو ١٠ فناجين من الشاي أو القهوة يومياً كما يفعل الكثيرون منهم ، فليس بغريب أن يصاب هؤلاء الأشخاص بأضرار بالغة . فثلاثة أرباع حالات الأرق مثلاً ترجع الى ادمان الشاي ، كما ان مادة الكافيين تسبب ارتفاعاً في ضغط الدم واسراعاً في ضربات القلب . وكلما رخص ثمن الشاي كلما كان أكثر ضرراً .

وما تقدم ذكره عن الشاي يقال أيضاً عن القهوة وهذه يجب منعها خصوصاً عن الأشخاص المصابين بأمراض المعدة وعن العصبيين ، وهؤلاء كثيرون ونراهم يومياً ويشكون لنا أرقهم وخفقان قلبهم وتهيج أعصابهم . والانسان لا يكون عصبياً بدون سبب ، والغالب ان هذا السبب يعود الى طراز المعيشة ، والحياة غير الصحيحة التي تسبب له تسممات حقيقية من بعض الأطعمة التي يتناولها ومن الادمان في شرب الشاي والقهوة

٧ — تأثير التبغ في الهضم : مما لا شك فيه أنّ التدخين مضر بالصحة مؤذٍ بالجسم ، وله أيضاً تأثير سيء على عقل الانسان ونفسيته ، وعلى جهازه العصبي والتنفسي والهضمي والدموي ، وكذلك على البصر والسمع وغيرها مما يضيق المقام هنا عن شرحه وتفصيله . ويحتوي التبغ على طائفة من المواد السامة جداً وهي : النيكوتين ، وأملاح البريدين ، والنيكوتيانين ، وغاز أوكسيد الكاربون والكوللبدين . غير أن العنصر الفعال في الدخان والاكثر فتكاً بالجسم هو النيكوتين .

وإننا لا نحاول في هذه العجالة معرفة ما إذا كان واجباً أن ينقطع الإنسان تماماً عن التدخين بل علينا أن ننظر فقط في ما له علاقة بموضوع بحثنا أي أمراض الجهاز الهضمي . ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنه توجد اختلافات كثيرة بين شخص وآخر ، فهذا الشخص

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مثلاً يتحمل منذ زمن طويل جداً تدخين بضع سيكار من التبغ القوي أو ٤٠ و ٥٠ سيكارة بل قبل ٨٠ سيجارة يومياً بدون ضرر على صحته، وذاك يشعر باضطرابات مختلفة بمجرد تدخين بضع سيكارات يومياً . فالعبرة إذاً كما ترى ليست بمقدار التبغ الذي يدخنه الانسان بل باعتياده على التدخين ، وبمقاومته البدنية . اما ذوي الأشغال العقلية الكثيرة فلا يتحملون التبغ عادةً مثلما هم لا يتحملون الكحول ايضاً . وهؤلاء الأشخاص يجب عليهم أن يكونوا أكثر حذراً واحتراساً بسبب سرعة تأثرهم وقوة حاسيتهم .

ولننظر الآن في الاضطرابات التي تتسبب عن التدخين عند الذين يبدأون في ممارسة هذه العادة . وأهم الاضطرابات المذكورة كما يلي : شدة ضربات القلب . عدم انتظام النبض . دوخان . اصفرار الوجه . ألم في الرأس . تهوع أو قيء . أما الذين قد اعتادوا التدخين بافراط فالاعراض تكون هكذا : (١) اضطرابات من ناحية القلب : ضعف القلب وسرعة دقاته مع عدم انتظام هذه الدقات ، والذبحة الصدرية أحياناً ، وضيق النفس (٢) اضطرابات من ناحية الدماغ : ضعف في قوة الذاكرة خصوصاً فيما يتعلق بأسماء الأشخاص ، وأحياناً فقدان قوة النطق وقتياً (٣) اضطرابات من ناحية البصر ضعف شديد في البصر يمكن أن ينتهي أحياناً بفقدانه . (٤) تصلب الشرايين : يرجح بعض الأطباء أن لانتشار التبغ دخلاً كبيراً في ازدياد الوفيات العائدة الى أمراض الشرايين .

والاضطرابات التي تهمنا هنا هو تأثير النيكوتين على جهاز الهضم . فتأثيره في المعدة مثلاً يزيد أولاً العصارة المعدية مع زيادة حموضة هذه العصارة . وهذه الحالة تكون مصحوبة بعوارض مؤلمة واذا أفرط الانسان في التدخين قلت بالعكس العصارة المعدية وقد تنقطع تماماً ، ويتسبب عن هذا كله فقدان شهوة الأكل والامساك . اما من ناحية الأمعاء فالدخان ينبه حركة عضلات هذه الأمعاء ، ولاسيما الغليظة منها ، فتتقوى على طرد الفضلات المتجمعة فيها وبذلك يسهل وينتظم تفريغها .

وبوجه عام نقول ان شرب الدخان باعتدال حداً في الأمراض المعدية المعوية لا ضرر منه . غير انه يُستحسن الاقلاع بتاتاً عن هذه العادة بالنظر لمضارها الوخيمة العاقبة التي أتينا على ذكرها .

ويوجد أحياناً في الأسواق سيكار يقال انه بدون « نيكوتين » لكن لا يوجد ما يؤكد لنا أن هذا النوع من السيكار غير سام فالافراط في شربه قد يكون مضاهياً بنتائجه الى أنواع التبغ الاعتيادية ولذا يُحترس من استعماله .

بيروت الدكتور عبده رزق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المخترع العالمي

توماس اديسون

أمريكا تحتفل بذكراه المئوية

عندما يحتفل شعب الولايات المتحدة بالذكرى المئوية لميلاد توماس ألفا اديسون ، طليعة المخترعين في أمريكا ، في ١١ من فبراير عام ١٩٤٧ فسيشيدون بذكرى رجل لعله أكثر الناس توفيقاً في العالم إذ جعل حلم العصر الميكانيكي الحديث حقيقة واقعة .

وقد قدر رجال الاحصاء ان مخترعات اديسون أسفرت عن تقدم في صناعات يزيد رأس مالها الآن على ٢٠ ألف مليون دولار وتستغرق من العمال أكثر من ٤٠ مليون شخص . على أنه لو زيد نطاق هذه التقديرات حتى لا تشمل الصناعات التي لم تسفر عنها مباشرة مخترعات اديسون فحسب ، بل تشمل الصناعات التي كانت تكون مستحيلة لو لم يساهم في مجالات المعرفة والتقدم ، لبلغ الرقم نسبة عالية جداً .

* * *

وابتكر اديسون نحو ١٠٠ر١ اختراع ، وذلك عدد من المخترعات لم يكد يسجله من قبل شخص أو هيئة اختراعات في الولايات المتحدة . واذا كان خير ما يذكر به أنه اخترع أول مصباح كهربائي وهاج ، وانه كشف وسائل توليد وتوزيع الكهرباء ، فانه لم يعرف مجال من مجالات المحاولة غريباً على مواهبه .

واخترع أول « فونوغراف » ، استطاع أن يحيله آخر الأمر الى آلة ميكانيكية تسجل الاسطوانات . واختراعه للكاميرا المتحركة غدا أساساً متفقاً عليه للحصول على الصور المتحركة وأدت الى صناعة السينما .

ووضع جهازاً يسمح بارسال الاشارات التلغرافية بين محطات سكة الحديد . كما اخترع الجهاز الناقل الذي ساعد الكسندر جراهام بل على جعل التليفون الذي ابتكره تطبيقياً من الناحية التجارية . وأدخل التحسينات التي أحدثت ثورة في عالم البطاريات ، وفي صناعة الاسمنت ، والتعدين ، وصهر الحديد الخام . واخترع وأنشأ أول قاطرة كهربائية في أمريكا ، وأحدث اكتشافات أساسية في مجال الالكترونات .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهكذا ظلّ اديسون حتى وفاته في ١٨ من اكتوبر يعمل بلا انقطاع في معمله ليحسن من طبيعة منتجاته وليزيد من الاقتصاد في نفقات صناعتها .

وقد ولد اديسون بميلان في اوهيو يوم ١١ فبراير عام ١٨٤٧ ، وأبوه ينحدر من أصل هولندي ، وأمه من أصل سكوتلندي .

وبالرغم من أن مدة ثقافته الرسمية لم تتجاوز ثلاثة أشهر قضاها في إحدى مدارس بورت هورن بولاية متشيجان فقد أبدى شغفاً شديداً بالمعرفة وحباً في العمل على نحو غير مألوف عند الأحداث . ولما بلغ الثانية عشرة من عمره جعل يبيع الصحف في القطارات المتنقلة بين بورت هورثون وديترويت في متشيجان ثم اتخذ لنفسه معملاً في حجرة المفش يقوم فيه بدراسته الكيميائية .

اشتغل وهو في الخامسة عشرة عاملاً في التلغراف ، غير أنه ظلّ يواصل دراسة الكيمياء وأخذ يعمل لابتكار مخترعات في أوقات فراغه . وكان أول ما ابتكره في هذا الصدد أجهزة توفر عليه عمله الخاص .

• • •

وفي عام ١٨٦٨ ظفر بأول امتياز لاختراع مسجل الصوت الكهربائي لاستخدامه في الهيئات التشريعية . ثم أعد أجهزة أخرى بعد ان أدخل تحسينات عليها ، وفي العام التالي شرع في مد خطوط تلغرافية في مدينة نيويورك .

وافتتح في اكتوبر عام ١٨٦٩ معمله الخاص في نيويورك بنيوجرسي ومعه كثير من الفنيين الذين ذاع صيتهم بعد ذلك . وتسنى له أن يبتكر خلال السنين التالية القلم الكهربائي الذي تطوّر أخيراً الى النوع المعروف بالاستنسل . وأدخل تحسينات على الآلة الكاتبة . وتحسينات أخرى في مجال التلغراف ، مثل وضع أجهزة لنقل الرسائل المتعددة في وقت واحد وعلى نفس الشبكة السلكية

ثم لاحظ أديسون أن تلغرافه الاوتوماتيكي يحدث صوتاً موسيقياً اثناء تقارب أصوات النقط والشرط ، الأمر الذي حفزه على أن يبحث في امكان اختراع جهاز الفونوغراف في ١٢ من أغسطس عام ١٨٧٧ . وهذا الجهاز الذي تكلف ١٨ دولاراً لم يكن في الأصل إلاّ عبارة عن اسطوانة (سيلندر) تدار بواسطة ذراع . وبعد مراحل تطوّر فيها هذا الاختراع انتهى الأمر بإديسون الى تسجيل اسطوانة للموسيقى ، ومن ثمّ أصبح الفونوغراف من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أكثر المخترعات التي اشتهر بها اديسون . حتى أنَّ إحدى الشركات في الولايات المتحدة بلغ عدد ما سجلته ، كما أعلنت ذلك، مليون اسطوانة .

* * *

المصباح الكهربائي

على أن خير ما يذكر به اديسون اختراعه لأول نوع عملي من المصباح المتوهج الكهربائي إذ لم يكد يبلغ عمره الواحدة بعد الثلاثين حتى كان إديسون قد توطد مركزه باعتباره مخترعاً، وفي ٢١ من اكتوبر عام ١٨٧٩، بعد أن أجرى مئات التجارب على المعادن والمواد وأنفق أكثر من ٤٠ ألف دولار نجح في صنع مصباح تتألق في فراغه حلقة كربونية من الخيوط القطنية نحو ٤٠ ساعة .

وبالرغم من أهمية هذا المصباح فلم يكن إلاَّ جزءاً صغيراً من سلسلة أعمال إديسون الكهربائية الأخرى . فقد اخترع جهازاً يولِّد ويوزع الحرارة من دينامو هائل ، أخذ يزيد من كفايته حتى بلغت نسبة هذه الكفاية ٩٠ في المائة بعد أن كانت أربعين . وأهم من هذا ، اختراعه لجهاز توزيع التيار الكهربائي .

وبعدئذٍ شرع اديسون يفكر في أن « يصنع للعين ما يصنعه الفونوغراف للأذن » ومن ثمَّ اخترع الكاميرا ذات الصور المتحركة . وظهرت أول صورة متحركة في العالم بمعمله في نيوجرسي .

وإزاء هذا كله ظفر اديسون من الكونجرس الأمريكي في عام ١٨٨٢ بعدالية « التطور والتطبيق في ميدان المخترعات التي أحدثت ثورة في الحضارة خلال القرن الماضي » .

وفي عام ١٨٨٩ قلد وسام الشرف الفرنسي « الاجيون دونير » . وفي سنة ١٨٩٢ منحته جمعية الفنون في بريطانيا العظمى ميدالية البرت . وفي عام ١٩٠٨ منحته جمعيات المهندسين الأمريكية ميدالية جون فريتز للمهندسين . وفي عام ١٩١٤ منح ميدالية راثيناو (الألمانية) وانتخب في سنة ١٩٢٧ عضواً في الأكاديمية الوطنية الأمريكية للعلوم .

ونال درجات جامعية فخرية من الكلية الاتحادية ، وجامعة برنستون وجامعة نيويورك . ولكن لا غرو فتوماس ألفا اديسون كما قيل فيه عن حق « قد فاضت عبقريته بالخير على البشرية جمعاء » .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بحث في السرعة

تدور الأرض حول الشمس بسرعة قدرها ١٠٤٠٠٠ر٠ كيلومتراً في الساعة ويتحرك النظام الشمسي داخل الفلك بسرعة قدرها عدة مئات الألوف من الكيلومترات في الساعة الواحدة ومع كل ذلك فاننا لا نشعر بهذه السرعة العظيمة في أثناء حركة أمنا الأرض . غير اننا نشعر بسرعة السيارات والقطر بالرغم من ضآلتها النسبية .

ان في مقدور الانسان أن يقطع سيراً على الأقدام مسافة قدرها ٥ر٤ كيلومترات في الساعة . وفي امكانه أن يقطع نفس هذه المسافة في أثناء السباحة. وفي وسع الراكد المجد أن يقطع مسافة قدرها ١٣ـ١٥ كيلومتراً في الساعة . وأما راكب الدراجة فقد يقطع مسافة قدرها ٦٠ كيلومتراً أو يزيد .

ومن ناحية أخرى فان الحلزون يقطع في الساعة ٠٠٧ر٠ من الكيلومتر في الساعة (٧ أمتار في الساعة) ويقطع الحصان حوالي ١٦ كيلومتر في الساعة ، في حين ان الحمام الزاجل يطير بسرعة تقدر بـ ٦٥ — ١٠٠ كيلومتر في الساعة، ويقطع الكلب السلوقي ٩٠ كيلومتراً في الساعة ، وقد تبلغ سرعة العقاب ١٠٨ كيلومترات في الساعة

وقد توصل الانسان باستخدام الريح أن يقطع في قاربه حوالي ٣٠ كيلو متراً في الساعة

وتطورت سرعة القطار منذ عام ١٨٣٥ تطوراً محسوساً فقد بلغت سرعة بعض القطر الاوربية في عام ١٨٥٠ حوالي ٢٥ كيلو متر في الساعة وازدادت هذه السرعة في عام ١٩٠٠ إذ بلغت ١٠٠ كيلو متراً . وفي عام ١٩٣٣ كان قطار هامبورغ يسير بسرعة قدرها ٢٣٠ كيلو متراً في الساعة .

وبينما كانت سرعة بعض السيارات في عام ١٨٩٠ لا تزيد على الـ ١٠ كيلو مترات في الساعة ، إذ بها تبلغ في سيارات السباق حوالي :

١٩٥/٥ كيلو متراً في الساعة في عام ١٩٠٥
٢٢٨ » » » » ١٩١١
٣٣٣ » » » » ١٩٢٨
٤٨٣ » » » » ١٩٣٥
٥٠٢ » » » » ١٩٣٧
٥٧٥ » » » » ١٩٣٨

هذا ويقطع الترام في الساعة مسافة قدرها ١٨ — ٢٨ كيلو متراً في الساعة ، وتقطع البواخر عبر المحيط مسافة قدرها ٣٦ ـ ٥٤ كيلومتر في الساعة والقطر السريعة ١١٠ كيلو مترات في الساعة والقوارب البخارية ١٤٠ كيلو متر في الساعة والسيارات ١٥٨ كيلو متر في الساعة . والدراجات البخارية في أثناء السباق ٢٦٠ كيلو متر في الساعة.

وقد أدى رقي صناعة الطائرات الى تقدم في السرعة منذ اختراعها في عام ١٨٩٦ بصورة فعلية تقدماً يستحق الاعجاب والتقدير ، فقد بلغت سرعة الطائرات في أوائل الحرب العالمية الاولى حوالي الـ ١٢٠ كيلو متر في الساعة ، وبلغت في أثناء سني تلك الحرب، ١٦٠ — ١٨٠ كيلو متر في الساعة . وفي عام ١٩٣٢ كانت تبلغ سرعة بعض الطائرات ٣٦٠ كيلو متراً في الساعة،وبلغت الرقم القياسي ٧٤٧ كيلومتر في الساعة في عام ١٩٣٩ وتبلغ الآن ٩٠٠ كيلو متر في الساعة.

أما الطبيعة فهي تفوقنا سرعة في بعض النواحي التي لا يمكن أن يتصورها العقل . فقد تبلغ :

سرعة الريح العادي	٧ كيلو مترات في الساعة
» أمواج البحر	٥٠ كيلو متر » »
» التيار	٥٠ — ١٠٠ كيلو متر في الساعة
» الريح القالعة (أوركان)	١٨٠ كيلو متر في الساعة
» الصوت في الهواء	١٦٠ر٥ » » »

وسرعة نقطة على خط الاستواء ١٦٧٠ كيلومتر في الساعة.وسرعة دوران الأرض حول الشمس ٤٠٠ر١٠٤ كيلومتر في الساعة.وسرعة الكهربائية في السلك التلفوني ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٢ كيلومتر في الساعة ، وسرعة الضوء ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٨٠ر١ كيلومتر في الساعة .

صبري يحيى الخياط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب الأخبار العلمية

من معجزات العلوم والفنون

الكيمياء تكشف عن النفط «البترول»

لو قال لك قائل خبير « إني إذا فحصت قبضات من الثرى الذي في عقارك ، أمكنني أن أثبت أو أنفي وجود النفط فيه أو خلوه منه » لعراك الدهش .

ولكنك إذا عرفت السبب ، بطل العجب . وأساس هذه المعرفة ، هو العلم الحديث المسمى جيوكيمستري Geochemistry ، أي الكيمياء الجيولوجية التي تهدف الى البحث السديد ، عن النفط ، فوق سطح الأرض الجديد . إلا أنه لم يسمع منذ بضع سنين ، شيء يذكر بشأن هذا العلم المتيد ، الذي يقضي بتحليل التربة السطحية تحليلا كيميائياً لمعرفة احتوائها على النفط أو خلوها منه وهذا العلم من شأنه أن يفضي لا محالة الى إحداث انقلاب كبير في وسائل استكشاف الزيت المعدني (النفط) في جوف الأرض ، ثم توفير بضع مئات من ملايين الجنيهات التي ينفقها المنقبون عبثاً ، كل سنة ، في حفر الآبار العقيمة .

ومدار علم الكيمياء الجيولوجية هو دراسة الجزيئات الهيدروكربونية الخفيفة التي تنضح من جوف الأرض الى سطحها ، وذلك من أي نبع خفي للنفط تحت طبقات الثرى . وما فتئت العقبة الكأداء ، كون هذا الدليل القاطع على وجود النفط في باطن الغبراء ، يبدو عادة ضئيلا جداً فلا يتاح تقديره . وثمة حائل آخر ، هو أن بعض دقائق النفط والغاز ، قد تستهدف في خلال فورتها الى سطح الأرض ، لتقلبات كيميائية ، إما عن طريق التأكسد ، واما بالاستقطاب . وهذا مما يفضي إلى تضارب الآراء في تعيين أية الهيدروكربونات التي تتكشف للمنقبين ، تكون ممثلة للعلامات الدالة على وجود منبع النفط .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا يزال هذا العلم الحديث يافعاً ، يتطلب تجربة شتى الوسائل الفنية والطريقة الحالية المألوفة منها تقوم بجمع نماذج طفيفة من التراب غير الملوث الذي يوجد على بضع أقدام من سطح الارض، ثم تعريض هذه النماذج بطريقة فنية جديدة من طرق المعامل الكيميائية تعرف باسم « طريقة استخراج الغاز بالحرارة المنخفضة » وقوامها تسخين كل نموذج منها حتى يستخلص منه ما يحويه من طفيف الغاز فيجمع . ثم تجري فيه سلسلة من وسائل التبريد . وهذه تفضي الى فرز العناصر المختلفة التي ينطوي عليها الغاز، بعضها عن بعض فيتسنى قياس كل منها على حدته . وبهذا الفرز يمكن وزن المواد التي توجد في الكميات الطفيفة جداً التي لا تزيد على جزء من بليون . وأغرب ما يمتاز به علم الكيمياء الجيولوجية هو نفي وجود النفط مباشرة تحت التربة التي تشتمل على المواد الهيدروكربونية . ولذلك ينصح خبراء هذا العلم بمباشرة الحفر في جانب واحد من جوانب المنطقة المبتغاة . وهم يتوخون بذلك أن المقدار الكبير من المادة التي تتصاعد من نبع النفط ، فتطفو على سطح الارض حاملة المياه والمواد الكيميائية ، تؤلف سداً منيعاً لا تستطيع اختراقه جزيئات الغاز ، فلا تطفو على سطح الارض أما الغاز الذي يرتفع حينئذ فلا بد له من الافلات من حول أطراف ذلك السد المحكم .

وتتخذ عادةً العلامات السطحية الخاصة بوجود النفط ، شكل هالة غير كاملة فتبين حدود النبع . ويوجد النفط بالتنقيب في محيط تلك الهالة لا في الهالة نفسها . غير أنه في بعض الأحوال قد تكشفت للمنقبين على سطح الأرض ، مناطق هالات متحدة المركز ، تدل على منابع نفط في أعماق مختلفة . وقد أثبت التنقيب الذي أحدث فيما بعد صدق هاتيك التكهنات .

ومن أحدث المخترعات في علم الكيمياء الجيولوجية طريقة المقياس الكيميائي . ويقصد بها دراسة المادة التي تنقل الى سطح الأرض في خلال حفر بئر النفط . فيدل هذا التحليل الكيميائي على العمق الذي بلغته المناقب في ثقب السدّ المنيع الذي يعلو البئر، ثم انه يتيح التقدير التقريبي لما يجب ثقبه من الأرض حتى يعثر الحفارون على النبع ذاته . ولما كانت طبيعة جزيئات الغاز ، الافلات افلاتاً جانبياً من مقرها ، كما تفلت منه رأسياً ، اتخذ المنقبون هذه الحقيقة وسيلة لرسم الخريطة التي تبين الموقع الحقيقي للنبع . وذلك عند ما يقومون بحفر عدد من الآبار النزحة « الخالية » ثم أن طوائف المواد الهيدروكربونية التي تبلغ سطح الأرض عن طريق شتى الينابيع ، يقومون بمقابلة بعضها ببعض ليتخذوا منها دليلاً صادقاً على السبيل الواجب سلوكها للكشف عن البئر التي أفلتت منها هاتيك الهيدروكربونات

أو اثبات حقيقة خلو منطقتها من النفط . وقد بدأ التوصل بعلم الكيمياء والجيولوجية منذ نحو ١٥ سنة فبذلت المجهودات حينئذٍ في جمع نماذج ضئيلة من الغاز المتفشي في التربة السطحية ، وذلك بوضع أنابيب في الأرض ثم تحليل الغاز الذي يوجد فيها عقب غرزها مغطاة عدة أيام . وكانت هذه الطريقة بطيئة ، غير صالحة للعمل . أما الطريقة الفنية الراقية المتقدم وصفها المستعملة حالياً فقد اخترعت منذ سنة ١٩٣٨ وهي من نتائج مباحث العلماء الدكاترة روزير ومكدموط وبلو وغيرهم .

وما برح هذا العلم يستخدم بخاصة لاثبات القضايا التي تتكشف من رد فعل الهزات الأرضية ، أكثر مما يستعمل كآلة لاستكشاف المنابع الزيتية . لأن علم الزلازل يمد العالم الجيولوجي بصورة النماذج التي في جوف الأرض واعماقها ، وذلك بتقدير الزمن الذي تستغرقه موجات الهزات الأرضية التي تتولد من انفجار البارود والديناميت في السطح المزمع احداث رد الفعل فيه ، من الطبقات السفلية ، فيكشف عن الجيوب التي قد يوجد فيها النفط . ومباحث علم الكيمياء الجيولوجية على سطح الأرض ، تقدم دليلاً صحيحاً على وجود النفط وجوداً حقيقياً في ذلك الجيب أو خلوه منه . وقد نجحت في الارشاد الى مقر النفط قبل حفر البئر الأولى ، في منطقة جديدة ، كما أفلحت في تحديد الحدود الصحيحة للمناطق الزيتية المعروفة . وهي المناطق التي كانت تتكشف بعد انفاق المبالغ الباهظة في الحفريات ، منتجة كانت أو عقيمة. ولا يخلو هذا العلم في حالته الراهنة من الخطأ. شأنه في ذلك شأن كلّ فن حديث، وكذلك علماؤه ليس في وسعهم تحديد الغور الذي يحتمل وجود النفط فيه ، ولا يمكنهم أيضاً التحقق من غزارة النفط وما يدرّه من الأرباح التجارية أو عدم صلاحيته لذلك . بيد أن في طاقتهم تمييز منابع النفط من منابع الغاز ، كما أن في استطاعتهم التكهن بتقدير أهمية النبع الجديد تقديراً تقريبيًا

وقدّر المطلعون ان المكتشفات التي نجمت عن الهزات الأرضية أسفرت عن نتائج باهرة بنسبة ٣٣٪ وذلك في الآبار التي تم حفرها . هذا ويتوقع علماء هذا العلم أنهم سيتاح لهم بالطريقة الجديدة التي وفقوا لها الحصول على نتائج حسنة بنسبة ٥٠٪ أو أكثر في الحفريات الجديدة . ويعتقد الخبراء أنه عندما تتم التحسينات المنتظرة اللازمة في هذا العلم ، سوف يتيسر تكشف جميع الينابيع النفطية التي ما زالت خافية على المنقبين في جوف الأرض .

وأهم المنتجات التي تستغلّ من النفط هي الوقود بأنواعه وزيوت تزييت الآلات جميعها . إلا أن النفط هو المادة الأولية التي غدت أساساً لعشرات من الصناعات

الجديدة الأخرى واقد لقيت المشتقات الهيدروكربونية ميادين جديدة شتى لمنافعها ومنها أنواع المطاط الصناعي . وهي من بعض الوجوه ، أرق من المطاط الطبيعي . والنفط قوام ذلك الكاوتشوك . ومن النفط أيضاً يستخرج كبريت العمود والحامض الكبريتيك والجليسرين وغيرها من المنتجات الثانوية. وبالكيمياء ينتج من الهيدروكربونات مفرقعات وأصباغ وأدوية وطيوب ومركبات عطرية وما شاكلها من المواد . وغازات الأولفين Olefin وهي هيدروكربونات غير مشبعة تستخرج من تقطير النفط تقطيراً اتلافياً . وهي وسيلة لإنضاج الفواكه وتعجيل نمو النباتات . وقد نجحت هذه الغازات في تعجيل إنضاج الطماطم والليمون الهندي انضاجاً تاماً ، وفي غير ذلك من الحاصلات الزراعية . وذلك في زمن أقصر كثيراً من المألوف في موسم نموها . والغازات البيوتن Butene مثل ذلك التأثير الحميد في تعجيل إنضاج ثمار الجوز والخوخ والتفاح والكريز ، هذا إذا غطيت كل شجرة مثمرة منها بخيمة لا يتخللها الغاز ، ثم أطلق عليها قدر طفيف من البيوتن تحت الخيمة مدة ساعة.

هذا وقد تحققت الفائدة التجارية لكثير من المشتقات النفطية التي كانت تعد من الطرف الكيميائية عند بدء استخراجها . ومنها أوكسيد الاثيلين وهو لا يضر الناس ويستعمل لتبخير التبغ والغلال . ويستعمل الاثيلين ethylene والبروبين propene كمخدرين جيدين . ومع كون أهمية النفط تسمو سمة فأخرى فما برحت طريقة تركيبه من المعضلات التي لم يصل العلم الى حلها ، إذ يعلم يقيناً الكيميائي الخاص بالهيدروكربونات أن النفط مؤلف من الهيدروجين وجزيئات الكربون ، ومع ذلك لا يجرؤ أيّا كان على تركيبه تركيباً كيميائيّاً من تينك المادتين . ويسرنا أن نذيع على قرائنا أن فريقاً من نوابغ علماء صناعة النفط في أمريكا ، الذين لا يصبون الى الاعلان عن ذواتهم أو إذاعة مباحثهم ، قد عكفوا على حلّ هذه المعضلة ، ولا يبعد أن يبلغوا أمانيهم ذات يوم فيتاح لهم صنع الهيدروكربونات كما يشاءون ، فيصبح انتاج النفط علماً من العلوم الصحيحة التي تكفل للعالم الحصول على احتياجاته المستفيضة من النفط في كل عصر . والفينول phenol الذي يستخرج من الغازات التي تتصاعد من معامل تكرير النفط ، كثيراً ما يفوق أمثاله التي تستخرج من قطران الفحم الحجري. وذلك في قتل الجراثيم والفطر، وفي منع العفونة وفي ميادين المطهرات . والنفط هو المادة الأساسية لصنع الخيوط الصمغية الجديدة التي تمتاز بمنع تجعد المنسوجات التي تدخل في نسجها . ومنها الفهنيت الذي يصنع من ذلك الصمغ الصناعي وقد ثبت نجاحه وطول بقائه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تجديد القلب بترقيعه من عضلات أخرى

اخترع طبيبان في كلية جامعة نيويورك للطب طريقة فنية توصلا بها إلى نقل عضلات حية من أجسام الكلاب ، واستعمالها بدلاً من أجزاء ميتة من عضلات قلوب الكلاب المصابة بأمراض القلب . وقد أفضى نجاحهما في هذه الجراحة الجديدة الى تفاؤل البشر المصابين بمثل هذه الأمراض .

وفحوى هذا الأسلوب أن تنقل شرائح من عضلات بطون الكلاب وسيقانها ثم تُرقَّع بها قلوبها فتشفى من أمراضها وذلك في خلال يومين أو ثلاثه ايام فتأوي عقب برئها الى حجرها في منازل أصحابها .

أول مصنع يستخدم الطاقة الذرية لادارة آلاته

سينشأ خلال هذه السنة في إقليم تنيسي بالولايات المتحدة الأمريكية ، مصنع تسخر فيه الطاقة الذرية تسخيراً مباشراً لنفع البشرية

ويقول العلماء الذين تستخدمهم شركة مونسانتو الكيميائية لاتمام هذا العمل الخطير الشأن إن الوسيلة التي يتوسلون بها الى أمنيتهم ، تقوم بتسخين الغاز بتأثير الذرات الموضوعة في حجرة أخرى مجاورة له ممثلة في قضبان من اليورانيوم عيار ٢٣٥ وحينئذ يسيل الغاز الى حجرة أخرى مركزية حيث يلامس أنابيب مملوءة بالماء فيتولد البخار فينطلق الى توربينة بخارية . وهذه تدير في دورها مولداً لتوليد الطاقة الكهربائية . وعندما يتم استعمال البخار يُوجَّه الى مكثف حيث يتحول ماء فينتقل مرة أخرى بالمضخات الى الجهاز عينه .

سبب زرقة مياه المحيطات

أثبت عالمان أمريكيان هما الدكتور ف . ا . جنكينز أستاذ الطبيعيات في جامعة كاليفورنيا والدكتور باون مدير مرصد جبل ويلسون ، أن الاعتقاد السائد أفكار الناس ، وهو أن زرقة مياه المحيطات تنجم عن انعكاس زرقة الجو على صفحاتها ، هو اعتقاد فاسد . وذلك بما تبين لهما عندما كانا يستخدمان أشعة الضوء في اكتشاف الغواصات المتسللة في الأعماق ، حيث اتضح لهما أن دقائق الغبار التي تحصى بالملايين التي تحويها مياه المحيط ، تعكس ضوء الشمس ثانياً على سطح المياه . بيد أن النور الذي يصعد الى السطح يتم ترشيحه بمروره في عدة أقدام بين طبقات المياه حيث تقوم المياه بامتصاص اللونين الاحمر والأصفر من الضوء ، وتترك الألوان الخضر والزرق والبنفسجية فيتحد بعضها مع بعض فتؤلف الأزرق والنيلي . وهو اللون المألوف لمياه أعماق المحيط .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

استخراج الزيت المعدني من صخور السجيل

تحصل بلاد السويد على كثير من الزيت المعدني الذي تحتاج إليه ، وذلك بطريقة طريفة هي تسخين صخور السجيل[1] الغائرة في أرضها على عمق ٧٥ قدماً إذ تجذب الأبخرة فتحول بالتقطير منتجات نفطية شتى . ويتوصلون الى ذلك بإحداث فجوات صغيرة في الارض لا يزيد قطر كل منها على عقدتي أصبع وذلك بغية غرز مسخنات كهربائية في تلك الفجوات الأرضية لتسخين ما يوجد في جوفها من صخور السجيل تسخيناً يبلغ ١٠٠٠ درجة بمقياس فارنهيت . وهي حرارة شديدة كافية لاستخراج النفط من صخور السجيل بخاراً يتصاعد من هاتيك الفجوات حيث تستقبله آلات مبردة تصيره سائلاً فيسيل في أنابيب إلى مقار التكرير حيث يتم تكريره على ما يرام .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن بلاد السويد شرعت في تنفيذ هذه الوسيلة الغريبة في ابان الحرب العالمية الثانية إذ كادت تضطرها الظروف القاسية حينئذٍ الى الاعتماد إعتماداً كلياً على استعمال خشب غاباتها، إما وقوداً وإما مصدراً لتوليد الطاقة الكهربائية

وقد أذاع حديثاً الدكتور جوستاف إيجلوف مهندس النفط الموظف بشركة المنتجات النفطية العامة الأمريكية ، وذلك عقب أوبته من أوربا أن بلاد السويد استطاعت بتلك الطريقة في خلال الحرب الخالية استنباط ألفي برميل من النفط يومياً وذلك الى جانب حصول الشركة القائمة بالمشروع نفسه على نتيجة طيبة أخرى هي انتاج طماطم وخضراوات أخرى فائقة الأحجام من التربة التي تعلو طبقات الصخور المشار إليها التي تسخن على النمط المذكور آنفاً . ثم زعم الدكتور إيجلوف أن التربة نفسها سوف تحتفظ ببعض هاتيك الحرارة ٣٠ سنة تمتاز في خلالها بتحسن خصبها .

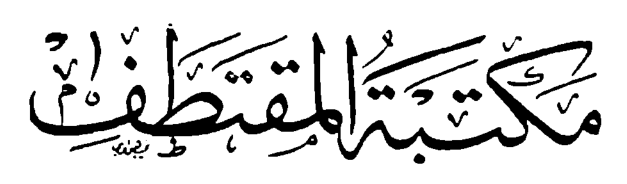
بنيسيلين صناعي يشفي من السل

أتيح لفوج من أساتذة الطب في كلية كورنيل الأمريكية تركيب بنيسيلين صناعي ينتظر التذرع به الى مكافحة الأمراض مكافحة حاسمة . وذلك لأنهم يعتقدون بتفوقه على البنيسيلين الطبيعي فيصبح سلاحاً فتاكاً للقضاء على أدواء التدرن الرئوي والانفلونزا وشلل الأطفال ، وغيرها .

عوض جندى

(١) السجيل shale حجارة كالطين اليابس





ضبط الأعلام

للعالم المحقق المرحوم احمد تيمور باشا : نشرته لجنة نشر المؤلفات التيمورية
١٨٠ صفحة من القطع الكبير ، القاهرة ١٩٤٧

كنت في مجمع فؤاد الأول للغة العربية أساهم في أعماله العلمية ، وعرضت للمجمع مسألة من أهم المسائل اللغوية هي تسجيل اللهجات المصرية والمبادرة بهذا العمل قبل أن يطغى على هذه اللهجات تعليم الفصحى في المدارس والجامعات ، ذلك بما لدرس هذه اللهجات من علاقة وثيقة بتاريخ الأمة المصرية وهجرة القبائل العربية واستيطانها في أنحاء الوادي ، وبما لدرس اللهجات من علاقة بمقابلة اللهجات المصرية بلهجات الجزيرة العربية ، تحقيقاً للعلاقة الواقعة بين قبائل العرب الاصلاء والعرب المستوطنين في وادي النيل .

وشهد هذه المناقشة الأستاذ نلّينو رحمه الله ، فقال انه يعلم ان للمرحوم احمد تيمور باشا بحث في هذا الموضوع اطلع على شيء منه وانه من البحوث الفذة في اللهجات المصرية وعلاقتها بلهجات القبائل المستوطنة ، وأشار على المجمع أن يستأذن في نشر هذا المخطوط وانتهى الأمر عند ذلك .

أما وقد تألفت لجنة لنشر المؤلفات التيمورية ، وظهرت باكورة أعمالها بطبع كتاب «ضبط الأعلام» ، فقد تقدمنا إذن خطوة كبيرة في سبيل الانتفاع بما خلف ذلك الرجل العظيم الذي ضحّى بماله وصحته في سبيل العلم ، وظلّ طوال حياته عاملاً في صمت ، منتجاً في خلوة ، شأن العلماء الذين يذكرهم التاريخ ولم يعرف عنهم أهل زمانهم إلاّ النزر اليسير .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكتاب «ضبط الاعلام» من الكتب التي يندر أن يوجد لها مثيل في المؤلفات العربية ، فإن نطق هذه الاعلام يكاد يكون على ألسنة الأدباء والقارئين رطانة لا تفهم ولا تمت إلى أصل الاسم بشيء . فهذا المعجم الأدبي التاريخي من المؤلفات التي لا يستغنى عنها أديب أو طالب أدب أو مؤلف يتحرى الدقة في ضبط الأعلام التي تعرض له .

رحم الله تيمور باشا فقد خلف لهذه الأمة العربية في آثاره ما لا يبليه كرّ الجديدان .

١ — أبو ذر الغفاري

للأستاذ عبد الحميد جوده السحار

لجنة النشر للجامعيين — ١٥٢ صفحة من الحجم المتوسط

هذا كتاب من كتب السِّيَر أجاد إخراجه الأديب الشاب الأستاذ عبد الحميد جوده السحار ونال من الذيوع والانتشار ما حدا بالمؤلف إلى طبعه أربع طبعات في أقل من أربع سنين .

أما محور الكتاب فهو أبو ذر الغفاري الصاحب الزاهد الذي ما أصاب مالاً إلاّ بدده في عمل المعروف وما عهد إليه في كنز إلاّ وزعه على بسطاء الحال وأدنياء القوم . ما غلّ يده قط أمام فقير عضّته الحاجة بنابها ، وما عرف الترف والثراء في دنياه ، ولو شاء لدَانَ له الجاه وبدر الذهب .

ومبعث زهد أبي ذر إيمانه بالله وثقته بسابغ رعايته لخلائقه ، ولذلك لا ينفتأ يوزع الخيرات كلما ترامت إليه ، غير ضنين بها ولا مؤثر نفسه على سواه ، فضلاً عن دأبه في دعوه رفاقه وأترابه ومواطنيه الى الاحتذاء به في بسط اليد والحنوّ على المعوزين .

جاءه من يقول له : « انك امرؤ ما تبقى لك ولد » فأجابه إجابة الواثق : « الحمد لله الذي يأخذهم من دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء » .

هذه لمحات كالأطياف من حياة أبي ذر الغفاري الذي عنّ الأستاذ السحار أن يلقّبه « بالاشتراكي الزاهد » وينسب إليه الدعوة إلى نشر الاشتراكية في صدر الاسلام والترويج لهذا المذهب الاجتماعي قبل أن يعرفه اقتصاديو القرن التاسع عشر ويجعلوا له صفة التقديس ، ولمبشريه صفة التأليه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومهّد السحار للسيرة بمقدمة عن الاشتراكية في العصر الحديث والاشتراكية في الاسلام وقابل بين الاثنتين مؤكداً ان الثانية لم تأمر بإلغاء الملكية واستخدام الناس جميعاً في أعمال لحساب الحكومة بأجور متساوية وإنما قضت بتقريب الشقة بين الناس بغير مدعاة إلى مصادرة الأملاك أو إلى معاملة الأفراد على قاعدة واحدة لا يدخل في حسابها الحكيم والجاهل والصحيح والمعتل .

٢ — الامام علي بن أبي طالب

للاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود

الجزء الثاني — لجنة النشر للجامعيين — ٣٠٧ صفحات

في العام الماضي أخرج الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود الجزء الاول من كتاب « الامام علي بن أبي طالب » فإذا به سفرٌ ضخم ينطوي على مجهود رائع الشباب لم يتح لي أن أقرأ له أو عنه من قبل . أسلوب راوية ممتاز ، وطريقة تحليل جميلة وتقصٍّ تاريخي — إن لم يسعني الحكم على مدى دقته — ففي وسعي الحكم على مدى شموله ووفرته .

واليوم يطالعنا الأستاذ عبد المقصود بالجزء الثاني لذلك السفر ، عامرٌ بصفحات التاريخ وصفحات الحياة في إطارٍ بيانيّ ينمّ عن تمكن واقتدار ، وإطارٍ فني يفصح عن ولع المؤلف بصاحب السيرة واستخلاصه مواطن العبرة والشهامة من تاريخ حياة ابن أبي طالب .

بيد أن مما يأخذ بانتباه القارىء أن الأستاذ عبد المقصود ، وإن كان قد استطرد واسترسل في سيرة علي بن أبي طالب ، غير أن هذا التوسع أفضى الى أن يشغل عثمان القدر المعلّى من السفر الثاني حتى كان يحقّ للمؤلف أن يطلق على الكتاب اسم عثمان لا علي دون أن يغير حرفاً واحداً مما جرى به قلمه .

أما الانطباع العام الذي صانته مخيلتي بعد الفراغ من تلاوة كتاب الأستاذ عبد المقصود، فهو أن المؤلف قفز فجأة من عالم المجهول إلى عالم المعلوم والتبريز ، فلم نعرف عنه أنه تدرّج في معارج الادب فابتدأ صغيراً واطرد نموّه حتى اكتمل ، ولكننا رأيناه ناضجاً دفعة واحدة ، يزاحم الأعلام من كتّاب السّير في مجالهم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ — ديوان الطلائع

الأستاذ أحمد محمد جمال

دار الكتاب العربي بمصر — ١١٢ صفحة متوسطة

يبدو لي أن صاحب هذا الديوان مقتّر .

فهو من شعراء الحجاز المعاصرين ، وهذا الديوان أول نتاج شعري له ينشر في وحدة واحدة ، ولكنه مع ذلك أبى أن يطلع القارىء على جملة ما قرضه من الشعر ، واقتصر على أن يقول في مستهل كل قصيدة إن المنشور منها في الديوان بعض من ٢٥ بيتاً أو ٤٤ بيتاً أو ١٥ بيتاً . وهكذا . ولسنا ندري ما الحكمة من طبع القصائد في الديوان إذا كانت تورد مبتورة هكذا يضيع أكثرها « في بطن الشاعر » أو في أوراقه الخاصة التي لا تمتد اليها يد القارىء المتلهف على معرفة شيء عن أدب الجزيرة ، ذلك الأدب الذي ظلّ مقصيّا به عن التداول العام حقباً طويلة .

* * *

إن استعداد الأستاذ أحمد محمد جمال ، كما يبدو من نظمه ، لا بأس به ، فما كان يضيره أن يقدّم لنا قصائده كاملة لنحكم لها أو عليها ، بل إن هذا كان من شأنه أن يُعلي قدر أدبه ويزيده جمالاً . وهو — على كل حال — متأثر إلى حدّ كبير بشعر شاعر المهجر إيليا أبي ماضي . وقد حاول تقليده في بعض قصائده ، واقتبس فقرات وآراء منه في منظوماته .

وأجمل ما في الديوان — في رأيي — قصيدته التي نعتها « بمرآة الماضي » فهي فريدة في بابها في النظم والنغم . ومن خير ما فيه كذلك تلك الحكم الشعرية التي ترجمها عن الانجليزية ترجمة تكاد تطابق الأصل . وإن كان مما يعاب كثرة الخطأ المطبعي في الأصل الانجليزي المدرج في الديوان .

أما ما عدا ذلك ، فهو شعر يتفاوت جودة وتوسطاً .

وديع فلسطين

١ — مسرحية الأب

للكاتب السويدي سترندبرج ترجمة الاستاذ وديع فلسطين

بالرغم من أن أدب كل أمة منذ فجر النهضة الاوربية قد مرَّ أو يمر بهذه الادوار — الكلاسيكية والرومانتيكية والرمزية والواقعية ... — إلاَّ أن الباحث المدقق لا يعدم خصائص مميزة لأدب كل أمة تميزه الى حدّ قريب أو بعيد عن آداب الأمم الأخرى رغم أن أسس النهضة الأدبية في كل أوربا تكاد لا تعدو أدب الاغريق واللاتين .

وخصائص الأدب الاغريقي القديم انه كان يمثل الصراع بين رغائب البشر على الأرض وقضاء الآلهة في السماء وأدب اللاتين تكاد تستغرقه مشاعر الحب والهيام أما أدب أمم الشمال وهم الجرمان وسكان اسكنديناوه فيتميز بالكلف بالحياة في تفاصيلها الدقيقة وكأنّ مهمته البحث عن السر الخفي وراءها وقد وقف الأدب الانجليزي موقفاً وسطاً بين أدب اللاتين وسكان اسكنديناوه هذا بينما الأدب العربي في الشرق أبان حضارة العرب في القرون الوسطى كان طابعه الذي يتميز به هو حب الحياة مكتفياً بجمالها الواقعي عن خلق مثُل عُليا للجمال .

والكاتب السويدي أوجست سترندبرج يعالج في مسرحيته الفذّة « الأب » التي قام بترجمتها الى العربية الأديب النشيط الأستاذ وديع فلسطين موضوعاً من صميم الحياة الواقعية بل هو يعرض لأبرز صورها وهي الحياة العائلية فيعرضها عرضاً واقعيًّا بحتاً وهو يضع في يدك خيطاً رفيعاً جدًّا من خيوط هذه الحياة المتعددة النواحي ثم يدفعك شيئاً فشيئاً في بساطة متناهية وأنت لا تحس واذا بك في نهاية المسرحية دهِشٌ غاية الدهشة تحاول التخلص من الظلمة الخيفة المحيِّرة التي دفعك إليها المؤلف فلا تستطيع ويضاعف من حيرتك وإحساسك بالألم إن هذه المشكلة هي مشكلتك أنت أيضاً إنها تمسك في الصميم بل وكل وليد من بني البشر — انها قصة عائلة أبرز أشخاصها الزوج (ضابط مسن) والزوجة وابنة – أراد والداها إن يكلا صباها المتفتح بالتعليم فاختلفا على شيء بسيط غاية البساطة هو اختيار المدرسة فيأخذ الموقف يتعقد والفتاة في حيرة عديدة ، وأخيراً تنحاز لجانب أمها . ولو كان مؤلف هذه القصة أديباً من أي أمة أخرى غير اسكنديناوه لجعل هذا الموقف وحده العقدة التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تبنى عليها المسرحية ثم تقود الى الخاتمة الحزينة ولكن سترندبرج ككل أدباء الشمال مغرم بالخفايا والأسرار فغاص الى ما هو أعمق وأخطر لقد صممت الأم على أن تنتصر في المعركة بأي ثمن فلتحطم إذن في يد الزوج سلاحه وحقه في السيطرة على مستقبل الفتاة فرمته بأن الفتاة ليست من صلبه .. !! وهنا تميد الأرض تحت أقدام الزوج ويبدو لنا هملت جديد هملت عصري قد يكون في كل بيت ولكنه لا يدري بنفسه إذ لم تكشف له الظروف بعد قناع الخداع ... إننا نقرر أن أدبنا في أشد الحاجة الى أمثال هذه الآفاق الجديدة فهو يسير ويدور في جادة مطروقة فالجديد الطريف نادر وان إبسن ومترلنك وسترندبرج وغيرهم من أدباء الشمال الذين أثروا أبلغ الأثر في الأدب الأوربي الحديث لا يجوز أبداً أن تجهلهم لغتنا العربية وكما وفق المترجم في الاختيار فقد وفق الى حد لا بأس به في الترجمة.

٢ - كتاب روح وريحان

تأليف الاستاذ أحمد أنس الحجاجي

من المسلم به أن الزعماء تخلقهم البيئة مع استعداد خاص في طبيعتهم وأن أثرهم في البيئة أيضاً لا ينكر وكان لا بد لمصر التي تركز فيها كل تراث الحضارة الاسلامية منذ سقوط بغداد والتي وقفت أمام العالم كله تذود عن هذه الحضارة وهذا الدين أبان الحروب الصليبية ، نعم كان لا بد لمصر وهي الآن ما خلا المدن الكبرى تعيش حياة لا تختلف كثيراً عن حياة المجتمعات الاسلامية إبان القرون الوسطى أن تظهر فيها شخصية تمثل هذه البيئة وتتمثل البيئة فيها. وكان لا بد أيضاً أن يكون عماد هذه الشخصية في حركتها هو الشعور الديني الذي كان ولا يزال أقوى المؤثرات في المجتمعات الاسلامية

نعم اننا لا ننكر ان المدن المصرية تكاد تكون قطعة من أوربا أو هي تسير في هذا الطريق وان الخطوط المرسومة لمستقبل الأمة المصرية تهدف إلى هذه الغاية ولكن لا تزال كتلة الشعب العظمى بعيدة عن هذا الهدف .

وقد توفرت ظروف سياسية ساعدت على ظهور هذه الشخصية وأدى بروز الشخصية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأستاذ حسن البنا مؤسس جماعة الأخوان المسلمين أكبر جماعة دينية منظمة في الشرق الاسلامي، بل وأكبر جماعة منظمة عرفها تاريخ هذا الشرق — ففي الوقت الذي توزعت فيه قوى الزعماء، وفي الوقت الذي كثر فيه التنابذ في جو السياسة المصرية حتى تعذر تمييز الخبيث من الطيب تلفت الشعب وبتعبير أدق جمهرته العظمى المتدينة فوجدوا رجلاً يضرب على نغمة لا يملكون الا الاستجابة لها وهي نغمة الدين ولم يتوان الرجل عن انتهاز الفرصة التي كان يعد نفسه لها وينتظرها فقفز الى صدر الصفوف

ومن يطالع كتاب «روح وريحان» الذي يرسم صورة واضحة لحياة هذا القائد منذ شبابه بل طفولته يجد شخصية تكاد تكون صورة لأولئك القادة الذين ظهروا على التتالي في التاريخ الاسلامي ... فحسن البنا والمخلصون من جماعته لا يختلفون كثيراً عن جماعة الشراة والاباضية تحمساً لمذهبهم ، وحسن البنا والمخلصون من جماعته لا يقلون عن هؤلاء الدعاة الذين هدم بهم أبو مسلم الخراساني دولة وأقام دولة، بل ولِمَ نذهب إلى أمس البعيد وأمامنا مثل حي اليوم وان كان في غير العالم الاسلامي ؟ هل يختلف حسن البنا وجماعته في حماسهم الذي لا يحد وإيمانهم الجارف عن جماعة الصهيونيين ؟ وإننا لنتساءل أما كان واجب العالم الاسلامي أن يوجد هذه الجماعة لو لم توجد لتقف أمام الصهيونية بأطماعها وأحلامها وإيمانها وهل يفل الايمان إلا الإيمان والحديد إلا الحديد ؟ إن سياق حياة هذا الرجل في كتاب « روح وريحان » يعطينا صورة صادقة كل الصدق عنه وهي غاية في البراعة والجمال ، وأن الرجل الذي عاش حياته متحلياً بهذه المبادىء الخلقية الرفيعة التي طُبع عليها ويريد أن يطبع عليها الملايين لا بد وأن يكون شيئاً يحسب له ألف حساب في تاريخ هذا الشرق. واعتقاد أن رسالة الاخوان وحسن البنا بالذات ستُبرز للملأ أقوى مقوماتها يوم تصطدم الصهيونية بمقدسات المسلمين اصطداماً مسلحاً في فلسطين التي يعتبرها مؤسس الاخوان جزء لا يتجزأ من الوطن الاسلامي الذي لايتفاضل في نظره جزء فيه عن جزء . وللأستاذ الحجاجي الشكر على ما بذل من جهد وعناء في هذا الكتاب .

محمد فهمي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — الغرر التاريخية في الأسرة اليازجية

الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف — جزآن من القطع الوسط —

طبعا بالمطبعة المخلصية بدير المخلص قرب صيدا (لبنان)

للعالم المؤرخ الكبير الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف آثار روائع وبحوث طليّة في التاريخ والأدب، امتلأت بها مجلته « الآثار » وكثير من المجلات العربية في مصر وسوريا ولبنان والمهجر، وكنت قد علمت منه حين وفد على مصر عند اختياره عضواً بمجمع فؤاد الاول للغة العربية أن من الموضوعات التي توفر على بحثها وأعدّ العدة لإخراج مؤلف كبير فيها — تاريخ الاسر الشرقيـة . . . والاستاذ المعلوف اذا بحث موضوعاً وهبه من عنايته ومن موفور اطلاعه ومن معلوماته الواسعة، ومما تهيأ له جمعه من نوادر المخطوطات ما يجعل للموضوع قيمته النفسية .

* * *

وكان من نتيجة الفكرة التي أخذ بها نفسه وعمل على إبرازها أن وضع كتاباً قيّماً في تاريخ الأسرة اليازجية التي اشتهر كثير من أفرادها في عالم الأدب، وارتفع صيتهم في سمائه وخلدت اسماؤهم .

والكتاب المخطوط الذي وضعه الاستاذ المعلوف عن هذه الأسرة ضخم، ولكن المؤلف نشر منه فصولاً مختصرة في مجلة « الرسالة المخلصية » ومن ثَمّ أخرج هذا البحث المختصر على حدة في جزئين، الاول منهما ويقع في ١٢٨ صفحة تناول فيه تاريخ الأسرة اليازجية العربية الأصل الحورانية المنبت وقد هاجرت الى حمص في نحو القرن الخامس عشر للميلاد ونبغ منها كتّاب لولاة حمص فلُقّب جدهم الأصلي باليازجي وهي كلمة تركية معناها « الكاتب » ثم صار هذا علماً للأسرة، وقد تفرّع من هذه الأسرة فروع كثيرة اختص المؤلف في كتابه بالبحث الفرعَ اللبنانيّ منها . ثم ترجم لمشايخها العلماء أمثال المشايخ عبد الله وناصيف وحبيب وخليل وابراهيم ثم أولاد الشيخ ناصيف وإخوته مع ذكر آثارهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأدبية المطبوعة والمخطوطة . ولكل منهم فضل لا ينكر وبخاصة الشيخ ناصيف والشيخ ابراهيم .

وقد تناول المؤلف في الجزء الثاني — ويقع في ١٤٣ صفحة — تاريخ أصهار هذه الأسرة وبناتهم وأسباطهم ... وفي هؤلاء من ارتفع صيته الأدبي كالشيخ سليمان الحداد وولديه نجيب وأمين الحداد .

والكتاب المطبوع — على اختصاره — موسوعة ضمت الكثير من أخبار المترجم لهم وأشعارهم ونوادرهم وما قيل من المراثي فيهم ، وهو مرجع له قيمته في تاريخ الأدب العربي في القرن الماضي ... فالقارىء يتنقل بين ألوان شتى من الطرائف التي لا يضنّ الأستاذ المعلوف بالجهد الكبير في سبيل جمعها وتيسيرها ، وعسى أن يوفق قريباً الى نشر هذا الكتاب بالحجم الذي وضعه المؤلف .

* * *

٢ — جمال الدين الافغاني

آراؤه . كفاحه . أثره في نهضة الشرق — الاستاذ قدري حافظ طوقان —
٣٨ صفحة من القطع الوسط مطبعة بيت المقدس بالقدس

حياة جمال الدين الافغاني وآراؤه لن يفرغ منها الزمان ، ولن يقف البحث فيها عند وضع كتاب أو كتابين أو عشرة ، لأن حياته كانت بعثاً للشرق ، وكانت تعاليمه ضياء للشرق ، وكان لتلاميذه أثر بارز في نهضة الشرق لأنهم استمدوا من روحه ومن مضائه ومن جرأته ودعوته للاصلاح القوة التي نقلت الشرق من حال إلى حال .

ولقد قرأت الكثير مما كتب عن هذا المصلح الشرقي الكبير ، والمحاضرة التي ألقاها الأستاذ قدري حافظ طوقان في النادي الرياضي الأدبي بنابلس وفي القدس وغزة والله إحياء لذكرى الافغاني بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته . ثم طبعها بعد ذلك ، هي على وجازتها من أمتع ما كتب عن الافغاني وتحليل آرائه وعرضها . والأستاذ طوقان من علمائنا النوابغ عرفه قراء المقتطف منذ سنوات وعرفوا فيه ندرة الباحث العالم مع مقدرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أدبية وغيرة شرقية تجلت في كتابه « تراث العرب العلمي » الذي أصدره المقتطف منذ سنوات .

وقد تناول الأستاذ طوقان في محاضرته أو في رسالته آراء الأفغاني وكفاحه وأثره في نهضة الشرق فبين كيف كان هذا المصلح يتمنى نبذ الخلافات الدينية ونبذ التعصب الديني وانه كان يؤمن بالحق ولا يقف دون رأيه حائل أو رهبة ، وكان يؤمن بحقوق الشعوب في أن تحكم نفسها بنفسها .

* * *

ولعلّ رده على اللورد ساليسبوري حين عرض عليه عرش السودان إبان ثورة المهدي من أبرز سمات قوة هذه الشخصية ومتانة خلقها وترفعها ومعرفتها للحق والجهر به فقد قال الأفغاني للورد : « تكليف غريب . وسفه في السياسة ما بعده سفه . اسمح لي ياحضرة اللورد أن أسألك : هل تملكون السودان حتىّ تريدوا أن تبعثوا اليه بسلطان ؟ مصر للمصريين والسودان جزء متمم له » . ولعلّ هذا هو منطق الحق الذي تنطق به مصر الآن تجلى على لسان مصلح الشرق منذ ثلثي قرن

وعرض لرأيه في العلم الصحيح والتمدن وما يجب أن يؤديا اليه وأن العلم الصحيح والمدنية الصحيحة هما الوصول بالعالم الى السلام والرخاء لا السعي في سبيل الاستعمار الذي هو التخريب في رأيه من قبيل أسماء الاضداد .

وانتهى الى أن الأفغاني أصبح الآن فكرة باقية ومعنى خالداً . . . فكرة الثورة والنضال ، ومعنى التضحية والكفاح في سبيل الشرق وخلاصه ، وكرامة الشرق وإعلاء كلمته .

وان رسالة الأستاذ طوقان عن الأفغاني لجديرة بالقراءة لأنها جلت لنا حياة المصلح بما يلهم الشباب العمل في سبيل المجموع وتقدمه والتضحية بالذات في سبيل الرأي والمبدأ والغاية العالية .

حسن كامل الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — من وراء الأفق

ديوان شعر : ١١٠ صفحة من القطع المتوسط ? دار المعارف : القاهرة ١٩٤٧

٢ — معرض الأدب والتاريخ الاسلامى

بحوث متفرقة في الادب والتاريخ : ٢٣٤ صفحة من القطع الوسط مطبعة الاعتماد : القاهرة : ١٩٤٧

كلاهما من قلم الاستاذ محمد عبد الغنى حسن

صديقنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن من أدباء هذا الجيل النابهين ، جمع بين ملكة الشعر وملكة النثر ، فهو في شعره نسيج مرقق من ديباجة السابقين ، وفي نثره طابع بذاته من الجزالة والسهولة . فأنت من شعره في أفق يصلك بالحاضر كما يصلك بالماضي ، ومن نثره في جو رٍ رقيق ، لا تخدشك فيه خشونة بعض الاساليب القديمة ، ولا تفاهة بعض الاساليب الحديثة ، فقد جمع بين الدقة في الأداء والدقة في الأداة .

ولست هنا في مجال التقرير والنقد للأثرين الادبيين ، وإنما أعرض هنا عرضاً لنواح من فن الاستاذ المؤلف تنويهاً بفضله ، على أن نعود مرة أخرى الى نقد الكتابين نقداً أدبياً مستفيضاً بعد الفراغ من درسهما

في ديوان من وراء الأفق « قصيدة وقفت عندها طويلاً ، وهي أبيات خوطب به البحر ، ولست أعلم أحبّي للبحر هو الذي أغرى بي أن أقف عندها هذه الوقفة أم براعة الشاعر في خطابه الى ذلك العالم الأزلي :

وقفت بالبحر أستوحيه أشعاري ... فهل درى البحر أنبائي وأخباري ؟
يا واسع الصدر ! أسراري مكتمة ... فهل تصون صباباتي وأسراري
وبي من الشوق ما لو كنت تحمله ... لصرتَ مشتعل الأضلاع بالنار
لا أنت يا بحر تشفي من لواعجنا ... ولا نسيمك ، وهو العابر الساريّ .

ووقفة أخرى عند قصيدة « أين أنت » :

هذي بواكير الربيع فأشرقي ... في فسحة الأفق البعيد المطبق
قلبي تبرّم بالشتاء فهيئي ... لي مقعداً عند الربيع المورق
والقيد أعياني وعض جوانحي ... واعتادني أرق الفؤاد فرفقي
من لي بأجنحة العقاب لعلني ... يوماً أحلق في الفضاء المطلق
أنا من أضانفه الهموم تنفسي ... من كربة السجن الكئيب الضيق
ما الأرض من وطري ولا هي داري ... كيف المقام على الضرام المحرق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويكاد يخنقني مهوب عبيرها من لي بروح من مقبلك النقي ؟

وتطول بك الوقفات كثيراً في جنبات الديوان .

أما كتاب معرض الأدب فاسم على مسماه ، إذ جمع بين موضوعات تاريخية وأدبية وفنية قلما عرض لها كاتب من قبل . فقصة الأساطيل الاسلامية بحث من أطرف ما قرأت ، ثم الشعر في معارك الحروب ، ورثاء الزوجات في الأدب العربي ، والى جانب هذا فصل عن انجلترة في نظر سائح عربي .

ولهذا الكتاب وجهة قومية عربية واضحة المعالم بينة القسمات محصلها ما قال المؤلف في المقدمة « نحن في المزدحم العالمي اليوم مقبلون على أمور جسام . فمن الخير للعرب أن يستخرجوا مواطن العزة من أمسهم ، ليأخذوا الأهبة ليومهم وغدهم . ومن الخير لورثة العرب حضارة وثقافة أن يستعرضوا ماضيهم في ضوء التحقيق والانصاف ، لا في بهرجة المبالغة والاسراف . فذلك أجدى عليهم وأنفع لهم ، حتى يكونوا من بناة الخير الذين اذا ورثوا المجد القديم صانوه وأتموه ولم يضيعوه ، وإلاّ صح فيهم قول القائل .

اذا المجد القديم توارثته بناة السوء أوشك ان يضيعا

مجلة „ الضاد “ الحلبية

تصدر عدداً خاصًّا عن فوزي المعلوف

أصدر صديقنا الاستاذ عبدالله يوركي حلاق رئيس تحرير مجلة « الضاد » التي تصدر في حلب عدداً ممتازاً من مجلته في عام ١٩٣٥ عن الشاعر النابغ المرحوم فوزي عيسى المعلوف بمناسبة مرور خمس سنين يومذاك على وفاته . وفي أول العدد كلمة رائعة لامير شعراء الاسبان فرنسيسكو فيلا سباسا عن فوزي المعلوف قال فيها إنه « كأنبياء التوراة علق ربابته على غصن صفصافة لتعزف على هوى الريح ناطقة بما في لغة الطبيعة من نبرات خفية تهمس بها الآلهة » .

ويلي ذلك ملحمة شعرية للشاعر الفقيد مؤلفة من أربعة عشر نشيداً تنطق بإبداعه وإلهامه وترادفت بعد ذلك كلمات وقصائد لادباء العروبة تصور مجالي العبقرية في الشاعر وتبين الخلال الحميدة التي تميز بها .

وليت الاستاذ عبدالله حلاق يعني بأن ييسر للمصريين الحصول على هذا العدد الممتاز من مجلته « الضاد » لأن الشاعر صاحب السيرة من الشعراء الذين يجب أن يكونوا غير مجهولين في ربوع مصر فضلاً عن سائر الأقطار الناطقة بالضاد ، ولا سيما لأن هذا العدد الممتاز فيه من الشاعر المعلوف ما لا يستغني للباحثين المصريين معرفته عنه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الاول

من المجلد الحادي عشر بعد المئة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١٥ يوليو سنة ١٩٤٧ — ٢٦ شعبان سنة ١٣٦٦

الله
وفكرة الألوهية أو الربوبية (١)

١ — تمهيد

ما من شيء في دنيا الفكر ينبغي أن تحدد معانيه تحديداً دقيقاً ، اذا أردنا أن نأمن العثار ونطوي مراحل الجدل ، كتحديد المعنى الذي ندركه من كلمة « الله » ، والمعنى الذي ندركه من كلمة « الألوهية أو الربوبية » .

لا شك في أنّ المعنى المدرك من قولك « الله » والمعنى المدرك من قولك « ألوهية أو ربوبية » فيهما تضايُفٌ شديد الآصرة ، إذ أن تسليمك بأحدهما يجرك الى التسليم بالآخر . ولكن ينبغي لنا أن نتواضع على تفرقة بينهما في الاستعمال . وأود لو أننا ندرك إذا قلنا « الله » أنه موضوع مردّه الى الدين ، وأن ندرك من القول « بالألوهية أو الربوبية » انه موضوع مردّه الى الفلسفة أو التأمل .

أريد بذلك أن أقول إن كلامنا اذا انصرف الى « الله » لزمنا أن نتقيد بكل ما جاء به

(١) تأملات في هذه المشكلة العقلية إثر قراءات في كتاب « الله » تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد. وفي هذا الكتاب بعض مصطلحات لا نوافق المؤلف عليها ، وقد أشرنا اليها في كلمة في باب المكتبة، «المقتطف».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دين مّـا من وصف أو تقييد لمعناه أو صفاته ، فندرك من الله في التوراة مثلاً ما لا ندرك منه في الأناجيل، وندرك منه في الإسلام معنىً مخالفاً للمعنى الذي صوّر في التوراة والانجيل معاً ، ذلك بحسب الخصائص التي لـكل دين . ذلك بأن الصورة التي تضفى على « الله » في كل دين هي صورة حقّـة لطبيعـة ذلك الدّين . أما اذا انصرف الـكلام الى فـكرة الالوهية والربوبيـة » ، فهنالك تخرج الى الباحات الواسعة والآفاق القصية التي يسبح فيها الفـكر غير مقيّـد بالحدود التي تحددها الاديان . فباعتبـاري مسلماً عليّ أن أسلم بأن الله « ليس كمثله شيء» وأقف . وباعتباري باحثاً عليّ أن أبحث أول شيء في « هل الله ليس كمثله شيء » أو انه « كمثل جميع الأشياء » . لأدلف من ثمّ الى مجال المنطق الذي هو مجال الشك:

٢ — الاعتقاد والشك

لقد اختصر المسلمون الطريق اذ قالوا بأنّ « الله » ليس كمثله شيء . نعم قد تقع في جميع الديانات العظام على معانٍ وأقوال تحاول التعبير عمّا عبّر عنـه المسلمون بهذه الـكلمات الثلاث . أراد أصحاب الأديان بذلك أن يردوا « الله » الى فـكرة غاية في التجريد، بل أرادوا بذلك أن يعجزوا العقل ويسدوا عليه المسالك حتى يتنكب طريق البحث في الله.

وإنما أراد أصحاب الأديان بذلك أن يحتفظوا بوحدة الاعتقاد إن يزلزله الشك . تلك الوحدة التي أقاموها على نظرية أن الانسان معتقد بالطبع : « أيّـاً كان موضوع الاعتقاد ، كأنما يوجد الاستعداد للعقيدة أولاً ثم توجد العقيدة على اختلاف نصيبها من الرشد أو الضلال » . حتى لقد قيل « إنّ في الطبع الإنساني جوعاً الى الاعتقـاد كجوع المعدة الى الطعام » .

ذلك اتجاه أصحاب الدين . وهم في ذلك يقفون موقف الدفاع عن الأساس الذي يقوم عليه الدين : كقولهم مثلاً كان الله ولا شيء معه ، وإنه ليس كمثله شيء ، رادين ذلك الى أن في الطبع البشري جوعاً الى الاعتقاد . أما موضوع هـذا الاعتقاد أي العقيدة ، فهو هذا الذي يقولون . واذن يكون تصوير العقيدة هو بسلطة من الدين . فأنت ذات معتقد، ولـكن ليس لك أن تناقش موضوع الاعتقاد أي العقيدة . فإما أن تكون عقيدتك قائمة على ذلك ، وإمّـا أن تكون لا شيء .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكن القائلين بهذا القول قد غفلوا أو هم تغافلوا عمداً عن أن الطبع البشري لا ينطوي على صفة الاعتقاد لا غير ، بل ينطوي أيضاً على صفة الشك . بل أرادوا أن لا يقولوا إن في الطبع الانساني جوعاً الى الشك كجوع المعدة الى الطعام .

كلاّ بل أقول إن جوع الانسان للشك أشد من جوعه للاعتقاد . وذلك طوعاً لتركيب قواه العقلية . فالانسان الأول عندما اعتقد بأن لهذا ، الكون سبب ، لم يأت اعتقاده إلاّ من طريق الشك في أنه ليس له سبب ، وإذن يكون له سبب ، كقولك مثلاً :

أشك في أن الكون ليس له سبب = اعتقاد : للكون سبب

أو قولك :

أشك في أن للكون سبباً = اعتقاد : ليس للكون سبب .

فاعتقاد الانسان بأن للكون سبباً يعود اليه، نشأ أولاً من شك في أنه ليس له سبب. وإذن يقوم في روعه أو عقله أو اعتقاده ، أو ما شئت فسَمِّ ، إن للكون سبباً ، هو الله أو العلة الأولى أو العقل الأول ، أو ما شئت فسَمِّ .

وإذن يكون نفي الشك من مجال الفكر البشري ، وهو بديئة الاعتقاد ، مؤامرة فكريّة على العقل وعلى الفلسفة . ولهذا أعتقد أن الصواب أن يقال :

« إن الاستعداد للشك يوجد أوّلاً ، ثم يُقفّي عليه الاعتقاد ، وعكس ذلك غير صحيح » .

٣ — الوعي الكوني وقانون الارادات والأسباب

لما جهلت من الطبيعة أمرها وأقمت نفسك في مقام معلل
أثبت رباً تبتغي حلاً به للمشكلات، فكان أكبر مشكل
الزهاوي

قال الأستاذ العقاد (ص ٣٤)

« ما هي صفة الوجود ؟ وبعبارة أخرى ، ما هو ألزم لوازم الوجود ؟ إننا لا نعرف الشيء الموجود تعريفاً سائغاً إذا قلنا إنه الشيء الذي ندركه بالحس أو بالعقل أو بالبصيرة . لأننا — بهذا التعريف — نعلق الموجود على موجود آخر هو الذي يدركه بحسه أو بعقله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أو ببصيرته . فلا يكون الشيء موجوداً إلا إذا كان له محسُّون ومدركون . إلا إننا نعطي الوجود ألزم لوازمه إذا قلنا إنه « غير المعدوم » ... فيكفي أن ينتفي العدم ليتحقق الوجود. وكل ما ليس بمعدوم ، فهو لا محالة موجود » . اه

ويظهر جليًّا من سياق هذه العبارات أن بها كثيراً من الرتق بين مفهومين منفصلين كل الانفصال فكريًّا ، وإن تلازما بعض الشيء لغويًّا . بدأ الأستاذ المؤلف بالتساؤل عن ما هي صفة « الوجود ؟ » وما هو ألزم لوازمه ؟ ثم ساق الكلام عن « الموجود » ولا شك أن « الوجود » شيء غير « الموجود » . فالوجود معنىً هو الى الاطلاق ، والموجود معنىً هو الى التحديد . ولهذا لم يستطع أن يتخلّص من اللازمة التي أراد أن يتجنَّبها . فالحكم على شيء بالوجود هو تماماً كالحكم عليه بالعدم . ذلك بأن الحكم في الحالتين يدعو الى وجود جواهر محسَّة . فالحكم بالوجود يرجع الى إحساس بشيء . والحكم بالعدم يرجع الى إحساس بعدم الوجود . وكلاهما يرجع إلى ادراك الحسّ ، أولهما إيجاباً ، والآخر سلباً . فالحكم بالوجود احساس إيجابي . والحكم بالعدم احساس سلبي . وكلاهما احساس يقضي بوجود من يحسّون ومن يدركون .

كذلك قوله — « إننا نعطي الوجود ألزم لوازمه إذا قلنا إنه « غير المعدوم » : فذلك قول غير مستقيم ذهناً . لأن « الوجود » يقابله « العدم » ، ولا يقابله المعدوم . إن هذا يقابله الموجود ، وهذه مقابلة بين شيء له معنى مطلق هو « الوجود » وشيء له معنى محدود هو « المعدوم » .

***

صبتي فتكلم المؤلف هنا على « الموجود » ثم انصرف الى « الوجود » . والموجود لابدَّ من أن ترجع معرفته إلى ادراك الحسّ . أما الوجود فمعنى معقول أو مفهوم يستخلص من الاحساس بالموجودات . ولو لا الاحساس بالموجودات لتعذَّر أن ندرك معنى « الوجود » . لأن لكل « موجود » محدود وجوداً مطلقاً . وإدراك معنى الوجود ينعدم إذا لم تكن هنالك موجودات محسوسة . كالزمن . فإن معناه ينعدم إذا انتفت الحركة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« كما ان الشبح المنعكس من عدسة زجاجية على حائط ليس سوى صورة مكبرة من ذلك الشبح الكائن في العدسة ، كذلك النظريات الخاصة بهذا العالم ، ليست سوى صور مكبرة من نظريات العقل الانساني ، تسبك عادة على نماذج تستمد من تجاربنا الذاتية »
كروزيار

يقول الأستاذ العقاد : ص ٤٩

« وهذا الذي سميناه « بالوعي الكوني » هو الذي يحس بوطأة الكون فيترجمها على قدر حظه من التصور والتصوير ، فيقع الخطأ في الكثير من التعبير وفي محاولة التعبير ، ولا يمتنع من أجل ذلك أن تتلقى الكون بوعي لا شك في بواعثه وغاياته وان أحاطت بتعبيراته شكوك وراء شكوك . وربما كان هذا « الوعي الكوني » فرضاً صادقاً أو راجحاً ثم ينتهي به الأمر عند ذلك ، لو لم تكن ظاهرة التدين التي تترجم عنه ملازمة لبني آدم في جميع الاماكن ومن أقدم الأزمان ، ولو لم ينبغ في الناس أفراد من ذوي العبقرية تلزمهم روعة المجهول » اهـ .

فكأني بالأستاذ ، على قدر ما استطعت أن أفهم من هذه العبارات ، يريد أن يقول ان هذا « الوعي الكوني » الذي لم يعرّفه تعريفاً يحدده ضبطاً ، هو فرض ضروري ، صادق أو راجح ، وان ضرورته تترجم عنها ظاهرة التدين . فالتدين الذي هو تفريع على « الوعي الكوني » عند الأستاذ العقاد ، أصبح بذلك أصلاً يثبت الأصل الذي يعود اليه ، أي ان الفرع قد اتخذ دليلاً على صحة الأصل .

على أن الفيلسوف « أوغست كونت » قد عبّر عن هذا المعنى من غير احتياج الى اللجوء إلى ترجيحات بغير مرجحات . قال : —

« إن الاعتقاد في إرادات او ذوات عاقلة ، لم يكن الا تصور باطل تخفي وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية . أما الآن وكل المتعلمين من أبناء المدنية الحديثة يعتقدون بأن كل الحوادث العالمية والظاهرات الطبيعية لا بد من أن تعود الى سبب طبيعي ، وانه من المستطاع تعليلها تعليلاً مبناه العلم الطبيعي ، فلم يبق ثمت من فراغ يسده الاعتقاد بوجود الله ، ولم يبق من سبب يسوقنا الى الايمان به »

وما هذا غير تفسير للقاعدة التي وضعها هذا الفيلسوف قاعدة ان الانسان اذا عجز عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعليل الظاهرات ومعرفة أسبابها الطبيعية ، عزاها الى قوًى شبيهة بقواه البشرية .

فالوطأة التي يحس بها الوعي الكوني عند الأستاذ العقاد ، هي في الواقع جهل الانسان وعجزه عن تعليل الظاهرات عند « كونت » ، والتدين عند الاستاذ العقاد هو الارادات التي تعزى اليها أسباب الظاهرات عند « كونت » . وكلما كان الانسان أضرب في الجهل بالأسباب، اشتدت وطأة الوعي الكوني على قول العقاد ، وزاد عدد الارادات التي تعلل بها الظاهرات عند « كونت » .

٤ — تخلُّف الارادات وتقدم الاسباب

كانت الآلهة تمشي على الأرض وتكلم الناس وتتصل بهم اتصال الأشخاص الفانين . وكان لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة إلاَهٌ خاص موكل بها ، هو عند الأولين السبب الذي تعود اليه الظاهرة.

ظواهر وحالات حار فيها الفكر وعجز عن بلوغ الأسباب التي تعود اليها الظاهرات، فنسبها الانسان الى ارادات مثل ارادته ، لا الى قوانين طبيعية وسنن كونية

لقد كفَّ الناس عن القول بأن الصواعق نتيجة غضب إلاَهيّ عندما عرفوا حقيقة الكهربائية الجوّيَّة . وعند ما استكشف « فرنكلين » مانعة الصواعق ، نسب الظاهرة الى سبب طبيعي لا إلى إرادة تشبه إرادته .

ورجع الناس عن القول بأن الجنون والهلاس عائدان الى أعمال السحر والشعوذة وأنصار الشيطان ، عندما دلَّهم الطب على أسبابهما العصبية .

وإذا لم أكن قد أخطأت الفهم بكون « الوعي الكوني » هو عبارة عن حالة نفسية، لاعقلية ، تقوم اذا استقوى الجهل بالأسباب الطبيعية على تعليل الأسباب. ولقد أخذ الاعتقاد في وجود ارادات مختلفة موكول إليها القيام على تصريف ظاهرات الطبيعة ، يتخلف شيئاً بعد شيء . فكل سبب طبيعي لظاهرة يمكن أن يصل إليه العقل أو التجربة ، كان من شأنه أن يمحو إرادة من الارادات التي اتخذها الانسان بديلاً من السبب الطبيعي .

ولا شك في أن الاعتقاد بالله اذا ارتكز على ضرورة العثور على بيان مما بعد الطبيعة يفصح عن حقيقة الظاهرات الطبيعية ، التي لا يمكن تعليلها بغير استدرار وحي ما وراء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطبيعة ، يصبح اعتقاداً غامضاً محوطاً بالريبة عند العقليين والطبيعيين معاً ، بل ان هذا الاعتقاد يمسي عرضة للزوال أمام أضعف البراهين الطبيعية .

غير أننا قد نستبين وجهاً من الضعف في هذا التدليل ، وهو كما لا ينبغي أن ننسى ، قائم على نظرية « أوغست كونت » . وموضع الضعف فيه ينحصر في الاعتقاد بأنه لا يوجد في الكون من شيء يحتاج الى تعليل أكثر من وصل الحلقات المتفرقة في سلسلة الظاهرات الطبيعية التي يتألف منها الكون المادي في مجموعة بعضها ببعض . في حين أن السلسلة في مجموعها ، باعتبارها كلاً متواصل الأسباب ، غير متفرق الوحدات ، لم يعرف سببها الأول .

قد تقول . أنه ليس يكفي أن تعلل لنا الأسباب الطبيعية كيف ينشأ الانسان من أبويه وكيف نشأت القرون الأولى من قبله ، بل الواجب ، لكي يصبح التدليل الطبيعي قائماً وثابتاً ، أن يكشف الطبيعيون عن علة الوجود الانساني أصلاً في هذه الحياة الدنيا !!

هنا نخرج من نطاق العلم الى نطاق الفلسفة . وفلسفة « كونت » فلسفة طبيعية أولاً وقبل كل شيء . ولكن ما دمنا في مجال الكلام عن الالوهية ، وجب أن نتدرج في البحث لنرى إلى أين يؤدّي ؟ وإذن نقول :

لا يكفي أن يعرف الطبيعيّون كيف أنشأت سنن التطور الاحجار والأشجار والأزهار والحيوان والانسان ، بل يجب ، لكي يصلوا الى دليل ينقع الغلّة في أصل الوجود ، أن يعللوا ، بالبرهان الطبيعي ، لماذا خُصّت الجواهر الفردة التي تتألف منها هذه الأشياء أصلاً ، بخاصيتي الجذب والدفع ، ولم تخصّ بصفة أخرى ؟

وهنا نخرج من نطاق العلم الى نطاق الفلسفة !! وإن شئت فقل التأمّل .

لنضرب مثلاً نتخذه من آلة الراديو عند المتمدنين ، والساعة عند بعض المتأخرين .[1] لا مندوحة للعقل الانساني في مدارجه الأولى ، من أن ينسب كل حلقة من حلقات هذه الظاهرة الى أرادة خفية غير معروفة ، ما دام اتصال الحلقات المختلفة في نظام الراديو أو الساعة ، لم يستطع الوصول الى معرفته اوعلته ، حتى يسكن العقل الى تعليل الظاهرة التي

---

(١) ذكر لي صديق أنه قرأ لي كتاباً عنوانه « الفصل في الساعة ، أسحر هي أم صناعة » لاحد الملحدين ، غفر الله له .

تقع تحت اختبـاره . ولـكن اذا ارتفعت العقلية الانسانية الى الحد الذي تستطيع عنده تعليل الاتصال بين الأجزاء المختلفة بأسباب طبيعية ، لم يبق هنالك من حاجة لتدخل قوة مفروضة غير مرئية ولا معروفة ، لتعليـل الظاهرة في تواصل حلقاتها ، ولم يتسع المجال للاعتقاد بها . غير أننـا مع عدم احتياجنا الى الركون للقول بارادة غير مرئية لتعليل كل حلقة من حلقات الظاهرة الطبيعية ، فاننا مع هذا نساق الى الاعتقاد بوجود إرادة عاقلة مدبرة حكيمة ، يرجع اليها وجود الآلة في مجموعها .

أما إزاء الراديو والساعة فنحن في نطاق العلم بمعرفة الارادة التي وصلت بين أجزائها. أما ازاء الـكون فنحن في نطاق الفلسفة ، لأن العلم لم يزل في صباه ، وفي أوائل مدارجه. إن العقل إزاء العلة الأولى ، هو في نطاق التأمل .

في حالة من الحالات ، كانت المعرفة الانسانية بوجوه الاتصال بين الظاهرات المختلفة ضئيلة الى حد مست الحاجة عنده الى فرض مجموع من مختلف الآلهة وانصاف الآلهة يرجع اليهم السبب في وجود كل حلقة من حلقات الظاهرة منفصلة عن المجموع . ولما ضربت الانسانية في سبيل العلم الطبيعي ، قلت الآلهة عندها ، ولم يبق منها غير نزر يسير معللاً بها بعض الظاهرات التي كانت أسبابها الأولى لا تزال رهن التحقيق العلمي ، ومضت الانسانية بعد ذلك ممعنة في الـكشف عن كثير من حقائق الـكون ، حتى استقر اعتقادها في النهاية على إلاهٍ واحد ، اقتصرت ارادته على التدخل في بعض الظـاهرات دون بعض ، وبطرق موسومة بطابع العلم والحـكمة .

فالانسان إذن إزاء العلة الأصلية في وجود الـكون ، كما كان من قبل إزاء الظاهرات الفردية المختلفة ، في موقف لم يتحلل منه . هو ينسب العلة الأصلية الى ارادة مثل ارادته كما كان ينسب أسباب الظاهرات المختلفة ، يوم أن جهل أصولها ، الى ارادات مختلفة .

زادت نسبة المعرفة بالاسباب الطبيعية ، وقلت الارادات ، وما زالت تقل وتتضاءل حتى انحصرت في ارادة واحدة ، لم يستطع العقل الا أن يسلم بأن لها قدرة ، وان القدرة لا تتعلق إلاّ بالممكنات .

يقول الفلاسفة الطبيعيون إن الظاهرات الطبيعية المختلفة يمكن تعليلها بأسباب طبيعية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أو هي قابلة لأن يكشف عن أصلها بالعلم الطبيعي . وبتقدم العلم أمكن أن توضع الارادة التي تشبه ارادة الانسان — والتي هي علة الكون الأصلية ، وراء عالم الظواهر . بعدت الارادة عن التدخل المباشر في حدوث وجوه الاتصال بين الظاهرات الجزئية ، وأصبحت بمقتضى نظام العقل البشري مرجع الكليات . مرجع القصد وعلة الكون في مجموعه .

وهنا نخرج من نطاق العلم الى نطاق الفلسفة .

قبل أن يستكشف قانون جاذبية الثقل اعتقد « كبلر » أن حفظ السيارات في أفلاكها راجع إلى أرواح موكلة بها . أي انه نسب السبب الطبيعي الى ارادة مثل ارادته ، عند ما أعوزه السبب الذي تعود اليه الحركة . فلما عرفت جاذبية الثقل سكن العقل البشري اليها ، ولم يحاول مرة أخرى تعليل حركة الاجرام . ولكن ألا يحتاج العقل البشري الى البحث عن سبب ترجع اليه جاذبية الثقل وأثرها في نظام الكون ؟

ما دام العقل عاجزاً عن معرفة السبب الذي ترجع اليه جاذبية الثقل ، فانه يرد ذلك حتماً الى ارادة مثل ارادته . وهنا يخرج العقل من نطاق العلم الى نطاق الفلسفة . الى نطاق التأمل . الى نطاق « الوعي الكوني » .

ان الحلقات المتتابعة التي يتكون منها سلسلة الظاهرات الكونية ، إن كان من المستطاع تعليلها بالأسباب الطبيعية ، فان السلسلة كمجموع ووحدة غير معللة ولا مجزأة قد ظلت وربما تظل ، محتاجة الى تعليل وسبب تعود اليه . ولما كانت الأسباب الطبيعية قد عجزت عن تعليل ذلك ، وثب العقل الى ارادة مثل ارادة الانسان نسب اليها السبب وأضفى عليها صفة العلة الاولى . الى ارادة حرة عاقلة متصفة بالحكمة . الى الله .

يقول العلم : أما وقد استكشف الانسان من السنن الطبيعية ما استطاع به أن يعلل كثيراً من الظاهرات التي كانت تنسب دائماً الى ما بعد الطبيعة والغيب ، أي الى ارادة خفية تشابه ارادته ، فلم لا يؤمل أن يكشف المستقبل عن علة الكون ؟

وتقول الفلسفة : ان كل ما استكشفه الانسان من الأشياء التي تؤلف علمه ومعرفته ، ليست سوى سنن ترجع اليها الظاهرات ، لا علل أصلية . فلا بدّ إذن من أن نعود بعلة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكون إلى الاهٍ عاقل حكيم له ارادة مثل ارادتنا ، ما دمنا لا نستطيع، وليس في مستطاعنا، ان نعرف للكون علة أخرى .

ومن هنا لا تخرج الفكرة في الألوهية عن إنها « فرض ضروري » يلجأ إليه العقل البشري ، ما دام عاجزاً عن أن يجد للكون علة أصلية أخرى .

أما العالم المادي فليس لنا أن نتدبر فيه لأ بد من القول بأن ظروفه وظاهراته ، لا يمكن أن تحدث بتأثير القوة الخالقة في كل ظرف من أطرافه تأثيراً مباشراً ، بل ان حدوثها موكول الى السنن العامة التي تمهد اليها القوة الخالقة العظيمة تدبير حالات العالم

هيويل

إذا تأملنا من كلمات الفيلسوف الايقومي العظيم « هيويل » ، استطعنا ان نترجمها بلغة «أوغست كونت » في عبارات أخرى .

كانت الارادات الخالقة ارادات كثيرة ، وكانت كثرتها راجعة الى الجهل بالأسباب الطبيعية التي تعود اليها الظاهرات. فلما عرفت الأسباب تناقصت الارادات، وأخذت تتناقص حتى أصبحت ارادة واحدة تحرك السنن الأصلية التي تعود اليها الأسباب الجزئية ، فأصبح تدبير حالات العالم بالواسطة لا بالاصالة . ومن هذه السبيل ، سبيل الاعتقاد بأن الارادة الخالقة ، إنما هي ارادة مثل ارادتنا ومقيسة عليها ، قياساً مع الفارق ، برزت في بحوث الالوهية حقيقة التشبيه : Anthropomorphism وهي الفكرة الفلسفية القائلة بتزويد الله بما يشابه الخصائص الانسانية .

تقول الفلسفة : ان الاعتقاد بأن الخالق مكون حسب نماذجنا العقلية ، أو إنه صورة من صور الفكر الانساني ، أو انه ارادة مكبرة تشبه ارادتنا المصغرة ، اقول فيه من الباطل بقدر ما في القول بأن الأرض مركز النظام الشمسي ، وان الانسان محور الخلق . أي فيه من الباطل بقدر ما في البدهيات من البيان والظهور .

ويقول العقل : بالرغم مما في هذا القول من قوة، فان محاولة الاعتقاد بأن علة الكون من الممكن إدراكها بما يبعد عن إدراك ذواتنا ، أمرٌ بعيد بحكم الطبيعة ، بل قول هراء لا ظلّ له من الحقيقة .

وحاول كثير من ذوي المعرفة أن يصلوا إلى ادراك الذات المدبرة لهذا الكون بطريقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غير هذه الطريقة فأعنتوا ، ولو إنهم غالباً ما حدسوا انهم وصلوا إلى الحق . ذلك في حين أنهم لم يصلوا لغير ظواهر لا تغني عن الحق شيئاً .

لقد اتبعوا في ذلك طريقين :

الأوّل : إنهم أدركوا العلة الأولى من طريق المشابهات المستمدة من الخصائص الانسانية وقد حوّلوا تلك الخصائص بصفات يبعد أن تكون بشيء من بني الانسان .

الثانية : انّهم جعلوها مدركاً مجرّداً مقيساً بقسم من الطبيعة البشرية ذي منحط ، غير محدود .

أمّا « اسبينوزا » فقد ظنّ انه أبعد الفلاسفة عن الاعتقاد بأن العلة الأولى مكونة على نموذج عقله ، ومضى في فلسفته متخيّلاً إنه قد اجتاز كل عقبة بأن جعلها عبارة عن « امتداد وفكر » .

هنا تساءل دكتور « مارتينو » : من أين له فكرة الامتداد إلاّ من النظر في حالات جسمه الطبيعية ، ومن أين أتى له ان الله فكر إلاّ من خصائص عقله . ذلك بأن الامتداد والفكر ليسا سوى شيئين هما أخص ما تتصف به الأجسام والعقول .

وكذلك القول بأن العلة الأولى أو الله « وعي » كما يقول الاستاذ العقاد في كتابه . فان ذلك من أخص التشبيه . فلو لم يكن الانسان واعياً ، إذن لما أدرك أن هنالك شيئاً فائيًّا أو علة أولى هي بذاتها « وعي » واذا جهل الانسان السبب الطبيعي أو العلة ، نسب الأشياء الى ارادة مثل ارادته . فسبحان العقل .

خذ بعد ذلك « هربرت سبنسر » فانه على الرغم من مناوأته للقائلين « بالتشبيه » وعجزه عن انكار الخالق وعلة العلل ، أخذ يدير وجهه يمنة ويسرة ليقع على شيء يعلل به الكون ، بحيث يكون بعيداً عن كل شك وريبة ، فقال بأن « قوة خفية » مجهولة تدبر الكون .

على أن نظرة تأمل في فكرة « سبنسر » تدلك على أنه لم يتقدم خطوة واحدة على غيره من الفلاسفة الطبيعيين ، فكما أن الخالق عند « اسبينوزا » لم يكن الا شبحاً إنسانيًّا تمثله في المكان — امتداد وفكر — كذلك كان الخالق عند « سبنسر » تمثّل صرف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لفكرة غير معينة هي فكرة القوة ، وهي فكرة مستمدة من أحط الخصائص الانسانية ، خاصة إدراك الحس .

من هنا ينبغي لنا أن نعي أنه في جميع المباحث التي تتعلق بالنظر في أصل الأشياء ، لا يجب مطلقاً أن نتساءل عما إذا كنا نصور « العلة الكونية » على نسق مستمد من ذاتيتنا . لأنَّ تصوير العلة على نموذج الذاتية البشرية أمرٌ لا يمكن أن تنصرف عنه ذات فانية . بل الواجب أن نتساءل دائماً عما اذا كنا نصورها على نموذج مستمد من نظرة سطحية ، أم نصورها على نموذج مرجعه الوسعة في النظر ، والألفة التامة الموافقة لنظام العقل الإنساني .

فاذا كنا لا نستطيع أن ندرك من علة الكون غير نموذج يرجع تصويره الى تجاربنا الذاتية ، فمن الظاهر أن اعتقادنا في وجود ارادة عاقلة ، أي علة خالقة ، أو عدم اعتقادنا ، يرجع الى ما ندرك من فكرة السببية . وما دام فهمنا للسببية عائداً الى ما ندرك منها بحسب تجاربنا العلمية ، أي انها تنحصر في القياس على السوابق الطبيعية الظاهرة أجلى ظهور ، فمن الواضح اننا لا نرضى في عقليتنا فكرة التسلسل السببي الا بالاعتقاد في أن الأشياء لا بد أن تكون قد نشأ بعضها من بعض متدرجة في سلسلة منظومة خلال « الزمان » ، وهذا يلزمنا الاعتقاد حتماً بوجود ارادة عاقلة مخبوءة وراء عالم الظواهر الطبيعية ، أثرت في الماضي ، وهي تؤثر في الحاضر ، وستظل تؤثر في المستقبل .

واذا اعتقدنا أن السببية الحقيقية تشمل في مدلولها عنصر الارادة ، فمن الظاهر اننا اذا أردنا أن نحتفظ بألفة العقل ، تلك الألفة التي لا يمكن أن نستهدي بغيرها في البحث وراء الحقيقة ، فمن المحتوم علينا أن نعتقد في ارادة عاقلة حرة نتخذها علة الأشياء ، أو بعبارة أخرى ، أن نعتقد في خالق . وعلى هذا يلزمنا القول بأنه كما يكون رأينا في السببية يكون معتقدنا الديني .

فالقول بالألوهية على ما نرى سلسلة طبيعية : ارادات مثل الارادات الانسانية يعلل بها وجود الأشياء ، تتضاءل شيئاً بعد شيء فتصبح ارادة واحدة مع التقدم في الكشف عن الأسباب الطبيعية التي تعود اليها الظاهرات ، وتدرج في السببية ينتهي الى الرغبة في الحصول على سبب غائي يعود اليه وجود الكون في مجموعه . وإذن يكون القول بالألوهية ضرورة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طبيعية الاحتفاظ بألفة العقل . أمَّا أن يكون الاحتفاظ بهذه الألفة العقلية سبيل الاصابة أو سبيل الخطأ ، فذلك أمر خارج عن حاجات العقل البشري ، بل هو عندي أمر ثانوي صرف في بحوث الفلسفة . إنما حاجة العقل في أن يحتفظ هو بألفته . والقول بالألوهية هو سبيل هذه الألفة ، ما دام العلم الانساني على ما هو عليه الآن .

أما أن نصف «الله» بأنه امتداد أو فكر أو قوة خفيـة أو وعي ، فذلك كله تمحك ، وتصور لا يرضي العلم في شيء ، ولا يقنع الفلسفة الطبيعية ، وان أرضى نواحي بعينها من الغرور الانساني .

٥ — القدم والحدوث والخلق

لم يكتف العقل البشري بأن يفرض ارادة أشبه بالارادة البشرية يتخذها علة نهائية يعلل بها الكون في كليته ، كما علل بالأسباب الطبيعية الكون في جزئيته .

أدرك الحس الانساني الحركة . وبالحركة قاس الزمان . ولـكن هل للزمان أوَّل ؟

قياساً على الجزئيـات التي هي مادة التفكير والعلم ، قضى العقل بأنَّ الزمان لا بد له من أوَّل ، فقال بأن الـكون أصل أضيفت اليه الحركة بفعل العقل الأوَّل . ولـكن المحرِّك لا بد من أن تـكون له صفة زائدة أو مخالفة لصفة المحرَّك . فاذا كان للثاني أول ، فلا بد إذن أن يكون الآخر بلا أول ، أي أزَليّ ، وإلاَّ اشترك الاثنان في صفة الحدوث . ومن هنـا جاء القول بالقدم والحدوث .

على أن العقل اذا نزع الى البحث في هذه المفهومات ، فانما ينزع إلى ذلك مبتغياً الوصول إلى ما يحفظ عليه ألفته . شأنه في ذلك شأنه في البحث عن العلة النهائية التي تعود إليها كلية الاشياء .

فاذا اقتنع العقل بأن هنالك علة أصلية لوجود الاشياء ، إذن وجب أن تـكون العلة غير المعلول ، وصفاتها غير صفاته ، فاذا كان المعلول حادثاً وجب أن تـكون العلة قديمة فاذا تشاركا في صفة الحدوث أو في صفة القدم انفرطت ألفة العقل ، إذ يكون الموجِـد هو نفس المُـوجَـد وفي ذلك استحالة عقلية .

على أن العقل أزاء هذا المشكل لم يكن موفقاً توفيقه في فرض العلة النهائيـة ، لأن ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفرض يلزمنا به تسلسل السببيَّة . أما القدم والحدوث فتسلسل السببية فيه يلزمنا القول بأن العلة والمعلول كلاهما قديم ، ويلزمنا أن ننفي عنهما صفة الحدوث . وهنا وقف العقل منكل الآلفة حائراً .

يقول العقل : إذا اكتملت العلة ، لم يتخلف عنها المعلول . والله علة كاملة ، فكيف يتخلف عنها معلولها ؟ فاذا كان الله قديماً وجب أن يكون معلوله قديماً . أما اذا فرضنا أن المعلول (الكون المادي بكل ما فيه) حادث ، إذن لزمنا الفرض بأن العلة كانت ناقصة ، قبل أن يوجد المعلول. فلما اكتملت وجد المعلول ونقص العلة لا يجوز الا على الحوادث .

يقول العقل : اذا كان الخلق معناه ايجاد شيء لم يكن موجوداً أصلاً ، فكيف نوفق بين هذا وبين المبدأ الطبيعي القائل بأن المادة لا تتلاشى ولا تتجدد ؟ وان مجمل الأشياء ثابت لا يزيد ولا ينقص ؟ وانه لا يمكن خلق شيء من لا شيء ، ولا محو شيء الى لا شيء . وإذن فالكون قديم ، حكماً عقليًّا قاطعاً .

يقول العقل : إن الحدوث لا يتناول غير الصورة ، أما الجواهر فلا تتغير . فاذا كان الخلق معناه توالي صور لم تلابس الجواهر من قبل ، فذلك ليس بخلق مطلق بمعنى إيجاد شيء من لا شيء ، بل هو مجرد تكييف بسيط في الأعراض . أو بعبارة أخرى هو توليف جديد لجواهر قديمة ، ولا يفيد حدوثاً من العدم الصرف ، بل هو مثبت لقدم هذه الجواهر .

قال سلطان النقل : ان الله قادر على كل شيء . ومعنى هذا انه لا يسأل عما يفعل ذلك ليأخذ النقل بيد العقل تخلُّصاً من معضلة القدم والحدوث .

قال العقل : ان صفة القدم شاملة . فالله قديم بكل صفاته . ومن صفاته العلم ، وإذن يكون علمه قديماً . وقد سبق في علمه القديم ان المادة لا تنعدم ولا تتجدّد ، وان خلق شيء من لا شيء مضاد لطبيعة الأشياء . فكيف يمكن التوفيق بين القول بقدم الله وقدم الكون ؟

قال العقل : بوحدة الوجود . فالله هو الكون والكون هو الله . أما اذا كان الله (وهو أيضاً الكون) علة كاملة ، فمعلولاتها الصور التي تتوالى على المادة ، وهي ولا شك حادثة معلولاتها الكيوف التي تتكيف بها المادة التي هي قديمة . ذلك عندي ، وعلى قدر فهمي ، بحثاً على ألمة عقلي . وكفى .

• • •

اذا كان القول بوحدة الوجود يمكن أن يطمئن اليه العقل باعتباره تعليلاً يحفظ ألا

العقل من حيث القول بالقدم والحدوث ، ومن حيث أنه يجعل الحدوث من نصيب الصورة ، والقدم من نصيب الجوهر ، وان العالم جوهر واحد قديم لا أول ولا آخر له ، فهو كذلك يخرجنا من كثير من المعضلات التي تترتب على القول بالقدر وحرية الإرادة ، والقول بالخير والشر ، وفي نسبة أحدهما الى الله ، وعدم القدرة على نسبة الآخر إليه . لأن الله ما دام خيراً محققاً ، فكيف دخل الشر هذا العالم ؟

يقول أبيقور :

« إما أن يريد الله أن يمنع الشر ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل . وإما أنه يقدر أن يمنعه ولا يريد أن يفعل ؟ وإمّا أنه لا يريد أن يمنع الشر ولا يقدر على منعه ، وإمّا أنه يريد ويستطيع أن يفعل ، فاذا كانت له الارادة وليس له القدرة ، فهو عاجز . فاذا كان قادراً ولكن لا يريد ، فذلك نقص لا يمكن أن ينسب إليه . فاذا لم تكن له القدرة ولا الارادة ، فهو عاجز عن منع الشر ، فليس إذن إلاهاً . فاذا كانت له القدرة والإرادة فمن أين إذن أتى الشر ؟ » .

ومنذ أبيقور عجز المفكرون عن الإجابة على هذا السؤال . ولكن عجزهم قد أتى من ناحية التزامهم القول بالقدم لله والحدوث للكون ، وما ترتب على ذلك من فروض كثيرة كفروض القدر وتقييد الإرادة والجبر والحرية وما الى ذلك

أما وقد أثبت علم التطور أن الانسان نتيجة مترتبة على النواميس القديمة الأزلية ، وان وجوده ليس أكثر من توليف جديد حدث في جواهر المادة ، وانه جزء من عالم الحياة التي لا يخرج حكم نشوئها عن ذلك ، وان عالم الانسان وحده هو الذي ينطوي على معنى الخير والشر قياماً على حاجات حياته العقلية ، ترتب على ذلك ان الشر والخير معنيان قاصران على عالم الانسان ، وانهما اعتباريان لا أكثر ولا أقل .

إذا تخلصنا بذلك الاتجاه القويم من معضلات تبدد ألفة العقل ، انبغى لنا اذا أردنا أن نفكر في الألوهية ، أن لا نخرج عن الحيز الذي قيدتنا به طبيعة العقل ، حيز ان للعقل ألفة في جوانبها تنطوي فكرة الألوهية .

أمّا ان نعيّن الله فنقول إنه امتداد أو فكر أو قوة أو وعي أو ما جرى ذلك المجرى ، فجميع ذلك تمحّل لتأييد نزعات انسانية هي من أهمل الاشياء على تفكيك ألفة العقل .

اسماعيل مظهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السمكة

بنت الغدير لها خبا ء في حناياه خبيئه
« لا البدر » يظهرها للمس ، ولا الشمس المضيئه
ولها مطايا من عبا ب الماء تمشي بالمشيئه
من كل مسرعة إذا دعت الضرورة ، أو بطيئه
ولها مع العمري الذي هي فيه ، أجواء دفيئه
ولها فجاج لا تضيق ، وبيئة ليست وبيئه
ولها مطاعم من نتا ج الماء جيدة مريئه
لكنها اتجهت لطعم البر وارتقبت مجيئه
استبدلت بالطيبات الدون فارتكبت خطيئه
جرأت عليه وفيه تهلكة ، وكم أنثى جريئه
قل يا غدير لبنتك الحمقاء قولتك البريئه
ليس المسيء هو الذي (يشويك) ، بل أنت المسيئه

شاعر البرادي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسرع الطائرات العصرية

في أعلى الطبقات الجوية

في غداة يوم ١١ نوفبر سنة ١٩٣٥ استخدمت الجمعية الوطنية الجغرافية الأمريكية بلون الطبقة فوق الطخرورية [1] المسمى اكسبلورر الثاني « المستكشف » الخاص بسلاح الجو الامريكي، إذ أطلقته فبلغ ارتفاع ٧٢٣٩٥ قدماً فوق سطح البحر. ويكاد هذا العلو يعادل ١٤ ميلاً فوق أرض أقليم داكوتا الجنوبي.

وكان يقوده الكابتن البرت و. استيفينز، فبلغ يومئذٍ أوجاً لم يبلغه من قبله أي طيار في العالم

ومما ينبغي ذكره بشأن الطبقة الطخرورية troposphere إنها يبلغ ارتفاعها نحو سبعة أميال فوق سطح البحر، حيث يوجد الغبار والسحاب. وذلك من شأنهما، عكس نور الشمس وانتشاره في الجو هنالك حيث يبدو لناظره صافياً. ولكننا اذا سمونا الى الطبقة التي فوق الطخرورية stratosphere حيث لا يوجد غبار ولا سحاب، فلا نشاهد انتشار الضياء بل نرى السماء تكفهر رويداً رويداً. حتى إذا حلقنا الى مدى ١٤ ميلاً، أبصرنا الجوّ داجياً خالياً إلا من الكواكب.

ونحن نكتب هذه السطور وأمامنا في المراجع العلمية الانكليزية رسوم رائعة توضح تلك الظواهر قاطبة أوفى إيضاح.

وأذيع من موروك ليك بولاية كليفورنيا، أنه رصد مبلغ خمسين ألف دولار = ١٢ ألف جنيه، مكافأة للطيار الذي سيقود لأول مرة، الطائرة الصاروخية التي من طراز « XS-1 » ليبلغ بها سرعة الصوت، ولم يحدد موعد للطيران كما لم يعلن اسم الطيار. غير أن شركة « بيل » التي أتمت صنع هذه الطائرة، ذكرت أن الموعد لن يكون بعيداً.

﴿ قاعدة الطائرة ﴾ ويتم إعداد الطائرة في موروك ليك. وهي القاعدة التي تجري فيها وزارة الحربية الأمريكية تجاربها بولاية كليفورنيا. والمعتقد أن الطائرة ستحملها قاذفة

(١) الطخرور وجمعها الطخارير — قطع مستدقة من السحاب. وتسمى أيضاً الطخارير — الخفيف المتفرق من السحاب. ولما كانت الطبقة الثانية الجوية المقصود بلوغها هي المسماة ستراتوسفير وهي بحسب ما ورد في المراجع العلمية الانكليزية خالية من السحب، فيجب اذن ترجمة هذه الكلمة « بالطبقة فوق الطخرورية »، وما تحتها بالطبقة الطخرورية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قنابل كبرى . ثم تطلق من عقالهـا في الجو ، في الوقت الذي تكون فيه القاذفة منطلقة بأقصى سرعتها . والمفهوم أن سرعة هـذه الطائرة تبلغ سرعة الصوت أي إنها تقطع ٧٥٠ ميلاً في الساعة = ١٢٠٠ كيلو متر في الساعة .

ويتنبأ البعض بأن في وسعها بلوغ سرعة ١٥٠٠ ميل في الساعة = ٢٤٠٠ كيلو متر في الساعة

ونظراً لما يكتنف هـذه التجربة من أخطار ، فقد رصد مبلغ ٥٠٫٠٠٠ دولار تعطى للطيار الذي يضطلع بها .

﴿ كيف جهزت الطائرة ﴾ وللطائرة جهاز حديث يقذف مقعد الطيار خارج الطائرة في حالة الخطر حتى يتسنى للطيار استخدام المظلة « الباراشوت » بعـد ذلك . ثم إن المقعد مزوّد بآلات التبريد لـكي يقاوم درجة الحرارة الناتجـة من ارتفاع السرعة والتي قد تبلغ ٤٠٠ درجة . وفضلاً عن هذا فسيرتدي الطيار ثياباً خاصة بالضغط حتى يتسنى له استنشاق الأوكسيجين النقي . ثم نشرت الجرائد الانكليزية في ٣٠ ابريل ١٩٤٧ وصف مبلغ اهتمام علماء انكلترا بهذا الموضوع الخطير الشأن واليك نصه : —

إن الصاروخ الذي سيبز سرعة الصوت ، وهو الوسيلة التي بها تأمل بريطانيا العظمى أن تشق طريقها في (الحاجز الصوتي) والمقصود به محاولة بلوغ سرعة الصوت ثم التفوق عليها — ينتظر تجربته قريباً في الجو البريطاني . وقد أذاع هذا النبأ في لندن السير « بن لوكسبيزر » كبير علماء وزارة التموين الانكليزية ، وهو الذي أقرّ رحلة الصاروخ وذلك ستقوم طائرة من طراز موسكيتو ، من سلاح الطيران الملـكي الانكليزي ، بحمل ذلك الصاروخ والتحليق به الى علو ١١٠٠٠ متر حيث تطلقه في الطبقات العليا من الجو وحينئذٍ يتولى توجيهه قائد أوتوماتيكي فيهبط به الى ارتفاع ١٠٥٠٠ متر حيث يخلصه من أمه الطائرة . وعند ذلك يقوم محرك جديد قوي يدور بوقود سائل ، فيدفع الصاروخ دفعاً عديداً حتى يخترق الحد الصوتي ، متفوقاً على سرعة الصوت . ومن ثمة تقوم الآلات التي يحويها الصاروخ بامداد الراصدين على سطح الأرض بالمعلومات الضرورية لهم . والمأمول أنه سيفضي الى تكشف حقائق ما زالت خفية في الطيران . وذلك عندما يبلغ سرعة الصوت. وحالما يستنفد الصاروخ وقوده بأجمعه يهوى الى اليمّ . وستجرب هذه التجربة حول جزائر صيليّ في القنال الانكليزي ، حيث ستظل الطائرة التي ستعدُّ لذلك الغرض محلقة في الميدان نفسه لتدرأ عن السفن أي ضرر يحتمل استهدافها له ، حيث تحول دون اقتراب السفن من منطقة الخطر ، ولـكي تستطيع الطائرة تصوير الصاروخ في حال طيرانه تصويراً فوتوغرافياً. وسيكون طول هذا الصاروخ ثلاثة أمتار ونصف متر ، وطول جناحه متران ونصف متر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما مجموع ثقله فسيكون زهاء ٤٠٠ كيلوجرام . على حين يبلغ قطر جسمه ٤٥ سنتيمتراً فقط . وسيغص بالآلات ويكتظ بالعوائق اكتظاظاً لا يدع فيه موضعاً لقدم

وقد أفضى السير بن يوم ٢٩ ابريل الماضي بقوله « إن الصاروخ المشار إليه سيتميز بمحركه الذي تم اختراعه طبقاً للمعلومات التي اقتبست من علماء المانيا . ولو إن تلك المعلومات قد تم تكييفها تكييفاً كان من شأنه ، اختراع طراز جديد . ثم أكد أن الشهور الثمانية عشر التي قضاها في المباحث الخاصة بهذا الصاروخ قد تكشفت له في غضونها معلومات جديدة عدة . ومع ذلك فإنه ما زال يعتقد أن الأنموذج الحالي ، من الصواريخ ليس هو آخرها فلا ينبغي إذن حسبانه النتيجة الختامية لتجاربه » .

ثم صرح قائلاً « لقد صنعنا من هذا الصاروخ ستة نماذج يشبه بعضها بعضاً . بيد أن النماذج القادمة ستكون من طرز مختلفة التركيب في الأجنحة وغيرها . وإني لا أشك في طول الزمن الذي سوف يستغرقه هذا المشروع ولذلك سنواصل تجاربنا أو نظفر بما نطمح إليه من المعلومات جميعها . ولست أدري الآن كم نموذجاً سيقتضينا هذا المشروع . وقد يتفاوت عددها بين ٥٠ نموذجاً و ١٠٠ نموذج . ثم ختم حديثه بقوله « إن الصاروخ الذي سيبز سرعة الصوت ليس سلاحاً أو قذيفة حربية وانما هو جهاز اختباري محض . ولنسمه « مختبراً طياراً للمباحث العلمية » يزودنا بالمعلومات التي نحن في أمس حاجة إليها ، لتجلو لنا الغوامض التي ما برحنا نجهلها » .

❁ وصف الطائرة X-1 ❁ تبلغ سرعة هذه الطائرة العجيبة ثلاثة أمثال ما تقطعه أسرع الطائرات العصرية المقاتلة . وهي من الطراز المساير للريح لدرجة عظيمة ، ومن النوع الصاروخي الملائم تقريباً للضغط الجوي . وقد صنعت على شكل صالح للغرض المقصود منها لجناحها رقيق جداً ومغشى بغشاء من صفائح الالومينيم ممتزجاً بغيره من المعادن ، مخروطاً من لوح صلب . وهذا من شأنه تسهيل جعل ثخانة قاعدة الجناح نصف عقدة أصبع . ثم يأخذ في الاستدقاق حتى يضؤل عند رأسه الى ما يزيد قليلاً على ثمن عقدة الأصبع . ويؤلف محركها الصاروخي من أربع وحدات ، يوقد فيها وقود (هو مزيج من الكحول والاوكسيجين) .

ومن الميسور السيطرة على تلك القوة الدافعة سيطرة اختيارية طبقاً لما يحتاج اليه سائقها في وسعه استخدام قوة دفع من عيار ١٥٠٠ رطل أو ٣٠٠٠ رطل أو ٤٥٠٠ أو ٦٠٠٠ رطل . وطول هذه الطائرة ٣١ قدماً وارتفاعها من الارض الى رأس ذنبها عشر أقدام وعشر ولها جناح صغير نسبيًّا طوله ٢٨ قدماً وثقل وسقها ٤٨٩٢ رطلاً . منها ٥٢٦ رطلاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هي زنة الآلات المزمع استخدامها في المباحث الخاصة بالطيران السريع . وزنة وقودمحركها الصاروخي ٨١٧٧ رطلاً أي ما يفوق ثقل الطائرة فارغة مرة ونصف مرة . وستناط الطائرة (مقلة قائدها) بقلعة طائرة من طراز بوينج رقم ٢٩ فتطير بها الى الارتفاع المقصود حيث تخلي سبيلهـا في الجو ، فتشرع في الصعود الى القبـة الزرقاء . وذلك ابتغاء توفير وقودها الثمين . وكان لاختراع هذا الوقود واقعة حال في الحرب الخالية فآثرنا تبيانها فيما يلي تنويراً لأذهان طلاب الحقائق التاريخية والمخترعات العصرية : —

﴿ الماء الاوكسيجيني بدل الوقود ﴾ كان من الاسرار الحربية الالمانيـة التي تكشفت حديثاً لضابط من البحرية الامريكية ، تسخير علماء الالمان للمادة الـكيميائية المعروفة باسم بيروكسيد الاوكسيجين « وهو الماء الاوكسجيني » لتسيير القنابل الصاروخيـة والطائرات الحربية والغواصات الالمانيـة . وذلك في الحرب السابقة . وممـا لا جدال فيه أن أولئك الأعداء لم يكونوا يستعملون المحلول الخفيف لتلك المادة المألوفة لدى ربات البيوت ، وهي التي يستعملنها لصبغ شعورهن باللون الذهبي ، بل كانوا يستعملون في مصالحهم ، محلولاتهـا القوية المركزة بنسبة تتفاوت بين ٨٠و٨٥ ./٠ أو أكثر منها . إذ كانوا يجعلونهـا وقوداً أساسيًـا مفرداً أو مصدراً للاوكسيجين في أكثر الاحايين ، لاحراق أنواع الوقود الاخرى كالزيت المعدني أو الـكحول . وعند ما يتخذ الماء الاوكسجيني وقوداً أساسيًـا ، ينفصل الاوكسيجين والهيدروجين المؤلفان لتلك المادة بعضهما عن بعض فينجم حينئذٍ عن هـذا الانفصال ، بخار مائي محمّـص وأوكسيجين حرٌ . وهذان يولدان الطاقة المحركة المبتغاة ، وان أضاعا الاوكسيجين النفيس نفسه .

وكان الالمان في تلك الحرب الضروس يستعملون الهيدروجين المركز . وذلك في ٢٦ سلاحاً مختلفاً ، كما ثبت من البحث الذي قام به الضـابط الامريكي البحري « لوجان ماكيّ » الذي كشف عن هذا السرّ الخفي . وقد قرر أيضاً أن الالمان كانوا يجربون الطريقة نفسها في نحو ٤٠ سلاحاً أخَـر . ومما لا شك فيه أن هـذا الوقود ، كان باهظ النفقات . ولـكن سهولة استعماله ، والوثوق بنفعه ، كانا مبررين لاحتمال فداحة ثمنه . وكانت الطائرات التي تزود بالماء الاوكسيجيني ليولد الاوكسيجين لأجل الاحتراق ، تقوم بعملها خير قيام . إذ كان في وسعها التحليق في الجو الى علو ٣٠٫٠٠٠ قدم في دقيقتين . كما إن الطوربيدات التي كانت تسير بقوة الماء الاوكسجيني كانت تفوق أقرانها بل تمتاز عليها بكونها لا تترك آثاراً عند انطلاقها تنم عليها . أما الغواصات الالمانية التي كانت تتخذ الماء الاوكسيجيني طاقة لتسييرها فقد كانت غواصات حقيقيـة تستطيع المكث في الاعماق فترات مديدة ، حيث كانت سرعتها تبلغ

٢٥ ميلاً بحرياً في الساعة. ومن ثمة كانت نفقات تسييرها فيما يختص بالوقود تزيد ألف مرة على أخواتها التي تحرق الزيت المعدني . وكان المستعمل منها للقتال خمساً ، على حين كان عدد قليل منها خاصاً بالتدريب . وهذه لم تستعمل في الحرب قط . وذلك لندرة الماء الأوكسيجيني حينئذٍ

﴿ السيطرة على الاجواء ﴾ من الخطأ أن نعتقد أن الانسان قد بلغ في السيطرة على الاجواء ما بلغه من الفوز على الغبراء . فشتان بين ذينك الهدفين لأن الخلق قد سخروا الأرض ودرسوا أطوارها وعاشوا في أشد أرجائها حراً وقراً . بل توغلوا في أقصى أصقاعها نفذا في وسعنا أن نقول إنهم يستطيعون الرحيل إلى أقاصي المسكونة . ولكن يستحيل علينا الزعم أن امرءاً بلغ السماكين فعلاً لأن هذا فوق قدرة البشر . ويعلم الورى ، علم اليقين أن الجو الذي ألفناه ، والهواء الذي اعتدنا استنشاقه ، تعلوه طبقة أخرى ، ذات هواء خفيف تسمى الطبقة فوق الطخرورية ولكن كثير من قرائنا لا يعرفون حق المعرفة أحوال تلك الطبقة المجهولة . بل هم لا يدركون تمام الادراك مبلغ تأثيرها في المخلوقات البشرية . كما إنهم لا يعرفون أشد آفاقها حرارة أو برودة . لأنها منطقة من الهواء لما يتم تكشفها الكامل لمرتاديها فهي إذن تعد من المناطق الخفية التي لم يقوَ العلماء على فتحها .

فالطيار الذي يحلق فيها بطائرته أو بمنطاده ، يجاوز الجو الذي فيه نعيش، بغية التوغل في تلك الطبقة المجهولة حيث يتفاقم تفشي الجزيئات الهوائيـة الصغيرة. تفشياً أشد منه في الطبقة السفلى . وحينئـذٍ يتعذر على المرء الحصـول على الأوكسيجين الضروري لتنفسه ليبقى حيـاً .

وأول ما يعوز الطيار الذي يشرع في كشف النقاب عن تلك المنطقة ، وان كانت أمنيته التحليق بضعة أميال فحسب ، مقـدار إضافي من الأوكسيجين يعوّن به نفسه . وذلك في أوعية من الصلب . كما إنه يجب عليه أن يلبس خوذة للطير ان تحتوي على قناع غازي يتوصل بأنبوب دقيق الى اسطوانات الأوكسجين . ثم إن افتقاره الى الأوكسجين ليس هو العقبة الكأداء الوحيدة التي تعترض سبيله . بل ثمة حوائل أخَرَ . ومنها رطوبة الجو . لأن الطيار كلما سما ارتفاعه ، انحطت درجة الحرارة في طريقه انحطاطاً تدريجياً حتى تهبط الى برودة لا يقوى على احتمالها . وما من شك أن أي امرىء لا يستطيع البقاء طويلاً في تلك الحالة ، إلا اذا وقى نفسه من ضررها . وذلك بارتداء حلة تدفئها الطاقة الكهربائية . كما أنه يجب عليه صون عينيه بمنظارين ضخمين وقاية لهما من التقلبات الجوية . وهذان أيضاً لا بدَّ من تدفئتهما على ذلك النحو . واذا تذرّع الطيار بهاتيك الوسائل جميعها فلا يصبح موقناً بقدرته على مناوأة البرد الذي يستهدف له هنالك . ولا عجب فالبنزين العادي يتجمد عند

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعرضه لدرجات الحرارة المنخفضة . ولذلك كان لا مندوحة عن اختراع صنف خاص منه ليتيح للطائرات التحليق تحليقاً عالياً جداً ، ولا يتجمد عند بلوغ الطائرة جليد الطبقة فوق الطخرورية الجوية اللطيفة الهواء ، وكذلك يلحق التجمد ، الشحم الذي تشحم به آلات الطائرات وأدواتها . ولما كانت أطراف أجنحة الطائرة ودفتها تتحرك بأسلاك متينة تُلَفُّ على « بكرات » صغيرة ، وكانت هذه البكرات يجب تشحيمها دائماً تشحيماً جيداً لأنه متى تجمد شحمها استحال على الطيار تحريك تلك الأسلاك ، فيغدو عاجزاً عن كبح جماح طائرته فيلقى حتفه . وكم من مرة كاد يصرع الطيارون نتيجة لمثل ذلك الطارىء المشؤوم فمن مصلحة الطيار الذي يطمح الى كشف تلك الطبقة الجوية الشاهقة (التي فوق الطخرورية) ارتداء حلة مدفأة وقفازين مدفأين ومنطارين مدفأين أيضاً . كما يجب عليه أن يستنشق الأوكسجين عن طريق منخريه ويزفره من فيه . وذلك عن طريق فوهة أنبوب دقيق من المطاط ، ينقل الغازات الفاسدة الى الهواء الطلق . وأي طيار يحاول السمو بطائرته الى ارتفاع سبعة أميال فوق سطح الأرض لامناص له من التعرض للخطر الذي يجعله من الموت قاب قوسين . وذلك نتيجة اختلال قناع الأوكسجين الذي يستنشقه . ولو ظل الأوكسجين جارياً فيه ، فلا بدَّ من شعور الطيار حينئذٍ بالاختناق اختناقاً يستفحل رويداً رويداً . وذلك من تراكم الجليد في فوهة الأنبوب المطاطي . ثم ان البخار المائي الذي يخرجه الطيار من رئتيه ينقلب جليداً بتأثير هذه الرطوبة . وغني عن البيان أن الطيار يعكف عندئذٍ على كشط الجليد عن أنبوب المطاط ليتسنى له النجاة من الموت .

﴿ الرحلة العتيدة الى الكواكب ﴾ سيقوم في فصل الصيف الحالي ، إن شاء الله ، قائد أمريكي جوي من أشهر قادة الطائرات الحربية العالمية الثانية ، بطائرة حديثة من الطراز الصاروخي البديع فيحلق بها قدماً في الطبقة فوق الطخرورية الجوية الضئيلة الكثافة . فتعدُّ هذه الرحلة الجريئة ، الأولى من نوعها . إبتغاءَ اختراق تلك الطبقة الهوائية النائية التي يحسبها العلماء سداً جوياً منيعاً يحول دون بلوغ علم الطيران أوج نجاحه المنشود . بل إن هذه التجربة سوف تصبح أعظم حادث في تاريخ الطيران منذ قام به الانسان وذلك من عهد طيران الاخوان رايط [1] من « كيتي هوك » وهذا هو اعتقاد العلماء الذين تؤلف

(١) هما أورفيل رايط وأخوه . وهو طيار أمريكي ولد سنة ١٨٧١ ونجح في عمله عقب تجارب شتى مارسها في الطيران . فطار في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ من كيتي هوك في اقليم كارولينا الشمالية . وذلك لاول مرة في طائرة أثقل من الهواء . ثم استطاع هو وأخوه يوم ١٢ سبتمبر سنة ١٩٠٨ الطيران في طائرتهما بعد تحسينها حيث لبثا في الجو ٧٥ دقيقة فسجلا حادثاً تاريخياً لم يسبق له نظير .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منهم اللجنة الأمريكية الاستشارية في علم الطبيعيات الجوية .

ونقصد بذلك الطيار المظفار ، تشالمرز جودلين Chalmers Goodlin الملقب عند أقرانه بلقب (سليك) وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره . تعلم الطيران في السادسة عشرة من سنه ، واشترك في الحرب السابقة حيث قاد الطائرات الحربية المسماة سبيتفاير . وذلك في جو انكلترا حيث قضى عامين مع سلاح الطيران الملكي البريطاني . وطائرته هي « XS-1 » من الطراز ذي الجناح الشبيه بالسكين . الذي يمتاز بقصره وثخانته ومتانته . وهي أول طائرة اخترعت وصنعت للطيران بسرعة تبز الصوت . وسيأخذ جودلين على عاتقه الطيران بسرعة الف ميل في الساعة على أقل تقدير . أي أبعد مما يقطعه الصوت وأسرع نحو ٥٠٠ ميل مما بلغه أي طيار في الساعة في أي زمان . فاذا ما تحققت أمانيه هذه ، صار جديراً بوضعه في مصاف الطيارين الخالدي الذكر ، وظفر بمكافأة مالية ، هي هبيك بخمسين ألف دولار (كما أسلفنا القول) .

بيد أن هناك عقبة كأداء هي من أغرب ما صادفه الانسان في الأجواء السحيقة . وهذه تحول دون بلوغ جودلين ما يصبو إليه من الثروة والشهرة العظيمتين ، عند حصوله على الـ ٥٠،٠٠٠ دولار المشار إليها . ونقصد بالعقبة « سرعة الصوت » وهي ٧٦٥ ميلاً في الساعة عند سطح البحر . ذلك لأن الحائل الصوتي يغدو في هذه الآونة سداً منيعاً يعوق الطيار عن بلوغ ما يبغيه من السرعة . ويؤلف ذلك الحائل ، كما أسلفنا ، من كون كل جسم متحرك يولد صوتاً فيتنقل هـذا الصوت ، عن طريق الموجات الرعدية التي تتحرك في الهواء بسرعة ٧٦٥ ميلاً في الساعة عند سطح البحر . ولكن تلك الموجات تضعف حركتها الى ٦٦٢ ميلاً في الساعة في ارتفاع ٧٠٠٠٠ر٧٠ قدم . والأمواج الصوتية لا تحدث أي ازعاج يمكن شعور الانسان به ، ما دامت متحركة حركة أسرع من الجسم الذي يولدها. أما في المنطقة التي يفوق فيها الطيار سرعة أمواج الصوت فيتولد من جزيئات الهواء اضطراب مروع حيث تحتشد بعضها مع بعض ، بين الأمواج الصوتية والجسم المتحرك ، فتنشىء حاجزاً منيعاً يعوق الطيران .

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أن القواعد المعروفة في علم الغازات وضغطها وحركتها، تنقلب في تلك المنطقة رأساً على عقب ، حيث يجيش الهواء ويتهيج ويصطخب كأنه بحر تكنسه العاصفة . وحينئذ لا يستطيع قائد الطائرة كبح جماحها إذ تتفتت مفاتيحها من جراء تلك القوة الغاشمة التي تطغى على الطائرة فتحرفها عن طريقها ثم تعطلها بثورتها الجنونية .

ثم إن تلك المنطقة الجوية الرهيبة التي لا يسمع فيها الصوت تشغل المسافة بين ٦١٢ و ٩٠٠

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ميل التي تقطعها الطائرة في ساعة واحدة . وتظل المنطقة نفسها ساكنة خفية في الجو حتى يتحداها طيار فتثور عاجلاً بكل شدة . وما من طيار جرؤ حتى الآن على مجاوزة حافة الطبقة الجوية المشار إليها وبقي حياً ليوافينا بالخبر اليقين. ولسنا نعرف أحداً من الطيارين الشجعان البارعين ، وهم كثيرون والحمد لله ، قيض له ارتياد تلك الطبقة ليكشف انا ما تحويه من الخفايا الا المرحوم المأسوف عليه جيوفري دي ها فيلند الطيار البريطاني المشهور الذي عمد الى القيام بتلك الرحلة الخطيرة على سبيل الاختبار . وذلك في طائرته النفاثة التي اخترع لها جناحاً كجناح طائر الخطاف . فطار بها صعداً بسرعة ٦٥٠ ميلاً في الساعة فتمزقت شر ممزق وهوت به صريعاً .

ولم يتمكن أي مخلوق من معرفة ما يجري يقيناً في منطقة الصوت غير المسموع حتى العلماء أنفسهم . وهم الذين يملكون الانفاق الصناعية التي يجربون فيها التجارب الخاصة بالرياح فعجزوا وما فتئوا عاجزين عن سبر الثغرة الواقعة بين ٩٦ ٪ و ١٢٠ ٪ من سرعة الصوت . اذ أنه في درجة ٩٦٪ من سرعته تفسد أقوى الانفاق الهوائية الصناعية . وذلك بتأثير الأمواج الرعدية التي تبلغ من الشدة درجة تتاح نيها رؤيتها بالعيون المجردة . أما في درجة ١٢٠٪ من سرعة الصوت في الانفاق الصناعية الريحية فتأخذ تلك الانفاق في تأدية وظائفها مرة أخرى وذلك باستعمال غاز النيون حيث أمكن العلماء تمثيل حالة الطيران في ارتفاع ٤٥٠٠ ميل في الساعة.فأثبتوا أنه متى استطاعت الطائرة اجتياز طبقة الصوت غير المسموع بلغت مجال السكون حيث تطير بسهولة بسرعة أعلى من الصوت في سكون تلك المنطقة طيراناً سوف يعود بمنافع حربية وتجارية عظيمة في مستقبل الازمان .

* * *

وكان الغرض من صنع هذه الطائرة الموسومة بسمة « XS-1 » جعلها مختبراً طياراً للمباحث العلمية .ولذلك لم تسلح بالمدافع ولم تجهز بأي سلاح ولا بأية معدات حربية . وانما تحتوي على مقعد صغير للطيار ، فضلاً عن اكتظاظها بالآلات الخاصة بتسجيل السرعة وغيرها . وفيها مستودع يسع ٨٠٠٠ رطل انكليزي من الوقود المؤلف من الهيدروجين الممزوج بالاوكسيجين والكيروسين (كما وصفناه آنفاً) وهذا الى جانب بطارية مؤلفة من أربعة محركات صاروخية تولد جميعها قوة ١٨٠٠٠ حصان فيمكنها قطع ٧٥٠ ميلا في الساعة

عوض جندي

خطأ قانون كبلر الثاني

هل هو خطأ ؟

قضية فلكية رياضية معروضة للتمحيص

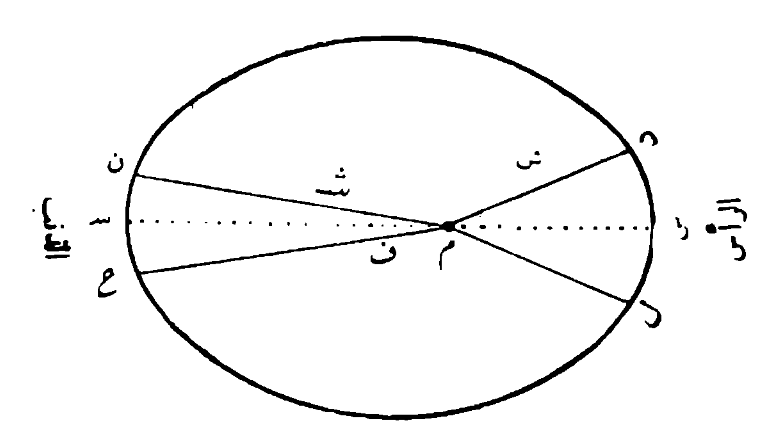
كان كبلر أحد الثلاثة الأولين الذين شرعوا يشتغلون بالفلك على هدى .

١ً — كوبرنيكس ، قال وبرهن أن الشمس مركز الكواكب السيارة وهذا ما يسمى [ن]ظام الشمسي .

٢ً — طيخو براهي الراصد ، ضبط مواقع الكواكب السيّارة وسرعتها .

٣ — كبلر، استنتج من أرصاد طيخو براهي ثلاثة قوانين للنظام الشمسي ، وهي : —

القانون الأول : إن الكواكب السيارة تسير في دوائر اهليلجية أي متطاولة بيضية [الشـ]كل ، والشمس في أحد محترقيها Focus كما ترى في هذا الشكل . والسيار عطارد أكثر [اهـ]ليلجية من سائر السيارات .



والقانون الثاني : إن خط بُعـدِ السيار عن مركز الشمس المسمى « الشعاع المتّجه » Radius Vector يمسح في اثناء سير السّيار في أوقات متساوية مساحات متساوية أي أن [مس]احة م د ل في الشكل تساوي مساحة م ن ح . لأن أفلاك السيارات غير تامة الاستدارة [كما] تقدم القول ، ولأن السيار متى كان أقرب الى المركز كان أسرع منه متى كان أبعد [بحسب] قانون السرعة الآتي بيانه :

مسيره من د الى ل أسرع منه من ح الى ن

(القانون الثالث لا يهمنا هنا . وهو أن مربع المدَّة التي يقضيها أي سيار لاتمام دورته من حول الشمس مناسبة لمكعب بُعْده عن الشمس) .

فلنمتحن هذا القانون الثاني في السيَّار عطارد لانه أكثر إهليلجية من سائر السيارات فان خط اتجاهه عند « نقطة الرأس » أقصر من خط اتجاهه عند « نقطة الذنب » أي أن الشعاع ش أقصر من الشعاع ﺷ كنسبة ٢ الى ٣ تقريباً لأن مقدار الشذوذ عن المركز Eccentricity من ف — م ٢٠٦ ، بحسب الاصطلاح الفلكي .

نمتحن هذا القانون في عطارد بناء على المعلومات الرقمية الموجودة في كتاب الفلك الموثوق به لثلاثة أساتذة فلكيين أميركيين ، رصل ودوجان وستيورت . وسائر كتب الفلك الحديثة مقررة هذه الأرقام كما يلي : —

	طول خط البعد عن المحترق	السرعة بالثانية
عند نقطة الرأس س	٢٨،٥٥ مليون ميل	٣٦ ميلا
عند نقطة الذنب ﺳ	٤٣،٣٥	٢٤
في نقطة الوسط (المعدل الأوسط)	٣٥،٩٥	٣٠

وهو معلوم أن مساحة أي قِطاع في الدائرة Sector هي نصف حاصل القوس مضروباً بالشعاع (أي بِبُعْد القوس عن المركز م أي المحترَق) واذا كانت القوس د ل هي مسافة ما يعبره السَّيارُ في ثانيـة (أو في يوم أو ما تشاء) فلنعبِّر عنها بحرف س (أي سرعة السيار في الثانية عند الرأس) .

وكذلك ن ح نعبِّر عنها بحرف ﺳ أي سرعة السيار في الثانية عند الذنب .

فالمساحتان إذن .

$$\text{د م ل} = \frac{\text{س ش}}{٢} = \frac{٢٨،٥٥ \times ٣٦}{٢} = ٥١٣ \text{ مليون ميل مربع}$$

$$\text{ن م ح} = \frac{\text{ﺳ ﺷ}}{٢} = \frac{٤٣،٣٥ \times ٢٤}{٢} = ٥٢٠ \quad \text{»} \quad \text{»} \quad \text{»}$$

نرى مما تقدم ان المساحتين اللتين يمسحهما « الشعاع المتجه » في ثانية غير متساويتين خلافاً لقانون كبلر .

زد على هذا أن المعلومات الرقمية التي نقلناها آنفاً عن السرعة ليست صحيحة أيضاً واذا نقحناها حسب قانون « السرعة الخطية » Linear Velocity (الذي سنشرحه فيما بعد) وجدنا الفرق بين المساحتين أعظم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هكذا : —

الارقام الصحيحة	السرعة عند نقطة الرأس	٣٣،٤ ميل الثانية
	« « « الذنب	٢٧ « « «

وبناء على هذه الارقام

د ل م = $\frac{٢٨،٥٥ \times ٣٣،٤}{٢}$ = ٤٧٦ مليون ميل مربع

ذ م ح = $\frac{٤٣،٣٥ \times ٢٧}{٢}$ = ٥٨٤ « «

فانظر ما أعظم الفرق بين هذين الرقمين وبينهما وبين ذينك في العملية السابقة. وبناء عليه لا يكون قانون كبلر صوابا .

قانون السرعة الخطية

بقي للقارىء ان يسأل : كيف علمنا « السرعة الخطية » Linear Velocity أو القوسية الحقيقية التي ادعيناها آنفاً . فعلينا ان نفرد هذه النبذة التالية لاستخراج قانون هذه « السرعة الخطية » .

لا يخفى ان سرعة السيار في فلكه أينما كان تتوقف على فعل الجاذبية فيه . وهذا الفعل يختلف باختلاف بعد السيار عن مركز الشمس بحسب سنة « مربع البعد » . ولمقدار السرعة قانون محتوم يتوقف على قانون الجاذبية نفسه . وقد استخرجناه كما يلي :—

ناموس التسارع Acceleration

معلوم في كتب الطبيعة ان ناموس التسارع (ناموس الانحناء حول المركز) بقوة الجذب هو $\frac{س^٢}{ش}$ باعتبار ان س رمز السرعة و ش الشعاع Radius نصف القطر وهو البعد عن المركز . ولا محل هنا لشرح عملية هذا القانون (تجدها في الملحق الرياضي من كتابنا فلسفة التفاحة أو جاذبية نيوتن الذي صدر ملحقاً للمقتطف في شهر يوليو سنة ١٩٤٦) وتجدها في جميع كتب الطبيعة . ومن هذا الناموس مع ناموس الجاذبية نستخرج ناموس سرعة الكواكب السيارة الذي نحن بصدده هكذا : —

اذا رمزنا عن فعل جاذبية الشمس للارض بحرف ف وعن فعلها لأي سيار آخر بحرفي فف . وعن بعد الارض عن الشمس بحرف ش وعن بعد أي سيار آخر بحرف هـ أمكننا أن نستخرج قانون سرعة السيارات هكذا (بناء على قانون التسارع Acceleration المشار اليه آنفاً) :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اولاً : — $\frac{ف}{فف} = \frac{\frac{س^٢}{ش}}{\frac{ـ^٢}{ـ}}$ معادلة (١)

ثانياً مفهوم ان قانون الجاذبية هو $\frac{ف}{فف} = \frac{ـ^٢}{ش^٢}$ أي مربع البُعد بالقلب — معادلة (٢)

عادل بين المعادلتين (١) و (٢) هكذا ،

$\frac{ـ^٢}{ش^٢} = \frac{\frac{س}{ش}}{\frac{ـ^٢}{ـ}}$ . . وإذا بسطت هذه المعادلة كان لك : —

$س^٢ \times ش = ـ^٢ \times ـ$ معادلة (٣) حاصل ثابت
(او $س^٢ : ـ = ـ^٢ : ش$)

يعني اذا ضربت مربع سرعة كل سيار بخط بُعده عن الشمس (ـماعه) كان لك عدد واحد لا يتغير في الجميع وهو ٣٤٤،٥ ميل

اذن فقانون « السرعة الخطية » كما يستخرج من معادلة (٣) هو

$س^٢ = \frac{ـ^٢ \times ـ}{ش}$ معادلة (٤) وكذلك منه

$ـ^٢ = \frac{س^٢ \times ش}{ـ}$ معادلة (٤ ب)

السرعات في مختلف النقط

بناءً على هذا القانون نستخرج السرعات في النقط المختلفة من الفلك الاهليلجي . في عطارد (مثلاً) نستخرج سرعة عطارد الوسطى أولاً ، أي المعدل الأوسط بناءً على ان متوسط البعد (أي البعد الأوسط عن الشمس) ٣٥،٩٠ ميل . فيكون بعد عطارد الاوسط عن الشمس ٠،٣٨٧ بالمقياس الفلكي

المقياس الفلكي هو مسافة بُعد الارض عن الشمس وهو المقياس الذي تقاس به أبعاد جميع السيارات ويعبر عنه برقم ١. (واحد اي وَحدة) ولما كان بُعد الارض عن الشمس بالاميال ٩٢،٩ مليون ميل فيكون بُعد عطارد بالمقياس الفلكي

$\frac{٣٥،٩٠}{٩٢،٩} = ٠٠،٣٨٧$ كما ذكرنا آنفاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبناء على المعادلة (٤ ب) تكون سرعة عطارد الوسطى بالثانية (بحساب المقياس الفلكي) وبالنسبة الى سرعة الأرض التي هي ٥ر١٨ ميل بالثانية

$$= \sqrt{\frac{(١٨،٥)^{٢} \times ١}{٠،٣٨٧}} = ٢٩،٧٤ \text{ ميل بالثانية}$$

ثانياً – اما وقد استخرجنا نسبته الوسطى فصار علينا ان نستخرج سرعته عند نقطتي الرأس والذنب هكذا : —

$$\text{سرعته عند نقطة الرأس} = \frac{٣٠،٩٠ \text{ (شعاعه الاوسط)} \times (٢٩،٧٤)^{٢} \text{ متوسط سرعته}}{٢٨،٠٠ \text{ (شعاعه الاقرب)}}$$

أي سرعته = ٣٣،٤٤ ميل بالثانية عند نقطة الرأس

$$\text{سرعته عند نقطة الذنب} = \frac{٣٠،٩٠ \times (٢٩،٧٤)^{٢}}{٤٣،٣٠ \text{ شعاعه الاطول}} = ٢٧ \text{ ميلاً بالثانية}$$

هذه هي السرعات الصحيحة وعليها نعتمد في استخراج المساحتين كما تقدم (لاحظ أن السرعات الحقيقية تختلف عما هي في الكتب)

السرعة المساحية

— مما تقدم صار يمكننا ان نستخرج قانون السرعة المساحية Areal Velocity بالمناسبة بين المساحتين .أي ما يمسحه كل شعاع في ثانيـة (أو في أي مدة تشاء) هكذا نرمز عن مساحة القطاع sector د م ل عند الرأس بحرف م وعن الثانية (أو أية مدة) بحرف ث

$م = \frac{س ث ش}{٢}$ على اعتبار أن طول القوس يساوي السرعة مضروبة بالوقت

وكذلك نرمز عن مساحة القطاع ن م ح عند الذنب بحرف ح اذن $ح = \frac{ـ ث ـ}{٢}$

ناسب بين هاتين المعادلتين فتسقط منهما $\frac{ث}{٢}$ المشتركة بينهما يبقى لك

$$\frac{م}{ح} = \frac{س ش}{ـ ـ}$$ معادلة (٥) ومنها لك

$$ح = \frac{ـ ـ}{س ش} \times م$$ معادلة (٥ ب)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترى بكل وضوح أن المعادلتين غير متساويتين. أي أن مساحة قطاع الذنب (ن م ح) أكبر من مساحة قطاع الرأس (د م ل) بقيمة $\frac{\text{ش}}{\text{س ش}}$

وبالتحقيق بالارقام بحسب المعادلة نفسها

$$\text{ح} = \frac{٢٨٤٥٥ \times ٣٣٤٤}{٤٣٤٣٥ \times ٢٧} \times \text{م} = \frac{٤٧٦}{٥٨٤} \times \text{م} = ١\frac{٤}{٥}$$

أي ان المساحة عند الذنب تساوي المساحة عند الرأس مرةً واربعةاخماس المرة تقريباً وإذن فقانون كبلر غير صحيح .

السرعة المساحية العامة

مساحة افلاك السيارات

يمكننا ان نستفيد من هذا البحث شيئاً آخر غير تخطئة قانون كبلر

كلٌ من السيارات تمسح فلكها في مدة معينة . فهل ترى مساحاتها متساوية في مدات متساوية ؟

مثلاً هل يمسح شعاع فلك زحل في سنة واحدة مساحة تساوي مساحة فلك الارض (التي تمسحها الأرض بسنة) ؟ فلنرَ

نسترعي ذهن القارىء قليلاً الملاحظة التالية : —

كلما انتقل السيار في فلكه الاهليلجي خطوةً كان كأنه ينتقل من دائرة تامة وهمية الى دائرة وهمية أخرى . فإذكان يبتعد عن نقطة الرأس كأن ينتقل الى دائرة أوسع فأوسع الى أن يبلغ الى نقطة الذنب . فكأنه يرسم دوائر (أو أقواس دوائر) متعددة بعضها ضمن بعض . وهذا هو السر في أن سرعته تختلف باختلاف بعده عن مركز الشمس حسب قانون السرعة الذي مر ذكره في معادلة (٤) . وهذا هو سر اختلاف السيارات بالسرعة .

بناءً على ما تقدم يطبق قانون السرعة المساحية على جميع السيارات بنسبة بعضها الى بعض أو بالأحرى بنسبتها الى مساحة فلك الارض التي تعد المقياس المساحي العام للجميع، كما أن (شعاع فلكها) يعد مقياساً فلكياً واحداً لجميع ابعاد السيارات كما تقدم القول .

مثال ذلك : — نأخذ زحل ونناسب مساحة فلكه بمساحة فلك الأرض لكي نرى ماذا يكون بحسب المعادلة (٥)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سرعة زحل = ٦ أميال بالثانية .

شعاعه (بعده عن الشمس) . = ٩،٥٣ (بالمقياس الفلكي . أي كذا مرات كبُعد الأرض عن الشمس) .

المساحة التي يمسحها في عام = مح (رمز للمساحة) ؟

سرعة الأرض = ١٨،٥ ميل في ثانية

شعاعها (خط بعدها عن الشمس) = ١ (المقياس الفلكي)

مساحة فلكها = مض (وَحْدة) واحدة هي المقياس المساحي بحسب المعادلة (٥)

مح = $\frac{\text{ـ} \times \text{ش}}{\text{س} \times \text{ش}}$ × مض = $\frac{٦ \times ٩،٥٣}{١٨،٥ \times ١}$ مض = ٣،٠٨ مض

يعني أن شعاع فلك زحل يمسح في سنة ٣ مرات وكسوراً كمساحة فلك الأرض .

لامتحان ذلك بطريقة أخرى هندسية حسابية : —

يتم زحل مسيره في مداره (دائرة فلكه) في ٢٩،٤٦ سنة

أي أنه يسير في سنة واحدة $\frac{١}{٢٩،٤٦}$ من دائرة فلكه

بحسب قانون كبلر يجب ان تكون مساحة فلك زحل ٢٩ مرة مساحة فلك الأرض . ومما تقدم رأيت أنها ٣،٠٨ × ٢٩،٤٦ = ٩٠،٧٣٦ مرة

مساحة أية دائرة بحسب هندسة السطوح هي $\frac{\text{د ش}}{٢}$ باعتبار ان د هي طول محيط الدائرة وش (الشعاع) نصف قطرها . ولكن د = ب ش. و (ب باي n) في اصطلاح الرياضيين هي الناتج من قسمة محيط الدائرة على شعاعها

أي أن ب = $\frac{\text{د}}{\text{ش}}$ اذن د = ب ش : واذن

مساحة الدائرة = $\frac{\text{ش ب ش}}{٢} = \frac{\text{ب ش}^{٢}}{٢}$

واذن مساحة فلك الأرض في سنة : = مض = $\frac{\text{ش}^{٢}\ \text{ب}}{٢}$

مساحة فلك زحل : = مح × ٢٩،٤٦ سنة = $\frac{\text{ش}^{٢}\ \text{ب}}{٢}$

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تناسب بين المعادلتين ونبسطهما باسقاط $\frac{ب}{٢}$ من الجانبين فلنا

$$\frac{مح \times ٢٩،٤٦}{مض \times ١} = \frac{ﺸ^{٢}}{ش^{٢}}$$ أو

$$مح = \frac{ﺸ^{٢}}{ش^{٢} \times ٢٩،٤٦} \times مض$$

بالارقام: — $مح = \frac{(٩،٥٣)^{٢}}{١^{٢} \times ٢٩،٤٦} \times مض = ٣،٠٨$ مض في سنة

أي ان مساحة فلك زحل تساوي ٣ مرات و٨ بالمئة من مساحة فلك الارض في سنة. نفس النتيجة السابقة

معادلة مختصرة

ضع في معادلة (٥) قيمة ـ التي في معادلة (٤ ب)

$$مح = \frac{ـ \times ﺸ}{س \times ش} \times مض = \sqrt{\frac{\frac{س^{٢} \times ش^{٢}}{ﺸ}}{س \times ش}} \times مض$$

ربّع المعادلة ثم أبسط وجذّر فيكون لك

$مح = \sqrt{\frac{ﺸ}{ش}} \times$ مض. وحيث أن ش تساوي واحداً لأنها وحدة المقياس فيكفي أن تكون المعادلة هكذا

$$مح = \sqrt{ﺸ} \times مض$$ معادلة (٦)

بالارقام: $مح\ في\ سنة = \sqrt{٩،٥٤} \times مض = ٣،٠٨$ مض

معادلة أخرى أبسط

أبدل في معادلة (٥) الواردة أعلاه قيمة هـ التي في معادلة (٤ . ج)

$$مح\ في\ سنة = \frac{\frac{س^{٢} \times ش}{٢} \times \frac{ا}{ـ}}{س \times ش} \times مض$$ — اذن $مح = \frac{س}{ـ}$ معادلة (٧)

بالارقام— $مح\ في\ سنة = \frac{١٨،٥}{٦} = ٣،٠٩$ مض نفس النتيجة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يمكنك أن تمتحن المعادلات ٥و٦ و٧ في جميع السيارات بالقياس الى الأرض فتجدها جميعها صادقة

وأخيراً لا يبقى عندك شك بأن قانون كبلر خطأ ، ولعلَّ فاضلاً من القراء يكتشف في هذا البيان خطأ فيؤيد قانون كبلر . وأكون له من الشاكرين

جميع الأرقام المذكورة أعلاه وفي الجدول أدناه تقريبية . وقد أخذنا الأبعاد الوسطى للسيارات وغضضنا النظر عن العوامل الفلكية التي تحدث اخلالاً زهيداً aberration بالقانون الرياضي

جدول أبعاد السيارات عن الشمس

ومرعاتها وسني مداراتها في أفلاكها ومساحات أفلاكها

على اعتبار أن بعد الارض عن سطح الشمس هو المقياس الفلكي وبعدها الحقيقي عن سطح الشمس نحو ٩٢ مليون ميل وعن مركزها نحو ٩٢٨٧٠٠٠٠ ومساحة فلك الارض مقياس مساحي فلكي واحد

اسم السيار	البعد عن الشمس بالقياس الفلكي	السرعة بالأميال	مدة الدورة بالسنين	ما يمسحه خط البعد في سنة
عطارد	٠،٣٨٧	٢٩،٧٣	٠،٢٤	٠،٦١٥ من مساحة فلك الارض
الزُهرة	٠،٢٧٣	٢١،٧	٠،٦٢	٠،٨٥٣ « « «
الأرض	١ وحدة	١٨،٥	١ سنة	١ وحدة مساحية
المريخ	١،٥٢٣٦	١٥	١،٨٨	١،٢٣ وحدة مساحية
المشتري	٥،٢٠٢٨	٨،١	١١،٨٦	٢،٢٨٤ » »
زحل	٩،٥٣٨٨	٦	٢٩،٤٦	٣،٠٨ » »
اورانوس	١٩،١٩١	٤،٢	٨٤،٧٨	٤،٤ » »
نبتون	٣٠،٠٧	٣،٤	١٦٤،٧٨	٥،٤٤ » »
بلوتو	٣٩،٨	٢،٩	٢٤٢ تقريباً	٦،٣٨ » »

نقولا الحداد

[المقتطف] اطلع أحد أصدقائنا الفلكيين ذوي العلم الثابت على تجربة من هذا المقال فتفضل بالآتي :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« تبين لي أن ليست هناك أخطاء انما كل الذي حدث هو ان السرعة الخطية المأخو من مجلد دوجان ليست هي السرعة التي يجب استعمالها ، لأن السرعـة الخطية تتألف، سرعتين :

احداها متجهة على نصف قطر ، والأخرى عمودية عليه . وهذه السرعة تساوي

$$س^{2} = ج\ (م + ك')\ \left(\frac{2}{س} - \frac{1}{ا}\right)$$

ج = ثابتة جوس

م = كتلة الشمس

ك' = كتلة الـكوكب

س = نصف القطر الموجه

ا = نصف المحور الأكبر في قطاع المدار

والسرعة التي تدخل في المساحة النصف قطرية هي السرعة العمودية على نصف ة وليست السرعة الخطية .

أضف الى ذلك . ان هذه السرعة الخطية ليست السرعة الناتجة من دوران جسم شكل دائرة ، وإنما هي السرعة النـاتجة من دوران جسم في شكل اهليلجي تحتل الشه إحدى بؤرتيه . وقيمتها هي كما تبين آنفاً للقطع الناقص .

* * *

وما قول حضرة الفلـكي في نسبة مساحات أفلاك السيارات الى إمساحة فلك الأرض

ن . ح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مواليد اللبنانيين

في الأدب البرازيلي

لعلّ قرّاء المقتطف يسرّهم أن يعرفوا بعض النواحي من حياة النازحين إلى هذا القطر النائي وكيف يعيشون في المحيط الغريب عنهم في ميوله ومشاربه وأخلاقه وعاداته . لهذا أقوم بتحبير هذا المقال لا لرسم حياتهم التجارية — وهي شبيهة كل الشبه بحياة إخوانهم في مصر وفي كلّ محيطٍ نزلوه — بل لأرسمَ ناحية أهمّ وهي امتزاج أبنائهم في أدب الشعب الذي أمسوا منه وهو الشعبُ البرازيلي الذي له أدبه الراقي وتفكيره المتزن .

ولكنّني قبل أن أقوم بهذه المهمّة الشاقة أريد القول أن الأدب البرازيلي الذي له اليوم احترامهُ في العالم وخصوصاً في أميركا الجنوبية كأدب اجتماعي وإنساني وهو وليد الأدب الفرنسي الرفيع . فانّ ڤولتير وروسو ورينان وهوجو وأناطول فرانس وغيرهم من أعلام الفكر العالمي يحتلون من نفوس أدباء البرازيل ذات المنزلة التي يحتلونها من أدباء فرنسا نفسها وأدباء الشرق الأدنى على الأخص . وإنْ من يقرأ مؤلفات جوليو ريبيرو وبيلاكْ وكاسترو ألفِسْ وغيرهم يشعر حالاً بتأثير التفكير الفرنسي في الأدب البرازيلي . وعندي أنّ الضوء الذي كاد يخبو في فرنسا لتضعضع أبنائها وتوغلهم في المجون ما برح مشعًّا في نفوس أكثر أدباء البرازيل وبينهم الروائي الكبير والشاعر الوصّاف والكاتب العبقري النابغة .

ومن شواهد تأثير الثقافة الفرنسية في البرازيل إختمار الفكرة الفلسفية التي نشر لواءها المصلح الاجتماعي « أوغستْ كونتْ » فقد لقيتْ فكرته القيمة تربة صالحة في هذه البلاد . ومن أثرها البليغ أن أصحاب الرأي خلعوا الملكية مقيمين مكانها جمهورية مشاهاة لها نظامها العادل وقانونها الانساني الحرّ .

هذا في الحقل الاجتماعي السياسي . أمّا في الحقل الأدبي فإننا نشعر بذلك التأثير في أشعار أولاڤو بيلاكْ أمير شعراء البرازيل . وفي روايات جوزي دي ألنكار . كبير روائي أميركا على الاطلاق .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأنا لا أقصد في كلامي هذا أن أقول إن هذين الأديبين كانا منتحلين أو نسخة طبق الأصل لمن تقدّمهما من أعلام لغة راسين كما هي الحال في بعض كتّاب العربيّة . كلاّ ما هذا الذي أقصد اليه . بل أريد القول أنهما خضعا للمدرسة الفرنسية . فبيلاك شاعر رمزي خيالي . وقصيدته « وشوشة مع النجوم » هي من أروع ما أنتجته مخيلات الشعراء على مدار العصور لما في أبياتها من رعشة لذيذة ساحرة ولما يحوّم على ألفاظها من طنين مسكر كطنين الفراشة .

وإني ناقلٌ في ما يلي قصيدة لهذا الشاعر وهي عن الفينيقيين !!

الفينيقيون

ايها الشعب الطمّاح الجريء الفتيّ !

من تلك البقعة الجدباء .

والأرض الرملية الوعثاء .

ما بين لبنان وشاطىء سوريّة — عن أيّ طريق يفتش نظرُك الحادُّ الملظّى وقد أعشته الحمّى ؟ .

صور تبرزُ من زرقة الشاطىء البحريّ متلألئةً وتسبحُ بيضاء في النور . وفي المياه المنشقّة تتصادم المجاذيف على حين بغتة ويتموّجُ في الفضاء خشيش أشرعة الكتّان .

حيرام بصولجانه الأسود المتوهج بالحجارة الكريمة يُحصي السفن المشدودة من خشب الأرز والممتلئة من أحمال الذهب والصفّير والعقيق ومختلف السلع .

هبّوا الى عرض المحيط !

وليبارك ملخار سَفرَ الذين برحوا صيدا وجبيل وصور لكي يوسعوا التجارة وينشروا العمران !!

* * *

أكتفي بما تقدّم لأعود الى مواليد اللبنانيّين متحدّثاً عن المنزلة السامية التي يشغلونها اليوم في الأدب البرازيلي على ما له من المقام الرفيع في الآداب العالميّة كما أظهرت في مستهل هذه المجالة فأشير في أول الأمر الى الشاعر « جميل المنصور حدّاد » صاحب المؤلفات القيّمة في دولة البيان وعضو المجمع الأدبي في مدينة سان باولو

ومن مؤلفاته « صلوات سوداء » وهو ديوان شعري منحهُ المجمع العلمي البرازيلي جائزة الشعر لما يتموّج في صفحاته من بيان متين الدعائم وقوّة غريبة على قرض الشعر . ومن ابداعه في هذا الديوان الشعري الرائع تصويرهُ للروح البشريّة في حالات بؤسها وشقائها

ولذلك دعاه « صلوات سوداء » لما يبطنه من وحشة وكآبة لعلّه ورثهما عن أجداده اللبنانيين الذين قال عنهم لامرتين ورينان انهم احتكروا العاطفة دون باقي الشعوب فهي تفرح مع أزهار الربيع وتئنّ مع الجداول في فصل الخريف الحزين !

ويشغل ذات المكانة التي يشغلها جميل المنصور حدّاد، شاعر وكاتب آخر يدعى «سلمون جورج» صاحب عدّة مؤلفات حازت رضى كبار النقّاد واعجابهم وهو عضو المجمع العلمي أيضاً. ومن مؤلفاته الشعريّة ديوان «عربيّات» نحى فيه منحى كبار الشعراء المعاصرين. ومما يمتاز به هذا الشاعر انه خطيب فصيح اللسان وناثر بليغ يحملك نثره المشرّب بالعاطفة والمحلّى بالشعور والاحساس على حب الحياة بما فيها من أهلاك دامية فأنت تحبّه ناقماً ساخطاً، وتحبّه مداعباً مغازلاً. وأصدر أخيراً كتاباً نثريّاً بعنوان «جمال الموت» فجاء رافلاً ببيان عذب كبيان فليكس فارس صاحب تلك الديباجة الساحرة التي لا يجهلها أحد من قرّاء الأدب العربي.

* * *

واني غير ناسٍ الكاتب الروائي والنقّاد الراسخ القدم في دولة الأدب «ماريو نعمة» الذي تشوقك منه عاطفته المضطرمة المتخبّطة في ديجورة موحشة كئيبة. ولكم قرأت لهذا الأديب العبقري من فصول أدبيّة مندّاة بقطرات قلب الفنان المفتون بالجمال فكان يغشاني لدى قراءتها ما يشبه الضباب العابق بالعطور مُطلاً منها على آفاق متموّجة بألوان الفجر والمغيب. وعلى الرغم من أنه لم يمسحْ عن وجهه وجبينه أحلام الشباب فقد زفّ الى المجتمع البرازيلي عدداً من المؤلفات أحلّتها أعلامُ الأدب في أجل منزلة من التقدير لما يطفو عليها من أمواج عاطفيّة تشعّ بالاحساس والتصوّر والالهام.

وهناك كتّابٌ وشعراء آخرون أخصّ منهم بالذكر آميل فرحات وداود نصر وآميل كارلوس وساميل غنّام فهم أصحاب مؤلفات هامّة ترجم بعضها الى الفرنسية والانكليزية والاسبانية إذ صوّروا فيها حياة العمال وما يعانونه من شظف وتضوّر. ولعلّ أبعدهم مدى وأرسخهم قدماً الروائي والنقّاد المشهور — نعيم أبو عمره.

عرفتُ هذا الأديب من أعوام فعرفتُ فيه كاتباً خصباً فيّاضاً تنساقُ له الصور والمعاني انسياقَ المياه في منحدر الوادي. وقد طبعه الشرق — عن طريق الوراثة — بطابع يُعرف به وحده اليوم

ويمثلُ في رواياته وقصصه مذهبَ الاحتفاظ بالشباب الأزلي والتمتع بالحياة في شتى

ألوانها ومظاهرها . فهو من هـذه الناحية يماثل « عمر الخيّـام » الشاعر الفارسي الذي دعا الى تقديس الحياة والتقلّب في أحضانها .

ومن مؤلفاته كتاب في النقد تناول فيه أعلام الفكر الانساني مترصّـماً مذاهبهم وطرق تفكيرهم وقد لقي هذا الـكتاب استحساناً شاملاً من الاندية الفنية في البلاد . وقد أخرجت له المطابع أخيراً روايةً دلت على اقتداره في العالم الروائي وسماها « رواية في استانبول » وهي من ابتكاره معتمداً بوضعها على خياله وحسب !

تدور روايته هذه على يقظة تركيا وقيامهـا بتلك الدعوة التجديدية بين أمم الشرق الاسلامي قاطبةً . وقد برّ بيير لوتي وكلود فارير صديقيّ الشرق بوصفه للبوسفور وأحياء العاصمة التركية الاسطورية . فالحدائق الغارقة في الأحلام ، ومياه الخليج المفضضة بشعاع القمر ، والقصور المائجة في غمرة من نور الحسن والجمال . . فمطلع الفجر ، ومغيب الشمس ، ومجيء الربيع ، وذهاب الصيف . . ان كلّ هذه المشاهد تجد لها رسوماً عاطفيـة رقّـقة في روايته التي أهداها الى النفوس المتعطّـشة الى الحب والسعادة من أبناء الشرق .

ويُـدهشكَ من هـذا الروائي المطبوع — عدا أسلوبه المعطّـر ولغته الشيّـقة — مقدرته العجيبة على ابتـكار قصصه ورواياته . فان أشخاصه لا تمت بصلة الى المحيط الذي يعيش فيه كما يفعل أعلام الرواية المعاصرون إذ يبنون الموضوع متأثرين بالبيئة والجوّ على ما يحوطهما من حوادث وعبر ويشملهما من ظلمات وأشعة . بل يخرج أشخاصه من صميم نفسه الفنية بالصور والألوان خالعاً عليها من ظلال الحياة وأنوارها غلائل شفافة . وهذه القدرة على خلق أشخاص تتذوق في كل جارحة من جوارحها وفي كل حاسة من حواسها حلاوة الأمل ومرارة الألم لم تتفق الاّ للقليلين من جبابرة الفن الروائي ناهيك بخيال وثاب يحمل تحت أجنحته الذهبية احساس الشاعر وعبقرية الجبار الذي يجبل من تذكاراته وأحلامه تماثيل للحياة !

ولا أنسى في هذا المجال أن أشير الى أديب لغوي مدقق يجيد اللغة العربية ككبار فحولها وأعلامها هو الأستاذ فؤاد نمر واضع أهم كتاب في شوارد اللغة البرتغالية وصلتها باللغات الشرقية وعلى الأخص بالعربية . وقد وصف كبار اللغويين في البلاد كتاب الأستاذ فؤاد نمر بأنه فتح مبين في هذه الأبحاث الغامضة التي لا يستوعبها الاّ أصحاب المواهب النيرة . ومما يمتاز به هذا العالم الخبير بأصول اللغات حبه للبنان ومعرفته الواسعة لتاريخه وآدابه معرفة صحيحة اعتقد أن رجال التاريخ واللغة كاليازجي والبستاني والشدياق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والشرتوني يحسدونه عليها . وكتابه هذا حفز وزارة التعليم الى انشاء كرسي للعربية في أم جامعة في البلاد . وقد دُعيَ في أول الأمر الى تولي هذا المنصب الرفيع فاعتذر مكرساً مواهبه للتأليف . لكنه عاد أخيراً الى إشغال منصبه في الجامعة نظراً لاخفاق المعتمد الاول وقصر باعه في هذه العلوم الدقيقة .

ويعني اليوم الاستاذ فؤاد نمر بوضع قاموس عربي جامع للأوضاع الحديثة التي عجزت المجامع العلمية في الشرق العربي وعلى الأخص في مصر عن اختيار ألفاظ موافقة لها . وعندي أن هذا العالم البصير سيوفق الى خدمة اللغة وتسهيل تلك المعميات نظراً لتضلعه من عدة لغات تضلعاً وثيق العرى . فقد درس هذه اللغات درساً علمياً صحيحاً على أكبر العلماء في جامعة « السوربون » الفرنسية وعلى مشاهير المستشرقين في المانيا . وهو يرى أن أغلب الذين اشتغلوا بوضع القواميس العربية لم يأتوا بالشيء الجديد بل زادوا على اللغة مصيبة جديدة كانت بغنى عن احتمالها . وعندي ان هذا النقص في تأليف الموضوعات اللغوية عائد الى عجز المؤلفين وقصر باعهم في معرفة أصول اللغات . ولو لزم السكوت اولئك المتطفلون لكانوا أحسنوا الى نفوسهم والى هذه اللغة المسكينة التي يوسعونها تهديماً ، ويعيثون بها خراباً .

***

وبعد . فهذه لمحة موجزة عن بعض مواليد اللبنانيين في البرازيل ممن اعتنقوا مذهب الادب محلقين مع نسور الالهام في سمائه .

وفي اعتقادي انه لن يطول الزمن حتى تتفتق عبقريات هؤلاء الأدباء عن بيان عالمي النزعة فيتحفون الانسانية بأدب جديد كانت شواطىء البحر المتوسط مهداً له في الماضي البعيد . واذا قامت تلك الجماعات المتسكعة الهاجعة في رقادها الابدي أن تنشد بعد الاجيال المتعاقبة أغاني الخلود ، فلن يفوت أبناءها وان ارتدوا ثياباً غير ثيابها أن ينشروا على الدنيا انجيل الحق والامل والمحبة ! !

يوسف البعيني

« من العصبة الاندلسية » البرازيل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشخصية والحرية

حقـا ان الإنسان لغز في هـذه الدنيا بل قد يكون أعظم لغز فيهـا ! إنه لغز لا لأنه حيوان . ولا لأنه كائن اجتماعيّ ولا لأنه جزء من الطبيعة والمجتمع ، بل هو لغز لأنه شخص وبعبارة أدق لأن له شخصية . وليست الدنيا بحذافيرها شيئاً مذكورا بجانب الشخصية الانسانية

يعيش الإنسان مجاهداً . مهموماً مفكراً ، يريد أن يعلم ، من هو ؟ ومن أين أتى ؟ وإلى أين يذهب ؟ إن في مقدور الإنسان أن يعرف نفسه من جهة تساميه وإنحطاطه ، إما بنوره أو بإلهامه أو بظلمته أو بإحساسه الباطني . إن في مقـدوره ذلك لأنه كائن مزدوج ومتناقض ، شبيهٌ بالله وشبيهٌ بالحيـوان . فهو سام وسافل ، حُـر ومستعبد ، صـالح للرقي والإنحطاط ، قادرٌ على الحب المفرط والتضحية وبذل النفس ، كما إنه قادر على منتهى القسوة والغلظة والأنانية التي لا حد لها .

الإنسان ، من حيث إنه كائن منحط ، يعمل وفقاً للمنافع الاقتصادية والبواعث الشهوية والهواجس النفسية ، غير إنه يألم لسقوطه ويؤنبه ضميره إذا اقترف الآثام ويرغب فيما هو خير

إن الشخصية الباطنة في الإنسان تنم عن طبيعة أرقى واستعداد أرقى .

الشخصية لا مثيل لها في العالم ولا يوزن بها شيء ولا يوضع شيء في مستواها .

الشخصية هي العالم الأصغر . وهي ليست جزءاً منه . وهـذا ما جعله لغزاً . وشخصية الإنسان الفـرد لا يشترك فيها أحد . فكلٌ له شخصية متغايرة .

الشخصية ليست جزءاً من العالم ، بل العالم جزء منها . وهي ليست مادة ، فان ذلك رأي الماديين الذين لا يعترفون بالروح . وهي ليست شيئاً كـكل شيء في الدنيا ولا كجزء منها كما يذهب الى ذلك علماء النفس والاجتماع . إذ لو كانت كذلك ، لما كانت لغزاً أو سرّاً من الأسرار

الشخصية ، جوهرٌ لا نهاية له ينطوي فيه سر الوجود . هي دائمة في تغير وهي الوحدة .

الشخصية ليست في حالة جمود بل تتطور وتخصب . وهي الانسان المثالي وليست كائناً حيّـا فحسب بل هي كائن حر أيضاً . إنها انتصار الروح على الطبيعة .

ان شكل الانسان الذي ندركه بحواسنا لا يتوقف على المادة بل ان معناه الانتصار على المادة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشخصية خالدة والموت لا يضع حداً لوجود الشخصية الباطني وهي التي تحب وتبغض.

الانسان يبحث في قرارة نفسه عن الحرية دائماً ويصبو إليها. وبذلك يسهل وقوعه في العبودية. فهو لذلك ملك وعبد. وسيّد ومسود. بيد أن العبودية خارجة عن الانسان. لكن الحرية متأصلة في قرارة نفسه. فهو لذلك كائن حرّ وحيّ، يقاوم الاستعباد بطبيعته، فقد خلقه الله حرّاً. وإذا استعبد الإنسان غيره، فانه إنما يستعبد نفسه. إذ المسيطر على الناس عبد للدنيا، عبد للجماعات التي يتسلط عليها، إذ لولاهم لما تحققت رغبته ولما نفذت مشيئته. فالمسيطر المستبد في حاجة الى من يسيطر عليه وصاحب الحاجة عبد.

الإنسان ظالم إلى حدّ ما، ظالم في الحكومة، ظالم في أسرته، ظالم في حانوته، ظالم في وظيفته. إن له ميلاً لأن يظلم من حوله. وهو ظالم في حقده وفي حبه. وما الغيرة إلا مظهر من مظاهر الظلم بشكل سامي.

إنه ظالم لنفسه بالعقائد الكاذبة والأفكار الخاطئة وبالخوف والأنانية التي هي أفظع أنواع الظلم. يظلم نفسه بشعوره بالضعف ونزوعه الشديد الى القوة والسيادة. وهو برغبته في الاستعباد، لا يستعبد غيره فحسب، بل يستعبد نفسه أيضاً. وإن أول رذيلة هي تسلط الإنسان على الإنسان والحط من سمو قدره. أما الحر فلا يرغب في التسلط على أحد. وأفظع من ذلك كله تسلط عبد صار سيّداً.

ليس للمستبد وجود بغير الجمهور. إلاّ أنّ التطلع للقوّة يناقض عظمة الانسان وشرفه وحريته. وقد حُرم الانسان حريته وصار عبداً لا بالقوّة الجسمانية بل بوسائل أخرى كثيرة كالتهديد والبيئة. والاستعباد قتل. وقد يصير الإنسان عبداً للرأي العام والعادات والواجبات التي يفرضها عليه المجتمع.

وقد يجد الإنسان نفسه مهدداً بالموت جوعاً فيفقد حريته. والمال يمنح صاحبه الاستقلال وفقده يوجده في عوز. والصدق مرتبط بالحرية دائماً. أما العبودية فإنكار الصدق والخوف منه. وأن محبة الصدق انتصار للحرية. والعبودية خضوع وإذلال. وكما أن الإنسان الحر لا يخضع لأحدٍ ولا ينحني لأحدٍ، فهو كذلك لا يحب أن يكون سيداً متحكماً

الإنسان ليس عبداً للطبيعة والاجتماع فحسب، بل هو عبدٌ للمدنية التي ابتدعها تخلصاً من القوى الطبيعية فاخترع الآلات ووضعها بينه وبين الطبيعة وأخذ يدخل عليها التحسينات، فضعفت قوّته الجسمانية وحلّت الآلات محلها وتعاون مع أخيه لمقاومة الطبيعة وتنظيم المجتمع غير أنه شرع يظلم غيره لهذه الغاية فنجم عن ذلك علاقة السيد بالعبد.

وقد تطوّرت المدنية بظلم الجماعات وتسخيرها. كذلك ثار تولستوي وروسو على المدنية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لأنها مدنية كاذبة ، مؤسسة على الاستعباد .

إن المدنيــة ليست الهدف الأخير لوجود الإنسانية وهي تعد بتحريره . ولا نزاع في أنها تعمل على تحريره ولكنها تجر معها الاستعباد حتى صار الانسان عبداً لها .

الانسان عبد لمعبودات شتى ابتدعهــا وهي جميعاً ليست في قرارة نفسه بل خارجها . فالقوة الخارجة المحيطة به هي التي تستعبده فهو عبد للشهوة الجنسية ، بيد أنه يخجل عند ذكرها . هذا ولم تتقدم المباحث الجنسية إلاّ حديثاً . كذلك هو عبد للحب . وهناك فرق بين الحب الجنسي والحب الروحاني . فالأول يفضي إلى العبودية ويسبّب الشقاء ويجر المصائب . وللعبودية الجنسية ارتباط بالمال . وتميل المرأة عادةً إلى العبودية والى استعباد غيرها في آن واحد . فالإنسان في حالة عبودية لكنه لا يفطن غالباً الى أنه عبد وانه يحب العبودية أحياناً إلاّ أنه يصبو الى الحرية من أعماق نفسه . وليست الحرية هيناً سهلاً بل هي صعبة . ومن السهل أن يظل الإنسان عبداً .

إنّ محبة الحرية والسعي إليهــا والمكافحة في سبيل الحصول عليها ، دليلٌ على الرقيّ والتقدم . وأن في الانسان عنصراً روحيًّـا يأبى العبودية وأنّ تحريره ليس مطلب الطبيعة أو العقل أو الاجتماع كما قد يظن غالباً بل هو مطلب الروح وليس الإنسان روحيًّـا فحسب بل هو حيوانٌ أيضاً ومظهر للعالم المادّي بيد أنه مع هذا روح . كذلك الروح حرية .

إنّ التحرّر الروحي انتصــار على القوة الأجنبيــة عن الإنسان غير أنه يصير عبداً من غير أن يفطن الى ذلك . ومن هذا يتبين تعقد الطبيعة الإنسانية . وقد يتخلص الإنسان من نوع من العبودية ويقع في نوع آخر منها . والمسألة المهمة في موضوعنــا هو الخلاص نهائيًّـا من العبودية . فالدنيا شرٌّ لا لأن المادة فيها بل لأنها ليست حرّة ولأنها مستعبدة . وانتصار الروح على العبودية هو انتصــار على الخوف من الحياة ومن الموت . إذ الخوف عبودية وهو يفضي الى الكذب . ويظن الانسان أنه يحمي نفسه بالكذب . وكما أنه يخاف أن يموت فكذلك يخاف أن يموت غيره . وهو يرتكب جريمة القتل بسبب الخوف . كذلك الحال في الحروب .

واذا كانت المدنية الحاضرة قد استعبدت الإنسان الى أقصى حد بسبب تسلط القوي على الضعيف والاستعمار والجشع وما جرّته الحروب من محن وخراب فهل يأتي زمن يتخلص الإنسان فيه من تلك العبودية وتفوز الروح بالحرية ؟

محمد رضا

مكتبة جامعة فؤاد الاول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فـراق ...

سائرانْ — تحت سكين القدَرْ

صامتان — غـير دمعٍ ينهمر

***

من رآى روحين في كفّـــين كالضـوء خُـفـوقا ؟

من رآى قلبَيْن في قيدين بالذبح هُـريقا ؟

من رآى ؟ .. هول هذا المنظر الدامي .. مُطيقا !

***

مثـل قربانٍ على الهيكل يا ربّاه كنّـا

ننـظر الأعين ترعانا ... يميناً ما نظرنا

في يد الأقـدار سكينٌ قد احتـلّ علينا

أهنـا يا مُـنيتي حقّـا الى التوديع جئنا ؟

إنها للّحظة الكبرى .. فاذا لو جُـنِنّـا ...

***

وهوَتْ بين ذراعيَّ كذعورٍ مُسـاقِ

وضَممْتَ الصَّدر للصدر فأنَّتْ في احتراقِ

وطوَتْ كفًّا على كفّيَ كمَنْ يخشى انطلاقي

كشّر الدهر إلينا عن تهاويل الفراق

فحجبنا العين بالدمع ... وغبنا في العناق . .

***

فزّع القلبان إمّا صرخةً دوّتْ دَويّا

صمّت الآذان منا فترنّحنا مليّا

مدّه الدهرُ ذراعاً ضُمّنت كفًّا عتيّا

نزع الروح من الجثمان فانقضّ هويّا

***

ها هما الصبان قد باتا . . جريحاً وذبيحا

فوق انقاض الأماني لا ترى الا طريحا

وهناك في حدا الليل . . تلمّسْ ذا الضريحا

إنه للثُّكل والدمع على النائي أتيحا ...

القاهرة محمد فهمي

باب المراسلة والمناظرة

ملاحظات في أبيات

كنت قد نقدت قصيدة « برلمان الطبيعة » في مقتطف ابريل سنة ١٩٤٧ من جهة إثبات همزة الوصل بعد (ال) أداة التعريف وأبنت بأن الاثبات أحسن من كسر اللام الساكنة لأنّ اللفظ يثقل على اللسان فيكون البيت بطبيعة الحال غير فصيح فهو يقارب جزء بيت المتنبي المعاب عليه فصاحة وهو (ولم يحلل الأمر الذي هو حالل) إذ أن فك الادغام في حالة الجزم جائز نحويًّا وإذن فلم يبق للعيب غير الثقَل . وهنا لابدّ وأن أشير الى وقوع غفلة أخرى في القصيدة وفي أروع بيت من أبياتها — حسب اعتقادي — وهو البيت الثاني وهذا نصه .

فأحجم فاقد العبرات عنه وأقدم من له دمعٌ فنابا

لاشكّ أن السحاب غير عاقل وأن (من) اسم الموصول يجب أن يستعمل للعاقل كما هو معروف في القواعد النحوية وأنّ (ما) تستعمل لغير العاقل فإذن يجب أن تستبدل (من بما) فيكون العجز (وأقدم ما له دمعٌ فنابا) وأروع من هذا لو وضعنا (كل ذي) أي (وأقدم كلُّ ذي دمع فنابا) .

ولكن بعد هذا قرأت قصيدة — في المقتطف الأغر وفي عدد إبريل — بعنوان غروب شمس للشاعر القدير حسن كامل الصير في وجاء فيها البيتان التاليان — وهما من الوافر كقصيدتهما — مكسوري لام (ال التعريف) درجاً لهمزة الوصل واستقامة للوزن الشعري وإني أرى أن الأصح هو القطع أو سبك البيتين بحيث تكون همزة الوصل بين كلمتين كيما تدرج كما هو متعارف عليه . وإني إذ أقول هذا استند في قولي على الأسباب التالية بعد درج البيتين بنصهما وهو :

وتسلبنا الأعزّ وليس عرض بمانع كفها عنِ الاغتصاب

طواه الموت مخترماً مجولاً كما يطوى الحديث بالإقتضاب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأسباب

١ — توالي المتحركات يحدث كما أبنت ثقلاً في لفظ الكلمة سواء أكان في النظم أو النثر وهو غير مقبول عند أهل الفصاحة . أفلا نرى الثقل في جملة (لم يكمل الانتخاب) بكسر اللامين على التوالي .

٢ — ان اداة التعريف (أل) تكون جزءاً من الكلمة فهي تضيف الى الكلمة معاني جديدة فهي اما عهدية أو جنسية والعهدية اما أن تكون ذكرية نحو (فيها مصباحٌ المصباح في زجاجة) أو ذهنية نحو (إذ هما في الغار) أو حضورية وهي الواقعة بعد اسم الاشارة نحو جاء هذا الرجلُ أو بعد أي مثل يا أيها الرجل أو إذا الفجائية نحو (خرجت فاذا الأسد والجنسية اما لاستغراق الأفراد نحو (وخلق الانسان ضعيفاً) وهي التي تخلفها (كل) واما لاستغراق خصائص الأفراد وهي التي تخلفها كل مجازاً نحو (أنت الرجل) أي الجامع لأوصاف الرجال واما لبيان الجنس نحو (وجعلنا من الماء كل شيء حي) وتكون زائدة لازمة وغير لازمة فاللازمة كالتي في الأسماء الموصولة والتي في الاعلام عند وضعها كالنضر والحرث والنعمان وهي لا تفيد تعريفاً — وغير اللازمة وهي الداخلة اضطراراً على العلم كقول الشاعر

رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً شديداً باعباء الخلافة كاهله

وكالداخلة على الحال والتميز نحو ادخلوا الأول فالأول أي مرتبين ونحو(وطبت النفس يا قيس عن عمرو) وهي لا تفيد تعريفاً ولا شيء أدل على أنها من صلب الكلمة اننا عند نعرب المحلي بها لا نفردها عنه كبقية الحروف والأدوات .

٣ — لما عرفنا أن اداة التعريف جزء من الكلمة . ويقول النحاة أنه لا يوجد في العربية حرفان ساكنان في كلة واحدة الا عند الوقف نحو هذا (كتاب) أو في حرف لين بعده حرف مدغم نحو خاصة ومادة ودابة وخاصة فاذن على ما نكسر (اللام) في كلمة (الاستقلال) او (الاغتصاب)

٤ — مما يؤيد ثبوت همزة الوصل بعد أداة التعريف هو وجود الحركات بتفصيل في القرآن الكريم . فقد جاءت (الإنشراح) بسكون اللام واثبات الهمزة مكسورة في طبع رومية سنة ١٣٥٨ هـ وكذلك نجد (سورة الإنشقاق) ثابتة رسم الهمزة ومجرورآتها في طبع المطبعة المرتضوية في النجف لسنة ١٣٥٢هـ وما طبع عليها حديثاً . وكذلك سورة (الإنفطار) الخ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طبع مصلحة المساحة بالجيزة سنة ١٣٤٢ هـ وكذلك في المصحف الشريف طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٣٢ هـ يثبت فيها رسم الهمزة المكسورة ولا شك أن هذه المصاحف مذيلة بتواقيع علماء معلومين أمثال حفني ناصف والاسكندري وغيرهم ممن أشرف على التحركات ووضعها في محلها منها .

٥ — اذن لم يبق للدرج الا طريقة واحدة وهي حذف الهمزة واعطاء حركتها للحرف الذي قبلها وهذه ليست بقاعدة اذ انها تنطبق على الكلمات التي تدور على اللسان بكثرة مثل خذ . ومر . وسل . وهذه الطريقة تستوي فيها همزة القطع والوصل اذ جاء في الكامل المبرد في الجزء الثاني ان الهمزة قد تخفف فيقال (منَ بُوك) أي من أبوك ومراة تخفف فيقال (مَرَةٌ) فالملاحظ ان الهمزة الأصلية وهمزة القطع خففتا واعطيت حركتهما لما قبلهما وهذه القاعدة لو يسار عليها لما بقي فرق بين همزة القطع والوصل والهمزات الأخر. وختاماً ان همزة الوصل يجب أن تثبت بعد أداة التعريف في النظم والنثر وإذا ما احتجنا الى اعدامها لوزن الشعر يجب أن نقطعها لا أن نتخلص من ضرورة بضرورة غير مرعية حسب سنن الاقدمين .

البصرة — العراق　　　　رشيد الشعر

توضيح

طالعنا في باب المراسلة والمناظرة من مقتطف ابريل سنة ١٩٤٧ تنبيهين للأستاذ رشيد السعد — هما ، شهد الله ، في حاجة إلى تنبيه أو توجيه —

أما أولهما فهو استدراكه على بيت وارد بقصيدة « برلمان الطبيعة » ودفعه علة وهمية بارتكابه علة حقيقية لا داعي لها ، ولا طائل تحتها — فقد ورد بيت الشاعر هكذا .

لقد رشحت يا أفق السحابا　　وقد أجرت رياحك الانتخابا

وأراد له الناقد أن يكون هكذا :

لقد رشحت يا أفق السحابا　　وقد أجرت رياحك إنتخابا

فلم يفلح فيما أفلح فيه الشاعر ، وإن عزز رأيه ببرهان سقيم ، من قول « أبي العتاهية وابن الحطيم » — والله تعالى في كتابه يقول « بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان » وصدق الله العظيم ، وليس بعد كلام الله برهان .

وأما ثانيهما — فخفيف خفيف ، يحمل في ثناياه ، أثر التصحيف ، وهأنذا أوجه إليك الرأي السديد — يا رشيد — وتحياتي إليك .

محمد الصادق عمار　　صفط جدام — تلا

شاعر الوادي

النظائر وكيمياء النواة

رئيس تحرير المقتطف

قرأت في مجلة المقتطف الغراء عدد مارس ، مقالاً يستلفت الانتباه لأحد العلماء ، عنوانه « النظائر وكيمياء النواة » . فأرجو أن تسمحوا لي بهذه الكلمة تعليقاً عليه .

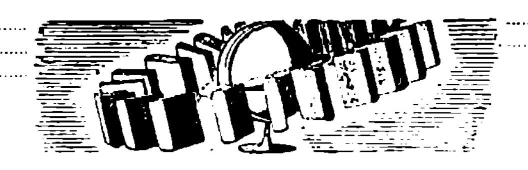
لا شبهة عندي بأن صاحب مثل هذا البحث هو أحد كبار الأساتذة ، ولا شكَّ عندي أيضاً بأن ذلك البحث النفيس الذي عالجه من خير ما كُتب بل خير ما كتب في بابه في المجلات الشرقية ، لأنه دقيق للغاية وخطير للغاية . وأرجو من علمائنا ألاَّ يمروا به مرَّ الكرام عند تصفحهم إيَّاه لأنه مادَّة جد خصبة للتحقيق والتمحيص . ويقيني أنه إذا كان الأستاذ الشرايحة على حق في ما ذهب إليه وارتآه ، فهو فتح جديد في الفكر العلمي العربي وتباشير ثورة في علم الكيمياء يجب أن تسترعي اهتمام المسؤولين .

لا أنكر بأن البحث قوي وفريد مما يدل على طول باع كاتبه ورسوخ قدمه في علوم الطبيعة وأعتقد بأن حضرة الأستاذ لم يُسبق الى تلك الفكرة البكر ، إذ لا نعلم أن أحداً من علمائنا تصدّى لهذا الموضوع العريض — كما لا نعلم أن مجلة سبقت سيدة مجلات الشرق — المقتطف — الى نشر مثل تلك الجرأة العلميـة الفريدة ، التي اذا صحت فانها تدل دلالة واضحة على استعداد العربي للسير في طليعة ركب الحضارة العلمية الحديثة .

أنا لا أعرف حضرة الأستاذ الكبير ولكن يتراءى لي من نتاجه أنه من المخضرمين ذوي الناب الأزرق في هذه البحوث . ولهذا فانني أطالب بشدة كبار علمائنا وأساتذتنا أن يناظروه ويناقشوه نقاشاً علميًّا صارماً ، ويجلوا لنـا حقيقة أقواله ويفندوها ويدلونا على ما يصح منها وما لا يصح إذا كانت هناك حقائق بعيدة الغور والادراك علينا . أو يعلنوا بصراحة العلماء وشجاعتهم بأن هذا الباحث العربي ولا سلاح بيده سوى فكر وثَّاب وذهن وقَّاد قد استطاع أن يكشف لنا عن أمور هامة في فهمنا لكيمياء النواة ، وإنه من الملهمين السباقين الى القول بأن قوانين الكيمياء الحديثة بل علم الكيمياء بأجمعه أصبح مزعزع الأسس وإنه بحاجة ماسَّة الى تنظيم جديد شامل .

صبري الطويل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

الله

كتاب في نشأة العقيدة الالهية

بقلم : عباس محمود العقاد : ٢٩٧ صفحة من القطع الكبير : دار المعارف بمصر : القاهرة ١٩٤٧

في مفتتح هذا العدد من المقتطف بحث في تأملات ونقود دارت حول هذا الكتاب . وقد نوّهنا هناك بأننا سنعود في باب المكتبة الى نقد بعض مصطلحات استعملت فيه ولا نوافق عليها . واليك بعضها :

١ — ملكة الاستيحاء (ص ٨) Animism : وحقيقتها « الفكرة الروحانية » فان مقالة أرسطوطاليس في الروح اسمها عند العارفين de anima ومنها جرى الكتّاب على اتخاذ هذا الاصطلاح رأساً للكلام في الفكرة أو المذهب الروحاني : جاء في المعجم الانسيكلوبيذي (ص ٢٠٥ ج ١)

Animism : From L. anima = the principle of animal life. The doctrine that the phenomena of life in animals is caused by the presence of a soul or spirit ; and that the functions of plants are carried out by the principle of life, and not by any chemical or material causes. (Webster).

٢ — التعدد (ص ٢١) — Polytheism وهو الاشراك أو الشرك وهو اصطلاح قديم جار على الألسنة وتضمنته المؤلفات العربية من أقدم عصور البحث الفلسفي فيها . واستعمل القرآن كلمة « شركاء » و « يشركون » .

٣ — التمييز والترجيح (ص ٢١) : Henotheism وهو الافراد ، وهو اصطلاح وضعه (ماكس مولر) لطور من أطوار المعتقد الديني ينفرد كل معبود فيه بذاته فيعبد ويصلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اليه منفصلاً عن بقية الآلهة . جاء في المعجم الانسكلوبيذي (١٦٧ ج ٤) .

Henotheism : Comp. Relig. The name introduced by Max Muller for a phase of ligious belief when each divinity seems to stand alone, and to be adored and ayed to , to the exclusion of the rest.

٤ — الوحدانية (ص ٢١) Monotheism وهي التوحيد ؟ لأن التوحيد اسم لحا الاعتقاد بالـه واحد . أما الوحدانية فمن صفاته .

٥ — بسيشي (ص ٢٧) : Psyche وهي بسيكي اذا تحرينا النطق باللغات الحدي وبسوخي اذا تحرينا النطق باللغة اليونانية . وفي الأصل اسم فتاة فريدة الجمال ذكر اسطورة يونانية وتناقلها الشعراء والكتاب . ثم عاد الكاتب فرسم هذه الكلمة بسيٰ (ص ١٣١) .

٦ — كتاب المبادىء (ص ٧٠) The Beginning وهو كتاب « البدء » لا المبادىء Principles

٧ — ناناهس (ص ١١٤) وهو نناخوس بحسب النطق اليوناني . وفي نفس الصف كلمة « فريجية » وهي فروغية نصًا .

٨ — الششيميون (ص١١٤) وهم الخيخيميون.

٩ — فيثاعورث (ص ١٢٣) وهو فيثاغورس ، واكسينوفان : وهو إكزينوفانس

١٠ — كرونوس Chronos (ص ١٣١) Kronos وكرونوس ، والثاني إخرونو لا غير ذلك .

١١ — كليانتس (ص ١٣٢) Cleanthes وهو إقليانثس : Cleanthes

١٢ — شريسبس (ص ١٣٣) Chrysippus وهو خروسيبّوس لا غيره .

١٣ — الثنائية (ص ١٩٨) Dialectic وهي الجدلية .

الى جانب هذا نجد في الكتاب مصطلحات كثيرة توخى فيها المؤلف الدقة كل الد والكتاب في مجموعه جيد البحث حسن التبويب ، وهو فوق ذلك عمل فرد في المؤلفا الحديثة.

ا . م .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — أصراعٌ أم تعاونٌ في فلسطين ؟

عدد خاص من مجلة الضاد في ٥٢ صفحة من قطع المقتطف

مجلة « الضاد » التي تصدر في حلب منذ سبعة عشر عاماً معرض من معارض الفكر تجلو قرائها في كل شهر الطريف من ألوان الأدب والفن والعلوم . يشرف على تحريرها أديب ضليع وشاعر مبدع ، هو الأستاذ عبدالله يوركي حلاق صاحب ديوان « خيوط الغمام » الذي صدر منذ أعوام ، وليس لنا في وصف شعره إلا أن نستعير بيتاً من ديوانه هو :

أشعاره ! الله في أشعاره   خطّت على صفحاته بدماء

وهو من خلال آثاره ومن النزعة التي تبدو في مجلته عربيٌ متفان في عروبته يدين بوحدة العروبة غير ناظر الى اختلاف في العقيدة والمذهب . وهو القائل :

يا إلهي أنت ينبوع الندى   فاسْقِ أهل الارض ماءَ الرحمةِ
دينك القدسيُّ قد علّمني   أن أرى الناس جميعاً إخوتي
إنّ للاسلام عندي مثلما   للنصارى من حقوق الحرمة

لذلك ليس عجيباً أن تدفعه حميّته الوطنية وعروبته إلى أن يساهم في قضية العرب الكبرى أمام اطماع الصهيونيين ومن يدفعونهم في الوطن العربي المفدّى « فلسطين » فيخصص عدداً من مجلته الناهضة لهذا الموضوع الحيوي .

وقد اختار لهذا العدد رسالة من أنفس ما كتب في هذا الموضوع الخطير وضعها بالانجليزية الدكتور جابر شبلي أستاذ الرياضيات في كلية بنسلفانيا وهو من اللبنانيين الذين تجنسوا بالجنسية الامريكية أراد بوضعه خدمة العروبة التي ينتسب اليها بالميلاد .

ونقلها الى العربية لمجلة الضاد أديب من أبرز أدباء العربية ومن أرقهم أسلوباً وأصحهم عبارة ولكنه آثر كتمان اسمه وان نمّ عليه قلمه . وقد ساعده أسلوبه القوي ووطنيته الحارة ومعلوماته في هذا الموضوع على جلاء تلك القضية . وإنها لخدمة جليلة لقضية العرب أن يشترك ذلك الثالوث في بسط هذا الموضوع — ذلك الثالوث هو : المؤلف الذي دفعته عروبة أجداده والمترجم الذي دفعته وطنيته الى نقل هذه الرسالة الى لغة أمته وصاحب الضاد الذي حملته عروبته على تخصيص عدد من مجلته لهذه الرسالة وابرازها في هذا الثوب القشيب .

وقد بين المؤلف في مطلع رسالته حقيقة الموضوع وهي ان « فلسطين هي الجسر الوحيد

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

بين العشرين مليوناً من العرب في آسيا الغربية ، وبين الأربعين مليوناً من العرب في أفريقيا الشرقية وتحويلها الى دولة يهودية يفرّق العالم العربيّ ويحول دون اتحاده » .

ثم تناول حقيقة الموقف وكيف « عاش العرب واليهود في فلسطين وسائر الأقطار العربية جنباً الى جنب مدة ثلاثة عشر قرناً بود وصفاء ، ولو ان الزعماء اليهود عندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حاولوا كسب صداقة العرب والوصول الى تفاهم معهم أو تقدموا للتعاون مع الشعب العربي في بناء فلسطين وسائر الأقطار العربية الأخرى التي نجم تأخرها عن سوء الادارة التركية ، لرحب العرب باليهود الراغبين في دخول فلسطين كأصدقاء ومواطنين مماثلين لهم في الحقوق ، ولما كانت هناك مشكلة فلسطينية » . ثم تكلم عن أهداف الصهيونية والصلات التاريخية فدحض ادعاء الصهيونيين بصلاتهم بفلسطين وكيف انهم دخلوها وخانوها ثلاث مرات على أقل تقدير في حين أن العرب عاشوا فيها باستمرار ما يزيد عن أربعة آلاف سنة . وتساءل لماذا يجدر أن يراعى الشعور الديني لاثنى عشر مليوناً من اليهود ولا يراعى شعور ٣٠٠ مليون من المسلمين ، وتناول مسألة فلسطين كلجأ فأوضح ان الميل المربع الواحد في فلسطين يشغله ١٧٠ نسمة يقابله ١٢ نسمة في الأرغون و ٤٤ في الولايات المتحدة . وناقش ادعاءات الصهيونية انها أفادت العرب من وجهات الزراعة والصناعة فبين كيف كانت حالة الزراعة من الرقي على يد العرب .

وبعد أن تناول بالشرح فضل العرب على الأمم المتحدة شرح الحل لقضية فلسطين وانتهى أخيراً الى تبيان ما يجب على الولايات المتحدة اتخاذه في علاج هذه القضية وحلها الحل الذي يرضي أصحاب الحق في هذا الوطن العربي .

ان الرسالة التي وضعها الدكتور جابر شبلي وترجمها الأديب العربي الصادق العروبة ونشرتها مجلة الضاد جديرة بأن يقرأها كل عربي وجديرة بأن تلقى من عناية الجامعة العربية وترجمتها الى جميع اللغات ونشرها على العالم أجمع ، لعلها توقظ الضمير في هذا العالم الذي يصمّ أسماعه عن دعوة الحق .

٢ — مكتوب على الجبين

الطبعة الثانية ١٣٢ صفحة من القطع المتوسط — مطبعة دار الهلال

في سنة ١٩٤١ أصدر القاصّ الكبير الأستاذ محمود تيمور بك مجموعة « مكتوب على الجبين » ضمت أربع عشرة قصة من أبدع آثاره ، فلقيت من تقدير الأدباء وعناية الباحثين في تاريخ القصة العربية ما هي جديرة به ، وقد ظهرت في هذه المجموعة النزعة الرمزية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الممزجة بالنزعة التخيلية في أدب تيمور . ولا نكون مغالين اذ قلنا أن قصتي «كان في غابر الزمان» و «خميلة الحب» وهما من قصص هذه المجموعة لما يفخر به الأدب العربي الحديث إذ ترتفعان الى مصاف أرفع القصص العالمي من حيث قوة الفكرة وقوة الأداء. وقد أحسن المؤلف إذ أعاد طبع هذه المجموعة ليتيسر لقرائه العديدين فرصة الاطلاع عليها .

حسن كامل الصيرفي

قصص للاطفال

تصدرها المكتبة المصرية و يافا — حيفا (فلسطين)

تعمل المكتبة العصرية لصاحبها الأستاذ حنا صليب على تزويد مكتبة الطفل بالجديد الطريف من ألوان القصص المهذب الشائق ، وهي خدمة جليلة تؤديها الى الناشئة لأن مكتبة الطفل في حاجة داعية الى الاكثار مما يقدم لها إذ هي المرحلة التي يتكون فيها خيال الطفل فيتعود على التخيل والتصور والاقتداء الى جانب تحبيب القراءة اليه وتشويقه الى الاطلاع والاستزادة .

وقد عهدت هذه المكتبة الى الأستاذ محمود زايد بهذه المهمة فوضع كتابين الأول هو كتاب « يوليسيز التائه » فاتجه الى الأدب اليوناني وأخرج منه نموذجاً مختصراً من الأوديسة للشاعر اليوناني هوميروس . وقد بدأ الأستاذ زايد كتابه بذكر الحرب الطروادية بصورة مطولة ليعطي الطفل قصة متماسكة شائقة . وتقع هذه القصة في ٨٦ صفحة من القطع الوسط .

أما الكتاب الثاني — وهو القصص التاريخية — فقد عرض فيه صوراً لبطولة ثلاثة شخصيات من أبطال العرب في الأندلس ، أولهم طارق بن زياد فاتح الأندلس ، وثانيهم عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) ، وثالثهم المنصور محمد بن أبي عامر الذي وصل من حرفة الوراقين الى اعتلاء عرش الملك في الأندلس . وتقع هذه القصص التاريخية في ٥٦ صفحة من القطع الوسط .

والاختيار في الكتابين موفق ، والعرض لطيف مشوق ، وقد كان من الخير لو عني بتفسير الكثير من الألفاظ لأن المؤلف قد توخى في كتابته أسلوباً يرتفع في بعض جوانبه عن مستوى الأطفال ، ولا يضير ذلك اذا كان مصحوباً بالتفسير حتى تقوى أساليب الأطفال من نعومة أظفارهم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ - ابن الانسان

لاميل لودفيغ : ترجمة الاستاذ عادل زعيتر

أشق ما يعانيه الباحث ، هو التنقيب ، وراء حياة ، يريد الكشف عن جوهرها ، واستخلاصها من تلك الأخلاط والعناصر ، التي تفاعلت معها ، وأثرت في اتجاهاتها ، وتزيد متاعب الباحث كلما استسرت عن نظره المعالم التي تهديه ، وتشابهت السبل أمامه التي توصله ، ومن تلك الشخصيات التي منيت بهذا الغموض ، شخصية السيد المسيح — وهي شخصية لها روعتها ، وجلالها ، وأثرها ، وحسبك من شخصية يغمرها الظلام منذ بزوغ فجرها ، ويظل يزحف على مطالعها ثلاثين عاماً ، استطاع أن يلف خلالها هذه الحقبة ، بدياجيره الحالكة ، التي لا تدع بصيصاً من النور ، يضيء بعض جوانبها ، بل هو ظلام كثيف إذا أخرج الانسان في وسطه يده لم يكد يراها ، وكان هذا مبعث تلك الألوان التي نسجت حول هذه الحياة مما جعلها في أذهان الكثيرين ، أقرب الى شخصيات الأساطير ، حتى تصدى لها الكاتب العبقري العظيم — اميل لودفيغ — ودرسها دراسة عميقة ، قوية ، ناضجة ، وقدم لنا الصورة . كما يجب أن تقدم ، وتعرف ، فهو لم يعمد الى التأريخ ، ولم يزج بنفسه . وسط هذه الأمواج المتلاطمة . من الروايات ولم يتعدَّ الى أكثر مما ينفعه في ايضاح الصورة ، ويعطيها اللون المناسب ، فهو لا يلم بعلم اللاهوت . الذي وضع بعد يسوع بزمن طويل ، الا قليلاً ، ولا يعده الا انساناً — لا مخلّصاً — ولم يقص من أنبائه الا ما هو مجرد مما أضيف اليه بعد زمن لا يعرفه يسوع — ولا يجد القارىء — في الكتاب ما ناقضه العلم . وقد أباح المؤلف لنفسه عند ما كانت تعوزه نصوص الاناجيل أن يتم ذلك بما يتصوره من نظرات وأوضاع وأوجه تعبير ، ووصل بين الفكر ، والكلام ، وبيان للاسباب ، وتسلسل للمشاعر ، حتى تتسق الصورة ، التي يريد استخراجها ، وهو لم يعرض في هذا الكتاب مذهباً ، معروفاً ، بل أوضح فيه باطن ذلك النبي الذي فاق جميع معاصريه ، وان لم يكن لديه من السلاح ما يغلبهم به ، ولم يبال بما نسب اليه من عمل لاحق ، لأن ذلك من فعل الآخرين ، لا من فعله ، بل قد حاول أن يوضح فيه تاريخ قلبه ، أو إن شئت فقل شعوره ، ومقاصده ، وعوامل قيادته للناس ، وميوله ، وأحلامه ، وتبدد أوهامه ، وما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قام في نفسه من صراع بين الاقدام ، والاحجام ، وبين اليأس ، واليأس ، وبين الدعوة والسعادة . ولما كانت هذه هي أهداف المؤلف — لم يكن جازماً فيما شرح ، وفسر ، فكان ما تراه من البساطة وعدم التصنع ، وملاءمة روح الزمن الحاضر في هذا الاطار أبدع الاستاذ الكبير صورة يسوع — وما أحوج الشرق — وهو مهبط الروح — الى أمثال هذه الدراسات بحياة أنبيائه ، ورسله وقد قام الاستاذ — عادل زعيتر — بتقديم هذه الترجمة عن الفرنسية والانجليزية ، والتركية ، وقد حاول جهده في أن يقدم النص كما هو فجاءت عبارته قوية ، سلسة ، واضحة تشف كثيراً من روح المؤلف ، وتبرز خصائص ذهنه ، ولعل مما كان يغض من شأن — المكتبة العربية — أن يظل مكان هذا الكتاب فيها شاغراً ، ولا يملك الناقد — في هذا الموقف إلا أن يحمد المترجم جهوده الخصبة ، المتواصلة ، وخطواته السديدة ، المباركة ، في النهوض بنقل هذه الغرر الفكرية الى لغتنا العربية .

٢ — قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام

للدكتور توفيق الطويل — صفحاته ١٩٤ صفحة من القطع الكبير — نشرته دار الفكر العربي بمصر

جهد ، مشكور ، خصب ، ذلك الذي بذله الدكتور توفيق الطويل في جمع هذه الصور المتفرقة ، المبعثرة في مختلف الأنحاء المستسرة في بطون الكتب ، والحقيقة أن قصة الاضطهاد الديني من الجوانب الغامضة التي تتطلب الدراسات التي تكشفها ، فلباب العقائد ليس هو الاضطغان ، والتنكيل ، والايغال في الدماء ، بل هو في تعهد هذه العواطف الانسانية النبيلة . بالري ، والعناية حتى تورق فتستظل الانسانية بظلالها ، وتثمر فتتمتع بلذيذ ثمرها أخوة ، وعطفاً ، ولينا ، فهذه الصور الماثلة بالذهن من أن الايمان يجر الى التعصب لذميم ، صور زائفة ، ففي وسع الشخصية الانسانية أن تجمع بين أقوى الايمان وأعمقه ، وبين العطف والاخوة وسعة الصدر بأجلى معانيها ، بل الايمان الصحيح غير المشوب في النفس السليمة لا يكون إلا على هذه الصورة الكريمة الحبيبة غير أن هذه المثل السامية قل أن تأخذ مكانها في النفوس على هذا السمت الوقور ، الهادىء بل كثيراً ما تعصف بها العواصف التي تهب عليها من جانب البيئة أو التربية ، أو ارتكاسات الطبيعة في النفس فتحول بينها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبين بلوغ قصدها في نبالة ، ونزاهة . وتخرج بها عن الجادة ، فتنشأ هذه الألوان القاتمة من الاضطهاد والتعذيب ، التي تلوث التاريخ الديني ، وقد قص الدكتور — هذا الاضطهاد الذي قام باسم الدين في هـذا الأسلوب القصصي الطريف في صور سريعة تنم عن أسطع مظاهره ، ومعالمه فكشف عن الاضطهاد الدامي الذي أنزله الرومان بالمسيحية وشهدائها في مراحل تاريخها الأولى . وتتبعـه حين انتقلت دفتـه من يد الرومان الى يد الـكنيسة الكاثوليكيـة وأخذت تكوي بناره خصومهـا ثم سايره في الصراع الذي نشب بين هذه الـكنيسة ، وخصومها من البروتستانت وغيرهم ممن عدوا في زمرة المارقين ، وصحبه حين آل أمره الى المصلحين من هؤلاء البروتستانت فنكلوا بخصومهم في غير رفق ، ولا رحمة وتعقبه في مقاومته لرواد الفكر الحديث حين نبت مبدأ التسامح في رؤوسهم ، واستبد هواه بقلوبهم فأغرام بالاستشهاد مع أتباعهم في سبيل الحرية الدينية ، راضين مختارين ، وعقب على هذا بفصل في الاضطهاد الديني في الإسلام ، وأبان فيه عن موقف الدين الاسلامي من التسامح ، وحرية الاعتقاد ، ثم انتهى من هـذا كله الى بيان وجه العظة في موضوع هذا الـكتاب ، فكانت قصة شائقة، ممتعة ، عرضت لنا مناظر هذا الصراع عرضاً ، أميناً قويـاً ، وما أحرى هذه الابحاث الجافة العسيرة تعرض بأسلوب القصة حتى يسهل هضمها ، والاقبال عليها ، واستخلاص عبرها .

محمد عبد الحليم أبو زيد

١ — أبو العلاء ناقد المجتمع

للدكتور زكي المحاسني — ١٦٤ صفحة من الحجم الكبير — دار الفكر العربي

دراسات كثيرة كتبت عن شيخ المعرّة وعن فلسفته في الحياة ، ولـكن معظم هذه الدراسات — إن لم يكن كلها — محورها التعميم لا التخصيص ، فهي قد تتناول كتاباً من كتبه بالتفسير والتعليق والتعقيب أو قد تعالج شطراً من فلسفته في الحياة ، أو قد تتحدث عن أبي العلاء ذاته بوصفه علماً خفاقاً في تاريخ اللغة العربية وبنداً مرموقاً من بنود النقد.

والجديد في كتاب « أبو العـلاء ناقد المجتمع » الذي وضعه الأستاذ الدكتور زكي المحاسني الأديب السوري ، هو أن هـذا المبحث أفرد برمته لاستجلاء قواعد فن النقد

ومنوفه في تآليف المعري ، ذلك الجسور الذي ما كان يهاب في معظم نقده أحداً فتنال من فيه عبارات القذع والاذع ويجاهر برأيه وإن خالفته المسكونة بأسرها ، وينقد ذوي الجاه وذوي الألقاب ، ويجرد حملة شعواء عشواء على المرأة مردّها — كما يقول الدكتور الحاسني في رسالته — الى كيد امرأة عرفها في ريّق عمره ، وينقد المجتمع لأنه يستبيح لنفسه ذبح حيوان أعجمي يطعم به بنو البشر ، ويحمله عطفه على الاحيـاء على أن يسرّح كفّه لبرغوث يمتص دمه رأفة به ورحمة . ويستصوب المعري حياة الزهد والتقشف والمسغبة وهذا رأي لا يستغرب منه وهو الفقير المضروب بالعمى ، ويحمل على رجال الدين المتباهين بأرديتهم ولحاهم ويكيل لهم أقذع الهجو غير مستثن من ذلك أصحاب العمائم الملوّنة .

وإذا كان المعري قد استباح لنفسـه أن ينال من المجتمع ومن أفراده وأن يصوّر مطاعنه ومثالبه في شيء من المبالغة والإفراط ، فلا غرو بعد ذلك أن يتعرض لأدباء يردّون له الصاع صاعين حتى قيل عنه أنه « معرّة المعرّة » وإنه « حمار لا يفقه شيئاً » بل قيل عنه أنه « معتوه مجنون . . وليته لمّا ادّعى العقل خرس » !! .

والعجيب في حياة المعري — ولعلـه أعجب مافيها — تجريحه للمرأة بكل ما أوتي من نطاطة وعنف وهذا أمر مستغرب من أبي العلاء لسببين : أولهما أنه كان يبطن ويبدي رحمة وحنواً على الحيوان والعجماوات فما كان بالكثير عليـه أن يعد المرأة واحدة من جنسها ويرفق بها كما رفق بالثور والبرغوث ! . وثانيهما أن المعري تحدّر من صلب امرأة وكان يعتز بها ويدين لهـا بالحب والولاء فما كان يصح لرجل هذا شأنه أن ينحدر الى المنحدر المنخفض ويهجو المرأة — التي ومموها بأنها مخلوق ضعيف — هذا الهجاء المرير الطافح بالسمّ والحقد .

بل إننا لنعجب ، ويعجب معنا الدكتور الحاسني ، كيف أن رجلا كأبي العلاء المعري سبق عصره في كثير من آرائه ولـكنه مع ذلك لم يستطع أن يسـمو بفكرته عن المرأة ويدفع عنها كل ضيم واعتداء .

وهناك حقيقة ينبغي أن تسجّل للحاسني بالثنـاء والمديح وهي أنه استطاع بوضعه المعري على مشرحة العـلم الحديث أن يثبت أن المعرّي كان متمتعاً بجميع قواه الجنسية ، وأن بغضه للمرأة لم يكن منبعه قصور ذاتي عن إرضائها . ورأيه هذا مؤيد ببراهين كثيرة من شعر المعرّي وهي تدحض ما عزاه إليه بعض البحّاث من أنه كان يفتقر الى الحافز الجنسي .

ومن أطرف ما جاء به الدكتور الحاسني في كتابه مقابلتـه بين نظرية أبي العلاء عن تزايد عدد السكان ونظرية العـالم الانجليزي روبرت مالتوس الذي أنشأ قلقاً وثورة في العالم حين جاهر برأيه الجديد وهو أن البشرية تنمو نمواً يتجاوز في مداه نموّ موارد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطبيعة وان العالم مهدد في المستقبل البعيد بمجاعة لا تنقذه منها إلاّ الحروب والأوبئة. وقد كتب الدكتور الحاصي للمعري أصحقية الجاهرة بالمعتقد على تباعد السنين بين المفكرين .

ولما نقد الحاصي المعري كان لا يستهدي إلاّ أحكام العقل والمنطق وان كان أعرب في مقدمته عن إعجابه به وبفلسفته . وبحثه هذا مرجع فريد للذين يريدون أن يعرفوا الدوافع والعوامل التي عنها صدر نقد المعري للمجتمع وهي دوافع قد تسوقه الى المجاملة والمهالة وقد تلهب فيه الاندفاع الى التشهير والتنديد .

٢ — خرافات ايسوب

للاستاذين مصطفى السقا وسعيد جودة السحار — ٢٧٠ صفحة من الحجم الكبير — لجنة النشر للجامعيين

ما من قصة وردت على ألسنة الطير والبهائم واستعان بها مؤلفو كتب الأطفال الاّ ومصدرها خرافات إيسوب . وقد اتجه معظم أولئك الكتاب الى تلك الخرافات يقتبسون منها ويترجمون عنها دون أن يشيروا الى مصدرها بحرف فكانت النتيجة أن أضحت قصص إيسوب مشاعاً في جميع أنحاء العالم ومؤلفها مجهولاً الاّ للقلة القليلة .

وتتميز تلك الحكايات بأبطال من العجماوات أو الجماد أو بعض أعضاء جسم الانسان تتحادث أو تتصرف تصرفاً تستمد منه حكمة معينة يسهل ادراكها على الصبي ويستعين بها البالغون على تجسيم رأي يريدون إبانته وجلاءه .

وعنّ للاستاذين مصطفى السقا وسعيد جودة السحار أن يترجما النسخة الكاملة الانجليزية لهذه الحكايات الى اللغة العربية ترجمة جمعت بين سهولة الأداء وبلاغته ، حتى ليحق للقارىء أن يقول إن هذا الكتاب موضوع لا مترجم لانه تجرد عن كل صفة أجنبية .

ولم يقصر المترجمان جهدهما على مهمة الترجمة ، بل رأيا أن يردفا كل حكاية من حكايات ايسوب بحكمة أو قولة بليغة مستمدة من الأدب العربي القديم والحديث بحيث تنطبع العبارة في ذهن القارىء ولا تبرحه ، ويطرد نمو محصوله من الأمثال .

وخرافات إيسوب — يعسوب الحكمة بحق كما قال المترجمان — لأنها تضم أكثر من ثلاث مئة حكاية تنتهي كل واحدة منها بعبرة بليغة ، ولا تكاد تعثر في هذه الحكايات جميعاً على عبرتين متشابهتين متطابقتين تماماً ، لأن لكل واحدة منها ذاتية واستقلالاً خاصّين .

وديع فلسطين

باب الأخبار العلمية

الزيت في الشرق الاوسط

عقد الدكتور باربر [1] رئيس تحرير جريدة « ذي بتروليم تيمس » The Petroleum Times الواسعة النفوذ فصلاً ضافياً نشر في بريطانيا عن البترول ومستقبله في الشرق الأوسط. وفي ما يلي إجمال الآراء التي أوردها

استهل الدكتور باربر بحثه بتأييده للرأي الذي ذهب إليه الدكتور افريت دي جلوبيه [2] الرئيس الاميركي للجنة الاميركية للبترول في الشرق الأوسط وأبان ان السنوات العشر الأخيرة تميزت بنمو مطرد ضخم في « الاحتياطي المؤكد » [3] للزيت في الشرق الأوسط وهو نمو أفضى إلى القول إن انتاج العالم من الزيت يتحول محور ارتكازه من منطقة الخليج الكاريبي إلى منطقة الشرق الأوسط .

وليجلو الدكتور باربر هذا الرأي مضى يبسط مايعنيه بقوله « الاحتياطي المؤكد » فقال : حين تكشف منابع للزيت ويقرر مدى سعة منطقة الانتاج وتعرف كثافة صخور مستودع البترول وحالتها المسامية (نسبة إلى المسام) يصبح من المتيسر تقدير جملة مقادير النفط المختزنة في المسارب تحت الارض وهذا التقدير في ذاته تقدير تقريبي يتوقف مدى صحته على عدد آبار الزيت وتوزيعها — وهي الآبار التي تتغلغل إلى مخازن النفط — وعلى درجة التجانس في الحالة المسامية للصخور في الخزان . فمن المستصوب إذن أن يكون مدى تعويلنا على مثل هذه التقديرات متفاوتاً تفاوتاً كبيراً في البلدان المتباينة بل متفاوتاً حتى في الآبار المتباينة لبلد واحد .

أضف إلى ذلك انه لا يستنبط من النفط الذي يكتشف توفره تحت الارض سوى جزء منه لأسباب اقتصادية . ويتفاوت مقدار هذا الجزء القابل للاستنباط تفاوتاً يتوقف على نوع الخزان وعلى الخصائص الطبيعية للنفط وعلى حجم الغاز المذاب في النفط وعلى الصلة بين النفط والماء في الخزان وهو يتوقف كذلك على ملاءمة وسائل الانتاج — وهي ما يشير إليه الاختصاصيون بقولهم « ضبط الخزان » — التي تطبق عند استنباط الزيت . ولعل مما يحمل على تقدير

----

(1) Dr. C. T. Barber (2) Dr. Everette de Gloyer (3) Proved reserves

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شأن هذا العامل ، الحقيقة الماثلة وهي انه قدّر من عشرين عاماً خلت ان نحو عشرين في المئة من النفط السائل تحت أرض الولايات المتحدة قابل للاستنباط اقتصاديّاً غير أن تحسين وسائل الانتاج أصبح عظيماً حتى انه قدّر الآن ان هذه الينابيع عينها تحتوي على زيت يمكن استنباط ٤٠ في المئة منه

وتتسبب هذه العوامل في أن يصبح هناك تفاوت كبير بين تقديرات الاحتياطي المؤكد في بلدين مثلاً ، بل كثيراً ما يكون هذا التفاوت جليّاً في ينابيع البلد الواحد.

ولا يسعنا أن نؤكد تأكيداً كبيراً أن تقديرات الاحتياطي المؤكد هذه — ولا ينبغي أن تتضمن إلاّ النفط الذي يمكن استنباطه اقتصاديّاً — ليست سوى خير تقديرات يظفر بها الاختصاصيون كأفراد بناءً على المعلومات التي في متناول أيديهم

ودلّت التقديرات في الماضي على شيء من التشاؤم. أما التقديرات الحالية التي ثبت أنها تكاد تصل الى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه من عشر سنوات فردها لا إلى المكتشفات الجديدة التي كشفت في هذه الآونة فحسب بل مردها الى ذلك والى اعادة تقدير الاحتياطي القابل للاستنباط في الينابيع التي كانت تعرف من عشر سنوات.

وانتقل الدكتور باربر الى تحليل تقديرات الفترة السابقة للحرب من الاحتياطي المؤكد وقابلها بالأرقام الحديثة التي أصبحت في المتناول. ويمكن استخلاص النتائج الآتية من الجدول الذي أعده الدكتور باربر :

ارتفع تقدير الاحتياطي المؤكد في الولايات المتحدة من ٠٠٠ر٥٧٥ر١٠ برميل أميركي في عام ١٩٣٦ الى ٠٠٠ر٥٠٠ر٢١ برميل أميركي في عام ١٩٤٤ بينما نزلت نسبة الاحتياطي الأميركي بالنسبة للاحتياطي في العالم في هذه الفترة من ١ر٤٨ في المئة الى ٩ر٣٣ في المئة.

وسبب ذلك هو أن الاحتياطي المؤكد للشرق الأوسط قدر في عام ١٩٣٦ بنحو ٠٠٠ر٦٢٥ر٤ برميل أميركي وعدّل هذا الرقم في عام ١٩٤٤ إلى ٠٠٠ر٨٠٠ر٢٦ برميل أي بزيادة تكاد تبلغ خمسة أضعاف. وتغيرت تبعاً لذلك نسبة احتياطي الشرق الأوسط من احتياطي العالم فأصبحت ٣ر٤٢ في المئة في عام ١٩٤٤ بعد ما كانت ١ر٢١ في المئة في عام ١٩٣٦.

واستطرد الدكتور باربر بعد ذلك فتحدث عن كشف ينابيع جديدة لاستنباط النفط في عام ١٩٣٧ في الضمان في المملكة العربية السعودية ، وكشف ينابيع للنفط الأبيض في جاش ساران في إيران. وعرض لتقدم أعمال كشف الينابيع في الشرق الأوسط حتى عام ١٩٤١ وخلص من ذلك إلى قوله إن أعمال الكشف عطلت في عام ١٩٤١ في معظم أنحاء الشرق الأوسط حتى

نهاية الحرب. ولعلّ أهم ينابيع كشفت منذ ذلك الحين هي ينابيع القطيف في المملكة العربية السعودية.

غير أن منطقة الشرق الأوسط مشرفة الآن على عصر تجري فيه أعمال كشف واسعة النطاق في ايران والعراق والمملكة العربية السعودية علاوة على سوريا وفلسطين وشرق الأردن وغرب الجزيرة العربية وسواها من المناطق. وبينما زاد الاحتياطي المؤكد من النفط في الشرق الأوسط في السنوات العشر الأخيرة بنحو خمسة أضعاف ما كان عليه، لم يسفر استغلال ٣٥ ألف بئر في الولايات المتحدة في الفترة عينها إلاّ عن ارتفاع التقدير الى ضعفين اثنين لاغير. وتنطبق هذه النسبة على سائر أنحاء العالم المنتج للبترول.

ونشر الدكتور باربر مقالاً ثانياً عن البترول في الشرق الأوسط قال فيه انه في الفترة التي زادت فيها النسبة السنوية للمستخرج من احتياطي البترول في الشرق الأوسط وأصبح الاحتياطي يعادل ٤٢ في المئة من الاحتياطي في العالم، أنتجت المنطقة في (عام ١٩٤٦) ٩ في المئة لاغير من الانتاج العالمي. ويقابل ذلك أن الولايات المتحدة – وتملك ٤٢ في المئة من الاحتياطي المؤكد في العالم – كانت مسؤولة عن انتاج اثنين وستين في المئة من الانتاج العالمي.

وهناك مفارقة واضحة أخرى بين انتاج الشرق الأوسط وانتاج نصف الكرة الغربي وقد جلا أخيراً السر وليم فريزر Sir William Fraser رئيس مجلس إدارة الشركة الانجليزية الإيرانية للزيت (أنجلو إيرانيان أويل) هذه المفارقة حين قال في خطاب له في المؤتمر الدولي للموارد المعدنية في نيويورك:

« إنه بالقياس إلى نسبة الانتاج الحالية تعدّ منطقة هافت كيل Hafet Kel في إيران أكبر منتجة للنفط في العالم. فقد قيل لي أنه بينما تنتج ٢٤ ألف بئر للزيت في شرق تكساس في أميركا ١٧ مليون طن في العام تنتج منطقة هافت كيل في إيران من ٢٤ بئراً فقط ٩ ملايين من الأطنان في العام ».

واستطرد الدكتور باربر يتحدث بعد ذلك عن تقدم العمل في مدّ أنابيب البترول في الشرق الأوسط فقال:

« ان نفقات نقل البترول بالأنابيب تقدر بنحو ثلث نفقات نقله بالمركبات المجهزة بالمستودعات. ولا يصل من البترول بوساطة الأنابيب إلى البحر المتوسط في الوقت الحالي سوى نحو ٣٠ مليون برميل في العام من منطقة كيركوك في العراق. والطاقة الحالية للأنابيب الممتدة من كيركوك إلى ميناء حيفا في شرق البحر المتوسط هي ٩٠ ألف برميل في اليوم. غير ان العمل مستمر الآن في مدّ أنابيب جديدة وستصبح في طاقتها في عام ١٩٥٠ نقل ٣٠٠ ألف برميل في اليوم تفرغ مئة مليون برميل في السنة في شرق البحر المتوسط ليشحن إلى الخارج بسفن النقل ».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويبحث الآن مشروعان لمد أنابيب للبترول يتسنى لكل منهما نقل مئة مليون برميل في العام . والمشروع الاول يهدف الى ربط ينابيع الزيت في المملكة العربية السعودية بشرق البحر المتوسط بينما ينتظر أن يصل المشروع الثاني شمال الخليج الفارسي بساحل دولتي المشرق .

ولا يتيسر إعداد أي من هذين المشروعين اعداداً يهيئه للعمل قبل عام ١٩٥٠ ويحتمل أن لا يتم المشروع الثاني قبل مضي بضع سنين على ذلك الموعد . غير أن المتوقع انه الى أن يحين عام ١٩٥٠ يمكن نقل ٣٠٠ مليون برميل من النفط بوساطة أنابيب البترول من الشرق الأوسط الى البحر المتوسط يقابل ذلك أن الاستهلاك السنوي الاوربي بلغ في عام ١٩٣٨ نحو ٣٤٠ مليون برميل فهناك اذن احتمال كبير بأن يستطيع الشرق الأوسط في غضون السنوات العشر القادمة مدّ القارة الأوروبية بثلاثة أرباع ما تحتاج إليه من النفط بدلاً من نسبة تقل عن الربع كان يمدها بها في عام ١٩٣٨ .

وأشار الدكتور باربر الى أسواق الشرق الأقصى فقال إن من رأيه أن بترول الشرق الأوسط المنقول بوساطة المركبات ذات المستودعات يستطيع أن يزاحم الانتاج الاميركي والكاريبي في منطقة الشرق الأقصى وأن يزيد نسبة تصريفه في تلك الأسواق .

ومن رأي الكاتب فيما يتعلق بمستقبل التجارة في العالم ان الشرق الأوسط لن يصبح عاملاً مهيمناً في تجارة النفط الدولية إلا في حوالي عام ١٩٥٠ حين يبدو أن الشرق الأوسط أصبح متجهاً إلى أن يصبح المورد الرئيسي للبترول لقارة أوربا . وقد يصبح توزيع النفط في العالم آنذاك وفقاً للنظام الآتي :

أميركا — مستوردة للبترول يساعدها انتاج منطقة البحر الكاريبي على سد عجزها وعلى مدّ بقية دول نصف الكرة الغربي بما تحتاج إليه .

روسيا — تبقى مستقلة استقلالاً ذاتياً ببترولها .

الشرق الأوسط — يصبح المورد الرئيسي لبقية أنحاء العالم .

وإذا تبيّن أن هذا الاستنتاج صحيح فمن المحتمل أن يشترك الشرق الأوسط مع منطقة البحر الكاريبي في إصدار البترول الى دول العالم بالتساوي .

غير انه الى أن يحين العمل بالأنابيب التي تمد من الشرق الأوسط الى البحر المتوسط والى أن تتسع قدرة معامل التكرير في منطقة البحر المتوسط وفي أوربا لتستطيع تكرير ٩٠٠ ألف برميل في اليوم، ستصبح أميركا ومنطقة البحر الكاريبي العامل المهيمن في تجارة النفط في العالم . وفي هذه الأحوال ينتظر أن تتحكم أسعار النفط في الخليج الفارسي في أسواق العالم لمدة عشر سنوات أخرى على الأقل .

بعثات مصرية ترتاد الصحراء [1]

وقال الأستاذ أحمد أبو حسين بك المراقب العام لمصلحة المناجم والمحاجر في مصر ان المصلحة قررت ايفاد ست بعثات الى صحاري مصر للكشف عن مناجمها وكنوزها على أن تكون أربع منها مختصة بالفحص الجيولوجي واثنتان مختصتان بالفحص المعدني .

وسترتاد البعثات المناطق الممتدة من قنا الى القصير وطريق ادفو ومرسى علم على البحر الأحمر ومساحتها نحو ١٥ الف كيلو متر مربع . ورصد لهذه البعثات مبلغ ٢٧ الف جنيه

وقال الأستاذ أبو حسين بك ان البحث مستمر في منطقة سيناء لاستنباط ينابيع جديدة للبترول والأمل معقود على كشف ينابيع غنية بالزيت . وستستعين المصلحة بخريجي كلية الهندسة من قسمي البترول والتعدين وتشجعهم بالمال على السفر الى الصحارى ابتغاء الانتفاع بخبرتهم في زيادة الثروة القومية للبلاد .

شركة زيت تطلب زيادة رأس مالها .

وما دمنا بصدد الحديث عن النشاط البترولي في الشرق الأوسط نذكر هنا أن وكالة روتر التلغرافية أذاعت برقية بتاريخ ٨ يوليو الحالي من لندن جاء فيها أن حملة أسهم شركة الزيت الانجليزية المصرية المعروفة باسم « الانجلو اجبشيان أويل فيلدز » أبلغوا في التقرير السنوي الذي أعده السر روبرت كوهين رئيس مجلس ادارة الشركة ان الشركة في حاجة الى أموال جديدة تضاف الى رأس مالها وان مشروعاتها المالية ستعرض على حملة الأسهم في الوقت الملائم .

وقال السر روبرت ان ينابيع الزيت العظيمة في الشرق الأوسط يزداد مقامها شأناً ولا سيما لأن موارد كبيرة من الزيت وفيرة الآن في البلدان المجاورة للعراق وإيران والمملكة العربية السعودية والأراضي المتاخمة للخليج الفارسي .

ويزيد انتاج المناطق المجاورة لمصر زيادة كبيرة على إنتاج مصر نفسها والآبار في تلك المناطق أغنى منها في مصر .

وختم السر روبرت بيانه قائلاً : إنه بينما لا يسعى أحد إلى التقليل من مقام صناعة الزيت المصرية وشأنها في اقتصاد البلاد ، ينبغي أن لا نغفل أن هناك مقادير كبيرة من الزيت الخام القليلة النفقة على قاب قوسين أو أدنى من مصر

و ربع فلسطين

---

(١) راجع جريدة المقطم عدد يوم ١٩ يونيو ١٩٤٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الحادي عشر بعد المئة

ملحق

فلسفة الفن

في التصوير الايطالي في عهد النهضة

تأليف هيبوايت ترجمة إلياس يعقوب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٧ — ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٦٦



أو الهواء الأصفر

هذا العابر الأثيم مرَّ بنا منذ ٤٥ سنة مرور المذنب . وكنا نظن انه عبر ولم يعد . فاذا هو يشتاقه جوُّ النيل الجميل وهواؤه العليل وماؤه السلسبيل وخضرته المخضلة فعاد يبتغي أن يتمتع بشتاء خصيب نضر . ولكنه لن ينال من خيراتنا وطراً ان شاء الله ما دامت حكومتنا السنية وعلى رأسها جلالة فاروقنا المعظم يقظة ساهرة .

إن موطن هذا الطاغية الخبيث أرض الهند السفلى منذ أزل لا يعرف أوله . والظاهر أن سكان ذلك الاقليم أصبحوا في مناعة قوية منه . وربما كان لشفائهم منه عقاقير عندهم تعوّدته أمزجتهم ، فوقتهم من الانقراض به .

ولم يعلم انه سرى من هناك الى البلاد الأخرى قبل سنة ١٨١٧ اذ طغى الى دلتا الجنجس في الهند ثم الى أفريقيا فآسيا فأوروبا . ثم أبحر الى الولايات المتحدة في سنة ١٨٣٢ —

(١) هذا المقال مستمد من دائرة المعارف البريطانية آخر طبعة (٢) بكتيريولوجيا ادوين جوردان أستاذ في جامعة شيكاغو (٣) Practice of medicine تأليف ا. ا. ستيفن استاذ في جامعة فيلادلفيا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٨٣٦ وتردد اليها بعد ذلك ٤ مرات كانت الأخيرة منها سنة ١٨٧٣ . وقد تردد الى مصر بضع مرات كانت الأخيرة منها ١٩٠٢

ينتقل هذا الوباء الفظيع بين الأقطار بواسطة القوافل التجارية والحجاج حيث يحدث الاختلاط بين عناصر الأمم المختلفة .

مع أن ميكروب الكوليرا نفسه ضعيف تقتله أخف مضادات الجراثيم المهلكة حتى الضعيفة منها فهو سريع النمو والتكاثر والانتشار شديد الفتك بالبشر يستعصي لدى كل علاج ويعز عنده الشفاء .

قبل سنة ١٨٨٣ لم يكن سبب هذا الوباء الفظيع معروفاً . فكان بعض المعالجين يظنون أن سببه الغامض في الهواء ، فكانوا يحرقون الكبريت لكي ينتشر بخاره في الهواء فيطهر من الوباء . ولعله سمي بالهواء الأصفر لأن الكبريت الذي يطهره أصفر اللون والله أعلم .

ما هو الميكروب

وقد سمي بالكوليرا لأن الكلمة منحوتة من أصل يوناني هو Choler ومعناه المرارة التي تحتوي على عصير الصفراء . وكانوا قديماً يعتقدون أن هذه الصفراء هي سبب غضب الانسان وتهيجه . وربما جاءت تسميته بالأصفر من صفراء المرارة ، أو المزاج الصفراوي . ولكن ما علاقتها بالهواء ؟

بقي سبب الكوليرا سرّاً غامضاً إلى أن كشف جرثومته كوخ الطبيب الألماني المشهور مكتشف مكروب السل أيضاً . رآه في امعاء المصابين بالكوليرا وسماه Coma Bacillus أي الباشلوس الضمي لأنه يشبه حركة الضمة (ُ) العربية أو الواوي لأنه يشبه حرف (و) الهجائي ومعنى باشيلوس « عصا صغيرة » أو عود صغير وكان في كوليرا سنة ١٩٠٢ يسمونه المكروب العصوي الضمي لأن شكله يشبه عوداً منحنياً كالهلال . وكان أحرى أن يسمى المكروب الهلالي . وكان في بعض زرعاته يظهر بشكل حرف S اللاتيني

وأخيراً رأوا انه ليس من الأسرة العصوية Bacillus بل هو من الأسرة الزغبية المهتزة Flagillate لأن له ذيلاً يهتز وبواسطته يتحرك ويزحف . ويرى فسموه Vibrio cholera

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعضهم انه نسيب باهيلوس الدوسنطاريا، ولهذا ينجع به العلاج بالسلفاجوانيدين الذي يعالج به الديسنطاريا أيضاً .

طوله نحو ١ — ٢ من الألف من المليمتر . سريع النمو في القلويات نشيط الحركة فيها ويموت في الحامض . لا يعيش في الماء أكثر من أسبوع . يعيش على سطوح الخضرة والفاكهة الرطبة أياماً قليلة . يموت في الحر القائظ وفي الجو الجاف في بضع ساعات . يعيش في الغائط البشري من ٢ الى ٧ أيام . الغريب انه يموت في ضوء الشمس . وفي الدم البشري يموت في حرارة ٦٥ سنتيغراد وفي برودة ١٥ سنتيغراد فوق الصفر . قد لا يموت في هذه البرودة بل يتوقف نموه حتى اذا دفئ يعود فيعيش . عند الصفر يموت بتاتاً . جميع المطهرات كالفنيك والكريولين وبرمنجنات البوتاس الخ.. حتى الخفيفة منها تقتله . الماء الغالي يقطع دابره بتاتاً .

لهذا يفرض على الجمهور أن يستعملوا المطهرات المختلفة للنظافة . ولأنه يموت في الحوامض فينصح الأطباء للجمهور أن يقطروا في كأس ماء الشرب قطرات من حامض الليمون او الخل قبل الشرب ولا سيما إذا كان الماء آتياً من مصدر غير معقم . وليس ذلك ضرورياً اذا كان ماء الشرب من موارد ماء المنازل لأن شركة الماء تعقمه. وقد أضيف اليه في هذه الأثناء غاز الكلور ، وهو ضد الفساد والعفونة .

مصل الدم البشري يقتل جراثيم الكوليرا حالاً ، ولذلك لا تتطرق من الأمعاء الى سائر أعضاء الجسم بدليل أنها لا توجد في البول ولا في سائر المفرزات كالعرق ولا يرى إلا في الغائط والقيء .

بعد تجارب متعددة في خنزير غينيا لم يثبت ثبوتاً قطعياً وجود سم في حاصلات ميكروب الكوليرا كما يوجد في حاصلات جراثيم الدفتيريا والدوسنطاريا وغيرهما . وإنما يلاحظ أن في داخل جسمه نفسه سماً لا يفرزه وإنما يبرز منه في حالة انفلاقه وموته ، ولهذا يشك في فاعلية اللقاح المستخرج منه ، ويظن البعض أن الحصانة بلقاحه لا تتجاوز الستين بالمئة على الكثير وبعضهم لا يعتقد بأكثر من عشرين بالمئة . ومهما كان اللقاح ضعيف الفاعلية فخير أن يستعمل إذ لا بد أن يفيد ولو بتخفيف تأثير الاصابة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العدوى

تنقل العدوى من إنسان الى إنسـان ، من غير واسـطة حشرة أو حيوان عن طريق الجهاز الهضمي فيجب أن لا يدخل الى الفم شيء إلاَّ اذا كان معقماً وبأصابع نظيفة وأدوات المائدة المعقمة بمحلول الـكريولين أو برمنجنات البوتاس .

ومن أردإ وسائل العدوى الذباب الخبيث وهو أعدى أعداء الانسان وأصدق أصدقاء الميكروبات ، ينقلها من القمامات والبراز وسائر الفضلات ثم يحط على جميع أصناف الطعام ويلوّثها وبذلك تجب إبادته برشاش د . د . ت

تأثيره في الجسم

متى دخل الميكروب الى المعـدة التقى بالعصارة المعدية . وهذه تحتوي على الحامض الهيدروكلوريك . والحامض يقتله فيسلم الانسان . ولكن « ليس كل مرة تسلم الجرة » . فلا يندر أن تفلت جرثومة واحدة أو بعض الجراثيم من الحامض فتبقى عالقة مع الطعام الذي لم يتم هضمه فتخرج من المعدة الى الامعاء . وهناك هنَّئها بالسلامة إذ تجد حقلاً صالحاً لمعيشتها فتنمو فيها وتتكاثر بسرعة وتترعرع .

ومتى استفحل المـكروب في الأمعاء تحت زغب الغشاء المخاطي . Epithelium فيتهيج هـذا الغشاء . والتهيج يحرج الأمعاء أن تطرد المواد التي فيها لـكي تتخلص من السبب الذي أوجب تهيجها . فتطرد بعضها الى أسـفل فالى المستقيم فتندفع منه الى الخارج بشكل إسهال متعاقب . وقد سماه الأطباء في كوليرا ١٩٠٢ ذرباً ، وتطرد البعض الآخر الى فوق فيخرج من الفم قيئاً . وقد يكون التقيء تهيماً أي بسهولة ولا يخفى أنّ هـذا التهيج والطرد الذي ينجم عنه يزعج المعدة والامعاء جميعاً فيحدث المغص والتشنّج

كل ذلك يستوجب أن ترتد سوائل الدم الى المعدة والأمعاء لـكي تجرف معها محتويات المعدة . فالاسهال والقيء الطاردين للمحتويات بما فيها من الجراثيم المسببة كل هذه الهيضة . وكلما نضح الدم السائل الذي فيه تعطلت وظيفة الدّم وتركز وضعفت دورته . ولهـذا لا بدّ من

تعويض نقص سوائل الدّم بحقن الوريد بمصل الملح الطبيعي وبمصل الجليكوز لكي يبقى الدّم قائماً بوظيفتـه . اذا لم يُجدَّد قوام الدم بالحقن يحدث الانهيار فالاحتضار فالموت .

لا تصاب الحيوانات بالـكوليرا ، ليس لها هذا الشرف الخاص بالانسان .

قد يكمن الميكروب أحياناً في الامعاء من عشرة أيام الى ٢٠ يوماً قبـل أن يظهر فعله . ولوحظ أنه بقي في بعض الأحوال ٦٩ يوماً .

الاعراض

متى ترعرع الميكروب في الأمعاء وبدأ الاسهال فالتهوّع يتوجع المريض مغصاً وتشنجاً بحيث لا يتمالك نفسه . وتهبط الحرارة الى ٣٦ بمقياس سنتيغراد أو أقل ثم يقل البول تدريجاً الى أن ينقطع تماماً إلاّ إذا حقن وريد المصاب بالمصل الملحي ومصل الجليكوز . وأخيراً يقف الاسهال ويستمر الألم والتشنج . يبقى العقل متنبهاً الى ساعة الاحتضار أو الانهيـار Collapse . يستمر الإنهيار بضع ساعات . وقد يمتد الى يوم أو يومين الى أن ينتهي بالموت

لا يندر أن تتحسن الحال قبل موعد الموت . فاذا بدأ التحسن بـشّـر المصاب بأرجحية السلامة . يعود النبض وترتفع حرارة الجلد وأحياناً ترتفع الى الحـد الطبيعي أو ما فوق الطبيعي . وينقطع الاسهال بتاتاً ويعود التبويل . ولكن يكون البول معتكراً برهة محتوياً على زلال وترتد القوة العضلية وتنشط الحركة الى أن يتم الشفاء في نحو أسبوعين

مع ذلك يبقى المصاب عرضة للخطر إما بنكسة أو بظهور مرض آخر كالتيفوئيد مثـلاً بحرارة خفيفة وقـد لا يحتمل الجسم المنهوك بالـكوليرا . ويصحبه هذيان يبتدىء بالتسمم وبالغيبوبة Coma وينتهي بالموت

وقد تظهر في مدة انتشار الـكوليرا أمراض تشبهها . ولدى الفحص البكتيريولوجي تظهر الحقيقة . فان لم تكن كوليرا حادة تكون أعراض تسمم من اكل أوغيره أو دوسنطاريا، واذن تمكن المعالجة ويؤمل الشفاء .

يبتدىء مرض الـكوليرا حادّاً . ثم تنخفض حدته وإنمـا تنذر بالخطر الشديد . ومعدل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوفيات بالكوليرا نحو ٥٠ بالمئة اذا كان تحت العلاج . ويندر ان يشفى المصاب من غير علاج . وشفاؤه بلا علاج يكون أعجوبة .

الكوليرا مرض خطير للجنسين وللاطفال والمتعبين ولمدمني الخمرة واضعاف الأجسام والمسنين .

الوقاية العامة

حالما يشتبه بظهور هذا المرض الخطر يجب الحجر الصحي على مكان الاصابة أو منطقتها اذا تكررت فيها الشبهات الى أن يثبت الفحص البكتيريولوجي وجود الوباء ، ثم السيطرة التامة على موارد مياه الشرب وبقاؤها طاهرة ، وعزل المريض الى مخدع محجور عليه ومنع الاختلاط به إلاَّ للممرض أو الممرضة المختصة المدققة في فنها . طرح المطهرات أي مضادات الفساد على القيء والبراز على الفور وتطهير كل ما كان على المريض من ملابس وفراشه وملاءته الخ... وجميع أدوات مطبخه ومائدته. ثم مراقبة شديدة للاجتماعات العمومية وكل مكان يكتظ بالجمهور . والأفضل منع الاجتماعات والتجمهر ولاسيما اذا توالت الحوادث في المنطقة الواحدة. ثم اذاعة نشرات على الجمهور مشتملة على النصائح الوقائية والعلاجيـة والتعليمات اللازمة لسلوك الأفراد في مدة الوباء .

* * *

نصائح للافراد — ١ً — لا تشرب المـاء من الموارد العمومية التي ليست تحت المراقبة كالترع والأقنية والمصارف والآبار والأزيار والطلمبات إلاَّ مضطرًا بعد ان تعقمه بالغلي أو تضيف عصير الليمون أو نقط من الخل الى الكأس التي تشربها . ولا تأكل الجبن والزبدة إلاَّ مطبوخين .

٢ً — اغل اللبن قبل أكله .

٣ً — انبذ الخمور بتاتاً . لأنها خطرة في مدة الوباء .

٤ً — لا تأكل الخضرة إلاَّ مطبوخة . واغمس الفاكهة في المـاء الغالي مدة دقيقة أو دقيقتين .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥ — دع المآكل المملحة والتوابل وكل فاكهة مجففة معرضة للهواء وللذباب كالبلح والعجوة الخ

٦ — احرص على النظافة لكل شيء في جسمك وملابسك وغرفتك وأدوات المائدة والمطبخ

٧ — حاذر من الذباب فانه شر أعداء الانسان لأنه متطوع بنقل العدوى يقع على براز المصاب وقيئه ثم على الطعام ، اقتله حيثما عثرت عليه بواسطة د . د . ت

العلاج

في وافدات الكوليرا السابقة كانت المعالجة مقصورة على عزل المصاب الى فراش المرض حالما تظهر عليه الأعراض ، ثم يوضع الى جنبيه زجاجات ملأى بالماء الساخن لكيلا تهبط حرارته كثيراً . ولا يغذى إلا بماء الشعير ومصل اللبن اذا قل القيء لما في اللبن من الحامض اللبني الذي هو عدو الجراثيم التي تعيش في القناة الهضمية

* * *

لا يعطى مسهلات بقصد تنظيف القناة حتى ولا الزئبق الحلو Calomel ولا الأفيون الذي يعطى في بعض الأحوال ضد الاسهال . ولا بأس أن يحقن بالمورفين ولتسكين الألم . ولا خطر فيه ، لم يكن للكوليرا دواء خاص ولم ينجح بها دواء . وقد استعمل مصل الكوليرا للعلاج ولكن بلا فائدة

وكان لقاح الكوليرا يعطى للوقاية والحصانة فقط . وكان بعضهم يشير بتعاطي الاتروبين صباحاً ومساء بقدر ١/١٠٠ من القمحة أي نحو سُدس المليغرام وبرمنجنات البوتاس يعطى بقدر قمحتين في حبوب تصنع من الكاولين والبارفين الجامد وتغلف بالسالول أو الكيراتين لكي تمر في المعدة الى الامعاء من غير ان تنحل في المعدة بل في الامعاء حيث هناك الجراثيم مترعرعة . تعطى حبة كل ربع ساعة لمدة ساعتين الى ٤ ساعات حسب حدّة الحالة . وبعد ذلك تعطى كل نصف ساعة الى أن يتغير لون البراز الى أخضر أو أصفر ويقل قدره

مع ذلك لم يكن هـذا العلاج ناجحاً تمام النجح ولم يكتشف للكوليرا دواء خاص به

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلاّ أخيراً وهو السلفاجوينادين والسلفاديازين حين جرّبا في الهند ، اذ كانا يعطيان للدوسنطاريا فنجحا نجحاً تامّـا اذ انخفضت الوفيات الى ١ أو ٢ بالمئة من الاصابات كما روت إحدى المجلات الانكليزية أخيراً ، ووزارة الصحة العموميـة المصرية تعالج به المصابين المحجوزين في المستشفيات الآن .

في حالة الانهيار Collapse يحقن المصاب في الوريد بالمصل الطبيعي الفسيولوجي وهو ٧ بالآلاف من محلول الملح النقي . وهو يشبه مصل الدم الطبيعي . يعطى كل بضع ساعات لكي يعوض عن مصل الدم المتناقص بسبب شدة الاسهال والقيء . ويتفاوت مقدار المصل المعطى بين لتر ونصف لتر على درجة حرارة ٣٠ سنتغراد .

* * *

وكانوا سابقاً يلفون المريض بحرام أو دثار ساخن أو بوضع زجاجات ماء ساخن الى جنبيه كيلا تنهار درجة حرارته . ويحقن بالعضل ببنزوات الصوديو والكافايين وبالكافور وبخلاصة الغدة النخامية Pituitary . وكان روجرس يفضل أن يكون المصل الملحي مركزاً وفي بعض الأحوال يضيف اليه كلورور الكلسيوم . وعلاوة على الحقن بالوريد كان يعطى المصل الطبيعي في المستقيم الى المعى الغليظ

كذا كانت المعالجة قبل هذا الزمن

والآن يضاف اليهـا الحقن بمصل الدم البشري Plasma علاوة على المصل الطبيعي الملحي والجلكوز والسلفاجوادين والسلفاديازين كما تقدم القول

تبتدىء الكوليرا في البلد حادة فتنتاب جماهير اذا كانوا لا يعرفون أو يهملون الوقاية فتفتك بالعشرات والمئات كما كان يحدث في سنة ١٩٠٢ ثم تخف حدتها تدريجاً الى أن تنقطع من نفسها كأنها زالت بأعجوبة . ولعلماء الطب تكهنات مختلفة في سر هذه الظاهرة . ويظن بعضهم ان ميكروباً مجهولاً لا يرى ولا تحفظه المصفاة Filter يعيش مع مكروب الكوليرا عالة عليه فذاك ينمو وهذا يضعف الى أن يهلك الاثنان معاً والله أعلم

نقولا الحداد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للوقاية من الكوليرا

تعليمات وزارة الصحة العمومية

أعراض المرض

تظهر أعراض هذا المرض في شكل إسهال وقيء شديدين ومستمرين تصحبهما تقلصات وآلام في المعدة وقد تبلغ شدة المرض درجة دخول المريض في حالة هبوط عام في ظرف بضع ساعات. وقد تكون أعراض المرض في بعض الحالات قاصرة على الاسهال ومثل هذه الحالات الخفيفة الأعراض هي الحالات الخطرة التي قد لا تلفت النظر اليها لخفة أعراضها.

وتود الوزارة أن تطمئن الجمهور الى أن رجالها ساهرون على مراقبة الحال إلاّ أن جهودهم في المكافحة لن تكلل بالنجاح إلاّ بمساعدة الجمهور لهم وذلك بالاسراع بابلاغ رجال الصحة عن الاصابات المشتبه فيها بمجرد ظهورها، حتى يتمكنوا من حصر الداء في موطنه قبل انتشاره واستفحال أمره، وليس ذلك فقط، بل يجب على كل من يعلم بوجود إصابة مشتبه فيها بين أقربائه أو كذلك جيرانه أو معارفه أن يبادر بالابلاغ عنها، كما لو كانت هذه الحالة في منزله. وبهذه الوسيلة يمكن وضع حد لسير هذا المرض واتقاء شر خطره الشديد.

طرق انتشار العدوى

تنتشر العدوى بوساطة الماء أو الطعام الملوّث بافرازات المريض التي تحمل ميكروب المرض كالبراز والقيء.

وتنتقل العدوى اما مباشرة عن طريق أيدي القائمين بخدمة المريض وبالمفروشات والأقمشة والملابس التي استعملها أثناء مرضه أو بوساطة ماء الشرب أو اللبن أو المواد الغذائية التي تلوثت بافرازات المصاب وكذا الخضراوات التي تكون غسلت في ماء ملوّث والأطباق وغيرها من أواني الطعام التي تغسل بماء ملوث وتنتقل العدوى أيضاً إلى أصناف الطعام بوساطة الذباب.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاحتياطات التي يجب اتباعها

يجب الامتناع عن شرب الماء من غير الموارد العمومية من مثل مياه الترع والقنوات والمصارف أو الآبار والطلمبات الموجودة داخل المساكن وإن تعذر الحصول على مياه الموارد العمومية فيجب أن تغلى مياه الشرب قبل استعمالها .

ويجب الامتناع عن شرب السوائل والمشروبات وتناول المثلجات التي تباع في الأسواق أو مع الباعة المتجولين. كما يجب غلي الألبان قبل تناولها مباشرة

أما الخضروات فيجب ألاّ تؤكل بأي حال إلاّ مطبوخة كما يجب أن تغسل خضر السلطات والفواكه في ماء ساخن بدرجة الغليان لمدة دقيقة على الأقل . كما يجب أن يسخن الخبز قبل تناوله (أي تقميره) .

ونحذر الجمهور من شراء المأكولات بوجهٍ عام من الباعة المتجولين أو من المحلات التي لا تُراعى فيها النظافة أو لا تتوفر فيها الشروط الصحية الخاصة بحفظ هذه المأكولات أو التي تترك المأكولات معرضة للذباب ، إذ أن الذباب يعتبر بصفة خاصة من أخطر الوسائل لتلويث المأكولات بميكروبات هذا المرض كما يجب دائماً أن تُراعى نظافة الاماكن التي تطهي أو تجهز أو تحفظ فيها المأكولات بالمنازل ووقايتها من الذباب . ويجب أن يراعى في القرى عدم تلوث مجاري المياه بالفضلات الآدمية أو التبول أو التبرز في مجاري المياه هذه أو على مقربة منها .

ونوجه نظر الجمهور الى وجوب مراعاة أصول النظافة الشخصية في كل ما يتعلق بحياتهم اليومية وخاصة تطهير الأيدي أو غسلها جيداً بالماء والصابون قبل تناول أي طعام أو شراب، وكذلك بعد قضاء حاجاتهم اليومية (أي التبرز والتبول) كما يجب دائماً أن تغسل أدوات الطعام كالأطباق والملاعق وغيرها بالماء في درجة الغليان

ونوجه النظر إلى أنه لما كان من المعتاد في مثل هذه الظروف أن تروج الاشاعات بين الجمهور فإن وزارة الصحة تنصح الجمهور بعدم الإصغاء الى تلك الاشاعات وتطمئن الجمهور الى أن وزارة الصحة ساهرة على مراقبة الحالة وأنها تتخذ من الاحتياطات السريعة دائماً ما تستدعيه الظروف

المقتطف : حفظ الله الكنانة من شر هذا الوباء

١ — ركن التربية

سيكولوجية النمو

وعلاقتها بالتربية

يمر الطفل بأربع مراحل يتطوّر فيها سلوكه من المستوى الغريزي العشوائي حتى يستقر ويخضع للعقل. ويسمي الدكتور إرنست جونز المرحلة الاولى بالطفولة المبكرة، وتبدأ من الميلاد حتى العام الخامس، ويسمي المرحلة الثانية بالطفولة المتأخرة، وتنتهي في العام الثاني عشر، أما المرحلة الثالثة، وهي مرحلة المراهقة فتنتهي في العام الثامن عشر تقريباً، وتلي ذلك مرحلة النضوج

ويرى الدكتور ارنست جونز أننا نتطوّر دفعتين في حياتنا، فمرحلة الطفولة الأولى تتكرر بصورة أخرى في مرحلة المراهقة، وتتخللهما فترتا الاستقرار. وكأنما تقضي الطبيعة على ما بنته في المرحلتين الآخرتين لتبني من جديد أسس الشخصية. وفي المراهقة استعادة نسبية لمرحلة الطفولة الأولى، وفيها يحيا الفرد حياة تشبه حياة الطفل من وجوه عدّة، ويبني جونز آراءه على التحليل النفسي، ومظاهر النمو الجسمي والعقلي.

ويختلف الطفل في مراحله الأولى عن البالغ في تركيب عقله، وتدل اختبارات الذكاء على أن قواه الذاتية تنمو بالتدريج حتى سن البلوغ. وسلوك الطفل في هذه المرحلة غريزي، ونسعى غرائزه لإشباع ذاتها، وبذلك يتعلم الطفل بالتدريج كيف يؤخر الزمن بين المؤثر والاستجابة. ويخضع سلوك الطفل في هذه المرحلة لقاعدة اللذة والألم، وكما يقول مكدوجل من يمس النار يخشاها فيما بعد. ثم يتصل الطفل بالمجتمع، فيعدل سلوكه الخاتي تبعاً للثواب والعقاب، والمدح والذم. ومن مميزات الطفولة الأولى التواكل والاعتماد على الغير جسمياً ووجدانياً، فالطفل يريد أن يستأثر بعطف من حوله، ثم يستقل بنفسه بالتدريج. وخيال الطفل في هذه المرحلة متسع جامح، يكسو الجماد بالحياة، ويخلق لنفسه عالماً علؤه أبطالاً خياليين، وتعوض أبطاله فيه عما يشعر به من نقص، كما يجد فيها منفساً عما لا يستطيع أن يسيطر عليه من حقائق. وفي هذه الفترة يحب الطفل التكرار، ويشعر بلذة نتيجة الشعور بالسيطرة، وهي نتيجة سلبية قوية، أو خوف واقعي، ولكي يحدث في نفسه الاتزان ويشعر بالأمن يلعب دور مبعث هذا الانقلاب. فقد يرى الطفل خاماً وينفر منه، ثم

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يتخذ من المساند المنزلية قطعاً من الفحم ، وقد يرى حيوانات مفزعة في حديقة الحيوان ، ثم يستعيد تمثيل مارآه بشغف بعد حين .

وقبل أن تظهر نتائج التحليل النفسي ظنّ الناس ان الغريزة الجنسية لا تظهر في الطفولة الأولى ، ثمّ أظهر التحليل النفسي أنّ حياة الطفل الجنسية غنية متنوعة في نواحيها الجسمية والعقليـة ، وإنما هي ضمنية كامنة لا تتجلى وتحتل الناحية العقلية إلاّ في سنّ الزواج . والطفولة مرحلة حب الطفل لذاته ، ولذته فيها مادية حسيّـة ، وفي فمه تتركز معظم خبراته ، وتنتقل عاطفة حبه لذاته فتمتد منـه الى أمه ، دون أن يكون غيريّـا كاملاً ، فالأم مصدر غذائه وراحته . وكثيراً ما يحدث توقف في حياة إنسان عند هذه المرحلة فيظل المرء معلقاً بأمه . على أن التطوّر الطبيعي يجعل من الأبوين نواة لعواطف الطفل ، ويرى فرويد أن عاطفة الطفل لأمه عاطفة حب ، بينما هي كراهيه نحو أبيـه ، ويسمي ذلك بعقدة أوديب ، وإنما تظل هـذه العقدة مكبوتة لتنافيها مع المعايير الخلقية الاجتماعية ، وتظهر اذا ظهرت قسوة الأب . أما الطفلة فتحب أباها وتكره أمها ، ويطلق فرويد على تلك العـقدة عقدة الكترا . على انه بالرغم من ذلك قد تكون الصلة بين الأب وابنه والأم وابنتها قوية ، ولا يوضح فرويد علة كراهية الإبنة لأمها .

وتظهر معالم الطفولة الأولى في حركات الطفل العشوائيـة ، وهي حركات لازمة لتصله بالعالم الخارجي ، فتتكوّن لديه مبادىء الخبرة ، وفي عامه الثاني تعتمد عملياته الحيوية من تبول وتبرز وغذاء على حواسه ، والفم أهم مراكز خبراته ، يليه البصر فالسمع والشم ، ومن طريق هذه الحواس تتصل الخبرات وتندمج ، وتنمو حياة الطفل العقلية بنموها . ويرى فرويد أنّ الفم مصـدر لذّة حسيّـة ومركز انفعالات حتى الشهر السادس ، وهو مصدر الشعور بالقوة والقبض على الأشياء حتى العام الثاني . ويمر الطفل في العامين الأولين بمراحل انتقال قد تحـدث بهـا أزمات ، كالفطـام . ولذا يجب أن يكون تدريجيّـا لا فجائيّا . أما القدرة على السير ، فتهب الطفل شـعوراً بالقوة ، وتساعدة على كسب المهارة ، وتمنحه لذّة التكرار ، وتمكنه من فهم العالم والسيطرة عليه والشعور بالأمن فيه . أما القدرة على الكلام فتتدرّج من الصراخ والضحـك والمناغاة العشوائية الى الاتصـال الاجتماعي ، ويشعر الطفل بقدره وباستقلاله ، وتتكوّن فكرته عن نفسه ، أساسها اسمه ، وجسمه وقدرته على المقاومة فهو كائن حي يشعر بذاته ، انتقل من دور السلبية الى الايجابية الاجتماعية .

أما بين العام الثاني والخامس ، فتكثر أسئلة الطفل عن العالم المـادي والاجتماعي وعن خبراته الحسية ، ويميل الى اللعب والتكرار ، إذ يريد الشعور بالأمن في بيئته . ويهتم الطفل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بمرونة مصدر الأطفال ، وهو لا يطلب المعرفة والمهارة لذاتهما ، وإنهما كوسائل للتعامل الاجتماعي ، وفهم العلاقات بالتقليد أو المساعدة التحدي أو الاغتصاب . ويميل الطفل في هذه الفترة للهدم والتركيب ، فالهدم سريع النتيجة ، سهل المأخذ ، ولذا يفضله على البناء . ويبذل الطفل جهداً ليركز انتباهه ويزيد امتاجه في اللعب وتدق حركاته بالتدريج . ومن الضروري لتكوين ذاتية الطفل ما يظهر من غضب وصياح وغيرة وخوف واغتصاب وندم نتيجة تدخل السلطة الاجتماعية إذ تتكون فكرته عن ذاته تبعاً لها . ويستقبل الطفل أحكام السلطة أولاً ثم يطبقها على غيره — وبين ذلك ينمو الضمير ، ويخشى الطفل في هذه المرحلة الموت الظلام وكل ما هو غامض مبهم .

وينمو الطفل بين الخامسة والثامنة نمواً حركياً ولغوياً واجتماعياً ، وتزيد خبرته ومهارته عن طريق اللعب والتجريب ، وتقوى ارادته وقدرته على الانتباه ، ويساير عمره العقلي عمره الزمني تقريباً . وينتقل الطفل من الفردية إلى الجمعية ، دون أن يكون شعوراً اجتماعياً ناضجاً ، وإنما هو فرد في قطيع ، يحتاج للقطيع ليشبع حاجات نفسه . وينسب الحياة للظواهر الطبيعية كما تفعل الشعوب البدائية ، بغض النظر عن الذكاء والتعليم .

وتبدأ بعض صفاته الاجتماعية من تعاون وحكم وحنان في الظهور ، ويميز بين ذاته وبين العالم الخارجي ، وفي نهاية هذه المرحلة ينتقل إلى الحقيقة والواقع ، حتى إذا ما جاوز الثامنة من عمره ازداد تعامله الاجتماعي ، وانتقل من الذاتية إلى الموضوعية ، وتحرر من التواكل ، وبدء يندمج في مجتمع ، وأخذ تفكيره في القوة والتحسن .

أما في مرحلة الطفولة المتأخرة أي ما بين الثامنة والثانية عشر ، فيستقر نمو الطفل الجسمي والعقلي . فالنمو الجسمي والعقلي للطفل كالموجة ، وكأنما تتبادل الطبيعة التقدم والاستقرار فيزداد نمو الطفل في عامه الثالث ، ثم يستقر حتى السادس أو السابع . وهذا الاستقرار من مميزات الطفولة المتأخرة . فالطفل مستقر هادىء يعرف كيف يسلك في هذه الفترة .

ويعلل ستانلي هول هذا الاستقرار والاستطراد في النمو تبعاً لنظريته التلخيصية فيرى ان الطفولة استعادة لمرحلة من الحياة كان عمر الناس فيها قصيراً فماتوا قبل النضوج . ويتكيف الطفل في هذه المرحلة تبعاً لمطالب الموقف ، ويفقد هذه القدرة في المراهقة ويستعيدها بعدها .

وتتسم الطفولة المتأخرة باكتمال نمو الغريزة الاجتماعية . فالطفل في سنواته الأولى لا يحب الكبار إلا كوسائل لإشباع حاجاته ومطالبه ، ويكره الوحدة لحاجته إلى غيره .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما في هذه الفترة ، فيبدأ الطفل حياة الجماعة ، وتصير الجماعة وسيلته للتنفيس عن غريزة السيطرة ، وهو عضو في الهيئة ، ويساهم في مشروعاتها وألعابها . ويجب ألاّ تحزن الأم إذا ما انصرف الغلام عن المنزل فلا يراه إلاّ مكاناً للطعام والنوم ، وذلك طريق الطبيعة إلى المراهقة . على ان الغريزة الاجتماعية لم تظهر في أرقى صور السلوك الاجتماعي فهو لم يعلم بعد معنى الايثار ، وإنما تظهر غرائز السيطرة والخضوع حين يقود ويقاد ويخضع سلوكه في هذه الآونة للثواب والعقاب الاجتماعي ، وفي هذه المرحلة بداية العادات الاجتماعية من أخلاق ودين ، ويشعر الطفل بدينه للعصابة ووجوب طاعة قائدها ، والخضوع لرأيها العام . وكثيراً ما يكذب الطفل في المدرسة طاعة للعصابة ، وإنما علينا أن نحول نشاط العصابة لخدمة المجتمع الأكبر ، وفي جماعات الكشافة والنوادي خير حل لعلاج مشكلات هذه المرحلة بما فيها من مبادىء سامية وجماعات راقية .

وتمتاز الطفولة المتأخرة بالاهتمام بالخارج ، وبحقائق العلم ، فيهتم الطفل في العاشرة بالأمور الخارجية أكثر مما يهتم بحياته النفسية الداخلية . ويهوى الألعاب الخارجية وحياة المعسكرات . ويهتم بالعمل وفي سبيله يحصل على العلم . وهذه المرحلة مرحلة استقرار جسمي ويقل فيها المرض والوفاة ، وحدة الانفعال وسرعته ، ويزداد الفائض من النشاط ، ويدق السلوك وتظهر المهارة ، وتظهر العصابة ذات الزعيم واللغة السرية والمفاخرة والمباهاة ، وما زال سلوك الغلام في هذه الآونة خاضعاً لبقايا السلطة ، ويحترم القاعدة لأنها بنت السلطة ، ثم يتغير تقديمه للسلطة إذا ما اصطدمت بالولاء للعصابة ، ويحتقر الطفل الضعف الجسمي والعقلي في هذه المرحلة ، ويحب القوة والحزم . وينتقل من حب للظهور إلى حب للاستطلاع ، ويبدأ في تعليمه العقلي والجسمي بالقاعدة العامة ، ثم يسير نحو التفاصيل الجزئية ، ويميل إلى الجمع والامتلاك ، كمقدمة للاهتمام العلمي كما حدث لداروين ، ثم يحترم حقوق غيره ليأمن على حقوقه ، فيعلم واجباته . ويجد الطفل إشباعاً لميوله المخاطرة في العصابة ، وفيها يدرب نفسه على الثقة بنفسه ، وينمو عقله فيفرق بين الخيال والواقع ، ويرتقي من التأثر بالثواب والعقاب إلى المدح والذم ، ويميل إلى نقد السلطة حتى يثور عليها ، وميوله في هذه المرحلة عملية ، والميول العلمية وسيلة لها وهو يحب الحركة والكشف والجمع والاستفهام عما يراه من حيوان وانسان ، ويهوى العمل اليدوي المحسوس ، والرسم والموسيقى ، ويحب الحركة والمخاطرة .

أما المراهقة فهي شبه استعادة للطفولة الأولى ، يفقد المراهق فيها استقراره وثباته ، ويجد نفسه في عالم غريب ، فقدت عاداته القديمة فيه قيمها ومعانيها جسميًّا وعقليًّا .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فالمراهق خشن المسلك عنيد كثير الانفعال ، يعتقد انه مضطهد من الجماعة ومحط نقدها . ويعيش بين ثورة جامحة وحزن شديد ، على أن خياله يتسع ، ولـكنه ينطوي على نفسه وعقله الباطن . ومن أهم مميزات هذه المرحلة النمو الجنسي الذي يستيقظ ويتجه نحو الغرباء بعد ان كان يدور حول والديه فيما يرى جونز . والغريزة الجنسية لدى المراهق حقيقة حية . ولذا لزم علاج هذه المرحلة حتى يجتاز المراهق أزماتها بسلام . ويرى البعض في الكشافة علاجاً للانطواء ، وفي الرياضة البدنية ميـداناً لتوجيه نشاطه ، وربما كان في الفنون الابتداعيـة اعلاء وتوجيه لمشاكله الجنسية ، على ان التربية الجنسية الصحيحة الصريحة لازمة لازالة ما يحيط بهـا من خجل وتكتم ، حتى لا يشعر المراهق بشذوذ أو مرض ، مصحوبة بالعطف وحسن التفاهم بين الراشد والمراهق .

ويستقل المراهق بنفسه في هذه المرحلة ، ويجد أبطاله في التاريخ والأدب والحياة ، وربما كان ذلك امتداداً لاعتماده على أبويه . وتصادف تعاليم الدين هوى في نفس المراهق حين يبحث عن مثل عليا تحتل مكان والديه . وفي الدين مخرج للتوتر الجنسي الذي يشعر به ويسكن آلامه ويخفف من وطأة صراع جسمه مع نفسه . على أن الإيمان والشك يجتذبانه إذا ما فشل الدين في حل مشاكله الخلقيـة ، واصطدم بالعلم الذي يتعلمه ، وربما وجـد في الفلسفة مخرجاً فيميل نحو الهيلينية الوثنية ذات الاتزان والاعتدال ، وربما ترهب للبحث عن الحقيقة في العلم والجمال في الفن . اما السلوك الخلقي للمراهق فهو مضطرب بصورة عامة ، نتيجة للثورة الجنسية الكامنة حيناً ، الثائرة أحياناً . وينتهي إلى ضبط نفسه حين يكون مثله العليا وعواطفه من أبطاله المحبوبة ، فيسير إلى مرحلة الاستقرار ، حين يخضع سلوكه للمثل الأعلى ، لا لمجرد الثواب والعقاب الاجتماعي . وقد وضع هـذه المثل العليا قلة من الناس كثـيراً ما خرجوا على المثل المتوارثة ولم يعبأوا بالنتائج الاجتماعية ، بل فرضوا مثلاً عليـا أنارت سبلاً جديدة .

***

ويؤدي النمو الجسمي للمراهق الى نمو أعضائه دون اتزان ، فينمو عضو أكثر من الآخر كالشـعر ، ويزداد نشاط الغدد التيموسية والصنوبرية والتناسلية ، ويصحب التغير الجسمي تغير نفسي يصحبه صداع أو كسل ، ويصحب هذا النمو قلق ، فتنزعج الفتاة حين تكبر قدماها ويداها ، ويتصنع الفتى الرقة ، ويصحب الاضطراب الداخلي اضطراب جنسي من ظواهره عادة الاستمناء عند الأولاد والعادة الشهرية عند البنات . والعادة السرية مهما يكن أمرها وسيلة الى الخلاص من توتر ، على أن أكبر أضرارها ما يصحبها من صراع نفسي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بين مزاولتها والامساك عنها ، وهي وسيلة شاذّة غير طبيعية يشبع بها حاجة نفسه ، وربما كان في تهيئة جو الاتصال الخارجي الى أكبر حدّ ممكن علاج لها .

وتشتد رغبة المراهق في الاستقلال بنفسه ، فيتقدم خطوة اجتماعية ، وتتخذ هذه النزعة صورة ثورة على المنزل والمدرسة وما يمثل السلطة القديمة ، ويبحث عن أبطاله في أماكن أخرى ، كالكتب أو في الواقع ويبحث عمن يلقي بأعبائه العاطفية عليه ، فكثيراً ما تتعلق فتاة بمدرستها أو بفتاة أخرى وترسل إليها خطابات غرامية . والبطل عنصر مهم للمراهق ، وإذا ما قدمت له نماذج مثالية مرغوب فيها ، تحرر من الأفراد والأشخاص ، وانتهى إلى حب الصفات ذاتها . ويشتد ولاء المراهق للجماعة ، ومن مظاهر ذلك الكذب الوفائي . ويبلغ ذكاؤه الذروة في هذه المرحلة ، من ناحية الطاقة لا من ناحية التحصيل . ويخصب خياله ويصحبه إغراق في أحلام اليقظة والتفكير الآني

وينبغي أن تعلى كل تلك النوازع لتعبر عن نفسها تعبيراً مرغوباً فيه : كالرسم والشعر والموسيقى ، فيحب الجمال وينتج فيه ، ويحب الفلسفة والبحث العلمي وحقائق الكون ، مع تدريب قدرته على النقد . وفي هذه المرحلة يتكوّن الشاعر والفيلسوف والعالم ، كما أن فيها يتكوّن الشاذ والجاهل والمجرم ، ومن فشل في التكيف الاجتماعي ولم يلق عناية وعلاجاً صحيحاً .

وتنتهي هذه المرحلة باكتمال النموّ والرشد لتستمر الى نهاية الحياة ، فينظر الراشد الى العلم والحياة والناس والأشياء ، ويرى الحقائق لا الخيال ، فالراشد رجل الدنيا ، يفخر بعلمه وعمله .

* * *

وتساير مراحل النمو النظم التربوية المثلى ، فتناسب الطفولة الاولى حتى الخامسة مدارس الحضانة ، والطفولة المتأخرة حتى الثامنة رياض الأطفال ، والمدارس الابتدائية حتى الثانية عشرة ، والمراهقة المدارس الثانوية حتى الثامنة عشرة ، والرشد الجامعة تقريباً فإلى أي حدّ تقابل كل الحاجات النفسية لنزيلها في مدارسنا المصرية ؟ ذلك يحتاج الى المزيد من القول نعرض له في المقال التالي ان شاء الله .

محمود حامد شوكت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الانسان

هذا اللغز الأعظم !

يولد الإنسان والمعرفة غريزة مختلطة بدمه ، فتنمو معـه وتتشكل وفق عمره وبيئته ومستواه ، بها ينشيء ويعمر ، وعلى هداها تنعقد حياته . فكلما درج به الزمن درجت هي الاخرى تضع مقوّمات حياته . وتسن نواميس الآداب والفلسفات والحركات الفكرية التي يسير عليها في جهاده . فهي من التقدم الجوهر الأصيل الذي بغيره لاختلط العدم بالوجود وتعاقبت الدهور تعاقباً آليّـا لا تمايز خصائصها ولا تتعين حدودها .

يخرج الطفل الى الحياة وبه ظمأ إلى التعرُّف على كل شيء ، فتتعاود عليه المراحل الزمنية وهو بينها ذات هائمة تنظر الى نفسها وتنظرُ الى غيرها ، تتعرفّ على كل ذلك تارةً بالعاطفة وتارةً بالغريزة، وتارةً بالعقل، فتصطدم بالمظاهر الخارجية وتنتابها شتى الأزمات، قد تجتازها وهي بصيرة وقد تكبو عندها كبو الأعمى الضرير ، وهي إن اجتازت أو كَبت تستفيد من التجارب اسـتفادة كبرى ، وتتحفز للمراحل القادمة تحفز المتطلع المشغوف . فمن المعرفة ، إذن ، طلع الأمل ، ومن الأمل صنع الوجود ، ومنه تواثبت الأحداث فلم تدر ما الجمود وما الوقوف في يوم من الأيام . فليس في الفطرة الاولى يأس ، لأنّ الذّات في هذه المرحلة جسورة غير هيّـابة ، راغبـة غير متراجعة ، مقدامة غير جبانة ، لا تعرف ما الخور لأنّ التطلع هو الوقود الذي شحنت به لتتعرّف على نفسها وعلى الوجود المحيط بها .

ومن هذه الغريزة ، غريزة المعرفة ، صارت الدنيا كما نراها ، وتركبت حياتنا كما نعيشها ونلمسها ، وبفعلها سار الموكب البشري في سلسلة متصلة الحلقات كل لاحقة أرقى وأعقد من سابقتها ، وكل حاضر هو ثمرة الغرس الذي زرع في ماضي اللحظات .

ولولا هذه الغريزة لما نشطت العقول لوضع الفلسفات المتباينة لتفسير الإنسان وتفسير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطبيعة ، ولما زخر التاريخ بالمدارس الفكرية التي عجّ بها التاريخ البشري منذ أن دعاه الأفراد الى أن بلغ مرحلته الراهنة التي يستعد فيها لوثبات هي أشبه بالمعجزات .

فالإنسان مدني بالطبع ، كما يقول ارسطو ، وكذلك هو نزّاع الى المعرفة بالفطرة أيضاً ، وهو يريد الاجتماع بغيره حبّاً في المعرفة قبل أن يجتمع حبّاً بالاجتماع .

* * *

والإنسان الأول نظر حوله فاذا ببراكين ثائرة تقذف الحمم ، وأعاصير مهولة تجتاح كل شيء ، وأمطار ثقيلة تغرق الزرع والضرع ، وبحار صاخبة تتلاطم أمواجها ويرتفع وينخفض عبابها ، كل هذا رآه فاستهوله ، ووضع أصبعه في فمه وراح يفكر ويتأمل : ما هذه الحمم ؟ وما هذه الأعاصير ؟ من يقذف تلك ومن يثير هذه ؟ هل هو إنسان مثله ؟ إذن فليجرب ، ولكن ها هو يفعل فلا يستطيع ، ويحاول فلا يقدر . اذن هي قدرة أقوى من قدرته : فما هي ؟ فليختر لهؤلاء الجبابرة أسماء ، وليسمي لكل ظاهرة إلـه ، فهذا إلـه النار ، وهذا إلـه الماء ، وهذا إلـه الريح ، وهـذا إلـه القدر ... الخ . وارتاح الى هذا التفسير واطمأنّ الى ما وصل إليه تفكيره البدائي .

ثمّ تقدّم أكثر وأكثر واجتمع بغيره وتعقّدت علائقه — نظر الى الجمال فراعه ، وشعر بالحب فاستساغ مذاقه ، وشرب الخمرة فانتشى برحيقها . وفطن الى أن يسمي أيضاً آلهة تدل على كل هذا . .

وظلّ يرتقي ويرتقي فنما عقله وامتدّ تفكيره وعمق احساسه فهتف به هاتف من سوى هـذا الوجود ؟ من أي مادّة صنع ؟ على أي نظام يدار ؟ كيف يتدرّج ؟ وعند هـذا عرف الفلسفة ، وطفق يضع لهـا المعايير والموازين ، وعرفت الحياة أول فلاسفة يذكرهم الفكر الإنساني وهم فلاسفة « يونيا » فكانت فلسفتهم بدائية بالنسبة الى بيئتهم ، لأنها لم تكن إلاّ صورة مصغرة من « الميثولوجيا » التي فسر بها الأفراد الوجود في أول عهدهم . فهذا يقول أنّ مادّة الوجود النار ، وذاك يقول التراب ، وآخر يقول المـاء ، والرابع يجمع كل ذلك فيقول الوجود مزيج من نار وتراب وماء .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأخذت الفلسفة تعمق كلما تطوّر الانسان ونما ، وراحت لا تنظر فقط الى مظاهر الطبيعة، بل ردّت البصر الى الإنسان نفسه تتفحص عقله وقلبه وغرائزه والبواعث التي توجهه . وابتدأ أفلاطون يبني نظرية « المثل » على أساس ساذج واهٍ فتمثل نهاية عهد من التفكير آذن بالأفول ليعقبه عهد جديد مثله ارسطو بفلسفته الكبرى التي كانت أعظم بناء فلسفي عرفته الفلسفة القديمة . فوضع معايير المنطق، وأقام البحث على أسس علمية ، ولم يقصر بحثه على الطبيعة وظواهرها، بل أخذ يختبر العقل الإنساني ويمتحن النفس البشرية .

وابتدأت الفلسفة تتدهور من بعد ارسطو ، وراح الفكر الانساني يعاني آثار الاجهاد، فبدا هذا التفسخ في أصناف من المذاهب المنحلة التي جاءت بعد ذلك كالابيقورية والكلبية. ثم قرعت الطبول تؤذن بمجيء النبوّات ، وحلت عصور التفكير الديني التي وضعت فيها أسس الوحدانية ، ودخل الناس أفواجاً أفواجاً في الدين ، فتفيأوا هناك ظلال الإيمان السليم، يعتقدون بواحد قهّار ، ولا يسألون عن ماهية هذا الواحد الذي ليس فوقه أحد .

ولكن أمن الممكن أن يستريح الإنسان ؟ أمن المعقول أن يؤمن بالعجز ؟ لا . فقد ثارت فيه غريزة الاستطلاع، وراح يفلسف الأفكار الدينية ويبني من جديد المذاهب على أسس عقلية منطقية . وأحسّ الدين أنّ القوائم التي تحمله تهتز ، وأنّ دعاماته تتقلقل ، ولكن رجاله كانوا في سبات ، فلم يحاولوا أن يبنوا الإيمان على أسس غير العاطفة ، وأن يجاروا الزمن .

* * *

وقامت الفرق الاسلامية في الشرق ، والدولة العربية في أوجها ، تجدد الدين وتدعمه بفلسفة جدلية قوية، حمل لواءها الغزالي متقدّماً الصفوف في فتوته الأولى ، يهدم ما تواضع عليه القوم من خرافات وخزعبلات لينشأ فلسفة دينية عقلية كبرى . إلاّ أنّ موجات العقائد الزائفة التي وفدت من بلاد فارس ، مع الأسف ، حوّلت هذه الاتجاهات الفلسفية الرشيدة في العالم الاسلامي عن الطريق الذي كانت تسعى فيه لتدلها على طرق جديدة تبلبلت فيها العقول ، وانّ التراجع الذي بدا على الغزالي أظهر ما يميز هذا التبلبل ، فقد انقلب على نفسه

فبعد أن كان يزيف الخرافات صار يحملها على كتفه ليبيعها للناس .

وأمَّا في الغرب ، فنحن الآن في القرون الوسطى : الظلام دامس ، والجهل سائد ، والعقل خامد . أينما أدار الفرد بصره لم يجد إلاّ قسساً يسيِّرون التاريخ وبابوات يقودون الأمم ، وكنائس تحكم أوروبة ، فعبثاً يفتش الإنسان عن النور الذي يفضح الدجل ، وعن المصباح الذي يرشد الى السبيل السوي في هذا الليل الحندس . فالشمس قد اختصت قوماً دون قوم ، والعلم قد ابتذل على أيدٍ تمتطيه للسيطرة لا للنفع وتلح في توزيعه بالقطرات كي لا يفيض سيلاً يكتسح قلاع المتبطرين من السادة والأمراء ، ويذيب هذه القيود التي توهن قوى التفكير باسم العادات ، وباسم التقاليد وباسم الدِّين ، ولم يكن الدين إلاَّ ستاراً يخفي خلفه خزي فضائح رجاله ، وما العادات إلاَّ حجباً تفصل بين العبيد الذين يأكلون التراب ويلبسون العري ، وبين السادة في الطرف الآخر يأكلون بملاعق من الفضة ، وينتشون بكؤوس مرصعة .

* * *

وجاءت الثورة فكانت عنيفة على التقاليد وعلى الدين وعلى الطبقات ، فحاربت كل ذلك بالنور الذي سلطته على العقول التي غلفها الاتباع ، وجفف ماءها الخنوع . وانتهب القوم كل ما في الكنائس من أكداس مكدسة من كتب العلم والأدب التي طواها رجال الدين كي لا يستفيد منها عقل ، ولا تأخذ عنها جماعة ، والتهم الجوع الثقافي كل ما فيها ، وتطلع الناس إلى أشياء جديدة تتوافق والنظم القائمة على الأطلال الدارسة من عقائد الجهال والمحتالين وعلى المؤسسات العتيقة التي أخصب فيها الدود وتساقط منها القدم . ثم كان اختراع الطباعة الضربة الكبرى التي سدَّدت للنظم البائدة المنحلة المشبعة بالتهتك ، فتهادت القلاع الشامخة وتشرَّد الأمراء ونهض الفرد العادي يصيح بقوته : أنا التاريخ . فشاعت نظم الحرية ، وأقيمت دعائم الحياة على أسس تتلاءم مع التفكير الجديد ، وحلَّ صراع من نوع جديد ، صراع بين التفاسير الفلسفية والنظم الاخلاقية والعقائد السياسية ، وصارت للفلسفة « أدوار » كما للأزياء أدوار ، وللأخلاق قيم تتغير مع المواسم ، وأما العقائد السياسية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لم تشهد عهود استقرار أبداً ، ففي كل يوم تهزها هزة، وفي كل ساعة تقيمها وتقعدها ثورة .
وكل هذا متوقع وطبيعي ، لأن عهد الطوائف المسيطرة قد ولى لجاء دور الفرد ، والحياة التي تسلم مقاليدها للفرد وجب أن تقبل آراء متعددة بقدر الأفراد . وهكذا تداخلت الأشياء، وخضعت الحياة الانسانية لوحدة عامة ، فالأخلاق والاقتصاد والسياسة والفلسفة يفعل كل في الآخر فعلاً إيجابياً سلبياً في آن واحد . واندثرت وامحت تلك الحدود المزعومة التي تفصل بين ما يلبسه الفرد من أصناف الأحذية والقبعات ، وبين ما يرتأيه من نظم السياسة ومواصفات الأخلاق .

* * *

وامتلأ الجو بضجيج الفلسفات المتعاركة ، وبحركة العلوم التي ازدحمت بها الحياة ، هذا يفسر الوجود بالعاطفة، وذاك يفسره بالغريزة،وآخر ينكره وما يراه إلا لانهايةوبداية تضيع بينهما الغاية ، وذاك يؤمن إيمان العاجز ، وهـذا يؤمن إيمان المهولين الصاخبين ، وآخر هناك يلحد ويسرف في إلحاده حتى يكاد يقيم من أفكاره أوثان جديدة يتعبدها من دون الله . وكان كل هـذا يتمخض عن أساس جديد للحياة ، بل لم تكن إلا آلام المخاض التي يعانيها الوجود .

ثم أشرقت الشمس على هـذه الأطلال ، وطلع على الدنيا ديكارت بمناهجه في تطبيق أساليب العقل وطرائقه في البحث على كل شيء — حتى الله . وراح يهدم ويبني ، فأنشأ فلسفة ارتفعت أبراجها حتى أمسكت بالسحب، ونزلت قواعدها حتى رسخت في الأعماق . وظلت فلسفة ديكارت تنمو وتنمو ، وتبعتها فلسفات سرت على نفس النهج تطبق أسلوب الجدل العقلي على كل فرع من فروع المعرفة .

وتزعم العقل كل مذاهب الوجود الى أن جاءت العصور الحديثة بعد صخب واختراعات القرن التاسع عشر ، فاذا باسمه في مطلع القرن العشرين تتزعزع وبقوائمه ترتج بعد أن جحد الانسان فلم يساير عقله في قدراته ، كان يخترع وينشىء ويبني في الحيز الذي كانت دراسته لنفسه وأساليبه ونظامه في الحيـاة كما هي . سخر الطبيعة ولم يسخر العلم لدراسة نفسيته

دراسة علميـة صـادقة ، فـكانت كل جهوده منصبة الى الخارج ، ولم يوجه شيئاً منهـا الى الداخل .

***

وكان هذا الوضع ملائماً كل الملاءمة لتفسير للانسان جديد ، ولمذهب في الوجود يماشي المطالب المستجدة ، ويملأ الفراغ الموجود . نعم كان هذا الوقت أنسب الأوقات لقيام « سيجمند فرويد » يبشر بتطبيقاته في علم النفس وتحليلاته في ميادين « البيولوجيا » . وكان الزمن أصلح الأزمان لأن يبشر هذا العلامة بمذهبه بأن « الغريزة الجنسية » هي مفتاح السلوك البشري ، هذا المذهب الذي كان ثورة على كل ما تواضع عليه الناس من عرف وآداب، ونهض الجامدون يحاربونه بأسم التقـاليد والعادات والدين ، كما حورب العقل يوماً بها . وما كان فرويد صادقاً في كل تفاسيره ولم يكن صاحب مذهب بلغ الـكمال ، ولا نصف المرحلة الى الـكمال ، ولـكنه صدق في تفسير جوانب كثيرة من السلوك البشري بطريقته العلمية التجريبية . إلاّ أن المتعصبين لم يرقهم ذلك ، وأخذوا يسفهون كل محاولة يقوم بها أي عالم من علماء الاجتماع لتطبيق نتائج بحوث فرويد على الظواهر الاجتماعية . فاذا ما أثبت العالم النفساني الـكبير «فرانز الـكسندر » [1] بأن أكثر المجرمين الذين أجرى تجاربه عليهم ثبت أن عقدة أوديب قد تمكنت فيهم تمكناً عنيفاً فراحوا ينفسون عن عواطف الـكره التي رسبت فيهم بالاعتداء على المجتمع ، ثار عليه الرجعيون مع أن هذا العالم وصل في تجاربه الى أن أكثر من ٧٠ ٪ من المجرمين يحلمون بارتكاب الفحشاء مع أمهاتهم . .

***

ولقد حقق الانسان اليوم ارادته ، ففشلت الدعاوى الزائفة ، وطغى العلم على الحياة ، ومهما قيل في هذه الفوضى فانها فوضى تمخضت عن عالم لا تضله الجهالات ولا العمايات .

بغداد فؤاد طرزي

(١) في مؤلفه المجرم وقضاته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المدنيات القديمة

نشأ العمرانُ في الشرق أولاً بين الفرات والدجلة حيثما ظهرت مدنية الكلدانيين فأخذ البشر عنهم مبادىء الشرائع والعلوم الرياضية والهندسية والفلكية . وعلى شاطىء نهر الكانج استوطنت الحكمة الهندية البرهمية والتعاليم الحرّة البوذية . إن المدنيـة الهندية ثقّفت الفكرَ وظهرت بها قوة الروح ، لكنها مالت الى الخيال أكثر من ميلها الى التعقل . وعلى ضفتي النيل أينعت المدنيـة المصرية فقارنت الكلدانية بالقدم والنجاح ، وفاقت غيرها بالتدين . وفي شواطىء سوريا ازدهرت المدنيـة الفينيقية فاستنبطت الارقام والحروف فحفظت بذلك أساطير الحكمة وسهّلت مداولتها بين البشر ، أما بفلسطين فاخترعت شريعة العدل والحق فأخذ العالم عنها أسمى مبدأ ديني أي عقيدة الوحدانية بالذات . إن مدنيات على اختلاف نزعاتها مالت إلى المبدإ الديني أكثر من ميلها الى الفكرة الفلسفية ، الأمر الذي قيّد الفكر البشري بروابط التقليد فلم تتقدم المعارف بينهم تقدمها في بلاد اليونان وطن الحرية والحكمة

أخذ اليونانيون مبادىء مدنيتهم من تلك الأمم الشرقية القديمة إلاّ أنهم لم يكتفوا بما حوته من معارف أوليّة بل هذبوها وزادوا عليها بما أضافوهُ من العلوم والمكتشفات التي أهمها تحرير العقل البشري من التقليد بفصلهم المعارف عن التعاليم الدينية ورفع سيطرة رجال الدين ، فوضعوا بعملهم هذا العلوم الفلسفية على أصول حقيقيـة قائمة على البحث والاختبار النظري فأينعت وأتت بأشهى ثمار العقل والحكمة . لقد اقتبس العالمُ عنهم وسار على أثرهم معتمداً بذلك على فلسفتهم الراقية مستنيراً بأنوار حكمتهم الزاهرة . لكنّ الفلسفة اليونانيـة لم تتمكن من كبح جماح النفس لاستنادها إلى الأشياء المادية وراءها الأمور النفسية . وبما أنّ مدنيتهم قامت على مبادئها تأخّر شأنها حتى كاد أن يقضي عليها بتطرق عوامل الفساد ، لفساد الأخلاق والمبادىء التي أتلفتها رغبات أهل الزعامة والسادة وأهواء الشعب وسفسطة الأدباء والخطباء وأطماع رجال الدين ، فانحلت أنظمة اليونان الاجتماعية لأنهم لم يوفقوا الى وضع تعاليم ترفعُ النفوس الى مبدأ أسمى من المقاصد النفعية أي الى طلب الكمال . لذلك بقيت النفوس عطاشاً لنبع ماء حيّ ينعشها ويبرّدُ ظمأها ويخفف أحزانها . لقد انتظرتْ الروح المعزّي عطية الحق لنوال النعمة السماوية لاحتمال المصائب ومتاعب الحياة الكثيرة بالصبر والتضحية على أمل المكافئة في عالمٍ ثانٍ روحاني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تتساوى فيه الكافة (العموم) إذ لا راحة على الأرض ولا مساواة بين البشر لأن الطبيعة البشرية تميل إلى التمتع بما هو مادي والنفس تتطلب ما هو روحي وقوى الطبيعة صارمة لا ترحم الضعيف والقوي يستبد بالأمر فتتلفه مطامعه.

إنّ الله خصّ كل واحد من البشر بعطايا منوعة ومواهب مختلفة ضرورية لارتقاء نوع الانسان فكما أنّ الرأس يدبر حركة كافة الأعضاء ويسيطر عليها لما به نفعها، كذلك اليد العاملة تقدم له ما يحتاج إليه من الغذاء وان باشتراكهما هذا سلامة الجسد كما وانّ بالتوفيق بين مطالب النفس والجسم راحة الحياة بالاعتماد على قوة الروح. وبما أن المدنية اليونانية لم تتمسك بهذه المبادىء طرأ عليها الانحلال فانفرط عقد مجتمعها وتفرقت كلمتهم فلم يوفقوا لتأسيس مملكة تؤيد عنصرهم وتحافظ على مدنيتهم وحينما تسلط عليهم الرومان أخذوا عنهم مبادىء العمران ونسجوا على منوال مدنيتهم إلا أنهم اعتمدوا على القوة تأييداً لسلطتهم المطلقة وحفظاً لفتوحاتهم الواسعة فلم يلتفتوا الى الفلسفة والفنون الجميلة ولم يستوفوها حقها من الاهتمام ولم يتعلقوا بحب الجمال تعلقهم بمحبة السياسة. لقد اكتسحوا البلاد واقتحموا الأهوال وعاشوا عيشة الأبطال طلباً للسيادة والنوال، لذلك لم تنتج قرائحهم ثمار الحكمة ولم ترتق المعارف البشرية بينهم.

اشتغلوا بالفلسفة اليونانية معتمدين عليها في تعاليمهم وشرائعهم، لكنهم لم يوفقوا الى انشاء مدارس فلسفية جديدة. لا بل انحط شأن الفلسفة عندهم لأنهم لم يفهموها حق فهمها وان توفقوا بمبدإ القوة والعدالة الى ضخامة السلطان وحفظه لكنهم خضعوا لسيطرة اليونان الأدبية وان كان هؤلاء من المغلوبين على أمرهم.

لقد اعترى المدنية الرومانية ما حلّ بوالدتها اليونانية من الادواء (الأرزاء) لأن القوة لا تكفي وحدها لحفظ كيان الأمة بل سقطت ولم تجد الأنظمة للدفاع عن السلطة شيئاً بل انحلت الامبراطورية الرومانية وخضعت للأمم البربرية وهذه الأمم قد تهذبت بمبادىء الديانة المسيحية فترقت وصارت أهلاً لاقتباس الحضارة اليونانية. تثقفوا بالفلسفة وكانت مشرق أفكارهم تتطاول إليها الهمم وتنتهي عند معرفتها الأفكار، وقد صرفوا الأجيال الطوال في درسها والنسج على منوالها وعلقوا عليها الشروح الضافية حتى كان يكفي أن يقال « قال أفلاطون أو أريسطو لإثبات الحجة وإفحام الخصم وبقيت الحالة كذلك والفكر مبتلى بالعقم الى أن صار الانقلاب الأخير في زمن النهضة الحديثة التي جاءت بطرق جديدة اعتمدتها العلوم في نشأتها وتخلصت بواسطتها الفلسفة من التقليد وسيطرة رجال الدين. »

أسكلة — طرابلس الشام أمين نعوم

الطفل المبتسر

يُطلق هذا العنوان على الأطفال الذين يولدون قبل أوانهم أي قبل نهاية الشهر التاسع من الحمل ، وبعبارة أخرى بين الشهر السادس والتاسع ، كأن يولد الطفل مثلا في الشهر السابع أو الثامن . أما الذين يولدون قبل الشهر السادس فلا يكونوا أبداً قابلين للحياة حتى وإن كانت مظاهر الحياة الطبيعية موجودة فيهم .

وإذا نظرنا الى الاطفال الذين يولدون خلال الشهر التاسع من الحمل ، أي قبل أن تكمل مدتهم بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع مثلاً ، لا نجدهم يختلفون قطعاً عن الذين قد وُلدوا في أوانهم ، غير أن صغر حجمهم ونقص وزنهم وضعف أعضاء جسمهم ، ولا سيما ضعف معدتهم وأمعائهم مع عمليات الهضم عندهم ، تحتم علينا طبعاً أن نوليهم عناية خاصة ومداراة فائقة ليتمكنوا من قطع تلك المرحلة القصيرة من حياتهم ريثما يتقوّون قليلاً ويصلون الى السن التي يقدرون أن يعيشوا فيها كالأطفال الآخرين الذين وُلدوا في أوانهم .

أما الذين يولدون في الشهر السابع أو الثامن فالحالة عندهم تختلف تماماً عن التي تقدم ذكرها . فوزنهم وحجمهم لا يكونان دائماً أقل مما في الحالة الطبيعية فحسب ، بل أن فرصة بقائهم على قيد الحياة تكون خصوصاً ضئيلة لعدم اكتمال نموّ جسمهم ولضعف أعضائهم. وأطفال كهؤلاء لم تكتمل مدتهم بعد يكونون غالباً ضعفاء هزيلين ولا يمكننا أن نعرف بالتأكيد عند ولادتهم إذا كانوا يعيشون أو أن يقضوا نحبهم خلال الأسابيع الاولى من ولادتهم.

والناظر الى الطفل المبتسر يجده نحيفاً مهزولاً ، ذا رأس صغير جداً وجمجمة مدوَّرة رخوة نوعاً ، كما أن بروز قحف هذه الجمجمة مع اليوافيخ [1] تكون عريضة جداً ، والوجه صغيراً دقيقاً مثلث الزوايا ، والفم واسعاً والذقن صغير جداً . والجلد أحمر مغضّن ومغطّى بالشعر ، والأظافر غير تامة النمو ولا تصل الى أطراف الأصابع ، والجلد نفسه يكون قاسياً ضارباً الى البياض وفيه انتفاخات غالباً . ومن المميزات الخاصة عند الطفل نفسه أنه لا يعرق ، وتكون حركاته قليلة أو نادرة ، وصراخه ضعيفاً يشبه العويء ، وتنفسه صعباً وقلبه ضعيفاً

(١) يوجد يافوخان في الرأس وهما اليافوخ الامامي أو اليافوخ الكبير الكائن عند ملتقى العظم الجبهي بالعظمين الجداريين في أعلى الجمجمة ، واليافوخ الصغير ومركزه خلف الجمجمة عند ملتقى العظمين الجداريين بالعظم المؤخري .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في أغلب الأحيان . وهكذا قل عن المضم فإنه يكون سيئاً نتيجة نقص الافرازات الهضمية.

وهناك أيضاً قضية الوزن عند الطفل المبتسر . فالذي يولد في الشهر السابع يكون وزنه كيلو غرامين ، وفي نصف الشهر الثامن كيلو غرامين وربع ، وفي الشهر الثامن كيلو غرامين ونصف — بينما الذي يولد في أوانه يكون وزنه ثلاثة كيلو غرامات وربع تقريباً . وطبيعي أنه كلما كان نقص الوزن عديداً قلّت فرصة بقاء الطفل حيّـا . ونصف الأطفال المصابين بالضعف الخلقي الشديد والخطر (وهم الذين يزنون أقل من كيلو غرامين يموتون في الأسبوع الأول من العمر . والأطفـال الذين يزنون كيـلو غراماً واحداً أو أقل لا يعيشون أبداً مهما بذلنا من الجهد والعناية أمامهم . أما الذين يولدون في الشهر الثامن من الحمل فيعيشون بنسبة أكبر من المولودين في الشهر السابع)

والذي يجدر ذكره هنا بنوع خاص هو قضية الحرارة عند الطفل الذي يولد قبل أوانه ، فهو لا يفرق من هذه الناحية عن الحيوان ذي الدم البارد كالسمك مثلاً ، ثم إنه لا يقدر أن يقاوم الحر ولا البرد كالأشخاص البالغين ، وتكون درجة الحرارة الطبيعية عنده واطئة جداً (٣٥° أو ٣٦° مئوية) ، وتصعد أو تهبط هذه الحرارة عنده مع درجة المحيط الذي يضعونه فيه — بينما الحرارة نفسها لا تختلف في الشخص البالغ باعتبار الصقع أو الفصل أو الجنس ، فهي أبداً على درجة متساوية تقريباً إلاّ في بعض الأمراض كالحميـات مثلاً . وفي طاقة الانسـان أن يقابل الحرّ أو البرد الشديدين كما يشاهد عنـد الذين يعيشون في الأقطار الاستوائية والشمالية ومحافظته على درجة واحدة من الحرارة .

﴿ مصير الولادات المبتسرة ﴾ : وهنا نتساءل : ما هو مصير الولادات المبتسرة وهل من خطر فعلاً على مستقبل أولئك الأطفال ؟ الجواب على هذا يختلف فيما اذا كانت الولادة قبل أوانها ناتجة أو غير ناتجة عن مرض خطير عنـد الأم . فالذين وُلدوا قبل أوانهم من والدات مصابات بالبول الآحي Albuminurie مثلاً ، أو بالسل أو بأمراض القلب أو بالزهري الذي أُهمل علاجه ، أو بالأمراض المعدية الحادة (كالالتهاب الرئوي والحمّى التيفية والحمّى القرمزية والانفلونزا الشديدة والتشنجـات النفاسية (Eclampsie) أو تسمم الأم من تعاطي المشروبات الروحية والمورفين : يصعب اذ ذاك نشؤهم ونموهم ولا يستفيدون إلاّ قليلاً من التغذية نظراً الى ضعف عملية التمثيل عندهم لقلة حيويتهم . ثم ان هيئتهم تدل على إنهم قد وُلدوا وفيهم نقص خلقي أو وراثي مكتسب من المرض المصابة به أمهم . وبالعكس لما ينقطع الحمل لسبب من الأسباب العارضية كالاصابة بالجروح ، أو الاصابات التي تقع على بطن الحامل أو الخوف أو الانفعالات الشديدة ، أو الوقوع على الأرض ، أو وجود توأمين ، أو لبس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاحزمة الضاغطة على البطن لاخفاء معالم الحمل ، أو من وضع الطفل الشاذ في البطن أو عدم قدرة بعض النساء اللاتي لا يصل طفلهن إلى أوان الولادة الطبيعية الخ... ففي مثل هذه الحالات يمكن التوصل بوجه عام الى تربية الطفل دون أية عناية أخرى سوى ملاحظته وزيادة مداراته والسهر على حياته في سنته الاولى . ومتى وصل الى هذه السن نجد الطفل لدرجة ما متحسناً وصحته جيدة حتى انه لا يفرق بشيء عن الأطفال الآخرين الصحيحي البنية من السن ذاتها وإذا اقتضى الأمر فإنه يوضع في جهاز خاص حيث يمكن ضبط الحرارة والرطوبة والهواء النقي بالقدر الذي يحتاج اليه الطفل كما لو كان في رحم أمه. كذلك يعطى الغذاء بقدر محدود يعينه الطبيب لأن على هذا الطبيب تترتب مسؤولية مثل هذه الحالات الدقيقة جداً .

❀ كيفية العناية بالطفل المبتسر ❀ : (أولاً — نظام التغذية) : المعاهد في الأطفال المولودين قبل الاوان أنهم لا يستطيعون في الغالب أن يرضعوا أو يمتصوا ثدي أمهم بالنظر لضعفهم ، وهذا ما يقلل افراز اللبن من الثدي . فعلى الأم حينئذٍ أن تنبه هذا الافراز وذلك بوضع طفل قوي على الثدي ليمتصه بشدة ، ثم يوضع بعدها الطفل الضعيف على ثدي أمه مدة دقيقتين أو ثلاث دقائق ، وذلك كل ثلاث ساعات في اليوم الثاني والثالث . ثم تزاد مدة الرضاعة في الأيام التي بعدها . وقد تضطر الأم في مثل هذه الحالات الى أن تشفط اللبن من ثديها بالشفاطة وتعطيه إياه بالملعقة أو بالقطارة اذا كان الضعف شديداً . واذا كان بلع الطفل للبن غير كافٍ فيسكب هذا باحتراس وتأنٍّ في بلعوم الطفل مباشرةً وذلك بواسطة ملعقة صغيرة ، ويمكن أيضاً سكبه في أحد المنخرين . والأفضل من هذا كله استعمال قطارة صغيرة ينقط بها اللبن في فم الطفل ، أو تستعمل قسطرة (أنبوبة) صغيرة من الكاوتشوك الاحمر المرن من نمرة ١٥ الى ١٨ على الأكثر وتكون متصلة بحقنة وتمر أفقياً في قاع الانف — بشرط أن تكون فتحتا الانف نظيفتين جداً وخاليتين من كل افراز حتى تصل الى خلف الزور ثم المعدة، فيصب اللبن تدريجاً من إحدى فتحتي الانف فيصل الى معدة الطفل بدون مجهود منه . وينصح بعض الأطباء استعمال جهاز خاص لجذب اللبن في الثدي بأحد طرفيه والطفل يمص اللبن من الطرف الآخر . وغني عن القول ان لبن الثدي بالنسبة لأطفال كهؤلاء هو اكسير الحياة ، فاذا تعذر الحصول عليه من الأم وجب احضار مرضعة لترضعه من لبنها

أما المقدار اللازم لتغذية أطفال ضعاف كهؤلاء فيختلف باختلاف الوزن. فالذي وزنه ٢٠٠٠ غرام مثلاً يجب أن يرضع ٤٠ غراماً من اللبن في كل مرة، وعدد الرضعات ١٠ إلى ١٢ يومياً ، أي بنسبة خمس وزن الطفل . وإذا كان وزن الطفل أقل من ٢٠٠٠ غرام فلا يجوز أن تتعدى كمية غذائه اليومي خمس الوزن، وكلما تقوّى الطفل قليلاً تقلل الرضعات الى ست أو ثماني يومياً .

وربّ سائل يسأل : هل يجوز تغذية هؤلاء الاطفال باستعمال الرضاعة الصناعية ؟ وما طريقة ذلك . الجواب انه يجب علينا في الدرجة الاولى اعطاء الطفل لبن أمه . إذا لم يتيسر لنا ذلك فلبن المرضعة ، واذا كان وجود هذا متعذراً لسبب ما فلا مندوحة اذ ذاك عن ارضاعه صناعيًّا والرضاعة الصناعية هذه تقوم بتخفيف اللبن المحلى المكثف وذلك بنسبة ١=٨ خلال الاسبوعين الاولين . وبعد ذلك يعطى الطفل مخففاً ثلاث مرات ومضافاً اليه السكر. ولما كان هذا اللبن قليل المواد الدهنية والزلالية فيعطى الطفل في الشهر الثاني بودرة اللبن المخففة لتماثل لبن الام والتي تحتوي على ثلاثة أرباع مواد دهنية ، ويستمر هكذا حتى يستطيع أن يأخذ لبن البقر في النهاية .

وكما أن اللبن ضروري لهؤلاء الاطفال فالماء أيضاً ضروري لهم وعلى الخصوص عصير الفواكه كشراب البرتقال مثلاً ، فيعطى مقدار خمس نقط مذابة في ملعقة صغيرة من الماء يوميًّا وذلك بعد الاسبوعين الاولين من الولادة . وكلما تقدم الولد في السن تزاد كمية شراب البرتقال مع كمية الماء . ويعطى أيضاً الاطفال نفسهم مستحلب زيت السمك الغني أيضاً بالفيتامين والذي هو أحوج وأفيد لهم من سواه .

وعلى كل لا بد في مثل هذه الحالات من التضحية والاخلاص واستعمال الفطنة والروية وبذلك ينمأ الولد صحيحاً معافىً ويصل الى شاطىء السلامة . والمراجع الطبية تؤيد لنا أنه قد أمكن تربية أطفال قد ولدوا حتى في الشهر السادس ونصفه وزنهم لم يكن سوى ١٥٠٠ غرام بل ١٢٥٠ غراماً فقط .

ثانياً — التدفئة : الاطفال المولودون قبل أوانهم يتأثرون بنوع خاص من البرد ويخشون دائماً منه ، وقد تنخفض درجة الحرارة عندهم فجأة وتصل الى ٣٠ و٢٩ حتى ٢٥ مئوية دون أن يؤدي ذلك الى الوفاة ، فاذا لم نعمل على تدفئتهم بالوسائل اللازمة ، ولفهم بالقطن، وجعل سريرهم مزوداً بزجاجات المياه الساخنة ودلك جسمهم بزيت الزيتون فقد يؤدي انخفاض حرارة جسمهم الى الوفاة . واذا كانت درجة الضعف شديدة فيوضع الطفل في محضن خاص (أي فرن) لمدة أسبوع أو أكثر

ثالثاً — حماية الطفل من العدوى : ان الامراض المعدية ، حتى الزكام العادي ، إذا أهمل أمر علاجها فكثيراً ما تمتد الى الرئتين وتسبب التهاباً تؤدي نتائجه الى عواقب سيئة. ولهذا يجب الانتباه وعدم السماح لاي شخص مصاب أو مشتبه بمرض ما ، ولا سيما السعال والزكام أن يقترب من الطفل أو أن يدخل حجرته. بيروت الدكتور عبده رزق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حول الدستور الفرنسي الجديد

الثقافة العربية في الجزائر

تستصرخ العرب

يبدو أن قادة العرب لم ينظروا نظرة فاحصة الى ما نص عليه الدستور الفرنسي الجديد من اعتبار (الجزائر العربية) بلداً فرنسيًّا لا فرق بينه وبين أي جزء من التراب الفرنسي من حيث الوضع الدولي . فلم يتجاوز موقفهم منه ما هو دأبهم أزاء كل تشريع يفرض على بلد عربي مضطهد من الاحتجاج والاستنكار الذي لا يعبر عن أكثر من تعزية سياسية ، لذلك البلد المنكوب ، مع أن هـذا الوضع الدستوري الجـديد الذي فرض على الجزائر فرضاً يهم — في رأينا — كل بلد عربي بطريق مباشر كأي وضع دولي ذي علاقة مباشرة بمصالحه القومية وحقوقه الخاصة . وهو لذلك قابل للتأثر ، بل عرضة للزوال بما تقوم به الدول العربية ضده — دفاعاً عن حقوقها القومية ومصالحها الخاصة — من عمل ايجابي جدي حازم جريء فأخطر نتائجه — في رأينا — هو تسويغ كل إجراء تتخذه فرنسا (لتخليص) الجزائريين من عروبتهم واستخلاصهم لما يرادون عليه من الانقطاع عن ماضيهم والاندماج الروحي في العائلة الفرنسية الكبرى ضماناً للاندماج السياسي وأماناً من كل ما من شأنه ايقاظ الشعور القومي والنزعة الانفصاليـة من الداخل أو الخارج ولو بعد حين . أو بعبـارة أوجز تبرير العمل بصراحة على ابادة القومية الجزائرية من أسسها الاولى بمحاربة الثقافة العربيـة في الجزائر — بصفتها ثقافة أجنبية — بجميع الوسائل في مأمن من الرأي العام الدولي . إذ لا وزر على فرنسا — كأمة ذات حضارة — أن تعمل على التمكين لحضارتها في جزء من وطنها وإن أدى ذلك الى محاربة ثقافة أو حضارة أخرى داخل ذلك الجزء بحجة أنه ليس بحاجة اليها ، بل قد لا تنسجم مع حضارته القومية ومصالحه الوطنية وقد يكون انتشارها عاملاً في تفكك

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الوحدة التي هي ضرورية لحياة الأمة وليس هذا مجرد حدث قد يخطىء به الغلو في التعصب جادة الصواب .

فبينا ينص هذا الدستور نفسه في مقدمته ومواده الأولى على ضمان الحريات كلها — ومن بينها حرية القول والاعتقاد والاجتماع — لجميع الفرنسيين والقاطنين في الأرض الفرنسية ومنهم الجزائريون الذين أطلق عليهم لقب (الفرنسيون المسلمون) نرى أضابير الأوراق المهملة في محافظات جميع المدن والقرى بالجزائر تثبت مئات المطالب بالترخيص في فتح مدارس أو تأسيس جمعيات وأندية عربية مهما كان نوعها وهدفها . ونرى هذا البلد الذي يضم ٥٠ ألف وأحد عشر مليون ناطق بالضاد لا يسمح فيه باصدار صحيفة واحدة بلسانه الذي حافظ عليه وآثره من بين سائر الألسنة ثلاث مئة والف سنة ولا يسمح فيه باستيراد صحيفة عربية أو كتاب عربي من أي بلد عربي آخر وان كان موضوع الصحيفة أو الكتاب لا يخرج عن الدين الذي ينص هذا الدستور على ضمان حريته، في حين يسمح باصدار واستيراد الصحف والكتب بجميع الألسنة الأجنبية الأخرى مهما كان نوعها وموضوعاتها وقد تكون دعاية صريحة ضد السيادة والمصالح الفرنسية . بل لقد أصبح الحديث بالعربية العامية فيه دليلاً على التمرد والخروج على الطاعة ومدعاة لوضع المتحدث بها — كرجل خطير على أمن الدولة تحت رقابة عصبة من الجواسيس — فالدستور الذي يكفل جميع الحريات الفردية والاجتماعية يعتبر الجزائر بلداً فرنسياً ويعتبر اللغة العربية لغة أجنبية وخطيرة على سيادة الدولة ومصالحها القومية فهي لذلك اللغة الأجنبية الوحيدة التي لا تتمتع في الجزائر بالحرية لأنَّ حريتها يعرّض سلامة الدولة للخطر — لقد أعلن في عهد حكومة الجنرال شارل ديجول الغاء القوانين الأهلية وهي القوانين الاستثنائية التي كانت مشروعة على الجزائر طيلة عهد الاحتلال . وحسب بعض الأغرار أن الأمة قد أريحت من كابوس خانق ومتعت ببعض الحرية برفع هذه القوانين القاسية فصار في إمكانها النهوض بمستواها الاجتماعي والثقافي . بيد أنها ما لبثت أن أخذت الحقائق تجبهها في قسوة ومرارة . فأعلن الجنرال جورج كاترو بصفته والياً عامّاً لفرنسا في الجزائر ووزيراً مفوّضاً لها في شمال أفريقيا عامة مشروعه الذي يتلخص في انشاء عشرين مدرسة فرنسية لمختلف مراحل التعليم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

همتها أن تخرج في خلال عشرين سنة مليون شاب لا يعرفون كلمة عربية واحدة وأتبع ذلك بتصريحه الذي يقول فيه (ان الذين يحلمون بإبقاء الجزائر عربية أو بإمكان انفصالها عن فرنسا إنما هم أغرار يستحقون الشفقة والرثاء).ثم جاءت حوادث ٨ مايو سنة ١٩٤٥ فاتخذتها فرنسا سبباً لاغلاق جميع المدارس العربية بحجة أنها كانت وكراً للمتآمرين على سيادة الدولة والأمن العام. مع أنّ الذين اشتركوا في تلك الحوادث أغلبهم من العمال وخريجي المعاهد الفرنسية. وأطلقت لسان صحافتها على العربية والإسلام فكتب نفر من رؤساء أحزابها بما فيها الشيوعية والاشتراكية ومن وزرائها السابقين وفي مقدمتهم المسيو مارك ركار وزير العدلية السابق يطالبون بإبادة المساجد من كامل القطر الجزائري أو على الأقل بترجمة القرآن الى اللغة الفرنسية ترجمة رسمية منقحة يحذف منها كل ما من شأنه إيقاظ النخوة والشعور بالكرامة في النفوس لتفرض على المسلمين لتلاوتها في الصلاة والعبادات،على أن تحرم اللغة العربية عليهم تحريماً قاطعاً اذا ارادت فرنسا الاحتفاظ بالجزائر كجزء من أرضها لأن اللغة العربية هي أخطر شيء على السيادة الفرنسية . وكان من نتائج هذه الحملة الشعواء التي استمرت حوالي أربعة أشهر وشاركت فيها جميع الصحف الفرنسية الكبرى أن صدر قرار من الولاية العامة الفرنسية بالجزائر ينص على عدم الترخيص لأحد بالتعليم العربي إلاّ بعد أداء امتحان في اللغة الفرنسية ... وعلى عدم الترخيص بفتح مدرسة أهلية إلاّ بعد الاطمئنان الى نزاهة القائمين بها ... وتعهدهم بتعليم الفرنسية والعربية معاً في حصص متوازية ... وشدّدت الرقابة على الحدود التونسية حتى لا يفلت الى تونس طلبة العلوم العربية المغامرون لتلقيها في جامع الزيتونة (صنو الأزهر) وسيق عشرات منهم الى السجون لأنهم حاولوا اجتياز الحدود بغير جواز فالحصول على الجواز أمرٌ ليس في الإمكان وعزيز عليهم أن تتقلص ظلال الثقافة العربية من الجزائر العربية — وعلى الرغم من مساعي الجزائريين الذين اشتركوا في وضع الدستور الفرنسي الجديد أملاً منهم في تحقيق بعض رغبات الجزائر القومية من هذا السبيل — فقد أصرّ جميع زملائهم من الفرنسيين على رفض رغباتهم في اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الجزائر الى جانب اللغة الفرنسية فأصبحت بحكم هذا الدستور لغة أجنبية فيها،وأصبح كل ما كان يتخذ ضدها من أعمال أو يشرع من

قرارات ادارية موافقاً لروح الدستور ونصوصه فصار بذلك عملاً شرعيًّا ليس فيه من جناح .

وبديهي ان تضييق الخناق على اللغة والثقافة العربية مساس صريح ومباشر بالحقوق القومية والمصالح الخاصة للدول العربية . إذ من نتائجه زوال نفوذها في بقعة تعتبرها جزء من وطنها الأكبر ، كما أن من نتائجه فقدان مصر وسوريا لسوق كان من أخصب أسواق مكاتبها وصحفها وكان في الامكان أن تزداد نطاقها عن أيام. فهل فكرت الدول العربية في اتخاذ موقف عملي حاسم ازاء هذا الاعتداء ان في امكانها ولا سيما مصر وسوريا انقاذ مصالحها وانقاذ الجزائر من خطر تكرر مأساة الاندلس مرة أخرى في تلك البقعة التي دافعت عن عروبتها قرناً وسبع عشرة سنة دفاع الابطال .

ففي مصر وحدها ١٣٦ مدرسة فرنسية بمختلف مراحل التعليم ، وفي مصر توزع كل أسبوع ٨٠ صحيفة فرنسية يصدر بعضها في القاهرة ويرد الباقي من فرنسا ففي امكانها أن تطالب بدل كل مدرسة وبدل كل صحيفة بمثلها في الجزائر وهي بذلك غير ظالمة وهي بذلك ستربح كثيراً

* * *

أما بعد ، فقد وفد على مصر منذ فترة وجيزة الأديب الفرنسي الكبير المسيو جورج دوهاميل داعية للثقافة الفرنسية .وكانت أول محاضرة له في القاهرة تحت عنوان (فرنسا حياتي). وسوف لا يصل هذا المقال الى القراء حتى يكون الاستاذ موريس جارسون الأديب الفرنسي المشهور قد وصل مصر لمواصلة ما بدأه سلفه من الدعاية لفرنسا وثقافتها . فهل فكرت مصر في أن توفد الى شمال أفريقيا من أساتذتها من يمد أولئك العرب المتلهفين المحرومين بأقباس من الثقافة وتجدهم في مصر العزيزة التي قطعت بينهم وبينها الصلات منذ زمن طويل. إن فرنسا لم تسمع إلا مرغمة وفي إمكان مصر أن ترغمها ان هاءت وعسى أن ينتبه قادة مصر الى هذا الواجب الخطير .

محمد الحاج الناصر الجزائري

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي امتنع غلقه ...

. . . قصة بقلم ماري روبرتس رينهارت ، لعلها أن تكون أقرب الى الواقع العملي منها الى الخيال القصصي . . . أهديها الى الناشئة الجديدة من فتيات اليوم ، اللائي لا تكاد تستقر بهن الحياة الزوجية حتى تغشى سعادتهن سحب قاتمة من غيوم الشك والخوف . . .

وكان شبح حماتها يكمن وراء الباب الكبير ، أما الآن فقد اختفى . . .

حدث هذا أول ما حدث عند ما كانت لويس في المنزل ، وكان روي زوجها في عمله ومابل الخادمة تجادل بعض الصبية عند الباب الخارجي في فترة راحتها المسائية — ولم تكن لويس قد لاحظت شيئاً من قبل ، أو لعلها لم تكن قد تنبهت إليه جيداً ، ذلك أنها لا تكاد تغلق باب مسز اليسون حتى يعود فينفتح إن عاجلاً أو آجلاً ...

وفي ذات ليلة صارحت لويس زوجها بكل شيء ، وقد كانت حذرة في حديثها كل الحذر ، فانها تعلم مبلغ ما يصيب روي من الحزن والألم عند ما يتذكر أمه ... فقالت له « أريد يا روي أن تلقي نظرة على باب حجرة أمك » فقابل روي شارتها هذه بتجهم ، وقال « وما أمر هذا الباب ؟ ... »

لقد امتنع غلقه ..

— . . هذا سخف . فما الذي يمكن أن يحدث له ؟ . .

— لست أعلم ، وإنما هو مفتوح كل الوقت ، لا نكاد نغلقه حتى يعود فينفتح . .

— هذا أمر يحدث لكل الأبواب ...

أخذ روي حديث لويس على أنه بقايا ضغائن قديمة لم يقبرها الموت ، وكل ما هنالك محاولة خبيثة من جانب زوجته لكي تغلق باب مسز أليسون الى الأبد ، كأنما حجرة الأم كانية لأن تثير الضغائن . .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— وقد أرادت لويس أن تدافع عن نفسها فقالت لروي « هذا غير صحيح ... فأنت تعلم أنني كنت مخلصة لها ، ومن أجل هذا أسألك وأكرر السؤال ، لماذا يا عزيزي ، وقد كانت هذه معاملتي لأمك ، تفعل هي بي ما تفعله الآن ؟ ... !!

— ما الذي تفعله ؟ ..

... — تقف هنا ... منذ عشر سنوات ، من ذلك اليوم الذي جمعنا فيه رباط الزواج ، وهي واقفة هنا لا تترك هذا المكان ، كانت تمشي وكنت أنت تظنها قد عجزت عن الحركة ... كنت أسمعها بعد أن تنام أنت .. كانت ...

ولكن روي قاطعها في قسوة ، وخرج غاضباً إلى حيث لا يسمع شكوى زوج ترزق في الحياة من أم ترقد في أطباق الثرى ...

أما لويس فقد ظلت جالسة تفكر في الماضي الطويل الذي انقضى ، في هذه السنوات العشر العراض التي حفلت بنظرات البغض وتنفذ كالسهام من حجرة مسز أليسون ، تلك المرأة التي اجتمع فيها الحقد بما لم يجتمع في غيرها ، حتى لقد كانت وهي المشلولة الحركة — كما كانوا يزعمون — تسترق أخبار المنزل وتحيط بكل صغيرة وكبيرة فلا يفوتها شيء من أحداث المنزل الكبير ... أما هي فقد أخذت تروض نفسها على نسيان هذا كله ما دام روي معها بجانبها ، ومع هذا فانه حتى علاقتها بروي قد بدأت تفتر وكأنما كانت هنالك أذن ماكرة تصغي الى كل شيء ، حتى الى خفقات القلوب الحافلة بهوى الشباب ... كانت هذه المرأة العجوز راقدة في سريرها تسمع وتنظر ، ولئن كانت النظرات تقتل فما أحراها نظرة من نظرات هذه المرأة البغيضة كافية لأن تقضي على لويس وأكمام شبابها لا تزال تتفتح ...

كانت لويس جالسة إلى المنضدة تفكر في كل هذا .. أجل ، إن حماتها كانت تكرهها بهذه الكراهية التي تمثل غيرة امرأة عجوز فانية من امرأة شابة فاتنة . . كانت تكرهها لأن روي يحبها . . منذ ذلك اليوم الذي عادت فيه مع روي من حفل زواجها ، صادفتها هذه المرأة كعقبة كأداء في سبيل حياتها وسعادتها .. وإنها لتذكر جيداً كيف قابلت المرأة العجوز زوجة إبنها لأول مرة بابتسامة لن تنساها لويس ما بقي لها حياة .. دعتهما مسز أليسون إلى حجرة الاستقبال ليتناولا الشاي لأول مرة وكان أول ما قالته تحية لهما . « إنني الآن امرأة عجوز ، وإنني طبعاً لا أشعر إنني فقدت إبناً بل كسبت إبنة — ولكنني من الآن لن أصبح سيدة المنزل »

وقد كان تصريح مسز اليسون مفاجأة لروي غير منتظرة فأبتدرها قائلاً « ولماذا يا أماه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا ندع الأمور تجري كما كانت ، وأنتِ لا شك تعلمين أن لو أصغر من أن تتولى ادارة منزل كبير . » فأجابت مسز اليسون « لا يمكن أن تجرى الأمور كما كانت يابنيَّ العزيز ... فأنت الآن متزوج .. » . ثم كان أن أصرَّت مسز اليسون على أن تأخذ لويس مكانها من الطاولة ، كل هذا ونار الحقد تتأجج في نفسها وتنبعث من فمها في صورة ابتسامة .. يا لها من ابتسامة !..

... صور الماضي تتلاحق أمام لويس وهي جالسة عند الطاولة تفكر .. « فهذا روي ندأ تملأه الحب والفرح يحمل لويس على كتفيه وأخذ يدور بها في أرجاء الغرفة ، ثم دخل حجرته الخاصة وهو يقول « وأخيراً أنت معي ياعزيزتي .. وفي حجرتي » .. وها هي هذه الفتاة الخجول تبدأ في خلع ملابسها وهي تتردد .. وروي يبصرها وهو جالس في الطرف الآخر من السرير يصفق لخجلها ويضحك من ترددها ... ثم يتبادر إلى سمعهما صوت ارتطام جسم ينبعث من الدهليز الطويل في هدوء الليل ، فيخرجان سريعاً من الحجرة ... فماذا يصادفهما ؟ رأيا مسز اليسون ملقاة على الأرض فاقدة النطق ...

أجل كانت هذه ليلتها الأولى ... وهكذا روي يحمل أمه فزعاً مضطرباً إلى حجرتها وتجمع الخدم وحضر الأطباء واضطرب كل شيء ... ولما أرادت لويس أن تتبع روي أزاحها بيده جانباً كأنه هو لم يعرفها من قبل ... فانسلت لويس وحدها الى حجرة الاستقبال الكبرى ... كان الجو بارداً وكانت تشعر بقشعريرة ..

وهي الآن تشعر بقشعريرة . فقد طال جلوسها ولا بد أن تعد الطعام بيدها لأن مابل قد ذهبت إلى منزلها ، ومع ذلك ظلت جالسة تفكر . قد يكون روي على حق وتكون هي قد أصيبت بجنون . . يالها من سنوات عشر قضتها في ذلك المنزل الكبير الذي أفلس فيما بعد من المال وقاست هي متاعب الحياة فيه ، فكانت تغسل وتحمل الأطباق وتعد الطعام بيدها وكانت فوق ذلك كله تقوم بخدمة امرأة عجوز تكرهها ، لا لشيء إلاّ لأن روي يحبها ، عشرة أعوام تمضي وهي تعمل جاهدة على إسعاد روي ، والآن عندما بدأ الخلاص يقترب ؟ ...

وفجأة تنبهت لويس إلى صعود روي درجات السلم فقامت مسرعة وما إن رآها روي حتى ابتدرها قائلاً « اسمعي يا لو لقد أحكمت غلق الباب بيدي الآن .. »

— وهل كان مفتوحاً ؟!.

— أجل! ولماذا ؟

— لأنني قد أغلقته بيدي قبيل أن تنزل ...

نظر إليها روي ثم استدار بسخرية لاذعة قائلاً لها . « انني على موعد الآن .. وأمامي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عملي الذي يجب أن أوليه عنايتي ، وليس لي من الوقت ما أضيعه في ترهات مجانين ... »

وبعد خروج روي ، صعدت لويس بهدوء إلى غرفة مسز أليسون لتتأكد .. فألفت الباب مفتوحاً .. فكاد أن يغمى عليها ولكنها تمالكت وأمسكت الباب بيدها وظلت تنظر إلى فراغ الحجرة الملتحف بالظلام وهي تقول . « اسمعي ! » ماذا يجديك من هذا كله ؟ .. ألم يكفك أن روي كان في يدك كل هذه المدة ، حتى بعد زواجي به كان دائماً في يدك ... لا تعتقدي إنني كنت أجهل ، لقد كنت أعلم كل شيء .. ألا تتركينه الآن ؟ . إنني لا أسأل هذا من أجلي ، ألا تريدين أن يكون سعيداً ؟ ... » — وانتظرت لويس جواباً لهذه المفاجأة فهي قد سمعت من قبل أنه في مثل هـذه الأحوال تتردد أصوات مبهمة وتنبعث أضواء مختلفة ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وهي نفسها لم تكن تعتقد بشيء من هذه الخرافات فكيف لها أن تعلل ما يدور حولها ، وإذا كانت مخطئة أو واهمة فكيف السبيل إلى التخلص من هذا الوهم ؟ ...

اكتفت لويس بعد ذلك بإحكام غلق الباب ، ثم صعدت الى المطبخ لتعد طعام العشاء لروي . ولما عاد روي كان يبدو عليه النشاط واختفى عن وجهه ذلك التجهم وتلك الصلابة التي قابل بها حديث لويس السابق ، وكان أول ما فعله أن وضع يده على كتف لويس وقال لها « آسف يا لويس فنحن متعبا الأعصاب على ما أظن ولا بد من ذهابنا إلى السينما ... »

وفي خلال عرض الفيلم غشيت روي اغفاءة فنام — وكانت لويس تلاحظه في نومه وقد ملأ الخوف قلبها ... كم تغير روي في خلال هذه الاسابيع الأخيرة حتى لقد بدأ كرجل متعب ، كرجل بدأت حيويته تنضب ، كرجل مريض .. انتفضت لويس لهذا الخاطر الأخير وانتهى الفيلم فاستيقظ روي ولم يكن يدري متى نام ...

وعادا إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل فوجدا الباب مفتوحاً ... فنظر روي الى لويس ضاحكاً وقال لها « أجل يا لو إن الباب مفتوح مع أنني أقسم أنني أغلقته بيدي .. اعتذاراتي لك يا لو ، إن هذا الباب يفتح حقاً » . وكان روي ينظر إلى الباب وهو يغلقه بفم مبتسم فقد أفادته الاغفاءة فقابل الأمر مرحاً وعند ما استلقت لويس في سريرها قبلها روي وأطفأ النور ...

لكن الباب عاد فانفتح . . وسمعت لويس صريره من خلال الدهليز الطويل فجلست وعيناها تمتلئان رعباً وحشياً ... وقالت « لا ... لا يا روي أرجوك »

— ماذا جرى لك ، ألا استطيع أن أنام براحة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ... الباب يفتح مرة أخرى ... إنها هنا ، أظنها قد ذهبت ، إنها لم تذهب ، إنها في المنزل لم تتركه أبداً ..

فلم يكن من روي إلاّ أن ترك الحجرة للويس وذهب هو لينام في حجرة أمه . وفي هذه الليلة لم تنم لويس دقيقة واحدة . أحست بمابل وهي عائدة في منتصف الليل تتحسس طريقها في حذر لكي لا تنبه أحداً إلى وصولها متأخرة . وبين الساعة الثالثة والرابعة سمعت بائع اللبن بجواره وأحست به وهو يفرغ اللبن من الوعاء ، ثم وهو يذهب إلى منزل آخر ...

وفي الصباح كان يبدو على روي الهزال وكان يسعل فأثار هذا خوف لويس وقالت له «انك مريض» فأجاب « ان هذا حال كل زوج تخرجه زوجته من حجرته في الليل».

ولكنه أضاف قائلاً « لا يهمك هذا كثيراً ... المهم اني أريد ذهابك الى جهة ما بعيدة عن هذا المنزل للاستجمام فان رحلة أيام في مكان هادىء قد تذهب بما أصاب في أعصابك من الاضطراب ..»

ولكن لويس رفضت قائلة لن أذهب قبل أن تبرأ من هذا البرد ... انني ظللت أفكر طوال الليل وأتساءل هل قد فقدت عقلي ! .. »

وعند ما همّ روي بالخروج بعد طعام الافطار كان يسعل بشدة .

وفي الساعة الحادية عشرة حضر نجار بعث به روي لكي يصلح ما بباب مسز أليسون من عطب إن كان هنالك ثمة عطب ... وقد ظلّ النجار مدة طويلة يعمل في الباب ما يخطر له من ضروب الاصلاح ، وفي النهاية أشار الى متانة الباب واحكام غلقه بحيث يصعب فتحه . وما أن فرغ النجار حتى نظرت لويس إلى نفسها في مرآة الدهليز الكبرى ، فماذا رأت ؟ . . رأت عينين متعبتين فاقدتي الحياة وشعر رأسها الطويل قد بدأ يتهدّل وينبت الشيب فيه . وقد أخبرت لويس خادمتها بذلك فكان جواب الخادمة أن على لويس أن تراعي صحتها وتعني براحتها ، إن هنالك رباطاً من المحبة وثيقاً يربط لويس بخادمتها ، فقد عاشا سويّا في جحيم عشرة أعوام ، كانا خلالها عبدين لجرس صغير تقرعه امرأة عجوز ، كلاهما صعدا درجات السلم وحملا الاطباق وأحضرا الطعام وغسلا الثياب وكلاهما اشتركا في حياة الخوف والشك طوال عشر سنوات ...

— ... ماذا كنت أفعل لولاك يا مابل ؟ ..

— إن كل شيء على ما يرام يا سيدتي . .

— أجل كل شيء على ما يرام يا مابل . وطفقت لويس تردد هذه العبارة . لكن لم

يكن كل شيء على ما يرام ، لأن الباب قد فتح . . .

* * *

بعد ساعتين من هذا كانت لويس تجلس أمام رجل ينصت إليها بوجه هادىء كريم ..

— أجل ، لقد فهمت ، ولكن منذ متى لاحظت أمر الباب ؟ ...

— عند ما عدت من جنازة مسز أليسون حماتي ، ذهبت الى حجرتها وأقفلت نوافذها وقد كانت مابل الخادمة قد رتبت كل شيء ، وعند ما خرجت أغلقت الباب ، وأنا واثقة من ذلك ، لأني عدت ثانية وتوثقت من غلق الباب . . .

— ولماذا أردت التأكد من غلق الباب ؟ . .

— لأنني كنت أريد أن يكون الباب مقفلاً . لم أكن أرغب في أن أرى الحجرة مرة أخرى ، فقد قاسيت منها الكثير ، كانت مثار انزعاج لي ، فكنت أريد أن أنسى الحجرة .

— ثمّ ماذا . .

— ... بعد هذا بثلاث ساعات كان الباب مفتوحاً لآخره ..

— ولماذا كنت تريدين نسيان الحجرة ، ألأن مسز أليسون كانت مريضة لسنين طويلة وكانت لذلك مبعث اضطراب وقلق ؟ . .

— ... أجل كان هـذا بعض السبب كما أظن ، فقد ذهب شبابنا أنا — وروي ، فأنا الآن في سن الثلاثين ، ولم نخلف ولداً ، فلم يكن هنالك أمامنا غير البؤس ومراقبـة الأطباء والدواء ..

— كان هذا كما تقولين بعض السبب . وماذا كان البعض الآخر ؟ .

— كانت مسز أليسون تمتلىء غيرةً مني .. في الليلة الأولى من زواجنا أصيبت بنوبة في قلبها ..

— هل تظنين أنها كانت نوبة حقيقية ؟ . .

— لست أعلم ولم يكن من الممكن لي أن أعلم أبداً ..

— . . لقد كنت تكرهينها إلى حدٍّ بعيد . أليس كذلك ؟ ..

— كلاّ .. لست أعلم ، لقد كنت دائماً أخاف منها فقد كانت تحاول أن توقع بيني وبين زوجي ..

— ... وفيما يختص بالباب أواثقة أنتِ من أنه يفتح أم أنكِ فقط تخمنين أن يفتح ؟ .. أتفهمين ماذا أعني ؟ ..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— لست واهمة في ذلك فلقد رآه روي ورأته مابل الخادمة . .

— . . وماذا تستنتجين من كل هذا ؟ . .

— . . . أعتقد أن مسز أليسون عادت ثانيةً من أجل روي . . . وأنا أخشى أن تأخذه مني ، ومن أجل هـذا أنا هنا لأعرف وجه الحق منك . ولـكنك لم تعرف هذه المرأة . . إنها قادرة على ذلك . . وروي الآن ليس في حالة طيبة . . إنه ليس على ما يرام منذ موتها .

وفجأة أغرورقت عينا لويس بالدموع ودفنت وجهها في منديلها . . وقالت « إنني أعتقد في نفسي الجنون . . . لا تعتقد إنني لا أقدر صدى هذه الترهات عند سامعها . لـكنني أشعر بوجود المرأة في المنزل ، في حجرتي ، في كل مكان . . . »

مال الطبيب بظهره في كرسيه وقال في هدوء . . لا . . ليس بكِ جنون . . وإنما يستحسن انتقالك من منزلكِ هـذا إلى بقعة أخرى ، ولو إلى حين ، فان هذا قد يكون أبعث لك على الاطمئنان »

— لـكن روي لن يقبل أن يترك المنزل الذي فيه ولد وظل طوال حياته

— أفضل أن أتحدث في هذا إلى زوجك . . والآن أوصيكِ بأن تشتري في طريقك قفلاً لتوصدي به باب الحجرة وتحاولي النوم الهادىء . . وثقي أنكِ سليمة وتحتاجين الى بعض الراحة فلا تخشي شيئاً . . .

* * *

في طريقها الى المنزل ، ابتاعت قفلاً ، ووضعته هي ومابل في باب الحجرة قبل حضور روي .

ولـكن روي لم ينتبه الى القفل ، فقد عاد أسوأ مما كان وقد تفاقم مرضه . وكان نومه في هذه الليلة نوماً مضطرباً . أما لويس فلم تنم دقيقة واحدة — لقد كانت قلقة على روي وكان يستولي عليها شعور بأن في الحجرة شخصاً قوياً جداً يريد اختطافه منها . وفي فترة اشتد فيها سعال روي وتقلب كثيراً في نومه ، أخذت لويس توجه حديثها إلى الشخص القوي بصوتٍ مرتفع :

. . . لا تستطيعين فعل هذا . ليس في مقدورك أن تأخذيه مني . إنه ملـكي أنا . انه لا يزال صغيراً ، فلماذا لا تتركيه ؟

ثم وضعت لويس يدها على رأس روي فاذا به يلتهب من الحرارة ، فانتفضت واقفة في وسط الحجرة المظلمة وقد أحست الاحساس أن هناك صراعاً بين المرأة الميتة وبينها .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صراعاً بين الخير والشر ، بين الحياة والممات ، فكان عليها أن تقاوم . « إنه لن يموت ، انه سيحيا أتسمعين هذا ؟ .. »

وفي الصباح إستدعت الطبيب فإذا بروي قد أصيب بالتهاب رئوي وأمر الطبيب أن يعالج روي في المستشفى ..

ومرت أيام عسيرة كان روي في حالة بلغت منتهى الخطورة وبلغ بجسمه الهزال مبلغاً كبيراً ،وكان وجهه يبدو غريباً أقرب إلى وجوه الموتى منه الى وجوه الأحياء .. وكانت للويس حجرة أخرى بجوار حجرة روي ولكنها لم تكن تستعملها ، لم ترد أن تترك روي أبداً لأنها كانت تخشى عليه من أمه التي ماتت ... أجل ، فلقد رأوها ذات مرة تبحث في إحدى أركان الغرفة المظلمة وكأنما هي تتبع شخصاً معيناً . وكان يحدث أحياناً أن تغفو قليلاً في كرسيها ، لكنها لا تلبث أن تثب فزعاً وتطوف بأرجاء الحجرة المظلمة باحثة عن شيء ... كانت الممرضات تلاحظن هذا كله ، فكن يقلن فيما بينهن : هذه المرأة تنساق إلى حتفها ، فهي تخشى أن تنام ...

وذات ليلة لاحظت إحدى الممرضات لويس وهي تحادث روي ولم يكن من المعقول أن يسمعها في هذيانه كانت تقول له « عليك ياعزيزي أن تنساها انها لا تحتاج إليك ، أما أنا فأحتاج إليك .. ».وقد أخذتها الممرضة من يدها ونصحتها بالنوم قليلاً حتى لا تتحطم أعصابها .. ولكن لويس لم تنم . بل ظلت تبحث في أركان الحجرة المظلمة ، وبخاصة في الركن المواجه لروي ...

وفي الليلة التي بلغت فيها حالة روي أشدها ، لم يشاهدها أحد تسير في أرجاء الغرفة . فلقد خرجت في الظلام الدامس من الباب الخلفي للمستشفى ، وسارت كما يسير الحالم .. لم تذهب بعربة ، بل سارت على رجليها تتحسس طريقها ... إلى المنزل .

فتحت الباب ثم دلفت في الظلام . لم تحاول أن تنير المنزل ، ولماذا تنيره .. إنها تعرف المنزل جيداً وتستطيع السير في الظلام .. كان كل شيء في المنزل يكسوه التراب وبدا المنزل موحشاً وحشة القبور .. وصلت لويس إلى الطابق الثاني ، وكان الدهليز الطويل يمتد أمامها. وقد أضيء بضوء خافت صادر عن الطريق . وفي نهاية الدهليز رأت لويس الباب المغلق بالقفل مفتوحاً ... لم تكن وحدها في المنزل ، كان هنالك وجهاً يبدو من الباب دقيقاً صغيراً كذلك الوجه الذي كانت تبدو به مدز أليسون في ليلة زفافها وهي تقول « لا شيء يمكن أن يكون الآن كما كان ياروي ، إنك متزوج الآن » ...

كانت لويس ترتعد رعباً . ولكنها تمالكت وأخذت تحدث الشبح في ذلك الظلام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قائلةً .. « ليس في مقدورك يا مسز أليسون أن تفعلي شيئاً ... لقد انتهى كل شيء .. انتهى كل شيء .. »

.. كان عليها أن تفعل شيئاً . وكانت تعلم أن من الواجب أن تفعله حالاً .. لم يعد الأمر صراعاً وإنما أصبح سباقاً ، سباق الزمن . لقد جمعت لويس ما استطاعت من الأخشاب ثم ألقت فوقها كميات كبيرة من البترول وفتحت النوافذ ... ثم أمسكت بعود ثقاب وألقته بين الأخشاب . . وأخذت تعدو ، حتى إذا وصلت الى القاعة السفلى نظرت الى السلم ودرجاته وقالت :

« آمل أن تجدي سلاماً . لم أكرهك أبداً أبداً »

ثم خرجت بهدوء . كانت النيران خلفها تتأجج ولكنها لم تنظر وراءها ... كل شيء كان عادياً في الطريق المظلم ، ولم يرها أحد وهي تدخل المستشفى قبيل الفجر في تلك الساعة التي تخفت فيها حركة المستشفى ويسكن كل شيء حتى تأوهات المرضى ...وعند ما وصلت لويس الى حجرتها شعرت بما فعلت وكاد أن يغمى عليها لولا انها تمالكت...ثم دخلت حجرة روي فألفته أحسن قليلاً ،كانت عيناه مغمضتين ، ولكن المسحة الرهيبة ذهبت عن وجهه . وكانت لويس مضطربة من فعلتها ، كانت تردد « لقد ارتكبت جريمة » لقد «قتلت أم روي » وعند ما وضعت يدها على رأس روي تمتمت قائلةً « كان عليَّ أن أفعل هذا يا عزيزي . كان عليَّ أن أحطمها ».

كانت هذه آخر عبارة فاهت بها لويس قبيل أن يغمى عليها ، وقد سمعتها الممرضة ورأتها وهي تسقط لحملتها الى سريرها .

ظلت لويس في سريرها عدة أيام . وكانت تنام في فترات متقطعة من الليل والنهار ، ولم يكن هنالك ما يبدو لها من الحقائق سوى أن روي يتحسن ، ثم بدأ تفكيرها يصفو قليلاً ، ذلك التفكير الذي ظل نهبة الاضطراب الشديد فترة طويلة من الزمن .

وفي ذات صباح استيقظت فرأت بجانب سريرها الطبيب النفساني الذي ذهبت لاستشارته من قبل . كان الرجل يبتسم لها،وكان يملؤها الشعور بأنها أمام القاضي ، القاضي الطبيب القلب ، الذي سيحكم على فعلتها ، فإما ردها الى الأمل أو أطاح بها الى اليأس .

— أعتقد أنك عرفت ماذا فعلت أنا .

— ما الذي فعلته ؟

— لقد أحرقت المنزل .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نظر إليها الطبيب وقد فاجأته المريضة ولكنه ما لبث أن ابتسم ثم قال لها « حسناً .. حسناً .. »

— .. أجل ، كان عليّ أن أفعل هذا .. فقد كانت المرأة هنالك ..

فقام الطبيب الطيب ثم أمسك بيد لويس ونظر الى أظفارها المدققة والى آثار عشر سنوات من الذل والخوف وقال لها بهدوء .

« لويس .. هل كنت تعرفين أن هذا الباب الذي استعصى غلقه لم يكن إلاّ رمزاً فحسب. عند ما كنت تغلقين الباب كنت ترمين من وراء ذلك إلى نسيان الحجرة بآلامها ، ولكن الباب لم يكن ليقفل ، أو بعبارة أخرى لم تستطيعي أن تنسي الحجرة وآلامها . . »

وكانت لويس تنصت الى الطبيب بكل سمعها . ولما انتهى من كلامه سألته « أأنت تعتقد إذاً أنني كنت متخيلة كل هذا ، أليس كذلك ؟ !! »

ولكن الطبيب لم يجبها في الحال وإنما قال في حذر « لم تكن كل مخاوفك أوهاماً ولكن معظمها .. » ثم ربت على كتفيها ونظر إليها مبتسماً « المهم يا لويس ، أنك كنت تملكين الشجاعة التي بها حطمت أوهامك . وكم أتمنى لو أن كثيراً من مرضاي اليائسين يملكون هذه الشجاعة ... »

وخرج الطبيب العظيم فاستلقت لويس على ظهرها وقد اطمأنت ، فالقاضي الكريم لم يحكم بادانتها .

... لكن هل من الممكن أن يكون هذا الباب رمزاً فحسب ؟ .. انها لتقفل عينيها فترى باباً طويلاً أبيض اللون ذا مقبض نحاسي أمضت سنيها هي ومابل ترعى لمانه ونظافته والقد ظلّ الباب مفتوحاً ، وكان وراءه .

... ولكن الآن كل شيء قد انتهى ولويس لا تشعر بوخز في ضميرها ، بل تنظر الى المستقبل بعين الأمل . ستقول لروي كل شيء ، ولكن ليس في هذا الظرف . بل عند ما يستعيدان صحتهما .

* * *

وفي مساء هذا اليوم أحضروا للويس زوجها وكان يجلس على كرسي ذي عجلات . . شعرت لويس أن الحائل بينها وبين روي قد زال الى الابد ، وإنها لتحنو عليه بابتسامة امرأة أصيبت وقاست وضحت .. وأخذ روي يدني كرسيه بنفسه حتى لاصق سرير لويس وكان يبدو نحيلاً جداً ، ولكن ثمة تغير في وجهه فقد عادت إليه نظرته القديمة الساحرة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال روي لممرضته « اخرجي الآن .. فانها زوجتي ولو كان في مقدوري أن أقف وأمل إليها ، فإنني أتحرق شوقاً إلى تقبيلها ... »

* * *

وكانت لويس تنظر وتبتسم ، كانت ابتسامتها تنطق بالحب وكانت أيضاً تنطق بالحنان . ماذا لو أن روي نسي ؟ . لقد فطر الرجال على نسيان الماضي ، أما النساء فيذكرنَ الماضي دائماً . الرجال يبنون بينهم وبين الماضي حاجزاً كثيفاً ، ولا يتنبهون حتى الى محاولتهم النسيان . والآن لقد استطاع روي أن يحيط لويس بذراعيه ، وها هو ذا يمسك بها بشدة وهو يردد :

« عزيزتي .. عزيزتي .. » لقد عاد روي القديم بعينه .

— عزيزتي ، يجب أن نخرج من هنا سريعاً فإنّ أمامنا أشياء كثيرة يجب عملها . وإني لآسف إذ أنهي إليك أنباء سيئة .

— أنباء سيئة ؟ .

— أجل : المنزل القديم قد ذهب أثراً بعد عين .

وكانت لويس تلاحظه باهتمام بالغ .

— إنك ولا شك ستفقد شيئاً كبيراً . يا روي ! أليس كذلك ؟ .

— أنا ؟ أبداً . يا للجحيم ، لقد كاد هذا المنزل أن يقتلك .

... المنزل ، وليست أمه ، التي كادت أن تقتلها — ولكن هذا لا يهم الآن .

لقد بدأ روي يبني لنفسه حاجزاً كثيفاً أمام الماضي ، ونساه الى الأبد »

— أجل يا عزيزي ، لقد كاد المنزل أن يقتلني .

ومال روي عليها وقبلها قبلة طويلة « إننا كلانا معاً الآن . يا الهي عندما أخبرت بمرضك »

كم تراه قد علم من ذلك الماضي ؟ كم تراه قد علم من ذلك الصراع الطويل بين أمه وزوجته ؟ انها لن تعلم منه شيئاً لانه قد نسي كل شيء . وانها أيضاً لن تذكر شيئاً عن الباب الكبير الاهمّ الا أنه لن يفتح مرة ثانية .

فؤاد عوض واصف

ليسانسيه في الآداب والفلسفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أبو العلاء المعري

فلسفته وأدبه وقوة ذاكرته

اذا قلنا أنّ أبا العلاء كان فيلسوفاً لم نرد بذلك إنه أحدث في عصره مذهباً فلسفيًّا جديداً في مباحث الاجتماع ، أو الدين ، أو السياسة والادارة أو ما وراء المادة ، أو قُوَى النفس البشرية ،ولكننا نريد أنّ له مشاركات حسنةً في نواحٍ فلسفية نمت عليها آثاره الطيبة نظماً ونثراً وأيدها عمليًّا بسيرته في حياته فهو من هذه الجهة الحكيم كل الحكيم على نهج سقراط وأفلاطون اليونانيين وكنفوشيوس .

وأما أدبه فقد كان ناضجاً واسع النطاق يعدُّ فخراً وتشريفاً للأدب العربي يوم كان الناس لايكادون يفقهون من معنى هذا الأدب إلاّ أبواباً محصورة أشهرها باب الغزل وباب المديح حتى قال الابيوردي :

قالوا تركت الشعر قلتُ ضرورةٌ باب البواعث والدواعي مغلَقُ
خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليحٌ يعشقُ

هكذا كانوا يقولون ويعتقدون ، مما يحسب وصمة عار وتقصير وتشويه في وجه الأدب العربي لو لم يتداركه من أهله حيناً بعد حين أفراد قليلون يغسلون عنه هذه الوصمة ويكذبون أصحاب ذلك الزعم بما يتناولونه من مباحث قيّمة مختلفة بعيدة الآفاق وفي طليعة هؤلاء الفحول الكرام أبو العلاء المعري فقد تناول أغراضاً جمّة نبيلة ولم يجعل للمديح والغزل من قريحته إلاّ نصيباً ضئيلاً . أما المديح فلإخوان له وفضلاء كان يقارضهم الثناء وعلامات الرضى والاعجاب . وأما الغزل فقد ورد تحت أسلة قلمه عفيفاً خفيفاً كما ينتظر من أخلاقه وسيرته . ومن هذا الباب قوله :

زررنا على غير الفواحش قمصنا فلم نستجز إلاّ الذي هو أجوَزُ
زنت أعينٌ منّا وعفّت ضمائرٌ فبتنا وأيدينا عن اللمس تحجز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقوله : منك الصدود ومني بالصدود رضى من ذا عليّ بهذا في هواك قضى

بي منك ما لوغدا بالشمس ما طلعت من الكآبة أو بالبرق ما ومضا

إذا الفتى ذمّ عيشاً في شبيبته فما يقول إذا عصر الشباب مضى

وقال أبو العلاء ذاكراً ما للحظّ من سطوةٍ وسيطرة :

لا تطلبنّ بغير حظٍّ رتبةً قلمُ البليغ بغير حظٍّ مغزلُ

سكن السماكان السماءَ كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

وقبله قال أبو الطيب المتنبي (والجد بفتح الجيم هو الحظ)

هو الجَدُّ حتى تفضل العينُ أختها وحتى يكون اليوم للامس سيدا

كما قال أيضاً في قصائده الكافورية :

ومالك تعنى بالأسنّة والقنا وجدُّك طعّانٌ بغير سنان

وجاءَ بعدهما من قال :

وإذا السعادة راقبتك عيونها نم فالمخاوف كلهنّ أمانُ

واصطد بها العنقاء فهي حبالة واقتد بها الجوزاءَ فهي عنان

وقال أحد الأدباء الفرنسيين : « اذا استندت الى استحقاقك وحده في الرقي والنجاح ذقت من آلام الخيبة أشكالاً وألواناً » . .

* * *

ومن مختارات شعر أبي العلاء ما كان متعلقاً بدقة شعوره في حنينه الى أوطانه واخوانه قال في هذا الباب متشوّقاً وكان لم يزل في بغداد ضيفاً على الخليفة العباسي القادر بالله . وقصره في محلة من تلك العاصمة تسمى الكرخ .

متى سألتْ بغداد عني واهلها فاني عن أهل العواصم سآلُ

اذا جنَّ ليلي جنَّ لبي وزائدٌ خفوق فؤادي كلما خفق الآلُ

وماءُ بلادي كان أنجع مشرباً ولو أنَّ ماء الكرخ صهباءُ جريال

فياوطني ان فاتني بك سابق من العيش فلينعم لساكنك البال

فان أستطع في الحشر آتك زائراً وهيهات لي يوم القيامة أشغال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقال وهو في تلك الحالة وكان الفصل على ما يظهر فصل شتاء أو ما يجاور هذا الفصل وقد سمع صوت الرعود وعلم ان البروق تصحبها :

أيا برق ليس الكرخ داري وانما رماني اليه الدهر منذ ليالِ
فهل فيك من ماء المعرَّة قطرةٌ تغيث بها ظمآن ليس بسالِ

قالوا إن الخليفة سمعه يردد هذين البيتين بصوتٍ خافت فأمر خفيةً بعض خدمه ان يعدوا قافلةً صغيرة تذهب بهم الى المعرة فيحضروا اليه مقداراً من مياهها العذبة ففعلوا . وفي صباح وصولها جاء الغلام الموكل بخدمة أبي العلاء وملأ منها كوزه ووضعه في المكان المعين له من غرفة الشيخ والشيخ لا يدري شيئاً من ذلك ثم دخل الخليفة على ضيفه بعلة المؤانسة وفي أثناء جلوسه عطش أبو العلاء فنهض متحسساً حتى بلغ الكوز فما جرع منه جرعة واحدة حتى رفعه عن فيه وقال للخليفة متنهداً : « جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين هذا ماؤها فأين هواؤها » فتعجب الخليفة وأجابه مبتسماً : « اما الماء فقد وصلت اليه قدرتنا واما الهواء فلا تصل اليه قدرة بشرية »

وهذه احدى النوادر التي تروى عن أبي العلاء وهي كثيرة وأخبارها مستفيضة وعلى استفاضتها،يدعو في سياق البحث ان أشير الى بعضها . قالوا : لما كان في حلب أنشده شعراء الشام مختارات من منظومهم فحكم لاحدهم بالتفوق وقال له : اذهب فانك أشعر من في الشام. وبعد بضع سنوات كان أبو العلاء في بغداد فجاءه شعراء العراق وأنشدوه مختارات من منظومهم وبينهم ذلك الشاعر الشامي وكان قد أتى بلادهم لتعاطي بعض الاعمال وأبو العلاء لم يعلم بحضوره فلما أنشده عرفه من نغمته فقال له عند فراغه « ومن في العراق » يريد بهذه العبارة عطفها على عبارته السابقة منذ سنين يوم قال للمنشد « اذهب فانك أشعر من في الشام » ولما خرجوا سألوا الشاعر عما قصده ضيفهم العظيم بعبارته فسرد لهم الخبر فقضوا من ذلك عجباً .

ومما يروى عنه ان شاعراً جاءه بقصيدة لكي ينقحها له بقصد أن ينشدها مدح فيها بعض الاعيان آملاً ان يأمر له بصلة وبعد تنقيحها أخذها واستأنف طريقه فسقطت من يده في النهر وغرقت،فعاد الرجل مكروباً،وكان أبو العلاء جالساً على باب الدار فذكر له ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحادث، فقال له لا بأس عليك هات قلماً وورقاً ودواة، ففعل ثم أملى عليه القصيدة فأخذها وانصرف وانتفع بها .

ومن تلك النوادر ان رجلين يهوديين اختلفا في قضية حقوقية وادعى أحدهما انه أقرض رفيقه كذا من المال، فأنكر رفيقه الدعوى وليس له عليه بيّنة ، ولا وثيقة خطية فسألها القاضي ألم يسمعكما أحد حين اتفقتما على القرض قال المدعي كان يشرف علينا من نافذة الشيخ الضرير أبو العلاء، فاستقدمه القاضي وسأله، فقال: انهما تكلما بالعبرانية وأنا لا أفهمها ولكني أحفظ شيئاً من كلامهما فجاؤوا برجل عربي يحسن العبرانية وروى أبو العلاء ماعلق بذاكرته من الكلام العبراني فاذا به يدل على صحة دعوى المدّعي فحكم له بالمال .

* * *

قلنا إنّ قوة الذاكرة الى هذا الحد تحسب من عجائب الدهر وأعجب شيء فيها اذا كانت قد رافقت أبا العلاء في شيخوخته وهذا الطور من العمر تضعف فيه الذاكرة وإن اشتدّت فطنة الادراك وحسن التمييز .

ويظهر أننا نحن رجال القرن العشرين من أبناء الأمة المصرية لا نقل عن شيخنا المعرّي في مفخرة قوة الحفظ وقوّة الذاكرة إذ لم ننس فضله ومناقبه ومحاسن أقواله بعد مرور ألف سنةٍ على عهده . ولكن افتخارنا من هذا القبيل ينقلب علينا عاراً وشناراً وحجة دامغة اذا لم نحتذيه حسب جهد كل منا في فضائله ومآثره ولا سيما في غيرته على الحق والصواب والمصلحة الانسانية العامة . وما أجدر خاصتنا أن تقتبس من منهجه فضيلة التواضع الحقيقي ومن ورائها نبل وعزّة نفس حتى يصح أن يقال في الواحد منهم ما قاله أبو عبادة البحتري في ابراهيم بن المدبر أحد أعيان زمانه :

دنوتَ تواضعاً وبعدتَ قدراً فشأناك انحدارٌ وارتفاع
كذاك الشمس تبعد إن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

اللاذقية : سورية

ادوار مرقص
عضو المجمع العلمي العربي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المجنونة الشريدة

«الاشاعة»

تجري هناك وها هنا   تجري وتلهث في ونى
واذا استراحت برهةً   عادت لتطرد أمننا
الجبن أنجبها وربّتـها   العنفولة بيننا
خلقت من الضوضاء فهـي   تروّع أفئدة لنا
ومن الخرافة والذكاء   ومن ضياعٍ للمنى
ومن التخيّـل فهي كالأحـلام   وهمٌ للاجنى
وبرغم فطرتها تجيد الـهمس   فنّـا متقنا
فتزيد من ذعر الانا   م وقد يوطد دينـدنا
ما بالها رأت (الـكنا   نة) لا تضارع موطنا
وأخافها الفقر العميـم   وإن يكن هو ضيفنا ؟!
ما بالها عدّت حكيـمة   عصرنا بل حكمنا
ما تدّعيه هو الصوا   ب ولو تناول ذلّـنا ؟!
كم هدّمت روحَ العلى   فينا فأمضت هدمنا
هيهات أن يغني السلاح   لمن تهيّـب أو عنا
والروحُ ان هزمت فما   للشعب ان يتحصّـنا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والروح إن صدئت فما تكفي الجراح ليدفنا

*
* *

قابلتهـا مجنونة تجري هناك وها هنا
وبرغم صورتها يقدّ س زعمها من أمّنا (1)
ولربما لبست مسوح الرشد تخدع من رنا
حتى تراود عقله فيرى الضلال ممكّنا
ويظل يحمدها ويمنحها الكرامة والسنا
فهل الجنون جنونها أم في البرية حولنا ؟!

*
* *

لو أن للصدق النفوذ لما أصابت مسكّنا
لكنما الكذبُ المسوّدُ بيننا قد خاننا
بين المخاوف والتوهم والسقوط أدالنا
فترعرعت وتصدرت حتى لتحسب أمّنا
وتحالف والمجرمين ومن أباحوا نهبنا
وتناهت الفوضى بها وغدت تعدُّ لنا الغنى
فلمنْ أكون محذّراً ؟! ولمن أجرّحها أنا ؟ !

دكتور
احمد زكي أبو شادي

---

(1) أمنا : قال آمين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيف تكتب ؟

من كتاب المرشد ‚‚جود،،

The Bookmark C. E. M. Joad

قيل أنّ الكتابة مهنة صعبة وتحتاج الى مهارة ، ولا يستطيع ممارستها إلاّ أولئك الذين ثقفوا فنها ، وتعمّقوا أسرارها .

ولكني أرى أنّ الرجل العادي ، يمكنه أن يجيدها ، إذا أجهد نفسه في الاعراب عما يفكر فيه بوضوح — ولكن العاديين من الناس ، لن يحاولوا ذلك ، لاعتقادهم الثابت ، أن الكتابة تختلف عن المحادثة ، فالمحادثة تؤدي المعنى ، أما الكتابة فتخلق ما يسمونه بالتأثير الأدبي .

وترجع علة هذا الاعتقاد ، الى أمرين : أحدهما أن كثيراً من المؤلفين ساروا على أن الكتابة فن ، فن بالمعنى الذي نجده في رسم الصورة ، أو الوضع الموسيقي الاصطلاحي . والأمر الثاني ، أنّ كثيراً من الصحافيين ، يزعمون . أنّ الكتابة ، لا بدّ أن يشع منها البريق ، أو تلمع فيها الفكاهة ، أو تثير النشاط ، والكاتب في الصحافة . ينبغي أن تكون ألفاظه مؤثرة غير مرتقبة ، مليئة بالتأكيدات ، ليضفي ثوب الأهمية على الأحداث ، ولا يبالي العمق ، وانما التأثير في المشاعر ، وهذه السماتُ لا تتفق مع شعور الكاتب الأدبي المخلص ، والكاتب الصحافي بدلاً من أن يقول : « جلست القطة على السجادة » يقول : تمدَّدَت ، القطة ـ جريمالكين ، في ملاحة ، وأخذت تموء مواءً ينم عن الرضا المأثور ، وربضت على سجادة ثمينة ملونة من طراز يفصح عن الشرق ، وعجائب ألف ليلة » !

ومثل هذا التعبير ، رديء ، وجاف ، ومجرّد عن البساطة ومخالف لأصول الكتابة الجيدة

وما ريبٌ ، أن الكتابة فنٌ حقّاً ، ولها اصطلاحاتها ، وطريقتها ، وكلماتها المتخيَّرة ، وأسلوبها في الانسجام والوزن ، ولكن لا يجوز أن نحصر كل اهتمامنا في طريقة القول ، دون القول ذاته ، ولا يجوز لنا في هذا العصر ، أن نجاري أدباء القرن الماضي ، الذين كان يعتقد أكثرهم أنّ الأسلوب الكتابي له قيمة ذاتية مستقلة عن المعنى ، ومن بين هؤلاء نذكر جماعة « المنحطين » وعلى رأسهم أوسكار وايلد ، على حين نجد أنّ البعض الآخر من أدباء القرن الماضي ، كانوا لا يرون هذا الرأي ، فكان صمويل بطلر يقول :

« لا أعرف كاتباً مقروءاً ، يجهد نفسه ، أقل اجهاد من أجل الأسلوب » . وهنا ، قد يتساءل إنسان عن منزلة الأسلوب الموسيقي الهاز ؟ والأسلوب الموسيقي ، لاغبار عليه إذا جاء طبيعيًّا ، وكان ثمرة من ثمرات الفكرة الأصيلة ، أما اصطناع مثل هـذا الأسلوب ، والسعي إليه ، فإنما هو سعيٌ الى الادعاء والتصنع .

ويقول هازليت ، وهو من أساتذة الفكر الانجليزي : « لـكي تكتب كتابة سليمة ، عليك أن تكتب كما يتحدث إنسانٌ حديثاً عادياً ، على أن يكون إنساناً لبقاً ، له قدرة على اختيار ألفاظه ، والهيمنة عليها ، أو كمن يتحدّث في سهولة وقوّة واشراق ، تاركاً جانباً التعالم والحذلقة » وأريد أن أقول ، أني لم أفكر قليلاً أو كثيراً في أسلوبي ، ولا أعرف إن كان لي أسلوب أو لا ، ولـكنها الخاصة هي التي ألوذ اليها ، ولن يفكر رجل في أسلوبه دون أن يضيع نفسه وقراءه !

ويحسن ، اذن ، أن لا نجاري محبي البريق ، والتنميق ، وأن لا نساير الصحافيين في سطحيتهم ، وعلينا ، قبل أن نخط حرفاً ، أن نقسم ، أن لا نعبر إلاّ عما نقوله تماماً ، أو نتحدث به ، في لفظ سهل بسيط ، يوصل الى الغاية . أو الى المعنى المنشود .

***

وكل من يهوى فن الـكتابة ، عليـه أن يحتفظ بمفكرة لتسجيل خواطره اليومية ، لأن كتابة اليوميات تـعوّد الـكاتب الـكتابة في صدق ، وأسـلوب طبيعي ، لا أثر فيه للتكلف أو التصنع ، ومن نماذج هـذه اليوميات ، مفكرة الـكاتب الانجليزي الشهير صموئيل بيبيز Pepys وهو من أعظم كتّـاب اليوميات ، وقد كتبها بأسـلوب شخصي فريد ، لا بأسلوب . مزركش منمّـق ، فهي واضحة وطريفة وقوية .

وعلى الـكاتب ، فضلاً عما تقـدّم ، أن يتوخى العذوبة والايجاز ، والاصالة ، بقدر المستطاع ، دون خوف من التعبير عن نفسه تعبيراً طبيعيًّا

وليست هناك قاعدة ذهبية للـكتابة الجيدة ، كما أنه ليست هناك قاعدة ذهبية للمعيشة الطيبة ، وقد يخرج الـكاتب العظيم على جميع القواعد ، ويختط لنفسـه طريقة . ويعدّ من الـكتّاب العظام .

وأعود الى القول ، بأن جمال الألفاظ وموسيقاها ، لها قيمتهما ، على أن يأتيا عفواً ودون تعمل ، وكل مجهود يبذل لتجميل الألفاظ ، وتنسيق موسيقاها ، فهو جهد غير مثمر

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

علة الفاقة

الفاقة علـّة اجتماعية تحلّ بالفرد كما تحلّ بالدّولة وتبث شرورها أينما طاب لها المستقرّ.

ومن المؤسف حقـّا أن العالم في تاريخه الطويل — وقد تجاوز في عرف علماء الجيولوجيا ملايين السنين — لم يسلم من هذا الداء، ولم نعرف عهداً جاء خلواً من علـّة الفقر، ولم نسمع عن بلاد نعمت، ولو في آونة من حياتها، برخاء شمل الجميع وعمّ أرجاءها بغير استثناء.

فهذه العلة إذن علة ذات صفة عالميـة أممية — لا قومية وطنية — تنتشر في كل حقبة وفي كل بقعة حتى ليسع المرء أن يقول أنّ الأقمار والنجوم لا يمكن أن تنجو من داء الفقر إذا ثبت أن فيها كائنات حيّة.

واليوم، يعترض العالم بعد حرب ضروس طحنت المدنيّة ستة أعوام، ودكّت حصون العمران كالرحى، وأبادت نفوساً تقدّر عـدّتها ببضعة ملايين قد تتجاوز الخمسة، واستنزفت الذهب والفضّة وموارد الانتاج ومواد الطعام والثروة الحيوانيـة، يعترض العالم خطر استفحال علة الفاقة واستشراء داء العوز في القارة الأوربية بوجهٍ خاص، وفي بقاع العالم الأخرى عامة، وجهود المصلحين منصرفة الى هـذا الاتجاه، تروم أن تضع اليد على موطن البـلاء لتعمل على اجتثاث جذوره وقطع دابره. فمن قروضٍ يعقدها خازنو المال للشعوب المفتقرة، ومن إسعاف في الغـذاء والملبس يرسل على عجل الى أقطار أوربا، ومن مشروع يصممه الوزير الأميركي مارشال ويشذّبه اقتصاديو أوربا ويقتضيه جمهوريو أميركا ابتغاء الأخذ بناصرة البلاد التي تهالـكت تحت وطأة الحرب وغدت في حالة هي بئس الحالات.

ولـكن الباحث لا تأخذه المظاهر، ولا يستهويه معسول القول، فهو إذا أمعن في التفاؤل وسلم تسليماً أعمى بأن المدد سينزل كالغيث المدرار من الدنيا الجديدة على الدنيا القديمة، وأنّ أوربا لن تبرح حتى تصبح موفورة الغـذاء مشمولة بالسخيّ من الكسى، مغدقاً عليهـا بمال قدروا قيمته باثنين وعشرين ألف مليون دولار... إذا سلّـم الباحث بكل ما ترويه وكالات الانباء من أخبار الغوث والعون، فهو لابدّ سائل نفسه: «أفي هذه المساعي قضاء على الفاقة وقطع لدابر السغب؟ وهل حان للعالم أن يتنفس الصعداء ويرفع عن صدره كابوس الفقر الذي جثم عليه منذ حلّ البشر بأرضٍ؟».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقول العالم الاجتماعي منجولد إنّ الفقر شرّ جميع علل المجتمع فهو يحطم الحياة بأن يدفع بالناس الى الجريمة والى الشذوذات الاجتماعية ويورّط العائلات في مشكلات خطيرة المدى، ويفضي الى اضطرابات اجتماعية من كل نوع. والفاقة تودي إلى الشغب والى القصور العقلي والى أمراض قد لا يستطاع دفعها وإلى تدهور صحيٍّ بدنيٍّ.

تلك هي نتائج الفاقة، ولكن كيف تنشأ، وما هي أسبابها؟.

هناك أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة تعمل متجمعة أو متفرقة على خلق هذه العلة.

١ — وأول سبب مباشر للفاقة هو نقص الإنتاج وقصوره عن الوفاء بحاجة السكان. وثروة الشعب كما هو مألوف معروف تقاس بمدى ما تنتجه البلاد من سلع وما يؤديه أهلها من خدمات. فإذا اتبع النظام العلمي في تقدير ثروة البلاد، واتبع النظام العلمي في الظفر بالعدد الصحيح للسكان أمكن معرفة نصيب الفرد من الثروة القومية، وتسنّى من هذه النتيجة الحكم على مدى كفاية الانتاج أو قصوره.

ويقصر الانتاج عادة عن الوفاء بالحاجة إذا كانت الموارد تعاني نقصاً كأن تكون التربة غير خصبة، أو تغلّ الأرض غلة قليلة، أو يفتقر الزارع الى آلات الصناعة الحديثة التي تستخدم في الحقول، أو يكون المنتج غير ملمٍّ إلماماً علميّاً تامّاً بوسائل استنباط أقصى حد ممكن من الثروة الطبيعية، أو لسوء الأحوال الجوية، أو لتخلف الشعب عن متابعة النهضة الحديثة، أو للعجز عن القضاء على الحشرات المهلكة للنباتات أو الحيوان. وجميع هذه العوامل لا تصيب إلا الشعوب التي لا تزال سادرة في غي الجهالة يخيم على عيونها عمى البصيرة وتعجز عن استبدال المحراث الخشبي الفرعوني بآلات حرث ترفع سافل التربة وتدفن في بطنها أعاليها فما لا ريب فيه أن الدول التي استعانت بالآلة وأسرفت في تعميمها، لم تعد تشكو من علة نقص الانتاج، وإن كانت هناك علل أخرى تبعث على الجأر بالشكوى. والتقدّم العلمي إذ يتضافر مع المال والأيدي العاملة يستطيع أن يستغلّ مورد الانتاج إلى أقصاه ويهيء للجميع سلعاً. ولذلك ينبغي على الدول التي هجرت الآلة عن وعي أو عن غير قصد، أن تستعين بها، فهي معوان على تذليل الشدائد، وأداة تتضاءل أمامها عوامل الطبيعة.

٢ — وثمة سبب مباشر ثانٍ يفضي إلى استشراء علّة الفاقة واستفحال خطرها وهو: القصور الفردي الذاتي.

فإذا تعذر على الفرد أن يقتني من ضرورات الحياة ما يسدّ به رمقه ويطعم به أفراد عائلته كان في هذا نذير بدنوّ خطر آفة الفاقة. وأسباب قصور الفرد كثيرة، فقد يكون تخلفه ناجماً من سذاجة تفكيره، أو من إسرافه غير الفطن في أبواب لا جدوى من ورائها،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أو من نقص في التثقيف والتدريب ، أو من عيب بدني لا حيلة للمرء فيه ، أو من علة ورثها الابن عن أبيه .

وعلاج هذا القصور الذاتي يتفاوت بتفاوت الحالات الفردية ، فالجاهل يمنح فرصة للتثقف ، والمريض تهيأ له وسائل العلاج ، وذو العاهة يعنى بأمره في مرافق الدولة الخيرية (كالملاجىء والمستشفيات) والمنكب على لذاذات تستنزف ماله بغير فطنة يرشد إلى طريق الحكمة ، ليدخر قرشه أو لينفقه في ما يؤول للبناء لا الهدم .

٣ — ومن الأسباب المباشرة المفضية إلى تفاقم مشكلة الفقر ، الاهتمام بالذات وحب النفس . فالإنسان محب لذاته بفطرته ، أناني بطبيعته ، ولكن التثقيف والبيئة والعادات المكتسبة ينبغي أن تحد من سطوة العاطفة الإنسية الذاتية ، وتجعل أعمال المرء لا تدور حول محور ذاته ، بل حول محور أوسع وأشمل . وحسبك ان تعلم أن سيطرة الأنانية على الأفراد والجماعات في سباق الحياة من شأنها أن تنشىء منازعات وتطاحناً قد يؤول في منتهاه إلى مضرة الفريقين المتباريين . فالإفراط في التزاحم والتباري للمصالح الذاتية الخاصة يهدد بأن يستصحب في ركابه الفاقة التي تلقي عبأها على طبقات بأسرها لا على أفراد متفرقين . وحيثما كانت الثروة العامة قادرة على سد جميع الحاجات ، فإن الفاقة لا تجد منفذاً تتسلل منه إلى ذلك المجتمع السعيد إلا من ثغرة حب الذات والإثرة ، فهي طريق مضمون النجاح . وما كوارث الاقتصاد التي تنزل بالدول نتيجة المباراة في الانتاج وغمر الأسواق إلا مظهر من مظاهر تغليب المصلحة الذاتية الخاصة على المصالح العامة .

ولنرتد بعد ذلك مع العالم الاجتماعي منجولد لندرس الأسباب الثانوية التي تؤول إلى الفاقة والتواكل . وهذه الأسباب تكاد لكثرتها وتعددها تجل عن الحصر . وإذا تيسر حصرها فان بسطها ولو بالمجاز كفيل بأن يستوعب فراغاً كبيراً من دورية شهرية كالمقتطف

١ — وفي أول القائمة نجد كلمة « الحرب » مكتوبة بالخط العريض ، وهي كلمة لا تغيب عن الذهن في الجيل الحالي والمرجو أن يسلم من شرها ما يتلو ذلك من أجيال وقرون ، وتلك أمنية ترددها شفاه السائمة من سكان العالم ، ولكن أقطاب السياسة «وتجار الحروب» لا ينفكون يهددون باللجوء إلى الحرب ويتوعدون بالتلميح والإيحاء والاشارة بالنزول على إرادتها وإخضاع الأبي بالعنف حين لا يجدي المنطق والفطنة .

والحرب على العموم نتيجة مباشرة أو غير مباشرة للصراع الاقتصادي بين الأمم . وغالبية الحروب التي ألفها العالم حتى اليوم شنها قادة على قادة آخرين مستخدمين الشعوب كأداة حقد وضغينة تواصل النضال مضحية بالأرواح ونديّ الدم . وقد سويت مشكلات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كثيرة بغير حرب ، بيد أن معظم الحروب إن لم تكن جميعها لم تحل مشكلة واحدة وإن كانت قد خلفت وراءها طائفة من مشكلات واضطرابات يُعيي إصلاحها البشر ، ويعجز جيل واحدٌ عن إزالة آثارها . فالحرب لا تزيد في جوهرها على كونها إظهاراً لقوة الفريقين المتنازلين يريد كل منهما أن يسفر بقوته ويبرهن على ان له السيطرة في اتجاه على من دونه . والحرب ما برحت منذ عرفها الانسان سبباً من أسباب العوز والمسغبة ، ولا تخرج منها الدول المتقارعة إلا وقد أثقلت بالدمار والخسائر وبددت ثرواتها ، وزاد عدد المشوّهين الذين لا يصلحون للسلم ولا للحرب . وسواء كتبت الهزيمة للمحاربين أو ظفروا بالنصرة على العدو ، فالنتيجة التي لا مهرب منها هي أن الفريقين يخسران ، وإن أربت خسارة أحدهما على خسارة الآخر .

والنتيجة الأولى التي تنحسر عنها الحروب هي إبادة الثروة وإفناء الممتلكات، ودك العمران، وما نشبت حرب إلا وكانت خطراً يستنزف ثروة الشعوب ومواردها ، ويحول معداتها من مناجل للحصد وآلات للنسج إلى أسلحة قتال ومصانع ذخيرة وقنابل . أما وقودها ، فهو كل ما تملكه البلاد من مال وجاه، وموارد ورجال تلقى في آتونها فتلتهمها النار ولا يبقى منها حتى الرماد المذرّو . وسواء اشتركت الامم في الحروب أو اكتفت بالتأهب لها ، فلن تنجو من الفقر والعوز ، لأنها مضطرة في الحالة الثانية إلى اعداد الجيوش والانفاق على البحرية وانتاج السلاح والنهوض بأعباء المحاربين القدامى . وهذه جميعاً أبواب في الميزانية ترصد لها مئات الآلاف من الجنيهات لتضيع هدراً ، مع انه كان في الطاقة استغلالها في رفع مستوى المعيشة أو مكافحة الاوبئة أو إغاثة الملهوف أو إيواء المنكوب في حادث ، وما إلى ذلك من الخدمات النافعة المجدية

٢ — واكتظاظ البلاد بالسكان سببٌ آخر من الأسباب غير المباشرة المفضية الى الفاقة فاذا تعذر على البلاد أن تجد منفذاً للفائض عن طاقتها من السكان ، أو إذا عجزت عن انتاج سلع حيوية تكفي للنهوض بحاجاتهم وتهيئة وسائل العمل والمعيشة لهم ، فهي أمام أحد أمرين : إما أن تنهج نهج هتلر ورصيفه موسوليني ، فتطالب عملياً بمجال حيوي ، وإما أن تجد نفسها في هوةٍ تزداد عمقاً من العوز والفاقة .

ومصر اليوم على ما يقول استاذنا الدكتور وندل كليلاند في كتابه « مشكلة السكان في مصر » مكتظة بالسكان وغدت أرضها تضيق بساكنيها ، فلا غرو إذا كانت هذه الحالة من الأسباب القوية في تعزيز دعائم الفاقة بين ضفتي النيل ، ومن الاعتبارات التي ينبغي أن يوجه إليها أولو الشأن مزيد عنايتهم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويقول رجال الاجتماع ان النسبة بين عدد السكان ومقدرة الانتاج ينبغي أن تكون نسبة محفوظة ، فلا يصح أن ينمو عدد السكان عدواً كالأرنب ، ويحبو الانتاج زاحفاً كالسلحفاة لئلا تنفرج الثغرة ويعز العلاج . وتلك هي النظرية التي كان لمالتوس Malthus فضل كشفها ، وثبت أن أبا العلاء المعري توصل إليها قبله وصاغها شعراً رائعاً .

٣ — وهناك سبب ثالث غير مباشر يقود الى الفاقة وهو الافتقار الى التنظيم الصناعي . وللتنظيم الصناعي ركنان ركينان ينبغي أن يعهد الى اخصائيين نطاسيين في الاشراف عليهما وهما ركنا رأس المال واليد العاملة . ويدخل في نطاق « رأس المال » الإعداد الآلي الحديث والتنظيم الاداري الكفء وتهيئة الأحوال الصحية الملائمة . فإذا نظم هذا الجانب مثلاً وأغفل جانب العمال عملاً بالمبدأ الاقتصادي المعروف Laissez Faire ، كان ذلك مدعاة الى تسلل الفقر الى الميدان لأن النظام الاقتصادي لا يستقيم حتى تعزز جميع أركانه وتقوى جميع دعائمه ، وإلاَّ إنهار الصرح وخلف ضحايا كثيرين تفترسهم الحاجة وتنهش أبدانهم علل الفقر .

٤ — وثمة أسباب أخرى لا معدى عن سردها إجمالاً ، وهي الغش والتزوير والسرف والافراط والمغالاة في الربا والعادات الشخصية المرذولة كإدمان الخمر واعتياد العربدة الجنسية ورفض العمل والمرض والعجز الجسماني والخمول والجهل وتسخير الصبية في الأعمال في المصانع وحل المنظمات وخيبة الزواج وتقدم السن والخيانة ... جميع هذه عوامل تفضي الى الفقر بصفة غير مباشرة . وقد يتسبب تكاثرها وتكالبها على بلد بعينه في إنزال كوارث اقتصادية في صميم كيانه .

تلك هي الاعتبارات التي من شأنها نشر علة الفاقة في العالم ، وإذا أريد مكافحة الداء العضال فلا معدى عن بحث أصوله وفروعه والعمل على إيجاد دواء لكل داء .

ويكاد العالم يكون اليوم — بعد حرب كونية أعملت في المدنية بقنابلها وقذائفها مدافعها وصواريخها وذراتها وطوربيداتها وغواصاتها وفدائييها وغازاتها السامة ونفاثاتها لهبها ورادارها وماخرات عباب البحر ومتن الجو — فريسة سائغة لجميع العوامل التي تهيء للفاقة مرتعاً خصيباً ، فان لم تتضافر الشعوب والحكومات بعد ثويها يد العون الى فقيرها ويحمل القوي ضعف الضعيف ، فلا أمل يرجى في إصلاح المعاب ، ولا خير في هيئة أمم تلتحم فيها الألسنة بالجدال ، وتضرب قبضات أيدي الأعضاء منصات الخطابة ضربات حماسية وحيوية ، ولا مطمع في رخاء يشمل أركان المسكونة الاربعة وينعم في ظله البشر برغد وبحبوحة .

وديع فلسطين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أمراض العيون

العين وتركيبها ، كيفية الابصار وعدم الابصار ،
تأثير الهواء والصدمات ، أمراض الجفون والملتحمة ،
الرمد الصديدي والحبيبي والربيعي ، الدفتيري (الدفتريا)

هذه الأمراض التي تصيب العيون لا يتسع المجال لبحثها بحثاً دقيقاً خشية السأم كما هو الحال في شرح المسائل الطبية ، ولكن من الممكن تيسيراً للقارىء أن يلمّ إلماماً تامّاً ، بإيجاز ، بذلك كله .

فالعين — كما لا يخفى — عضو حساس يتألف من أنسجة دقيقة رفيعة لا تتحمل الصدمات ، ولذلك فانّ الله سبحانه وتعالى ، لم يترك هذا العضو الحساس بغير حماية أو وقاية . من أجل ذلك نرى أنّ هناك عوامل متباينة ، تتضافر وتتساند لمصلحة العين ، فقد وضعت العين داخل حجاج عظمي مبطن بمادّة ليفية ودهنية ، وغطيت من الخارج بالجفون لحمايتها من الخارج طبقاً لما نلخصه فيما يلي :

(أولاً)— متانة الجدر الحجاجية وتركيبها الديناميكي ، و (ثانياً) الدهن الحجاجي وهو يحمي العين من الخلف ، و (ثالثاً) الجفون وهي تحميها حماية تامة تطابقها إذا قابلها جسم غريب أو جو شديد ، بالترميش « Winking » وهو الذي يغطي سطح القرنية بالسوائل ويزيل الأجسام الغريبة والميكروبات المختلفة عنها ، ولا يمكن أن يتم حماها إلاّ إذا كان سطح المقلة مغطّى بسائل يتكوّن ويسحب بسهولة تامةٍ وهو ما نسميه بالدّمع (الدموع) ، فهو العامل الوحيد والمهم من عوامل حماية العين . وأخيراً نجد الملتحمة التي تكسو القرنية بامتدادها فتمنع الميكروبات من الوصول الى القرنية « عديمة المقاومة » ، كما تمنع الدمع من أن يتخللها فتذهب بصفائها وشفافيتها .

أما العين ذاتها فعوامل مقاومتها الداخليـة هي هدّة حساسية القرنيـة التي تسبب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« الترميش » وقفل الجفون بسرعة فائقة ، وصلابة الغلاف الليفي الخارجي الذي يتألف من الصلبة والقرنية .

وفيما يلي تفصيل لما أجملناه عن تلك العوامل :

١ — العظام الحجاجي

قيل بأن الجمجمة مؤلفة من فقرات أربع تكدّست طبقات بعضها فوق بعض نشأ عنها ذلك الوعاء العظمي وسميت هـذه الفقرات بالموخرية (Occipital) ، والوتدية الجدارية ، والجبهية ، والأنفية . والثالثة منها هي التي تهمنا ، إذ يتمثل جسمها بالجسم الوتدي ، وثقبها الاوسط بالثلمة المصفدية أو الأثمويدية (Ethmoidal notch) التي يبيت فيها العظم المصفدي ، وتتمثل صفيحتاها أو جناحاها بالجناح الوتدي الصغير ، والعظم الجبهي ، وهذه الفقرة هي التي تحمي امتداد المخ المسمى بالعصب البصري والشـبكية . وهي التي تبصر . كما تحمي الفقرات العنقية ، والصدرية والنخاع الشوكي .

ولمعرفة كيف يحمى ذلك الصندوق المفتوح من الأمام ، وهو القوي بمتانتـه من الجوانب ، الذي تبطنه من العضلات والدهن الذي بداخله نقول :

الحجاج العظمي — تتألف الحافة من العظم الجبهي والوجهي والفكي والعلوي وكلها عظام، مقاومتها كبيرة نظراً لتركيبها القوي المتين ، وصلابتها ومطابقتها لنظام ميكانيكي رائع. فاذا كانت الاصابة من أعلا على القوسي الجبهي العلوي ، انتقلت الرجة الى الجبهتين ، الفكية والوجنية ، ومنهما الى سائر عظام الوجه ، ويشبه هذا النظام القوسي القوطي (Grothich Arch) في « البناء القديم » . وكذلك الحال اذا كانت الاصابة موجهة الى القوس السفلي الذي يتألف من الحافة الفكية العليا، فان القوة تتوزّع الى عظام الجمجمة خلال العمودين اللذين يتألفان من العظم الوجني والناشرة الفكية الجبهية، فاذا اتجهت الاصابة نحو الجدار الخارجي حدث المثل، يضاف الى ذلك التوزيع على القوس الوجني وعندئذٍ يعمل كالقوس الطائر (Flying arch) الذي تقوى به الأقواس القوطية القديمـة في الـكنائس والـكاتدرائيات . لذلك نرى أنَّ الاصابة مهما بلغت شدتها فإنها تنتقل بهذا النظام الفذ الى مجموعة كبيرة من العظام المقاومة فلا يبقى تأثيرها في مكان واحد .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكذلك الجدار الخارجي ، تحميه العضلة الصدغية من الخارج ، فاذا وصلت اليه الضربة فان التشقق الذي يتسبب عنها يقف عند العقين الحجاجين العلوي والسفلي اللذين يقفان كخندق قوي يمنع الامتداد الى الجدران الأخرى ، وليست إصابة الجدار السفلي سهلة المنال ، إذ أن العظم الفكي العلوي يقف حائلاً دون ذلك ويقلل من تأثيرها ، لأن العظم لا يسهل اختراقه ولأنه يتكوّن من لوحين مفصولين بجيب هوائي ، ولا تأتي إصابة الحجاج الداخلي إلاّ بعد إتلاف محتويات الحجاج ، ولذلك ليس أمام الطبيعة من حاجة ملحة تدعو لصلابة هذا الجدار ، فإنه ينشأ رقيقاً دقيقاً تخترقه الاورام بسهولة كبيرة . أما الجدار العلوي فهو حاجز بين الحجاج والجمجمة، ولذلك تكثر إصاباته . وليس في متانته ولا في تركيبه ما يمنع من تعدّد الاصابات ، علاوة على أنّ الهرّات الممتدة إليه في إصابات الحافة العليا تسبب تشققاً بسهولة نظراً لرقته .

وهناك عامل مهم يزيد في مقاومة الجدر الحجاجية للإصابات ، إذ أنها تتكوّن — كما تتكوّن جدران الجمجمة — من لوحين بينهما نخاع عظمي تكدّست طبقاته بعضها فوق بعض مثلها في ذلك مثل الحيطان التي تبنى من طبقتين بينهما مادة عازلة ، إذ تكون أكثر مقاومة مما لو بنيت صماء من طبقة واحدة ، والعظمة الجبهية ، والوتدية ، والجدار الخارجي ، والسفلي كل ذلك يتكوّن من طبقتين ولذلك كان لها تلك المقاومة .

٢ — الدهن الحجاجي

وهذا الدهن الحجاجي عبارة عن مادّة تسهل حركة العضلات خلاله ويعمل كسند أو كساء للعين ، فاذا وجهت للعين اصابة ما من الأمام تقهقرت هذه فلا يمنعها الدهن من ذلك بل يدفعها دفعاً لطيفاً ويعيدها الى مكانها .

٣ — حركات الجفون

هذه الجفون تغلق في أثناء النوم ، وفي الضوء الشديد ، وعند القرب المفاجىء لجسم غريب ، وعند ما تلمس الأهداب جسماً صلباً ، وفي حالة تهيج القرنية والملتحمة ، وفي أثناء العطس ، كما تغلق عند تغيير أو زيادة الدموع ، وعند ما تحس بجفاف السطح القرني ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكذلك تغلق الجفون متى تهيج أي فرع من فروع العصب الخامس (Fifth nerve) ، فينتقل الاحساس منه الى نواة العصب السابع وهنا يتم الانعكاس القرني (Corneal reflex) وهو الذي يجب اعتباره من أهم عوامل حماية العين ، ومن أواخر الانعكاسات التي تختفي اثناء التخدير العام .

وللجفون نوعان من الحركة ، أولهما سريع لا يتم فيه تطابق الجفنين ويسمى الترميش (Winking) وثانيهما قوي محكم يسمى بالاقفال ويقصد منه حماية العين (المقلة) من دخول جسم مفاجيء .

ويتسبب من الترميش مواصلة انقباض الجزء الغضروفي في العضلة اللاصقة بسطح القرنية والملتحمة ، أو زيادة الدمع في الأخيرة عند الاحساس بالجفاف فيها .

أما الاقفال فيتم بتطابق الجفنين وقفل الفتحة الجفنية تماماً . وعند النوم يتطابق الجفنان بخفة وتندفع المقلة الى أعلا والى الخارج كما يرى ذلك بسهولة في النساء والأولاد خلال الجفن لرقته .

وعند فتح الجفن يرتفع الجفن العلوي بفعل العضلة الرافعة ويساعدها في ذلك العضلة التي تسمى بعضلة مولر (Mouller) . أما الجفن السفلي فانه يسقط بثقله عند فتح الجفنين وتسحبه العضلة السفلى لمولر الى تحت قليلاً .

٤ — الدموع

هذه الدموع تفرزها الغدد الموجودة بالملتحمة الجفنية ، ويمكن استمرار إفراز الدموع بكميات كبيرة جداً اساعات متعددة عند حدوث مؤثرات ، وعند وجود حالة نفسية عنيفة ، أو عند تهيج ملتحمي شديد ، ومصدره الدم ، لذلك فانه يتخلل الغدة وينساب بين طياتها (فصيصاتها) ، وينفصل الدم عن القناة الموجودة داخل الفصيص بحوائط متعددة إذ يفصله عنها الغشاء الوعائي والغشاء القاعدي للفصيص ، ويتناول هذا العامل الافرازي سرعة مرور الدم ، وزيادة ضغطه في الغدة ، وزيادة اتساع الأوعية الشعرية ، حتى انه قد ينتقل النبض الشرياني الى الوريد .

ويتغير شكل الخلية كثيراً بعد تمام الافراز ، إذ تفقد الحبيبات التي كانت بها ويزيد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مقدار البروتوبلاسم (Protoplassm) نسبيًّا ، ويبدأ الافراز بأن تأخذ الحبيبات المـاء والاملاح من السداد المجاورة ، وتتفتح وتنصرف كنقطة سائلة في القنوات التي بداخل الفصيصات . فالعمل الأول موكول الى الخلية التي تكون الحبيبات من البروتوبلاسم بالترسيب وسواه ، وتسحب في سبيل ذلك الاملاح والسوائل من الدم ، كما تأخذ منه المواد المغذية المتجهة من القناة نحو السطح .

قيمة الافراز : ولا يحدث من الافراز عادة الا ما يكفي لتغطية السطح القرني وتعويض التبخر ، ويكون ذلك غالباً من الغدد الملتحمية ، واذا زاد الطلب تدخلت الغدة الدمعية ، وزاد الافراز تبعاً لذلك . ويتجه الزائد من السـائل الدمعي من الجاف الخارجي الى الجاف الداخلي بجملة عوامل . أولها : ارتفاع الأول عن الثاني وشدة بروزه . وثانيها الحركة الاختلاجية التي تنقل الجفون برمتها نحو الانف .

ويزداد انهمار الدمع : أولاً — عند ملامسة أجسام غريبة للملتحمة والقرنية . وثانياً عند تهيج غشاء الانف . وثالثاً — عند وقوع ضوء شديد على العين . ورابعاً — عند الاحساس بجفاف القرنية . وخامساً — عند تأثير الاشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية على الشبكية وهكذا .

٥ — الملتحمة

والملتحمة قطعة من الجلد تتغير تركيبها تبعاً لوضعها فهي تعتبر كخط دفاع أمامي ضد الميكروبات التي تكثر على سطحها وسطح امتدادها على القرنيـة ، بينما تمثل الخلايا اللمفاوية وحبيباتها (Follicles) التي تكثر في طريق الخط الثاني في تلك السلسلة الدفاعية .

وتحتوي الملتحمة على غدد عرقية (هي الغدد الدمعية) وأخرى شحمية (ميبوميون) (Meibomium) وليس لها عمل إلا في حرف الجفن حيث يتطلبها الاحتكاك المستمر كما أنها قليلة الالتصاق بما تحتها

وتحتفظ الملتحمة بخاصية لا ترى في مكان آخر من سطح الجسم ، مثلها في ذلك مثل الحيوانات الفطرية ، فان لخلاياها خاصية افراز المخاط فتتورم الخلية وتمتلىء بالميوسين ، ثم تنفجر فتخرج محتوياتها كسائل يغسل السطح ويحمل معه ما علق من الميكروبات ، ولذلك فان للملتحمة آثاراً من الاهداب على قمة الحمية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦ — حساسية القرنية

ويوجد تحت سطح القرنية شبكة عصبية نهائيـة تجعل للقرنية حساسية خاصة بالحرارة والبرودة واللمس والوخز، وكلها تحدث حساسية بالالم في القرنية وتؤدّي الى إقفال الجفون بعنف

٧ — مقاومة أغلفة العين

وللعين غلاف ليفي قوي متين جدًّا نظراً لـكثرة الانسجة التي يتركب منها فلا ينفجر الجزء الخلفي من الصلبة عند الإصابة في الجزء الأمامي والعكس بالعكس إلاَّ في الإصابات المباشرة . ولذلك فالقرنية شفافة وتتأثر بالجروح (قرح العين) فاذا حصل جرح على القرنية ترك أثراً يسمى سحابة إذا كان الجرح سطحيًّا ، أو ترك عتامة (نقطة) اذا كان الجرح عميقاً أي غير سطحي ، ولذلك فانه يحجب النور الذي يدخل من القرنية الى الشبكيـة ، والعصب البصري بوساطة الحدقة كما يمنع النور من الاتصال بالعصب البصري والشبكية والمخ اذا حدث إفراز والتهاب بالقزحية ، والقزحية الهدبية فيسبب التصاقاً حلقيًّا يسد الحدقة ، أو حدث عتامة للبلورية وهذه تسمى كتركتا وهي مايسميها العامة (ميّـه أو ميّـه بيضاء).

والقرنية — في هـذه الحالة — مثلها كمثل زجاجة الساعة تماماً تكشف ما وراءها ، والهضبة الهدبيـة مؤلفة من الخلف من المشيمة والجسم الهدبي . ومن الأمام بالقزحية ، وهـذه عبارة عن حجاب حاجز مستدير في وسطه ثقب دائري يسمى الحدقة (النّـنّـي) يتألف معظمه من الأوعية الدموية الشعرية مع بعض الخلايا ومغذى بكثير من الأعصاب الحساسة معظمها العصب الخامس ، وهو لذلك يحس بأي أثر ، ويحصـل له التهاب وإفراز شديد يؤلم المريض ويحدث للعين احمراراً شديداً والتهاباً وعدم حساسية بالضوء ، حتى إنَّ المريض لا يستطيـع فتح عينيـه الاّ بصعوبة ، ويتأثر من الضوء ولا ينفعه الاّ البقاء في الظلام . ولون القزحية عسلي غامق أو عسلي فاتح كما هو مشاهد في أعين معظم المصريين ، على عكس الاجانب فعيونهم زرق . أما إذا كانت الخلايا غير ملونة بالمادة السوداء فانه يأخذ لوناً أزرق غامق أو لوناً فاتحاً تبعاً للخلايا التي به .

والحدقة مثلها كمثل ثقب آلة التصوير تتسع وتنكمش حسب الحاجة الى الضوء . فتتسع في الظلام لدخول نور أكثر ، وتنكمش في النور القوي وفي الشمس .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما « الخزانة المقدمة » فهي فضاء بين القرنية والقزحية ، بها مادة ليمفاوية . ويلي القزحية العدسة ، وهي التي تحكم وتكيّف بصر المرئيات . والجسم الزجاجي ، وهو ما يشكو منه بعض الناس بوجود أجسام سود تتحرك أمام الحدقة بسبب وجود عتامات به . ثمّ الشبكية والعصب البصري ، وهي امتداد المخ وجزء منه ، وهي التي يرسم عليها الصورة من الخارج وتأخذ رسماً في المخ ثم تنعكس وتخرج بصورتها الطبيعية ، وهي أهم نقطة حساسة داخل العين . فاذا حدث ضمور أو التهاب ، أو حدث انفصال للشبكية ، فانّ الصورة لا تصل الى المخ ولا ترسم ، ولا تأخذ اتجاهها الطبيعي ، ومعنى ذلك فقد البصر .

الأمراض

وفيما يلي تفصيل موجز لأمراض الجفون والملتحمة والرّمد الصديدي والرمد الحبيبي والبثري والربيعي والدفتريا (أي الدفتريا الرمدية) .

* * *

١ — التهاب الجفون

عرفنا فيما سبق أن للجفون غدداً دمعية وشحمية ليس لها عمل إلاّ في مكان واحد وهو حافة الجفن بجوار الرموش .

ويصاب هذا الجفن بعدة أمراض ، بينها الالتهاب ، وهو نوعان : قشري ، وتقيحي .

أما القشري فانه نوع من القشرة تملو الرموش وتسقطها وتشوّه منظر الوجه بالقشور واحمرار حافة الجفن ، وسقوط الرموش .

والنوع الثاني وهو التقيحي : عبارة عن تقيح داخل بصيلات الرموش ، وهو أشد من الأول ، لأنه يكون مصحوباً باحمرار شديد ، ويترتب عليه تقصف الرموش بل وفقدها ووجود دمامل . ويعزون إصابة الجفون بالالتهاب الى عوامل كثيرة جداً ، أهمها الفقر ، والعيشة في حالات غير صحيّة ، أو في جوّ يكثر فيه الدخان أو في عمل يقتضي الوقوف أمام النار مثل عمل السمكرية والحدّادين والطباخين ، وكذلك في وسط القاذورات كما يترتب عن الضعف السل ، أو يأتي أيضاً نتيجة أمراض الحصبة . ويحيط كل شعرة من شعرات الرموش مادة تقيحية فتصبح طافحة في الصديد وتظهر كأنها جملة دمامل بالرموش .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهو كذلك مرض معدٍ كما لا يخفى ، وقد يأتي أحياناً في حالات عدم استعمال النظارات حين تكون لازمة صوناً للنظر الاضطجاعي . أما علاج التهاب الجفون فهو النظافة والمطهرات أولاً وقبل كل شيء

* * *

٢ — الرمد الصديدي

وهذا المرض — ولا شك — معروف في جميع انحاء القطر المصري ، وبسببه تفقد العين بصرها، إما بإصابتها بالقروح فتفقد العين بصرها تماماً، وإما بترك عتامة كبيرة (نقطة)، أو بضمور المقلة ، أو ظهور عنبه (زر) فهو لذلك أخطر أمراض العين.

وقد تبين من الاحصاءات لهذا المرض في المستشفيات الرمدية الأميرية انه كان في سنة ١٩٠٤ يبلغ نحو ١٢ أو ١٤ في المئة . أما الآن فلا يصل إلاَّ الى حوالي ٤ أو ٥ في المئة بفضل انتشار التعليم وكثرة المستشفيات الرمدية والخصوصية علاوة على دقة العلاج ، وإنه كذلك بفضل المطهّرات الفعالة كالبنسلين ومستخرجات السلفاميا وسواه ، سوف تقل نسبته كثيراً .

أسبابه وعلاجه : الرمد الصديدي ليس هو ما يصيب العين بالصديد وحده بل إنه يحدث ورماً بالجفون واحراراً في الملتحمة « بياض العين » وهـذا الورم اما أن يكون خفيفاً أو شديداً فلا يتمكن المريض ولا الطبيب من فتح العين إلاّ بالآلات الخاصة ثمّ يتكوّن الصديد بين الجفون ، ولا يمكن المريض في هذه الحالة أن يقاوم الضوء فلا يفتح عينيه، وهنا يأتي الضرر من الميكروب الذي يأكل أجزاء العين بمعنى أن القرنية هي التي تصاب أولاً .

وبما أن هذا المرض ينتج من الاهمال والوساخة ، فانه يصيب معظم العائلات الفقيرة التي تعيش عيشــة غير صحية . وهو ينتقل بسرعة بوساطة الذباب ، واللمس ، والمناشف ، والمناديل ، والمخدات ، ولعب الأطفال بعضهم مع بعض .

وتختلف درجة إصابته باختلاف الميكروب الذي يسببه ، فبعض الميكروبات تسبب قرحة بالعين بين ١٢ و ٢٤ ساعة ، والبعض الآخر لا يسبب شيئاً . وتصاب العين به أحياناً ، بقرحة بين سبعة أيام أو عشرة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وميكروب الرمد الصديدي صغير جدًّا لا يمكن رؤيته إلا بالمجهر المكبر « الميكرسكوب » يضاعف حجمه نحو ٩٧٠ مرة ويتبين منه أن طوله يبلغ من اثنين الى ثلاثة ملليمترات

وتتعدّد ميكروبات هـذا المرض فمنها ستافيلوكوكس وميكروب السيلان وجونوكوك والدفتريا وسواها وأشد تلك الميكروبات فتكاً بالعين هو ميكروب السيلان « Gonocos » فانه يفقد البصر في بعض الحالات في خلال ٢٤ ساعة

وسبب إصابة العين بالنقطة في حالة إصابتها بالرمد الصـديدي يرجع الى اهمال علاجها وتأخير فحصها طبيًّا فيشتد حينئذٍ الميكروب وتبقى مقاومة العين للمرض ضعيفة .

العـلاج : — تغسل العين المصابة بالغسيل المطهر أو بالماء النظيف ، بارداً أو دافئاً ، والمس بوساطة الطبيب ، ثم عمل حقن اللبن بوساطة الطبيب أيضاً ، بمقادير خاصة ، واستعمال حقن البنسلين ومستخرجات السلفانا وسوى ذلك .

* * *

تنبيه : من الخطأ ربط العين بالقطن كما يفعل بعض النـاس ، لأنه يحجز الصديد داخل العين ، فيتوالد الميكروب ويتكاثر الصديد داخلها ، فيصبح الضرر عظيماً .

أما الغسيل ، ولو بالماء ، فإنه يطرد الميكروب ويزيله .

العدوى : ليست هناك مناعة للوقاية من الرمد الصـديدي ، فان المريض بعد شفائه يصاب غير مرة بهذا المرض متى اتصلت به العدوى .

وقد يشفى هذا المرض أحياناً من تلقاء نفسه لأنه يستمر سبعة أيام وفي نهايتها ينقطع الصديد من نفسه ويفتح المريض عينيه وتعودان لحالتهما الأولى بعد وقت قصير — اما اذا حدثت اصابة بالقرنية فلا يمكن المريض أن يفتح عينيه بعد السبعة أيام وعنـد عرضه على الطبيب يجد أن القرحة أصابت القرنية تقريباً . ولذلك كان المعتقد قبلاً أن لا تمس العين إلاَّ بعد سبعة أيام بحجة شفائها وحـدها فاذا وقعت الواقعة وأصيبت العين بالقرحة بعـد الأيام السبعة وعرض المريض على الطبيب وفاجأه باصابة العين بالقرحة استغرب وقوع الاصابة بالعين .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ — الرمد الحبيبي

هذا المرض يعرف كذلك باسم « الرمد المصري » أو « الاحمية » وهو عبارة عن وجود حبيبات على الملتحمة داخل الجفون ، سواء الجفن العلوي أو السفلي ، وهو مرض معدٍ في دوريه الأول والثاني — كما سنفصله فيما بعد — ويسبب إفرازاً بالعين ولا سيما في الصباح ، كما يسبب قفل الجفون

وقد قسمه العلماء الى أربعة أقسام :

القسم الأول : عبارة عن حبيبات صغيرة تكاد تكون غير ظاهرة على الجفون ولونها أبيض يميل الى اللون الأصفر

والقسم الثاني : عبارة عن حبيبات على الجفن « follicles » وهي متعددة فنها الصغير ومنها الكبير ، ومنها المستدير والمربع ، ومنها المبطط والسميك وسواها . والافراز يوجد بين الحبيبات أو فوق سطحها . فهو مرض معدٍ جدّاً .

والقسم الثالث : لا يوجد به حبيبات ، بل يكون قد حلّ محلها أثر التحام . وهو معدٍ . اذا لم يكن قد تكاملت التحاماته .

وتكون أحياناً مصحوبة بحبيبات رملية ، وهذه غير معدية ، إنما يلزم اجراء عملية لها ، ولا سيما إذا كانت كبيرة وبارزة .

والقسم الرابع : يكون الجفن قد شفي من الحبيبات فيصبح « أملس » ، نظيفاً . ولا عدوى منه .

ورمد القسم الأول يشفى من نفسه بمرور الزمن ، وأحياناً يتحول الى رمد القسم الثاني ، وأحياناً يشفى بالعلاج بقطرة الزنك ، أو سلفات النحاس ، وأحياناً يكون مصحوباً بافراز وهذا الافراز قد يكون غير ظاهر ، أو معدوماً ، وقد لا يشعر به المريض إلاّ إذا وجد هذا الافراز .

أما رمد القسم الثاني فإنه أصعب الدرجات كلها ، إذ أنه يحدث السحابات والعتامات وكثرة الأوعية على القرنية ، والقروح ، والشعرة ، والافرازات وكثيراً ما يكون مصحوباً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بميكروبات تسبب الرمد الصديدي نفسه ، وأحياناً يصحبـه ارتخاء في الجفون ، فتؤلم فتحة العين ، وتغطي الحدقة .

وهذا يحتاج الى المس يوميـاً بنترات الفضة ، ثم باجراء عمليـة ، ثم بالمس مدة طويلة حتى تعود حالة الجفون الى الحالة التي بسطناها في القسم الثالث ، ويغلب ظهور الشعرة اما في أثناء العلاج ، أو بعد تمامه ، مما يدعو الى سرعة اجراء عملية لها . ويسميها الفلاح : « كأس العمى » كما يسمونها « الشمرة » أو « الرفعة »

* * *

أما رمد القسم الثالث فيحتاج الى العـلاج بالمس وسواه حسب اشارة الطبيب إلى أن يصل الى درجة القسم الرابع أي ان يكون قد وصل الى درجة « أمس »

ورمد القسم الرابع لا يحتاج الى علاج ما

وليس من الضروري أن يكون بالجفن ورم أو انتفاخ يدل على وجود الرمد الحبيبي بل بالعكس فان حالة الجفون من الظاهر تكاد تكون طبيعية

ورمد القسم الثاني ينقسم الى (ا) — ما أشرنا اليه قبلاً و (ب) — تكون حبيباته كبيرة الحجم وأكثر صلابة وتحجراً و (ح) — كما في قسم (ا) ومصحوبة بالافرازات و(ء) — كما في قسم (ب) علاوة على افرازات قد تشبه أحياناً الرمد الصديدي

وتاريخ الرمد الصديدي والرمد الحبيبي معروف لدى قدماء المصريين ، فقـد اكتشف « ايبر » — وهو من العلماء المشهورين في علم الآثار — وجود نوعي هذا الرمد في البلاد قبل سنة ٢٠٠٠ ق.م ، وكتب ابقراط الطبيب اليوناني المعروف — سنة ٤٢٢ ق . م . عن مرض الشعرة وعلاجه . والعمليات . ووصف سلـس الطبيب الروماني الشهير عمليـات الرمد الحبيبي ، كما وصف حالة الجفون وصفاً دقيقاً سنة ١٤ بعد الميلاد . وكذلك وصفه كاسيس فيلـكس سنة ٤٤٧ بعد الميـلاد أيضاً ، ووصف بيزانتين الطبيب اليوناني الشهير المرض الحبيبي سنة ٦٠٠

وقد عرفه في العهد القديم الالآـه توت وكان يعتبره قدماء المصريين الآـه الطب وله بحوث طبية ورمدية وتطهير ، والعلاج بسلفات النحاس « التوتيا الزرقاء » والزنك .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما أطباء العرب فقد وصفوا عمليات القمرة كما وصفوا الرمد الحبيبي ، بينهم عمر الموصلي سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد ، والقاذلي.

ولما غزا نابليون الاراضي المصرية سنة ١٧٩٨ — ١٨٠٢ أصيب جنده بالرمدين الصديدي والحبيبي اصابات عديدة كانت سبباً في اعادتهم الى بلادهم وكانت نسبة المصابين بالعمى من بينهم كبيرة جداً.

وتبلغ نسبة الاصابة بالرمد الحبيبي في ريف مصر بين ٩٧ و٩٨ في المئة

وبلغت نسبتها بين تلاميذ المدارس نحو ٩٥ في المئة ثم قلت الى نحو ٩٢ في المئة نتيجة العناية التي بذلت في سبيل علاجهم .

والوقاية من الرمد هي النظافة التامة وعدم الاختلاط بالمصابين أو مصافحتهم ، أو استعمال الأدوات التي يستعملونها.

* * *

قلنا في ما سبق أن الرمد مرض مصري قديم ، وان قدماء المصريين بحثوه وعالجوه ، ونقول هنا انهم استعملوا في هذا العلاج الزنك وسلفات النحاس (التوتيا الزرقاء)— ولا تزال تستعمل الى الآن بعد ما تبينت فائدتها في علاج الرمد الحبيبي .

ولا علاج للرمد الحبيبي سوى القطرة في الحالات البسيطة ، ثم المس والعملية والنظافة وعلاج المضاعفات — وفي حالة وجود الشعرة ، يكون بالعملية ، وليس بلقط الرموش فانها لا تلبث ان تعود الى الظهور بعد نحو ١٥ أو عشرين يوماً .

وليست الشعرة معدية بل الرمد الحبيبي هو المعدي ، وكما أن الرمد لا يسبب ضعف النظر فكذلك المس لا يقوي البصر الا إذا كان الرمد مصحوباً بمضاعفات .

وقصر النظر شيء والرمد شيء آخر ، بل ان قصر النظر يكون طبيعياً مثل قصر الميوبيا Myopia وعلاجه النظارة .

ومع ان الرمد الحبيبي شديد العدوى فانه الى اليوم لم يكتشف له ميكروب خاص ولا تزال تجري البحوث للوصول الى معرفة أصله .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما الرمد البثري وهو التهاب بسيط في الملتحمة، فيحدث من وجود بثرات على الملتحمة (أي بياض العين) أو على حافة القرنية، وتسبب انهمار الدموع، وعدم مقاومة الضوء، ويعزى سبب ذلك الى الضعف، ولا سيما اذا وجدت مع الغدد الموجودة بالعنق وهي التي يقال أن أصلها درني، غير أنها توجد في أشخاص سليمي البنية، كما انها توجد في الأولاد بين سن الخامسة والخامسة عشرة .

***

الرمد الربيعي : والرمد الربيعي يشبه الرمد الحبيبي في درجة القسم الثاني(ب)، وقد يصيب الملتحمة الجفنية، والملتحمة القرنية، وأحياناً يصيب الاثنين معاً . فاذا أصاب الملتحمة الجفنية ظنه بعض الأطباء انه رمد حبيبي، وعالجه بالمس والعملية، ولكن المرض في هذه الحالة يزداد سوءاً، وهو يكون مصحوباً بأكلان وكرش بالجفون لا يقوى المريض على احتماله مهما كان الدواء الذي يستعمله .

واذا أصاب الملتحمة القرنية، كانت حالتـه كحالة التهاب القرنية، ويحصل بروز بسيط في الأوعيـة على سطح الملتحمة والقرنية، ويكون هذا الالتهاب والاحرار محدوداً أو عامًّـا حول القرنية .

وقد ظنّ بعض الأطباء أنّ هذا المرض يظهر في شهور الصيف، غير أن البحوث دلّـت على ظهوره صيفاً وشتاءً، ويصاب به الرجال والنساء على السواء بين سنّ العشرين والثلاثين . والغريب ان هذا المرض قد يزول وحده أحياناً بغير علاج ولا يعود المريض مرة ثانية . وأحياناً أخرى لا يزول بالعلاج اذ لا يلبث أن يعود الى المريض فلا يقوى على احتماله وقد أدى بحثي الى عملية تمنع بها عودته بتاتاً .

(البحث تتمة) الدكتور عبد المسيح جرجس

طبيب العيون

التجديد
والأدب العربي

شعلة سرت من جزيرة العرب فأنارت تخوم الشرق أدانيه وأقاصيه فعمرت الرؤوس وأنطقت الالسن تلك هي لغة العرب ، وقد عصفت في عصورها الحدثة ريح صرصر عاتية من معامي الغرب فهبت على هذه الشعلة تريد أن تطفئها ولكنّ الله حافظها وإن انزوى بصيص من شعاعها في نفر خفت هامهم مشغوفين بالمدنيـة الغربية ، تلك الريح هي لغة الغرب وقد أحدثت أدباً ما عتم أن هجم من باب المدنية فشغل مناطق الناس في مجالسهم ونواديهم وبيوتهم وصحفهم وقد ركب أصحابه من رؤوس الناس يستميلونهم الى الأخذ بمعاقد هـذا الأدب السفساف والاستضاءة بمعانه ولكنه قطع الليل المظلم . غير أن شبابنا لا يجنحون إلاّ إلى ما تستسيغه المدنية الغربية وما يتسهل عليهم الأخذ به وهو في الحق لا يتصعب في درسهم ولا يقطع من زمن لهوهم ولا يجحد ذلك أدباؤنا الذين تقصوا كتب الأدب قديمه وحديثه وتكشفوا أسرار علومه فحذقوه بعد جهد حتى كانوا أثبت في الدار من الجدار لا يتأودون عما استنفدوا فيه أعمارهم بحثاً وتنقيباً واستنهاجاً لنهج المتقدمين وإن تحقق للمحدثين الظفر والغلبة في هذه الأيام على أهل الأدب الحق القديم فكانوا أكثر عدداً وأشيع أدباً وأحظى إكباراً عند شبابنا المصري بقدر ما أوتي نصيباً من لغة العرب وله في ذلك شبه تعذر اذ قد ثبت في نفوس الشباب ذلك الميل الى التجديد وكلما قرب الانسان من المدنية ازداد حاجة الى التجديد وازداد ازدراءً بالقديم .

غير أن التجديد لا يتناول كل شيء فالدين مثلاً لا يقبـل تجديداً ولغة القرآن لا تقبل تجديداً لا في أسلوبها ولا في ألفاظها الاّ مازجً فيها من ألفاظ غيرها ما ليس له مسمى فيها وتلك ضرورة ، فاللغة العربيـة لا تبقى حافظة كيانها وعظمتها إذا أقصينا لفظاً قديماً عن الاستعمال بدعوى أنه حوشي ، فينسى ثم لا يكون له أثر بعد ذلك فينفرط عقد اللغة ويذهب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بهاؤها بذهاب ثروتها بألفاظها . ولا شك في قدم القرآن وعظمته لفظاً وأسلوباً ومعنىً : يتداعى إلى الانحلال أمام كل أولئك بناء الأدب الحديث . ولا ريب أنّ في القرآن جمّا من ألفاظ قد لا يستبينها حقير العلم باللغة من رجال الأدب الحديث فيتوهمها متعاظلة متنافرة،والقرآن روح اللغة وجسمها فاذا تجسّم خيال التجديد في الأذهان ولعب الاغرام به في الأدمغة نائياً جانباً عن القرآن والحديث وكلام القدامى من فصحاء العرب بدعوى تسولها نفوس طلاب التجديد أنها ليست من الفصيح ما دامت مشحونة بألفاظ تنبو عن أفهام مراض الافهام فيعدونها سامحهم الله غريبة متعاظلة،وما دامت سياسة التعليم في بلادنا بعيدة عن أخذ النشء بالاضطلاع والتنقيب في المعاجم وأسفار الأدب القديم ثم هم لا يأخذونهم باستظهار طائفة من مرادفاتها في كل ناحية ينحوها الكاتب فيتمكن من تجويد كتابته ودفع الوصم والنقص عن لغته،وما دامت سياسة الصحفيين والقصصيين في كتاباتهم تحدوهم أن يكونوا بناحية عن أخذ القارئين بالأساليب المرتابة عليهم،ما دام هؤلاء وأولئك يحبسون عن أقلامهم الألفاظ السوامى عن الأفهام الفضة لتعلة أنها قديمة ووعرة عليهم كان للمعلمين وللصحفيين سوء الأثر في لغة القرآن والسنة .

ومن عبث الأيام أننا نرى فئة الأدب الحديث لا يأ [illegible] خديعة ولا لتأليف قديم في الأدب العربي وبخاصة المنبسطة في الوجوه والعلل النحوية والصرفية وهم يكرهون ذينك الفرعين للأدب في النحو والصرف إما لمجرد انصرافهم عن القديم وإمّا لأنهم لم يستبطنوا قواعدها .

وقد أجمع قدامى ومحدثو رجال الأدب المحققون الا بعض من حبس بنانه للصحافة أو كتابة القصص وجنانه للتعليم أنّ للأدب أصولاً من الكتب القديمة يجب أن يحذقها الأديب وأكثرهم خصص منها الكامل لمحمد بن يزيد المبرد، وأدب الكاتب لأبي محمد بن عبدالله ابن قتيبة، والبيان والتبيين لأبي عثمان عمر الجاحظ، والنوادر لأبي علي القالي البغدادي،وجعلوها أصول هذا الفن وأركانه وما سواهنّ تبع لها متفرع عنها وكلها مفرطة في قواعد النحو مشحونة بتصاريف الصرف مترعة بأبحاث لغوية يستدل منها في كثير من نقد أبيات لمختلف الشعراء في مختلف العصور لم يسلك فيها ناقدوها مسلكاً مأمون النقد والكمال لله وحده ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهؤلاء يرون أن أصول مباحثهم هـذه وبخاصة النحو وهو عماد جُمل الكلام وتوثيق ربطه وقوام المعاني فلا يستقيم معنى لكاتب إلا بمعرفته وأن الآخذين بمعاقد الكتابة ولا أخالهم ينكرون ما يعلمون أن النحو والصرف قد ذهبت بهما أهواء مبغضيهما في دور الصحافة والتعليم وجو التأليف القصصي ببلادنا مع حفظ ما يقف عنده العلم الصحيح ببروز من حذّقتهم معارفهم وتحررت أقلامهم فلهم في نفوسنا من الاعتراف بما أوتوا نصيباً موفوراً من فضل على الأدب والكاتبين وأولئكم بعد من أن يروا ما يرى بعض الكتاب أنهما لا تستوجبهما الكتابة ولا تستدعيهما صناعة الأدب وحسب الكاتب من النحو والصرف القدر الطفيف المقرر في كتب الدراسات المدرسية على إن كثيراً من أبوابهما لا يحتاج إليه الكاتب وإننا نرى وليس ينكر أحد ما نرى أن بين الصحفيين وطلاّب المدارس من يجنح في كتاباته الى سخف التركيب هروباً من تركيب يوضحه الاعراب وهم بعيدون عنه . ومما يقضي منه العجب انّ من القوّامين على التعاليم في مدارسنا من يرى أن هذه الكتب التي ذكرنا منها جانباً وما نهج نهجها قبور من الأوراق لا يصح أن تعد من آلات الأدب العصري ولا تقع من معارف الأدباء فيجب أن تهمل إهمالاً أو تمحق من الوجود محقاً ليكون النشء بنجوة عن اضطراب عقله لأنها تكاد تطمس منه أدباً أخذه به معلموه وتذهب من خصائصه مقوّماته التي روّضوه عليها بما يلائم عصره وهذا قليل من كثير يلهج به معلمونا وصحفيونا . ولا أراني ملوماً إن قلت إن لغـة العرب تذبح على هيا كل العسف برأى ومسمع من أولئك القوّامين عليها وهم الذين كشف الله عن بصيرتهم في دركها وتكشف أسرارها ولا يؤخذ عليّ ان قلت إنّ العصبية لهـذه اللغة إذا ضاعت في رجالها ذهب بهاؤهم وتداعت عظمتهم ولا يداخلني شك في أن أدباءنا كالعقاد والزيات والمازني والجارم وزكي مبارك ودريني خشبة وطه حسين وغير أولئك ممن برزوا في ميدانها عالة على الأمة وجناية على اللغة في بلد عربي إذ لا حاجة لأدبهم ما دامت اللغة في قبضة الموت وهم رجال لم يبلغوا ما بلغوا من سموّ المقام إلاّ بما أوتوا نصيباً موفوراً من أسرارها وحلقوا في جوّ دقائقها من أصول وفروع ، لذلك لا يسأل في أمتنا غير أدبائنا وعلمائنـا في اللغة أمام الله عن لغة كتابه وأمام الأمة عن لغة قوميتها وتلقاء الضمير عما قلدتهم الأمة زعامتها ، تلك الأمانة التي يجب أن يؤدوها بالمحافظة عليها من أيدي العابثين المغرورين الذين يعملون جهدهم اليوم لاستبدال غيرها بها، فاللغة قوام معلومات أمتهم وداعية ثقافتها وسر عظمتها، وربما كانت أصل بقائها في هذا الوجود .

وإلى هنا أستوقف القلم .

محمد توفيق عز

كيف يتكلم الموتى

للعلامة الروحي الشهير شو دزموند

يسألني أولئك الذين لا تفوتهم الدعابة أبداً : وما فائدة الكلام مع الموتى ؟ هل هم يا ترى يعرفون أكثر مما نعرف ؟ هل هم دائماً خير منا وأعقل ؟ » .

إنه بقطع النظر عن العزاء الناجم عن مخاطبة من أفقدنا الموت إياهم مؤقتاً فإننا أحياناً نتصل بالأرواح العلوية الكبرى . وهذا الى أن حرماننا أنفسنا من مصادر عوالم الروح ومواردها الواسعة حماقة تشبه حماقة حرماننا أنفسنا من مصادر عوالم الدين ومواردها — ولست أقصد بالطبع من الدين تلك العقائد التي يخترعها البعض .

وعدا هذا فإن جماعة الأرواح المتوسطي الحال الذين يتصلون بنا ليسوا أحجى منا نحن سكان الارض — إنهم أحياناً يكونون أقل منا حجى . والواقع أن كثيراً من الاحاديث العادية من عالم الموتى قد يكون من الخير ألا نذكرها . ولا شيء يزيف ويفسد أكثر من التصديق الساذج لكل شيء تتضمنه هذه الاحاديث ، ومن جهة أخرى لا شيء يساعد المحزون وينعشه كبعض هذه الاحاديث .

وقد يظن قرائي أني حين أقول إني كلمت الموتى ورأيتهم أن في الامر خداعاً . ولكن لا خداع البتة ، فأمامي سجلات ومدونات عن ١٨١ جلسة من جلساتي الخاصة مع الموتى ، وأعرف ألوف الجلسات غيرها ، وفي هذه المدونات التي تدون خلال تلك الجلسات أو عقب نفضها مباشرة تجد الاحاديث مع الموتى وقد سجلت بطريقة الاختزال كما سمعت ، كما ذكرت كذلك الاماكن والاسماء ودرجات الحرارة وكثير من التفصيلات الاخرى . وقد عقدت هذه الجلسات الـ ١٨١ تحت رقابة شديدة . فالأبواب مغلقة ومحروسة ، وفي بعض الجلسات كان يحضر رجال العلم ، وكذلك كان يحضرها أناس يعرفون « الموتى المتكلمين » كل المعرفة حينما كانوا « أحياء » فكانوا يساعدون على تحقيق التفصيلات الدقيقة الخاصة بهؤلاء الذين نسميهم موتى .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا عجب إذا رأينا علماء عالميين من أمثال الأساتذة بوزانو وريشيه ولاركن ، والأخير هو مدير مرصد لاو Lowe بكاليفورنيا ، قد اضطروا في النهاية لقبول كل النتائج الرئيسية في هذا الصدد ، وكثيرون منهم حاربوا البينات المقدمة سنين طويلة ، ولكن صدق هذه البينات ومتانتها قد أقنعتاهم بأن الإنسان يتمتع بالحياة بعد ذلك الموت الجسماني . وقد ذكرت في مؤلفاتي الكثيرة أسماء كثيرين من أمثال هؤلاء العلماء .

وهنا أقول لقرائي الذين يقرأون كلماتي هذه إنهم غير مجبرين على تصديق ما يصدقه هؤلاء الناس اذا لم يتبينوا ذلك هم أنفسهم . ومهمتي هنا أن أدلهم كيف يتبينوه ويثبتوه . فكيف يكون ذلك ؟ .

حينما تكلمت مباشرةً مع صديقي تمبل ثرستون كاتب الروايات التمثيلية ومؤلف رواية « اليهودي التائه » لم أستمع إليه وهو يحدثني بصوت الوسيط ، ولكنه كلمني من المواجهة مباشرةً أمام عدد كبير من الناس ، وحينما سألته تحقيق شخصيته أدلى إليّ بالاسم الذي كنت أنا وحدي أناديه به وهو على الأرض .

ودخل سير ارثر كونان دويل الكاتب الشهير الذي ألف روايات شرلوك هولمز والروحي اللبق الدقيق بعد وفاته بقليل حجرة التحضير ليناقشني في بعض روايات تمثيلية كنت أكتبها إذ ذاك . ولكي يثبت لي أنه هو كونان دويل حين تحديثه ، ذكر لي المكان الذي احتمينا فيه أنا وهو في مدخل بيت مقابل لمحطة فكتوريا بلندن .

وتحدث أمامي ممثلون انتقلوا الى عالم الروح منهم نيلسون تري ورودولف ڤالنتينو أحاديث طويلة مع أقاربهم وصحبهم ، وكان ذلك في المعمل الذي نسميه « حجرة التحضير » وقد بعثوا برسائل هامة من الجانب الثاني وكانت رسائل سديدة منسقة اعترف متلقوها بصحة محتوياتها .

وقد يسر قرائي أن يعرفوا أن رودولف في العالم الثاني ما زال يتابع عمله الفني ، فهنالك في عالم الروح توجد المسارح ودور السينما والمدارس والمعابد .

وإذن فما هي الآلة التي بها يتواصل الموتى مع الأحياء ؟

فأولا يجب أن تعلم أنهم يعملون ما نعمله نحن حين نريد التكلم عن بعد مع صديق لنا إنهم يستعملون نوعاً من تليفون يسمونه « صندوق الصوت » ويستطيع أصحاب الجلاء البصري رؤيته .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولـكن قد تسألني « وما هو صاحب الجلاء البصري ؟ » .

صاحب الجلاء البصري ذكراً كان أم أنثى هو الشخص الذي له قدرة على ما يسمى رؤية غير المنظور أو الرؤية عن بعـد . ولصاحب الجلاء البصري والسمعي عيون وآذان من الحساسية بحيث ترى وتسمع ما لا يراه ولا يسمعه الشخص العادي لأنه لا يستطيع « التقاط » الاهتزازات .

نحن كلنا أجهزة راديو لا أكثر ولا أقل ، فمن الحقائق العلمية أن الانسان العادي يسمع من الأصوات ويرى من المشاهد التي تحيط به جزءاً صغيراً . والوطاويط مثلاً تصدر عنها طيلة طيرانها أصوات نفاذة مرتفعة الدرجة ولـكنا لا نسمعها لأن آذاننا لا تستطيع « التقاط » الصوت فأصحاب الجلاءين البصري والسمعي يستطيعون فعـلاً أن يروا العالم الثـاني ويسمعوه ، فهم يسمعون الموتى الأحياء أبداً يتكلمون ويرونهم يغدون ويروحون . وقد رأى ألوف من الناس الوسيطة الـكبيرة استيل روبرتس فوق منصة قاعة ألبرت ،وقاعة كوين وهي تصف في دقة وصدق أقوال الموتى وأعمالهم وقد أحاطوا بها فوق المنصة .

وأنا نفسي رأيت وسمعت أقاربي الموتى في بهرة الضوء ، ولـكني مع ذلك لا أدعي أني من ذوي الجلاءين البصري والسمعي . وقد سمع أولئك الموتى كثيرون من الناس في نفس الحجرة .

يمكن سماع « الصوت المباشر » للميت خارجاً من الهواء، ولقد سمعنـا ثلاثة أصوات تتكلم في وقت واحد في أجزاء متفرقة من الحجرة . والصوت المبـاشر هو الصوت الحقيقي للميت ، وهو يـسمع كما كان يسمع صوته فوق الأرض قبـل مماته ويمكن تبينه على الفور

وأحياناً يتكلم الميت — ذكراً كان أم أنثى — خلال حنجرة الوسيط الذي يكون واقعاً إذ ذاك في الغيبوبة ، وقـد يكون الوسيط في بعض الأحيـان واعياً . ولـكن سواء أكان هـذا أم ذاك فلا بد من وجود وسيط كما لا بد في حالة الراديو من وجود بطارية (أو تيار) . فالوسيط بالاختصـار – ذكراً كان أم أنثى – بمثابة تليفون بعيـد المدى أو راديو . ونحن هنا على الأرض لا نستطيع استعمال جهاز التليفون أو الراديو دون كهربائية .

***

ولنتجه بعد ذلك الى حجرات التواصل أو معامله في الجانب الآخر من القبر ، والى من فيها من الناس لنعرف ما يفعلون وكيف يفعلون .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ففي غرفة التحضير في دنيانا نجد عادةً (ا) وسيطاً أو بطارية القوة جالساً فوق كرسيه ذكراً كان أم انثى ، فاذا كان وسيطاً للغيبوبة فانه يعد نفسه للوقوع فيها ، واذا لم يكن وسيط غيبوبة فهو يجلس بارادته واعياً ولكن ساكتاً .. (ب) ونجد « الجالسين » أو الزائرين وقد يبلغ عددهم من ستة الى خمسين (ح) واولئك المكلفين بحراسة الباب المغلق (ى) وبعض العلميين الذين يحضرون ومعهم آلات التصوير وغيرها .

ويكون في الحجرة عادةً فونوغراف لأن الموسيقى تساعد مساعدة عظمى على ترنيم الاهتزاز بين عالمي الأحياء والموتى ، وذلك برغم ان الموسيقى توقف حينما تجيء الارواح لتتكلم .

وأما في الحجرة التي في العالم الثاني فيوجد كما تقول الأرواح وأيدهم ذوو الجلاءين البصري والسمعي (ا) الروح المرشد أو الروح المهيمن، وهذا عادةً يكون روحاً سامي العقل مرهف العاطفة . (ب) ومع هذا الروح جلساؤه من الأرواح وهم أولئك الموتى الراغبون في التكلم مع الأحياء — والواقع انه لا موت لأن الجميع أحياء (ح) حراس الأبواب من الأرواح وهم المراقبون الذين يمنعون في عالم الروح تدخل الأرواح الشريرة أو الماجنة الكذبة الأدعياء كما يمنع رجال الشرطة فوق الأرض مخالفي النظام في الاجتماعات العامة أو الشوارع و (ى) الصندوق الصوتي الذي يشبه في تأثيره كشك التليفون الذي يدخل فيه الموتى الراغبون في الكلام ، وهذا يستلزم مراناً .

ويحمل تليفوننا الأرضي صوتنا الآدمي الهزيل الى أقاصي الأرض بأجهزة التجديد والتكبير كما هو الحال مع الميكروفون فيستطيع المستمع في استراليا مثلاً التقاط الصوت ويعمل « الصندوق الصوتي » نفس العمل ولكن بتخفيض درجة اهتزازات صوت الروح المتكلم حتى تستطيع الأذن الأرضية المنخفضة درجة الاهتزاز ان تلتقطه وتفهمه . وأذكر قرائي مرة أخرى ان « الصوت المباشر » يمكن أن يسمع من كل الموجودين في قاعة كبرى .

* * *

وقد حدث أخيراً أن أقيمت اجتماعات عامة في القاعات العامة في انجلترا حضرها ما يزيد على الألف ، وخطب المجتمعين « موتى » بأصواتهم المباشرة . وكان من بين هؤلاء « الموتى » الخطباء لزلي هوارد والين تري والعلامة أوليفر لودج .

ترجمة

احمد فهمي ابو الخير

نظرية الذرّة

إن فكرةَ تكوين المادة من ذريرات صغيرة جدًّا ، على اختلاف أنواعها وترتيبها بهيئات مختلفات تظهر بها هذه المادة،كانت فكرة مرتبكة على زمن فلاسفة قدماء اليونان الذين نجد شرحاً وافياً عن أعمالهم في كتاب « درس التركيب الكيمياوي » تأليف السيدة المتوفية « فروبند » . وكيفما كان فان نظريات تركيب أو تكوين المادة لم تكن في العالم القديم إلاّ تصورات أو بالأحرى تخمينات غير مبنية على البرهان العملي : إننا لا نسمي العجوز الانكليزية المتنبئة مخترعة السيارة لأنها تنبأت أن سيأتي زمن تسير فيه العربات بلا خيل ، كما أننا لا نعتبر فلاسفة قدماء اليونان مخترعي نظرية الذرة ، فان الذي يستحق هذا اللقب الرفيع هو « جون دالتن » الذي ولد عام ١٧٦٦ وتوفي عام ١٨٤٤ للميلاد.

كان دالتن استاذاً في احدى المدارس ، وكان مولده في إيكليزفيلد في مقاطعة كمبرلند ، وقد درس علوم الآداب مثل جميع تلاميذ عصره ودرس شيئاً من العلوم الرياضية ، ولا بد أنه بوساطة هذه الآراء العلمية قد فهم شيئاً عن تركيب المادة وأطال البحث عندها واطلع على آراء نيوتن بهذا الشأن ، وأخيراً هذب النظرية ووضعها في قالب شرح فيه بعض الحقائق التي كانت معلومة وأثبت ذلك بالبرهان العملي الإيجابي أو السلبي الجزئي ان لم يكن الكلي. ومن الضروري أن نلاحظ أن « دالتن » لم يصل الى نظرية الذرّة بوساطة عمليات أجراها بل وصل الى ذلك بالتفكير في إيجاد النظرية أولاً ثم في اجراء التجارب لامتحانها وإثباتها .

لقد بنى دالتن أهم نقاط نظرية الذرّة على ما يأتي :

أولاً — تتألف المادة من عدد كبير من الذريرات التي تسمى بالذرات (معنى كلمة ذرّة غير قابل القسمة وسميت الذريرات بذلك لأنها اعتبرت غير قابلة القسمة ، كما هي الحالة في الجزيئات . إن الذرّات المركّبة من المركّبات لدى القسمة ، بلا شك تنقسم الى ذرّات جزئية وبهذا المعنى نرى أن الذرّة المركبة أيضاً قابلة القسمة أو هي على الأقل أصغر قطعة في المركب الذي يمكن أن نراه) .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثانياً — إن جميع الذرّات ذوات الجزء متشابهة في جميع الأحوال ومختلفة كل الاختلاف عن الجزيئات الأخرى .

ثالثاً — الذرّات غير قابلة الائتلاف ، وغير ممكن تكوينها أو خلقها .

رابعاً — يحصل التركيب في تكوين أو تأليف المركّب بين الوحدات الصغيرة من اعداد ذرّات الجزء المكوّن .

خامساً — ان جميع الذرّات المركّبة في المركّب متشابهة كل التشابه .

من هذه القواعد (Postulates) لا يمكن الوصول الى النتائج التي يمكن اختبارها بوساطة التجارب مع علمنا انه قد مضى على هذه القواعد زمن لم تكن فيه شيئاً مذكوراً . هذا يجعل في الحال نظرية الذرات مبنية على أساس علمي متين ، ويبرهن هذا على صدق هذه النظرية : لا تنفع النظرية العلمية إلاّ إذا صح اختبارها عملياً ، إما رأساً أو بالوساطة ، ورغماً عن هذه الحقيقة التي لا ريب فيها نجد ان كثيراً من النظريات التي لم تختبر لا تزال يُرتأى بها مذكورة .

إن أول ما يستنتج من نظرية الذرّة يسمى « بقانون التركيب الثابت » يعني ان عين المركب الكيمياوي يتألف دائماً من عين الجزيئات الممزوجة بمقدار ثابت الأوزان — ويستنتج هذا من نقاط نظرية الذرة ٢ ، ٤ ، ٥ المذكورة سابقاً . ولما كان هذا أول قانون نصادفه في علم الكيمياء وجب علينا ان نعرف تمام المعرفة ماذا يقصد بكلمة قانون في هذا الموضوع : لهذه الكلمة معنى خلاف المعنى الموجود في جملة « قانون الجزاء » . ومن العبث أن يظن انه إلى زمن « دالتن » كانت التراكيب الكيمياوية لا يجري عليها قانون ، وان الماء مثلاً كان يحتمل ان يتركب تارةً من القصدير والرصاص إذا أريد ذلك ، وأخرى من الهيدروجين والاكسجين . وليس من المعقول أيضاً أن نتصور مجازاة المركب الكيمياوي إذا خالف قانون التركيب الثابت (مع ان كثيراً من الكيميائيين في منتصف القرن التاسع عشر كانوا يودون من صميم قلوبهم ان يحكموا على الـ Nitrice Oxid إما بالاعدام أو بالاعمال الشاقة لأنه لم يطع قانون الأعداد المزدوجة)

لقد عرفنا إذن ما ليس بالقانون الكيمياوي وقد بقي علينا أن نقر ما هو القانون الكيميائي ، وهذا سهل جداً إذا أخذنا مثالاً بسيطاً . القانون الطبيعي ان لكل إنسان عينين ، وهذا لا يمنع الانسان من قلع عينه إذا لم يوافقه هذا القانون ، كما انه لا يمنعه من ان يحمل عيناً ثالثة زجاجية في جيبه ، وحقيقة ان للانسان عيناً ثالثة في قفه أو أعلى رأسه كما خبرنا عنها علماء الحيوان : ومما تقدم يتضح لنا انه من البديهي أو الطبيعي ان يكون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لكل انسان عينان وهذا اختصار في الاختبار التجربي وهو ينطبق كل الانطباق على القوانين الكيميائية ومعنى قانون « التركيب الثابت » انه لم يكتشف للوقت الحاضر مركب مختلف التركيب ، ولو وجدت هذه المركبات لاختفى القانون — ومن هنا نرى الفرق بين قانون الجزاء والقانون الكيميائي : فلو حكم على انسان بغرامة مقدارها جنيه واحد لتركه كلباً يتجول في الأسواق نجد انه لا يحصل للقانون بعد ذلك أدنى ضرر .

لنبحث الآن عن العلاقة بين قانون التركيب الثابت ونظرية دالتن في الذرّة : حقيقة الأمر انه اذا صدقت النظرية فيكون من المشاهد ان كل ما يتألف منه المركب الكيميائي يجب أن يكون دائماً ثابتاً . هل من الضروري إذا وجدنا بوساطة التجربة أن ما يتألف منه المركب الكيميائي هو ثابت وهل نظرية الذرة حقيقية ؟ فلو فكرنا قليلاً نجد أن هذا غير صحيح وقليل من التروي يجعلنا نعتقد ان ذلك ليس كذلك كما هو الواقع : لنفرض أن رجلاً كان مسافراً في القطار ، ومن هذا يمكننا أن نتصور نظرية السفر عليه . فننتظر بالطبع أن يأتي الرجل الى المحطة ويشتري تذكرة السفر وان يأتي قبل قيام القطار وان يسرع اذا كان متأخراً وان يحمل معه حقيبة . ولنفرض الآن اننا نرى رجلاً آخر سائراً الى جهة المحطة فهل نستنتج من ذلك أنه سيسافر في القطار ؟ لا شك : لا . فلربما ذهب هذا الرجل ليقابل صديقاً له أو ليطالب بثمن ما أتلف له من البضاعة أو لغير ذلك من الأسباب، الا أن ذهابه نحو المحطة ينطبق على نظرية ذهابه بالقطار ولكن لا يثبت ذلك . لنفرض أن الرجل كان يركض وكان قد قرب وقت قيام القطار وكان يحمل حقيبة وذهب الى مكتب صرف التذاكر ليشتري تذكرة السفر فهل اثبت النظرية الآن ؟ كلا . فلربما كان الرجل مأجوراً من قبل أحد أصحاب الصور المتحركة على ذلك العمل أو كان معتوهاً ، ولا نتأكد حقيقة ذهابه بالقطار الا إذا رأيناه يصعد اليه ويتخذ له مكاناً فيه : فهذا يثبت سفره ويجعل هذه النظرية أصح من نظرية صاحب الصور المتحركة أو نظرية المعتوه وتقبل هذه النظرية لعدم وجود الاثبات الكافي للنظريتين الآخريين .

هذه تماماً عين الحالة التي وجدت فيها « نظرية الذرّة » في القرن التاسع عشر ، فلا أحد رأى الرجل يصعد الى القطار ويسافر فيه مع أن البرهان كان في الحقيقة قوياً ، ولم توجد شهود الحال حتى في أول سني القرن الحاضر .

يافا — فلسطين

شريف النشاشيبي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



عالم الدماغ

شعر علمي فلسفي

الرأس يحسب سيد البدن ... فيه الدماغ الواضع السنن

ملك محتمة أوامره ... ما كان في سرٍّ وفي علن

والجسم مملكة منظمة ... أحكامها محدودة الوطن

وجنودها الأعصاب حارسة ... أطرافها الحصاة في مدن

والعقل عدتها وعاملها المسـ ... ـؤول عن قبحٍ وعن حسن

ما العقل غير تفاعل بخلا ... يا المخ إذ تصحو من الوسن

قالوا الجمال محرّض لهوى الـ ... ـقلب الذي ان يستحب فني

والعين تختلق الجمال اذا ... ما أبصرت بدراً على فنن

والقلب يشكو العين أنْ بصرت ... والعين تشكوه كمفتتن

كل بسحر الحب متّهم ... من منهما سحر الغرامُ مَن؟

***

في العقل لا في القلب علته ... ما العين الاّ علة الفتن

في بؤرة في المخ مركزه ... يملي شعور الطهر والدرن

وتحضّه فيه غريزته ... أن يستحب مشيقة الغصن

تطفو العواطف في الفؤاد اذا ... هاج الجوى أشواق ذي شجن

كلاّ فما في القلب عاطفة ... إن العواطف في الحجى الفطن

في اللبّ كل سريرة نشأت ... تنحاز بين الود والضغن

اللبُّ مصدر كل باعثة ... للخير أو للشر والظنن

أما المشاعر فهي عدته ... وصل المنى والحظ والمنن

تجري بها الآمال منقلة بالشوق والآلام والمحن
أو بالشعور توزعته يد الـــشهوات والأفراح والحزن
الـكرب والبرحا وكل أسى هي في النخام وليس في البدن
والحسن والطرب الرخيم هما في النفس لا في العين والأذن
ما المرء الا العقل مبتكراً أحداثه والجسم للسكن
هو لعبة الأقدار تنفضه فيميل بين الله والوثن
فتلاطمت فكر الأنام بها كتلاطم الأمواج والسفن
وتضاربت فيها رغائبهم كتضارب الأسياف والجنن[1]
يبغي السخيف منى فتمحقها من دونه أمنية الركن
فيمَ اختلاف الناس في سخفٍ ولِمَ اختلاف الناس في الفطن
ولِمَ اختلافهم بفطرتهم ولِمَ اختلاف الشكل والسحن
وهم بنو حوّا وآدمها ودماؤهم دم شكلها الحسن
لا بل بنو الأرض التي اختلفت ذراتها بالجذب والوهن
لا تعذل النزعات مرحمةً لمْ ما لدى الأكوان من سنن
المرءُ غير مخير فإذن بيد الطبيعة مقبض الرسن
ما العقل حرًّا في تصرفه هو تحت أمر حوادث الزمن
دانوا المسيءَ ولا اختيار له والدرّة الرعناءُ لم تُـدَنِ
هذي الطبيعة لا قياد لها تمضي بلا رشدٍ ولا فطن
من ظلم ذي الدنيا وما عقلت ان الجماد سطا على الذهن

نقولا الحداد

(١) جمع جنة وهي الترس.



شوقي وحافظ

طالما يتردد اسماهما معاً زمناً ، تعترض حياتهما عواصف تنافس أحياناً ، وتمر بهما نسمات صفاء أحياناً أخر ، ولكنهما يشعران انهما مكملان بعضهما بعضاً في أداء رسالة واحدة . وجهتهما الى طريقها عرائس الشعر وطبيعة العصر .

وماتا في عام واحد ، بل لم تستوف الشهور الثلاثة عامها بعد وفاة حافظ حتى كان شوقي قد انتقل الى جوار ربه بعد أن رثى رفيق جهاده الشعري بأروع مراثيه ، وذلك منذ خمسة عشر عاماً ، كأنهما شعرا أنهما أدّيا رسالتهما ولن يستطيع واحد منهما أن ينهض بعد الآخر بعبء تلك الرسالة وحده بعد هذا الجهاد الطويل .

ولقد ترك كلٌّ منهما أثره في جيله ، كما ترك ذلك الجيلُ أثره في شعرهما بحسب طبيعة كل منهما .

قضى شوقي زهرة حياته ناعم البال فكان لذلك أثر كبير في شعره الاول وفيما حفلت به دواوينه في تلك الحقبة حتى اختلفت الايام وتغيرت عليه فأبعد عن مصر ، وهنا انتقل شعره نقلة أخرى ، وتأثر بمؤثرات أخرى .

أما حافظ فقد قضى زهرة حياته على غير ما قضاها شوقي ، محروماً من أهله وعشيرته ثم محروماً من التقدير حتى استطاع أن يشق طريقه . وقد وجد حافظ الطريق التي كان يريد سلوكها الى القصر محفوفة بالعراقيل على حين هيئت لشوقي ، فاتجه ببصره ناحية الشعب ، وكان لهذا الاتجاه أثر بارز في شعره مال به الى التعلق باللفظ المؤثر القريب دون المعنى المبتكر البعيد ليصل صوته الى أسماع الناس في حين اهتم شوقي بالمعاني مع عنايته بالجري وراء الغريب من اللفظ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولقد واتت شوقيًّا الظروف فتهيأت له ثقافة عالية واطلاع بعيد على حوادث التاريخ ، وأكسبته رحلاته وعلاقاته برجال القصر ومعرفته بأساليب السياسة ومداوراتها وتياراتها ، ما لم يتهيأ لحافظ حيث شغلتـه حياته عن كسب المعرفة الواسعة إلاّ فيما كان خاصًّا بالأدب العربي من مطالعاته في أمهات الـكتب العربية فاكتسب محصولاً وافراً من فصيح القول ومفردات اللغة اختزنها عقله الباطن وكان يمدُّه بها بين حين وحين ، ومن ذلك تبدو ديباجة حافظ قوية منـذ نشأته الشعرية عن ديباجة شوقي في بعض قصائده الأولى . لذلك اصطنع شوقي لنفسه طريقته في اختيار الـكلمات الغريبة المهجورة ، كما قدّمنا ، ليغطي هذا النقص .

* * *

على أنّ موسيقى شوقي التي وُهبها كانت أقوى رنيناً من موسيقى حافظ ، ولذلك نجد الألفاظ العويصـة التي كان يلجأ شوقي إليهـا كما يلجأ المترف الثريُّ الى اقتنـاء التحف القديمة تُـصْـهَـرُ في بوتقة هـذه الموسيقى القوية فتتحول الى حركة بعد جمود ، وحيوية بعد موات . ومن هـذا كان شعره أميل الى الغناء من شعر حافظ حتى أنَّ مراثيه لم تخلُ من موسيقى تجنح الى الرنين الراقص مما قد لا يتفق مع المناسبة كما في مرثيته لعلي أبي الفتوح .

غير أن شوقيًّا ظلّ يقوّي ديباجته لتتفق مع قوّة معانيه وأخيلته في حين لم يُعْـنَ حافظ بالمعاني ليزيد ديباجته قوّةً فتأخر عن شوقي في كثير من ضروب القول .

* * *

واستطاع شوقي أن يأخذ من آثار ثقافته لشـعره ما ساعده على التفرُّد بالناحية التاريخية العجيبة في شعره ، والحـكمة التي كان يبثها في ثنايا قصائده . وظهر أثر هذه الثقافات في أخريات حياته حيث اتجه اتجاهاً جديداً نحو فن جديد ، هو الفنُّ القصصيُّ الشعريُّ .

أما حافظ فكانت ثقافته العربية ، وظروفه الخاصة ، حائلاً دون الالتفات الى ابتكار جديد ، وإن كان هناك نزوعٌ في نفسه الى شيء من هذا بدا في هـذه الأبيات التي يخاطب فيها الشعر :

ضِعْتَ بين النُّهى وبين الخيالِ   يا حكيم النفوس يابن المعـالي

ضعتَ في الشرق بين قومٍ هجودٍ   لم يفيقوا وأمةٍ مكسالِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قد أذالوك بين أنسٍ وكأسٍ وغرامٍ بظبيةٍ وغزالِ
ونسيبٍ ومدحةٍ وهجاء ورثاء وفتنةٍ وضلالِ

الى أن يقول :

آنَ يا شعر أن تفكُّ قيوداً قيّدتنا بها دعاة المحالِ
فارفعوا هذه الكمائم عنّا ودعونا نشمّ ريح الشمالِ

فهذه الرغبة لم تكد تظهر في نفس حافظ حتى خبت لأنها لم تجد لها من عزيمته ما يدفعه إلى تغيير أساليب كتابته وموضوعات شعره ومحاولة تجديدها ، بل ظل يتناول ما كان يتناوله هو ويتناوله غيره من الشعراء ، وكان في استطاعته أن يجعل لهذه الثورة في نفسه أثراً في شعره ، ولكنه لم يفعل ، ولعله حاول ولم تسعفهُ مواهبه — كما أسعفت مطراناً — فوقف دون تقدم ، ولكن شوقيًّا حاول ، ولم يثنه شيء ، ولم يحُلْ النقد الذي وجّه اليه دون المضيّ في سبيله ولم يستطع صَرْفَهُ عن محاولاته .

وكانت طبيعة شوقي التي تساعده على نظم الشعر حيث وجُد من أسباب الأخذ بكثير من الألوان الجديدة لشعره في حين كانت طبيعة حافظ التي تؤثر الخلوة ، وتؤثر اللفظ على المعنى لم تهيء له الوقوع على المعاني العابرة بالعين التي يقع عليها شوقي الذي لا تقف الحركة والضجيج دون تهيّؤه للقول . وفي هذا دليل آخر على سرعة التأثر والحساسية عند شوقي عنها عند حافظ .

* * *

غير أن شعر حافظ كان أقرب الى التعبير عن آلام المصريين وآمالهم من شعر شوقي الذي كانت عواطفه متجهة نحو العثمانيين تبعاً للسياسة التي كانت غالبة وقتئذ والظروف التي أحاطت به والإحساس بانتسابه اليهم ، فكان شعر حافظٍ السياسيُّ صدى صوت مصر ، ينطق بعواطفها ويتجاوب مع صيحاتها . وكانت لحافظ جرأةٌ في تناول تلك الموضوعات لم يتهيّأ لشوقي مثلها ، وهو الرجل الذي يجاري التيّار الموافق لسياسة القصر وقتئذٍ .

على ان مجالس حافظ المرحة ورغبته في تقوية ملكة الدعابة والظَّرفْ في نفسه ليستطيع الوصول الى ما كان يتمنى من مجالس العظماء والكبراء كان لها أثرٌ بارزٌ في شعره حتى الوفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منه، فقد كان يميل الى التفكه والتندُّر كما يتجلى في بعض قصائده التي وجّهها الى كرومر على أثر حوادث دنشواي وإلى مندوب بريطانيا الذي خلفه وغير ذلك . في حين كانت الحكمة تغلب على شعر شوقي إذا مسّ موضوعات كهذه لأنه لم تكن له مثل روح حافظ المرح الطروب الظريف ، ولأن حياة القصر لوّنته بكثير من ألوان القيد والتحرُّز ، فكان أميل الى الحكمة كما كان أميل الى المداراة . ومن ذلك لم تلقَ قصائده بين الشعب ما لقيت قصائد حافظ . ومن يستمع الى فكاهات حافظ ونوادره يجد فيها من الحكمة ما كان جديراً بأن يزخر بها شعره ، ولكنها كانت تجد المتنفس لها في تلك النوادر في حين تجد الباب موصداً أمامها في شعره إلاّ في النادر .

بيد أن هناك جانباً من شعر حافظ يهزّ من عظمة شعره السياسي ويسيء الى وطنيته التي كانت تحفزه قبل ذاك الى التعبير عن آلام المصريين ، وهي تلك القصيدة التي وجّهها الى السلطان حسين يدعوه فيها الى التعاون مع الانجليز ، وكذلك قصائده التي كان يوجّهها الى مندوب بريطانيا في مصر وكان جديراً بحافظ أن يكون أكثر وطنية وشعوراً بالإباء أو يسكت إن لم يجد مجالاً للقول ، ولا يُحتج بأن الظروف كانت تدعو — وقتئذٍ — الى مثل هذا القول ، لأن له من شعره السابق الذي وجهه الى ايطاليا والى دول الغرب ما كان جديراً بأن يملك عليه كل السبل فلا يفرّ الى طريق معوجة لا يسلم فيها من الشطط .

* * *

وقد استطاع شوقي بعد عودته من المنفى أن يتشرّب روح الشعب وأن يشاركه في عواطفه وميوله ، ويعالج هذه الناحية فوُفّق في ذلك ، وبرز شعره من تلك الآونة الى آخر حياته معبراً عن آمال مصر وآلامها وبخاصة في ظروفها الأخيرة ، بل لم يقف به الأمر عند تناول الحوادث في مصر ، فتجاوز هذا الأفق الى حوادث الشرق يستلهمها فكان المترجم عن مشاعر الشرقيين ، وانتهز فرصة سكوت زميله فأطلق لخياله العنان وارتاد بفنّه نواحي متعددة من سياسية واجتماعية فأحسن فيها القول وأجاد ، على حين استسلم حافظ الى الصمت ، وكان في استطاعته — اذا فُرض أنه طاقَ الشعر تحت ضغط قيود الوظيفة — أن لا يحرم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قيثارته العزف عليها في نواحي أخرى كأن يرسم صوراً للشقاء الذي يلازم الحياة في مصر ، وهو الذي خبره ولمسه وعاش فيه زمناً ليس بالقصير ، وكان من الأسباب التي دفعته الى نقل رواية البؤساء الى العربية .

***

أما وصف الطبيعة فقد برز فيه شوقي عن حافظ ، واذا كانت قصيدة حافظ عن رحلته الى إيطاليا التي يقول فيها :

عاصفٌ يرتمي وبحر يغيرُ أنا بالله منهما مستجيرُ

تعتبر لوحة رائعة صادقة التصوير زاخرة بالأحاسيس ، فإن مثل هذا اللون من الدقة في التصوير والتفرُّغ لإتقان الصورة قليلٌ عند حافظ خلافاً لكثرته عند شوقي ، فإن دواوين شوقي زاخرة بألوان تتفاوت قوة واقتداراً وفتنةً وتفنناً في مزج هذه الألوان بحسب تمكُّن الشاعر من فنّه ، فالصور التي كان يرسمها خلال رحلاته الى الاستانة لا ترتفع الى مستوى الصور التي رسمها فيما بعد في قصائده عن النيل وغاب بولونيا وغير ذلك ثمّ زادت قوةً ونصوعاً وفتنةً وجمالاً في لوحاته عن لبنان وزحلة وبيروت وفي أبيات متناثرة خلال قصائده ، الأخرى في وصف الآثار.

* * *

على إننا اذا انتقلنا الى جانب من جوانب شعر الرجلين ، وهو الرثاء ، وجدنا شعر حافظ وافراً في هذه الناحية يكاد يستغرق نصف ديوانه — على حدّ قوله — ووجدنا في هذه الكثرة صدقاً في اللوعة والإحساس بالألم انفقد من يرثيهم إذ كان حافظ سريع التأثر ، تركت له حياته الأولى وما قاسى فيها آثار حزن دفين في نفسه لا يكاد يحسُّ بالموت يتخطف واحداً من معارفه حتى يحسّ بالألم عميقاً . ولعله كان يشعر في قرارة نفسه أن أصحابه ومن عرفوه وربطت بينه وبينهم صداقةٌ متينة لم يعرفوه لجاهٍ أو مطمع ، وانما عرفوه لأنهم قدروه حق قدره ، فهو حين يفقد واحداً من هؤلاء إنما يفقد قلباً يزخر له بحب وعطف وتقساً تنطوي له على محبة وتقدير ، ولأن نفسية حافظ كانت ساذجة كل السذاجة ، طيبة كل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطيبة ، يقبل على من يحبه كل الإقبال ويغضب سريعاً ، ولكن ما تبدو له في الأفق ظاهرة من مظاهر فرح أو أسى لصاحب أغضبه حتى ينسى كل شيء ليشارك صاحبه في فرحه أو حزنه ، ومن ذلك كانت نفسه صريحة واضحة لا غموض فيها بعكس نفسية شوقي الغامضة . فقد كان يحاول طمس الكثير من معالم نفسيته مصطنعاً الحكمة في كثير من المناسبات . ولم يكن لشوقي مثل عاطفة حافظ الحزينة الموروثة عن حياته الأولى لأن حياة شوقي كانت حياة ترف ، وكان أكثر من يرثيهم أصحاب مناصب أو جاه ربطت بينه وبين بعضهم صداقات دعت اليها ظروف العمل أو الجوار أو الاتصال بالسراي أو كانوا من الذين أرادوا أن يصلوا بينهم وبينه طمعاً في نفع ، أو طلب اليه رثاء واحد منهم فأجاب . ولا نحس باللوعة في مراثيه إلا في قليل منها كرثيته لأمه ولمصطفى كامل وعمر لطفي ويعقوب صروف وأمين الرافعي وفي أبيات قليلة من بعض قصائد أخرى ، وذلك للروابط القوية التي كانت بينه وبين هؤلاء من شدة تعلق ودوام صحبة وتجاوب فكر ، والإحساس العميق المتبادل بينهم . والذي كان عاملاً من عوامل الاندماج بين حياة هؤلاء . لأن فيها من حياته أشياء أحس أنه فقدها الى النهاية .

أما مراثيه الأخرى فكانت عنايته بتحسين الاطار التي توضع فيه صورة الفقيد أكثر من العناية بالصورة نفسها ، وكانت تتردد في معظم هذه المراثي معاني واحدة لأنه كان يلجأ الى الحكمة ليستر ضعف الاحساس بالفجيعة .

ومن هنا كان لمراثي حافظ من القوة ما لم تكن لبعض مراثي شوقي ، ولأن حافظاً كان يفجع بكل شعوره ، وكان الألم ينصب في نفسه انصباباً كما يقول في مرثيته لسعد .

* * *

وهناك وجه اختلاف بين حافظ وشوقي ، ذلك ان الأخير عند ما تخلص من تقاليد وظيفته وقيودها — أو خلصته الأقدار منها — وارتحل الى المنفى بعث فيه هذا الخلاص تحرراً من كل قيد ، وأكسب التنقل روحه وجسمه طلاقة وانطلاقاً ، فكان في كهولته لا يستقر في مكان كالطائر فاندفع يغرد ، ويلون في تغريده ، في حين قيدت الوظيفة حافظاً فسكت زمناً عن التغريد ، ولم يكن لجسمه وروحه من التنقل الا ما بين مقر عمله ومجالس

أنسه وصحابه فأثر ذلك فيه عند كهولته فسكت ونحّى قيثارته على النقيض زميله الذي مات وهو لم يترك قيثارته ولم يهجر عرائس شعره.

فالحيوية كانت في شوقي مدخرة بينما استنفدها حافظ فلم تواته في أخريات حياته، وبذلك فقد شعره الأخير تلك القوة التي كانت تزخر بها أشعاره الأولى.

***

واتفق الاثنان — شوقي وحافظ — في ظاهرة تبدو في ناحية من شعرهما تلك هي برود العاطفة وجفافها نحو المرأة، وعدم التأثر بها تأثر الغزلين الحقيقيين، فشعر شوقي الغزليّ وإن كان وافراً عن شعر حافظ الغزلي الشحيح لا يمتاز عنه من تلك الناحية بشيء فهو عند هذا تقليديّ كما هو عند ذاك، لا روح فيه ولا حرارة، فهو رصفٌ لكلام عذب جميل. على أن الموسيقى القوية التي امتاز بها شوقي — كما قلنا — كانت تمدُّ بعض أشعاره في هذه الناحية وبخاصة ما نظمه بعد فوات الشباب بما يهبه العاطفة المتقدة. وكثير من شعره الذي لا يمتّ الى الغزل بصلة يغنّى الآن، لأن الروح الغنائية فيه كانت متغلبة وربما أمكن التغني بكثير من شعر مراثيه ... ولن يخدعنا شعر حافظ في الناحية التي نتكلم عليها كما يخدع شعر شوقي لأن شعر حافظ خال كل الخلوّ من حب المرأة. أما شعر شوقي فقد يخدع بعض الناس أول وهلة، ولن ينهض حجةً قوله في قصيدته التائية عن لبنان التي افتتحها بالغزل حيث قال:

فازورّ غضباناً وأعرض نافراً حالٌ من الغيد الملاح عرفتهُ

فهذا التعبير لا يدلّ دلالة صريحة على دراسة المرأة عن تجربة ومعرفة، ولكن عن طريق قراءة أو سماع لأن شباب الشاعر كان بعيداً عن التأثر بالمرأة تأثراً حساساً، وتبدو ألوانه باهتة للباحث الفاحص، ولم تظهر في آثاره تلك الحرارة التي يحاول أن ينشئها في شعره في الطور الأخير، فكيف تجيء بعد أوانها؟

لقد كان شوقي سريع التأثر عن طريق قراءاته وكانت تنطبع على صفحات ذهنه من تلك القراءات صور عديدة لشعراء عديدين، فهو يقرأ مثلاً لابن زيدون مقطوعته.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ودّع الصبر محبٌّ ودّعك ذائعٌ من سرّه ما استودعك

ويعجبه منها موسيقاها وروحها الغنائية التي هيأتها لذلك فيقول :

رُدَّت الروح على المضنى معك أحسنُ الأيام يومٌ أرجعكْ

أو يقرأ للحصري القيرواني :

يا ليل الصب متى غدُهُ أقيــام الساعة موعدُهُ

فيعارضه بقوله :

مضنــاك جفــاه مرقده وبــكاه ورحَّــم عُــوَّدُهُ

ويتابعه في هذه المعارضة كثير من شعراء عصره .

وقد يبدو أن ظروف شوقي التي كانت تدعوه الى المحافظة على مكانتــه في القصر كانت من الأسباب الداعية الى المحافظة أيضاً على عدم اتصاله بالمرأة أو اذاعة شيء من التعلق بها تصنعاً للوقار كما في قوله :

لك أن تلوم ولي من الأعذار أن الهوى قَــدَرٌ من الأقدارِ

ما كنت أسلمُ للعيون سلامتي وأُبيح حادثة الغرام وقاري

وفيها يصف رؤيته لحسناء من حسان الاستانة مرّت به وهو على الخليج فقال :

مرّت بنا فوق الخليج فأسفرت عن جنّةٍ وتلفّتت عن نارِ

في نسوةٍ يوردنَ من هش الهوى نظراً ولا ينظرنَ في الإصدارِ

عارضتهنّ وبين قلبي والهوى أمرٌ أحاول كتمه وأداري

ولــكن أيّ وقار يحول بين الشاعر وبين أن يصدح بتغاريد قلبه ، وأيّ تقاليد تمنع حتى أصحاب الحــكم من أن ينزلوا على حكم الهوى ؟

لقد سافر شوقي الى فرنسا في مقتبل شبابه الفوّار ، وعاش هناك فترة من الزمن . واذا قدّرنا البيئة التي خلفها شوقي — بيئة المحافظة التي لم تكن للمرأة فيها ما لها الآن من ظهور بألوان الفتنة ، وقدّرنا الى جانب ذلك تلك البيئة التي تحوّل اليها ، وفيها ما فيها من ألوان الفتنة الظاهرة دون خمار ، واللاعبة دون ستار ، والمتفتحة عن جنّــات تندلع فيها النار ، كان لنا أن نقول إنه كان على شوقي أن يهتف ويهتف من أعماق نفسه في شبابه هتاف الروح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المكتوي بلهب هذه الفتنة . فهل كان لشبابه هناك — وهو الشاعر الفرد الذي لم تكن له من القيود ما يمنعه من البوح بآثار المرأة في نفسه في تلك الحقبة ، حقبة القلب — ألوان شعرية ، بارزةٌ فيها آثار المرأة كما تظهر عند شعراء الغزل الحقيقيين ؟

هذا ما نحاول الكشف عنه .

إن في الجزء الثاني من ديوانه قصيدتين،واحدة عن « باريس » والأخرى عن « غاب بولونيا » وهاتان القصيدتان كتبتا بعد فوات عهد الشباب بزمن بعيد كما يظهر من خلالها، ما في ذلك شك . فأما الأولى فكل الحديث فيها منصبٌّ على تلك المدينة الساحرة ، ولا يمكن لشاعر أو غير شاعر أن يذكر باريس دون أن يذكر غيدها ولو كان من المتقشفين . وشوقي يعرّج على ذكر الهوى في تلك المدينة الساحرة فيقول هذه الأبيات :

يا مكتبي قبل الشباب وملعبي ومقيل أيام الشباب النُّوكِ

ومراح لذّاتي ومغداها على أفق كجنّات النعيم ضحوكِ

ومجاءَ وحي الشعر من متدفقٍ سلس على نوْل السماء محُوكِ

فالذي يصرّح بحمق الشباب في لهوه حين يقول « ومقيل أيام الشباب النُّوكِ » لا يستعصى عليه أن يصرّح بأكثر من ذلك .

* * *

وأما قصيدته « غاب بولونيا » فهي ذكرى عاودته بعد الشباب على أثر زيارة لهذا المكان، فبعثت فيه تلك الزيارة ذكرياتٍ قديمة ، ولكن أين أثر هذه الذكريات القديمة في شعره ؟ إنه يقول :

يا غاب بولونٍ ولي ذممٌ عليك ولي عهودُ

زمنٌ تقضّى للهوى ولنا بظلّك ، هل يعود ؟

حلمٌ أريد رجوعه ورجوع أحلامي بعيد

وهبِ الزمانَ أعادها هل للشبيبة مَنْ يعيد ؟

ثم بعد أن يصف ما كان له من ليالٍ هناك حديثها الوتر والعود، ويأخذ من صور الطبيعة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مادة لقصيدته ، وقد سرى في فضاء هذا المكان ، والناس نيام والكون هاجم ، ينتقل من مكان الى مكان

حتى إذا دعت النوى فتبدّد الشمل النضيدُ

بتنا وممـا بيننـا بحرٌ ، ودون البحر بيـد

ليـلي بمصر وليلهـا بالغرب ، وهو بها سعيد

فهذه القصيدة وليدة الذكرى التي خطرت ، وهو يمرُّ بهذا المكان ، وقد ودّع شبابه ، ومكانٌ كهذا لا يمكن يستعيد فيه الانسان ذكريات شبابه إلاّ ويعطف ناحية الهوى سواء أكان لهذا الهوى أثر في نفسه أم لم يكن ، وسواء أعبّ من كؤوس الهوى كما يعبُّ الشعراء فتبقى النشوة خالدة أم عبّ منها كما يعبُّ كل إنسان فتمضي النشوة سريعاً ولا تترك أثراً .

وإلاّ فأين أثر تلك التي خلفها هناك عند عودته الى مصر ؟

أين أثرها في شعره في مرحلة الشباب ؟

لا شيء ! ولعلّ الغموض الذي كان يحيط بنفس شوقي كما أسلفنا القول في ذلك ،والذي كان يدفعه الى اصطناع الحكمة ،كان يدفعه الى أن يقول شيئاً كهذا في الغزل ليستر به ضعفه في هذه الناحية .

***

لقد عاش هذان الشاعران زمناً ليس بالقليل يصدحان بضروب من القول في ضروب من ألوان الشعر السائدة في ذلك الجيل ، وكانا يختلفان في أشياء ويتفقان في أشياء ، ويتفرد واحد منهما آناً بناحية ويتفرد الآخر آناً بناحية أخرى ، ولكنهما — لاشكَّ في ذلك — كانا يشعران في صميم نفسيهما بأن هـذا لا بد منه لذاك ، وان التنافس الذي كانت تخلقه بعض الظروف بينهما ضرورة لكيانهما حتى انتقلا من هـذه الدار ، وقد تركا فيها أثرهما للأجيال ثروة تفحص وتمحص بيد النقد النزيه ، بعد أن نفضا أيديهما من الدنيا ، ونفض الناس أيديهما من الرياء لهذا أو ذاك .

حسن كامل الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هل يكفي الخروج

من كتلة الاسترليني

لتحقيق استقلال مصر المالي [1]

سادتي : هل يكفي الخروج من الكتلة الاسترلينية لتحقيق استقلال مصر المالي ؟

هذا هو السؤال الذي أحاول أن أجيب عنه في هذه المحاضرة . وأبادر فأقول إني لم أكلف نفسي معالجة هذا الموضوع الخطير ظناً مني أن في استطاعتي معالجته . وانما هي خواطر من حقي وحق كل مصري أن يبدي أمثالها ليساهم بها في حل المشكلة التي نعانيها جميعاً سواء كنا اقتصاديين أو غير اقتصاديين فنيين أو غير فنيين، فمن سوء الحظ – أو حسن الحظ – أن الجميع سواء أمام مشكلة اليوم .

لست آتي اذن بمحاضرة اقتصادية فنية . ولكني فقط استعمل حقي كمصري في معالجة مشكلة يعانيها كل مصري .

وعند تناول الشؤون المالية يجب أن نتجرد من أي عامل سياسي أو عاطفي ، سيما ونحن في هذا النادي الذي يعتبر بحق الندوة الفنية للشؤون الاقتصادية، فهنا تبحث المسائل من ناحيتها الفنية فقط دون التفات للاعتبارات الأخرى فالحكم في مسائل المال يبنى على المصلحة وكما هو في حالة الفرد هو كذلك في حالة الأمم . ولا شك أن المنازعات التي توجد بين الأمم ما هي إلاّ من أثر السعي لتحقيق المصلحة المادية لبعضها فهي الهدف الذي ترمي إليه كل دولة

قرأنا عن سياسة الحكومة الخاصة بالنقد وهي فيما ترمي اليه من العمل على تحقيق استقلال مصر المالي تتفق في غايتها وما يصبو اليه كل مصري

إن الذي يشغل الأذهان الآن هو هل أفادت مصر من قرار الخروج من كتلة الاسترليني وهل يعتبر هذا القرار محققاً لاستقلالنا المالي، وهو الزعم الذي تبادر الى أذهان الكثيرين عند ما تلقوا خبر خروج مصر من كتلة الاسترليني .

لكي ندرك أن هذا القرار يعني أو لا يعني استقلالنا المالي، يحسن أن نعرف ما هو الاستقلال المالي وما هي شرائط تحقيقه .

---

(١) محاضرة ألقاها الاستاذ احمد عثمان بك بنادي التجارة الملكي بمصر مساء الاحد ١٢ اكتوبر ١٩٤٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يمكننا أن نعرّف الاستقلال المالي تعريفاً سهلاً بسيطاً بأنه الحالة التي يمكن فيها للسلطات القائمة على مراقبة النقد والائتمان اتخاذ الوسائل اللازمة لتحقيق التوازن في البناء الاقتصادي والمالي للدولة بكل حرية واستقلال .

والاستقلال المالي لدولة ما لا يكون بمقدار ما تملك الدولة من ديون على الغير أو حتى ما لديها من احتياطات ، وانما يجب أن يكون هـذا الاستقلال مدعماً ومستنداً الى ثروة حقيقية متجددة ناشـئة عن الانتاج المستمر — فليس غنيـًا من يملك عشرة آلاف جنيه كرأس مال لا يؤتي ثمراً إذ أنه بعد عدد من السنين قل أو كثر سينفد ماله ويتركه معدماً — ولـكن الذي يمكنه أن ينتج ألفي جنيه سنويـًا يمكن اعتباره غنيـًا .

ومثال ذلك بين الدول سويسرا التي تكاد تكون فقيرة في معظم الموارد الطبيعية — ولـكنها عوّضت هذا الفقر بغنى بالغ من نشاط أهلها واتقانهم لصناعاتهم مما جعل لمنتجاتها شهرة عالمية ومكنها من أن تستورد الصلب من انجلترا ثم تصدره اليها في شكل آلات دقيقة الصنع بأغلى الأثمان — فطن الصلب تشتريه سويسرا مثلاً بعشرين أو خمسة وعشرين جنيهاً من انجلترا ولـكنها تحوّله الى ساعات جميلة ودقيقة تبيعها الى انجلترا نفسها وغيرها من بلدان العالم نظير آلاف الجنيهات .

هذه هي الثروة الحقيقية — ثروة الانتاج ، أو بعبارة أخرى المقدرة على الانتاج . ويقيس الاقتصاديون مقدار ثروة بلد ما بقدرة هذا البلد على الانتاج .

فثروة الانتاج هي الأساس الذي لا يمكن بدونه تحقيق الاستقلال المالي وقد دلت التجارب على أنه لتحقيق الاستقلال المالي يجب أن تكون هناك اداتان :

الأولى : غطاء قوي للنقد — والقوة هنا تقاس بقابليته للتحويل الى عملات أخرى .

والثاني : بنك مركزي يكون له من السلطة والاحترام ما يمكنه من الاشراف على توجيه سياسة الائتمان الداخلي .

أما البنك المركزي فهو مسألة قد أثير بحثها مراراً ولم يعد هناك محل لتكرار الكلام فيها ولـكني فقط أود أن أنبه الى فـكرة سيطرت على أذهان الـكثيرين وهي ان البنك المركزي معناه تأميم البنك الأهلي .

والواقع ان التأميم لا علاقة له مطلقاً بوظيفة البنك المركزي ، فالتأميم سياسة جديدة نادت بها في السنوات الأخيرة بعض المبادىء الاشتراكية ترمي بها الى سيطرة الدولة على المرافق العامة سواء كانت مناجم أو سككاً حديد أو بنوكاً حتى التي لا تقوم منها بوظيفة البنك المركزي .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد قام بنك انجلترا بوظيفته كبنك مركزي خلال السنوات الطوال دون أن يكون مؤمماً، ولم يطبع بهذا الطابع الا من عام تقريباً نتيجة تنفيذ سياسة العمال الاشتراكية .

وسواء أتمت الفكرة بتأميم البنك الاهلي أم بانشاء بنك جديد أم بتحويل بنك آخر إلى بنك مركزي ، فالمهم لدينا أن يوجد هذا البنك وان يكون من القوة والمكانة بحيث يمكنه أن يؤدي بكفاءة الوظائف المفروضة على البنك المركزي .

ولنتكلم الآن بشيء من الايضاح عن الغطاء النقدي .

فالمعروف ان الغطاء قد وجد عند اصدار البنكنوت بدلاً من التعامل بالنقد المعدني لكي يعطي الثقة للمتعاملين ، ولكنه تدرج مع الزمن لكي يصبح في الواقع ضماناً للدول الأخرى على القدرة على سداد المدفوعات الخارجية .

فاذا كانت صادرات بلد ما أكثر من وارداته فهو ليس في حاجة الى ان يدفع شيئاً الى غيره من الدول، بل على العكس من ذلك فهو يستقبل اما ذهباً أو عملات يراها جديرة بثقته ويستطيع أن يحولها للبلاد الأخرى فتقبلها .

أما اذا اختلف الوضع بأن كانت واردات ذلك البلد أكثر من صادراته فعليه أن يسدد الفرق إما ذهباً وإما نقداً مقبولاً من البلاد الدائنة .

فما هو حال غطاء نقدنا الآن — أخشى أن يكون غطاء وهمياً أكثر منه حقيقياً ، فالغطاء بأكمله فيما عدا بضعة الملايين من الذهب عبارة عن سندات على الخزينة البريطانية وسندات مصرية . فلو أردنا تطبيق وظيفة الغطاء التي شرحناها سابقاً على هذا الوضع لاتضح لنا ما يأتي :

تزيد وارداتنا في الوقت الحاضر على صادراتنا . وكنا نقوم بتغطية الفروق من أرصدة مصر الاسترلينية ، أما بعد تجميدها فلا مناص من دفع الفروق بنقد مقبول — والطريقة الطبيعية هي أن يبيع البنك الأهلي المصري من سندات الخزانة المودعة لديه كغطاء النقد حتى يقوم بسداد المطلوب من مصر ، ولكن بمجرد أن يتم هذا البيع يصبح الثمن ضمن الأرصدة المتجمدة وبذلك لا يمكن حتى سداد أثمان مشترياتنا من انجلترا ذاتها .

والمعنى الواضح هو أن الغطاء لا يقوم بالوظيفة المطلوبة منه وبذلك لا يكون غطاء بل وهماً

وهذه مسألة يجب أن تولى غاية الاهتمام وان يوضع لها العلاج السريع حتى لا تتعرض اقتصاديات البلاد للاخطار . والعلاج لن يتيسر إلا بتكوين غطاء من عملات محترمة في المعاملات الدولية ويسمح للجنيه المصري ان يكون مستقلاً عن الاسترليني .

هذه هي الدعامة التي يجب ان تقوم عليها سياستنا المالية ولا يمكن انتظار أي استقرار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

املتنا ما لم نشرع في الحال في تكوين هذا الغطاء مهما استوجب منا من تضحيات ومهما نطلب من جهود

والطريقة الاولى وهي الطريقة التقليدية المثلى هي العمل على زيادة الصادرات وانقاص الواردات على ان يكون ذلك طبعاً بقصد الحصول على أكبر قدر ممكن من العملات الصعبة

ولكني أود ان أوجه النظر لدقة هذا الموضوع من حيث تأثيره على الاسعار فان من نتائج تقييد الواردات ارتفاع الأسعار في الداخل مما يترتب عليه زيادة حالة التضخم الموجود والذي نشكو منه الآن ويزيد في المتاعب التي يعانيها ذوو الدخل الثابت

لذلك يجب ان يصاحب هذه السياسة العمل على تخفيض الاسعار أو على الاقل تثبيتها واذا أريد التكلم في سبيل ذلك فالمجال هنا أضيق من ان يتسع للاحاطة بكل شيء وإنما لا يسعنا إلا أن نشير اليها واثقين من ان ذلك لن يفوت رجال ماليتنا.

ولما كان تكوين غطاء كاف بهذه الوسيلة وحدها سيتطلب سنوات عديدة حيث ان حرمان البلاد مدة الحرب من كثير من الواردات في حين كثرت النقود المتداولة مما يتطلب بضائع لامتصاصها ، نقول إن هذه العوامل تحد كثيراً من قدرتنا على ايجاد فائض محسوس بين صادراتنا ووارداتنا .

لهذا أعرض اقتراحاً أرجو أن يساعد على الاسراع بتكوين الغطاء المطلوب .

قيل إن الحكومة المصرية تقدمت الى الحكومة الاميركية بطلب قرض مقداره ثمانية وثمانين مليوناً من الدولارات لاستعماله كغطاء لنقدنا وان الحكومة الاميركية اعتذرت من عدم اجابة الطلب بحجة انه لم تجر العادة بالاقراض لمثل هذا الغرض .

إننا نقوم الآن بشراء الآلات والمعدات اللازمة لكثير من المشروعات الانشائية كمشروع خزان اسوان، ومشروع مصنع السماد، ومصانع الحرير الصناعي والفولاذ ، كما سنحتاج أيضاً لمهمات كثيرة لمشروعات التعدين التي تبدي الحكومة نحوها اهتماماً كبيراً — ونحن ندفع ثمن هذه المواد من مواردنا العادية مقابل صادراتنا ، وهذه المشروعات تستغرق من الاموال التي نحصل عليها من العملة الصعبة جزءاً هاماً . فلماذا لا يطلب عقد قرض بمبلغ يكفي لتمويل كل المشروعات الحيوية للبلاد وبذلك نخفف من الناحية الاخرى العبء على وارداتنا بما يمكننا من ان نكون رصيداً يصلح على مدى سنوات قليلة غطاءً قوياً لنقدنا .

لا أظن ان عقد هذا القرض متعذر فسواء أكان ذلك من بنك التعمير الدولي أم من بنك الاصدار الاميركي، أم حتى من الشركات الخاصة فان نوع المشروعات التي ذكرت مما تمنح عدة تلك المؤسسات قروضاً من آن لآخر . وهذه المشروعات بما لها من صفة انتاجية ستساعد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على زيادة صادراتنا من جهة وتقلل من حاجتنا للاستيراد من الجهة الاخرى وبذلك تزيد في ثروة البلاد .

تهتم الحكومة باعلانها أنها تفضل إصدار المواد المرخص باصدارها نظير عملة صعبة، ونحن نوجه النظر الى أنه لا يجوز أن يكون ذلك عند تساوي الثمن فقط بل يجب أن نأخذ في الحسبان أن قيمة العملة الصعبة في الأسواق الحرة تزيد بين الثلاثين والاربعين في المئة على الاسترليني .

فلو فرضنا أن فرنسا تعرض علينا في طن السكر ١٠٠ جنيه استرليني في حين تطلبه سويسرا بسبعين جنيهاً، فيجب أن نعطي الافضلية لسويسرا لأن السبعين جنيهاً من الفرنكات السويسرية تساوي في الواقع أكثر من المئة الجنيه من الفرنكات الفرنسية .

وتعلمون حضراتكم أن سعر الصرف المعين بين سويسرا وانجلترا للجنيه الاسترليني هو ١٧ فرنكاً سويسرياً وذلك عن مبلغ معين متفق على صرفه بهذا السعر . أما السعر الحقيقي في الأسواق فهو يزيد قليلاً على العشرة الفرنكات السويسرية وقس على ذلك الدولار .

فنحن من مصلحتنا أن نعمل على اصدار كل ما يمكن اصداره الى مناطق العملات الصعبة، وعلينا أن نطلب سداد أثمان صادراتنا الى غيرها من البلاد بهذه العملات ولو اقتضى الامر حتى منح اعانة اصدار نظير الحصول على عملات صعبة .

إن الحكومة تملك مقداراً لا بأس به من القطن ويمكن عند عرضه للبيع أن تتمسك بأن يكون ثمنه بالكامل أو نصف الثمن على الاقل مدفوعاً بالدولارات او الفرنكات السويسرية، ولا مانع في هذه الحالة من أن يكون الثمن الذي يباع به القطن أقل من الثمن الذي يباع به في بورصة الاسكندرية ما دام النقص في حدود الفرق بين السعر الحقيقي للاسترليني والدولار في السوق الحرة .

وهناك مزية كبيرة لا يجوز اغفالها اذا عملنا على الحصول على أكبر قدر من الدولارات ثمناً لصادراتنا وهي أنه في الوقت الذي يمكن فيه تسليم البضائع الاميركية في الحال أو بعد مهلة معقولة فان المصانع الانجليزية لا تبدي استعداداً لتوريد معظم الحاجات الضرورية قبل مضي سنتين أو ثلاث، وكثيراً ما يحدث عند انتهاء الاجل أن يعد ثانية مع التماس مختلف الأعذار .

والحقيقة أن انجلترا تؤثر توجيه صادراتها الى مناطق العملة الصعبة وتعمل على تقليل ما تصدره للبلاد التي لا تدفع إلا جنيهات استرلينية أو خصماً من ديونها عليها .

هذه هي بعض السبل للحصول على غطاء قوي لنقدنا يقبل في المعاملات الدولية ويجعل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

امملتنا هاأنا في الأسواق العالميـة ولا يمكن أن نأمل في تحقيق استقلال مالي بدون أن نقدم أولاً وقبل كل شيء على هذه الخطوة، اما أن نقول أن الخروج من منطقة الاسترليني معناه الاستقلال المالي . أو حتى أنه يخطو بنا خطوات في هذا السبيل فهو ما سأتناوله هنا ببعض التفصيل — وفي الواقع قد تساءلت أنا وغيري عما اذا كان قرار الخروج من منطقة الاسترليني بدون اتخاذ الخطوات الأخرى التي أسلفت ذكرها وبدون الاستعداد الكامل في جميع النواحي — هل القرار بهذا الشكل يخطو بنا فعلاً الى هدفنا وهو الاستقلال المالي .

استمعت هنـا واستمع الكثيرون الى المحاضرة التي تفضل بالقائها في هذا النادي من أسبوع سعادة محمود الدرويش بك . وكنا نتوق أن نخرج منها باجابة على هذا السؤال — وقد حاولت جهدي أن أستشف المزايا التي حصلنا عليها من هذا الاجراء وأخشى ألا أكون قد وصلت لأية نتيجة .

وأول ما تبادر الى ذهني هو التساؤل عما اذا كان وجودنا ضمن منطقـة الاسترليني يتعارض مع استقلالنا المالي المنشود . فنحن نرى من بين البلاد التي ذكر سعادة الدرويش بك أنها منتمية لكتلة الاسترليني بلاداً مستقلة تماماً سواء في أمورها السياسية أو في أمورها المالية . ومثال ذلك بورتغال ودانمرك وغيرها .

والواقع أن انشاء هذه الكتلة كان مبنيـاً على وجود مصالح تجارية خاصة تربط البلدان المنشقة اليها ببعضها ببعض أو بواسطة العقد وهي بريطانيا . فهناك مصلحة لكل بلد على حدة في هذا الانضمام . ولم يقل أحد أن استقلال الدنمرك أو البرتغال كان مشوباً بأية شائبة لأنها منتمية لكتلة الاسترليني . كنا نود أن نعرف الفوائد التي عادت على مصر من هذا القرار وفي هذا الوقت بالذات . وقبل أن يبحث موضوع عملتنا بأكمله من حيث الغطاء وقيمته في المبادلات الدولية وما زلنا نبحث عمن يهدينا الى تلك الفوائد التي عجزنا عن تبينها .

من الأسباب التي ذكرت أن ترك منطقة الاسترليني كان ضرورياً لإنشاء رقابة على النقد وعلى الواردات والصادرات . فهل لم يكن من المستطاع انشاء هذه المراقبة ونحن ضمن كتلة الاسترليني .

لقد تلقينا الجواب على ذلك فيما أورده سعادة الدرويش بك في صدد محاضراته هنا في الأسبوع الماضي عندما ذكر أن نيوزيلندا وهي من أقدم الدول المنتميـة لكتلة الاسترليني والتي لا شك أن الروابط التي تربطها ببريطانيا أقوى بكثير من الروابط التي تربطنا معها . يقول سعادته أن نيوزيلندا كانت تباشر هذه المراقبة من سنة ١٩٣١ أي حتى قبل قيام الحرب الأخيرة وبدوء الضروريات الملحة لفرضها في سائر الدول تقريباً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكانت دنمرك واستونيا ولتوانيا تفرض مثل هذه الرقابة . ومعنى هذا الكلام الواضح أن البقاء في كتلة الاسترليني لم يكن ليمنع اطلاقاً مباشرة هذه الرقابة .

والعراق وهو ما زال منتمياً الى هذه الكتلة أنفاً هذه الرقابة وهو يمارسها الآن ، بل لو كانت مصر قد بقيت لما كان هناك مناص من فرض هذه الرقابة فالمعلوم أن هناك مبالغ لا يمكننا تجاوزها في مشترياتنا خصماً من الأرصدة الاسترلينية ، فكان من الحتم ايجاد الأداة التي تمكن من حصر العمليات وضبطها .

بقي اننا نحن الذين لم نعرف الأسباب الداعية الى هذا القرار قد رأينا أشياء توحي لنا — حسبما يصل اليه فهمنا — بأنه لا يتفق تماماً مع ما يسعى اليه رجال الحكومة من تحقيق استقلالنا المالي ، بل نخشى أن يكون قد عاد علينا ببعض الضرر .

ان في منطقة الاسترليني ارتباطاً يتيح لكل دولة داخلة في نطاقه أن تحصل على حاجاتها الضرورية سواء أكانت من منطقة الاسترليني أم العملة الصعبة . وفي الوقت الذي كانت فيه موارد مصر من العملة الصعبة نظير صادراتها الظاهرة والخفية لا تتجاوز العشرة الملايين من الجنيهات كانت مصر تحصل على حاجتها من الأسمدة ومواد الوقود والحبوب من منطقة الدولارات بما يزيد على الضعف أي حوالي ١٤ مليوناً من الجنيهات .

وكانت حصة مصر طبقاً لاتفاقية العملة الصعبة في سنة ١٩٤٥ تبلغ ١٢ مليوناً من الجنيهات من العملة الصعبة فضلاً عن الوقود والسماد والحبوب — وكانت الاتفاقية تنص على تخصيص ٣ ملايين جنيه لنفقات البعثات الدبلوماسية المصرية واعفاء المؤتمرات والمسافرين وغير ذلك من المصروفات غير المنظورة — أما التسعة الملايين الباقية فخصصت لاستيراد مواد معينة بالذات أدرجت بها كشوف ، على ان تستوفي مصر باقي حاجاتها من منطقة الاسترليني وكان من شروط الاتفاقية انه في حالة عدم امكان الحصول على بعض المواد المفروض توفرها في منطقة الاسترليني ان تمكن انجلترا مصر من استيرادها من مناطق العملات الصعبة وان تزاد حصة مصر من تلك العملات تبعاً لذلك .

أما الآن فيخشى أن تواجه مصر ضيقاً شديداً ازاء مطالبة مصدري البترول بضرورة تقاضي أثمان بضائعهم بالدولارات ويبلغ ثمن البترول اللازم لمصر حوالي ٦ ملايين من الجنيهات . ذلك في حين أننا لو بقينا داخل الكتلة كنا نستطيع سداد هذا المبلغ بالجنيهات الاسترلينية طبقاً للنظام وهو النظام الذي وضع أثناء الحرب والذي بمقتضاه تتمكن كل دولة داخل منطقة الاسترليني من سداد أثمان وارداتها من البترول بالجنيه الاسترليني سواء أكان

ذلك البترول وارداً من منطقة الدولار أم من منطقة الاسترليني .

ونحن مطالبون كذلك بسداد أثمان ما يلزمنا من الحبوب بالدولارات

أما السماد فانه طبقاً لاتفاق مع شركة شيلي وضع وقت وجودنا بكتلة الاسترليني يمكن سداد الثمن حتى يونيه القادم بالجنيهات الاسترلينية . ولكن المستقبل غير معلوم .

أيدهش الانسان بعد ذلك اذا ما كان الانجليز قد وافقوا ان لم يكن قد رحبوا بخروج مصر من كتلة الاسترليني حتى يزول عن كاهلهم هذا العبء الذي لا يسرهم بطبيعة الحال حمله في الوقت الحاضر

للانسان ان يتساءل ما الحكمة في ان انجلترا كانت تحتمل عنا هذا العبء الثقيل علينا

الواقع ان ذلك ما كان مطلقاً تفانياً في حبنا وانما كان في أثناء الحرب ارضاء لشعب يهمهم المحافظة على مرضاته . كانت انجلترا اذ ذاك في أشد الحاجة الى السلع والخدمات من مصر وكان الحصول عليها هو السبب الرئيسي في تجمع الأرصدة الاسترلينية في لندن . ففي تلك الحالة كان يهم الانجليز ان يعم مصر شيء من الرخاء وان كان وهمياً إذ ان انجلترا أخذت باليسار أضعاف ما أعطته باليمين .

اما بعد الحرب فانها ما كانت تستطيع ان تعاملنا وحدنا دون سائر الدول المنتمية لكتلة الاسترليني معاملة شاذة تظهرها أمام العالم بمظهر الظالم المتحدي وهو الشيء الذي تحرص انجلترا كلما أمكنها ذلك على تغطيته . كما ان أميركا وهي المصدر الأول للدولارات وقد نصبت نفسها حكماً بين دول العالم ما كانت لتوافق على استثناء مصر وحدها من اتفاق معقود مع جماعة من الدول

اما الآن وقد تركت مصر هذه الكتلة بمحض اختيارها فقد أراحت انجلترا من واجب بغيض اليها . كما ان قرار الخروج من كتلة الاسترليني تم في وقت لم تكن الاداة المكلفة بتنفيذ القانون قد أنشئت . وان مراقبة الصادرات والواردات زادت مهمتها اضعافاً مضاعفة فبعد ان كان عملها مقتصراً على منطقة العملات الصعبة أصبح يشمل جميع صادرات مصر ووارداتها .

والواقع ان قانون الرقابة على النقد صدر عشية اليوم المعين لتنفيذه وترتب على ذلك ان التعليمات والاستمارات اللازمة لم تكن قد وضعت، فمضت أيام كثيرة لم تتمكن فيها البنوك من فتح اعتمادات مما سمح للمضاربين بأن ينشطوا في نشر الاشاعات عن عدم امكان استيراد بضائع . وقد أدى ذلك الى ارتباك في الأسواق وارتفاع في أسعار المواد المستوردة والمصنوعة محلياً على السواء

هذه بعض النتائج التي لمسناها كأثر لقرار خروج مصر من كتلة الاسترليني في هذا الوقت في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حين لم نستطع أن نلمس فائدة واحدة وما زلنا نتطلع لمن يشرح لنا تلك المزايا التي غاب عنا ادراكها
ويهمني أن أتساءل أخيراً هل حقيقة أننا خرجنا عن كتلة الاسترليني ، تنص المادة السادسة من الاتفاق الأخير بين مصر وبريطانيا على أن الحكومة المصرية تتعهد بأنها لن تقيد قبول دفع قيمة جميع المعاملات الجارية بالجنيه الاسترليني — ومعنى هذا أنه لا يحق عند ما يعرض شخص ما في الخارج سواء كان في منطقة الاسترليني أو غيرها أن يدفع ثمن الصادرات بالجنيهات الاسترلينية لا يحق للحكومة المصرية أن تعترض . فأين هو الخروج المزعوم من الكتلة .
أما وقد مهدت انجلترا لنا السبيل بخرقها الاتفاق من جانبها فأصبحنا في حل من هذا النص . فليس يفيدنا كثيراً إطالة البحث فيه وعلينا أن نتجه للعمل المنتج .
إن الموضوع من الخطورة بمكان وليست عواقبه مقصورة على فرد أو أفراد ولا على طبقة حاكمة أو حكومة إنما هو أمر يمس مصالح جميع أفراد الشعب ويتعلق به مستقبل مصر بأجمعها من الناحية المالية .
لذا فانا نرجو أن يكون أول ما تتجه إليه الآراء الآن هو حشد جميع المشتغلين بالمسائل المالية من رسميين وغير رسميين وأن نعرض عليهم جميع هذه المشكلات ليضعوا لها دستوراً يكون هو السياسة القومية التي تسير عليها البلاد بدون نظر لتغيير الحكومات أو الأشخاص القائمين على توجيه السياسة المالية ، وبذلك نأمن العثار وتكون خطواتنا بعيدة عن مواطن الزلل . إسمحوا لي وقد تناولت عدة موضوعات متشابكة أن ألخص في بضع كلمات ما رميت إليه بهذه المحاضرة .
أولاً — إن الخروج من منطقة الاسترليني بذاته لم يقدمنا شيئاً في سبيل تحقيق الاستقلال المالي .
ثانياً — إن دعامتي الاستقلال المالي هما الغطاء القوي القابل للتحويل والبنك المركزي القادر على توجيه سياسة الائتمان لمصلحة البلاد .
ثالثاً — إن السبيل لتكوين الغطاء هو أن نزيد صادراتنا لمنطقة الدولار وان نقلل من وارداتنا مع العمل في الوقت نفسه على تخفيض الأسعار في الداخل .
رابعاً — عقد قرض لتمويل المشروعات العمرانية حتى يساعدنا ما نصرفه عليها الآن في تكوين الغطاء .
خامساً — تشكيل هيئة من الرجال المشتغلين بالمسائل المالية درس مركز مصر المالي ووضع سياسة طويلة الأمد تكون دستوراً لنا في الشؤون المالية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صابون الحرب

أصلح وسيلة لخفض أسعار الصابون العادي

ذكرت في سياق مقال على « المخترعات الحربيـة في الحياة المدنية »[1] ان الصابون الحربي صالح لكل الأغراض والأجواء ، حاراً كان الماء أو بارداً أو أجاجاً أو فراتاً ، فيصلح لغسل الأيدي والوجوه والاستحمام والحلاقة وغسل الملابس وأجزاء الأجهزة » .

ولما كانت العائلات جميعها ، غنيُّها ومتوسطها وفقيرها ، أصبحت تشكو ارتفاع أسعار الصابون العادي رأيت التوسع في وصف الصابون الحربي ، لنصير على بينة من أمرنا ، عندما ينتشر بين ظهرانينا في القريب العاجل ، فيحدث بلا شك تنافساً شديداً في الأسواق المحلية فينبغي إذن بحث الامر من وجوهه جميعها فيما يلي : —

جاءَ في كتاب الصناعات والصناع، الذي ترجمته عن الانكليزية وأصدرته في سنة ١٩٢٦ في فصل بعنوان الصابون : —

ابتدع قدماءُ الاغريق والرومان ، الصابون واستعملوه في زمانهم ، كما إنَّ كثيرين من الأقوام الذين نعتبرهم متوحشين ، لديهم عدة مواد ، تقوم لهم مقام الصابون عنـدنا . قلت « واملَّ المؤلف يقصد بذلك شجرة الصابون ، وهذه تزرع في المنطقة الحارة ، وقد سميت بهذا الاسم لأنَّ أوراقها ترغي رغوة كالصابون ، تنظف المواد الدهنية ، وقد تستعمل هذه الأوراق بدل الصابون وذلك في أمريكا الجنوبية » .

ومن الأشجار الصابونية ، شجرة عرق الحلاوة واسمهـا العلمي Saponaria Officinalis وهي بالانكليزية Soap-wort وكذلك شجرة كستنا الخيل أو الشاه بلوط لأن في ثمرها خاصية الصابون فتستعمل بدلاً منه في بلاد أرياف أوربا .

ومضى المؤلف الانكليزي فقال « ونحن معشر الانكليز ، نفتخر بكوننا أكثر البرية

(١) راجع مقتطف ديسمبر سنة ١٩٤٥

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نظافة : على وجه البسيطة ، غير أنَّ في هذا الزعم بعض المغالاة ، لأننا نعرف شعوباً كثيرة تعدُّ حقيقةً في أسمى درجات النظافة وبالأخص أهالي شبه جزيرة ملايا ، أولئك الذين يقطنون غالباً بضفات الأنهر ، حيث يستحمون مرتين كل يوم . وربما أكثر من ذلك . ولا يخفى أن الماء أعظم ما يفتقر إليه طالب الاغتسال ، وإذا ما أضيف إليه ، الصابون ، كان له خير معوان على إزالة الادران » .

والصابون كما جاءَ في معجم المنجد « مركب من الزيت والقلي ، يغسل به . والكلمة فارسية عربيها الغاسول . والصابونية « عرق الحلاوة » نبات يؤخذ منه نوع من الغسول ، يغسل به » .

وجاءَ في نبذة بقلمي نشرت بمجلة المفتاح في جزئها المؤرخ في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠٩ ما يأتي : —

تنمو بعضها بجانب بعض في إقليم فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية ، أشجار تسمى أشجار الصابون والشحم « فأشجار الصابون وحدها تنتج محصولاً يصنع منه أنقى أنواع الصابون الممكن صنعه في العالم .

وفي الحقيقة أن حبوبها صابون طبيعي ذو رغوة تشبهها في الصابون الصناعي . ولعظم منافع أثمار أشجار الصابون ، قد انتشرت انتشاراً كبيراً في كثير من أرجاء العالم حتى أنه يمكن الحصول عليها من بلاد الجزائر وبلاد الصين . وأما محصول أشجار الشحم فيدخل أيضاً في صنع الصابون فيتكوّن منهما معاً صابون جيد . ويستخرج من أثمار شجر الصابون « غير الصابون » زيت لذيذ الطعم جدّاً . ويقال إنه متى عرفت منافع أشجار الشحم معرفة تامة استخرج منها أيضاً زيت لذيذ ينتج أرباحاً كثيرة » .

ونلت في سياق مقال على (الباباز ثمر عجيب) (١)

ويجعل ثمر الباباز الفج « غير التام النضج » وورقه الأخضر كصابون لتنظيف الثياب ويستعمل أهل پارجواي ورق البابـاز بديلاً من الصابون . »

ويقال إن الصابون اشتق اسمه من مدينة صاڤونة القريبة من جنوه من أعمال إيطالية .

---

(١) راجع مقتطف يونيو ١٩٣٥

وذلك أن زوجة صياد سمك من أهل تلك المدينـة ، كانت قد سخّنت ماء الصودا في وعاء كان مشبعاً بزيت الزيتون ، فتكشف لها ذلك المركب مصادفة . ويعتقد فوج من العلماء أن الصابون كان مجهولاً عند الشعوب القديمة . ولـكن ثمة مستند كتابي ، ينفي هذا الاعتقاد كما تقدم القول ، في صدر هذا المقال .

وفي العصور القديمة كانت الناس تدهن أجسامها بزيت الزيتون ، وتستعمل عصـارات النباتات المختلفة ورمادها مقرونة بالطين الاصوانلي ، في أغراض التنظيف .

وذكر پلبني المؤرخ الروماني في القرن الأول بعد الميلاد ، صنفين من الصابون هما الصلب والرخو . وقال إنهما من مخترعات الغاليين « التي تكسب الشعر لوناً لامعاً » ، وأثبت أن الصابون يصنع من الشحم والرماد . وان أجود أصنافه ما ركب من رماد خشب الزان وشحم الماعز ، وقـد عثر المنقبون في خرائب مدينـة پومبيي الأثرية على مصبنات ، فاستدلوا من ذلك على أن تركيب الصابون كان معروفاً بلا جدال عند قدماء الرومان .

قلت « وتنظيف الأيدي من الأوضار بالغرين ، عادة ما زالت مألوفة في حقولنا المصرية عند الفلاحين » .

وجاء في احدى الصحف المحلية في صدد مخترعات الحرب العالمية الثانية ومن ضمنها صابون الحرب ما يأتي :

كشف علماء الحلفاء ، النقاب عن كثير من الأسرار الحربية الألمانية ، مما سيوفر على الحلفاء ملايين الجنيهات الاسترلينيـة التي تنفق في سبيل البحوث العلميـة . ويدل ما كشف على أن اختراع الألمان كان يسبق مقدرتها على تحويل النظريات الى مصنوعات وقد استفاد الحلفاء من بعض هذه الاختراعات كثيراً واستخدمت في حرب الباسفيكي. وظهر أن الألمان تقدموا كثيراً في بحث مسألة القنبلة الذرّية وفي انتاج « الماء الثقيل » ولـكنهم كانوا يفكرون في قذيفة يسيرها طيار واحد تستطيع أن تقطع ثلاثة آلاف ميل . ولـكن واضع تصميم هـذه القذيفة كان يتوخى استخدامها في شؤون التجـارة كذلك لنقل الركاب عبر الاطلنطي في ١٧ دقيقة .

وكان الألمان يعملون بطريقة جديدة لانتاج أنواع جـديدة من غازات الحرب . وكانوا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يرجون أن تكون أشد فتكاً من أية مادة كيميائية ظهرت حتى الآن .

وكانت لديهم مشروعات مفصلة بشأن السفن الحربية من طراز ممتاز حديث ، منها غواصات ذات سرعة أكبر منها في الغواصات الحالية تحت الماء ، ومقدرة أكبر على تحمل الأعمال الحربية تحت سطح الماء . وكشف الألمان طرقاً جديدة لاستخراج كثير من المواد الصناعية مثل استخراج الكحول والزبدة الصناعية ووقود الطائرات والصابون والبنزين من الفحم [١] كما كانت لديهم تصميمات لأنواع سرية مختلفة من المدافع وآلاتها . واشترك البريطانيون والأميركيون في كشف هذه الأسرار . ولا تقتصر التقارير التي وضعوها على تكييف السياسة التي ستتخذ لمراقبة المانيا بل ستؤثر في التحول الصناعي والعلمي كذلك » .

ووصفت إحدى المجلات العلمية الأميركية التي وردت علينا حديثاً ، صابون الحرب فقالت : —

الصابون عامل كيميائي من أقدم العوامل التي تعاون على الترف . وقد أصبح الآن يلاقي منافسة عنيفة من المواد الكيميائية المنظفة التي اخترعت حديثاً ، وهي الصالحة للغسل على أحسن ما يرام ، عسراً كان الماء أو يسراً أو ملحاً بارداً .

وكان الغرض من اختراعها في بدء الأمر ، مواجهة مشاكل صناعية معينة ، هي التي لم يقوَ الصابون على تلافيها . فانتشر انتاجها واستعمالها في هذه الآونة انتشاراً كبيراً أفضى الى خفض أسعارها خفضاً كان من شأنه اقبال ربات البيوت على استعمالها في أغراض التنظيف كافة ، تنظيفاً يتعذر على الصابون أداؤه على أحسن وجه .

وتصلح هذه المنظفات الصناعية الكيميائية للغسل دون احداث تحبب بغيض يستقر على الثياب أو في أوعية الغسل . وهذا عدا تأثيرها تأثيراً صالحاً في الملابس الصوفية . ثم إن استعمالها في البيوت يؤول الى تخلص رباتها من (الحلقات) التي تتخلف عن الصابون العادي . وذلك في مراكن الغسل « الطشوت » وفي بالوعات الحمامات والمطابخ ، كما يسهل تنظيف الأطباق وذلك لأنها ذات خواص فائقة لازالة الأدهان . وهذا عدا كون المواد

(١) راجع مقتطف مايو سنة ١٩٤٣ وغيره من الاجزاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المنظفة تصنع على أنواع مختلفة ، فتكون إما سائلة وإما عجينية القوام كعجينة تنظيف الأسنان ، وإما مركبة تركيباً صالحاً لتنظيف أواني الخبز ومنتجاته ؛ كما تنظف المعادن مما يعلق بها من الأدران .

ومما ينبغي ذكره في هذا المقام ، أن ألمانيا كانت أول دولة ، اخترعت المواد الكيميائية المنظفة . وذلك عقب وقوف رحى الحرب العالمية الأولى « وهذا يطابق ما تقدم ايراده ». ثم عمّ استعمالها صناعياً ولاسيما في ميادين المنسوجات في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية وذلك منذ سنة ١٩٣٠ .

أما قبل الحرب العالمية الثانية فكان المخترع منها أصناف قليلة فاستنفدت في خلال تلك الحرب لشدة الاقبال عليها من جانبي الأسطولين الحربي والتجاري الأمريكيين . وكان مستعملوها حينئذٍ يسمونها «صابون ماء البحر » إذ كانوا يتخذونها وسيلة للتنظيف في وحدات المفاصل المتنقلة ، التي كانت كثيراً ما تحل في مراكز المياه العسرة والأراضي الوعرة، ولغيرها من أشتات الأغراض الصناعية .

وأحدث أصناف المنظفات الصناعية الكيميائية يؤلف من أنواع شتى من المواد الكيميائية وتسمى (صناعية) لأنها اخترعت نتيجة لمباحث كيميائية عصرية . على حين أن صناعة الصابون قديمة العهد . والصابون نفسه تركيب صناعي كيميائي ينتج من تفاعل الصودا الكاوية مع الشحم .

وهذه المواد المنظفة تستطيع أيضاً تفكيك الشحم ، الذي يتعذر مزجه بالماء بأية وسيلة أخرى ، فيتحول الشحم الى دقائق صغيرة يمكن تعليقها في الماء ثم جرفها كلية معه على حين أن الصابون العادي ينعقد حبيبات لا تذوب مع الكلسيوم وذلك في المياه العسرة ، كما إنه يُتلف بالمحاليل الحمضية التي قد تحتاج اليها المغسلات والتي تتطلبها أيضاً عمليات الغسل الصناعية . أما المواد الكيميائية المنظفة فكثير منها ، على عكس الصابون ، ذات تأثير نافع في المياه العسرة ، فيتيسر استعمالها في المحاليل التي ليست حامضة أو قلوية .

ويتاح صنع هذه المواد المنظفة أسوةً بالصابون ، إما حبيبات ، وإما رقاقاً ، وإما سوائل ، كما يتسنى جعل بعضها قوالب للتنظيف والتبرج عامة . - عوض منري

باب المراسلة والمناظرة

النظائر والطاقة الذرية

كتب صديقي الأستاذ جريس الشرايحة مقالة في « المقتطف » عدد مارس ١٩٤٧ — بعنوان « النظائر وكيمياء النواة » . والتقيت بالاستاذ غير مرة قبل أن يكتب المقالة وبعد أن كتبها ، وتباحثنا في الموضوع ، ولكن كنا نفترق دون اتمام البحث . وخلاصة رأي الأستاذ ما يلي : ما دامت جميع نظائر العنصر تتفق في العدد الذري والطيف والصفات الكيميائية والاشعاع ، فلماذا نرى اختلافاً في نتائج نظائر البورانيوم ، أي ان القنبلة الذرية تصنع من النظير (٢٣٥) لا من النظيرين (٢٣٨) و (٢٣٤) . ويعزز الأستاذ قوله بالمثال الآتي : وهو يمكن أن نحصل على ماء اذا مزجنا ذرتين من الهيدروجين رقم (١) و من نظيريه الديتوريوم أو التريتوريوم مع ذرة اكسجين . ثم يسأل الأستاذ اذا كان هنالك نوعان من الكيمياء ، كيمياء تخص مركبات الذرة الخارجية ، وكيمياء تخص مركبات الذرة الداخلية .

هذا مجمل قول الأستاذ والأسئلة التي أوردها ، ومن أراد زيادة فليراجع مقاله .

لا أريد أن أدخل في تاريخ كشف النظائر ولكنْ هنالك أسس أخرى عليّ أن أبينها قبل الشروع في ايضاح المسألة التي نحن بصددها .

والحقيقة ان الوزن الذري لأي عنصر مّا أكبر من العدد الذري . ذلك لأن النواة لا تتركب من بروتونات والكترونات فحسب — كما كان الرأي سائداً قبل عام ١٩٣٢ — بل هنالك جسيمات أخرى تتركب منها النواة غير ما ذكرنا . ومن هذه الجسيمات النيوترون (المحايد) ، وهذه الجسيمة لها وزن يقارب البروتون ولكنها خالية من كل شحنة كهربائية . هذا ما أردت أن أبينه قبل الشروع في الاجابة على أسئلة الأستاذ .

ان سؤاله فيما إذا كان هنالك كيمياء تتعلق بالذرة وأخرى تتعلق بالنواة أقول : إنه سؤال وجيه لمن أقلقت أفهامه معضلات العلم . لقد أصبح معلوماً ان الكيمياء تخص مركبات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذرة الخارجية أي ما يتعلق بالصفات الخارجية للذرة ، أما النواة ومركباتها فهذه من اختصاص علم الطبيعة . لأن نواة الذرة تتركب من جسيمات هي في غاية الدقة وهي التي تعين صفة العنصر . فهذه الجسيمات يسري عليها قانون يشبه قانون الجاذبية وقواعد تشبه قواعد الكهرباء . أقول تشبهها لأن القوانين المتعلقة بهذه البحوث لها رموز وأعداد وحلول تخص نوعاً من الحساب حولها فقط لأن قانون الكتل الكبيرة والتيارات الكهربائية الكثيفة لا يسري عليها . اذاً فكل البحوث التي تخص مركبات الذرة الداخلية هي من خصائص علم الطبيعة ، أما أهمية الكيمياء ، وخصوصاً الكيمياء الطبيعية لا تنكر في أبحاث النشاط الاشعاعي وتجارب تغيير العناصر وميزانها .

فوجه الشبه الذي قدمه الأستاذ بين مزج ذرتين من الهيدروجين أو أحد نظائره مع ذرة اكسجين للحصول على ماء ، وبين طاقة نظائر البورانيوم المختلفة هو شبه وجه بعيد جداً . لأن مزج الأول هو من خصائص الكيمياء ويمكن فصلها عند الضرورة . ولكن استخراج الطاقة الكامنة من الذرة هي خصائص الطبيعة . لأن الأول هو مزج ذرة بأخرى . أما الثاني فهو شطرها

ولقد أصبح من الجلي ان الذرة لا تتركب من ألكترونات وبروتانات فقط ، وإنما هنالك جسيمات أخرى كالنيوترون التي تزيد في كتلة الذرة لأن هذه الجسيمة تعادل البروتون وزناً ولكنها خالية من كل شحنة كهربية ، نخلوها من الشحنة الكهربية جعلها أفضل أداة لشطر الذرة . فلها أهمية كبرى في تغيير العناصر وزيادة النشاط الاشعاعي وهبوطه ، حسب السرعة التي تسير بها . فمثلاً اذا استقر نيوترون واحد في نواة احدى العناصر أحدث من ذلك العنصر نظيراً مستقراً وزاد ترتيبه في الجدول الدوري درجة واحدة ، لأن عدد الالكترونات التي في المحيط هي التي تعين العدد الذري للعنصر كما ان عدد البروتونات التي تحويها نواة الذرة وغيرها من الجسيمات هي التي تعين الوزن الذري للعنصر ، ونحصل على عدد النيوترونات التي تحويها نواة الذرة بواسطة طرح عدد البروتونات من الوزن الذري. لنأخذ مثلاً عنصر البورانيوم الذي عدده الذري ٩٢ والوزن الذري ٢٣٨ للنظير الاول ٩٢ ألكترون في الخارج تقابل ٩٢ بروتون في الداخل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إذن : ٢٣٨ — ٩٢ = ١٤٦ نيوترون داخل نواة النظير الأول للبورانيوم
أما النظير الثاني وهو ٢٣٥ — ٩٢ = ١٤٣ » » » » الثاني »

وهكذا . فالنظائر تختلف باختلاف عدد النيوترونات التي تحويها النواة وأبسط مثال على ذلك هو الديتوريوم الذي نواته تحتوي على نيوترون واحد وبروتون واحد وهو المعروف بالهيدروجين الثقيل وان الماء المصنوع منه لا يستحسن شربه ولو ان الاستاذ سوّاه بالماء المعمول من الهيدروجين ذي الرقم (١)

رأينا ان من مركبات الذرة الأساسية النيوترون ، ورأينا بعض أهميته في الابحاث الذرية ولكن حتى أجيب على سؤال الاستاذ الرئيس وهو هل نظائر اليورانيوم لها نفس الطاقة ، أشرت الى أهمية النيوترون حتى يتسنى فهم ما سيأتي .

١ — عندما يدخل النيوترون الى نواة العنصر يحذف بروتوناً من الذرة . وبما أن الوزن الذري يتبع عدد البروتونات وهو بدوره يقرر العدد الذري فهكذا عند دخول النيوترون وخروج البروتون ينزل العنصر مرتبة واحدة في الجدول الدوري بينما كتلته تبقى كما هي نظراً لتعادل وزن النيوترون مع البروتون المحذوف .

٢ — إن دخول النيوترونات الى النواة أحياناً يبعث دقائق ألفا ، وهكذا فالعنصر الحاصل بعد هذا الفعل ينزل عدده الذري وحدتين أقل من العنصر الاصلي ، في الجدول الدوري وتنزل كتلته ثلاث وحدات وذلك لان دقائق ألفا هي ذرات هيليوم أي عدده الذري (٢) ووزنه الذري (٤) أي فيها بروتونين ونيوترون مساوي لكتلة البروتون . اذاً أصبحت الكتلة ثلاث وحدات والعدد وحدتين

٣ — اذا كان دخول النيوترون لم يحدث أي من الاحداث السابقة ، فالنيوترون يتحد مع النواة وهذا يحدث نظيراً أعلى للعنصر الاصلي .

واليك البيان بمعادلات كيميائية للحالات الثلاث السابقة ، في عنصر الالومنيوم

1 — $^{27}_{13}Al + ^{1}_{0}n \rightarrow ^{27}_{12}Mg + ^{1}_{1}H$

2 — $^{27}_{13}Al + ^{1}_{0}n \rightarrow ^{24}_{11}Na + ^{4}_{2}He$

3 — $^{27}_{13}Al + ^{1}_{0}n \rightarrow ^{28}_{13}Al$

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وربّ سائل يقول كيف الحصول على مثل هذه النتائج والعنصر هو نفسه في الحالات الثلاث ، له نفس عدد الجزيئات والكمية ؟ والجواب هو ، أنه في الحالتين الأوليين يكون النيوترون سريعاً جدّاً وفي الحالة الثالثة يكون أقل سرعة أي أن سرعتها انتهت في ذلك الموضع فاستقرت هناك . أما إذا كانت سرعة النيوترون أكثر قليلاً فانه يصطدم في النواة مع البروتون اصطداماً مطاطيّاً وهذا النوع من الاصطدام يسبب هبوطاً في طاقة النيوترون ولهذا نجد في كثير من الحالات في شطر النواة استعمال الهيدروجين الثقيل ، وذلك لقدرته على الانتشار أكثر من أي عنصر آخر، كما أنّ فعل البروتونات مع أشعة بيتا لها نفس فعل النيوترونات أي

نيوترون = بروتون + جسيمات بيتا

ولقد مرَّ بنا أن بعض العناصر اذا قذفت بنيوترونات سريعة جدّاً انطلق منها أشعة ألفا كما أنّ بعض العناصر المشعة نفسها تطلق هذه الأشعة . وأشعة ألفا تتفاوت طاقتها حسب العنصر . ولقد كانت هذه الأشعة قبلاً البناء الأساسي لدراسة الذرّة . ومن هذه الأشعة ودراستها انكشف لنا نوع جديد من البحث وهو درجات (استواءات) الطاقة . ولكن اذا اختلفت مقادير سرعة النيوترونات حصلنا على مقادير أعلى من الطاقة — في بعض الحالات — فمثلاً اذا اتحد نيوترون بنواة أحد العناصر فهذا الاتحاد يحدث طاقة عالية تقدر من ٧ — ٨ × ١٠^٦ ألكترون — فولت . واذا حصلنا فعلاً على هذه الطاقة فإنها تكون بشكل أشعة جمّا .

ولقد دلت التجارب أنّ النيوترون لا يلقى صعوبة كبيرة في اختراق نواة اليورانيوم وذلك لتجردها من الشحنة الكهربائية ، ونرى ذلك في نظائر اليورانيوم .

نعلم أنّ جميع نظائر اليورانيوم لها عدد ذري واحد وهو ٩٢ ، ونعلم أنّ النظائر تختلف باختلاف عدد النيوترونات التي تحويها النواة . ولنأخذ مثلاً النظير ٢٣٥ ، هذا يحوي ١٤٣ نيوتروناً كما أنّ النظير ٢٣٨ يحوي ١٤٦ نيوتروناً ، ونرى النظائر تتصرف تصرّفاً يختلف بعضها عن بعض ولهذا نحتاج الى قذائف من النيوترونات ذات سرعة فائقة لاستخراج الطاقة الكامنة في النظير ٢٣٨ والذي يحوي ١٤٦ نيوتروناً نظراً لاستقرار نواته ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بينما تحتاج في حالة النظير ٢٣٥ والذي يحوي ١٤٣ نيوترونا أي مقذوفات من النيوترونات بطيئة . وهكذا اذا صنعت القنبلة الذرية من النظير ٢٣٨ احتجنا الى أن نركب سيكلتروناً في القنبلة لقذفها بنيوترونات سريعة حتى يتمكن من استخراج الطاقة الكامنة فيها .

أما في حالة النظير ٢٣٥ فتحتاج الى نيوترونات بطيئة. وهذا فالقنبلة الذرية تتركب من كربون ويورانيوم ٢٣٥ يفصل بينهما معدن الكادميوم مع مقدار كبير من النيوترونات . وميزة عنصر الكادميوم هو امتصاص النيوترونات البطيئة . وليس عنصر الكادميوم وحده له هذه الميزة ، بل هنالك عناصر أخرى مثل نورونيوم والسماريوم وخصوصاً الجودالنيوم . وهكذا في هندسة القنبلة الذرية يوضع رقاص ينطلق في وقت معين ويخرج معه أصابع الكادميوم الموجودة في القنبلة . عندئذٍ يحصل تفاعل النيوترونات مع نوى اليورانيوم ٢٣٥ فتخرج طاقته . لأنه كلما كانت النيوترونات أبطأ كان امتصاص النواة لها أسهل . ولقد وجد البحث نوى عناصر أخرى تتفاعل مع النيوترونات البطيئة وتعطي طاقتها مثل النبتونيوم ، والبلوتونيوم وبعض نظائر النوريوم ، أما نظير اليورانيوم ٢٣٨ فهو أيضاً يمتص النيوترونات البطيئة ولكنه لا ينشطر بل يتكون نظيراً آخر وزنه الذري ٢٣٩ وقد دعي هذا النظير بلوتونيوم وهذا العنصر له نواة مستقرة ولكن اذا قذفت بنيوترونات سريعة جداً فالاشعاع والطاقة حاصلة لا محالة. وهكذا الحال في العناصر ذوات النواة المستقرة فإنها اذا قذفت بنيوترونات سريعة فانها تعطي طاقتها . ومن هنا بدأ التفكير باستغلال الطاقة الذرية في الصناعة .

والآن أجمل القول :

١ — تختلف النظائر باختلاف عدد النيوترونات التي في نواتها

٢ — لا يوجد كيمياء ذرة وكيمياء نواة فالكيمياء تخص الحقل الخارجي للذرة بينما الطبيعة تخص مركبات النواة

٣ — ان استخراج الطاقة الكامنة في نظائر اليورانيوم ممكنة على شرط ان تستعمل قذائف من النيوترونات بسرعات متفاوتة حسب استقرار نواة العنصر أو النظير فنلاً تحتاج الى نيوترونات ذات سرعة فائقة للحصول على الطاقة الكامنة في النظير ٢٣٨ بينما تحتاج الى نيوترونات بطيئة في حالة النظير ٢٣٥ نظراً لعدم استقرار نواته . فاذا دخل النيوترون الى النواة شطرها وخرجت طاقتها .

القدس فؤاد جمبعانه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعليقات أدبية – ردّ على توضيح

قرأت في المقتطف وفي عدد يوليو ١٩٤٧ توضيحاً لشاعر الوادي – محمد الصاوي عمار – حول نقدي للقصيدتين (برلمان الطبيعة، وتلمس في الظلام) وكان الشاعر في توضيحه يؤكد على درج همزة الوصل بعد (ال التعريف) مستشهداً بقوله تعالى « بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان » وقبل أن نردّ على قوله ينبغي أن نقول كلمة موجزة عن القرآن الكريم .

القرآن كتابٌ عربيٌّ مبين « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم » نزل تأييداً لدعوة الرسول (ص) ودستوراً لأمته . ولقد سمح الرسول في بدء الاسلام أن يقرأه العرب على لحونهم بما فيها من فتح وإمالة ومدٍّ وقصر تيسيراً للقراءة وتسهيلاً للناس . وبعد اتساع الفتوح وانتشار العرب اضطربت السلائق ونشأت قراءات غير صحيحة فتجرَّد قوم لضبط قراءته فنشأت القراءات السبع المعوَّل عليها للقرَّاء السبعة وهم « أبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن كثير ، ونافع بن نعيم ، وعبدالله بن عامر ، وعاصم ابن بهدلة الاسدي، وحمزة بن حبيب الزيات ، وعلي بن حمزة الكسائي » وتلي قراءات هؤلاء ثلاث قراءات صحيحة متواترة وهي قراءة أبي جعفر المدني ، وقراءة يعقوب بن اسحاق الحضرمي، وقراءة خلف بن هشام . ومع هذا وعند ما فشا اللحن وخيف على القرآن . ضبط أبو الأسود الدؤلي أواخر الكلم في المصاحف بالنقط بأمكنتها المعروفة الآن ، وكتبها الناس بمداد مخالف . وبعد تغاير أشكال الخط وتشابه أوضاع الحروف والتباس بعضها ببعض كالجيم بالحاء والدال بالذال أمر الحجاج نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذي أبي الاسود فوضعا الإعجام بالمداد الذي تكتب فيه الحروف للكلمة ثمّ جاء بعد ذلك الخليل بن احمد فوضع الشكل على هذا النمط المعروف ، فحلّ محل نقط أبي الأسود . هذا ما أوجزناه عن كتاب تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات . ومنه نستنتج على أن القرآن لم ينزل محركاً .

وإذا ما رجعنا الى الآية فيسرني أن أخبر (شاعر الوادي) بأني دققتها في (سورة الممتحنة) من المصحف الشريف طبع مطبعة كريمي (بومبي) فوجدت كلمة (الاسم) ساكنة اللام وثابتة الف الهمزة ومكسورتها . فما هو السبب ؟ ان السبب بلا شك ينكشف من قاعدة التقاء الساكنين النحوية . فاذا قلنا (لم يكمل الامتحان) فالهمزة الاولى تدرج وحينئذٍ يلتقي لامان ساكنان فيكسر الاول ويثبت الثاني على السكون شرطاً ولا يمكن ان يسكن الاول ويكسر الثاني لانه علاوة على انه ينبو عن الذوق فهو غير مسموع. وإذن فأصبح ثبوت الهمزة بعد (ال التعريف) واجباً وغيره خاطئاً وفي هذا فصل الخطاب . وأما قول شاعر الوادي بأن البيت الثاني فيه تصحيف فمحرر المقتطف أدرى به لان مسودته عنده

ولكني أستبعد التصحيف لأن زيادته كلمتان . هذا ما أردنا عرضه للشاعر محمد الصاوي عمار، وله منا التحيات .

نقدٌ عروضي

من عادتي ان أقرأ قصائد الشاعر عدنان مردم بك لما تمتاز به من عاطفة جياشة، ومشاعر رقيقة ، وخيال وثاب ، يرود رحاب الفضاء كما رادته حمامته الطائشة في قصيدته المسماة (الحمامة الطائشة) تلك القصيدة ذات الديباجة السهلة المنظومة على البحر الكامل والتي تكاد تكون مصرعة إذ أن أكثر عروضاتها وأضربها (فعِلن) ولكن بالرغم من بنيانها الكامل المرصوص وجدت فيها بيتها الأخير مضطرب الوزن وهذا نصه .

اني لأهوى كلّ طائشـــة ضلت وقد نزحت عن ايكها الجددا

لا شك أن من يزن هذا البيت يجد فيه زيادة هذا الجزء من العجز (ضلت و) كما يجد أن صدر البيت من الكامل وعجزه على حالته الحاضرة من البحر البسيط

ولكي يكون تام الوزن يجب ان يوضع على الوضع الآتي من النظم

أني لأهـــوى كلَّ طائشةٍ ضلّـت ـ الى إيكٍ لها ـ الجددا

ووزنه . مستفعلن مستفعلن فعِلن مستفعلن مستفعلن فعِلن

هذا والقصيدة موجودة في مقتطف يونيو لهذه السنة .

ولقد قرأت في مقتطف يوليو لهذه السنة أيضاً قصيدة رائعة بعنوان (فراق) والحق ان القصيدة عبارة عن أنفاس مصطلية بنار لوعة الفراق المحرقة ، لا بل هي دموع سخينة متناثرة على رمال صحراء الفراق المتوهجة ، جادت بها قريحة الشاعر المبدع (محمد فهمي) ولقد افتتت نظري غفلة عروضية في هذا البيت وهو من مجزوء الرمل .

« من رأى ؟ ... هول هذا المنظر الدامي ... مطبقاً »

ان نقطة اضطراب الوزن هي في كلتي (من رأى) إذ أن وزنهما (فاعلاً = فاعلن) غير موجود في حشو الرمل والمدة ليست للهمزة ، بل الألف اللينة الساكنة ، ومهما يمدها الشاعر لا يمكن أن تكون (فاعلات) فعليه يجب أن يصحح البيت وليكن فرضاً على هذه الصورة

« من رأى ؟ . . هولاً لهذا المنظر الدامي . . مطبقاً »

ووزنه : — فاعلاتن فاعلاتن — فاعلاتن فاعلاتن

هذه غفلات وددنا التنبيه اليها — ويا ما أكثر ما تعرض للأديب — يحدونا الى ذلك قول الدكتور يعقوب صرّوف : (وأجل في العلم مناقشة لحياة العلم مناقشته)

الفورنة — العراق بشير السعر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



د . د . ت . المخفف

لا يقتل السمك

أثبت ثقات العلماء الأمريكيين المتخصصين في علم الحياة . نتيجة تجاربهم الست عشرة الخاصة برش مياه بحيرات وادي تنيسي وبركه بسائل د . د . ت المعروف باسم إيروزول وذلك بالطائرات ابتغاء إبادة ما يوجد فيها من البعوض ، أن تلك المادة لم تقتل السمك ولا أنواع الحيوانات الصغيرة التي تعيش في الماء فيتغذى بها السمك ، بينما كادت تهلك البعوض بأمره . وقالوا إن المزيج الذي استعملوه لتلك الغاية كان بنسبة $\frac{1}{2}$ رطل انجليزي لكل ما كانت مساحته فداناً انجليزياً .

أنابيب من العجائن الكيميائية [١]

تحل محل الشرايين

أعلن الدكتور ث . ا . هفناجل الطبيب بثغر بوسطن في تقرير قدمه الى كلية الجراحين الامريكية أنه قد نجح في استعمال أنابيب من مادة الليوسيت [٢] المصنوعة من العجائن الكيميائية ، طولها قدر عقدة أصبع ، وذلك بدل قطع تليفة من الشريان الأبهر « الاورطي » في الحيوانات ، عن طريق تثبيت هاتيك الانابيب في المواضع الخالية بوساطة غُرَز من خيط حريري مضفور صنع لذلك القصد خاصة . فتبين له عقب إتمام تلك الجراحة ، أن ذلك الشريان المتصل بالجزء الليوسيتي ، قد قام بوظيفته خير قيام ، في نقل الدم ، كما يرام . مع كون الجراح المشار اليه لم يلجأ الى الاستعانة بالأدوية الضرورية لمثل هذه الحالة ، ومنها الهيبارين [٣] والديكومارين اجتناباً لتجمد الدم

---

(١) راجع مقتطف يوليو سنة ١٩٤٠ (٢) مادة الليوسيت هي من مخترعات مصنع هادبون. ومنها تصنع أدوات شتى للسيارات وغيرها (٣) راجع مقتطف يناير ١٩٤٥ باب الاخبار العلمية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البحر الميت وكنوزه[1]

جاء في البرقيات العمومية من لندن في الثاني والعشرين من شهر يوليو الماضي ما يأتي: —

قال مصدر في الحي المالي بلندن لوكالة الأنباء العربية إن عدداً من كبار المصريين في الاسكندرية، اشتركوا في المفاوضات التي قيل انها جرت أخيراً لشراء امتياز البحر الميت الذي يمتلكه مستر ميتلاند ادواردز. فتوخيت إعادة وصف هذا البحر ومنافعه الاقتصادية فيما يلي افادةً للقراء:

لا يحتاج المستحم، من الاحداث في البحر الميت الى أية أداة كانت، من أدوات الوقاية من الغرق. لأن ماء ذلك البحر العجيب (الذي تحيط به الارض من كل جهة ويصب فيه نهر الاردن) محتو على كثير من الأملاح الذائبة فيه. حتى أن من يسبح فيه يرى نفسه طافياً على الماء كأنه كيس منفوخ بالهواء. والواقع أنه من الصعب على الاطلاق، الغطس في الماء غطساً كافياً. لأن ماءه يشتمل على نحو ٢٤ ٪ من الاملاح المختلفة. ويسمَّى هذا البحر علميًّا «بحيرة الاسفلت» وهو واقع في واد عميق بفلسطين وطوله ٤٦ ميلاً، وعرضه يتفاوت بين ثمانية أميال وعشرة أميال. ولما كان ذلك البحر تحدق به الجبال، فانه يتميز بميزة غريبة هي كون الجداول تصب فيه من الشرق والغرب والجنوب، كما يصب فيه أيضاً من الشمال نهر الاردن المشهور جدًّا في الكتاب المقدس. وليس للبحر الميت منفذ. ومن المحال أن يتفرع منه أي نهر. وهذا أمرٌ بدهي، لأنه منخفض عن سطح البحر الأبيض المتوسط نحو ١٣٠٠ قدم، ويبعد عنه نحو ٥٠ ميلاً، وأقصى عمقه ١٣٠٠ قدم.

وسبب تسميته بالبحر الميت، كونه محاطاً من كل جهة بأراضٍ جدباء، ولا تعيش فيه إلاَّ قلائل من المخلوقات المائية، وذلك لفرط ملوحة مائه. ومن الأقوال المأثورة بشأنه، أنه واقع فوق أطلال مدينتي سدوم وعمورة المذكورتين بسفر التكوين من التوراة. وهما تانك المدينتان اللتان دمرهما الله تعالى لتفاقم شرور سكانهما. ولكن العلماء يستبعدون ذلك القول. وفي البحر الميت ثروة معدنية وكيميائية لا تقدر بمال. وقد كشفت عنها جماعة من الكيميائيين البريطانيين الذين نالوا منذ نحو عشرين سنة، امتياز استغلال تلك الدفائن الثمينة من حكومة فلسطين. وقد قدرت محتوياته من البوتاسا النقية وأملاح البروم والجبس وكلورور المغنيزيوم وغيرها من الفلزات المفيدة للزراعة والصناعة، بما

(١) راجع مقتطف اكتوبر سنة ١٩٢٩ باب الاخبار العلمية.

يعادل ثلاثة أمثال دين الحكومة البريطانية للولايات المتحدة الامريكية في الحرب العالمية الاولى. ومما يروى في هذا الصدد أن الدكتور جورج كلود العلامة الفرنسي المشهور ، أبلغ حكومته أن البحر الميت ، يحتوي على ذهب يقوم بخمسين بليوناً من الدولارات وهذا عدا ثروته الكيميائية . وأن ثلث ذلك الذهب الابريز ، كما يعتقد الدكتور كلود ، يتاح استنباطه بالوسائل العلمية الحديثة في خلال ١٥ سنة تقريباً .

آلة كهربائية صغيرة للخياطة

اخترعت حديثاً في انكلترا آلة كهربائية للخياطة ، مصنوعة من الالومينيم ، تكاد تبلغ حجم آلة الكتابة «تايبرايتر» الصغيرة المكن حملها من مكان الى آخر . وثقلها ١٥ رطلاً انكليزياً . وتوضع في علبة من الالومينيم أيضاً ، تسهيلاً لنقلها حيث تريد صاحبتها . وعند ما تبلغ بها مكان العمل ، تفتح العلبة وتجعلها كمنضدة لحمل الآلة أيضاً في أثناء الخياطة . وتستعمل فيها كرة معدنية بدلاً من (الحدافة) طارة الادارة . ويُلقى الضوء على ابرتها ، من أنبوب من المعادن الكيميائية ، يقوم بحفي الاشعة لكي تضيء منطقة العمل ، وتسيطر على سرعتها ذراع معدني يدور بالقدم .

الراديو المصور [(١)] في حجر الجراحة بالمستشفيات

تمت منذ بضعة أشهر في مستشفى جامعة جون هوبكنز ، تحت اشراف مندوبي شركة الراديو الامريكية ، خمس جراحات ، قصد تجربة الراديو المصور بصفة كونه وسيلة من وسائل تعليم طلبة الطب ، حيث استعانوا على تنفيذ رغبتهم بآلتين حساستين جداً من آلات التصوير الفوتوغرافي . فنصبت إحداها على مسند خفيف يعلو منضدة الجراحة علواً رأسياً قدره أربع أقدام ونصف قدم . ثم رُكّبت المصورة الثانية ذات العدسة الخاصة بالتلفزة في الرواق الملحق بحجرة الجراحة . وذلك بينما تم من قبل ضبط المصورة التي نصبت فوق منضدة الجراحة ، وفتحها فتحاً أوتوماتيكياً . ثم وضع على المنضدة ميكروفون فكان ينقل صوت الجراح عند قيامه بمباشرة الجراحة وشرحه لتفصيلاتها ، على حين نصبت عشرة أبواق لاذاعة هاتيك المعلومات الجراحية القيمة فتلقاها ٣٠٠ طبيب . وعلى هذا النمط أصبح متاحاً بالراديو المصور ، اجتناب القيود المادية الخاصة بمدرجات حجر الجراحات وهي التي تجعل مشاهدة الطلبة لدقائق الجراحات ضمن نطاق محدود .

عوض جندي

---

(١) راجع مقتطف ابريل سنة ١٩٣٨

يكتشفون أمريكا الشمالية

قبل كولمبس بقرن ونصف قرن ؟

قام العالم الدنمركي بتشر مولر ببحوث في الشاطىء الغربي من جرينلند ، ونشر عن أبحاثه تقريراً جاء فيه : أنه لا يوجد أثر للمهاجرين القدماء الذين أتوا من اسكنديناوه وحطوا رحالهم في ذلك الجزء من جرينلندا ولا يمكن تفسير ذلك الا بأنهم هاجروا الى قارة أمريكا الشمالية قبل رحلة كولومبس بمائة وخمسين عاماً على الاقل ، وبذلك يثبت العالم الدنمركي أن الجنس الابيض عرف أمريكا قبل أن يكتشفها كولومبس برحلته المشهورة

ويقول هذا العالم ، انه قد حدثت اقامتان في جرينلندا وذلك في القرن العاشر حين هاجر اليها قوم من ايسلندا ، نزل بعضهم على الشاطىء الشرقي وأقام الآخرون في شاطئها الغربي .

وظل النازلون بالشاطىء الشرقي على صلة بأهل أوربا حتى منتصف القرن الخامس عشر تقريباً ، وتدل مخلفاتهم الاثرية على أنهم كانوا يعيشون عيشة ضنك وبؤس . اذ تدل هياكلهم العظمية على آثار من سوء التغذية ، والمفهوم أن معظمهم قتلوا ضحايا الاسكيمو .

***

أما أهل الشاطىء الغربي من هذه الجزيرة فيبدو أنهم كانوا يعيشون في رغد وسلام ، ويظهر أنهم كانوا يختلطون بأهل الاسكيمو اختلاطاً كبيراً .

وليس هنالك أثر يدل على أنهم كانوا يقتلون ، أو أن مزارعهم كانت تذهب طعمة النيران ، ومع ذلك فان بعثة انقاذ ، زارت هذه المنطقة التي كانوا يعيشون بها عام ١٣٧٠ فلم تعثر على أثر لهم وكانت الماشية تضرب في الحقول شأن الوحوش البرية ، وكانت منازل القوم سليمة لم يمسها ضرر ، أما أهلها فلم يعثر لاحد منهم على أثر .

فالى أين ذهب هؤلاء ؟ ما دام هؤلاء القوم قد نزحوا عن موطنهم بطريق البحر ولم يعودوا الى إيسلندا أو النرويج ، فلا محيص من ذهابهم الى أمريكا ، وفي أمريكا بالذات يجب أن يقوم البحث عن آثار إقامتهم ، وهل يا ترى نزلوا في نيوفوندلاند أولبرادور أو منطقة البحيرات العظيمة ، فذلك أمر يتكفل الزمن ببيانه أما المقطوع به ، فان هؤلاء القوم الاسكندينافيين القدامى الذين كانوا يعيشون في الشاطىء الغربي من جرينلندا قد هاجروا الى الأرض الامريكية عندما ساءت علاقتهم بالاسكيمو ، أو لسبب قريب من ذلك ، وهذا ما يغير احدى دعاوى التاريخ التي نعرفها وهي أن كولومبوس أول من زار امريكا من الجنس الابيض الاوربي ، فقد نزل هؤلاء البيض بأمريكا قبل رحلته اليها بمائة وخمسين عاماً .

الروماتزم وأسبابه

جاءت النتائج الباهرة التي حققها الطب الحديث في معالجة أمراض الروماتزم وآلام المفاصل والأمراض الأخرى الناتجة عن نقص التغذية صورة صحيحة لتقدم العالم العلمي الفائق . وحيث أن هذه الأمراض لا تؤدي بحياة المصابين بها إلا بنسبة ضئيلة جداً وهي ليست من الأمراض السريعة الانتشار فلا تسبب حدوث أوبئة على الاطلاق وحيث أنها ليست ذات تأثير فعال في الحياة العامة غير أنها كثيراً ما تسبب المريض آلاماً مبرحة وانحطاطاً عاماً في جميع أجزاء جسمه كما تعاني أسرته قلقاً شديداً وتثير عدم النظام في المصنع الذي يعمل فيه .

وقد يجد الطبيب صعوبة كبيرة في تعريف الروماتزم . ولكنه تبين أخيراً أنه من الأصوب وصفه بأنه اضطراب في وظائف الجهاز العضلي أو العظمي يسبب آلاماً وارتخاء في الحركة . أما أسبابه فلا تزال لسوء الحظ غامضة .

وحاول أعضاء جمعية مكافحة الروماتزم تقسيم الاضطرابات الروماتزمية الى عدة أقسام واطلاق إسم معين على كل منها . ولكنهم قرروا أخيراً تقسيمها وتسميتها بما يلي :

أولا — التهاب « المفاصل » وهو الاضطراب الذي « يصيب » المفاصل عادةً .

ثانياً — « الروماتزم غير المفصلي » وهو الاضطراب الذي يصيب العضلات والأربطة وسائر أجزاء جهاز الحركة الدقيقة

الصلة بين الحرفة والروماتزم

ويلاحظ أن لنوع الحرفة التي يزاولها الفرد صلة وثيقة بنوع الروماتزم الذي يتعرض له . فلو قسنا الحرف التي ينهض بها الذكور كالزراعة وأعمال المناجم والتعدين وأعمال البناء وصناعة الأثاث ومزاولة بعض الأشغال الخاصة والأعمال الكتابية وأعمال النقل وجدنا أنَّ مرض التهاب المفاصل يقتصد انتشاره بوجه خاص بين عمال المناجم . أما داء النقرس فيصيب عمال البناء

وإذا قسنا أنواع الحرف التي تؤديها الاناث كالبائعات أو الموظفات في المحال التجارية والعاملات في المنازل والعاملات باليومية والغسالات والكاتبات والخياطات والعاملات في المطاعم وجدنا أن داء التهاب المفاصل ونوعاً آخر من أمراض المفاصل التي تصيب عادةً المتقدمين في السن (تصلب مفاصل العظام) ينتشر بين العاملات في المنازل بنسبة مئوية كبيرة والنساء عامة أكثر عرضة لمرض التهاب المفاصل من الرجال الذين كثيراً ما يكونون عرضة لمرض الروماتزم غير المفصلي

أسباب الروماتزم لم تزل غامضة

أما أسباب الروماتزم فلا تزال غير

معروفة . ومن العوامل الهامة التي يمكن أن تسبب هذا المرض العدوى والحساسية واضطرابات الغدد والوراثة . وقد اتضح بعد إجراء البحث الدقيق أن مرض الروماتزم الذي يجيء نتيجة لسبب من هذه الأسباب باستثناء الأخير منها وهو الوراثة — مضمون علاجه .

ووجد في عيادة من العيادات الطبية في لندن بعض حالات التهاب المفاصل ظهر أن لاختلال المعيشة اتصالاً وثيقاً بها . فالأعمال المضنية مثلاً والمتاعب المالية والأمراض وموت أحد أعضاء الأسرة وانفجار القنابل في الاغارات الجوية في خلال الحرب العالمية الثانية وسوء حالة المعيشة — جميع تلك العوامل لها تأثير فعال في حدوث هذا المرض .

***

ومما يجدر بالذكر في هذا الصدد أن للعوامل الجوية كذلك شأناً كبيراً في الاصابة بالروماتزم . فقد يكثر انتشاره في المناطق الشمالية ولا سيما الأجواء الرطبة .

الكشف عن آثار هامة

استأنفت مصلحة الآثار حفائر الموسم الرابع بمنطقة كوم الحصن مركز كوم حماده بإشراف الأستاذ عبد الهادي حماده مدير قسم التفاتيش وادارة الأستاذ شفيق فريد سكرتير فني القسم .

وقد أجرى الحفر في ثلاث مناطق من الكوم فكشف في المنطقة الوسطى عن حوالي ٢٠٠ دفنة بعضها في الرمال أو في مقابر مبنية باللبن والبعض الآخر داخل توابيت من الخشب أو من الجبس وجميعها يرجع الى العصر الواقع بين الدولتين الوسطى والحديثة (١٧٨٠ — ١٥٨٠ قبل الميلاد)

وعثر أيضاً على مجموعتين من الجعارين من بينها جعران من الذهب الخالص دقيق الصناعة واضح التفاصيل ولا شك انه يؤلف مع الجعران الفضي المكتشف عام ١٩٤٥ قطعتين فريدتين ، إذ لا يوجد لها مثيل في المتحف المصري

أما المنطقة القبلية الشرقية فقد أسفر الحفر بها عن كشف أساسات أخرى تكمل المساكن التي عثر عليها في الموسم السابق وقد وجدت دفنات الى داخل جدران المساكن

وأما المنطقة الثالثة فتقع في الجهة الشرقية من الكوم ، وهي تقريباً في مستوى الأراضي الزراعية المجاورة لها وقد كشف بها عن حوالي ١٠٠ دفنة يرجع تاريخها الى عصر الأسرة الثامنة عشر ١٥٨٠ — ١٣٤٠ قبل الميلاد ، وعثر معها على عقود واقراط من الذهب والعقيق

وستستأنف المصلحة الحفر في أجزاء أخرى في تلك الجبانة الشاسعة في الموسم القادم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اكتشاف عقار جديد « بال »

أذاع مجلس البحث الطبي لبريطانيا نبأ اكتشاف دواء بريطاني هام سيكون من أعظم الاكتشافات الطبية العالمية شأناً .

ويعرف هذا العقار باسم « بال » وظهور هذا الدواء يعني أن الزرنيخ يمكن استغلاله الآن استغلالاً كاملاً كدواء من الادوية .

وقد عرف الأطباء منذ أعوام ان الزرنيخ أقوى في قتل بعض الجراثيم من أي مادة أخرى . كما عرفوا ان للزرنيخ قيمة عظيمة الشأن في علاج الامراض الجلدية المزمنة والأمراض العصبية . ولكن استخدام الزرنيخ ظل محدداً بسبب تأثيراته أو اضراره الشديدة للانسجة البشرية

على ان اكتشاف هذا العقار الجديد يعني أن هذه التأثيرات الضارة يمكن التغلب عليها سريعاً وتفاديها في أكثر الاحيان

وأذاع مجلس البحث الطبي أخيراً نبأ النجاح الباهر في التغلب على ٤٤ حالة تسمم بريطانية بالزرنيخ

وقد بدأ البحث في اكتشاف هذا العقار في الأعوام الأولى من الحرب العالمية الثانية حينما كانت أخطر الأسلحة الكيماوية التي يخشى اضرارها هو مادة « لويزيت » ومنها يشتق اسم هذا الدواء ، إذ لو سقطت نقطة واحدة من هذه المادة على الجلد لأصابته بحروق شديدة ، ولو أدرك رذاذها الأعين لابتلي المصاب بالعمى ، كما لو تسرب بخار هذه المادة السائلة الى الرئتين لاحدث فيها التهاباً حاداً ربما يفضي الى الموت

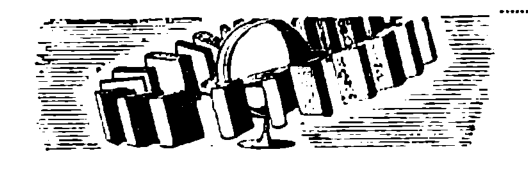
وكانت القوات البريطانية مجهزة بدهان خاص يحمي الجلد من الحروق التي تحدثها هذه المادة اذا دهن به عقب الاصابة مباشرة ولكن ذلك لا يقي الاعين ولا يمنع تسرب البخار أو الغاز الى داخل البدن

ومن المعروف ان أنشط عامل في مادة اللوزيت هو الزرنيخ . ولذلك اتجه البحث نحو ايجاد عنصر مضاد لهذا العامل له قوة تمحو أثر الزرنيخ العميق في الانسجة البشرية .

ولتحقيق هذا الغرض تألفت جماعة للبحث في قسم الكيمياء وعلم الاحياء بجامعة اكسفورد وبرياسة البروفسور بيترز

وقد نجحت هذه الجماعة في كشف سائل يزيل مفعول الزرنيخ في الجسم وأطلق عليه الاسم السالف الذكر في مقدمة هذه الكلمة . وقد دلت التجارب التي أجريت على الأفراد المتطوعين ان هذا الدواء يشفي الجلد من الحروق اذا عولج به بعد ساعة من الاصابة وكذلك الامر فيما يتعلق بالعين بعد عشرين دقيقة . واليوم أي بعد مرور عامين على اكتشاف هذا الدواء دلت التجارب على ان له أثراً فعالاً ضد التسمم بأملاح الزئبق كما انه يستخدم في علاج بعض أمراض القلب والأمراض الاخرى . وتجري الآن تجربة هذا العقار الهام ضد التسمم الناجم عن الرصاص والقصدير والذهب والمعادن الاخرى .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

١ - ألحان الحان

للاستاذ عبد الرحمن صدقي — ٤٢٤ صفحة من القطع الكبير ومحلاة بعدة صور بالالوان من ريشة الفنان بيكار — دار المعارف بمصر

لقد تناول كثير من الكتّاب حياة أبي نواس بالبحث والدراسة ، ولكن ناحية من نواحي حياته — وهي أهمّ ما في حياته — ظلت بعيدة عن الدرس الوافي وعن البحث المتقصي .

فقد كان أبو نواس شاعراً فناناً ، وكانت الروح الفنيّة في شعره هي التي دعته الى الخروج على ما كان يتبعه من سبقه من الشعراء ، بل أنداده في عصره . خرج على وصف الطلول ، ومال الى ناحية جديدة جعل منها مادّة للكثير من شعره . وكانت الروح الفنية فيه هي التي دفعته الى القول في هذه الناحية في حرية لم يبال معها روح العصر ، ولم يأبه لمركزه في قصر أمير المؤمنين ، وقد عاش أبو نواس في هذا المحيط ونقل في شعره ألوان هذه الحياة نقْل إحساس وتجربة ، لذلك كتب لشعره في هذه الناحية الخلود .

على أنّ هذا الجانب ظلّ — كما قلت — في حاجة الى الدرس العميق حتى سدّ هذا النقص الأستاذ عبدالرحمن صدقي ، فكانت دراسته جديدة في بابها في الأدب العربي كما هي جديدة بين الدراسات التي تناولت حياة النواسي .

لقد تناول حياة هذا الشاعر في لهوه ، فدعاه هذا الى الكلام على الخمر التي جعل منها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشاعر عروس غزله ، وعرض صوراً جميلة لحانات الخمر ومجالس الشراب في ذلك العصر ، وما يستتبع ذلك من مفاتن ، فكان قديراً في العرض والتحليل ، ملمّاً كل الإلمام بالدقائق في هذا الموضوع حتى استطاع أن يجعل للخمر حياة تدرس كما تدرس حياة الرجل الذي تغزّل فيها ، ثم درس العصر الذي عاش فيه الرجل وما شاع في مجتمعه من إباحية كان لها أثر كبير في الأدب .

ومن أمتع فصول الكتاب تلك البحوث التي تناول فيها الكلام على خمريات النواسي وخمريات الخيام ، فالأول كان يعاقرها لذاتها وللذّاتها . أما الثاني فكان يلجأ إليها لتسكين ثورة النفس عن طريق إشباع شهوات الحس ، وكذلك البحث في أوجه التناقض بين النواسي والمعرّي . إنّ هذا الكتاب يدلُّ على روح الفن المتأصلة في مؤلفه .

٢ - كأس الحياة

مجموعة قصص للاستاذ ابراهيم المصري — ١٤٣ صفحة من القطع المتوسط
دار المعارف بمصر

للأستاذ ابراهيم المصري أسلوبه العذب وفنه القصصي الجميل ، وهذه المجموعة تضم أربع عشرة قصة من وضعه ، منها ما يمسّ الجانب الاجتماعي في حياتنا فيكشف عن علل في حاجةٍ الى العلاج ينظر اليها بعين الفنان ، ومنها ما يتغلغل في صميم النفس الإنسانية فيكشف في البسيط منها والساذج عن جوانب سامية تثير الحسّ والشعور .

فقصة « بنت السلطان » على بساطتها عميقة الفكرة ، وكذلك قصة « دولت هانم » وهما مما يثير الحسّ ، ويمثل هـذا الاتجاه بعض أقاصيص هذه المجموعة مثل « القاتل » و « العمياء » و « الحنان » وما شاكلها .

* * *

أما الأقاصيص التي عنوانها « اعتراف » و « الأرملة اللعوب » و « سلوى » و « منيرة هانم » وغيرها فهي من الطراز الذي عالج فيه الجوانب الاجتماعية في المجتمع في تحليل دقيق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ — فلسفة الجمال

تأليف الاستاذ ا . ف . جاريت . وتعريب الاساتذة عبد الحميد يونس ورمزي يسي وعثمان نويه — ١٤٧ صفحة من القطع المتوسط — دار الفكر العربي

أراد الاساتذة عبد الحميد يونس ورمزي يسّى وعثمان نويـّه أن يخدموا هذا الجيل باشاعة الإحساس بالجمال في النفوس لأنّ قوة النهضات لا تقوم إلاّ على أسس من هذا الاحساس وبخاصة في هذا الوقت الذي طغت قوى الشر في النفوس فأفسدت فيها جوانب الخير وكادت تطمس معالمها . فقاموا بنقل كتاب « فلسفة الجمال » الذي ألّفه أستاذ فلسفة الجمال في أكسفورد وكمبردج ومتشيجن .

وقد تناول المؤلف في الفصل الأول تفسير الخلاف في أذواق الناس وحكمهم على الأشياء بالجمال والقبح . ثم ناقش في الفصل الثاني نظرية الجمال والحق وانتهى الى أن الجمال ليس هو الحق ، بل هو حقيقة كائنة ، وإننا في إحساسنا بالجمال لا نشعر بكشف حقائق غير معروفة قدر شعورنا بنفاذ بصيرتنا في الشعور المألوف . كما ناقش في الفصل الثالث النظرية القائلة بأن الجمال هو الخير ، ودلل على انه ليس مفروضاً أن يكون كل ما يرضينا جميلاً . ثم تكلم في الفصول الثلاثة الأخرى عن حقيقة الجمال ومثاله وعن الجمال والتعبير .

وفي الحقيقة ان هذا الكتاب المبسط في فلسفة الجمال لمن أمتع الكتب التي تبلغ بالنفس الى الهدف الذي قصده المترجمون الافاضل وهو اشاعة الإحساس بالجمال في النفوس .

٤ — بين العلم والأدب

الاستاذ قدري حافظ طوقان — ٣٠٨ صفحة من القطع الكبير
مكتبة فلسطين العلمية

مؤلف هذا الكتاب معروف لقراء هذه المجلة منذ كان يوافيها ببحوثه التي تجمع بين دقة البحث العلمي ورقة الاسلوب الأدبي . وهذا الكتاب يجمع ما يقرب من الاربعين مقالة تناولت شتى فروع التفكير الادبي والعلمي بالاسلوب الذي عرف في صاحبها . منها ما تناول مسائل في المجتمع كحاجتنا الى ما يحيي الخصائص العربية ، ومنها ما يتناول عالم الأرقام ، ومنها ما يتغلغل في عجائب الكون .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فالعالم يجد فيها لذة التفكير وعمقه ، كما يجد الاديب فيها لذة المزج بين الأدب والعلم وتبسيطهما . وقليل من المشتغلين بالمسائل العلمية من يوفق الى ذلك

٥ — كريم الدين البغدادي

الجزء الثالث من حلقة « أولادنا » — ١٠٨ صفحة من القطع المتوسط — دار المعارف بمصر

في مقتطف فبراير سنة ١٩٤٧ كتبت كلمة عن جهد دار المعارف في الناحية الثقافية النشء ، وأشرت الى المهمة التي تنهض بها هذه الدار في الاشراف الفعلي على الثقافة الى جانب وزارة المعارف وتجاوزها حدود هذا الوطن الى أوطان العربية جماء وذلك بمناسبة صدور السلسلة التي أخرجتها بعنوان « روضة الطفل » ثم قلت ان هذه الدار آخذة بسبيل إصدار مجموعة أخرى في هذا المضمار بعنوان « أولادنا » . واليوم أعود فأكرر الاشادة بهذه الجهود الجبارة بمناسبة صدور الحلقة الثالثة من السلسلة الأخيرة التي يشرف عليها المربي الكبير الاستاذ محمد فريد أبو حديد بك ، وقد صدر منها جزءان ، الأول « عمرون شاه » والثاني « مملكة السحر » .

وتمتاز هذه القصص بسموّ الخيال وحلاوة التعبير مما سيكون له أثر كبير في تهذيب ملكات الأطفال ، كما تمتاز بأناقة الطبع التي تميزت بها مطبوعات هذه الدار

٦ — آثار أدبية من الحجاز

بعد أن فرغ الأديب الحجازي الأستاذ احمد عبد الغفور عطار من إصدار ديوانه « الهوى والشباب » في العام الماضي تفرّغ للنثر فأخرج في هذا العام مجموعة من الكتب . اثنان منها للأدب الخالص وهما « المقالات » في ٢٣٨ صفحة من القطع الكبير انطوت على عدة بحوث ونظرات في الأدب والحياة . و « أريد أن أرى الله » وهو مجموعة قصصية في ١٤٦ صفحة من القطع المتوسط ضمت سبع قصص منها اثنتان مترجمتان ، والخمس وضعها المؤلف ، ولعلّ هذه القصص هي باكورة القصة في الأدب الحجازي . ثم وضع في باب التراجم ثلاثة كتب أوسطها « صقر الجزيرة » ويقع في ثلاثة أجزاء بلغت صفحاتها ٧٧٧ صفحة من القطع الكبير تناول فيها حياة العاهل العربي الكبير ابن سعود وأرّخ فيها لقيام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المملكة السعودية وما مرّ بحياة بطل الجزيرة خلال ذلك من الحوادث حتى دانت الجزيرة له وذلك في أسلوب قصصي شائق . وقد ضمت هـذه الترجمة من الوثائق ما يزيد في قيمتها التاريخية .

أما الـكتابان الآخران ، فأحدهما عن وليّ عهد المملـكة السعودية ، سمو الأمير سعود ، والآخر عن وزير الدفاع سموّ الأمير منصور ، ويقع الأول في ١٨٠ صفحة والثاني في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط . وقد أبان فيهما عن شخصية هذين الأميرين العظيمين اللذين ورثا عن أبيهما روح البطولة والإقدام .

٧ – ذكرى الامير شكيب أرسلان

٥٢٦ صفحة من القطع الكبير — طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

كانت قيمة الأدب العربي في الأمير شكيب أرسلان لا تقل عن قيمة العروبة فيه ، فقد كان علماً من أعلامه وكان من قادة الرأي الذين خلدوا اسمهم في صفحات التاريخ خلوداً يغبط عليـه . لذلك لم يكن عجيباً أن يقام له في كل بلد عربي حفل يجتمع فيه قادة الرأي وزعماء الفكر والبيان لنأبين هذا الأمير — الأمير في نسبه وخلقه وبيانه وإباء نفسه واحتماله لـكل صنوف العنف والاضطهاد في سبيل تحرير الشرق العربي .

وقد قام المجاهد العربي الأستاذ محمد علي الطاهر بالوفاء لذكرى هذا المجاهد الـكبير فجمع في هذا الـكتاب ما قيل في الفقيد من المراثي على المنابر وفوق صفحات الجرائد ، وطبعه طبعاً أنيقاً فـكان صنيعاً حسناً منه للراحل الـكريم في مثواه . وقد تناول الأستاذ الطاهر حياة الفقيد بدراسة وافية تبين عن سعة معلوماته بالراحل الـكريم

حسن كامل الصيرفي

كتاب الجامع لاحكام القرآن

صدر الجزء السادس عشر من كتاب الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله أحمد الانصاري القرطبي وهو كسابقه من الأجزاء التي صدرت حاوية لتفاسير آيات الـكتاب الـكريم .

وهو يطلب من دار الـكتب المصرية . وثمن النسخة الواحدة ٣٥ قرشاً يضاف إليها أجرة البريد .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من وراء الأفق

ديوان شعر للاستاذ محمد عبد الغني حسن
دار المعارف بمصر — صفحاته ١١٠ من الحجم المتوسط

الأستاذ محمد عبد الغني حسن باحث مرموق يركب العناء في سبيل التوفر على استقصاء جوانب موضوع معين أو نقد كتاب من الكتب التي تستضيفها المكتبة العربية في كل يوم . وهو في هذا المضمار ينتهج المنهج العلمي الصحيح فيرجع الى المظان يستفتيها ، ويعول على العقل يزن به الحجج ويستخلص بمعونته النتائج الصائبة .

وهو الى جانب هذا شاعر يتوخى استخدام اللفظ السهل والمعنى القريب ، فلا يعمد إلى التعقيد أو يحمل القارىء شطط الغوص وراء معنى مستتر أو مقصد خبيء .

وديوانه الأخير « من وراء الأفق » ديوان جرى فيه هذا المجرى السهل ، يصوغ عباراته وألفاظه صوغاً ميسراً ، ويستطيب أن يقول الشعر هيناً ليناً ، حتى ليسع العادي من القارئين أن يفهم مفردات قصائده وجملها بغير حاجة الى استشارة المعجمات وإجهاد الفكر .

والشاعر — على نقيض كثيرين من أترابه — مفتون بالطبيعة ، يكاد ينشد كل شعره في تصوير جمالها ورونقها . ولن تجد في الديوان على كثرة ما احتواه من قصائد ، قصيدة حب أو ترنيمة هوى مع أن فرائده كافة انتظمت عقودها والشاعر لا يزال في مقتبل العمر يطلب العلم ويعرف « إلين » ويظفر برسم فتاة مرحة تعشق ظلال الصنوبر . ولذلك تجد الديوان خلواً من شعر العاطفة ، وهو في عرفي أكثر أنواع الشعر تعبيراً وإفصاحاً . ولست أدري هل تعمد الشاعر بعدما أضحى يحث الخطى الى الكهولة أن يدفن شعر العاطفة بين جوانحه ويطوي صفحاته في مكنون نفسه ، أم انه لم يجد بشعر العشق والهوى وهو شعر السليقة والسجية . ولعله قنع من شعر الحب بالعتاب والنحيب ، ومن ذلك قوله :

في ذمة الله ليلاتي التي سلفت وأخضبت بالهوى فيهن أوراقي
كم لألأت بعنانا أي لألاءِ وأشرقت بهوانا أي اشراق

***

أخلفت بالصد ميثاق الهوى زمناً لكنني في الهوى أحكمت ميثاقي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وللاستاذ عبد الغني حسن في مجال الوصف جولات موفقة ، وإن كانت له جولات أخرى غلبت عليها الصنعة والكلفة. ومن أبياته الجميلة في وصف النيل قوله :

ينظم الله به الروض كما ينظم الناظم عقداً من جمان
لا تقولوا هو من ماء الحيا إنه يا مصر من ماء الجنان
هو أنغام على وجه الثرى وأناشيد عذاب وأغاني

ومن نظمه التصويري الرائع قوله :

ذلك الجدول يا إيلين في الغـابة حالم
هو كالطفل على صـدر الفتاة الطهر جاثم
يسرق الخطو كما يمـشي إلى الريبة آثم
همسه فوق حصى الغـابة بالفتنة ناغم
خافت الصوت كشـيخ عازم التوبة نادم
وشعاع الشمس فو ق الغابة الخضراء باسم

وله في الوطنية بضع قصائد شيّع في واحدة منها جنازة الامتيازات الأجنبية التي رزحت مصر تحت عبئها ردحاً ، وحيّا في ثانية الزعيم سعد زغلول وهدّ في ثالثة على أيدي نسوة الشرق وقد ائتلف عقدهنّ في مؤتمر نسوي عام .

ولست أدري لِمَ اكتفى الأستاذ عبد الغني بأن يطوي ديوانه هذا على قصائده التي نظمها منذ خمسة عشر عاماً أو نحوها ، وآثر أن يدع قصائده الجديدة مطوية غير منشورة . فلا ريب أن الشاعر يزداد مع الأيام تمكناً وتتأصل فيه الشاعرية كلما اطّرد غُنْمه من المطالعات . وأذكر أني قرأت له شعراً حديث العهد يفوق كثيراً بعض ما ضُمِّن ديوانه « من وراء الافق » ، وكان يجدر بالشاعر أن يضيفه إلى ديوانه ليعززه ويغذيه « بدمٍ جديد » .

وهذه الملاحظة أسوقها بوجه خاص بعد ما قرأت ما كتبه الأستاذ سهيل ادريس من نقد لديوان عبد الغني حسن في مجلة « الأديب » البيروتية وقد جاء فيه « إننا لم نجد في هذا الديوان إلاّ شعراً باهتاً لا شخصية له ولا ميزات ، هو شعر لا تجول في ثناياه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأحاسيس المرهفة، ولا تلتمع المعاني المبتكرة، وليس فيه إلا الوصف العادي الذي لا يضفي على الموصوف أي جمال، بل لا يكاد ينجح في أن يصف جماله الطبيعي » .

ولو علم الاستاذ ادريس ان معظم شعر « من وراء الأفق » نظمه الاستاذ عبد الغني حسن وهو لا يزال طالباً في معاهد أوربا وأنه لهذا السبب حوى مثالب وافتقر إلى « الشخصية » لكان ليناً في نقده رفيقاً في عرضه للديوان .

وديع فلسطين

مجلة الأديب

يسر مجلة المقتطف أن تشيد بالمجهود الطيب الذي يبذله الاستاذ ألبير أديب باصداره مجلته « الأديب » في حاضرة لبنان ، فهي مجلة أدبية علمية اجتماعية فنية تعنى بالبحوث التي تتصل بمسارب الفكر وتنشر الرفيع من الأدب من كل قطر عربي ومن مهاجر اللبنانيين في ربوع الكرة الأرضية .

ومن الموضوعات النفيسة التي ضمها عدد شهر اكتوبر (تشرين الأول) بين دفتيه مقال الاستاذ قدري قلعجي عن « المثقفين والمجتمع » ومقال نفسي للأديب المغربي المعروف الدكتور أبو مدين الشافعي ، وقصيدة شعرية رائعة للشاعر السوري الموهوب عمر أبو ريشة، وصفحة تعرض جانباً من عبقرية الألم في حياة الموسيقي الكبير بيتهوفن للأديب السوري أنطون حمصي ، وقصة تغلب عليها النزعة الفلسفية عنوانها « طفل » للأديب المصري الاستاذ يوسف الشاروني ، وقصة أخرى للقاص المصري المعروف الاستاذ أمين يوسف غراب ، وبحث مترجم عن الايطالية بعنوان « التأليف الكبير » للاستاذ مصطفى آل عيال، وصفحة من الشعر الوصفي المنثور للأديبة الأردنية ثريا ملحس، وأشعار للاساتذة عبد اللطيف شرارة وعلي محمد هلق وناصر بن سليمان أبو حميد ، وموضوعات طلية أخرى للأساتذة فؤاد أيوب وسعيد تقي الدين وقدري حافظ طوقان وجلال فاروق الشريف وأنطون مارين والآنسة نجوى قعوار عدا أبواب المجلة الشهرية وهي باب الأخبار العلمية وباب مكتبة الأديب وجولة الأديب في شهر وبرقيات أدبية وأنباء العالم في شهر .

« ومجلة الأديب » على حداثة عهدها بالظهور تعد في طليعة المجلات الأدبية في العالم الناطق بالضاد، ويستطيع الأدباء المصريون أن يقتنوها بالاتصال بوديع فلسطين في جريدة وثمن النسخة عشرة قروش مصرية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الحادي عشر بعد المئة من المقتطف

٤٦٦/٤٧/١٢٩٨٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١ ديسمبر سنة ١٩٤٧ — ١٩ محرم سنة ١٣٦٧

التكافل الاشتراكي

نظرية مـا في النظام الاجتماعي

البحث الاول في تحليل النظرية

١ — التكافل : انتقال من حالة العجز الى حالة القدرة

الانسان حيوان تجري عليه كل النواميس التي تجري على غيره من الحيوانات التي تنزل عنه مرتبة في سلم الوجود . ذلك ما أبان عنه علم الأحياء (البيولوجيا) في حياة الفرد ، وما أثبته بصورة قاطعة علم التطور في تأصل الانواع .

ظل الانسان أحقاباً تلو أحقاب يتوارث تلك الخرافة القديمة ، خرافة أنه من طينة غير طينة الأحياء ، وانه يعود بأصله الى خليقة قدسية ، وانه النوع المختار في نظام الكون وانه سيد جميع المخلوقات . ترتب على ذلك ان يقوم في نفسه اعتقاد ثابت تنقل معه خلال الأزمان ، اعتقاد أن كل النظامات التي ورثها عن بدائياته الاولى إنما هي نظامات فيها من القدسية ومن الأزلية والثبات ، ما في ذلك المنبع التي ادعى الانسان جهلاً وزوراً أن أصله يعود اليه . فبقدر ما في طينة الانسان التي ادعاها لنفسه من أصل سماوي كان في [illegible] الاجتماعية كذلك أقباس قدسية تسيره وتخلق في مجتمعه طبقات بعضها [illegible]

[illegible]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تقسم الحظوظ ، وتوزع الأرزاق حتى ترتب على ذلك أن يقوم في نفس الفرد وفي مخيلة الجماعات ان الخروج على هذا النظام ، بالفكر أو بالفعل ، افتيات على السلطة العليا التي فرضته والارادة الشاملة التي صورته وأقامته على أنه النظام الذي يجري على سنن ثابتة ، كأنه الجاذبية التي تحفظ نظام الافلاك ، أو نواميس العدد والحساب .

مما قام على ذلك الوهم نظرية الحق الالهي للملوك في أن يحكموا في الأرض بارادة الله ، وان لهم أن يوزعوا من ذلك الحق وهذا السلطان مقادير على من هم دونهم من أصحاب الحظوظ الذين يحكمون باسمهم ، وراح الناس لهذا خاضعين لأن الذي يعتدي على هذا الحق انما يعتدي على الارادة التي شاءت أن يكون النظام على ما هو كائن أبد الآبدين ودهر الداهرين.

ومما قام عليه أيضاً وهم أن الكنائس وأرباب السلطة الدينية هم وكلاء الديان الأعظم وانهم يستمدون منه الجبروت والسلطان ، فنشّؤوا فكرات ومذاهب راحوا يطبقونها على الناس خلال عصور طوال ، حتى لقد اعتقدوا ان الخلاص ودخول الجنة من الأشياء التي تجدي فيها القوة والجبر ، فراحوا يفتكون بالانفس والأرواح حرقاً وذبحاً وتمثيلاً ، حتى ولو قال زاهد في الجنة إنه زاهد فيها ، لما ترددوا في أن يجدلوه بالسيف أو يلقمونه النار لأن دخوله الجنة فرض عليهم ولو زهد هو فيها ، لأنهم بذلك إنما يتقربون الى الله .

ولو اننا أردنا أن نعدد غير ذلك من أوهام البشر، لاحتجنا الى فراغ كبير ولكن يكفي أن نقول إن كثيراً من هذه الأوهام ، أو قل جلها ، قد زال وانقشعت غياماته من سماء العقل ، وانحدرت الى حيث تطويها ظلمات القرون . أكثر هذه الأوهام ومنها المعجزات والخوارق والكرامات وما الى ذلك قد ماتت الآن ميتة سحرية ، حتى ان أحداً لم يحس بها كيف ماتت أو كيف اقتلعت جذورها من رحاب العقل ، وتلك ظاهرة لا معلل لها عندي الا تقدم المعرفة وضعف الاحساس بأن للغيب أثراً مباشراً في جزئيات هذه الحياة ومتعلقاتها. وتطور الفكرة الحضارية ، بمقتضى النواميس والحقائق الثابتة التي كشف عنها العلم في الحديث .

ف العلم عن وحدة الحياة . فإن الحياة الآن سواء أظهرت في صورة نبات أو حيوان هي الخلية البسيطة التركيب الغروانية القوام ، التي يعزى الحركة

الحيوية فيها شيءٌ يقال له « النواة » فخلية نباتية بلا نواة » هي خلية ميتة وكذلك الخلية الحيوانية . فانك إن انتزعت منها « النواة » انتزعت منها سر الحياة ، وانتزعت منها قوّة التكاثر بالانقسام ، بل أنك تكون قد انتزعت منها كل ما يخرجها من عالم الحياة الى العوالم الموات . وليس الانسان في ذلك خلقاً وحده . فإن أصله خلية واحدة ، طبيعتها من حيث أنها حية ، طبيعة خلايا جميع الأحياء . فالإنسان بمقتضى ذلك حيوان جرت عليه سنن الوجود بما جرت على غيره من الأحياء ، فتنقل في منازل من التطور دلت عليها بضعة مكتشفات علمية أظهرته في بداياته الأولى أقرب الى القردة العليا منه الى الإنسان الحالي ، وبين هذين المدرجين حلقات طويلة من التطور طواها الزمن في ثناياه .

وكشف العلم عن أن الأرض التي هي مقرّ الانسان بأصله المقدس وطينته العلوية ، إنما هي ذرّة بسيطة في وجود يكاد لا يتناهى ، وأنها هباءة تدور من حول نجم منير ، هذا النجم بذاته ليس إلا كلا شيء بالقياس على الأكوان التي تتراءى في ذلك الفضاء . فلم تصبح الارض مركز الوجود الكوني ، ولا مكانها هو المكان المختار منه ، لتكون مَقَرّ الخلق المختار ، الذى هو الانسان .

تبدّدت الأوهام التي تجمعت في خيال الانسان وانفجرت كأنها فُقّاعة من الصابون ضغطها الهواء ، فنشطت العقول الى البحث ، وراحت طبيعة الانسان تدعوه الى أن يعدّل مركزه الوجودي بمقتضى الحقائق الجديدة ، فخلف وراءه المعجزة والخارقة والكرامة ، ونسي قانون الصدفة ، ليؤمن بقانون السببيّة الشامل في هذا الكون وفي هذه الحياة .

فالعلم إذن هو الأساس الذي تقوم عليه معرفتنا بحقائق الحياة . ولم يبق للعقيدة والأسطورة والمعجزة من مكانٍ بجوار العلم . وما يثبت العلم هو الواقع ، وما ينافيه هو الأغلوطة . وتلك هي الجادة التي ينبغي لنا أن نتبعها في حياتنا الحضارية الحديثة . فمن أخذ بها أخذ بالسنة التي تنير سبيله في الدنيا فرداً أو شعباً أو جماعة ، ومن تنكر !! تنكر له الوجود

وتلك هي جناية العلم . جناية جناها على القدماء وعلى المحدثين . بدّد الأو[illegible]
أوائلنا صامدين في كنفها ، راضين بأن يلقوا بحياتهم في أحضان المعـ[illegible]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفتح أمام المحدثين رحاباً حفزتهم الى التطلع الى آمال وأغراض بعيدة الآفاق طويلة الآماد فسيحة الرّحاب ، ونقل الانسان من الايمان بالآخرة الى الإيمان بالدنيا، وإن شئت الحيطة ، فقل إنه جعل إيمانه بالدنيا سبيلا الى الإيمان بالآخرة ، فارتدت أمام العقل آفاق وسعته في أيام جهالاته وأساطيره الأولى ، وحلت محلهـا آفاق أخرى تتسع دواليك وتترامى حنياتها بنسبة اتساع العقل ووقوفه على أسرار هذا الوجود الإنساني في أية صورة تشكل وبأي طابع طبع ، فرداً أم جماعة ، أسرة أم قبيـلة ، حكومة أم شعباً ، وبيّن السبيل وأنار الطريق الى أهدافٍ تراءت أمام العـقل ، حتى لقد استبان فيها الأسـباب التي أدّت الى تعاساته وشقاواته ، وأمدّه بنور كشف له عن سبيل قد تسلم به الى درجات من الارتقاء والتطـور قلما خطرت ببال انسان قبل قليل من الزمان .

* * *

استحدث العلم جملة انقـلابات صارخة في التّـعَـقّـل الانساني . من ذلك جحوده المعجزة وإيمانه بالسببيّـة . ومنها أنه حيوان قابل للارتقاء والتقدم ، لا خلق جامد صوّر على نموذج لا يتطوّر . ومنها قدرته على الخلق ، بمعنى اسـتحداث توليفات جديدة من المادة أو الفـكر ، مستمدة من عناصر قديمة . ومنها إيمانه بذاته بالقوى المجهولة التي احتـكمت في خيالاته وقدرت حالات حياته تقديراً . أمّـا أعظم هذه الانقلابات جميعاً وأبلغها أثراً في حياته الاجتماعية، فتقييم نظاماته الحضاريّة. بمقتضى المنفعة والحاجة ، ويقينه بأن قِيم هذه النظامات ليست جامدة ، بل هي تطورية تجري عليهـا نواميس النشوء جريانها على كل ما في الوجود ، فقيمة شيء ما من أشياء الاجتماع قد تصلح لعصر ، ولـكن لا تصلح لغـيره ، وان هـذه النظامات تَـكَـامُـلـيَّة ، بمعنى أن جزءاً منها إذا تطور انبغى ان تتطور معه بقيتها ، وإلاّ اعتـلّ مجموعها باعتلال أجزاء منه ، وما اعتلاله إلاّ تخلفه عن التطور .

هذا الانقلاب الذي أحدثه العلم ، هو في معتقدي من الأسباب الصّارمة التي وجهت الجماعات في العصر الحديث ، وهو الذي يعود إليـه كل ما في المجتمعات الحديثـة من كال ، شيوعية أو اشتراكية ، جماعيّـة أو ضماميّـة ، استبدادية أو ديمقراطية ، فوية . وحتى مذهب العدميّة ، فإنه لا يخرج عن حكم ذلك . فإذ هذه

الاتجاهات والنزعات هي في الواقع انعكاسات مختلفة تصدر عن بيئات مختلفة ، وتتباين فيها نظم النظامات الاجتماعية . على إنها جميعاً انما تدل على أن القيم الاجتماعية التي آمنت بها الجماعات الإنسانية حتى وقت قريب ، قد أخذت تتطور ، وانه بمقتضى ما لنا بها من علم قياساً على إحداث التاريخ ، قد أخذت تزداد مرونة حتى أن تشكـلها في صورة بعينها من الصور ، قد أخذت تكتمل قسماته وتستبان تفاصيله .

لا نستطيع أن نصدر حكماً تعميمياً في واحدة بذاتها من هذه القيم الاجتماعية ، فنقول بأنها ستصبح صاحبة الأثر الشامل في نظام الاجتماع . فليس في مستطاعنا مثلاً أن نقضي بأن وجهاً بعينه من وجوه الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرها من المذاهب أو القيم ، هو الذي سوف يكون له السلطان على أقدار البشر . إنما الحكم في مثل هذه الأشياء ضربٌ من التفريط لا تسوّغه طبيعة العلم . والعلم ايجابيّ عقلي محدود الأطراف . وقصارى ما يدلنا عليه العلم استنتاجاً من ظروف الحالات والاتجاهات التطوريّة التي شهدناها في خلال قرن كامل من العصر الحديث ، أن هنالك وجهاً من التطور سارت في دربه الجماعات الإنسانية ، وجهاً جديداً أقام في نفس كل مفكر ، مهما اتضعت قوى فكره ، ان الحضارة تتجه في تطورها نحو نظام تتسع فيه دائرة المشابهات بين الأفراد ، وتضيق فيه دائرة الفروق بينهم ، وانه بمقتضى التدرج في هذا الاتجاه ستقل الفروق التي أقامتها الأوهام القديمة بين الطبقات . أما الحكم في الصورة النهائية التي سوف تلابس هذا الاتجاه التطوري ، فالقول بها راجع الى تقديرات تختلف باختلاف قوة الحكم وتباين النزعات والمشاعر والعواطف بين الباحثين ، كما إنها تخضع في أحيان كثيرة لظروف البيئة والوراثة فردية واجتماعية في السلالات والشعوب .

لقد زوّد العلمُ الانسان بقوىً جديدة ، وهيأ له من الأسباب ما مكّن له في الأرض ، حتى لقد يستطيع اذا رشدت أحلامه ان يكون له أثر في توجيه خطى التطور نحو أهدافٍ جديدة تقرب به شيئاً بعد شيء من عصره الذهبي الذي تطلع اليه كثير من الفلاسفة . لهذا لا ينبغي لنا أن نيأس من قدرتنا على توجيه خطى التطور نحو الغايات العليا والمثل التي نتطلع اليها ، بل يجب أن نستعين بالعلم ونسترشد بأحكامه وحقائقه ، موقنين بأن التط[illegible] من أشياء الطبيع ومن خصائص الطبيعة ، فانه في الاجتماع من الأشياء الت[illegible]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيها الارادات الإنسانية ، وإنه يمكن توجيهه في طريق مأمون سليم من عنف الفوضى ومن عواقب الانقلابات الفجائية . واعتقد فوق ذلك ان إقامة نظام المجتمع على قاعدة « التكافل الاشتراكي » هو آمن سبيل تُوَجَّه فيه الاتجاهات التطوريّة . وإذن نتساءل ما هو « التكافل » أوّلَ شيء ؟

* * *

« التكافل » في عالم الاحياء معناه « المعايشة » أو « التَّعايُش » . ومجرد النظر في « التكافل » من ناحية لغوية صرفة ، ينقل الى الذهن معنى ينافي معنى « التنافس » في الحياة الاجتماعية ، ومعنى « التناحر على الحياة » في الحياة الطبيعيّة . وفي التكافل معنى « التفاعل » وهي صيغة تدل على تبادل الأثر . جاء في لسان العرب .

« الكافل العائل : كَفَلَه يَكفُله وكفّلَه إياه ، وفي التنزيل العزيز وكَفّلها زكريّا ، وفي الحديث أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة له ولغيره ، وقوله كهاتين اشارة الى أصبعيه السبابة والوسطى ، والكافل القائم بأمر اليتيم المربّي له ، وهو من الكفيل الضمين ، وتكفّل بدينه تَكفُّلاً . ضمنه ؟ الخ .

فأنت ترى من ذلك أن « التكافل » معناه « التضامن » ، تفاعلاً بين طرفين . والتكافل في اللغات الأعجمية تدل عليه كلمة مركبة (Symbiosis) من كلمتين يونانيتين تخريجهما « التحايي » أو « التعايش » ، والمدلول العلمي هو « الحياة المتحدة أو الاتحاد الحيوي بين كائنين عضويين »

ولا ضرورة للمضي في ضرب أمثال علمية من حياة الحيوان والنبات لتبيان ذلك ، إذ يكفي هنا أن نعرف على وجه الاختصار أن التكافل في الحياة العضوية معناه ضرب من المعايشة يتوقف فيه حياة كائن على حياة آخر ، بحيث تصبح حياتهما مرتبطة ارتباطاً تكافليّا تشترك فيه المصالح بينهما اشتراكاً حيويًّا لكليهما

من الخصيات البينة في النظام الاجتماعي الذي ورثته الحضارة عن نظام الاقطاعات ، خصية قيام الحياة الاجتماعية على قاعدة التنافس ، مع تفاوت الفرص بين الناس . وكان من أن نظاماً يخرج من ثنايا النظام الاقطاعي لا بد من أن يرث الكثير من خصائصه. الخصائص التي ورثها العصر الحديث عن القرون الوسطى ، كانت ولا شك بزرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفساد التي حملتها المدنية الجديدة الى أجيالنا التي نعايشها . ولقد فرّخت تلك البزرة وتكاثر نسلها وتشعب في نواحي المجتمع ، وكان من أخص ما فرّخت ، النظام الرأسمالي على الصورة التي نمهدها في عصرنا هذا .

لا شك أنه من الطبيعي أن يتولد عن النظام الاقطاعي نظام فيه تفاوت كبير بين الطبقات . على أن هذا النظام المتطور عن نظام الاقطاع إن كان قد خطا بالانسانية خطوة كبيرة نحو تقارب الطبقات ، فانه ولا شك قد حمل في ثناياه كثيراً من مفاسد ذلك العصر ونقائصه .

النظام الرأسمالي الحديث نظام فيه من تقارب الطبقات قدر يمكن أن يعتبر خطوة الى الامام ، بالقياس على حالة الجمود التي اتصف بها العصر الاقطاعي . غير انه حمل في طياته أعظم نقائص ذلك العصر . حمل معه نقيصة تفاوت الفرص بين الأفراد بدرجة واضحة . فالفرد الحر ، من أجل أن يكون حرًّا بمعنى الكلمة ، ينبغي أن يعطى فرصة مساوية أو مقاربة للفرصة التي تتهيأ لغيره من أفراد الجمعية . أما أن يكون حرًّا أمام القانون ، بمعنى أنه ليس عبداً رقيقاً من وجهة النظر القانونية وحدها ، وان القانون يحرره من كل القيود التي قيدت العبيد والارقاء في العصر الروماني وفيما تبعه من عصور الحضارة الاوربية إلى حدود العصر الحديث ، ثم يترك مستذلاً بقوة الطبقة التي تعلوه ، وما قوتها إلاّ المال ، تستغل به الفرص التي ينبغي أن تكون مشاعاً للجميع ، فإن ذلك هو عند الواقع انتقال من حال من العبودية الى حال تماثلها ، مع فرق واحد ، هو الاعتراف نظريًّا بتساوي الجميع أمام القانون .

غير ان خروج الجماعات من أسر النظام الاقطاعي قد هيأ لها فرصة حقيقية مهدت لها سبيل الارتقاء . هيأ لها فرصة الشعور بالقوة ، وبدّلها من الشعور بالضعف والاستكانة شعوراً بأن لها حق الحياة ، وان حق الحياة حق مشاع لكل أفراد الجمعية ، على ان يكون فيه من تساوي الفرص ما يضيق دائرة الفروق بين الطبقات على أوسع صورة مستطاعة .

على ان تفاوت الفرص أمام الأفراد ، وحصر المال في يد فئة بعينها من الجمعية ، قد قلب نظام المجتمع ، مع حلول العصر الصناعيّ ، من ركود العصر الاقطاعي الى تنافس العصر [illegible] الانتاجي ، فظهر الاجتماع الإنساني في صورة معركة حامية الوطيس بين الرأسمالية [illegible]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يستغلون عمالهم أسمى الفرص، وبين اللارأسماليين الذين تفوت عليهم فرص الحياة بسبب ضعفهم المالي، وحاجتهم الى سد مطالب الحياة التي لا تسد إلاّ بالعمل، مهما صورته أم اتضعت، حسنت أم فسدت. فانقسم الناس بذلك معسكرين كبيرين، العمال واصحاب المال، وظهر بذلك مذهبان مذهب القول باستعباد الفرد لصالح الجمعية، وهو مذهب التطرف الاشتراكي، ومذهب استعباد الجمعية لصالح الفرد، وهو مذهب التطرف الرأسماليّ.

وأعتقد ان كليهما مُحَطِّم لناحية ضرورية من نواحي الحياة الاجتماعية، فالفرد ضروري للمجتمع وحريته كفيلة بتطور الجماعة، والجماعة ضرورية للفرد على ان لا يكون لسيادتها عليه من الأثر ما يضيع على الجمعية أثره الفرديّ. إذن فلا بدّ من قيام نظام اجتماعي على قاعدة «التكافل» بين الفرد والمجتمع، حيث يتكاملان بدون أن يطغى طرف منهما على صاحبه. وذلك هو موضوع النظرية في هذا البحث.

إن النظام الذي خرجت به الحضارة من عصر الاقطاعات، نظامٌ أصاب الجماعات بضروب خاصة من العجز. وهو بما ينطوي عليه من تسود أقليّة محظوظة على أكثرية غير محظوظة، بأسلحة يورثها لطبقة بعينها ويحميها القانون بمقتضى أنه قانون خرج من جوف ذلك النظام ومن بيئته، قد أفرغ على الجماعات صورة من التفاوت الطبقي هي بذاتها دليلٌ حيّ على عجزه عن خلق صورة من الاجتماع يسود فيها السلام. صورة تركب بحيث تدفع كل فرد نحو العمل بأقصى ما تصل استطاعته لخير الجمعية، وتركّب الجمعية تركيباً من شأنه أن تنمي الكفايات الفرديّة.

النظام الرأسمالي نظام تنافسيّ. ولكنه مع ذلك يصد الكفايات الفردية عن النماء. فان تفاوت الفرص التي تهيأ فيه للناس وعدم تقاربها يجعل استغلال الكفايات الفردية الكامنة في مجموع الامة أمراً مستحيلاً بذاته على المجموع الأكبر من الناس. وكذلك النظام الاشتراكي المتطرف الذي يجعل الدكتاتورية أساس حكمه من شأنه أن يصد الفكر عن الابتكار ويصد التطور عن أن يخطو في الطريق السليم الذي يدفع الجماعات نحو غايات مثالية من التعاون المعاشيّ والفكريّ

أما التكافل الاشتراكي فنظام من شأنه أن يصد طغيان الفرد على الجمعية، ويصد طغيان الجمعية على الفرد. هو تركيب اجتماعي تتساوى فيه الفرص عند الفرد لتنمية كفاياته الفردية، وعند الجمعية لتساير مقتضى التطور الضروري لوجودها. هو نظام يخرج الجماعات عن حالة التي ورثتها عن عصر الاقطاع الى حالة القدرة التي سوف تبلغ بالجماعات البشرية الى العليا.

اسماعيل مظهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باكستان

١ – حقائق عامة

تبلغ مساحة الهند ٠٠٠ر٥٧٢ر١ ميل مربع وعدد سكانها وفقاً لاحصاء عام ١٩٤١ — ٩٥٥ر٩٩٧ر٣٨٨ نسمة يؤلفون خمس سكان العالم . ويتكوّن السكان من عدد هائل من الاجناس والديانات المختلفة .

وفيما يلي التوزيع الطائفي لسكان الهند وفقاً لذلك الاحصاء

الطائفة	العدد	النسبة المئوية من المجموع
الهندوس (عدا المنبوذين)	٣٢٦ر١١٧ر٢٠٦	٠ر٥٣
المنبوذون	١٨٠ر٨١٣ر٤٨	٥ر١٢
	٥٠٦ر٩٣٠ر٢٥٤	٥ر٦٥
المسلمون	٤٢٨ر٣٨٩ر٩٤	٣ر٢٤
مسيحيون	٦٦٥ر٠٤٠ر٦	٦ر١
السيخ	٤٤٧ر٦٩١ر٥	٥ر١
طوائف أخرى	٩٠٩ر٩٤٥ر٢٧	١ر٧
	٩٥٥ر٩٩٧ر٣٨٨	١٠٠

وينتشر الاسلام في كافة أنحاء الهند بنسب مختلفة ، على أن أعظم نسبة له هي في الشمال الغربي والشمال الشرقي للبلاد . فعلى الحدود الافغانية الهندية أو خط دورانه كما يدعى ، نجد ولاية الحدود الجديدة التي يقطنها أكثر من مليون وربع مليون نسمة كلهم مسلمون من قبائل الافغانية مثل الافريدي والوزيري وهي قبائل قوية الشكيمة لاقى منها الانكليز لهيب حروباً متصلة بسبب نزوعها الى الاستقلال وأنفتها من الخضوع لأجنبي ولا يحكم الانكليز الآن هذه القبائل بل تحكمها مجالسها الخاصة وزعماؤها المختارون . وعلى نهر كابل ...

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بيشاور عاصمة ولاية الحدود الشمالية الغربية وعدد سكانها ثلاثة ملايين ٩١ ٪ منهم مسلمون من الجنس الافغاني .

أما ولاية البنجاب — وتقع على الضفة الشمالية الغربية لنهر السند — فيبلغ عدد سكانها ٢٨ مليون نسمة فضلاً عن خمسة ملايين نسمة سكان ٤٥ امارة يحكمها أمراء وطنيون وتقع ضمن نطاق الولاية . وولاية البنجاب هي المنتج الرئيسي للقمح والقطن الطويل التيلة في الهند . فيبلغ انتاجها السنوي من القمح ٣ر٥ مليون طن تعادل ٣٥ ٪ من مجموع محصول الهند منه. وعاصمة الولاية مدينة لاهور وعدد سكانها ٦٧٠ ألف نسمة وتعتبر خامسة مدن الهند في عدد السكان ، وهي مركز صناعي هام ونقطة تلاقي خطوط السكك الحديدية في البنجاب ، وبها الجامعة الوحيدة في الشمال الغربي من الهند . وشرق لاهور تقع مدينة امرتسار وسكانها أربعمائة ألف نسمة وهي المدينة المقدسة للسيخ . وسكان البنجاب بوجه عام متجانسون من ناحية الجنس والعادات . فاللغة الشائعة هي الاوردية وتكتب بحروف عربية وتكثر فيها الكلمات العربية والفارسية ، إلا أن للسيخ لغتهم الخاصة . وغالبية سكان البنجاب مسلمون ونسبتهم الى مجموع السكان ١ر٥٧ ٪ ثم يأتي بعدهم الهندوس ٢٨ ٪ ثم السيخ ونسبتهم ٥ر١٤ ٪

ومن ولايات الحدود الشمالية الغربية والبنجاب وبلوخستان والسند يتكون الشق الشمالي الغربي من الباكستان كما طالبت به الرابطة الاسلامية في مبدأ الأمر ومساحته نصف مليون كيلو متر مربع وعدد سكانه ٣٦ مليون نسمة منهم ٢٢ مليون مسلم ونسبتهم الى مجموع السكان ١ر٦١ ٪ بيد أن ثمة إمارة إسلامية هي كشمير ويحكمها راجا هندوسي في شمال البنجاب ومساحتها مائتا ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها أربعة ملايين ٧٦ ٪ منهم مسلمون

وتقل الأغلبية الاسلامية كلما اتجهنا شرق الهند وجنوبها الى أن نصل الى ولاية البنغال في الشمال الشرقي للهند . وتبلغ مساحة البنغال مائتا ألف كيلومتر مربع وينوف عدد سكانها على الستين مليوناً ٥٤ ٪ منهم مسلمون . وتقع البنغال على دلتا نهر الجانج فهي من أخصب بقاع الهند ، وأهم محصولاتها الأرز والجوت ، وعاصمة الولاية مدينة كلكتا وعدد سكانها مليونان فهي أعظم مدن الهند سكاناً وأهمها من الناحية الاقتصادية ، كما أنها من أعظم نقط المواصلات الحديدية وتكاد تتركز فيها صناعة الخيش بيد أن معظم سكانها من الهندوس .

وشرق البنغال تقع ولاية آسام ومساحتها ١٤٢ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها ... ملايين ثلثهم مسلمون . وهذه الولاية أهم مراكز الهند في زراعة الشاي كما أنها تنتج ... البنغال وآسام يتألف الشق الشرقي من الباكستان وعدد سكانه ... مليوناً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥١٫٤ ٪ منهم مسلمون ومساحته ٣٤٢ ألف كيلو متر مربع .

ولا يفوتنا أن نشير الى إمارة حيدر أباد في وسط الهند وهي أعظم إمارات الهند التي يحكمها أمراء وطنيون . فمساحتها ٢٤٤ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها يتجاوز الستة عشر مليوناً ويحكمها أمير مسلم يلقب بالنظام . بيد أن نسبة المسلمين من سكان الامارة ١٥ ٪ من مجموع السكان في حين أن نسبة الهندوس ٨٤ ٪ . وإمارة حيدر أباد هي الامارة الوحيدة التي لها نظامها النقدي الخاص ، ولقد أعلن أميرها أخيراً رغبته في اعلان استقلالها عن الهندوستان والباكستان على السواء .

* * *

تلك هي بعض الحقائق الاقتصادية والجغرافية عن توزيع المسلمين الأساسي في الهند رأينا إيراد ذكرها قبل أن نخوض في الحديث في الناحية السياسية لدولة الباكستان .

٢ — القومية الاسلامية في الهند

يبدأ تاريخ الاسلام في الهند في صدر الاسلام حين افتتح العرب المسلمون السند ثم فتح السلطان محمود بن سبكتكين (السلطان محمود الغزنوي) ملتان سنة ١٠٠٥ ميلادية واستمر في فتوحاته حتى عام ١٠٢٥ فافتتح جانباً كبيراً من السند وأخضع جانباً آخر عن طريق أداء الجزية له . واستمر كثير من خلفائه في الفتوحات حتى أصبحت سيادة السلطان المسلم بدلهي معترفاً بها من كافة سكان الهند وأمرائها . وتقلب سلطان المسلمين بين القوة والضعف فبلغوا غاية قوتهم في عصر بابر (مات عام ١٥٣٠) وأكبر (ومات عام ١٦٠٥) وأورنجزاب (١٦٥٩ — ١٧٠٧) وبعد ذلك ضعفت شوكة دولة المسلمين في الهند حتى قوض الانجليز أركانها عام ١٨٥٧ بعد أن لبثت سيادة الاسلام السياسية أكثر من ثمانمائة وخمسين عاماً فخلعوا السلطان بهادر شاه وولوا الملكة فيكتوريا امبراطورة على الهند .

ولقد كان مركز المسلمين في الهند الشغل الشاغل لكثير من ملوكهم فيها . فانه وإن اعترف امراء الهندوس بسيادة السلطان المسلم في دلهي وارسالهم الجزية إليه ، إلا أن قوتهم السياسية ظلت حائلاً دون انتشار الاسلام بين رعاياهم فضلاً عن ان اضطراب أحوال الهند بتأثير الغزوات المغولية والفارسية المختلفة والفتن الداخلية بين الحكام حدت تقدم الاسلام الروحي كثيراً .

وكان يروع ملوك الهند الحصيفين انقسام بلادهم وتفرق كلمتها فابتكر السلطان أكبر لغة الاوردو وهي مزيج من الفارسية والعربية وبعض لغات الهند كي تحل محل لغات الهند المختلفة واجتذاباً للهندوس ، وعمد الى الغاء الجزية ورحب بهم في الوظائف العليا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على المساهمة في ادارة شئون البلاد حتى كان منهم الولاة والوزراء . بيد أن سياسة أكبر وان أفلحت في تهدئة أحوال الهند واشاعة الأمن في ربوعها، الا أنها لم تفلح في استئصال جذور الخلافات بين عناصر الهند المختلفة وفي القضاء على أسباب العداوة والبغضاء الكامنة في النفوس . والواقع أن الطائفية في الهند ليست مجرد دين ولكنها تعني هناك نظاماً يربط أفراد الطائفة الواحدة دينيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا . ونجد المجتمع الهندوسي ينقسم عدة طبقات ينفصل بعضها عن بعض وتعتبر الطبقة الأخيرة منها طبقةمنبوذة ويلقب أفرادها بالأنجاس .

ومن ثمَّ بدت الطائفيـة في الهند في مظهر فذ . بيد أن حدتهـا لم تك طوال الحكم الاسلامي بالشدة التي هي عليها الآن . وبعد ثورة ١٨٥٧ وقد ساهم المسلمون فيها بالنصيب الأوفر أبعد المسلمون عن وظائف الدولة والمهن الفنية الحرة كالطب والمحاماة وبيعت كثير من أملاكهم فأدى هذا الى تقوية النفوذ الهندوسي في النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعزز ذلك نفور المسلمين خلال القرن التاسع عشر من المدنية الأوربية فانتفع الهندوس بها .

ومنذ أواخر القرن التـاسع عشر بدأ المجتمع الاسلامي الهندي يفيق من سباته . ففي عام ١٨٧٥ أنشئت كلية عليكرة ثم تتابع انشاء المعاهدالعلمية والصحفالاسلامية ، وتقدمت النهضة الاسلامية علميًّا واقتصاديًّـا . وكان طبيعيًّـا أن تتخذ الحركات السيـاسية في الهند مظهراً دينيًّـا . فأقبل الشعراء المسلمون يتغنون بمجد الاسلام وعظمته والكتّـاب على انشاء المقالات وتأليف الكتب في تاريخ الاسلام والنظم الاسلامية . وتألفت الجمعيات المختلفة وعلى رأسها « جمعية الخلافة الاسلامية » برئاسة الشقيقين شوكت علي ومحمد علي . وأيدتها جماعة علماء الهند . وكانت تنحو كلها الى نصرة الاسلام وتعتبر مسلمي الهند جزءاً لا يتجزأ من مسلمي بقية العـالم الاسلامي وبخاصـة مسلمي الشرقين الأوسط والأدنى ، واتخـذت الحركات السياسية الاسلامية مظهراً معادياً لبريطانيـا بسبب موقفها من تركيـا في الحرب العالميـة الأولى ، وفي سنة ١٩٢٠ وافقت جمعيـة الخلافة على برنامج غاندي القاضي بعـدم التعاون، وعقب ذلك وافق مؤتمر عقد بمدينة الله أباد ضم زعماء المسلمين والهندوس على ذلك البرنامج . وعزز هذا التقارب ما فرضته معاهدة سيفر على تركيا (١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠) من شروط فادحة . بيد أن ازالة الخلافة العثمانية قلل كثيراً من حماس جمعيـة الخلافة . ثم [illegible] الخلاف بينهـا وبين غاندي وانقسامهـا فريقين انضم أحدهما إلى المؤتمر بزعامة مولانا [illegible] آزاد ، والثـاني ظل على ولائه للجمعية وتبع ذلك الانقسام تجدد المنازعات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطائفية وضعف شأن جمعية الخلافة خلت محلها الى التعبير عن أماني مسلمي الهند وآرائهم « الرابطة الاسلامية » التي قامت على أسس جديدة تتفق وطبيعة النظام الطائفي في الهند وتهدف الى انشاء وطن اسلامي هندي .

* * *

ففي سنة ١٩٣٧ انتشرت فكرة الباكستان عن الوطن الاسلامي الهندي ، والكلمة مشتقة من الحروف الأولى للكلمات التالية : بنجاب — أفغان الحدود — كشمير — سند بلوخستان . وفي عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ أصدر مؤتمرا الرابطة بمدينتي لاهور ومدراس على التوالي ، قراراً بأن المسلمين يقاومون كل حل للمسألة الهندية لا يحقق فكرة الباكستان ، ولقد كان تجدد الاضطرابات الطائفية وأخذها شكلاً عنيفاً جداً بعد الحرب الأخيرة ، ما حدا بالحكومة البريطانية الى تقديم مشروع يعترف بتقسيم الهند دولتين : اتحاد الهند والباكستان وقد قبلت طوائف الهند المختلفة المشروع البريطاني ، وفي ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ نودي بدولتي اتحاد الهند والباكستان وتتخذ الاجراءات الآن لتعيين حدود الدولتين وفصل المصالح المختلفة .

٣ — مشكلات تقسيم الهند

الباكستان دولة ذات شقين : الاول في الشمال الغربي ويشمل حوض نهر السند ، والثاني في الشمال الشرقي ويتضمن دلتا نهر الكانج والبراهما بوترا ، ومتوسط نسبة المسلمين في شقي الباكستان كما طالبت به الرابطة الاسلامية في مبدأ الأمر بـ ٥٦ ٪ من مجموع سكانهما وتشمل (وبفرض ضم كشمير اليها) ٦٦ ٪ من مسلمي الهند

ولما كانت نسبة الأقليات غير الاسلامية كبيرة تعوق اكساب هذه المناطق طابعاً اسلامياً مميزاً فقد رؤي فصل المناطق التي تحتوي على أكثرية غير اسلامية كلما أمكنت الاحوال الجغرافية والاقتصادية ذلك . وهذا ما نص عليه مشروع الحكومة البريطانية إذ قضى بتقسيم البنجاب والبنغال بين دولتي القارة الهندية . ويوافق المسلمون على فصل مقاطعة أمبالا حيث يكون المسلمون أقلية السكان ، وبذلك ترتفع نسبة المسلمين في البنجاب الى ٦٢٫٧ ٪ بدلاً من ٥٧٫١ ٪ أما الشق الشمالي الشرقي من الباكستان (أي البنغال وآسام) فيراد فصل مقاطعة بوردان حيث للهندوس الأغلبية الساحقة وبذلك ترتفع الأغلبية الاسلامية في البنغال إلى ٦٥ ٪ بدلاً من ٥٤ ٪

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتبدو مشكلة التقسيم واضحة من البيان الاحصائي التالي :

أولاً — عدد سكان الباكستان (كما طالبت به الرابطة من مبدأ الأمر)

	١٠٧ر٠٠٤ر٧٨٣	نسمة
منهم سكان مسلمون	٥٩ر١٠١ر٢٠٧	«
نسبتهم المئوية	٥٥ر٢٣	٪
المساحة	٣٤٨ر٣٣٧	ميلاً مربعاً

ثانياً — عدد سكان الباكستان (حيث توجد أغلبية اسلامية مطلقة) .

	٦٨ر٧٧٩ر٩٣٥	
عدد السكان المسلمين منهم	٤٩ر٣٩٥ر٠٣٠	
نسبتهم المئوية	٧١ر٨٢ ٪	
المساحة	٢٣١ر٦٣١	ميلاً مربعاً

مساحة المناطق المتنازع عليها (شرق البنجاب وغرب البنغال ومعظم آسام)

	١١٦ر٧٠٦	ميلاً مربعاً
عدد سكانها	٣٨ر٢٢٤ر٨٤٨	نسمة
عدد السكان المسلمين منهم	٩ر٧٠٦ر١٧٧ - ٢٥ر٣٩ ٪	

عدد السكان المسلمين في الهند	٩٤ر٣٨٩ر٤٢٨	نسمة
تضم دولة الباكستان من مسلمي الهند	٥٢ ٪	
« « (بفرض ضم كشمير)	٥٧ ٪	

ولقد اعترضت عملية تقسيم البنجاب والبنغال مشكلة المدن الثلاثة العظيمة : لاهور وأمرتسار في البنجاب ، وكلكتا في البنغال . فالمدينتان الأوليان أهم المراكز الحضرية في البنجاب . ولقد تمّ الاتفاق على ترك لاهور للباكستان وضم امرتسار الى هندوستان باعتبارها ذات أهمية حيوية لطائفة السيخ فهي مدينتهم المقدسة . أما كلكتا فهي أعظم مركز تجاري في الهند وأكبر موانيها ، وهي عاصمة طبيعية لولاية البنغال ومركز صناعة الجوت الذي تتركز زراعته في الباكستان الشرقي . بيد أن الأغلبية الساحقة من سكانها من الهندوس . ولقد تقرر ضمها الى الهندوستان مع ترك ميناء شيتاجونج في آسام للباكستان تقرر ضم معظم ولاية آسام الى اتحاد الهند ، وضم مقاطعة سلهيت الى الباكستان .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وستضم دولة الباكستان بشقيها (وبفرض ضم ولاية كشمير اليها) ٥٧ ٪ من مسلمي الهند فحسب ، وسيظل أكثر من اربعين مليون مسلم خارجها، بينما ستضم بين ظهرانيها حوالي الخمسة والعشرين مليوناً من الطوائف الأخرى

ولقد اقترح وقتاً ما نقل السكان من مناطق الى أخرى حلاً للمشكلة ولكن نشأت صعوبات جسيمة في مقدمتها العدد الهائل من السكان الذي تتبادله حركة النقل، كما أن السكان في المناطق المختلفة قد ألفوا أوضاعاً اقتصادية خاصة ، فمن المستحيل نقل سكان يشتغلون بالصناعة في هندوستان الى مناطق زراعية في باكستان ، أو سكان يعملون في صناعة القطن الى مناطق تصنع الخيش . وهذا ما حدا بالفريقين الى نبذ موضوع تبادل السكان بين الدولتين حلاً لمشكلة .

ومن المشاكل التي تقابل عملية التقسيم مسألة فصل المصالح العامة ووسائل المواصلات وبخاصة السكك الحديدية والمسائل الاقتصادية المختلفة مثل نظامي النقد والجمارك ومن الجدير بالذكر أن الشق الشمالي الغربي من الباكستان ينتج القطن والقمح وغيرهما من المواد الأولية في حين أن مصانع القطن تقع في الهندوستان . ومثل ذلك يقال عن الشق الشرقي من الباكستان الذي ينتج الجوت في حين أن مصانع الخيش تقع في كلكتا .

ويحول دون اتصال شقي الباكستان مملكة نيبال ووقوع ولايتي بيهار والأقاليم المتحدة حيث أكثرية السكان من غير المسلمين . ومن أهداف الباكستان التي صرح بها السيد محمد علي جناح الحصول على ممر يصل بين شقي الباكستان .

ومهما يكن من أمر صعوبات التقسيم فلا يختلف اثنان في أن من ثماره استتباب السلام في ربوع الهند بل آسيا والعالم . فان في الهند أمتين متميزتين في الجنس والدين وفلسفة الحياة والعقلية . ولقد بسط السيد محمد علي جناح سياسة الباكستان . ومما قاله :

« ينبغي أن تكون العلاقات بين الباكستان والهندوستان ودية وتبادلية وستكون حكومة الباكستان حكومة شعبية ممثلة لجميع العناصر كما ستسعى الى الانضمام الى عضوية الأمم المتحدة » . ورحب في حديث آخر بالتعاون بين باكستان ودول الشرق الأوسط وبخاصة مصر . ولقد كانت مصر أول الدول في الاعتراف بدولتي الباكستان واتحاد الهند وقررت تبادل التمثيل السياسي معهما على أن تنشأ سفارتان ملكيتان في كل من الدولتين .

فؤاد محمد شبل

شفاؤك عيد

تهنئة بشفاء جلالة مليك الوادى

لشاعر الأقطار العربية خليل مطران بك

شفاؤكَ عيدٌ به نسعدُ ونحمدُ للهِ ما نحمدُ
وشعبكَ بعدَ ضراعاتهِ لخالقهِ شاكراً يسجُدُ
لربكَ عندكَ في كلِّ يومٍ يدٌ يا مليكي تليها يدُ
عنايةُ مولىً خليقٌ بها أبرُ أولي الأمرِ والأجودُ
بلادُ العروبةِ بالتهنئا ت يجاوبُ أقربَها الأبعدُ
ولمْ تكُ إلاّ على حبِّها لفاروق يجمعُها مقصِدُ
لقد أمنتْ دهرَها إذ نهضتَ وعزمُكَ والحزْمُ ما تعهدُ
تصونُ ملوكٌ كراماتِها وأنتَ لها الصائنُ الأيِّدُ
وتقضي شعوبٌ كبارَ المنى وأنتَ المؤازرُ والمسعِدُ
فرأيكَ موئلُها المطمئن وبأسُكَ معقِلُها الأوطدُ
أمولايَ أرفعُ آيَ الولا ءِ وقلبيَ يسطُرها لا اليدُ
إذا أنضبتْ عللٌ موردي فمنْ منبعِ الفخرِ لي موردُ
أليستْ فعالكَ في كلِّ ما يُعزُّ بلادَكَ لا تنفدُ
وكمْ لكَ فتحٌ جديدٌ بهِ تبارَى نبوغُكَ والسؤددُ
فدُمْ للكنانةِ . دم للعرو بةِ وليرعَكَ الأحدُ السرمدُ

خليل مطران

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢ – نظرات في النفس والحياة

١ – ما كانت الفضائل تستطيع أن تغزو لها مكاناً في العالم كما غزت لولا إنها كثيراً ما تكون ممزوجة في أنفس أصحابها بشيء من الاعجاب بالنفس يذيع دعوتها ويعلن عن شأنها ويكافح من أجلها وأجل أصحابها – وقد يختلط الاعجاب بالنفس بالاعجاب بتلك الفضائل ، فهو وإن كان يهيء لها جنداً وأعواناً ، إلا انه كثيراً ما ينقص من طهارتها ، وكمال نبلها،أو قد يقضي عليها بما يدعو إليه الاعجاب بالنفس من شرور الأثرة . فالمرء قد يرتكب الجرائم ويؤذي من خالفه لانه يعد مخالفه أو عدوه مخالفاً وعدواً للفضيلة ومناصره مناصراً لها ، وإن قل حظه منها .

٢ – إذا أسفنا لِنَبْوة مَنْ نبا عنا فاننا قلما نأسف لافتقاد المتمتع بعقله وأدبه بل كثيراً مانأسف لاننا فقدنا بفقده رمزاً يدل الناس على ثقة بعض الناس بنا وحسن رأيهم في عشرتنا ورغبتهم في أن يكونوا معنا – فنتميز بالاصدقاء في أعين الناس ونزيد بهم قدراً وجاهاً أي أن الاسف لِنَبْوة صديق أساسها الأثرة وحب النفس – ولكن هذا الأساس لا يمنع من أن تكون الفضيلة فضيلة فكثيراً ما يختلط الايثار بالأثرة في النفس حتى عُدَّ مظهراً من مظاهرها إذ أن النفس تنشد في الايثار شيئاً يرضيها ويريحها بالرغم مما تتكلفه بسببه ، وما يرضيها ويريحها منفعة لها وإن كانت مطلباً نبيلاً .

٣ – في بعض الحالات يخالف المرء منهاج حياته ونفسه كما يخالف غيره من الناس ، وذلك لتعدد نزعات النفس المتغايرة الخفية ، ولكن الناس كثيراً ما يحكمون على المرء أنه يسير على وتيرة واحدة وطبع لا يخالفه طبع وصفة لا تغايرها صفة ، وقلما يدركون تغيره وخلافه لنفسه إلا اذا تغيروا له وكان لهم مأرب في تغيير حكمهم عليه فاذا حدث ذلك ربما اتهموه بمخادعتهم وربما كانوا هم الذين خدعوا أنفسهم به وسواء أفطنوا الى أنهم هم الذين خدعوا أنفسهم أم لم يفطنوا فإنهم قد يحملونه جريرة قصر نظرهم أو خداعهم لانفسهم طوعاً فيتضاعف ذنبه لديهم . وقد يكونون معذورين في انخداعهم لأن الحياة تفرض التجانس في صفات النفس الواحدة كي يسهل فهمها ومعاشرتها . حتى أن الصفات المتناقضة قد يكون بينها شيء من التشابه والانسجام والتجانس ما دامت في النفس الواحدة .

٤ — في بعض الاحايين يفضّل المرء أن يُحْرَمَ من أن يُنْسب إليه خير صنعه عن أن يعرف الناس الأسباب الحقيقية التي دعته الى عمل ذلك الخير ، فيظهر من الاسباب غير ما يبطن

٥ — لعلَّ أعظم النجاح في المهارة التي بها يقنع الماهر الناس إنهم لا يستطيعون ضرره من غير أن يصيبهم ضرر فيهابونه ويتجنبون أذاه ، وقد يسمون فيما ينفعه هيبة واتقاء لشره — ولكن لا يستطيع كل إنسان إقناع الناس على هذه الطريقة ، بل إنها قد تكون عاقبتها وخيمة لمن لا يتقنها ومن لا يعرف أساليبها ودهاءها ومستلزماتها . لأنه إذا خاب ولم يقنعهم أو إذا رأوا أنهم يستطيعون ان يقضوا عليه وعلى وسائله بأن يبادروه بالعداء بادروه به وحاولوا القضاء عليه وقد يفعلون . فإذاً ليس من الكياسة ان يحسب المرء إظهاره العداء للناس أو تهديدهم كافياً لنيل احترامهم وهيبتهم إياه .

٦ — من العيوب ما يمتزج بفضائل بعض الناس كما تمتزج العقاقير السامة في الأدوية بمقادير لا تسم ، على انه لو حاول المرء وتعمد مزج فضله بعيوبه السامة قضى على فضله وفضيلته . إلاَّ ان الحياة نفسها قد تخرج من الشر خيراً ، كما ان بعض الخير قد يكون من عواقبه الشر .

٧ — من الصعب ان يحب إنسان إنساناً تجرد من كل دواعي الاحترام . ومن الصعب ان يحب إنسان إنساناً بَذَّهُ وشَآهُ . فالنفس تأبى في أكثر الأحايين ان تحب من تجرد من كل دواعي الاحترام ومؤهلاته . ولكن إثرتها تأبى ان تحب من تستصغر أمرها وتزدري شأنها عند استجلاء عظمته وعلو شأنه وان كانت تحترمه سرّاً أو علانية ولكن الحالات الشاذة قد توجد في الأمرين .

٨ — من الصعب ان تحترم النفس من لا خير له ولا شر .

٩ — كثيرٌ من الناس عدُّوا من العظماء بالرغم من شرهم الكثير — وهذا يذكرنا قول هنري هين الشاعر الألماني « ان شجرة الانسانية قلما تذكّر بالزارع الذي سقاها ورعاها وإنما تذكّر بالعادي الذي حفر اسمه على جذعها بمديته » — نعم ان سِيَرَ العظماء الذين شكلوا حوادث التاريخ والأمم ونشروا الحضارات كان يمازجها شر كثير مُسْرف وهذا مشاهد في حياة أمثال الاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر ونابليون بونابرت . ولكن اذا كان الناس في بعض البيئات يرفعون المجرمين الذين يعبثون بالأمن الى مراتب البطولة فلا غرو ان يفعل الناس ذلك مع من صهروا الناس بنار حروبهم وأنزلوا بهم شرّاً كثيراً اذا كانت عاقبة ذلك نشر الحضارات والآراء .

١٠ — ان العظماء لا يمتازون عن غيرهم من الناس بعظم فضائلهم وانما يمتازون عنهم بما يعملون وما يقولون — وهذه النظرة تفسّر السابقة . وليس معناها ان العظماء أقل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فضائل ، وإنما يعني أن الناس تتوقع خلوّهم من النقص خلوّاً تاماً بسبب ما يبهرهم من آيات عظمتهم . أو أنهم يريدون توريطهم بمطالبتهم بتلك العصمة أو ان بروزهم مما يبرز نقصهم . أو ان ما يزاولون من عمل الخير ربما جرّ شرّاً ونقصاً .

من نظرات ليوباردي

١ — المكر وهو من جهود العقل والذكاء قد يلجأ اليه الماكر كي يخفي نقص عقله وذكائه وذكاء المكر هذا كثيراً ما يلجأ اليه الناس في البيئات التي جال فساد الحكام فيها دهراً طويلاً دون تعهد العقل بالتربية والتثقيف فترى فيهم الجهل وقلة النمو الفكري والسذاجة وشيئاً من الغباء ، ومع ذلك ترى أيضاً نوعاً من ذكاء المكر تعوضهم به الحياة عما فقدوه .

٢ — في بعض البيئات التي بين الحضارة والهمجية إذا كان الرجل فقيراً جدّاً احتقره في سريرتهم من هم أحسن منه حالاً من الناس حتى يكاد يسقط وينزل في نظارهم عن مرتبة الانسان. واذا كان غنيّاً لم يكن آمناً على حياته بسبب الحسد والرغبة فيما عنده — وهذا صحيح في البيئات التي يثري فيها المرء باستخدام قوته أو احتياله أو سلاحه ويفاخر باستخدامها جميعاً . وفي هذه البيئات يحتقر الناس من يجبن عن استخدام القوة أو السلاح أو الحيلة لدفع عادية الفقر الشديد وكما يحتقرون مثل هذا الفقير فانهم يجلون المجرم العابث بالأمن حتى انهم قد يلبسوه صفات البطولة والعظمة وكثيراً ما تتم هذه الصفات حيث لا يجد المرء فرصة لنيل ما يستحق بسبب المحاباة والظلم والرشوة واحتيال الحكام لتسخير أداة الحكم في أغراضهم وقد تكون هذه الصفات بسبب آثار حكم مضى وعهد سابق وأحوال في الحكم انقضت . وقد يكون العهد السابق والحكم الغابر قد خلف في نفوس الحكام والمحكومين خصالاً مستعصية باقية .

٣ — في بعض الاحايين يمدحنا مادح بسبب أعمال أو صفات طالما ذممناها في غيرنا فنسرع الى مدح تلك الأعمال والصفات — ويحجم المرء عن المآثم والنقائص اذا خاف لوم الناس أو بغضهم أو ذمهم أو عقابهم فاذا وجدهم يمدحون تلك المآثم والنقائص ويحبذونها وزينونها أقدم عليها غير هياب ولا وجل . وهذا لا يمنعه من مؤاخذة غيره على ما يفعل مثله اذا وجد لنفسه فائدة ولكنه يحاول أن يفرق بين عمله وعمل غيره وان لم يكن بينهما فرق

٤ — أكثر ذوي الفضل كانوا على بساطة في السلوك والعادات . ولكن من الغريب أن الناس تعد تلك البساطة دليلاً على قلة الفضل والعقل — وذلك اما لأن تلك البساطة تشابه في أذهانهم صفات الطفولة أو البلاهة وإما لأن البساطة تنافي التكلف لهم الذي يغري بالظهور بالمظهر الذي يرضي رغباتهم وفوائدهم . وهذا التكلف لهم منبعه مكر الاباقة الذي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أعظم مظاهر العقل ومزاياه لأنه يحوطهم بما يشاءون وكل هذا التكلف قد يخالف بساطة العظماء ومن أجل ذلك يعدها الناس نقصاً في الفضل والعقل .

٥ — مهما بلغ المرء من اشمئزازه من الدنيا وأحوالها بعد اختبارها فانها لو أومضت له وابتسمت ودعته اليها لبّاها وصالحها وابتسم لها بعد العبوس ورجع الى الائتناس بها ولو بعض الرجوع . وكذلك حاله مع من يتودد اليه ممن اختبرهم وساء رأيه فيهم فاذا لم يعد لعشرتهم اذا توددوا له قل سوء رأيه فيهم .

٦ — يحسب المرء أنه إذا خاب حزن أصدقاؤه ومماشروه لخيبته واذا نجح فرحوا بنجاحه . ولو كُشِفَ له عن مكنون سرّهم لوجد فيه عكس ذلك في كثير من الأحايين — أو على الأقل يجد بجانب الأسف لخيبته شعوراً بالمسرّة يخالطه مخالطة النقيض للنقيض وبجانب السرور لنجاحه شعوراً بالامتعاض والاستخذاء يناقضه ولكنه يخالطه وقد يجد ذلك حتى عند أقاربه وعند من ينتفع بنجاحه ويخسر بخيبته من الناس . لأن النفس لا تستطيع أن تتغلب على أثرتها كل التغلب وان تغلبت على بعضها .

٧ — أكثر الناس لا يخجلون من الأذى الذي يصنعونه للناس وإنما يخجلون من الأذى الذي يصنعه بهم غيرهم لأنه ينقص من أقدارهم لدى أنفسهم — أما إذا خشي المرء ان يخجل إذا ظلم غيره فانه يعمل على ان يُشْرِكَ الناس في ظلم المظلوم فاذا نجح في حمل الناس على مشاركته في ظلم المظلوم أمن من الخجل ومن تأنيب الضمير . ولقد كان الطغاة قديماً يتخذون من الناس رجالاً يكونون اداة لتنفيذ ظلمهم حتى إذا لم يعد صالحاً لتنفيذه قضوا عليه واتخذوا غيره وبذلك ينالون أغراضهم كما ينالون حمد الناس إذا بطشوا بأداة ظلمهم .

٨ — الدنيا كالمرأة الجميلة المعشوقة لا ينال الفتى لديها حظوة بالخجل والحياء فمن أراد ان يملو حظه وجب عليه أن يُودّع الحياء وان يكون لسانه بوقاً يدعو الناس الى الاعتراف بمزاياه الحقيقية أو المزعومة أو ان يجد أناساً لهم رغبة وفائدة في ان يكونوا أبواقاً له . أما اذا انتظر حتى يسرع الناس للبحث عن فضله واعلانه فانه لن يرى إلاَّ مَنْ يُسْرِعُ الى إخفائه .

٩ — لو حُوسِبَ كل إنسان على ما يقوله في غيبة أصدقائه لما رضي ان يقولوا فيه مثل ما قال فيهم — فانه مهما كان مخلصاً لهم لا يسلم لسانه من سقطات في غيبتهم لا ترضيهم . وهو بالرغم من ذلك يُدْهَش اذا بلغه ان أحدهم قال فيه مثل ما قال فيهم ويَعُدُّ نفسه مظلوماً لا يجد جزاء اخلاصه وسلامته لهم في غيبتهم .

١٠ — قلما يكون البعيد عن الناس القليل الاختلاط بهم مسيئاً الظن بهم إلاّ اذا كانت العزلة بعد المخالطة . فليس أسوأ رأي في الناس مما يرسخ في النفس بقراءة الكتب التي تعلم

سوء الظن بالناس وانما يكون هذا المقتبَسُ من الكتب كلاماً غير راسخ في النفس لأن المشرة هي التي تُفطِّن الى سوء الرأي في الناس بسبب مرارة اختبارهم — وليس أشد الناس سوء ظن بهم المعجب بنفسه وليس من الحتم اجتماع الاعجاب بالنفس وسوء الظن بالناس فاننا قد نرى الرجل الشديد الاعجاب بنفسه عظيم الثقة بها وثقته بنفسه قد تدعوه الى حسن الظن والرأي، فيحسب ان الناس يعجبون بنفسه كما يُعجَبُ فينشرح صدره للعطف عليهم ولا سيما ان ذلك العطف يتفق وما في نفسه من العظمة المزعومة التي تقضي ان يشمل الناس ببركات خيرها . وإذا ظهر منه غير ذلك من سوء الرأي في الناس كان سحابة صيف عن قليل تتقشع .

من نظرات شوبنهور

١ — مما يجعل الانسان غير مُبالٍ تعاسة التعساء ولا آبهٍ لها أنه يعتقد في نفسه العجز عن تحمل متاعب أكثر من متاعبه . ومن أجل ذلك اذا حسن حال إنسان بعد ضيق وبؤس فقد يعطف على أهل البؤس إمّا سروراً بنجاته من مثل حالهم وإما خشية أن يعاوده البؤس فهو يرحم نفسه اذ يرحمهم . وأما الذين لم يصادفوا في حياتهم بؤساً فانهم كثيراً ما ينصرفون عن العطف على أهل البؤس لأنهم يرون أنفسهم بمأمن من غوائله فلا يستطيعون أن يضعوا أنفسهم مكانهم — على أنهم لو حاولوا وضع أنفسهم مكان أهل البؤس لنفروا من هذه المحاولة وتأففوا وامتعضوا . ومن الجائز أن النعيم يضعفهم فيبدون أن يتجاهلوا ما يؤذي سمعهم وبصرهم من مناظر البؤس . على أن الكفاح للخروج من الضيق ، اذا نجح، قد يُعوِّدُ بعض الناس برودة الطبع والقسوة إذ يعد كل معاملة للناس قتالاً كالذي تعوّده في الكفاح ويرى أن الحياة معركة لا يظفر بالنصر فيها من يترك القتال كي يضمد جروح الجرحى . فينسيه هذا الرأي فائدة التعاون .

٢ — قد يكون سبب سعادة الانسان ونجاحه في الحياة أن له ابتسامة سارة يبتهج الرائي عند رؤيتها وينشرح صدره فيعطف على صاحبها ويصنع له كل خير يريده . وقد يحسب الرائي بهجة هذه الابتسامة وحلاوتها من طيبة قلب صاحبها واستقامته وسلامة صدره من الشر والأذى والاحقاد وهي قد تكون كذلك وقد لا تكون — إذ ربما كانت من تكوين الوجه وشكل خلقته من غير حقيقة خلُقيَّة خلف ذلك التكوين أو قد تكون من لباقة المخادع الماهر في إخفاء سريرته — فينبغي لمن يغتر كل الاغترار بمثل هذه الابتسامة أن يتذكر قول شكسبير في قصة هامليت « قد يُكثِرُ المرء من الابتسام وهو وغد » .. ولكن من ذا الذي لا يغبط صاحب هذه الابتسامة التي هي مفتاح القلوب والخير .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ — بعض ذوي الكفاية العظيمة في أمور الحياة أو العبقرية لا يحاولون اخفاء عيوبهم ولا سيما اذا كانت من الاخطاء أو العيوب التي يعدها الناس بالحق أو الباطل من لوازم تلك الكفاية العظيمة ودليل عليها . وهم لا يحاولون إخفاء عيوبهم أو أخطائهم لأنهم يرون أنهم قد أدّوا ثمنها من كفاياتهم . وبالعكس نرى بعض من عدموا الكفاية النادرة وإن كان لا بأس بهم يحاولون الظهور بمظهر العصمة ويتألمون ويتملكهم الغيظ اذا ظهرت أخطاؤهم ويحاولون أن يقنعوا الناس أنهم معصومون . وما ذلك إلاّ لأنهم ليس لهم فضل عظيم نادر من أجله تغتفر سيئاتهم — بالرغم من ميل الناس إلى التشفي من أهل الفضل بنسبة النقص إليهم — فرية من لا فضل له لا تتحقق لدى الناس إلاّ إذا خلا من الأخطاء. وقد تبالغ كل طائفة في خطتها فالطائفة الأولى في رفع الكلفة والطائفة الثانية في استخدام كل وسيلة مهما كانت ظالمة لاثبات خلوها من العيوب ونقلها الى غيرها : وهناك طائفة ثالثة هي من أهل العجز يحاكي آحادها ما يحسبون أنه من عيوب ذوي الكفاية كي يُسلَكوا في زمرتهم ويعدّوا منهم .

٤ — من الجائز أن يحزن إنسان لموت خصم او منافس أو عدوّ حزناً كثيراً اذا افتقد ذلك الانسان خصمه الميت عند النجاح والظفر فيود لو كان حيّاً كي يرى كيف ظفر في الحياة بعده بالنجاح والسعادة ولم يظفر الميت . وهذا نوع من الحقد والتشفي من الميت يكون عند ذوي النفوس الدنيئة .

٥ — رغبة الانسان في أن يظل شهيراً بعد موته انما هي مظهر من مظاهر حب هذه الحياة الدنيا .

٦ — اذا غالى الناس في اعتناق رأي أو مبدأ أو مذهب فلا بد أن يعودوا في المغالاة الى ضده حتى تستقر حياتهم بين الطرفين وانما مثلهم في الذبذبة مثل رقاص الساعة .

٧ — كل فضيلة من الفضائل لها رذيلة من نوعها وكل رذيلة لها فضيلة من نوعها . ومن أجل ذلك كثيراً ما نخطىء في الحكم على الناس فقد ننسب الى انسان الفضيلة التي هي من نوع رذيلته أو الرذيلة التي هي من نوع فضيلته فيظن الحازم المتأني جباناً، والمقتصد المدبر بخيلاً والمبذر المتلاف سخيّاً كريماً وسيء الادب صريحاً مستقيماً والأحمق متحلياً بفضيلة الثقة بالنفس الخ .

٨ — كثير ممن يجهلون عظم منزلة الانسان في العالم بسبب فضائله وعقله يشتطون في القسوة في الحكم اذا حكموا وفي معاملة آحاد الناس إذ يطالبونهم بما يناسب عظم منزلة الانسان التي أساسها الفضائل والعقل . ولكن الفضائل كثيراً ما تخذل الانسان ولا تؤاتيه والعقل كثيراً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما يسخف أو يخطىء أو يسهو فمظم منزلة الانسان في الكون بسبب ما هو معرض له في حياته من آلام ومصائب وعذاب وجهازه العصبي أرق من جهاز غيره من الحيوانات فهو مرهف الحس وله خيال يصور له آلامه وعقل يشغل بها. فاذا عاشرت انساناً لا تنظر الى ما في إرادته من شر وما في عقله من قصور وما في آرائه من سخف أو هوى فانك ان فعلت ذلك كرهته أو احتقرته بل انظر الى آلامه من واقع ومنظور والى حاجاته وتعبه في الحصول عليها والى بواعث القلق في حياته فان من يتحمل كل ذلك خليق بالعطف والمحبة والاعظام.

٩ — قصور العقل وسوء الخلق أمران مختلفان قد يجتمعان وقد لا يجتمعان. ولكن قصور العقل قد يساعد على اخفاء رذائل صاحبه فتحسب انها ناشئة منه. فالغباء كثيراً ما يظهر دناءة صاحبه وشره بينما العاقل الحازم قد يدرك وسائل اخفاء شره ويستطيعها فيحسب انه خال من الرذائل وان العقل وحسن الخلق متلازمان أبداً. كذلك سوء الطبع قد يستهوي صاحبه فيمنعه من ادراك الحقائق التي لولا سوء خلقه وطبعه لاتضحت لعقله وقد تتضح في حالات دون حالات.

١٠ — كل حيوان لا يقسو الا ليأكل أو للدفاع عن نفسه. أما الانسان فانه قد يقسو من غير داع الا التلذذ بالقسوة فهو كما سماه العلامة جوبينو صاحب كتاب الاجناس البشرية « الحيوان الذي بذ كل الحيوانات في خبث طبعه وشره » واذا وجد حيوان يقتل أكثر مما يأكل، فما ذلك الا كما يقول الفرنسيون في أمثالهم عينه أكبر من معدته — فالانسان قد يقسو من غير فائدة لنفسه إلا التلذذ بالقسوة. وقد يبلغ هذا التلذذ مرتبة الجنون وكثيراً ما نسمع عن حوادث تعذيب ترتكبه حتى بعض الأسر المحترمة في عهد الحضارة والثقافة. وكأن شهوة القسوة تفرز في جسم الانسان سماً زعافاً يتجمع كسم الأفعوان وينتهز أقل سبب وأصغر فرصة كي يؤذي به بعض الناس أو الحيوانات. ولعل التلذذ بقوة الالفاظ المؤلمة والنظرات التي تنم عن القسوة وبالدسائس والمكائد كلها أنواع من التلذذ بالقسوة هي عرض سيكولوجي مما كان يصنعه الانسان في أيام الهمجية بأعدائه وأسراه وعبيده تلذذاً بالقسوة لأجل القسوة سراً وعلانية من غير رادع. ومن العجيب ان بعض المرضى بمرض نفسي أو عقلي يلتذون ألم قسوة غيرهم بهم. وما دام الانسان يقتتل على الحياة وهو رقيق الجهاز العصبي وذو خيال وعقل فلا سبيل الى محو طبع التلذذ بالقسوة كل المحو — إلا إذا أسعف طب الغدد الحديث — وربما كان تلذذ الانسان بالقسوة لشدة فرحه بأن الألم نال غيره ولم ينله. فهي نوع من الجبن أو وسيلة للنجاة من الخوف على النفس.

ع . شى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أمراض العيون
— ٢ —
الدفتريا الرمدية

﴿ الرمد الدفتيري ﴾ من المعلوم أن مرض الدفتيريا من الأمراض التي عني بها رجال الطب عناية كبيرة أدت الى سن قانون لتطعيم الأطفال إجباريًا في سن الطفولة للوقاية.

وكما أن هذا المرض يصيب الحلق فإنه كذلك يصيب العين والأنف ويسمى في هذه الحالة بإسم : « الرمد الدفتيري » وهو نوع من أنواع الرمد ينشأ عن ميكروب الدفتيريا ، مثله في ذلك مثل الرمد الصديدي إلا أنه أشد فتكاً منه في بعض الحالات ويكون مصحوباً بغشاء فوق الجفون ، وفوق غشاء الأنف — وهو عينه الذي يصيب اللوزتين والحلق — ويكون مصحوباً بارتفاع في درجة حرارة الجسم بين ٣٨ و٥ر٣٩ وغالباً ما تصل الدرجة الى الأربعين .

وعلاج هذا النوع من الرمد يتوقف على التشخيص نفسه فيحقن المريض بكمية كبيرة من المصل تبعاً لشدة المرض لا تبعاً لسن المريض .

وليس من الضروري أن تكون نتيجة التحليل إيجابية بل ينظر الى المشاهدات الاكلينكية ، لأن ميكروب الدفتيريا يندر ايجاده من تغلب ميكروبات أخرى موجودة معه في العين أو في الحلق فتظهر تلك الميكروبات في التحليل ولا يظهر ميكروب الدفتيريا .

* * *

وأذكر بهذه المناسبة نوعاً من هذا الرمد الدفتيري ظهرت أعراضه في مستشفى الرمد بأسيوط عام ١٩٢٢ وكنت وقتئذ الطبيب الأول بالمستشفى .

فكيف حدث ؟ وكيف شاهدنا المرض وعالجناه بالسرعة الواجبة قبل أن يستفحل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والمعلوم أنّ الرمد الدفتيري في مستشفيات الرمد له نظام خاص فيحول المرضى به في جناح خاص من المستشفى ويصرف لكل مريض وماء خاص به «غسيل» فيتولى هو او اهله الغسيل بارشاد الطبيب ويتولى الطبيب الاول علاجهم ويكشف عنهم كل يومين أو ثلاثة حسب مقتضيات ظروف عمله بالمستشفى ويتولى الطبيب الثاني العلاج في الايام الأخرى .

وذات يوم بينما كنت أفحص وأعالج الاطفال المرضى في ذلك القسم اشتبهت في طفلين علا على أعينهم غشاء يشبه غشاء الدفتيريا فأخذت من كلٍّ عينة وبعثت بها للتحليل في معامل الصحة بالقاهرة وعزلت الطفلين بعيداً عن سائر المرضى فكانت نتيجة التحليل إيجابيـة ، أعني أنّ صاحبي هذا الرمد مصابان بالرمد الدفتيري ، فأسرعت وفحصت عيون سائر المرضى فوجدت بينهم ثلاثة مصابين بنفس المرض .

وهنا لم أجد بدًّا من أن أتولى علاج المرضى بنفسي بعد عزلهم وأبرقت لولاة الامور في وزارة الصحة بشأن هذا المرض في ذلك المستشفى وطلبت الخيام اللازمة لعزل المرضى فتم ذلك في يومين وتمكنت من وقف سير المرض وانتشار العدوى اذ حصرت المرض في عدد من المرضى بلغ مجموعهم ٣٨ طفلاً بينهم خمسة كانت حالتهم شديدة (أي أن إصـابتهم كانت بدفتيريا مصحوبة بغرغرينة في الحجاج) ورغم العناية بالعلاج والحقن بالمصل ضد هذا الوباء وبالغسيل وبالمس وسواها فان الوباء كان شديد الفتك وكانت نتيجته أن بعضهم فقد بصر العين وتوفى البعض الآخر

ومن أجل ذلك بادرت وزارة الصحـة فندبت أحد رجالها لفحص عينات ذلك المرض محليًّـا (أي في أسيوط) وذلك بتحليل الغشاء بكتيريولوجياً حتى لا يضيع الوقت في ارسال العينات الى القاهرة للتحليل وانتظار معرفة النتيجة .

***

فهذا المرض — كما قلنا — يصيب ميكروبه العين والحلق والانف ، وأحياناً تكون نتيجته ايجابية في العين والحلق والانف وأحياناً تكون في العين والحلق وحدهما كما تكون في الحلق دون العين ، أو في العين وحدها .

سئلت ذات مرة في أحد الاجتماعات الطبية العامة عن ذلك المرض وكان نص السؤال هو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« هل الميكروب الذي يصيب العين هو نفس الميكروب الذي يصيب الحلق والأنف »
فأجبت : نعم ، أن الميكروب هو ميكروب الدفتريا في العين والحلق

وقد تأتي العدوى من مريض بالدفتيريا الحلقية أو من دفتيريا في الأنف كما قد يصاب مريض في حلقه من مريض بعينه أو بأنفه . والدليل على ذلك انني في ذلك العام (١٩٢٢) دعيت لعلاج طفل علاجاً خاصّاً في منزله (وكان والده من الأثرياء) كان مصاباً برمد صديدي فلما فحصت عين الطفل المريض تبين لي أنه مصاب برمد دفتيري لا برمد صديدي عادي (لأن الرمد الدفتيري شبيه بالرمد الصديدي فتتورم الجفون وتحمر المقلة الا أن الرمد الدفتيري يزيد الورم فيه أحياناً ويكون شديداً) فبادرت بحقن الطفل بالمصل اللازم وأسعفته بالعلاج وجئت له بممرضة خاصة تقوم على خدمته والعناية به ، ولكن أمه أبت أن تترك لتلك الممرضة وحدها الاشراف عليه لانه كان وحيدها إذ قد فقدت ثاني أولادها من سنتين ، وهنا كانت الطامة الكبرى إذ مرضت الأم بحلقها بعد شفاء ولدها من الرمد الدفتيري ولما شخص الطبيب مرضها بأنه عبارة عن التهاب بسيط في الحلق خالفته في رأيه وطلبت معالجتها بالحقن ضد الدفتيريا فأهملوا مشورتي . ولما اشتد المرض على تلك السيدة بعد يومين أو ثلاثة عاد أهلها الى التفكير فيما نبهت أنا اليه ولكن العلاج جاء متأخراً وقضت السيدة الى رحمة الله نتيجة عدواها بالدفتيريا من رمد دفتيري .

والدفتيريا الرمدية تصيب الأطفال من سن الثانية الى الخامسة ، وقد تسبب فقد البصر والوفاة كما سنبين فيما بعد

***

تكلمنا فيما تقدّم عن الدفتريا الرمدية وبينا أنها تنشأ من الميكروب الذي أطلق عليه إسم كليب لوفر باسيلس نسبة الى مكتشفيه البروفسور الاستاذ كليب (Kleb) والاستاذ (لوفلر) (Lofler)

وهذا الميكروب يوجد في الغشاء المخاطي للجفون وفي الانف والحلق (في ثنايا اللوز والحلق) فيفرز مادة سامة تسمى توكسين (Toxin) تدخل الاوعية اللمفاوية وتسبب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ضرراً كبيراً ، والسم الذي يفرزه هـذا الميكروب ينتشر في الجسم فيسممه ويقضي على حياة صاحبه .

ويأتي هذا التسمم من مادة التوكسين المشار إليها متى ملأت الاوعية اللمفاوية فتتأثر الكلى تأثراً بالغاً في بعض الاحيان ويتعطل افرازها للبول وهنا يحدث التسمم .

كما تؤثر تلك المادة السامة على القلب فتضعفه الى درجةٍ كبيرة فلا يقوى على تأدية وظيفته . وتحدث الوفاة من هبوط القلب .

وفي حالات أخرى يكون التأثير على المخ .

وقد يحصل شلل في البلعوم (الحلقوم) فترجع جميع السوائل من الانف .

كما يحدث شلل في عضلات تكييف الأبصار فيضعف البصر .

أسباب العدوى

وترجع أسباب العدوى من هذا المرض الخبيث الى الحالات التالية وهي :

١ — اللمس

٢ — الذباب

٣ — السعال (الكحة) : فينتقل الميكروب اثناء السعال من حلق المريض الى الطفل الموجود أمامه

٤ — حامل الميكروب

فالميكروب ينتقل من الجسم المريض الى الجسم السليم في احدى تلك الحالات ولا سيما أن المريض بدفتيريا الأنف تكون درجة حرارته طبيعية ولا يظهر عليه مرض من الأمراض ولكن ميكروب مرضه هذا الكامن في نفسه ينتقل بواسطة افرازه من أنفه الى حلقه أو الى عينه فاذا اتصل بالحلق سبب دفتيريا الحلق ، كما يسبب دفتيريا الرمد اذا اتصل بالعين . وفي كلتا الحالتين ترتفع درجة الحرارة . ولذلك يجب حقن المريض بمصل الدفتيريا حالاً عند الاشتباه ولا ضرر منها كما يعتقد بعض الناس .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوقاية

وللوقاية من هذا المرض — ولا سيما عند الأطفال لأنهم أكثر من غيرهم تعرضاً للإصابة بهذا المرض — يجب حقن جميع الأطفال ثلاث حقن وقائية عقب ولادتهم . وقد فرضت وزارة الصحة ذلك فرضاً إجبارياً .

فكان لحقن الأطفال في طفولتهم أثر كبير في قلة اصابتهم ووقايتهم من هذا المرض .

وليس لهذا الوباء موعد محدد خلال السنة فالاصابة به تحدث صيفاً وشتاء على السواء غير أنه اذا ظهر خلال الصيف كانت الاصابات به أكثر فتكاً مما لو ظهر خلال الشتاء .

وعند ظهور هذا الوباء في المستشفيات ، يعزل المصابون في معازل خاصة خشية أن تنتقل العدوى بواسطة الذباب الى الاصحاء .

وقد بين المرحوم الدكتور علوي باشا في كتابه « الأمراض العينية » أنه يعتقد أن الدفتيريا الرمدية قليلة في القطر المصري بالنسبة للبلاد الأجنبية . ولكنه يعتقد كذلك أنه اذا انتشرت كان انتشارها بحالة وباء. وقد كان هذا الوباء الذي حصل في سنة ١٩٢٢ الأول من نوعه في تاريخ الرمد بالقطر المصري .

الوصف الأكلينيكي

سبق أن قسمت الوصف الاكلينيكي لهذا المرض الى ثلاث درجات كالآتي : —

١ — ورم بسيط بالجفون ، وإفراز بسيط وغشاء خفيف على الملتحمة ، وتكون درجة الحرارة بين ٥ر٣٧ و ٣٨ درجة .

٢ — ورم شديد بالجفون، حتى لا يمكن رؤية داخل العين أو قلب الجفن إلاّ بصعوبة ، وإفراز صديدي شديد ، وارتفاع في درجة الحرارة قد تبلغ الاربعين اذا ما تعددت أنواع الميكروب . ومعظم أنواع الرمد ولا سيما الصديدي يسبب الصداع والأرق .

٣ — ورم شديد بالجفون فلا يمكن فتح العين ولا قلب الجفن بسببه لوجود حالة (غرغرينية) في الجفون ، وترتفع درجة الحرارة بين ٣٨ و ٣٩

وفي حالات الرمد الصديدي يحقن المصاب بحقنة لبن فتتحسن صحته والأمر بالعكس إذا حقن مصاب بالرمد الدفتيري بتلك الحقنة فإن حالته تسوء ولذلك يجب التأكد من نوع الرمد أولاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولما كان ظهور هـذا الوباء يعتبر الأول من نوعه في أسيوط في تلك السنة فقد عزل المصابون في أقسام ثلاثة بالترتيب التالي :

فالقسم الأول خصص للحالات الايجابية وقد أحيط بأسلاك لا يدخلها الذباب fly proof

والقسم الثاني : للحالات السلبيـة التي يظهر اكلينيكيـًا إنها ايجابيـة وأحيط كذلك بالسلك المانع للذباب .

والقسم الثالث : للحالات المشتبه فيها أو السلبية (ولا نشك إنها إيجابية اكلينيكيًّا) وحوله السلك المانع للذباب أيضاً

وخصص لـكل قسم من تلك الأقسام خادم وخادمة يشرفان على خدمة المرضى ولا يختلطان بخدم القسمين الآخرين .

وقد وجد ميكروب السيلان الجونوكوك مع ميكروب الدفتيريا في ١١ حالة من ٢٠ حالة وميكروب الـكوخ ويك (Koch Week) في ٧ حالات وميكروب Xerosis في حالتين . وتوفى من تلك الحالات أربعة أطفال بسبب غرغرينة بالمقلة وبلغت نسبة العمى ٥٥ في المئة.

ووجد ميكروب السيلان في ١٢ حالة من الحالات السلبية التي أعتقد إنها ايجابية بسبب تغلب ميكروب السيلان على ميكروب الدفتيريا وتوفى في تلك الحـالة اثنان وبلغت نسبة العمي ٤٦ في المئة .

فوفاة ستة أطفال بين ٣٥ طفلاً أي بنسبة ١٧ في المئة كان أمراً له خطره . ولا سيما اذا عرف أن الناس كانوا لا يظنون بل ولا يعتقدون ان الرمد الصديدي يسبب الوفاة .

كما ان فقد البصر وقد بلغ ٥٠ أو ٥٥ في المئة — وهي نسبة كبيرة جدًّا — لا يمكن القضاء عليها إلاّ بالحقن ضد الدفتيريا ، فقد تم حقن أطفال الحالة الشديدة من ٦٠ ألف الى ٨٠ ألف وحدة وحقن أطفـال الحالة المتوسطة من ٢٥ ألف الى ٤٠ ألف وحدة وحقن أطفال الحالة الخفيفة من ٨ آلاف إلى ٢٠ ألف وحدة .

ومن ذلك يتبين خطورة الدفتيريا سواء كانت حلقية أو رمدية .

وهذا ما يجب توجيه نظر الناس جميعاً اليه ليصونوا أطفالهم بحقنهم بالمصل الذي يقيهم هذا الوباء وشره .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الزهري

تاريخه وأعراضه وتأثيره على أجزاء العين

والزهري — كما هو معروف — مرض من أمراض التناسليات يصيب الناس جيلاً بعد جيل وينقسم الى : اولاً — مكتسب . وثانياً — وراثي .

وقد عرف باسم الزهري ويسميه العامة بالتشويش أو داء البلاء أو التشويه لأنه يشوه الجسم .

تاريخه : يحسن في هذه المناسبة ذكر تاريخ ظهور هذا المرض حتى يلم الناس به الماماً ويعرفوا مصدره . وقد جاء في كتاب الطب المصري القديم لمؤلفه الدكتور حسن كمال أن الحكومة المصرية ألفت لجنة برياسة الأستاذ أليوت سميث والأستاذ وود جونسن وكيله لفحص ما يكتشف من الجثث المدفونة في البلدان التي كانت في النية اغراقها في بلاد النوبة بعد تعلية خزان اسوان ، وقد وضعت هذه اللجنة تقريرها وضمنته النتائج التي وصلت اليها من الفحص مقرونة برسوم متعددة لجثث محنطة في عصور شتى ، وتاريخ هذه الجثث كان قبل العهد الفرعوني في مصر وتنتهي بعهد اليونان . وقد أثبتت هذه اللجنة ان أمراض الزهري والسرطان والكساح لم يكن لها وجود مطلقاً في وادي النيل ، بل ان الذي كان منتشراً في بعض المناطق هو الالتهاب العظمي المفصلي المسمى Rheumatoid Arthritis ودل التحليل الكيماوي على أن داء النقرس داء الملوك gout كان موجوداً عندهم التهاب النتوء الحلمي Mastoid disease وعن التهاب حول الزائدة الدودية وعلى التصاق الجمجمة بأعلى العمود الفقري نتيجة المرض المسمى Spondylitis deformans . كما ظهر في بعض جماجم النساء تقيح نتيجة حمل « زلع » الماء أو ما يشبهها .

ويشير بعض الكتاب الى أنه لم ير أثر للزهري في نصف الكرة الشرقي قبل سنة ١٤٩٣ أي قبل « كريستوفر كولمبس » ففي تلك السنة انتشر الزهري في برشلونه بواسطة البحارة الأسبانيين ، كما انتشر في إيطاليا في عهد شارل الثامن فقد نشر جنوده هذا المرض في نابلي ثم في بلدان إيطاليا وسائر الاقطار الاوربية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهناك مؤرخون يقولون بوجود هـذا المرض في آسيا وأوربا من زمان قديم ، وهم في قولهم هذا يتحدثون التاريخ القديم والطب القديم والتوراة من وجود أعراض تشبه مرض الزهري في عظام الهياكل والأدوية التي كانت تستعمل وقتئذ مثل اليودور والعشبة .

ولـكن الثقات يرجحون الرأي الاميركي من أن هذا المرض جاء الى أوربا وآسيا من أميركا ، وكانوا يسمونه أولاً بالمرض النابلي نسبة إلى نابلي ، ويسمونه « الحب الفرنسي » (French pox) وفي سنة ١٥٣٠ سمى فراكستوريبوس وجاليكس ومن ذلك الوقت أخذ الاسم الأخير وهو الزهري .

* * *

وكانوا يظنـون أن هـذا المرض ينتقل من شخص الى آخـر أسوة بالأمراض المعدية ولـكنهم عرفوا فيما بعد طبيعة انتقاله التنـاسلي . وكان الدكتور فرنل الطبيب الباريسي (Fernil) هو أول من قال بضرورة أخذ القرحـة الاولى للمرض وذلك في القرن السادس عشر . واكتشـف الدكتور بارسلس (Paracelsus) انتقال هذا المرض بالوراثة .

وفي ذلك الوقت كانت أعراضه أشد فتكاً مما هي الآن .

وفي سنة ١٨٠٠ اكتشف Lancisi الصلة بين مرض الزهري ومرض (Aneurism Aorta)

وشرح (Morgagni) تأثير مرض الزهري على الأمعاء الداخلي .

وعند ما طعّم نفسـه (Hunter) — تحت تأثير خاطيء — بهذا المرض ، جمع بين وحدة القرحة الرخوة والسيلان والزهري .

وفرّق (Ricord) بين القرحة والرخوة الصلبة في القرن التاسع عشر حيث عرفت جميع الأعراض الاكلينيكية ، إلاّ أن المسبب لذلك لم يعرف حتى سنة ١٩٠٥ عندما اكتشف شودن (Schaudinn) وجود الميكروب المسمى اسبير وكيتي Spirochoete في القرحة الاولى .

وفي سنة ١٩١٠ أعلن ارلخ (Ehrlich) اكتشاف المركب الذي يقتل الميكروب من الدم ولا يضر الانسان ، وهو المركب الزرنيخي ٦٠٦ و ٩١٤ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العدوى من مرض الزهري

والعدوى بمرض الزهري المكتسب تحصل باللمس ، فاذا ما وجد جرح أو تسلخ بسيط على الغشاء المخاطي أو الجلد خلال الجماع ، ينتقل الميكروب من القرحة الى التسلخ أو الجرح ويسبب العدوى بالقرحة الأولى كما ذكر فرنل الطبيب الباريسي بضرورة وقوعها في حالة الزهري المكتسب أولاً والتي تسمى بالقرحة الصلبة .

وليس الجماع هو السبب الوحيد للعدوى بالزهري المكتسب ، بل وجدت حالات انتقلت خلال تقبيل مريض بالزهري انساناً سليماً متى وجد به جرح بسيط أو خدش (خربشة) وكان الميكروب موجوداً عند التقبيل .

وكذلك يحدث أثناء الولادة إذا ما وجد الميكروب بأصابع الطبيب أو المولدة ولذلك يلبس الأطباء والطبيبات قفازات مصنوعة من الجلد (اللستك) بعد تطهيرها .

أما العدوى بالزهري الوراثي فإنه يصل الى الطفل من والديه أو أحدهما عن طريق الدورة الدموية خلال مدة الحمل حيث تكون الأوعية الدموية للطفل متصلة بالأوعية الدموية لرحم الأم .

***

وقد ذكرنا في ما تقدم ان العدوى الأولى في الزهري المكتسب هي القرحة التي تصيب المصاب محل اللقاح من ثلاثة الى أربعة أسابيع . وهنا تكون القرحة اولاً بلا افراز إلا إذا صحبها عدوى بميكروب آخر ، وتستمر شهراً وتتحجر حوافها ، ولذلك سميت بالقرحة الصلبة ، ثم تتحجر الغدد القريبة والبعيدة منها ، ثم يحصل الطفح على الصدر والبطن والشفتين ويلتهب الحلق ، وتصاب اللوز بقرح تشبه حالة الالتهاب كما يلتهب الأنف وتبدو رائحته كريهة ، ويصحب ذلك ارتفاع في درجة الحرارة ، ويصحب تلك الحالات أحياناً ، صلع جزئي أو عام في الرأس . وجميع تلك العلامات تشفى وتزول خلال ستة أشهر ، وكأن المريض لم يصب بشيء ما ، ولكن سرعان ما تظهر عليه علامات الدور الثالث للقرحات على الجلد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والأيدي والساق والمقعد ، وتظهر حالة (grimus) في أعضاء الجسم مثل ورم بالكبد والرئة والعظام بصفة عامة وعظام الجماج بصفة خاصة ، ويؤثر ذلك على الشرايين فيحدث ما يسمى بتصلب الشرايين بالجسم وبالمخ ، فينفجر شريان المخ ويصاب المريض بالنقطة المخية والشلل والموت .

أما علامات الزهري الوراثي ، فانها تظهر على الطفل بعد ولادته بثلاثة أو أربعة أسابيع على الأقل ، وفي حالات أخرى لا تظهر إلاً بعد سنتين .

وأهم ما يظهر على الطفل بعد الولادة في الأسبوع الرابع ، فهو العطس ، ورائحة كريهة بالأنف . ويظن أهل الطفل أنه أصيب بالبرد فيعالج على هذا الأساس ولكن العلاج لا يفيده وسرعان ما تظهر عليه تقرحات بالشفتين وحول الشرج والأنف وتزيد هذه التقرحات في الشهر الرابع والخامس ، وغالباً تنتهي بوفاة الطفل ، وتلك علامة من علامات الزهري الوراثي أي أن الطفل يموت في الحول الأول من عمره ، أما الأم فقد تجهض في الشهر الثاني أو الثالث من حملها ، فاذا أتمت شهور حملها وولدت طفلاً سليماً ، ففي الغالب يصاب الطفل بالعلامات التي أشرنا اليها فيما تقدم .

وليس كل امرأة زهرية (أي مصابة بالزهري) تجهض أو يموت أطفالها في الحول الأول ، بل الأمر قد يكون بالعكس . ولكن حدوثه يكون معناه الاشتباه بالزهري الوراثي والاهتمام بعلاجه بعد الفحص والتشخيص .

وقد تظهر على الطفل علامات ضعف البصر ، وضعف السمع ، ويلاحظ ذلك بين سن الخامسة والخامسة والعشرين ، وتأخذ الجبهة شكلاً معيناً ببروز في عظم الجبهة وانخفاض في عظم قمة الأنف ، وتأخذ الأسنان من الأمام شكلاً مخصوصاً بالانبعاج والشرشرة وسوى ذلك مما لا محل لذكره هنا فانه من عمل الطبيب الذي يتولى فحص الدم بطريقة ويسرمان Waserman وطريقة كالمز Kahn's . وليس كل تحليل سلبي معناه عدم وجود ميكروب زهري فان الميكروب يكمن أحياناً في عضو من أعضاء الجسم فلا يتحرك ويخرج الى الدم الاً بعد حقنه ، والمهم في ذلك كله التشخيص الاكلينيكي مع تحليل الدم .

« للبحث تتمة »

الدكتور عبد المسيح جرجس
اخصائي في امراض العيون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الثقافة العامة

وتنظيم وسائل الاشراف عليها

أدرك القائمون على وزارة المعارف أن اكتساب المعرفة لم يعد مقصوراً على التلقين يقوم به المعلمون في حجرات الدرس ، بل ولم يعد مقصوراً على فترة معينة من العمر يقضيها المرء في تنمية الملكات واكتساب المعارف ، نوسعوا من اختصاص الوزارة حتى يشمل كل المرافق المتصلة بالمعرفة بل والتربية في أوسع مداها ، واذا كانت العناية بالدراسة النظامية واجبة ، فالعناية بالدراسة غير النظامية أوجب ، ذلك لأن الرقابة على الأولى أوجدتها سنن وتقاليد ونظم رسخت على الأجيال ، أما الثانية فجديدة وتأثيرها في النفوس أشد وأمكن لحرية وسائلها ومسايرتها لمراحل الحياة جميعاً . ومن ثمّ كان الغرض من اشراف وزارة المعارف على الثقافة العامة هو توجيهها للصالح الخاص والعام وتقويم المعوج من أفرادها وأدواتها وسد النقص الذي قد ينجم في ناحية من نواحيها مع المحافظة على التراث العقلي والعصوري للأمة المصرية بنشر ذخائرها والكشف عن المطمور من نفائسها والعمل على تنسيق النهضة الثقافية في مصر معها في الأمم العربية الشقيقة من ناحية والأمم الغربية من ناحية أخرى .

ولكن عدم الاستقرار الذي تتسم به هذه الفترة من حياة الأمة ، وهي بفترات الانتقال أشبه ، جعل الوزارة لا تستقر على خطة معينة واضحة في اشرافها الثقافي الجديد ، آية ذلك أنها فهمت من الثقافة العامة وسائل اكتساب المعرفة خارج المدرسة حيناً ، فقصرتها على الترجمة والتعاون الثقافي والاحصاء ، دون أن تبين ماهية هذا الاحصاء . ثم جاءت بعد ذلك فجعلت حد الثقافة — كما يقول المناطقة — خارج الفصول الدراسية ، فضمت الى اداراتها ما يتصل بالنشاط المدرسي من رحلة وتمثيل ، أضف الى ذلك أنها وكلت هذا الاشراف الثقافي الى جماعة من المدرسين القدماء أعترف بكفاءتهم وعلمهم وفضلهم وتفننهم في علوم كثيرة ، ولكني أعترف كذلك بأن تعريفهم للثقافة غير جامع لكل الوحدات التي تتألف منها في عصرنا هذا الحديث . وهم لذلك وقعوا في خطأين واضحين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأول عدم التفريق الحقيقي بين التعليم والثقافة العامة . والثاني احتفالهم بالكلمة المكتوبة وإيثارهم للتأليف والترجمة والنشر وإهمالهم لتلك الوسائط الثقافية الجماعية الخطيرة كالسينما والإذاعة والصحافة ، وهم إذا التفتوا إليها فإنما هي الالتفاتة العجلى التي تتذبذب بين وظيفة التعليم المدرسي ووظيفة الثقافة العامة .

والأداة الحكومية عندنا في تطورها من السلبية الى الايجابية أو من البيروقراطية الى الديمقراطية دفعت أولي الأمر الى معاودة تصنيف الادارات الحكومية القائمة واستحداث ادارات بل وزارات جديدة ، بيد أن هذا أيضاً لما يستقر على خطوط واضحة فأصبحنا نرى — فيما يتصل بموضوع الثقافة العامة وزارات الداخلية والشؤون الاجتماعية والمعارف تتنازع الاختصاص في بعض المسائل والاشراف على بعض الادارات والمصالح ، مثال ذلك أن شئون التمثيل ودار الأوبرا تستلحق بوزارة المعارف حيناً وبوزارة الشئون الاجتماعية حيناً آخر مع أن وظيفة كل وزارة تختلف عن وظيفة الأخرى ، وأن الرقابة السينمائية تتوزعها وزارتا الداخلية والشئون ولا تحتفل بها وزارة المعارف ، مع أنها وسيلة من أهم وسائل الثقافة العامة . ومن هنا تضاربت الخطط والاختصاصات وأصبحت الهيئات الحكومية تسير كل واحدة منها في خطتها ، بل وأصبح الأفراد والجماعات يعمل كل حسب نزعته المستقلة دون تنسيق للحركة الثقافية ، وهو التنسيق الذي يعمل على عدم تكرار الجهد أو تضاربه والذي يجعل كل فريق يفيد من تجاريب الفريق الآخر ويبني عليها ، ولهذا كان لزاماً أن نوضح وظيفة كل وزارة ، فالداخلية تشرف على العمل الثقافي من حيث مساسه بالأمن العام ، والشؤون الاجتماعية تشرف عليه من حيث مساسه بالخلق العام ، أما وزارة المعارف فهي المعنية به القوامة عليه تشجعه وتدعو إليه ، بل وتخلقه خلقاً إن اقتضى الحال .

***

وقد آن لنا أن نعيد النظر في إشراف وزارة المعارف على شؤون الثقافة العامة ، ذلك لأنّ مهمتها في هذه الناحية لا تقل ، إن لم تزد ، على مهمتها في الاشراف على الوحدات التعليمية النظامية ، لأنّ وسائل الثقافة العامة تتصل بالحياة العقلية ، الفردية والجماعية على السواء ، وبخاصة في هذه الفترة التي نحاول فيها أن نحمي الشباب من الآراء الهدّامة والتجمعات الفاشية المعارضة للنظام الديموقراطي الذي نريد أن نمكن له ونرسخ أصوله ، وقد فطن لذلك بعض الخبراء في العقلية الجماعية ، فدعوا الى الإشراف الرشيد على وسائل الثقافة العامة ، وأعني بالرشيد هنا الى ما لا يتعارض مع حرية الفكر وحرية التبادل الثقافي في حدود المحافظة على مقوّمات الأمة في ظل النظام الديموقراطي ، وقالوا إن هذا الاشراف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ينطوي على مهمتين : إحداهما سلبية تعمل على الحماية من تسرب الثقافات الضارة ومن إساءة استعمال وسائلها ، والأخرى ، إيجابية تشجع القائمين بأمر الثقافات المفيدة وتستحدث ما ينبغي أن يوجد منها .

ولم تعد العلاقة بين الدول مقصورة على الاتصال السياسي والتبادل الاقتصادي والتجاري بل شملت التعاون الثقافي بأوسع حدوده ، فأنشئت شعبة التربية والعلم والثقافة الخاصة بالأمم المتحدة « Unesco » وهي التي تنظم العلاقات الثقافية بين الأمم ، وتشرف على تبادل الآثار الفنيـة والعلمية بين مختلف الشعوب ، وتصدر النشرات والاحصائيات ، وقد نظمت هـذه الشعبة بحيث تنتظم الكلمة المكتوبة والملفوظة وسائر الفنون البصرية والسمعية التي تؤثر في الفرد والجماعة وتشجع القائمين بها وتنسق الجهود المساهمة فيها ، كما أنَّ جامعة الأمم العربية لم تغفل الثقافة العامة وأثرها في التقريب العقلي والشعوري بين هذه الأمم فأنشأت مكتبها الدائم ودعت الى المؤتمرات الثقافية ، وهي تحاول جاهدة أن تكشف عن نفائس المخطوطات والآثار الفنية وأن تشجع النهضة الفكرية وتعمل على تنسيق خطواتها .

* * *

أما وقد أصبحت للثقافة العامة هذه المكانة الملحوظة في الحياة الوطنية والدولية فقد صار من المحتم علينا أن نعيد النظر في الأداة الحكومية المهيمنة عليها ،

ومن ثمّ لم تثبت على نظام أو تستحدث سنة ، فاذا اضطرت الى القيام بعمل من الأعمال وكلت به الى غير أهله أو دفعت به الى المختصين فيه من غير رجالها

وقد آن لنا أن نهتدي بتنظيمات الشعبة الدوليـة والمكتب الدائم للجامعة العربيـة ، وأن ننشىء الأداة المشرفة على الثقافة العامة بالوزارة من جديد ، على أنه لا يعزب عن بالنا أن الافادة من هذا التعاون الثقافي الدولي يجب أن تكون بقدر وأن نفرق بين ما يقصد للدعاية وما يقصد للثقافة وأن نحذر التبعية الثقافية لأنها وخيمة العاقبة كالتبعية السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وقد تكون مقدمة لها وداعية إليها « ولعلّ أول ما ينبغي أن نحتفل به هو العمل على استصدار قانون يحافظ على الملكية الأدبية والفنية والعلمية حتى لا تصبح المؤلفات والآثار الفنية نهباً للنقلة والمقتبسين بغير حق ، وقد ترددنا في استصدار هذا القانون لاننا لم نرد أن نقفل الباب في وجه المترجمين ولما نزل في نهضتنا الفكرية عيالاً على غيرنا ، ولكن العقلية المصرية تأخذ مكانها التدريجي بين العقليات العالمية فالباب الذي فتحناه من ناحية بعدم استصدار هذا القانون يقفل في وجوه الفنانين

المصريين أبواب الافادة من جهودهم اذا أريد نقلها أو الاقتباس منها ، وسيدعو التبادل الثقافي الدولي الى عقد المعاهدات الثقافية وما يشبهها ، فعلينا أن نحترم الملكية الثقافية لغيرنا حتى يحترموا ملكياتنا .

ولسنا نستطيع أن ننظم هذا الاشراف الثقافي العام إلا إذا عرفنا ما عندنا وما ينقصنا باصطناع الاحصاء الثقافي الذي تبنى عليه المناهج والتوجيهات في كل فرع من فروع الثقافة ، ونحن اذا أردنا أن نحرص على مكانتنا الثقافية كان لزاماً علينا أن نأخذ بأ كل الوسائل الاحصائية من تسجيل وتصنيف وتحليل ، حتى يصبح هذا الاشراف قائماً على العلم الصحيح بنفسيتنا الجماعية وقدراتنا العقلية والشعورية .

وما دمنا قد أخذنا باللامركزية في شؤون التعليم وعرفنا فائدتها في حسن التوزيع وملاءمة التعليم للبيئات المختلفة قدر المستطاع ، فمن الضروري أن نأخذ بهذا النظام نفسه في التقسيم الثقافي حتى لا يتركز اهتمامنا في منطقة أو منطقتين . علينا أن نقسم القطر الى أقسام ثقافية أو نفيد من التقسيم السابق الى مناطق تعليمية فنلحق بها ادارات ثقافية تنظر في حاجة القسم أو الاقليم أو المنطقة الى الثقافة العامة أو نستكثر من الجامعات الشعبية ونوسع من وظيفتها أو ننشيء مراكز ثقافية قائمة برأسها .

* * *

وقد أدركنا في مطلع نهضتنا الفكرية أننا أحوج ما نكون إلى الترجمة فنقلنا الكثير من التآليف في شتى فروع المعرفة . وفي الأدب والعلوم الانسانية بخاصة . ولكن هذه الحركة قصرت جهدها كله تقريباً على اللغتين الفرنسية والانجليزية حتى أن قادة الرأي فينا كانوا يقسمون أنفسهم الى مدرستين : لاتينية وسكسونية . وقد أراد المشرفون على وزارة المعارف في يوم من الأيام أن يتخلصوا من هذا الضرب من الاحتكار الثقافي فأضافوا لغات أخرى إلى ما يدرس بالمدارس وجعلوا للطالب في مرحلة التعليم الثانوية أن يختار اللغة الأجنبية الاضافية . بيد أن هذه الحركة لم تؤت ثمارها لهذا السبب أو ذاك . فأولى بنا أن نوسع من حركة الترجمة ، نأخذ ما ينقصنا من جميع اللغات والشعوب بلا تفريق ، وستعاوننا في ذلك من غير شك هيئة التربية والعلم والثقافة الخاصة بالأمم المتحدة .

ولما أنشأنا مراقبة الثقافة العامة في وزارة المعارف وألحقنا بها ادارة للترجمة الفنية ، ونقصد بالفنية هنا الترجمة غير الادارية وقعنا في خلاف فقهي : أتقوم الدولة بالترجمة أم تشجع القائمين بها فقط . ولم يكن لهذا الخلاف محل لأن الدولة الآخذة بأسباب النهوض الفكري عليها أن تساهم مساهمة حقيقية في حركة الترجمة ، ولسنا في ذلك بدعاً ، فقد سبقتنا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حكومات كثيرة بترجمة نفائس الكتب التي تحتاج إليها أممها .

وحركة الترجمة على طول مداها وتشعب موضوعاتها وكثرة المشتغلين بها لا تزال قاصرة من وجوه كثيرة ، فروائع الأدب العالمي لما تكمل ترجمتها بعد ، وفروع العلم الطبيعي لا تزال عصية على المترجمين اما لأن أساتذة هذه العلوم قد درسوها بلغات أجنبية واما لأن المصطلحات لم يتفق عليها بعد . ونحن قبل أن ننظم الحركة للترجمة نرى لزاماً علينا أن نحصي المترجمات القائمة وأن نصنفها على موضوعاتها وأن نبين الصالح منها وأن نفيد من تجارب الذين قاموا بها في نقل العبارة والاصطلاح والاسلوب جميعاً . وأن نحصي المترجمين القادرين ونشجعهم بالارشاد والعون المادي وهذا مطلب من مطالب الشعبة الدولية لكي يتيسر لها أن تنظم التبادل الثقافي بين الامم .

أما رسم الخطة لحركة الترجمة بعد هذا التمهيد فلن يكون عسيراً لاننا سنعرف ما ينقصنا من روائع الأدب العالمي فنعكف على نقله ونقف على الكتب العظيمة التي أثرت في العقل الانساني فنترجمها ونشرحها ، وندرك ما نحتاج اليه من فروع العلم فنعربها ونتتبع ما يؤلف في اللغات الأجنبية عن مصر والعرب والاسلام فنرد على ما يستأهل الرد ونترجم ما يستحق الترجمة .

ولا يفوتنا جانب خطير من جوانب الترجمة ، هو النقل من العربية الى غيرها من اللغات ويكاد يكون الاهتمام به معدوماً ، ولست أقصد به الدعاية لمصر وآثارها ونهضتها كما يفهم الكثيرون ولكني أقصد به اعطاء العبقرية المصرية فرصة اظهار كفاءتها بين العبقريات الأخرى ، فنحتفل بما تطلبه منا الشعبة الدولية من ناحية ونساعد المصريين الذين يجيدون لغة أجنبية ويريدون الترجمة اليها على القيام بهذا الجهد الشريف من جهود الثقافة العامة .

ومن العجيب اننا لا نزال نعامل المترجمين الفنيين اذا أردنا تشجيعهم أو الافادة من عملهم بذلك « التسعير الجبري » الذي أقره مجلس الوزراء في زمن مضى وحاولت مراقبة الثقافة العامة أن تغير من هذا الوضع فلم تفلح ، أو لعلها أنظرت الى يوم قريب أو بعيد ، وكان خيراً لها لو عاملت المترجمين بغير هذه المعاملة فاشترت حق الطبع بالقدر الذي يدخل التشجيع فيه .

وذكرت مراقبة الثقافة الحالية التأليف الى جانب الترجمة ، ولكنها ذكرته كما تذكر الالفاظ المتضايفة لاغير ، وفهمت منه الندرة على التحرير فوكلت أمر تشجيعه الى بعض المتخصصين في اللغة العربية دون سواهم مع أن هذا التشجيع يجب أن يوكل الى جماعة من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المتفننين في علوم كثيرة يعرفون ما تحتاج اليه الأمة فيدعون الى التأليف فيه ولا يقتصر عملهم على قراءة الكتب وبيان ما يصلح منها المكتبات المدرسية . وقد فطنت الوزارة الى تشجيع التأليف بوضع الجوائز وعقد المسابقات فأعلنت عن مسابقة منها لكتب الثقافة العامة وكتب الأطفال وكتب الآباء والأمهات ، وليس من الضروري أن تنشر الوزارة بنفسها المؤلفات التي تشجعها وتعين على تأليفها . وقصاراها أن ترشد الناشرين اليها وأن تسام في الدعاية لها وأن تنشيء جمعيات « الكتاب » وأنديته في كل مركز ثقافي أو معهد لتحث أوساط المتعلمين على القراءة المفيدة المنتجة وتبصرهم بالكتب الناقصة وتعلمهم التمييز بين الكتب والثقافات .

واذا كانت الحكومة لا تستطيع أن تقصد الى الربح من أعمالها ، وبخاصة الثقافية منها فانه يجمل بها أن تعاون الهيئات والأفراد الذين يعملون على نشر الكتب جادين مخلصين وألا تقف في معاونتها هذه عند الحدود المرسومة الى الآن وألا تقتصر هذه المعاونة على الجانب المادي وحده ، بل يجب أن ترشدهم الى المخطوط النفيس والمؤلف القيم والمترجم الأمين أو حتى تمدهم به فتعفيهم من حق التأليف ، وتلك معاونة صادقة تزيد على المعاونة المادية . أضف الى ذلك أن الوزارة نفسها « عميل » مهم في سوق الكتاب . تشتري كثيراً من الكتب لتوزعها على مكتبات مدارسها أو تفرقها على تلاميذها وهي تتبع في هذه الناحية أسلوبها التقليدي في تأليف اللجان التي اذا اجتمعت فانما تجتمع مرة كل ستة أشهر ، وتتوقف بأمر يصدر بايقاف الانفاق على الكتب . لا بد من سياسة ثابتة رشيدة تتبع في شراء الكتب فلا يؤخذ من بند المقررات ما رصد على المكتبات ولا يتأثر التقدير بالحظوة من كبار الرجال فتطغى المحسوبية على المعايير الثقافية وما تطمح إليه من مثل .

ونحن مطالبون بحكم اتصالنا بالمؤسسات الثقافية العالمية أن نرصد جهدنا الثقافي بين الحين والحين ، وأن نصدر نشرات تسجل هـذا الجهد وأن نتبادل هذه النشرات مع الأمم الأخرى مساهمة منا في حركة الأخذ والعطاء في ميادين العلم والتربية والثقافة العامة ، أفليس من واجبنا والحالة هذه أن نذيع في جمهور المتعلمين عندنا خلاصة حقيقية لجهدنا الثقافي وهم بعلمه أولى من غيرهم وأن نضيف إليـه جهد الأمم الأخرى حتى يفيدوا منه ويبنوا عليه . واذا كانت وزارة الدفاع تصدر صحيفـة عن الجيش تعمل على تثقيف ضباطه والتقريب بين عقلياتهم ، بل واذا كانت وزارة الشؤون الاجتماعية تصدر مجلة يكاد يختص فيها الطابع الرسمي وتخرج بها الحكومة عن مألوفها في عدم الاتجار بأعمالها فان مراقبـة الثقافة في وزارة المعارف أولى من غيرها بأن تصدر صحيفة تبين فيها الحركة الثقافية في مصر والأمم الأخرى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أولاً بأول حتى يطلع المثقفون ، وبخاصة رجال التعليم ، على نواحي النشاط العقلي في العالم وقد يشحذهم هذا الى العمل الثقافي الايجابي .

وليس أدعى الى التأليف بين وحدات العقلية المصرية العامة أو العقلية العربية العامة من الكتب الجامعة أو دوائر المعارف ، وقد تنبه الى ذلك القائلون بالعالمية ، فدعوا الى تأليف دائرة معارف عالمية تنتظم الحياة الانسانية مبرأة من شوائب العصبية والشعوبية وما جرته على الانسانية من محن وكوارث وحروب . والامة المصرية لم تصدر الى الآن كتابها الجامع لجهد أبنائها وجماعاتها منذ أنشأت حضارتها المكينة على ضفاف وادي النيل بل واللغة العربية تنتظر دائرة معارفها الكبرى التي تقف الى جانب دائرة المعارف البريطانية أو الفرنسية ، ناهيك بدوائر المعارف الخاصة بالفنون والعلوم وضروب الجهد الانساني ، ونحن لن نستطيع بطبيعة الحال، ولما نستكمل بعد أدواتنا ، أن ننشىء دائرة معارف مثالية ولكننا نستطيع أن نحاول مفيدين من تجاربنا وتجاريب غيرنا .

ومن حق وزارة المعارف أن تمد اشرافها الثقافي العام على دور الكتب وأن تعين الهيئات الأقليمية والخاصة على إنشاء دور جديدة وأن تنتخب لها الكتب ، وقد تزودها بها إن استطاعت وتهيء طبقة من المتخصصين في فن المكتبة توزعهم على هذه الدور وأن تجعل مكتبات المدارس ومعاهد العلم مكتبات عامة لغير المدرسين والتلاميذ كلما وجدت الى ذلك سبيلاً ، وأن تنظم مكتبات خاصة بالصبيان أو الشبان أو النساء ، ومكتبات فنية خاصة تنتظم مصادر هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة وأن تفيد من وسائل النقل فتدفع « بالمكتبة المتنقلة » الى أطراف المنطقة الثقافية أو الاقليم الثقافي وقد حوت النشرات والكتب والصور والأخبار التي تفيد الناس في معاشهم وتعينهم على استغلال فراغهم .

وثمة جانب من جوانب الثقافة القومية العامة قد أغفلناه وهو الأدب الشعبي ، وقد عنيت به شعبة التربية والعلم والثقافة الخاصة بالأمم المتحدة من ناحيتين : من الناحية الأدبية الخالصة ومن ناحية دلالته على الأمة التي صدر عنها ، ولمصر أدب شعبي عني به العلماء الاوربيون في حين غلب علينا الأدب الفردي الأرستقراطي ، ولما احتجنا الى القوالب القصصية والتمثيلية مددنا بأبصارنا عبر البحر المحيط ولم نحاول أن نقيم أدبنا القصصي والتمثيلي على أصوله ، وان تكن ساذجة وحرام علينا أن نترك تراثنا لغيرنا يدرسونه ويشيدون به ونوقف جهودنا على آداب الفرس واليونان ومن اليهم ! . على وزارة المعارف مستعينة بالمتخصصين أن تجمع آثار هذا الأدب وان تعمل على تنقيته مما علق به من الشوائب على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يد النقلة والناسخين والجامعين ! وأن تدفع بأصحاب المواهب الى أن يعيدوا تأليف بعض مشاهده وأن تشجع على تمثيل بعضها الآخر على خشبة المسرح أو على الشاشة البيضاء .

ولما أردنا أن نشجع التمثيل ، دعونا لجنة لترقية المسرح حشرنا فيها بعض المشاهير في كل الشئون حتى شئون المال والأعمال ، وكانت هذه اللجنة قلما تجتمع ، واحتفلنا بالترجمة والتأليف جميعاً فعينا تمثيليات من روائع الأدب المسرحي العالمي لكي تترجم ووزعت بالفعل على طائفة من الأدباء النابهين فترجموا بعضها ، وأكاد أقول إنه لم يمثل شيء منها ، ورصدنا الجوائز للتأليف المسرحي فلم ينتعش حتى قال قائل ان العقلية المصرية قاصرة عن انشاء الأدب التمثيلي وتبلبلنا بين اللهجة الفصيحة والدارجة وبين الشعر والنثر ووفقنا الى مصير دار الأوبرا دون أن نهمل سنتنا الحسنة في استدعاء الفرق الأجنبية الشهيرة ، وألفنا فرقة حكومية للتمثيل وأنشأنا معهداً يدرس أصوله وفروعه وجعلنا التمثيل من النشاط المدرسي وعينا له المفتشين . ولكن هذا كله لم ينهض بهذا الفن الجميل لأن تشجيعنا اياه كان مرتجلاً ، ولأن وزارتي المعارف والشئون الاجتماعية تتنازعان على داره الأولى ومعهده العالي ، وليس أدل على انحطاط مستوى هذا الفن من أن بعض المسرحيات التي تعرضها الفرقة الحكومية باللغة العامية سفسافة يعرف معظم المثقفين أنها منقولة عن أصل أجنبي ومن أن المعهد العالي للتمثيل يدرس فيه عصاميون لا مؤهلات لهم يتصورون الأدب اليوناني من غير فهم له في لغته أو حتى في لغة أخرى .

ولا يمكن أن يشجع هذا الفن الا اذا اشتق من صميم البيئة المصرية واعتمد على التراث القصصي الشعبي وتعاون القائمون به على نهضته مع المشرفين على الحركة الثقافية العامة من تأليف وترجمة مع توزيع المسارح المتنقلة على المراكز الثقافية وفروع الجامعة الشعبية والمدارس والساحات الريفية ، وأن يناط بهذا كله الى وزارة المعارف دون سواها . لأن التمثيل من صميم الثقافة الشعبية العامة واذا كان لغيرها أن ينهض بشيء من الجهد فيه فليكن بإعارة الدور التابعة للمجالس البلدية أو بالاعانة المالية والادارية .

وعدت شعبة التربية والعلم والثقافة الخاصة بالأمم المتحدة السينما من أخطر الوسائط الثقافية الجماعية وأقواها تأثيراً في النفوس وخصتها بعنايتها من ناحية التأليف لها ومن ناحية الصناعات الفنية المتصلة بها ، وهذه الشعبة تشجع على تبادل العمل الفني وتزاور القائمين به ، فعلى وزارة المعارف أن تعرف للسينما قدرها فتحتفل بالتأليف والترجمة لها وتزود سوقها بالعقليات المستنيرة وتعين الأفلام الثقافية والتاريخية وتدفع الى تعريب الحوار في الروائع الأدبية التي تصدرها شركات السينما في الخارج حتى يفيد منها أكبر عدد

من الجمهور المصري فيرتقي ذوقه ويدفع المشتغلين بصناعة السينما الى الاجادة والاتقان ، وتنتخب من القصص المصري الممتاز ما يصلح للسينما فتعطي بذلك المؤلفين فرصة مزدوجة للافادة من مواهبهم ، وتزوّد المراكز الثقافية بآلات العرض وتستبدل الآلات الموجودة في المدارس بأخرى تصلح للفيلم العادي وتنشر الثقافة السينمائية الفنية بشتى فروعها من تأليف القصة والسينـاريو والحوار والتنكر والاضاءة والتصوير وتسجيل الصوت وتقطيع مشاهده . وما اليه مع تخريج طبقة من النقاد تبصر الجمهور بمـا ينبغي أن يرغب فيه من المشاهد والأفلام .

أما الاذاعة — وكل ما يصدر عنها داخل في العمل الثقافي الخالص — كان المنتظر أن ترفع الشعب اليها لا أن تنزل هي اليه وبخاصة لأنها ليست كالسينما تعتمد في وجودها عليه وتقصد إلى التجارة والربح . يجب أن يوكل برنامجها الى الهيئة المشرفة على الثقافة العامة في وزارة المعـارف وأن تتدرج هذه الوزارة في ترقيـة الذوق الشعبي ونشر الثقافة المبسطة وترقية الغناء الموسيقي ونقل روائع الأدب الاذاعي التي تلائم المزاج المصري .

***

والصحافة سواء أكانت ثقافية خاصة أم عامة، عامل من أقوى العوامل في تدوين الرأي العام الثقافي ، وقـد حددت ظروف الحرب من صفحاتها وجعلتها لا تحتفل بالثقافة إلاَّ قليـلاً ، ولـكن هذه الظروف آخذة في الزوال وستحتل الثقافة مكانها القديم وتعود المقالة الأدبية أو العلمية أو الأقصوصة القصيرة الى الظهور . لن تناقض هذه الانواع الثقافية « الخبر أو الحادثة » ولـكنها ستقف الى جانبهما . فمن واجب وزارة المعـارف أن تشرف اشرافاً أدبيًّـا على الصحافة الثقافية وعلى أبواب الثقافة في الصحف العامة ، وأن تشجع هذه الناحية باعانة الأولى وتزويد الثانية بالارشاد واستغلال العمل الصحفي في الدعاية للنشاط الثقافي وتهيئة النفوس للاقبال عليه والافادة منه .

وليس أدل على حيوية الامة من الاهتمام بماضيها والمحافظة على آثارها واقامة المتاحف المجسمة لجهودها في سبيل الحضـارة ، فالمتحف أفصح من الـكتب والمدارس ، ومتاحف الآثار المصرية منفصلة عن بعضها وكأنما عاشت مصر على فترات منقطعة وهي تخضع للمنهج القديم الذي يقسم التاريخ الى دول غازية وأديان مختلفة . فما أحوجنا الى توحيـد المتاحف في متحف واحد للحضارة المصرية في شتى عصورها ، وقد أقيمت للعـلوم المختلفة متاحف وللمرافق العامة متاحف من حق وزارة المعـارف أن تشرف عليهـا اشرافاً ثقافيًّـا وأن تكون هي الواسطة الجامعة لها المنسقة لاداراتها وان ألحق كل منها بالمرفق الذي يدل عليه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكما أن المتحف يدل على الجهود الماضية ، فالمعرض يعطي صورة للنشاط الحاضر ، ومن ثمَّ كانت المعارض من أقوى وسائل الدعاية ، والعمل الثقافي كسائر الأعمال يحتاج الى الدعاية له بالكلمة المكتوبة والملفوظة والصورة والمثال . وقد أقيم معرض ثقافي خاص بالكتاب العربي ولكنه كان معرضاً قاصراً تبدو العجلة على كل ناحية من نواحيه . فعلينا أن نقيم أمثال هذا المعرض بعد أن نستعد له وألاّ نغفل المعارض النوعية كمعارض الصور والتماثيل وأن نساهم في المعارض غير الثقافية فنجعل من معارض النبات والحيوان والحرف والصناعات معارض ثقافية وألاّ نقصرها على اقليم دون اقليم وأن تتعاون وزارة المعارف مع شتى الوزارات والمصالح التي تريد اقامة معرض من المعارض فتمدها بالخبراء في هذا الجانب من الثقافة من ناحية وبالمتخصصين في تنظيم المعارض وتصنيف المعروضات من ناحية أخرى .

ووزارة المعارف تقدم العون الأدبي والمادي للجمعيات والأندية الثقافية بالفعل وتخضعها لنوع من الاشراف الاداري والثقافي وتبعث المفتشين الاداريين للنظر في حساباتها وأنظمتها ، بل وترسل المفتشين الثقافيين للتحقق من وفائها بالأغراض الثقافية التي انتدبت لها . ولكن هذا الاشراف بصورتيه الادارية والثقافية صوري أو يكاد . . . وما رأيك في أننا كنا نرسل متخصصاً في الثقافة الفرنسية للتفتيش على هيئة خريجي قسم اللغة الانجليزية مثلاً . ونرسل مدرساً من مدرسي اللغة العربية المتخرجين في دار العلوم للتفتيش على أعمال المجمع المصري للثقافة العلمية ، ما جدوى تفتيشهما وما قيمة تقاريرهما ؟ ان الاعانة تصرف بمقتضى هذا التفتيش وتلك التقارير ولكن هذا ليس كل شيء ، فان هذه الجمعيات وتلك الأندية ومنها ما هو في مصر ومنها ما يمثل الثقافة المصرية في الخارج . ينبغي أن تخضع لإشراف الوزارة الثقافي الجدّي فتمدّها بالبرامج وبالارشاد وبالأخصائيين وبالكتب وتتبع أعمالها من حين الى حين ، لا بالتفتيش عليها مرة واحدة في كل سنة وتشجع الأفراد والهيئات على تأليف اللجان والجمعيات والأندية الثقافية الخالصة للقيام بالأنواع التي تنقصنا ، كما نشجع الهيئات النقابية الخاصة والأندية المنشأة لاستغلال أوقات الفراغ بصورة من الصور على أن تكون الثقافة بمعناها الواسع من أهم ما يشغلها ويشغل أعضاءها في شيء من التنسيق بين جهود هذه الهيئات جميعاً حتى تشمل كل فروع الثقافة وتوزع على كل المناطق ويسهل التبادل الثقافي والتزاور فيما بينها تيسيراً للوحدة الثقافية العامة التي ننشدها .

ومن الأخطاء التي ينبغي أن نتنبه إليها أن كل مثقف أو متخصص في ناحية من نواحي الثقافة لا يستطيع بالضرورة أن يشجع الحركة الثقافية ويهيء النفوس لاستقبال العمل الثقافي ومعرفة ما يصلح وما لا يصلح لهذه الهيئة أو تلك الطبقة . جديرٌ بنا أن نعمل توّاً على إيجاد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جيل من « الثقافيين » يدرسون السيكلوجية الجماعية عامة والمصرية خاصة وحاجياتها . وطرائق التأثير فيها والالمام بما تفعله الامم الاخرى في هذا السبيل بارسال البعثات وانتخاب بعض ذوي الاستعداد ليكونوا مع الملحقين الثقافيين في سفاراتنا بالخارج وتنظيم الزيارات الموسمية للمؤسسات العاملة على نشر الثقافة مع تخريج عدد من المتخصصين في فنون المعارض والمكتبات وما إليها .

وهذه الجهود لا يمكن أن يزاولها المكلفون بها على وجهها الصحيح في ديوان الوزارة وفي تلك الحجرات التي يستطيع أن يغشاها كل من أراد ولو لم يكن له عمل متصل بها ، وهي إن ساعدت على عمل فانما هو العمل الديواني العتيق الذي يعتمد على الحركة العضلية الآلية أكثر مما يعتمد على التأمل والتفكير ودراسة ومراجعة النشرات وتحليل الاحصائيات . كما أن اداراتها مبعثرة لا ارتباط فيها بين قسم وقسم ، مع أن التنسيق هو بمثابة الأصل الذي ينتظم أصولها . وقد أدى هذا الى عدم اتضاح الحدود والاهمال وانعدام المسئولية الفردية ومن الخير أن تستقل بمبنى خاص يجمع أكثر مصالحها واداراتها ان لم نستطع أن نجمعها كلها في صعيد واحد وبخاصة لأنها تحتاج في عملها هذا الى الاتصال بالهيئات الثقافية الدولية والعلماء والفنانين النابهين . وكم من عالم شرقي أو مستشرق أو أديب غربي اضطر الى زيارة قسم من أقسام مراقبة الثقافة الحالية فاصطدم بالواقع الذي يباين سمعة مصر الثقافية الحسنة في الخارج .

* * *

اما تقسيم هذا الاشراف الثقافي الى مصالح ومراقبات وادارات وأقسام . فذلك بعد الذي شرحنا يسير لأنه يقوم على تقسيم العمل على الفروع والأنواع . وما دامت وزارة المعارف قد انتهجت سياسة التخفيف عن كواهل التلاميذ في مراحل التعليم النظامي فبسطت البرامج ويسرت الامتحانات وأنقصت اليوم الدراسي فزادت من فراغ التلاميذ وبخاصة المراهقين وصغار الشبان فمن واجبها أن تحتفل بالنشاط المدرسي واستكمال ما لم يحصله التلاميذ في المدرسة بالثقافة العامة وغرس الهواية المفيدة في نفوس الشبان وشغلهم في أوقات الفراغ بما يصلح أخلاقهم وينفع أمتهم ويسمو بغرائزهم وعواطفهم ، وإلا اضطر هؤلاء الاحداث الى الانحراف والغواية والافتتان ببعض الآراء المتطرفة والانسياق وراء بعض الزعماء الذين يستغلون عواطف الشبان باسم العدالة الاجتماعية حيناً والمحافظة على مقومات الدين حيناً آخر .

عبد الحميد يونس
عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في التربية

— ٢ —

مشاكل النمو والصراع النفسي

— ١ —

قبل أن نعرض لما ينتاب الناشيء من أزمات تحول دون نموه نمواً طبيعياً ، نشير الى أنواع المدارس التي تساير مراحل النمو في مصر إشارة عامة . انقسمت مراحل الدراسة الماضية أربعة مراحل ، يزدوج في كل مرحلة منها نوعان من المدارس فرقت بين نزيلهما المصروفات . ففي المرحلة الأولى المدرسة الإلزامية ، ورياض الأطفال ، وفي المرحلة الثانية المدرسة الأولية والمدرسة الابتدائية ، وفي المرحلة الثالثة المدارس الصناعية والتجارية والزراعية ، والمدرسة الثانوية ، وفي المرحلة الرابعة المدارس العليا والكليات الجامعية . وقد بذلت مساع جد حديثة لتقريب المستوى المادّي والعلمي لهذه المدارس ، وبدأت بتيسير وسائل التعليم والتوسع في نسبة المجانية ، ومحاولات لجعل التعليم الابتدائي مجاناً ، وتقسيم التعليم الثانوي الى تجاري وصناعي وزراعي ونظري ، وتيسير اختيار السبيل تبعاً المواهب ، ومواصلة الدراسة منها إلى ما يناظرها في التعليم العالي . وقد تلونت هذه الحركة بالروح الديموقراطية الحديثة والسعي الى تعليم الشعب ، وكان اتجاهها الرئيسي نحو تعميم المجانية وتيسير الدراسة .

وتلت ذلك حركة أحدث منها ، بل تعاصرها ، قوامها السعي إلى ترقية مستوى التعليم من ناحية الكيف ، مع الاستعانة بأساليب التربية وعلم النفس الحديثين ، وتنادي بالمدرسة الواحدة في المرحلة الاولى ، وتحويل المدارس الأولية والالزامية والابتدائية الى مدرسة أولية جديدة تؤدي الى التوسع في التعليم العام ، وفي نفس الوقت الى تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بصورة عملية ، وتسعى إلى إعداد مدرس جديد في معاهد جديدة على أسس حديثة. وتلي هذه المرحلة مرحلة دراسة وسطى ، تناسب مرحلة الطفولة المتأخرة ، ومرحلة الدراسة الثانوية ، وربما كان من النافع تنويعها فتنقسم المدرسة الثانوية التي اقترحها رجال المدرسة الأولى ، فتتصل الناشيء الى الجامعة . على أن مشكلة المناهج والكتب الصالحة وطرق التدريس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لم تحتفل بثورة الاهتمام بعد ، وهي في حاجة الى جهود كل من له صلة بالتربية ، وعقد مؤتمرات عامة ، وتجربة المشروعات في نطاق أوسع مما تجرب فيـه اليوم بالمدارس النموذجية ، ومن الممكن تمصير طرق المشروعات في المرحلة الأولى ، وطرق المشاكل وأساليب مدارس الفن في المدارس الثانوية والمثـل الأعلى للنمو القويم إشباع حاجات الناشىء في كل مرحلة من المراحل ، وإنماء ذاتيته تبعاً لمواهبه إذا أردنا لمجتمعنا هذا رقيـّا مثاليـّا . ومن المغالطة الاحتجاج بقلة المال ، فباب الضرائب مفتوح ، وفي مصر ثروات محتكرة وإنما جمعت من مال المستهلك والعامل والصانع والفلاح والشعب المصري ، ولا يستقيم الشعب ويعالج ما به من فقر وجهل ومرض إلاّ بالتربية السليمة ، وانه لوهم أن يعتقد فرد أن التربية الصحيحة متضر بمصالح طبقة من الطبقات .

— ٢ —

وقد يحدث ألاّ ينمو الطفل نمواً سليماً طبيعيـّا ويجتاز مرحلة الى أخرى ، فقد يقف عند مرحلة لا يتعداها ، وقد يحدث له نكوص وارتداد الى مرحلة سابقة .

يدل على ذلك ما وصل اليه فرويد ومدارس التحليل النفسي من نتائج البحث في عالم اللاشعور . على أن فرويد يرجع أسباب الشذوذ الى الغريزة الجنسية ، ولا يوافق مكدوجل على ارجاع كل المشاكل الى هذه الغريزة وحدها . وإنما يرجعها إلى ما يسميه الدافع الحورمي، أي الدافع للحياة ، ويقابل الليبدو عند فرويد ، وهو يشمل الدوافع الغريزية كلها ، بما فيها الغريزة الجنسية ، ومناطق الشعور ومناطق اللاشعور على السواء . أما رجال التحليل النفسي ، فيرون أن الشعور وميدان العقل والخبرات الفردية إنما هي مظهر الحياة النفسية وسطحها بينما الجوهر الخافي الذي يسير الحياة هو اللاشعور ، ولا يدرك كنهه الاّ بالتحليل النفسي والتأمل الباطني على أن في هذا التفسير للحياة النفسية ما يشبه الدوافع الحية النامية (الهورمية) والاحتفاظية (الميمية) عند مدرسة مكدوجل، فأساس الحياة النفسية قدرة على النمو واستعداد للاحتفاظ بالخبرات ، ينتج عنهما مركبات أو عقد تنشط في اللاشعور وترى هذه المدرسة أن العواطف مركبات تكونت بهذه الطريقة ، وتلونت بألوان وجدانية نزوعية اتصلت بفكرة ، وتنتظم هذه العواطف تحت سيطرة عاطفة الذات .

ولو حدث النموّ يسيراً ناعماً لما كان هناك شذوذ ، فلو قام اللاشعور أو البنـاء النفسي بوظيفته بانسجام أدّى الى انسجام السلوك لنما الإنسان نمواً مثاليـّا ، وإنما توجـد ميول خاصّـة تتمرد ولا تتعاون مع غيرها من النزعات تحت سيطرة عاطفة اعتبـار الذات ، أو الذات المثلى. ولا تبقى هذه النزعات المتمردة راكدة بل تنشط في اللاشعور وتنازع غريزة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اعتبار الذات وتظهر آثارها في السلوك وتؤدي إلى انقسام الشخصية ونمو سلوك شاذ . ويحس الفرد بمثل هذا الصراع في قرارة نفسه بين شهوات البدن والروح ، وتنازع انفعالات الغضب والحنو ، والخوف وحب الاستطلاع . على أن هذه الصور بسيطة زائلة مؤقتة بينما توجد انفعالات وعواطف دائمة الحرب . وعلاجها هو اكتشافها وتحليلها ومحاولة التوفيق بينها حتى تنسجم تحت عاطفة الذات المثلى . ولا صلح دون مفاوضة ، كذلك لا سلامة نفسية بدون معرفة النزعة الشاردة والتوفيق بينها وبين الذات المثالية ، وتلك مهمة المحلل النفساني وميدانه هو تفسير الأحلام ، وعثرات اللسان ، وتداعي الكلام الحر ، وغير ذلك مما يكشف للفرد نزعاته المكبوتة الباطنية ، وبقدر ما يوفق بينها يحدث اتزان في الشخصية . أما إذا اشتد بأس العقد المكبوتة ، وزادت سطوتها فظهرت في السلوك ، ولم تعد الذات تسيطر عليها ، فيحدث في النفس ما يشبه حرب العصابات ، وتسعى العقد المكبوتة إلى الظهور على السطح ، وإذا زاد بأسها خلقت شخصية أخرى مركبة قوامها النزعات الشاردة فتقسم شخصية الفرد إلى شخصيتين ، وتتناوب مع الشخصية الطبيعية الظهور والسيطرة . وفي الحالين يقاسي الفرد من المجهود النفسي الذي يبذله بكبت العقد التي تظل في اللاشعور تنتظر الفرص للظهور .

ويفسر فرويد اللاشعور تفسيراً رمزياً تصويرياً ، فيجعل منه حجرة انتظار كبيرة تؤدي الى حجرة صغيرة هي ما قبل الشعور . ويزدحم كل أنواع المشاعر التي تريد الدخول في حجرة اللاشعور ، وتسعى الى الدخول في حيز ما قبل الشعور ، لولا الرقيب الذي يختار ما يصل الى حيز الشعور ، بينما يمنع المشاعر الأخرى فتكبت . على أن أحدها قد يتنكر في ثوب ما ويخدع الرقيب ويدخل الى حيز الشعور . وهذا التفسير فرض نظري خالص ، فالتشبيه مضلل إذا صار سيداً لا خادماً ، أما اذا اعتبر فرضاً كفرد من الخبرة والعقد النفسية والشعور ، كان معناه ما يأتي : تنشط العقد المكبوتة في النفس وتصطرع لتظهر في حيز الشعور ، فيضعف تكامل الشخصية وانسجامها ، وتستقل العقدة النفسية ولا تتعاون مع الشخصية . وقد تنشط وتظهر في ميدان الشعور في ثوب بريء لا يكشف عنها مباشرة ، وبذلك يكون لها معنى رمزياً . وتكثر هذه الرموز في الاحلام إذ ينام الرقيب فتنطلق العقد المكبوتة وتمرح في الشعور وتوجه السلوك سافرة غير متنكرة ، ولكن تنافي هذه الأحلام معاييرنا الخلقية الاجتماعية ، لذا ينتابها النسيان وقد تظهر العقد في الأحلام بصورة رمزية ، ويرى المحلل أن هناك رموزاً عامة مشتركة بين الأحلام ، فالملك يمثل الأب ، والشمس والقمر والكواكب تمثل الأب والأم والإخوة كما ورد في حلم يوسف .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ٣ —

وقد ألقت أبحاث فرويد ويونج وأتباعهم ضوءًا على الأحلام ، فكثير أحلام الخوف في مراحل الطفولة والمراهقة ، وتفسر بأنها خوف من عقد مكبوتة توشك أن تكشف عن حقيقتها فتفزع الشخصية الطبيعية ، وتتدخل في اللحظة المناسبة . والسير أثناء النوم رمز للصراع الذهني ، وتعتزل فيه الشخصية الرئيسية مكانها وتهبه للشخصية الثانية ، والتهتهة في الحديث دليل على صراع عقلي ، ربما سببه خوف الأب ، الذي قد يظهر في صورة استعمال الطفل ليده اليسرى رغبةً في المخالفة . ويرى فرويد أن النسيان وعثرات اللسان وتجنب تعبيرات خاصة مظاهر الكبت ، كذلك المبالغة في العناية بشيء ، وسقوط أداة ، وبقعة تصيب الخطاب عفواً ، وخطأ في عبارة ، كلها عقد تسللت والرقيب نائم ، أو تنكرت وخدعته فظهرت في الشعور ودلت على دوافع خفية . ومظاهر ذلك في المدرسة عبث التلميذ بكراسته وهروبه من المدرسة ، وعثرات لسانه . وكل مظاهر الشذوذ رمز لا شعوري لعدائه للمدرسة والنظام والدرس ، ومن يحضر متأخراً عن ميعاده يعبر تعبيراً لاشعوريًّا عن كبت في نفسه رغم اعتقاده بأنه لا يقصد الاهمال أو المعاكسة . وقد يدل الحماس الزائد المبالغ فيه على عكسه ليغطي الفرد به ما يكبت في لاشعوره ، فمن ذلك النظافة المبالغ فيها ، التي قد تغطي شعوراً بإثم باطن ، ومنه محاولة عمل يفوق الطاقة تعويضاً عن ضعف أو انحطاط ، ومنه قسوة النقد على الغير تغطية لخطأ مكبوت . ولكل من يسعى الى علاج الطفل المشكل أن يرجع الى معين اللاشعور وصور الصراع النفسي ، وتتعدّد هذه المشاكل في مراحل المراهقة ، فقد يفشل المراهق في التكيف مع العالم الخارجي ، فيشغل بما في عالمه النفسي وينطوي على ذاته أكثر مما يتصل بالعالم الخارجي ، ونتيجة ذلك أن يكوّن فكرة سيئة عن العالم ، وينغمس في أحلام اليقظة التي تنسج له عالماً وهميًّا يحيا فيه وفق رغباته . وكثيراً ما يشكو المراهق من التعب ، والأمراض الوهمية ، ويسعى للنوم ، وذلك تعبير عن عجزه عن مجابهة حقائق الحياة ، ورغبته في الانسحاب من معركتها .

***

وليست الراحة مهرباً له من مشاكله ، وإنما العلاج إشراكه في النشاط الخارجي ، والرياضة دواء لمشاكله البسيطة ، ففيها مجال يعبر فيه المراهق عن ذاته ، ولا بدَّ من عناية خاصة لمشاكله المعقدة ، فربما انتهى الصراع النفسي بالجنون .

وقد يؤدي الفشل في التكيف إلى نكوص ورجوع الى مرحلة أولى ، يشعر الفرد بأنه

كان أكثر راحة فيها منه في حاضره ، ويظهر ذلك في التعلق بالقديم ورفض استبداله بالجديد وربما تحمل الآباء مسئولية ما يحدث من وقوف نمو أبنائهم عند مرحلة أو نكوصهم إلى مرحلة أولى إذ يؤدي بهم الحنان الى خلق ابن متواكل يعتمد عليهم في كل صغيرة وكبيرة ولا يسمحون له بالاستقلال في الرأي والتفكير . ومن مهمات التربية أن تساعد الناشىء على الاستقلال في كل المشاكل ، والاعتماد على نفسه وتفكيره في مجابهة الحياة .

* * *

ومرحلة المراهقة هي مرحلة الشذوذ والاجرام إذا اشتد الفشل في التكيف ، فيحدث نكوص يرجع بالمراهق الى مستوى الطفل الغريزي ، فيدع غرائزه تعبر عن نفسها تعبيراً غير اجتماعي . وربما كان للغريزة الجنسية أثر في أخطر الجرائم ، وربما كانت الجريمة مظهراً لغريزة السيطرة معكوساً بعد أن فشل صاحبها في توجيهها توجيهاً اجتماعياً ، فقام المجتمع مقام الأب المكروه ، دون أن يدري المجرم سبب ارتكابه لجريمته . وربما كان الهرب من المدرسة مظهراً للتمرد على سلطة الأب ، أو رغبة في الاستقلال أو السيطرة ، وربما كان مظهراً للبقاء تحت كنف الأبوين أو ثورة عليهما . كذلك الكذب فهو مظهر لعقدة مكبوتة في الأعم الأغلب . والسرقة مسلك شاذ للتعبير عن غريزة حب التملك ، وربما كانت مظاهر ثورة على الأبوين حل المجتمع محلهما . وعلاج ذلك كله إعلاء الغريزة وتوجيهها توجيهاً اجتماعياً مرغوباً فيه ، وعلى المربين أن يوفدوا في المدرسة مجال إعلاء هذه الميول ، ولا ينفع العقاب كما يضر ، وإنما يزيد في دفع المذنب إلى جانب العداوة للمجتمع ، والكبت في التربية من الأمور الخطرة الخاطئة ، وإنما يوفر المربي المجال لكل الدوافع حتى يعبر عن نفسها ويشرف على ذلك إشرافاً يصحبه الحنو والعطف وصدق الفهم . وإذا أردنا أن نربي شخصيات مثالية ، تخلق مجتمعاً راقياً تقياً نبيلاً متحرراً ، ففي مرحلة المراهقة بدء الطريق .

* * *

فهل تحبب مدارسنا الثانوية بإداراتها ونظمها ، ومناهجها وكتبها المراهق فيها ؟ وكم من أبنائنا يجتاز هذه المرحلة ولم يعترضه مظهر من مظاهر الشذوذ ؟ وما هي أسباب هذا الشذوذ ؟ إن في ذلك مجال ليفكر فيه الأب والمربي والمصلح .

محمود حامد شوكت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العناية بالدواجن

وتحسين أنسالها في روسيا السوفيتية

Stockbreeduig and the Artificial Insemination of Livestock. By V. K, Milonanov and I. I. Sokolovskaya. Trans. by Dr. A. G, Morton : London Hutchinson : 1947 : 25s. net.

تحاول روسيا السوفيتية أن تسابق الامم في مضمار الرقي ، على أن يشمل ذلك جميع مرافق الحياة . وفي هذا الكتاب عرض للاساليب النظرية والعملية التي يؤمن بها علماء الروس في تحسين نسل الدواجن . ولقد نوه المؤلفان بالجهود التي بذلتها انجلترا في هذا الشأن في مقدمة الكتاب ، وأشادا بجودة بعض ضروب الدواجن التي استطاع العلماء والهواة في انجلترا أن يفوزوا باستخلاصها . ثم عطف المؤلفان على نظرية « دارون » في قابلية تغاير الاحياء وعلى مذهبه في الانتخاب الطبيعي ، فاستغرق ذلك البحث الفصلين الاولين منه . وقد عززا نظرية « التغاير التقابلي » Correlated Variation بمشاهدات أثبتاها في الدواجن الروسية وأثبتاها بالتجارب التي أجرياها على كثير من أجزاء الجسم والانسجة في الغنم والماشية وألبانها ولحومها ، وأظهرا عملياً ما بين بعض هذه التراكيب وبعض من النسب الثابتة . وقد ذهبا الى ضرورة إيجاد البيئة ذات الحالات الصالحة لاستخلاص أنسال تؤدي أغراضاً خاصة بالانتخاب الطبيعي .

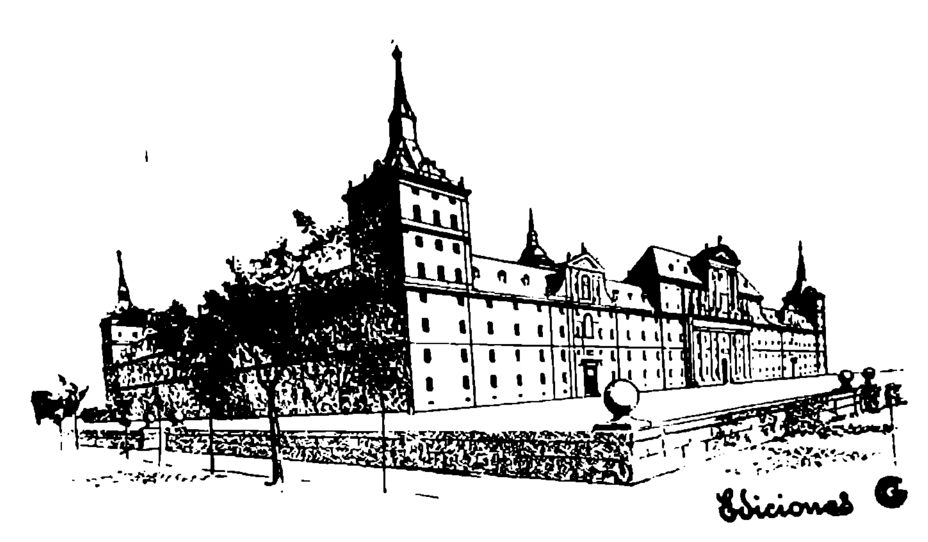
على أنهما لم يقتصرا على ذلك . بل تابعا البحث في نظريات جديدة ذهبا إليها ، كقولهما بأن النشاط العصبي يتفق كثيراً مع تكوين الجسم . وقد أيدا قولهما بمذهب « بافلوف » الروسي القائل بأن الحيوان الرقيق التكوين يكون فيه ضعف سواء أمن ناحية التنبه أم من ناحية الكبح على السواء .

وعقدا فصلا في التزاوج ، فقال ان تزاوج غير السويين ، أي أن يكون أحد الفردين ناقصاً والآخر كامل ، ليكمل الكامل منهما ناحية النقص في صاحبه ، نظرية مرفوضة ، وذهبا الى أن تزاوج الاسوياء هو الاسلوب الصحيح في تخليق الانسال ، وعطفا على أساليب الاستيلاد ، وبحثا في توالد الاقرباء ، وتوالد الانسال الصحيحة ، والتوالد بالتهجين ، وأبانا عن الاساس العلمي والعملي لكل من هذه الطرق .

ولا شك في أن أفيد فصول الكتاب هو الفصل المعقود على طريقة التلقيح الصناعي في الدواجن ، وشرح الطريقة المتبعة في روسيا في تلقيح الاناث بنوع من الورق مشبع بعناصر الذكور . وان كثيراً مما قرر المؤلفان في هذا الفصل يمكن تأييده عملا وعلماً وإن خالفا فيه بعض الاساليب التي جرى عليها علماء اختصاصيون في انجلترا وفرنسا والمانيا . ومما ذهبا إليه ان زيادة الحيوينات المنوية في التلقيح الصناعي أو قلتها عن نسبة معينة ، لها نتائج ضارة تصيب الالقاح ذاته . وقد ضربا على ذلك الامثال الكثيرة ، ووصفا الطرق التي تتبع في الفحص عن صفة اللقح (المني) قبل استعماله ، ومضيا في بحث الانتخاب الالقاحي في بييضات الارانب ، بأن ألقحاها بحيوينات ضربين مختلفين تمام الاختلاف .

ويتبع ذلك فصول كبيرة الفائدة في التفريخ والتوالد والتربية كلها قائم على أساس علمي وعلى أساليب عملية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



قصر الاسكوريال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاسكوريال

في صيف هذا العام أوفدت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بعثة من أساتذتها وطلبتها وخريجيها لزيارة معالم أسبانيا وأهم آثارها فكانت رحلة موفقة تمكنت البعثة خلالها من زيارة أهم مدنها ومعالمها ومن بينها الاسكوريال ثامن عجائب الدنيا .

ويطلق هذا الاسم على بناء مستطيل ضخم شاهق الارتفاع يضم بين جدرانه كنيسة ومكتبة وقصراً ملكياً ومقابر للملوك وديراً ، ويتقدم هذا البناء ساحة كبيرة تتناسب مع ضخامته كما يشرف على قرية صغيرة تعد ضاحية من ضواحي مدريد وتبعد عنها الى الجنوب بنحو خمسة وخمسين ميلاً ، وقد شيد الاسكوريال على السفوح الجنوبية لجبال سير ادي جوادراما وعلى ارتفاع ٣٫٤٣٢ قدم فوق سطح البحر .

وقد اشتق اسم الاسكوريال من الكلمة اللاتينية المقابلة لها ومعناها النسخ . ولذلك نعتبر الاسكوريال نسخة أخرى من كنيسة القديس سان لورانس التي تهدمت من قبل وأعاد بناءها فيليب الثاني ملك أسبانيا (٥٦ — ١٥٩٨) في القرن السادس عشر تخليداً لذكرى هذا القديس وذلك على أثر انتصاره على الفرنسيين وطرد جيشهم في موقعة سانت كونتين في ١٠ من أغسطس عام ١٥٥٧ .

واستغرق بناء الاسكوريال نحو سبعة عشر عاماً ويشغل ساحة قدرها ٣٩٦٫٧٨٢ قدماً ويشتمل على سبعة أبراج وخمسة عشر مدخلاً وما لا يقل عن ١٢٠٠٠ نافذة وباب .

١ — ﴿ الكنيسة ﴾ : أهم المباني وأرفعها منزلة يحج إليها الاسبانيون من آن لآخر ابتهالا وتبركاً . كما أنها إحدى كنائس أوربا الهامة التي ترجع إلى عصر النهضة . وتبلغ مساحتها ٧٠٫٠٠٠ قدم تتوسطها أربعة دعائم ضخمة شيدت عليها قبة ترتفع قمتها ٣٢٠ قدماً ويتصدر القبة المكان المقدس (المذبح) ويصعد إليه بنحو ست عشرة درجة وهو من عمل أحد مشاهير الرسامين البلجيكيين ويقدر ثمنه بنحو ثمانية ملايين من الجنيهات .

٢ — ﴿ المكتبة ﴾ : تقع فوق الايوان الرئيسي للكنيسة وهي من أشهر ، بل من أعظم مكاتب العالم لما تحتويه من مخطوطات قديمة قيمة ، كان بعضها ملكاً خاصاً للملوك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاسبان والبعض الآخر وصل إليها عقب انتصارهم على سلطان المغرب مولى زيدان(١٦٠٣ -و١٦٢٨) كما حفظ بها مخطوطات الكنائس والأديرة العديدة حتى لاتصل اليها يد العابثين من الثوار وقت الاضطرابات التي تعرضت لها اسبانيا في العصور السالفة وبها أقدم مجموعة من المخطوطات العربية والعبرية واليونانية واللاتينية البالغ عددها ٤٠٠٠٠ مخطوط منها كتابان مقدسان يرجعان إلى القرن العاشر ، وأخريان إلى القرن الحادي عشر كما حفظ بها بعض أعمال الفونسو الحكيم (١٢٥٢-١٢٨٤) ومصحف من القرن الثالث عشر زخرفت هوامشه وفواصله بألوان زاهية لا زالت محتفظة بجمالها إلى اليوم . ويدل تسامحهم الديني على عرض هذه الكتب المقدسة بجانب بعضها في قاعة واحدة ، بل وعلى منضدة واحدة ، كما عرض على إحدى هذه المناضد كتاب « السلوان المطاع » وهو كتاب قصصي تاريخي مزين بالصور التوضيحية ويرجع تاريخه إلى عام ١١٧٦ . وزخرفت هذه القاعة وسقف المقبرة برسوم الفرسكو لاشهر الفنانين الاسبان .

٣ - ﴿المدافن الملكية﴾ : خصص الطابق الأول من هذا القسم للمدافن الملكية فأقيم تحت مذبح الكنيسة حجرة مثمنة خصصت لدفن الملوك والملكات يمكن الوصول إليها من داخل الكنيسة أو من خارجها . يتصدر هذه الحجرة المثمنة المسيح واصطفّ عن يمينه وعن يساره ستة وعشرون تابوتاً من الخشب النفيس المطعم بالعاج والأحجار الكريمة لا يزال ثلاثة منها خالية تنتظر رفات من يوافيه القدر .

وتؤدي هذه الحجرة إلى دهليز يوصل إلى حجر صغيرة خصصت لدفن باقي أفراد العائلة المالكة من الأمراء والنبلاء وهي مقابر من المرمر أو الرخام البديع الصنع يعتلي بعضها تماثيل لاصحابها على وسائد يحصبها الرائي وسائد من ريش النعام كما نقشت عليها نبذة تاريخية مع شارته الملكية . وينتهي هذا الدهليز بحجرة صغيرة يتوسطها مقابر صغيرة على شكل دائرة خصصت للاطفال الابرياء دون سن السابعة من أبناء الملوك ولذلك تسمى هذه الحجرة بحجرة الابرياء .

٤ - ﴿القصر﴾ . سمت نفس فيليب الثاني عن الدنيا وزهدت في الملك فأراد أن يتقرب الى الله بروح خالصة فبنى له بجوار بيت الله قصراً متواضعاً بعيداً عن أبهة الملك وجلاله وزوده بالقليل من الرياش والأثاث وزينه بالرسوم فجاء آية من الجمال الفني وفي غاية الروعة طليت جدرانه وسقوفه بأبدع ما انتجه الفنانون الاسبان والبلجيك من رسوم الفريسكو أمثال بللجرينو ، وبارتلوميو ، ولويس دي كارجال ، وتيبالدي ، وكيبان ، وتنتوريتو ، والجريكو وجوريا وروبينو وكاتون وبن فولتيني وهيلني . كما غطى بعض جدرانها بالسجاجيد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



المكتبة في قصر الأسكوريال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفاخرة نسجت خيوطها من أسلاك ذهبية وحريرية في المصانع الملكية عليها رسوم دينية واجتماعية زاهية اللون كسجاجيد حجرة الاستقبال من رسم جويا . وزوّدت هذه الابهاء بالستر النفيسة والثريات الرائعة . وروعي أن يسود بعض هذه الأبهاء لون واحد كالأخضر أو الأصفر أو الأحمر وعرفت بعض الصالات بهذه الأسماء .

وتتوسط هذه القاعات قاعة العرش تتصدرها منصة مرتفعة تعلو عن الأرضية بدرجتين وأقيم عليها كرسي العرش لجلوس الملك ، أما الملكة فخصص لها كرسي بجوار الحاشية على خلاف العروش الأوربية الأخرى حيث تجلس الملكة بجوار الملك على منصة واحدة .

يجاور قاعة العرش قاعة أخرى من رسم الرسام البلجيكي روبينو ، ثم يليها قاعة السفراء ، وأخرى لمكتبه الخاص صنعت من خشب العود الخالص وغيرها لعبادته من خشب الأبنوس رسم رسومها الرسام بن فولتيني ، أما حجرة الصيد فمن طراز بومبي . وهناك قاعة طويلة زين جانب منها بالفريسكو برسوم تمثل المواقع الحربية التي وقعت بين جون النمسوي ومحمد الثاني أثناء القرن السادس عشر .

وقد تعوّد الملوك الذين تعاقبوا بعد فيليب الثاني على اسبانيا أن يتخذوا من هذا القصر حجراً خاصّة لهم فحملوها ببعض التعديل .

هذا في الطابق الثاني ، أما الطابق الأول فقد خصص لسكن فيليب الثاني ولم يقطنه أحد سواه سوى ابنه منذ القرن السادس عشر . ولذلك لا تزال حجراته محتفظة بطابعها القديم وفرشها وأثاثها بنظامها الذي كان أيام فيليب ومن بينها حجرة نومه وسريره الذي فاضت عليه روحه في ١٣ سبتمبر سنة ١٥٩٨

أما باقي بناء الأسكوريال فقد خصص لسكن الرهبان الذين يشرفون عليه . ولا يزال الاسبان يعتدون بهذا الأثر الجليل ويحيطونه بكل روعة وجمال ودأبوا على المحافظة عليه رغم الحوادث التي توالت عليه وما تعرض له من دمار بعض أجزاءه عقب الحريق العظيم عام ١٦٧١ ولم ينجُ منه إلا الكنيسة وجزء من القصر وبرجان ، كما تعرّض البناء جميعه لانتقام الفرنسيين ١٨٠٨

ويقصد الأسكوريال من آن لآخر كثير من المشتغلين بالفن والآثار ودراسة المخطوطات القديمة .

محمد رجب البيلي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مشهد من مسرحية كليوباترا

للشاعر محمد فهمي

(منظر بهو في القصر الملكي . تسمع موسيقى هادئة وتشاهد الملكة كليوباترا جالسة على عرشها بملابسها الزاهية الداتنة في حالة تفكير وعلى مسافة منها جمع من الراقصات الجميلات تخاطبهن رئيستهن)

رئيسة الراقصات : يا صبايا تبارين في كل مبتكرْ
ولتكنْ رقصة المنى لانطونيو اذا حضرْ

كليوباترا وكأنما تناجي نفسها : —

يا فؤادي أي سرٍّ دهانا هاج بالقلب والفؤاد هوانا
كان قبلاً نسائماً تتهادى فغدا اليوم نافثاً نيرانا
يا غراماً نموتَ طفلاً لعوباً كيف ألقَى على يديك الهوانا
من لقلب مكبلٍ كأسيرٍ ويرى الناس حوله عبدانا
كم يروع الجلالُ منه البرايا إنه الآن يستجيش حنانا
قدرٌ قد أهلَّ يوم التقينا آه .. مما جرى به لقيانا
رحت أصغي اليه بين فتون يأسر اللب .. فاستُطير جنانا
فوق فُلك كأنها خِدع الوهم بهاءً وروعةً وافتنانا
قد سباه الجمال فهو أسيري كيف أنطونيو تسومني طغيانا ؟
أكذا الحب هادىءٌ لجميلٌ فغُرامٌ . من مجيري ؟ وقد غدا بركانا !

هي وكأنما تنبهت : —

ايه لا . لا . فؤاديَ رفقاً انظر الآن ما ترى عقبانا ؟
كل طاغٍ لمصر باغٍ عدوٌ راح يعوي وكم دعى ذؤبانا
ان للحب غفلةً فتيقظ حق مصرٍ يفوق حق هوانا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(تسمع أصوات أبواب تنطلق فجأة خارج البهو . يدخل أنطونيو متجهاً نحو الملكة)

أنطونيو [بلهفة] : كليوباترا ملاكي

كليوباترا وقد همت لاستقباله : أنطونيو حبيبي !

انطونيو : قد هاج بي شوق اليك يهزني   جم النوازع ثائر الصبوات

كم راح يهتف في الضلوع مدوياً   أنت الحيـاة وضيئة البسمات

أغشى المعامع كالقضاء وهوله   فاذا ذكرتك رقرقت عبراتي !

كليوباترا : حقـاً أتصدقني ؟

انطونيو :   وأقسم جاهداً   اني أترجم صادقاً خفقاتي

لو شئت خضت النار أبسم هازئاً   أو شئت بدلت الحياة مماتي

كليوباترا : حاشا أشاء .. ومن يصاول في الـوغى بطعان جبار وعزمة عات ؟

ويذود أعداء إذا هم بيتوا   ومشت جحافلهم الى عتباتي

تغلي بنار الحقد هاج ضرامها   حسدٌ تأجج في صـدور عداتي

رب الـكماة ومن تملك مهجتي   أترى تحقق عالم الرغبات ؟

أنطونيو : فيك تمثـل عذب أطياف المنى   فتناً .. تهدهد حسنـها خطراتي

فدعي حديث الحرب .. عندك ربها   إن هب روع . . تلقه عزماتي

الحرب في عينيك . يا لأوارها   أعيا إله الحرب . أين ثباتي !

(ينحني عليها مطوقاً)

كليوباترا متنهدة :

ويح الوشاة وويح ما يصفونه   قد أكثروا من حولنا الشبهات

أزروا بقدس الحب فيما ثرثروا   واستمرأت أحقادهم حرماني

هل يعلمون بأنه الحب الذي   يطغى عليك وأكتوى حرقاتي ؟

ماذا عليهم لو تدارك مكثرٌ

انطونيو :   فليكثروا . . ها أنت أنت حياتي

(يضمها مقبلاً)

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

تشريح الهر

Functional Anatomy of the Mammal. A Guide to the Dissection of the Cat and an Introduction to the Structural and Functional Relationship between the Cat and Man By Prof. W. James Leach.

London, McGrow-Hell Book Co. 1946. 12s. 6 d.

إن اختيار حيوان ثدبي للتشريح يصلح أن يكون تشريحه مدخلا لعلم التشريح الانساني ودرس وظائف أعضائه ، قد اقتصر الى الآن على الارنب والفأر . ولكن الحيوانات القواضم : Rodents التي منهـا هذين ، أقل ملاءمة لهـذا الغرض من الحيوان اللاحم Cornivore فان اللواحم أقل بدائية من القواضم ، وأقرب تركيباً من الانسان . لهذا نوه كثير من العلماء بظهور هـذا الكتاب ليكون مدخلا لتشريح ذوات الثدي ، لاسيما وان الهر حيوان كثير الوجود ويسهل أن يحصل عليه المشرحون.

ولقد مضى المؤلف يعقد موازنات بين تشريح الهر والانسان وخصائصهما الوظائفية ، ووضع ملخصات مفيـدة للطالبين . وعقد بحثاً في تأثير الوضع الجسمي على التكيف التركيبي وبخاصة فيما يتعلق بانتصاب القامة في الانسان ، توخى فيه سهولة العرض والاداء اذ استطاع أن يتخلص من استعمال كثير من المصطلحات اللفظية التي تحشى بها المتون العلمية . ومن الفوائد التي لا تنكر في هذا الكتاب ملخصات وضعها المؤلف في وظائف الاعضاء وآلية العضلات وجراحتها ، وغير ذلك من الاشياء التي تحتاج إليها الممرضات أو الاطباء المبتدئين.

وعطف المؤلف بعد ذلك على الجهازات المختلفة في الجسم ، وبحثها عمليا في هرر حقنت بالمخدرات . وقد قيل في بعض النقود التي وجهت الى الكتاب أن المؤلف اذا كان قد اتخذ من صغار الهرر موضعاً لبحثه بدل الهرر البالغة ، لكان عمله أوفى ، فان أجزاءها الدقيقة تكون أبين ولو أنها أصغر حجما ، وإن هذا أظهر ما يكون في الجهاز العصبي السمبتاوي الذي يمكن استبانته بجلاء وسهولة بالنظر الى كبر حجم العقد وصفة الانسجة الضامة اذ تكون هلامية القوام .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حافظ وشوقي

صدى الحوادث عند الشاعرين

مرّت بالشرق العربي والعالم الاسلامي عامةً وبمصر خاصةً خلال الحقبة التي عاشها الشاعران أحداثٌ وحوادث كان لها أثرٌ قويٌ في قرائح الشعراء وقتذاك ، فانطلقوا يسجّلونها ، كلٌ على قدر طاقته ومواهبه ، وحسب الأثر الذي تركه كلٌ منها في نفوسهم ، فكانت قصائدهم صدى هذه الأحداث ومعرض هذه الحوادث . وكان شاعرانا من المجلّين في هذه الحلبة .

لذلك نطوي السنين القهقرى حتى هذه الحقبة لنستمع إلى صدى هذه الأحداث والحوادث عند هذين الشاعرين ، ولنرى كيف تصرّف كلٌ منهما فيها بفنّه ومدى توفيق كلٍ منهما في هذا التصرف . فتبرز لنا في مقدمة هذه الحوادث والاحداث :

حادثة دنشواي

في ١٣ من يونيه سنة ١٩٠٦ وقعت هذه الحادثة حيث ذهب بعض الضباط والموظفين البريطانيين لصيد الحمام في هذه البلدة فأصابت رصاصةٌ من رصاصاتهم امرأة وحرقت جُرنًا فتجمع الأهلون غاضبين فاعتدى البريطانيون عليهم بأسلحتهم ، ولكن القوم حملوا عليهم بالطوب والعصيّ وانتزعت منهم أسلحتهم فجُرح بعضهم جروحاً خفيفة ، وفرّ منهم جريح وظلّ يعدو نحو المعسكر حتى أصابته ضربة الشمس بعيداً عن هذه البلدة . وثارت ثائرة الانجليز لهذه الحادثة فعقدوا محكمة عسكرية قضت على واحد وعشرين رجلاً بأحكام مختلفة أعدم منهم أربعة . وقد صدر هذا الحكم في ٢٧ من يونيه سنة ١٩٠٦ أي بعد الحادثة بأربعة عشر يوماً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولقد كان لهذا الحكم الوقع السيء في النفوس ، وأثار الزعيم المرحوم مصطفى كامل سخط العالم على هذا الحكم . وهبَّ بعض النواب الأحرار من البريطانيين يناقشون الحكومة في البرلمان عن هذا العمل المنكر . وكانت حملة مصطفى كامل عاملاً قويًّا زعزع مركز كرومر فاستقال من منصبه بعد شهور .

تلك حادثة دنشواي التي يقول عنها الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك إنها « من حوادث مصر التاريخية التي لا تنسى على مرّ السنين لما كان لها من الأثر البليغ في تطوّر الحركة الوطنية وفي مركز الاحتلال الانجليزي ، فهي نهاية عهدٍ كان الاحتلال يتمتع فيه بالإستقرار والطمأنينة ، وبداية مرحلة جديدة من مراحل الجهاد القومي عمَّ فيها الشعور الوطنيُّ بعد أن كان الظنُّ أن سواد الأمة راضٍ عن الاحتلال »[1] — هذه الحادثة وجدت في شعر حافظ صداها قبل أن تجده في شعر شوقي ، ولا ندري السبب الذي أخّر شوقيًّا عن تناولها في وقتها ، ولعلّ منصبه في القصر وصلته به كشاعر ربّ القصر هما اللذان حالا دون تناوله هذا الحادث حتى حدث من كرومر ما حدث بعد ذلك من إهانته للمصريين والخديو اسماعيل في الخطابة التي ألقاها في الحفلة التي أقيمت توديعاً له . فرأى شوقي أن الجوّ ملائم للقول في هذه الحادثة بعد مرور عام عليها وذلك بمناسبة طلب العفو عن سجنائها . وقد نشرت هذه القصيدة بجريدة « اللواء » في ٢٧ من يونيه سنة ١٩٠٧

أما حافظ فقد ردّد ذكر هذه الحادثة في أكثر من قصيدة ، وكان أول ما نظمه فيها قصيدته الدالية التي نشرت في ٢ من يوليه سنة ١٩٠٦ أي بعد صدور الحكم بخمسة أيام ، وفيها يقول :

جاء جهّالنا بأمرٍ وجئتم ضِعف ضعفيه قسوةً واشتدادا
أحسنوا القتلَ إن ضننتم بعفوٍ أقصاصاً أردتمُ أم كيادا ؟
أحسنوا القتل إن ضننتم بعفوٍ أنفوساً أصبتمُ أم جمادا ؟
ليت شعري أتلك (محكمة التفتيش) عادت أم عهد (نيرون) عادا ؟
كيف يحلو من القويّ التشفّي من ضعيفٍ ألقى اليه القيادا ؟

....

(١) كتاب « مصطفى كامل ، باعث الحركة الوطنية » الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك — ص ٢٠٠

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إنها مُـثْـلَـةٌ تشفُّ عن الغيـ ـظ ولسنا لغيظكم أندادا

وهذه القصيدة على ما فيها من السخرية التي أرادها في قوله :

واذا أعوزتكمُ ذاتُ طوقٍ بين تلك الربا فصيدوا العبادا

إنما نحن والحمام سواءٌ لم تغادر أطواقنا الأجيادا

لم تخلُ من حذر في توجيه الخطاب الى الانجليز ، وكان جديراً أن تكون قاسية كل القسوة لأن الشاعر كتبها بعد صدور الحكم ونفوس المصريين تغلي حقداً وكراهية ، فهو يبدأها بهذا البيت اللين الناعم حيث يقول :

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟

ثم يقول فيها :

أكرمونا بأرضنا حيث كنتم إنما يكرم الجوادُ الجوادا

أمة النيل أكبرت أن تعادي من رماها وأشفقت أن تعادَى

في حين أنه تناول « المدعي العمومي » في هذه القضية ، وهو مصريٌّ ، بالنقد الجارح الشديد والتهكم اللاذع المرير . وكان المغتصبون الجناة أولى بمثل هذه القسوة والشدة في النقد والتجريح لأن تهكمه في أبياته التي قالها فيهم لينة وادعة بجانب قسوته على « المدعي العمومي » المصري . حيث قال فيه بعد أبيات لاذعة :

إيهِ يا مدرَّه القضاء ويامن ساد في غفلة الزمان وشادا

أنت جلادُنا فلا تنسَ أنّا قد لبسنا على يديك الحِدادا

وفي قصيدة أخرى وجّه القول فيها إلى كرومر وأشار الى ما ادعاه البريطانيون على المصريين من أن السبب في حادثة دنشواي هو التعصب الديني من المسلمين في مصر فهو يدفع هذا بقوله :

إن أرهقوا صيّادكم فلعلهم للقوت لا للمسلمين تعصبوا

ولربما ضنَّ الفقير بقوته وسخا بمهجته على من يغضبُ

ثم يصف الشاعر هذه الحادثة في الأبيات التالية ، ويصور هول تنفيذ الحكم فيمن اتهموا تصويراً بلغ حد الروعة نحسُّ فيه قسوة الحكم الظالم العجيب في تاريخ القضاء ، وما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أصاب المحكوم عليهم من حيرة وذهول أمام هذه القسوة فيقول :

في دنشواي وأنت عنا غائبٌ لعب القضاء بنا وعزّ المهرب
حسبوا النفوس من الحمام بديلةً فتسابقوا في صيدهنّ وصوّبوا
نُكبوا وأقفرت المنازل بعدهم لو كنتَ حاضر أمرهم لم يُنكبوا
خلّيتهم والقاسطون بمرصدٍ وسياطهم وحبالهم تتأهبُ

ثم يقول في لفتةٍ عجيبة وتصوير رائع :

جُلدوا ولو منّيتَهم لتعلّقوا بحبال من شُنقوا ولم يتهيّبوا
شُنقوا ولو مُنحوا الخيار لأهّلوا بلظى سياط الجالدين ورحّبوا
يتحاسدون على الممات ، وكأسُهُ بين الشفاه وطعمه لا يعذُبُ
موتان : هذا عاجلٌ متنمرٌ يرنو ، وهذا آجلٌ يترقبُ
والمستشار مكابرٌ برجالهِ ومعاجزٌ ومناجزٌ ومحزّبُ
يختال في أنحائها متبسماً والدمع حول ركابهِ يتصببُ

* * *

هاتان قصيدتان من شعر حافظ تناولتا هذه الحادثة ، فأما الأولى فأسلوبها خطابيٌ تقريريٌّ ، وأما الثانية فتصويريةٌ امتزج فيها الواقع بالخيال ... فلننظرْ في قصيدة شوقي التي نظمها بعد مرور العام عند طلب العفو عن سجناء هذه الحادثة . وذلك بعد أن استقال كرومر وعاد الى وطنه ، وفيها يقول :

يا (دنشوايَ) على رُباكِ سلامُ ذهبتْ بأنس ربوعكِ الأيامُ
شهداء حكمكِ في البلاد تفرقوا هيهات للشمل الشتيت نظامُ
مرّت عليهم في اللحود أهلّةٌ ومضى عليهم في القيود العامُ
كيف الأرامل فيك بعد رجالها وبأي حالٍ أصبح الأيتامُ
عشرون بيتاً أقفرت وانتابها بعد البشاشة وحشةٌ وظلامُ
يا ليت شعري في البروج حمائمٌ أم في البروج منيّةٌ وحِمامُ
(نيرون) لو أدركتَ عهد (كرومر) لعرفتَ كيف تنفّذ الأحكامُ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم يلتفت الى فظائع الحكم في القضية يصور هوله فلم يقدر له أن يبلغ روعة الصورة التي رسمها حافظ — مع قدرة شوقي التصويرية — ويبدو في قصيدة شوقي مدى التأثر بقصيدة حافظ البائية التي ذكرناها ... قال شوقي :

نوحي حمائم دنشواي وروعي شعباً بوادي النيل ليس ينام
إن نامت الأحياء حالت بينه سحراً وبين فراشه الأحلام
متوجع يتمثل اليوم الذي ضجت لشدة هوله الأقدام
والمستشار الى الفظائع ناظر تدمى جلود حوله وعظام
في كل ناحية وكل محلة جزعاً من الملإ الأسيف زحام
وعلى وجوه الثاكلين كآبة وعلى وجوه الثاكلات رغام

تلك حادثة من الحوادث الكبيرة التي أثارت الشعور في مصر ، وأثارت الرأي العام في العالم ، وقد أثارت شاعرية حافظ ثم أثارت شاعرية شوقي . على أن الباحث المنصف يرى قدرة حافظ في تصوير هذه الحادثة فقد وفق في إبراز صورته مكتملة لعناصر القوة والحركة على حين نجد صورة شوقي ينقصها ذلك ، وكما وفق حافظ في إبراز صورة هذه الحادثة فقد كان السباق الى تسجيلها والتأثر بها .

وداع كرومر

وفي ابريل سنة ١٩٠٧ استقال اللورد كرومر من منصبه فودعه الشاعران بقصيدتين ، فأما قصيدة حافظ فهي عندي أقرب الى المقال الصحفي يريد كاتبه أن يجعل من نفسه مؤرخاً ، يعرض شتى الآراء ، وكذلك شاء حافظ أن يحمل الشعر في هذا الظرف هذه المهمة ، فكان في هذا مسجلاً فاته الشعور كما أخطأه الإحساس الوطني ، فهو بعد أن يذكر لكرومر ما يراه من فضل ، قائلاً إننا لسنا « أمة تجحد اليدا » يعود الى ذكر أقوال المهاجمين لسياسة كرومر ويختم قصيدته بهذه الأبيات :

فهذا حديث الناس والناس ألسن إذا قال هذا ، صاح ذاك مفندا
ولو كنت من أهل السياسة بينهم استجابت لم رأياو بلغت مقصدا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكنني في معرض القول شاعر ٌ أضاف الى التاريخ قولاً مخلّدا

فيأيها الشيخ الجليل تحيَّةٌ ويأيها القصر المنيف تجلّدا

لئن غاب هذا الليث عنك لعلةٍ لقد لبثت آثاره فيك شُهَّدا

وأما قصيدة شوقي فهي أقرب الى روح الشعر وكانت غضبة على كرومر للموقف الذي وقفه في حفلة وداعه وتهجُّمه على أهل هذا البلد وإهانته للخديو اسماعيل بدون أن يراعي شيئاً من المجاملة لابنه الذي حضر حفلة التوديع وهو الامير — السلطان فيما بعد — حسين كامل . ولذلك نرى أن قصيدة شوقي قصيدة العاطفة بينما نرى قصيدة حافظ أقرب الى الصناعة . وليس أدلّ على شدة السخط عند شوقي من هذا البيت في قصيدته الذي يظهرنا على أنه كان منساقاً بعاطفته:

لما رحلت عن البلاد تشهدت فكأنك الداء العياء رحيلا

على حين قال حافظ في تخاذلٍ عجيب يخاطب كرومر بهذه الابيات :

أمِنَّا فلم يسلك بنا الخوف مسلكاً ونمنا فلم يطرق لنا الذُّعرُ مرقدا

وكنتَ رحيم القلب تحمي ضعيفنا وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا

ولولا أسىً في دنشواي ولوعةٌ وفاجعةٌ أدمتْ قلوباً وأكبُدا

ورمْيُكَ شعباً بالتعصب غافلاً وتصويرك الشرقيَّ غرّاً مجرّدا

لذُبنا أسًى يوم الوداعِ لأننا نرى فيك ذاك المصلح المتودّدا

على أن شوقيًّا كان منصفاً للتاريخ القوميّ حين ردّ على كرومر بأنه إذا فاخر بشيء من العمل في سبيل تقدُّم هذا البلد فان هذا البلد لم يعدم وسائل الاصلاح في عهد محمد علي وفي عهد اسماعيل قبل ان يصاب الوطن بالاحتلال الانجليزي . في حين أغفل ذلك حافظ. ويظهر ان حافظاً أحسَّ أن قصيدته هذه قد فقدت عنصر الشعور الوطني الصريح، فلمّح في قصائد أخرى بعد ذلك الى مساوىء العميد الراحل ولم يجمل عَرْض هذه المساوىء منسوباً الى آخرين كما حاول ذلك في قصيدته التي ذكرنا شيئاً منها ، بل عرض هو هذه المساوىءَ بإحساسه ورأيه . ونحن لا نستطيع تعليل مسلك حافظ في هذا الموقف مع إنه لم يكن مقيداً بشيء

ومهما يكن من شيء فإن هذا الحادث لم يجد فيه الفنُّ الشعريُّ عند الشاعرين أثراً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يمتدُّ به الاعتداد الذي يجده في أشعارهما في حوادث أخرى . فلننظر في شيء آخر من الاحداث التي لقيت من فيض قريحتيهما ما هو جديرٌ بالخلود والبقاء .

وفاة مصطفى كامل

في ١١ من فبراير ١٩٠٨ خفق قلب مصر خفقة الجزع لمصاب البلاد في وفاة زعيمها الشاب مصطفى كامل باشا الذي بعث الحركة الوطنية في هذه البلاد بعد خمود ، وأيقظ الجهاد في النفوس بعد طول جمود ، وأقضَّ مضجع الغاصب وكان قد اطمأنَّ الى أن العزم في نفوس المصريين قد فتر ، وان روح الكفاح فيهم قد همدت ، وان شعب وادي النيل قد استكان الى حالته ، حتى شاءت عناية الله بكنانته أن يستيقظ هذا الشعب — الذي شيب الزمان ولم يشب — على صوت جمع كل معاني القوة والفتوة ومضاء العزم ونزاهة القلب والضمير واليد واللسان في إهاب شابٍّ هو الشعلة المتقدة ، تخفق لصدى صوته كلُّ قلب ، وتحرك لندائه أبناء الوادي مستيقظين كما يستيقظ على ضوء الصباح كل حي .

ولكن هذه الشعلة من الوطنية التي كانت تحترق لتضيء الطريق للعابرين لم ترحم نفسها في بلوغ هدفها ، فكان مصطفى لا يسمع نداءً غير نداء وطنه ، ولم يستجب لنداء الجسد في حقه من الراحة لأنه لم يعرف الاستسلام واليأس . وهو الذي علم أبناءَ الوادي أن لا حياة مع اليأس وان لا يأس مع الحياة .

لذلك كان موت هذا الزعيم الشاب خطباً جسيما روّعت له البلاد واصطكت لهوله الأسماع ووجفت القلوب ، واهتزت المشاعر فتدفقت قرائح الشعراء في رثائه ، ولا عجب فقد أحيا الشعور في البلاد .

وقد برزت من مراثي الشعراء فيه — يومذاك — قصيدة شوقي التي يقول في مطلعها :

المشرقان عليك ينتحبانِ قاصيهما في مأتمٍ والدّاني

وهذه القصيدة من عيون شعر الرثاء عند شوقي ، وقد صوّر فيها في دقة تامة إحساسه المتفجع في فقد صديق الصبا والشباب ، وصوّر آخر لقاء وإياه وهو يعوده في مرضه الأخير تصوير الأخ المفجوع في أخ عزيز . ولكن هذه القصيدة على دقة الإحساس فيها تخلو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من تناول حياة الفقيد السياسية تناولاً يجعلها صورة للراحل . فهي من هذه الوجهة يمكن أن يقال إنها مرثية لصديق عاديٍ ، ولم يكن مصطفى بالفرد العاديّ في الناحية التي لمع فيها اسمه ، وهي الوطنية المتأججة .

كان على شوقي أن يصور هذا الجانب في الفقيد وأن يجلوها كل الجلاء لتكون الصورة واضحة المعالم عن سياسي كانت حياته كلها جهاداً وكفاحاً وإقلاقاً لراحة الغاصب وإشعالاً لنار الوطنية في النفوس ، وتطرّفاً في هذه الوطنية .

وكان على شوقي — وقد زامل الفقيد في مراحل نموّه — أن يصوّر هذا الشعور الوطنيّ وهو ينمو مع صديقه حتى بلغ به هذا الحدّ من العظمة واسترعى أنظار الناس إليه ليس في مصر حسب ، وانما في شتى بلاد العالم.

كان عليه أن يتناول هذا الجانب من حياة الفقيد في مرثيته ، ولكنه على الضدّ من ذلك كان حذراً في مسّ هذا الجانب ، ما يكاد يقرب منه حتى يبعد عنه ، وما يكاد الموقف يجرُّه الى ذكر ذلك حتى يعود أسرع ما يكون الى التخلص من هذا الخاطر ، فهو حين يقول :

هل قام قبلك في المدائن فاتحٌ غازٍ بغير مهنّدٍ وسنانِ ؟

يخيّل لمن يسمعه أنه سينتقل الى جهاد هذا البطل الذي أيقظ في نفوس أبناء الوادي روح الوطنية وأثار عزيمتهم للكفاح والجلاد ، وكانت خطبه ومقالاته وصحفه مدرسة للوطنية يتخرج فيها شباب الأمة وقد عرفوا معنى الحياة ، وان الشاعر سيذكر كل ذلك صريحاً واضحاً . ولكن لايلبث السامع أو القارىء أن يجد الشاعر يقول بعد هذا البيت :

يدعو الى العلم الشريف وعنده إنّ العلوم دعائم العمران

وبذلك يتخلص من شبح السياسة قبل أن يقوده الى ذكر شيء من ذلك في المرثية ، وينتقل فيتكلم في نواحٍ أخرى من حياة الفقيد حتى تقوده العاطفة المتقدة مرة أخرى الى غير ما يقصد فيقول :

عوفيتَ من حَرَب الحياة وحرْبها فهل استرحتَ أم استراح الشاني

يا صبَّ مصر ويا شهيد غرامها هذا ثرى مصرٍ فنمْ بأمان

اخلع على مصرٍ شبابك عالياً والبس شباب الحور والولدانِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلعلّ مصراً من شبابك ترتدي مجداً تتيهُ بهِ على البلدانِ
فلو ان بالهرمين من عزماته بعض المضاء تحرّك الهرمانِ
علّمتَ شبان المدائن والقرى كيف الحياة تكون في الشبّانِ

وهنا يتوقع السامع أن يجد الشاعر قد اقترب من أبرز النواحي في حياة مصطفى كامل — ناحية الوطنية التي لا تعرف المهادنة أو المسالمة في تلك اليقظة أو الحركة التي أقضّت مضجع الغاصب وزعزعت سلطان عميده بعد حادثة دنشواي ، وأنّ الشاعر سيضرب على الوتر الحساس في هذه الناحية ، ولكن شوقيًّا ينوب من هذه العاطفة التي تسوقه الى ما لا يقصد فيتنبه ويبتعد عن هذا ويقول ليختم المرثية :

مصر الأسيفة ريفها وصعيدها قبرٌ أبرُّ على عظامك حانِ
أقسمتُ أنك في التراب طهارةٌ ملكٌ يهاب سؤاله الملكانِ

ولعلّ سبب هذا الحذر مركز الشاعر من القصر — كما قلنا عند الكلام على موقفه من حادثة دنشواي — ومراعاته لظروف خاصة هي أنّ العلاقة القوية التي كانت بين الخديو ومصطفى كامل والتأييد الذي كانت تلقاه الحركة الوطنية من سموّه قد اعتراها في السنوات الأخيرة من حياة مصطفى شيء من الفتور فالجفاء ، فكان على شوقي أن يكون حذراً في الرثاء فلا يظهر شعوره في هذه الناحية افتقد الزعيم الوطني وإنْ أظهر شعوره بالألم والتفجع لموت الصديق الذي كان يهتف بقصائده ويحِلُّ فوق النيرات مكانه — على حدّ تعبيره — وقد صوّر شوقي في أبياته التالية مشهداً رائعاً للفقيد في مرضه حيث يقول :

ولقد نظرتُك والردى بك محدقٌ والداءُ ملءُ معالم الجثمانِ
يبغي ويطغى والطبيب مضلَّلٌ قنطٌ وساعات الرحيل دواني
ونواظر العُوّاد عنك أمالها دمعٌ تعالج كتمه وتعاني
تملي وتكتب والمشاغل جمّةٌ ويداك في القرطاس ترتجفانِ
فهششتَ لي حتى كأنك عائدي وأنا الذي هدّ السقامُ كياني
ورأيتُ كيف تموت آساد الشرى وعرفتُ كيف مصارع الشجعانِ
ووجدتُ في ذاك الخيالِ عزائماً ما للمنون بدكّهنّ يدانِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وجعلتَ تسألني الرثاءَ فهاكه   من أدمعي وسرائري وجَناني

فإذا كانت الظروف هي التي دعت شوقيًّا إلى أن يكون حَذِراً في رثاء مصطفى يومذاك فإننا سنرى بعد ذلك كيف وفّى شوقي حقّ صديقه الزعيم الوطني بعد أن خاص من قيود الوظيفة وأغلال الظروف .

فقد انتهز شوقي فرصة الذكرى السابعة عشرة للفقيد — أي في سنة ١٩٢٤ — وكانت البلاد قد تفرقت شيعاً ودبّ في النفوس دبيب التنافر والخُلف فقال شوقي :

إلامَ الخُلْفُ بينكمُ إلاما ؟ !   وهذي الضجَّةُ الكبرى علاما ؟ !

وهذه القصيدة من أروع قصائد شوقي ، وهي الدليل على امتلاكه ناصية القول والتعبير عن آمال المصريين من حافظ في الدور الأخير من حياتيهما ، أو على الأصح بعد عودة شوقي من منفاه في سنة ١٩٢١ واستكانة حافظ الى قيده وصمته .

فلقد صوّر شوقي في هذه القصيدة العيوب التي وقع فيها القادة ودعت الى تأخير قضية الوطن .

* * *

والى جانب هذا التصوير أحسّ شوقي بأن الأسباب التي حالت بينه وبين الوفاء بحق صديقه الزعيم الوطني مصطفى قد زالت فصوّره في هذه القصيدة أروع صورة ، صوّره غير حذرٍ ولا متقيد بظروف فاستطاع أن يعطي الصورة الصادقة عن أبرز ناحية في حياة مصطفى ، وهي التي لم يصوّرها في مرثيته قبل سبعة عشر عاماً . . . قال — وهذا ما يعنينا من هذه القصيدة الآن :

شهيدَ الحق قم ترَهُ يتيما   بأرضٍ ضيّعت فيها اليتامى
أقام على الشفاه بها غريباً   ومرّ على القلوب فما أقاما
سقمتَ فلم تبت نفسٌ بخير   كأن بمهجة الوطن السقاما
ولم أرَ مثل نعشك إذ تهادى   فغطى الأرض وانتظم الاناما
تحمَّل همةً ، وأقلّ ديناً   وضمّ مروءةً وحوى زماما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما أنساك في العشرين لما طلعت حيالها قمراً تماما
يشار اليك في النادي ويُرمى بعينيْ من أحبَّ ومن تعامى
إذا جئت المنابر كنت قسّا اذا هو في عكاظ علا السناما
وأنت ألدّ للحق اهتزازاً وألطف حين تنطقه ابتساما
وتحمل من أديم الحق وجهاً صراحاً ليس يتخذ اللثاما

* * *

تلك صورة صادقة لوطنية مصطفى ونبوغه ، وهذي صورة لجهاده يرسمها شوقي في هذه القصيدة أيضاً :

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً سهرنا عن معلمهم وناما ؟
مِهارُ الحق بغّضنا اليهم شكيمَ القيصرية واللجاما
لواؤك كان يسقيهم بجامٍ وكان الشعر بين يديَّ جاما
من الوطنية استبقوا رحيقاً فضضنا عن معتقها الختاما
غرسنا كرْمها فزكا أصولاً بكل قرارةٍ وزكا مداما
جمعتهمو على نبرات صوتٍ كنفخ الصُّور حرّكت الرجاما
لك الخُطب التي غصّ الأعادي بسوْرتها وساغت للندامى
فكانت في مرارتها زئيراً وكانت في حلاوتها بُغاما
بك الوطنية اعتدلت وكانت حديثاً من خرافةَ أو مناما
بنيتَ قضية الأوطان منها وصيّرت الجلاءَ لها دعاما
هززتَ بني الزمان به صبيّا ورُعتَ به بني الدنيا غلاما

* * *

وفي سنة ١٩٢٦ نظم شوقي قصيدة ثالثة في مصطفى هي خواطر أوحتها اليه ذكراه . ويمكن أن يُقال إنها ردٌّ على قصيدته السابقة التي تناول فيها خلاف الأحزاب . فقد نظم قصيدته بعد إذ كان الصفاء قد عاد الى النفوس ، وتناسى الزعماء خلافاتهم ، وطووا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحقادهم ، واجتمعت كلمتهم ، وتآلفت أحزابهم صفّاً واحداً . فهو يتذكر في هذه الآونة مصطفى ويقول :

أعْوَزَ الحقَّ ذائدٌ وإلى « مصطفى » افتقرْ

ويخاطب أهل وطنه قائلاً :

أيها القوم عظّموا واضع الأُسّ والحجرْ
اذكروا الخطبة التي هي من آيهِ الكُبَرْ
لم يرَ الناس قبلها منبراً تحت محتضِرْ

ويلتفت الى زميل صباه فيقول :

يا أخا النفس في الصبا لذةُ الروح في الصغر

ويهتف به بعد أبيات :

قم ترَ القوم كتلةً مثل ملمومة الصخَرْ
جدّدوا أُلفة الهوى والإِخاء الذي هطر
ليس للخلاف بينهم أو لأسبابه أثر . . .

* * *

تلك مراثي شوقي في مصطفى . . . تبلغ المرثية الثانية منها حدّ الإِبداع لأنها صورة حقيقية لذلك الزعيم ، أُطلق فيها الشاعر نفسه على سجيتها ، ولم يتقيد فيها بشيء . ولولا ذلك التنبه والحذر اللذان أخذ نفسه بهما في مرثيته الأولى لارتفعت الى مرتبة المرثية الثانية أو فاقتها ، ولجمع فيها الى التفجع الأليم وصدق الاحساس مطابقةَ الصورة لصاحبها ، ولكان لها الى جانب روعتها في صدق الشعور جانبُ روعة الصدق في التصوير ، ولكنها فقدت هذا الجانب وخلت منه ففقدت أهمَّ جانب من رسالة مصطفى التي اشتهر بها وعاش لها ومات من أجلها ، وهو الجانب الذي يلتمسه الباحث الناقد عند الشاعر في تلك المرثية فيعز عليه .

حسن كامل الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



رد على نقد

كتب الأستاذ الفاضل رشيد السعد (القورنة — العراق) بالعدد السابق من المقتطف كلمة نقد رقيقة عن هفوة عروضية في قصيدتي « فراق » المنشورة بمقتطف يوليو هذا العام وقعت في البيت :

(من رآى . . . هول هذا المنظر الدامي مطبقا)

وأجيب أن الامر خطأ مطبعي فقد صححتُ بنفسي « بروفة » تجارب الطبع وكان البيت هكذا :

من رآى ... يا هول هذا المنظر الدامي... مطبقا ؟!

* * *

وبعد صدور العدد راجعتُ ادارة المقتطف في هذا الأمر ومن حسن المصادفة كنت قد احتفظت بنسخة من تلك التجارب قبل أن تسقط من البيت « يا » فاعتذر رئيس المطبعة بسقوطها عند الطبع ولكن أُغفل التنويه عن ذلك وكان واجباً . على إني أشكر هذه الفرصة التي أتاحت لي الاتصال بالأستاذ رشيد اتصال روح بروح وإنه ليسرنا هذا الاهتمام النبيل الذي يبدو من القراء الأفاضل في مختلف أقطارَ العالم العربي حتى لنحس وكأننا عصبة واحدة قد اجتمعت على رفع شأن اللغة العربية والأدب العربي رغم تنائي الديار. وإني لأشكر للاستاذ رشيد حسن تقديره وجميل تعبيره ولعله لا يحرمنا اهتمامه في المستقبل والسلام

المخلص

محمد فهمي — القاهرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

المُسْنَد

تطبعه دار المعارف بالقاهرة في أجزاء متتالية : وقد صدر منه ثلاثة أجزاء

لصديقي الأستاذ أحمد محمد شاكر العالم الثبت ، يد على أدبنا الديني وتراثنا الادبي لا تنكر . فقد عمل منذ أن شب عن طوق التعلم على نشر الكتب القديمة بعد مدارستها والاكباب عليها والتوفر على الكشف عن مواضع الخطأ فيها ، حتى لقد أصبح كتاب يحققه الاستاذ ، من المراجع التي يوثق بها . وآخر أثر من هذه الآثار الادبية الرائعة الطبعة الجديدة من كتاب المسند في الحديث للعلامة احمد بن محمد بن حنبل إمام الاسلام ومثله الأعلى في صدر الاسلام

ولقد قدّم الاستاذ لهذه الطبعة الفريدة بمقدمة مستفيضة شرح فيها الاسلوب الذي انتحاه في تحقيق الاحاديث ، وأبان عن الطريقة التي انتحاها في وضع فهارسه ، وقد مكث أياماً طوالاً يضع خطط العمل ومناهجه ، ويغير فيها ويبدل ، حتى استقامت له السبيل ووضح النهج واستنار ، فشرع في العمل » . قال :

« وجعلت لأحاديث الكتاب أرقاماً متتابعة من أول الكتاب الى آخره ، وجعلت هذه الأرقام كالأعلام للأحاديث ، بنيت عليها الفهارس التي ابتكرتها كلها » .

أما الفهارس اللفظية فهي : (١) فهرس للصحابة رواة الأحاديث رتب على حروف المعجم : (٢) فهرس الجرح والتعديل : (٣) فهرس للأعلام : (٤) فهرس الاماكن : (٥) فهرس لغريب الحديث .

أما الفهارس العلمية فهي الأصل لهذا العمل العظيم . وقد بنيت هذه الفهارس على الارقام التى رقم بها الأستاذ الاحاديث ، وهي أرقام مسلسلة تجعل العثور على الحديث سهل هين حتى ولو تعددت طبعات الكتاب فيما بعد . قال محقق المُسْنَد حفظه الله :

« وأرجو أن يكون عملي هذا محققاً لكلمة الامام أحمد لابنه عبد الله : « احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس إماماً » . وهي الكلمة التي رواها ابن الجوزي في مناقب احمد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ص ١٩١ وجعلناها في صدر هذا الكتاب عنواناً له » .

قال : « وقد قال الحافظ الذهبي ، فيما رواه عنه الحافظ شمس الدين بن الجزري في كتاب « المصعد لأحمد » : « فلعلّ الله تبارك وتعالى أن يقيضَ لهذا الديوان السامي من يخدمه ويبوّب عليه . ويتكلم على رجاله ، ويرتب هيئته ووضعه ، فانه محتوٍ على أكثر الحديث النبوي ، وقلّ ان يثبت حديث إلاّ وهو فيه » .

على أن في صدور هذه الطبعة من المسند لفرصة انتهزها للكلام في بعض أشياء تتعلق بالأحاديث الاسلامية . ولكن المقام هنا قد يطول . فإن الكلام في هذا الباب يتناول نواحي شتى من التاريخ والاجتماع ، ولا بدّ من أن يرجع الى آراء بعض المؤرخين والبحّاث من المستشرقين الذين كتبوا في الاسلاميات . بيد ان هذا لا يحول دون أن نستطلع رأي الأستاذ شاكر في أمرين استخلصتهما من اكبابي على درس ما تناول المستشرقون من بحوث في الحديث : الأول هو تعريف طبقات الأحاديث ، والثاني تاريخ القُصَّاص .

ففي كتاب الأستاذ جيليوم عن الحديث وأدب الحديث المطبوع في مطبعة جامعة اكسفورد سنة ١٩٢٤ تعريف كامل عن طبقات الأحاديث استنتجها على ما يظهر من جملة ما استوعب من تاريخ نشوء علم الحديث ، وهي عنده مصنفة كالآتي .

(١) الصحيح (٢) المسند : وهو الحديث الذي ينقله ثقات عن النبي مباشرةً (٣) المتصل الذي لا اضطراب في سنده ، فاذا لم تتصل روايته بالنبي فهو معلق (٤) المرفوع : وهو الذي يرجع به الى النبي : فهو إما متصل أو معلق (٥) المُعنعَن : مسنود بكلمة « عن » بدلاً من أن يكون النقل بالذات (٦) المعلق : ينقص سنده حلقة أو أكثر من الرواة ، فاذا كانت الحلقة (أي الاسم) ناقصة من وسط السلسلة فهو منقطع ، واذا كانت من النهاية فهو مرسل (٧) الفرد : الذي روى في مكان واحد بعينه أو نقل عن واحد لا أكثر ، فيعتبر ضعيفاً (٨) المدرج ، الذي يكون قد أقحم في سنده اسم واحد من أوالي الرواة (٩) المشهور : الذائع الذي نقله رواة كثيرون (١٠) الغريب : الذي يرجع الى ثقة واحد أو راوٍ واحد (١١) العزيز : الذي يرويه اثنان أو ثلاثة لا أكثر (١٢) المصحف : الذي اضطربت عبارته إما لذكر اسم شخص ما في سنده أو لاختلاف في نصه (١٣) المسلسل : يرتد سنده الى النبي وفيه يقال « سمعت » كذا وكذا (١٤) الضعيف (١٥) الموقوف : لا يتصل سنده بالنبي ، فينقصه شرط من شروط الصحة (١٦) المقطوع : مصدره الصحابة ، فيروي شيئاً من أقوالهم وأعمالهم (١٧) المرسل : منقول عن الصحابة عن النبي (١٨) المنقطع : الذي تنقصه حلقة في السند (١٩) المعدل : الذي ينقصه اسم أو أكثر في السند : كقولهم عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مالك أن محمداً قال (٢٠) الشاذ : الذي يناقض حديثاً آخر صحيح السند (٢١) المنكر : حديث ضعيف ويناقض حديثاً ضعيفاً ، (٢٢) المعلل : فيه غلطة مستنكرة تدرك بالتأمل أو فيه اضطراب (٢٣) المدلس : فيه غلطة مستترة ا إما بادعاء صلة منتحلة بين رواته ، أو أن أحد الأسماء الواردة في روايته قد قُنّع محمداً بذكر كنية (٢٤) المضطرب : الذي لا يتفق نصه مع حديث آخر (٢٥) المقلوب حديث يعرف أنه روي عن شخص غير الشخص الذي تنسب اليه روايته (٢٦) الموضوع : المنقول بحيث يختلف فيه الرأي بين انه صحيح وانه منتحل (٢٧) الحسن : الذي تتوسط مرتبته بين الصحيح والضعيف ٠

على هذا التصنيف جرى جلة المؤلفين من رجال الغرب ، فهل للاستاذ الفاضل أن يزوّدنا بعلم من لدنه في هـذا المجرى التاريخي ، وان ينقد منـه ما يستحق النقد وان يثبت منـه ما يستحق الاثبات .

ويروي بعض المؤرخين منهم روايات عن القصاص ينقلونها عن أدب المسلمين وتاريخهم وقد يستدل منها على ان أمر الحديث كان قد هان على كثـير من الفئات في ذلك الزمن حتى اتخذ سبيلاً الى الـكيد السياسيّ أو الى التجارة المرذولة .

فقـد روي ان الشاعر كلثوم بن عمرو العتّـابي الذي عاش في عصر الرشيد والمأمون ، قد جمع من حوله في مسجد ببغداد جمعاً من النـاس وروى لهم حديثاً زعم انه حديث صحيح ومحصله : أنّ الذي في مستطاعه أن يلمس أرنبة أنفه بطرف لسانه ، يثق بأن نار جهنم لن تمسّـه . وما كاد يفرغ من روايتـه حتى أخرج الجميع ألسنتهم ليمتحنوا في أنفسهم : أتنطبق على أحد منهم علامة النجاة للذين قدر لهم أن يدخلوا الفردوس ؟

وكذلك روى أن قاصـًا من هؤلاء كان يتفق وآخر من شيعته ، فيقف أحدهما بباب شارع ويقف صاحبه بالباب الآخر ، فيروي أحدهما أحاديث تشيد بعليّ ، ويروي الآخر أحاديث تشيد بأبي بكر ، حتى إذا انتهيا وجمعا من الصدقات ما تجود به أكف المؤمنين ، التقيا في ناحية واقتسما ربحهما آمنين .

فهل للأستاذ المحقق أن يزوّدنا بشيء من هـذا التاريخ أو يحقق لنا شيئاً من صحة هذه الروايات إثباتاً أو نفياً ؟ على أن هنالك من الشبه الواردة على رواية الحديث ما لا يتفق والعقيدة السائدة، فيها ينبغي على علمائنا ومؤرخينا أن يفحصوا عنها ويجلوها خدمةً للاسلام والمسلمين .

وختاماً لهذا البحث ننقل هنا ، تعريفاً بقيمة هذا العمل العلمي ، شيئاً من كتاب « مرشد المتعلم » تأليف سير جون أدمز وترجمة الاستـاذ محمد احمد الغمراوي ، وذلك من فصل اضافي بقلم المترجم : قال :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« أما الحديث فلا نعرف أحداً وضع له مفتاحاً بالمعنى السابق إلاّ المستشرق فنسنك في أجزاء جاءت الى دار الكتب قريباً ، وله فهرس بالافرنجية أنفع من هذا ، لانه يدلك على الأحاديث المتعلقة بالموضوع الواحد بدلاً من أن يدلك على الأحاديث الوارد منها لفظ من الالفاظ . ولا نعرف من المسلمين مشتغلاً بوضع شيء يشبهه إلاّ القاضي المحدّث أحمد محمد شاكر، فانه يعمل من زمن في وضع فهرس لمسند الإمام احمد، نرجو له في إتمامه تمام التوفيق

١ — زقاق المدق

الاستاذ نجيب محفوظ — لجنة النشر للجامعيين

طالما ساءلت نفسي والحسرة تملأها كلما رأيت التجديد يأتي على أحيائنا الوطنية شيئاً فشيئاً .. ترى هل تطمس معالم هذا التاريخ الحافل قبل أن يخلق الفنان الذي يخلدها إلى الأبد ؟؟ ! نعم لقد أخرج توفيق الحكيم في هذا اللون معجزته عودة الروح . ولكنها وحدها لا تكفي . فضلاً عن أن توفيق قد انحرف عن هذا اللون منذ بعيد . وأخيراً وقع في يدي كتاب خان الخليلي للمؤلف فتناولته متكاسلاً عديم الثقة في أن أقرأ شيئاً يهزني وبدأت أقرأ . . . وتوالت الساعات وأنا لا أدري فقد نسيتُ نفسي لقد استغرقني ما أقرأ وشاقني ما أرى وشاركت هؤلاء الناس وشاطرتهم بؤسهم ونعيمهم وبسمت قليلاً لحظهم القليل من السرور وتألمت كثيراً لنصيبهم الكثير من الآلام . . . ولا زلت أذكرهم وأحنّ اليهم كأنهم قوم عشت بينهم حقّاً أو تربطني بهم أواصر القربى . . . لقد استطاع نجيب محفوظ أن يجعلني أحب هذه الأحياء الوطنية التي كانت تتقزز منها نفسي وأن أستروح مناظرها تلك التي كنت أنفر منها قبل أن تكشف لي يد الفنان عما وراءها من أسرار . . . . هكذا كان شعوري عند ما قرأت قصته خان الخليلي وهو نفس شعوري عند ما قرأت قصته الأخيرة زقاق المدق .

اني أقولها قولة صريحة وأنا لا تربطني صلة شخصية بهذا الأديب وأعلن اليوم وستؤمّن على قولي الأجيال القادمة . لقد خُلق لنا أدب قصصي في مستوى الأدب الروسي الذي استرعى أنظار العالم بفضل دستوفسكي وتشيكوف وترجنيف ، وسيقف أدب القصة عندنا بين الآداب العالمية سامقاً يفيض قوةً وحياةً ونبضاً . . .

إنك مع نجيب محفوظ لا تقرأ قصة بل أكثر من هذا . . انك تشاهد وتعاشر وتشارك أشخاصاً وكأنهم في عالم الحقيقة أمامك يضطربون بل في صميم الحياة بلحمهم ودمهم بملامحهم المميزة الواضحة بهمومهم وآمالهم بمثالبهم وفضائلهم حتى أصحاب العاهات والشريرين تشعر نحوهم بعطف لا يقل عما تشعر به نحو اصحاب الفضائل من هؤلاء القوم ...

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كم أنا مشتاق الى هذه الفتاة التي لا أخطئها وأنا أسير في شوارع الغورية والأزهر ، إنني أراها أمامي كما وصفها المؤلف وأعلم بما تخفيه عني في حنايا نفسها من خير وشر فقد جلا ذلك كله نجيب وكشفه أمام عيني . وعباس الحلو الحلاق ذلك الشاب الذي هو صورة حديثة للطابع الأخلاقي القديم طابع القناعة والرضى والحب والتعلق بالحي والعشيرة رغم ما يقاسيه من قلة في الرزق،ولكن لا عليه.. ما دام يجد صديقاً يخلص له مثل كامل صانع البسبوسة وخلان قهوة المعلم كرشة بالزقاق يسمر معهم كل مساء .

والشيخ رضوان التقي الورع والسيد علوان الثري صاحب الوكالة الذي شاء المؤلف أو شاءت قوانين الخلق الفني التي سيطرت على القصة ان تبتر مسراته بقسوة بعد ان كدنا نستروح معه كثيراً من راحة الحياة ولينها وكأنها الواحة الوارفة الظليلة وانه لما يلفت النظر ان الأستاذ نجيب لا يترك في قصصه مثل هذه الشخصيات تنعم بما هي فيه من رغد بل لعل لعنة الحيـاة لا تحل إلا بهم وكأنما لكي يعيد المؤلف التوازن الى القصة لا بد لأمثالهم من كارثة ! ان الغريب الشاذ في شخصيات نجيب ان يستمتع شخص ما بالسعادة والهناءة فمثل هذا الشخص يُرخي له في حبل المسرات لكي يبتره بعد ذلك بتراً قاسياً عنيفاً،ان بين نجيب وبين هؤلاء عداءً عجيباً . لا أدري مبعثه في نفسه . انه يعاملهم بقسوة حتى أن بوارق الهناءة التي تلوح أحياناً في قصصه لاتستطيع أبداً ان تبدد ما يكتنف جوها من صرامة وقتام . وان أحق ما توصف به قصص نجيب أنها قصص قاتمة حتى أننا لم نسمع في سهرات قهوة المعلم كرشة شيئاً من «النكت» المرحة مما اشتهر به أبناء البلد ، اللهم إلا بعض نكتٍ صارمة ! وذلك اللون الفني القاتم يبدو أيضاً في لوحات بعض الرسامين المصريين العصاميين أمثال حسين بدوي ودرويش ولا بدّ لهذا من علاقة بحياتهم وبيئتهم .

أما المعلم كرشة وزوجته فهما الصورة الحقيقية التي لا «رتوش» فيها لحياة هذه الطبقة من أبناء البلد.وكذا إبنهما حسين الشرس،فقط.. ان شذوذ المعلم كرشة يبدو غريباً عليه بعض الشيء ولربما لو كان أصيب به كامل صانع البسبوسة مثلاً ثم تطور عنده الى استلطاف بعد تضخم جسمه لأشاع هذا في القصة جواً غير قليل من المرح والفكاهة هي في أشد الحاجة إليه

أما نهاية القصة فلعلّ المؤلف كان يريد أن يشرك حسين الشرس في المعركة،ولكن حالت دون ذلك بعض الاعتبارات !! والحق أن عدم إشراكه في المعركة كان غير طبيعي وهو الشيء الوحيد في القصة كلها تقريباً الذي لم يتبع منطق التحليل والملابسات وقد يكون المؤلف رأى أن اشراك حسين في المعركة ونجدته لزميله يستتبعان حتماً القبض عليه . ومعنى هذا أن الزقاق يقفر من شبابه بعد أن أقفر من فتاته الوحيدة ، ومعنى هذا أيضاً أن القصة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحمل اللعنة على الزقاق وهذا ما لا يقبله نجيب لزقاقه المحبوب !

إن صدق التصوير ودقة الوصف وعمق التحليل هي ما يمتاز به فن نجيب محفوظ وإنَّ روح المؤلف وسيطرته على أشخاصه وتحريكه لهم لا تفتر أبداً لحظة من اللحظات طوال القصة التي تستغرق حوالي الثلاثمائة صفحة فضلاً عن التوافق والانسجام بين جميع أجزاء العمل الفني. وليس هذا على أديب بالشيء القليل وإنه في أدبنا لفضل جزيل محمد فهمي

٢ — الوعي الجديد

للاستاذ حسين دياب — لجنة النشر للجامعيين

آلاف من شباب هذا الجيل في مصر تجيش نفوسهم بشتى العواطف ومضطرم الأفكار مدفوعين برغبة الاصلاح ولهفة الأمل في تقدم بلادهم تقدماً يقفز بها الى مصاف أرقى الأمم. ولكن القليل منهم من تحددت في ذهنه الأهداف واستنار السبيل ثم خطا فيه قدماً وقد قرن التفكير بالعمل. وفي طليعة هؤلاء النفر القليل الأستاذ حسين دياب مؤلف كتاب الوعي الجديد فهو من أساسه قصة حياة المؤلف نفسه تطرق منها الى عرض قصة حياة الجيل الجديد المثقف في إطار يعبر عن حالة البلاد الاجتماعية وأثر الأوضاع الاقتصادية في طبقات الشعب في أسلوب قصصي أخاذ ينفي عن النفس سأم البحث وملل الاستقراء بينما يدفعك برشاقة الى حيث تجد نفسك أمام مشكلات أنت مدفوع الى التفكير فيها لأنها مشكلات الجيل وقضايا الوطن الاجتماعيـة والاقتصادية التي يجب على الشباب أن يجد لها حلاً. وقد عرض المؤلف حلولاً بعضها يمس صميم الأوضاع الاجتماعية وبعضها يدور حول نظام الدولة في حرص أحياناً وفي جرأة في بعض الأحايين ولذلك جاء بعضها حلولاً وبعضها مسكّنات

والناحية القصصية في هذا الكتاب تعطينا صورة صادقة الى حدٍّ كبير ومحببة الى حدٍّ كبير أيضاً للريف المصري ببساطته وإيمانه وأوضاعه الاجتماعية وتقاليده الخاصة تنطق بها سيرة ذلك الفتى — الذي تدور حوله فصول الكتاب، وأسرته ومحيطه الذي هو طابع واحد لا يتغير في جميع أنحاء ريفنا المصري.

ثم تدرجه في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي وفي انتقاله من مرحلة لمرحلة حتى التحق بالوظائف الحكومية وقد تخدع فتظن الكاتب ما قصد من عرض هذه الصور إلا التسلية ولكنك لا تسير في الكتاب حتى تلوم نفسك على هذا الظن، فما أراد إلا الإصلاح، الاصلاح الذي يرضي حماس الشباب والذي بدأه من نقطة الدفاع عن كرامته في محيط وجد كل من فيه وكأنما قد تحالفوا على النيل منها. وما تنتهي من الكتاب حتى تقتنع بأن الشعب يجب أن ينال الكثير من الحقوق الاجتماعية وأن يتغير الكثير من الأوضاع الحالية

والتي يجب أن تميل الى مصلحة الطبقات الفقيرة حتى تحيا حياة فيها شيء من لين العيش : أما شباب الجيل من أبناء الطبقة الوسطى فلا أقل من أن يعيشوا كراماً وعلى أصحاب الثروات أن يشعروا نحو مواطنيهم بشعور الاخوة في الوطن والانسانية لا التباعد والاستعلاء ، وواجب الحكومة والديموقراطية أن تهيء الكثير من وسائل الانعاش والرفاهية لجميع الطبقات غير مؤثرة طبقة على أخرى وكما يقف الأفراد سواء أمام القانون فلتكن جميع الطبقات سواء في الاهتمام والمعاملة في نظر الدولة

٣ — ديموقراطية جديدة

الاستاذ احمد جمال الدين — مطبعة الاعتماد

يتناول هذا الكتاب المشاكل التي تواجه أمم الشرق الناهضة ويحاول أن يجد حلولاً للتوفيق بين تراث الشرق الذي يستمد أكثر وحيه من الدين وبين أنصار المدنية الحديثة فانه إذا كان الصراع الفكري في أوربا والغرب يقوم بين المذاهب السياسية والاجتماعية فإنه في الشرق لا بدّ من حسبان عامل ثالث له أثره وله خطره وهو التراث الديني الذي تغلغل بفضل عبقرية المشرعين الاسلاميين الى جميع خلايا الحياة الشرقية تقريباً المدنية والاجتماعية

وقد فهم الأستاذ جمال الدين هذه الحقيقة تمام الفهم فرأى من العبث أن يبسط نظرياته وطريقة فهمه للديموقراطية قبل أن يحل هذه المشكلة حلاً يمهد السبيل إلى غرضه، وقد وفق فيما رأى توفيقاً جديراً بالتنويه : فمن الأمثلة المدعمة على فهمه الجديد لتقاليد الدين ومحاولة تطويعها بل مطابقتها للأوضاع العصرية الحديثة قوله في ص ٨١ بعد تمهيد لفكرته — يمكن مقارنة مشاهدة السيدة عائشة لرقص الحبشة بمشاهدة الفتيات للروايات المسرحية والسينمائية ومبايعة النساء يمكن أن يعتبر أصلاً لإعطاء المرأة حق الانتخاب . وسباق النبي للسيدة عائشة في الجري صورته العصرية دور من التنس بين الزوج وزوجته — إذا فهمنا ذلك فلن نجد تناقضاً بين الدين وبين الحياة الكريمة القوية لهذا العصر » .

وتقوم فكرة المؤلف لفهم الديموقراطية على أسس فيها الكثير من التبرم بعيوب المجتمعات الشرقية ، ومن هذه العيوب استلهم فهمه الجديد أو علاجه الجديد للديموقراطية كما يجب أن تطبق في هذه المجتمعات ثم ندد كل التنديد بفكرة المصلح الفرد مهما كان صلاحه . ويرى من الأفضل أن يطول أمد الاصلاح حتى يتحقق على يد الأمة ممثلة في تطورها الديمقراطي بهيآتها النيابية فهو خير من أن يتم في فترة قصيرة على يد فرد مصلح مهما بعدت نواياه عن الأثرة والأنانية .

ويرى المؤلف أن العدالة التي كانت تتحقق في التاريخ الاسلامي على يد بعض الحكام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخلصين كعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز لم تضف الى حقوق الانسان شيئاً جديداً رغم تصريح عمر الشهير « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » فان هذا التصريح سرعان ما نسي . بينما أثبتت الثورة الفرنسية تلك الحقوق اثباتاً قاطعاً جعلها من حق الجماهير غير منازع وكانت أساس كل الديموقراطيات الجديدة.

ونلاحظ أن المؤلف في الفصل الأول ينوّه بفضل الايمان المجرد على المجتمع وأثره في تقدمه ولكنه يعود في الباب الثاني عند حديثه عن الديمقراطية فيبدي مخاوفه من هذا الايمان حاسباً اياه مادة متفجرة خطيرة لا يؤمن وقوعها في يد زعيم مندفع فتسوء العاقبة ، بل انه ليقرر ان مثل هذا الايمان الحامي لا بد له كنتيجة طبيعية من خلق زعيم وهنا الشر الذي يخشاه المؤلف .

أما آراؤه في اصلاح النظام الديمقراطي بعد أن قرر صلاحيته وأفضليته على جميع الانظمة المعروفة فهذه في حاجة الى مناقشة المختصين في هذه النظم . وكم يكون مفيداً أن يدور الجدل والنقاش حول مثل هذه الآراء الجديرة بالاهتمام التي يبديها المؤلف في كتابه فإننا أحوج ما نكون الى ثقافة سياسية اجتماعية مبنية على فهم النظام الذي نأخذ به وهو النظام الديموقراطي وان في كتاب ديموقراطية جديدة قدراً ان لم يكن كافياً لهذه الثقافة، فهو بلا شك محفّز للاستزادة منها وموجّه حسن التوجيه للراغبين .

٤ — رسالة بإنشاء مجلس فاروق الاول لتقدم العلوم باللغة العربية

الاستاذ محمد علوي عبد الهادي

هي رسالة صغيرة الحجم يتناولها القارىء وهو غير معتقد أن سيجد فيها فكرة يستطيع الوقوف عندها طويلاً فإذا قرأها وقف مفكراً وأمعن في التفكير في محتويات هذه الصحائف القليلة التي استطاع كاتبها الاستاذ محمد علوي عبد الهادي أن يطرق فيها موضوعاً على جانب من الاهمية نحن في أشد الحاجة اليه لتسير نهضتنا الحديثة على أسس ثابتة الدعائم وان البراهين التي ساقها المؤلف وغيرته على اللغة العربية والقومية الشرقية التي تتجلى في آرائه والحماس المدعم بالاطلاع اللذين يعزز بهما آراءه كلها مما يحملنا على التنويه بفضله وجهده . وكم نتمنى أن يكثر أمثال المؤلف من خريجي الجامعات المصرية فيجعلون همهم بعد التخرج استخدام ما تعلموه واكتسبوه من ثقافة الغرب كوسيلة للنهوض بثقافتنا الشرقية الخاصّة ، والتنويه بتراثنا الفكري الذي كان له فضل بعث الحضارة الأوربية الحديثة والذي يقوم مع الأسف بعض علماء أوربا بالاشادة بفضله أكثر مما يفعل أبناؤه.

م . ف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — لمحات من الدراسات المصرية القديمة

للدكتور باهور لبيب — مجلة المقتطف — ١٤٢ صفحة من القطع الكبير

لعلّ المصريين أجهل الناس بتاريخهم القديم

هذه حقيقة مرّة ، ولكن هذا لا يحول دون أن نسجلها هنا .

فلو كنا من الفراعنة مجهولون عندنا وإن كانوا معروفين عند طائفة كبيرة من علماء الغرب حتى غير المشتغلين منهم بعلم المصرولوجيا . وفلسفة الفراعنة تنال عناية من الأعاجم أكثر مما تلقاه من المصريين أنفسهم. ولعل هذه الحقيقة هي التي حدت بالأستاذ أحمد زكي سعد العالم الأثري المعروف الى طبع كتاب عن حفرياته في حلوان باللغة الانجليزية لا العربية لانه أحسّ أن في نشر كتابه بالعربية وأداً له بينما نشره بالانجليزية يتيح لمصنفه فرصة إثارة اهتمام بين الأوساط العلمية الأجنبية .

فالدكتور باهور لبيب مشكور إذن على عنايته بنشر كتابه الجديد «لمحات من الدراسات المصرية القديمة » ، ومجلة المقتطف محمودة الجهد في اشرافها على طباعته وفي خص قرائها به في خاتمة عامها الحالي كهدية سنوية نفيسة .

ولو شاء المرء أن يدوّن ملاحظات من قراءاته في كتاب الدكتور لبيب لكان عليه أن يعيد كتابة الكتاب بأمره . وما ذلك إلاّ لأن المؤلف صاغ في قليل من الكلام كثيراً من الحقائق ، وتخير بوجه خاص تلك الحقائق التاريخية التي تبرز المصريين القدماء — من فراعنة وقبط — بمظهر أصحاب عصر انبعاث في شتى مرافق الحياة .

وجولة قصيرة مع المؤلف في عالم مصنَّفه توقفك على ما فطر عليه المصريون الأقدمون من سعة أفق وصفاء ذهن وحسن استعداد لقبول الحضارة والعمل على تنميتها والأخذ بناصرها . ومن آفاقهم البعيدة في الرأي ، حرصهم على وحدة وادي النيل وحدبهم على شطر مصر الجنوبي حتى كان حاكم السودان يلقب باسم ابن الملك دلالة على أن فرعون ينتدب من يقوم مقام ابنه في ادارة شؤون السودان . وكان المصريون الفراعنة متضلعين من الطب — فعرفوا التشريح والتحنيط وتخصص أطباؤهم في أمراض الأسنان والبطن والعينين فدلّوا على أنهم كانوا عصريين في تفكيرهم . ولايت الدكتور باهور أثبت في هذا الشطر من كتابه ما كان للمصريين من فضل في كشف طريقة يتسنى لهم بها معرفة جنس الجنين قبل ولادته تلك الطريقة التي تبين أخيراً بفضل بحوث الطبيب المصري الدكتور نجيب رياض صحتها . وعرف الفراعنة القانون الجنائي والقانون المدني وكانت لهم محاكمات حكم في أكثرها إمّا بالاعدام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالخازوق أو بالنفي أو بجدع الأنف كما إنهم عرفوا محاكم الاختلاط لرفع الدعاوى على الأجنبيين من السكان . وتعشق المصريون الفن بضروبه فعرفوا الموسيقى والهندسة وتعلقت النساء بالزينة والتطرية وبرع منهن كثير في الرقص .

ومما يجدر إبرازه هنا بوجه خاص اهتمام الدكتور باهور بالتنبيه على الأخطاء التاريخية الشائعة فبيَّن أن مقالة « مصر هبة النيل » لم يكن هيرودوت أول من قاله بها وإنما نقلها عن عالم جغرافي يوناني إسمه هيكاتييه ، ودلَّل على أن الأدب القبطي والفن القبطي لم يكونا مقتصرين على الشؤون الدينية وإنما شملا كذلك شؤون الدنيا . وبرهن على أن سرابيوم الاسكندرية من صنع بطليموس الأول لا الثالث كما يقول البعض ، وأقام الدليل على أن الهكسوس من أصل سامي شرقي لا غربي .

وصفوة القول ان كتاب « لمحات من الدراسات المصرية القديمة » تعريف طيِّب للمصريين بالمصريين القدماء ومبحث نفيس يرجع إليه الأديب والعالم على السواء ليقفا على حقائق تاريخية مشرقة مشرِّفة .

٢ — عالم الروح

مجلة شهرية يصدرها الاستاذ احمد فهمي أبو الخير

الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير رائد مصري في علم الروح وعلمٌ من أعلامه في الشرق — وهم قلّة وعلم الروح علمٌ أصبح له خطره في الغرب حتى غدا مادة تدرّس في الجامعات الأوربية . ونعين لها كراسي في الجامعات العالمية الكبرى ويعترف بها رجال الدين في لندن

فليس أمراً عجيباً أن يصدر الأستاذ أبو الخير مجلة شهرية روحية تحمل رسالة هذا العلم الجديد إلى قارئ الصحف بعد ما كانت الرسالة مقصورة على قارئ الكتاب وليس من المتيسر أن تصدر تلك المجلة الخاصة بين زحمة الدوريات العامة التي تخرجها دور الطباعة في كل يوم

ولا ريب في أن في علم الروح أموراً كثيرة لا تزال مستغلقة على الفهم . ومهمة مجلة « عالم الروح » أن تفسر تلك الحقائق المستترة للعامة وتبين لهم أن وراء كثير من الأحداث عنصراً روحيًّا مجهولاً . وآية ذلك ما جاء في مقال نشرته المجلة من أن الرئيس روزفلت كان يستهدي في أعماله بآراء عالم الروح عن طريق الوسطاء الروحيين. وهذا القول له خطره لأن الرئيس روزفلت أعظم رؤساء أميركا بغير استثناء ومدة حكمه أطول مدة لرئيس فرد قضاها في البيت الأبيض .

فالأستاذ أبو الخير جديرٌ بالتهنئة على مجلته الجديدة ، ومن الامتاع والتثقيف الاقبال على تلاوة هذه المجلة .

وديع فلسطين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الخامس

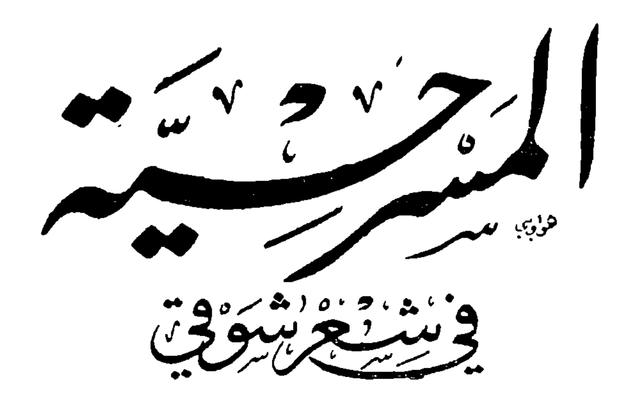
من المجلد الحادي عشر بعد المئة

لحق المقتطف

ربوط : جنة الصحارى الأفريقية وروض الصحراء الغربية : بقلم عبد اللطيف واكد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لواحق المقتطف الشهرية



تأليف

محمود حامد شوكت

ليسانس في الادب الانجليزي

ودبلوم معهد التربية العالي وماجستير في الآداب

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

١٩٤٧

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تقديم

هذه رسالة في « المسرح عند شوقي » ، اطلع صاحبها على بعض المسرحيات الأوربية وما كتب حولها من نقد أثناء دراسته الجامعية ، وتوسع في هذه الدراسة بعد نهاية هذه المرحلة ، ثم اتجه إلى الأدب العربي يحاول دراسة ظواهره المسرحية واستقر في النهاية على ظاهرة منتظمة في تاريخه ، وهي بضع مسرحيات ألفها أحمد شوقي بك في الأعوام الأخيرة من حياته .

وكان على الباحث استيفاء البحث عن جميع هـذه المسرحيات ، من مطبوعة ومخطوطة وناقصـة ، ودراسة المسرح المعاصر ومدارسه ، ودراسة حياة الشاعر بمقوماتـها السياسية والاجتماعية والأدبية ، حتى يمهد السبيل لدراسة هذه المسرحيات دراسة ترتكز على أساس سليم ، ودراسة فنه المسرحي كمركب من عناصر تدور حول نواة رئيسية وتتطور في اتجاه خاص ، ثم توضيح تأثير هذه المسرحيات في كتابة الـكتاب من بعده .

وبذلك انقسم الموضوع إلى مقدمة عامة عن المسرح الأوربي ، الذي أخذ شوقي فـكرة مسرحه عنه ، ويزداد اتصالنا به يوماً بعد يوم . ثم عرض عام للظواهر المسرحية في الأدب العربي وتعليل عدم اكتمالها لصورها الفنية ، وعرض عام للمسرح المصري من أيام الحملة الفرنسية حتى عصر إسماعيـل . ثم لزم عرض أكثر تفصيلاً للمسرح المعـاصر لشوقي ، والذي مهد لظهوره بحيث تفاعل مع المقومات الأدبية للشاعر ، وتبع ذلك عرض لفن شوقي كمركب يدور حول وحدة ، ثم عرض مفصل لـكل مسرحية وقيمتها الفنيـة وتأثرها بغيرها ، ثم تأثير مسرح شوقي في المسرح الذي أتى بعده .

وكان من اللازم لاستيفاء البحث من الاطلاع على مخطوطات ومجلات ومسرحيات عفا عليهـا الزمن ، والاتصـال برجال المسرح ، وبمن اتصلوا بشوقي . ومن تحليل دقيق لبعض المسرحيات التي لم تعد تمثل حتى اليوم ليكون البحث على أساس صائب قدر الإمكان .

وقد كان المرجع الرئيسي الدائم حضرات الأساتذة المشرفين ، فلصاحب العزة الأستاذ احمد بك أمين ، ولحضرة الدكتور شوقي ضيف ، ولحضرة الدكتور صبري فهمي شكر عميق على الجهد والعطف والتشجيع والتوجيه القيم الذي شملوا به صاحب هذه الرسالة .

وللشاعر خليل بك مطران ولرجال الفرقة القوميـة فضل يشكر على إدلائهم بآرائهم فيما يتصل بالموضوع ، وللأستاذ حسين شوقي نجل الشاعر الشكر على المساعدة في الاطلاع على المخطوطات والإدلاء بالمعلومات التي تتصل بحياة الشاعر الخاصة .

المؤلف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مقدمة

المسرح الأوروبي

١ — المسرح اليوناني : منشؤه الغنائي . تطور المأساة وأهم كتابها . تطور الملهاة وأهم كتابها . المسرح الإغريقي وشكله . النقد المسرحي وكتاب الشعر لأرسطو. قيمته ومدلوله من الوجهة العامة والوجهة الخاصة .

٢ — المسرح الروماني : تقليده للمسرح اليوناني . انحطاط المأساة . تطور الملهاة . أثر الحياة الاجتماعية وطبيعة الشعب في انحطاط الأدب المسرحي . النقد وكتاب الشعر لهوراس .

٣ — المسرح في العصور الوسطى : المسرح الشعبي المتجول . المسرح الكنسي ونشأته . خلط النقاد والمؤلفين بين مذاهب الشعر الغنائي والشعر المسرحي . الكوميديا الإلهية لدانتي .

٤ — المسرح في عصر النهضة : الحماس للتراث الكلاسيكي . مظاهره في إيطاليا وفرنسا وانجلترا . سيطرة الآراء الكلاسيكية والمؤلفات الكلاسيكية . هبوط موجة الحماس وظهور الألوان المحلية في آداب البلاد المختلفة . التراث الكلاسيكي في إيطاليا وفرنسا : كورني وراسين وفولتير . المسرح الرومانتي في انجلترا : مارلو وشكسبير . انتشار المذهبين في أوروبا .

٥ — الدراسة الحديثة : النقد الكلاسيكي وسيطرته على النقاد حتى القرن السابع عشر . أوجييه ودريدن وحركة التحرر ، الدرامة الحديثة وبواعثها الاجتماعية . أهم خصائصها . النقد الحديث .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦ — النقد المسرحي : الأسلوب العلمي وعلم النفس الحديث . القيمة الخارجية للمسرحية.
الممثل والجمهور . القيمة الذاتية للمسرحية : الموضوع . الشخصيات .
الحوار. صلة القيمة الخارجية بالقيمة الداخلية . تعاون المخرج والمسرح
والممثل على تجسيم ما يصوره الكاتب . اتكاء النقد على المسرحية في
تحديد قيمتها الفنية .

الفن المسرحي فن عريق في التاريخ، متسع المدلول، بعيد الأثر في النفوس، يتخذ جذوره، ويجتذب إليه عقول المؤلفين والنقّاد، في كل أمة ينتقل إليها. ويرتفع خلال ذلك إلى آفاق إنسانية سامية خالدة.

وترجع صفحات تاريخ المسرح الأوروبي — كما رصدها مؤرخو المسرح — الى القرن الخامس قبل الميلاد، إذ تطورت الأناشيد في بلاد اليونان، تلك الأناشيد التي كان ينشدها الشعب الأغريقي في عيد إله الخمر باخوس إلى قصص مستمدة من التاريخ الشعبي ابتدأ بتأليفها اسخيلوس (٥٢٥ — ٤٥٦ ق . م) ووضع فيها حواراً مبسطاً، ثم اكتسبت شكلاً دينيًّا مسرحيًّا على يد سوفوكليس (٤٩٥ — ٤١٦ ق . م) . ثم بلغت صورتها المسرحية الإنسانية الخالصة في مسرحيات يوريبيد (٤٨٠ — ٤٠٦ ق . م) .

فلنصوّر لأنفسنا صورة مسرحية من هذه المسرحيات تمثل في مسرح صغير يتسع لثلاثة من الممثلين، يرتدون الأحذية المرتفعة واللباس الثقيل والأقنعة المصبوغة . ويغير الممثل ملابسه وشكله ليمثل شخصيات مسرحية مختلفة . ولنصوّر لأنفسنا جوقة موسيقية تنشد أناشيد دينية، وتعلق على الحوادث المسرحية من آن لآخر تعليقاً غنائيًّا بين الفصول والمناظر التي لم توجد على المسرح الأغريقي . ولنصور لأنفسنا مدرّجاً يتسع للآلاف من المتفرجين، ينحني في شكل حذاء الفرس حول المسرح، ويتسع للآلاف من الناس وهم يشاهدون التمثيل من مدرجهم المنحوت في جانب الجبل .

ولنتأخر في الزمن قليلاً لنشهد نوعاً مسرحيًّا آخر غير المأساة، انتقل إلى أثينا من صقلية، وتطور فيها من الأفراح التي أقيمت في عيد إله الخمر، ولنلاحظ تطورها من صور قصصية واقعية تعرض لنقد أناس وتذكر أسماءهم الواقعية، إلى الصور النهائية لهذا النوع .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولنسمه الملهاة ، التي تغفل الوقائع وتستمد صورها العامة من الشذوذ الإنساني ، وتعرضه عرضاً فكاهيًّا ، كما ظهرت على يد ميننا ندر (٣٢٠ ق . م).

ولننظر نظرة سريعة إلى صفحات النقد في هذا العصر البعيد ، إذ صاحب التأليف المسرحي نقد كان لبعضه أثر خالد دائم المدلول . وتبرز من بين صفحات هذا النقد ، ما ذكره ارسطو في كتابه عن فنون الشعر ، اذ بحث فيه — بحثاً مجرّداً نظريًّا فلسفيًّا — شعر المأساة وشعر الملحمة ، ويظن بعض النقاد أنه كتب جزءًا عن الملهاة لم يصل إلى أيدينا . وقد فصّل ارسطو في كتابه قيمته المسرحية الفنية من موضوع وشخصيات وحوار ، وقد استمرت آراؤه ذات أثر على عقول النقاد والمؤلفين حتى القرن السابع عشر الميلادي ، ثم انقلب الحماس لها إلى ثورة متطرفة ، وإننا ننظر إليه اليوم على أنه وثيقة تاريخية ، وأنموذج للروح العلمي الدقيق . ورغم عدولنا عن بعض آرائه ، وتحويرنا لبعضها ، فقد بقيت آراؤه الأساسية سليمة في جوهرها .

* * *

ولنطو صفحات القرن الخامس قبل الميلاد من تاريخ المسرح ، ولنطو معها صفحات مجد أثينا وبلاد الأغريق ، ولنتبع دورة الحياة والحضارة إلى رومة حيث وجدت الحضارة اليونانية وطناً ثانياً أشرقت فيه ، إذ احتذى الرومان حذو الإغريق ونحوا نحوهم في مناهج حياتهم وأدبهم . على أن الأدب المسرحي لم يزدهر فيها ، إذ لم تسمح طبيعة الشعب الروماني الاجتماعية ، وميله إلى مشاهدة المناظر الحسية المثيرة كمصارعات الوحوش ، بتطور الجوانب المسرحية الفنية غير المحسوسة ، ولئن كان لذلك أثره في انحطاط المأساة ، فقد كانت الملهاة أسعد حظًّا إذ تقدمت مما وصلت إليه المأساة ، وبرع في التأليف الكوميدي بلوتس وتيرنس . على أن الملهاة الرومانية في أرفع صورها لم تتفوق على الملهاة الاغريقية الرفيعة ، ولم يضف نقاد الرومان كثيراً إلى النقد المسرحي ، بل تطورت أساليب النقد إلى قواعد شكلية ، وتقليد مقيد لتعاليم اليونان القدماء ، فأتى كتاب النقد لهوراس (٦٥ — ٨ ق . م) تطبيقاً يضع القاعدة دون أن يسبقها التحليل والاستقراء كما نهج ارسطو ، فقسم الشعر في كتابه عن فنونه الى أنواع ، وبين بحوره وأوزانه . ووصف شخصيات المسرحية وفصول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الموضوع بأسلوب جامد حيث لم يصل القاعدة بمثال، واكتفى بالإشارة إلى النماذج الاغريقية وتقليدها تقليداً دقيقاً .

* * *

وانطوت صفحة الحضارة الرومانيـة بسقوط روما ، واستمر المسرح في شكل فرق تتجول في أنحاء أوربا دون أن تستقر في مكان واحـد ، وتمثل مخلفات المسرحيـات الكلاسيكية، وانحطاط الناس الخلقي، مما اضطر رجال الكنيسة إلى مقاومتها متخذة وسائلها في كل بلد ، وهكذا نشأ مسرح كنسي تمثل فيه مسرحيات دينيـة للوعظ والإرشاد، وبذلك تكوّنت المجموعات الدينية والخلقية . وأتت هـذه المسرحيات ذات أهمية تاريخية أكثر منها أدبية ، إذ اختلطت فيها مذاهب الشعر الغنائي والشعر المسرحي والقصة . فسمى دانتي (١٣١٨م) قصته بالـكوميديا المقدسة ، رغم أنها قصة ، وليست مسرحية، وعلل ذلك بأن بدايتها محزنة ونهايتهـا سعيدة . وتنطوي صفحة تاريخ المسرح بسرعة في أواخر العصور الوسطى، إذ ساد أوربا سبات عميق، وتقلصت مراكز الثقافة بالتدريج من الميدان الاجتماعي، وانحصرت بين جدران الأديرة، واقتصرت على جماعة قليلة من رجال الـكنيسة الذين جمعوا بين الثقافة الدينية واللاتينية .

***

وظهرت معالم الأدب المسرحي من جديد إلى عالم الوجود حين هبت أوربا من سباتها في عصر النهضة ، وتخلصت من أوزار تقاليـد العصور الوسطى وأغلالها ، وانتشر بين النـاس حماس لـكل ما هو كلاسيكي ، وكشفت الآفاق المنسية للحضارة الـكلاسيكيـة . وقد بدأت موجة الحماس في إيطاليا ، وظهرت في النحت والتصوير خاصة ، ثم انتقلت إلى فرنسا، وظهرت في الهندسة والبناء خاصّـة . ثم انتقلت إلى انجلترا حيث ظهرت في الأدب خاصّـة . على أن أحد هذه الصور لم ينعدم في أي من هذه البلاد ، فقد تأثر الـكتاب في إيطاليا بآراء الـكلاسيكيين وحذوا حذوهم في الأدب شكلاً ومادة ، فترجمت كتب النقد لأرسطو، وعلق عليهـا النقاد وشرحوها ، ومن إيطاليا انتقلت إلى بقية أوربا .

ومن الطبيعي أن تهبط موجة الحماس للتراث الـكلاسيكي بالتدريج ، وأن تبدأ الألوان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المحلية ، والمميزات الاجتماعية في الظهور . فنرى حركة التأليف المسرحي الكلاسيكي تنتقل من إيطاليا إلى فرنسا وتبلغ ذروتها في مآسي كورني (١٦٠٦ — ١٦٨٤ م) وراسين (١٦٣٩— ١٦٩٩ م) وفولتير (١٦٩٤—١٧٧٨ م) وملاهي موليير (١٦٢٢—١٦٧٣ م) بصورها الكلاسيكية التي ورثها الفرنسيون عن اليونان والرومان ، رغم أنهم استمدوا الوحي في التصوير والتحليل الخلقي والاجتماعي من العصر .

ونزع المسرح الإنجليزي نزعة استقلال عن الأنواع الكلاسيكية ، فجنح عن البساطة إلى التعقيد في الموضوع ، وعن تجانس الشخصيات وقلة الحركة ، إلى تنويع متسع فيه حركة وحيوية ، وعن الشعر المقفى كوسيلة للحوار إلى الشعر المرسل عند الإنجليز ، وعن الاقتصار في المسرحية على موضوع يصور مأساة أو ملهاة ، إلى موضوع يجمع بينهما . وقد وصل المسرح الرومانتي إلى غايته في مسرحيات شكسبير (١٦١٦ — ١٦٥٤ م) .

وانتشر المسرح بصورتيه الكلاسيكية والرومانتية بعد ذلك الى أوربا ، على أن المسرح الرومانتي كان أوسع ذيوعاً وانتشاراً عن المسرح الكلاسيكي .

وصاحب هذا التأليف المسرحي نقد اتبع في شكله العام مناهج النقد الكلاسيكي ، سواء في انجلترا أو فرنسا . وفصل النقاد بين صفات الشعر الغنائي والشعر المسرحي. واتضحت لوازم المسرح من جمهور وممثل في لوحة النقد . وشاعت آراء أرسطو بعد أن اكتشفت النسخة العربية لابن رشد ، وترجمها هرمان إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر ، واكتشفت النسخة الأصلية في القرن الخامس عشر . واستمر تأثير آرائه حتى القرن السادس عشر ، وأحيطت بهالة من التعظيم والتقديس في ايطاليا وفرنسا وإنجلترا . حتى ظهر في القرن السابع عشر أوجيبه بفرنسا (١٦٧٠ م) ودريدن بانجلترا (١٦٣١ م)، وبينا مزايا المسرح الرومانتي ونجحا في تحرير عقول النقاد من السيطرة الأدبية للآراء الكلاسيكية . وانقلب التشيع لها إلى عداء اتضح في تمثيل أول مسرحية رومانتية مثلت في فرنسا ، وهي كرومويل لهوجو . على أن التطرف في المشايعة أو العداء انقلب إلى روية في الدراسة . ففصلت مزايا كل نوع على حدة وحددت قيمته ، وفصل النقاد بين المقتضيات التي تستدعيها أحوال اجتماعية وتقاليد دينية خاصة وبين ما يقتضيه المثل الأعلى الفني .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونبلغ نهاية صفحات تاريخ المسرح في هذا النوع الجديد المعروف بالدرامة الحديثة ، فنلحظ معه تطوراً اجتماعياً أظهر طبقة جديدة هي الطبقة الوسطى ، وانقلاباً في نظام الحياة بعد الثورة الصناعية وما أحدثته من مشاكل . فبدأ الفرد يبرز ويشعر بمكانته ، واتصل المسرح بالانقلاب الاجتماعي ، وسعى إلى تصوير مشاكل الحياة العادية . وما زالت الدرامة ممثلة للنوع المسرحي اليوم ، ومن أعلام كتابها إبسن النرويجي (١٨٢٨ — ١٩٠٦م) الذي ابتدعها ، وشو الانجليزي وتشيكوف الروسي (١٨٦٠—١٩٠٤م).

وساير هذا النوع الجديد حركة نقد متسعة النطاق في أوربا ، كديدرو (١٧١٣ـ١٧٨٤م) ولسنج (١٧٢٩ — ١٧٨١ م) وكولردج (١٧٧٢ — ١٨٣٤ م) وهازلت (١٧٧٨ — ١٨٣٤م) وأدخل شليجل (١٧٥٧ — ١٨٤٥م) المنهج المقارن في المانيا بألمانيا ، وبسطت المشاكل المسرحية على ضوء النتائج التي وصل إليها علم النفس ، والمسرح ولوازمه ، وانبعثت روح أرسطو العلمية التحليلية — للوصول الى الحقيقة المجردة — إلى الوجود . وتتشعب سبل النقد المسرحي وتتعدد صور تآليفه وأمكنتها وبواعثها . على أنها تعتمد بشكل عام على اعتبارات خارجية تميزه عن الفنون الأدبية الأخرى ، واعتبارات داخلية تتصل بتركيب المسرحية ، وبين هذه الاعتبارات جميعاً اتصال وثيق .

* * *

فالمسرح فن يحاكي الحياة محاكاة واسعة النطاق ، ولا يقلدها تقليداً مقيداً بالزمان والمكان الواقعين . وإنما يختار الكاتب عناصر ذات مدلول من الحياة ، سواء من شخصيات أو أحداث ، ويؤلف بينها في فكره ويحركها في عالم خيالي إلى نهاية محتومة ، فيقدم لنا صورة تمثل الحياة صافية من شوائبها وتفاصيلها ، ومسيرة إلى غاية قد لا نلمسها في الحياة . على أنه يشاركه في ذلك فنون أخرى من غنائية وقصصية . ولذا لزمت زيادة هذا التعريف بأن المسرح يقدم المسرحية لجمهور مجتمع في ظروف خاصة ، وله صفات نفسية خاصة ، فالكاتب المسرحي يقدم مسرحيته عن طريق وسائط هي المسرح والممثل . والممثل طاقة ، وللمتفرج طاقة . ووراء هذه العوامل ، عوامل عملية ، اقتصادية واجتماعية وسياسية ، يحسب لها الكاتب المسرحي حساباً خاصاً.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقيمة المسرحية متصلة بالتمثيل المسرحي ، وهي مناسبة له ، على أنه لا يجب أن تعتمد المسرحيـة في نجاحها على الممثل والأدوات المسرحية وجمال المناظر . وإنما للمسرحية قيمة ذاتية منفصلة عن التمثيل . فالتمثيل والمنظر معتمدان على المسرحية . ويحدد الجمهور جانباً آخر من الوسيلة التي يرعاها الكاتب المسرحي ، والطريق إلى الجمهور — كما بين علم النفس — هو الإيحاء في اللفظ والعبارة ، والاتصال به عن طريق عاطفته لا عقله ، ومخاطبة خياله ، والسعي إلى اجتذاب اهتمامه بالمفاجآت والتشبع بالحياة دون كلفة . وفي مقدمة العناصر ذات الحيوية في المسرحية، صور الصراع النفسي والحسي في الشخصيات ، وأولها هو خير الأنواع وأرقاها وأسماها .

* * *

وتنقسم المسرحية بعد ذلك إلى فصول ومناظر وشخصيات وحوار . ويستلزم العرض المسرحي تقسيم المسرحية إلى فصول يشغل تمثيلها ساعتين تقريباً . تعرض فيها الحوادث عرضاً تمثيليًّا، وتركز حوادثه في كل فصل . ويجعل أرسطو للموضوع أهمية كبرى ، على أن للشخصيـات صلة قوية بالموضوع . وكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به . ولا بد من انسجام هذا الموضوع. وقوة تأثيره عن طريق هـذه الوحدة . ولا بد أن تتضح بدايته ووسطه ونهايته . وأن تتضح الأسباب والمسببات ،فتعرض الافتتاحية في الفصل الأول ، سواء عن طريق حوار ، كما هي الحال عند شكسبير ، أو مفاجأة كما عند أسخيلوس . على أن الموضوع يتحرك بعد الافتتاحية مباشرة ، ويسير نحو الأزمة فالانقلاب ، فالاكتشاف أو التعرف . ولا بد من تشبع الحوادث بالحيـاة ، ولا بد من تمثيلها تمثيلاً يصل إلى الجمهور عن طريق عواطفه . ويستعين الكاتب في ذلك بالمفاجأة والشك والصراع والتهكم المسرحي ، ويجب أن تتصل بالتطور الذاتي للموضوع والشخصيات ، لا أن تتوارد عن طريق الصدفة أو الافتعال

وتعبر الشخصيات عن الموضوع وتتحرك في مجاله وتؤثر فيه . ويكسوها الكاتب بالحياة ويقابل فيما بينها، ويوجز في تحليلها ويركز، مستعيناً بالتلميح والإشارة والإيحاء لا الإطناب . ولا بدّ من أن تكون منسجمة الأقوال والأفعال ، صادقة التصوير .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتعبر الشخصيات عن نفسها بالحوار، ولغة الحوار لغة فنية ليست كلغة الحياة العادية ، وهي إمَّا شعر أو نثر أو شعر مرسل . على أن الشعر يغلب كتعبير للمأساة ، إذ هو أنسب الوسائل للتعبير عن العواطف والأهواء ، وعن موضوع المأساة. ويغلب النثر كأسلوب للملهاة إذ هي تتناول ما هو عقلي . على أنه قد يوجد الشعر في الملهاة والنثر في المأساة تبعاً لمكانته الشخصية أو دواعي الموقف ، وفي الحالين لا بد من أن تكون اللغة نقية صافية مرتفعة عن مستوى الحديث العادي .

وليس الحوار غاية في ذاته ، إذ يخضع لدواعي المسرح وسمات الشخصية ومعنى ذلك أنه لا يوجد لصفات غنائية خالصة . والكاتب المبتدىء يسعى الى إحداث التأثير المسرحي عن طريق الشعر دون التشخيص الجيد والتطور الداخلي للشخصيات والموضوع ، ويعتمد المنظر على المسرحية ، بمعنى أنه يوضح ويجسم ما تستدعيه الحوادث المسرحية . ويتعاون الممثل والمخرج ، وما يصور من مناظر وما يجهز من أدوات مسرحية، من إضاءة واصوات ، على إكساب المسرحية ثوب الحياة وتجسيم ما سعى الكاتب إلى تصويره في عالمه الخيالي الفكري.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المسرح المصرى قبل شوقى

الباب الأول

١ — ظواهر مسرحية في الأدب المصري القديم

إشارة هيرودوت وبلوتارك إليه . اكتشافات كونتز وكورت وسليم بك حسن . مميزاته الدينية . أهميته التاريخية . أسبقيته للمسرح اليوناني

ظلت صفحة الحضارة المصرية القديمة في طي الخفاء حتى كشفت عن بعض نواحيها الحفائر الحديثة بآثارها في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي . وترجمت أوراق البردى في متاحف برلين ولندن والقاهرة فوضحت لنا نواحي هذا الأدب العامة . على أن الأدب المسرحي خاصة لم يستكمل صورته بعد ، رغم إشارة هيرودوت المؤرخ الأغريقي وبلوتارك إلى وجود طقوس دينية قام بها الكهنة في المعابد ، وأكسبوها شبه عرض تمثيلي يستمد قصصه من قصة إيزيس وبحثها عن أوزيريس . وهذا التلميح كانت تعوزه الشواهد والأدلة . كما كان يقف عند الصورة البدائية للمسرح المصري القديم دون أن يوضح تطوره . واستمرت فكرتنا عن المسرح المصري القديم على هذه الصورة حتى تتالت الاكتشافات والبحوث التي قام بها إرمان وكونتز سنة ١٩٢٢ وكورت عام ١٩٢٨ وسليم بك حسن سنة ١٩٣٧ ودريتون، وتتلخص بحوث إرمان وكونتز وكورت كما ذكرها عبد القادر حمزة باشا [١] في أن إرمان عثر على نصوص تمثيلية تدور حول قصة حوريس وسيت ، واحتكام حوريس إلى جب يشكو إليه قتل سيت لأبيه أوزيريس . وتنتهي القصة ببعث أوزيريس إلى الحياة من جديد بعد أن انتقم حوريس له من سيت . واكتشف كونتز حجراً جنازياً في أدفو ، أقيم لذكرى الموتى، ونقشت عليه العبارة الآتية « إنني أتبع أستاذي وسيدي أينما سار

(١) على هامش التاريخ المصري القديم ج ٢ ص ١٧ — هامش .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دون أن أنصرف عن التمثيل ، فأنا أقف أمام أستاذي وسيدي وهو يمثل لأبادله الحوار ولأساعده». فاذا كان يمثـل دور الإله مثلث دور الملك ، وإذا أمات فإنني أحيي موتاه».
واكتشف كورت نقشاً يمثل مشاهد من مسرحية دينية فرعونية مدونة على أوراق البردي في أربعين مشهداً ، تدور حول أوزريس وأيزيس وحوريس وعدوهم ست . وعثر دريتون على حوار صريح لمسرحية مصرية لامجرد مذكرات أو ملاحظات عنها . ويدور موضوعها حول مأساة حوريس ولدغ العقرب له ، وتوسل إيزيس إلى الإله توت لينقذ ولدها من الموت .

على أن أوسع دراسات للمسرح المصري القديم قد ظهرت على يد سليم بك حسن ، الذي عرض لأنواعها وفصلها بشكل واضح . وقد عثر على رسوم تمثل رئيساً لفرقة من الراقصين ينظر إلى ورق بردي بين يديه يراجع فيه حركات الرقص .[1]

***

وتدل هذه الشواهد على وجود التمثيل ذي المشاهد المسرحية في مصر القديمة كما تدل على أنه ابتدأ داخل المعبد ثم خرج إلى الشعب ليسليه بمعالجة بعض شئون الدنيا . وكان يقوم بتمثيل المسرحيات ممثلون متجولون في أنحاء البلاد، وكانوا يقومون بأداء بعض الرقص والغناء في الساحات أو في صحون الدور . وتدل هذه الشواهد على وجود أكثر من ممثل في فرقة واحدة ، إذ تحتاج على الأقل إلى شخص يقوم بدور الإلـه ، وآخر بدور التابع وثالث ليقوم بدور القاتل . وبذلك يكون فن التمثيل قد وجد بمصر القديمة قبل أن يوجد في بلاد اليونان . بل لا نستبعد صدق قول هيرودوت بأن المسرح الاغريقي قد استمدَّ مقوماته الأولى من المسرح الديني الفرعوني . سيما أن العبادتين المصرية القديمة والإغريقية الأولى متشابهتان إلى حدٍّ كبير . فأوزيريس الإله المصري القديم وباخوس الإلـه الاغريقي يرمزان للخصب ونضرة الحياة . هذا بالرغم من أن المسرح الإغريقي القديم قد خرج إلى الحياة العامة وانفصل عن الدين ، بينما لم يخرج المسرح المصري القديم عن مجاله الديني، كما تدل على ذلك الآثار التي بين أيدينا . وربما كشف البحث عن آثار أخرى تلقي ضوءاً على صفحات هذا المسرح وتطوره وأنواعه وأشكاله .

---

(١) الادب المصري القديم : جـ ١ الباب الاول .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢ — ظواهر مسرحية في الأدب العربي في العصور الوسطى

طويت صفحة الحضارة المصرية القديمة ودخلت مصر تحت حكم اليونان فالرومان. ثم فتحها العرب في أوائل القرن السابع الميلادي، ونشروا فيها أدبهم كما نشروا دينهم، ودخلت في زمرة البلاد الإسلامية وصبغت حياتها بصبغة الحضارة الإسلامية.

ويعثر الباحث في تاريخ الأدب العربي في العصور الجاهلية والإسلامية الأولى على ظواهر أدبية تشبه إلى حدّ كبير تلك الظواهر الأدبية التي تطوّر منها المسرح المصري القديم، والمسرح الإغريقي، والمسرح الأوربي في بدايته الثانية في عصر النهضة. فقد وجدت الآلهة ووجدت الأسواق التي تناشد فيها الشعراء والخطباء الشعر والخطب في مواسم معينة من السنة. وقد اجتمع الاغريق في أعياد دينية مشابهة احتفالاً بباخوس إله الخمر. بل عثر الباحثون على ظواهر مسرحية في العصور الاسلامية الأولى ذكرها السيد توفيق البكري [1].

فوجد عند العجم بعد الإسلام ما يشبه المسرح، إذ احتفل الشيعة من أنصار علي بن أبي طالب في يوم عاشوراء من كل عام بذكرى مقتله — وألفوا في هذه الذكرى رواية تمثيلية تبدأ بخروج الحسين من المدينة، وتستمر حتى يصل إلى كربلاء وتنتهي بمقتله فيها. وسمى الأعجام هذا اليوم باسم « روز قتل » أي « يوم القتل » وحضر لمشاهدة الفصل الذي يقتل فيه الحسين رجال الدولة وعلى رأسهم الشاه، حيث شاهدوا الحسين وعائلته كالعباس وجعفر وزينب وسكينة وكلثوم وأم ليلى، وعمر بن سعد وغيرهم. ومثلت القصة في ساحة نصبت فيها الخيام ورسمت عليها عبارات الحداد، وبعدها ينشد على القوم مقتل الحسين شيخ بنغم محزن تهيج له عواطف السامعين فيبكون ويندبون وينوحون، ثم يطوف عليهم الشيخ بقطعة من القطن يلتقط بها دموعهم، ثم يقطرها في قارورة تحفظ للاستشفاء بها عندما يعز الشفاء، وينتهي التمثيل بإحراق أعشاش في جوانب الساحة التي مثلت فيها القصة على أنها كربلاء، ويظهر في النهاية قبر الحسين مغشى بالسواد ». وذكر ظاهرة تمثيلية أخرى في القصة التالية: —

قال عبد الرحمن بشر (كان في زمن المهدي رجل صوفي، وكان عاملاً عالماً لا يترك

---

(١) صهاريج اللؤلؤ صفحة ٢٥٨.

أسلوباً ولا سبيلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهذيب الأخلاق ، وتربية النفوس إلا فعله . وكان يخرج كل يوم اثنين وخميس الى جهة بخارج بغداد ، فتجتمع عليه الخلائق من رجال ونساء وصبيان، فيصعد تلاً وينادى بأعلا صوت : « ما فعل النبيون والمرسلون ، أوليسوا في أعلى عليين » فيقولون « نعم » فيقول « هاتوا أبا بكر صديق » . فيتقدم رجل فيجلس بين يديه فيقول «جزاك الله خيراً يا أبا بكر عن الرعية» فقد عدلت فقمت بما أرضى الله، وخلفت محمداً صلى الله عليه وسلم فأحسنت الخلافة ، ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع، وفرغت منه إلى أوثق عروة ، وأحسن ثقة ، وفعلت وفعلت » ويذكر ما قام به من جليل الأعمال . ثم يقول « اذهبوا به إلى أعلى عليين » . وينادي « هاتوا عمر » . ويتقدم رجل آخر فيقول: «جزاك الله خيراً». وهكذا يأتي عثمان وعلي ومعاوية ويزيد وعمر بن عبد العزيز ثم العباس ويحاكم كلاً بفعله) . وتشبه هذه الظواهر المسرحيات الأخلاقية التي أقامتها الكنيسة في بداية العصور الحديثة في فرنسا وانجلترا ، حين مثل القسس قصصاً مستمدة من التاريخ الديني لتهذيب النفوس ومحاربة المسرح الشعبي البذيء بوسائله .

ولم يخل الأدب المصري الشعبي في أيام المماليك من مثل هذه الظواهر التمثيلية . وكثر ذلك في روايات خيال الظل إذ نزعت إلى تمثيل قصة عن طريق الحوار . وقد كشف بول كاليه عن قصص كاملة كانت تعرض بطريقة خيال الظل، وتشتمل على محاورات تدور حول حوادث القصص[1] . وذكر أن هذا النوع كان ملهاة الطبقات العليا قبل أن يكون ملهاة الطبقات الدنيا .وتتوارد أخبار هذا النوع من الأدب في تاريخ العصر الايوبي خاصة . فتذكر هذه المراجع أن صلاح الدين الايوبي ووزيره القاضي الفاضل قد شهدا مشهداً من خيال الظل عام (٥٦٧ هـ) ١١٧١ م . ويذكر ابن إياس أن السلطان جقمق أصدر أوامره في عام (٨٥٥ هـ) ١٤٥١م بحرق كل الشخصيات التي ظهرت في خيال الظل . كما ذكر أن السلطان محمد أبا السعادات طرب كثيراً لفكاهات خيال الظل لممثلها أبي الخير أثناء المولد النبوي عام (٩٠٤هـ) ١٤٩٨م . وقد اجتذب هذا النوع من التسلية السلطان سليم الأول بعد فتحه لمصر، إذ حضر رواية تمثل إعدام طومان باي، واصطحب معه الممثل إلى اسطنبول. وتعتمد هذه القصص على

---

(١) مجلة الادب والفن — عدد ٣ — ١٩٤٤ ص ٦٠

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحوار، وقد استعملت الزجل أسلوباً لها أحياناً ، والشعر أحياناً ، والسجع أحياناً . فكتب الشيخ مسعود وعلي النحلة وداوود العطار روايات زجلية . وكتب ابن دانيال روايات بالشعر والسجع. واتخذت هذه الروايات مواضيعاً من الحياة المعاصرة وفي حوادثها وشخصياتها. ففي رواية (غريب وعجيب) تعرض شخصيات مختلفة لثلاثين نوعاً من الرجال الذين عاشوا في أسواق القاهرة ، ووصف كل رجل مهنته بطريقة فكاهية تذكرنا بطريقة الشاعر جيوفري تشوسر الإنجليزي في القرن الخامس عشر في (قصص كانتربري) حيث عرض شخصيات متنوعة خلال القصيدة . ولابن دانيال رواية أخرى هي (طيف الخيال) وبطلها هو الأمير وصال وتابعه طيف الخيال الأحدب القصير . ويحلل الكاتب هاتين الشخصيتين تحليلاً طريفاً ، فيظهر مواطن الضعف في الشخصية الأولى ومواطن الشذوذ في الشخصية الثانية . ويعرض لنواحي اجتماعية عامة . وموضوعها اجتذاب الخاطبة للأمير بعروس موهومة ذات جمال ومال فيجدها شوهاء حين يتزوجها .

وهذه الروايات بسيطة في موضوعها وأشخاصها وحوارها لتلائم ذوق العامة ومستوى إدراكها .

على أننا لا نستطيع أن نقطع بوجود أدب مسرحي في الأدب العربي . ونكاد نشعر بوجود حائل حال دون تطور هـذا الفن في العصور الجاهلية والإسلاميـة سواء في الآداب الشعبية أو الآداب العربية الراقية . وإذا رجعنا الى العصور الجاهلية وجدنا عبـادة أوثان وآلهة كما عند الاغريق . وإذا انتقلنا الى العصر العباسي لمسنا اتصال الأدب العربي بالآداب الكلاسيكية . واتصل الأدب العربي بالآداب الاوربيـة حين انتقل المسلمون إلى الاندلس فلم يوجد في الأدب العربي فن تمثيلي مستقل عن الشعر الغنائي ، واضح المعالم ، بين السمات . سنجد بعض أسباب ذلك في العوامل الاجتماعية الخاصة بالعصر، ومنها ما ذكره الاستاذ زكي طليمات من أن الوثنية الجاهلية الأولى بدائية مبنىً ومعنىً ، فهي هزيلة التركيب ، ضحلة الغور لم تبلغ التناسق والتكامل الاغريقي ، ولم تحي وتكتسب أبعاد انسانية ومدلولاً فنيًّا يوحي بالجمال [1] وعلى ذلك لم يكن من الممكن أن يوجـد مسرحي ديني ، ثم مسرح دنيوي يعني

---

(١) التمثيل ولماذا لم يعالجه العرب مجلة الكتاب نوفمبر ١٩٤٥ ص ١٠١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بشؤون الآلهة والناس . هذا إذا أضفنا إلى ذلك قسوة الحياة الجاهلية التي شغلت الإنسان عن الترف الفكري وبحث القيم المثالية العليا .

ووجد دين جديد بسيط التركيب لا إبهام فيه ولا تعقيد . وقد عمل أنصاره على محو الآثار الجاهلية مادية ومعنوية محواً تامًّا سيما الأوثان . وبذلك وضع حد لما كان يمكن أن تتطور إليه الوثنية الجاهلية . ولم يخف الدين الجديد كرهه لفنون النحت والزخرفة وما يقوم على تقليد مظاهر الطبيعة ونسخ نواحيها المختلفة، هذا إلى انصراف المجتمع الإسلامي إلى نشر مبادئه ومناهضة أعداء دينه . وصار القرآن محور الأدب في العصر الأول وطبع بطابعه التفكير الإسلامي، وشغلت الديانة الجديدة الواحدية المبسطة المتقشفة بمناهضة الوثنية ذات الآلهة المتعددة، وما اتصل بها من طقوس، ووضعت مكانها شعائرها البسيطة، ومعنويتها القوية .

واستمرّ هذا الاتجاه في العصر الأموي حتى العصر العباسي . وابتدأ الاتصال بالآداب الإغريقيـة من القرن الثاني حتى القرن السادس للهجرة ، وفيه ترجمت العلوم والمعـارف المختلفة ، ولـكننا لا نجد فيها مسرحية واحدة مترجمة . وتلك ظاهرة تدعو إلى التساؤل عن التغاضي عن الاطلاع على النوع المسرحي في الأدب الإغريقي . ويعلل الأستاذ أحمد بك أمين هذه الظاهرة بقوله : « لقـد كان تأثير الآداب الـكلاسيكية في الأدب العربي ضعيفاً إذا قيس بتأثير الفلسفة والعـلوم اليونانية . وإن بعض أسباب هـذه الظواهر هو أن الفلسفة والعـلوم عالميـة . والأدب قومي . والفلسفة نتاج العقل ، والعقل قدر مشترك بين الأفراد والأمم وإن اختلفوا في أنصبائهم منه ، والمنطق الذي يضبط هذه العلوم يستسيغه عقل الناس جميعاً . أما الأدب فلغة العواطف . وليس للعواطف منطق يضبطها . والأدب ظل الحيـاة الاجتماعية . ولـكل أمة حياة اجتماعية خاصة تمتاز بها عن حياة الأمم الأخرى في أشكالها ومراميها . من أجل ذلك تذوّق العرب منطق أرسطو، وطب جالينوس، وإلياذة هوميروس. وسبب ثالث يصح أن يكون ، هو أن الأدب اليوناني أدب وثني فيه آلهة متعددة ، وفيه عبادة أبطال ، والذوق العربي حين ترجمت هذه الـكتب ، ذوق مسلم لم يستسغ هذا النوع من الأدب الوثني »[1] .

(١) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٥٩

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن الواضح أن أقوى هذه الأسباب هو السبب الديني وإحساس العربي بأنه ليس بحاجة إلى الاستزادة من أدب غريب لايستطيع تذوّق آثاره . بحيث أنه لم يتأثر في جوهره حين انتقل إلى الأندلس . فقد نظرت قرطبة وأشبيلية دائماً إلى بغداد والشرق حيث الوطن الأول . ورغم تأثر العرب بالفنون الغربيـة في البناء والزخرفة والنحت والتمثيل والرسم والموسيقى وأثروا فيها ، إلا أنهم لم ينهجوا نهجاً أدبيًّا جديداً في تعبير مبعثه عقيدة مخالفة لعقيدتهم. فما زال الإسلام ملأ قلوبهم وعقولهم وموجهاً لآدابهم.

وقد سيطرت هذه النزعة الإسلاميـة العـامة ، والاتجاهات الأدبيـة ، على الآداب الإسلامية في أنحاء الامبراطورية العربية، وتعدى تأثيرها إلى الآداب الشعبية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤ — المسرح المصري الحديث

لم يظهر المسرح المصري الحديث بمعناه الحقيقي بمصر إلا حين اتصلت بأوروبا إتصالاً وثيقاً تعدى الناحية السياسية إلى الناحية الاجتماعية والثقافية . وقد تهيأ ذلك عند مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ ، كما ذكر الأستاذ حسين شفيق[١]. فقد أحضر نابليون معه بين رجال البعثة الفرنسية اثنين من كبار الموسيقيين الفرنسيين ، ويسمى أحدهما فيلوتو والآخر ريجل . وقد عنى نابليون بونابرت بشئون التمثيل كما يستدل على ذلك من رسالة كتبها إلى الحكومة الفرنسية يطلب فيها إرسال فرقة من الممثلين للتمثيل بمنزل كريم بك ببولاق ، وقد عثر الأستاذ حسين شفيق على رسالة كتبها فيلوتو إلى الجنرال مينو بالاسكندرية قال فيها : «كلفت بأمر القائد العام أن أسألك أن تبذل الجهد في مساعدتنا على إتمام مسرح التمثيل الذي تقرر إنشاؤه هنا ، فأرجو أن ترسل إلينا ما عندك من الآثار والأدوات الفرنسية » . [٢]

ويذكر التاريخ اسم الروايتين اللتين مثلتا به وهما «الطاحونة» و«زيليس وفلكور» أو «بونابرت في مصر » وانطوت صفحة هذه الفترة برحيل نابليون عن مصر وخروج الحملة منها سنة ١٨٠١ إذ لم يؤثر هذا المسرح في الحياة المصرية المعاصرة . ومن المرجح أنه وجد لأجل تسلية الجنود والضباط الفرنسيين بمصر ، ولم يقصد به إدخاله في الحياة القومية المصرية .

ولم تصب الفنون شيئاً كثيراً من رعاية محمد علي باشا، اذ احتكر مجهوده تكوين جيش قوي منظم ، ودارت إصلاحاته في معظمها حول لوازم الجيش من صناعة وزراعة وتعليم . وانصرف بعد ذلك إلى تدعيم ملكه، وتوسيع سلطانه، فكان الفن — ومنه المسرح والتمثيل — شبه كمالي في ذلك العصر .

وتبدأ صفحة تاريخ المسرح الرئيسية في مصر في عهد الخديوي اسماعيل أي بعد منتصف

---

(١) التمثيل في مصر : مخطوط : فصل التمثيل في عهد الحملة الفرنسية .
(٢) » » » » » »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرن التاسع عشر . إذ جنح اسماعيل باشا إلى نقل مظاهر الحياة الأوروبية إلى مصر ونواحي حضارتها المختلفة .

وحظى التمثيل والغناء بعناية خاصة من جانبه . فافتتح مسرح (الكوميدي) عام ١٨٦٩، حين احتفل بافتتاح قناة السويس في هذا العام أيضاً . ثم أنشأ مسرح الأوبرا عام ١٨٧١ ومثل في هذه المسارح جماعة من الممثلين والممثلات أحضرهم من أوروبا . ويحفظ لنا التاريخ اسم أول مسرحية مثلت بدار الأوبرا ، أمام ضيوف مصر الأجانب وهي مسرحية (ريجوليتو) . وعهد إسماعيل باشا إلى فردي — الموسيقار الإيطالي — بوضع موسيقى لأوبرا مصرية ، كلف العلامة الفرنسي ماريت باشا بتأليفها ، وهي المسرحية المشهورة (عائدة) وقد ألفت باللغة الإيطالية . وطبع على غلافها ما يأتي (عائدة — أوبرا في أربعة فصول وسبعة مناظر من تأليف ا . غيسلانسوني وتلحين الكومنداتوري ج فردي . كتبت بأمر سمو الخديوي بمسرح الأوبرا ، وستمثل بالقاهرة لأول مرة في ديسمبر ١٨٥١ ، وعدد صفحاتها ٩٥ صفحة صغيرة، ومنها نسخة بدار الكتب المصرية . وترجمت المسرحية بعد ذلك إلى اللغة الفرنسية . ثم ترجمت الى اللغة العربية سنة ١٨٦٨ م و (١٢٨٨ هـ) بواسطة أستاذ التاريخ بدار العلوم وصاحب جريدة وادي النيل ويدعى أبو السعود أفندي .

ولا نعلم عن الشخصية التي كتب إسمها على هذه النسخة كثيراً ، فهي شخص آخر غير مريت باشا . على أنه توجد وثائق تاريخية تثبت اشتراك مريت باشا في التأليف ، فهو الذي استخرجها من أوراق البردي . وقد كتب الى أخيه في ٨ يونيو سنة ١٨٦٩ يقول : « هل تصدق أني وضعت أوبرا عظيمة يؤدي فردي موسيقاها ، ثم تمثل في مسرح القاهرة في فبراير القادم ؟ إن الخديوي ينفق مليوناً — لا تدهش ولا تسخط — فإن ما أقوله صحيح حقاً » . وورد في كتاب له يضم طائفة من رسائله وذكرياته الخاصة واسمه (خطابات وهدايا) ما يثبت اشتراكه في وضعها وتوفيقه في إخراجها .

وقد استدعى مريت باشا أخاه ليساعده على إعداد الرواية التي اعتزم عرضها في شتاء سنة ١٨٧٠ على مسرح الأوبرا المصرية . ولم يتم تمثيل المسرحية كما كان مقرراً لها إذ لم يتم إعدادها، ومثلت بدلاً منها في نوفبر سنة ١٨٦٩ مسرحية « ريجوليتو » التي وضعها فردي .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهبّ حريق في دار الأوبرا في الليلة التالية وأتلف بعض أثاثها وأرجائها.

ومسرحية عائدة مأساة تدور حول عائدة ابنة ملك الحبشة الأسيرة في مصر ورادامیس قائد جيش فرعون ، وهي مأساة تنشأ من حيرة عائدة بين هواها ووطنها ، وحيرة رادامیس بين هواه ووطنه وهي مليئة بالمواقف الإنسانية وبصور من الصراع النفسي ، وتدبر العقدة وتحل ببراعة فائقة .

وشيد إسماعيل بعد ذلك مسرح الأزبكية ، وشجع الفرق التمثيلية ، وصرف لها اعانات. فانتشرت المسارح الأهلية منذ ذلك الوقت . وانقضى عهد إسماعيل وتطور المسرح من بعده ، وأتت إلى مصر فرق من الممثلين والممثلات من سوريا يمثلون روايات مترجمة ، مثل فرقة أبو خليل القباني ومارون وسليم النقاش .

وقد انحدر إلينا التمثيل والتأليف المسرحي العربي ، كما يذكر الأستاذ زكي طليمات ، من سوريا بحكم اتصالها بأوربا عن طريق التجارة وتعدد الهجرات بين أهلها وبين دول الغرب. ويرجح الأستاذ حسين شفيق ، أن أولى محاولات التمثيل المسرحي العربي هي مسرحية (البخيل) التي كتبها وأخرجها وأشرف على تمثيلها مارون النقاش سنة ١٨٤٨ ، وتبع هذه المسرحية بمسرحيتين هما (أبو حسن المغفل) و (الحسود) . وللأولى أصل معروف وهو مسرحية موليير (سيد من الطبقة الوسطى) ، ولم يعرف النقاد بالضبط مرجع المسرحيتين الباقيتين رغم ما يدل عليه التركيب من صبغة غربية .

ونظرة عامة إلى مسرحيات مارون النقاش تدل على أنه لم يترجم هذه المسرحيات ترجمة دقيقة ، وإنما عرّبها بما يتفق واللغة والذوق المحلي — وجارى هذا الذوق في وضع مقطوعات غنائية خلالها تغنى مصحوبة بعزف الموسيقى.

وأغلب الظن أن التمثيل قد انتقل بعد ذلك إلى مصر على يد سليم النقاش من أخيه الذي ورد الى مصر في عصر إسماعيل بعد إنشاء الأوبرا . ومثـل أمام الجمهور المصري مسرحيات مشابهة للمسرحيات السابقة ، وهي في معظمها مسرحيات مأخوذة عن المسرح الفرنسي ومترجمة بأسلوب لم يخل من بعض الركاكة مثل (أندروماك) و (الظلوم) .

وقد عاصر هذه الفرقة كاتب مصري من أصل اسرائيلي هو يعقوب بن روفائيل أو صانو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أبو نضارة . وقد أنشأ سنة ١٨٧٠ ، بمعاونة الخديوي إسماعيل، أول مسرح عربي بالقاهرة. ولقبه إسماعيل بلقب موليير مصر ، وشجعه على العمل، فألف اثنتين وثلاثين رواية هزلية غرامية منها ما هو في فصل واحد، ومنها ما هو في خمسة فصول . ومسرحياته معربة عن مسرحيات موليير وبعض المسرحيات الاوربية ، مع صبغها بصبغة مصرية ناجحة حوّرت لتتفق والذوق المصري ، حتى استعملت اللغة العامية في المسرحيات المنقولة . على أنه نجح إلى حدٍّ كبير في جعلها تتصل بالمجتمع المعاصر ونقد عيوبه . وبذلك يكون أول واضع للمسرح الفكاهي الانتقادي رغم لغته العامية .

* * *

ويبرز من بين كتّاب المسرح أحمد أبو خليل القباني الذي وضع مسرحيات مقتبسة من التاريخ العربي ، وأدخل فيها الكثير من الاناشيد ومناظر الرقص في دمشق . واضطهد من اجل ذلك اضطهاداً شديداً ، فانتقل إلى مصر بمسرحه الذي يشبه المسرح السابق من ناحية الصنعة والأسلوب ، ويختلف عنه من ناحية اقتباس مواضيعه من التاريخ العربي والأدب الشعبي . وأتت مسرحياته أضعف في حبكتها وسياقها من المسرحيات الاولى ، إلاّ أنه كان أرقى لغة من المسرحيات السابقة ، فاستعمل السجع والنثر والشعر دون شرط ولا قيد : ويعتبره بعض النقاد أول كتاب المسرح الغنائي العربي .

وهكذا أتت المرحلة الأولى للمسرح المصري من سوريا ورسمت الصورة العامّة والمثل الأعلى للاتجاه المسرحي الغنائي ، متوخية سهولة الموضوع وتأليف الأغاني وسهولة الحوار والانتفاع بالموسيقى .

فبعد أن ابتدأت النهضة المسرحية، وتعددت المسارح الأهلية، مثل دار التمثيل العربي التي أسسها ومثل بها وغنى فيها سلامة حجازي ، وجدت مدرسة من المترجين والمؤلفين في مصر . ففريق نهج منهج الترجمة مستعملاً اللغة العامية وسيلة للتأليف ، وفريق استعمل الزجل ومصّر فصول المسرحية ومناظرها ووضع فيها أناشيد تغنى ، وفريق ثالث نهج منهج المسرحيات المستمدة من التاريخ العربي والأدب الشعبي مستعملة اللغة العربية الفصيحة والسجع والنثر وسيلة أدبية لما عني بالمجتمع يستمد منه مواضيع مسرحياته . ويمثل الفريق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأول محمد عثمان جلال ،والفريق الثاني حامد الصدر وإبراهيم الطرابلسي،ويمثل الفريق الثالث فرح أنطون وابراهيم رمزي ومحمد تيمور .

ويمكن تقسيم التأليف المسرحي بشكل عام إلى مسرحيات غنائية ومسرحيات اجتماعية .

أما المسرحية الغنائية فقد عملت على تطورها وشيوعها عوامل اجتماعية . فقد شاع في المجتمع المصري في أواخر القرن الماضي وبعد بداية القرن الحاضر الغناء والموسيقى واشتهر أمر المغنين والموسيقيين ، مثل عبده الحامولي والشيخ سلامه حجازي وغيرهما . وأقبل الجمهور على سماع حفلات المغنين اقبالاً قوياً . وساير المغنون والموسيقيون هذه العاطفة رغم اعتماد الموسيقى في الأعم الأغلب على صوت المغني، ولم تستقل بنفسها وتتبع قواعد فنها . وشجع هذه النزعة الغنائية ما صحب القصص الشعبي كقصص عنترة وأبي زيد الهلالي من توقيع على القيثارة . وغذت هذه القصص بما يصاحبها من غناء ساذج بسيط وموسيقى فطرية ، عاطفة الشجن الشرقي والشعبي القريبة من النفوس. وكان من المناظر المألوفة أن يجتمع نفر من الناس إلى قصاص يقص قصص الشجعان والأبطال، وينوّع في صوته وينشد ويغني ويحاكي الشخصيات وألوان الحوادث التي يروي عنها . وانعكست هذه الاتجاهات في ميول الجمهور في المسرح المعاصر وأبرزها الغناء والموسيقى . سيما وأن المسرح في بدايته قد ساير ذوق الجمهور وخضع لذوقه . وخير من يمثل هذا الاتجاه سلامه حجازي، الذي انتقل من الغناء الى المسرح ، وصحب معه شخصيته كمغنٍّ ، وافتتح دار التمثيل العربي ليغني بها ويمثل . على أنه غنى كثيراً ومثل قليلاً . ونظرة إلى مسرحه تدلنا على عنايته بمظاهر المسرح من مناظر جميلة وملابس للممثلين رائعة ، كما تدل على اعتماده الكبير على الغناء والتلحين لا على فن التمثيل . ويرى الاستاذ سليمان بك نجيب أنه أول من وضع أساس المسرح المصري الشعبي . إذ لم يكن المسرح قبله على جانب كبير من الأهمية . كما كانت القيادة فيه لأبناء سوريا وبناتها ، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء فرق أخرى تشبه فرقة سلامه حجازي من حيث الصنعة والاتجاه ، كفرقة عزيز عيد واسكندر فرح .

وكتب لهذه الفرق جمهور من المؤلفين والمترجمين وعنوا في تآليفهم وترجمتهم بميول الجمهور وطبيعة الممثلين والمسرح . فاتخذ البعض الزجل أسلوباً للترجمة حتى يفهمها العامة ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واتخذ البعض السجع والشعر أسلوباً للترجمة والتمصير ، ملاحظاً بذلك ميل الجمهور ومعظمه ممن نشأ على الثقافة الأزهرية . ويمثل الفريق الأول محمد عثمان جلال الذي عنى بأن تتخلل مسرحياته (أدواراً تغنى) ، وقال في مقدمة مسرحيته « وجعلت نظمها يفهمه العموم ، فإن اللغة الدارجة أنسب لهذا المقام ، وأوقع في النفس عند الخواص والعوام » وهذه بداية مترجمة هي (أفغانية) تمثل صنعته .

أغاممنون أنا الملك اللي بصحيك يا صبي — قوم شوف يا أركاس اللي حلّ بي

أركاس يه . د الملك جالي يصحيني صحيح — وله بتصحى قبل ديكنا ما يصيح

النور شقشق والناس ما صحت — وكل أبواب الخيم ما اتفتحت

ياريت على دا يكون الريح طلع — ويكون ربى للدعا مني سمع

أغامنون سعيد في الدنيا اللي يرضى بالقليل — ولا يكون زي الملك حمله تقيل

يعيش متهني براحة السر دوم — والرزق من ربه يجيله يوم بيوم

ويلاحظ في الترجمة أن المترجم لم يتقيد بالأصل الذي ترجم عنه وإنما مصّر الشعر تمصيراً قوياً، كاد أن يفقدها صبغتها الأصلية، كما أنه اتخذ الوحدة في شطرَي البيت ، كما في الأصل الفرنسي . وترجم على هذه الطريقة « النقلاء » لموليير ، و«طرطوف» تحت اسم « الشيخ متلوف » له أيضاً و « هرنان» تحت اسم« حمدان» .

وبينما اتخذ محمد عثمان جلال الزجل وسيلة أدبية موسيقية تعبر عن الحوادث والشخصيات واتخذ نفر آخر من المترجمين والمؤلفين السجع والشعر أسلوباً موسيقيًّا آخر للتأليف والترجمة ومن ذلك مسرحية« عائدة» ترجمة خليل النقاش وهذه بدايتها تمثل صنعته .

رادامس: ليت في هذي الحروب ألتقي ما اشتهي — ثم أحظى بحبيبي وعذابي ينتهي

الكهنة في داخل المعبد ينشدون

أيها الفتاح هبنا نعمتك — ورحيم أنت أظهر عظمتك

أيها الفتاح يا نعم النصير — أنت في حال براياك بصير ،

أهدنا سبل الهدى نعم المصير . — وأضل الخصم وابذل رحمتك

رادامس لنفسه : آه لو أوحت الآلهة بانتخابي لاكتمل سعدي ، وعصاها مع ذلك ثم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قصدي ، ها هو ذارمفيس رئيس الـكهنة خارج من لدن الآلهة بكل استعجال فلنسأله عمام يكونون أوحوا إليه بانتخـابي قائداً الجيش في النزال ، فتكون قد صدقت أحلامي ، فأبلغ قصدي ومرامي» .

فما زالت الميزة الغنائية الموسيقية مسايرة للصنعة المسرحية ، وتجاري بذلك ميول الجمهور ، وطبيعة الممثل والمسرح المعاصر . ويمكننا أن نضع في هذه المجموعة تراجم (الأمير المنفي) و (تاجر البندقية) و (الليلة الثانية عشر) و (الير وهملت) ترجمة اسكندر فلدس ، وكامل حفني عن شكسبير ، و (العاطفة والانتقام) لميشو دوميناك وترجمة أنطون زكري ، و (فتح الأندلس) لمصطفى كامل وهو طالب بالحقوق (سـنة ١٨٩٢ م ١٣١١ هـ) و (الهنا بعد العنا) لعبد الله فكري (١٩٠٢ م — ١٣٢١ هـ) وتدور حول اسلام عبد الله مينو ، و (الظلوم) لسليم خليل النقاش (١٩٠٢ — ١٣٢١ هـ) وقد طرد بسببها من مصر ، إذ ظنّ الخديوي إسماعيل أنها تعرّض به . (وحسن الوفا والظهور بعد الخفا) لحامد الصـدر ، وابن زيدون وولادة لابراهيم الطرابلسي سنة ١٨٩٨ م — و (حسـام الدين الأندلسي) لسعيد الطرابلسي سنة ١٨٩٥ وغيرها . وليست تواريخ المسرحيات هي تواريخ تمثيلها وانما هو تاريخ طبعها عقب تأليفها بقليل أو كثير .

ويمكننا اعتبار هذه الفترة من التاريخ المسرحي المصري فترة المسرح الغنائي الذي تمر به كل أمة في بداية تاريخها المسرحي ، بحيث يغلب فيها جانب الموسيقى واللغة والألفاظ على جانب الإجادة المسرحية . ولـكنها مرحلة مهدت لظهور مسرح على جانب من الرقي الأدبي . وحدث ذلك في مصرحين أقبل المثقفون على التمثيل مثل عبد الرحمن رشدي ، وعزيز عيد . على أن مؤرخي المسرح يعتبرون جورج أبيض بداية المسرح الجديد ، فقد أتى من فرنسا حاملاً معه طرقاً جديدة في الإلقـاء والإخراج والتمثيل ، متأثراً في ذلك بدراسته في فرنسا ، في مسارح الـكوميدي فرانسيز وغيره . وكوّن حوله فرقة من الشبـاب المثقف ومنهم أفراد كانوا من قبل في فرقة سلامه حجازي ، مثل عبد الرحمن رشدي وزكي طليمات بك وفؤاد سليم . وارتقى التمثيل في مسرحه ارتقـاء كبيراً إذ مثل خير المسرحيات المترجمة والمصرية . ويمكن اعتبار مسرحه بداية المسرح الاجتماعي الذي جنح عن التمثيل الغنائي إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تمثيل مسرحيـات نثرية اجتماعيـة . فترجمت له مسرحيات موليير ومسرحيات شكسبير، وألفت له مسرحيات شرقية . فكتب له فرح أنطون (مصر الجديدة ومصر القديمة)، وإبراهيم رمزي مسرحيات (الحاكم بأمر الله) و (البدوية) و (قلب المرأة) .

وهكذا مهدت الحركة المسرحية الغنائية لظهور مسرحيـات على جانب من الرقي الأدبي تمثل نواحي المجتمع المعاصر ، وتستمد منه أحداثها وشخصياتها، وتعنى بإبراز المغزى الراقي والتحليل النفسي والقيمة الأدبية والانسانية، ومن هذه المسرحيات مجموعة كتبها محمد تيمور مثل (العشرة الطيبة)(وعبد الستار أو الهاوية). ومنها مسرحيات أخرى لإبراهيم رمزي مثل (بنت الإخشيد) و (دخول الحمام) و (صرخة الطفل) ومسرحيات عباس علام مثل (الشريط الأحمر) و (شقاء العـائلات) و (آلامود) ، ومسرحيـات حسين رمزي مثل (الضحايا) و (طريد الأسرة) . وتمتاز هذه المسرحيات من الناحية المسرحية بعمق الدراسة وجودة حركة الحوادث المسرحية وبساطة الموضوع وخلوه من الحشو ، وقوة الصبغة المحلية فيه ، وترتيب الفصول والمناظر . ولو أن العمل في تحليل الشخصيات وسبر شعورها وعواطفها ما زال في بدايته ، وإنما يأتي ذلك نتيجة للخبرة المـكتسبة بالمران الطويل في هذا الفن الشاق .

وهذه مسرحية (مصر الجديدة) لفرح أنطون . ويظن أنها أول مسرحية شرقية عصرية في تأليفها وحوادثها وتمثيلهـا . وتعد ديباجة لتاريخ نهضة التمثيل الشرقي الجديدة . وقد مثلتها في الأوبرا لأول مرة فرقة جورج أبيض في ٥ من أبريل سنة ١٩١٤، ولاقت اقبالاً شديداً من الجمهور .

وقد كان في سبيل المسرح عقبات استطاع الـكتاب تذليلها إلى حد كبير . وأولى هـذه العقبات هي اللغـة . فهي الوسيلة الأدبيـة التي تتحدث بهـا الشخصيات . وقد عبر كاتب المسرحية السابقة عن هذه المشكلة بقوله « واذا كانت الرواية تأليفاً وإنشاء ، وموضوعها شؤون من لغتهم المحكية باللغة العربية العامية ــ ولا أقول شجونهم ــ إذ ليس لـكتـاب البلاد القريبة منا أحد أحق في الـكلام في هـذه الشئون...وإذا جعلنا لغة هذه الروايات اللغة العربية الفصحى خرجنا عن الطبيعة التي ما أنشئت الرواية التمثيلية إلاّ لتقليدها ، وخالفنا الواقع في شكله وصورته . وفي هذا هدم لأصل من أصول التمثيل الاساسية ، وكيف يستطاع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مثلاً جعل (خريستو) في مصر الجديدة ينطق باللغة الفصحى وهو أعجمي ، وما يكون رأي مشاهدي هذه الرواية إذا سمعوا فيها نساء قهوة الرقص وباعة الصحف والخادمين والخادمات والبرابرة والسكارى المترنحين، بل والسيدات في خدورهن ، ينطقون باللغة الفصحى .

ثم نرى من وجه آخر أننا إذا جعلنا تأليف الروايات التمثيلية الاجتماعية باللغة العامية حرصاً على تقليد الطبيعة كل التقليد، كما هي وظيفة دور التمثيل والمراسح، وقعنا فيما هو أشد وأنكى : وقعنا في إحياء العامية وإضعاف الفصحى ، وهذا أمر يأباه كل من ذاق لذة هذه اللغة الجميلة التي جرى حبها هذا مجرى الدم في المفاصل ، وما كنت لأرضى بأن يكون الشروع في أمر كهذا الأمر على يدي » .

وانتهى الكاتب إلى اختيار أمر وسط ، فاصطلح كما ذكر على جعل أشخاص المسرحية يتكلمون تبعاً لتربيتهم ومعارفهم وأحوالهم ، فتتحدث أشخاص الطبقة العليا بالفصحى وأشخاص الطبقة الدنيا بالعامية، ولكل عذوبة وحلاوة ، وللغة الفصحى جمال وجلال يصلح المواقف العالية والحوادث الفاجعة . على أن ذلك أدى إلى مشكلة أخرى، فلا يعقل أن يرد السيد على خادمه ، أو الخادم على سيده بالعامية والفصحى معاً ، فجنح الكاتب في هذه المواقف إلى ما سماه « الفصحى المخففة والعامية المشرفة » .

وأما العقبة الثانية فهي الجمهور الذي اعتاد رؤية المسرحيات المفعمة بالغرائب والعجائب والمبالغات والعناصر الشرقيـة والمحسنات والغناء والموسيقى ، مما شغل الكاتب عن الدرس السيكولوجي الدقيق ، في حادثة واحدة متماسكة من جميع جوانبها ، وتخرج جوانبها من بعضها خروج الأزهار من أكمامها مما جعله يوسع لوحة مسرحياته طولاً لا عمقاً ، وجعل عام مواضيعه متشعبة متنوعة مع وجود عنصر وحدة فيها ؛ فقد جعل فكرتها الأساسية وجوب الإقدام والعمل والنشاط والجد حتى في أحايين اللهو ، كما ذكر في مقدمتها بوضوح .

وتلك أول مسرحية فعالة سمت إلى حل مشكلة اجتماعيـة يصح أن نسميها بالدرامة الحديثة . وتبعها في هذا الباب مسرحيات نهجت منهجها من حيث الاتصال بمشاكل المجتمع وإحكام العقدة والأزمة ، والتطور والحل ، وشخوصها حية ذات أبعاد ، بين أمزجتها وبيئاتها مقابلة فيها كثير من الصدق ، على أنها لم تبلغ من التعقيد الفني وعمق المدلول وخلوده نصيباً عظيماً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الباب الثاني

المسرح عند شوقي

الفصل الاول

١ — شوقي [1]

عاصر شوقي فجر هذه النهضة المسرحيـة وتطوراتها المختلفة منذ عهد إسماعيل حتى عهد الملك فؤاد . وتأثر فنه بأحداث العصر السياسية الخارجيـة . ويذكر الدكتور محمد حسين هيكل باشا انه ولد بباب اسماعيل وشب في حماه . ودرس في مصر إلى نهاية المرحلة الابتدائية فالثانوية ، ثم درس عامين بمدرسة الحقوق ، فعامين بمدرسة الترجمة ، ثم أرسل على نفقة الخديوي توفيق إلى فرنسا ليتم علومه فيها عام ١٨٧٧ ، ثم قضى عامين في مونبلييه ، زار انجلترا في أثنائهما حيث مكث فيهـا شهراً . ومرض فاستشفى بالجزائر مدة أربعين يوماً ، ثم رجع إلى باريس ودرس فيها عامين آخرين وعاد الى مصر سنة ١٨٨١ ، ومكث فيها حتى نفي إلى برشلونه بإسبانيا سنة ١٩١٥ ، وأمضى فيها نحواً من خمسة أعوام ثم رجع إلى مصر . وساح في الشرق وأوربا وتركيا وتوفى بمصر عام ١٩٣٢ .

وتأثرت شخصيته بالعوامل السياسية الخارجية ، وفي مقدمتها تركيا أو كما سميت في القرن التاسع عشر بالرجل المريض . فقد صارت هذه الدولة مطمعاً لدول أوربا . وقد حاول محمد علي باشا أن يستولي عليها ، فوقفت الدول الغربيـة أمامه وحطمت الأسطول المصري . وسلخت عن تركيا معظم ممتلـكاتها فاستقلت عنها اليونان وبلغاريا . وكانت تركيا على وشك أن تترك أوربا كلية لولا قيام الحرب بين تركيا وروسيا عام ١٨٥٦ ، فاستطاعت أن تحتفظ بذلك الجزء الصغير حول القسطنطينية ومضيقي البسفور والدردنيل . وأحدثت هذه الاحداث أثرها في الشرق

(١) مقدمة الشوقيات ج ١ ص ٣٣٠

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلامي عامة ومصر خاصة ، ونظروا إليها نظرة القبلة الدنيوية، فكان السلطان رمزاً للخلافة الإسلامية وشخصت الأنظار إليه في عطف ظاهر واتخذ صراعه مع الدول الغربية شكل حرب صليبية جديدة أو حرب بين الشرق وبين الغرب . وقد عبر شوقي عن هذه الحوادث تعبيراً قويًّا مخلصاً بحكم الدم والدين واللغة .

أما من حيث العوامل السياسية الداخلية التي أثرت في عقلية شوقي وفي فنه فهي الحركة القومية المصرية التي ابتدأت بظهور العلماء في عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨ حتى خروجها ، ثم في عهد محمد علي باشا ، واتساع أفق هذه النهضة في عهد الخديوي إسماعيل ، واتصال مصر بأوروبا اتصالاً قويًّا مباشراً، وازدياد هذه القومية بالتدريج أثناء الاحتلال الإنجليزي لمصر منذ سنة ١٨٨٢ ، وأذكاها العهود التي نكثتها انجلترا بعد دخولها مصر ، وعزل الخديوي عباس حلمي عند قيام الحرب العظمى الأولى ، ونفي زعماء مصر ومفكريها خلال الحرب حتى حصلت مصر على اعتراف مبدئي باستقلالها فيما يعرف بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . وكان من الطبيعي أن تلاقي هذه الحركات صدًى في نفوس شعرائها وكتّابها ومفكريها .

وإذن فقد تأثرت نفسية شوقي بالبلاط الذي نشأ فيه، وتربى تربية مترفة، وأخلص للعرش الذي شمله برعايته فأخلص له، كما تأثرت بحبه للأتراك . وقوّى من ذلك صلة الدم التركي الذي جرى في عروقه . كما تأثر بالقومية المصرية التي شاهد نموها ، فظهرت هذه النزعات جلية واضحة في ديوانه ومسرحياته . فقد عبر عن رأيه في الخلافة كمهبط الحكمة والإلهام، وموئل الإسلام ، وتحدّث عنهم أكثر مما تحدث عن العرب بحكم قوة الدم وصلته بالخديوي،وتحدّث بعد ذلك عن مصر وآثارها ، وافتخر بمجدها ، وأسف على فترات ضعفها ، على أننا نلمس بوضوح أنه التهب حماسة من أجل الترك أكثر مما التهب من أجل مصر ، وعنى بالجامعة الدينية الإسلامية أكثر مما عنى بالوطنية المصرية .

وتأثر شوقي بالنهضة الأدبية التي بدأت بمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين التقت مخلفات الثقافة الفرعونية والاغريقية واللاتينية والعربية والتركية ، وابتدأ صهرها البطيء في كيان الشخصية المصرية ، الرحيبة الجوانب ، المتعددة النواحي ، وساعد على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك الأزهر بما فيه من مخلفات التراث العربي ، والصحافة ولغتها المبسطة التي هبطت إلى مستوى العامة غير المتحذلقة ، ممن ساعدت الحركة القومية على إعلاء مداركهم وتفتق أذهانهم للملاحظة وصقل عقولهم بالألفاظ السهلة المؤثرة . وصاحب هذه الحركة نهضة للآداب المصرية والعربية من كتاب وشعراء ، وإحياء للقصص الشعبي وأساطيره ، ووجدت الموسيقى الشرقية ، وابتدأ تطورها في ذلك العهد ، وقد ظهر أثر هذه العوامل في المسرح المعاصر بوضوح .

ومن البديهي أن تظهر في مسرح شوقي الذي انعكست فيه آثار تركيته بمحاولته الدفاع المستمر عن الملوك وتبرير أعمالهم وإحاطتهم بهالة من الجلال والعظمة والمدح ، كما انعكست آثار إسلاميته المتسمة الأفق ، والعناية بتغليب الفضيلة على الرذيلة ، سواء في نفوس الملوك أو الشخصيات الأخرى ، فدافعت كليوباترة عن نفسها ، ودافع الأمويون عن سياستهم ، وكفّر فرعون مصر عن آثامه ، وانتحرت ابنته ندماً . ومن الواضح أن شوقي أظهر حسناتها بكثير من المبالغة وصوّر عيوبها بكثير من المداورة . وتظهر النزعة الإسلامية جلية حين يقبل قائد الأسطول الروسي إلى علي بك لمساعدته ضد أعدائه ، فيرفض مساعدة من يخالفه في الدين ولا تظهر مصريته واضحة جلية بشكل فعال اذ شغل عن ذلك بالدفاع عن الملوك ، ولم يستطع تصوير الشخصية المصرية أو حياة الشعب ، أو تصوير آماله وآلامه ، أو التعبير عما يجيش في نفسه إذ عاش في عزلة عنه ، وإنما لجأ إلى التاريخ والأدب ، واختار منه ما لاءم مزاجه وطبعه من ملوك وشعراء .

وقد حاول وهو شاب أن يؤلف للمسرح ، كما تدل على ذلك القصة الآتية : يقول الاستاذ احمد عبد الوهاب أبو العز[1] « في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٠ ، جاء أفندي بهذا المظروف ، ففتحناه فإذا فيه رواية علي بك الكبير ، تأليف الفقيد من ثلاثين سنة . وقال لي إقرأ لي بعضاً منها . فقرأت له صحيفتين قال على أثرها ، لو أعطاني ربي الصحة ، بدّلتها بأخرى . ثم كتب المسرحية التي بين أيدينا اليوم . ولم نعثر على هذه المسرحية . على أنها تدل على شيئين هامين ، أولهما وجود فكرة التأليف المسرحي في نفس الشاعر منذ شبابه ، وثانيهما أنه لم يعجب

---

(١) ص ٩٧ اثنى عشر عاما في صحبة امير الشعراء .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بهذه التجربة الأولى فعزم على تغييرها، وحقق ما عزم عليه رغم أهميتها التاريخية، وانصرف عن ذلك بتأليف بعض القصص وقصائد الشعر التي نشرها في ديوانه (الشوقيات). وربما كان لعدم رقي الجمهور الثقافي أو وجود المسرح المصري والممثلين المصريين أثر في ذلك، وربما أن الشاعر آثر جانب المحافظة على جانب التجديد، ولم يأنس في نفسه القدرة بعد على التأليف المسرحي الذي يحتاج إلى دراسة وخبرة وصبر من جانب المؤلف.

على أنه اتجه إلى التأليف المسرحي في الأعوام الأربعة الأخيرة من حياته، فألف سبع مسرحيات لم يتم الأخيرة منها، حين ارتقى مستوى المسرح والجمهور واتسع نفوذه ونشاطه، وكثر الإقبال عليه، وتشجيع الناس له، والدعوة إلى التجديد الأدبي. ولكنه وقد مارس الشعر الغنائي التقليدي لمدة طويلة، لم يستطع أن ينتقل إلى التأليف المسرحي طفرة. فاتجه إلى الغناء. ثم انتقل إلى المسرح حاملاً معه تقاليد فنه الغنائي القديم، وحاول أن يكيفه المسرح، واعتمد على مقومات هذا الشعر الغنائي في إحداث التأثير المسرحي، ولم يترك الاعتماد على الشعر في مسرحياته، وإنما تطور في نطاقها فنه المسرحي، مثل إحكام الموضوع وجودة التشخيص وبراعة إدارة الحوار.

* * *

٢ — شعره الغنائي

جوهره: رواسب الشعر الغنائي العربي مادة وشكلا. تطوره في مجال موسيقى من تقليد وتوليد إلى تجديد. نواحي التقليد والتوليد تبلغ ذروتها في الاندلس. التجديد ومناحيه ودواعيه الاجتماعية. النواحي التى جدد فيها شوقي. القصص والحكاية. أدب الحياة الخاصة والادب المسرحي.

نشأ شوقي في عصر تلقى ما خلفه المغول من بقايا التراث العربي، وحاول أن ينفخ فيه روح الحياة بعد أن علاه الصدأ. وقد ابتدأت حركة الإحياء من قبله على يد محمود سامي البارودي باشا.

ثم استمرت حتى بلغت ذروتها في شوقي وحافظ، وكان المثل الأعلى للشاعر أن يطلع على شعر الفحول من شعراء العرب ويتشبع بأساليبهم وروحهم، وينهج مناهجهم، ويعارضهم ويحاول مجاراتهم والتفوق عليهم إن أمكن. ولم يكن هم الشاعر أن يجدد على طريقتهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التقليدية ، إذ لم تتغير نظم الحياة الاجتماعية بعد تغيراً جوهرياً كما حدث بعد ذلك بقليل ، وما زالت الأغراض التقليدية من مدح وهجاء، وفخر وغزل، وغيرها من أغراض الشعر العربي مسالك يطرقها شعراء هذا العصر .

وتتضح آثار هذه المرحلة في شعر شوقي الأول كما هو بين أيدينا في الشوقيات ، فقد تعدّى شوقي التقليد والتوليد من البحور والأوزان ، إلى المعاني يقتبسها أو يستوحي منها أو يحوّرها . وقد أوضح نقّاده نواحي هذا التقليد في قصيدته التي تبدأ بقوله.

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب   وينصر دين الله أيان تضرب

بمقارنتها ببائية أبي تمام وهو يمدح الخليفة . كما أوضحوا نواحي هذا التقليد في سينيته التي استوحى فيها من سينية البحتري، وكذلك في فائيته التي استوحى فيها من فائية أبي العلاء ، كما تتضح في معارضاته لنهج البردة وميمية البوصيري ، واقتباسه لمعاني المتنبي على وجه الخصوص ، على إنه تتضح بالرغم من ذلك سيماء ذاتية الشاعر في ذلك الاختيار الخاص للألفاظ ذات الرنين الموسيقي ، والمشبعة بالعناصر والتقاسيم الغنائية التي تحدث رخامة وطرباً وتتشبع بالعاطفة . كما نعثر في هذه القصائد الأولى على معاني من ابتكاره تتخلل ثنايا هذه القصائد .

وحين نفي شوقي إلى الأندلس بلغت مرحلة التوليد في نفس الشاعر ذروتها ، واشتعلت نفسه بما شعرت به من عوامل الحزن والوحدة والاغتراب ، وبما شاهده من آثار العرب في الاندلس ، واتسع أفق شعره ، وعارض في قصائده قصائد البحتري في إيوان كسرى ، وابن زيدون وابن عباد والخطيب وغيرهم من شعراء الاندلس ، ونلمس في هذه القصائد حرارة قد لا نلمسها في قصائده الأولى .

وحين عاد من الاندلس إلى مصر، نرى تغيراً واضحاً في أغراض شعر شوقي ؛ فقد تغيرت الأحوال الاجتماعية وتطورت تطوراً سياسياً وأدبياً. فقد خُلع الخليفة وتولى آخر مكانه وظهر في مصر وعي قومي ، وقامت ثورة سنة ١٩١٩ وطالب زعماء مصر بالاستقلال ونالوه ، وافتتح البرلمان ووجدت الاحزاب ونودي بالاصلاح الاجتماعي والسياسي والأدبي ، وبرزت إلى الوجود مشروعات ترمي إلى إصلاح التعليم والزراعة والمشروعات الاقتصادية ، وزاد

اتصال مصر بالحضارة الغربية ، وظهرت طبقة من الكتاب الذين تثقفوا بثقافتها ، فوجد تنافس واحتكاك بين مدرستين من مدارس الأدب ، هما مدرسة تتعصب للقديم وتكره الجديد ، وأخرى تدعو للتجديد وتضيق بالقديم .

وكان لهذه العوامل على شوقي أثر واضح جلي ، إذ نلمس فيه قلة في الشعر التقليدي إلا ما ولدته الظروف الاجتماعية المرخمة ، ومعظمها من شعر الرثاء . وضاق شوقي بشعره القديم فسعى إلى التجديد ، وصنع قصائد في القصة وفي حياته الخاصة وفي الأدب المسرحي وفي الشعر الغنائي الشعبي .

على أن التغيير نال الموضوع أكثر مما نال جوهره . فقد مارس شوقي الشعر على مناهج خاصة ، ورسخت هذه الأساليب في ذهنه واستقرت ، ولم يكن بمرونته الأولى حين قويت الدعوة إلى التجديد ومجاراة دواعي العصر ، فدخل شوقي ميادينه الجديدة حاملاً معه رواسب شعره الغنائي الذي مارسه نيفاً وأربعين عاماً ، ورواسب الشعر العربي الذي يكوّن عنصراً هامًّا في شعره الغنائي .

فنلمس في شعره القصصي ، وفي شعر الوصف ، كما ورد في قصائده عن النحل وروما وآثار مصر ، وشعره في الملوك والسلاطين ، وقصائده في النيل والأندلس ، وآثار شعره في الوطنية الذي اشتعل في الأندلس ، وشعره في الحكمة والتأمل لغرائبها منذ صباه ، وخبرته الواسعة بالحياة الاجتماعية ، ومدائحه للملوك كوسائط الإصلاح ، وعلى أيديهم تتقدم الدول بالعلم والأخلاق ، وشعره في أسرته ورحمته لما حوله من عوامل طبيعية غير متكافئة ، وشعره الديني الذي يصدر عن إيمان وعقيدة تعتز بالإسلام وتقدسه وتفخر به وتذود عنه ، وتنتقد أهله لتركهم لتعاليمه ، وظهرت آثار ذلك كله في شعره المسرحي ، الذي تطور من نظام في الحوار يشبه القصائد ، ويعرض لغزل أو وصف أو رثاء أو مدح أو غناء ، كما تظهر في عنايته باستكمال النواحي الشكلية للشعر الغنائي العربي دون أن يجدد فيها . وتبلغ صفات شعره الغزلي ذروتها في مقابلات العشاق التي لا تكاد تخلو منها مسرحية من مسرحياته ، كما في كليوبترة ، ومجنون ليلى ، وعنترة ، وصفات شعر الحكمة واستخلاص العظة حين تحدث الكارثة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

في مآسيه جميعاً . وتتخللها مقطوعات في وصف البحر أو القتال ، أو تصوير صراع نفسي، أو أسباب فساد الأمة إلى غير ذلك .

ورجع شوقي إلى قصيدته الأولى عن كبار الحوادث في وادي النيل يستمد منها مواضيع لمسرحياته عن مصر القديمة . فيقول فيها عن قمبيز

لا رعاك التاريخ يا يوم قمبيز ولا طنطنت بك الأنباء

وقصَّ فيها قصة فرعون وكيف أتى به قمبيز ذليلاً ، ولكنه أحاطه بهالة من العظمة ، فجعله يبكي لا لأن ابنته حملت جرّة ، وإنما لأنهم أتوه بصديقه ذليلاً . وكذلك عرض شوقي كليوبترة فيها فقال عنها :

فقضى الله أن تضيع هذا الملك أنثى صعب عليها الوفاء
تخذتها روما الى الشر تمهيداً ، وتمهيده بأنثى بلاء

وقصَّ فيها قصة الصراع بينها وبين أكتافيوس ثم انتحارها .

ثم انثنى إلى أبطال الغزل العربي في الأغاني ، فاستمدَّ منه موضوعات عن الهوى هي مجنون ليلى وعنترة ، مما يتصل بالشعر الغنائي العربي بأواصر قوية .

* * *

٣ — مسرحياته

حاول شوقي وهو شاب أن يؤلف للمسرح ، إذ ألف وهو طالب في فرنسا مسرحية علي بك الكبير ، كما تدل على ذلك القصة التالية . يقول مترجمه أحمد عبد الوهاب أبو العز « جاء أفندي بهذا المظروف ففتحناه فاذا فيه رواية علي بك الكبير تأليف الفقيد من ثلاثين سنة ، وقال لي إقرأ لي بعضاً منها ، فقرأت له صحيفتين قال على أثرها ، لو أعطاني ربي الصحة بدلتها بأخرى »[1] ثم كتب المسرحية التي بين أيدينا اليوم ، وما زالت النسخة الأولى عند أهل شوقي . وتدل هذه الظاهرة على شيئين هامين ، أولها وجود فكرة التأليف المسرحي في خلد الشاعر منذ شبابه ، كما تدل على أنه لم يعجب بهذه التجربة الأولى فعزم على تغييرها في بعض مواضعها وحقق ما عزم عليه .

(١) اثنى عشر عاماً ص ٩٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وانصرف شوقي عن التأليف المسرحي إلى التأليف الغنائي ، الذي شمل قصصاً خرافية على ألسنة الطيور والحيوانات ، كما شمل قصصاً من التاريخ رمى بها إلى استخلاص العظة والعبرة ، اذ لم يألف الذوق العربي بعد هـذا الضرب من الأدب المسرحي المكتوب باللغة الراقية ، فآثر أن يوجه الميل للقصة والتصوير التشخيصي الى الشعر الغنائي

على انه اتجه إلى التأليف المسرحي في الأعوام الأربعة الأخيرة من حياته ، فألف سبع مسرحيات لم يتم الأخيرة منها ، ولا ريب أنه دفعه إلى ذلك عوامل أهمها رقي مستوى المسرح قبل أن تنافسه الخيالة عام ١٩٣٤ ووجود الوعي القومي بين أفراد الشعب المصري وإقبالهم على المسرح كمركز من مراكز الدعاية القومية ، وما صادف ذلك من رجوع جورج أبيض من أوربا ، وتكوينه لفرقته الجديدة لتمثل في الأوبرا ، وما كونه يوسف وهبي من فرق تمثيلية تمثل في المسارح المختلفة ، هذا الى امتداد حركة الدعوة الى التجديد الأدبي وازدياد الحملة على التقليد ، أصاب شوقي رذاذها . فكان عليه ، وهو أمير الشعراء الذي كرّم في الأوبرا سنة ١٩٢٧ أن يضرب بسهم في هذا الميدان الجديد .

على أنه وقد مارس الشعر الغنائي نيفاً وأربعين عاماً ، كان عليه من الصعوبة بمكان أن يكيّف نفسه للمسرح ومطالبه ، إذ قلّت مرونته وحدة ذهنه ، وهي صفات لازمة للشاعر المسرحي ، فاتجه إلى تأليف الأغاني أولاً ثم انتقل الى المسرح حاملاً معه تقاليد فنه القديم ومقوّماته ، واعتمد عليه في إحداث التأثير المسرحي رغم ما في ذلك من عيب واضح ، وتطوّر فنه تطوراً بطيئاً في حدود هـذا النطاق الغنائي ، معظمه نتيجة لاتصاله بالمسرح ورجاله ، وازدياد خبرة الشاعر بملامسته لمطالبه ، واستشارته لأهله ، وإدراكه لما يستهوى جمهوره من عناصر .

على أن هـذا المسرح المعاصر في جملته وأدواته وممثليه وجمهوره لا يحقق المثل الأعلى المسرحي . فقد عنى هذا المسرح ببهجة المناظر وروعة ملابس الممثلين أكثر مما عنى بالمطالب الفنية الراقية المسرحية وأولها إجادة التمثيل . وكان التمثيل في جملته خطابي النزعة ، يستهوي الجمهور بالشعر وما فيـه من خيال أو عاطفة أو موسيقى ، وما يتخلله من غناء . وتغذى الجمهور بهذا الغذاء الرخيص ، وظنّ أن ما قدّم له تمثيل حقيقي ، إذ لم يرفعه الممثل والمسرح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى تذوق ما هو أرقى فنًّا وأنقى جوهراً وأرفع قدراً . ولم يستطع بعد ذلك أن يميز الغث من السمين . ولم يحاول شوقي رغم دراسته للأدب الأوربي رفع مستواه الفني وترقية ذوقه التمثيلي .

ولا يظهر أثر ما قرأ وشاهد من مسرحيات أوربية من فرنسية وإنجليزية أثناء دراسته بأوربا في شعره إلاّ بشكل عام . فقد استهواه من المسرح الفرنسي بساطته وسمو شعره كما كان مسرح راسين وكورنى ، واستهواه من المسرح الإنجليزي السلسلة التاريخية القومية التى نظمها شكسبير في تاريخ بلاده القومي مثل الملك هنري الرابع وهنري الخامس والملك لير وغيرها . ثم جنح في النهاية إلى كتابة مسرحيات تتصل بحياة المجتمع المعاصر .

ويتضح أثر المسرح الغنائى المعاصر بمدارسه المختلفة التي رأسها سلامه حجازي ، وأخذه عنه معظم كتّاب المسرحيات الشعبية المعاصرة له ، بحيث شاع الغناء على المسرح في تلك المقطوعات التي تتجمع وتتفرق في ثنايا مسرحياته ، والتي قصد بها غاية غنائية خالصة ، وبالعناية بمناظر العشاق ومحاوراتهم العاطفية .

وتفاعل هذان العاملان مع مقومات شعر شوقي الغنائي ، بحيث بلغ المسرح الغنائى ذروته فيه ، وصارت النواة الغنائية محور فنه بأجمعه ، وبها وعن طريقها انتقل إلى الممثل وأثر في الجمهور . ومن هذه النواة تنبع حسنات فن شوقي وعيوبه ، فهذه الأغانى امتداد لما كتبه الشاعر من مقطوعات غناها المغنون ، ونظرة إليها وإلى تركيبها تبين ما روعي فيها من قيم غنائية صوتية موسيقية ، وتعبيرها عن عاطفة هي الحب عامة ، وتتشبع به تشبعاً عالياً ، ويعبر بعضها عن عواطف شائعة بين النفوس : ففي نشيد الحب والحياة في مصرع كليوباترة يعبر عن الحب ، وفي نشيد الموت يعبر عن الموت ، وفي نشيد القبور يعبر عن الموت في مجنون ليلى ، وقد توجد أناشيد للمدح كما في قمبيز حين يمدح فرعون ، أو للعرس كما في علي بك حين يتزوج آمال ، وعنترة حين يتزوّج بعبلة ، على أنها تشترك جميعها في التشبع بالعاطفة وبالقيم الموسيقية لتناسب الغناء . ولنضرب المثل بنشيد الحب والحياة في مصرع كليوبترة ، يغني إياس :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غننا بالشوق أو غنِّ بنا   نحن في الحب حديث بعدنا
رجَّعت عن شجونا الريح الحنون   وبعينينا بكى المزن الهتون
وبعثنا من نفاثات الشجون   في حواشي الليل برقاً وسنا

قد لا يكون في هذه الأبيات معنىً واضحاً عميقاً ، على أنه يتضح الاختيار الدقيق للألفاظ ذات الرخامة في الصوت ، وتتكرر الحروف بصورتها الهجائية أو ما يناسبها من حركة صوتية . حتى تحدث نغماً موسيقيًّا اشتهر به شعر شوقي عامة . ففي البيوت الأربعة الأولى يتكرر حرف الواو وتتكرر الفتحة كما يتردد حرف النون . هذا إلى اتحاد القافية في الشطرات الثلاث الأولى من كل بيتين ، واتحادها في القافية في الشطرتين الرابعتين من كل بيتين.

ولم تقف النزعة الغنائية عند حد الغناء ، وإنما تكون لحمة الحوار ونسيجه الرئيسي ، كما يظهر من عناية شوقي باستكمال الأوزان والبحور ، واتخاذ هذه الأوزان والبحور من الصيغ التقليدية الشائعة في الشعر الغنائي العام ، وتظهر جلية في المسرحيات الأولى ، ولا تنعدم في المسرحيات الأخيرة ، أنظمة الحوار التي تقترب من نظام القصيدة العربية مبنىً ومعنىً . وتطول في أماكن الوصف ، والرثاء ، والشكوى ، والغزل ، وتدور حوادث الفصول في العادة على هذه الصور ومثلها من صور الشعر الغنائي ، ويخفف من عيوبها المسرحية ما يتخللها بين الفصول من حوار متقطع ، تشترك فيه شخصية أخرى أو شخصيتان غير الشخصية المتحدثة ، فتقلل من هذه النزعة الخطابية ، إن ألقيت على مسامع الجمهور ، أو النزعة الغنائية إن غنيت أمامه . وتتناسب هذه النزعة تناسباً عكسيًّا مع قدرة شوقي المسرحية ، فيكثر اعتماده عليها في إحداث التأثير المسرحي ، دون اعتماده على الشخصيات والحوادث المسرحية في مسرحياته الأولى ، ويقل كلما ازدادت قدرة الشاعر على تحريك الموضوع ، والتأثير بوسائل المسرح الخاصَّة . على أن هذه النزعة التي خلطت بين الصفة القصصية الغنائية ، التي تعتمد على الحكاية والخطابة ، والصفة المسرحية التي تعتمد على الشخصية والحادثة ، بحيث يكون الحوار تعبيراً لازماً ، وعنصراً اقتضاه المقام . ولجأ شوقي ، كما لجأ المسرح الغنائي ، إلى وسائل مسرحية خارجية لإحداث تأثير مسرحي ، واجتذاب اهتمام جمهوره ، فأكثر من المناظر التي تضيف أهميتها المسرحية ، بينما تتصف بروعة المنظر ، كما في مناظر الولائم

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

والحفلات الراقصة والموسيقيـة . وبلغت درجة كبيرة من الأهميـة حيث تضعف الحركة المسرحية ، كما في المنظر الثاني من الفصل الأول في مسرحيتي مصرع كليوبترة وقمبيز والمنظر الأول من الفصل الأول في مسرحية علي بك . وعيب مثل هـذه المناظر أنها تصرف انتباه الجمهور عن الموضوع الرئيسي والتطور الذاتي لحوادث المسرحيـة الدقيق ، لقلة اتصالها بالمسرحية وموضوعها وشخصياتهـا . فهي وسائل غير جيدة يلجأ إليها الـكاتب البادىء الذي يعتمد على أدوات مسرحية خارجـة عن تطوّر الموضوع الذاتي ، من داخل طبائع الشخصيات ، بحيث يكون كل تأثير مسرحي مثير نتيجة لازمة خاضعة لهذا التطوّر . وقد قلت هـذه العيوب إلى حدّ كبير تبعاً لازدياد خبرة الشاعر المسرحية كما في علي بك الـكبير وعنترة والست هدى ، على أنها لم تنعدم تماماً .

وتأثر شوقي بالمسرح الانجليزي ، وشـكسبير خاصة كما يظهر في مسرحيته الأولى وهي مصرع كليوبتره ، إذ استوحى من هـذه المسرحية بعض المنـاظر ، كمناظر لقاء أنطونيو وكليوبترة ، ومنظر موت أنطونيو ، ومنظر موت كليوبترة ، ويوضح الفرق بينهما توضيحاً جليـًّا الفارق بين مذهب شوقي ومذهب شكسبير ، أو المذهب الغنائي القصصي والمذهب المسرحي التمثيلي . وتلك ظاهرة من ظواهر الاقتباس التي يبدأ بها الـكاتب حياته ، وهي تتضح أيضاً في اقتباس الشاعر لبعض شعر مسرحيته الثانية وشخصياتها وحوادثها من الأغاني ، وان مقارنة بين أوجه الشبه في شعر المجنون الذي ورد بالأغاني وشعره كما ورد في مسرحية شوقي ليؤكد هذه النزعة الغنائية في الشاعر .

إذا أضفنا إلى هـذه الاتجاهات نفسية الشاعر الاجتماعية ، من اتصال بحيـاة البلاط والملوك ، ومدحهم ردحاً طويلاً من الزمن ، والتغني بآثارهم ، ومن نزعة إسلاميـة عامة لا تشعر شعوراً قويـًّا بالوطنية المصرية ، وإنما بنزعة إسلامية قوامهـا القومية التركية على الأصح ، ومن نزعة غنائيـة اتصلت بحياة الشعراء في الأدب العربي في تاريخه الطويل ، أمكننا أن نتنبأ باتجاهات مسرح شوقي عامة ، بل وأمكننا التنبؤ بنواحي الاجادة والتقصير فيه ، فهو يجيد حيث خبر وعلم مما يصف من شخصية أو حوار ، كما في الملوك والملـكات ، ويقصر حيث لم يعلم ولم يخبر ، كما يحدث حين يصف الجمهور وعامة الشعب ، بل لا يكاد يعـلم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عنهم شيئاً ، نتيجة عزلته عنه ، إلاّ في مسرحية أخيرة ، هي ملهاته الوحيدة التي اهتمل بشخصياتها وحوادثها فأجاد تصويرها إلى حدٍّ كبير.

وإن شاعراً اتخذ النواة الغنائية أساساً لمسرحه ، لينتج مسرحاً ذاتيًّا فيه من شخصيته الكثير. ولم يحاول شوقي أن يختفي وراء مواضيعه أو شخصياته أو حواره ، وإنما تظهر فيها ذاتيته وآراؤه وأهواؤه بشكل واضح .

* * *

استمدّ شوقي موضوعات مسرحياته الأولى من التاريخ . فموضوع مصرع كليوبترة مستمد من تاريخ مصر القديم ، وموضوع مجنون ليلى مستمد من التاريخ الإسلامي في عهد بني أمية ، وموضوع قمبيز مستمد من تاريخ مصر القديم ، وموضوع علي بك الكبير مستمد من التاريخ الإسلامي في عهد المماليك ، وموضوع عنترة مستمد من تاريخ العصر الجاهلي ، أما موضوع أميرة الأندلس — وهي المسرحية النثرية الوحيدة التي ألفها — فمستمد من التاريخ الاسلامي في الأندلس على عهد بني عباد في نهاية حكم ملوك الطوائف وأوائل عهد المرابطين . ويأخذ البعض على شوقي سوء اختيار بعض هذه الموضوعات في عصر ذكر أنه يدافع فيه عن القومية ويساير الشعور القومي . إذ اتسم التاريخ المصري القديم والإسلامي لصفحات بطولة ناصعة مشرقة . ويأخذ عليه البعض سوء دفاعه حيث أراد الدفاع، كما حاول حين دافع عن كليوبترة،ويأخذ عليه البعض عجزه عن فهم طبيعة المصري المستمرة خلال العصور ، وصوره شعباً جاهلاً لا حياة فيه ، يسير في ركاب المنتصر، وينقلب على المهزوم . وفي هذه المآخذ الكثير من الصدق ، ومنشؤها انعزال الشاعر عن حياة الشعب من جهة ، وتغلب عاطفته نحو الترك على عاطفته نحو مصر من جهة أخرى . وإنما وجه اهتمامه في المسرحيات التاريخية التي تدور حول الملوك إلى تصويرهم مدافعاً عنهم ومحاولاً ستر عيوبهم ، ، وإكسابهم صفة البطولة والنبل . وكان الشاعر موفقاً أكثر من ذلك في مسرحياته التي اختار الشعراء أبطالاً لها ، فهو يعرضه لحياة شاعر مثله من السهل أن يتفهم وسائله ونفسيته وصوغ حواره ، ومن السهل أن يدير عواطفه حول نواة واحدة هي الهوى ، وإنشاء الغزل . كما في مجنون ليلى وشبيهتها عنترة . وزاد توفيقه حين ترك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التاريخ وجنح إلى الحياة يستمد منها مباشرة صور الناس كما تراهم وتحسهم في الحياة ، وما يحدث لهم من وقائع إنسانية عامة .

على إنه يهمنا العرض المسرحي للموضوع . ولعله من الخير أن نفرق بين مذهبين من مذاهب الفنون ، هما مذهب القصة ومذهب المسرح . إذ يعتمد فن القصة على السرد والإطناب والتحليل ، فيوصف المجال الذي تتحرك فيه الشخصيات ويفصل في بيئاتها وعوامل الوراثة فيها . ذلك لأن القصة يقصد بها القارىء الذي يتسع وقته للمقارنة والموازنة والتحليل والتعليل . أما في المسرح فيختار من هذه المجموعة الكبيرة أكثر الحوادث مدلولاً ومغزًى ، وأقواها تأثيراً ، ويضعها في فصول ومناظر مركزة ، تجمع مدلول الموضوع ، والحوادث بين طياتها عن طريق التمثيل المباشر ، كما لو أنها تحدث لأول مرة . بحيث يتطور الموضوع من داخل الشخصيات ، وتتحرك الشخصيات مع حوادث الموضوع في انسجام . وتؤدي الحوادث إلى الأزمة الكبرى التي تنتهي بحل ، فالمسرحية أزمة تعرض وتتوتر وتحل . ولا بد من اتفاق الحوادث وصفات الشخصية . وخير موضوع ما تطور من داخل شخصياته . وما ذلك إلا لأن المسرحية تمثل عن طريق ممثلين أمام جمهور ، لا يتسع وقته للتحليل والتعليل ، وإنما يتابع المسرحية بعواطفه أكثر مما يتابعها بعقله ، ولا بدّ من اجتذاب انتباهه من بداية المسرحية إلى نهاية بالحوادث المفعمة بالحياة ، المركزة المدلول .

وإنا لنقابل في مسرح شوقي ما يدل على عدم اعتبار لهذه الفروق الأساسية . منشؤها عناية الشاعر بالصفات الغنائية ، بحيث صرفت اهتمامه عن لوازم المسرح . وإنما عني باستكمال البيوت والأوزان ، وفي تطويل الحوار حتى طغت صفاته الغنائية ، على صفاته المسرحية وأفقدت هذه العوامل الشخصيات الكثير من حيويتها ، وجعلتها جامدة لا حياة فيها ، سيما في أبطال المسرحيات ، حيث تدخل شوقي في تعبيرها ، فلم تترك لتعبر عما بها ، وإنما تكلم شوقي من ورائها ، بشكل خطابي يقص ولا يمثل . وكثيراً ما سبب هذا الاسترسال الغنائي تفكك الشخصية واضطرابها ، كما سبب تفكك الموضوع وضعفه من الناحية المسرحية .

على أن هذه العيوب التي ظهرت قوية في المسرحيتين الأولى والثانية وهما مصرع كليوبترة ومجنون ليلى ، قد قلت بالتدريج في المسرحيات الأخيرة ، وتدرّج فن شوقي بازدياد خبرته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المسرحية، فوضحت الأزمة في المسرحية الثانية، وازدادت في المسرحيات التالية على التوالي ولو أنها لم تكتمل تماماً.

ولشوقي أسلوب متشابه في تأليف مسرحياته، فالموضوع يتكوّن في العادة من خمسة فصول كما في مجنون ليلى، أو أربعة كما في مصرع كليوبترة، أو ثلاثة كما في الست هدى. ويبدأ الفصل الأول في العادة بتمهيد تلخص فيه بعض الشخصيات الثانوية الموقف، وتوضح علاقة البطلين ببعضهما، وتظهر بعد ذلك الشخصيات الرئيسية أمام الجمهور لتمثل هذه العلاقة. ويبدأ الموضوع في التطور في الفصل الثاني. وتحدث مأساة البطل الثاني في الفصل السابق للأخير، ومأساة البطل الرئيسي في الفصل الأخير، أو تتوتر العقدة، وتحل في الفصل الأخير إذا كانت المسرحية ملهاة. ويبث الشعر في فصول المسرحية الأولى ألواناً بهجة عن طريق الشخصيات الثانوية، ويتدرج نحو الأظلام حتى يبلغ نهاية ذلك في فصل المأساة، مستعيناً بالأدوات المسرحية الخارجية في إحداث تأثيره، أكثر مما يستعين بتحليل نوازع الشخصية والتعمق في سبر غورها، والتدسس إلى تحليل عواطفها.

ولعلّ ذلك راجع إلى ذلك الحيز الضيق الذي حصر شوقي نفسه فيه. فقد قيد نفسه بحدود التاريخ يستمد منه مواضيع فنه. ومن المتعذر إحياء الشخصية التاريخية، ويحتاج ذلك إلى مهارة وقدرة لا تتوفر للشاعر المبتدىء. والشخصيات التاريخية أقرب إلى الأنواع منها إلى أفراد واضحة الملامح، بينة الصفات، كما نجد في الشخصيات التي تعيش في الحياة، فهي حية نابضة متميزة ذات فردية. ووفق شوقي في العثور على هذا المفتاح الهام للمسرح حين جنح للحياة، يستمد منها مواضيع مسرحياته في المسرحية الأخيرة، وهي الست هدى، لأول مرة، ولكنه لم يمهل ليؤلف المسرحيات التالية وهي البخيلة التي أتمّ بعضها ومحمد علي الكبير التي لم يبدأ في تأليفها.

وحاول شوقي أن يزاوج بين موضوعين في مسرحياته أحياناً كما فعل كتّاب المسرح الرومانتي، فيساير الموضوع التاريخي في مصرع كليوبترة موضوع مبتدع يوازي الموضوع التاريخي، ويخفف من ثقل أعبائه، ويقابل بين تبعات الملوك وحرية الأفراد العاديين، ويطيل الموضوع وحوادثه. وكذلك يساير الموضوع التاريخي في علي بك موضوع آخر مبتدع،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويتشابك الموضوعان وتكسب نهاية الموضوع المبتدع الموضوع التاريخي نهاية مخففة الوقع ، إذ تتصل حظوظ علي بك ومصيره بحظوظ آمال ومراد ، ويتطوّر الموضوعان معاً ببراءة لا نلمسها في المسرحية الاولى . على أن هذا الموضوع الثانوي يبلغ أحياناً درجة من الحياة والجودة لا يبلغها الموضوع التاريخي .

وتكثر في مسرح شوقي مناظر العشاق ، وتبرز فيهـا العواطف ويلتهب الشعر ، وهـذه المناظر تعجب الجمهور لشيوع هذه العاطفة بين الناس على اختلاف درجاتهم ، وتكثر في الفصول أيضاً مناظر الصراع الحسي ، وتقل مناظر الصراع النفسي ، ولو أنها لا تنعدم . والنوع الأول أقل جودة من الناحية الفنية من النوع الثاني . فيوجد مثل هذا الصراع النفسي في كليوبترة ، بل هو لب مأساتها ، ولكنه لا يتضح تماماً . وكذلك يوجد في أنطونيوس . ويتضح قليلاً في ليلى وحيرتها بين هواها وواجبها . ويبلغ غايته وذروته في آمال ، حيث يتصارع في نفسها اخلاصها لزوجها واخلاصها لهواها . أو بين دواعي الخير ودواعي الشر . أما مناظر الصراع الحسي فشائعة في المسرحيات ، ففي المسرحية الأولى صراع بين أنطونيو واكتافيو ، وفي مجنون ليلى صراع بين قيس وآل ليلى ، وبين زياد ومنازل ، وفي علي بك صراع بين محمد بك وبينه ، واصطدام بين علي بك وسعيد . ويبلغ غايته في عنترة حيث يتكرر بصورة ملحوظة لا تخلو من المبالغة

وتوجد مناظر الولائم والحفـلات في كل مسرحية تقريباً ، كالغنـاء والرقص والولائم وعيبها أنها تشغل حيزاً كبيراً في تطور الموضوع ، بحيث تصير حشواً يفسد الموضـوع الدقيق التطوّر . وبها يعتمد الشاعر على أداة خارجية لاحداث التأثير المسرحي الدقيق .

أما في مناظر الموت فيمهد لها بإثارة روح المأساة في الجوّ بالتلميح به عن طريق الشعر وحشد أدوات مسرحية خارجية كأزهار وأفاعي ، وقبور وجرحى على المسرح ، وتعبر الشخصية في هذا الموقف عامـّة عن عواطف متقاربة ، في جملتها بكاء الأهل والأحبة والوطن مما يشابه شعر المؤلف في الرثاء إلى حدّ كبير .

ونـكاد نتبع تياراً فكاهيـًا في مسرح شوقي يبتدىء بصورة أولية في المسرحيات الاولى عن طريق اللفظ أو المنظر الجسمي للشخصية ، ويتطوّر حتى ينبع من الموقف والشخصية والمزاج في المسرحية الأخيرة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والشخصيات المسرحية عند شوقي بسيطة التركيب قليلة التعقيد ، بل قد تبلغ بها البساطة إلى حد انعدام الملامح وضياع السمات ، أمام تيار السيل الغنائي الذي يفقدها الكثير من حيويتها ، وصدق تصويرها ، بحيث لا نجد فيها ما نجد فيمن نلمسهم ونعاشرهم من الأحياء . وتدفع الشخصية في العادة عاطفة عامة توجه تفكيرها وسلوكها ونوازعها ، بحيث تظهر أفعالها وأقوالها منسجمة معها ، ودالة عليها وموضحة لها . فتوجه أنطونيوس عاطفة الحب ، كما توجه قيساً . وتوجه قمبيز صفات مضطربة ، فيوجهه الجنون المتقطع في بداية المسرحية ، ثم يستولى عليه ندم وحب في نهاية المسرحية . وتدفع علي بك فكرة التبذير نحو المأساة .

ولمسرحيات شوقي في العادة بطلان أحدهما رجل والآخر امرأة . وتتحكم المرأة في مصير الرجل الى حدٍّ كبير ، كما في مصرع كليوبترة ، ومجنون ليلى ، والست هدى . وفي البطل عيب تنفذ منه المأساة اليه . فكليوبترة لا تعبر بوضوح عن حبها لوطنها ، وحبها لأنطونيو ، ولا تستقر على جانب منهما ، فهي أمام المصريين مصرية تدافع عن مصر ، ومع أنطونيو عاشقة له متفانية في حبه . وظل هذا التردد موجوداً حتى نهاية المسرحية دون أن تتماسك شخصيتها بل كثيراً ما ترتبك وتضطرب . حتى إذا ما فشلت ، انتحر انطونيو ، وانتحرت بعده دون وضوح الدوافع والبواعث التي تتمشى مع سياق المسرحية . وأنطونيو عاشق ولا تظهر أعماله وأقواله نفسية الجندي الباسل كما يصفه من حوله . وحظ ليلى خير من حظ كليوبترة . فهي بدوية عاشقة ، على انه قام في نفسها صراع ، كان من الممكن أن يحلل تحليلاً شائقاً كما حلل في نفس جوليت ، إذ يتضح حيرتها بين واجبها نحو هواها ، وواجبها نحو التقاليد التي تتمسك بها . فيؤدي بها هذا الصراع النفسي الى الكارثة ، ويموت قيس بعدها . وقيس كأنطونيو عاشق ، بالغ الشاعر في اظهار سيطرة هذه العاطفة على أموره ، بحيث تخرج عن مألوف الحياة أحياناً . وعنترة عاشق أيضاً ، وعبلة عاشقة . على أن عنترة أوضح في قسماته وشخصيته من سابقيه ، فظهرت آثار البيئة المحلية فيه ، كما قويت ألوان عبلة وسماتها . فعنترة محب بدوي عفيف ، وعبلة فتاة بدوية خشنة جريئة . على أن قوة عنترة تصور أحياناً بصور خارقة خارجة عن مألوف الحياة . ولا تبرز الأزمة أمام الجمهور على المسرح ، ويسترسل في انشاد الشعر في معظم أجزاء المسرحية . وعلي بك محسن كبير ، يؤدي به الكرم الى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقد الخزانة ، وانفضاض أعوانه من حوله، ومما يؤدي به الى التماس المعونة من غيره، وآمال صورة حقة بما يبرز فيها من صراع نفسي بين ميلها الى مراد ، واخلاصها لزوجها، وقد انتصر ضميرها على هواها بسرعة . وهي أكثر حياة من ليلى وكليوبترة . أما قمبيز فهو صورة مضطربة من أهواء متضاربة، من جنون إلى ندم إلى حب مفاجىء . ونتيتاس تظهر وتختفي وتضطرب في أقوالها ولا تنسجم مع نفسها في أفعالها . وكذلك نفريت التي تظهر في بداية المسرحية مظهراً لا يتفق وانتحارها في النهاية . ولعلّ أبرع نساء شوقي في تصويرها هي الست هدى التي تحيا حقّاً ونكاد نلمسها بين من نعاشرهم من الناس ، فهي عجوز ترث ثروة من يطمعون في مالها واحداً إثر الآخر ، ممن يلتمسون مالهـا ، حتى إذا ماتت لم تترك شيئاً لزوجها الأخير . .

ولعلّ شخصيات شوقي الثانوية أقرب الى الحياة من أبطاله ، إذ لم يحاول أن يرفع من شأنها بشعر مصطنع ، أو يتدخل في طريق تعبيرها الحر عما يخالجها، كما تدخل في شخصياته الرئيسية . ولم يحاول شوقي بتر أحد جوانبها ، كما بتر كليوبترة مثلاً حين حلل نفسيتها من وجهة نظر دفاع وتبرير عن كل عمل تعمله . وإنما تحيا الشخصية بنواحي الضعف، كما تحيا بنواحي القوة ، وربما كان تحليل نواحي الضعف أكثر قدرة على إحيائها وإكسابها أبعاداً إنسانية . وربما تكسب بعض التفاصيل التافهة الشخصية حيوية وقوة .

ومن هذه الشخصيات الثانوية الحية أتباع الأبطال . فأوروس تابع وفي لأنطونيوس ، كما يتبع قيساً زياد ، وعنترة داحس ، وكما تفي هيلانة وشرميون لكليوبترة ، وعفراء لليلى . وتدع هذه الشخصيات الثانوية الأبطال يفصحون عما في نفوسهم ، ويكون الحوار طبيعيّاً يكشف مغالق عواطفهـا حين توجد هـذه الشخصيات الثانوية وتشترك فيه . والنساء في العـادة أكثر عطفاً على سادتهنّ من الأتباع ، على أنها جميعاً تكاد تكون نوعاً واحداً ، فهي مرتبطة بهذه الشخصيات الرئيسية وتستمد كيانها وأهميتها تبعاً لاتصالها بها .

ولهـذه الشخصيات أدوار تظهـر وتختفي دون استمرار في المسرحيـة ، فزينون وأنشو في مصرع كليوبترة ، وابن ذريح وهنـد في مجنون ليلى ، والماشطة والجواري في علي بك الكبير ، ووفد قمبيز ، وكلها شخصيات ثانوية تظهر لتؤدي عملاً ما ثم تختفي . ويقوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعضها في العادة بتبادل فكاهات لفظية تثير في الجوّ روح المرح والفكاهة . فهي كاللون في يد الرّسام ، تعطي الصورة لوناً بهيجاً . على أن بعضها أداة تهكم حين يظهر في نهاية المسرحية بصورة محزنة كابن ذريح في مجنون ليلى ، وإياس في مصرع كليوبترة .

ومن هذه الشخصيات صورة أنذال المسرحية ، كأولمبوس في مصرع كليوبترة ، وزياد في مجنون ليلى ، وتاسو في قمبيز . وأبو الذهب في علي بك ، وصخر في عنترة . وهي تهزم في النهاية جميعاً ، بل أن شوقى قد يعاقبهـا بالقتل كما في أولمبوس وزياد وتاسو ، وتفريت ، فنعتبر بتراً قد يكون غير طبيعي وفيه بعض الشذوذ والمفاجأة

ومن هـذا تتضح طبيعة الشخصيات عند شوقي ، فهي شخصيات بسيطة التركيب قليلة الالوان ، ضحلة الغور . ولعلّ الشاعر لم يقصـد إلى عمق التحليل ، إذ وجه اهتمامه إلى النظام دون النواحي الأخرى للإجادة المسرحيـة ، مما حدا إلى اضطرابها أحياناً . يقول الأستاذ عباس محمود العـقاد : « وغني عن الإبانه أن هـذه الروايات التي نظمها شوقي خلت من الشخصيات ، والتبست فيها ملامح الأبطال أيما التباس . مع أن كلها أو بعضها تاريخية ليس في تحضيرها وتصويرها فضل كبير بالنسبة إلى فضـل الإنشاء والإبداع ، »[1] ويرجع هذا إلى انعـدام شخصيته في شعره . والواقع أن شخصيات شوقى المسرحية سطحية التحليل حقـاً ، ولـكن مرجعها إلى الاتجاه الغنائي الذي اندفع فيه الشاعر ، وضحى في سبيله بالقيمة المسرحية ، والمثـل الأعلى للـكاتب المسرحي أن تختفي شخصيته من المسرحيـة ، ويدع الشخصيات تدير الحوار وتحرك الموضوع بصورة طبيعية ، وتعكس عالماً كأنه عالم الحياة .

وتنقسم شخصياته إلى أنواع ذات مثل عليـا إصلاحية رغم اختلاف هـذه الأنواع . فالبطل في العادة يمتاز بصفات نبيلة . فهو بطل في الحرب كأنطونيو وعنترة ، أو مثل أعلى في الوفاء والمروءة والشجاعة ، وهي صفات بدوية تتضح في عنترة ، وضرغام ، وزياد ، وفرعون ، وضاهر ، يقابل هذه الصفات النبيلة ناحيـة ضعف تنفذ المأساة إلى الشخصية منها — إذا كانت المسرحية مأساة . على أن البطل قد يكون شاعراً ، وتصير هذه الميزة صفة البطولة فيه . ومن أجل ذلك نسب شوقى إلى كليوبترة الشعر ، وصار قيس بطل البادية لهوة ، وكذلك

(١) شعراء مصر وبيئاتهم : ص ١٦٥ — ٢٦٦

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عنترة . ولا تخلو صحبة الملك من شاعر يمدحه ويمجده وينشده . أما إذا كان البطل امرأة، جعل شوقي محور حياتها عاطفة الحب، وأقام بجوارها حائلاً يمثل الواجب . وكثيراً ما ينسب إلى البطلة صفات أقرب إلى صفات الذكر . فكليوبترة بطلة سياسية ، رغم هواها . وليلى عاشقة، ولكنها تتمسك بواجبها . وتتيتاس تحب، وتجد في أداء الواجب مهرباً لها من حب يائس . وقد حرص شوقي على عدم خروج نسائه على تقاليد الإسلام بشكل واضح ، فيحيط ملوكه وملكاته وأبطاله بهالة من العظمة والعفاف .

وشعراء شوقي يحسنون الشعر ويسترسلون فيه استرسالاً قد يفسد الحركة المسرحية أحياناً سواء كانوا أبطالاً من شخصيات محترفة . ويدور شعرها بهذه الصور حول الهوى كما في مصرع كليوبترة، وليلى، وعنترة ، أو الفخر أو الحماسة أو الرثاء كما في مضرحياته كلها. ويصحب الشاعر في العادة مغنٍ يغني بعض المقطوعات . وقد يصاحبه مضحك يثير الفكاهة بألفاظه كانشو ومقلاص .

وللبطل تابع تفنى شخصيته في سيده ، ويخلص له اخلاصاً تامًّا ، ويتيح له الفرصة للتحدث عما يجيش بنفسه . فأوروس وزياد وداحس شخصيات تتبع الأبطال وتعطف عليها عطفاً يكاد يشبه عطف الأم الرؤوم ، والأنثى الحنون . وقد ترتبط مصائرها بمصائر أبطالها كما في أوروس الذي ينتحر قبل سيده ، أو تفنى لذة حياته بفنائه كما في زياد . وللبطل أيضاً منافس يحرص الشاعر على أن يكون غير كفء لمنافسة البطل ، فزينون منافس مضحك لأنطونيو ، ومنازل منافس، أدنى مرتبة من قيس . وصخر غير كفء لمنافسة عنترة ، وضرغام هو المنافس الوحيد الكفء لمنافسة عنترة ، ويحرص الشاعر على أن يقتل في معركة ليخلو الجو لعنترة .

* * *

أما ذلك العنصر المسرحي الذي اعتمد عليه شوقي في حواره ، فهو الشعر الغنائي ورواسبه . وجوهر الشعر الغنائي العربي لغة منمقة تعني بالتشبيه والاستعارة والبديع والأخيلة البعيدة المآخذ أحياناً ، والمعاني الطريفة ، وكل ما من شأنه أن يوفر الألوان الخيالية التي تنفذ الى أحاسيسنا وخيالنا . ولم يفكر شوقي مليًّا في جوهر هذا القاموس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التقليدي ، وفي وسائل تكييفه للمسرح . ولم تقف هذه المشكلة عند البحور والأوزان أو القوافي ، وإنما تتعدى الشكل إلى الجوهر ، إذ يعتمد الحوار المسرحي على التحليل النفسي العميق للشخصية والموقف ، ويخضع خضوعاً تامًّا للتمثيل بحيث يعبر عما يجول في نفس الشخصية من جهة ، ويساعد على تحريك الحوادث المسرحية نحو الأزمة الكبرى . فالحوار والشعر وسيلة لا غاية في ذاته : وسيلة إلى تجسيد الشخصيات واحيائها ، حتى نلمسها بارزة الملامح .

وإنه ليقابلنا في مسرحيات شوقي الأولى صور من الحوار تركيبية المبنى ولا تكاد توجد بينها تلك الوحدة الحية التي تميز العمل الفني والمنتج المسرحي ، بحيث ترتبط ملامح الحوار بأواصر السببية ، ويعم عنصر الوحدة النابع من الشخصية . وسيقابلنا في المسرحيات الأولى كمصرع كليوبترة ، ومجنون ليلى ، استرسال غنائي ينزلق فيه المؤلف بسهولة ، فيفلت زمام تصوير الموقف والشخصية ، والتطور السريع المتوتر للحركة المسرحية من يده . وستقابلنا أنظمة من الحوار تكاد تشبه القصائد الغنائية مبنىً ومعنىً ، من وصف أو شكاة أو نجوى ، أو رثاء ، أو مديح أو قصائد غنائية . وهي خيوط ابتدأ منها فن شوقي واتجه لم يستطع أن يتخلص منها عند ما ازدادت خبرته المسرحية ، ولم يتخلص منها إلا حين ترك المسرح التاريخي إلى المسرح الاجتماعي في مسرحيته الأخيرة ، حيث تدل الدلائل على أن الشاعر إنتبه إلى الأسس المسرحية وغير اتجاهه الأول ، فأخضع الحوار للحوادث والتشخيص . ولسوء الحظ لم يؤلف إلا مسرحية أتمها ولم يطبعها ، ومسرحية أخرى لم يتمها ولم يطبعها . وما زالت نسختها الناقصة عند أحد المعجبين به (الدكتور سعيد عبده) .

ولقد خدع شوقي بالنجاح الذي لاقاه مسرحه حين مثل على المسرح . واعجاب الناس به . على أن هذا الجمهور المعجب ، والمسرح الممثل لمسرحياته كان من هذا النوع الذي اعتاد مشاهدة المسرحيات الغنائية وسماع الغناء والطرب بسماع الالفاظ والأخيلة ، فقد كان كل هذا الجمهور المثقف ذا ثقافة أزهرية ، ولم يخلق بعد الناقد والمؤلف الذي اطلع على المسرح الغربي تأليفاً ونقداً وتعريفاً . وإنما كانت تلك الحركة الجديدة ناشئة حين كتب شوقي للمسرح ، وربما غير رأيه واتجه اتجاهاً آخر لو تأخر به الزمن قليلاً .

وقد نجحت مسرحياته للأسباب التي نجحت من أجلها المسرحيات الغنائية ، ففيها شعر مطرب ، وأغان تغنى ، ومناظر تبهر ، وقصص مستحدثة لم يسبق إليه في المسرح الشعري الراقي . على انه لبث مسرحاً مترفاً خاصًّا عكس أنواع العيوب التي ظهرت في المسرح الغنائي . فقد ضحى في سبيل هذا الامتياز بالقيم المسرحية الفنية ، وما كان من الممكن أن يحدث من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عمق في التصوير والتشخيص والمدلول . على أنه لا بدّ من الإشارة إلى جهد الكاتب الذي بذله حتى يكيف شعره الغنائي للمسرح ، وقد كان مجهوداً جباراً حقاً . فقلت النزعة إلى إنشاء القصائد بالتدريج ، وازدادت مرونة الحوار وقصرت الأوزان والبحور وبيوت الحوار ، بازدياد خبرة الشاعر المسرحية واتصاله برجال المسرح ومشاهدته لمسرحياته . ولسه لحاجات الجمهور . وهو اجتهاد اعتمد فيه المؤلف على ذكائه ، وربما هدته دراسة قليلة إلى الأسس القويمة .

وصاحب تطور هذه النزعة تطور آخر في فن شوقي المسرحي ، فقد زاد اعتماده على صور الصراع النفسي في الشخصيات ، والحوادث الناجمة عن تطور الموضوع ، وتصوير شخصيات بدأت ملامحها بالبروز إلى حد ما ، ووردت صور من المفاجآت وصور من التهكم المسرحي ، وازدياد في الحركة المسرحية والتمثيل ، ولو أن النواة الغنائية ما زالت محور هذا الفن . فقد وضع شوقي لنفسه أساساً لم يستطع أن يفلت من زمامه . ولم يفطن إلى ما في هذا الأساس من عيوب .

* * *

على أنه رغم هذه العيوب فشوقى هو أول رائد وضع أساس الشعر التمثيلي الراقى ، وترك لمن بعده مهمة إتقان نواحي المسرح الأخرى . يقول الدكتور طه حسين « أما عن التمثيل فقد غنى وأطرب وأثر ولكنه لم يمثل ، لأن التمثيل لا يرتجل ارتجالاً ولا يهجم عليه . وإنما هو فن يحتاج إلى الشباب والدرس والقراءة . وتمثيله صورة تنقصها الروح ، وإنحببها إلى الناس ما فيها من براعة الغناء . وربما أتى بالمعجب لو انه اطلع على كتابات قدماء الاغريق ، كما اطلع على كتابة قدماء العرب ، فاطلع على إلياذة هومر وأوديسته ، واطلع على فنهم التمثيلي . على أنه لا ينكر أنه منشىء الشعر التمثيلي في الأدب العربى . » [1]

حقاً لقد بذل شوقى مجهوداً جباراً في إنتاج تمثيليات في هذه السنوات الأربعة من حياته ، وتطور فيها فنه تطوراً سريعاً بازدياد خبرته ، فكثر الاقتباس والتقليد في المسرحيتين الأولى والثانية ، ثم استقل الشاعر بنفسه في مسرحيته الثالثة والرابعة والخامسة ، بحيث ترك الاقتباس واكتفى بالتاريخ ، ثم كمل استقلاله بنفسه حين خلف التاريخ كلية إلى الحياة يستوحي منها .

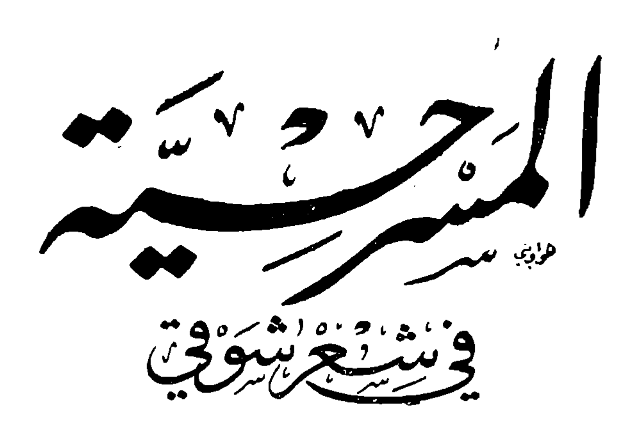
[يتبع]

---

(١) حافظ وشوق ص ٢٢١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





— ٢ —

تأليف

محمود حامد شوكت

ليسانس في الادب الانجليزي

ودبلوم معهد التربية العالي وماجستير في الآداب

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

١٩٤٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل الثاني

مصرع كليوباترة

المسرحية والتاريخ

غير شوقي في بعض الحوادث التاريخية لهذه المسرحية ووجه المسرحية بحيث تدافع كليوباترة عن سياستها . وينقسم النقاد فريقين حول علاقة الكاتب بالتاريخ : ففريق يرى أن الكاتب المسرحي مبدع مبتكر يخلق ويصوّر دون التقيد بحقائق التاريخ ، وله من الحرية ما يمكنه من مسايرة منطق الحوادث الروائية وطبيعة الجمهور . ويرى فريق آخر بأن الكاتب الذي يستمد موضوعه من التاريخ ويسمي المسرحية باسم تاريخي لا بد أن يتقيد بحوادث التاريخ ولا يخرج عليها .

والواقع أنه من التطرف التمسك بأحد الرأيين . وإنما نطالب الكاتب المسرحي الذي يستمد حوادثه من التاريخ بأن يحافظ على منطق التاريخ العام، ومنطق حوادثه الهامة، فيحفظها دون تغيير . فلا يغير الكاتب في الحوادث الرئيسية أو الشخصيات الرئيسية ، وإنما يبتكر ويبدع فيما عدا ذلك من ترتيب لهذه الحوادث بحيث يبرز الأزمة ويحلها حلاً مسرحيًّا شائقاً، ويبتكر ويبدع في إحياء الشخصيات ، وإلباسها أثواب الحياة ، فيتدسس إلى عواطفها وأهوائها وبواعث سلوكها بحيث تحيا أمامنا على المسرح . وبذلك يلتقي التاريخ والفن فلا ينقض أحدهما الآخر وإنما يكمله بطبيعته . والمثل الأعلى للكاتب المسرحي أن يخرج صور الحوادث والأشخاص إخراجاً موضوعيًّا يبرز فيه الصورة كما تتراءى لنفسها في الحياة ، ويتركها تسلك وتحاور على سجيتها وطبيعتها ، تبعاً لفهمه لها منذ البداية ، دون أن يفسدها بتدخله في أفعالها وأقوالها فيفقدها وحدتها الحية ، وشخصيتها التامة الكاملة .

وقد غير شوقي ثلاث حوادث رئيسية في المسرحية : فقد قرر التاريخ أن كليوباترة قد فرت من أكتيوم غدراً منها بأنطونيو، وصوره شوقي على أنه حدث يتمشى وسياستها التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رميتها نحو روما ، وهي التفرقة بين أنطونيو وأكتافيو ، وتركهما يتحاربان حتى يضعف هأنهما وتظهر قوتها هي . ولم يذكر التاريخ فرار كليوباترة من معركة الإسكندرية البرية ، بينما قرر شوقي أنها فرت تمشياً مع هذه السياسة . وقرر التاريخ أن كليوباترة قد أرسلت الى أنطونيو من يبلغه بانتحارها فانتحر، بينما يرى شوقي غير هذا . وأوجد شخصية أخرى هي أولمبوس الذي يتولى إخبار أنطونيو بذلك . وقد ذكر شوقي في النظرات التي كتبت بإيحائه في نهاية المسرحية بأنه فعل ذلك دفاعاً عن كليوباترة ، وهو كما نعلم مخلص للبلاط يحاول الدفاع عن عيوب الملوك عامة ويبرر أخطاءهم . على أن هذا التغيير التاريخي لم يصحبه قيمة فنية تعوض عنه، فقد أضر بتصوير شخصية كليوباترة بحيث لا نعلم من أقوالها أو أفعالها أهي عاشقة لأنطونيو أم مخلصة لمصر . فهي حين تتكلم أمام أهل مصر وطنية ، وحين تقابل أنطونيو تتكلم كعاشقة له .وتظهر في بداية المسرحية عدوة لروما وأهلها وتتخلى عنهم ساعة الشدة وفي نهاية المسرحيـة تتذكر أنطونيو، وإنه ليقابلنا في الحديث الواحد تناقض بين هواها وواجبها ، فلا نعلم أيهما محور شخصيتها . وكثيراً ما ترتبك شخصيتها حين يظهرها وطنية على طول الخط فلا يفصل بوضوح في تعبيرها عن هواها حتى بعد ان مات أنطونيو وحين تنتحر، أو يجعل نواة شخصيتها صراع بين الهوى والواجب ، ويبرز هـذا الصراع في كليوباترة كما يبرز في أنطونيو ، ولم يتخذ أساسـه تغلب الهوى على الواجب كما صوره شكسبير في « أنتوني وكليوباترة » أو جون دريدن في مسرحيته « كل شيء في سبيل الحب » . أحد هذه المحاور الثلاثة ممكن وطيب أما بعضها أو كلها فيحدث خلطاً لا يؤدي إلا إلى ضعف الشخصية واضطرابها والمبالغة في تبرير عيوبهـا وافتقادها أبعاداً انسانية حية وطبيعية . ولنضرب لهذا مثلاً بحديث أنطونيو إلى تابعه قبل انتحاره فيبدأ ، بقوله : —

روما حنانك واغفري لفتاك ... أو أن منـك وآه ما أقساك
روما سلام من طريد شارد ... في الأرض وطن نفسه لهلاك
انه الذي بالأمس زنت جبينه ... بالنـار عقك جهـده وعصاك
الأمهـات قلوبهن رقيقة ... ما بال قلبك لم يلن لفتـاك (ص ٧١)

وينتهي فيها بقوله : —

صفحاً كليوباترا قربت زلة ... قد كنت تغتفرين حين أراك

حتى إذا حمّ القضاء وراعني ... عطل المقاصر من بهاء حلاك

ضحيت بالدنيا وقلت رخيصة ... وبذلت أيامي وقلت فداك

ولا يقتصر هذا الازدواج المتناقض بين عاطفتين متناقضتين على أنطونيو ، وإنما يرد في حديث كليوباترة قبل أن تنتحر . فتقول في بداية حديثها : —

اليوم أقصر باطلي وضلالي ... وخلت كأحلام الكرى آمالي

وصحوت من لعب الحياة ولهوها ... فوجدت للدنيا خمار زوال (ص ١٢١

وتقول في نهايته : —

يا ابنتي ودي هلما ... زيناني للمنية

غسلاني طيباني ... بالأفاويه الزكية

ألبساني حلة تعجب ... أنطونيو سنية

من ثياب كنت فيها ... أتلقاه صبية (ص ٢٤)

فهو جامع أيضاً لعاطفتين متناقضتين ليس من المحتمل أن توجدا في الحياة في الحديث العادي . وقد كان من الممكن أن يحلل شوقي شخصيتها كمصرية وطنية لو أنه جعلها تتخذ من جمالها وسيلة تفتن بها أنطونيو واكتافيو كما فتنت يوليوس قيصر من قبل، على أن يدعها تعمل بإيجابية أكثر من تلك السلبية المطلقة التي تقفها أمام صراع أنطونيو واكتافيوس .

فصول المسرحية

وتنقسم المسرحية عند شوقي إلى فصول أربعة : يرتفع الستار في الفصل الأول عن نشيد ينشده العامة خارج قصر الملكة ، ويتغنون فيه بانتصار موهوم . وينتقل الحوار إلى غرفة المكتبة ويدور بين رجالها ، ويعلقون على هذا النشيد تعليقاً عدائيًّا يذكرون فيه هزيمة الأسطول وخديعة الملكة لشعبها ، ويعلقون على هذا ويعرضون بعلاقتها الآثمة مع أنطونيو . وتحضر الملكة فتقص على القوم فرارها من أكتيوم ، وتبسط سياستها أمامهم ثم تدخل لتصلي ، على أن أهل المكتبة ما زالوا في موقفهم العدائي منها . ويختتم المنظر بنشيد ديني .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حقًّـا قدم لنا الفصل الأول الشخصيات الرئيسـية . ولخص لنا الموقف، إلاَّ أن الأزمة لم تتضح بوادرها واتجاهاتها تماماً . ولم يخل الفصل من استطراد غنائي يلخص بوسائل القصة ما يجب أن يمثل تمثيـلاً مسرحيًّـا ، كما يقص حابي ما رآه بالأمس (ص ٢) . وتبسط كليوباترة سياستهـا وما فعلته في أكتيوم بهذه الطريقة . وهذا اتجاه سيخترم منهج شوقي كله .

ولذلك لزم وجود منظر آخر يتمم المنظر الأول نرى فيه أنطونيو ونلمس العلاقة الفعلية بين البطلين والاتجاه الواقعي للمسرحية . ويمهد لظهور أنطونيو وكليوباترة معاً ظهور حابي وهيلانة الذين تفاجأهما كليوباترة وأنوبيس، وتكشف الملكة عن حبهما، وتسأل أنوبيس أن يباركه، ثم يدور الحديث حول المعركة الدائرة على أسوار الإسكندرية وانعـدام أخبارها . فالمقدمة للموضوع الرئيسي لا تبين طبيعته تماماً . وإنما تظهر عليها مسحة التكلف . ويدخل جندي من جنود أنطونيو ليعلن انتصار سـيده ، ويتبعه سيده في موكبه الظافر ، وهنا يحدث ما يناقض ما ذكرته كليوباترة في بداية المسرحيـة . إذ تستقبله كليوباترة استقبال العاشقة ، ويشكو إليها أنطونيو هواه وما أبلاه في الحرب ، ويعبر خيانتهـا له ، وفرارها من المعركة عبوراً قد يثير دهشتنا . ولـكن هكذا أراده شوقي شخصاً لا يستطيع مقاومة الحب أو يصبر عنه ، وعاجزاً عجزاً تامًّـا عن سلواه والبعد عنه وتبريره بشتى الوسائل ، وقد يبدو هذا غريباً بما يصف به أنطونيو نفسه ، ويصفه به أتباعه ، كرجل حرب، وبطل قتال ، ويبدو غريباً أيضاً أن تمرّض كليوباترة بروما والرومان طول المنظر، وهم ضيفانها ، وتعتمد عليهم في محاربة اكتافيو ، وتعـلم أنه من مصلحتها كسبهم إلى جانبها في هـذه الآونة . ولـكن أراد شوقي أن يستعجل الأزمة بأي شكل فيجعلهم يعبرون عن عدائهم لها، ويجعلهم يضمرون لها الشر . وبهذا ينتهي المنظر الثاني .

ويغلب على الظن أن منظر مطارحة الهوى بين حابي وهيلانة، وبين كليوباترة وأنطونيو، قد أغرى شوقي فاسترسل فيه استرسالاً أفسد التطور الدقيق للموضوع ، إرضاء للجمهور الذي تجتذبه هذه المناظر العاطفية . على أن هذا الإغراء قد أضرَّ بالقيمة الفنية للفصل .

وفي الفصل الثاني ترفع الستار عن منظر الوليمة ، وتكثر مناظر الغناء والرقص ، ويأتي

العرّاف يقرأ الأكف ، على أننا نستطيع أن نلمس اتساع الأزمة التي ظهرت بوادرها في الفصل الأول وتفاقمها ، إذ يقرر الرومان الانصراف عن قائدهم الضعيف الخاضع لأهوائه .
ويلهو العاشقين لهواً قد يظهر غريباً في كليوباترة كما أرادها شوقي ، ويستمتعان بالطعام والشراب والغناء ومشاهد الرقص . ويقرأ العرّاف لها الأكف دون أن يعبأ بالغد القريب.
وقد ورد في هذا الفصل نشيدان أحدهما عن الخمر ينشده الشاعر ، والآخر هو نشيد الحب والحياة ، وقد نسبه شوقي إلى كليوباترة ، لجعل منها شاعرة ، حتى يجد النشيد لنفسه مكاناً في الفصل مع ما فيه من استرسال غنائي خارج عن التطور الدقيق للحوادث . بل ويزيد في اظهار كليوباترة بمظهر العاشقة . ويخرج أولمبوس ويعلن القواد عن بوادر التمرد : وهكذا ينتهي الفصل بحيث يطغى المنظر بما فيه من غناء ورقص ، على الحركة والتطور المسرحي .
ولعل شوقي قد دفع إلى ذلك مساقاً بميول الجمهور كما نلمسها في المسرح الغنائي .

ويفاجأ الجمهور في الفصل الثالث بهزيمة أنطونيو دون أن يلمس تطوّر الحوادث بين الفصل الثاني والثالث . ولعلّ شوقي قد لمس ذلك وحاول أن يخفف من وطأته ليجعل المنظر يتردد بين داخل المعبد وخارجه حتى لا يقتصر المنظر على شخصيتين تتحدثان لمدة طويلة ، بينما امتلأ الفصل السابق بالشخصيات. فيرى الجمهور أنطونيو وتابعه أوروس ، وأنطونيو يشكو نكد طالعه ، وأفول نجمه ، وخجله من فراره ، وأوروس يعزيه ويحاول تخفيف وقع الكارثة .
ثم يناجي روما وكليوباترة في حوار طويل (ص ٧١) وهو أقرب إلى القصيدة التي تلقى منه إلى حوار يمثل ، وقد استعان عليه الممثل أول مرة بالغناء . وهو علاج خارجي لا يخفف من عيبه المسرحي . ويرتد المنظر إلى داخل المعبد حيث يناجي أنوبيس أفاعيه في حديث عن العلم والسموم . وهو متشائم من بني البشر . ويدخل حابي معلناً هزيمة أنطونيو ، وهنا يبرز شوقي الذي دافع عن كليوباترة كملكة فعالة (هي السيف والآخرون العصى) ويتهم حابي كواحد من (فرسان المقال) رغم وطنيته وثورته على ملكته ، ورغم عدم وجود ما يؤيد محاولة كليوباترة الدفاع عن مصر في المسرحية ، ورغم اخلاص حابي لوطنه ومحاولته جمع حزب مصري من زملائه .ويعطي أنوبيس لحابي ترياقاً للسم ، بطريق الصدفة ، إذ ربما احتاج إليه . ثم تدخل الملكة لتتحدث عن هزيمة أنطونيو ، وتسأل أنوبيس الهداية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والنصح فيلح عليها أنوبيس بالانتحار صونًا لتاج مصر، وبعدها بإرسال الأفعى إليها ساعة الخطر مع حابى . ويرتد المنظر إلى خارج المسرح حيث يعثر الجنود على أنطونيو الجريح فينتقل إلى داخل المعبد ، ويكتشف أن كليوباترة ما زالت حية ، ويموت بين ذراعيها . ويحضر أكتافيوس ويراها لأول مرة ، ويتأكد من موت أنطونيو ثم يخرج .

ويظهر التفكك وضعف الحبكة المسرحية في هذا المنظر لتردده بين داخل المعبد وخارجه، سيما إذا تصورناه على خشبة المسرح ، ويلوح بعض التقدم في تحريك الحوادث وجمع الشخصيات بصورة لم تظهر في الفصلين الأولين من المسرحية كما يقل هنا الاسترسال الغنائى.

* * *

وفي الفصل الرابع تناجي كليوباترة أنطونيو الراحل ، وتقص لوصيفتيها خبر فشل سياستها التي لم يلمسها الجمهور لمساً قويًّا في طور التنفيذ على المسرح . وتحكي لهما عن مراوغة أكتافيو لها، ويدخل حابى ومعه السلة وتشتد حلكة الفصل بالتدريج، ويستجمع شوقي قدرته على النظم ويستعين بما على المسرح من أدوات خارجية تبث في الجو روح المأساة لظهور الأزهار الذابلة وصلة الأفعى والنساء الباكيات، ويغني إياس نشيد الموت وتودع كليوباترة آلها ووطنها في حديث طويل (ص ١٢٠) ثم تنتحر وتنتحر معها وصيفتها، على أن حابى وأنوبيس يدخلان في هذه اللحظة وينقذان هيلانة، وينصرف حابي وهيلانة إلى طيبه، ويرثى أنوبيس كليوباترة ، ويدخل أكتافيوس وأولمبوس ، وتلدغ الحية أولمبوس، ثم يرثى أكتافيوس كليوباترة ويخرج وتسدل الستار على أسف أنوبيس والدعاء لروما بالشر .

وعيوب هذا الفصل هي عيوب الفصل الثانى من استرسال غنائى قوي يستعان على تمثيله بالغناء والاستعانة بأدوات خارجة عن تطور الحوادث وتحليل العواطف تحليلاً دقيقاً عميقاً، لا تحليلاً سطحيًّا . على أن قدرة الشاعر تبلغ أقصى درجاتها فيه ويرتفع الشعر إلى أوجه وتبلغ فيه قوة التأثير ممتها بما حصل عليه شوقي قبلاً من خبرة سابقة في الرثاء . وما خبر في الحياة من حكمة وفلسفة تبلورت في نهاية الحياة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حلل شوقي شخصياته تحليلاً ذاتيًّا أكثر منه تحليلاً موضوعيًا ،وتتفاوت نسبة ذاتيته في شخصياته تبعاً لقرب هذه الشخصية من عواطفه ، وبذلك أتت الشخصيات مركبة من بعض نواحيها وبعض نواحي مزاج شوقي وفلسفته وآرائه السياسية والخلقية ، بنسب متفاوتة .

فقد سكب شوقي الكثير من عواطفه في كليوباترة كملكة تمثل عرش مصر الذي اتصل به شوقي وحاول الدفاع عما يشينه ، مادحاً لمحاسنها مبرراً لمساوئها . فهي كملوك مصر الذين يحبهم شوقي وان انحدروا من أصل أجنبي إلا أنهم تمصروا واتخذوا مصر وطناً ثانياً . وقد حاول شوقي جهده أن يهب كليوباترة كل فرصة للدفاع عن نفسها ، والتعبير عن محاسنها، والإشادة بفضلها ، على لسان من حولها ، سواء تزلفاً منه أو حقيقة ، ماراً مروراً طفيفاً على أخطائها . ولعلّ هذا هو مصدر اضطراب الشخصية وتحليلها على طريقته التركيبية التي تضيف صفة إلى أخرى، لا الطريقة التحليلية التي تشخص الصفة الرئيسية ، وتحلل الصفات الأخرى من حيث اتصالها وتأثرها بهذه الصفة الرئيسية . وكليوباتره ملكة مصرية . فهي تقول :

أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال (ص ٢٥٥)

وتقول أيضاً :

موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر (ص ١٥٩)

وهي ذات جمال يقول عنها زينون حين ألقاها أنه

يطأطىء رأساً لمجد النبوغ ويخفض رأساً لمجد الجمال (ص ١٤)

ويقول أنطونيو لها حين يلقاها

ردي على هامتي النار الذي سلبت فقبلة منك تملوها هي النار (ص ٣٤)

ويذكرها حين ينتحر بقوله :

لما لقيتك في الجمال وعزه قهرت قواي الظافرات قواك (ص ٧١)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويذكرها وهو يحتضر بقوله :

كليوباتره زودّيني قبلة من ثناياك العذاب الشهيات (ص ٩٥)

وتقول عنها هيلانه : لم يحو شمسين الفلك (ص ٥)

ويقول عنها أنوبيس : شعاع المدائن نور القرى (ص ٢٨)

ويقول حبرا عن كفها : هذه كف إله جاء في زي النساء (ص ٥٢)

وتقول هي عن نفسها : وأنا المهاة وقد ملأتك قاعاً (ص ١٠٢)

وتقول عن عشاقها :

يموتون بي عشقاً ويشقون بالهوى فكم من حياة في يدي ومَمات (ص ١١٥)

فالجمال صفة لازمة لها أراد شوقي أن يبرزها بقوة ، ويضاف إلى هذه الصفة صفة أخرى هي البيان فيقول عنها حابي . —

لسياس إنك قد سمعت حديثها كالسحر في الآذان حين يدار (ص ١٢)

ونسب إليها المؤلف القدرة على قرض الشعر فيقول لها أنطونيو

وقولي الشعر علويًّا كما كنت تقولينا (ص ٤٠)

ويقول إياس :

غنني شعر ملاكي غنني شعر الإله (ص ٥٢)

وهي مغرمة بالقراءة فيقول عنها زينون :

تنسى ملكها بلقاء الكتب أو تنسى هواها (ص ٦)

وقد أراد لها المؤلف أن تكون أمًّا تحس عواطف الأمومة بقوة فتقول عن أولادها :

وقد اشتهي عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضى لي ولا النبل يسمح

هـذا جانب المادحين ، وقد اختصت بذمها جماعة ألقوا على عرضهـا التهم جزافاً وهم الرومان وحابي . فيقول حابي عن أهل الاسكندرية أنهم :

هتفوا لمن شرب الطلا في تاجهم وأصار عرشهمو فراش غرام (ص ٢)

وقال أترضى ان يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغـاء (ص ١٠)

ويقول عنها قائد روماني : قد اجترأت على روما البغي (ص ٤٢)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويقول عنها أنطونيوس لاولمبوس .

صرّح أين قل غدرت قل جددت بقيصر الثـالث دولة الهوى (ص ٦٠)

وقد لخصت هي هذه التهم في قولها :

يقولون أنى أفنت العمر في الهوى بهيمية اللذات والشهوات (١١٥)

وتدافع عن هذه التهم بقولها :

ولـكن عشقت العبقرية طفلة وفي الغافلات البله من سنواتى (ص ١١٥)

وعاد حابى الذي أتهمها يقول أنها « أشرف الناس إحساناً ووجدانا »

ولم يبق إلاّ الرومان ، ومن الطبيعي أن يتهموها في عرضها .

ولكليوباترا جوانب أخرى تتلخص في حبها للحيـاة فهي تحب اللهو وتعشق وتفنى فيه وتضيف إلى ذلك كبرياء الملـكة ووقارها . فهي تقول لأنطونيو :

أمضِ معي في لذة الـــيوم ودع همّ الغـــد (ص ٣٩)
لا نبـالي إذا صفت بعـدها ما يكدر

وتلهو حتى تصبـح « سكرى تعثر في خليـج عذارها » (ص ٥٨)

وهي تحب أنطونيو وتذكره في موتها فتقول للموت :

سر بي إلى أنطونيو في نضرتى ورواء جلبابي وزينـة حالي (ص ١٢٢)

وتقول لوصيفتيها : ألبسـانى حلة تعـــجب أنطونيو سنيـة (ص ١٢٤)

على أنها رغم ذلك متدينة تهتف قائلة لأنوبيس :

صلّ من أجلي ولا تنس صغارى في صلاتك (ص ١٥)

كما تقول : إن الصـلاة على شدة الزمان معينـة (ص ٩١)

وهي ملكة ذات كبرياء . تقول وتفخر قائلة :

فإن تك بي خشية في النساء فلي جرأة الملـكات الـكبر (ص ٨٤)

وقد علم البرية أن تاجي عنته الشمس والأسر العوالي (ص ١٢٣)

وتقول للعرّاف خاتم الأيام أولى باهتمام العظمـاء (ف ٥٢)

وتقول وهي تودع الدنيا :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد اشتهي عيش الذليل لأجلهم   فلا المجد يرضى لي ولا النبل يسمح (ص ١٢٠)

وهي رغم ذلك رحيمة القلب تقول لوصيفتها :

أنت لي خادم ولكن كأنا   في الملمات أهل قربى وصهر (ص ١٧)

وتتقن أساليب السياسة فتقول لأروس :

الحرب فنك أروس والسياسة فني (ص ٣٧)

ويلخص أنوبيس شخصيتها في قوله :

بنتي رجوتك للضحية والفدى   فوجدت عندك فوق ما أنا راضي

إن تصبحي جسداً فنفسك حرة   وعلاك سالمة وعرضك ناجي

سيقول بعدك كل جيل منصف   ذهبت ولكن في سبيل التاج

حقاً إن كليوباترا متعددة الجوانب . على أنه يحق لنا أن نتساءل ما هي كليوباترا ، وهل نشعر بها كائناً حياً ؟ إنا لا نشعر بوجود شخصيتها ، ولا بالعاطفة الرئيسية التي تقودها . وما العبرة بتعدد الصفات والنواحي ، وإنما العبرة بتناسقها في ذات واحدة حول صفة تهب الشخصية كياناً . وقد أضاعها شوقي بمحاولته الدفاع عنها حين وصفها بالصفات الجيدة الطيبة ، وبتر الصفات الخبيثة . والإنسان الطبيعي مزيج من هذا وذاك .

تأتي بعد ذلك شخصية أنطونيو . وقد صوره شوقي بطلاً أعجزه الحب وسلبه الرجولة والشهامة ، وقد بالغ في تصوير ذلك إرضاء لشعور الجمهور لا إرضاء لنفسه وفنه ، ويذكر حياته الأولى قبل أن يتصل بكليوباترا بقوله :

فهمة قلبي في شراب وصبوة   وهمة نفسي في علاء ومفخر (ص ٧٤)

ويقارن بينها وبين حياته الثانية بقوله عن كليوباترا :

أخرجت أمري واختياري من يدي   وتركتني نفساً بغير ملاك (ص ٧٢)

ولا نكاد نلمس فيه صفات الجندي التي تحكي عنه ،وقد وصفه بها كثيرون ، وتقول عنه كليوباترا أنه جيش « بمفرده في الروع جرار » (ص ٣٦) ويسميه حبرا إله الحرب (ص ٤٨) ويسميه أوروس « إله الوغى » (ص ٦٧) ويقول له :

وقد كان سيفك غول السيوف   وكانت قناتك غول القنا

وكدت إذا الموت أفضى إليك   تحديته فانثنى القهقرى (ص ٦٧)

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

ويقول عنه جندي روماني أنه « هيكلاً عزّ في الرجال ضريبا »

قد عرفناه خير من هزّ رمحاً   أو نضا صارماً ولاقى الحروبا (ص ٩٢)

وتسميه كليوباترا : محور الأرض وميزان الشعوب (ص ٩٥)

ويقول عنه أوكتافيوس : « سيفاً لرومة باتراً » (ص ١٣٥)

وتقول كليوباترا: أنه غفور طيب القلب « وكم حقدت ثم أصبحت كأن لم تحقد » (ص ٣٩)

وتقول عن بشاشته :

ليس العبوس سنة   لوجهك الطلق الندى (ص ٣٩)

ولكن لا نرى أنطونيو يعمل حتى نحس بهذه الصفات في كيانه ، ونحس بوجوده حيًّا ، وهي عيوب يشترك فيها مع كليوباترا .

ويظهر حابي بعد ذلك مثالاً للشباب الوطني الممتلىء بالحماس ، القليل العمل ، كما يريد المؤلف أن يصوره ، وقد شاء أن يجعل منه أداة تدافع عن كليوباترا بعد أن أتهمها . ويصوّر أنوبيس بصورة الوطني المتشائم . وتظهر وطنيته حين تطلب منه كليوباترا أن يصلي من أجل ولدها فيقول :

أزيس كيف أصلي   على ابن يوليوس قيصر

أبوه عالٍ ولكن   فرعون أعلا وأكبر (ص ١٥)

أما بقية الشخصيات من الوصيفات وأولمبوس فهي شخصيات ثانوية ، تظهر وتختفي أثناء المسرحية وتساعد الشخصيات الرئيسية على التعبير .

ولعله يجدر بالإشارة أن نذكر أن الشخصيات الثانوية أقرب إلى الحياة من أبطال شوقي، وقد زاد انسجامها، إذلم يقف في طريق تعبيرها الحر عن نفسها نزعة أخلاقية أو وطنية، أو تدخل من جانب المؤلف ، وعنها صدرت العناصر الفكهة والحركة والحياة والانسانية كما في أوروس وهيلانة وأنوبيس . ولم يتكلف الشاعر إكسابها صور العظمة والنبل المفتعل، ويقابل زينون الشيخ المحنك المجرّب الماكر حابي الشاب الصريح النظري المتحمس ، كما يقابله أيضاً أنوبيس المتشائم العملي ، وتقابل كليوبترا العاشقة هيلانة العاشقة أيضاً . وأولها يحف بحبها الأثم، ولا يحف حب الثانية إثم ، وحبذا لو اتجه فن شوقي إلى إبراز مثل هذه المفارقات ، مكسباً مسرحيته العمق في التشخيص وصحة المدلول .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحوار

وقد تسببت معظم هـذه الأخطاء عن نوع الحوار الذي ارتضاه شوقي لفنه . وعيوب حوار المسرحيـة هي عيوب الكاتب البادىء الذي ما زال يتلمس الطريق ولم يكتشف بعـد الوسائل المسرحية النوعيـة التي يؤثر بها الكاتب المسرحي من عرض للأزمة وتطورها وتفاقها وحلها أو تشخيص وفلسفة ، وإنما يقارب حوار هـذه المسرحية نزعة القصيـدة والأناشيد المفتعلة إلى حدٍّ كبير ، وقلة المرونة في تبادل الحوار ، فتكاد تتوالى القصائد وتلقى بشكل خطابي . ولئن أطربنا منهـا موسيقى الشعر وجودة الوصف والغزل والرثاء والشكاة والعتب ، ولـكن ما هي قيمتها المسرحيـة التمثيلية الفنية ؟ — لعله من الخير أن نقارن بين فصول مشتركة من مسرحيـة « مصرع كليوبترا » « لشوقي » « وأنطونى وكليوبترا » لشكسبير لنرى ما كسب شوقي وما خسر بمذهبـه الغنائي ، وما كسب شكسبير وما خسر بمذهبه المسرحي التمثيلي

بين مسرحية شوقي ومسرحية شكسبير

ألف شوقي مسرحيته في عصر خاص ، وتأثر بأحداث خاصة اجتماعية ومسرحية ، وألف شكسبير مسرحيتـه في عصر خاص ، وتأثر بأحوال اجتماعية ومسرحية خاصـة . على أن للمسرحية قيمة فنية عامـة من حيث تحقيقها لمطالب الفن المسرحي الرفيع ، ومن حيث قيمتها الإنسانية العامـة . ولا بدَّ حين المقـارنة من التخلص من العوامل البيئية الخاصـة قدر الامكان ، وبنائها على أسس المسرحية ، أي كمسرحية تمثل أمام الجمهور وعن طريق ممثلين وعن عرض الموضوع المسرحي وتحليل الشخصيـات وما بلغ ذلك من عمق ، وعن ارتباط الحوار بالشخصية والموقف وقيمته الأدبية والمسرحية ، وعن القيمة العامة للمسرحية في تاريخ الأدب المسرحي عامة . ومذهب شوقي كما سبق القول مذهب غنائي يسترسل في نظم الشعر الغنـائي ويحاول التأثير في الجمهور والارتفاع به عن طريق الشعر أكثر منـه عن طريق التشخيص والعرض المسرحي للموضوع . ومذهب شكسبير مذهب التصوير المباشر للحقائق عن طريق عرض الموضوع عرضاً مسرحيـاً كأزمة تتطور وتتوتر وتحل ، بحيث يحدث هـذا التطور

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من داخل الشخصيات ، وينسجم معها فتؤثر حوادث الموضوع في سلوك الشخصيات وتؤثر الشخصيـات في تحريك حوادث الموضوع كوجهين لعملة واحـدة . ويعبر الحوار تعبيراً طبيعيًّا عما يقتضيه الموقف معبراً عن أهواء هذه الشخصيات العميقة وعواطفها كما تخرج الحرارة عن النار،والرائحة من الزهور . وقد دفع مذهب شوقي صاحبه إلى الخلط بين وسائل القصة وهي السرد والتفصيل والاسترسال ، بينما ساعد مذهب شكسبير صاحبـه على أن يبتدع ويحلل في حـدود ما اقتضاه المسرح . وقد وقفت في سبيل شوقي حيـاته الغنائية وتكوينه لأساليب خاصة لم يستطع أن يتخلص منها وهو في أواخر حياته ، ولم يستطع أن يكوّن دراسة عميقة جديدة لأسس فنه ، بينما ساعد شكسبير على اتقان فنه المسرحي حياته المتصلة بالمسرح من تمثيل وإخراج منذ بداية حيـاته . ولم يكن الشعر الغنائي عنـده إلاّ مخرجاً ثانويًّا لعواطفـه الجياشة ، بل إن قصصه الطويلة الغنائية الأولى تعتبر مقدمة لميوله المسرحيـة قبل أن تصقل أو تهذب . وقد عبر فيها عما يجيش في أعماق قلب الانسان . يضاف الى ذلك عبقرية نادرة في تفهم أعماق القلب البشري وقدرة فذة على تصويرها في لوحة ملسمة الشخصيات ، متسعة الأفق في الفلسفة والمدلول.

وبداية المسرحية في العادة شاقة عسيرة في تأليفها . وقد بدأها شوقي في مسرحيته بداية غنائية ولم تعرض عرضاً مسرحيًّا خالصاً . فيتردد الحوار الآتي بعد نشيد العامة بين حابي وديون : —

حابي : اسمع الشعب ديون كيف يوحون إليه
ملأ الجو هتافاً بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
يا له من ببغاء عقله في أذنيـه

ديون : حابي سمعت كما سمعت وراعني أن الرمية تحتفي بالرامي
هتفوا لمن شرب الطلا في تاجهم وأصار عرشهمو فراش غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

حابي : أتذكر يا ديون إذ انطلقنا إلى الميناء نلتمس الهواء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان البحر كالميت المسجّى وكان الليل المبت الرداء

ديون : نعم وهناك آنسنا سحاباً وراء الليل جللت السماء

فقلت انظر ديون ترى الجواري يطأنَ الماء همساً والفضاء

وأقبلت البوارج بعد عطلٍ سوائب لا دليل ولا حداء

رجعنَ رجوع قرصان أصابوا من الغزو الهزيمة والبلاء

فلم نسمع لملاّح هتافاً يبشر بالقدوم ولا نداء

حابى : فماذا قلت :

ديون:(قلت)ديون إني أرى الأسطول بالويلات جاء

دخول الظافرين يكون صبحاً ولا تزجى مواكبهم مساء

فلما أصبح الصبح انتبهنا نرى الأسطول أزين ما تراءى

تبرّجت البوارج بعد عطلٍ وهزّت في ذوائبها اللواء

وردّد في المدينة أن روما عفا أسطولها ومضى هباء

فضجّ الناس بالبشرى وكدّوا حناجرهم هتافاً أو دعاء

هداك الله من شعب بريء يصرّفه المضلل كيف شاء (٢)

هذا شعر طيب النسج حقًّا ، ويلخص تلخيصاً جيداً ما حدث وما مضى . ولكن هل حلل شخصية كل من المتكلمين تحليلاً يجعلنا نحسهما كائنين حيين لكلٍّ شخصيته ؟ وهل مثل الحادثة أمام الجمهور تمثيلاً مسرحيًّا ؟ أغلب الظن أن شوقى قد اكتفى بالحوار عن الحركة في معظم المواقف ، وجعله يصور الحوادث ويصف الشخصيات . فلنحاول إذن أن نوضح ذلك بتمثيل الحادثة تمثيلاً مباشراً ، وعرضها عرضاً مسرحيًّا تبرز فيه سمات الشخصيات وتحيا على المسرح وتبرز أعماق المواقف وتجلو خوافيها . هذه بداية مسرحية شكسبير : —

فيلبو : كلاّ . فقد اجتاز هتر قائدنا الحدود . أنظر إلى هاتين العينين الجميلتين وقد لمعتا كالمشتري فوق خضم القتال وحشد الجنود ، وها هما تترددان إلى هذا الجبين الأسمر ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهكذا أصبح قلب القائد الذي حطم لوحات الصدر من درعه في الميدان كيراً تبرد به هذه النورية هيهوتها . أنظر هاهما مقبلان (يدخلان) .

كليوباترا : إذا كان ما تزعم حبًّا فاشرح لي مداه .

أنتونى : ما أفقر حبًّا يحصى ويعد .

كليوباترا : سأقيم حدًّا أرى به مبلغ هواك .

أنتونى : إذن فاكتشفي عن سماء أخرى ، وأرض غير هذه الأرض (يدخل رسول قيصر)

كليوباترا : إستمع إليه فلربما أتى بغضبة من فلفيا . ومن يدري — ربما حمل إليك أمر قيصر ونهيه لتفعل هذا وذاك ، وتفتتح قطراً وتترك أقطاراً ، وإلاَّ اتهمتك .

أنتونى : كيف يا محبوبتي ؟ .

كليوباترا : إستمع إليه يا أنطوني . فربما كانت أخباراً من قيصر أو من فلفيا أو منهما معاً . ادع الرسل . أتستحي ؟ لعمري في حمرة وجهك إكرام قيصر ، أم تراها من لوم فلفيا القاسية ؟

أنتونى : لتذب روما في مياه التيبر . وليطو صرح الامبراطورية العريض . الملك من طين ، ومن الطين يغتذي النـاس والبهائم . ولأنبل ما في الحياة أن نتعانق ، ولترَ الدنيا كيف نقف وحدنا دون نظير .

كليوباترا : يا للـكذبة الرائعة . ولِمَ تزوّج فلفيا ولم يحبها ؟ أتخالني بلهاء ؟

أنتونى : ولـكن حين تدفع كليوباترا ، وحب الهوى ، وساحتها الناعمة ... ولـكن لم تكدر صفو الزمن بأحاديث العتاب أو تفقد لحظة من الحياة دون ندوة ؟

كليوباترا : إسمع الرسل أولاً .

أنتونى : أيتها الملـكة المعاندة التي يزينها كل فعل : حين تلوم وحين تضحك ، فيظهر كل ما فيها جميلاً . لن أسمع الرسل . وسنجول الليلة في أحياء المدينة نرى أنماط الخلق فلقد رغبت في ذلك (يخرجان) .

ديمتريوس : أو يستخف أنطونيو بقيصر إلى هذا الحد ؟

فيلبـوس : أحياناً يا سيدي ، حين لا يكون أنتونى . ويقصر عن السموّ الى مرتبة هذا الاسم النبيل .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ديمتريوس : لشد ما آسف . فإنه يحقق كلام العامة وكذبهم في روما ، وما آمل في الغد خيراً من هذا صاحبتك السعادة . (ظ — م) (ص ٢)

تصوّر بعد ذلك بدايتي المسرحيتين على المسرح . ففي مسرحية شوقي تتبادل الحديث شخصيتان وتنشدان الشعر لتلخيص الموقف . وفي مسرحيـة شكسبير يتنوّع الحوار بين الشخصيات فتتحدث شخصيتان حديثاً يبرز شخصيتهما كجنديين لا يعجبهما أنتونى العاشق وإنما ينظران فيه الى أنتونى الجنـدي ، ولا يفهمان لحبه معنى . ثم ينقضي هـذا الحوار القصير ليدخل أنتونى وكليوباترا ويمثلا تمثيلاً مباشراً هذا الحب ، فنلمس كما يلمس الجمهور ، عمقه وسعته وسموه ، يضحي في سبيله بالملك ويرتفع في عالم لا يرتفع إليـه الآخرون ، وتنكشف فيه أعماق قلب أنتونى وأعماق قلب المرأة في كليوباترا بتنوعه وتعقده في نفسها اللعوب . حتى إذا ما علمنا ماهية حبهما اكتمل المنظر دورته فيخرجان وتعود الشخصيتان الأوليتان في حوار بما يتفق وشخصياتهما . ثم حدثني ، ألم تلخص هـذه الأسطر القليلة الأزمة وبوادرها وتدفع الحركة وتمهد للمنظر الثانى وتحوي من عناصر التنوع وعمق التحليل وسعة اللوحة من تصوير لحب في مجال عدائى ، ثم انظر إلى بداية شوقي التي تصوره في مجال عدائى فترى فيما اتجه إليه شوقي من محاولة التأثير بالشعر وكيف حال دون أن يتقن ما أتقنه شكسبير ؟ إن الشخصيات عنـد شكسبير حية تنبض بالحياة أمامنا ، ونشعر بنواحي قوتها وضعفها أحياء مثلنا ، ولا نجد هذه الحياة في شخصيات شوقي الجامدة الخشبية . وقارن بين المناظر المشتركة في المسرحيتين هي ليست بالقليلة لترى هـذه الصفات تتكرّر وتتفرّق في ثناياها . فقارن مثـلا بين أنطونيو يرجع منتصراً إلى كليوباترا في المسرحيتين ليتضح فرق المذهبين . ونقتطف من هذا المنظر الحوار الآتى : —

أنطونيو : لقد طاردناهم . هلمّ بأحدكم ليخبر الملكة بقدومنا . وفي الغد قبـل أن تطلع الشمس نسكب الدم الذي نجا اليوم منا . شكراً لـكم فقد حاربتم كما لو كان كل منكم أنتونى وحاربتم كما لو كان كل منكم إله . هيا إلى المدينـة وتحدثوا إلى أصحابكم وأزواجكم بما فعلتم . ولسوف يمسحون بدموع الفرح جراحكم

(تدخل كليوباترا)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يا أنهار العالم ، طوّقي بساعديك عنقي . واقفزي بجمعك إلى قلبي . وامتطي
صهوة أنفاسي .

كليوباترا : ياسيد السادة . أيها العباب اللانهائي . أتأتي باسماً من شباك العالم الأعظم .

أنتونى : يا بلبلي . لقد طاردناهم إلى مهادهم . أي فتاتى . لئن امتزج المشيب ببعض
من أدكن الشباب فلنا عقول تغذي أعصابنا وتكيل للشباب صاعاً بصاع .
انظري إلى هـذا الرجل واحملي إلى شفتيه يدك الحبيبة . قبلها أيها الجندي
فقد حاربت كإله ينتقم من البشر .

فها هو أنطونيو الجندي لا يكافح إلاّ من أجل حبه الذي صار نواة روحه ، وغاية أعماله فانتصاره الحربى انتصار لحبه ، ونشوة ظفره نشوة حبه ولا يفقد شخصيته الرئيسية في موقف من المواقف مهما تعددت خيوطه وتشابكت أطرافه .

ولنقارن بينه وبين مقتطفات وردت في مسرحية شوقي تقابل هذا المنظر ، يقبل أنطونيو منتصراً إلى كليوباترا فتلقاه ويسألها أن تقبله فتقبله . فتقول له :

اليوم تعلم روما أن ضرتها	تقلد الغار من تهوى وتختار
اليـوم تعلم روما أن فارسها	جيش بمفرده في الروع جرار
أنطونيو ، سيدي هل نحن في حلم	أسالمٌ أنت لا أسرٌ ولا عار
أنطونيو : أسرٌ وهمت كليوباترا أتظفر بي	كأس المنايا على الأبطال دوار
لو كنت شاهدتني والحرب جارفة	والصف تحتي بعد الصف ينهار
قد جنّ تحتي جوادي فهو عاصفة	وجنّ كفي بنصلي فهو إعصار
رأيت حملة صدق غير كاذبة	لا السيل يحملها يوماً ولا النار
لما صدمت جناحيهم وقلبهمو	عن الخيام ومن أوكارهم طاروا
وما وجدت لأكتافيو وقادته	ريحاً ولم أتبين أيه صاروا
ومالت الشمس أو كادت فراجعني	شوقٌ إليك قديم الداء سوار
حتى رجعت ولو أنى طردتهمو	لبات أكتاف عندي وانقضى الثار (ص ٣٦)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تظهر صعوبة هذا الحوار على المسرح إذا تصورناه ملقى من فم الممثل مما فيه من الحركة رغم ما فيه من جودة شعرية وطرب بالألفاظ . فهو حوار يدور بين شخصيتين اثنتين في المنظر كله ، ويطول دون أن يتنوع أو يكشف عن حقيقة جديدة في الموقف أو جانباً من جوانب الانسان العميقة . وهو يلخص تلخيصاً سطحيـاً ما يدور من حوادث النفوس ونوازعها .

وسنلمس في مسرحية شكسبير صوراً من التعقيد المسرحي النوعي الذي لا ينتبه إليه شوقي ويثير بها شكسبير في مسرحيته عوامل معنوية تحدث أصداء في المسرحية وتثير وسائل تهكم مسرحي عام، وإحدى صور هذا التعقيد هي العرّاف . فقد اتخذه شكسبير أداة ترمز إلى غموض القدر وعجز الشرق الصوفي الخيالي أمام الغرب العملي ، وتكررت ألفاظه فوسعت الأفق المسرحي حتى اتصلت عناصرها بعناصر الكون ، وزادت من عمق مدلول الحوادث وسعتها الإنسانية، فيذكر العرّاف لانطونيو أن حظه يتضاءل كلما اقترب من قيصر « فابتعد عنه » ، ويرد أنوبيس على العرّاف في بداية المسرحية « مصيري ومصير جماعتنا هو أن نشمل حتى النوم » بينما يقول العرّاف لانطونيو :

حيـاتي في يديه والنـاس يحيون قسرا
إن شئت عمرت نهاراً أو شئت عمرت دهرا

ويقول لكليوباترا : ملـكتي يومك في الأيـام منشور اللواء
خطر العز عليـه ومشى فيه الأباء
ثم يتـلوه بقاء لم يطاوله بقـاء

فذلك شعر غنائي أكثر منه شعر مسرحي ، يتصل بالشخصية التي تتحدث عنه ، وقد يعجب القارىء ولكن لا يصلح للمسرح الذي يرمي إلى تمثيل الحوادث تمثيلاً يخاطب عقل المتفرج وخياله وعواطفه كما يخاطب سمعه ، بل أكثر مما يخاطب سمعه .

ولنقارن بعد ذلك بين منظرين جمع لهما المؤلفان عبقريتهما وقدرتهما على التصوير والتأثير حين تتوتر الأزمة إلى أعلى نقطها ، وتبرز شخصيات المأساة إلى أسمى مراتبها ، فيسطع نورها قبل أن تنطفىء . ولنبدأ بالمقارنة بين منظري انتحار أنطونيو في المسرحيتين:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أنتوني : ضاعت آمالي وخانتني هذه المصرية الدنيئة ، واستسلم أسطولها للعدو ، وها هم رجالها يقذفون بقبعاتهم إلى أعلى كمن يلقى صديقاً غائباً . أيتها العاهرة ثلاثاً ، قد باعتني إلى هذا الحدث الجديد . دعهم يهربون وسأتم أفعالي بعد أن أحطم السحر .

أيتها الشمس . لن أرى المشرق بعد اليوم ، وسأصالح مجدي الآن . أو ينتهي كل شيء هكذا ؟ فتذوب قلوب تبعت قدمي ، وحققت أمانيها فيَّ ، لقد خانوني . وأنت أيتها النفس الكاذبة والساحرة الخطيرة ، من أجل عينيها أثرت الحرب ، يا من دعوتها ملكتي وصدرها تاجي ومهادي . لقد خدعتني (تدخل كليوباترا)

ابتعدي أيتها الساحرة أو تنالك يداي بالأذى ، اخرجي أو تنالين ما تستحقين أو أشوه نصر قيصر . دعيه ينالكِ ويعرضكِ على غوغاء روما الصاخبين . وليأخذكِ درة في تاج نصره ، ويعرضكِ كما تعرض الوحوش على العامة ، وتخدش أكتافيا وجهك بأظافرها . (تخرج كليوباترا)

أما زلت تشهدني يا إيروس — قد نرى أحياناً سحابة نحسبها وحشاً ، وبخاراً نحسبه أسداً ، أو نمراً ، أو قلعة مشيدة ، أو جبلاً متشعباً ، أو صخرة هائلة ، فيسخر الوهم من أعيننا . أرأيت هذه الظواهر ؟

إيروس : نعم يامولاي .

أنتوني : أيها التابع الطيب ، هكذا مولاك الآن . لكني لا ألمس هذا الشخص فيَّ لقد خضت الحرب من جرائها . ولقد ظننت أن بيدي قلبها إذ كان قلبي بيدها لقد ضاعت مني واتصل مصيرها بقيصر . وصار مجدي نصراً للعدو . لا تبكي يا إيروس . فقد بقيت لنا أنفسنا لنقضي على أنفسنا (وحين تخبره ماريان بموت سيدتها يقول) :

أماتت ؟ إذن أنزع الدرع يا إيروس . لقد انقضى عبء النهار الطويل ، وعلينا أن ننام . دعني ، إنزع الدرع يا إيروس ، فإن يمنع درع آشيل انهيار

جوانبي، جاني أنشقا وحطما هذا الهيكل الواهن ، إليك عني يا إيروس فلست
الآن جنديًّا ، تداعي أيتها الأشلاء المرضوضة . دعني يا إيروس ، سألحق بكِ
يا كليوباترا . كل زمن يمر عذاب . لقد خبا السراج . سأقضي وأنهي الأمور
وأفسد عمل قيصر. ولن يحطم العنف إلا العنف . إيروس . سآتي يا مليكتي.
إيروس سنخطو يداً في يد، وندع الأشباح تنظر وتتبع . إيروس .

إيروس : ما يريد مولاي :

أنتوني : لقد صحبني العار منـذ ماتت كليوباترا . وتحتقر الآلهة دناءتي . قد قسمت
العالم بسيفي وصنعت بيدي ملـكاً على ظهر البحر . والآن تعوزني شجـاعة
امرأة وعقل سيد . لقـد أقسمت يا إيروس حين يدلهم الخطب — وقد ادلهمّ
الآن — أن تقتلني . فافعل فقد حان الوقت هيا ودع الدم يجري في وجهك .

إيروس : أوَ أفعل ما لم تفعله السهام المعادية وأخطأت ولم تصب ؟

أنتوني : إيروس . أتحبس في نوافذ روما ؟ وترى مولاك مكبلاً بالحديد ، يحني هامته
ويخترم العار وجهه وأمامه قيصر الظافر ؟

إيروس : لن أرَ هذا اليوم .

أنتوني : إليّ إذن ، لن تشفيني إلا الجراح ، انزع سيفك الأمين .

إيروس : عفواً يامولاي .

أنتوني : ألم تعدني بذلك حين أطلقت سراحك ؟ أم كان ولاؤك حدثاً طارئاً ؟ انزع
سيفك .

إيروس : إذن فأدر عني وجهك النبيل ، فقد كان قبلة العالم أجمع . ها قد نزعت سيفي .

أنتوني : فافعل ما سللته من أجله .

إيروس : وداعاً أيها السيد العظيم . سأطعن الآن .

أنتوني : الآن يا إيروس .

إيروس : ولِمَ إذن ؟ هنا الموضع فأهرب من الجزع (ينتحر) .

أنتوني : لأنت أنبل مني ثلاثاً . منك تعلمت ما أفعل . لقد سبقتني في معرض النبل .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سأجري الآن إلى الموت كروح يسعى إلى سرير العرس . وسيموت سيدك يا إيروس تلميذك (ويطعن نفسه) ما ذا ؟ لم أمت . (ينقل الى كليوباترا) .

كليوباترا : أيتها الشمس إظهري واحرقي مدارك .

أنتوني : سلاماً ، لم يحطم قيصر أنتوني وإنما تغلب أنتوني على نفسه .

كليوباترا : هذا ما يجب أن يكون فلم يخضع أنتوني أحداً غيره ولـكن واحزناه .

أنتوني : إنني أموت يا مصر ، وقد سوفت في موتي حتى أنال من آلاف القبل القبلة الأخيرة — لا تحزني أو تندبي نهايتي . عيشي على الماضي حين عشت سيد العالم . ها أنا لا أموت جباناً .

كليوباترا : يا أنبل الناس كيف تموت ؟ ألا تعبأ بي ؟ هل أبق هنا في هذا العالم الجامد الذي لا يفوق في غيبتك حظيرة ؟ لقد ذاب تاج الأرض وإكليل الحرب وعماد الجند وتساوى الفتيـة والفتيات بالرجال . لقد زالت الفوارق ولم يبق تحت القمر الراحل ما تحيا به . وهل أنا إلا امرأة تقودها عاطفتها كمن تبيـع اللبن وتؤدي أحقر الشئون ؟ لقد قذفت الآلهة بصولجاني ، كان عالمنا كعالمهم حتى سلبنا من جوهرتنا . والآن كل شيء عدم والصبر بلاهة ، أمن الاثم أن ألج باب الموت الخفي ؟ كيف يا نسائي ؟ الشجاعة لقد خبا السراج وانطفأ . الصبر يا قوم ، سندفنه ونعمل ما هو جريء نبيل ، سندفنه في موكب روماني ، هيا فقد برد ذلك الهيكل الذي حوى تلك النفس الكبيرة ، لم يبق لنا يا نسائي من صديق إلا العزم والموت .

نرى في هذا المنظر البطل في بؤرة الاهتمام تحلل عواطف وتسير إلى نهايتها المحتمة نحو المأساة سيراً نفسيـًّا متماسكاً . وتحبك الحركة المسرحية وترتب المفاجأة ويتبادل الحوار فيطول ويقصر تبعاً لحاجة الموقف، وتجرى عواطف الشخصية فتنمو عناصر المنظر وتتطور نحو النهاية، ولننتقل بعد هـذا إلى نظير هذا المنظر في مسرحية شوقي . ها هو أنطونيو مهزوم يخاطب تابعه بقوله :

أوروس إني جهـدت مغياً ومسني الضر والـكلال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قل بنا نستريح قليلاً من قبل أن يدهم الرجال (يجلس منهوكاً)

اوروس ماذا دهاني حتى نسيت مكاني
كان الملوك عبيدي فصرت عبد الحسان
ولست أول حر استعبدته الغواني
ولم أر كالحرب استراح قتيلها وأفضى إلى القيد الأسير المقيد
ولكن شتى الحرب والمصطلى بها إذا انفضت الحرب الطريد المشرد
ولولا اختلاف الحرب بالناس لم يهن عزيز ولم ينزل على القيد سيد

فيرد عليه أوروس قائلاً :

وقارك قيصر لا تجزعن وخل المقادير تجر المدى
فما أنت أول نجم أضاء ولا أنت أول نجم خبا
أما لك أنطونيو أسوة بيوليوس قيصر أين انتهى
رأيتك والحرب تبلو الكماة فاشهد كنت إله الوغى
وقد كان سيفك غول السيوف وكانت قناتك غول القنا

ويخبره أوروس بموت كليوباترا فيقول :

يا للسماء انتحرت أين أين ولم ؟ وكيف كان ذاك ؟ ومتى
اولمبوس : مررت بالقصر ضحى اليوم فلم أجد له نظماً ولا حسناً يرى
بدا لعيني خلاء موحشاً غير عويل هنا وهنا
انطونيو انتحرت يا للخبر ويا لقسوة القدر
إن الأمور انتقلت من خطر الى خطر
ما غدرت وإنما أنا الذي بها غدر (ف ٣)

ويناجي كليوباترا بعد ذلك في قصيدة تبلغ واحداً وثلاثين بيتاً كما يناجي روما ويعرض لماضيه . ويحدث بينه وبين أوروس ما حدث في مسرحية شكسبير . وينتقل إلى كليوباترا فيقول :

قد تداعى محور الأرض وميزان الشعوب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مال كالشمس جمالاً وجلالاً في الغروب
أيها المجروح لو تدري جروحي وندوبي
أيها الذاهب قد آن عن الدنيا ذهوبي
أيها الخالص ودًّا ليس ودي بالمشوب
عن قريب ينطوي القبر علينا عن قريب
كلاه بالرياحين وبالغار الرطيب
أيها الجند مات قيصر فابكوا معي السيد الجسور الوهوبا
شبكوا ساعديه من فوق صدر كان في الروع بالمنايا رحيبا (ف ٣)

إلى آخر هذه القصيدة البليغة في رثائها ، الضعيفة في تركيبها المسرحي . لم يراع فيها دراسة الموقف دراسة فنية عميقة ، ولم تعتبر مطالب الممثل والجمهور والإجادة الفنية في التحليل والتشخيص والحوار . ونفقد هنا التدرج الإنساني نحو الاستعداد للموت ، والتطور في تحليل العواطف بحيث تؤدي إلى حدوث الكارثة .ولا نجد في استجابة كليوباترا لهذا الموقف استجابة إنسانية تكشف عن موقفها من أنطونيو بوضوح، تستبين منه دقائق الصور وخلجات النفوس . وتنتهي المقارنة بعرض موت كليوباترا في كل من المسرحيتين .

ففي مسرحية شكسبير يلمس الجمهور استعداد كليوباترا للموت ويحسون بالنهاية آتية لا ريب فيها وترتفع رويداً رويداً إلى مرتبة القديسة التي تتطهر . تهيب كليوباترا بوصيفتها قائلة :

كليوباترا : اليَّ بردائي وتاجي فبين جنبي تختلج آمال الخلود. لن يمس خمر مصر هذه الشفاه
هلمي يا إيراس ، إخال انطونيو ينادي ويقوم من مضجعه يمدح مقالي ويسخر من قيصر . ها أنا يا زوجي جديرة بهذا الاسم . أنا هواء ونار ، تركت عناصري الأخرى للتراب. هلمي اليَّ واسلبيني بقية من حرارة . وداعاً شرميون طويلاً (تقبل إيراس فتسقط ميتة) أو أملك الصبر في فمي — أهكذا تموتين ؟ واذا كان الموت سهلاً سريعاً هكذا فان وخزته كوخزة حبيب . أترقدين ساكنة ؟ إذن فلا يستحق العالم وداعاً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شرميون : انفجري أيتها السحب الكثيفة . ها هي الآلهة تبكي .

كليوباترا : يا لدناءتي . ستقابل أنتوني قبلي . وسأفقد قبلة هي مماتي . إليَّ أيها النعش القاتل وفك عقدة حياتي بنابك القاطع . ولو نطقت اسميت قيصر حماراً لا يفقه

شرميون : أيتها النجمة الشرقية .

كليوباترا: سلاماً سلاماً . ألا ترين ابني على صدري يدفع مرضعته للنوم ؟

شرميون : تحطمي وانفرجي .

كليوباترا : حلو كالبلسم — لين كالهواء اللطيف — أنطونيو — إليَّ أيها الآخر (تموت)

(ف ٥)

وفي شوقي تستعد للموت في قصيدة واحدة طويلة ترثي فيها نفسها وتذكر موتها فداء لمصر وتخاطب الإسكندرية ، ثم تتناول الأفعى وتنتحر . فهي قصيدة طويلة لا نجد فيها التدرج النفسي نحو المأساة ، وإنما يثار جو المأساة . عن طريق الشعر .

والفرق بين المنهجين واضح ، وهو أن شكسبير قد قرر لمسرحيته عالماً منسجماً يدور حول فكرة وفلسفة واحدة ، هي الهوى والتضحية في سبيله ، لم يختلف في ذلك أنطونيو أو كليوباترا . وبذلك وضع لها قاعدة تتصل بنفوس الناس وتهوي إلى أعماقهم . وصوَّر الموضوع تصويراً إنسانيًّا شمل الكون وقارن فيه بين الغرب العملي والشرق الذي لا يعترف بالمادة . وملأ هذا العالم بأنماط عديدة من الناس وحللها هذا التحليل العميق البارع المعقد فأنطونيو يضحي بمجده وهو يعلم بضعفه ، ويهجر أكتافيا إلى كليوباترا وهو يعلم أن ذلك سيثير عليه سخط الرومان . وصوَّره متصلاً بكليوباترا اتصالاً يجذبه إليها كما يجذب المغناطيس الابرة . وتظهر كليوباترا بمظهر المرأة التي تجمع في ذاتها حواء المتنوعة المغرية المعقدة الغامضة التي لا تفهم وربما لم تفهم نفسها . وأكسبها قولاً وفعلاً يتصف بالحيوية الشديدة . وأدار حول الكوكبين الرئيسين شخصيات ثانوية تقابل بين أهوائهما ويرتفع البطلان بالتدريج نحو المأساة فيصير الموت نصراً لا هزيمة ، ومجداً لا ضعة ، وتتحرك في أثناء ذلك من عالم من الرموز وتتشبع اللغة بألفاظ الذهب والفضة واللآلىء والشموس والأقمار في تعبيراتها . وترى في هذا العرض الزائل من مال وجاه توافه بجانب هذه القيمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الروحية الكبرى وهي الحب . هـذا إلى تعقيد الموضوع والتشخيص وروعة اللغة وتطور الشخصيات مع انسجامهـا واتساع الأفق والمدلول الذي يحتضن عالم المسرحيـة ، فارتفعت المسرحية إلى قمة الوجود وهبطت إلى أعماق قلب الإنسان .

وربما اطلع شوقي على مسرحية شكسبير كما تدل على ذلك بعض الدلائل مثل أسماء بعض الشخصيات ومشابهة بعض الفصول والمناظر ، على أنه كان اطلاعاً عابراً سريعاً لم يدعه يتفهم أصولها ومراميها . وكانت النتيجة أن عني بشعره أكثر مما عني بشخصياته وموضوعه ولوازم المسرح والجمهور، ولم يعن بالقيمة الفنية العامة للمسرح، فاضطربت بعض الشخصيات الرئيسية لكليوباترا ، وفقد الموضوع تطوره المسرحي الدقيق من أزمة تتوتر وتحل ، وشخصيات ينبع من داخلها الموضوع وتحلل تحليـلاً نفسيًّا عميقاً وسعى إلى التأثير في نفس جمهوره بوسائل هي الشعر آناً ، وأدوات مسرحية خارجية آناً آخر .

على أن عيوب هذه المسرحية هي عيوب الكاتب البادىء الذي يتلمس الطريق في تجربته الأولى، ولم يكتشف بعد طريق الكاتب المسرحي الماهر إلى نفوس الجمهور، أو يضع يده على وسائل إجادة الموضوع المتماسك والمفاجآت والشخصيات وإخضاع الحوار لها بشكل يرضاه قواعد هذا النوع من الفنون .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل الثالث

مجنون ليلى

يتطوّر فن الكاتب المسرحي المبتدىء تبعاً للخبرة التي يكتسبها نتيجة لاتصاله بالمسرح والممثل والمخرج وتبعاً لاحتكاكه المباشر بالتمثيل ، مما يوضح له مطالب فنه بالتطبيق العملي، فالى أي حد تطوّر شوقي الشاعر الغنائي إلى شاعر مسرحي ، وإلى أي حد أثّر شوقي الشاعر الغنائي في شوقي الشاعر المسرحي ، وإلى أي حد تطوّر فن المؤلف في مسرحيته الثانية من حيث اتصالها بمطالب المثل والمسرح والجمهور ، وإلى أي حد اتفق عرض الموضوع وتحليل الشخصيات وإدارة الحوار مع المثل الأعلى للمسرحية ، وإلى أي حد تقدمت في منهجها على منهج مسرحيته الأولى ؟

سنلمس في مسرحية شوقي الثانية أوجه شبه بالمسرحية الأولى تصلها بها ، في تطور الموضوع وتقسيم فصوله ومناظره العامة ، على أننا سنلمس تطوراً في الصناعة المسرحية في تحليل الشخصيات وانسجامها وتطورها نحو المأساة ، ووضوح الأزمات والتحايل على إخفاء العيوب المسرحية في الحوار الغنائي باختيار موضوع يعرض لقصة هوى شاعر غنائي مثله ، في مجال من الشخصيات تعجب بالشعر وتنشده وترويه ، وأورد في ثناياه أناشيد ينشدها شعراء ومغنون سعوا إلى زيارة الشاعر . فالشعر مصدر البطولة في قيس ، ومصدر إعجاب الشخصيات الأخرى به ، والشعر مصدر خلود هذه المسرحية بما يصف من هوى متأجج في نفس البطل . وقد اجتذب الشعر أعداء قيس وأصدقاءه على السواء ، إذ يحسده منازل على براعته فيه ، ويأمر به أبا ليلى فيرويه عنه كارهاً ويستهوى به زوج ليلى ، ويسعى من أجله ابن عوف لينيل قيساً ما اشتهى ، ومن أجل الشعر يقصد الشعراء قيساً للتعرف به والتودد اليه، فلا بد أن يجتذب الجمهور المسرحي ويدعوه إلى الاعجاب بالمسرحية

ولكن الشعر في المسرحية الجيدة لا يقصد لذاته . وانما هو وسيلة لادارة الحركة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المسرحية ، وحوادث الموضوع ، ووسيلة للتعبير عما يجول في أعماق الشخصيات حتى تتحرك نحو الأزمة ، فإلى أي حد حقق شوقي هذه المطالب الرئيسية ؟

اقتبس شوقي حوادث هذه المسرحية وبعض الحوار من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، واختار من روايات الرواة والشعر المنسوب لقيس بعضاً منها دون أن يحوّر فيه كثيراً ، وأغلب الظن أنه اختار أكثرها طرافة وغرابة ، لا أكثرها تمشياً مع العادي من منطق الحياة والناس. واختار الرواية التي رواها بعض الرواة، وهي أنّ قيساً كان يهوى ليلى، وأحبها منذ كانا حبيبين يرعيان مواشي أهليهما ، ولم يزالا كذلك حتى حجبت عنه ، فأنشد في هواها شعراً ، واشتهر أمر هذا الهوى وذاك الشعر بين الناس ، ثم حيل بين قيس وبين ليلى ، فلما خطبها خيرت ليلى بينه وبين خطيب آخر هو ورد بن محمد العقيلي ، فاختارته وتزوجته على كره منها فيئس منها وشرد في البادية . وأكسب شوقي بعد ذلك القصة نهاية مسرحية هي يأس ليلى أيضاً ، وموتها، ثم علم قيس بذلك ومات .

وأورد شوقي في ثنايا هذه القصة ما اشتهر به قيس من عجائب وغرائب ، فقد ذكر ما رواه البعض من أن عمر بن عبد الرحمن بن عوف والى صدقات بني كعب وقشير والحرمين وحبيب عبد الله ، فنظر إلى المجنون قبل أن يستحكم جنونه وكلّمه وأعجب به ، وسأله قيس أن يخرج به إلى آل ليلى وقال له « أكون معك في هذا الجمع ، فأرى في صحبتك ، وأتجمل في عشيرتي بك ، وأفخر بقربك ، فجاؤا رهط ليلى وأخبروه بقصته ، وأنه لا يريد التجمل به وإنما يريد أن يفضحهم في امرأة منهم يهواها ، ورفضوا وساطته فانصرف ابن عوف وانصرف قيس منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلاّ خرقه ، ويخط في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة ، ولا يجيب أحداً سأله عن شيء ، فإذا أحبوا أن يتكلم أو يثوب الى عقله ذكروا له ليلى فيقول ، بأبي هي وأمي . ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويجيبهم ويأتيه أحداث الحي فيحدثونه عنها وينشدونه الشعر والغزل . فيجيبهم جواباً صحيحاً وينشدهم أشعاراً قالها حتى وفد عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن ونوفل بن مساحق ، فنزل مجمعاً فرآه يلعب بالتراب وهو عريان فقال له « ياغلام ، هات ثوباً » فأتاه به فقال لبعضهم « خذ هذا الثوب وألقه على ذلك الرجل » فقال له « أتعرفه جعلت فداك ؟ » ، فقال لا »

قال « هـذا ابن سيد الحي . لا والله ، ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعل الآن . وإذا طرح عليه شيء قذفه . ولو كان يلبس ثوباً لـكان في مال أبيه ما يكفيه . فحدثه عن أمره فدعا به وكلمه ، فجعل لا يقبل شيئاً يكلمه به . فقال له قومه : « إن أردت أن يجيبك جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى » ، فذكرها له وسأله عن حبه إياها . فأقبل عليـه يحدثه بحديثها، ويشكو إليه حبه إياها ،وينشده شعره فيها . فقال له « الحب صيـّرك إلى ما ترى ؟ » قال « نعم ، وسينتهي إلى ما هو أشد مما ترى »فعجب منه وقال له « أتحب أن أزوجكها ؟ » قال « نعم ، وهل إلى ذلك من سبيل ؟ » فقال « انطلق معي حتى أقدم على أهلها بك وأخطبها عليك وأرغبهم في المهر لها » . قال « أتراك فاعلاً ؟ » قال « نعم » . قال « أنظر ما تقول » . قال « لك عليّ أن أفعل ذلك » ودعا بثياب فألبسه إياها وراح معه المجنون كأصح أصحابه ، ينشده ويحدثه ، وبلغ ذلك رهطها فتلقوه في السلاح . وقالوا له « يا ابن مساحق »لا والله ، لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت . فقد أهدر لنا السلطان دمه » فأقبل بهم وأدبر فأبوا فلمـا رأى ذلك قال المجنون « ننصرف » فقال له المجنون « والله ما وفيت لي بالعهد » قال له . « انصرافك بعد أن آيسني القوم من اجابتك أصلح من سفك الدماء » .

ومن هذه القصص الغريبـة الغير مألوفة ما ذكره الرواة عن قصة النار . قيل لقيس : « ما أعجب شيء أصابك في وجدك في ليلي ؟ » . قال « طرقنا ذات ليلة ضيفان ولم يكن عندنا لهم أدم فأرسلني أبى إلى منزل أبي ليلى وقال لي . أطلب لنا منه ادماً فأتيته ، فوقفت على خيامه ، فصحت به ، فقال ما تشاء ؟ فقلت طرقنا ضيفان ولا أدم عندنا لهم ، فأرسلني أبي نطلب منك أدماً ، فقال ياليلى ، اخرجي إليه النحى ، فجعلت تصب السمن فيـه ، ووقفت نتحدث ، فألهانا الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب ولا نعلم جميعاً ، وهو يسيل حتى انتقعت أرجلنـا بالسمن ، قال فأتيتهم ليلة ثانيـة أطلب ناراً وأنا متلفع ببرد لي ، فأخرجت لي ناراً في عطبة ، فأعطيتها ووقفت نتحدث فلما احترقت العطبة حززت من بردي خرقة . وجعلت النار فيها ، وكلما احترقت حززت أخرى واشتبكت بها النار حتى لم يبق عليّ من البرد إلاّ ما أداري عورتي » .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومنها أيضاً قصة الظبي ، قيل للمجنون أي شيء رأيته أحب إليّ ؟ قال : ما أعجبني شيء قط فذكرت إلاّ سقط من عيني ، وأذهب ذكرها بشاشته عندي . غير أني رأيت مرة ظبياً فتأملته وذكرت ليلى ، وجعل يزداد في عيني حسناً . ثم إنه عارض الذئب وهرب منه فتبعته حتى خفي عني فوجدت الذئب وقد صرعه وأكل بعضه فرميته بسهم فما أخطأت مقتلاً . وبقرت بطنه فأخرجت ما أكل منه ثم جمعته إلى بقية سلوى ودفنته وأحرقت الذئب » .

ومنها أيضاً قصة حج قيس إلى الكعبة قالوا : بعد أن رفض أبو ليلى تزويجه من ليلى أيس منها وزال عقله جملة . وقال الحي لأبيه حج إلى مكة وادع الله عزّ وجلّ له ، فلعل الله أن يخلصه من هذا البلاء . فحجّ أبوه . ولما صاروا بمنى سمع صائحاً في الليل يصيح ياليلى فصرخ صرخة ظنوا أن نفسه قد تلفت فيها فسقط مغشيًّا عليه . فلم يزل حتى أصبح ثم أفاق حائل اللون ذاهلاً . ثم قال له أبوه « تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى » . فتعلق بأستار الكعبة ثم قال « اللهمّ زدني حبًّا وبها كلفاً ، ولا تنسيني ذكرها أبداً » فهام حينئذٍ واختلط عقله فلم يضبطه . قالوا . « فكان يهيم في البرية مع الوحش ولا يأكل إلاّ ما ينبت في البرية من بقل ، ولا يشرب إلاّ مع الظباء » .

ووردت غير ذلك أخبار عن لقاء قيس وليلى في حي الزوج الجديد .

* * *

واعتمد شوقي على هذه الأخبار التي لم يطمئن إلى صدقها صاحب الأغاني ، والتي لا تتمشى والمألوف من أمور هذه الحياة التي يحياها الناس . ففي الفصل الأول يظهر ابن ذريح في حي ليلى ويمهد في الحديث عن أمر قيس بحديث مع أهل الحي عن أخبار السامة والصحراء وعن الحياة في البادية والحضر . ويسوق الحديث عن الشعر إلى التحدث عن قيس ويروي خبر الظبي ويدعو ابن ذريح ليلى إلى الاهتمام بشأن قيس ، فتوضح ليلى له حقيقة مشكلتها منذ البداية فهي عاشقة لقيس ، مقرة بعبادتها إياه هذا الحب ، على أنها لا تستطيع الزواج به لتشبيبه بها فتقول :

أنا بين إثنتين كلتاهما النار فلا تلحني ولكن أعني

بين حرصي على قداسة عرضي واحتفاظي بمن أحب وضني

وينصرف السامرون ، فيخلو المسرح للقاء قيس وليلى وتمثل قصة النار . فيحترق كم قيس وهو في نشوة نجواه لها ، ويغمى عليه ، فيقبل المهدي والدليلي ، فتزيد العقبة القائمة بين زواجهما وضوحاً ، ويحث المهدي قيساً على الانصراف حتى لا يسمع القوم تشبيبه بها .

وهذا الفصل جيد من الوجهة المسرحية إذا قارناه بالفصل الأول في مصرع كليوبترا ، فقد قدّم للجمهور الشخصيات الرئيسية ، ولخص الأزمنة والحوائل القائمة ، وصحب العرض المسرحي عرض تمثيلي متنوع الحوادث فيعقب التمهيد تمثيلاً للموقف يجعل الجمهور يلمس الأزمة لمساً ولا يكتفي بسماعها ويبين بوضوح أمزجة الشخصيات وبواطنها ومحاور سلوكها. ويصحب الحوار الحركة المسرحية بصورة لم توجد في مسرحية شوقي الأولى .

* * *

على أننا نقابل النزعة الغنائية في الفصل الثاني من المسرحية ، ونلمس ضعفها المسرحي وهدفها الغنائي . فكما ورد في مصرع كليوباترا مناظر تعتمد في تأثيرها في نفوس الجمهور على الغناء والرقص والموسيقى ، بحيث تطغى هذه التأثيرات على الحركة المسرحية والتطور الرئيسي المباشر للموضوع ، كذلك ترد في هذا الفصل أناشيد الحوار وطرائف الأطفال دون أن تتصل اتصالاً مباشراً قوياً بالموضوع . فبعد أن تظهر بلهاء الجارية ، ومعها الذبيحة التي قرأ عليها العرّاف تمائمه ، ويرفض قيس أن يذوقها ، تظهر جماعتان من أطفال الحي ، وتتغنى الجماعة الأولى بهواه ، وتشيد بفضله كشاعر ، وتذم الجماعة الثانية هواه وتشيد بإثمه ، ويصرف الجماعتين تابعه زياد ، ثم يغمى على قيس ويعثر عليه ابن عوف وهو مار بالطريق فيعرفه . ثم تمر قافلتان تنشد كل منهما نشيداً يعبر عن العاطفة الدينية في الجمهور ويشيد بالحسين . ويذكر اسم ليلى في أحدها فيصحو قيس ، ويحاور ابن عوف ويسأله أن يتوسط من أجله لدى آل ليلى . فيتبرّع ابن عوف بذلك .

ويظهر في هـذا الفصل صفات ضعف شوقي العام في فصله الثاني ، إذ يكثر فيه الحدو الغنائي ويقل العمل المسرحي الرئيسي. على أن الغناء في هذه المسرحية أكثر اتصالاً بالموضوع وبحاله ، من الغناء المجرد في مصرع كليوباترا ، ففي هذه المسرحية اتخذ وسيلة . ولو أنها واهية لإيقاظ قيس بينما يحتال عليه المؤلف في المسرحية الأولى فينعقد الشاعر نشيد الحر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويجعل من كليوباترا شاعرة ينشد لها المغني نشيد « الحب والحياة » وتبدأ الحركة المسرحية من نهايته .

وفي الفصل الثالث يبلغ الركب حي ليلى ، ويبدأ بتشجيع ابن عوف لقيس الذي يوشك أن يغمى عليه . فيظهر المهدي الذي يلوم ابن عوف على توسطه لقيس . ويستهوي ابن عوف بعض أهل الحي إلى جانب قيس ، فبينما تسعى جماعة أخرى إلى الفتك بقيس يحول المهدي دون ذلك ، ويبرز منازل خطيباً يريد أن يؤلب القوم عليه ، ثم يكشف بشر عن خبيئة نفسه ، وينتهي أمر منازل بمبارزة بينه وبين زياد خلف المسرح يختفي بعدها منازل ويذكر شخص أن آخر سيصير زوج ليلى هو ورد ، وينتهي الفصل بتأكيد هذه الحادثة ، وهي زواج ليلى منه وانصراف ابن عوف فاشلاً حانقاً . وينصرف قيس وهو موشك على الجنون وينتهي الفصل باظهار ليلى لندمها على شرعها في رفض الزواج بقيس .

وفي هذا الفصل تبرز الأزمة الكبرى ويتحرك الموضوع بعدها نحو المأساة . وهو مليء بالحركة وعناصر التشويق كما في اختلاف القوم في أمر قيس . وبه صراع حسي واضح بين منازل وزياد ، وصراع نفسي غامض في نفس ليلى في نهاية الفصل ، وحبذا لو كان أكثر منه المؤلف وقلل من الصراع الحسي الأول . فالصراع النفسي أعمق أثراً وأجل قدراً من الصراع الخارجي المحسوس ، كما أن القضاء على منازل بهذه الصورة يبدو مفتعلاً إلى حد كبير فزياد في حيه ويشاركه في رأيه كثيرون ، ولا يبدو الموت عقاباً عادلاً له . على أن هذا المنظر لا نظير له في المسرحية الأولى كما سبق القول .

ويرتفع الستار في الفصل الرابع عن منظر من مناظر الجن بالقرب من ديار بني ثقيف ، وفي مقدمتهم الأموي شيطان قيس الذي يريد أن يحتفي بقدومه . والذي يخبر قومه بقصته ، ويقبل قيس ويحيط به الجن ، ويتحدث اليهم قيس الذي يقتنع بوجود شيطانه بعد أن كان ينكره ، ثم يسأله عن الطريق إلى ديار بني ثقيف فيدله عليها . هذا في المنظر الاول من الفصل . أما المنظر الثاني فيقبل فيه قيس الى دار ليلى ويلتقي مع زوجها الذي يمهد له لقاءه بها . ويلتقي قيس بليلى ويغريها بالفرار معه فترفض رغم حبها له ، ورغم ما لاقت في سبيله فيثور عليها ويهجرها . ويشتد اليأس المكبوت في نفس ليلى ، ويقوى الصراع النفسي فيها فتصرع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى منيتها . وتحدث المأساة بعد هذا الفصل خلف الستار .

ويعيب هذا الفصل ظهور الشياطين قبل ظهور قيس . والشياطين شخصيات مسرحية رديئة إذا ظهرت بشكل قاطع ، فهي لا ترى في الحياة. وربما أمكن تعليل وجودها بعد ظهور قيس على أنها أوهام عقله السقيم . وقصتها مع سليمان في بداية الفصل حشو لا يلزم للموضوع الرئيسي وكان من الممكن اختصاره بحيث تبرز فيه ناحية الشر الذي يدفع قيس إلى إغراء ليلى ، ويوحي له بهجرها ، فيكون تمهيداً طريفاً لحوادث المنظر الثاني ومشيراً الى الكارثة المقبلة . ويبرز في نهاية الفصل الصراع في نفس ليلى ، ويلمح للكارثة بقوة لم تظهر في مصرع كليوباترة . وحبذا لو كان المؤلف تعمق في تصوير هذه النوازع الانسانية وجعلها محور تطور الموضوع .

وتحدث مأساة قيس في الفصل الخامس . فيظهر على المسرح قبر ليلى ، ومناظر العزاء . ثم ينصرف القوم ويقبل الغريض وابن سعيد وأمية وسعد ، وفيهم المغني والشاعر ، ويتحدثون حديثاً يبعث على التشاؤم بما يذكر من القبور والموتى . وينشد الغريض نشيد وادي الموت ثم ينصرفون ، ويقبل قيس وحده ، ويقابله بشر ويعزيه . ويفاجأ قيس بنبأ موت ليلى فيغمى عليه عند قبرها ، ويدخل في دور الاحتضار الأخير ، ويرثي نفسه وليلى ويسب شيطانه ويناجي ظبياً سارحاً ، ويظهر ابن ذريح ويرثي ليلى ثم يحتضر قيس ويموت.

وفي هذا الفصل ، كما في فصل موت كليوباترة في المسرحية الأولى ، يستجمع الشاعر مقدرته الغنائية ، ويعتمد على أدوات مسرحية خارجية ليحدث عن طريقها التوتر المسرحي الحزن ، ويثير في الجو روح المأساة . ولم يتقن المؤلف بعد التدرج إلى الكارثة ، عن طريق تحليل الشخصيات ، وتطورها النفسي الطبيعي نحوها ، وإنما صبغ الشعر بروحه . وقد كان من الممكن أن نلمس حدوث الكارثة لوجود عيب في نفس قيس تنفذ منه المأساة إليه لا أن تلقى تبعتها على الشيطان في نهاية المسرحية ، فيقول قيس له : —

إذهب وإن لم أدر روح أنت أم شبح
كنت قرين السوء لي وكنت شر من نصح
لولاك ما بحت بما خدش ليلى وجرح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فعرض الموضوع في هذه المسرحية ، رغم الاسترسال الغنائي ، قد تقدم إلى حدٍّ كبير عنه في مصرع كليوباترا ، وتقسيم فصولها وحركتها وانسجامها ، فهي أقرب إلى المثل الأعلى من المسرحية الأولى ، على أنه لم يصور بعد التطوّر الدقيق لأزمة تتوتر وتحل عن طريق التحليل النفسي العميق للشخصيات ، بل إن بعض الشخصيات قد صوِّر تصويراً لا يتفق والواقع العادي من الحياة ، وكلها لم تبلغ بعد التعقيد الفني والعمق الإنساني البعيد ، ولم يزل الشعر رائد الشاعر الأول .

وأضرت الحوادث التي اقتبسها الشاعر من الأغاني والخاصّة بشخصية قيس والتي قامت على الكثير من الإحالات . يقول الدكتور طه حسين عن حب قيس « يظهر هذا الحب دائماً بصور غير مألوفة ولا ملائمة للطبيعة البشرية ، حتى طبيعة العشاق المدلهين ، فلست أعرف عاشقاً أغمي عليه كما أغمي على قيس ابن الملوح ، ولست أعرف عاشقاً شهق وزفر كما شهق ابن الملوح وزفر . كان يكفي أن تتحدث إليه ليلى بحديث يشعره أنها تحبه ليسقط على وجهه مغشيًّا عليه . وكان يكفي أن يذكر له شيء عن ليلى يدل على أنها تحبه أو يدل على أنها تعرضت لمكروه ليسقط على وجهه مغشيًّا عليه ، وكان يقضي حياته كلها أو أكثرها ساقطاً على وجهه أو هائماً على وجهه . وقصة المجنون سخيفة ضعيفة مملوءة بالإحالة والمبالغة لا يستطيع الناس أن يؤمنوا بها أو يطمئنوا إليها مهما يكن حظهم من السذاجة . وكيف يريدني على أن أومن بهذا الخبر الذي يزعم أن المجنون وقف يتحدث إلى ليلى وفي يده نار فأخذت النار تحرق برده حتى أتت عليه ، ونالت من جسمه ، وهو لا يشعر ؟ ثم كيف تريد على أن أصدق أن هذا الرجل جنّ وانتهى به الجنون إلى أن يهيم على وجهه ويستأنس بالوحش »

والواقع أن شوقي قد أجهد نفسه في أن يجعل محور شخصية قيس عبقريته كشاعر يفتن الناس بشعره ، ويبدو قيس منسجماً حين تصير هذه العبقرية محور شخصيته ، على أنه لم يبرأ تماماً من نوبات الجنون واستحالات الاخبار التي أصابت شخصيته بالضعف المسرحي ، وأخرجتها عن مألوف الحياة . وقيس ضعيف يبالغ في وصف ضعفه الشاعر ، ويقصد حين يوصف بالجنون ، فهو مهما نال منه العشق لا يضعف ضعفاً يدفعه إلى فعل ما نسبه إليه . وقد انتقد الرواة هذه الصفات والحوادث التي رويت عن المصدر الأصلي، واحتاط صاحب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأغاني في إيرادها . وكان على شوق أن يفكر مليًّا قبل إيرادها وجعلها محوراً لشخصية بطله . وكان من الممكن أن يكون العاشق في حدود العقل ، ويظهر بهذا المظهر في بداية المسرحية كما في قوله :

إذا طاف قلبي حولها جنّ شوقه كذلك يطغى الغلة المنهل العذب

وقوله عن تداويه بقول الشعر :

فما أشرف الايفاع إلاّ صبابة وما أنشد الأشعار إلاّ تداويا (ص ٨)

وتمكن منه حب ليلى حتى رأى ملامحه فيما يرى من كائنات فيقول :

فمالي لا أحقق غير ليلى وإن كثر السواد لدى حماها (ص ٥٢)

وكانت ليلى أسلم في تصويرها وأكثر انسجاماً من قيس من ناحية ، وكليوباترا من ناحية أخرى ، وقد اتخذ لها المؤلف صورة واضحة في ذهنه ، ولو أنه لم يتعمق في سبر أغوارها . على أنها اكتسبت ألواناً واضحة ، فهي فتاة بدوية موزعة بين إخلاصها لهواها وإخلاصها للتقاليد ، على أنها تنسى أحدهما حين تنغمس في الآخر ، فتنسى هواها حين تعطى الفرصة للفصل في أمرها . وتنسى التقاليد حين تخلو إلى قيس ولا تراها العيون . ومشكلتها واضحة في أقوالها للناس . فتقول لابن ذريح :

أنا بين اثنتين كلتاهما النـــار لا تلحني ولكن أعني (ص ١٤)

بين حرصي على قداسة عرضي واحتفاظي بمن أحب وضني

وتقول لابن عوف عن قيس :

إنـه منى القلب أو منتهى شغله

ولكن أرضى حجابي يزال وتمشي الظنون على سدله ؟ (ص ٧٨)

وتستقر على حال بعد الأوان فتقول لقيس :

كلانا قيس مـذبوح قتيـل الأب والأم

طعينان بسكين من العـادة والوهم

وتقول لنفسها :

أبقيس وبي هوى عبقري يسلب العقل من ذويه ويردى

علة البيــد من قديم وداء ضاع فيه الرقى وحار المفدى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما سلاحاه حين يقتل إلا من عفاف ومن وفاء بعهد (ص ١٢)

على أنها تحيا أمامنا حين تتنازعها الدوافع المتضاربة ، ويبرز الصراع النفسي في داخلها ، وهو قليل في المسرحية كما في قولها :

رباه ماذا قلت ما ذا كان من ذنب الأمير الأريحي وهاني
في موقف كان ابن عوف محسناً فيه وكنت قليلة الإحسان
قالوا انظري ما تحكمين فليتني أبصرت رشدي أو ملكت عناني
ما زلت أهذي بالوساوس ساعة حتى قتلت اثنين بالهذيان (ص ٨٢)

وعند ما يسير هذا الصراع إلى نهايته المحتومة تشير إليه بقولها :

قلبي من اليأس حين حل به أحس يا ورد أنه انصدعا
المتمني بالعيش منتفع ولن ترى يائساً به انتفعا
القدر اليوم والقضاء على حربك قيس وحربي اجتمعا (ص١٢٢)

والمهدي صورة أوفر حظًّا من عناصر الإنسانية من البطلين . وتحيا فيه صورة البادية المتعددة الجوانب . وهو شيخ يمثل تقاليد البادية ويحافظ عليها ويقدرها ، وعنه ورثت ليلى صفاته ، على أن إنسانيته دائمة الظهور . فهو يحب قيساً رغماً عنه ويقول له وهو في غيبوبته :

أبا المهـــدي عـوفيت وبا بورك في عمـــرك
أراني شعـــرك الو يل وما أروي سوى شعرك
كما لذ على الكره كلام الله المـــشرك (ص ٢٩)

وهو رؤوف بقيس يمنع عنه الأذى ويقول لقومه حين يريدون الفتك به : —

لا — دم قيس دمنا لا نقربه يكفيه منا أننا نخيبه
ونصرف الأمير عما يطلبه (ص ٥٤)

ويقول في ذلك أيضاً : —

دم الود والقربى وإن كان ظالماً عزيزٌ علينا أن نراه يسيل (٧٣)

ويعطف على ابنته فيرد على ابن عوف حين يلومه على قسوته بابنته : —

أأظلم ليلى ؟ معاذ الحنان متى جار شيخ على طفله (٧١)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويضحي بهذه التقاليد ويندم على تمسكه بها بعد أن تموت ليلى ويسبق السيف العذل .

ومنازل صورة لا بأس بها للمنافس ويكشف عن ذاتيته منذ البداية بقوله عن قيس : —

عدوي المبين وما بيننا ولا بين صاغيينا جفا

هام بليلى وهامت به لقد كنت أولى بهذا الهوى

وإني لأبدي إليه الوداد وأخفي له في الضلوع القلى (١٨)

ويستمر على هذه الصورة في المسرحية حتى يلقى حتفه ، محتفظاً بصفاته الرئيسية .

على أن تصوير الشخصيات مازال بسيطاً ، تسير فيه الشخصيات العواطف الشائعة العامة ولا ينفذ المؤلف منها كثيراً إلى ما وراء سطحها وعناوينها ، ولم يسع إلى تحليل نوعي دقيق للشخصية . فلا نرى في قيس العاشق إنساناً خاصّاً ، أو في ليلى إنسانة خاصة تميز كلاً بين أفراد النوع من عشاق البادية ، بل لا نرى فرقاً كبيراً بين هوى كليوباترا وهوى ليلى ولا تظهر في شخصياته تلك الخاصية التي نجدها في « روميو وجوليت » لشكسبير من حيث نوعية التشخيص والتحليل ، بحيث ننفذ إلى ما وراء النوع من فرد خاص فنلمس فيه كائناً حيّاً كالكائنات التي تعيش بيننا ، وتحتفظ بإنسانيتها في كل عصر . وأين قيس من روميو الشاب الخيالي الذي أحب في أول حياته لمجرد الفكرة ، حتى استقرت عواطفه فجأة حول جوليت ، الفتاة الساذجة التي تهوى فجأة ، وتحب حبّاً بسيطاً ساذجاً عنيفاً — ابن عدو بيتها — وأين تلك الصفة النوعية التى نجدها في باريس من منازل ، لقد شغل شوقي عن هذا العمق في التحليل والتعقيد الفني بالانصراف إلى الشعر ، غير مدرك لهذه الآفاق الواسعة البعيدة المدلول .

الحوار

وبينما حافظ شوقي على الصور الأصلية للحوادث التي اقتبسها من الأغاني وحافظ على بعض الشخصيات الرئيسية وصورها العامة ، حصر ابتكاره الرئيسي في التوجيه الغنائي للحوار ، وورد في المسرحية بعض شعر المجنون ، إمّا بأصله وإما مشطوراً ، وإمّا استوحى منها فاحتفظ بروحها وأعاد صياغتها . وما زالت الإجادة الغنائيـة مثله الأعلى ، وما زال محور مسرحه نظم الشعر على نظام القصيدة شكلاً ومادّة . بحيث لا يمكن التمييز بين ما ألفه شوقي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من حوار وما اقتبسه من شعر غنائي . فاللون الغنائي لون مسرحه بأجمعه . فمن صور الحوار التي اقتبسها الشاعر من الأغاني ما قاله قيس : —

أبى الله أن تبقى لحي بشاشة ... فصبراً على ما شاءه الله لي صبرا

رأيت غزالاً يرتعي وسط روضة ... فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا

فيا ظبي كل رغداً هنيئاً ولا تخف ... فإنك لي جار ولا ترهب الدهرا

وعندي لكم حصن حصين وصارم ... حسام إذا أعملته أحسن الهبرا

فما راعني إلا وذئب قد انتحى ... فأعلق في أحشائه الناب والظفرا

ففوقت سهمي في كتوم غمستها ... فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا

فأذهب غيظي قتله وشفى جوى ... بقلبي أن الحر قد يدرك الوترا

وورد في المسرحية على هذه الصورة في قول بشر عن قيس : —

رأيت غزالاً يرتعي وسط روضة ... فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا

فقلت له يا ظبي لا تخش حادثاً ... فإنك لي جار ولا ترهب الدهرا

فما راعني إلا وذئب قد انتحى ... فأغلق في أحشائه الناب والظفرا

ففوقت سهمي في كتوم غمزتها ... فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا

ومن صوره ما قاله المجنون لزوج ليلى يسأله عنها : —

بربك هل ضممت إليك ليلى ... قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى ... رفيف الأقحوانة في نداها

وورد في قول قيس في الفصل الرابع من المسرحية بصورته الأصلية ، ومن ذلك أيضاً ما قاله قيس وورد في الأغاني والمسرحية قوله : —

وأجهشت للتوباد حين رأيته ... وكبّر للرحمن حين رآني

وأذريت دمع العين لما رأيته ... ونادى بأعلى صوته فدعاني

ومما حوّر شوقي في صورته الأصلية ، أو استوحى منه شعراً ، ما ورد في الأغاني على هذه الصورة ، وهو من قول قيس : —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت   عوازب قلبي من هوى متذهب

وقوله : —

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى   فهيج أطراف الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما   أطار بلبي طائراً كان في صدري

وورد في المسرحية في قول قيس : —

ليلى منادٍ دعا ليلى فخفّ له   نشوان في جنبات الصدر عربيد
ليلى انظروا البيد هل مادت بأهلها   وهل ترنم في المزمار داود
إذا سمعت اسم ليلى ثبت من خبلي   وثاب ما صرعت مني العناقيد (ص٢٤)

وما ورد في كتاب الأغاني في قول قيس يصف ليلاه : —

وعلقتها غراء ذات ذوائب   ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا   إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم (١٢)

وورد في المسرحية على هذه الصورة ، كقول قيس يغري ليلاه بالهروب من زوجها :

أخذنا وأعطينا إذ البهم ترتعي   وإذ نحن خلف البهم مستتران
ولم نك ندري يوم ذلك ما الهوى   ولا ما يعود القلب من خفقان (١١٤)

وما ورد في الأغاني على هذه الصورة قول قيس في يائيته : —

أراني إذا صليت يممت نحوها   بوجهي وإن كان المصلى ورائيا (٦٨)

وورد في قوله في المسرحية يصف هواه : —

إذا الناس شطر البيت ولوا وجوههم   تلمست ركني بيتها في صلاتيا (٥٢)

وتبين هذه الشواهد الاتجاه الغنائي في الحوار في هذه المسرحية . وتعلل التصور المسرحي في إدارته ، كما تبين سبب البساطة في تحليل الشخصيات والبطء في تحريك الموضوع ، وتبين المثل الأعلى الذي سعى شوقي إلى بلوغه ، وهو التأثير عن طريق الشعر الذي يخاطب العاطفة ، ويطرب بما يتشبع به من صفات موسيقية .

على أن الحوار قد زاد في المرونة في هذه المسرحية ، ولئن عثرنا في مواضع متفرقة على استرسال في إنشاد الشعر ، يبرره حيناً تنفيس قيس به عما يجول بنفسه ، وما يشعر به من

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

حزن أو وجد أو يأس ، ولا يبرره حيناً إلاّ ارضاء الجمهور الذي يحب سماع الأغاني كما في الأناشيد التي تنشد لذاتها فتكون حشواً مسرحيًّا ، إلاّ أنه بشكل عام قد أتى أكثر اتصالاً بمواقف الموضوع، وتطور حوادثه ، وأتى قصير البحور والأوزان ، قليل الأبيات في الحوار الواحد ، ويحتال على العيوب الغنائية بالغناء بدلاً من الإنشاد .

ولا عجب أن بقيت هذه المسرحية من بين مسرحيات شوقي تمثل حتى اليوم . فموضوعها إنساني ، متصل بتاريخ العرب ، وشخصياتها بدوية طريفة ، وشعرها يستهوي النفوس، ولو لم تبلغ بعد عمقاً في التحليل واتساعاً في لوحة التصوير ، والتعقيد في سبك الحوار ، وادارة الحركة المسرحية في شكل أزمة واضحة تتطور نحو المأساة من داخل نفسيات المسرحية. فقد شغل عنها شوقي ـ على ضرورتها المسرحية ـ بالحوار وإنشاد الشعر الذي يتصل بالشخصيات ، وإنما تكون الشخصيات والحوادث وسيلة إليه ، وبلغ التوفيق بين هذه العناصر المسرحية والأدبية غايته في مآسي شوقي في هذه المسرحية .

على أنه لا يجب المبالغة في تقدير قيمتها ، فما زالت مسرحية العشاق التي كتبها شكسبير ، والحوائل التي سببت حدوث هذه المأساة، تضع أمامنا صورة لما قد ترتفع إليه مسرحية تمثل هذا الجانب من الحياة . وقد كان شوقي شاعراً غنائيًّا انتقل إلى المسرح ، وكان شكسبير مثلاً اتصل بالمسرح من بداية حياته . ووفق كل منهما بقدر ما هيئت له ظروف الحياة من نجاح .

على أنه من الواضح أن هذه المسرحية تقدمت في منهجها الفني تقدماً كبيراً على منهج مصرع كليوباترا . وإننا لنعثر فيها على مناظر يكثر بها الاستطراد الغنائي ،وأغلبها في الفصل الثاني من كل مسرحية ، كما نعثر على حشو لا يضير المسرحية حذفه ، كمنظر قيس والجن في بداية الفصل الرابع . والمنظر الذي يتحدّث فيه قيس مع شيطانه في نهاية الفصل الخامس ، والجزء الذي يلتقي فيه مع عفراء ويدور الحديث حول الذبيحة . وبذلك يتطوّر الموضوع تطوّراً سائغاً لا حشو فيه . ويمكننا حينئذٍ أن نلمس بين المناظر صلة ، وفي الحركة سرعة، دون أن تفقد المأساة كثيراً من قيمتها .

وينبغي أن نشير إلى مناظر مسرحيـة تتجمع وتتفرّق في ثنايا المسرحية ، وهي مناظر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قوية التأثير لمدلولها الإنساني الدائم ، وتكثر عند لقاء قيس بليلى ، إذ يجتمع فيها — إلى قوة الشعر والموسيقى قوة العاطفة المتقدة ، وإدراك الجمهور للحائل بين قيس وليلى ، فيصبغ على هذا اللقاء صورة حزينة ، ومثل هذا المنظر منظر متكرر أيضاً حين يلتقي قيس بليلى في ديار بني ثقيف ، ويكشف القناع عن قلبيهما فيفصحان عما يجدان ، وما زال الجمهور يشعر أيضاً بالحائل بين الشخصيتين ، ويزيد التوتر نظراً لخطورة هذا اللقاء في المجال العدائي الذي توجد فيه الشخصيتان .

وتبدو في هذه المسرحية أولى بوادر شعور شوقي بلوازم التأثير المسرحي ، وأحسن الطرق إلى الوصول إلى نفوس الجمهور . تدل على ذلك مناظر الصراع من نفسي داخلي وحسي خارجي . وتكثر مناظر الصراع النفسي في نفس ليلى وقيس ، وتزيد من حيويتهما حين تصطدم في نفسيهما الأهواء ، كما تفعل ليلى حين تخير بين قيس أو ورد، فتختار ورداً مطيعة صوت عقلها ، ثم تندم ، ثم ينبعث صوت قلبها المكبوت بعد ذلك فتنفث ألمها في تصوير صراع ما زال في أولى صوره الفنية ، وسنرى تطوره فيما بعد في آمال وصنادسه أيضاً في نفس ليلى حين يهجرها قيس في نهاية الفصل الرابع غاضباً فينتهي بها الصراع إلى غايته المحتومة وهي الموت .

ونرى صوراً من الصراع الحسي عند ظهور منازل ، وكشفه عن خبيئة نفسه ، ونرى استمراراً لهذا النزاع مع امتزاجه بتهكم مسرحي لجهل قيس به ، حتى يبلغ غايته في الفصل الثاني ، حين يجاهر منازل به ويلقى حتفه نتيجة له . وسنرى صوراً لهذين النوعين من الصراع في مسرحية شوقي التالية ، وهي قمبيز ، بعد أن مهد لها المؤلف في هذه المسرحية . وسنرى صورة له في مسرحية شوقي التالية وهي علي بك الكبير . لا سيما في المناظر التي يجتمع فيها مراد وآمال .

ولكن هل غير شوقي نواة مسرحه ؟ وهل صار الحوار نتيجة للتعبير عما يجول في نفوس الشخصيات ، أم لا يزال يدفعها ويجرها إلى نهاياتها ؟ أغلب الظن إن الشعر ما زال رائد شوقي الأول . وإنما سعى إلى توفير شخصيات ذات ملامح عامة لم يسع إلى تفصيلها ، والتعمق في تحليلها ، وما زالت غايته الشعر الجيد الأخاذ ، ولم يحكم شوقي توضيح الأزمة ومفاجأة الجمهور بها بعد أن تتطور تطوراً نفسيًّا دقيقاً .

على أنه قد اتجه الى ذلك في هذه المسرحية التي فاجأ فيها بشر قيساً بخبر موت ليلى ، ثم تعجل موت قيس بعد ذلك بعض التعجل .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل الرابع

قمبيز

لم يكن حظ هذه المسرحية من النجاح والتوفيق في التأليف والاخراج ما بلغت من ذلك المسرحيتان الأولى والثانية . فقد أنقذ المسرحية الأولى ، وهي مصرع كليوباترا – على عيوبها – الأناشيد الغنائية والشهرة التاريخية ، والموضوع ، وبعض المناظر التي تدور حول مقابلات العشاق وأحاديث العواطف ، ونجحت المسرحية الثانية لاندماج العناصر الغنائية في الموضوع المسرحي إلى حدٍّ كبير ، وتطور الموضوع تطوراً فاق تطور الموضوع الأول من الناحية المسرحية .

بينما ظهرت أماكن الضعف في منهج شوقي في هذه المسرحية ، وأفلت من يده زمام الموضوع ، فاضطربت المناظر والفصول واختلطت الشخصيات وكثر الحشو في المناظر والحوار وتفكك الموضوع ، وانعدمت الصلة بين أجزاء كثيرة من الحوار ، واتسم بصفة النظم الغنائي ، وانعدمت الصفة المسرحية إلى حدٍّ كبير ، رغم استعانة الشاعر برجال المسرح والمخرجين على إصلاح عيوبها — وترجع أهم أسباب هذا الاضطراب في المسرحية إلى اختيار الموضوع أصلاً ، فشوقي يحتال احتيالاً على تصوير مأساة قمبيز حيث يدير فيها دفة الحوادث من انتصاره لانتحاره . فيحدث في سبيل ذلك التواء في الحوار ، وانعدام في التطور المنطقي والسيكولوجي بين أجزاء الموضوع وبين الشخصيات .

وأكثر فصول المسرحية اضطراباً هو الفصل الأول . إذ يعلن فيه خطبة قمبيز لابنة فرعون ، وتتقدم نيتيتاس لتفدي بنفسها بلادها ، وترضى بالزواج على أنها ابنة فرعون لتدفع عن مصر شر العجم . هذا في المنظر الأول . أما في المنظر الثاني فيبارك رجال قمبيز الخطبة ، وفي المنظر الثالث يرى رجال وفد قمبيز في مصر الترف والضعف ويتحدثون عن آثار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مصر ، ثم يحتفي بهم رجال فرعون ، وتكشف لنا نيتيتاس عن دافع آخر يدفعها للتضحية بنفسها ، وهو حبها اليائس لتاسو والتماسها في هذا الزواج مهرباً .

يتخلل هذا العرض العام ما يشتت انتباه الجمهور عن متابعة الشخصية الرئيسية والموضوع الرئيسي ، فيرى أمامه في المنظر الأول نفريت ونتيتاس وتاسو وفرعون ، ثم يعرض أمامه في المنظر الثاني مجموعة أخرى من الشخصيات ، ويعرض أمامه مناظر مختلفة للرقص والغناء ويكثر فيها الحديث عن الطعام ، ووصف الآثار المصرية وسحرها ، وغير ذلك من أحاديث جانبية تطغى على تطوّر الموضوع الرئيسي ، فالمؤلف قد استرسل في تحليل البيئة الخارجية ونسي شخصيته الرئيسية ونرى في ذلك عيباً وهو الشاعر الغنائي الذي يرى في الشعر غاية ، ويضحي في سبيله بمطالب المسرح الرفيعة الأخرى من تحليل نفسي يكون فيه الشعر وسيلة، ولا بدَّ من إزالة ما في هـذه المناظر الثلاثة من حشو حتى يستقيم الموضوع، وتتضح فيه بوادر الأزمة ، ويقتصر الحوار على إظهار رفض ابنة فرعون الذهاب إلى فارس ، وعزم نتيتاس على إفتداء وطنها بنفسها ، ورفعه فوق ما بينها وبين تاسو ، فذلك يقلل من قيمتها الوطنية ، ويحط من شأن تضحيتها بنفسها ، ويحذف ما شغل به شوقي مادة فصله الثاني من حشو غنائي وموسيقى ورقص ، فهو لا يساعد على تطور الحركة المسرحية بشكل مرضٍ .

ونرى نتيتاس في الفصل الثاني في قصر قمبيز في مدينـة سوس الفارسية ، تستعيد في بدايته الملـكة حبها لتاسو ، ثم تسرد حلماً يمهد لدخول فانيس ويبين عزمه على خيانة مصر ، ويدخل قمبيز وقد اكتشف حقيقة الملـكة ، ويجابه قمبيز الملـكة بفانيس ، فتتحول من الانكار إلى محاولة منعه عن غزو مصر ، بالوعيد تارةً وبالرجاء تارةً أخرى . ويدخل رسول يعلن موت أمازيس فرعوناً القديم ، وتولية ابسماتيك مكانه . وبذلك صار الغزو أمراً واقعاً لا مفر منه .

ليت الأحداث والحوار ارتبطا بهذا التطور المباشر للأمور ولم يتخلله استرسال وحشو قصد به الإسهاب والتطويل والإطناب حيث مست الحاجة إلى الايجاز والتركيز . وقد كان من الأصلح لنيتيتاس أن تصير شخصيتهـا محورها الوطن وفدائه ، ويحذف الجزء الذي تستعيد فيه حبها لتاسو فهو مفتعل مصطنع ، وضاره أكثر منه نافع ، إذ يقلل من قدر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التضحية في أعيننا . ولعله من الأصلح كذلك حذف الحشو الذي يدور حول ألوان الطعام والشراب الذي تناولته الملكة ، وهو غير لائق بشخصيتها ومكانتها ، ولا يناسب المقام الذي يدور فيه . وبذلك يتطور الموضوع الرئيسي وتتجلى أزمته .

ويعرض في بداية الفصل الثالث من المسرحية مناظر متعاقبة مفككة عن الموت ، تفرض فرضاً من الخارج على الشخصية والتاريخ والموضوع إرضاء لعواطف المؤلف الوطنية وعواطف الجمهور ، ولإنهاء المسرحية بطريقة ما ، رغم قصرها عن بلوغ الغاية الفنية الرفيعة . وفي المنظر الأول تلقي نفريت بنفسها في النيل نادمة على أنانيتها القديمة ، وفي المنظر الثاني يتحاور بعض الفتية العابثين مع عجوز لعوب ، ويتحدثون عن ظلم جند الفرس للمصريين بعد الفتح ، واغتصابهم للممتلكات وانتهاكهم للحرمات . ثم يظهر قمبيز ويحضر أمامه أسرى النوبة ، ويفك وثاقهم فيرقصون له ويغنون ، فيوزع عليهم الهدايا . ثم يؤتى أمامه بفرعون مكبلاً ، ويدور بينه وبين فرعون حوار يكشف عن شجاعة فرعون ، ويثور قمبيز بالتدريج فيأمر بقتل فرعون ، ويحضر تاسو أمامه وتدخل نيتيتاس فتعجب بانقلاب تاسو الى بطل وطني . ويفرح تاسو حين يسمع ذلك ، ويأمر قمبيز بقتله ويطعن فانيس بعد ذلك بخنجره ، ويتبعه بقتل شيخ فارس سأله التأني ، ويأمر باحضار أبيس ، ويثور لرؤيته ، ويطعنه بخنجره أيضاً ، ثم يبلغ جنونه ذروته فترقص أمامه أشباح قتلاه ويختلط عليه الأمر فيطعن نفسه ويموت ، ويندب أهل فارس قمبيز . ويندب كهنة مصر آبيس .

وعيوب هذا الفصل هو اعتماده في التأثير على سلسلة الأحداث المثيرة التي تملأ المسرح بالقتلى ، دون اتصالها اتصالاً منطقيًّا بالتطور النفسي للشخصيات والحوادث في بداية المسرحية . فكيف تطورت نفريت وتاسو من الأنانية إلى حب الوطن ؟ وكيف ظهر فرعون الجديد أبيًّا ؟ — لا توجد حلقات هذا التطور ، ولعله من الخير أن يحذف حديث قمبيز عن نيتيتاس واستنجاده بها فهو مفتعل وقمبيز في نشوة جنونه .

وقد أحدث هذا الاضطراب في الموضوع اضطراباً في الشخصيات والحوار تناقضاً في الأفعال والأقوال . فنيتيتاس الوطنية الخلصة في بداية المسرحية تقول عن قمبيز :

صدقت تتا هو زين الشباب إله القنا قمر الغيهب

إذا غلبت في القتال الملوك ... وفي السلم عزّ فلم يغلب
يسيطر كالشمس سلطانه ... على مشرق الأرض والمغرب
ولكن متى ياتنا دلهت ... بنات الفراعين بالأجنبي (ص ١٩٩)

كيف ينسجم هذا الحوار مع قولها عنه « نمر الفرس الخشن » (ص ٥٣) . وقوله هو عن نفسه « أنا وحش أنا غول » (ص ٨٨) ؟

وكيف يدور بين الملكة والوصيفة حوار عن الطعام بعد أن يفزعها حلمٌ تقصُّه على خادمتها ؟ — تقول الوصيفة بعد أن تقص الملكة حلمها الرهيب :

رؤياكِ يا سيدتي ... من نفسها مؤوَّله
نالتك من عشاء ... أمس ثقلة وبيله

فتقول الملكة : ماذا أكلت مع قمبيز ... وما قدم له ؟

الوصيفة : كان العشاء ملكتي ... مائدة حفله (ص ٦٣)

وتصف ألواناً من الطعام لا يصح أن تثير فضول ابنة فرعون ، فقد ذاقت مثله وأشهى منه ، مما ورد وصفه في بداية المسرحية . ثم إنها قد شهدته وأكلت منه ، ومن المستبعد أن يطيب لها الاستماع إليه وهي مشغولة البال بحلمها الرهيب .

وكيف يتفق عزم نيتيتاس على التضحية بنفسها في سبيل وطنها في بداية المسرحية ، لتدفع عن مصر شر العجم ، كما في قولها لفرعون وابنته : —

أتيت أفدي بنفسي البلاد ... وأدفع عن مصر شر العجم
فإنكِ أن ترفضي يزحفوا ... كزحف الذئاب ونحن الغنم (ص ٥)

وتذكر في بداية الفصل لنفريت : —

آمون قد مدَّ إليك ... وإلى الوادي يده
وقد كفى مصر البلاء ... والخطوب المرعده
وكفى من ربوعنا ... نار المجوس الموقده (ص ٤)

ثم تتنبأ بعد ذلك في نهاية الفصل بالغزو كأنه حقيقة آتية لا ريب فيها فتقول : —

أفيقي بنت فرعون ... فما يزهو بك السكر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غداً تذرو رياح الفر س من موتاك ما تذرو
غداً يصبغ من شط الشط بالدم النهر
غداً يهتك عن أربا بك المحراب والستر
فما تاسو وفتيان كتاسو في الحمى كثر
هو النحل وإن هابوا لقائي وأنا الزهر (ص ٥٠)

ويظهر هذا التناقض أيضاً في أقوال الوفد الفارسي ، فيقول أحدهم في بداية المسرحية عن خطبة بنت فرعون لقمبيز : —

خطبنا إليهم أمس بنت مليكهم فما كان إلاَّ الاحتقار جواب
وأهفق أهلوها وقالوا حمامة دعاها إلى الوكر السحيق غراب (ص١٤)

ويدور بين رجال الوفد الحوار الآتي : —

الأول : أعلمتم ما ذا يردد في القصر ؟ وماذا يقال همساً ووحيا ؟
الآخر : أهازل أنت ؟ .
الأول : بل سمعت حديثاً إن يكن مفترى فماذا عليا
آخر : إنه يهذي دعوه كاذبٌ لا تسمعوه
آخر : ما الذي زخرف
الثاني : . . . . ألقت كذبة الأجيال فوه
يزعم الملكة نفريت إبنة الملك أمازس
ترفض السير مع الو فد إلى أقطار فارس (ص ١٧)
آخر : ما خطبه ما يدعي امض بنا لا تسمع
آخر : يقول فرعون مصرا لم يرض قمبيز صهرا
الثاني : من أمازيس ما الأميرة ما مصر؟ أفي الأرض من بقمبيز يهزا
أهذا خبر يروى ؟ غبيٌ أنت والله
أتحت القبة الزرقا ء من يسخر بالله

وكيف يتنبأ رجال الوفد في بداية المسرحية بالغزو المقبل ، الذي يبنى صاحبه على اكتشاف قمبيز لحقيقة نيتيتاس ويقولون في بداية المسرحية : —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحدهم : فما أنت سوى جنة هي الخلد وطيفه في الخلد
يهب عليها غداً عاصف من الفرس أنى تمشي حصد
ثالث : صدقت أخا الفرس قلت الصواب غداً يعصف الفرس أو بعد غد (ص١٧)

وهل يتفق الحوار الذي يدور بين أتباع قمبيز وموقف يثور فيه قمبيز ويفتك بمن حوله ولا يطمئن أحد منهم على حياته؟ويدور موضوع هذا الحشو عن الضمير بين اثنين : —

رستم : وأين منزلة الضمير ؟

حيدر : . . . . موضع من الجسد
أنظر هنا يا رستم القلب وها هنا الكبد
وها هنا الضمير بين القلب والكبد عقد
رستم : هنا الدجاج والحمام هاء هنا بلا عدد
حيدر : والبط والإوز والحمام والدند
وكل ما تسرق أو تخطف من هذا البلد

فهذه الأحاديث لا تتفق والمواقف التي تقال فيها ، وتسبب تضارباً في الشخصيات التي تفوه بها ، إذا أضفنا إلى ذلك تصوير شوقي لفرعون كغاصب للعرش بشكل لا يناسب كرامة الملوك، وتصويره لابنته بصورة الفتاة الآنيّة ، وتاسو بصورة الغبي المضيع الوفاء في بداية المسرحية، وتغييره لهذه الصور في نهاياتها حتى تتمشى وميوله كشاعر بلاطي شكلاً لا روحاً، وتصويره لأفراد الشعب بهذه الصورة الهازلة ، أمكننا إدراك بعض أسباب سقوط هذه المسرحية بعد تمثيلها لأول مرة ، وأمكننا إدراك دوافع النقد العنيف الذي قوبلت به من النقاد المعاصرين، وقد انصب معظمه على تصوير عيوب المسرحية من الناحية الأدبية والقومية.

فأخذ عليه الأستاذ عباس محمود العقاد مآخذ أدبية هي اضطراب النظم في فم الممثل الواحد في الموقف الواحد ، والتصرف في وور أسماء الأعلام ، والتجاوز في الفصل والوصل والهمز، والتحقيق والمقصور والممدود . هذا من الناحية الأدبية . أما من الناحية التاريخية فقد أخذ عليه في شيء من العنف غير قليل ، الخروج على بعض حوادث التاريخ ، وسوء تصوير حياة أهل مصر القديمة (قمبيز في الميزان ص ١٦) .

أما عن العيوب الأدبية فمن السهل الاعتذار لها بأنها ليست عيوباً بالمعنى الدقيق ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إذ يتمسك الناقد بالشكل في صياغة الحوار دون جوهره . وليس من الخطأ أن يتلوّن الحوار تبعاً لتغير العواطف الجياشة في نفس الشخصية ، بل إننا نلوم شوقي في مسرحياته الأولى على تمسكه ببحر واحد ووزن وقافية واحدة ، في حوار طويل المدى ، يتسع لتحليل عواطف متباينة متعاقبة ، على أن يبحث عن وسيلة تكسب هذا التغير في الشكل وحدة في الجوهر العام ، فالحوار في المسرحية وسيلة لا غاية : وسيلة إلى التعبير عما في نفس الشخصية ، ونريد بها أن تكون وسيلة مرنة طيعة لا جافة صلبة . وحبذا لو لم يقتصر شوقي على ذلك في تلك الأسطر القليلة التي أحصاها عليه الناقد ، واتخذها أسلوب مسرحه عامة مع تهذيبها ومحاولة اتخاذ البحر وحدة الحوار دون القافيـة ، مقارباً بذلك الشعر المرسل في الأدب المسرحي الغربي ، وربما أدى ذلك إلى التخفيف من وطأة النزعة الغنائية وإلى توجيه مسرحه في اتجاهه الصحيح .

وأما عن تغير صور أسماء الأعلام والقصر والمد فلا لوم على كاتب يفعل ذلك لضرورة فنية . فاللغة وسيلة تتكيف للضرورات الفنية الشعرية بشكل لا يؤدي بها إلى الإبهام .

اما عن الخروج على حوادث التاريخ العـام ، فقد ذكر أن الشاعر غير مقيـد بتفاصيل التـاريخ ، وإنما مطالب بتحقيق روحه العامّـة ، ويبتكر في حـدود الحوادث البارزة من الحوادث الأخرى والشخصيات ما يساعده على إبرازها في صورة فنية خاصة . ومقياسنا فيما يذهب إليه من تحليل وتعليل هو الصدق المساير لمنطق الحوادث والطبيعة البشرية واحتمالات سلوكها ، ورائدنا ورائده في ذلك القلب البشري الذي يتدسس إلى جوانبـه ويحلل نوازعه ويؤلف منها وحدة منسجمة حية . فالفن فن لأنه لا يقلد الطبيعة تقليـداً حرفيّـا ، وإنما يبرزها في صورة فنية بها من الابتداع والخيال أشياء غير قليلة ، وإنما يخضع خياله لمنطق الحياة في صورها وأشكالهـا ، بحيث تبرز لنا الصورة الفنية وكأنها قطعة من الحيـاة نقية مصفاة من الشوائب .

وإذا طبقنا هذا الكلام على الحوادث التاريخية والمسرحية في قمبيز ، تجاوزنا عن الكثير مما أحصاه الناقد في أخطاء المسرحيـة ، على أننا نأخذ على المؤلف الافتعال في إيراد صور الانتحار في نهاية المسرحية، فهي صور تبدو غير طبيعيـة أمام الجمهور المسرحي . كما نأخذ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عليه عجزه عن تفهم حياة الشعب التي لم يتقن معرفتها وصورها . ونتفق مع الناقد في قصور الشاعر عن إبراز نواحٍ وطنية قومية كانت بين سمعه وبصره فيما لديه من حقائق تاريخية .

فلم يؤيد التاريخ ، ولم يستلزم خروجه عليه ضرورة مسرحية فنية ، ولم يدع إلى ذلك وهو يبرز صوراً وطنية قومية، بل إن ما نسبه شوقي إلى مصر وأهلها من فرعون وابنته وشعبه وحاشيته هو صفات الضعف والليونة ، ولم يكن المرتزقة من الجنود اليونانية في جيش مصر فقط ، وليست هي سبب الهزيمة، وإنما كانت في جيوش الفرس أيضاً . ولم تكن مصر ضعيفة كما صوّرها شوقي ، وإنما يذكر التاريخ ، ويذكر الأستاذ العقاد ناقد شوقي ، أن دارا أراد غزوها فأحجم عن ذلك لقوتها ورغم انضمامها لأعدائه وحين أراد قمبيز ذلك أعد لغزوها عدة عظيمة ، فجعل لكل فارس مصري ستة من فرسانه ، وأتى بأسطوله ومشاته . على أنه احتال رغم ذلك في دخول مصر ، فوضع في مقدمة جيشه ما قدسه المصريون القدماء من حيوانات . ولم يصبر المصريون على حكمه بعد الفتح وإنما قاموا بثورات عديدة وكافحوا الفرس طويلاً حتى استقلوا . بل حضر دارا الأول بعد قمبيز إلى مصر وسعى إلى التقرب منهم وقتل واليه لغلظته ، وبنى معبداً لآمون، واشترك في موكب الحزن على أبيس هذا من ناحية وطنية المصريين .

أما من ناحية الشخصيات الوطنية فقد فاض تاريخ القدماء لأحس المصري بالملح التي اشتهر بها أهل مصر والفكاهة التي وصفوا بها . ولم يقتل وهاب رع ولم يكن ساقيه . ومن السهل معرفة سبب تهاون شوقي في إبراز هذه الصور ، إذ لم يحس الوطنية المصرية بشكل قوي يجعله يرى المصري الخالد الدائم في كل العصور .

وكان من الممكن معالجة أمر قمبيز وجعله نواة جيدة للمسرح لا بهذه الصورة المزرية المجنونة التي تتصرف على المسرح تصرفاً شاذاً غير متوقع ، عن طريق تحليل أقره التاريخ وأشار إليه الناقد لشوقي وهو إدمانه على تناول الخمر . وعن طريق هذا الإدمان يمكن تحليل نوبات الصرع والجنون التي انتابته ، حتى إنه قتل ساقيه ليثبت لقومه أن يده لم تصبها الرعشة بعد .

ولم يثبت ثبوتاً قاطعاً إلقاء المصريين لعروس حية في النيل ، فقد أنكر هيرودوت ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأشار أن المصريين رمزوا إلى ذلك بتماثيل من الطين ، ووجدت أمثالها في مقابرهم ومدافنهم وكان حريًّا به أن يدافع عن تلك الخرافة لا أن تقرن نتيتاس تضحيتها بها ، وكأنه أضرّ من حيث أراد أن ينفع .

* * *

على أنه لا ينكر أن المؤلف قد أنفق جهداً كبيراً في تأليف هذه المسرحيـة فهي أول مسرحية يؤلفها ويعتمد فيها على التاريخ وحده ، ويستقل بنفسه إلى حدّ كبير وبينما كانت أمامه مسرحية لشكسبير استوحى منها في مسرحية مصرع كليوباترة في المناظر والشخصيات والألوان العامة، وبينما كان أمامه كتاب الأغاني ونظم المجنون فيه يستعين به على سبك تطور الحوادث وتأليف الحوار وإدارته ، اعتمد في هذه المسرحيـة على ما اكتسب من خبرة في المسرحيتين الأولى والثانية ، وما اكتسب من خبرة بعد اتصاله بالتمثيل والممثلين والمخرجين فأتت المسرحية في ثلاثة فصول كثر فيها الحشو والاستطراد واختلط الحوار واختلطت الشخصيــات في أماكن شتى ، وحاول الشاعر إبراز صورة ترضي الشعور القومي فأخفق ، إلاّ أننا نلمس في ثنايا تلك العيوب بعض محاسن وتقدماً في أسلوب تأليف الشاعر ، وخطوة تبين تمكنه بالمسرح ، وبداية شعوره بلوازمه ومقتضياته الخاصّـة ، فبين هـذه الصور المضطربة مناظر منتظمة متفرقة تقوم على الصراع النفسي أو الصراع بين الشخصيات ، وترتفع إلى درجة ما من السمو ، ويدور فيها الحوار كما يدور حوار مسرحي سريع متشبع بالحركة .

ومن ذلك صور الصراع بين نتيتاس وقمبيز في فارس . فهي متقدمة تقدماً ملحوظاً على صور الصراع في مجنون ليلى بين منازل وزياد، وتتصف بصفة طبيعية ميزت الصراع بين ليلى وابن عوف ، وهو صراع يجمع بين الصفة الحسية والعقلية ، بين صراع الجسم وصراع العقل . ويتسم بسمة حزينة تجعله أعمق في النفس أثراً مما يتعلق به من نتائج تتصل بالمأساة الأصلية . ومن ذلك أيضاً صورة الصراع بين قمبيز وفرعون وهو صراع عقلي يجذب انتباه الجمهور ويتصل بنفسه ويعمق فيه تأثيره . ففيه صراع بين القوة الظافرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والكبرياء المهزومة . وهي صورة لا تخرج على ما اتصف به فراعنة مصر من كبرياء واعتزاز بالنفس :

كما أن المفاجأة الأخيرة في المأساة تمثل تمثيلاً مسرحيًّا ، ولا تلخص تلخيصاً ، أو توصف وصفاً فنلمس تطور قمبيز — رغم خشونة وصف هذا التطور — نحو المأساة ، ولا نكتفي بسماع الشعر ، وإنما نرى صوراً لنفوس إنسانية تتصل بنفوسنا على المسرح ، وتلك خطوة كبرى في تقدم فن شوقي المسرحي . وقد مهد لها في مجنون ليلى بوصف التطور النفسي الذي طرأ على ليلى في المسرحية السابقة حتى وصل بها الصراع إلى تحطيم نفسها . دون أن نرى أو نلمس ما يحدث بين الفصول من أحداث هامة ، يجب أن تمثل أمام الجمهور وذلك صميم الفن المسرحي .

* * *

ويجدر بنا أن نشير إلى الجانب الفكاهي في مسرحية شوقي فقد قام معظمه في مصرع كليوباترا على فكاهة لفظية تدور بطريقة مصطنعة بين شخصيات محترفة ، مثل أنشو المضحك ، وزينون العجوز ، وقام معظمه أيضاً في مجنون ليلى على قصص يدور بين ابن ذريح وبشر حول أخبار قيس . ويبرز الجانب الفكاهي في هذه المسرحية من طبيعة الشخصيات بصورة ضعيفة . فتثور الفكاهة بين الفتية والعجوز . فالعجوز تحاول إغراء الفتية بجمالها وتزعم محاولة بعض الناس إغراءها ، ووصفها بما ليس فيها ، والفتية يعابثونها ويسخرون منها . تلك صورة نراها حولنا وتتكرر كل زمن ، وهي في هذه المسرحية بصيص من فكاهة الشخصية ستستكمل صورتها وتبلغ غايتها في المسرحية الأخيرة وهي «الست هدى» .

وهذه المسرحية تمثل مرحلة الانتقال من طور إلى طور في فن شوقي الذي لم يؤت فسحة من الوقت للتطور الواسع . وتقف هذه المسرحية بين مسرحياته الأولى التي وضحت فيها السمات الغنائية وضوحاً أفسد الشخصيات وتطور الموضوع المسرحي ، بحيث يختفي ، ما يجب أن يمثل على المسرح وراء الستار ، وينشد على المسرح ما كان يجب أن يختفي ، وبين مسرحياته التالية التي يبرز فيها الحركة المسرحية على المسرح فتمثل الحوادث تمثيلاً ، ولا يكتفي بوصفها وإنشادها ، وتحيا فيها الشخصيات إلى حدٍّ كبير ، فنحس في نفوسنا عواطف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونوازع نفسها حية تتردد في جوانبها الآمال والآلام وتصطدم بينها الأهواء ، وتبرز فيها صفات البيئة ، وتمتاز بها أمزجة خاصة .

* * *

ولكن هل تخلص شوقي في النهاية من شيطان الغناء ؟ لقد بقيت رواسبه في هذه المسرحية : فما زالت عنايته بالنظم رائده الأول ، وغايته الأخيرة ، ولا نرى في الشخصيات عمقاً نفسيًّا ، وليس الحوار وسيلة للتعبير عن العواطف الدقيقة للنفس البشرية ، وإنما اكتفى شوقي في ذلك بوصفها بأوصاف عامة وعناوين عريضة في شعر خلاّب مفعم بالاستطراد الغنائي ، ولم يتعمق شوقي كثيراً في داخل هذه النفوس وإلى ما وراء هذه العناوين .

وبينما اتكأ فيها في بعض المواضع على مواقف طرقها في مسرحياته السابقة كمواقف العشاق ، كتاسو ونفريت ، وتاسو ونيتيتاس ، بعد أن جرّب ذلك بين كليوباترا وأنطونيو ، وحابي وديلانه في المسرحية الأولى بصورة بدائية ، ثم توسع في مسرحيته التالية، فأفاض في وصف المواقف الغرامية بين قيس وليلى، وصارت وحدة التأثير في مسرحيته. وسنرى في هذه المسرحية بوادر جديدة للتأثير المسرحي في مسرح شوقي ونواحي أكثر جودة من الناحية الفنية ، تبرز بسهولة طبيعية ، وهي ازدواج الصراع النفسي مع الصراع الحسي ، وشيوع النوع الأول ، واتقان المفاجأة والتهكم المسرحي والتطوّر المنطقي والنفسي للحوادث ، وسنرى هذه المناظر في « علي بك الكبير » و « عنترة » على أن في هذه التجربة الحاضرة بوادر تصوير مثل هذه المناظر ، ففي موت قمبيز مفاجأة غير طبيعية التطوّر سنراها أكثر اتقاناً في نهاية علي بك الكبير» و « عنترة » . وفي« قمبيز» صور من الصراع سنراها أكثر تطوّراً في آمال ، وسنراها واضحة السمات بين عنترة وأهل عبلة وخصومه .

وفي بعض مناظر هذه المسرحية قوة وانسجام في الحوار ونظام في تحليل الشخصيات ، وخلو من الحشو والاعتماد على الشعر في التأثير وحده ، فنرى في المسرحيات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القادمة تطوراً أكثر انتظاماً للشخصيات والحوادث ، وخلوها من الحشو إلى حدٍّ كبير وسنرى اعتماد الشاعر — إلى جانب الشعر — على وسائل المسرح العامة .

وقد كان لعنف النقد الذي قوبلت به هذه المسرحية تأثير محفز على الشاعر ، فاستنهض عزمه للاجادة والتجريب من جديد ، بل والتجريب في تأليف أنواع أخرى غير المأساة الغنائية فيما بعد ، كما في « أميرة الأندلس » وهي تجربة في المسرحية النثرية ، وفي « الست هدى » وهي تجربة في الملهاة الغنائية . وان في ضيق المدة التي تطور فيها فن المؤلف المسرحي لشاهد على ما لاقى من جهد ، وما تجشم من عناء .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



الجزء الخامس من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ مايو ١٩٤٧ — ١٩ جمادى الثاني ١٣٦٦

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

رئيس تحريرها اسماعيل مظهر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري ١٢٠ قرشاً مصرياً وفي سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن والعراق ١٤٠ قرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٧ دولارات اميركية وفي عدن وافغانستان وايطاليا والمانيا وبلاد الانجليز ٣٠ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ١٠٠ قرش مصري في مصر و ١١٠ قروش مصرية في الخارج بالبريد العادة

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت لهُ خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتّاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

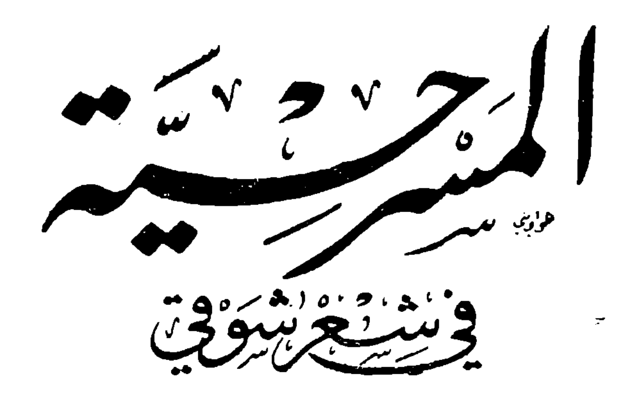
An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

Edited by I. Mazhar

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



— ٣ —

تأليف

محمود حامد شوكت

ليسانس في الادب الانجليزي

ودبلوم معهد التربية العالي وماجستير في الآداب

مطبعة المقتطف والمقطم

١٩٤٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل الخامس

علي بك الكبير
أو دولة المماليك

تتفوّق هذه المسرحية على المسرحيات السابقة من النواحي التمثيلية ، فقد قلّ فيها الاستطراد والحشو إلاّ في مواضع استرسلت فيها الشخصية في التعبير عن عواطفها ، وذلك في مواضع قليلة من المسرحية ، كما يحدث حين يشكو علي بك من خيانة أعوانه له ، وتتردد آمال بين الواجب والهوى . وقد برزت فيها ألوان الشخصيات الى حدٍّ لم يظهر في المسرحيات السابقة، وانسابت الحوادث انسياباً طبيعيّاً ، وتطورت تطوراً متصلاً ، تخللتها عناصر مسرحية تؤثر في الجمهور بالتشويق والتحليل والمفاجئات والتهكم في حدود الاحتمال الطبيعي للسياق . ومرجع ذلك إلى أسباب أهمها أنها مسرحية أعاد كتابتها الشاعر في الأعوام الأخيرة من حياته حين ألّف للمسرح . وقد أشار مترجم حياة الشاعر الى هذه الاعادة الثانية المسرحية في كتاب (اثنتي عشر عاماً في صحبة أمير الشعراء) للاستاذ أبو العز . وثانيها العناية التي بذلها الشاعر في مؤلفاته الجديدة التي ألفها عقب نقد مسرحيته السابقة . وثالثها أنه قدّمها الى لجنة في مسابقة عامة لاختيار أفضل المنتجات المسرحية كما ذكر في مقدمة مسرحيته . ورابعها أنه وفق بالصدفة الى موضوع يناسب العرض المسرحي دون تغيير أو تبديل جوهري في الموضوع التاريخي .

وتذكر المراجع التاريخية كيف تغلب علي بك الكبير بذكائه ومهارته على غيره من المماليك وكيف استطاع أن يكون شيخاً للبلد عام ١٧٦٢ ، وكيف أعلن استقلال مصر عن الأتراك عام ١٧٦٩ ، واتخذ لنفسه لقب السلطان ، ويذكر التاريخ كيف قوّى نفسه باتحاده مع والي عكا ، وكيف أرسل حملات استولت على اليمن وجدة ومكة وشبه جزيرة العرب. وحين انتوى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فتح سوريا عام ١٧٦٩ أرسل أحب أتباعه إليه ، وهو محمد بك أبو الذهب مع جيش لفتحها وأراد بذلك أن يأمن على سلامة ملكه وملك خلفه والي عكا من السلطان . وقد نجحت هذه الحملة ، واستولت على غزة ونابلس والقدس ويافا وصيدا ، واستولت على دمشق بعد أن حاصرتها . على أن الأتراك استطاعوا أن يكسبوا بالسياسة والدهاء ما فقدوه في الحرب ، واستمالوا إلى جانبهم محمد بك أبا الذهب ، ومنّوه بتوليته على مصر ، فغادر محمد بك سوريا إلى صعيد مصر ليستعد لمحاربة علي بك . واستطاع أن يجتذب اليه الكثير من أتباعه . وسافر علي بك إلى حليفه والي عكا ليجهز جيشاً يسترد به ملكه — على أن محمد بك أبا الذهب دسّ له في الطريق من دهمه وأسره فمات في الأسر بعد أيام سنة ١٧٧٣ ثم صار أبو الذهب شيخاً على مصر من بعده .

وبنى شوقي مسرحيته على الجزء الأخير من هذه الحقبة . فبدأ بخيانة أبي الذهب لعلي بك وانتهى بوفاة علي بك وانتصار أبي الذهب .

وفي الفصل الأول يظهر علي بك ويتزوج آمال بعد أن يعجب بإبائها وشممها . ثم يضطر إلى الرحيل الى الشام ليعد عدته لمحاربة أبي الذهب ، تاركاً زوجته الجديدة حتى يعود ظافراً . ويدخل مراد بك الشاب ويحاول إغراء آمال فتصده عنها . ويكتشف مصطفى والد آمال أن مراداً ابن له قد باعه من قبل ، ولكنه لا يبوح بسره ، وإنما يكتفي بإبعاد مراد عن ابنته .

وهذا الفصل سليم من الناحية المسرحية ، إذ تقدم فيه أمامنا الشخصيات الرئيسية ، وتوضح بوادر الازمات ، وينتهي الفصل بمفاجأة. ويتخلل الحركة فيه بوادر أزمتين ، تتصل الاولى منهما بالموضوع التاريخي العام ، وتتصل الثانية بالموضوع الخيالي . ويندمج الموضوع التاريخي بالموضوع الخيالي اندماجاً يجذب انتباه الجمهور منذ البداية ، وتتخلل هذا الفصل بعض ألوان فكاهية لا تعوق سيره وتمثلها الماشطة وجواريها ، ويعتمد معظمها إمّا على التلاعب بالالفاظ ، وإما على المنظر الخارجي والصفات الشاذة للشخصيات . ويتخلله أيضاً نشيد غنائي قصير لا يعطل سير العمل بشكل محسوس كما حدث في المسرحيات السالفة رغم قيمته الغنائية الخالصة .

وينتقل المنظر في الفصل الثاني إلى عكا حيث تحمل شمس — جارية آمال إلى علي بك خبر

انقلاب أعوانه عليه ، ومحاولة مراد الاعتداء على زوجته . ويحاول سعيد الفتك بعلي بك بإيعاز من أبي الذهب فيفشل ، ويكشف لعلي بك عن حقيقة مجيئه ونوايا سيده . ويحاول قائد الأسطول الروسي التدخل في جانب علي بك . فيرفض علي بك الاستعانة بمن يخالفه في الدين والقومية . ويعد علي بك وحليفه الشيخ ضاهر العدّة وحدهما لغزو مصر .

وهو فصل سريع الحركة يعتمد في التأثير على المفاجأة ، ويحرص على التطور الثنائي للتاريخ والخيال ، وتأثرهما ببعضهما . وتتمشى حوادثه مع روح العصر من محاولات الاغتيال ، والتعصب الديني والقومي ، كما تمهد أحداثه لحدوث الأزمة في الفصل الثالث .

ويبدأ الفصل الثالث بعرض صور للحياة في عصر المماليك في مصر ، تقوم على الفوضى والاضطراب والسلب والنهب واغتصاب الحقوق ، والغدر والخيانة ، والسير في ركاب المنتصر ونسيان فضائل المهزوم ، ونعلم بهزيمة الشيخ ضاهر والي عكا ، ويظهر علي بك جريحاً ، فيكشف الياسرجي لمراد وآمال عن العلاقة بينهما ، ثم يموت ، ويعلم علي بك بهذه العلاقة قبل أن يموت كما يعلم بها أبو الذهب .

ولا تحدث الأزمة في هذا الفصل دون تمهيد لها في بداية المسرحية ، وإنما تتطوّر في نطاق الاحتمال، ولو أن المناظر الأولى لا صلة بينها وبين التطوّر الدقيق للموضوع . وتحدث الهزيمة خلف الستار ، على أنّ العرض العام للفصول والمناظر يبين تقدّم شوقي الكبير في التأليف المسرحي ، وازدياد خبرته بوسائله ، ويمتزج بهذا العرض التحليل الإنساني للشخصيات ، ولو أنه لم يبلغ بعد عمقاً وغوراً بعيدين ، وإنما ينحصر في التحليل الذي يدور حول معاني تتصل بمعاني الشعر الغنائي التقليدي عن قرب أو بعد .

وما زالت الشخصيات المسرحية بسيطة التركيب والملامح ، وتتركب من الأهواء التي اتصفت بها الشخصيات المسرحية الأولى في مركب جديد . على أن لها ألواناً غير مختلطة أو متضاربة كما اختلطت وتضاربت في المسرحيات الأولى . ولعلّ مرجع ذلك إلى وضوح صورها التاريخية في ذهن المؤلف قبل أن يعمل فيها خياله .

فعلي بك بطل يجمع بين صفات نبيلة وعيب تنفذ منه المأساة إليه . وهو صورة متسقة منسجمة لأنطونيو وفرعون ، وهو أوفر من كليهما حياة لقربه من التاريخ القومي من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جهة ، وصلته بالتاريخ التركي من جهة أخرى ، ويتصف علي بك بصفات النبل وصفات الضعف ، وفي مقدمتها صفة الكرم .

فهو يقول لوكيله عن نفسه . —

أجل نحن أطعمنا الفقير ولم يكن   له في قصور المترفين طعام
ونحن أشبعنا ابن السبيل ولم يكن   يبل له فوق الطريق ادام
ونحن حضنا اليتيم نمسح دمعه   وآواه منا محسنون كرام
ترى الزاد مبذولاً وفي كل ساحة   يتامى قعود حوله وقيام (ص٣٨)

كما أنه مصلح اجتماعي حاول إصلاح التعليم وبناء المستشفيات والملاجيء فيقول .

ونبني فركنٌ للثقافة والحجا   يشاد وركنٌ للصلاة يقام
ودار يوامي البؤس فيها ومنزلٌ   تداوى جراحات به وسقام
ونرفق بالعجماء نأسو جراحها   تقات على ساحاتها وتنام (ص ٣١)

على أن ذلك قد أدى به إلى أمرين ، أولها فقر الخزانة ، فيقول له وكيله :

إنّ الخزانة أصبحت   بنداك كالحجر الخرب
الفضة انفضت وما   قد كان من ذهب ذهب
رمضان راح بنصفه   والنصف راح به رجب (ص ٣٠)

وثانيها استغلال أتباعه لطيبة خلقه وانفضاض أعوانه من حوله فيقول لبشير :

صبرت طويلاً يا بشير فما جلا   ولا زال الصبر الجميل مصابي
ولو أنّ رزئي بالغريب احتملته   ولكن بأهلي نكبتي وعذابي
يطاردني في الأرض من دبّ في يدي   وربي في حجري وهبّ ببابي
ومن طلب الدنيا ببأسي وسطوتي   فلما حواها في يديه سطا بي
ومن عشت أبنيه وأعمر ركنه   فصير هدمي شغله وخرابي (ص٣٤)

ويكرر علي بك حكاته في أحيان كثيرة من المسرحية ، فيتذكر انقلاب اعوانه عليه فيقول لبشير :

ولكن أمور قد جرت وحوادث   بنقلة دنيا أو تبدل حال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خانني من كان عند إشارتي　　يصول بجاهي أو يعيش بمالي
وعقّ الذي ربيت في حجر نعمتي　　ووطأت أكتافي له وظلالي
تألف أصحابي وألب شيعتي　　عليّ وأغرى بالحروب رجالي
لقد جئت بابن ليس لي فكأنما　　أتيت بأفعى من سحيق تلال
تفرّق عني الناس إلا بطانتي　　ولم يبق حولي اليوم غير عيالي
سأمضي وما عندي لهم إن تركتهم　　سوى قوت أيام وخبز ليالي
وقد زعم الناس الغنى في خزانتي　　أتى من حلال تارةً وحرام (ص٣٨)

ونكاد نرى شوقي خلف هذا الحوار ، ونلمس مدائحه للملوك وإشادته بأعمالهم بين ثنايا سطوره ، ونرى فيه أصداء لشكاة أبطاله السابقين في المسرحيات الأولى ، فنرى فيه ألواناً من شكاة أنطونيو وكليوباترة وحزنهما وأسفهما على انقلاب الحظ ، مع أنه — على عيوبه — أقل اصطناعاً وتكلفاً من الصور الأولى للحوار ، وما زالت به بقية محاولة استثارة العاطفة عن طريق الشعر ، وما فيه من استرسال وإطناب في إنشاده ، لزيادة التوتر المسرحي .

ونكاد نرى في تطوره صفات النجم الآفل ، فهو يشعر بالخاتمة وهي تدنو ، وبه صفات من الخلق العربي الشهم الكريم ، والعطف على من حوله . فقد رفع آمال من مرتبة الإماء إلى مرتبة زوجة الوالي . ونعجب منذ البداية بشخصيتها الأبية ، ذات الروح الوثابة التي تأبى أن تعامل معاملة الرقيق ، فتقول لعلي بك :

سيدي غير شأننا بك أولى　　هذه السوق لم تلق بجلالك
تشترى النفس أو تباع على الأرض　　ولم يرض في السماء المالك　　ص ٢٤

وهي جريئة صريحة لا تخشى أن تقول لأبيها أمام الوالي :

قف ، أنت عبد المال يا أبتي　　تلقي البريء لأجل المال في النار
لا سيدي. لا. أبي. لا تذكرا ثمناً　　فلست مخلوقة للبائع الشاري　　ص ١٧

وهي فتاة ذات كبرياء وأنفة تقول لمراد حين يعرض بها كرقيق :

سيدي من عنيت ؟　　قل لي بمن عرضت ؟

فيقول مراد :　　أعني المليحة الحسناء

https://t.me/megallat　　oldbookz@gmail.com

فتقول له . سيدي إننا حرائر ما زلنا .

أمام هذه الصفات لا يملك علي بك إلا أن يعجب بها ، وسيقول لها :

لك الله يا آمال أنت كبيرة وكل كبير النفس سوف يسود
فداؤك نفسي هذه نفس حرة وهذا إباء ما عليه مزيد ص ٤

ولا يملك إلا أن يتزوج بها .

على أنهما يتحركان في بيئة قويت فيها عناصر الشر والخديعة ، وتعددت فيها رسامهما . فنرى في أبي الذهب والياً يعرف كيف يصرّف الأمور بالدهاء والخداع حيناً ، وبالمال حيناً آخر . وهو رجل واقعي عملي لديه الغاية تبرر الوسيلة ، وهو يقابل في ذلك علي بك الذي أبى لاسترداد ملكه — الاستعانة بقائد الأسطول الروسي . ونلمس هذه الصفات في مواقف كثيرة يظهر فيها . فيقتل مملوك مملوكاً آخر أمامه لسبب تافه فيقول له :

لا ترع قد كان من حزب علي كفيتنيه فقول اليوم ما كان يلي
هيا احملوا جثته هيا اذهبوا بالرجل ص ٩٧

ويخادع والي عكا ويراوغه فيتظاهر بالعفو عنه إعجاباً به ، بينما يدبر له في الخفاء وسائل التخلص منه ويعلم ضاهر ذلك منه ويقول :

ذلك الغدر والمماليك فيهم من قديم الزمان غدر وختل ص ١٠٩

وتبرز من صور الشخصيات صورة للوفاء والجرأة — حتى ساعة الهزيمة — في شخصية الشيخ ضاهر والي عكا . فهو يجاهر أمام الوالي الذي ظفر بقوله .

أسروني ولو بقيت طليقاً .

محمد بك : ما الذي كنت صانعاً ؟

فيقول له : كنت تبلو

كيف أبني اللواء حول حليفي وأرم الصفوف إذ تضمحل ص ١٠٨

وتتحرك إلى جانب هذه الشخصيات صور أخرى لشخصيات ثانوية كالجلاب والماشطة والجنود ومراد ووالي عكا، وقد مست مسّاً خفيفاً أبرز طبائعها العامة إبرازاً طفيفاً لم يحرمها قدراً ما من الحياة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وصحب تطور الحوادث والشخصيات حوار يتصف بالصفة المسرحيـة في معظم أنحاء المسرحية ، سيما في المواقف التي يطمئن فيها الشاعر إلى قوة تأثير الموقف والشخصية ، فيصير الحوار تعبيراً سهلاً طبيعيًّا لا كلفة فيه . على أن رواسب الاتجاه الغنائي ما زالت تلوح في بعض أماكن الحوار التي يحاول فيها المؤلف أن يضفي على خطورة الحادثة وشدة انفعال الشخصية تعبيراً غنائيًّا رقيقاً ، فيقوده إلى المبالغة والاسترسال ، ويظهر التكلف والحشو ، ويكشف شوقي المسرحي عن شوقي الشاعر الغنائي بشكل واضح . وسنجد صوراً لهـذا الاسترسال بعد أن نتجاوز الأغنيـة الأولى التي يغنيها عشاق ، وفيهـا يذكر بلاده وهي تبدأ بقوله :

كوخ وراء الجبـال مكلس بالجليـــد (ص ٤)

والنشيد الآخر الذي يغنيه حين يعقد علي بك آمال ويبدأ بقوله :

غداً يعقد للوالي على الحسناء آمال (ص ٢٩)

فهما صورتان للنزعة الغنائية الصريحة ، في مسرحيات شوقي ، ويتصفان بما تتصف به أغانيه من تشبع بالموسيقى والعاطفة ، وقيامها بوظيفة غنائية خالصة في المسرحية ، ولا يتصلان بتطور الحوادث أو صفات الشخصيات أو يساعدان على تقدم حركة المسرحية ،

فقد عرفنا أن شوقي جارى بذلك المسرح المعاصر ، وتأثر بميل الجمهور إلى سماع الغناء واتبع مزاجه الخاص . على أننا سنلاحظ فيها قصراً وخفة في الأداء واتصاله ـ الى حدٍّ ما ـ بالموضوع ، لا يظهرها بمظهر التكلف .

ولنصل بعد ذلك إلى صور هذه النزعة في حديث علي بك قبل أن يبارح قصره ويبدأ بقوله : —

سلامٌ على قصر الإمارة والغنى وايوان سلطاني ودست جلالي (ص ٣٧)

فهي قصيدة طويلة كرر فيها المؤلف ما قالته الشخصية ص ٣٧ و ص ١١٧ من المسرحية ، وعيب مثل هذه الأحاديث الطويلة خلوها من الحركة المسرحية ، بحيث تتعب الممثل في الأداء وتثقل على أسماع الجمهور . ولنلحظ أن وزن هذا الحديث وصورته هي التي اتخذتها كليوباترة لحديثها الطويل قبل أن تنتحر وعن طريقها يحاول الشاعر إثارة جو الحزن والأسف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن طريق الشعر ، لا عن طريق الحركة المسرحية وتمثيل الحوادث تمثيلاً مباشراً .

على أن مثل هذه الأحاديث لا تشيع وتكثر في هذه المسرحية ، كما شاعت وكثرت في المسرحيات الأولى ، وقلت بقدر واقتصرت على الأحاديث السريعة الحركة ، المتصلة بالشخصية والحادثة ، وتشبعت بالحيوية واكتسبت صفة طبيعية ، رغم طولها أحياناً فتقول آمال لنفسها بعد أن طردت مراداً .

ويح لي ويح قد قسوت عليه   وتجاوزت في المروءة حدي
ما الذي استوجب الأمير وما   أذنب حتى رددته شر رد
ويح قلبي يحبه . كذب القلب   وبعداً لحب إلف بعد

فهي إنسان طبيعي ، ولم يحاول المؤلف تجريدها من تنازع العواطف ، ولم يحاول أن يصورها بصورة مصطنعة تتمشى مع قواعد الأخلاق ، ففي الحياة قد يغرينا الشر كما يغرينا الخير .

وآمال فتاة تزوجت بشيخ ، ويحاول مراد غوايتها ، وهو فتىً جميل . على أن عاطفتها الخلقية تثور لهذه الفكرة ، فتقول لنفسها :

هو مستهتر مشى على حجراتي   وتناسى أمانة الزوج عندي
لا . بل القلب شغله بمراد   هو شغلي من الحياة وقصدي
رب ما لي أحسُّ نحو مراد   شغفاً زائداً ولوعة وجد
وحناناً كأنه رقة العشق   جرى في دمي ولحمي وجلدي

وتتضح في هذا الموضوع صورة للصراع بين الهوى والواجب ، حتى تتغلب فيها عاطفة الواجب فتقول :

لا ورب الجلال والحق آمال   ارجعي للصواب آمال جدي
أنت من أمة تصون حمى الزوج   وتقضي حقه وتؤدي
ربي لا تجعل العلاقة إلاَّ   من سلام إذا التقينا ورد
ربِّ إنّ البلاء مني قريب   وأرى حفرة وأخشى التردّي
رب لا تقض أن أخون عليًّا   كيف أهوى على هوى الزوج عندي (ص١٨)

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

بل شعر المؤلف أن تغير العاطفة يستدعي تغييراً في التعبير ، فيصبغ عزمها وتصميمها بصبغة خاصة يتغير فيها الوزن والقافية ، فتقول آمال في نهاية الحديث :

لا . لا . رويدك يا آمال لا تثني   على الأمير ولا تجـريه طغيانا
واحمي حمى الليث في أيام غيبته   إن اللباة تحوط الغاب أحيانا
أما هو الزوج يرعى حق غيبته   وتجعل الحرة الفضـلى له هانا
لقـد أقامك في محرابه ملـكاً   لا تجعلي الملك المهدي شيطانا (ص١٨)

ونستطيع أن نلمس هذا التردد بين العاطفتين يتكرر بطرق مختلفة في الحوار ، وكأنما شعر المؤلف بقوته فأطنب فيه بعض الإطناب ، وسنرى في هذه النزعة في النهاية صورة أروع من الصراع في نفس ليلى بين الهوى والواجب ، فقد سبقت صورته الأولى في شكل بدائي في كليوبترة ، وهي موزعة بين أنطونيو ومصر في أكتيوم ، وسنرى فيهـا حرصاً من المؤلف على جعل العنصر الخلقي المثالي يتغلب في النهاية.

ونلمس مثل هذا الصراع في نفس علي بك في مواضع خاصة ، فيثور في نفسه صراع بين الضمير والواجب ، وبين العاطفة والشهوة إلى الإنتقام حين يقابله قائد الأسطول الرومي ويعرض عليه خدماته . فيقول علي بك لنفسه :

مالي قعـدت وتركيا متهورة   والروس حولي يخطبون ودادي
أسطولهم بيدي وقائدهم معي   سأصيب جندي عنـده وعتادي
لا يا علي ، رويداً في الغضب ، إتئد   ما تلك خطة حكمة ورشـاد
ماذا جنت مصر عليّ وأهلهـا   إن الجناة عليَّ هم أولادي

وفيه تتضح سمات الصراع السابق وتطوره في المسرحيات الأولى ، وفيها لا يكاد شوقي يحس بوجوده رغم تنازع عاطفتين قويتين متناقضتين في نفس أنطونيو وفي نفس كليوباترة وفي حديث كل منهما قبل الفصل في أمر نفسه وإقدامه على الانتحار ذكر للوطن يمثل جانب الواجب ، وذكر للحبيب يمثل جانب الهوى . وقد ورد الصراع بشكل بارد متتابع لا حرارة فيه ، رغم وجود فرصـة نادرة لتمثيله ، وإنهائه بانتصـار الجانب الإنساني العاطفي ، أو الانتحار على أنه مهرب من هذا الصراع ، فيحيا المنظر وتحيا الشخصية .

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

وإننا لنرى كيف تقل بيوت الحوار وتتحرك بسرعة ، وكيف يتجزأ البيت الواحد أكثر من ذي قبل مسايراً بذلك منطق الحوادث ، ومنطق الشخصيات فتقل العناية باستكمال جوانب الحوار والبيوت والقافيـة ، وإيراد التشبيهات والمبالغـات المصطنعة ، واشتراك أكثر من شخصية واحدة في الحديث في المنظر الواحد ، وتنوع المناظر في الفصل مع وحدتها العامة ، وعدم تفكك أوصالها. ونرى فيها مفاجآت تتوزع في ثنايا المسرحية بشكل لا يخرج على المحتمل والمناسب ، كما في محاولة سعيد اغتيـال علي بك ، ومنظر مقتل مميش بك ، وكما في المفاجأة الكبرى حين يكتشف مراد علاقته بآمال ، وفيه تحل الأزمة التي عقـدت في بداية المسرحية ، وفي ثناياها عرض الموضوع التاريخي .

على أنه من المناسب للتمثيل حذف حديث لا يحتمل أن ينشده جريح يودع الدنيـا ، فعلي بك الكبير قد جرح ، وهو مشرف على الموت ، وليس من المحتمل أن يخاطب مراداً خطاباً فلسفيـا عن أسباب ضعف المماليك وحاجتهم إلى الاتحاد ، فذلك شوقي يبرز من بين شخصياته سافراً ، ويحاول أن يستخرج العظة من التاريخ تمشياً مع أسلوبه الخلقي . ولكن هذه العظة لا تتضح إلا بعـد تطور للحوادث وبعد انقضاء زمن طويل . وربمـا كان من المناسب حذف منظر الجند في عكا في بداية الفصل الثاني ، ففيه يستعرضون الحرب ومضارها وفيها يبرز المؤلف سافراً أيضـاً ويدع شخصياته تتحدث عمّا لا يتصل اتصالاً رئيسيـاً بالموضوع ، وهو أقرب إلى الحشو منه إلى منظر من المسرحية .

على أن هذه المسرحيـة تبين تقدماً في فن شوقي المسرحي ، من حيث وجود عنـاصر المفاجأة والتهكم المسرحي ، وتطور الموضوع من عقده إلى حل ، ووضوح ملامح الشخصيات وسهولة الحوار ومرونته ، وتعدد لوحة الشخصيات . فماذا أسقطها في التمثيل بعد أن مثلت لأول مرة عقب تأليفها ؟

يرجع ذلك إلى اختيار الموضوع من حقبة لا تتصل بتاريخنا القومي اتصالاً قويـاً دائماً ، إذ يعرض أمام الجمهور صفحات عصر مملوكي ، حكام مصر فيه أجانب عنها ، وتعرض أمامهم ما استلزم تصويره في العصر من ولاة يتنازعون على الحكم من أجل الحكم ، ولا يتصلون بالشعب المصري اتصالاً قويـا . فقد كان ذلك نصيب محمد علي الكبير بعد ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ببضع عشرات من السنين . وعرض المؤلف أمام الجمهور صوراً لبيع الرقيق وشرائه ، وصوراً للنهب والسلب والخيانة والغدر . بل صوّر المؤلف الشعب تصويراً غير عميق ، إذ صوّره بصورة شعب جاهل يسير في ركاب المنتصر وينقلب على المهزوم ، رغم ما أسداه إليه من خير . ويكاد يجمع مؤرخو هذا العصر على أنه كان عصر هدم واستنزاف ، لا عصر بناء وإصلاح في تاريخ مصر . بل لا يقارنون به عصراً آخر من تاريخ مصر في نزعة الهدم لا نزعة البناء . وقد اقتصر شوقي على تصوير الملوك والحكام والقادة دون أن يجنح إلى تصوير حياة الشعب فيصور نفسه وآلامه وآماله ، ولكن حكم على ذلك منشأ شوقي وحياته . ولو عاش بين الشعب كما عاش حافظ ابراهيم — معاصره — لتغيرت وجهات نظره ، وأتيح لنا الاطلاع على مسرحيات من نوع آخر ، ولأقبل على التأليف إقبال المندفع من داخل نفسه ، تدفعه فكرة ، وتسيره عاطفة صادقة عميقة ، ولأنتج لنا مسرحيات تحمل طابع الحرارة والشيوع .

على أن الباحث لا يسعه الا أن يرى في هذه المسرحية مناظر جذابة تجتذب الجمهور وجودة فنية تقدمها على المسرحيات الاولى . ففي نهاية الفصل الاول يرى الجمهور بوادر الأزمة بوضوح ، وتطورها السريع في الفصل الثاني ، وحلها في نهاية الفصل الثالث ، فلا يرتخي توتر اهتمامه بمتابعة المسرحية . ويرى فيها تقدماً فنياً في مناظر مهد لها في مسرحياته الاولى ، فيجتذب اهتمامه مناظر الصراع بين آمال ومراد ، وقد سبقه نظيره في مصرع كليوباترة بين هيلانة وحابى ، وبين قيس وليلى ، ويدور الصراع حول حب يعترض سبيله حائل قوي . ويجتذب اهتمام الجمهور منظر الصراع بين علي بك وسعيد حين يكاد علي بك أن يقضي على خصمه ، وقد سبق هذا المنظر نظيره في المسرحيات الأخرى ، فهناك صراع بين قيس أو على الأصح زياد تابعه وبين منازل ، وبين ابن عوف وبين آل ليلى . ويجتذب انتباه الجمهور الصراع الأكبر بين علي بك ومراد بك ، ويتوقع الجمهور انقلاب حظوظه وتمتزج المفاجأة الكبرى في النهاية بنوع من التهكم المسرحي . إذ يعلم الجمهور بالعلاقة بين مراد وآمال ، بينما تجهلها الشخصيتان المسرحيتان ، وقد سبقه نظيره في مصرع كليوباترة ، حين تتحدث كليوباترة إلى أنوبيس عن حظوظ أنطونيو والجمهور ويعلم الجمهور أنه قد انتحر ، وله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نظيره في « مجنون ليلى » حين يتحدث بشر إلى قيس معزياً وهو يجهل أن ليلى قد ماتت ، بينما يعلم الجمهور ذلك . على أنه قد خط هـذا الصراع بمهارة تقدمت خطوات على قدرة الشاعر في المسرحيات الأولى .

بل إن المسرحية لتترك في نفس الجمهور معنى أعمق ، ومدلولاً أبقى أثراً ، فقد يتصارع الخير والشر ويتغلب الشر أحياناً . وقد يفعل المـال في النفوس فعل السحر فيشتري القلوب والضمائر . على أن تلك القيم الخلقية لا تتحقق إلاّ في مجال اجتماعي خاص . وقد كان في المجال الاجتماعي في عصر المماليك المضطرب ، ميداناً يجعل من الممكن تحقيق هذه القيم ، بل يجعل منها المثل الأعلى للناس .

فلئن عابت هذه المسرحيـة بعض العيوب العامة ، ففيها تقـدم ملحوظ في فن شوقي المسرحي .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل السادس

عنترة

بين مجنون ليلى وعنترة وشوقي صلة روحية قوية . فالمجنون — كعنترة — شاعر يسير كل منهما عاطفة الهوى . ويعتمد فنهما على الغزل في جوهره ، ويستمد كلٌّ منهما امتيازه من البراعة في إنشاد الشعر . على أننا نلمس في المسرحية الجديدة عمقاً في التعبير العاطفي للشخصيات ، وإبرازاً لألوان البيئة ، ووضوحاً لمعالمها ، واستجابة الشخصيات لهذه البيئة وفيها تخصيص يقابل العمومية في التعبير والأداء في المسرحية الأولى . ونلمس في المسرحية الثانيـة حركة قد يبالغ في إظهارها الشاعر أحياناً ، وقد قلـت الحركة إلى حدٍّ كبير في المسرحية الأولى . وموضوع المسرحيتين متشابه ، فهو صراع عاشقين مع حوائل . وبينما تتحطم الشخصيتان في المسرحيـة الأولى لوجود حائل روحي قوي من التقاليد تتمسك به إحدى الشخصيتين ، وتنتصر الشخصيتان في المسرحية الثانية لعدم وجود هذا الحائل الروحي ، ويستطيع البطلان تحطيم الحوائل المادية المجسمة وهم آل عبلة . ونلمس في حوار هـذه المسرحية مرونة وتنوّعاً وعمقاً لم نجده في المسرحيات الأولى .

وقد رجع شوقي ثانية إلى الأغاني يقلب صفحات البطولة فيه ، فاستهوى مزاجه كشاعر قصة شاعر آخر هو عنترة ، الذي اتصف بصفات البطولة ، وصار قطعة من الأدب الشعبي بما نسج حوله من أقاصيص الشجاعة . واتخذ من عنترة بن شدّاد الذي لقب بالفلحاء لتشقق في شفتيه ، بطلاً لمسرحيته وبنى موضوعه على ما ذكره الرُّواة عنـه ، من أن أباه احتقره لسواد بشرته ، ولأن أمه كانت حبشية ، وأبعده أبوه ، ثم ادعاه حين أغارت بعض أحياء العرب على بني عبس وأصابوا منهم ، واستـاقوا إبلهم ، فتبعهم عنترة في جمع من عبس . وقال له أبوه . كرّ يا عنترة . فقال له : العبد لا يحسن الـكرّ ، وإنما يحسن الحلاب والصر .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقال له أبوه « كرّ وأنت حر » : وقيل إنّ أباه ادعاه حين أغارت عبس على طي، وأصابوا منهم أنعماً . فلما أرادوا الغنيمة قالوا لعنترة « لا نقسم لك نصيباً مثل أنصبائنا لأنك عبد » وطال بينهم الخطب حتى كرّت عليهم طيّ ، فاعتزلهم عنترة . قال « أو يحسن العبد الكر ؟ » فقال له أبوه « العبد غيرك » واعترف به فكرّوا فاستنقذ النعم. واشترك عنترة بعد ذلك في حروب داحس والغبراء، وفيها أغار على بني نبهان ، واطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير ، وجعل يرتجز وهو يطردها . ثم تبعه وزر بن جابر النبهاني في فتوة ، فرماه وقال : « خذها وأنا ابن سلمى » وتحامل عنترة الرمية حتى أتى أهله رمات : ويذكر البعض أنه مات في حرب مع طي ، بعد أن سقط من على فرسه ، واختبأ في دغل فرماه بعضهم بسهامه . وقيل إنه مات وهو في سفر حين هبّت عليه ريح من صيف فأصابته وقتلته . على أن هذه القصة قد امتلأت بما نسجه حوله خيال الأدب الشعبي من حوادث البطولة ، وأنشد له المنشدون الرجز والشعر، وقصوا قصته في مجالس العامة . وصار مثلاً أعلى للعاشق الشجاع العفيف البدوي الجريء .

واستجاب مزاج شوقي لهذه القصة ، واتخذها موضوعاً لمسرحيته صوّر في ثناياها البادية الجاهلية ، وحياة الغارات والحروب والشعر والصيد. وصوّر ذلك في أربعة فصول ، قسم فيها كل فصل إلى منظر ، وكل منظر إلى عدد عديد من المشاهد التي تتغير تبعاً لظهور شخصية جديدة أو لتغير في الحوادث . وقد انتفع من هذا التقسيم في تنويع الحوار ، وأقلع عن الاندفاع في تيار الشعر الغنائي والاسترسال فيه . ففي الفصل الأول يظهر عنترة ويشكو هواه ، ويمر عليه فتية من الحي يعلقون على شدة بأسه وضخامة جسمه ، ثم يهتف هاتف بطلوع النهار ، وتنشد فتيات الحي نشيد الصفا وهنّ يملأن جرارهنّ . ثم يظهر صخر إنه يسعى لخطبة عبلة ، التي لا تريد بغير عنترة بديلاً وتهوى صخراً فتاة أخرى هي ناجية ويغير اللصوص لجأة على الحي فلا يتحرك عنترة إلاّ حين يصل إلى مسامعه استنجاد عبلة به ، فيخلصها من أيدي اللصوص ، ويشكو إليها هواه ، ثم يدخل عبده حاملاً ما اصطاده عنترة ثم يصطدم عنترة بصخر فيدور بينهما حوار ينتهي بانصراف الأخير مهزوماً .

ويشبه هذا الفصل الفصل الأول من مسرحية مجنون ليلى ، ففيه يتلخص الموقف ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتظهر العوائق في سبيل حب عنترة وعبلة ، ويلمس الجمهور بأس عنترة وقوته الجسمية وقوة سحر بيانه . وهو فصل يحدث فيه التأثير بالوسائل المسرحية بعد أن اقتصرت في المسرحيات السابقة على الإنشاد والتلخيص ، ويرتفع الفصل نحو ذروة ثانوية يتوتر فيهـا ثم يحل ، على أن يترك العقدة الكبرى دون حل بعد ، ففيه مفاجآت ذاتية ، أهمهـا خطف عبلة ومداهمة الحي ، وموقف الشك الذي يقفه عنترة من الدفاع حتى يخف لنجدة عبلة . وفيـه حوادث تمثل تمثيلاً حيـاً مباشراً بدل أن كانت تقص وتحكى من قبل . وقد تعرّض المؤلف لتصويرها بصورة عامّـة في مسرحيته السابقة وهي « أميرة الأندلس » ولعله لمس قدرتهـا على التأثير في نفس الجمهور ، وشهد لهـا رجال المسرح الذين استشارهم بقوتهـا . كما عني بإبراز صورة البطولة في عنترة ، وهيأت له الظروف التي يصير فيها محور اهتمام الجمهور .

وفي الفصل الثاني يخطب صخر عبلة بشكل جدي ، فيوافق أبوها على الخطبة ، ولكنه يشترط عليه أن يكون رأس عنترة صداقاً لها . وتستشار عبلة في أمر زواجهـا منه فترفض بعنترة بديلاً . ويعرّض أبوها على الفور بعنترة ، وفي هـذه الآونة يظهر عنترة وقد ساق أمامه إبلاً كانت متجهة إلى ملك فارس . ويلقى عبلة فيبثها هواه من جديد .

وفي هذا الفصل ، كما في مجنون ليلى ، يتحرك الموضوع نحو الأزمة ، وتبرز الحوائل ، ويصير نجاح البطلين مشكوك فيـه . فيبرز منافس لعبلة كما ظهر منافس لقيس ، على أن احتمالات نجاح عنترة وعبلة في أمرهما قوية . فالبطلان مجمعان على تحقيق هدفهما ، مهما قام في سبيله من حوائل . ومعظمها يزول أمام القوّة الجسمية ، وعنترة كفء لأن يتغلب عليها . على أن فيه مناظر لم يكن هناك بدٌّ من تكرارها ، وهي مناظر لقاء عبلة وعنترة ، وما يحدث فيها من شكاة . فهي مناظر متحدة متجانسة في شخصياتها وموضوعها ، ويحتال المؤلف حتى تبرز بصورة مختلفـة في أسلوب عرضها . ففي كلا الفصلين ينتهي المنظر بلقاء عنترة وعبلة ، وبدليل محسوس على شجاعة عنترة وبأسه وصيده وغنمه .

ويبدأ الفصل الثالث بظهور عبلة غيرى تشك في حب عنترة لها . ثم يقبل عنترة فيتحقق مما تجد وتقتنع هي بصدق عاطفته نحوها . ويحاول العبدان اغتياله ، فيصرخ فيهما دون أن يدير وجهه إليهما ، فيسقط أحدهما ميتاً ويفر الآخر . ثم يظهر في الحي منافس

آخر لعنترة ، وهو ضرغام ، ويطلب الزواج بعبلة ، فيطلب منه الأب رأس عنترة صداقاً لها ، فيغضب ضرغام ويلوم والد عبلة على غدره . ثم يقابل عنترة مقابلة الحر للحر ويكشف له عن غرضه ، ويحكي لهما دار بينه وبين والد عبلة ، ويحتكم عنترة وضرغام إلى عبلة لتختار واحداً منهما ، فترضى بعنترة ، وتحدث غارة على الحي ، وبهذا ينتهي المنظر الاول . أما في المنظر الثاني فيقتل ضرغام ويقتل رستم قائد الفرس .

وتبدو في هـذا الفصل مناظر مكررة لجأ إليها المؤلف ليطيل في مسرحيته . فضرغام شبيه بصخر ، ويلقى ما لاقاه صخر . ولا يفترق عنـه إلا أنه عربي نبيل وخصم شريف . وهلك عبلة في حب عنترة يبدو مصطنعاً قليلاً . ومنظر الصراع الآخر بين عنترة وضرغام وجيوش الفرس المغيرة ، منظر سبقت صوره حين خلص عنترة عبلة من المغيرين ، واضطر إليه المؤلف اضطراراً ليضع نهاية لشخصية ضرغام ، الذي اضطر إلى قتله لعـدم ضرورة وجوده في المسرحية بشكل دائم ، كما يقتل قائد الفرس حتى تنتهي قصـة الإبل التي ساقها عنترة . فهذا الفصل ليس بضروري جداً لتطوّر المسرحية ، وان تنقص قيمتها إذا حذفت ويبدو غير طبيعي أن يموت عبدٌ من صرخة .

ونعود إلى تطور الموضوع الأصلي في الفصل الرابع . وفيه تقام الأفراح لصخر في حي بني عامر ، وتزف ناجية إليه على أنها عبلة . ثم يظهر عنترة ومعه عبلة الحقيقية في نفر من قومه . ويكشف عن حقيقة الأمر . وتقوم بينه وبين الجمع مبارزة يتغلب فيها عليهم واحداً واحداً . ثم يرغم عنترة صخراً على التزوج بناجية ، فيتزوج بها غير كاره ، ويتزوج هو بعبلة . وبهذا تنتهي المسرحية .

وهذا الفصل هو الذي تحل فيه الأزمة . والمفاجأة طيبة ، ولو أنه كان من المستحسن أن يمهد لها بإظهار منظر يوضح ما فعله عنترة ، حتى يستطيع مسايرة حوادث الفصل الأخير بشوق وانتباه ، لما فيه من تهكم مسرحي . ويعلم الجمهور سلفاً بقوة عنترة الخارقة في النزال وقد تكررت أمامه صوراً كثيرة منه مما يجعله غير مدرك لقوته ، إذ فقد عنصر الجدة فيه على أن ما به من حركة ومناظر صراع وأفراح لا يفقده طرافته تماماً

والشخصيات في هـذه المسرحية أكثر انسجاماً ووضوحاً في الملامح من شخصيـات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المسرحيات السابقة ، وصار الشعر فيها تعبيراً طبيعياً في كلام عنترة ، ولم تفسد الحركة المسرحية بالاسترسال الغنائي كما حدث من قبل . وفي عنترة صورة للمثل الأعلى للابطال في الجاهلية ، والمثل الأعلى الشعبي . فهو بطل ضخم الجسم ، مهول القوة إلى درجة خارقة . وهو فصيح ينشد الشعر الذي ينصب في تيارين رئيسين أولهما الغزل وثانيهما الفخر . ويتصف بصفات خلقية أهمها النبل والمروءة والشهامة . وهو بطل قد تقدم كثيراً على بطل مجنون ليلى ، وصار مركباً في شخصيته ومعقداً في عواطفه . وزال من قيس جانب الضعف ، فصار قوة وبأساً وشجاعة في عنترة وبقي منه جانب الاخلاص للهوى . وفيه بعض من حريز بطل الأندلس في أميرة الأندلس ، وهو صورة منه ؛ فهو بطل صراع وحرب وقتال . على أن قوته تبدو غير طبيعية في كثير من المواضع ، وقد بالغ المؤلف في وصفها وهول من شأنها ، فعنترة منتصر على الوحش والناس مهما كثر عددهم ، وصرخ مرة فقتل عبداً بصرخته .

وتميل عبلة إليه لصفات الشجاعة والبيان فيه ، فيقول لها .

ليت افتتانك لم يكن   بشجاعتي وبفضلها
أو ليت حبك لم يكن   لقصائدي ولنبلها   (ص ٦)

وهاتان الصفتان هما محور شخصيته ، وتبرزان بوضوح في المواقف المختلفة التي يوجد فيها ، فقد اقتبست عبلة الكثير من صفاته ، وتأثرت به في الجرأة وقوة البيان ، وتظهر شجاعتها حين تقابل اللصوص وتدافع عن نفسها ، فهي مسلحة بخنجرها دائماً ، وتقول حين يدهمها اللصوص :

خنجري أين خنجري اليوم مني   هو ذا خنجري تعال أعني
حط عفافي وحام عن قوس العز   ى ورد اللصوص عني (ص ١٧)

وتقول لعنترة حين يلقاها على قارعة الطريق وحدها :

ربي معي وبصيري   تحتي وهذا السلاح . (ص ٨٧)

وهي تعجب بعنترة من أجل هذه الصفات . فتقول له :

كل يوم يقال عنترة   أردى كمياً وقام عن ضرغام (ص ٣٨)

وتصور مثلها الأعلى في الزوج بقولها :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أريد أجلاداً هديدة القوى وساعداً خشناً كجلمود الصفا (ص ٧٢)

وهو مثل أعلى هممي أيضاً ، وتقوم خطيبة في بعض العرب تدعوهم للوحدة تحت لواء عنترة ببلاغة نادرة .

وهي تحتقر في صخر عكس هذه الصفات ، فتقول عنه لعنترة :

جبانٌ ذليلٌ جاء عبساً وماءها يعرض للإفك العذارى ويفضح

فهي صورة من ليلى في حبها ، ولـكن ليس فيهـا جانب تقليدي محافظ ، وكما يختلف عنترة عن قيس تختلف هي عن ليلى

ومالك والدها صورة من المهدي الذي يتمسك بالتقاليد ، إلاّ أنه ينقصه نبله وحبه لابنته ، ولا يريد أن يزوجها بعبد أسود جرياً على سنة التقاليد ، ويسعى للغدر والفتك به فيدس له العبدان ، ويؤلب عليه صخراً ، ويحاول أن يؤلب عليه ضرغاماً . على أن ضرغاماً صورة للبـدوي الشهم الـكريم الذي يعترف بمزايا خصمه ، وهو عفيف في حبه ، شجاع يحترم عنترة لمثل هذه الصفات ، وينازله منازلة الشريف والحر للحر ، ويدافع عن عنترة في غيبته رغم أنه منافسه . ويقول لمالك حين يحاول إثارة غيرته :

لم لا أخافه ؟ تخاف وترجى في الرجال الفضائل
وإن ابن شداد وإن ذاع بأسه فتى ملء برديه عفاف ونائل
... لا لست حاسـداً ولا أنا للنار الأكولة حامل
أأحسد من يحيي العفاف بمـاله ويأوي اليتامى ظله والأرامل
أأحسد من لا يعصم البيد غيره إذا زحفت من أرض كسرى جحافل
أأحسد من لا يعصم البيد غيره إذا افترقت تحت المـلوك القبائل ص٩٧

وهو صريح يقول لعنترة ببساطة عن مقصده حين يسأله :

« جئت أخطبها » . فيقول عنترة . « ما أجمل الصدق لم يلبس بإنكار » (ص١٠٢)

وحين رفض عبلة الزواج به ، ويغار على الحي ، ينصرف ضرغام إلى ملاقاة المغيرين مع عنترة وهو لا يكتم له حفيظة . ويلاقي حتفه في القتال .

وصخر صورة مناقضة لعنترة أو ضرغام . فهو جبان ، وحين يغار على الحي يهرب ، فيقول في أحدها :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحياة الحياة   النجاة النجاة
القرار القرار   القفار القفار   (ص ١٦)

ويخشى بأس عنترة فيقبل ناجية زوجاً له وهو يقول :

قبلت يا خم إن قبلت عامر
مرهم بما شئت أنت هنا الآمر   (ص١٣٦)

ولقد انتفع شوقي بتلك الأقسام العديدة التي أدخلها في تقسيم الفصول إلى مناظر ، ثم إلى مشاهد صغيرة في تصريف الحوار . فزادت المرونة ، وقلّ الاسترسال الغنائي وظهر فيه لون الشخصية ، وعبر عن الموقف تعبيراً فيه عمق في العاطفة وصدق في التعبير. فعنترة شاعر يتحدّث غزلاً وفخراً أو يفيض شعره بالحماسة . وقد يجمع بين هذه الصفات جميعاً في مواضع . يقول عنترة في بداية المسرحية :

سلي الصبح عني كيف يا عبل أصبح   وأين يراني نجمه حين يلمح
أفي خيمتي كالناس أم في بيوتكم   أبث الخيام الشوق وهو مبرح
أقبل أطناب البيوت وربما   تلفت عن منهلة الدمع تسفح
أرى بوقوفي في ديارك راحة   كما يستريح ابن السبيل المطرح
أبوك غرير القلب لم يعرف الهوى   ولم يدر ما يأسو القلوب ويجرح (ص ١)

. . . .

أحيد عن الساري لكي لا يريبكم   وأقدي كلاب الحي عني فتنبح
فياعبل قد طال التنائي وظله   متى بتدانينا الحوادث تسمح

إذا قارنا هذا الحوار من حيث صلته بالموقف والشخصية بحوار الأبطال ونجواها لنفسها في المسرحيات الأولى ساعة الانفعال العاطفي لمسنا في هذه الأبيات تركيزاً في التعبير والتركيب وقوّة الاتصال بهما أكثر من ذى قبل . وسنرى كيف تنوّع الحوار واتخذ صورة أخرى ذات وزن وقافية وموضوع مختلف ، يبين إدراك الشاعر لعيوب الاسترسال في الحوار ، واعتماده على الشعر في التأثير ، دون أن يتصل بدواعى الموقف والشخصية . بل يحاول أن يخفي عجزه وراء سيل من الشعر المتدفق الذي يعبر عن نفسه

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

أكثر مما يعبر عن الموقف المسرحي . فيصعد عنترة بعد حديثه إلي ربوة ويقول :

يا ليت حبك عبل لي حب القطاة لشكلهـا
أو حب قبرة الصفا لأليفهـا وخلهـا
أو مثل حب نجيبة مجنونة في خلهـا
ليت افتتانك لم يكن بشجاعتي وبفضلهـا
أو ليت حبك لم يكن لقصـائدي ولنبلهـا (ص ٦)

لقد انتقل شوقي من طور الذاتية في التعبير إلى طور الموضوعية فيها ، فابتدأ في إبراز الصور كما تتراءى لأنفسها ، وكما تستجيب لدواعي البيئة ، وتتلون بألوان العاطفـة وتلك خطوة كبرى في تطور فن الشاعر متراها تبلغ ذروتها في مسرحيته الأخيرة . وعبر الحوار عن الشخصيات وألوانها ضعفاً وقوة ، وتجزأت بحوره وأوزانه وتعددت قوافيه ، ولم يعد الشعر متماسكاً بإيرادها متجانسة . ويتضح ذلك في المناظر العديدة في أنحاء المسرحية حيث تكثر الحركة ، كما في المنظر الذي يصور سطو اللصوص على خيمة عبلة ، ومواقف الصراع والنزال ، وحين رأى المؤلف أنه لا مناص من حديث طويل ، احتـال على ذلك بتنويع القافية والبحر . وفيـه يسأل أهل عبلة عن مكانة صخر بين قومه قبل أن يتزوج عبلة يقول مالك . —

مالك : أصيخوا لي . أصاحبكم شجاع فعبلة تبغض الرجل الجبـانا
أحدهم : كليث الغاب إقداماً وكرا إذا اعتقل المهنـد والسنانا
مالك : أصيخوا لي . أصاحبكم جواد فعبلة تبغض الرجل البخيـلا
أحدهم: يكاد ندى يديه حين يهمي ينسى حاتم السمح المنيـلا
مالك : أصيخوا لي . أصاحبكم جميل فعبلة تبغض الرجل الدميا
أحدهم : ألم تره . ألم تنظر إليـه إذن لم تبصر الملك الـكريما (ص ٥٣)

واحتال على إكسابه عنصر التشويق بإشباعه بالفكاهة التي تنبع من المبالغـة في وصف خصال صخر ، وهو كما يعلم الجمهور ، من قبل يتصف بعكس هذه الصفات ، ولـكن هكذا طبيعة الخاطبين . وسيتطور هذا الجانب الفكاهي ويتسع فيما بعد في المسرحيات الفكاهية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإذا نظرنا إلى الأناشيد الغنائية ، وجدناها تتلون بلون الموقف ، ولا توجد لذاتها كما كانت من قبل ، ففي الفصل الأول يمهد نشيد الفتيات حول البئر لظهور صخر وحديثه معهن وفي نهاية المسرحيـة يغنى نشيد في حفـلة عرس . وأتت الأناشيد خفيفـة لفظاً وتركيباً ، وسريعة في حركتها . ومن الممكن استغلالها في توضيح جانب من البيئة الجاهليـة . ولعلّ الشاعر قد استباح لنفسه حرية التعبير والتصوير ، فلم يخضع لمراجعه ، وسمح لخياله بالاسترسال فلم يقتبس من شعر عنترة أو يتكىء عليه إلاّ في القليل ، وهو لا يكثر منه في هذا الشعر القليل الذي يأتي به . بل لم يتعد بضعة أبيات وردت في نهاية المسرحية في حديث عنترة وهي :

لم أنس ذكرك والرماح تسيل من   درعي وتصبغ مشفري بالعندم
(ولقد ذكرتك والرماح نواهل   مني وبيض الهند تقطر من دمي)
فوددت اعتنق الرماح لأنها   خطرت كأسمر قدك المتقوم
(فوددت تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم) ص١٢٢

وتشبعت فصول المسرحية ومناظرها بالمواقف التي تجتذب الجمهور وتساير ذوقه ، وفي مقدمتها مناظر العشاق التي لم تكد تخلو منها مسرحية من مسرحيات شوقي ، فالحب عاطفة عامة مشتركة في النفوس ، بل يعتبر البعض أنها محور الحياة ودعامتها . وقد لمست يد المؤلف هذه المناظر في مسرحياته السابقـة ، وازدادت خبرته بتصويرها فأكثر منهـا في هذه المسرحية . ويرتفع في هذه المناظر مستوى شعر البطل ، ويستمد شوقي الوحي فيها من قدرته الغنائية وخبرته بمطالب الغناء وانشاد الشعر الغزلي . ونلمس في شعر عنترة عمقاً وتخصيصاً لم نجدها في شعر العشاق السابق . وتكثر فيها أيضاً مناظر الصراع ، بل معظم هذه المسرحية قائم على صراع حي خارجي ، وقليل من الصراع العقلي . وهو يتجمع ويتفرق في ثنايا المسرحية حينما يلقى عنترة خصوماً ، وحينما يريد الشاعر إظهار جانب الشجاعة والبطولة فيه . وقد قادت هذه المظاهر الشاعر الى المبالغة والتهويل في ابراز هذه الصفة في البطل . فهو أبداً منتصر يفتك بأعدائه ويتلاعب بهم كما يتلاعب اللاعب بقطع الشطرنج . وقد اختفت الأزمة إلى حدّ كبير في ثنايا الشجاعة والبأس الجارف ، ولا يهمر الجمهور بقلق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على مصير البطل بعد أن شاهده في منظرين من مناظر صراعه . وحبذا لو اقتصرت هذه المناظر على المنظر الأخير الذي يصارع فيه عنترة رجال فارس وبردي فيه قائدهم . ووجه اهتمامه قليلاً الى تحويل الموضوع من تطور خارجي للحوادث الى تحليل داخلي للشخصيات بحيث يلمس الجمهور فيه نوازع البطل من هوى وعزم يسير حركة الموضوع ، ويبرز الأزمة والحل ، ويمثل العمل تمثيلاً دقيقاً .

ولكنه شيطان الشعر الغنائي الذي كان يجتذب شوقي وهو يصور شخصياته وأحداثه فيصرفه عن التعمق في تحليلها ، وإكسابها صفة التخصيص فيميزها بين أفراد نوعها ، وحدا به الى الغاية بجودة الشعر فاتصل بنفسه أكثر مما اتصل بقلوب شخصياته . على أننا نلمس في هذه المسرحية غاية ما وصل اليه فن شوقي في تحليل الشخصيات والحوادث ومسايرة الموضوع لطبائعها ، وظهور ألوان البيئة فيه إلى حد غيّر شخصياته ووضح ملامحها الى حدٍّ كبير قياساً الى فنه في مسرحياته الأولى .

ولم تمثل هذه المسرحية مرات متعددة كما مثلت بعض مسرحيات شوقي رغم احتمال نجاحها لصلتها بالمثل العليا الشعبية وحياة العامة من ناحية ، وجودة شعرها من ناحية أخرى . وربما رجعت معظم أسباب ذلك إلى تطلبها لأنواع خاصة من الممثلين وأنواع خاصة من الممثلات وأدوات كثيرة تتصل بالحياة العربية الجاهلية ، وأدوات تستعمل في مواقف الصراع المختلفة . وربما رجع ذلك إلى تأخرها الزمني في المسرحيات التي ألفها الشاعر . على أنها أقرب المسرحيات العربية تمثيلاً للحياة العربية وفتوة المعيشة فيها . وتصوير مثلها العليا ، سواء من جانبها الاجتماعي ومثله العليا من قتال وشجاعة ومروءة ، أو جانبها الأدبي من إنشاد الشعر الرفيع . وبتحوير غير عظيم في بعض المناظر والاستغناء عن بعضها يمكن للمخرج إخراج مسرحية جيدة متماسكة منسجمة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل السابع

أميرة الأندلس

مسرحية نثرية

هذه هي المسرحية الوحيدة التي كتبها شوقي نثراً . أوحى بموضوعها إليه — فيما يرجح — زيارته لإسبانيا عقب الحرب الكبرى الأولى حين نفي إليها . فبعد أن ألف مسرحيتين تتصلان بالتاريخ المصري القديم : وهما مصرع كليوبترا وقمبيز ومسرحيتين تتصلان بالتاريخ العربي وأبطاله الشعراء : وهما مجنون ليلى وعنترة ومسرحية تتصل بتاريخ مصر في عهد المماليك وهي علي بك الكبير اتجه الى ذلك الركن العربي الذي وصلت إليه الحضارة الاسلامية . فكتب مسرحية نثرية عن الأيام الأخيرة لبني عبّاد في أشبيلية قبل غزو المرابطين لها .

ويأتي ترتيب هذه المسرحية في التأليف بعد علي بك الكبير ، كما يضعها مؤرخه . وتدل الدلائل الأدبية بها على صحة هذا الوضع . فقد امتزج بالموضوع التاريخي في مسرحية علي بك موضوع غير تاريخي اتصل به وتطوّر معه وانتهى بعده . على أنه لم يندمج معه اندماجاً كليّاً ، ويتصل بحوادثه اتصالاً وثيقاً إلاّ في هذه المسرحية . فقد ساير الموضوع التاريخي الرئيسي موضوع خيالي واندمج فيه وحرّك حوادثه وأكسب نهايته صبغة تتفق ومجراه .

وقد حدا الشاعر إلى ذلك عاطفته الخيالية الشعرية ، وسعيه إلى التخفيف من وقع الكارثة التاريخية . ويدور الموضوع الخيالي ، كما دار في مسرحية علي بك الكبير ، على عاطفة الحب وسروره لقاء العشاق وقيام حوائل تحول دون تحقيق آمالها حتى تتهيأ ظروف اللقاء ويتحقق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأمل . بينما سار الموضوع التاريخي سيره الأصلي دون أن يحوّر فيه الشاعر إلاّ في نهايته الخيالية ، وقد اتصل الموضوعان ببعضهما اتصالاً موفقاً منتظماً خلال الفصول الخمسة التي تنقسم إليها المسرحية . ففي الفصل الاول تقص بثينة على أتباعهـا خطورة موقف أخيها في قرطبة ، وخطورة موقف أبيها في أشبيلية . كما تذكر قصة لقائها بحسوز التي التقت به في سوق الـكتب . وبهذا ينتهي المنظر الأول . أما في المنظر الثاني فيقتل المعتمد رسول ملك الاسبان لقحته . وفي المنظر الثالث تزيل بثينة خصاماً عابراً بين أمها الرميكية وأبيها المعتمد

ويقدم لنا هذا الفصل ، على تعدد مناظره ، الشخصيات الرئيسية ، ويلخص لنا الموقف ويبين بوادر الأزمات ، وبداية الاتجاهات التي ستنهجها الحوادث ، وتشعرنا بصور من اليأس الذي يسود البلاط ، وتضعف من الأمل في حل هذه الأزمات . ويعتمد هذا الفصل على التصوير التاريخي لحياة الملك وأهله ، وانحلال ملـكه وكرمه وقوته اليائسة أمام ملك الاسبان فهو يقتل رسوله ، وهو يعلم أنه لن يستطيع مقاومته .

وتتضح أحوال المجتمع المضطربة في الفصل الثاني ، نرى فيه صوراً للحروب الداخلية والاضطرابات الاجتماعيـة ، نرى حريز بطل الأندلس ، وشقيق ملك الإسبان أميراً له ، ونعلم أنه حمل معـه كنوز طليطلة في سرج عاطل . ولا يخفى حريز أمره ، ويسطو بعض اللصوص على الخان بعد أن يخدروا القوم ، إلاّ واحداً كان صائماً ، ويكون السرج العاطل من نصيبه ، فيعثر على الجواهر في داخله فيفوز بها .

وينقسم الفصل الثاني لإبراز الحياة في العصر ، وفي ثناياه يعثر ابن حيون على الـكنز ، وهذه بداية تطور الموضوع الخيـالي ، وعلى نتائجه تتوقف نهاية الموضوعين معاً . وبينما لا يوجـد في الفصل الاول أزمة أو مفاجأة قوية ، إذ يعتمد معظمه على العرض والتخليص وتقديم الشخصيات ، يمتاز الفصل الثاني بما فيـه من حركة في الموضوع ، ومفاجأة يرتفع الفصل إليها ، وتجتذب انتباه الجمهور رغم أنها تبدو غير محتملة الوقوع ، إذ تحدث بطريق الصدفة البحتة . ولـكن لم يقصد شوقي إلى تصوير موضوع يتطوّر تطوراً داخليًّا وإنما يجعله يتطور تطوراً خارجيًّا ، فيرى عوامل تخضع للصدفة ، بل كثيـراً ما تتخلل أساليب القصة أساليب العرض المسرحي .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الفصل الثالث ينقذ ابن حيون ، صاحب الكنز ، أبا حسون من الإفلاس ، ويبقي له على بيته الذي أوشك أن يبيعه . ويكتشف حسون أن زائره هو ابن غصين وهي بنت المعتمد ، ويبادلها حبًّا بحب .

وهكذا يتحرك الموضوع الخيالي في الفصل الثالث ، وتبدو فيه حركة وحياة ، وتظهر فيه مفاجاته وأزماته الصغرى ، فهو جيد من الناحية المسرحية . على أن عيوبه هي عيوب الفصل الثاني ، وهي اعتماد الموضوع على عنصر الصدفة في حل أزماته . وليست الصدفة قانوناً شاملاً للحياة ، وانما تخضع الحوادث في الحياة المادية لعناصر السببية ، ومن الشخصيات وطبائعها تتجه الأعمال والأفعال .

وفي الفصل الرابع يجتاح ابن تاشفين أشبيلية ، ويعزل المعتمد ، وينقله سجيناً هو وأسرته إلى قلعة بأغمات ، ويستبيح رجاله المدينة وهكذا نرجع في هذا الفصل إلى الموضوع التاريخي ، الذي بدأ في الفصل الأول ، وتتطور حوادثه تبعاً للحقائق التاريخية ، وهو فصل أقرب إلى نهاية المأساة منه إلى نهاية الملهاة .

على أن الشاعر ، يجمع في الفصل الخامس بين الموضوعين ويصلهما ليخفف من حدة تأثير نهايتها . ففي المنظر الأول يعثر والد حسون على بثينة عند قائد مغربي ، ويخلصها منه ويهرب بها مع ابنه حسون . وفي المنظر الثاني تقصد الجماعة « أغمات » حيث يقيم المعتمد الأسير مع أهله . وفي المنظر الثالث تفاجيء بثينة أهلها بظهورها ، وتقص على القوم قصتها ويوافق المعتمد على تزويجها من حسون . ويظهر ابن حيون ويهب المعتمد ثلث ثروته وحسون ثلثاً آخر مع بثينة ، ويبقي له ولأبي الحسن الثلث الثالث . وبذلك تنتهي المسرحية

وهذا الفصل فصل المفاجئة الكبرى التي يظهر فيها ابن حيون . على أن عيبه هو عيب الموضوع عند شوقي بشكل عام ، إذ تتطور الحوادث تطوراً خارجيًّا في الموضوع الذي ابتكره الشاعر ، وتكثر به عناصر الصدفة بل تتحكم في تسييره . والموضوع القوي يتحرك حركة منسجمة تتضح فيها الأسباب والنتائج وتتصل اتصالاً قويًّا ، وتبرز الأعمال سائرة لأمزجة الشخصيات وصفاتها .

وهذه الشخصيات عامة في تركيبها ، وهي أقرب إلى الأنواع منها الى الأفراد المتمايزة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الملامح في النوع الواحد . فالمعتمد ملك عربي شاعر يشعر بشعور العربي في غضبه وكرمه وشجاعته . وهو شاعر استهوت قلبه فتاة جميلة بشعرها فتزوجها ، وقد أقبل على اللهو اقبالاً ضيع ملكه . وبثينة ابنته فتاة فيها من كليوباترة حبها للأدب والعلم ومن آمال فضيلتها ، ومن ليلى هواها ، على أنها أقربهم جميعاً للحياة ، وهي — كأمها — أقرب إلى خلق أفراد الشعر ، فقد ورثته عنها ، وفيها من أبيها حبها للعلم . وابن شاليب صورة لا بأس بها لليهودي الذي يفقد كياسته في سبيل المال ، وبقية الشخصيات الخيالية متصفة بصفات عامة ، فابن حيون متدين كريم ، وحسون وأبوه كرماء مهذبون ، وفيهم جميعاً صفات العرب من حب للهو والأدب والمروءة والشجاعة ، وهي صفات العربي وقد عبر عنها شوقي تعبيراً قويًّا ذاتيًّا .

وقد كان هدف شوقي على ما يبدو هو العناية باللغة أولاً وآخراً أكثر من عنايته بالتحليل والتصوير للشخصيات . وقد اتجه الشاعر في أواخر حياته إلى استعمال السجع ، وهو أسلوب وسط بين الشعر والنثر — في أفكاره وأساليبه . فتعبيراته مقسمة تقسيماً موسيقيًّا لوحظ فيه حسن الصياغة ، وعباراته تدور حول التشبيهات والأخيلة البديعة . فجانبها الجمالي متفوق على جانبها العلمي التحليلي المنطقي .

ولم تخل المسرحية من آثار أسلوب شوقي المنثور في كتابه هذا ، ففي حوار المسرحية بعض السجع ، سيما حين تشتد عواطف الشخصيات ، وحين يطول الحوار ، فيحتال شوقي على تخفيف وقعه على الجمهور ، وتسهيل مهمة الممثل ، بإيراده بالسجع على أن المؤلف لم يكثر منه وظل أسلوب الشاعر من حيث الأداء واضحاً ، فهو يطنب في تفصيل الفكرة الواحدة في الحوار الواحد ، ويعبر عنها بطرق مختلفة تختلف فيها التشبيهات وتتزن الموسيقى تقول الأميرة (ص ١٥)

« ياويح أبي لقد نظرت إليه وهو في قصر السوسان الضيق الصغير بقرطبة فوجدته كئيباً متململاً ، كأن تلك السقوف المنخفضة لم تكن تليق برأسه العالي ، وكأن تلك الحجرات الضيقة لم تتسع لعينه السامحة . وكأنما كان يرى الزهراء أولى بأن تقله ، وأجدر بأن تظله ، وهناك دنوت حتى صرت خلفه . . . » .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهذا مثال آخر من قولها: (ص ١٦)

«ملك جديد أضيف إلى ملك اشبيلية . ما أصغر المضاف والمضاف إليه، أنظر ابن عباد إلى العرش كيف صغر ، وإلى الصولجان كيف قصر ، وإلى الملك كيف اختصر ، وتأمل الحكم في قرطبة كيف رد اليوم بالمعتمد ، ومجلس الناصر كيف شغل بابن عباد » .

وهذا مثال ثالث من قول المغربي . (ص ٨٢)

« ولكني مزمع سفراً شاقّاً بعيداً . وما يدري ما وراء الغربة من الفجاوات ، وما تدري نفس بأي أرض تموت » . وقوله (ص ٨٢) ما أنا بالمساوم ولا بالرجل الذي يلتمس الفوائد لنفسه من مصائب الناس ، ولكني جئت أخطب إليك الدار ، وأجعل مهرها وما أقدر أنا لا ما تقدر أنت ولا الناس » .

ومثال آخر من قول ابن حيون (ص ١٠٨ — ١٠٩) .

« إعلم أيها الملك أن هذا الضيف الذي نصرته ونصرك ، وحالفته وحالفك ، وقاتلت معه قتالاً يبقى حديث الدهر هو أهلٌ لأن يقدرك ... وأنصح لك أن لا توطىء الأرقم سريرك وأن تقطع السيف قبل أن يقطعك ، وأن تقبض من فورك على ضيفك فتسجنه ولا تطلقه ، حتى يأمر جنوده بمغادرة الأندلس بره وبحره ... » .

وحين يطول الحديث لاحتوائه لقصة يسترسل المؤلف في الحديث ، ويحاول أن يكسوه بالعبارات البليغة ، فالبلاغة ، من رصانة الألفاظ إلى ارتفاع الأسلوب ، وسيلة المؤلف للتخفيف من عبء الثقل المسرحي لهذا الاطناب اللغوي . والأمثلة على هذه الأحاديث التي تحكي عن الحادثة دون أن تمثلها تمثيلاً مسرحيّاً كثيرة ، فيقص أحدهم على الملك قصة أبي الحسن وإفلاسه (ص ٣٤) وتذكر بثينة قصة حب أبيها لأمها بشكل لا يخلو من تكلف (ص ٥٢) ويقص ابو القاسم قصة حبه لزوجة لمعتمد ، وتركها إياه (ص ٥٨) . وعيب مثل هذه الأحاديث الطويلة أنها لا تؤدي الغرض الذي وجدت من أجله ويضعف التأثير المراد بها لعدم تصويرها بالوسيلة المسرحية المناسبة ، فالجمهور يضيق ذرعاً بالأسلوب الخطابي ولا يتابع الحوادث بعقله ، وإنما يتابعها بحواسه وعواطفه أكثر من متابعتها بعقله ، والوسيلة إلى ذلك بالتصوير المسرحي التمثيلي للحوادث لا بالحكاية عنها . ويشعر الجمهور

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بسرعة بهذا العيب ، ويعل هذا النوع من الحديث ، فيفقد قيمته ومدلوله الذي توخاه المؤلف بالرغم من بلاغة تعبيره .

على أنه من الانصاف أن يقرر قلة مثل هذه المنـاظر التي تعتمد على الحوار وحده في المسرحيـة ، فاذا استثنينا الفصل الأول الذي تلخص فيـه الأزمات بوسائل القصة ، نرى معظم مناظر المسرحية الأخرى وقد صور فيها الحوار سهلاً سريعاً ، واللغة مجزأة لا تنساب ذلك الانسياب اللغوي الذي لمسناه في الفصل الأول . بل نرى الفصل والمناظر وقد انسجم تركيبها ووضحت الأزمة فيهـا ، ثم تلتها المفاجأة . ومن هـذه المناظر الجذابة مناظر لقاء حسون وبثينة المتنكر حتى يكتشف حسون حقيقتها وحقيقة عواطفها نحوه ، وفيهـا شبه من مناظر لقاء العشاق في المسرحيـات الأولى . ومن هذه المناظر الجذابة منـاظر الصراع والأبطال ، وكثيراً ما يحكى عنها ، إلاّ انها تصور تصويراً تمثيليًّـا في الفصل الثاني ، حين يبرز حريز ومعه بطرس الأسير وستمهد هذه المناظر لمناظر الصراع في مسرحية عنترة ، بل سيتسع فيصير محور موضوع المسرحية ، ومحور شخصية عنترة ، ومن هذه المناظر الجذابة تلك المناظر الكثيرة التي تتطور تطوراً منتظماً نحو المفاجأة ، ففي نهـاية كل فصل من الفصول الأخيرة يتحرك الموضوع نحوها ، والجمهور على علم بتطورها ويزيد من اهتمامه بها ما فيها من تهكم مسرحي .

ولولا الاسترسال البـلاغي الذي يوازي الاسترسال الغنائي في المسرحيـات الغنائية السابقة والتطور الخارجي لحوادث الموضوع ، حيث تتدخل فيه عوامل الصدفة لاكتملت جوانبها . على أن هـذه المسرحية ، رغم رقي لغتها تصلح للتمثيل بتعـديل بسيط في بعض مناظرها واختصار الحوار في بعض الأماكن ، والاقتصار على تلك المنـاظر التي تستعرض الموضوع استعراضاً تمثيليًّـا ، وهي كثيرة بعد الفصل الأول .

على أنه ينبغي أن نشير إلى اتساع في ناحية من نواحي فن الشاعر ، وهو الجانب الفكاهي . فقد اعتمدت الفكاهة في مسرحياته الحزنة على شخصية محترفة ترسل الفكاهة وقد يمسها لون المأساة مسًّـا خفيفاً . ففي مصرع كليوبترة يقوم أنشو بذلك ، وفي مجنون ليلى يقوم بشر بهذه الوظيفة في بداية المسرحية ، وفي هذه المسرحية يقوم مقلاص بذلك .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على أن الشخصية الفكهة ذات حدين ، إذ تنقلب عناصر الفكاهة فيها إلى صورة من صور التهكم المسرحي المتسم الأفق ، فهي أداة للضحك والبكاء . فأنشو في نهاية المسرحية يبكي عندما ينقلب مصير القصر وأهله من فرح إلى حزن ، ويشر يصير وسيلة حزن في مجنون ليلى ، فهو رسول موت ليلى إلى قيس ، ومقلاص يعلم أنه صديق الأميرة ولكنه صديق من أجل صفات لا يسر هو منها كثيراً . ومقلاص يرسل العظة في الفكاهة ، ويطلق السخرية مختفية وراء ستار مكانته كمضحك للملك . وهذه الشخصيات المحترفة تفتح قلبها للجمهور على حقيقته ، وتكشف عن انسانية عواطفها . وتجدرالإشارة إلى جانب الفكاهة الذي يكشف عنه مقلاص في هذه المسرحية ، وهو أوسع جوانب الفكاهة في المسرحيات التي ألفت من قبل ، وتتنبأ بما سيؤلفه الشاعر بعد ذلك من ملاهي محورها هذا الجانب المضحك للحياة . وسنرى امتداد هذه الناحية في الست هدى .

ولم يتبع شوقي تأليفه في المسرح النثري بعد هذه المسرحية ، ولعله لمس صعوبة هذا النوع من التأليف المسرحي . فالشعر أداة التعبير عن العواطف ، ومن السهل الوصول إلى نفوس الجمهور عن طريقه . وقد عولجت مواضع الاسترسال الغنائي فيه بالغناء المسرحي ، ولعله أدرك قصر النثر عن تأدية هذه الوظيفة ، فهو أثقل على السمع ، وأصعب في الإنشاد من الشعر ، إذ ينقصه عنصر الموسيقى ، ويبدو تشبعه بالعاطفة مصطنعاً .

ويرى بعض النقاد أن الشعر هو الوسيلة المناسبة للتعبير عن العواطف ، وأن النثر يعبر عن الأفكار العقلية المنطقية العلمية الصالحة للملهاة .

وقد اجتذب موضوع هذه المسرحية أقلام بعض كتاب القصة المنثورة ، فاعتمد عليه علي الجارم بك في قصة «شاعر ملك» (عدد ٦ من سلسلة اقرأ) وقد أخذ حوادث القصة من المصدر الأول وهو تاريخ المقري في كتابه « نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» ومن المرجح أنه قرأ مسرحية شوقي ، ووجد في موضوعها قابلية للعرض القصصي ، واتساعاً للتصوير والتحليل ، فكتب قصة منسجمة متسعة اللوحة ، صور فيها جوانب العصر ، ونفسيات الشخصيات ، تصويراً تفوّق على تصوير شوقي إلى حدّ كبير .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل الثامن

الست هدى

ملهاة

لأول مرة في مسرحيات شوقي نرى مسرحية تنبع حوادثها من شخصياتها ، ويتطوّر موضوعها من طبائع هذه الشخصيات وأمزجتها في إنسجام لا حشو فيه ولا استرسال. ولم يكن ذلك نتيجة تطور في فنه ، ملاحظة الجمهور والوسائل المسرحية للاتصال به ، أو ترتيب الفصول والمناظر والمفاجآت والأزمات ، وإنما يرجع إلى اتجاه الشاعر إلى الحياة يستمد منها الوحي والإلهام في التشخيص والتصوير . ففي الحياة لمس الشاعر الناس يحيون أفراداً كالجزر في بحر متسع ، لكل فرد ذاتية ، وسلوك تتفق مع هذه الذاتية . ومن هذه الذاتيات ينتج سلوك يستطيع الكاتب المسرحي النفذ أن يصوره في مسرحية توضح ناحية من نواحي السلوك الإنساني كما تظهر في هذه الذاتية، وتلك ظاهرة هامة أساسية في تطوّر فن الشاعر ، خلف فيها التاريخ والتصوير لشخصيات أدركها وأحسّ بها إحساساً عامّاً دون أن يتجاوز في تحليلها الى ما وراء عناوين التاريخ وأوصافه العامة التي لا تميز فرداً عن فرد أو شخصية عن شخصية .

وعاشت شخصيات هذه المسرحية حول شوقي في حي الحنفي بالسيدة زينب ، حيث عاش حقبة من الزمن ، وتلك صور من الحياة في أواخر القرن الماضي في هذا الحي الشعبي ، وأناسه تزخر بها المسرحية وتحيا فيها الشخصيات . لقد وصل الشاعر أخيراً إلى مفتاح الأدب المسرحي ، وهو الإنسان كما يعيش جده وهزله ، وكما يوجد في بيئة يستجيب لها ويسلك فيها والحياة زاخرة بالصور الإنسانية ذات المدلول الطريف العميق ، يجلوها الكاتب وينقبها ويحركها في عالم خيالي إلى نهاية تبعاً لطباعها وسلوكها ، فتبرز صورة مصغرة للطبيعة البشرية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وطالما أمام الجمهور ، بارزة المعاني واضحة السمات ، تشخيصاً وتصويراً .

فقد عرض شوقي في مسرحيته ، قصة سيدة مزواج حريصة ، تزوجت بعدد من الرجال الذين أتوا إليها طمعاً في مالها ، رغم أنها عجوز كبيرة الجسم ، ومات أزواجها قبلها واحداً في أثر الآخر ورثتهم هي .

ففي الفصل الأول تستعرض السيدة مع جارتها أزواجها التسعة الذين تزوجتهم ، وكل زوج ذو شخصية وطبع مستمد من الصور التي وجدت في الحياة الواقعية . وعرضت لمهنة كل زوج ورأيها فيها . ثم يحضر آخر الأزواج ، وهو محام مفلس سكير فيسبها ويريد إكراهها على إعطائه النقود . فترفض إعطاءه شيئاً فيحاول أن يستعمل العنف فيشير عليه كاتبه باستعمال الحيلة ، ويذهب هو إلى سيدته فيخبرها بأن زوجها على وشك الإفلاس ، وقليل من المال يصلح حاله ، فترفض السيدة وهي ثائرة لإهانة زوجها لها ، وتثور ثورة المحامي ، فتستغيث السيدة بنساء الحارة فيحضرن ويضربن المحامي ، وتطلقه السيدة إذ أن عصمتها بيدها ثم تطرده .

وفي الفصل الثاني تتزوج برجل ريفي ضخم الجثة ، وتعرض صفاته أمام الجمهور عرضاً فكاهيًا تصف فيه حركاته وسكناته ، ويستدين الزوج أملاً في تسديد ديونه من الميراث ، وفي الفصل الثالث تموت الزوجة ، وتلوح بوارق الأمل أمام الزوج فيتملقه الناس ويفد المعزون . ويترحمون على المتوفاة ، ومنهم الفقهاء واللصوص والفقراء الذين اتخذوا العزاء مهنة لاشعور فيها ولا إخلاص . وتفض الوصية في النهاية ، ويقرأ القوم فيها أن الزوجة قد وهبت بعض ثروتها لقبر الرسول ، والبعض الآخر للخدم والجارات ، فيمسك الدائنون بالزوج ويتناولونه بالضرب .

ومثل هذا الموضوع ناجح على المسرح ، ففي الفصل الأول تعرض اتجاهات الحوادث وتقدم الشخصيات ويلخص الموقف وتصور بوادر الأزمة . وفي الفصل الثاني يتحرك الموضوع نحو الأزمة ، وفي الفصل الثالث تحدث المفاجأة الكبرى والانقلاب المسرحي .

وتتسع اللوحة لتصوير نماذج من الشخصيات الحية وتعرض عرضاً أو تمثل تمثيلاً مسرحيًا ، وكلها مستقاة من الحياة وتنبض بها ، وتكاد تلمس في كل منها سمة خاصة مميزة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تكسبها الحياة والقوة ، وتشعرنا بأننا نحس بوجودها ونلمسها كما نلمس الشخصيات التي نراها حولنا ، وتعيش فيما بيننا بل في أعماق نفوسنا بعض منها .

فالبطلة سيدة جاهلة عجوز ، تعلم أن الناس تسعى إليها لمالها ، فهي حريصة عليه لا تفرط فيه ، وإنما تمني كل من حولها من جارات أو خادمات أو أزواج بما ستهب له في الوصية ، دون أن تبذل له شيئاً . وهي سيدة كسائر النساء ، يتقدم بهن السن فلا يعترفن بالزمن ، فالسيدة هدى زادت على الأربعين ، ولكنها تزوجت أزواجاً تسعاً ، زوجاً زوجاً ، وما زالت في العشرين . وتكاد تزعج حين تفاجأ بحديث عن عمرها . تقول السيدة لزينب الجارة :

الست : أنت يا زينب الوفية بالعهد .

زينب : ولِمَ لا أفي وخيرك عندي

نحن من أربعين عاماً على خير جوار بين اثنتين وود

الست : لا بل العهد لا يزيد على العشرين خلي حسابه لا تعدي

اسمعي زينب اسمعي يا صديقتي لك هذا الدبوس

زينب : لي أنا

الست : بعدي

أنا أعطيت كل صاحبة شيئاً وأنصفت في الوصية جهدي (الفصل ١ ـ ص ١)

ولعلها تخشى جاراتها وتخشى أقاويلهم وتهكمهم على تعدد زواجها رغم كبر سنها . فتقول :

يقولون في أمري الكثير وشغلهم حديث زواجي أو حديث طلاقي

يقولون أني قد تزوجت تسعة وأني واريت التراب رفاقي

وما أنا عزريل وليس بعالم تزوجت لكن كان ذاك بمالي (١ ـ ص ٢)

وتستعرض في ثنايا حديثها قصة هؤلاء الأزواج استعراضاً يصورهم تصويراً جيداً من ناحية ، ويكشف عن نفسها من ناحية أخرى ، فتذكر ما أعجبها فيهم ، وتبين ما تهوى نساء العصر في أزواجهن من مزايا . وهي أوصاف تخترقها الفكاهة التي تنبع من الشخصيات وعاداتها الشاذة عن المألوف في السلوك الاجتماعي ، فأول الأزواج مصطفى .

حين يمشي تظنه نخلة المرج ماشية

ولحيـــة سـوداء مكاوية مـــدورة

رحمـة الله عليـه لم يكن يطلب مالي

لم يكن يعنيه من ذاك سوى قبض الإجارة

مات فكدت أموت حزناً وكان عمري عشرين عاما

ثم تزوجت بعد خمس فنذا يرى فعلتي حراما

فهو زوج غير مادي . ولذا وافقها طبعه . أما الثاني فقد كان مفلساً سيء السلوك تقول عنه :

وزوجي الثاني علي ما كان بالصالح لي يا ليتني لم أقبل

ذاك لمالي اختارني واخترته لمـــاله

ما كان إلا مفلساً وقعت في حباله

يرحمه الله وكان ذا بخر وكان إن يقعد وإن يقم نخر

وان مشى تخرج أصوات أخر

يرحمه الله لقد عشنا معا من السنين الصاخبات أربعا ثم مضى لربه لا رجعا

رحمـة الله عليه جن بالنسل جنونا

ثم لما مات ما خـــلف لي الا ديونا

ومات لم تبكه عيوني وكان عمري عشرين عاما

ثم تزوجت من سواه فنذا يرى فعلتي حراما

وزوجها الثالث عمدة جن بمالها لا بها ، وكان قذراً تصفه فتقول :

وكان إن تنخما أرسلها الى السما فلست تدري ما رما

وكان يحط رجلاً فوق رجل ويسرح فيهما يده طويلا

ويخرج من أصابعه خيوط من الأوساخ يبرمها فتيلا

وكان الرابع أديباً لم يعجبها وهي المرأة الشعبية التي تهوى في زوجها ضخامة الجسم والقوة والبأس ، ولا تهتم بما يقوله عن بناء شخص أو هدمه ، على أنه .

كان إن أفلس لا يسألني إلا ريالا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهو قنوع طيب .

وزوجها التالي يوزباشي متقاعد سكير لم تمكث معه إلا ثلاث سنوات . وطلقته ولم يزل عنها عشرون عاماً . ثم تزوجت بموظف لم ينظر إليها وإنما نظر إلى حليها وذهبها والزوج التالي فقيه أعجبت به لأنه أدبها وأخضعها ، ورأى تراباً عالقاً بجبهتها فظنها أطلت من النافذة فضربها فأعجبت بغيرته عليها . على أنها كرهت منه اهتمامه بمالها ، ثم تزوجت بمقاول اشتغل في الحجارة والجير ، وعاشت معه عامين ثم طلقته ، وزوجها الاخير محام عاطل سكير ، وبعده يتحرك الموضوع في هذا العرض المكتظ . ونرى فيه شخصيات تذكرنا بشخصيات الشاعر الانكليزي تشوسر في قصته « حجاج كانتربري » وفي كلا العرضين نرى شخصيات عديدة تفصح عن مهنها وعاداتها افصاحاً فكاهياً .

وإذا انتقلنا من هذه الشخصيات الى شخصية المحامي وتابعه نرى المحامي شخصاً يسب ويصخب ويلعن وهو يرتقي السلم سكراناً فيصيح يدعو زوجته بقوله :

أأنت بومتي هنا ؟

الآن يا جيزة الحي أريك من انا

ولم ترد عليه فيقول :

هدى هدى أين هدى أين العجوز البالية
أين مضيت بومتي أين ذهبت خفتي
خداك ضفدعان قد أسنتا وأذناك عقربان من قنا
وحاجباك والخطوط فيهما كدودتين اكتظتا من الدما
وبين عينيك نفار وجفا عين هناك خاصمت عيناً هنا

وهكذا في زوجها الثاني الريفي ، ثم في شخصيات المعزين من أهل الحي فالفقهاء الذين امتهنوا تلاوة القرآن كحرفة تدر المال ، ومن المعزين اللصوص الذين يترحمون على الفقيدة ، ويسلبون أدوات القهوة ويدسونها في جيوبهم ، والمتملقون للزوج الذين يتوددون إليه دون معرفة سابقة حتى اذا ما فضت الوصية انقلبوا شامتين .

ونلمس في هذه المسرحية خضوع الحوار خضوعاً يكاد يكون تاماً للحوادث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والشخصيات . فيقل فيه الاسترسال الغنائي والحشو في المناظر والفصول : وإنما يندمج مع الموضوع والشخصية في وحدة مؤتلفة . ولن نلمس فيه ذلك الحوار الطويل الشبيه بالقصيدة المتحدة في البحر والقافيـة ، وإنما نلمس مرونة قوية جداً في إدارته ، وتنويع بحوره وأوزانه تبعاً لموضوع الحديث أو اختلاف العاطفـة ، دون أن تفقد الشخصية المتحدثة مميزاتها ، أو تتغير معالمهـا . ففي بداية المسرحية تلخص الست هدى علاقاتها بأزواجها وحياتهـا معهم في حديث طويل على الجمهور ، لا يحس بطوله لأنه يعبر تعبيراً مناسباً عن الموقف ولا يحس بملل من الشعر فيه إذ تختلف البحور والأوزان ، بل تخترم الحوار عناصر الفكاهة المتتابعة المتلاحقة التي تنبع من الموقف والشخصية بدل أن كانت تنبع من التلاعب بالألفاظ في المسرحيات الأولى :

ولم يعد في المنـاظر والفصول حشوٌ لا لزوم له . وإنما تتتابع الفصول الجذابة الممتلئة بالحيـاة والحركة فلا يرتخي توتر اهتمام الجمهور ، فيسر الجمهور برؤية الشخصيات الشعبية الشاذة ، وتصطدم أمزجتها فينور من ذلك الضحك . ومن ذلك المنظر الذي تلتقي فيه الست هدى بزوجها ويتشاجران فتستغيث بنساء الحارة وتستعين بهم على طرده ، ومن ذلك وصفها لأزواجها ، ومن ذلك الانقلاب النهائي في نهاية الفصل الثالث حين يكشف الموقف عما لا يتوقعه القوم ، ومع ذلك يتمشى مع مجرى الحوادث السابقة ويتفق مع احتمالات تطورها ، ففي كل موقف من هذه المواقف عنصر فـكاهة .

على أن هذه الفكاهة قد نبعت من منابع مختلفة . فبعضها ينبع من أمزجة الشخصيات التي فيها ناحية شذوذ وتتصف معظم الشخصيات الرئيسية بالمراءاة واظهار خلاف ما تبطن . فالسيدة بخيلة حريصة على المال ، وهي عجوز لا تعترف بكبر سنها . والحامي يلوم زوجته على قبحها وهو مفلس ثمل — والأزواج والمعزون كلهم مراءون يتظاهرون للسيدة بالحب والتودد ، بينما هم في الواقع ، وكما تعلم هي يحبون مالها . وتلك أرقى عناصر الفكاهة في المسرحية لصفاتها العقلية . يلي ذلك مناظر تنبع منها الفكاهة لاصطدام الشخصيات ، على شذوذها ، اصطداماً تستعمل فيه وسائل خارجة عن الشخصية والحادثة فتثير الضحك . وهذه الوسائل تستعملها الملهـاة الرخيصة . وتكثر في المسرحية في مناظر الاشتباك حين تستعمل النعال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والمكانس وتنطلق فيها الألفاظ المضحكة المثيرة التي تطلقها الشخصيات الرخيصة .

على أن هذا لا يمنع من أن هذه المسرحية هي درة انتاج شوقي في الملهاة ، وخير مسرحياته جميعاً في سبك الموضوع والقدرة على التشخيص وإدارة الحوار إدارة مسرحية ، فقد ابتدأ فن شوقي في المسرحيات الأولى بمحاولة الاجادة في عرض فصول الموضوع ، ثم سعى الى إكساب الشخصيات لوناً عاماً ، وانتهى باخضاع الحوار لها في مسرحيته الأخيرة . وبقي عليه أن يتدرّج في رفع القيمة الفنية لمسرحه فيتطور معه من مسرح خارجي اسير الحوادث الخارجية إلى مسرح داخلي يسيره التطور الداخلي للشخصيات . ولم يمهل القدر شوقي للتأليف المسرحي فيما بعد إذ لم يتمم مسرحيته التالية وهي « البخيلة » التي استمد موضوعها أيضاً من الحياة المحيطة به . لقد وضع المؤلف في النهاية يده على مفتاح التأليف المسرحي ، وهبط من المسرح الغنائي المترف الذي يرتفع إليه العامة والجمهور ، إلى الجمهور يعطيه صوراً للحياة من حوله ، تعرض عرضاً مسرحيّاً شائقاً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل التاسع

المسرح بعد شوقي

أعقب وفاة شوقي حركة متسعة الأفق في الترجمة والتأليف المسرحي . وتأثرت الترجمة بالتأليف والتأليف بالترجمة . وأعيدت ترجمة المسرحيات الغربية وتوخى المترجم الدقة والرقى الأدبى في ترجمته . وقد عكف على ترجمة هذه المسرحيات أقلام انقطعت لها ، ومن بين هذه المسرحيات المترجمة ما يأتى

طرطوف	لموليير	ترجمها	أحمد الصاوي محمد	عام ١٩٣٣
منا	لسكورني	»	خليل مطران	١٩٣٣
جرنجوار	لبانفيل	»	صبري فهمي	١٩٣٣
أندروماك	لراسين	»	طه حسين	١٩٣٥
البخيل	لموليير	»	محمود مسعود	١٩٣٣
لير	لشكسبير	»	ابراهيم رمزي	١٩٣٣
ترويض النمرة	»	»	»	١٩٣٣
عدو الشعب	لإبسن	»	»	١٩٣٣

وتمتاز الترجمة الجديدة بأمانة لم تتوفر في التراجم الأولى على أنه من الواضح أن التراجم الجديدة لم تستهو الجمهور كما استهوته التراجم التي عربت لتلائم ذوقه — ولم يكن رفيعاً دائماً — ولم يتذوق الترجمة الجديدة إلاّ الخاصة من المثقفين . ويزداد هذا الجمهور المثقف زيادة بطيئة ، وبازدياده يزداد عدد من يعني بالقيم الفنيـة للمسرح . وقد زاد اتصال مصر بالثقافة الغربيـة بعد الحرب العظمى الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ ، وقوي عقب الحرب العظمى الثانية ١٩٣٩ — ١٩٤٥ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكانت نتيجة ذلك أن انتشرت كتب تعنى بالتمثيل والممثلين، عملية ونظرية ومنها مجلات « المسرح » لمحمد عبد المجيد حلمي و « المسرح المصري » لاسماعيل وهبه . وكتب محمود خليل كتاباً عن فن التمثيل ١٩٢٤ ، وألف مسرحية « سلامه وسلمى » وهي تمثيلية غنائية تصور أخلاق العرب وعاداتهم . وكتب عثمان حمدي سنة ١٩٢٧ كتابه « في عالم التمثيل » وترجم « هملت » لشكسبير و « الملاحات الفضية » استوارت وشنج . وأصدر محمد تيمور كتابه « حياتنا التمثيلية » وفيه أرخ فيه المسرح المعاصر ، وألف مسرحيات مثل عبد الستار أو الهاوية . وألف توفيق الحكيم « سر المنتحرة » و « نهر الجنون » و « رصاصة في القلب » و « الخروج من الجنة » و « أمام شباك التذاكر » ، ونشر مقالات عن المسرح لتوجيهه . وقد جمع بعضها في كتابه « تحت مصباحي الأخضر » . وبدار الكتب مسودة لكتاب « مفكرة في التمثيل » لحسين شفيق ، تعرض لتاريخ التمثيل في الشرق والغرب .

على أنه لم يسلك مسلك شوقي في التأليف المسرحي الغنائي أحد من الكتاب من بعده مباشرة . وإنما اتجه المسرح نحو التأليف المسرحي النثري بشكل عام ، ويمثل هذا الاتجاه بوضوح الاستاذ توفيق الحكيم . ثم ظهر بعد شوقي بنحو من خمسة عشر عاماً كاتب نهج منهج شوقي في كتابة المسرحية الغنائية ، وهو عزيز أباظه باشا ، فألف مسرحيته الاولى « قيس ولبنى » وقد مثلت في دار الاوبرا الملكية في نوفبر عام ١٩٤٣ ، وألف مسرحيته الثانية ، التي مثلت بالاوبرا أيضاً عام ١٩٤٥ .

وبين المؤلف الجديد وبين شوقي شبه قوي لا يخطىء ، فقد ابتدأ كل من الشاعرين حياته الفنية بالتأليف الغنائي ، فكما ألف شوقي « الشوقيات » ، أخرج عزيز أباظه ديوانه « أنات حائرة » ، ثم اتجه كلاهما إلى المسرح ، وابتدأ بكتابة المسرحية التاريخية الغنائية .

وقد اطلع المؤلف الجديد على مسرحيات أوربية ، كما اطلع على مسرح شوقي . وتدل الدلائل على أنه قد استفاد مما وجه إلى شوقي من نقد ، فاستطاع أن يتلافى ما وقع فيه شوقي من مزالق إلى حد كبير . وقد أدى اتصاله المباشر برجال المسرح إلى عنايته بأسس المسرح والتشخيص وتمثيل الحوادث تمثيلاً مباشراً ، وابراز تطور الموضوع نحو الازمة ثم حلها ، وللشاعر الجديد حساسية وإرهاف في المشاعر يمكنه من تصوير منابع الحزن تصويراً عاطفياً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رقيقاً ، وقد ظهرت بوادر هذه الحساسية ، وقدرته على التحليل النفسي ، وألوان عواطفه المشبوبة ، وقدرته على تصوير العواطف والأهواء في ديوانه الأول .

وقد ساعد على ذلك ما حدث له في حياته الخاصة بوفاة زوجته . وأثار ذلك نفسه إلى التعبير الفني عما يجيش بنفسه ، ووجد في الأدب مخرجاً . فليس الشعر لديه ترف وزينة ، وإنما هو تعبير صادق لعواطفه التي أذكتها حوادث حياته الخاصة . وإننا لنلمس ذلك في المواقف المسرحية التي يظهر فيها محب محروم ، أو هوى متقد ، أو ذكرى وشكاة وحسرة على سعادة فائتة .

وحذا المؤلف حذو شوقي في إحياء تراث الأدب العربي فألف مسرحيته الأولى « قيس ولبنى » التي تشبه من وجوه كثيرة مجنون ليلى . على أن المؤلف اتكأ على رواية أخرى إنسانية محتملة الحدوث والتطور . وهي على تشابهها في بعض المواقف والشخصيات قد اتجهت اتجاهاً صحيحاً يتفق ومطالب المسرح . فقسم مسرحيته في فصول خمسة ، عرض فيها قصة قيس بن ذريح مع لبنى التي أحبها وتزوجها ، ثم أرغمه أبوه وأمه على تطليقها ، فتلفت نفسه ، وتزوج غيرها وتزوجت غيره وهما على حبهما ، ثم التقيا ثانية وتزوجا من جديد . وصور الموضوع عن طريق شخصيات واضحة المعالم والسمات ، ترجو له البراعة في التعمق في تحليلها وتعقيدها . ففي الفصل الأول تتحدث لبنى مع جارتها عن أخبار قيس ويتحدث والدها ابن حزم عن شؤون السياسة ، وفي النهاية يقبل قيس ومعه ابن عتيق ، الذي يتوسط له من قبل الحسين لدى آل لبنى ، فتقبل الوساطة ويتزوج قيس ولبنى . وفي الفصل الثاني يمرض قيس ويبلّ من مرضه ، وتبدأ بوادر الأزمة في الظهور ، فيظهر والداه سخطهما على لبنى التي استأثرت به ، وتحتج الأم بأنها لا تنجب نسلاً ، وما يزال الوالد والوالدة بولدهما حتى يطلق زوجته كارهاً . وفي الفصل الثالث يشرد قيس في البادية وترحل لبنى إلى ديار أهلها ، وقيس يشهد رحيلها بقلب متصدع . وفي الفصل الرابع نلمس الحب في نفس العاشقين ما زال قوياً ، ويهدر دم قيس ثم يعفى عنه ، وتعلم لبنى في النهاية بزواجه . وفي الفصل الخامس يلتقي قيس ابن الملوح بقيس ابن ذريح ويلتقي بهما ابن عتيق ، ويقابل الجماعة زوج لبنى الجديد ، وهو كثير بن الصلت الذي يشتري منهم مهراً ويدعوهم الى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خبائه . ويحس العاشق إحساساً غامضاً بلقائه بلبنى ، يلتقي بها ويعاتبها وتعاتبه ، ويتوسط مجنون ليلى وابن عتيق لقيس لدى كثير ، وما يزالان به حتى يحكم لبنى في الأمر ، فتكشف عن مكنون عواطفها ، فيطلقها زوجها ، ويلتقي العاشقان من جديد .

فقد قسمت الحركة المسرحية ووزعت في فصول خمسة متصلة ، ولا يفاجأ الجمهور بمنظر دون أن يلمس بوادره من قبل ، وتسير الحركة بانتظام في كل فصل ، كأن كل فصل مسرحية صغيرة تتطور نحو أزمة صغرى وتحل وتحوي في نهايتها بوادر الأزمة التالية ، ويتحرك الموضوع ويتطور تطوراً طبيعياً انسانياً محتملاً في الفصل الثاني والثالث حتى يبلغ الأزمة الكبرى في الفصل الرابع ، وتحل الأزمة في الفصل الخامس . وهكذا نرى موضوعاً ذا قيمة إنسانية خالدة يتطور نحو أزمة تحل مما لم نلمسه في مسرحية شوقي بوضوح

ونرى سمات شخصيات المسرحية واضحة المعالم ، ولو لم تكتسب التعقيد والعمق الفني بعد . ولبنى عاشقة نلمسها حية وتشعر بخلجات نفسها ووحدة عواطفها . والأم تشعر لشعور الأم نحو ولدها الوحيد ونحو زوجته التي تنافسها في حبه وتغار منها وما تزال بابنها حتى يطلقها ، وعزّة فتاة صريحة متفكهة تعرف ما تكنه نفس صديقتها ، وتحاول أن تحيله مزاحاً . وقيس عاشق موزع بين أهله وزوجته ، يحييه ذلك الصراع الدائم في نفسه ، ويكاد يحطمه ولا يستطيع منه مهرباً ، حتى تتدخل شخصية أخرى لتنقذه . ونلمس في ذريح والد قيس حنان الأب على ولده ، وضعفه أمام زوجته ، وطاعته لما تشير به . ومالك صورة من منازل في مجنون ليلى ، على أنه صورة أقرب صدقاً إلى نماذج الحياة البشرية في غيرته وضعفه وحيرته وسلوكه . وتسير حول هذه المجموعة مجموعة أخرى من الشخصيات الثانوية ، كطارق ومطيع وقيس بن الملوح ، وكثير ، نرى فيها كائنات حية على ضيق مجالها . ففي هذه اللوحة نماذج حية قصد الكاتب إلى تصويرها وتحليل نفوسها تحليلاً دقيقاً مثابراً ، ولم يدفعه عن ذلك الاسترسال الغنائي الذي اجتذب إليه قلم شوقي ، فزلت قدمه في مواضع كثيرة عن الطريق السوي إلى التأليف المسرحي .

ولا نلمس في الحوار حشواً واسترسالاً قصد به الشعر لذاته وإنما هو حوار يقتضيه الموقف فهو قصير حين يوجد التوتر النفسي والمفاجأة ، وهو طويل حين تحس الشخصية

ويحتاج الموقف إلى التنفيس العاطفي دون اطناب مخل وتتخلل الحوار أغان متصلة بالموضوع وملونة بلونه دون أن تفسد تطوره وحركته .

وألف المؤلف بعد ذلك مسرحية ثانية هي « العباسة » عرض فيها لقصة البرامكة والزواج الصوري لجعفر والعباسة ، وتحوله إلى زواج غير صوري ، والمؤامرات التي تدبر للبرامكة حتى تودي بحتفهم ، وإنا نلمس في هذه المسرحية التي مثلت ولم تطبع بعد ، صفات فن الشاعر كما ظهرت في مسرحيته الاولى .

على أن الحركة المسرحيـة الظاهرة لا تتضح ولا تتوفر في كتـاباته كما تتضح الحركة المسرحية النفسية ، بل يوجد من المنـاظر ما يكاد يدور حول الحوار النفسي الخالص . ومن الشخصيات ما لا تحلل عواطفه تحليلاً عميقاً معقداً ، وإنا انرجو من شاعرنا ، وقد مهد له شوقي الطريق بتكييف الشعر للمسرح ، وبعد أن استطاع هو أن يتقن توزيع العمل المسرحي في الفصول والمناظر ، ان يكثر من المشوقات والمفاجآت والحركة التي تزيد المسرحيـة حيوية ، فنحن نعيش في الحيـاة بإدراكنا وعواطفنـا وأعمالنا ، وكل من هـذه النواحي متصل بالنواحي الأخرى وناتج عنها . ونرجو لشاعرنا ألا يتردد في أن يختتم مسرحيته بنهاية مفجعة إذا لزم الأمر ، فقد اضطر في المسرحية الاولى أن يساير عاطفة الجمهور ، لينهي المسرحيـة نهاية سارة ، فتأتي بما لا يتفق وحياة العرب وما لا يـساير منطق الحوادث .

ولم لا يذهب شاعرنا إلى الحياة الواقعية ويضع يده على ما يكتظ فيها من صور حيـة رائعة ، وفي الحياة ألوان من آلام الناس وآمالهم وترهاتهم ونزواتهم ، والناس في الحيـاة يعيشون أفراداً متمايزة ، معقدة مركبة ، فليعش شاعرنا بين أفراد الشعب وليحي حياته إذا أراد لنفسه مسرحاً انسانيـاً خالداً ، يحمل لواء رسالة كتاب الانسانية الخالدة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خاتمة

على أنّ مسرحنا ما زال في بدايته . ويتعرّض لمنافسة الخيالة لرخص أسعارها ووفرة إنتاجها . وتحاول الدولة أن تعين فرق المسرح وتشجع مؤلفيه ، ويحاول النقاد أن يرفعوا من شأنه في كل مناسبة في الصحف والمجلات . ولا غرو فهو فنّ أكثر تمثيلاً للحياة ، وإشباعاً للنفوس ، وهو يمثل الحياة تمثيلاً حيًّا بأبعادها الثلاثة ، مما لا يتوفر للخيالة .

ولكن المسرح فن شعبي ، منبعه نفوس الناس ، وموجه إلى الشعب ، فلمَ يذهب كتّابنا إلى بطون التاريخ ويتكلفون عناء ومشقة في استخراج موضوعاتهم وإحياء شخصياتهم ، وأمامهم ميدان الحياة فسيح ؟ إن في الرجل العادي ، وفي الحياة اليومية لمآسي وملاهي توحي بالمبدع . فليعش كتابنا بين الناس ، وليحيوا حياة الناس ، وفيها ما فيها من آمال وآلام ، وليتغنوا بالنفس الإنسانية الخالدة إن أرادوا لفنهم خلوداً .

ولئن صار لنا مثل هذا المسرح الشعبي ، فلسوف نتركه ينمو ويتأصل .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مراجع

١ — المسرح الأوربي :

a — Theory of Drama : A. Nicoll
b — European theories of Drama : B. H. Clark.
c — Dramatic values : C. Montague.
d — Tragedy : A. Thorndike.
e — Principles of comedy and dramatic effect : Fitzgerald.
f — A history of literary criticism in the renaisance : J. E. Spingarn
g — Poetics : Aristotle (translated by Butcher & Bywater) .

٢ — المسرح المصري القديم :

ا — على هامش التاريخ المصري القديم . عبد القادر حمزة باشا جـ ٢ ص ١٧ (طبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٤١)

ب — الأدب المصري القديم . سليم بك حسن جـ ٢ الفصل الأول (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ١٩٤٥)

ج — مذكرة في التمثيل . حسين شفيق : مخطوطة بدار الكتب

٣ — ظواهر مسرحية في الأدب العربي المصري : —

ا — فجر الاسلام : الأستاذ أحمد بك أمين ج ١ (لجنة التأليف)

ب — صهاريج اللؤلؤ : السيد توفيق البكري . فصل الوفاقات في العادات .

ج — المواعظ والاعتبار : المقريزي ج ٢

٤ — المسرح المصري الحديث : —

ا — حياتنا التمثيلية : محمود بك تيمور ج ٢ (الاعتماد سنة ١٩٢٢)

ب — مجلة المسرح . محمد بليغ — السنة الأولى

٥ — مسرح شوقي :

ا — شعراء مصر وبيئاتهم ا للاستاذ عباس محمود العقاد .

ب — قمبيز في الميزان . » » »

ج — إثنى عشر عاماً في صحبة أمير الشعراء للاستاذ محمد عبد الوهاب أبو العز .

د — أبولو : عدد خاص عن شوقي عام ١٩٣٢ .

هـ — حافظ وشوقي . طه حسين بك .

و — المقتطف : نوفبر وديسمبر ١٩٣٢ : مقالات للاساتذة إسماعيل مظهر ، ومصطفى صادق الرافعي ، وسامي الجريديني .

ز — مسرحيات شوقي : (الست هدى : مخطوطة)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرست

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سجل الخالدين

لواحق المقتطف الشهرية

لورد كليف

مؤسس الامبراطورية البريطانية في الهند

تأليف

ماكولي

نقله بتصرف الى العربية

عبد المنعم صادق

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

١٩٤٧

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نشأة كليف

في القرن الثاني عشر هبطت أسرة كليف مقاطعة شروبشير واقتنت مزرعة قريبة من «ماركيت دريتون». وظلت تعيش على ما تغله من إيراد . . . وفي خلال حكم الملك جورج الأول آلت هذه المزرعة الى مستر ريتشارد كليف الذي لم يكن يتميز عن أي رجل عادي بأية موهبة أو كفاءة ، ولكنه أصبح من رجال القانون. وكان وقته موزعاً بين واجباته كقانوني والتزاماته كزارع يشرف على مزرعته . وتزوّج في مانشستر من سيدة من أسرة هاسكيل . أنجبت له عدة أبناء كان أكبرهم روبرت كليف مؤسس الامبراطورية البريطانيـة في الهند، وكان مولده في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٧٢٥ .

ودرج الطفل من مهده وبدأت تتجلى فيه تلك الصفات التي صحبته في صباه وشبابه ولازمته في رجولته وكان أبلغها ظهوراً قوة إرادته وحدة عاطفته وشجاعته التي لا حدّ لها والتي كان يصحبها أحياناً تهوّر واندفاع مما دعا الناس الى اتهامه بالجنون . ولقد حكي عنه بيلي كليف إنه كان مولعاً أشد الولع بالمقاتلة فكان يغضب ويتشاجر لأتفه الأسباب . ولقد كان أهل القرية يذكرون تلك العصابات التي كان يكوّنها في صغره من زملائه في الطفولة ويفرض على أرباب الحوانيت إتاوة ليضمن لهم سلامة واجهات محالهم . وسببت هـذه الصفات لأهله كثيراً من المتاعب فأخذوا ينقلونه من مدرسة الى أخرى دون أن يحصل على أي قدر من العلوم بل يزداد شهرة في الاعتداء على الناس باليد واللسان . ومع هذا فقد تنبأ له أحد أساتذته وهو الدكتور ايتون بأنه « لو عاش هذا التلميذ حتى صار رجلاً وتهيأت له الظروف المساعدة، فانه سيكون رجلاً عظيماً ». ولكن الاعتقاد العام في روبرت كان . «أنه غبي شرّير» وكانت عائلته لا ترجو منـه خيراً ، فلم يكن غريباً منها حين بلغ الثامنة عشرة من عمره أن توافق على تعيينه كاتباً في خدمة شركة الهنـد الشرقيـة . وودعه ذووه على ظهر السفينة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي حملته الى فرع الشركة في مدراس وكانوا يرجون له الثراء أو الموت .

وكانت شركة الهند الشرقية شركة تجارية محضاً وتشغل بضعة أميال مربعة في بلاد الهند تدفع عنها إيجاراً سنويًّا للحكومات الوطنية . وكان لها فصائل من الجند قليلة العدد لا تكاد تكفي للاشراف على ثلاث أو أربع قلاع متتابعة مقامة لحماية مستودعات الشركة . ولم يكن هؤلاء الجنود ومعظمهم من الوطنيين الهنود قد تدربوا على النظم العسكرية الاوربية وكان سلاحهم السيف والدرع أو القوس والنشاب . وكانت مهمة موظف الشركة تنحصر في جرد البضائع أو دفع عرابين لعملاء الشركة من التجار أو الاشراف على شحن السفن . هذا الى مراقبة حركات التجار الذين يجرؤون على مزاحمة الشركة . وكان صغار الموظفين مضطرين الى الاستدانة لضآلة مرتباتهم ، أما كبارهم فكانوا يشتغلون لحسابهم الخاص فأصبحوا على شيء من الثراء . أما أولئك الذين كانوا في الوظائف الرئيسية فقد تيسر لهم جمع ثروات طيبة .

أما فرع الشركة في مدراس حيث عين روبرت كليف ، فكان أهم فروعها حيث قلعة سان جورج التي أنشئت في سنة ١٦٤٠ في مكان قاحل تغير عليه دائماً أمواج المحيط الصاخبة . وكان على مقربة منها ثلاث قرى كل منها في شمال الأخرى وتكون في مجموعها مدينة مدراس، فأولاها المدينة البيضاء حيث يقيم ثلثمائة انجليزي وبضعة أوربيين آخرين و « المدينة السوداء » حيث تجار الأرمن والهنود وثالثتها قرية يقيم بها الوطنيون الفقراء . وكان عددهم آخذاً في الازدياد .

وفي داخل القلعة وما جاورها كان للانجليز من الحقوق ما كان لأي مالك هندي آخر في ممتلكاته ولكنهم لم يطمعوا يوماً في الاستقلال بهذه البقعة من الأرض التي كانت تابعة لأقاليم الكرنات الذي كان عليه « نواب » ينوب في حكمه عن « نظام » الدكن الذي كان يستمد سلطانه من المغل العظيم سليل جانكيز خان والمتربع على عرش دلهي .

الى الهند

وكانت رحلة كليف مجهدة له ولاسيما في تلك السن المبكرة . وقد رست السفينة خلال تلك الرحلة على ميناء ريو دي جانيرو حيث ظلت تسعة أشهر واستطاع المغامر الشاب أن يعلم

الكثير عن البرتغاليين في إقليم البرازيل . وكان طول اقامته فيها سبباً في أن يأتي على ما كان معه من نقود وان يقترض من ربان السفينة. وبلغت السفينة مدراس بعد أكثر من عام . وكان كليف مفلساً ومرتبه ضئيلاً إذ لم يكن يتعدى خمسة جنيهات في الشهر . واضطرّ الى الاستدانة . وكان مقامه في سكن لا يصلح لسكن أوروبي في ذلك الجو الحار وكان حين وصوله يحمل خطاب توصية لرجل كان من المحتمل أن يجد فيه عوناً له ، ولكنه لم يجد الرجل إذ كان قد سافر الى انجلترا قبل مقدمه. ومنع كليف حياؤه ثم كبرياؤه من أن يتقدم الى من لا يعرفهم وهكذا قضى في بلاد الهند بضعة أشهر قبل أن يتعرّف الى غيره أو الى أسرة واحدة. وأثر المناخ وسوء الاقامة في صحة الفتى ونفسه إذ لم يكن ما يؤديه من عمل يتفق مع نشاطه وجرأته فأحسّ بحنين الى وطنه واشتد حنينه اليه فكتب الى صديق له في انجلترا يقول « لم أشعر يوماً منذ غادرت أرض الوطن أني سعيد وان الحزن والأسى ليعترياني حين أفكر في انجلترا وكم أكون سعيداً عند ما تتاح لي فرصة زيارتها لا سيما مانشستر محط آمالي » .

ووجد شيئاً من الراحة حينما كان يسمح له وكيل الشركة بزيارة مكتبته وصار يقضي بين جدرانها أوقات فراغه وأقبل على الاطلاع على ما حوته الكتب التي وصلت الى يده .

ولكن لا المناخ السيء ولا الفقر القاسي ولا الدرس والاطلاع ولا مرارة النفي ، قد هذبت من نفسه المتمردة فكان موقفه من رؤسائه دائماً هو موقفه من أساتذته في المدرسة حتى كاد ينفصل من عمله يوماً ما واشتد به اليأس مرتين فحاول الانتحار في كليهما ولكن الرصاص لم ينطلق من مسدسه في واحدة منهما ، فانقلب يأسه أملاً واعتقد أن الأيام تدخره لعمل عظيم .

الضابط كليف

وكانت انجلترا في حالة حرب مع فرنسا في أوربا وكان طبيعياً أن تكون الحال كذلك في بلاد الهند ، فقد هاجم لابوردونيه حاكم موريشيوس الانجليز في مدراس واستولى على قلعة سان جورج وعلى المدينة ورفرفت الأعلام الفرنسية على اقامة واتفق مع الانجليز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على أن يعتبروا أنفسهم أسرى حرب وتعهد بأن تبقى المدينة في يد الفرنسيين حتى تدفع لهم التعويضات اللازمة فيرحلوا عنها .

ولكن انتصار لابوردونيه أثار غيرة مواطنه دوبليه حاكم بندتشيري فأعلن أن لابوردونيه قد تجاوز حدود سلطته في عقد هذه المعاهدة وان جميع المقترحات التي تتم في بلاد الهند تحت الراية الفرنسية انما تكون خاضعة لحاكم بندتشيري وحده . وبهذه النظرة ضم مدراس اليه وساق كبار موظفي الشركة الى بندتشيري وسيرهم في شوارعها باحتفال كبير شهده خمسون ألفاً من المشاهدين . واستطاع كليف أن يهرب من الأسر ليلاً فآوى الى قلعة سان دافيد وكانت احدى القلاع التابعة لمدراس ولم تسقط بعد في يد الفرنسيين .

وهكذا تهيأت لكليف الظروف التي تتناسب مع صفاته وميزاته وطلب من أولي الأمر في سان دافيد أن يعينوه ضابطاً في القوات البريطانية وأجيب الى طلبه . وكانت سنه وقتذاك احدى وعشرين عاماً . وحدث أن اشتبك في عراك مع أحد جنود الفرقة التي كان . وكان هذا الجندي مشهوراً بالقوة البدنية الهائلة وكان مصدر ذعر الفرقة كلها وانتصر عليه فزاد قدره عند زملائه والتفوا حوله وبدأت الأنظار تتجه اليه لما امتاز به من الشجاعة والعدل والحكمة والاخلاص في طاعة الاوامر، وبدأ نجمه في الصعود في أثناء المعارك المحلية التي كانت تدور بين الانجليز والفرنسيين حتى استرعى بأعماله نظر قائده الميجور لورانس

- وعقد الصلح بين انجلترا وفرنسا فعادت مدراس الى الانجليز وبهذا عاد الضابط الشاب الى الحياة المدنية ثم تركها الى الزي العسكري ولم يمكث به غير قليل حتى عاد الى وظيفة الكتابية . وبينما كان في تنقلاته هذه بين الحياتين العسكرية والمدنية حدث ما حدد مصيره واتجاهه. ذلك ان الحرب وإن وضعت أوزارها في أوربا إلا أنها قد شب أوارها في الهند بين الشركتين الانجليزية والفرنسية اللتين كانتا تتنازعان للحصول على أملاك تيمورلنك في الهند

ولقد كانت الامبراطورية التي أسسها المغول في القرن السادس عشر من أوسع وأعظم الامبراطوريات التي نشأت في التاريخ حتى ذلك الحين ، من حيث عدد السكان أو مقدار الثراء أو مظاهر الترف والنعيم . إلا أن سياسة الحكم في تلك الامبراطورية حتى في أوج مجدها كانت سيئة جدًّا وذلك لأن نظام الحكم المطلق هو الذي كان سائداً فيها وما نشأ ع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حكم التتار وهم أقلية لشعب كبير العدد من أجناس متباينة ومن وجود خلافات قامت بها قبائل الهندوس . ولكن هذه الأحداث لم تؤثر في مظهر الدولة الخارجي فبدت عظيمة متماسكة وان كانت قد هدت من كيانها الداخلي . وظلت على هذا الوضع حتى أواخر حكم أورنجزيب في سنة ١٧٠٧ وبموته إنهارت الدولة كأنها بيت من الورق.

فقد تولى الحكم بعد هذا الامبراطور في خلال أربعين عاماً، ملوك قنعوا بأن يكون لهم الملك الاسم والاقامة في قصور تهيأت لهم فيها كل وسائل النعيم والترف والخمول والدعة والخمر والحشيش والنساء وأهازيج الأوتار ، وذلك في وقت كان المغيرون فيه ينتقصون الدولة من أطرافها ويلتهمون ثرواتها، فهبط نادر شاه ملك فارس في ١٧٣٩ سهول الأندوس في الشمال الغربي من بلاد الهند واقتحم أبواب دلهي وحمل منها كنوزها إلى بلاده وأعقبته قبائل الأفغان والراجبوتانا ثم قبائل المهراتا . وكانت أشد القبائل المغيرة وحشية وقسوة وأصبحت مصدر رعب دائم للهنود . فما كان يسمع الفلاح صوت قرع طبولهم حتى يحمل ما يتيسر له حمله من متاع ويهرب الى الجبال أو الغابات حيث يجد في مجاورة السباع أمناً لا يجده في مجاورة الذين كانوا يفرضون الجزية على الولايات والتجار الأوربيين ، بل إن الامبراطور نفسه كان يدفع لهم مايفرضونه عليه صاغراً وهو يرى من نوافذ قصره في دلهي ، نيرانهم فوق قمم الجبال الغربية .

***

وتقاسمت القبائل المغيرة أملاك الامبراطور ونشأت فيها دويلات صغيرة في طول البلاد وعرضها ، كانت لا تلبث أن تضعف وأن يسترد السلطان فيها نواب ينصبون أنفسهم حكاماً تابعين إسمًا للامبراطور الضعيف يرسلون له الهدايا الفاخرة دليلاً على تلك التبعية التي تكسبهم صفة شرعية لحكم البلاد التي يحكمونها وكانوا فيها اصحاب السلطة الحقيقية لا يمكن عزلهم أو نقلهم إلى جهات أخرى وكان هؤلاء النواب مسلمين، فكونوا أسراً اسلامية توالت الحكم في اقليمي البنغال والكرنات .

ورأى دوبليه وكيل شركة الهند الفرنسية هذه الفوضى الضاربة أطنابها في بلاد الهند، ورأى بثاقب فكره المتوقد وقوة ذهنه الجبار، انه يمكنه أن يستفيد من هذه الفوضى الشاملة فيؤسس على أنقاضها امبراطورية فرنسية تضم تحت لوائها المسلمين والهندوس على السواء والجنود الوطنيين وقبائل المغيرين معاً وان يؤلف من تلك الشعوب المتباينة في الجنس واللغة والدين والعادات شعباً واحداً يدين بالولاء لفرنسا. ولم يقنع دوبليه بتحديد الغاية بل رسم الخطة التي توصله الى تحقيق هذه الغاية، وذلك في وقت كان فيه أقدر موظفي الشركة الانجليزية لا يشتغلون إلاّ بأعداد الفواتير وجرد المخازن والاشراف على الشحن ومراقبة التجار المحليين.

وكان دوبليه يرى أن ما يمكن لأي أمير هندي جمعه من جند لا يستطيع أن يقف – مهما كان عدد جنوده من الكثرة – في مواجهة قوة صغيرة من الجنود النظاميين والمدربين على النظم الاوربية، وانه من الميسور تدريب الجنود الوطنيين على النظم الغربية الحديثة فيصبحون قوة عظيمة، وان الطريقة المثلى للمغامر الاوربي هي مراقبة الحوادث والاستفادة من تطوراتها وان يتخذ من الخلافات التي تنشأ بين الأمراء سبيلاً للتدخل بينهم واتخاذ بعضهم ستاراً يعمل من ورائه على تحقيق غايته – هذه هي السبل التي رسمها دوبليه وسار فيها الانجليز فيما بعد.

ولقد حدث أن توفي « نظام » الدكن في عام ١٧٤٨ وورث ملكه إبنه ناصر جنج وكانت « الكرنات » أغنى المقاطعات التابعة له يتولى الحكم فيها « نواب » أنوار الدين منذ عام ١٧٤٠ وكان طبيعيًّا في تلك الفوضى الشاملة أن يظهر أمراء طموحون يطالبون بالعرش، وأن يجدوا العون في أولئك الوصوليين الذين يهبون مع كل ريح طمعاً في المغانم والأسلاب، فظهر مطالب بعرش الكرنات وكان إسمه هندا صاحب، ومطالب آخر بعرش الدكن وإسمه ميرزا فاجنج الذي كان حفيداً للنظام الراحل. واتحد هذان المطالبان وانضم تحت لوائهما الكثيرون ولم يكتفيا بذلك، بل طلبا من الفرنسيين شد أزرهم في هذه المطالبة. ووجد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفرنسيون الفرصة سانحة لتحقيق أغراضهم ونيل مآربهم فأمدوهما بقواتهم واطمأن المطالبان الى هذا المدد كل الاطمئنان ، لاسيما وقد رأيا الفرنسيين ينتصرون على الانجليز في ساحل « كروماندل » .

وتقرر أن يبدأ بغزو مقاطعة الكرنات فسارت الحملة وقد زاد في قوتها ما أمدّها به الفرنسيون من قوات بلغ عدد أفرادها أربعمائة جندي فرنسي وألفي جندي هندي مدرّب على النظم الأوروبية . وكان طبيعيًّا أن ينتصر الحلفاء على قوات « نواب » الكرنات وأن يظفروا به ويقتلوه وأن يهرب إبنه محمد علي الذي لجأ الى « تريشنوبولي » وأن تتم بهذا سيادة الغزاة على مقاطعة الكرنات . فنصب هندا صاحب نوابًا عليها . وكان دوبليه المساهم الاول في هذا التنصيب فأصبح صاحب النفوذ الأول فيها والحاكم الحقيقي لتلك المقاطعة .

وبعد بضعة أشهر قضاها الحلفاء في حروب ومفاوضات ومؤامرات برزت فيها كفاءة دوبليه وساعده حسن حظه فأصبح صاحب الأمر والنهي في إقليم الدكن كله، ذلك أن ناصر جنج قتله أتباعه وتولى مكانه ميرزافا جُنج، وبهذا انتصرت السياسة الفرنسية في ذلك الجزء من بلاد الهند وأقيمت حفلات التتويج الرائعة في مدينة بوندتشيري حيث أطلقت المدافع ودقت أجراس الكنائس وبعد أن تمّ تتويج ميرزافا « نظاماً» لاقاليم الدكن أعلن هذا تعيين هندا صاحب « نواباً » لمقاطعة الكرنات و« دوبليه » حاكماً على ذلك الجزء من بلاد الهند الذي يقع بين راس كومورين ونهر كريستنا والذي يبلغ عدد سكانه ثلاثين مليون نفساً ومنحه من الامتيازات ما فاقت به امتيازات هندا صاحب ، فقد عين رئيساً لسبعة آلاف فارس وجعل سك النقود قاصراً على بوندتشيري ، واستولى على جميع خزائن المال والنفائس التي كان أمراء الدكن قد جمعوها طيلة حياتهم . وقد تواترت الأنباء عن قدر ذلك المال الذي انساب الى خزائن دوبليه ومنها ما يحدد قدره بمائتي الف جنيه . وفي الواقع لا يمكن تحديد ما جناه الحاكم الفرنسي من وراء تلك الحملة فضلاً عن انه أصبح الحاكم المطلق على ثلاثين مليون نفس إلى نفوذه الكبير في الاقاليم كله فان أمراً ما كان يبت فيه قبل استشارته .

ولم يبق ميرزافا جُنج في مركزه العظيم سوى أشهر قلائل . ثم تولى مكانه أمير آخر من نفس الأسرة مستنداً الى نفوذ الفرنسيين فوافق على جميع الامتيازات التي منحها لهم سلفه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأصبح اسم دوبليه يلقي الرعب في النفوس حتى في نفس الامبراطور في دلهي . وكان الأهالي يعجبون كيف أتيح لذلك المغامر الاوروبي أن يحرز كل هذا التوفيق في مدة لا تزيد على أربعة أعوام . ولم يكتف دوبليه بهذا النصر ، بل استولى عليه الغرور فشاء أن يرسخ في أذهان الهنود والانجليز على السواء ما ظنه بعيداً عن تلك الأذهان من قوة مركزه واتساع سلطانه، فأمر بإقامة مسلة في نفس المكان الذي سقط على مقربة منه ناصر جنج وعين ميرزافا جنج وأن يكتب على هذه المسلة أنباء انتصاراته وأن يكتب كل وجه من وجوه المسلة الأربعة بلغة غير التي يكتب بها الوجه الآخر حتى يعلم الشرق كله من هو دوبليه وما هي فرنسا . وحول هذه المسلة أنشئت مدينة دوبليه الفاتح .

وقام الانجليز بمحاولات ضعيفة لوقف تفوق الشركة المنافسة وظلت تعترف بمحمد علي كنواب لمقاطعة الكرنات رغم أن هذا الأمير لم يكن له سوى قرية تريشنوبولي ، وحتى هذه القرية أصبحت الآن محاصرة يقف على أسوارها شندا صاحب وأعوانه الفرنسيون . وكان لا بدّ من رفع هذا الحصار ولكن هذا الأمر بدا مستحيلاً ، فقيادة الانجليز في مدراس كانت بدون قائد لأن الميجور لورانس عاد الى انجلترا ولم يكن هناك ضابط واحد يمكن الاعتماد عليه . وكان الهنود يرون أن الفرنسيين هم سادة المستقبل فقد رأوهم يوم استولوا على قلعة سان جورج وشهدوا الأعلام الفرنسية ترفرف عليها ورأوا كبار موظفي الشركة الانجليزية مسوقين في ركاب المنتصرين في شوارع بوندتشيري ، ولمسوا انتصار جيوش دوبليه في كل مكان حلت به ورأوه صاحب الأمر في الاقليم كله بينما لم يروا من الانجليز إلا الضعف . في تلك اللحظة ظهر شاب انجليزي مغمور تجلت فيه الشجاعة والقدرة ، فتغير مجرى الأمور .

اركوت

كان كليف في تلك الأثناء قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وبعد أن قضى فترة طويلة في تلك الأثناء بين حياتيه العسكرية والمدنية ، عين بصفة دائمة في وظيفة تجمع بين الناحيتين وهي وظيفة ضابط تموين فصائل الجند برتبة كابتن . واستطاع هذا الضابط الشاب أن يقنع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولاة الأمر في مدراس بأنه من الواجب أن يبذل مجهود لانقاذ تريشنوبولي ، وإلا فان تلك القرية ستسقط في أيدي الفرنسيين وتقتل محمد علي وتفني أسرة أنوار الدين وتتم بهذا سيطرة الفرنسيين على شبه جزيرة الهند كلها . وأنه لا بدّ من القيام بغزوة كبيرة . فمثلاً اذا وجهت هذه الغزوة الى اركوت عاصمة الكرنات التي يفضل المقام فيها حكام الكرنات ، فليس من المستبعد في هذه الحالة أن يرفع الحصار عن تريشنوبولي . ورأى رؤساء كليف أن فكرته وجيهة تستحق التنفيذ ، لأنهم كانوا يخشون أن يجيء يوم تعلن فيه الحرب بين فرنسا وانجلترا في أوروبا وتصل الى الهند فتهجم قوات فرنسا الموجودة ببلاد الهند على أملاك الشركة الانجليزية في مدراس وتدمر المدينة نهائيـا ، وتبعاً لذلك وافقوا كلية على ما ذهب إليه، وفوضوه في أمر تنفيذ الفكرة، وجعلوا تحت إمرته مائتي جندي انجليزي وثلثمائة جندي هندي مدربين تدريباً أوروبيـا . ولم يكن بين ضباط هذه الحملة سوى إثنين شهدا الحرب وعرفا ما هي . وسارت الحملة في جوّ عاصف مطير حتى بلغت أبواب أركوت فذعرت الحامية وأخلت القلعة وولت الادبار فاحتلها كليف دون أن يطلق رصاصة واحدة .

وكان كليف يعلم أنه لن يترك آمناً في اركوت وإنه سيهاجم حالاً فأقبل على جمع الأقوات والذخائر وتقوية الاستحكامات إستعداداً للحصار ومواجهة الهجوم المتوقع . وكانت الحامية التي هربت عند مقدمه الى ضواحي المدينة قد جاءها مدد أصبحت به عدتها ثلاثة آلاف رجل عسكرت بظاهر المدينة حتى أقبل المساء ، فخرج عليهم كليف فجأة، وأعمل فيهم القتل ، فمات كثيرون وهرب الباقون . وأخيراً عاد الى قلعته دون أن يخسر رجلاً واحداً من رجاله .

وبلغت أنباء هذه الأحداث الى شندا صاحب، حيث كان يحاصر هو وحلفاؤه الفرنسيون مدينة تريشنوبولي، فجرّد أربعة آلاف رجل من جنوده وأمرهم بالسير الى اركوت . وهناك انضمت إليهم فلول حامية المدينة التي بقيت من المعركة السابقة كما جاءهم مدد آخر ، إن يكن أقل عدداً، إلاّ أنه كان أكثر أهمية من الوجهة الحربية . وكان هذا المدد مكوناً من مائة وخمسين جنديـاً فرنسيـاً أرسل إليهم من بونديشيري . وبهذا أصبح عدد القوات المتحالفة عشرة آلاف مقاتل يتولى قيادتهم راجا صاحب ابن شندا صاحب .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتقدم بهذه الحملة نحو قلعة اركوت مصمماً على حصارها ، وكان يرى أن هذا الحصار كافٍ للإستيلاء عليها لأنها فى رأيه لم تكن لتحتمل الحصار الطويل لتهدم جدرانها وجفاف الخنادق المحيطة بها وضيق العيون المخصصة لتصويب المدافع في أعالي الأسوار.

ودام الحصار خمسين يوماً تناقص خلالها عدد الحامية فأصبح ١٢٠ أوروبيًّا و٢٠٠ وطني ، ولم يكن بين هذا العدد من الضباط سوى أربعة . أما القوة فأوشكت على الفناء وكان الذي يتولى قيادة الحامية شاب في الخامسة والعشرين من عمره كان عمله أصلاً كاتباً في أحد مكاتب الشركة .

ولكن هذا الشاب « كليف » أبدى في قيادته الحزم والقدرة واليقظة ما لو أبداه أي قائد عظيم في أوروبا لنال من أجله أعظم الأوسمة وأفخر النياشين . ولكن الانحلال بدأ بعد هذه المدة الطويلة يدب في قوى الحامية إذ بدأت تحس وطأة الجوع القاسي . ولكن رغماً من قلة عدد الضباط ورغماً من اختلاف العناصر التي كانت تتألف منها تلك الحامية لم تظهر روح التمرد والعصيان بين الجنود ، وهي الروح التي كان من المحتمل أن تظهر بين أمثالهم في ظروف مشابهة . ذلك لأن حب كليف الذي كان قد تمكن من قلوب جنوده وإعجاب هؤلاء به، قرّب بينهم وأزال الفوارق الدينية والعنصرية وزاد روح التضحية عندهم قوة . ويمكننا أن نعلم قوة هذه الروح بين أولئك الجنود من تقدم الوطنيين الى كليف وهو في إبان أزمته ، لا ليشكوا قلة الجراية المخصصة لهم، ولكن ليقترحوا عليه أن يخصص الحبوب كلها للاوربيين من زملائهم لأنهم على حد قولهم أكثر حاجة الى التغذية منهم لأنهم لم يتعوّدوا الصبر على الجوع كما تعودوه ، ولأنهم غرباء أحق بالرعاية . وعرض أولئك الفدائيون على قائدهم أن يطعمهم بنشاء الأرز الذي كانوا قد تعودوه غذاء لهم ولم يرو التاريخ أروع من هذا المثل في التضحية والوفاء العسكري ، ولا أبلغ منه دلالة على محبة الجنود لقائدهم .

* * *

ولقد حاولت حكومة مدراس أن ترفع الحصار عن أركوت، ولكن هذه المحاولة فشلت، وظلت الحامية تقاسي متاعب هذا الحصار حتى لاح بريق الأمل من ناحية أخرى . ذلك أن جيشاً قوامه ستة آلاف من جنود (المهراتا) الذين اتخذوا الجندية مهنة وقطع الطرق

وصيانة للعيش بقودهم موراري راو كانوا قد استؤجروا انجدة محمد علي في ترشنوبولي، الا انهم أحجموا وقتاً طويلاً عن هذه النجدة .

فقد كانوا يظنون أن قوة فرنسا لا تقاوم ، وأن النصر حالف لشندا صاحب الذي تشد أزره هذه القوة ، فظلوا لا يحركون ساكناً مقيمين على حدود الكرنات . حتى إذا علموا نبأ حصار أركوت وتلك القوة العجيبة التي أبداها الانجليز في مقاومة هذا الحصار، أيقظهم ذلك من سباتهم وأعلن موراري راو أنه لم يظن أبداً أن الانجليز يستطيعون الحرب الى هذا الحد . أمّا وقد رأى منهم ما رأى، فانه سيساعدهم ما وسعته المساعدة . وعلم راجا صاحب أن المهراتا في طريقهم اليه، وانه لابد من الاقدام على عمل سريع يتفادى به الالتحام مع تلك القوة الخطرة ، فحاول بادىء ذي بدء مفاوضة كليف وعرض عليه رشوة كبيرة لعله يقبل شروط الصلح التي عرضها عليه، ولـكن هذا رفضها بامتهان وصلف، فاضطرّ راجا صاحب إلى أن يثور ويعلن أنه اذا لم تقبل شروطه فانه سيقوم بهجوم عام على القلعة وانه سيقتل جميع من فيها بلا استثناء . فردّ عليه كليف في ازدراء وتهكم بهذا الوعيد .

وأخذ كليف يعد عدته لمقاومة الهجوم المنتظر ويقوي من استحكامات القلعة ويرتب مواقف الجنود ويجهز الذخائر ويصلح من أدوات القتال . حتى بدأ الهجوم العظيم — فتقدمت الفيلة التي تغطي رؤوسها صفائح الحديد .

كان قائد المهاجمين مطمئنـًا الى أن أسوار القلعة ستتداعى تحت أقدام هذه الفيلة وأن الأمر لن يكلفه أكثر من ذلك . ولـكن هذه الفيلة ما اصطلت بنار الانجليز حتى ولت الادبار وداست بأقدامها في تقهقرها أولئك الذين كانوا يسوقونها . الاّ أن بعض جنود راجا صاحب استطاعوا عبور الخندق المحيط بالقلعة ولـكن رصاص المدافعين ردهم عنها أكثر من مرتين . ودام القتال ساعة سقط فيهـا أربعمائة رجل ولم يفقد المدافعون غير خمسة أو ستة رجال . وقضى كليف ليلة عصيبة كان يتوقع خلالها أن يقوم راجا صاحب بهجمات جديدة ، ولـكن ما انبثق ضوء الفجر حتى لم يعد للمهاجمين أثر ، فلقد فروا تاركين وراءهم سبعة مدافع وكمية كبيرة من الذخائر . وهكذا رفع الحصار عن أركوت .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النصر

ووصلت هذه البشرى الى قلعة سان جورج فعمّ السرور والابتهاج ، وأصبح كليف في أعين مواطنيه وجنوده قائداً موفقاً ، فأرسلت اليه حكومة مدراس مائتي جندي انجليزي وسبعمائة جندي هندي لتعزيز قواته . فلما وصلت كليف هذه الامدادات تحول بها من الدفاع الى الهجوم فزحف بقواته على قلعة تيمري واستولى عليها ، وهناك اتصل بجزء من قوات موراري راو فضمها تحت لوائه وسار بهذه الجيوش لمهاجمة راجا صاحب الذي كان على رأس خمسة آلاف رجل بينهم ثلثمائة فرنسي فدارت بين الفريقين معركة حامية نال فيها كليف نصراً حاسماً استولى به على خزانة راجا صاحب، وانضم اليه على أثره ستمائة هندي من جنود الراجا واستسلمت له كونجفرام دون أن يطلق رصاصة واحدة،وكذلك انضم اليه حاكم «أرنيه» بعد أن ترك جانب شندا صاحب وأقرّ بولاية محمد علي.

ولو كان الأمر بيد كليف وحده لسار به الى نهاية طيبةوسريعة ولكن الحذر والضعف اللذين كانت حكومة مدراس تبديهما في قراراتها وأوامرها، كل هذا أطال أجل الصراع دون أن تكون هناك ضرورة لذلك ، فاستطاع راجا صاحب خلال فترة التردد هذه أن يجمع شمله وان يسير على رأس جيش قوي بينه أربعمائة جندي فرنسي الى قلعة سان جورج، فلما صار في ضواحيها اعتدى على مساكن موظفي الشركة الانجليز وخربها ولكن كليف سارع اليه واستطاع أن يحيط بجنده ويهزمهم هزيمة منكرة قتل فيها فيمن قتل مائة جندي فرنسي وكان هذا خسارة كبرى . تعادل خسارة بضعة آلاف من الوطنيين . وحينئذٍ اتجه كليف ببصره نحو قلعة سان دافيد .

سار كليف وقد قويت روحه المعنوية كثيراً الى قلعة سان دافيد ومرّ وهو في طريقه اليها بمدينة دوبليه الفاتح والنصب التذكاري المقام بها وأمر بتدمير المدينة والنصب تدميراً شاملاً . ولم يصدر في ذلك الأمر عن غيرة شخصية ، ولكنه صدر عن رغبة ملحة لازالة العقيدة التي تتركها في نفوس الأهالي اقامتها . وليبدد ذلك المظهر الرائع الذي كانت تلك الآثار تضفيه على الفرنسيين حتى تسرّب الى نفوسهم الاعتقاد بأن فرنسا لا تقهر ،وأنها هي الدولة الأوربية الأولى التي لا يمكن للانجليز مقاومة سياستها .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقررت حكومة مدراس أن تمد كليف، وقد تهيأ له كل هذا النصر، بفرق قوية لانقاذ حامية قلعة تريشنوبولي . وما تمّ اعداد الحملة حتى كان الميجور لورانس قد وصل من انجلترا وتقرر أن يتولى القيادة العامة . وكان المتوقع في مثل هذه الظروف أن يتحكم الغرور في نفس كليف بعد كل ما تهيأ له من نصر رائع في العمليات الحربية التي قام بها أو تثور فيه نزعاته القديمة التي ظهرت فيه طفلاً وصبيًّا من العناد والمكابرة والمشاكسة فيرفض العمل تحت قيادة الميجور لورنس. ولكن المدهش حقًّا والذي يدل على علوّ نفس كليف، أنه خضع لقيادته . فلم يبد أي تراخٍ في أداء واجباته بل كان مخلصاً كل الإخلاص مطيعاً نشطاً .

ولم يكن لدى الفرنسيين قائد يستطيع أن يقف أمام الصديقين، إذ أن شهرة دوبليه كانت قائمة على أساس أنه سياسي داهية ساهم بنصيب كبير في تلك المؤامرات والمفاوضات التي تمت حينذاك في بلاد الهند . أما دوبليه المحارب فلم يكن ليستطيع أن يقود جيشاً أو يخوض معركة فلم يكن جنديًّا يوماً ما ولم تكن به رغبة ليصبح كذلك حتى لقد اتهمه أعداؤه بالجبن . ولكي يدحض هذا الاتهام حكي عنه أنه في خلال إحدى المعارك سارع الى قنبلة ملقاة على الأرض عقب إشعالها ولكنه بلغها متأخراً . فلما انفجرت كسته بطبقة من التراب فالتفت الى جنوده قائلاً (ها أنتم ترون يا أبنائي أنها لاتضر) . ويرى النقاد الحربيون أنه لم يكن قائداً بل كان كل ما يصلح له إنما هو وضع الخطط الحربية . ولقد دفع دوبليه عن نفسه تهمة الجبن بقوله إنه يفضل الابتعاد عن مواطن الضرب، لأن الهدوء والسكينة تخلقان الجو المناسب له ، والذي يستطيع فيه أن يضع خططاً محكمة تجيء متى نفذت بدقة ، بنتائج طيبة . ولكنه كان دائم الشكوى من أنه لم يكن لديه ضباط يحسنون تنفيذ خططه بإحكام . ذلك بعد أن تركه «بلسي» ولحق ببلاط النظام وبقي في خدمته يرعى مصالحه الشخصية ويخدم وطنه عن طريق السياسة ، وان من بقي لديه من ضباط إنما كانوا شباناً يجهلون شئون الحرب ولم يكن بينهم من كان متصفاً بأية مهارة أو حذق .

وانتصر الانجليز في كل مكان فبعد أن كانوا محاصرين في قلعة تريشنوبولي أصبحوا هم يحاصرون أعداءهم ويكرهونهم على الاستسلام . ووقع شندا صاحب أسيراً في أيدي المهراتا وأعدم . ويقال إن هذا الإعدام تمّ بناء على طلب محمد علي . وبهذا تمّ انهيار سياسة دوبليه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وغضبت عليه ادارة الشركة الفرنسية في باريس فكفت عن مده بالعون والتشجيع . ورغم هذه الصعوبات ، فان دوبليه لم يتطرق اليأس الى نفسه، ولم تثبط همته ، ولا نضبت موارده . فواصل مقاومة الانجليز بالطريقة التي يتقنها ، طريقة الدس والمؤامرات وبذل المال بالرشوة والاسراف في الوعود الخلابة، حتى نفذت ثروته بل اضطر الى الاستدانة . كل ذلك في سبيل إثارة أعداء جدد على حكومة مدراس . واستطاع أن يجد أعواناً له ولكنه رغم هذا كله قد ذهبت جهوده أدراج الرياح لأن قوة بريطانيا في الهند كانت قد أخذت في النماء على عكس ما حدث لقوة فرنسا التي بدأت تنهار وكان انهيارها سريعاً .

ولم تكن صحة كليف منذ أن نزل أرض الهند طيبة يوماً ما ، ولكنها بلغت من السوء ما حمله على أن يصمم على العودة الى انجلترا . وساقت إليه الظروف عملاً وحتمت عليه أن يؤديه قبل رحيله وكان هذا العمل الذي وكل إليه به ، هو حملة مجهدة زادت متاعبه وآلامه . ولكنه قام بها بكل نشاط ومهارة . ذلك أن قلعتي كوفلونج وشنجلبت كانتا في أيدي الفرنسيين ورأي الانجليز أن يقوموا باحتلالها ووضعت الخطة لإتمام هذا الاحتلال. ورأى ولاة الأمور أن خير ضابط يمكن اسناد رئاسة الحملة إليه هو كليف ، وكان قوامها خمسمائة هندي حديثي عهد بالتدريب العسكري ومائتي إنجليزي جدد استطاعت الشركة أن تجمعهم من سكان أحط أحياء مدينة لندن، وكانوا يتصفون بسوء السلوك وفساد الأخلاق . ولم يكونوا على شيء من الروح المعنوية . ورغم هذه الظروف جميعاً تولى كليف قيادة هذه الحملة وهو مريض وضعيف وسار بالحملة الى كوفلونج الى أن صار تحت أسوارها . وما أن أطلقت منها رصاصة على جنوده وصادفت مقتلاً من أحد هؤلاء الجنود وهوى صريعاً بين زملائه حتى راعهم الأمر وولوا الأدبار. وقاسى كليف الأمرّين في سبيل إعادة الطمأنينة الى نفوس الجند وحملهم على الثبات في القتال ومجابهة الخطر ، وكان يضرب لهم المثل الطيب بوقوفه بينهم وفي الصف الأول من صفوفهم حتى استطاع أن يجعل من تلك القوى المنحلة قوة واحدة متماسكة وقوية، استطاعت أن تفتتح كوفلونج . وعلم كليف إذ ذاك أن حملة قوية قد أرسلت من شنجلبت لانقاذ كوفلونج . فأعدَّ لها كميناً في الطريق وقع فيه الفرنسيون القادمون ومات منهم مائة رجل وأسر ثلثمائة وفرَّ الباقون، وأخذ يتعقب كليف هؤلاء الفارين حتى أبواب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هنجلبت وكانت من كبريات المدن المحصنة بالهند وحاصرها حتى استسلم له قائدها .

وعاد كليف الى مدراس منتصراً ولـكن حالته الصحية كانت قد ساءت الى حدٍّ كبـير وزاد في ضعف صحته ذلك الإجهاد الـكبير الذي عاناه في حملته الأخيرة فـكان لا بدّ له لا سيما وقد تزوّج ، من أن يعود الى انجلترا بصحبة عروسه التي كانت من عائلة كبيرة وكانت هذه العروس فتاة رشيقة ومتعلمة ومخلصة وهبته كل قلبها .

العودة الى الوطن

وأبحر كليف عقب الزواج مباشرةً ومعه عروسه ووصل انجلترا فاستقبلته البلاد رغم أنه كان في السابعـة والعشرين من عمـره إستقبال الغزاة الفاتحين ، لأنهـا كانت ترى فيه أحد قوادها المبرزين . ذلك لأن أوربا كانت في تلك الآونة تتمتع بالسلام فلم تكن هناك حرب إلاّ في أقليم الـكرنات في الهنـد بين الانجليز والفرنسيين ، وكانت أعمال دوبليه تثير قلقاً كبيراً في لنـدن وكان لـكليف الفضل الأكبر في إزالة هذا القلق بشجاعته وكفاءته اللتين أبداها في الانتصار على الحاكم الفرنسي . وأطلقت عليه الشركة لقب الجنرال كليف . وبهذا اللقب نودي في جميع الإحتفالات التي أقيمت له . وقدمت له هدايا ثمينة كان بينها سيف مرصع بالجواهر ، ولـكنه رفض قبوله ما لم يمنح الميجور لورنس مثيلاً له . وكان هذا اعترافاً منه بفضل صديقه ورئيسه ووفاء منه له ، ولم يقتصر تكريم كليف على الشركة ، بل كان تكريمه عامًّا ساهمت فيه الهيئات والأفراد .

وكذلك أحسنت أسرة كليف استقباله والترحيب به بعد إذ أبهجها نجاحه وسرها ما نال من توفيق وعجبت كيف أصبح روبرت الخامل في صباه ، رجلاً عظيماً في شبابه بل إن والده كان لا يؤمل قطعاً في أن يبلغ روبرت أي نجاح أو يصل الى أي نبوغ حتى علم أنباء دفاع كليف عن أركوت ، حينئذٍ قال إن أمله في ولده بدء يبعث من جديد . وما زال تقدير مستر ريتشارد لولده يزداد عقب كل نجاح يحرزه ، حتى تمكن من فؤاده حبه وتقديره ، بل وأصبح يفخر بذلك الابن .

وأصاب روبرت كليف بعض المال قبل عودته الى أرض الوطن وزاد نصيبه مما منحته اياه ادارة الشركة في لندن ولم يكن أنانيًّـا ولا جشعاً كما انه لم يكن ابناً عاقًّـا فسدد ديون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أبيه كلها وعمل على اصلاح مركزه المالي اصلاحاً شاملاً وشمل مزرعته بعنايته فتولاها بالاصلاح والرعاية والتجديد حتى عاد لها بهاؤها ورونقها وشبابها وزاد انتاجها وتضاعفت خيراتها . وحتى أمكن الى أن يطمئن الاب أن يعيش مما تغله من خير كثير في أمان . وكما كان باراً بأبيه كان باراً بنفسه فأخذ يصرف عن سعة وعاش مدى عامين في انجلترا عيشة بذخ وترف أتت على ما كان قد بقي لديه .

وحينئذٍ فكر في العودة الى بلاد الهند وكما كانت الحكومة تفكر في اعادته الى تلك البلاد كذلك كانت الشركة ترى ضرورة ارساله اليها حيث كانت الحال تستدعي وجوده هناك واستغلال مواهبه وكفاءته وخدماته، إذ انه رغماً من وقوف الحرب بين الانجليز والفرنسيين في مقاطعة الكرنات بعقد معاهدة كانت في صالح الانجليز أعقبها عزل دوبليه وعودته الى فرنسا — بعد اذ فقد ثروته التي كان قد قضى زمناً طويلاً في جمعها وفقد أمله في تكوين إمبراطورية فرنسية في الهند—حيث مات حزيناً . فان الدلائل كلها كانت تنذر بوقوع حرب طويلة بين الفرنسيين والبريطانيين وكان لا بد من ارسال قائد ماهر الى ممتلكات الشركة الانجليزية بالهند فتقرر تعيين روبرت كليف حاكماً لقلعة سان دافيد ومنحه الملك رتبة لفتننت كولونيل في الجيش البريطاني . وهكذا اجتمعت في هذا التعيين رغبات ثلاث . رغبة الحكومة ورغبة الشركة ورغبته الشخصية . فأبحر الى اقليم الكرنات في عام ١٧٥٥ .

في اقليم البنغال

وكان أول عمل حربي قام به كليف بعد عودته الى الشرق هو الاستيلاء على معقل القرصان (انجيريا) في (غريا) الحصينة والمقامة على شبه جزيرة صخرية يحيط بها الماء من معظم جهاتها . وتعاون معه في هذا العمل الاميرال وطسن بأسطوله واستطاع بهذا التعاون الاستيلاء على الحصن وعلى جميع ما كان به من مال بلغت قيمته مئة وخمسون الفاً من الجنيهات تقاسمها الغزاة .

وعاد كليف الى مقر عمله في قلعة سان دافيد ولم يمض على مقامه بها أكثر من شهرين حتى بلغه نبأ أثار حيويته ونشاطه الذهني .

وكان هذا النبأ يتعلق باقليم البنغال الذي كان يمتاز بوفرة حاصلاته وجمال مناظره وخصب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أراضيه ، فضلاً عن وداعة أهله ورقتهم ، وحبهم الدائم للسلم، ولباقتهم في الحديث . وكانت الشركات التجارية الأوربية قد انشأت لها فروعاً بين ظهراني أهل الاقليم. فالفرنسيون استقروا في شندر ناجور، والهولنديون في شينصورا، والانجليز في منطقة قريبة من البحر أنشأوا فيها قلعة وليام لتحمي كنيستهم ومخازنهم ومنازل كبار موظفيهم القريبة منها والممتدة على شاطىء نهر الكنج . وعلى كثب منها قامت قرية وطنية كثيرة السكان كبيرة الحركة كان يقيم بها بعض كبار التجار الوطنيين . وكان هذا الجزء من الاقليم الذي اختاره الانجليز لمقامهم أهم أجزاء اقليم البنغال لقربه من البحر ولوفرة حاصلاته ما كان منها ينمو على سطح الأرض وما يعيش منها تحت سطح الماء .

وكان اقليم البنغال وأوريسا وبيهار خاضعاً لحكم علي واردي خان الذي كان يتبع امبراطور المغول اسمياً ، ولكنه كان يتمتع في حدود مملكته بكل سلطات النفوذ الواسع وكان منشأ علي وردي خان هذا انه كان خادماً في اقليم بيهار واستطاع أن يستغل الظروف الواحد تلو الآخر ، حتى أصبح نواباً لتلك المقاطعة ثم استغل أيضاً فرصة اكتساح نادر شاه لبلاد المغول في عام ١٧٣٩ فقام بثورة على الأسرة التي كانت تحكم اقليم البنغال كله باسم ملك المغول وقَتَلَ في معركة غريا في يناير سنة ١٧٤١ – رأس هذه العائلة وحلّ محله على العرش. وفي العام التالي استطاع أن يقدم الى الامبراطور كثيراً من الهدايا فوافق جلالته على تعيينه نائباً له في اقليم البنغال وأوريسا وبيهار ولم يكن علي وردي خان في حاجة الى هذه الموافقة إلاّ ليكتسب صفة شرعية في حكم البلاد .

ومات في عام ١٧٥٦ وورث عنه ملكه حفيده الشاب سراج الدولة الذي يحكى عنه أنه ولد بغير عاطفة ، فقد كان في طفولته يتلهى بتعذيب الحيوانات الصغيرة لا سيما الطيور وكان كلما تقدمت به السن نحو الشباب ازداد قسوة ووحشية نحو الحيوان بل ونحو اخوانه في الانسانية وأصبح يحلو له أن يشهد الناس يتألمون ويبهجه عذابهم . وكان سكيراً مدمناً أتت الخمر على ما كان قد بقي من عقله الذي ولد به . ولي الحكم في العشرين من عمره وكان مستبداً بطيء الفهم يرضيه ما تبذله له حاشيته من ألفاظ منمقة ، وما تتملقه به من مديح وإطراء .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولقد كان سراج الدولة يمقت الانجليز منذ طفولته ويكرههم بغير ما سبب ويستحل سلب أموالهم ، والآن وقد آل اليه الأمر فقد تلمس سبباً لاعلان الحرب عليهم ووجد هذا السبب في قيامهم بتحصين قلعة وليم وكان سر هذا التحصين هو ان الانجليز كانوا يتوقعون نشوب حرب مع الفرنسيين وساء سراج الدولة أن يلجأ الانجليز الى هذا التحصين دون أن يحصلوا على اذن منه بذلك . وثمة سبب آخر تذرع به سراج الدولة لحربه مع الانجليز، ذلك أنهم آووا في كلكتا ثرياً من أثرياء الهند كان قد بلغ من الثراء مبلغاً يستبيح فيه أمير الاقليم عادةً قتل أمثاله وسلبهم أموالهم وكان هذا الثري قد عين حاكماً على دكا في الوظيفة التي خلت بقتل حاكم تلك المدينة والاستيلاء على أمواله . فلما رأى ذلك الثري المصير الذي ينتظره تظاهر باعتزام الحج . وجمع أمواله كلها وأرسلها الى ولده في كلكتا ، ثم لحق به الى هناك . فلم يقبل الانجليز تسليم اللاجىء الى طالبه . ورأى سراج الدولة في هذين السببين مبرراً كافياً للقيام بحملة ضد الانجليز فسار إليهم على رأس جيش كبير .

وكان الانجليز في أقليم البنغال غير إخوانهم في منطقة مدراس فهؤلاء أصبحوا رجال سياسة وحرب بفضل احتكاكهم بدوبليه ، أما أولئك فلم يعدوا كونهم رجال تجارة فحسب، فان وكيل الشركة نفسه لما علم بمقدم سراج الدولة إليه ، وكان يعلم قبلاً مبلغ قسوته . إنتابته الحيرة والارتباك ، فلم يدر ما هو صانع حيال ذلك الخطر الداهم ، وأخيراً إهتدى إلى وجوب الإلتجاء إلى إحدى السفن الانجليزية الراسية في الميناء . وكذلك حذا حذوه قائد حامية قلعة وليم . وقنع الاثنان بالأمان في مخبئهما ، ولم يقوما بأية محاولة لإنقاذ باقي رفقائهما الذين كان من الممكن جداً إيواؤهم في تلك القوارب التي كانت تملأ مجرى النهر ولقد سجل التاريخ عليهما هذه المعرّة إذ لم يروا شبيهاً لها في تاريخ الامبراطورية البريطانية على وجهٍ خاص .

وبعد مقاومة هزيلة استولى سراج الدولة على القلعة وأسر من وجدهم فيها من الانجليز، حتى إذا استتبّ له الأمر جلس في قاعة الشركة الكبرى . وأمر فأحضر بين يديه مستر هولويل الذي كان أهم رجل بين الأسرى ، وتحدّث إليه عن مبلغ إساءة الانجليز إليه واعتدائهم عليه . وأبدى له استياءه من قلة ما وجد من المال إلاّ أنه وعد بإطلاق سراح أسراه من الانجليز . ثم أمر رؤساء جنوده بالمحافظة على هؤلاء الأسرى وآوى إلى مضجعه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غرفة الموت

وفي تلك الليلة حدثت الجريمة التاريخية الكبرى التي امتازت بالوحشية والأعمال الانتقامية التي قام بها الانجليز عقب ذلك ، فان الاسرى الانجليز حشروا حشراً في غرفة ضيقة سيئة التهوية لا تزيد مساحتها عن ٢٠ قدماً مربعة . أما الذين سجنوا فيها فقد كان عددهم مائة وستة وأربعين رجلاً . فلم يستطع أحدهم أن ينحني أو يجلس ، وقد كان منهم المسن والضعيف . وكان الجو في تلك الليلة خانقاً خارج الغرفة الجهنمية فما بالك به في داخلها. وذهبت محاولات أولئك الأسرى للافراج عنهم سدى وتوسلاتهم أدراج الرياح ، وأغلق الباب عليهم ، وظلوا فيها طول ليلهم ، فاستبد بهم العطش والتعب ، يطلبون الرحمة فيقابلهم الحراس المطلون عليهم من كوى بأعلا الجدار بضحكات السخرية والاستهزاء وحاولوا بعامل اليأس تحطيم الباب ولكن الباب كان متيناً . وحاول هولويل رشوة الحراس ولكنهم قالوا إن الأمر كله بيد سراج الدولة ، وعظمته نائم لا يمكن إيقاظه بل إنه من الخطورة بمكان أن يحاول أحد إيقاظه . وأخذ الأسرى وقد ذهب برشادهم اليأس يتزاحمون في محبسهم ويدوس بعضهم بعضاً في تدافعهم نحو منافذ الهواء الضيقة ليطلبوا شربة ماء ، فلا يقابلوا إلا بالاستخفاف والامتهان . وأخيراً لجأوا إلى أن يطلبوا من الموكلين بهم إطلاق النار عليهم لإراحتهم من عذابهم الذي كانوا يقاسونه ولكن كان نصيب طلبهم هذا الإهمال . وتقدم الليل وتقدموا هم إلى الفناء فقلت المحاولات ، وضعفت القوى ، وخفضت التنهدات وانعدم البكاء ، حتى إذا انبلج الصبح واستيقظ صاحب العظمة وأمر باطلاق سراح السجناء لم يبق من يطلق سراحه إلا عشرون هيكلاً بشرياً . وأخذ الحراس يزيحون أجسام القتلى يميناً ويساراً ليفسحوا ممراً بين الجثث لتلك الهياكل المتمايلة تخرج منه الى الهواء متساندة من الضعف والخور مغادرة غرفة الموت . وحفرت حفرة واحدة جمعت فيها بقايا الهالكين وهيل عليهم التراب .

ولم تأخذ سراج الدولة رحمة بمن ماتوا ، ولا رأفة بمن بقوا ، بل أمر فأوتي بهم إليه وهددهم بشتى أنواع التنكيل إذا هم لم يبوحوا له بسر مكان خزائن الشركة . ثم سيرهم في شوارع المدينة زيادة في التشهير بهم، ولكن ذلك كله لم يفده شيئاً. وأخيراً نفى منهم لا لانه

رأى أن العفو أصلح ، ولـكن لأن بعض قريباته توسطت لديه في شأنهم بعد ما متمته من الانجليزية الوحيدة التي قدّر لها أن تعيش بعد ما شاهدته في تلك الليلة الليلاء في غرفة الموت ثم ضمت الى حريم عظمته .

تجربة كليف

وأرسل سراج الدولة الى جلالة الامبراطور في دلهي ينبئه بما فعل بالانجليز وغادر كلـكتا بعد أن غير إسمها الى «ميناء الله» وبعد أن أبقى بقلعة وليم حامية هندية. وفي ١٦ أغسطس من ذلك العام وصلت الى مدراس أنباء سقوط كلـكتا ، فأثارت حقد الانجليز وأخذوا ينادون بوجوب الأخذ بالثأر والانتقـام . واجتمع الرأي على تجريد حملة إلى أقليم الهوجلي تحت قيادة كليف وأن تصحب الحملة قوات بحرية تساهم معها في العمليات الحربية المنتظرة . وأن يتولى أمرها الأميرال وطسن ، وفي ١٦ اكتوبر أبحرت الحملة وكان قوامها تسعمائة جندي انجليزي من خيرة الجنود، وألف وخمسمائة جندي من الهنود المدربين تدريباً عصريًّـا. ولم تصل هذه القوات إلى أقليم البنغال إلاّ في شهر ديسمبر من نفس السنة ذلك، لأن الرياح لم تكن مواتية . وحينما نزل الجنود إلى البر في أقليم الهوجلي وبلغت أنباؤها مسامع الأمير وهو في مرشد آباد استهان بأمرهم إذ لم تكن لديه أية فكرة عن الجيوش الأوروبية ونظامها ورغم هذه الاستهانة فقد أمر بجمع قواته كلهـا في مرشد آباد حتى إذا تمّ له ذلك زحف بهذه القوات صوب كلـكتا . واستولى كليف على بدجبدج وطرد أتباع سراج الدولة من قلعة وليم واستعاد كلـكتا وفتح أقليم الهوجلي جميعه،وراع الأمير ما بلغه عن قوة الانجليز وما رآه من سرعتهم في الفتح والاستعمار ، فعرض الصلح على الغزاة على أساس أن يستردوا ما كان قد أخذه منهم وأن يدفع لهم تعويضاً عما لحق بهم من خسائر .

وداخل كليف الشـك في عروض الأمير سراج الدولة ولـكنه كرجل حرب رأى أن قواته محدودة فعقد مجلساً حربيًّـا كان بين أعضائه موظفو الشركة الذين كانوا قد هربوا من كلـكتا . وكان كل همهم أن يعودوا إلى وظائفهم وأن يظفروا بتعويض عن الخسـائر التي لحقتهم . وفي ذلك الوقت كانت الحرب قد نشبت في أوربا وخشيت حكومة مدراس احتمال قيام الفرنسيين بهجوم عام عليهم ، وأصابهم من أجل هذا الخاطر قلق عظيم وصارت تنتظر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عودة كليف اليها بفارغ الصبر . ورأى روبرت أن عروض الأمير سخية،وان نتيجة النضال معه غير مأمونة، وانه من الخير أن يصطلح معه مبدياً أسفه ، لأن الظروف لم تتح له نصراً مؤزراً كما يبغي ويشتهي .

بدأ كليف حياته عسكريـًا من الطراز الأول،ولـكنه أضاف الى هذه الصفة منذ تلك المفاوضات التي دارت بينه والأمير صفة السياسي ، بل غلبت هذه الصفة على صفته الأولى، ونال في ميدان السياسة من النجاح ما فاق كل نصر أحرزه بصفاته العسكرية قبلاً . الا أن هذا الميدان كان شؤماً عليه،وكان العامل الأول في سبيل هدمه .

ويرى ماكولي أن كليف لم يكن رجلاً سيئاً بطبعه ، بل كان شجاعاً الى حد التهور مخلصاً الى حد الانخداع بالظواهر،مندفعاً في صداقته صريحاً في عداوته . لم يحاول مرة سواء في تلك البلاد النائية عن وطنه ، أو بين مواطنيه أن يخدع أحداً من بني جلدته . وقد كان يرى أن السياسة في بلاد الهند تستدعي منه أن يكون على الصفات التي اتصف بها فيما بعد . فكان يعلم انه سيعامل رجالاً ما يأبهون كثيراً بالمحافظة على الوعود أو العهود ، ولا يحجمون في سبيل تحقيق أغراضهم عن الالتجاء الى الغش والتزوير. ورأى انه من الخرق في الرأي أن يتمسك بالمثل الأخلاقية العليا في محيط من الناس لا يؤمن بها . ولهذا خلع كليف رداء الجندية ، وما كانت تمليه عليه من مبادىء وصفات عادية ، واكتسى ثوباً يتناسب مع عقيدته الجديدة التي زادها تمكناً من نفسه أول تجربة شهدها مع الأمير سراج الدولة.

إذ بينما كانت المفاوضات دائرة بين كليف من جهة وسراج الدولة من جهة أخرى ، وكان يمثل كليف فيها وكيلان أحدهما مستر وطسن الموظف بفرع الشركة في اقليم البنغال،وثانيهما أحد البنغاليين واسمه أوميشند ، وكان أوميشند هذا تاجراً ثريـًا من أثرياء كلكتا ، وضاعت ثروته كلها خلال حملة سراج الدولة على كلـكتا وكان يؤمل الحصول على تعويض طيب من وراء هذه المفاوضات الدائرة، وكان ذا تأثير كبير في مواطنيه،كما كان على قدر كبير من صفات الهندوس،ومنها قوة الملاحظة،وسرعة البديهة والذكاء ، وحسن التصرف،وكان يجمع إلى هذه الصفات رذائل الهندوس ، ومنها ضعة النفس والجشع والخيانة ، بينما هذه المفاوضات سائرة في طريقها الطبيعي،اذا بسراج الدولة يحاول القيام بعمل حربي طمعاً في

أن يؤثر ما يسفر عنه في سير المفاوضات، ولكنه رأى في صمود الانجليز وقوة بأسهم ماجعله يكف عن الحرب، ويرضى بشروط كليف للصلح . وما انتهت المعاهدة حتى غير سراج الدولة اتجاهه، وعوّل على مناهضة الانكليز بكل الوسائل، فتآمر مع السلطات الفرنسية في شندر ناجور، وطلب الى باسي أن يسير من الدكن الى الهوجلي ليطرد الانجليز من ذلك الاقليم.
وعلم كليف ووطسن بسر هذه المؤامرة، فعول الرجلان على أن يقوما بضربة قاضية، وان يغزوا شندرناجور ،فسهاقبل أن تصل اليها امدادات جديدة سواء من بوندتشيري أو من فرنسا.
وترأس وطسن القوات البحرية وتولى كليف قيادة الحملة البرية وكان نجاحهما سريعاً ورائعاً فان القلعة ، وحاميتها وقوات المشاة والمدفعية كل هذه استسلمت سريعاً للانجليز وكان بينها عدد من الفرنسيين يقرب من خمسمائة .

مؤامرات

وهكذا ضاعت على سراج الدولة فرصة ضرب الانجليز للفرنسيين وازداد خوفه منهم وكراهيته لهم معاً ، وأخذ يتردد بين مسالمة الانجليز ومظاهرتهم بالعداء ، فبينما كان يرسل بعض المال كجزء من التعويض المفروض عليه الى كلكتا، إذا به في اليوم التالي يبعث الى باسي هدية سنية طالباً اليه أن يسرع لانقاذ البنغال من أيدي كليف ، ويصدر أمره للجيش بالزحف على الانجليز، ثم يعود ثانية الى الغاء هذا الأمر فاذا جاءته رسالة من كليف مزقها وألقى بها في وجه الرسول . وأخيراً يكتب الرد على هذه الرسالة ويتحرى الأدب واللياقة في هذا الرد . ولقد حدث أن طرد مستر وطسن من حضرته، ثم عاد فأمر بادخاله عليه ، واعتذر له عما بدر منه في حقه . وكان سوء أخلاق الأمير وجنونه وسوء سياسته ، وايثاره الدهماء على أوساط الناس وكبارهم ، سبباً في أن ينفر منه هؤلاء سواء كانوا من المسلمين ذوي النخوة والصراحة، أم من الهندوس الماكرين الخنوعين، وأن تجتمع كلمة هؤلاء النافرين على الائتمار به وفي هذا يقول كليف في رسالة له الى مستر بيجوت حاكم مدراس (كانت صفاته سبباً في أن مقته فئة من الرجال الممتازين في الاقليم. ويمكن أن أقول لك أن مؤامرة واسعة النطاق تحاك خيوطها الآن بمهارة بأيدي عظماء المملكة وعلى رأسهم جاجت سيت بنفسه، ولقد طلبت

مني المعاونة واني لمقتنع كل الاقتناع بأنه لن يكون هناك سلام أو أمان حيث يحكم مثل هذا الشيطان، وستسمع قريباً عن ثورة تضع حداً لآمال الفرنسيين في البقاء في هذه البلاد).

وكانت المؤامرة التي أشار اليها كليف في رسالته تشمل راجا دولاب رام وزير المالية ومير جافير القائد العام للجيش وجاجت سيت أغنى ممول في الهند. وكان الانجليز على علم بها كما جاء في رسالة كليف وكان الاتصال مستمراً بين المتآمرين في مرشد اباد والمجلس الانجليزي في كلكتا.

وفي هذا المجلس الذي كان بطيئاً في قراراته، وقف كليف الى جانب المؤتمرين واستطاع أن يتغلب على الآراء المعارضة، وان يحصل على موافقة المجلس على مساعدة أولئك المؤتمرين لخلع سراج الدولة عن عرشه واجلاس مير جافير مكانه وحصل المجلس من مير جافير هذا في نظير العرش المرتقب على وعد بدفع تعويضات مجزية للشركة الانجليزية وموظفيها ولجنود الجيش والبحرية وأعضاء المجلس.

قد يبدو ما لقيه الانجليز على يد سراج الدولة في غزوته الأولى، وما كان محتملاً أن تلقاه تجارتهم من بوار إذا هو ظلَّ على العرش مبرراً لمشاركتهم في التآمر عليه.

ولكن لم يكن هناك ما يبرر اتباع كليف سياسة ذات وجهين مع الرجل؟ كان يكتب لسراج الدولة بعبارات معسولة كانت تنزل السكينة والطمأنينة في قلبه. وفي نفس البريد الذي يحمل تلك الرسالة كان يبعث إلى مستر وطس برسالة يجيء فيها «قل لمير جافير لا تخش شيئاً وإني سأمده بخمسة آلاف مقاتل لا يعرفون التقهقر، وأكد له أني سأسير إليه ليل نهار وسأفنى بجانبه حتى آخر رجل لديَّ».

وكان من المستحيل أن مؤامرة واسعة النطاق كهذه تبقى سراً دفيناً. فقد وصل إلى سراج الدولة ما أثار شكوكه، ولكن أوميشند استطاع بلباقته وكياسته، وسرعة بديهته، أن يهدىء من روع الأمير بما كان يخترعه من حكايات وأقاصيص حتى زالت شكوك سراج الدولة، وأوشكت المؤامرة وقد أجيد حبك أطرافها أن تؤتي أكلها حين علم كليف بأن أوميشند يستطيع أن يبقي على أرواح الكثيرين، أو يقضي عليها لا سيما أرواح واطس ومير جافير وسائر المؤتمرين، ولقد شاء أوميشند أن يستفيد من مركزه الوقتي، وأن يملي إرادته،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فأفصح عن طلباته وحددها بثلثمائة ألف جنيهاً ثمناً لسكوته وعدم إفشاء سر المؤامرة فضلاً عن مساهمته فيها ، وغضب المجلس لهذا الطلب واعتبر اقدام أوميشند عليه خيانة منه لا تغتفر ، وخشي ما قد يؤدي إليه من نتائج وسرت الحيرة في جو المجلس .

ذلك أن أوميشند الذي استطاع أن يكبت عاطفة الكراهية الشديدة التي يكنها لسراج الدولة مغتصب ماله، الذي جعله لا يملك شيئاً البتة بعد أن كان من سراة كلكتا ، وأن يندس في حاشية الأمير حتى أصبح أقرب المقربين اليه بل صار بمثابة الناصح الأمين له ، يؤخذ برأيه ويعمل به ، ووصل إلى ما وصل إليه بدهائه ولباقته وكياسته .

وكان في مركزه الجديد عين المتآمرين الساهرة ، وأذنهم السميعة ، ينقل إلى مركز قيادة القوة المتآمرة في كلكتا كل ما يهمها الوقوف عليه . وكان ينفذ كل ما يصدر إليه من هذه القيادة مستغلاً في ذلك حظوته عند الأمير ، وتقربه منه .

دار في رأس كليف كل هذا في سرعة وأدرك خطورة الموقف ،وشاء أن يخرج من تفكيره السريع بحل يحفظ سرية المؤامرة حتى يتم نجاحها .

وكما كان كليف يفكر كذلك كان أعضاء المجلس يفكرون كلٌ على طريقته الخاصة،فالكل كان يقدر خطورة ذلك الداهية البنغالي . ولهذا استولت على الجميع الحيرة . ولكن كليف تابع أوميشند في تفكيره وشاء أن يخدعه ورأى أن إخداع مثل هذا الرجل جائز . فلا بأس في أن تبذل له الوعود بسخاء ليؤمن جانبه في تلك الآونة الحرجة، حتى إذا تمَّ الأمر، وتحققت المؤامرة يهمل أمره ، ويكون نصيبه الازدراء ، والتنكر له جراء استغلاله لحلفائه في مثل ذلك الموقف .

وشرح كليف ذلك للمجلس فاقتنع بوجاهة الفكرة ، ولكنه لم يجد وسيلة لخداع أوميشند الذي كان يصر على أن تضاف مادة الى المعاهدة المعقودة بين مير جافير والانجليز، وأن يرى بعيني رأسه تلك المادة التي يجب أن تنص على طلباته التي لم تكن تنحصر في الرشوة . بل شاء أن يعطى تعويضاً كبيراً عما لحقه من خسائر من جراء حملة سراج الدولة على كلكتا ، إلا أن كليف لجأ الى طريقة التزوير فأعدَّ وثيقتين إحداها حقيقية ولونها أبيض. وثانيتهما مزيفة ولونها أحمر .وذكر إسم أوميشند والبند الذي طلب إضافته في الوثيقة الحمراء ثم وجدت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بصعوبة أخرى فان الأميرال واطسون لم يشأ أن يوقع الوثيقة الحمراء ، ورأى كليف أن خلو الوثيقة من توقيع الأميرال قد يثير شك أوميشند . وبالتالي قد يؤدي الى إنهيار المؤامرة فلم يتأخر عن تقليد توقيع الأميرال على الورقة الحمراء . ويقول جنج في كتابه عن كليف أن الأميرال وإن امتنع عن التوقيع إلا أنه أباح للمجلس استغلال إسمه بالطريقة التي يراها.

وهكذا تهيأت الظروف للقيام بالعمل الحاسم ، وهرب المستر وطس من مرشد أباد سراً وبدأت قوات كليف تتحرك فكتب الى الأمير بلهجة تختلف كثيراً عما كان يكتب له به قبلاً ، فذكره بأخطائه السابقة مع الانجليز ، ودعاه الى التحكيم فيما بينهما من اختلاف في تقسيم بازار على أن يكون مير جافير حكماً ، وأعلنه أنه نظراً لقرب سقوط الأمطار. ولما كان انتظاره رداً منـه قد يحتاج عدة أيام فانه رأى أن ينتظر هو ورجاله ردّ عظمته على مقربة من مرشد أباد .

معركة بلاسي

لجمع سراج الدولة حالاً جميع قواته ، وسار لملاقاة الانجليز . وكان من خطط المؤامرة أنه عندما تواجه جيوش سراج الدولة جيوش الانجليز ينفصل مير جافير برجاله عنها وينضم بهم الى قوات كليف . فلما جاءت اللحظة الحاسمة تغلّب على مير جافير خوفه ، ونسي أطماعه والوثيقة التي وقع عليها مع حلفائه ، فتردد وطال تردده الى أن استبدت بكليف مخاوفه من النتيجة لغموض الردود التي كان مير جافير يرسلها إليه على استفساراته عن سبب تأخيره .

وكتب كليف من كاتوة الى المجلس في كلكتا بتاريخ ١٩ يونيه يقول : (يعتريني قلق من جراء قلة الأنباء وغموضها ، فاذا لم يكن مير جافير خائناً ، فان بروده أو ضعف قوته قد يكون سبباً في فشل الحملة ، وإنما أحاول الآن محاولة أخيرة للتأثير على مير جافير بوساطة أحد البراهمة لينضم إلينا . ولقـد اخترت بلاسي لتكون ميداناً للمعركة القادمة ، وذكرت له أنه إذا لم يفعل ما طلبت منه أو لم يقدم دليلاً على حسن نيته في الوفاء بوعده ، فاني لن أعبر النهر) .

وهكذا كان كليف في موقف دقيق ، اذ أنه لم يكن لديه ما يحمله على الاطمئنان الى اخلاص حليفه. ومهما يكن من شأن كفاءته العسكرية. أو قدرة ونظام من كانوا تحت إمرته،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فانه مما لا شك فيه أن انضمام قوات مير جافير التي كانت تبلغ في مجموعها عشرين ضعفاً لعدد قواته لم يكن بالأمر الهين . وزاد في حرج مركز كليف أنه كان لا بد له من عبور النهر ليلاقي أعداءه، فاذا قدر له أن ينهزم فقد كان لا بد له من العودة عبر النهر ، وفي ذلك كارثة مؤكدة إذ لا يحتمل أن ينجو من رجاله في هذه الحالة أحد . وهكذا حدث لكليف ما لم يحدث له من قبل، إذ فارقته سرعة بديهته ، وخانته شجاعته ، ازاء المسئولية الخيفة التي قد تترتب على اتخاذ قرار ما . فعقد مجلساً حربيّـا وفي هذا المجلس رأت الأغلبية العدول عن الحرب .ونزل كليف على رأي الأغلبية . ثم استدرك قائلاً انه لم يسبق له عقد مثل هذا المجلس.وانه إذا أخذ بهذا الرأي فانه لن يقدر للبريطانيين أن يسودوا اقليم البنغال يوماً ما . وانفض المجلس،وانفرد كليف بنفسه في ظل شجرة،وقضى ساعة يفكر وأخيراً تنبهت حواسه القديمة وبرزت صفاته التي لازمته طوال حياته ، فقرر ترك كل شيء لظروفه ، وأصدر أوامره بالاستعداد في الحال لعبور النهر في الغد .

وعبر الانجليز النهر وآووا الى خميلة من أشجار المنجو قرب بلاسي ، ولم يكن بينهم وبين أعدائهم سوى مسافة ميل واحد . وقضى كليف ليله ساهراً لا يغمض له جفن يستمع الى قرع طبول جيش سراج الدولة فاستولى عليه الفزع اذ كان يتوقف على تلك المعركة سواء في حالة النصر، أم في حالة الهزيمة ، نتائج على غاية الخطورة ، هذه النتائج التي ستقرر بعد بضع ساعات من بدء المعركة.

ولم يكن سراج الدولة أحسن حالاً من كليف إذ كانت أعصابه مهتاجة ، واستبدت به المخاوف وتمكن منه القلق ، وأخذت تتراقص أمام عينيه أشباح ضحاياه ممن قتلوا في الغرفة السوداء . فانعدمت ثقته في قواده وحاشيته ، حتى أصبح يستشعر الخوف من كل من يتقدم اليه ،أو يقترب منه ، كما كان يخشى الوحدة في نفس الوقت ، ولكنه اضطر الى أن يفضل الوحدة فانفرد بنفسه في خيمته تنتابه الهواجس والأفكار .

وطلع نهار ذلك اليوم الذي تقرر فيه مصير بلاد الهند فبعد شروق الشمس بدأت جنود الأمير تنساب من المعسكر متجهة صوب الانجليز،وكان عددهم أربعين الفاً من المشاة مسلحين بالكرات النارية والحراب والسيوف والقوس والنشاب . فانتشرت هذه القوات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في السهل فلا ته على سمته ، يحميهم خمسون مدفعاً ضخماً يجر كلاً منها بضعة ثيران بيضاء ويدفعه من الخلف فيل هائل . ومدافع أخرى صغيرة ، يشرف عليها جنود فرنسيون كانوا من الوجهة الحربية أكثر أهمية من أولئك المشاة على كثرتهم . أما الفرسان ، وقد بلغ عددهم خمسة عشر الفاً من الرجال الأشداء الذين جيء بهم من المقاطعات الشمالية ، كانوا كما لاحظ كليف يختلفون كثيراً عن أهالي اقليم السكرنات . ولم يكن لديه لصد تلك الجموع والتغلب عليها سوى ثلاثة آلاف رجل منهم ألف جندي انجليزي والألفان الباقيان هنود ، دربوا تدريباً انجليزيا ، ويقودهم ضباط من الانجليز .

وبدأت المعركة . كما يقول كليف « في الساعة السادسة صباحاً بدأوا هجومهم علينا بقذائف مدافعهم الثقيلة ، يصحبها هجوم الجيش برمته . وضغطوا علينا ضغطاً شديداً بضعة ساعات ، وصار موقفنا سيئاً جداً ، إذ كنا محصورين بين الأشجار ، ووراءنا شاطىء طيني . وكان الرد على طلقات مدافعهم بمثلها مستحيلاً لصعوبة حركة مدافعنا ، ولأنهم كانوا يحيطون بنا على شكل نصف دائرة ، فرأينا أن ننتظر قدوم الليل لنقوم بهجوم عام ينقذنا مما كنا فيه ، وبقينا في مراكزنا صامتين . ولكن حدث عند الظهيرة أن انسحب العدو من الميدان ، وآوى الى معسكراته » . واكتفى سراج الدولة بأن أمر المدفعية باطلاق النار على الانجليز ، ولم يكن الاطلاق محكماً فكانت القذائف تسقط بعيداً عن أهدافها وأجابت مدفعية الانجليز بالمثل ، ولكن قذائفهم سقطت وسط معسكر الأمير فقتلت كثيراً من ضباطه ، وعمت الفوضى وانتشر الذعر . وكان الأمير أكثر من سواه ذعراً ورعباً ، لاسيما بعد أن سقط المطر وأصاب ذخائره بالتلف . وبعد أن مات مير مادان أشد قواد الأمير اخلاصاً له . فلما تقدم راجا دولاب رام وأسر اليه بالتقهقر . وكانت هذه النصيحة لحليفه جزءاً من المؤامرة المتفق عليها ، كان سراج الدولة كأنما ينتظر من يدلي اليه بمثل هذه النصيحة فأمر بتنفيذها فوراً . وكان هذا التنفيذ سبباً فيما حل به بعد ذلك من كوارث متعاقبة . فان كليف انتهز الفرصة وأمر جنوده بالتقدم في الحال ، وساعد على نجاح هذا التقدم ان جنود سراج الدولة لم تكن عندهم رغبة في القتال ، ولا كان النظام سائداً بينهم . وهكذا انتصر جيش كليف على قلة عدده على جيوش الأمير . وكانت الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم ، ولم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يصمد في الميدان سوى الجنود الفرنسيون الذين ظلوا يقاومون حتى الساعة الخامسة مساء. وأخيراً هربوا فيمن هرب . وهكذا لم يجد الانجليز أمامهم سوى العتاد الحربي من المؤن والذخائر التي تركتها قوات الأمير في هربها . فلم يخسر كليف غير اثنين وعشرين قتيلاً وخمسين جريحاً دفعها ثمناً لامبراطورية غنمها لبلاده في تلك المعركة .

لم يقدم ميرجافير أية مساعدة للانجليز خلال المعركة ، ولما رأى أن النصر حليفهم وأن الواقعة تنتهي سريعاً على هذا النحو انسحب بالجيش الذي كان تحت امرته من الميدان. وأرسل تهانئه الى حليفه . وفي الصباح ذهب الى معسكر الانجليز على ظهر فيل وهو يتوقع استقبالاً رائعاً . ولكن الذي حدث أن الحرّاس حين رأوه ورفعوا أسلحتهم لتحيته ، ظن أنهم يريدون به شرّاً وشاء أن ينسحب . ولكنه رأى كليف نفسه يتقدم لمصافحته فترجل عن فيله ، وعانق كلا الرجلين الآخر ، وحيّاه كليف بقوله « يشرفني أن أستقبل في معسكري حضرة صاحب العظمة أمير البنغال وبهار وأوريسا » . فارتاحت نفسه واطمأن وأثلج صدره ، لا سيما بعد ان طلب منه كليف أن يسير توّاً الى مرشد أباد ويباشر سلطته هناك » .

وكان سراج الدولة بعد أن هرب من ميدان القتال قد أسرع في العودة الى مرشد أباد على ظهر جمل سريع ، فوصلها بعد أربع وعشرين ساعة ، وجمع حوله مستشاريه يتدبر معهم الأمر ، فأشار عليه أكثرهم حكمة بأن يسلم نفسه للانجليز الذين لن يفعلوا به أكثر من أن يخلعوه من عرشه ، أو يسجنوه ، فثار لهذه المشورة واتهم المشيرين بالخيانة ، وأشار عليه غيرهم بمواصلة الحرب مع الانجليز ، ورأى هو وجاهة هذا الرأي ، فأصدر أوامره بالاستعداد للحرب ، ولكن قواه المعنوية كانت قد انهارت ، وقضى على ما بقي منها سماعه نبأ وصول ميرجافير على رأس جيشه ، فزاد ذعره ، ولم يعد يحتمل تلك الانفعالات النفسية التي أخذت تنتابه ، فارتدى ثياباً رثة ، وحمل معه كيساً مملوءاً بالجواهر ، واتخذ من الليل ستاراً ، وتدلى من نوافذ قصره ، وصحبه تابعان ونزل ثلاثتهم الى قارب كان ينتظرهم في النهر وركبوه الى مدينة باتنا .

وفي يوم ٢٩ يونيه وصل كليف إلى مرشد أباد على رأس مئتي جندي انجليزي وثلثمائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هندي، ونزل في قصر كان قد أعدّه له مير جافير من قبل، وعسكر جنوده في حدائق القصر .
وأعدّ الاحتفال بتولية مير جافير على عرش البنغال على عجل ، وقاد كليف الأمير الجديد الى
(المسند) وأجلسه عليه وأهداه هدية ذهبية ، كانت العادة في الهند قد جرت على أن
يقدمها الى الأمير يوم توليته ذوو الحيثية في الأقليم . ثم التفت الى الجماهير التي ملأت جوانب
القاعة ، وهنأهم بتلك الفرصة الطيبة التي مكنتهم من التخلص من الحاكم الظالم سراج الدولة

والآن وقد تمّ لكليف وحلفائه ، تنفيذ خطتهم ، وقد بقيت خطوة لا تقل أهمية عما
سبقها من خطوات ، وهي خطوة اقتسام الغنائم ، وتدبير أمر المملكة الجديدة ، وعقد
المؤتمر الذي كان عليه أن يبت في هذه الأمور في منزل جاجيت سيت الممول العظيم ، وحضر
هذا الاجتماع كل من دعوا اليه . وكان كل منهم مطمئناً الى تحقيق رغائبه ، لا سيما وقد
سبق أن اتفق على قرارات هذا المجلس مقدماً . وكان أكثر هؤلاء الاعضاء ثقة واطمئناناً
هو أوميشند . وذلك لما كان يلقاه من كليف من مجاملة وعطف . فقد كان هذا يسرف في
احتفائه به خداعاً ومداراة ، حتى تمّ له الفوز والانتصار . وكان أول عمل يجب اجراؤه
هو قراءة الوثيقة التي كانت قد أبرمت في كلكتا ، فأخرج مستر سيكرفتون الموظف
بالشركة الانجليزية الوثيقة البيضاء اتلاوتها، وحينئذٍ مال كليف على أذن مستر سيكرفتون
قائلاً بالانجليزية « جابه أوميشند بالحقيقة » فتحول سكرفتون الى أوميشند وقال له باللغة
الهندستانية (ان الوثيقة الحمراء كانت خدعة يا أوميشند . وليس لك أن تؤمل شيئاً) .
فهوى أوميشند بين أتباعه فاقد الحس والشعور . ثم أفاق فيما بعد ، وقد اضمحلت قواه
العقلية الى حدٍّ كبير وما زالت تضمحل حتى جنّ الرجل . وقابله كليف يوماً ما في طريقه
فتأثر بما رآه منه ، وأشار عليه بأن يحج الى الأماكن المقدسة في الهند لعله يسترد صحته
وقواه ووعده اذا ما تمّ له ذلك بتعيينه في أحد مناصب الدولة الكبرى . ولكن أوميشند
لم يعش غير بضعة أشهر كان خلالها يأتي أفعالاً مضحكة تثير الشفقة في أقسى القلوب وبعد
ذلك مات .

ولم يكن أوميشند الضحية الوحيدة ، للثورة فان سراج الدولة كان الضحية الثانية .
فقد حدث أنه وقع أسيراً في يد مير جافير عقب هربه بأيام قلائل ، فأتى بنفسه على الأرض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مذعوراً بين قدمي ميرجافير مسترحماً ، مستغيثاً ، وهو الذي ما كان للرحمة في قلبه مكان وكاد مير جافير يرحم أسيره ، لولا تدخل ابنه ميران الذي كان شاباً في السابعة عشرة من عمره ، وكان قد نشأ على غرار سراج الدولة . وكان يتصف بكثير من صفاته ، فطلب من أبيه أن يكل اليه أمر الأسير ، وأجابه الأمير الجديد الى طلبه ، فقيد سراج الدولة الى غرفة سرية ، حيث وافاه اليها زبانية الموت والعذاب وعلى رأسهم ميران .

الثروة

ومن ثمّ بدأت الثروة تنهال على الشركة وموظفيها وكانت أول رسالة أرسلت إلى قلعة وليم عبارة عن مبلغ ثمانمائة ألف جنيه كلها من العملة الفضية وكان الاسطول الذي حمل هذه الرسالة مكوناً من مائة مركب ترفرف عليها الاعلام، وتصدح فوق ظهورها الموسيقى، كأنما هي موكب النصر، وكان هذا المال سبباً في بعث الحركة والنشاط في مدينة كلكتا بعد أن كانت مهجورة قبل انتصار كليف ، وانتعشت التجارة في تلك المستعمرة الانجليزية من اقليم البنغال . وظهرت آثار النعيم والترف على كل بيت انجليزي . أما كليف نفسه فقد خصه من هذا المال مبلغ يتراوح بين مئتي وثلثمائة ألف جنيه ، ولو شاء زيادة عن ذلك لنال فلم يكن هناك ما يحول بينه وبين تحقيق أية رغبة يبديها في هذا الشأن . وتوالت الهدايا والهبات من حكومة ميرجافير على الانجليز الذين كانوا كأنما عثروا على كنوز كانت مخبوءة من قبل .

ولقد أصبحت تلك العلاقات التي قامت بين ميرجافير وكليف موضوع اتهامات أثيرت في مجلس العموم البريطاني. ووجهت فيها الى كليف تهمة الرشوة واستغلال المركز الذي صار فيه ، والسرقة باكراه من حليف ضعيف ، على أنه من انصاف الرجل أن نقول إنه لم يكن موظفاً رسمياً يفرض مشيئته على الناس ، بل كان موظفاً في شركة تجارية ، وان الهدايا التي قدمت اليه كانت تجيزها العوائد المتبعة في بلاد الهند في ذلك الحين ، وان لم تكن معروفة في انجلترا. ولو كان أحد الذين اتهموه بتلك التهم ، في مثل مركزه ورأى كنوز بلاد البنغال تنفتح تحت قدميه في مرشد أباد، لعلم كيف كان كليف قنوعاً حين ارتضى لنفسه ما وصل اليه . فضلاً عن ان الرجل كان صريحاً فلم يخف عن الناس ما وصل اليه بل جاهر دائماً بأنه قد أصاب من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثروة الأمير المنهزم ما جعله ثريًا . وهذا يدل على أنه كان يعتقد أنه لم يأت سوءًا لأنه لم يمس مصالح الشركة، بل زاد من الأرباح التي كانت تجنيها . ولا هو فرط في حقوق وطنه، بل كسب له أقاليم جديدة واسعة وغنية وآهلة بالسكان . وانما قبل هدايا في أقطار تبيح تبادل الهدايا كما وإنه لم يكن هناك نص في دستور انجلترا يحرم عليه ذلك . ولكن ماكولي يرى أن كليف كان مخطئاً على كل حال لأنه كان قائداً ، والقائد خادم لحكومته وليس لسواها . وتبعاً لذلك فكل هدية تقدم إليه يجب أن تكون عن طريق حكومته، أو على الأقل تكون هذه الحكومة على علم بها وتوافق عليها ، وتنطبق هذه القاعدة حتى على الهدايا التي لا تعدو أن تكون نيشاناً أو وساماً . وأن قبول الضباط لمثل تلك الهدايا المغرية إذا تم بغير علم ولا موافقة الحكومة التي يتبعونها إذا صار ذلك قاعدة معمولاً بها ، فان الأمر كان يفسد والفوضى تعم . حقًا لم يكن هناك قانون يحول دون قبول الهدايا من الحلفاء والاصدقاء . ولكن المنطق وسلامة الذوق كانا يقضيان على كليف بعدم قبول هدايا ميرجافير .

واطمأنَّ ميرجافير الى عرشه والى انه لن تستطيع يد أن تمتد اليه بسوء الا اذا تخلت عن حمايته تلك اليد التي رفعته .

وكان ميرجافير رجلا حسن الأخلاق حميد السيرة لكنه لم يكن على شيء من الصفات التي تكسبه محبة الشعب واحترام الأمراء ، لا سيما وقد أصبح انتقاد أولي الأمر ميسوراً وخلعهم جائزاً بعد تلك الثورة الماضية ، فلقد كان ميرجافير نفسه وليد الثورة . ولهذا لم يكن عجيباً أن تثور النفوس من جديد تبعاً لخلاف وجهات النظر والعقائد ، وان يتولى نواب مقاطعة أود زمام هذه الثورة ، وان يتحرج الموقف ويصبح جو السياسة في اقليم البنغال ملبداً بالغيوم . ولم تكن هناك قوة تستطيع أن تحمي ميرجافير من هذه الاعاصير ، وتعيد الأمور الى نصابها سوى قوة كليف وكفاءته . ولكن الذي حدث انه في هذه الظروف العصيبة وصلت سفينة إلى كلكتا تحمل بريداً من مقر الشركة في انجلترا يبدو انه كتب قبل أن تصلهم أنباء معركة بلاسي وفيه قرار مديري الشركة أن يتولى السيطرة على ممتلكات الشركة في اقليم البنغال حكومة مكونة من أشخاص لم يكن كليف واحداً منهم . وكان أعضاء الحكومة الجديدة الذين وقع عليهم الاختيار لا يتصف واحد منهم بأية قدرة أو كفاءة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لحمل أعباء تلك المسؤولية الكبيرة ، وأظهروا شعوراً طيباً نحو كليف فتضامنوا في التنحي عن قبول هذا التعيين متحملين مسئولية مخالفة أوامر الشركة، وسلموا كليف مقاليد الامور يتصرف فيها كيف يشاء .

ولما وصلت الى مقر الشركة في لندن أنباء انتصار كليف الباهر في بلاسي عدّل المديرون قرارهم في الحال وأصدروا أمرهم بتعيين كليف حاكماً عامّـا لممتلكات الشركة بالبنغال مع تقديم تقديرهم وثنائهم لما قام به من جلائل الأعمال . وبهذا أصبحت سلطة كليف مطلقة وفاقت في قوتها كل ما كان دوبليه يتمتع به في الجنوب . وكان مير جافير يعتبره سيده ومنقذه فقد حدث إنه عنف مرة أحد كبـار الاشراف لأن أتباعه كانوا قد اشتبكوا في عراك مع بعض جنود الشركة من الهنود وقال له خلال حديثه « هل أنت في حاجة لأن أقول لك من هو الكولونيل، وبأي قدر قد حباه الله من التكريم والتعظيم ؟ » . فنفى الشريف عن أتباعه تهمة اعتدائهم على أتبـاع كليف . ويقول ماكولي إن كليف كان ينظر الى الهنود والاوربيين بمنظـار واحد، فالانجليز كانوا يرون فيه القوة التي تستطيـع أن تكره مير جافير على تنفيذ تعهداته له ومير جافير كان يرى فيـه حامي ملـكه من شعبه المتمرد ، وجيرانه من الأمراء الطـامحين والذين كانوا يتحينون له الفرص .

وأرسل كليف فورد أحد قواده الى شمالي اقليم الـكرنات حيث كان للفرنسيين نفوذ كبير، وكان لابد من اجلائهم عنه . وأثبت نجاح حملة فورد أن كليف كان موفقاً في اختياره لقيادتها .

وبينما كان جزء كبير من قوات الانجليز في البنغال منهمكاً في الحملة سالفة الذكر ، إذ هدد الحدود الغربيـة لذلك الأقليم خطر جديد عظيم الشأن . وتفصيل ذلك أن المغول العظيم كان سجين قصره في دلهي . وكان أكبر أبنائه شـاه علاّم ألعوبة في يد كل من يريد تسخيره لأغراضه، فكان مرة أداة في أيدي المهراتا، ثم أصبح فيما بعد صنيعة للانجليز . وكان الذين يسخرونه في تحقيق أغراضهم إنما يفعلون ذلك لما يتمتع به الأمير من احترام الشعب الهندي كله له. ولهذا السبب نفسه إستماله أمير أود إليه ، فتجمع له تحت لوائه جموع كبـيرة من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المغامرين الحربيين من جميع أنحاء البلاد ، وبهذا تألف تحت إمرته جيش كبير قوامه أربعون ألف رجل يختلفون بعضهم عن بعض في الجنس والدين واللغة والعادات ، ووضع الأمير الخطة التي يستطيع بها خلع ذلك الرجل الذي استند الى حراب الانجليز في تولي عرش البنغال ليتولى مكانه أميراً على أقاليم البنغال ، وأوريسا وبهار .

وعلم مير جافير النبأ ففزع واستبدّ به الخوف لما سمع،ورأى أن الحل الوحيد لتلافي ذلك الخطر الداهم هو عقد محالفة مع شاه علاّم ولو اضطره الأمر الى دفع مبلغ جسيم . وكان ذلك الخاطر هو نفس الخاطر الذي كان دائماً يخطر على بال من جلسوا قبله على عرش البنغال إذا ما هدّدهم خطر على الحدود ، ذلك لأنّ سكان هذا الأقليم كانوا دائماً محبين السلم، ويخشون الحرب، ويدرؤون خطرها بأي ثمن ما دام هـذا الثمن لا يتعدى أن يكون مالاً . ولـكن كايف سخر من هـذا الخاطر وكتب لميرجافير «إذا أنت فعلت ذلك اجتمع عليك جيرانك جميعاً وهدّدوك نفس التهـديد ليحصلوا منك على جميع ما لديك من مال حتى لا يبقى لديك شيء في خزائنك، وأنا أرجو يا صاحب العظمة أن تثق في حلفائك الانجليز وفيما لديك من جنود » .

وبمثل هـذا الأسلوب كتب كايف الى حاكم باتنا بأن يقاوم الى آخر رجل لديه ، وأن يطمئن الى أن الانجليز قوم أوفياء وأقوياء، وأنهم لن يتأخروا عن مد يد العون الى أصدقائهم في الشـدائد وأنهم لا يتوانون عن خوض غمار الحرب في سبيل ما سبق لهم أن حاربوا من أجله .

ونفذ كايف وعده، ذلك أن شاه علاّم حاصر باتنا وكان على وشك اكتساحها حينما بلغته أنباء زحف كايف صوب المدينـة . ومع أن القوات الانجليزية لم يتجاوز عددها أربعمائة وخمسين أوروبيـا، وألفين وخمسمائة وطني ، إلاّ أن ما كان قد اكتسبه من صيت في الحروب جعل اسمه مصدر رعبٍ وفزع ، فما لاحت طلائع الجند حتى ولى المحاصرون الأدبار وحاول الفرنسيون المتطوعون في جيش الأمير شاه علام إقناع سموه بالثبات ، ولـكن محاولاتهم هذه ذهبت أدراج الرياح . وبمثل هذه السهولة تبدّد ذلك الجيش الضخم الذي كان يهدّد مرشد أباد ويسبب لأميرها كثيراً من القلق والفزع .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعاد القائد المنتصر الى قاعدة وليم وبهذا تبددت مخاوف مير جافير ثقة وفرحاً وأهدى منقذه هدية سنيـة . ذلك أن الشركة الإنجليزية كانت تدفع إيجاراً لأمير البنغال عن تلك المساحات الشاسعة التي كانت تشغلها جنوبي كلكتا . وكان هـذا الايجار لا يقل عن ثلاثين ألف جنيه سنويّـا . فلما هدأ بال مير جافير من ناحية شاه علام ، ورأى أن يقدّم لكليف هدية مناسبة لم يجد خيراً من أن يوقف ذلك الإيجار على كليف مدى حياته .

وقبل كليف هذه الهدية ووافقت ادارة الشركة على هذا القبول ، ولكن صداقة مير جافير لم تدم طويلاً ، فلقد كان يساوره شعور قوي بأن الحليف القوي الذي أعانه على بلوغ الامارة قد يهدمه في أية لحظة ، وإنه بهذا الوضع كان تحت رحمة كليف ، وساءه أن يكون مهدداً هكذا باستمرار ، فأخذ يبحث عن حليف جديد يدرأ به خطر الإنجليز إذا هدده منهم خطرٌ ما في يوم من الأيام ، ولم يفـكر أبداً في أن يكون حليفه من الهنود لأنه كان يعتقد كل الاعتقاد أن الهنود ما كانوا ليجرؤون يوماً على الوقوف أمام كليف ، إذ كانوا يرهبونه ، وكذا لم يفكر في الإستعانة بالفرنسيين ، لأنّ قواتهم في أقليم البنغال كانت قد تلاشت فاتجه ببصره الى الهولنديين الذين كانوا يتمتعون بصيت ذائع لم تخدشه بعـد الوقائع . فهم كانوا قد استولوا على مستعمرات الأسبان والبرتغال أثناء حروب الاستقلال واحتـكروا تجارة الشرق الأقصى وجزر الهند الشرقية التي احتلوها ، وكانوا قد استقروا في امبوينا في سنة ١٦٢٣ ، وفي ملبير في سنة ١٦٦٣ ، وفي ملقه سنة ١٦٤١ ، وفي جزيرة سيلان في سـنة ١٦٥٨ ، وكانت عاصمة الامبراطورية الهولاندية في الشرق الأقصى في باتافيا حاضرة جزيرة جاوة . ولم تكن أنباء هزيمة هولندة في أوروبا قد بلغت الهند بعد ، فاتصل مير جافير بمقر الشركة الهولاندية في شينسورا واتصلت هذه الشركة بولاة الأمور في باتافيا بارسال حملة لا تقل في قوتها عن القوة الانجليزية الموجودة في اقليم البنغـال . وسرّ ولاة الأمور في باتافيا بهذا العرض فقد كانوا يشكون من انفراد الانجليز بتجارة الملح وقصر استخدام من يقومون ببعض الأعمال الملاحية في الهوجلي على الانجليز ، وقيام هؤلاء بتفتيش جميع المراكب القادمة الى الهوجلي ، ورأوا فيه فرصة لخدمة وطنهم وأشخاصهم على السواء . فقد كانوا يطمعون في مثل الثراء الذي أصابه الانجليز في تلك البلاد ، ولهذا جهزوا حملة قوية حملتها سبع سفن كبيرة سارت بها من جاوه حتى بلغت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الموجلي فجأة في ا كتوبر سنة ١٧٥٩. وكان عددها خمسة آلاف مقاتل نصفهم من الأوربيين.
وكانت الظروف ملائمة للهولنديين ، إذ كان جزء كبير من قوات كليف في اقليم الكرنات لمحاربة الفرنسيين وكان ما لديه من قوات لاتستطيع مكافحة هؤلاء الغزاة . وبلغه أن ميرجافير رحب سراً بالهولانديين. وكانت هناك صعوبة أخرى تواجه كليف هي أن هولانده كانت صديقة لانجلترا في أوربا ، وذلك في وقت كانت بريطانيا فيه في حرب مع فرنسا ، وكانت تحرص كل الحرص على ألا تحارب هولانده في نفس الوقت . وكان كليف يخشى أن يشتبك مع هذه القوات الهولندية فيغضب ولاة الأمر في لندن فلا يوافقون على عمله ، بل قد يتعرض من جراء مثل هذا العمل للحساب والعقاب ، إلا أنه كان مقتنعاً بأنه لو سمح لهؤلاء الهولنديين بالمرور في النهر فبلغوا مقر الشركة التي يتهمونها في شنسورا فان ميرجافير سيلقي بنفسه حتماً بين أحضانهم ويصبح الموقف خطراً على السيادة الانجليزية في اقليم البنغال كله . ولهذا رأى أن يتخذ قراراً سريعاً وحاسماً على ضوء هذه المعلومات دون أي اعتبار خارجي ووافقه ضباطه على ما ذهب اليه .

* * *

وحاول الهولنديون أن يمروا بالقوة وكانت كل سفينة من السفن التي تحملهم مجهزة بستة وثلاثين مدفعاً . وكانت بينها سفينتان مجهزة كلاهما بستة وعشرين مدفعاً . ولكن الانجليز كانوا يحيطون بهم براً وبحراً ، إلا أن العدو كان متفوقاً في القوة عدداً وعدة . ومع هذا التفوق استطاع الانجليز أن ينتصروا على الهولنديين وأن يستولوا على سفنهم بعد أن قتلوا وأسروا معظم رجالهم من الأوربيين . وعقب هذا الانتصار تقدم الانجليز نحو شنسورا فاستسلمت بسرعة . وأملى كليف شروط الصلح في شنسورا . ومن هذه الشروط أن يتعهد الهولنديون بألا يقيموا استحكامات دفاعية في تلك المدينة ، وألا يجندوا أكثر من القوة اللازمة لحفظ النظام في مؤسسات الشركة ، وانهم في حالة مخالفة أحد هذه الشروط يكونون قابلين للعقاب الذي ينزله بهم الانجليز .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العودة الى انجلترا

بعد هذا النصر الذي توّج اسم كليف في انجلترا بإكليل الغار قبل أن يذهب هو اليها حتى قال الوزير العظيم بت عنه في مجلس العموم (لقد فقدنا المجد والشرف والصيت الطيب في كل مكان ما عدا الهند لأن العناية الالهية قد وهبت الوطن هناك قائداً عبقرياً فذاً لم يسبق له أن درس فنون الحرب . ومع ذلك فقد هاجم بحفنة من الرجال جيشاً هائلاً دون خوف أو وجل هذا الرجل الذي حافظ على سمعة وطنه وزاد في مجده وكانت قوة عزمه مما يندهش له أعظم القواد الحربيين وحضور بديهته مثار اعجاب الهنود) . مما بلغ كليف وهو في الهند فملأه بالرضى عن نفسه ، ولكن هذا الرضا لم يبلغ مبلغ الغرور .

وفي ٢٥ فبراير سنة ١٧٦٠ غادر كليف أرض الهند في طريقه الى انجلترا وعند وصوله الى لندن لقي من الترحيب الشيء الكثير . وتوالت عليه الهدايا والهبات إلاّ أنه كان يطمع في أكثر مما رأى ، فاذا أخذنا في الاعتبار سن كليف عند وصوله إذ كان لا يتجاوز الخامسة والثلاثين ورتبته في الجيش وقتذاك ومنبته المتوسط الذي منه درج لوجدنا ان ما قوبل به من حفاوة وترحيب كان شيئاً عظيماً ، فأرلندا منحته لقباً أصبح به من أشرافها ، وفتح هذا أمامه أبواب الآمل في أن يصبح من أشراف انجلترا نفسها ، لا سيما بعد أن أحسن الملك جورج الثالث — الذي اعتلى عرش انجلترا حديثاً — استقباله ، وأحاطه الوزراء بالتكريم والتقدير .

وكان كليف قبل وصوله الى انجلترا قد أرسل اليها ثمانين ومائة الف من الجنيهات عن طريق الشركة الهولندية ، وأكثر من أربعين الفاً من الجنيهات عن طريق الشركة الانجليزية ، ومبالغ أخرى لا تقل أهمية عن هذه عن طريق مؤسسات أخرى . وفضلاً عن كل هذا المال فقد حمل معه من الماس والجواهر قدراً لا يستهان به ، وما كان يملكه في بلاد الهند من أراضٍ قدّر بنفسه ثمنها بمبلغ سبعة وعشرين الف جنيه ، كل هذه الثروة التي لم تتح فعلاً لرجل بدأ معدماً كما بدأ كليف ، ساعدته ومكنته من أن يصرف المال عن سعة وبذخ حتى بذّ أشراف انجلترا في هذا الباب .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان كليف باراً بأهله فقد أرسل عقب معركة بلاسي — التي كان انتصاره فيها مفتاح كنوز ثروته — الى أخواته عشرة آلاف جنيه، وأعان كثيراً من الأصدقاء والأقرباء الفقراء، وأمر وكيله بأن يدفع ثمانمائة جنيه سنوياً لأبويه ، وأن يشتري لهما عربة تجرها الجياد ، كما رتب خمسمائة جنيه سنوياً لرئيسه السابق لورنس ، الذي كانت أحواله المالية على درجة كبيرة من السوء . وبلغ ما أنفقه كليف في هذا السبيل خمسين ألفاً من الجنيهات .

وأكثر كليف من شراء الأراضي واستطاع أن يصبح عضواً في مجلس العموم البريطاني عن شيروزبري، ورغم ذلك فلم يلعب دوراً هاماً في سياسة بلاده . ففي أول عهده بالسياسة اتصل بالمستر فوكس، ثم أعجب بعبقرية ونبوغ المستر بت . وأخيراً انضم الى جورج جرنفيل في عام ١٧٦٤ . وهكذا تنقل في أهوائه السياسية .

ولم يصب كليف أي نجاح في السياسة البريطانية رغم أنه كان محبوباً من جميع مواطنيه من الملك ومن الوزراء وممن دونهم من أفراد الشعب ، ذلك لأن ما كان ينعم به من ذيوع صيت ومجد وتقدير انما كان أساسه ما ناله من نجاح في بلاد الهند، سواء في ميدان السياسة أم في ميدان الحرب . ولو كان رجل غير كليف لقنع بما أحرز من ألقاب ، وما نال من ثراء، وما نعم به من ترف وسعادة من أهله وأحبائه ، ولكنه كان رجلاً تعود الكفاح والحركة، فأخذ يرقب عن كثب ما يرد من أنباء اقليم البنغال كأنما كان يتنبأ بأن الحال هناك ستدعوه حتماً يوماً من الأيام الى تولي قيادة الأمور في تلك البلاد النائية .

الحال في الهند

وكانت الأخبار تترى عن فساد الحكم والادارة في اقليم البنغال واضطراب الامور فيه. ولعل ذلك كان راجعاً الى أن مركز ادارة شركة الهند الشرقية في لندن كان بعيداً عن ميدان أعمالها بعد أن حال بينها وبين مراقبة موظفيها في كلكتا . فجهلت كل شيء عنهم وعن تصرفاتهم لأنه لم يكن يهمها الا ضمان الأرباح التي تعود على المساهمين

واستفاد هؤلاء الموظفون من جهل رؤسائهم بأحوالهم. فاستغلوا التجار الوطنيين والأهالي استغلالاً عجيباً، ناسين كل اعتبار، الا أن يجمعوا الأموال الطائلة في أقصر مدة ممكنة حتى اذا عادوا الى وطنهم عادوا أثرياء . ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل بلغ بهم الأمر أن تدخلوا في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سياسة الحكم باعانة بعض الأمراء على بعض، بل خلعوا ميرجافير ذلك الأمير الذي اجلسه كليف على عرش البنغال وأحلوا ميرقسيم محله لقاء جعل معين ومزايا وعدوا بها، ولكن هذا الأمير كان ذا شخصية قوية وارادة حازمة وروح تميل الى الاستقلال فلم يشأ أن يذيب أفراد شعبه في بوتقة الظلم ليكون منه سبيكة خالصة من الذهب يقدمها الى أولئك السادة، لأنه رأى أن هذا الشعب قد استبدّ به البؤس، واشتدت به الفاقة، ولم يعد في ضرعه قطرة من اللبن، ذلك الشعب الذي بدأ أفراده يهربون الى الجبال خشية الاضطهاد، وهرباً من الاستعباد.

وأسف حضرات الموظفين لتولية مير قسيم لأنه لم يعطهم ما طلبوا ولا حقق لهم ما رغبوا فيه، فسرعان ما خلعوه عن عرشه، وأعادوا ميرجافير مكانه، ولم يكتف موظفو الشركة في أقليم البنغال بفرض سلطانهم على الأمراء ومن في حكمهم، بل عمدوا الى بث وكلائهم ومندوبيهم في القرى لإكراه الناس على أن يبيعوا لهم بضائعهم وحاصلاتهم بثمن بخس، وعلى أن يشتروا ما يؤمروا بشرائه منهم بثمن عال. وكان أولئك المندوبون والوكلاء يستندون في عملهم هذا الى السلطان المخول لهم من ادارة الشركة المحلية والتي كانت تعتمد في إظهار قوتها وجبروتها على قواتها المسلحة، ولو لقي الهنود هذا العنت والاضطهاد من أمرائهم لثاروا عليهم وخلعوهم من عروشهم كما كانوا يفعلون قبلا. أما والذين كانوا يفعلون بهم هذا من الانجليز فقد كان الأهالي يؤمنون بأنهم قوم لا يمكن أن ينالوا بسوء، أو يسدى إليهم نصح حتى قوي هذا الاعتقاد عند الهنود فأصبحوا يرون أن الانجليز ليسوا من البشر إنما هم فئة من الجن. وكثرت حوادث الهرب. فلقد كان الهندي يهرب من الانجليز كما كان يهرب من المهراتا الى الجبال الموحشة، والغابات المسبعة، لعله يجد في جوار سباع الفلاه أمناً لا يجده في جوار أولئك المستعمرين، فما كانت تصل إحدى القرى أنباء وصول سائح انجليزي حتى يبادر اهلوها الى إخلائها فوراً، فاذا دخل الرجل القرية وجدها بلقعاً يباباً.

وتسرّب الفساد من ادارة الحكم الى الجيش نفسه فالضباط أصبحوا هم الآخرون يرفلون في ثياب الترف والنعيم، ويتمتعون بكل ما يستطيعون الحصول عليه من لذائذ وطرائف وتفشى بينهم روح التمرد والعصيان. وانتقلت هذه العدوى الى الجنود الأوربيين منهم والهنود وكثرت المؤامرات وعمت الفوضى والاضطراب بلاد الهند وقلّ ايراد الشركة فقلقت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخواطر في لندن لهذه الحال وزاد في قلقها توارد الأنباء عن الاخطار التي كانت تهدد حدود تلك البلاد .

وأخذت الأنظار تتجه الى كليف الذي كان غيابه عن اقليم البنغال خمس سنوات سبباً في كل ما حلّ به من سوء، ودارت على الألسنة عبارة أن كليف وحده دون سواه هو القادر على اعادة الأمور الى نصابها في الامبراطورية التي أوجدها .

وظهر هذا الرأي واضحاً وصريحاً في الجمعية العمومية التي عقدها مساهمو شركة الهند الشرقية وأجمع الكل عليه ، ونادى المنادون بأنه يجب تناسي ما نسب الى الرجل ، وان يتفق معه على القيام بهذا العمل .

وقبل كليف في ذلك الاجتماع أن يذهب الى اقليم البنغال ، وان يصلح من شأنه، وان يعمل على زيادة أرباح الشركة ، ولكن على شرط أن يتخلى مدير الشركة (سوليفان) عن منصبه، وكان هذا منه تحدياً ظاهراً لغريمه القديم ذي السلطان القوي والنفوذ الكبير . ولكن الحاجة الى كليف حدت بالمساهمين الى إجابة طلبه ، وذلك بإعادة انتخاب مجلس ادارة الشركة وجاءت نتيجة هذا الانتخاب مرضية لكليف . فعين وكيلاً للشركة وقائداً عاماً للممتلكات البريطانية في أقليم البنغال .

تطهير

في هذه الظروف سافر كليف الى الهند للمرة الثالثة والأخيرة ، فبلغ كلكتا في مايو من عام ١٧٦٥ حيث وجد أن ادارة الحكم كانت في واقعها أكثر فساداً مما سمع عنها ، فان مير جافير كان قد مات عقب وفاة ولده ، واستهتر موظفو الشركة بأوامر رؤسائهم البعيدين عنهم كل البعد ، والجاهلين بشئونهم كل الجهل ، تلك الأوامر التي كانت تحظر عليهم قبول هدايا من الأمراء الوطنيين ، وشجعهم على هذا الاستهتار ، جشعهم للمال والربح . فأقدموا على عرض عرش البنغال للمزايدة ، وتقدم إليهم من دفع لهم أربعين ألف جنيه ثمناً لذلك العرش فتقاسمها تسعة من ذوي النفوذ في الشركة ، وارتقى العرش ثمناً لهذه الصفقة طفلٌ من سلالة الأمير الراحل . وكان كليف قد بلغته أنباء هذه المساومة وهو في طريقه الى مقر عمله فاستاء لما سمع ، وزاد استياؤه حينما رأى وعلم ، فكتب الى صديق له في إنجلترا يقول (وأسفاه لما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أصاب سمعة الانجليز ، فإني أخشى أن لا أستطيع اصلاح ما حلّ بشرف الشعب البريطاني واني أشهدك وأشهد الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور : أني جئت هذه البلاد ، وضميري نقي لا ترقى اليه شائبة ، وأني عزمت على أن أبيد هذه المساوىء التي نخرت في كيان البلاد أو أهلك دونها) .

واجتمع مجلس ادارة فرع الشركة في كلكتا بناءً على دعوة كليف الذي أعلن الأعضاء خلال ذلك الاجتماع بعزمه على أن يقوم بعملية تطهير واسعة ، وأنه سيستعمل في هذه السبيل كل سلطة مخولة له ، سواء أكانت هذه السلطة مدنية أم عسكرية . وثار أشد الأعضاء جرأة ، وأبلغهم قحة ، وأسودهم صفحة ، لهذا القرار ، ولكن كليف أسكته بقوله (أتريد أن تعترض على الحكومة الجديدة وسلطانها ؟). ولكن الثائر المحتد اعتذر وجلس متخاذلاً واسودّت وجوه إخوانه وشملهم حزن عميق ولم يستطع أحد منهم أن ينطق حرفاً .

ونفذ كليف وعده ، ففي خلال الثمانية عشر شهراً التي أقامها حاكماً بأقليم البنغال أحرز نجاحاً أي نجاح في تنفيذ مهمته التي جاء الهند من أجلها ، وكانت تلك الفترة من حياته أسعد أيامها ، ظلّ يذكرها بالفخار حتى أخريات أيامه .

وموضع الفخار أنه كان يستطيع أن يضاعف ثروته خلال تلك الفترة بأن يغمض عينيه عما كان يأتيه موظفو الشركة مع شعب وديع مسالم لا حول له ولا قوة من استغلال ، بل واستنزاف موارده ، فذلك الشعب الذي كان يجهل أين تقع تلك البلاد التي نكبته بارسالها إليه أولئك المضطهدين القساة . ولكنه لم يشأ أن يبيح لنفسه ما جاء لتحريمه على سواه . وكان يعلم أنه في هذا التحريم سيصطدم برغبات بني جلدته من المغامرين الجشعين ، وأنه سيتعرّض لثورة هائلة يثورونها عليه إذ فوّت عليهم جمع أكبر ثروة مستطاعة في أقل مدة من الزمن . كان الرجل يعلم كل هذا فأعدّ للأمر عدته ، رغم أن النجاح كان يبدو في أول الأمر مستحيلاً ، ولكن العوائق أخذت تنهار الواحدة بعد الأخرى أمام شجاعته ، وقوة إرادته ، فمنع قبول هدايا الهنود ، وحرّم على الموظفين الاتجار . وأحسّ كليف استياء هؤلاء وغضبهم لهذا فأعلن في حزم ما يتطرق اليه شك في أنه إذا لم يجد في حامية قلعة وليم القوة التي تكفيه لتنفيذ أمره فإنه سيأتي بتلك القوة من جهة ما ، وأتبع القول العمل فطرد الذين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أصرّوا على مقاومته ، واستبدل بهم غيرهم ، فلما رأى الباقون ما حلّ بالثائرين استسلموا لأمره ، ورضخوا لمشيئته ، وبهذا استتبّ له الأمر في أقليم البنغال .

ولكن كليف كان يعلم أن قوته الشخصية هي التي بدّدت تلك المساوىء التي كانت البلاد تئن منها وترزح تحت أثقالها . وأنه من المحتمل أن تعود الى سابق قوتها إذا ما هو ترك مركزه هذا لسبب من الأسباب ، ورأى من الخير استئصال أسباب العلة .

العلاج

فان الشركة كانت قد جرت على منح موظفيها مرتبات ضئيلة لا تكفل لهم الحياة الهانئة أو تضمن لهم الراحة والرفاهية ، وهم الذين تركوا بلادهم وارتضوا العمل في ذلك الجو الخانق الذي لم يتعوّدوه في أوطانهم . وكان طبيعيًّا أن أي رجل متوسط الكفاءة أو المواهب لا يرضى مثل هذه الظروف إلاّ إذا كان قد رسم لنفسه خطة ينتهجها إنتجاعاً للرزق وطلباً للمال .

وعوّل كليف على أن يفتح لأولئك الموظفين باباً للرزق يدر عليهم ربحاً طيباً حلالاً يغنيهم عن قبول هدايا الأمراء ، وفرض إراداتهم على التجار والوسطاء، سواء أكان ذلك في البيع أم الشراء ، ولا يدعهم ينتظرون عبثاً من أولي الأمر في لندن زيادة مرتباتهم ، وهو أبغض الحلول عند أولئك المديرين . وفكر الرجل طويلاً في أمر (الملح) وكوّن (شركة الملح) التي كان لها احتكار تجارة الملح في الأقاليم كله ، وساهم فيها كبار الموظفين بمبالغ تتناسب مع درجاتهم وكانت الأرباح التي تعود عليهم من أسهمهم تتفق وما اكتتبوا به . وقال كليف في هذا الصدد (ان المزايا التي تعود على المساهمين من تأسيس هذه الشركة والتي لها مطلق الحرية في احتكار هذه المادة هي أكبر حائل يمكن أن يحول دون قبول هدايا الوطنيين من الهنود، ثم هي لا تضير شركة الهند الشرقية بشيء ما .)

ومهما برر كليف انشاء شركته هذه فإنها كانت تتعارض مع الأمر الاداري الذي صدر من مركز الشركة الرئيسي في لندن في ٨ فبراير سنة ١٧٦٤ خاصًّا بتحريم الاتجار في بعض المواد ومنها الملح على الموظفين . فأتهمه أعداؤه ثم أتهمه التاريخ بأنه خالف أوامر الشركة ونكث عهده الذي عاهد ادارة الشركة عليه ، وانه بدلا من أن يقضي على دابر التجار ، وقف في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشركة لحسابهم الخاص كما كان مفروضاً فيه عند مجيئه الى كلكتا نظم هذا الاتجار ووسع في أركانه ويرى ماكولي ان احتكار تجارة الملح كان مقصوراً على الحكومات المختلفة في بلاد الهند قبل أن يولد كليف وانه بقي كذلك أمداً طويلاً بعد مماته، وان كل ما فعله الرجل لا يعدو أن يكون فتحاً لباب من الرزق لموظفيه يزيد من ثرائهم قليلاً قليلاً . ولكن هذه الزيادة منتظمة وثابتة ، لأنها تجعلهم مطمئنين الى مستقبلهم ، فيسيرون في عملهم باخلاص ويكرسون له جهودهم ووقتهم فيزداد نجاحاً وتعود فائدة ذلك كله على الشركة ومساهميها .

بهذا قضى على مناوأة الموظفين المدنيين بمشروعاته الاصلاحية فاتجه ببصره الى العسكريين وكانت الشركة قد خفضت مرتباتهم تحقيقاً للاقتصاد الذي يرضي مساهميها ، وتخفيفاً لضغط المصروفات . ولولا أن كليف كان في كلكتا في ذلك الحين لصار الأمر على أكبر جانب من الخطورة ، فهؤلاء كانوا أرباب السيف في بلاد لا يمكن أن تحكم بغير السيف . ودبر مئتا ضابط من الانجليز مؤامرة ضد الحكومة وصمم المتآمرون على الاستقالة من خدمة الجيش وضربوا لذلك موعداً يستقيلون فيه دفعة واحدة عالمين أن كليف وهو خير من يقدر أهميتهم لا يقبل أن يترك الجيش بغير ضباط . ولكن كليف لم يأبه بهذه الاستقالة فاعتمد على اخلاص من لم يشترك في تلك المؤامرة وأرسل الى قلعة سان جورج في طلب مدد جديد من الضباط، وعين في الوظائف التي خلت باستقالة أولئك الضباط مدنيين ممن يثق بهم . أما الجنود الانجليز منهم والهنود فقد ظلوا على اخلاصهم ووفائهم لقائدهم الذي كان موضع اعجابهم وتقديرهم ، وأمر بجمع الرؤوس المفكرة لتلك المؤامرة في الحال وشكل محكمة لمحاكمتهم وقررت المحكمة فصلهم من خدمة الجيش . أما الباقون فقد راعهم ما حل بزعمائهم فالتمسوا سحب استقالتهم ، وأعلنوا توبتهم، فعفى كليف عن صغار الضباط . أما كبارهم فقد كان معهم صارماً ، لا عن حقد ولا كراهية شخصية ، ولكن لأنهم ارتكبوا جريمة العصيان .

السياسة الخارجية

الآن وقد تم له تطهير الادارة الحكومية مدنية كانت أم عسكرية، اتجه كليف ببصره الى السياسة الخارجية ، فكان وصوله الى اقاليم البنغال بشيراً بالسلام . فان نواب أود كان قد جمع جيشاً على حدود مقاطعة بيهار، وكان هذا الجيش يضم بين صفوفه كثيراً من قبائل الافغان

والمراتا . وكان المحتمل أن تنضم اليه عناصر أخرى كبيرة من الهنود ضد الانجليز . فما ان بلغ الأمير المهاجم نبأ وصول كليف الى كلكتا حتى عدل عن فكرة مهاجمة مقاطعة بهار وطلب الصلح من الانجليز فقبل طلبه وكان كليف هو الذي أملى شروط هذا الصلح .

وكانت العلاقات بين الانجليز والحكام الوطنيين غامضة غير واضحة الأسس والمعالم ، وان كان الأولون أصحاب السلطان الحقيقي في اقليم البنغال . ولقد شاء كليف أن يكسب للانجليز صفة شرعية في حكم ذلك الاقليم فحصل من ذلك الامبراطور الضعيف والذي لم يكن له حول ولا قوة مقابل قليل من المال على تصريح يفوض فيه الانجليز في حكم وتحصيل ضرائب أقاليم البنغال وأوريسا والبهار . تلك السلطات التي كان الانجليز يمارسونها فعلاً قبل صدور ذلك التصريح ولكن بقي هناك أمير أو على الأصح شبه أمير كان الانجليز يتخذونه تكأة في حكم اقليم البنغال ، وأراد كليف أن يمحو ذلك الشبح ولكنه عاد فأبقى عليه لانه رأى في بقاء تلك الصورة الهندية ما يفيده في سياسته مع تلك السلطات الاوربية الأخرى التي لا ترى غضاضة في النزول على رأي أمير وطني اعتادت احترامه من قبل مما يساعده هو على تحقيق أغراضه ، ولكنه عاد فخشى أن يصبح ذلك الأمير في يوم من الأيام ألعوبة في يد الآخرين فعدل عن الابقاء عليه .

العودة الاخيرة

وبعد أن قضى كليف في بلاد الهند ثمانية عشرة شهراً اضمحلت صحته وتبدد فيها جزء كبير من قوته أبحر عائداً الى وطنه المرة الأخيرة في يناير سنة ١٧٦٧ .

ولم يجد كليف من مواطنيه في أوبته هذه ما لقيه منهم في المرة الأولى من ترحيب وحفاوة ، بل لقي كل اهمال وانتقاد مر مما آلم نفسه ، وحز في قلبه ، وحطم أعصابه ، حتى عجل به الى قبره . وكان أول من ناصبه العداء أولئك الذين كانوا يحقدون عليه في ادارة الشركة ، وكانوا ذوي نفوذ قوي وسلطان متين ، وتطوع للانضمام اليهم في حملتهم على الرجل فئة من الموتورين الذين طالما عاثوا في اقليم البنغال فساداً ، فاقتلعهم من أرضها اقتلاعاً ، وطهر البلاد منهم تطهيراً . وزاد في قوة هذه الجبهة التي اتحدت للقضاء عليه استعانتهم بالصحف في التشهير به وإثارة الرأي العام عليه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكانت قد تكونت في انجلترا طبقة جديدة من أولئك الذين عادوا من الهند أثرياء، بلغ بهم ثراؤهم مبلغ الأشراف في الترف والنعيم . وإن لم يرفعهم الى مصافهم في الخلق والعادات ، فكانوا مثار بغض الناس وانتقادهم ، وحقدهم ، لأن هؤلاء الناس كانوا يعلمون أن هذا المال لم يأت إليهم حلالاً طيباً ، ولا كان ثمرة كدٍّ أو عمل ، ولكنه كان مالاً مغتصباً من قوم سذّج بسطاء سليمي الطوية مساليز استغلوا استغلالاً ذريعاً واستنزفت أموالهم بل وأقواتهم،وجاء أولئك المغتصبون يبذرونه في غير أوجه التبذير ، ويبعثرونه حيثما اتفق ، لا يعنيهم إلاّ أن يبدو وجهاء ، وإلاّ أن يقول عنهم الناس إنهم عظماء، ولكنهم لم يصلوا الى غاية من الغايتين بل أصبحوا موضع السخرية والانتقاد المر والتحقير في كل مكان حلوا به ، حتى لقد بلغ بهم الأمر أن الناس كانوا يخلون لهم نواديهم إذا هبطوا عليهم بها .

***

وكان الشعب يريد أن يفرج عما كان يشعر به من ضيق إزاء أولئك المغتصبين بعد إذ رأى القصور يشيدونها في وقت قصير ، وما كانت تلك القصور تحويه من وسائل الترف ، وما كانت تضمه من الخدم والاتباع ، فسرعان ما صدق ما جاء بتلك الصحف المأجورة عن كليف،بل واعتبره المثل الحي لأولئك المغتصبين فصبّ عليه غضبه ونقمته .

ولو نجحت مشروعات كليف في اقليم البنغال لكان ذلك شفيعاً عند الرأي العام ، ولكن كان من سوء حظه أن أثر تلك النظم التي وضعها لحكم ذلك الاقليم أخذ يضعف شيئاً فشيئاً، وسياسته التي رسمها لإدارته تركت ظهريًّا ، وبعثت المساوىء التي أماتها من مرقدها وزاد في سوء الحال أنه حدث في صيف عام ١٧٧٠ أن كفت الأمطار عن الهطول ، وقلّ ماء نهر الجنجز وضحل ، ومات الزرع ، وجف الضرع ، وعمت المجاعة وادي ذلك النهر ، وانتشرت الأوبئة والأمراض ، ونشر الموت جناحيه على سكانه ، بل أدّى الأمر الى أن برزت السيدات المحجبات الناعمات من خدورهنَّ وخرجنَ الى الطرقات حاملات أطفالهنَّ كالزهور الذابلة ، يتسولنَ طالبات حفنة من الأرز لسد رمق أولئك الاطفال . وازدحمت شوارع كلكتا بالجثث حتى تعذر المرور فيها . ولم يكن ميسوراً للأحياء أن يحملوا تلك الجثث الى المقابر أو الى النهر الذي أصبح مليئاً بأمثالها لضعفهم ، وخورهم ، فتولت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوحوش الضارية مهمة التهامها نهاراً ، وراح ضحية تلك المجاعة ملايين من الهنود . وبلغت الأنباء لندن فضاعفت اهتمام الناس بأخبار الهند ، وكان أشد الانجليز اهتماماً بها أولئك المساهمون الذين قلقوا على مصير أرباحهم ، وبدأت النفوس تحس الأسف والأسى والعطف على ذلك الشعب البائس المنكود ، وتولد عن هذا الاحساس شعور بالغضب على أولئك الذين كانوا سبباً فيه . وأخذ الرأي العام يتهم موظفي الشركة الانجليزية الهندية بأنهم كانوا سبب تلك الكارثة لما كانوا يقترفونه من إكراه الهنود على بيع محصول الأرز رخيصاً لهم ، ثم شرائهمنهم بثمن غال فوق طاقتهم، في وقت كانت الطبيعة قاسية عليهم فحرمتهم المطر الذي عليه تتوقف حياتهم ، وان أولئك الموظفين في إتيانهم ذلك المنكر إنما استندوا الى حق أباحه لهم كليف فاستقر سخط الشعب على هذا الرجل

ويدفع ماكولي عن كليف هذه التهمة بقوله إنه كان وقت حدوث المجاعة قد غادر بلاد الهند منذ سنين ، وإنه ليس بين أسباب هذه المجاعة سبب واحد يتعلق بالقوانين التي سنها وقت أن كان متوليا منصبه في تلك البلاد ، وان موظفي الشركة باشتغالهم بتجارة الأرز انما خالفوا تلك القاعدة التي سنها لهم والتي عمل على توطيدها بكل ما أوتي من قوة وان كل ما أباحه له ، انما هو تجارة الملح ، ولكن الناس كانوا قد اقتنعوا بأن كليف هو المسئول عن كل تلك المساوىء وانه من الواجب أن يؤدي عنها حساباً .

الحساب

والى ذلك الحين لم يكن البرلمان قد أعار المسألة الهندية أي اهتمام ، فمنذ وفاة الملك جورج الثاني تعاقب على حكم بريطانيا حكومات ضعيفة قصيرة الأجل كانت كل منها تذهب ضحية رجال البلاط ، ووجدت في المصاعب الناشئة عن المؤامرات في قصر الملك والشغب في العاصمة والثورات في المستعمرات الاميركية ما شغلها عن العناية بمشكلة الهند فاذا ما تهيأ لها من الفراغ ما تستطيع أن تكرسه لدرس تلك المشكلة كان أثرها فيها ضعيفاً .

وأخيراً عم الشعور في سنة ١٧٧٢ بأنه أصبح على البرلمان واجب الاهتمام بسياسة الهند . وكانت الحكومة اذ ذاك أقوى حكومة اضطلعت بأعباء الحكم منذ استقالة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوزير بت في سنة ١٧٦١ ، إذ لم يعد يشغل الأذهان من السياسة الأوربية ولا من المشاكل الداخلية شاغل . وكانت أزمة الشركة الانجليزية الهندية قد بلغت ذروتها ، وكان الرأي العام قد ركز المسئولية كلها في كليف .

وكان مركز الرجل دقيقاً وحرجاً إذ أصبح مكروهاً من الشعب كله ، ومكروهاً في ادارة الشركة . ومكروهاً من أولئك الموظفين الأثرياء الذين كسر شوكتهم ولم يكن كليف ضالعاً مع أي حزب من الأحزاب السياسية في بريطانيا حتى كان ذلك الحزب يتولى الدفاع عنه في البرلمان . وكان أعداؤه أقوياء قوتهم في كثرتهم وفي نفوذهم وكانوا لا يريدون أقل من أن يفقدوه سمعته وثروته ، وان يصلوا الى طرده من البرلمان ومصادرة أملاكه . ولم يبد على أولئك الناقين أن تحقيق هذه الغايات يشبع رغبتهم في الانتقام منه .

وكان دفاع كليف في البرلمان يشبه كثيراً خططه الحربية فقد كان وحيداً محاصراً يفوقه أعداؤه في كثرة عددهم ونفوذهم ، ورغم كل هذه الأخطار المحدقة به لم يشأ أن يقف موقف المدافع عن نفسه بل آثر الهجوم . ففي بدء المسائل الهندية في ٣٠ مارس سنة ١٧٧٢ وقف كليف وألقى خطاباً مطولاً منمقاً دفع فيه عن نفسه معظم التهم المنسوبة اليه . وكان بليغاً في خطابه هذا حتى أثر في مستمعيه أثراً طيباً ، إلاّ أنه لم يدافع إلاّ عن أعماله في تلك الفترة الأخيرة من ادارته فرع الشركة في البنغال التي بدأت من عام ١٧٦٤ . ونجح في هذا الدفاع حتى ان أعداءه وقد سقطت حجتهم في اتهامه عن هذه الفترة وجهوا جهودهم ونجحوا في استجوابه عن الفترة السابقة لها .

وكانت هذه الفترة مليئة بنقط ضعيفة يمكن مهاجمته منها ، واختيرت لجنة من أعضاء المجلس بالانتخاب لبحث قضية الهند ، وتولت هذه اللجنة فحص تاريخ تلك الثورة الكبرى التي أدّت إلى اسقاط سراج الدولة وتولي ميرجافير مكانه . واستجوبت تلك اللجنة كليف استجواباً دقيقاً خالياً من أية مجاملة . وكان الرجل شجاعاً وصريحاً في اجاباته ، فاعترف بأنه خادع أوميشند وان ضميره لا يؤنبه لهذا الخداع ، بل وصرّح بأنه إذا أتيحت له في المستقبل ظروف مشابهة فسيلجأ إلى نفس الطرق التي اتبعها مع ذلك الرجل كما أقرّ باستلامه مبالغ طائلة من ميرجافير ، ولكنه أنكر استعماله في سبيل ذلك ما يخل بالشرف أو يتنافى مع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاخلاق . وقال انه في ذلك لم يكن أنانيًا ولا جشعاً ووصف في أسلوب رائع مركزه الذي صار اليه عقب انتصاراته الكبيرة يتملقه الأمراء العظام ، وتنفتح تحت قدميه كنوز الذهب واللآلىء ويتنافس المموّلون الكبار في سبيل ارضائه، وأبدى عجبه قائلاً (ياسيدي الرئيس . إني لأعجب في لحظتي هذه من قناعتي وقتذاك) .

وطالت مناقشة الاستجواب حتى انتهت اللجنة من عملها وكان من السهل معرفة نتيجة هذا العمل ، فاعتبر كليف مذنباً ومقترفاً لآثام لا يمكن تبريرها ، إلا بخرق النظم المشروعة والقوانين الموضوعة . ولكن المجلس لم ينكر على كليف ما كان يتصف به من صفات عالية ويتحلى به من فضائل جمة ، وما كان قد أداه من خدمات خالدة لكل من وطنه والشعب الهندي .

وما كان واجباً أن تجري محاكمة النابغين من الرجال لاخطاء ارتكبوها ، أو هفوات أتوها تحت مؤثرات قوية لم يستطيعوا احتمالها كما تجري محاكمة المجرمين العادين ، بل كان يجب أن يقدرهم معاصروهم التقدير الذي ينالونه فيما بعد من الأجيال التالية . حقًا ان الأعمال السيئة سيئة على كل حال ، لا يجوز الباسها ثوب الحسن . ولكن يجب الموازنة بين ما قاموا به من أعمال ، وما أتوه من جرائم . فإذا رجحت كفة حسناتهم وجب أن يقتصر الجزاء على لومهم . فكم من حاكم عظيم في التاريخ لم يسلم من ارتكاب غلطة أو اثنتين فأي من أولئك جميعهم كان يسلم من مثل تلك المحاكمة لو أن لمواطنيهم من القوة التي تدينهم كالتي أدانت كليف ، إن أفضل محكمة لمثل هؤلاء دائماً هي محكمة التاريخ .

كانت هذه الآراء نصب أعين العقلاء والمعتدلين من جميع رجال الاحزاب ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبرئوه من اللوم كما أنهم لم يشاءوا أن يتركوه تحت رحمة تلك الذئاب الآدمية من ذوي العقول الضعيفة والتفكير السقيم . الذين قدموه لهذه المحاكمة وكانوا متعطشين للقضاء عليه .

وفي خلال المحاكمة أنعم الملك على كليف بلقب (سير) ودعاه إلى التشرف بالمثول بين يديه . وفي تلك المقابلة أنعم عليه بلقب لورد . ولما قبل يدي الملك جورج الثالث أبدى جلالته عطفه العظيم عليه وأذن له بمقابلة خاصة . تحدث اليه خلالها مدى نصف ساعة عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السياسة الهندية . وكان تأثر جلالته عظيماً حينما حدثه القائد المتهم عن خدماته وعن الجزاء الذي ناله نظيرها .

ثم عرضت القضية على مجلس العموم البريطاني ووقف موقف الاتهام بورجوين رئيس اللجنة التي تولت التحقيق، وتورلو النائب العام . أما وودربرن مساعد النائب العام فقد وقف الى جانب كليف ودافع عنه دفاعاً بليغاً ومنطقياً ، ودافع كليف عن نفسه دفاعاً وان كان أقصر وأقل مهارة من دفاعه في بدء محاكمته إلا أنه كان أكثر حرارة ونشاطاً ، ورجا سامعيه أن يذكروا أن حكمهم لن ينصب عليه وحده ، ولكنه سيشملهم أيضاً . وبهذا ختم دفاعه — وانسحب من المجلس .

الحكم

وقرر أعضاء مجلس العموم

« إن ما تحرزه قوات الدولة ملك لهذه الدولة وحدها وان احراز موظفي الدولة لتلك الممتلكات عمل غير قانوني ، وان الموظفين الانجليز في اقليم البنغال قد تعودوا مخالفة هذه القاعدة » .

وفي يوم تال قرر أعضاء المجلس .

«أن كليف نال مبالغ طائلة من ميرجافير بحكم وظيفته كقائد عام القوات البريطانية في الهند » .

وهنا وقف الأعضاء عن اتمام النص الى النتيجة المنطقية .

ولما أثيرت مسألة اساءة استعمال كليف سلطة وظيفته وضربه مثلاً سيئاً للموظفين ، دارت مناقشة حامية حول هذه النقطة ، ووقف وودربرن واقترح (ان اللورد كليف قد أدى في نفس الوقت لوطنه خدمات عظيمة وجليلة) . وبهذا انتهت المناقشة .

وهكذا اجتاز كليف تلك المحنة القاسية والأزمة القاتلة وساعده على هذا انه لم يكن رجلاً حزبياً تتحامل عليه الأحزاب الأخرى ، بل كان بطلاً وطنياً فساهم المجلس كله في انقاذه مما كان مسوقاً اليه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأصبح كليف آمناً على ثروته وشرفه ، يحيط به أصدقاؤه وأقاربه ، إلاّ أنه كان يقاسي كثيراً من المتاعب الجسمية والعقلية . وخيمت على عقله سحب من الآلام والأحزان ولقد كان منذ شبابه المبكر فريسة الأفكار السود التي كانت تحبب اليه الموت، حتى لقد حاول الانتحار مرتين حينما كان كاتباً في خدمة الشركة في مدراس . ثم حالت كثرة ما قام به من أعمال وما نال من نجاح دون استمرار تلك الأفكار السود . ففي الهند شغلته الأعمال العظيمة التي كان مضطلعاً بها، وفي انجلترا صرفه عنها ثراؤه وما ناله من رتب وتقدير فبدأ يرضى عن نفسه ويعد نفسه سعيداً . أما الآن فقد خلا من كل خاطر يشغله، أو أمل يرجيه، أصبح كالريشة في مهب الريح ، لا سيما بعد أن نال ما نال من عنت أصدقائه وإهانة اللجنة التي تولت التحقيق معه ، وذلك الاتهام الذي وجهه إليه مجلس العموم وإن كان في ثوب مقبول ، وما كان يشعر به من أن مواطنيه يعدونه قاسياً وخائناً وظالماً . كل هذه الاعتبارات تجمعت في ذهن كليف ، وصببت له القلق والآلام وضيق الخلق.

وحينما كان في المناطق الحارة أصابته عدة أمراض مضنية والتمس شفاءها فيما أشار عليه به المشيرون بتعاطي الافيون ، حتى أصبح هذا التعاطي عادة وأصبح هو أسيراً لها . وقد كان يظل ساكناً ساعات طويلة تحت تأثير المخدر . ثم يصحو فتصحو معه مميزاته العسكرية والسياسية فيناقش أية مسألة تعرض عليه بجلاء وحكمة ثم يعود الى إغفاءته واطراقه الحزين .

وزادت حدة المناقشات بين انجلترا ومستعمراتها الأمريكية حتى دعى الأمر الى امتشاق السيف ، وفكرت الحكومة في الانتفاع بمواهب كليف لو كان قد ظلّ على ما كان عليه يوم رفع حصار « باتنا » . وعند ما قضى على الجيش والبحرية الهولندية عند مصب نهر الجنجز . ولكن كليف لم يكن عند ظن أولئك الوزراء به ، فان عقله الجبار كان قد أجهدته المتاعب والآلام، حتى اذا جاء اليوم الثامن والعشرون من شهر نوفمبر سنة ١٧٧٤ انتحر كليف وكان قد بلغ التاسعة والاربعين من عمره .

وهكذا انتهت حياة مؤسس الامبراطورية البريطانية في الهند بعد ان ترك صفحة رائعة في سجل الخالدين .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وللمعرب

١ — فتاة الجيشا : صورة جميلة ناعمة للحياة الداخلية في بلاد اليابان محلاة بالصور .
٢ — زينيدا وقصص أخرى : من ألطف ما كتب أنطون تشيكوف.
٣ — غرام الأميرال : صورة حية لأروع الوقائع الغرامية في التاريخ محلاة بالصور .
٤ — الجلد المسحور : قصة رائعة تحليلية لأونوريه دي بلزاك محلاة بالصور .
٥ — بائع الخضر وقصص أخرى : مجموعة من خير ما كتب أناتول فرانس .
٦ — دون جوان وقصص أخرى : « « « « « أونوريه دي بلزاك .
٧ — روائع الأدب الألماني : لأشهر كتاب ألمانيا
٨ — مجد امرأة وقصص أخرى : مؤلفة
٩ — باقة البنفسج : مختارات من أشهر المآسي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com